الطبري، ابن جرير

جامع البيان

تفسير

٨١١

(فهرست الجــــزء الاول)

من تفسير الامام الكبير والعلامة الشهير من أطبقت الامة على تقدمه
فى التفسير وجعلته حجة اذا وقع النزاع فى التعبير
الامام أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى
المسمى جامع البيان فى تفسير
القرآن رحمه الله
وأثابه رضاه
آمين

طبع هذا الكتاب على نفقة
حضرة الامجد السيد عمر الخشاب الكتبى الشهير بمصر
وابنه حضرة السيد محمد عمر الخشاب حفظهما الله
ووفقنا واياهما لما يحبه ويرضاه

(فهرست الجزء الاول من تفسير الامام محمد بن جرير الطبرى)

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

﴿ تم فهرست الجزء الاول من تفسير ابن جرير ﴾

(فهرست الجزء الاول من تفسير النيسابورى الموضوع بهامش الجزء الاول من تفسير ابن جرير)

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

﴿ تم فهرست الجزء الاول من النيسابورى ﴾

(الجـــــزء الأول)

من كتاب جامع البيان في تفسير القرآن تأليف
الامام الكبير والمحدث الشهير من أطبقت
الامة على تقدمه في التفسير أبي جعفر
محمد بن جرير الطبري المتوفى
سنة ٣١٠ هجرية رحمه
الله وأثابه رضاه
آمـــين

(وبهامشه تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للعلامة نظام الدين
الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري قدست أسراره)

«في كشف الظنون» قال الامام جلال الدين السيوطي في الاتقان وكتابه «أي الطبري» أجل التفاسير وأعظمها فانه يتعرض لتوجيه الاقوال وترجيح بعضها على بعض والاعراب والاستنباط فهو يفوق بذلك على تفاسير الاقدمين * وقال النووي أجمعت الامة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبري * وعن أبي حامد الاسفرايني أنه قال لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيرا اهـ

(تنبيـــــه)

طبعت هذه النسخة بعد تصحيحها على الاصول الموجودة في خزانة الكتبخانة الخديوية بمصر بالاعتناء التام نسأل الله تعالى حسن الختام

(الطبعـــة الاولى)

بالمطبعة الكبرى الاميريه ببولاق مصر المحميه

ســنة ١٣٢٣ هجريه

بسم الله الرحمن الرحيم

قرئ على أبي جعفر محمد بن جرير الطبرى فى سنة ست وثلثمائة قال

(الحمد لله) الذى حجت الالباب بدائع حكمه وخصمت العقول لطائف حججه وقطعت عذر الملحدين عجائب صنعه وهتفت فى أسماع العالمين ألسن أدلته شاهدة أنه الله الذى لا اله الا هو الذى لا عدل له معادل ولا مثل له مماثل ولا شريك له مظاهر ولا ولد له ولا والد ولم يكن له صاحبة ولا كفوا أحد وأنه الجبار الذى خضعت لجبروته الجبابره والعزيز الذى ذلت لعزته الملوك الاعزه وخشعت لمهابة سطوته ذوو المهابه وأذعن له جميع الخلق بالطاعة طوعا وكرها كما قال الله عز وجل ولله يسجد من فى السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال فكل موجود الى وحدانيته داع وكل محسوس الى ربوبيته هاد بما وسمهم به من آثار الصنعة من نقص وزيادة وعجز وحاجة وتصرف فى عاهات عارضه ومقارنة أحداث لازمه لتكون له الحجة البالغه ثم أردف ماشهدت به من ذلك أدلته وأكد ما استنارت فى القلوب منه بهجته برسل ابتعثهم الى من يشاء من عباده دعاة الى ما اتضحت لديهم صحته وثبتت فى العقول حجته لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وليذكر أولو النهى والحلم فأمدهم بعونه وأبانهم من سائر خلقه بما دل به على صدقهم من الأدلة وأيدهم به من الحجج البالغة والآى المعجزة لئلا يقول القائل فيهم ما هذا الا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ولئن أطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون فجعلهم سفراء بينه وبين خلقه وأمناءه على وحيه واختصهم بفضله واصطفاهم برسالته ثم جعلهم فيما خصهم به من مواهبه ومن به عليهم من كراماته مراتب مختلفه ومنازل مفترقه ورفع بعضهم فوق بعض درجات متفاضلات متباينات فكرم بعضهم بالتكليم والنجوى وأيد بعضهم بروح القدس وخصه باحياء الموتى وابراء أولى العاهة والعمى وفضل نبينا

بسم الله الرحمن الرحيم

الى الله الكريم أرغب فى ابداع غرائب القرآن وبفضله العميم أتأهب لايداع رغائب الفرقان فاليه منتهى الأمل والسول وهذا حين أفتتح فأقول

الحمد لله الذى جعلنا ممن شرح صدره للاسلام فهو على نور من ربه وجبلنى ذا نفس أبيه وهمة عليه لا تكاد تستأنس الا بذكر حبه أعاف سفساف الامور وأخاف الموبقات الموبيات للثبور أميل عن زخرف الدنيا وزبرجها وأكبح النفس أن تحوم حول مخرجها ومولجها

* هى النفس ما حملتها تتحمل *

ان أرسلت استرسلت وان قدعت انقدعت فى الاول ولله در السلف الشزر العيون الى الامانى الفارغة الفانيه والاضاليل الملهية المنبية عن السعادات الباقيه تاقت قلوبهم الى الكرامات الدائمات واشتاقت أرواحهم الى اللذات الحقيقيات وتاهت ضمائرهم فى بيداء عظمة الملك والملكوت وتلاشت سرائرهم فى دأماء ديمومية العزة والجبروت فخلصوا من الناسوت ووصلوا الى اللاهوت وفنوا بشهوده وبقوا بوجوده ورضى كل منهم بقضاء معبوده فحصلت لهم الذات واتحدت عندهم

محمد صلى الله عليه وسلم من الدرجات بالعليا ومن المراتب بالعظمى حباه من أقسام كرامته بالقسم الأفضل وخصه من درجات النبوة بالحظ الأجزل ومن الأتباع والأصحاب بالنصيب الاوفر وابتعثه بالدعوة التامه والرسالة العامه وحاطه وحيدا وعصمه فريدا من كل جبار عاند وكل شيطان مارد حتى أظهر به الدين وأوضح به السبيل وأنهج به معالم الحق ومحق به منار الشرك وزهق به الباطل واضمحل به الضلال وخدع الشيطان وعبادة الاصنام والاوثان مؤيدا بدلالة على الايام باقيه وعلى الدهور والازمان ثابته وعلى مر الشهور والسنين دائمه يزداد ضياؤها على كر الدهور اشراقا وعلى مر الليالي والايام ائتلاقا تخصيصا من الله له بها دون سائر رسله الذين قهرتهم الجبابره واستذلتهم الامم الفاجره فتعفت بعدهم منهم الآثار وأخملت ذكرهم الليالي والايام ودون من كان منهم مرسلا الى أمة دون أمه وخاصة دون عامه وجماعة دون كافة فالحمد لله الذي كرمنا بتصديقه وشرفنا باتباعه وجعلنا من أهل الاقرار والايمان به وبما دعا اليه وجاء به صلى الله عليه وعلى آله وسلم أزكى صلواته وأفضل سلامه وأتم تحياته (أما بعد) فان من جسيم ما خص الله به أمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من الفضيله وشرفهم به على سائر الامم من المنازل الرفيعه وحباهم به من الكرامة السنيه حفظه ما حفظ جل ذكره وتقدست أسماؤه عليهم من وحيه وتنزيله الذي جعله على حقيقة نبوة نبيهم صلى الله عليه وسلم دلاله وعلى ما خصه به من الكرامة علامة واضحة وحجة بالغه أبانه به من كل كاذب ومفتر وفصل به بينهم وبين كل جاحد وملحد وفرق به بينهم وبين كل كافر ومشرك الذي لو اجتمع جميع من بين أقطارها من جنها وانسها وصغيرها وكبيرها على أن يأتوا بسورة من مثله لم يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا فجعله لهم في دجى الظلم نورا ساطعا وفي سدف الشبه شهابا لامعا وفي مضلة المسالك دليلا هاديا والى سبل النجاة والحق حاديا يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم حرسه بعين منه لا تنام وحاطه بركن منه لا يضام لا تهي على الايام دعائمه ولا تبيد على طول الازمان معالمه ولا يجور عن قصد المحجة تابعه ولا يضل عن سبل الهدى مصاحبه من اتبعه فاز وهدى ومن حاد عنه ضل وغوى فهو موئلهم الذي اليه عند الاختلاف يئلون ومعقلهم الذي اليه في النوازل يعتقلون وحصنهم الذي به من وساوس الشيطان يتحصنون وحكمة ربهم التي اليها يحتكمون وفصل قضائه بينهم الذي اليه ينتهون وعن الرضا به يصدرون وحبله الذي بالتمسك به من الهلكة يعتصمون اللهم فوفقنا لاصابة صواب القول في محكمه ومتشابهه وحلاله وحرامه وعامه وخاصه ومجمله ومفسره وناسخه ومنسوخه وظاهره وباطنه وتأويل آيه وتفسير مشكله وألهمنا التمسك به والاعتصام بمحكمه والثبات على التسليم لمتشابهه وأوزعنا الشكر على ما أنعمت به علينا من حفظه والعلم بحدوده انك سميع الدعاء قريب الاجابة وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما كثيرا

(اعلموا) عباد الله رحمكم الله أن أحق ما صرفت الى علمه العنايه وبلغت في معرفته الغايه ما كان لله في العلم به رضا وللعالم به الى سبيل الرشاد هدى وان أجمع ذلك لباغيه كتاب الله الذي لا ريب فيه وتنزيله الذي لا مرية فيه الفائز بجزيل الذخر وسني الاجر تاليه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ونحن في شرح تأويله وبيان ما فيه من معانيه منشئون ان شاء الله ذلك كتابا مستوعبا لكل ما بالناس اليه الحاجة من علمه جامعا ومن سائر الكتب غيره في ذلك كافيا ومخبرون في كل ذلك بما انتهى

المختلفات فطابت لهم الغدوات واعتدلت لهم العشيات ولم تطمح أعينهم الا الى تحصيل ما يقرب الى الله زلفى وما جرت ألسنتهم الا بذكر الحق طوبى لهم وبشرى أسألك اللهم الاقتداء بأولئك والتوفيق لشكر ما أسبغت علي من عطائك وأتممت من نعمائك وأعوذ بك أن أزل أو أضل فيما آتي وأذر وأن أركن الى الذين ظلموا فتمسني النار يوم العرض الأكبر ثبت أقدام أقلامي على الصدق ولا تقض أن ينطق في بكلام سوى الحق واجعلني بفضلك ممن لا ينظر الا اليك ولا يرغب الا فيما لديك ربيتني من غير سابقة علم مني ورببتني من غير حق يوجب ذلك عليك فان افتخرت فيما أنعمت علي وقد أمرت وأما بنعمة ربك فحدث وان استغفرت فيما أسرفت على نفسي وقد قلت ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما فيا من لا يوجد في جوده شوب غرض ولا علة شرفني في الآخرة بالعزة واحرسني في دنياي من الذلة ولا تؤاخذني بالنقصان الامكاني ولا تعاقبني بالنسيان الانساني حتى يكون لك الفضل في الآخرة والاولى والثناء في المبدا والمحمدة في العقبى أدعوك دعاء البائس الفقير المستعين وأتضرع اليك تضرع الذليل المهين المستكين الماثل بين يدي مولاه الآيس بالكلية عمن سواه فاسمع فانك سميع الدعاء وأجب فانك قادر على ما تشاء والصلاة والسلام على عبيدك المخصوصين بتأييدك المنزهين عن الادناس الجسميه المطهرين عن الارجاس

البيان من اتفاق الحجة فيما اتفقت عليه الأمة واختلافها فيما اختلفت فيه منه ومبينو علل كل مذهب من مذاهبهم وموضحو الصحيح لدينا من ذلك بأوجز ما أمكن من الايجاز فى ذلك وأخصر ما أمكن من الاختصار فيه والله نسأل عونه وتوفيقه لما يقرب من محابه ويبعد من مساخطه وصلى الله على صفوته من خلقه وعلى آله وسلم تسليما كثيرا ۞ وان أول ما نبدأ به من القيل فى ذلك الابانة عن الاسباب التى البداية بها أولى وتقديمها قبل ما عداها أحرى وذلك البيان عما فى آى القرآن من المعانى التى من قبلها يدخل اللبس على من لم يعان رياضة العلوم العربيه ولم تستحكم معرفته بتصاريف وجوه منطق الألسن السليقية الطبيعيه

(القول فى البيان عن اتفاق معانى آى القرآن ومعانى منطق من نزل بلسانه من وجه البيان والدلالة على أن ذلك من الله جل وعز هو الحكمة البالغة مع الابانة عن فضل المعنى الذى به باين القرآن سائر الكلام)

قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى رحمه الله ان من عظيم نعم الله على عباده وجسيم منته على خلقه ما منحهم من فضل البيان الذى به عن ضمائر صدورهم يبينون وبه على عزائم نفوسهم يدلون فذلل به منهم الالسن وسهل به عليهم المستصعب فبه إياه يوحدون وإياه به يسبحون ويقدسون والى حاجاتهم به يتوصلون وبه بينهم يتحاورون فيتعارفون ويتعاملون ثم جعلهم جل ذكره فيما منحهم من ذلك طبقات ورفع بعضهم فوق بعض درجات فبين خطيب مسهب وذلق اللسان مهذب ومفحم عن نفسه لا يبين وعى عن ضمير قلبه لا يعبر وجعل أعلاهم فيه رتبه وأرفعهم فيه درجه أبلغهم فيما أراد به بلاغا وأبينهم عن نفسه به بيانا ثم عرفهم فى تنزيله ومحكم آى كتابه فضل ما حباهم به من البيان على من فضلهم به عليه من ذى البكم والمستعجم اللسان فقال تعالى ذكره أومن ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين فقد وضح اذا لذوى الافهام وتبين لاولى الالباب أن فضل أهل البيان على أهل البكم والمستعجم اللسان بفضل اقتدار هذا من نفسه على ابانة ما أراد ابانته عن نفسه ببيانه واستعجام لسان هذا عما حاول ابانته بلسانه فاذا كان ذلك كذلك وكان المعنى الذى به باين الفاضل المفضول فى ذلك فصار به فاضلا والآخر مفضولا هو ما وصفنا من فضل ابانة ذى البيان عما قصر عنه المستعجم اللسان وكان ذلك مختلف الاقدار متفاوت الغايات والنهايات فلا شك أن أعلى منازل البيان درجه وأسنى مراتبه مرتبه أبلغه فى حاجة المبين عن نفسه وأبينه عن مراد قائله وأقربه من فهم سامعه فان تجاوز ذلك المقدار وارتفع عن وسع الانام وعجز عن أن يأتى بمثله جميع العباد كان حجة وعلما لرسل الواحد القهار كما كان حجة وعلما لها احياء الموتى وابراء الأبرص وذوى العمى بارتفاع ذلك عن مقادير أعلى منازل طب المتطببين وأرفع مراتب علاج المعالجين الى ما يعجز عنه جميع العالمين وكالذى كان لها حجة وعلما قطع مسافة شهرين فى الليلة الواحدة بارتفاع ذلك عن وسع الانام وتعذر مثله على جميع العباد وان كانوا

النفسيه الفائزين بأشرف مراتب الانس الواصلين الى أعلى مدارج الانس الضاربين فى أرقى معارج القدس ولاسيما المصطفى محمد الذى أشرق فى سماء النبوة بدرا وأشرف على بساط الرسالة صدرا سيد الثقلين وسند الخافقين امام المتقين ورسول رب العالمين الكائن نبيا وآدم بين الماء والطين المعفر له جباه الاملاك المشرف بلولاك لما خلقت الافلاك صلى الله عليه وعلى آله مفاتيح الجنة وأصحابه مصابيح الدجنة وسلم تسليما كثيرا (٤) (وبعد) فان المفتقر الى عفو ربه الكريم الحسن بن محمد القمى المشتهر بنظام النيسابورى نظم الله أحواله فى أولاه وأخراه يقول من المعلوم عند ذوى الافهام أن كلام الملوك ملوك الكلام وبقدر البون بين الواجب الذات والممكن الذات يوجد التفاوت بين كلام الله تعالى وكلام المخلوقات ولاسيما اذا وقع فى معرض التحدى الذى يظهر النبى هنالك من المتنبى وهذا شأن القرآن العظيم والفرقان الكريم الذى أخرس شقاشق المناطق فضهم بقضيضهم وأوقر مسامع المصاقع فما بين أوجهم وحضيضهم حتى اختاروا المقارعة بالسيوف على المعارضة بالحروف والمقاتلة بالأسنه على المقاولة بالألسنه والملاكمة باللهاذم على المكالمة باللهازم ومبارزة الاقران على الاتيان بأقصر سورة من القرآن قال الله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله وقال تعالى أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وقال تعالى وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله درج لهم الامر فأوقع التحدى على القرآن جملة ثم على عشر سور ثم على سورة فاضطرهم التعجيز الى ايثار الأصعب على الاسهل فتبين أن الأسهل فى النظر هو الاصعب فى نفس الامر وذلك من أدل دليل على حقية المنزل وصدق المنزل عليه وكيف لا وفيه نبأ الاولين وخبر الآخرين وحكم ما بين الخلائق أجمعين على قال صلى الله عليه وسلم فى وصفه هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله هو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذى لا تزيغ به الاهواء ولا تلتبس به الالسنة ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضى عجائبه هو الذى لم ينته الجن اذ سمعته حتى قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد فآمنا به من قال به صدق ومن عمل به

أجر ومن حكم به عدل ومن ناظر به فلج ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم ولقد انتصب جم غفير وجمع كثير من الصحابة والتابعين ثم من العلماء الراسخين والفضلاء المحققين والائمة المتقنين في كل عصر وحين للغوص في تيار بحاره والكشف عن أستار أسراره والفحص عن غرائبه والاطلاع على رغائبه نقلا وعقلا وأخذا واجتهادا فتباينت مطامح هماتهم وتباعدت مواقع نياتهم وتشعبت مسالك أقدامهم وتفننت مقاطر أقلامهم فمن بين وجيز وأوجز ومطنب وملغز ومن مقتصر على حل الالفاظ ومن ملاحظ مع ذلك حظ المعاني والبيان ونعم اللحاظ فشكر الله تعالى مساعيهم وصان عن ازراء القادح معالمهم ومنهم من أعرض عن التفسير وأقبل على التأويل وهو عندي ركون الى الاضاليل وسكون على شفا جرف الاباطيل الا من عصمه الله وانه لقليل ومنهم من مرج البحرين وجمع بين الامرين فللراغب الطالب أن يأخذ العذب الفرات ويترك الملح الاجاج ويلقط الدر الثمين ويسقط السبج والزجاج واذ وفقني الله تعالى لتحريك القلم في أكثر الفنون المنقولة والمعقولة كما اشتهر بحمد الله تعالى ومنه فيما بين أهل الزمان وكان علم التفسير من العلوم بمنزلة الانسان من العين والعين من الانسان وكان قد رزقني الله تعالى من إبان الصبا وعنفوان الشباب حفظ لفظ القرآن وفهم معنى الفرقان وطالما طالبني بعض أجلة الاخوان وأعزة الاخدان ممن كنت مشارا اليه عندهم بالبنان في البيان والله المنان يجازيهم عن حسن ظنونهم ويوفقنا لاسعاف سؤلهم وانجاح مطلوبهم أن أجمع كتابا في علم التفسير مشتملا على المهمات مبنيا على ما وقع الينا من نقل الاثبات وأقوال الثقات من الصحابة والتابعين ثم من العلماء الراسخين والفضلاء المحققين المتقدمين والمتأخرين جعل الله تعالى سعيهم مشكورا وعملهم مبرورا فاستعنت بالمعبود وشرعت في المقصود معترفا بالعجز والقصور في هذا الفن وفي سائر الفنون لا كمن هو بابنه وبشعره مفتون كيف وقد قال عز من قائل وما أوتيتم من العلم الا قليلا ومن أصدق من الله قيلا وكفى بالله وليا وكفى بالله وكيلا ولما كان التفسير الكبير المنسوب الى الامام الافضل والهمام الامثل الحبر النحرير والبحر الغزير الجامع بين المعقول والمنقول الفائز بالفروع والاصول أفضل المتأخرين فخر الملة والحق والدين محمد بن عمر بن الحسين

على قطع القليل من المسافة قادرين ولليسير منه فاعلين فاذا كان ما وصفنا من ذلك كالذي وصفنا فبين أن لا بيان أبين ولا حكمة أبلغ ولا منطق أعلى ولا كلام أشرف من بيان ومنطق تحدى به امرؤ قوما في زمان هم فيه رؤساء صناعة الخطب والبلاغة وقيل الشعر والفصاحة والسجع والكهانة كل خطيب منهم وبليغ وشاعر منهم وفصيح وكل ذي سجع وكهانة فسفه أحلامهم وقصر معقولهم وتبرأ من دينهم ودعا جميعهم الى اتباعه والقبول منه والتصديق به والاقرار بانه رسول اليهم من ربهم وأخبرهم أن دلالته على صدق مقالته وحجته على حقيقة نبوته ما أتاهم به من البيان والحكمة والفرقان بلسان مثل ألسنتهم ومنطق موافقة معانيه معاني منطقهم ثم أنبأ جميعهم أنهم عن أن يأتوا بمثل بعضه عجزة ومن القدرة عليه نقصة فأقر جميعهم بالعجز وأذعنوا له بالتصديق وشهدوا على أنفسهم بالنقص الا من تجاهل منهم وتعامى واستكبر وتعاشى فحاول تكلف ما قد علم أنه عنه عاجز ورام ما قد تيقن أنه عليه غير قادر فأبدى من ضعف عقله ما كان مستورا ومن عي لسانه ما كان مصونا فأتى بما لا يعجز عنه الضعيف الأخرق والجاهل الاحمق فقال والطاحنات طحنا والعاجنات عجنا فالخابزات خبزا والثاردات ثردا واللاقمات لقما ونحو ذلك من الحماقات المشبهة دعواه الكاذبة فاذا كان تفاضل مراتب البيان وتباين منازل درجات الكلام بما وصفنا قبل وكان الله تعالى ذكره وتقدست أسماؤه أحكم الحكماء وأحلم الحلماء كان معلوما أن أبين البيان بيانه وأفضل الكلام كلامه وأن قدر فضل بيانه جل ذكره على بيان جميع خلقه كفضله على جميع عباده فان كان ذلك كذلك وكان غير مبين منا عن نفسه من خاطب غيره بما لا يفهمه عنه المخاطب كان معلوما أنه غير جائز أن يخاطب جل ذكره أحدا من خلقه الا بما يفهمه المخاطب ولا يرسل الى أحد منهم رسولا برسالة الا بلسان وبيان يفهمه المرسل اليه لان المخاطب والمرسل اليه ان لم يفهم ما خوطب به وأرسل به اليه فحاله قبل الخطاب وقبل مجيء الرسالة اليه وبعده سواء اذ لم يفده الخطاب والرسالة شيأ كان به قبل ذلك جاهلا والله جل ذكره يتعالى عن أن يخاطب خطابا أو يرسل رسالة لا توجب فائدة لمن خوطب أو أرسلت اليه لان ذلك فينا من فعل أهل النقص والعبث والله تعالى عن ذلك متعال ولذلك قال جل ثناؤه في محكم تنزيله وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم وقال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون فغير جائز أن يكون به مهتديا من كان بما يهدي اليه جاهلا فقد تبين اذا بما عليه دللنا من الدلالة أن كل رسول لله جل ثناؤه أرسله الى قوم فانما أرسله بلسان من أرسله اليه وكل كتاب أنزله على نبي ورسالة أرسلها الى أمة فانما أنزله بلسان من أنزله أو أرسله اليه واتضح بما قلنا ووصفنا أن كتاب الله الذي أنزله الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بلسان محمد صلى الله عليه وسلم واذا كان لسان محمد صلى الله عليه وسلم عربيا فبين أن القرآن عربي وبذلك أيضا نطق محكم تنزيل ربنا فقال

حل ذكره انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون وقال وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين واذ كانت واضحة صحة ما قلنا بما عليه استشهدنا من الشواهد ودللنا عليه من الدلائل فالواجب أن تكون معاني كتاب الله المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لمعاني كلام العرب موافقة وظاهره لظاهر كلامها ملائما وان باينه كتاب الله بالفضيلة التي فضل بها سائر الكلام والبيان بما قد تقدم وصفنا فاذا كان ذلك كذلك فبين اذ كان موجودا في كلام العرب الايجاز والاختصار والاجتزاء بالاخفاء من الاظهار وبالقلة من الاكثار في بعض الاحوال واستعمال الاطالة والاكثار والترداد والتكرار واظهار المعاني بالاسماء دون الكناية عنها والاسرار في بعض الاوقات والخبر عن الخاص في المراد بالعام الظاهر وعن العام في المراد بالخاص الظاهر وعن الكناية والمراد منه المصرح وعن الصفة والمراد الموصوف وعن الموصوف والمراد الصفة وتقديم ما هو في المعنى مؤخر وتأخير ما هو في المعنى مقدم والاكتفاء ببعض من بعض وبما يظهر عما يحذف واظهار ما حظه الحذف أن يكون ما في كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم من ذلك في كل ذلك له نظيرا وله مثلا وشبها ونحن مبينو جميع ذلك في أماكنه ان شاء الله ذلك وأمد منه بعون وقوة

(القول في البيان عن الأحرف التي اتفقت فيها ألفاظ العرب وألفاظ غيرها من بعض أجناس الامم)

قال أبو جعفر ان سألنا سائل فقال انك ذكرت أنه غير جائز أن يخاطب الله أحدا من خلقه الا بما يفهمه وأن يرسل اليه رسالة الا باللسان الذي يفقهه فما أنت قائل فيما حدثكم به محمد بن حميد الرازي قال حدثنا حكام بن سلم قال حدثنا عنبسة عن أبي اسحق عن أبي الاحوص عن أبي موسى يؤتكم كفلين من رحمته قال الكفلان ضعفان من الاجر بلسان الحبشة وفيما حدثكم به ابن حميد قال حدثنا حكام عن عنبسة عن أبي اسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان ناشئة الليل قال بلسان الحبشة اذا قام الرجل من الليل قالوا نشأ وفيما حدثكم به ابن حميد قال حدثنا حكام قال حدثنا عنبسة عن أبي اسحق عن أبي ميسرة ياجبال أوبي معه قال سبحي بلسان الحبشة «قال أبو جعفر وكل ما قلنا في هذا الكتاب حدثكم فقد حدثوناه» وفيما حدثكم به محمد بن خالد بن خداش الازدي قال حدثنا سلم بن قتيبة قال حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن قوله فرت من قسورة قال هو بالعربية الاسد وبالفارسية شار وبالنبطية أريا وبالحبشية قسورة وفيما حدثكم به ابن حميد قال حدثنا يعقوب القمي عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير قال قالت قريش لولا أنزل هذا القرآن أعجميا وعربيا فأنزل الله تعالى ذكره وقالوا لولا فصلت آياته أعجمي وعربي قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء فأنزل الله بعد هذه الآية في القرآن بكل لسان فيه حجارة من سجيل قال فارسية أعربت سنك وكل وفيما حدثكم به محمد بن بشار قال حدثنا عبد الرحمن بن مهدي قال حدثنا اسرائيل عن أبي اسحق عن أبي ميسرة قال في

الخطيب الرازي تغمده الله برضوانه وأسكنه بحبوحة جنانه اسمه مطابق لمسماه وفيه من اللطائف والبحوث ما لا يحصى ومن الزوائد والغثوث ما لا يخفى فانه قد بذل مجهوده ونثل موجوده حتى عسر كتبه على الطالبين وأعوز تحصيله على الراغبين فحاذيت سياق مرامه وأوردت حاصل كلامه وقربت مسالك أقدامه والتقطت عقود نظامه من غير اخلال بشيء من الفرائد أو اهمال لما يعد من اللطائف والفوائد وضممت اليه ما وجدت في الكشاف وفي (٦) سائر التفاسير من اللطائف المهمات أو رزقني الله تعالى من البضاعة المزجاة وأثبت القراآت المعتبرات والوقوف المعللات ثم التفسير المشتمل على المباحث اللفظيات والمعنويات مع اصلاح ما يجب اصلاحه واتمام ما ينبغي اتمامه من المسائل الموردة في التفسير الكبير والاعتراضات ومع حل ما يوجد في الكشاف من المواضع المعضلات سوى الابيات المعقدات فان ذلك يوردها من ظن أن تصحيح القراآت وغرائب القرآن انما يكون بالامثال والمستشهدات كلا فان القرآن حجة على غيره وليس غيره حجة عليه فلا علينا أن نقتصر في غرائب القرآن على تفسيرها بالالفاظ المشتهرات وعلى ايراد بعض المتجانسات التي تعرف منها أصول الاشتقاقات وذكرت طرفا من الاشارات المقنعات والتأويلات الممكنات والحكايات المسكيات والمواعظ الرادعة عن المنهيات الباعثة على أداء الواجبات والتزمت ايراد لفظ القرآن الكريم أولا مع ترجمته على وجه بديع وطريق منيع مشتمل على ابراز المقدرات واظهار المضمرات وتأويل المتشابهات وتصريح الكنايات وتحقيق المجازات والاستعارات فان هذا النوع من الترجمة مما تسكب فيه العبرات (٢) وترن المترجمون هنالك الى العثرات وقلما يفطن له الناشئ الواقف على متن اللغة العربية فضلا عن الدخيل القاصر في العلوم الادبية واجتهدت كل الاجتهاد القرآن في تسهيل سبيل الرشاد ووضعت الجميع على طرف الثمام ليكون الكتاب كالبدر في التمام وكالشمس في افادة الخاص والعام من غير تطويل يورث الملال ولا تقصير يوعر مسالك السالك ويسد نظام الكلام خير الكلام ما قل ودل وحسبك من الزاد ما بلغك المحل والتكلان في الجميع على الرحمن المستعان والتوفيق مسؤول ممن بيده مفاتيح الفضل والاحسان وخزائن البر والامتنان وهذا أوان

---

(٢) هكذا في النسخة المطبوعة وفي نسخة أخرى ورن وفي نسخة ثالثة وذن ولعل الصواب وزل فليحرر اه مصححه

الشروع فى تفسير القران ولنقدم أمام ذلك مقدمات

(المقدمة الاولى) فى فضل القراءة والقارئ واداب القراءة وجواز اختلاف القراآت وذكر القراء المشهورين المعتبرين

عن على بن أبى طالب أمير المؤمنين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن فاستظهره وأحل حلاله وحرم حرامه أدخله الله الجنة وشفعه فى عشرة من أهل بيته كلهم قد وجبت له النار وعنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال خيركم من تعلم القرآن وعلمه وعن ابن عباس رضى الله عنه قال قال رجل (٧) يارسول الله أى الاعمال أحب الى الله قال الحال المرتحل قال وما الحال المرتحل قال يضرب من أول القرآن الى آخره كلما حل ارتحل وفى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الماهر فى القرآن مع السفرة الكرام البررة والذى يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله تبارك وتعالى يتلون كتاب الله عز وجل ويتدارسونه بينهم الانزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده وعن سهل بن معاذ الجهنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ القرآن وعمل به ألبس والداه تاجا يوم القيامة ضوءه أحسن من ضوء الشمس فى بيوت الدنيا لو كانت فيكم فما ظنكم بالذى عمل بهذا وفى الصحيحين عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما مثل صاحب القرآن مثل صاحب الابل المعقلة ان عاهد عليها أمسكها وان أطلقها ذهبت وفيهما عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أذن الله لشئ ما أذن لنبى يتغنى بالقرآن وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا فان منزلك عند آخر آية تقرأ وفى الصحاح كلها عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستمعت لقراءته فاذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكدت أساوره فى الصلاة فتربصت حتى سلم فلببته بردائه فقلت من أقرأك هذه السورة التى سمعتك تقرؤها قال أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت كذبت فان رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرأنيها على غير ما قرأت فانطلقت به أقوده الى

القرآن من كل لسان وفيما أشبه ذلك من الأخبار التى يطول بذكرها الكتاب مما يدل على أن فيه من غير لسان العرب قيل له ان الذى قالوه من ذلك غير خارج من معنى ما قلنا من أجل أنهم لم يقولوا هذه الأحرف وما أشبهها لم تكن للعرب كلاما ولا كان ذلك لها منطقا قبل نزول القرآن ولا كانت بها العرب عارفة قبل مجىء الفرقان فيكون ذلك قولا لقولنا خلافا وانما قال بعضهم حرف كذا بلسان الحبشة معناه كذا وحرف كذا بلسان العجم معناه كذا ولم يستنكر أن يكون من الكلام ما يتفق فيه ألفاظ جميع أجناس الامم المختلفة الالسن بمعنى واحد فكيف بجنسين منها كما قد وجدنا اتفاق كثير منه فيما قد علمناه من الالسن المختلفة وذلك كالدرهم والدينار والدواة والقلم والقرطاس وغير ذلك مما يتعب احصاؤه ويمل تعداده كرهنا اطالة الكتاب بذكره مما اتفقت فيه الفارسية والعربية باللفظ والمعنى ولعل ذلك كذلك فى سائر الالسن التى يجهل منطقها ولا يعرف كلامها فلو أن قائلا قال فيما ذكرنا من الاشياء التى عددنا واخبرنا اتفاقه فى اللفظ والمعنى بالفارسية والعربية وما أشبه ذلك مما سكتنا عن ذكره ذلك كله فارسى لا عربى أو ذلك كله عربى لا فارسى أو قال بعضه عربى وبعضه فارسى أو قال كان مخرج أصله من عند العرب فوقع الى العجم فنطقوا به أو قال كان مخرج أصله من عند الفرس فوقع الى العرب فاعربته كان مستجهلا لان العرب ليست بأولى أن تكون كان مخرج أصل ذلك منها الى العجم ولا العجم بأحق أن تكون كان مخرج أصل ذلك منها الى العرب اذ كان استعمال ذلك بلفظ واحد ومعنى واحد موجودا فى الجنسين وان كان ذلك موجودا على ما وصفنا فى الجنسين فليس أحد الجنسين أولى بأن يكون أصل ذلك كان من عنده من الجنس الآخر والمدعى أن مخرج أصل ذلك انما كان من أحد الجنسين الى الآخر مدع أمرا لا يوصل الى حقيقة صحته الا بخبر يوجب العلم ويزيل الشك ويقطع العذر صحته بل الصواب فى ذلك عندنا أن يسمى عربيا أعجميا أو حبشيا عربيا اذ كانت الامتان له مستعملتين فى بيانها ومنطقها استعمال سائر منطقها وبيانها فليس غير ذلك من كلام كل أمة منهما بأولى أن يكون اليها منسوبا منه فكذلك سبيل كل كلمة واسم اتفقت ألفاظ أجناس أمم فيها ومعناها ووجد ذلك مستعملا فى كل جنس منها استعمال سائر منطقهم فسبيل اضافته الى كل جنس منها سبيل ما وصفنا من الدرهم والدينار والدواة والقلم التى اتفقت ألسن الفرس والعرب فيها بالالفاظ الواحدة والمعنى الواحد فى أنه مستحق اضافته الى كل جنس من تلك الاجناس باجتماع وافتراق وذلك هو معنى من روينا عنه القول فى الاحرف التى مضت فى صدر هذا الباب من نسبة بعضهم بعض ذلك الى لسان الحبشة ونسبة بعضهم بعض ذلك الى لسان الفرس ونسبة بعضهم بعض ذلك الى لسان الروم لان من نسب شيأ من ذلك الى ما نسبه اليه لم ينف بنسبته اياه الى ما نسبه اليه أن يكون عربيا ولا من قال منهم هو عربى نفى ذلك أن يكون مستحقا النسبة الى من هو من كلامه من سائر أجناس الامم غيرها وانما يكون الاثبات دليلا على النفى فيما لا يجوز اجتماعه من المعانى كقول القائل فلان قائم فيكون بذلك من قوله دالا على أنه غير قاعد ونحو ذلك مما يمتنع اجتماعه لتنافيهما فأما ما جاز اجتماعه فهو خارج من هذا المعنى وذلك كقول القائل فلان قائم مكلم فلانا فليس فى تثبيت القيام

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله اني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسله اقرأ يا هشام فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا أنزلت ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم اقرأ يا عمر فقرأت القراءة التي أقرأني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا أنزلت ان القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤا ما تيسر منه اذا تقرر ذلك فنحن نذكر في الكتاب من القراآت (٨) السبع المنسوبة الى القراء السبعة والاربع المنسوبة الى الائمة المختارين ونرى أن نفصل ههنا أساميهم وأسامي رواتهم ليتعين ما نسب في أثناء التفسير الى كل منهم والله ولي التوفيق

﴿ذكر القراء السبعة وتسمية نقلتهم من الرواة وطرقهم من الثقات﴾ أبو عمرو زبان بن العلاء البصري روى عن مجاهد بن جبر وسعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات سنة أربع وخمسين ومائة ورواته ثلاثة * أبو محمد يحيى بن المبارك اليزيدي روى عنه أبو عمر حفص بن عمر بن عبد العزيز الدوري طريق أبي الزعراء عبد الرحمن بن عبدوس وأبو الفتح عامر بن صالح الموصلي المعروف باوقية طريق أبي قبيصة حاتم بن اسحق الموصلي وأبو شعيب صالح بن زياد السوسي طريق أبي الحرث محمد بن أحمد الرقي وأبو اسحق ابراهيم بن حماد طريق أبي عيسى موسى بن عبد الله الهاشمي * وأبو نعيم شجاع بن أبي نصر الخراساني روى عنه أبو جعفر محمد بن غالب طريق أبي علي الحسن بن الحسين الصواف * وعباس ابن فضل الانصاري روى عنه أبو عمر ومحمد بن عمر بن رومي طريق أبي اسحق ابراهيم بن كعب الموصلي وطريق شباب بن خليفة وهو الاصح وطريق أبي اسحق أيضا عن أوقية * ابن كثير هو أبو محمد عبد الله بن كثير المكي روى عن مجاهد بن جبر عن ابن عباس عن أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفي سنة عشرين ومائة ورواته أربعة * أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم بن نافع بن أبي بزة البزي وبينه وبين ابن كثير رجال لانه يروي عن عكرمة بن سليمان بن كثير عن شبل بن عباد واسمعيل بن عبد الله بن قسطنطين عن ابن كثير وروى عن البزي أبو ربيعة محمد بن اسحق بن أعين الربعي طريق الزينبي وهو الهاشمي وطريق أبي بكر محمد بن الحسن المعروف بالنقاش الموصلي

له ما دل على نفي كلام آخر لجواز اجتماع ذلك في حال واحد من شخص واحد فقائل ذلك صادق اذا كان صاحبه على ما وصفه به فكذلك ما قلنا في الاحرف التي ذكرنا وما أشبهها غير مستحيل أن يكون عربيا بعضها أعجميا وحبشيا بعضها عربيا اذ كان موجودا استعمال ذلك في كلتا الامتين فناسب ما نسب من ذلك الى احدى الامتين أو كلتيهما محق غير مبطل فان ظن ذو غباء أن اجتماع ذلك في الكلام مستحيل كما هو مستحيل في أنساب بني آدم فقد ظن جهلا وذلك أن أنساب بني آدم محصورة على أحد الطرفين دون الآخر لقول الله تعالى ذكره ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله وليس ذلك كذلك في المنطق والبيان لان المنطق انما هو منسوب الى من كان به معروفا استعماله فلو عرف استعمال بعض الكلام في أجناس من الامم جنسين أو أكثر بلفظ واحد ومعنى واحد كان ذلك منسوبا الى كل جنس من تلك الاجناس لا يستحق جنس منها أن يكون به أولى من سائر الاجناس غيره كما لو أن أرضا بين سهل وجبل لها هواء السهل وهواء الجبل أو بين بر وبحر لها هواء البر وهواء البحر لم يمتنع ذو عقل صحيح أن يصفها بأنها سهلية جبلية أو بأنها برية بحرية اذ لم تكن نسبتها الى احدى صفتيها نافية حقها من النسبة الى الاخرى ولو أفرد لها مفرد احدى صفتيها ولم يسلبها صفتها الاخرى كان صادقا محقا وكذلك القول في الاحرف التي تقدم ذكرناها في أول هذا الباب وهذا المعنى الذي قلناه في ذلك هو معنى قول من قال في القرآن من كل لسان عندنا بمعنى والله أعلم أن فيه من كل لسان اتفق فيه لفظ العرب ولفظ غيرها من الامم التي تنطق به نظير ما وصفنا من القول فيما مضى وذلك أنه غير جائز أن يتوهم على ذي فطرة صحيحة مقر بكتاب الله ممن قد قرأ القرآن وعرف حدود الله أن يعتقد أن بعض القرآن فارسي لا عربي وبعضه نبطي لا عربي وبعضه عربي لا فارسي وبعضه حبشي لا عربي بعد ما أخبر الله تعالى ذكره عنه أنه جعله قرآنا عربيا لان ذلك ان كان كذلك فليس قول القائل القرآن حبشي أو فارسي ولا نسبة من نسبه الى بعض ألسن الامم التي بعضه بلسانه دون العرب بأولى بالتطول من قول القائل هو عربي ولا قول القائل هو عربي بأولى بالصحة والصواب من قول ناسبه الى بعض الاجناس التي ذكرناها اذ كان الذي بلسان غير العرب من سائر ألسن أجناس الامم فيه نظير الذي فيه من لسان العرب واذ كان ذلك كذلك فبين اذا خطأ قول من زعم أن القائل من السلف في القرآن من كل لسان انما عنى بقيله ذلك أن فيه من البيان ما ليس بعربي ولا جائزة نسبته الى لسان العرب ويقال لمن أبى ما قلنا ممن زعم أن الاحرف التي قدمنا ذكرها في أول الباب وما أشبهها انما هي كلام أجناس الامم سوى العرب وقعت الى العرب فعربته ما برهانك على صحة ما قلت في ذلك من الوجه الذي يجب التسليم له فقد علمت من خالفك في ذلك فقال فيه خلاف قولك وما الفرق بينك وبين من عارضك في ذلك فقال هذه الاحرف وما أشبهها من الاحرف غيرها أصلها عربي غير أنها وقعت الى سائر أجناس الامم غيرها فنطقت كل أمة منها ببعض ذلك بألسنتها من الوجه الذي يجب التسليم له فلن يقول في شيء من ذلك قولا الا ألزم في الآخر مثله فان اعتل في ذلك بأقوال السلف التي قد ذكرنا بعضها وما أشبهها طولب مطالبتنا من تأول عليهم في ذلك تأويله بالذي قد تقدم في بياننا وقيل له ما أنكرت أن يكون من نسب شيأ من ذلك منهم الى من نسبه

من

من أجناس الامم سوى العرب انما نسبه الى احدى نسبتيه التى هو لها مستحق من غير نفى منه عنه النسبة الاخرى ثم يقال له أرأيت من قال للارض سهلية جبلية هى سهلية ولم ينكر أن تكون جبلية أو قال هى جبلية ولم يدفع أن تكون سهلية أنافٍ عنها أن تكون لها الصفة الاخرى بقيله ذلك فان قال نعم كابر عقله وان قال لا قيل له فما أنكرت أن يكون قول من قال فى سجيل هى فارسية وفى القسطاس هى رومية نظير ذلك وسئل الفرق بين ذلك فلن يقول فى أحدهما قولا الا ألزم فى الآخر مثله

﴿ القول فى اللغة التى نزل بها القرآن من لغات العرب ﴾

قال أبو جعفر قد دللنا على صحة القول بما فيه الكفاية لمن وفق لفهمه على أن الله جل ثناؤه أنزل جميع القرآن بلسان العرب دون غيرها من ألسن سائر أجناس الامم وعلى فساد قول من زعم أن منه ما ليس بلسان العرب ولغاتها فنقول الآن اذ كان ذلك صحيحا فى الدلالة عليه بأى ألسن العرب أنزل أبألسن جميعها أم بألسن بعضها اذ كانت العرب وان جمع جميعها اسم أنهم عرب فهم مختلفو الالسن بالبيان متباينو المنطق والكلام واذ كان ذلك كذلك وكان الله جل ذكره قد أخبر عباده أنه قد جعل القرآن عربيا وانه أنزل بلسان عربى مبين ثم كان ظاهره محتملا خصوصا وعموما لم يكن لنا السبيل الى العلم بما عنى الله تعالى ذكره من خصوصه وعمومه الا ببيان من جعل اليه بيان القرآن وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا كان ذلك كذلك وكانت الاخبار قد تظاهرت عنه صلى الله عليه وسلم بما حدثنا به خلاد بن أسلم قال حدثنا أنس بن عياض عن أبى حازم عن أبى سلمة قال لا أعلمه الا عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنزل القرآن على سبعة أحرف فالمراء فى القرآن كفر ثلاث مرات فما عرفتم منه فاعملوا به وما جهلتم منه فردوه الى عالمه وحدثنى عبيد بن أسباط بن محمد قال حدثنا أبى عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزل القرآن على سبعة أحرف عليم حكيم غفور رحيم وحدثنا أبو كريب قال حدثنى عبدة بن سليمان عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم مثله وحدثنا محمد بن حميد الرازى قال حدثنا جرير بن عبد الحميد عن مغيرة عن واصل بن حيان عمن ذكره عن أبى الاحوص عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزل القرآن على سبعة أحرف لكل حرف منها ظهر و بطن ولكل حرف حد ولكل حد مطلع حدثنا ابن حميد قال حدثنا مهران قال حدثنا سفيان عن ابراهيم الهجرى عن أبى الاحوص عن عبد الله بن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم مثله حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء قال حدثنا أبو بكر بن عياش قال حدثنا عاصم عن زر عن عبد الله قال اختلف رجلان فى سورة فقال هذا أقرأنى النبى صلى الله عليه وسلم وقال هذا أقرأنى النبى صلى الله عليه وسلم فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبر بذلك قال فتغير وجهه وعنده رجل فقال اقرؤا كما علمتم فلا أدرى أبشئ أمر أم شئ ابتدعه من قبل نفسه فانما أهلك من كان قبلكم اختلافهم على أنبيائهم قال فقام كل رجل منا وهو لا يقرأ على قراءة صاحبه نحو هذا ومعناه حدثنا سعيد بن يحيى بن سعيد الاموى قال حدثنا أبى قال حدثنا الاعمش وحدثنى أحمد بن منيع قال حدثنا يحيى بن سعيد الاموى عن الاعمش عن

وأبو محمد اسحق بن أحمد الخزاعى المكى طريق ابن شنبوذ وطريق الهاشمى وطريق أبى بكر أحمد بن محمد الطوابيقى وطريق أبى القاسم السرنديبى وطريق أبى الحسن على بن زوابة القزاز وطريق أبى بكر محمد بن عيسى بن بندار الجصاص وأبو على الحسين بن محمد الحداد طريق الهاشمى عن البزى * عبد الله بن فليح عن رجاله عن ابن كثير ورجاله محمد بن سعون وداود بن شبل عن اسمعيل بن عبد الله عن ابن كثير وروى عن ابن فليح أبو على الحداد طريق النقاش وطريق الهاشمى وطريق الخزاعى وطريق ابن شنبوذ * أبو الحسن أحمد بن محمد بن عون القواس وبينه وبين ابن كثير أيضا رجال لانه يروى عن أبى الاخريط وهب بن واضح عن اسمعيل بن عبد الله عن عبد الله بن عامر الاموى ومعروف بن مشكان وشبل بن عباد عن ابن كثير وروى عن القواس قنبل طريق الزينبى طريق أبى ربيعة طريق أبى نجاح طريق ابن أبى عون القاضى طريق ابن شنبوذ طريق أبى القاسم السرنديبى * زمعة بن صالح عن ابن كثير طريق عبد الله بن سعوة وطريق شعيب بن مرة ﴿ نافع بن أبى نعيم المدنى قرأ على أبى جعفر القارى وعلى سبعين من التابعين على ابن عباس وأبى هريرة على أبى ابن كعب على النبى صلى الله عليه وسلم وتوفى سنة تسع وستين ومائة ورواته ثلاثة * اسمعيل بن جعفر بن كثير الانصارى روى عنه أبو الزعراء وأبو بكر الحسن بن على بن بشار النحوى وأبو جعفر أحمد بن فرج الضرير * ورش اسمه عثمان بن سعيد المصرى روى عنه محمد بن عبد الرحيم الاصفهانى طريق أبى الحسن محمد بن أحمد المروزى وطريق أبى القاسم هبة الله بن جعفر بن محمد ابن الهيثم وأبو عبد الله محمد بن اسحق البخارى طريق أبى الاسد أحمد بن ابراهيم الفقيه وطريق أبى بكر محمد بن مرثد التميمى * قالون واسمه عيسى بن مينا النحوى روى عنه أبو على الحسن بن عباس الرازى طريق أبى بكر أحمد بن حماد المقرى وأبو ابراهيم مصعب بن ابراهيم الزهرى طريق أبى بكر محمد بن عبد الله بن فليح وأبو نشيط محمد بن هرون المروزى طريق أبى حسان محمد بن أحمد بن الاشعث الجيزى وأبو الحسن أحمد بن يزيد الحلوانى طريق الحسن بن العباس الرازى وطريق أبى عون القاضى ﴿ عبد الله بن عامر اليحصبى الشامى قرأ على المغيرة بن أبى شهاب المخزومى على عثمان بن عفان رضى الله

عاصم عن زر بن حبيش قال قال عبد الله بن مسعود تمارينا فى سورة من القرآن فقلنا خمس وثلاثون أو ست وثلاثون آية قال فانطلقنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدنا عليا يناجيه قال فقلنا انا اختلفنا فى القراءة قال فاحمر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال انما هلك من كان قبلكم باختلافهم بينهم قال ثم أسر الى على شيأ فقال لنا على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم أن تقرؤا كما علمتم حدثنا أبو كريب قال حدثنا عبيد الله بن موسى عن عيسى بن قرطاس عن زيد القصار عن زيد بن أرقم قال كنا معه فى المسجد فحدثنا ساعة ثم قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أقرأنى عبد الله بن مسعود سورة أقرأنيها زيد وأقرأنيها أبى بن كعب فاختلفت قراءتهم فبقراءة أيهم آخذ قال فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وعلى الى جنبه فقال على ليقرأ كل انسان كما علم كل حسن جميل حدثنى يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى يونس عن ابن شهاب قال أخبرنى عروة بن الزبير أن المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن عبد القارى أخبراه انهما سمعا عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول سمعت هشام ابن حكيم يقرأ سورة الفرقان فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستمعت لقراءته فاذا هو يقرؤها على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكدت أساوره فى الصلاة فتصبرت حتى سلم فلما سلم لببته بردائه فقلت من أقرأك هذه السورة التى سمعتك تقرؤها فقال أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت كذبت فوالله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لهو أقرأنى هذه السورة التى سمعتك تقرؤها فانطلقت به أقوده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله انى سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها وأنت أقرأتنى سورة الفرقان قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسله يا عمر اقرأ ياهشام فقرأ عليه القراءة التى سمعته يقرؤها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا أنزلت ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأ يا عمر فقرأت القراءة التى أقرأنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا أنزلت ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤا ما تيسر منها حدثنى أحمد بن منصور قال حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال حدثنا حرب بن أبى ثابت من بنى سليم قال حدثنا اسحق بن عبد الله بن أبى طلحة عن أبيه عن جده قال قرأ رجل عند عمر ابن الخطاب رضى الله عنه فغير عليه فقال لقد قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يغير على قال فاختصما عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ألم تقرئنى آية كذا وكذا قال بلى قال فوقع فى صدر عمر شئ فعرف النبى صلى الله عليه وسلم ذلك فى وجهه قال فضرب صدره وقال ابعد شيطانا قالها ثلاثا ثم قال يا عمر ان القرآن كله صواب مالم تجعل رحمة عذابا أو عذابا رحمة حدثنا عبيد الله بن محمد الفريابى قال حدثنا عبد الله بن ميمون قال حدثنا (١) عبيد الله يعنى ابن عمر عن نافع عن ابن عمر قال سمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجلا يقرأ القرآن فسمع آية على غير ما سمع من النبى صلى الله عليه وسلم فأتى به عمر الى النبى صلى الله عليه وسلم

(١) هو عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب وليس هو ابن عمر بن الخطاب مباشرة

فقال

عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفى رضى الله عنه سنة ثمان عشرة ومائة وله راويان روى عنه من رجاله أبو محمد عبد الله بن أحمد ابن بشير بن ذكوان الدمشقى ورجاله أيوب بن تميم عن يحيى بن الحرث عن ابن عامر روى عنه أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد طريق الحسن بن عبد الله المقرى وأبو بكر محمد بن الحسن النقاش الموصلى المفسر طريق الحسن بن عبد الله أيضا وأبو الحسن محمد بن النضر بن مر ابن الحر الربعى المعروف بابن الاخرم عن الاخفش عن ابن ذكوان هشام بن عمار عن رجاله عن ابن عامر ورجاله أيوب بن تميم وسويد بن عبد العزيز عن يحيى بن الحرث روى عنه البخارى عن الحلوانى عن هشام طريق أبى على الحسن بن مهران وأبو الحسين أحمد بن يزيد الحلوانى الصفار طريق أبى عبد الله الحسين ابن على بن حماد الازرق وأبو اسحق ابراهيم بن يونس الرازى طريق البخارى * عاصم بن بهدلة الاسدى قرأ عاصم على زر بن حبيش على عبد الله بن مسعود على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ أيضا على أبى عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمى معلم الحسن والحسين على على رضى الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفى سنة ثمان وعشرين ومائة ورواته أربعة * أبو عمر حفص ابن أبى داود سليمان بن المغيرة البزاز الاسدى وكان شريك أبى حنيفة روى عنه أبو محمد هبيرة بن محمد التمار طريق الحسنون بن الهيثم وطريق أحمد بن على الخراز وأبو حفص عمرو ابن الصباح طريق عبد الصمد ابن محمد * أبو بكر شعبة بن عياش روى عنه عبد الحميد بن صالح البرجمى طريق جعفر بن غالب اليشكرى وأبو زكريا يحيى بن آدم القرشى طريق أبى حمدون الطيب بن اسمعيل وطريق شعيب ابن أيوب بن زريق الصريفينى وأبو يوسف يعقوب بن خليفة بن سعد بن هلال الاعشى وله راويان روى عنه أبو جعفر محمد بن غالب ومحمد بن حبيب الشمونى * حماد بن أبى زياد طريق يحيى بن محمد العليمى الانصارى رحمه الله تعالى * المفضل بن محمد الضبى روى عنه جبلة بن مالك النضرى طريق أبى زيد عمرو بن شبة وأبو زيد سعيد بن أوس الانصارى طريق محمد بن يحيى القطعى رحمه الله تعالى

* حمزة بن حبيب الزيات العجلى قرأ على سليمان بن مهران الاعمش على يحيى بن وثاب على زر بن حبيش على على بن أبى طالب وعثمان

فقال يا رسول الله ان هذا اقرأ آية كذا وكذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزل القرآن على
سبعة أحرف كلها شاف كاف حدثني يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني
هشام بن سعد عن علي بن أبي علي عن زبيد عن علقمة النخعي قال لما خرج عبد الله بن مسعود
من الكوفة اجتمع اليه أصحابه فودعهم ثم قال لا تنازعوا في القرآن فانه لا يختلف ولا يتلاشى ولا
يتغير لكثرة الرد وان شريعة الاسلام وحدوده وفرائضه فيه واحدة ولو كان شئ من الحرفين
ينهى عن شئ يأمر به الآخر كان ذلك الاختلاف ولكنه جامع ذلك كله لا تختلف فيه الحدود
ولا الفرائض ولا شئ من شرائع الاسلام ولقد رأيتنا نتنازع فيه عند رسول الله صلى الله عليه
وسلم فيأمرنا فنقرأ عليه فيخبرنا أن كلنا محسن ولو أعلم أحدا أعلم بما أنزل الله على رسوله مني
لطلبته حتى أزداد علمه الى علمي ولقد قرأت من لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين
سورة وقد كنت علمت أنه يعرض عليه القرآن في كل رمضان حتى كان عام قبض فعرض عليه
مرتين فكان اذا فرغ أقرأ عليه فيخبرني أني محسن فمن قرأ على قراءتي فلا يدعها رغبة عنها ومن
قرأ على شئ من هذه الحروف فلا يدعنه رغبة عنه فانه من جحد بآية جحد به كله حدثني
يونس بن عبد الاعلى قال أنبأنا ابن وهب قال أخبرني يونس وحدثنا أبو كريب قال حدثنا رشدين
ابن سعد عن عقيل بن خالد جميعا عن ابن شهاب قال حدثني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن
ابن عباس حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم
أزل أستزيده فيزيدني حتى انتهى الى سبعة أحرف قال ابن شهاب بلغني أن تلك السبعة الاحرف
انما هي في الأمر الذي يكون واحدا لا يختلف في حلال ولا حرام حدثني محمد بن عبد الله
ابن أبي مخلد الواسطي ويونس بن عبد الاعلى الصدفي قالا حدثنا سفيان بن عيينة عن عبيد الله
أخبره أبوه أن أم أيوب أخبرته أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أنزل القرآن على سبعة أحرف
أيها قرأت أصبت حدثنا اسمعيل بن موسى السدي قال أنبأنا شريك عن أبي اسحق عن
سليمان بن صرد يرفعه قال أتاني ملكان فقال أحدهما اقرأ قال على كم قال على حرف قال زده
حتى انتهى به الى سبعة أحرف حدثنا ابن البرقي قال حدثنا ابن أبي مريم قال حدثنا نافع بن يزيد
قال حدثني عقيل بن خالد عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال أقرأني جبريل القرآن على حرف فاستزدته فزادني ثم استزدته فزادني
حتى انتهى الى سبعة أحرف حدثني الربيع بن سليمان قال حدثنا أسد بن موسى قال حدثنا
سفيان عن عبيد الله بن أبي يزيد عن أبيه أنه سمع أم أيوب تحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم
فذكر نحوه يعني نحو حديث ابن أبي مخلد حدثنا الربيع قال حدثنا أسد قال حدثنا أبو الربيع
السمان قال حدثني عبيد الله بن أبي يزيد عن أبيه عن أم أيوب أنها سمعت النبي صلى الله عليه
وسلم يقول نزل القرآن على سبعة أحرف فما قرأت أصبت حدثنا أبو كريب قال حدثني يحيى بن
آدم قال حدثنا اسرائيل عن أبي اسحق عن فلان العبدي «قال أبو جعفر ذهب عني اسمه» عن
سليمان بن صرد عن أبي بن كعب قال رحت الى المسجد فسمعت رجلا يقرأ فقلت من أقرأك

وابن مسعود على النبي صلى الله عليه وسلم وتوفي سنة ست وخمسين ومائة ورواته أربعة أبو اسحق ابراهيم بن زربي طريق أبي المستنير رجاء
ابن عيسى بن رجاء الجوهري * عبد الرحمن قلوقا طريق أبي المستنير أيضا * أبو محمد عبد الله بن صالح العجلي طريق أبي حمدون الطيب بن
اسمعيل وطريق أبي اسحق ابراهيم بن نصر بن عبد العزيز المقرى وروى نصير بن عبد الله المقرى وهو الاصح * سليم بن عيسى
الحنفي روى عنه خلاد بن خالد الصيرفي طريق محمد بن شاذان الجوهري وطريق القاسم بن يزيد الوزان وأبو محمد خلف بن
هشام البزاز طريق أبي الحسين
ادريس بن عبد الكريم الحداد
وأبو جعفر محمد بن سعدان النحوي
طريق محمد بن سليمان وطريق أبي
واصل أحمد بن واصل وأبو عمرو
الدوري طريق أبي الزعراء ۞ علي
ابن حمزة الكسائي قرأ على حمزة
ابن حبيب على يحيى بن وثاب على
زر بن حبيش على عثمان وعلي وابن
مسعود على النبي صلى الله عليه وسلم
توفي سنة تسع وثمانين ومائة رضي
الله عنه وله ستة رواة * أبو عبد الرحمن
قتيبة بن مهران الآزاذاني روى
عنه أبو الفرج محمد بن أحمد بن ابراهيم
المقرئ طريق أبي الفضل العباس
ابن الوليد بن مرداس وأبو بكر
أحمد بن الحسين بن مهران طريق
أحمد بن حدى * أبو المنذر نصير بن
يوسف النحوي روى عنه محمد بن
ادريس الاشعري المعروف
بالديداني طريق أبي عبد الله
الحسين بن علي بن حماد المعروف
بالازرق وأبو عبد الله محمد بن عيسى
الاصفهاني طريق أبي علي الحسن
ابن العباس الرازي وأبو جعفر أحمد
ابن محمد بن رستم الطبري طريق بكار
ابن أحمد المقري وأبو جعفر علي بن
أبي نصير النحوي طريق الازرق
المذكور * أبو الحرث الليث بن خالد
طريق أبي عبد الله محمد بن يحيى
الكسائي * حمدويه بن ميمون الزجاج طريق أبي العباس أحمد بن يعقوب السمسار * أبو حمدون الطيب بن اسمعيل طريق أبي علي
الحسن بن الحسين الصواف * أبو عمر حفص بن عمر بن عبد العزيز الدوري روى عنه أبو بكر الحسن بن علي بن بشار النحوي طريق أبي
الفرج محمد بن أحمد بن ابراهيم وأبو الزعراء طريق أبي بكر بن مجاهد وأبو الحسن علي بن سليم طريق أبي القاسم هبة الله بن جعفر وطريق
ابراهيم بن أحمد الخرقي وأبو جعفر أحمد بن فرح الضرير طريق أبي بكر النقاش الموصلي ﴿ ذكر الائمة المختارين وتسمية رواتهم ﴾

أبو جعفر يزيد بن القعقاع القارى المدنى وقار موضع من المدينة ورواته اثنان أبو موسى عيسى بن وردان الحذاء طريق قالون عيسى بن
مينا النحوى وأبو مسلم سليمان بن مسلم الجماز الزهرى طريق أبى عبد الرحمن قتيبة بن مهران * أبو محمد يعقوب بن اسحق الحضرمى توفى
فى ذى الحجة سنة خمس ومائتين وقرأ على أبى المنذر سلام بن سليمان الطويل على عاصم وأبى عمرو ورواته ثلاثة روح بن عبد الملك طريق أحمد بن
يحيى المعدل أبو بكر محمد بن المتوكل اللؤلؤى الملقب برويس طريق أبى بكر محمد بن هرون وطريق أبى الحسن أحمد بن
محمد بن يعقوب بن مقسم الفقيه
أبو أحمد زيد بن أحمد بن اسحق طريق
المعدل أيضا وطريق محمد بن هرون
* أبو محمد خلف بن هشام بن ثعلب
البزار طريق أبى الحسن ادريس بن
عبد الكريم ونقله أبو بكر محمد بن
يعقوب بن مقسم العطار وقرأ
خلف على سليم على حمزة * أبو حاتم
سهل بن محمد بن عثمان السجستانى
طريق أبى على الحسن بن تميم
وطريق أبى بكر محمد بن الحسن
ابن دريد وطريق مسيح بن حاتم
وقرأ سهل على يعقوب وأيوب بن
المتوكل فهذا هو المعول عليه من
القراآت وأما الشواذ فلا نتعرض
منها الا لما فيه نكتة أو غرابة وذلك
فى أثناء التفسير لا فى خلال
القراآت والله أعلم بالصواب

(المقدمة الثانية)

الاستعاذة المندوب اليها فى قوله
عز من قائل فاذا قرأت القرآن
فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم
قرأها أبو عمرو ويعقوب وابن
كثير غير الهاشمى وعاصم غير هبيرة
أعوذ بالله من الشيطان الرجيم
بسم الله الرحمن الرحيم وروى الهاشمى
عن ابن كثير أعوذ بالله العظيم من
الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن
الرحيم وروى هبيرة عن حفص عن
عاصم أعوذ بالله العظيم السميع
العليم من الشيطان الرجيم بسم الله
الرحمن الرحيم وقرأها أبو جعفر ونافع وابن عامر وحمزة وعلى الكسائى وخلف أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ان الله هو الثالثة
السميع العليم وقد روى عن حمزة أستعيذ بالله أو نستعيذ بالله مخيرا وقرأ سهل أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن
الرحيم ومنشأ هذه الاختلافات أنه قد جاء فى سورة النحل فاذا قرأت القرآن فاستعذ الآية وفى حم السجدة فاستعذ بالله انه هو السميع العليم
وروى جبير بن مطعم أن النبى صلى الله عليه وسلم حين افتتح الصلاة قال الله أكبر كبيرا ثلاث مرات والحمد لله كثيرا ثلاث مرات وسبحان الله

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلقت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت استقرئ
هذا قال فقرأ فقال أحسنت قال فقلت انك أقرأتنى كذا وكذا فقال وأنت قد أحسنت قال فقلت
قد أحسنت قد أحسنت قال فضرب بيده على صدرى ثم قال اللهم أذهب عن أبى الشك قال
ففضت عرقا وامتلأ جوفى فرقا ثم قال ان الملكين أتيانى فقال أحدهما اقرأ القرآن على حرف
وقال الآخر زده قال فقلت زدنى قال اقرأه على حرفين حتى بلغ سبعة أحرف فقال اقرأ على سبعة
أحرف حدثنا محمد بن بشار قال حدثنا ابن أبى عدى وحدثنا أبو كريب قال حدثنا محمد بن ميمون
الزعفرانى جميعا عن حميد الطويل عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن أبى بن كعب رضى الله عنه
قال ما حاك فى صدرى شئ منذ أسلمت الا أنى قرأت آية فقرأها رجل غير قراءتى فقلت أقرأنيها
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الرجل أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيت رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقلت أقرأتنى آية كذا وكذا قال بلى قال الرجل ألم تقرئنى آية كذا وكذا
قال بلى ان جبريل وميكائيل عليهما السلام أتيانى فقعد جبريل عن يمينى وميكائيل عن يسارى
فقال جبريل اقرأ القرآن على حرف واحد وقال ميكائيل استزده قال جبريل اقرأ القرآن على حرفين
فقال ميكائيل استزده حتى بلغ ستة أو سبعة الشك من أبى كريب وقال ابن بشار فى حديثه حتى
بلغ سبعة أحرف ولم يشك فيه وكل شاف كاف ولفظ الحديث لابى كريب وحدثنى يونس بن عبد
الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى يحيى بن أيوب عن حميد الطويل عن أنس بن مالك عن أبى
ابن كعب عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه وقال فى حديثه حتى بلغ ستة أحرف قال اقرأه على
سبعة أحرف كل شاف كاف حدثنا محمد بن مرزوق قال حدثنا أبو الوليد قال حدثنا حماد بن سلمة
عن حميد عن انس بن مالك عن عبادة بن الصامت عن أبى بن كعب قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم أنزل القرآن على سبعة أحرف حدثنا أبو كريب قال حدثنا حسين بن على وأبو أسامة
عن زائدة عن عاصم عن زر عن أبى قال لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عند أحجار المراء
فقال انى بعثت الى أمة أميين منهم الغلام والخادم والشيخ الفانى والعجوز فقال جبريل فليقرؤا
القرآن على سبعة أحرف ولفظ الحديث لابى أسامة حدثنا أبو كريب قال حدثنا ابن نمير قال
حدثنا اسمعيل بن أبى خالد وحدثنا عبد الحميد بن بيان القناد قال حدثنا محمد بن يزيد الواسطى عن
اسمعيل عن عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن جده عن أبى بن كعب قال كنت فى
المسجد فدخل رجل يصلى فقرأ قراءة أنكرتها عليه ثم دخل رجل آخر فقرأ قراءة غير قراءة
صاحبه فدخلنا جميعا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فقلت يا رسول الله ان هذا قرأ قراءة
أنكرتها عليه ثم دخل هذا فقرأ قراءة غير قراءة صاحبه فأمرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقرآ فحسن رسول الله صلى الله عليه وسلم شأنهما فوقع فى نفسى من التكذيب ولا اذ كنت فى
الجاهلية فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غشينى ضرب فى صدرى ففضت عرقا
كأنما أنظر الى الله فرقا فقال لى يا أبى أرسل الى أن اقرأ القرآن على حرف فرددت عليه أن هون
على أمتى فرد على فى الثانية أن اقرأ القرآن على حرف فرددت عليه أن هون على أمتى فرد على فى

بكرة وأصيلا ثلاث مرات ثم قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه وروى البيهقى فى كتاب السنن عن أبى سعيد الخدرى انه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل كبر ثلاثا وقال أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وروى الضحاك عن ابن عباس أن أول ما نزل جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم قال قل يا محمد أستعيذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم قال قل بسم الله الرحمن الرحيم اقرأ باسم ربك الذى خلق * ثم فى المقدمة (١٣) مسائل (الاولى) الاكثرون على أن وقت الاستعاذة قبل القراءة اذ المراد من قوله تعالى فاذا قرأت القرآن اذا أردت قراءة القرآن كما فى قوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا المراد اذا أردتم القيام الى الصلاة والاخبار المذكورة أيضا تؤيد ذلك وعن النخعى وقد يروى عن حمزة وابن سيرين أيضا أن وقتها بعد القراءة نظرا الى ظاهر اللفظ ولانه قد يدخل المرء اعجاب بسبب القراءة حيث انها طاعة موجبة للثواب فيناسب أن يستعيذ من ذلك (الثانية) الاكثرون على أن الاستعاذة مندوبة لان النبى صلى الله عليه وسلم لم يعلم الاعرابى الاستعاذة فى جملة أعمال الصلاة وزيف بان الخبر غير مشتمل على بيان جملة واجبات الصلاة فلا يلزم من عدم ذكر الاستعاذة فيه عدم وجوبها وعن عطاء أن الاستعاذة واجبة فى كل قراءة فى الصلاة وغيرها لان النبى صلى الله عليه وسلم واظب عليها وقال تعالى فاتبعوه ولان الامر فى فاستعذ للوجوب وانما تجب عند كل قراءة لانه قال فاذا قرأت القرآن فاستعذ وذكر الحكم عقيب الوصف المناسب يدل على التعليل والحكم يتكرر بتكرر العلة ولان الاستعاذة لدفع شر الشيطان ودفعه واجب وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب وعن ابن سيرين وجوبها فى العمر مرة واحدة وعن مالك أنه لا يتعوذ فى المكتوبة الا فى قيام رمضان (الثالثة) المستحب فيها الاسرار فى الصلاة وان كانت جهرية الحاقا لها بما قبلها من الذكر وهو دعاء الاستفتاح ولان الجهر كيفية وجودية والاخفاء عبارة عن عدم تلك الكيفية والاصل هو العدم وانها تستحب فى كل ركعة لما مر من أن الحكم يتكرر بتكرر العلة ولكنها آكد فى الاولى (الرابعة) اعلم أن الكلام فى معنى قول القائل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم يتعلق بخمسة أركان الاستعاذة والمستعيذ والمستعاذ به والمستعاذ منه وما لاجله الاستعاذة فههنا أبحاث (البحث الاول) معنى العوذ الالتجاء

الثالثة أن اقرأه على سبعة أحرف ولك بكل ردة رددتها مسئلة تسألنيها فقلت اللهم اغفر لامتى اللهم اغفر لامتى وأخرت الثالثة ليوم يرغب الى فيه الخلق كلهم حتى ابراهيم الا أن ابن بيان قال فى حديثه فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم قد أصبتم وأحسنتم وقال أيضا فارفضضت عرقا وحدثنا أبو كريب قال حدثنا محمد بن فضيل عن اسمعيل بن أبى خالد باسناده عن النبى صلى الله عليه وسلم نحوه وقال قال لى أعيذك بالله من الشك والتكذيب وقال أيضا ان الله أمرنى أن أقرأ القرآن على حرف فقلت اللهم رب خفف عن أمتى قال اقرأه على حرفين فأمرنى أن أقرأه على سبعة أحرف من سبعة أبواب من الجنة كلها شاف كاف حدثنا أبو كريب قال حدثنا وكيع عن اسمعيل بن أبى خالد عن عبد الله بن عيسى بن أبى ليلى عن ابن أبى ليلى عن الحكم عن ابن أبى ليلى عن أبى قال دخلت المسجد فصليت فقرأت النحل ثم جاء رجل آخر فقرأها على غير قراءتى ثم دخل رجل آخر فقرأ بخلاف قراءة تناقد خل فى نفسى من الشك والتكذيب أشد مما كان فى الجاهلية فأخذت بأيديهما فأتيت بهما النبى صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله استقرئ هذين فقرأ أحدهما فقال أصبت ثم استقرأ الآخر فقال أصبت فدخل قلبى أشد مما كان فى الجاهلية من الشك والتكذيب فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدرى وقال أعاذك الله من الشك وأخسأ عنك الشيطان قال اسمعيل ففضت عرقا ولم يقله ابن أبى ليلى قال فقال أتانى جبريل فقال اقرأ القرآن على حرف واحد فقلت ان أمتى لا تستطيع ذلك حتى قال سبع مرات فقال لى اقرأ على سبعة أحرف ولك بكل ردة رددتها مسئلة قال فاحتاج الى فيها الخلائق حتى ابراهيم صلى الله عليه وسلم حدثنا أبو كريب قال حدثنا عبد الله عن ابن أبى ليلى (١) عن الحكم عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن أبى عن النبى صلى الله عليه وسلم نحوه حدثنى أحمد بن محمد الطوسى قال حدثنا عبد الصمد قال حدثنى أبى قال حدثنا محمد بن جحادة عن الحكم بن عتيبة عن مجاهد عن ابن أبى ليلى عن أبى بن كعب قال أتى جبريل النبى صلى الله عليه وسلم وهو عند أضاة بنى غفار فقال ان الله تبارك وتعالى يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على سبعة أحرف فمن قرأ منها حرفا فهو كما قرأ حدثنا محمد بن المثنى قال حدثنا محمد بن جعفر قال حدثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد عن ابن أبى ليلى عن أبى بن كعب أن النبى صلى الله عليه وسلم كان عند أضاة بنى غفار قال فأتاه جبريل فقال ان الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرف قال أسأل الله معافاته ومغفرته وان أمتى لا تطيق ذلك قال ثم أتاه الثانية فقال ان الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرفين قال أسأل الله معافاته ومغفرته وان أمتى لا تطيق ذلك ثم جاءه الثالثة فقال ان الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف قال أسأل الله معافاته ومغفرته وان أمتى لا تطيق ذلك ثم جاءه الرابعة فقال ان الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على سبعة أحرف فأيما حرف قرؤا عليه فقد أصابوا حدثنا محمد بن المثنى قال حدثنا ابن أبى عدى عن شعبة عن الحكم عن مجاهد عن ابن أبى ليلى قال أتى جبريل النبى صلى الله عليه وسلم عند أضاة بنى غفار فذكر نحوه حدثنا أبو كريب قال حدثنا موسى بن داود قال حدثنا شعبة وحدثنا الحسن بن عرفة قال حدثنا

(١) هكذا فى الاصول ويظهر أنه قد سقط من السند راو بين او ثلاثة

أو الالتصاق قال الجوهري أطيب اللحم عوذه وهو ما التصق منه بالعظم أي ألتجئ الى رحمة الله أو ألتصق بفضله والباء في بالله للالصاق كما أن
من في من الشيطان للابتداء لانه ابتدأ بالتبري من الشيطان والتصق برحمة الله تعالى واعانته والاستعاذة لا تتم الا بان يعلم العبد كونه عاجزا
عن جلب المنافع الدينية والدنيوية ودفع المضار العاجلة والآجلة وأن الله تعالى قادر على ايصال المنافع ودفع المضار لا قدرة على ذلك لاحد
سواه تعالى ويتولد عن هذا العلم في القلب حالة (١٤) هي انكسار وخضوع ويحصل منها في القلب أن يصير العبد مريدا الان يصونه الله
تعالى عن الآفات ويفيض عليه
الخيرات ثم يصير بلسانه طالبا لذلك
فيقول أعوذ بالله فالركن الاعظم في
الاستعاذة هو أن يعلم العبد أن الله
تعالى عالم بكل المعلومات والا جاز أن
لا يعلم حاله فتقع الاستعاذة عبثا
وأن يعلم أنه قادر على جميع
الممكنات والا فربما كان عاجزا
عن تحصيل مراد العبد وأن يعلم
أنه جواد معطاء والا لجاز أن يبخل
بمقصوده وأن يعلم أنه لا يقدر أحد
سوى الله على تحصيل مرامه والا لم
يكن صادق الرغبة في الاستعاذة
به والحاصل أن العبد ما لم يعرف
عزة الربوبية وذلة العبودية لم
تصح منه الاستعاذة ومما يدل
على ذلة الانسان وعجزه أن بعض
الاكياس ربما يبقى في شبهة واحدة
طول عمره ولا تنكشف له الى أن
يجيء بعده من يحلها ولهذا وقع
الاختلاف في الاديان والمذاهب
ولولا اعانة الله تعالى وارشاده لم
تتخلص سفينة فكره من أمواج
الضلالات وأيضا كل واحد يريد
أن يحصل له الدين الحق ولا يرضى
لنفسه الجهل والكفر ولكم من
مضل مبطل في الدنيا فلا خلاص
من ظلمات الشبهات الا باعانة رب
الارض والسموات ولا يقع الحد
الاوسط للمطالب في الذهن الا بهداية
من بيده مفاتيح الخيرات وأيضا
البدن يشبه الجحيم وعليها تسعة
عشر من الزبانية وهي الحواس الخمس الظاهرة والحس الباطنة والقوى الطبيعية السبع والشهوة والغضب ومجال
تصرف كل منها غير متناه بحسب الشخص والعدد ويحصل من كل منها أثر في القلب يحجزه من أوج عالم الروحانيات الى حضيض الجسمانيات
فلا خلاص للقلب عن هذه الظلمات الا بنور الله تعالى وأيضا كما أنه لا نهاية لمراتب الكمالات فلا نهاية لدرجات الحرص على اللذات
الحسيات والخياليات وكما أنه لا يمكن تحصيل الكمالات التي لا نهاية لها فكذا لا يمكن ازالة مرض الحرص على اللذات فيجب الرجوع الى

شبابة قال حدثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد عن ابن أبي ليلى عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله
عليه وسلم بنحوه حدثني يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني هشام بن سعد عن
عبيد الله بن عمر عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبي بن كعب أنه قال سمعت رجلا يقرأ في سورة
النحل قراءة تخالف قراءتي ثم سمعت آخر يقرؤها قراءة تخالف ذلك فانطلقت بهما الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقلت اني سمعت هذين يقرآن في سورة النحل فسألتهما من أقرأهما فقالا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لأذهبن بكما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ خالفتما ما أقرأني
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحدهما اقرأ فقرأ فقال أحسنت
ثم قال للآخر اقرأ فقرأ فقال أحسنت قال أبي فوجدت في نفسي وسوسة الشيطان حتى احمر
وجهي فعرف ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجهي فضرب بيده في صدري ثم قال اللهم
أخسئ الشيطان عنه يا أبي أتاني آت من ربي فقال ان الله يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف
واحد فقلت رب خفف عني ثم أتاني الثانية فقال ان الله يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد
فقلت رب خفف عن أمتي ثم أتاني الثالثة فقال مثل ذلك وقلت مثله ثم أتاني الرابعة فقال ان الله
يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف ولك بكل ردة مسئلة فقلت يا رب اغفر لامتي يا رب
اغفر لامتي واختبأت الثالثة شفاعة لامتي يوم القيامة حدثنا محمد بن عبد الاعلى الصنعاني
قال حدثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت عبيد الله بن عمر عن سيار أبي الحكم عن عبد الرحمن
ابن أبي ليلى رفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم ذكر أن رجلين اختصما في آية من القرآن وكل
يزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم أقرأه فتقارآ الى أبي فخالفهما أبي فتقاروا الى النبي صلى الله عليه
وسلم فقال يا نبي الله اختلفنا في آية من القرآن وكلنا يزعم أنك أقرأته فقال لاحدهما اقرأ قال فقرأ
فقال أصبت وقال للآخر اقرأ فقرأ خلاف ما قرأ صاحبه فقال أصبت وقال لأبي اقرأ فقرأ
فخالفهما فقال أصبت قال أبي فدخلني من الشك في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دخل
في من أمر الجاهلية قال فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي في وجهي فرفع يده فضرب
صدري وقال استعذ بالله من الشيطان الرجيم قال ففضت عرقا وكأني أنظر الى الله فرقا وقال انه
أتاني آت من ربي فقال ان ربك يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد فقلت رب خفف عن أمتي
قال ثم جاء فقال ان ربك يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد فقلت رب خفف عن أمتي قال
ثم جاء الثالثة فقال ان ربك يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد فقلت رب خفف عن أمتي
قال ثم جاءني الرابعة فقال ان ربك يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف ولك بكل ردة مسئلة
قال قلت رب اغفر لامتي رب اغفر لامتي واختبأت الثالثة شفاعة لامتي حتى ان ابراهيم صلى الله
عليه وسلم خليل الرحمن ليرغب فيها حدثنا أبو كريب قال حدثنا زيد بن الحباب عن حماد بن سلمة عن
علي بن زيد عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جبريل
اقرؤا القرآن على حرف فقال ميكائيل استزده فقال على حرفين حتى بلغ ستة أو سبعة أحرف
فقال كلها شاف كاف ما لم يختم آية عذاب برحمة أو آية رحمة بعذاب كقولك هلم وتعال حدثني

واهب السعادات الحقيقيات وفى بعض الكتب الالهية قال الله تعالى وعزتى وجلالى لأقطعن أمل من يؤمل غيرى باليأس وألبسنه ثوب المذلة عند الناس ولأجنبنه من قربى ولأبعدنه من وصلى ولاجعلنه متفكرا حيران يؤمل غيرى فى الشدائد والشدائد بيدى وأنا الحى القيوم ويطرق بالفكر أبواب غيرى وبيدى مفاتيح الابواب وهى مغلقة وبابى مفتوح لمن دعانى * ثم الكلام فى صحة الاستعاذة كالكلام فى سائر الادعية والعبادات التى جعلها الله تعالى سببا وواسطة لحصول الكمالات العاجلة والآجلة للعبد وذلك أنه تعالى فعال لما يريد خالق لما يشاء كما يشاء لا اعتراض لاحد من خلقه عليه وعلى أفعاله وعلى النظام الذى اخترعه الكل منه وبه واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه اذا أمرك بالاستعاذة فاستعذ لانه جعلها سببا لدفع الوساوس والهواجس كما انه اذا جعل الاكل والشرب سببا لدفع الجوع والعطش فانك تأكل وتشرب ولا تقول ما الفائدة فى الاكل والشرب ان كان الاشباع والارواء من الله تعالى وان كانا بقدرة الله تعالى وبهذا التحقيق تسقط الاعتراضات المشهورة للجبرية والمعتزلة لانها تحوم حول ما أشرنا اليه ولا ينبئك على سر الاستعاذة مثل قوله صلى الله عليه وسلم اللهم انى أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك (البحث الثانى) المستعيذ ليس مخصوصا بنا بل كل مخلوق مفتقر الى الاستعاذة به ولهذا قال نوح رب انى أعوذ بك أن أسألك ما ليس لى به علم فاعطى السلام والبركات فى قوله يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وقال يوسف معاذ الله انه ربى أحسن مثواى فصرف عنه السوء والفحشاء وقال موسى انى عذت بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب فأغرق الله تعالى عدوه وأورثه أرضهم وديارهم وأموالهم وقالت امرأة عمران انى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وقد أمر نبينا صلى الله عليه وسلم قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس فوقى شر النفاثات فى العقد وكفى شر الوسواس الخناس (البحث الثالث) المستعاذ به انما هو الله أو كلمات الله كما جاء فى الاخبار أعوذ بكلمات الله التامة أما البحث عن اسم الله فسيجىء فى تفسير البسملة وأما كلمات الله فالمراد بها المبدعات

يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى سليمان بن بلال عن يزيد بن خصيفة عن بسر بن سعيد أن أبا جهيم الانصارى أخبره ان رجلين اختلفا فى آية من القرآن فقال هذا تلقيتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الآخر تلقيتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان القرآن أنزل على سبعة أحرف فلا تماروا فى القرآن فان المراء فيه كفر حدثنا يونس قال أخبرنا سفيان عن عمرو بن دينار قال قال النبى صلى الله عليه وسلم أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب أخبرنى سليمان بن بلال عن أبى عيسى بن عبد الله بن مسعود عن أبيه عن جده عبد الله بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أمرت أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف كل كاف شاف حدثنا أحمد بن حازم الغفارى قال حدثنا أبو نعيم قال حدثنا أبو خلدة قال حدثنى أبو العالية قال قرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم من كل خمس رجل فاختلفوا فى اللغة فرضى قراءتهم كلهم فكان بنو تميم أعرب القوم حدثنا عمرو بن عثمان العثمانى قال حدثنا ابن أبى أويس قال حدثنا أخى عن سليمان بن بلال عن محمد بن عجلان عن المقبرى عن ابى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤا ولا حرج ولكن لا تختموا ذكر رحمة بعذاب ولا ذكر عذاب برحمة حدثنا محمد بن مرزوق قال حدثنا أبو معمر عبد الله بن عمرو بن أبى الحجاج قال حدثنا عبد الوارث قال حدثنا محمد بن جحادة عن الحكم ابن عتيبة عن مجاهد عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن أبى بن كعب قال أتى النبى صلى الله عليه وسلم جبريل وهو بأضاة بنى غفار فقال ان الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرف واحد قال فقال أسأل الله مغفرته ومعافاته أو قال معافاته ومغفرته سل الله لهم التخفيف فانهم لا يطيقون ذلك فانطلق ثم رجع فقال ان الله يأمرك أن تقرئ امتك القرآن على حرفين قال أسأل الله مغفرته ومعافاته أو قال معافاته ومغفرته انهم لا يطيقون ذلك فسل الله لهم التخفيف فانطلق ثم رجع فقال ان الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف فقال أسأل الله مغفرته ومعافاته أو قال معافاته ومغفرته انهم لا يطيقون ذلك سل الله لهم التخفيف فانطلق ثم رجع فقال ان الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على سبعة أحرف فمن قرأ منها بحرف فهو كما قرأ ۞ قال أبو جعفر صح وثبت أن الذى نزل به القرآن من ألسن العرب البعض منها دون الجميع اذ كان معلوما أن ألسنتها ولغاتها أكثر من سبعة بما يعجز عن احصائه فان قال وما برهانك على ان معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم نزل القرآن على سبعة أحرف وقوله أمرت أن أقرأ القرآن على سبعة احرف هو ما ادعيته من انه نزل بسبع لغات وأمر بقراءته على سبعة ألسن دون أن يكون معناه ما قاله مخالفوك من انه نزل بامر وزجر وترغيب وترهيب وقصص ومثل ونحو ذلك من الاقوال فقد علمت قائلى ذلك من سلف الامة وخيار الائمة قيل له ان الذين قالوا ذلك لم يدعوا أن تأويل الاخبار التى تقدم ذكرناها هو ما زعمت أنهم قالوه فى الاحرف السبعة التى نزل بها القرآن دون غيره فيكون ذلك لقولنا مخالفا وانما أخبروا أن القرآن نزل على سبعة أحرف يعنون بذلك أنه نزل على سبعة أوجه

الصادرة عنه تعالى بكلمة كن من غير مادة ومدة فكأن الارواح البشرية تستعيذ وتستعين بالارواح العلوية المقدسة فى دفع شرور الارواح الخبيثة وانما تحسن الاستعاذة بالكلمات اذا كان قد بقى فى نظره التفات الى ماسوى الله تعالى وأما اذا تغلغل فى بحر التوحيد لم يستعذ الا بالله ومن الله كما قال صلى الله عليه وسلم أعوذ بك منك واذا فنى عن نفسه وفنى أيضا عن فناء نفسه قال أنت كما أثنيت على نفسك

(البحث الرابع) المستعاذ منه الشيطان (١٦) ومالاجله الاستعاذة دفع شره فنقول أما اشتقاقه فمن ش ط ن ويقال شطن الدار أى بعدت والشيطان بعيد عن السداد والرشاد وقد يسمى كل متمرد من انس أو دابة شيطانا قال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن وركب عمر برذونا فطفق يتبختر فجعل يضربه ولا يزداد الا تبخترا فنزل عنه فقال ماحملتمونى الا على شيطان هذا أحد قولى سيبويه وعلى هذا فنونه أصلية ووزنه فيعال وقد جعل سيبويه فى موضع آخر النون زائدة وجعله فعلان من شاط يشيط اذا بطل ولما كان كل متمرد كالباطل فى نفسه لانه مبطل لوجوه مصالح نفسه سمى شيطانا والرجيم معناه المرجوم كاللعين بمعنى الملعون ومعنى المرجوم إما الملعون من قبل الله تعالى واما لانه تعالى أمر الملائكة برمى الشيطان بالشهب الثواقب ثم وصف بذلك كل شرير متمرد وأما من ضم الى الاستعاذة قوله ان الله هو السميع العليم فوجه ذلك بعد الاقتداء بما ورد فى القرآن أن العبد كأنه يقول يامن يسمع كل مسموع ويعلم كل سر خفى أنت تسمع وسوسة الشيطان وتعلم غرضه فيها وأنت القادر على دفعها عنى فادفعها عنى بفضلك

* ولنتكلم فى الجن والشياطين فنقول من الناس من أنكرهم لوجوه الاول لو كان موجودا فان كان جسما كثيفا لوجب أن يراه كل من كان سليم الحس لكنا لانراه وان كان محكين جسما لطيفا لوجب أن يتمزق ويتفرق عند هبوب الريح العاصفة ولزم أيضا أن لا يقدر على الاعمال الشاقة التى ينسبها اليه المثبتون والجواب أنه لم لا يجوز أن يكون جوهرا مجردا وبتقدير أن يكون جسما كثيفا فلم لا يجوز ان يصرف الله تعالى عنه أبصار الانسان لحكمة فى ذلك كما قال عز من قائل انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم وعلى تقدير كونه جسما لطيفا فلم لا يجوز أن يكون تركيبه محكما

والذى قالوه من ذلك كما قالوا وقدر و بيناعلل الذى قالوا من ذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن جماعة من أصحابه أخبارا قد تقدم ذكرنا بعضها وسنستقصى ذكر باقيها ببيانه اذا انتهينا اليه ان شاء الله فاما الذى تقدم ذكرناه من ذلك فخبر أبى بن كعب من رواية أبى كريب عن ابن فضيل عن اسمعيل بن أبى خالد الذى ذكر فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال أمرت ان أقرأ القرآن على سبعة أحرف من سبعة أبواب من الجنة والسبعة الاحرف هو ماقلنا من أنه الالسن السبعة والابواب السبعة من الجنة هى المعانى التى فيها من الامر والنهى والترغيب والترهيب والقصص والمثل التى اذا عمل بها العامل وانتهى الى حدودها المنتهى استوجب به الجنة وليس والحمد لله فى قول من قال ذلك من المتقدمين خلاف لشئ مما قلناه والدلالة على صحة ماقلناه من ان معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم نزل القرآن على سبعة أحرف انما هو أنه نزل بسبع لغات كما تقدم ذكرنا من الروايات الثابتة عن عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود وأبى بن كعب وسائر من قد قدمنا الرواية عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فى أول هذا الباب أنهم تماروا فى القرآن فخالف بعضهم بعضا فى نفس التلاوة دون مافى ذلك من المعانى وأنهما احتكموا فيه الى النبى صلى الله عليه وسلم فاستقرأ كل رجل منهم ثم صوب جميعهم فى قراءتهم على اختلافها حتى ارتاب بعضهم لتصويبه اياهم فقال النبى صلى الله عليه وسلم للذى ارتاب منهم عند تصويبه جميعهم ان الله أمرنى أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف ومعلوم أن تماريهم فيما تماروا فيه من ذلك لو كان تماريا واختلافا فيما دلت عليه تلاوتهم من التحليل والتحريم والوعد والوعيد وما أشبه ذلك لكان مستحيلا أن يصوب جميعهم صلى الله عليه وسلم ويأمر كل قارئ منهم أن يلزم قراءته فى ذلك على النحو الذى هو عليه لان ذلك لو جاز أن يكون صحيحا وجب أن يكون الله جل ثناؤه قد أمر بفعل شئ بعينه وفرضه فى تلاوة من دلت تلاوته على فرضه ونهى عن فعل ذلك الشئ بعينه وزجر عنه فى تلاوة الذى دلت تلاوته على النهى والزجر عنه وأباح وأطلق فعل ذلك الشئ بعينه وجعل لمن شاء من عباده أن يفعله فعله ولمن شاء منهم أن يتركه تركه فى تلاوة من دلت تلاوته على التخيير وذلك من قائله ان قاله اثبات ماقد نفى الله جل ثناؤه عن تنزيله وحكم كتابه فقال أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وفى نفى الله جل ثناؤه ذلك عن حكم كتابه أوضح الدليل على أنه لم ينزل كتابه على لسان محمد صلى الله عليه وسلم الا بحكم واحد متفق فى جميع خلقه لا باحكام فيهم مختلفة وفى صحة كون ذلك كذلك ما يبطل دعوى من ادعى خلاف قولنا فى تأويل قول النبى صلى الله عليه وسلم أنزل القرآن على سبعة أحرف للذين تخاصموا اليه عند اختلافهم فى قراءتهم لانه صلى الله عليه وسلم قد أمر جميعهم بالثبوت على قراءته ورضى قراءة كل قارئ منهم على خلافها قراءة خصومه ومنازعيه فيها وصوبها ولو كان ذلك منه تصويبا فيما اختلفت فيه المعانى وكان قوله صلى الله عليه وسلم أنزل على القرآن على سبعة أحرف اعلاما منه لهم أنه نزل بسبعة اوجه مختلفة وسبعة معان مفترقة كان ذلك اثباتا لما قد نفى الله عن كتابه من الاختلاف ونفيا لما قد أوجب له من الائتلاف مع أن فى قيام الحجة بأن النبى صلى الله عليه وسلم لم يقض فى شئ واحد فى وقت واحد

كالافلاك * الوجه الثانى قالوا الظاهر الغالب أنهم لو كانوا فى العالم لخالطوا الناس وشوهدت منهم العداوة والصداقة وليس كذلك وأهل التعزيم اذا تابوا من صنعتهم يكذبون أنفسهم فيما نسبوه اليهم ومجال المنع فى هذا الوجه لا يخفى لثبوت الاختلاط والعداوة والصداقة منهم بالنسبة الى كثيرين قال عز من قائل واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن قل أوحى الى أنه استمع نفر من الجن ومن الجن من يعمل بين يديه يا معشر الجن والانس وقال صلى الله عليه وسلم ان بالمدينة جنا قد أسلموا ان (١٧) الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم ما منكم أحد الا وله شيطان قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا أن الله أعاننى عليه فأسلم * الوجه الثالث قالوا ان أخبار الانبياء عنهم لا تفيد اثباتهم اذ على تقدير ثبوتهم يجوز أن يقال كل ما أتى به الانبياء فانما حصل باعانة الجن فمن الجائز أن حنين الجذع كان بسبب نفوذ الجن فى الجذع وكل فرع أدى الى ابطال الاصل فهو باطل والجواب أن الدليل الدال على صحة نبوة الانبياء كما يجيء يدل على صدق أخبارهم ومن جملة ما أخبروا عنه وجود الجن والشياطين فصح وجودهم * واعلم أن كثيرا من الناس أثبتوا موجودات لا متحيزة ولا حالة فى المتحيز وزعموا أنها مجردات عن شوائب الجسمانيات وهم الملائكة المقربون الذين لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون ويليها مرتبة الارواح المتعلقة بتدبير الاجسام وأشرفها حملة العرش ثم الحافون من حول العرش ثم ملائكة الكرسى ثم ملائكة السموات طبقة فطبقة ثم ملائكة كرة (٣) الاثير ثم ملائكة كرة النسيم ثم ملائكة كرة الزمهرير ثم الملائكة المسلطة على البحار ثم على الجبال ثم مرتبة الارواح السفلية المتصرفة فى هذه الاجسام النباتية والحيوانية وهذه الارواح قد تكون مشرقة خيرة وهم من قبيل الملائكة وقد تكون مظلمة شريرة وهم شياطين الانس والجن ولفظ الجن مأخوذ من الاجتنان وهو الاستتار لاستتارهم عن العيون ومنه المجنون لاستتار عقله والجنة لكونها ساترة للانسان وطوائف المكلفين أربعة الملائكة والانس والجن والشياطين والاختلاف بين الجن والشياطين قيل بالذاتيات كما بين الانسان والفرس وقيل بالعوارض فالجن خيارهم والشياطين أشرارهم والمشهور أن الجن لهم قدرة على النفوذ فى بواطن البشر لانهم لو كانوا مجردين فلا استبعاد فى كونهم متصرفين فى باطن

بحكمين مختلفين ولا أذن بذلك لامته ما يغنى عن الاكثار فى الدلالة على أن ذلك منفى عن كتاب الله وفى انتفاء ذلك عن كتاب الله وجوب صحة القول الذى قلناه فى معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم أنزل القرآن على سبعة أحرف عند اختصام المختصمين اليه فيما اختلفوا فيه من تلاوة ما تلوه من القرآن وفساد تأويل قول من خالف قولنا فى ذلك وأحرى أن الذين تماروا فيما تماروا فيه من قراءتهم فاحتكموا الى النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن منكرا عند أحد منهم أن يأمر الله عباده جل ثناؤه فى كتابه وتنزيله بما شاء وينهى عما شاء ويعد فيما أحب من طاعاته ويوعد على معاصيه ويحتج لنبيه ويعظه فيه ويضرب فيه لعباده الامثال فيخاصم غيره على انكاره سماع ذلك من قارئه بل على الاقرار بذلك كله كان اسلام من أسلم منهم فما الوجه الذى أوجب له انكار ما أنكر ان لم يكن كان ذلك اختلافا منهم فى الالفاظ واللغات وبعد فقد أبان صحة ما قلنا الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نصا وذلك الخبر الذى ذكرنا أن أبا كريب حدثنا قال حدثنا زيد بن الحباب عن حماد بن سلمة عن على بن زيد عن عبد الرحمن بن أبى بكرة عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جبريل اقرإ القرآن على حرف قال ميكائيل عليه السلام استزده فقال على حرفين حتى بلغ ستة أو سبعة أحرف فقال كلها شاف كاف ما لم يختم آية عذاب بآية رحمة أو آية رحمة بآية عذاب كقولك هلم وتعال فقد أوضح نص هذا الخبر أن اختلاف الاحرف السبعة انما هو اختلاف ألفاظ كقولك هلم وتعال باتفاق المعانى لا باختلاف معان موجبة اختلاف أحكام وبمثل الذى قلنا فى ذلك صحت الاخبار عن جماعة من السلف والخلف حدثنى أبو السائب سالم بن جنادة السوائى قال حدثنا أبو معاوية وحدثنا محمد بن المثنى قال حدثنا ابن أبى عدى عن شعبة جميعا عن الاعمش عن شقيق قال قال عبد الله انى قد سمعت القراء فوجدتهم متقاربين فاقرؤا كما علمتم واياكم والتنطع فانما هو كقول أحدكم هلم وتعال وحدثنا محمد بن المثنى قال حدثنا أبو داود قال حدثنا شعبة عن أبى اسحق عمن سمع ابن مسعود يقول من قرأ منكم على حرف فلا يتحولن ولو أعلم أحدا أعلم منى بكتاب الله لأتيته وحدثنا ابن المثنى قال حدثنا عبد الرحمن بن مهدى قال حدثنا شعبة عن عبد الرحمن بن عابس عن رجل من أصحاب عبد الله عن عبد الله بن مسعود قال من قرأ القرآن على حرف فلا يتحولن منه الى غيره فمعلوم أن عبد الله لم يعن بقوله هذا من قرأ ما فى القرآن من الامر والنهى فلا يتحولن منه الى قراءة ما فيه من الوعد والوعيد ومن قرأ ما فيه من الوعد والوعيد فلا يتحولن منه الى قراءة ما فيه من القصص والمثل وانما عنى رحمة الله عليه أن من قرأ بحرفه وحرفه قراءته وكذلك تقول العرب لقراءة رجل حرف فلان وتقول للحرف من حروف الهجاء المقطعة حرف كما تقول لقصيدة من قصائد الشاعر كلمة فلان فلا يتحولن عنه الى غيره رغبة عنه ومن قرأ بحرف أبى أو بحرف زيد أو بحرف بعض من قرأ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض الاحرف السبعة فلا يتحولن عنه الى غيره رغبة عنه فان الكفر ببعضه كفر بجميعه والكفر بحرف من ذلك كفر بجميعه يعنى بالحرف ما وصفنا من قراءة بعض من قرأ ببعض الاحرف السبعة وقد حدثنا يحيى بن داود الواسطى قال حدثنا

الانسان وان كانوا أجساما لطيفة فكذلك لا يبعد نفوذهم في باطن الآدمي كيف وقد ورد في القرآن لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس وفي الحديث ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ولا خلاف في أن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون يسبحون الليل والنهار لا يفترون وأما الجن والشياطين فبخلاف ذلك قال صلى الله عليه وسلم في العظم انه زاد اخوانكم من الجن وفي القرآن أفتتخذونه وذريته أولياء من (١٨) دوني وأما كيفية الوسوسة فيروى أن عيسى صلى الله عليه وسلم دعا ربه أن يريه موضع الشيطان من بني آدم فأراه ذلك فاذا رأسه مثل رأس الحية واضع رأسه على قلبه فاذا ذكر الله خنس وأيس واذا لم يذكره وضع رأسه على حبة قلبه وقال صلى الله عليه وسلم لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السموات وقال أيضا صلى الله عليه وسلم ان للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة فأما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق وأما لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله ومن وجد الاخرى فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم قرأ صلى الله عليه وسلم الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء الآية فمن الخواطر ما هو أصل السعادة ومنها ما هو أصل الشقاوة وسبب اشتباه خطا الخواطر بصوابها أحد أربعة أشياء اما ضعف اليقين أو قلة العلم بصفات النفس وأخلاقها أو متابعة الهوى بخرم قواعد التقوى أو محبة الدنيا وجاهها ومالها فمن عصم من هذه الاربعة يفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان ومن ابتلي بها فلا واتفق المحققون على أن من كان أكله من الحرام لا يفرق بين الالهام والوسوسة وفرقوا بين هواجس النفس ووسوسة الشيطان بان النفس تطالب وتلح فلا تزال كذلك حتى تصل الى مرادها والشيطان اذا دعا الى زلة ولم يجب يوسوس بأخرى اذ مراده الاغواء كيف أمكن وحقيقة الوسوسة راجعة الى أن الانسان بينا هو ذاهل عن الشيء اذ ذكره الشيطان ذلك فيحدث له ميل ويترتب الفعل على حصول ذلك الميل فكأن الذي أتى به الشيطان من خارج ليس الا ذلك التذكير واليه الاشارة في القرآن حكاية عن ابليس وما كان لي عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لي ولا يتسلسل هذا التذكير وانما يقدم الشيطان على ذلك لعدم

أبو أسامة عن الاعمش قال قرأ أنس هذه الآية ان ناشئة الليل هي أشد وطأ وأصوب قيلا فقال له بعض القوم يا أبا حمزة انما هي وأقوم فقال أقوم وأصوب وأهدى واحد **وحدثني** محمد بن حميد الرازي قال حدثنا حكام عن عنبسة عن ليث عن مجاهد أنه كان يقرأ القرآن على خمسة أحرف **وحدثنا** ابن حميد قال حدثنا حكام عن عنبسة عن سالم أن سعيد بن جبير كان يقرأ القرآن على حرفين **وحدثنا** ابن حميد قال حدثنا جرير عن مغيرة قال كان يزيد بن الوليد يقرأ القرآن على ثلاثة أحرف أفترى الزاعم أن تأويل قول النبي صلى الله عليه وسلم أنزل القرآن على سبعة أحرف انما هو أنه أنزل على الاوجه السبعة التي ذكرنا من الامر والنهي والوعد والوعيد والجدل والقصص والمثل كان يرى أن مجاهدا وسعيد بن جبير لم يقرآ من القرآن الا ما كان من وجهيه أو وجوهه الخمسة دون سائر معانيه لئن كان ظن ذلك بهما لقد ظن بهما غير الذي يعرفان به من منازلهما من القرآن ومعرفتهما بآي الفرقان **وحدثني** يعقوب بن ابراهيم قال حدثنا ابن علية قال حدثنا أيوب عن محمد قال نبئت أن جبرائيل وميكائيل أتيا النبي صلى الله عليه وسلم فقال له جبرائيل اقرأ القرآن على حرفين فقال له ميكائيل استزده فقال اقرأ القرآن على ثلاثة أحرف فقال له ميكائيل استزده قال حتى بلغ سبعة أحرف قال محمد لا تختلف في حلال ولا حرام ولا أمر ولا نهي هو كقولك تعال وهلم وأقبل قال وفي قراءتنا ان كانت الا صيحة واحدة وفي قراءة ابن مسعود ان كانت الا زقية واحدة **وحدثني** يعقوب قال حدثنا ابن علية قال حدثنا شعيب يعني ابن الحبحاب قال كان أبو العالية اذا قرأ عنده رجل لم يقل ليس كما يقرأ وانما يقول أما أنا فاقرأ كذا وكذا قال فذكرت ذلك لابراهيم النخعي فقال أرى صاحبك قد سمع أن من كفر بحرف منه فقد كفر به كله **حدثنا** يونس بن عبد الاعلى قال أنبأنا ابن وهب قال حدثنا يونس عن ابن شهاب قال أخبرني سعيد بن المسيب أن الذي ذكر الله تعالى ذكره انما يعلمه بشر انما افتتن انه كان يكتب الوحي فكان يملي عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم سميع عليم أو عزيز حكيم وغير ذلك من خواتم الآي ثم يشتغل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على الوحي فيستفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول أعزيز حكيم أو سميع عليم أو عزيز عليم فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم أي ذلك كتبت فهو كذلك ففتنه ذلك فقال ان محمدا وكل ذلك الي فأكتب ما شئت وهو الذي ذكر لي سعيد بن المسيب من الحروف السبعة **حدثنا** ابن حميد قال حدثنا جرير عن مغيرة عن ابراهيم عن عبد الله قال من كفر بحرف من القرآن أو بآية منه فقد كفر به كله ۞ قال أبو جعفر فان قال لنا قائل فاذا كان تأويل قول النبي صلى الله عليه وسلم أنزل القرآن على سبعة أحرف عندك ما وصفت بما عليه استشهدت فأوجدنا حرفا في كتاب الله مقروا بسبع لغات فنحقق بذلك قولك والا فان لم تجد ذلك كذلك كان معلوما بعدمه صحة قول من زعم أن تأويل ذلك انه نزل بسبعة معان وهو الامر والنهي والوعد والوعيد والجدل والقصص والمثل وفساد قولك أو تقول في ذلك ان الاحرف السبعة لغات في القرآن سبع متفرقة في جميعه من لغات أحياء من قبائل العرب مختلفة الالسن كما كان يقوله بعض من لم يمعن النظر في ذلك فيصير بذلك الى القول بما لا يجهل

فساده

قابليه دفع فى فطرته الاولى لحكمة علمها الله تعالى فيه والمقصود من الاستعاذة لانه مهم فى دفع وسوسة الشيطان الآن ذلك معظم المقاصد ولهذا اخص بالذكر فى القرآن ولو نوى المستعيذ دفع جميع المضار الدنيوية والاخروية فلا ضير * (نكت فى الاستعاذة) * الاولى أعوذ بالله عروج من الخلق الى الحق ومن الممكن الى الواجب لان أعوذ اشارة الى الحاجة التامة وبالله اشارة الى المعبود القادر على تحصيل كل الخيرات ودفع كل الآفات ومن عرف نفسه بالضعف والقصور عرف الله بانه قادر على كل مقدور ومن عرف نفسه باختلال الحال عرف ربه بالجلال والكمال ومن عرف نفسه بالامكان عرف ربه بالوجوب * الثانية سر الاستعاذة الالتجاء الى قادر يدفع عنك الآفات وقراءة القرآن من أعظم الطاعات ولذلك جاء من شغله قراءة القرآن عن مسئلتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين فلهذا خصت الاستعاذة بالقراءة * الثالثة عند الفرار من العدو الغدار يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وبعد الاستقرار فى حضرة الملك الجبار يقول بسم الله الرحمن الرحيم * الرابعة الاستعاذة تطهر اللسان عما جرى عليه من ذكر غير الله واذا حصل الطهور استعد للصلاة الحقيقية وهى ذكر الله فيقول بسم الله * الخامسة العبد مأمور بمحاربة العدو الظاهر قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر وبمحاربة العدو الباطن ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فاذا حاربت العدو الظاهر كان مددك الملك بمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين واذا حاربت العدو الباطن كان مددك الملك ان عبادى ليس لك عليهم سلطان ومحاربة العدو الباطن أولى لان العدو الظاهر ان غلب بقى الدين واليقين وكنا مأجورين وان غلب العدو الباطن كنا مفتونين ومن قتله العدو الظاهر كان شهيدا ومن قتله العدو الباطن كان طريدا ولا خلاص من شره الا بأن يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم * السادسة قال الله تعالى يا عبدى قلبك بستانى وجنتى بستانك فلما لم تبخل على ببستانك بل أنزلت معرفتى فيه لم أبخل عليك ببستانى وأنزلك فيه وههنا لطيفة وهى أن الله تعالى كأنه يقول للعبد أنت الذى أنزلت سلطان المعرفة فى حجرة قلبك ومن أراد أن ينزل سلطانا فى حجرة نفسه يجب عليه كنس الحجرة وتنظيفها فانظف حجرة قلبك من

فساده ذو عقل ولا يلتبس خطؤه على ذى لب وذلك أن الاخبار التى بها احتججت لتصحيح مقالتك فى تأويل قول النبى صلى الله عليه وسلم نزل القرآن على سبعة أحرف هى الاخبار التى رويتها عن عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود وأبى بن كعب رحمة الله عليهم وعمن رويت ذلك عنه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بانهم تماروا فى تلاوة بعض القرآن فاختلفوا فى قراءته دون تأويله وأنكر بعض قراءة بعض مع دعوى كل قارئ منهم قراءة منها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرأه ما قرأ بالصفة التى قرأ ثم احتكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان من حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم أن صوب قراءة كل قارئ منهم على خلافها قراءة أصحابه الذين نازعوه فيها وأمر كل امرئ منهم أن يقرأ كما علم حتى خالط قلب بعضهم الشك فى الاسلام لما رأى من تصويب رسول الله صلى الله عليه وسلم قراءة كل قارئ منهم على اختلافها ثم جلاه الله عنه ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم له أن القرآن أنزل على سبعة أحرف فان كانت الاحرف السبعة التى نزل بها القرآن عندك كما قال هذا القائل متفرقة فى القرآن مثبتة اليوم فى مصاحف أهل الاسلام فقد بطلت معانى الاخبار التى رويتها عمن رويتها عنه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم اختلفوا فى قراءة سورة من القرآن فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر كلا أن يقرأ كما علم لان الاحرف السبعة اذا كانت لغات متفرقة فى جميع القرآن فغير موجب حرف من ذلك اختلافا بين تاليه لان كل تال فانما يتلو ذلك الحرف تلاوة واحدة على ما هو به فى المصحف وعلى ما أنزل واذا كان ذلك كذلك بطل وجه اختلاف الذين روى عنهم أنهم اختلفوا فى قراءة سورة وفسد معنى أمر النبى صلى الله عليه وسلم كل قارئ منهم أن يقرأه على ما علم اذ كان لا معنى هنالك يوجب اختلافا فى لفظ ولا افتراقا فى معنى وكيف يجوز أن يكون هنالك اختلاف بين القوم والمعلم واحد والعلم واحد غير ذى أوجه وفى صحة الخبر عن الذين روى عنهم الاختلاف فى حروف القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم اختلفوا وتحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك على ما قد تقدم وصفناه أبين الدلالة على فساد القول بان الاحرف السبعة انما هى أحرف سبعة متفرقة فى سور القرآن لا أنها لغات مختلفة فى كلمة واحدة باتفاق المعانى مع أن المتدبر اذا تدبر قول هذا القائل فى تأويله قول النبى صلى الله عليه وسلم أنزل القرآن على سبعة أحرف وادعائه أن معنى ذلك أنها سبع لغات متفرقة فى جميع القرآن ثم جمع بين قيله ذلك واعتلاله لقيله ذلك بالاخبار التى رويت عمن روى ذلك عنه من الصحابة والتابعين أنه قال هو بمنزلة قولك تعال وهلم وأقبل وأن بعضهم قال هو بمنزلة قراءة عبد الله الازقية وهى فى قراءتنا الاصيحة وما أشبه ذلك من حججه علم أن حججه مفسدة فى ذلك مقالته وأن مقالته فيه مضادة حججه لان الذى نزل به القرآن عنده احدى القراءتين اما صيحة واما زقية واما تعال أو أقبل أو هلم لا جميع ذلك لان كل لغة من اللغات السبع عنده فى كلمة أو حرف من القرآن غير الكلمة أو الحرف الذى فيه اللغة الاخرى واذا كان ذلك كذلك بطل اعتلاله لقوله بقول من قال ذلك بمنزلة هلم وتعال وأقبل لان هذه الكلمات هى ألفاظ مختلفة يجمعها فى التأويل

تلوث الوسوسة وقل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم * السابعة أقسم في حق أبويك انه لمن الناصحين فدلاهما بغرور وأقسم فيك لأغوينهم
أجمعين فاطلك بعاقبة معاملته معك فقل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم * الثامنة انما اختص اسم الله للاستعاذة به من بين سائر
الاسماء لان العدو كلما كان أشد احتيج الى عدة أكثر والاسم الجامع لجميع الصفات الكمالية انما هو الله فكان العبد قال أعوذ بالقادر
العالم الحكيم الذي لا يرضى بشيء من المنكرات من الشيطان الرجيم * التاسعة الشيطان اسم والرجيم

صفة له ثم انه تعالى لم يقتصر على الاسم بل ذكر صفته تنبيها للعبد أن الشيطان بقي في الخدمة ألوفا من السنين ولم يقدر على مضرتنا ومع ذلك رجمناه وطردناه وأنت لو صاحبت الشيطان لحظة واحدة أخلدك في النار فكيف لا تشتغل بطرده فقل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم * العاشرة يقول الله تعالى عبدي انه يراك وأنت لا تراه فينفذ كيده فيك فتمسك بمن يرى الشيطان ولا يراه الشيطان وقل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم * الحادية عشرة الالف واللام في الشيطان للجنس لتفيد الاستعاذة من هذا الجنس مطلقا مرئيا وغير مرئي ولو جعل للعهد جاز وتدخل ذريته فيه تبعا * الثانية عشرة الشيطان بعيد وأنت قريب ونحن أقرب اليه من حبل الوريد فكما أن الشيطان لا يجعله الله قريبا لقوله تعالى ولن تجد لسنة الله تبديلا فاعرف أنه لا يجعلك الله تعالى بعيدا حيث جعلك قريبا * الثالثة عشرة ان الشيطان رجيم وان الله رحمن رحيم فاحذر من الشيطان الرجيم لتصل الى الرحمن الرحيم * الرابعة عشرة الشيطان عدو غائب انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم والله تعالى حبيب غالب والله غالب على أمره فاذا قصدك العدو الغائب فافزع الى الحبيب الغالب

معنى واحد وقد أبطل قائل هذا القول الذي حكيناه قوله اجتماع اللغات السبع في حرف واحد
من القرآن فقد تبين بذلك افساد حجته لقوله بقوله وافساد قوله بحجته فقيل له ليس القول في
ذلك بواحد من الوجهين اللذين وصفت بل الاحرف السبعة التي أنزل الله بها القرآن هن لغات
سبع في حرف واحد وكلمة واحدة باختلاف الالفاظ واتفاق المعاني كقول القائل هلم وأقبل وتعال
والي وقصدي ونحوي وقربي ونحو ذلك مما تختلف فيه الالفاظ بضروب من المنطق وتتفق فيه
المعاني وان اختلفت بالبيان به الالسن كالذي روينا آنفا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمن
روينا ذلك عنه من الصحابة أن ذلك بمنزلة قولك هلم وتعال وأقبل وقوله ما ينظرون الا زقية
والا صيحة فان قال ففي أي كتاب الله نجد حرفا واحدا مقروأ بلغات سبع مختلفات الالفاظ متفقات
المعنى فنسلم لك صحة ما ادعيت من التأويل في ذلك قيل انا لم ندع أن ذلك موجود اليوم وانما أخبرنا ان
معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم أنزل القرآن على سبعة أحرف على نحو ما جاءت به الاخبار التي
تقدم ذكرناها وهو ما وصفنا دون ما ادعاه مخالفونا في ذلك للعلل التي قد بينا فان قال فما بال
الاحرف الاخر الستة غير موجودة ان كان الامر في ذلك على ما وصفت وقد أقرأهن رسول الله
صلى الله عليه وسلم أصحابه وأمر بالقراءة بهن وأنزلهن الله من عنده على نبيه صلى الله عليه وسلم
أنسخت فرفعت فما الدلالة على نسخها ورفعها أم نسيتهن الامة فذلك تضييع ما قد أمروا بحفظه
أم ما القصة في ذلك قيل له لم تنسخ فترفع ولا ضيعتها الامة وهي مأمورة بحفظها ولكن الامة أمرت
بحفظ القرآن وخيرت في قراءته وحفظه بأي تلك الاحرف السبعة شاءت كما أمرت اذا هي حنثت
في يمين وهي موسرة أن تكفر بأي الكفارات الثلاث شاءت اما بعتق أو اطعام أو كسوة فلو أجمع
جميعها على التكفير بواحدة من الكفارات الثلاث دون حظرها التكفير بأي الثلاث شاء
المكفر كانت مصيبة حكم الله مؤدية في ذلك الواجب عليها من حق الله فكذلك الامة أمرت بحفظ
القرآن وقراءته وخيرت في قراءته بأي الاحرف السبعة شاءت فرأت لعلة من العلل أوجبت عليها
الثبات على حرف واحد قراءته بحرف واحد ورفض القراءة بالاحرف الستة الباقية ولم تحظر قراءته
بجميع حروفه على قارئه بما أذن له في قراءته به فان قال وما العلة التي أوجبت عليها الثبات على حرف
واحد دون سائر الاحرف الستة الباقية قيل حدثنا أحمد بن عبدة الضبي قال حدثنا عبد العزيز
ابن محمد الدراوردي عن عمارة بن غزية عن ابن شهاب عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبيه زيد
قال لما قتل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم باليمامة دخل عمر بن الخطاب على أبي بكر
رحمه الله فقال ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم باليمامة تهافتوا تهافت الفراش في
النار واني أخشى أن لا يشهدوا موطنا الا فعلوا ذلك حتى يقتلوا وهم حملة القرآن فيضيع القرآن
وينسى فلو جمعته وكتبته فنفر منها أبو بكر وقال أفعل ما لم يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فتراجعا
في ذلك ثم أرسل أبو بكر الى زيد بن ثابت قال زيد فدخلت عليه وعمر محزئل فقال أبو بكر ان هذا قد
دعاني الى أمر فأبيت عليه وأنت كاتب الوحي فان تكن معه اتبعتكما وان توافقني لا أفعل قال فاقتص
أبو بكر قول عمر وعمر ساكت فنفرت من ذلك وقلت نفعل ما لم يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم

(المقدمة الثالثة في مسائل مهمة) المسئلة الاولى القراآت السبع متواترة لا أعني أن سبب تواترها الى
اطباق القراء السبعة عليها بل أعني أن ثبوت التواتر بالنسبة الى المتفق على قراءته من القرآن كثبوته بالنسبة الى كل من المختلف في
قراءته ولا مدخل للقارئ في ذلك الا من حيث ان مباشرته لقراءته أكثر من مباشرته لغيرها حتى نسبت اليه وانما قلنا ان القراآت متواترة
لانه لو لم تكن كذلك لكان بعض القرآن غير متواتر كملك ومالك ونحوهما اذ لا سبيل الى كون كليهما غير متواتر فان أحدهما قرآن

الى أن قال عمر كلمة وما عليكم لو فعلتما ذلك قال فذهبنا ننظر فقلنا لا شئ والله ما علينا في ذلك شئ قال زيد فامرني أبو بكر فكتبته في قطع الأدم وكسر الاكتاف والعسب فلما هلك أبو بكر وكان عمر كتب ذلك في صحيفة واحدة فكانت عنده فلما هلك كانت الصحيفة عند حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ثم ان حذيفة بن اليمان قدم من غزوة كان غزاها في فرج ارمينية فلم يدخل بيته حتى أتى عثمان بن عفان فقال يا أمير المؤمنين أدرك الناس فقال عثمان وما ذاك قال غزوت فرج أرمينية فحضرها أهل العراق وأهل الشام فاذا أهل الشام يقرؤن بقراءة أبي بن كعب فيأتون بما لم يسمع أهل العراق فتكفرهم أهل العراق واذا أهل العراق يقرؤن بقراءة ابن مسعود فيأتون بما لم يسمع أهل الشام فتكفرهم أهل الشام قال زيد فامرني عثمان بن عفان أكتب له مصحفا وقال انى مدخل معك رجلا لبيبا فصيحا فما اجتمعتما عليه فاكتباه وما اختلفتما فيه فارفعاه الى فجعل معه أبان بن سعيد بن العاص قال فلما بلغنا ان آية ملكه أن يأتيكم التابوت قال زيد فقلت التابوه وقال أبان بن سعيد التابوت فرفعنا ذلك الى عثمان فكتب التابوت قال فلما فرغت عرضته عرضة فلم أجد فيه هذه الآية من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الى قوله وما بدلوا تبديلا قال فاستعرضت المهاجرين أسألهم عنها فلم أجدها عند أحد منهم ثم استعرضت الانصار أسألهم عنها فلم أجدها عند أحد منهم حتى وجدتها عند خزيمة بن ثابت فكتبتها ثم عرضته عرضة أخرى فلم أجد فيه هاتين الآيتين لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم الى آخر السورة فاستعرضت المهاجرين فلم أجدها عند أحد منهم ثم استعرضت الانصار أسألهم عنها فلم أجدها عند أحد منهم حتى وجدتها مع رجل آخر يدعى خزيمة أيضا فاثبتها في آخر براءة ولو تمت ثلاث آيات لجعلتها سورة على حدة ثم عرضته عرضة أخرى فلم أجد فيه شيأ ثم أرسل عثمان الى حفصة يسألها أن تعطيه الصحيفة وحلف لها ليردنها اليها فاعطته اياها فعرض المصحف عليها فلم يختلفا في شئ فردها اليها وطابت نفسه وأمر الناس أن يكتبوا مصاحف فلما ماتت حفصة أرسل الى عبد الله بن عمر في الصحيفة بعزمة فاعطاهم اياها فغسلت غسلا وحدثني يونس بن عبد الاعلى قال حدثنا نعيم بن حماد قال حدثنا عبد العزيز بن محمد عن عمارة ابن غزية عن ابن شهاب عن خارجة بن زيد عن أبيه زيد بن ثابت بنحوه سواء وحدثني يعقوب بن ابراهيم قال حدثنا ابن علية قال حدثنا أيوب عن أبي قلابة قال لما كان في خلافة عثمان جعل المعلم يعلم قراءة الرجل والمعلم يعلم قراءة الرجل فجعل الغلمان يلتقون فيختلفون حتى ارتفع ذلك الى المعلمين قال أيوب فلا أعلمه الا قال حتى كفر بعضهم بقراءة بعض فبلغ ذلك عثمان فقام خطيبا فقال أنتم عندي تختلفون فيه وتلحنون فمن نأى عني من أهل الامصار أشد فيه اختلافا وأشد لحنا اجتمعوا يا أصحاب محمد فاكتبوا للناس إماما قال أبو قلابة فحدثني أنس بن مالك قال كنت فيمن يملى عليهم قال فربما اختلفوا في الآية فيذكرون الرجل قد تلقاها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعله أن يكون غائبا أو في بعض البوادي فيكتبون ما قبلها وما بعدها ويدعون موضعها حتى يجيء أو يرسل اليه فلما فرغ من المصحف كتب عثمان الى أهل الامصار انى قد صنعت كذا وكذا ومحوت ما عندي فامحوا ما عندكم حدثني يونس بن عبد الاعلى قال حدثنا ابن وهب قال أخبرني يونس

بالاتفاق وتخصيص أحدهما بانه متواتر دون الآخر تحكم باطل لاستوائهما في النقل فلا أولوية فكلاهما متواتر وانما يثبت التواتر فيما ليس من قبيل الاداء كالمد والامالة وتخفيف الهمزة ونحوها * الثانية اتفقوا على انه لا تجوز القراءة في الصلاة بالوجوه الشاذة لان الدليل ينفي جواز القراءة بها مطلقا لانها لو كانت من القرآن لبلغت في الشهرة الى حد التواتر عدلنا عن الدليل في جواز القراءة خارج الصلاة للاحتمال فوجب أن تبقى قراءتها في الصلاة على أصل المنع * الثالثة السبعة الاحرف التي نزل بها القرآن في قوله صلى الله عليه وسلم ان هذا القرآن نزل على سبعة أحرف لكل آية منها ظهر وبطن ولكل حد مطلع عند أكثر العلماء أنها سبع لغات من لغات قريش لا تختلف ولا تتضاد بل هي متفقة المعنى وغير جائز عندهم أن يكون في القرآن لغة لا تعرفها قريش لقوله تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم وذلك أن قريشا تجاور البيت وكانت أحياء العرب تأتي اليهم للحج ويستمعون لغاتهم ويختارون من كل لغة أحسنها فصفا كلامهم واجتمع لهم مع ذلك العلم بلغة غيرهم ومما يدل على أن السبعة الاحرف هي سبع لغات متفقة المعنى ما روي عن ابن سيرين أن ابن مسعود قال اقرؤا القرآن على سبعة أحرف وهو كقول أحدكم هلم وتعال وأقبل وقال بعضهم انها سبع قبائل من العرب قريش وقيس وتميم وهذيل وأسد وخزاعة وكنانة لمجاورتهم قريشا وقيل سبع لغات من أي لغة كانت من لغات العرب مختلفة الالفاظ متفقة المعاني لقوله صلى الله عليه وسلم انه قد وسع لي أن أقرئ كل قوم بلغتهم وقيل معناه أن يقول في صفات الرب تبارك وتعالى مكان قوله غفورا رحيما عزيزا حكيما سميعا بصيرا لما روي أنه صلى الله عليه وسلم قال اقرؤا القرآن على سبعة أحرف مالم تختموا مغفرة بعذاب أو عذابا بمغفرة أو جنة بنار أو نارا بجنة وقيل ان لفظ السبعة في الخبر جاء على جهة التمثيل لانه لو جاء في كلمة أكثر من سبع قراآت جاز أن يقرأ بها وعن مالك بن أنس أنه كان يذهب في معنى السبعة الاحرف الى أنه كالجمع والتوحيد في مثل وتمت كلمة ربك وكلمات ربك وكالتذكير والتأنيث في مثل لا يقبل ولا تقبل وكوجوه الاعراب في مثل هل من خالق غير الله وغير الله وكوجوه التصريف في مثل يعرشون ويعرشون وكاختلاف الادوات في مثل قوله ولكن الشياطين بالتشديد ونصب ما بعدها وبالتخفيف والرفع وكاختلاف

اللفظ في الحروف نحو تعلمون بالتاء والياء وننشرها بالراء والزاي وكالتخفيف والتفخيم والامالة والمد والقصر والهمز وتركه والاظهار والادغام ونحوها وذهب جماعة الى حملها على المعاني والاحكام التي ينتظمها القرآن دون الالفاظ من حلال وحرام ووعد ووعيد وأمر ونهي ومواعظ وأمثال واحتجاج وغير ذلك واستبعده المحققون من قبل أن الاخبار الواردة في مخاصمة الصحابة في القراءة تدل على أن اختلافهم كان في اللفظ دون المعنى

قال بعض العلماء اني تدبرت الوجوه التي تتخالف بها لغات العرب فوجدتها على سبعة أنحاء لا تزيد ولا تنقص وبجميع ذلك نزل القرآن * الوجه الاول ابدال لفظ بلفظ كالحوت بالسمك وبالعكس وكالعهن المنفوش قرأها ابن مسعود كالصوف المنفوش الثاني ابدال حرف بحرف كالتابوت والتابوه الثالث تقديم وتأخير اما في الكلمة نحو سلب زيد ثوبه وسلب ثوب زيد واما في الحروف نحو أفلم ييأس الذين وأفلم يايس الرابع زيادة حرف أو نقصانه نحو ماليه وسلطانيه وفلا تك في مرية الخامس اختلاف حركات البناء نحو تحسبن بفتح السين وكسرها السادس اختلاف الاعراب نحو ما هذا بشرا وقرأ ابن مسعود بشر بالرفع السابع التفخيم والامالة وهذا اختلاف في اللحن والتزيين لا في نفس اللغة والتفخيم أعلى وأشهر عند فصحاء العرب فهذه الوجوه السبعة التي بها اختلفت لغات العرب قد أنزل الله باختلافها القرآن متفرقا فيه ليعلم بذلك أن من زل عن ظاهر التلاوة بمثله أو من تعذر عليه ترك عادته فخرج الى نحو مما قد نزل به فليس بملوم ولا معاقب عليه وكل هذا فيما اذا لم تختلف فيه المعاني فان قيل فما قولكم في القراآت التي تختلف بها المعاني قلنا انها صحيحة منزلة من عند الله ولكنها خارجة من هذه السبعة الاحرف وليس يجوز أن يكون فيما أنزل الله من الالفاظ التي تختلف معانيها ما يجري اختلافها مجرى أولى التضاد والتناقض لكن مجرى التغاير الذي لا تضاد فيه ثم انها تتجه على وجوه منها أن تختلف بها الحكم الشرعي على المبادلة بمنزلة قوله وأرجلكم بالجر والنصب جميعا واحدى القراءتين تقتضي فرض المسح والاخرى فرض الغسل وقد بينهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بجعل المسح للابس الخف في وقته والغسل لحاسر الرجل وهذا الضرب

قال قال ابن شهاب أخبرني أنس بن مالك الانصاري انه اجتمع في غزوة أذربيجان وأرمينية أهل الشام وأهل العراق فتذاكروا القرآن واختلفوا فيه حتى كاد يكون بينهم فتنة فركب حذيفة بن اليمان لما رأى اختلافهم في القرآن الى عثمان فقال ان الناس قد اختلفوا في القرآن حتى اني والله لأخشى أن يصيبهم مثل ما أصاب اليهود والنصارى من الاختلاف قال ففزع لذلك فزعا شديدا فارسل الى حفصة فاستخرج الصحف التي كان أبو بكر أمر زيدا بجمعها فنسخ منها مصاحف فبعث بها الى الآفاق حدثني سعيد بن الربيع قال حدثنا سفيان بن عيينة عن الزهري قال قبض النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن القرآن جمع وانما كان في الكرانيف والعسب حدثنا سعيد بن الربيع قال حدثنا سفيان عن مجالد عن الشعبي عن صعصعة أن أبا بكر أول من ورث الكلالة وجمع المصحف قال أبو جعفر وما أشبه ذلك من الاخبار التي يطول باستيعاب جميعها الكتاب والآثار الدالة على ان امام المسلمين وأمير المؤمنين عثمان بن عفان رحمة الله عليه جمع المسلمين نظرا منه لهم واشفاقا منه عليهم ورأفة منه بهم حذار الردة من بعضهم بعد الاسلام والدخول في الكفر بعد الايمان اذ ظهر من بعضهم بحضره وفي عصره التكذيب ببعض الاحرف السبعة التي نزل عليها القرآن مع سماع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم النهي عن التكذيب بشيء منها واخباره اياهم أن المراء فيها كفر فحملهم رحمة الله عليه اذ رأى ذلك ظاهرا بينهم في عصره وبحداثة عهدهم بنزول القرآن وفراق رسول الله صلى الله عليه وسلم اياهم بما أمن عليهم معه عظيم البلاء في الدين من تلاوة القرآن على حرف واحد وجمعهم على مصحف واحد وحرف واحد وحرق ما عدا المصحف الذي جمعهم عليه وعزم على كل من كان عنده مصحف مخالف المصحف الذي جمعهم عليه أن يحرقه فاستوثقت له الامة على ذلك بالطاعة ورأت أن فيما فعل من ذلك الرشد والهداية فتركت القراءة بالأحرف الستة التي عزم عليها امامها العادل في تركها طاعة منها له ونظرا منها لانفسها ولمن بعدها من سائر أهل ملتها حتى درست من الامة معرفتها وتعفت آثارها فلا سبيل لأحد اليوم الى القراءة بها لدثورها وعفو آثارها وتتابع المسلمين على رفض القراءة بها من غير جحود منها صحتها وصحة شيء منها ولكن نظرا منها لانفسها ولسائر أهل دينها فلا قراءة اليوم للمسلمين الا بالحرف الواحد الذي اختاره لهم امامهم الشفيق الناصح دون ما عداه من الاحرف الستة الباقية فان قال بعض من ضعفت معرفته وكيف جاز لهم ترك قراءة أقرأهموها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرهم بقراءتها قيل ان أمره اياهم بذلك لم يكن أمر ايجاب وفرض وانما كان أمر اباحة ورخصة لان القراءة بها لو كانت فرضا عليهم لوجب أن يكون العلم بكل حرف من تلك الاحرف السبعة عند من يقوم بنقله الحجة ويقطع خبره العذر ويزيل الشك من قراءة الامة وفي تركهم نقل ذلك كذلك أوضح الدليل على أنهم كانوا في القراءة بها مخيرين بعد أن يكون في نقلة القرآن من الامة من تجب بنقله الحجة ببعض تلك الاحرف السبعة فاذا كان ذلك كذلك لم يكن القوم بتركهم نقل جميع القراآت السبع تاركين ما كان عليهم نقله بل كان الواجب عليهم من الفعل ما فعلوا اذ كان الذي فعلوا من ذلك كان هو النظر للاسلام وأهله فكان القيام بفعل الواجب عليهم بهم

هو الذي لا تجوز قراءته الا اذا تواتر نقله وثبت من الشارع بيانه وليس بعذر من زل في مثله عما هو المنزل حتى يراجع الصواب ويفزع الى الاستغفار وقد يكون ما يختلف الحكم فيه على غير المبادلة لكن على الجمع بين الامرين بمنزلة ولا تقربوهن حتى يطهرن من الطهر وحتى يطهرن مشددة الطاء من التطهر فان القراءتين ههنا تقتضيان حكمين مختلفين يلزم الجمع بينهما وذلك أن الحائض لا يقربها زوجها حتى تطهر بانقطاع حيضها وحتى تطهر بالاغتسال ولا تجوز القراءة في أمثال هذه الا بالنقل (٢٣) الظاهر ومن زل في مثله الى ما يقتضي أمرا

أولى من فعل ما لو فعلوه كانوا الى الجناية على الاسلام وأهله أقرب منهم الى السلامة من ذلك فأما ما كان من اختلاف القراءة في رفع حرف وجره ونصبه وتسكين حرف وتحريكه ونقل حرف الى آخر مع اتفاق الصورة فمن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف بمعزل لانه معلوم أنه لا حرف من حروف القرآن مما اختلفت القراءة في قراءته بهذا المعنى يوجب المراء به كفر الممارى به في قول أحد من علماء الامة وقد أوجب عليه الصلاة والسلام بالمراء فيه الكفر من الوجه الذي تنازع فيه المتنازعون اليه وتظاهرت عنه بذلك الرواية على ما قد قدمنا ذكرها في أول هذا الباب فان قال لنا قائل فهل لك من علم بالالسن السبعة التي نزل بها القرآن وأي الالسن هي من ألسن العرب قلنا أما الالسن الستة التي قد نزلت القراءة بها فلا حاجة بنا الى معرفتها لانا لو عرفناها لم نقرأ اليوم بها مع الاسباب التي قدمنا ذكرها وقد قيل ان خمسة منها لعجز هوازن واثنين منها لقريش وخزاعة وروى جميع ذلك عن ابن عباس وليست الرواية عنه من رواية من يجوز الاحتجاج بنقله وذلك أن الذي روى عنه أن خمسة منها من لسان العجز من هوازن الكلبي عن أبي صالح وأن الذي روى عنه أن اللسانين الآخرين لسان قريش وخزاعة قتادة وقتادة لم يلقه ولم يسمع منه حدثني بذلك بعض أصحابنا قال حدثنا صالح بن نصر الخزاعي قال حدثنا الهيثم بن عدي عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن ابن عباس قال نزل القرآن بلسان قريش ولسان خزاعة وذلك أن الدار واحدة وحدثني بعض أصحابنا قال حدثنا صالح ابن نصر قال حدثنا شعبة عن قتادة عن أبي الاسود الديلي قال نزل القرآن بلسان الكعبين كعب بن عمرو وكعب بن لؤي فقال خالد بن سلمة لسعد بن ابراهيم ألا تعجب من هذا الاعمى يزعم أن القرآن نزل بلسان الكعبين وانما أنزل بلسان قريش ۞ قال أبو جعفر والعجز من هوازن سعد بن بكر وجشم بن بكر ونصر بن معاوية وثقيف وأما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم اذ ذكر نزول القرآن على سبعة أحرف ان كلها شاف كاف فانه كما قال جل ثناؤه في وصفه القرآن يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين جعله الله للمؤمنين شفاء يستشفون بمواعظه من الادواء العارضة لصدورهم من وساوس الشيطان وخطراته فيكفيهم ويغنيهم عن كل ما عداه من المواعظ ببيان آياته ۞ القول في البيان عن معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزل القرآن من سبعة أبواب الجنة وذكر الاخبار المروية بذلك ۞ قال أبو جعفر اختلفت النقلة في ألفاظ الخبر بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فروى عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كان الكتاب الاول نزل من باب واحد وعلى حرف واحد ونزل القرآن من سبعة أبواب وعلى سبعة أحرف زجر وأمر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال فأحلوا حلاله وحرموا حرامه وافعلوا ما أمرتم به وانتهوا عما نهيتم عنه واعتبروا بأمثاله واعملوا بمحكمه وآمنوا بمتشابهه وقولوا آمنا به كل من عند ربنا حدثني بذلك يونس بن عبد الاعلى قال أنبأنا ابن وهب قال أخبرني حيوة ابن شريح عن عقيل بن خالد عن سلمة بن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن ابن

وقد علم ثبوته ولم يقر به لم يلزمه فيه حرج كقوله تعالى ولا تقربوا الزنا لو صحفه أحد فقرأه الربا بالراء والباء من الربا في المال فانه منهي عنه كالزنا فان كان عدوله عن ظاهر التلاوة على سبيل التعمد فهو ملوم على ذلك وأما التضاد والتنافي فغير موجود في كتاب الله والنسخ ليس من هذا القبيل لان اتحاد الزمان شرط التنافي وعند ورود الناسخ ينتهي المنسوخ ويتبين أن في علم الله حكم المنسوخ كان مؤجلا الى ورود الناسخ والله أعلم وقوله صلى الله عليه وسلم لكل آية ظهر وبطن أي ظاهر وباطن فالظاهر ما يعرفه العلماء والباطن ما يخفى عليهم فنقول في ذلك كما أمرنا ونكل علمه الى الله تعالى وقيل هو أن نؤمن به باطنا كما نؤمن به ظاهرا وقوله ولكل حد مطلع أي لكل طرف من حدود الله (١) التي يوقف هنالك ولا يتجاوز عنه من مأمور أو منهي أو مباح مصعد ومأتى يؤتى منه ويفهم كما هو أو مقدار من الثواب والعقاب يعاينه في الآخرة ويطلع عليه كما قال عمر لو أن لي ما في الارض من صفراء وبيضاء لافتديت به من هول المطلع يعني ما يشرف عليه من أمر الله بعد الموت

(المقدمة الرابعة في كيفية جمع القرآن) روى عن زيد بن ثابت أنه قال أرسل الي أبو بكر مقتل أهل اليمامة واذا عنده عمر فقال أبو بكر ان عمر أتاني فقال ان القتل قد استحر بقراء القرآن يوم اليمامة واني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن كلها فيذهب قرآن كثير واني أرى أن تأمر بجمع القرآن قال فقلت كيف أفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي هو والله خير فلم يزل عمر يراجعني في ذلك حتى شرح الله صدري له فرأيت فيه الذي رأى عمر قال زيد بن ثابت قال لي أبو بكر انك رجل شاب عاقل لا نتهمك قد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم

مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم ورُوى عن أبى قلابة عن النبى صلى الله عليه وسلم مرسلا غير ذلك حدثنا محمد بن بشار قال حدثنا عباد بن زكريا عن عوف عن أبى قلابة قال بلغنى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال أنزل القرآن على سبعة احرف أمر وزجر وترغيب وترهيب وجدل وقصص ومثل وروى عن أبىّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك ما حدثنى به أبو كريب قال حدثنا محمد بن فضيل عن اسمعيل بن أبى خالد عن عبيد الله بن عيسى بن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن أبيه عن جده عن أبى بن كعب قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله أمرنى أن أقرأ القرآن على حرف واحد فقلت رب خفف عن أمتى قال اقرأه على حرفين فقلت رب خفف عن أمتى فأمرنى أن أقرأه على سبعة أحرف من سبعة أبواب من الجنة كلها شاف كاف وروى عن ابن مسعود من قبله خلاف ذلك كله وهو ما حدثنا به أبو كريب قال حدثنا المحاربى عن الاحوص بن حكيم عن ضمرة بن حبيب عن القاسم بن عبد الرحمن عن عبد الله بن مسعود قال ان الله أنزل القرآن على خمسة أحرف حلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال فأحل الحلال وحرّم الحرام واعمل بالمحكم وآمن بالمتشابه واعتبر بالامثال وكل هذه الاخبار التى ذكرناها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم متقاربة المعانى لان قول القائل فلان مقيم على باب من أبواب هذا الامر وفلان مقيم على وجه من وجوه هذا الامر وفلان مقيم على حرف من هذا الامر سواء ألا ترى أن الله جل ثناؤه وصف قوما عبدوه على وجه من وجوه العبادات فأخبر عنهم أنهم عبدوه على حرف فقال ومن الناس من يعبد الله على حرف يعنى أنهم عبدوه على وجه الشك لا على اليقين والتسليم لأمره فكذلك رواية من روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال نزل القرآن من سبعة أبواب ونزل على سبعة أحرف سواء معناهما مؤتلف وتأويلهما غير مختلف فى هذا الوجه ومعنى ذلك كله الخبر منه صلى الله عليه وسلم عما خصه الله به وأمته من الفضيلة والكرامة التى لم يؤتها أحدا فى تنزيله وذلك أن كل كتاب تقدم كتابنا نزوله على نبىّ من أنبياء الله صلوات الله عليهم فانما نزل بلسان واحد متى حوّل الى غير اللسان الذى نزل به كان ذلك له ترجمة وتفسيرا لا تلاوة له على ما أنزله الله وأنزل كتابنا بألسن سبعة بأى تلك الالسن السبعة تلاه التالى كان له تاليا على ما أنزله الله لا مترجما ولا مفسرا حتى يحوّله عن تلك الالسن السبعة الى غيره فيصير فاعل ذلك حينئذ اذا أصاب معناه مترجما له كما كان التالى لبعض الكتب التى أنزلها الله بلسان واحد اذا تلاه بغير اللسان الذى نزل به له مترجما لا تاليا على ما أنزله الله به فذلك معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم كان الكتاب الاول نزل على حرف واحد ونزل القرآن على سبعة أحرف وأما معنى قوله صلى الله عليه وسلم ان الكتاب الاول نزل من باب واحد ونزل القرآن من سبعة أبواب فانه صلى الله عليه وسلم عنى بقوله نزل الكتاب الاول من باب واحد والله أعلم ما نزل من كتب الله على من أنزله من أنبيائه خاليا من الحدود والاحكام والحلال والحرام كزبور داود الذى انما هو تذكير ومواعظ وانجيل عيسى الذى هو تمجيد ومحامد وحض على الصفح والاعراض دون غيرها من الاحكام والشرائع وما أشبه ذلك من الكتب التى نزلت ببعض المعانى السبعة التى يحوى جميعها كتابنا الذى خص الله به نبينا محمدا صلى الله عليه

وسلم

فتتبع القرآن فاجمعه فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والعسب واللخاف ومن صدور الرجال وكانت الصحف عند أبى بكر حتى مات ثم كانت عند عمر حتى مات ثم كانت عند حفصة مدة الى أن أرسل عثمان الى حفصة أن أرسلى الىّ بالصحف ننسخها فى المصاحف ثم نردها عليك فأرسلت الى عثمان فأرسل عثمان الى زيد بن ثابت والى عبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحرث بن هشام فأمرهم أن ينسخوا الصحف فى المصاحف ثم قال للرهط القرشيين الثلاثة ما اختلفتم فيه أنتم وزيد فاكتبوه بلسان قريش فانه نزل بلسانهم قال ففعلوا حتى اذا نسخوا الصحف فى المصاحف بعث عثمان فى كل أفق بمصحف من تلك المصاحف وأمر مما سوى ذلك من القرآن أن يحرق أو يخرق قال زيد بن ثابت فرأيت أصحاب محمد يقولون أحسن والله عثمان أحسن والله عثمان وقال علىّ لو وليت لفعلت فى المصاحف الذى فعل عثمان الا أن عبد الله بن مسعود كره أن ولى زيد بن ثابت نسخ المصاحف فقال يا معشر المسلمين أأعزل عن نسخ كتاب الله ويولاها رجل والله لقد أسلمت وانه لفى صلب رجل كافر يعنى زيدا فكان أول من أمر بجمع القرآن فى المصحف أبو بكر مخافة أن يضيع منه شئ غير انه لم يجمع الناس عليه وكان الناس يقرؤن بقرا آت مختلفة على سبيل ما أقرأهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الى وقت عثمان ثم ان عثمان جمع الناس على مصحف واحد وحرف واحد ولذلك نسب المصحف اليه وجعل ذلك اماما * واعلم أن القرآن كان مجموعا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه ما أنزلت آية الا وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يكتب له أن يضعها فى موضع كذا من سورة كذا ولا نزلت سورة الا وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الكاتب أن يضعها بجنب سورة كذا روى عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزلت عليه سورة دعا بعض من يكتب فقال ضعوا هذه السورة فى الموضع الذى يذكر فيه كذا وكذا وعن أنس قال جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة من الانصار أبىّ بن كعب ومعاذ بن جبل وأبو زيد وزيد قيل لانس من أبو زيد قال أحد عمومتى غير أنهم لم يكونوا قد جمعوها فيما بين الدفتين ولم يلزموا القراء

وسلم وأمته فلم يكن المتعبدون باقامته يجدون لرضا الله تعالى ذكره مطلبا ينالون به الجنة ويستوجبون منه القربة الا من الوجه الواحد الذى أنزل به كتابهم وذلك هو الباب الواحد من أبواب الجنة الذى نزل منه ذلك الكتاب وخص الله نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم وأمته بان أنزل عليهم كتابه على أوجه سبعة من الوجوه التى ينالون بها رضوان الله ويدركون بها الفوز بالجنة اذا أقاموها فلكل وجه من أوجهه السبعة باب من أبواب الجنة الذى نزل منه القرآن لان العامل بكل وجه من أوجهه السبعة عامل فى باب من أبواب الجنة وطالب من قبله الفوز بها والعمل بما أمر الله جل ذكره فى كتابه باب من أبواب الجنة وترك ما نهى الله عنه فيه باب آخر ثان من أبوابها وتحليل ما أحل الله فيه باب ثالث من أبوابها وتحريم ما حرم الله فيه باب رابع من أبوابها والايمان بمحكمه المبين باب خامس من أبوابها والتسليم لمتشابهه الذى استأثر الله بعلمه وحجب علمه عن خلقه والاقرار بان كل ذلك من عند ربه باب سادس من أبوابها والاعتبار بامثاله والاتعاظ بعظاته باب سابع من أبوابها فجميع ما فى القرآن من حروفه السبعة وأبوابه السبعة التى نزل منها جعله الله لعباده الى رضوانه هاديا ولهم الى الجنة قائدا فذلك معنى قوله صلى الله عليه وسلم نزل القرآن من سبعة أبواب الجنة وأما قوله صلى الله عليه وسلم فى القرآن ان لكل حرف منه حدا يعنى لكل وجه من أوجهه السبعة حد حده الله جل ثناؤه لا يجوز لاحد أن يتجاوزه وقوله صلى الله عليه وسلم وان لكل حرف منها ظهرا وبطنا فظهره الظاهر فى التلاوة وبطنه ما بطن من تأويله وقوله وان لكل حد من ذلك مطلعا فانه يعنى أن لكل حد من حدود الله التى حدها فيه من حلال وحرام وسائر شرائعه مقدارا من ثواب الله وعقابه يعاينه فى الآخرة و يطلع عليه ويلاقيه فى القيامة كما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لو أن لى ما فى الارض من صفراء وبيضاء لافتديت به من هول المطلع يعنى بذلك ما يطلع عليه ويهجم عليه من أمر الله بعد وفاته

﴿ القول فى الوجوه التى من قبلها يوصل الى معرفة تأويل القرآن ﴾

قال أبو جعفر قد قلنا فى الدلالة على أن القرآن كله عربى وأنه نزل بألسن بعض العرب دون ألسن جميعها وان قراءة المسلمين اليوم ومصاحفهم التى هى بين أظهرهم ببعض الالسن التى نزل بها القرآن دون جميعها وقلنا فى البيان عما يحويه القرآن من النور والبرهان والحكمة والبيان التى أودعها الله اياه من أمره ونهيه وحلاله وحرامه ووعده ووعيده ومحكمه ومتشابهه ولطائف حكمه ما فيه الكفاية لمن وفق لفهمه ونحن قائلون فى البيان عن وجوه مطالب تأويله قال الله جل ذكره وتقدست أسماؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون وقال أيضا جل ذكره وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون وقال هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولو الالباب فقد تبين ببيان الله جل ذكره أن مما أنزل الله من القرآن على نبيه صلى الله عليه وسلم ما لا يوصل الى علم تأويله الا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك تأويل جميع ما فيه من وجوه أمره واجبه وندبه وارشاده وصنوف نهيه و وظائف حقوقه وحدوده

توالى سورها وذلك أن الواحد منهم اذا حفظ سورة أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أو كتبها ثم خرج فى سرية فنزلت فى وقت مغيبه سورة فانه كان اذا رجع يأخذ فى حفظ ما ينزل بعد رجوعه وكتابته و يتتبع ما فاته على حسب ما يتسهل له فيقع فيما يكتبه تقديم وتأخير من هذا الوجه وقد كان منهم من يعتمد على حفظه فلا يكتب على ما كان من عادة العرب فى حفظ أنسابها وأشعارها من غير كتابة ومنهم من كان كتبها فى مواضع مختلفة من قرطاس وكتف وعسب ثقة منهم بما كانوا يعهدونه من جد المسلمين فى حفظ القرآن فلا يرون بأكثرهم حاجة الى مصحف ينظر فيه فلما أن مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لسبيله وجند المهاجرون والانصار أجنادا فتفرقوا فى أقطار الدنيا واستحر القتل فى بعضهم كما مر خيف حينئذ أن يتطرق اليه ضياع فأمر بجمعه فى المصحف

﴿المقدمة الخامسة فى معانى المصحف والكتاب والقرآن والسورة والآية والكلمة والحرف وغير ذلك﴾ المصحف مفعل من أصحف أى جمع فيه الصحف والصحف جمع الصحيفة والصحيفة قطعة من جلد أو ورق يكتب فيه وقد يقال مصحف بكسر الميم وروى أن أبا بكر الصديق استشار الناس بعد جمع القرآن فى اسمه فسماه مصحفا والكتاب معناه ضم الحروف الدالة على معنى بعضها الى بعض لانه مصدر كتب أى جمع قال الله تعالى أولئك كتب فى قلوبهم الايمان أى جمع حتى آمنوا بجميع ما يجب عليهم فالكتاب فعل الكاتب ولكنه قد يسمى الشئ باسم الفعل نحو هذا الدرهم ضرب الامير وهذا خلق الله والقرآن اسم للكتاب المنزل على نبينا محمد كما أن التوراة اسم للكتاب المنزل على موسى والانجيل المنزل على عيسى والزبور المنزل على داود عليه السلام والقرآن يهمز ولا يهمز فمن همزه وهو الاكثر فوزنه فعلان مثل قربان والتركيب يدل على الجمع والضم ومنه القرء للحيض لاجتماع الدم فى ذلك الوقت ومنه قولهم قرأت الماء فى الحوض فالقرآن نزل شيأ بعد شئ فلما جمع بعضه الى بعض سمى قرآنا وقيل سمى قرآنا لانه جمع السور وضمها قال تعالى ان علينا جمعه وقرآنه أى تأليفه وضم بعضه الى بعض وقولك قرأت معناه جمعت الحروف بعضها الى بعض ومن لم يهمز القرآن وهو قراءة أهل مكة فاما على تخفيف الهمزة فأصله كما مر واما على أن وزنه فعال من قرنت والنون لام الكلمة سمى بذلك لانه قرن السور وما فيها بعضها

الى بعض وقيل ان القران اسم موضوع على فعال من غير اشتقاق كالتوراة والانجيل * ويسمى القرآن فرقانا لانه يفرق بين الحق والباطل والمؤمن والكافر والحلال والحرام * وأما السورة من القرآن فانها تهمز ولا تهمز وهذا أكثر وعليه القراءة والسورة اسم لآى جمعت وقرنت بعضها الى بعض حتى تمت وكملت وبلغت فى الطول المقدار الذى أراد الله تعالى ثم فصل بينها وبين سورة أخرى ببسم الله الرحمن الرحيم ولا تكون السورة الا معروف المبتدا معلوم المنتهى قيل اشتقاقها من سور البناء والمدينة لان السور يوضع بعضه فوق بعض حتى ينتهى الى الارتفاع الذى يراد فالقرآن أيضا وضع آية الى جنب آية حتى بلغت السورة فى عدد الآى المبلغ الذى أراد الله تعالى وقيل سميت سورة لانها وصفت بالعلو والرفعة كما أن سور المدينة سمى سورا لارتفاعه قال النابغة

ألم تر أن الله أعطاك سورة
ترى كل ملك دونها يتذبذب

أى شرفا ورفعة وقيل سميت سورة لاحاطتها بما فيها من الآيات كما أن سور المدينة محيط بمساكنها وأبنيتها وجمع سورة القرآن سور بفتح الواو مثل جملة وجمل وجمع سورة البناء سور بالسكون مثل صوفة وصوف ومن همز سورة جعلها من أسأرت فى الاناء سؤرا أى أفضلت منه بقية ومنه سؤر الدواب اذ كأنها قطعة من القرآن على حدة * وأما الآية فقد قال جمع من العلماء انها فى القرآن عبارة عن كلام متصل الى انقطاعه وانقطاع معناه فصلا فصلا ولا يخفى توقف الآية على التوقيف وقال غيرهم معناها العلامة لانها تدل على نفسها بانفصالها عن الآية المتقدمة عليها او المتأخرة عنها وقيل معناها جماعة حروف من قولهم خرج القوم بآيتهم أى بجماعتهم ولم يدعوا وراءهم شيأ وقيل معناها العجيبة لانها عجيبة لمباينتها كلام المخلوقين من قولهم فلان آية من الآيات واختلف فى رويت وزنها فقال الفراء وزنها فعلة بالفتح وبسكون العين وأصلها أية فاستثقلوا التشديد فأتبعوه الفتحة التى قبله وقال الخليل وأصحابه وزنها فعلة بالفتح والاصل أيية قلبت الياء ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها وقال الكسائى أصلها آيية فاعلة كضاربة وكان يلزمه للياءين الادغام على نحو دابة وخاصة ويكون مستثقلا فحذفوا احدى الياءين * وأما الكلمة فان تراكيب ك ل م تفيد القوة والشدة وتقالب هذه

ومبالغ فرائضه ومقادير اللازم بعض خلقه لبعض وما أشبه ذلك من أحكام آيه التى لم يدرك علمها الا ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم لامته وهذا وجه لا يجوز لاحد القول فيه الا ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم له بتأويله بنص منه عليه أو بدلالة قد نصبها دالة أمته على تأويله وأن منه ما لا يعلم تأويله الا الله الواحد القهار وذلك ما فيه من الخبر عن آجال حادثة وأوقات آتية كوقت قيام الساعة والنفخ فى الصور ونزول عيسى بن مريم وما أشبه ذلك فان تلك أوقات لا يعلم أحد حدودها ولا يعرف أحد من تأويلها الا الخبر باشراطها لاستئثار الله بعلم ذلك على خلقه وكذلك أنزل ربنا فى محكم كتابه فقال يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل انما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت فى السموات والارض لا تأتيكم الا بغتة يسألونك كأنك حفى عنها قل انما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون وكان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم اذا ذكر شيأ من ذلك لم يدل عليه الا باشراطه دون تحديده بوقت كالذى روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لاصحابه اذ ذكر الدجال ان يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه وان يخرج بعدى فالله خليفتى عليكم وما أشبه ذلك من الاخبار التى يطول باستيعابها الكتاب الدالة على أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن عنده علم أوقات شئ منه بمقادير السنين والايام وان الله جل ثناؤه انما كان عرفه مجيئه باشراطه ووقته بادلته وأن منه ما يعلم تأويله كل ذى علم باللسان الذى نزل به القرآن وذلك اقامة اعرابه ومعرفة المسميات باسمائها اللازمة غير المشترك فيها والموصوفات بصفاتها الخاصة دون ما سواها فان ذلك لا يجهله أحد منهم وذلك كسامع منهم لو سمع تاليا يتلو واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الارض قالوا انما نحن مصلحون ألا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون لم يجهل أن معنى الافساد هو ما ينبغى تركه مما هو مضرة وأن الاصلاح هو ما ينبغى فعله مما فعله منفعة وان جهل المعانى التى جعلها الله افسادا والمعانى التى جعلها الله اصلاحا فالذى يعلمه ذو اللسان الذى بلسانه نزل القرآن من تأويل القرآن هو ما وصفت من معرفة أعيان المسميات باسمائها اللازمة غير المشترك فيها والموصوفات بصفاتها الخاصة دون الواجب من أحكامها وصفاتها وهيآتها التى خص الله بعلمها نبيه صلى الله عليه وسلم فلا يدرك علمه الا ببيانه دون ما استأثر الله بعلمه دون خلقه وبمثل ما قلنا من ذلك روى الخبر عن ابن عباس حدثنا محمد بن بشار قال حدثنا مؤمل قال حدثنا سفيان عن أبى الزناد قال قال ابن عباس التفسير على أربعة أوجه وجه تعرفه العرب من كلامها وتفسير لا يعذر أحد بجهالته وتفسير يعلمه العلماء وتفسير لا يعلمه الا الله ﴿ قال أبو جعفر وهذا الوجه الرابع الذى ذكره ابن عباس من أن أحدا لا يعذر بجهالته معنى غير الابانة عن وجوه مطالب تأويله وانما هو خبر عن أن من تأويله ما لا يجوز لاحد الجهل به وقد روى بنحو ما قلنا فى ذلك أيضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر فى اسناده نظر حدثنى يونس بن عبد الاعلى الصدفى قال أخبرنا ابن وهب قال سمعت عمرو بن الحرث يحدث عن الكلبى عن أبى صالح مولى أم هانئ عن عبد الله بن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنزل القرآن على أربعة أحرف حلال وحرام لا يعذر أحد بالجهالة به وتفسير تفسره العرب وتفسير تفسره العلماء ومتشابه لا يعلمه الا الله ومن ادعى علمه سوى الله فهو كاذب ﴿ ذكر بعض الاخبار التى

رويت بالنهى عن القول فى تأويل القرآن بالرأى حدثنا يحيى بن طلحة اليربوعى قال حدثنا شريك عن عبد الاعلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال من قال فى القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار حدثنا محمد بن بشار قال حدثنا يحيى بن سعيد قال حدثنا سفيان قال حدثنا عبد الاعلى هو ابن عامر الثعلبى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من قال فى القرآن برأيه أو بما لا يعلم فليتبوأ مقعده من النار وحدثنا أبو كريب قال حدثنا محمد بن بشر وقبيصة عن سفيان عن عبد الاعلى قال حدثنا سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال فى القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار حدثنا محمد بن حميد قال حدثنا الحكم بن بشير قال حدثنا عمرو بن قيس الملائى عن عبد الاعلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال من قال فى القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار حدثنا ابن حميد قال حدثنا جرير عن ليث عن بكر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال من تكلم فى القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار وحدثنى أبو السائب سالم بن جنادة السوائى قال حدثنا حفص بن غياث عن الحسن بن عبيد الله عن ابراهيم عن أبى معمر قال قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه أى أرض تقلنى وأى سماء تظلنى اذا قلت فى القرآن ما لا أعلم حدثنا محمد بن المثنى قال حدثنا ابن أبى عدى عن شعبة عن سليمان عن عبد الله بن مرة عن أبى معمر قال قال أبو بكر الصديق أى أرض تقلنى وأى سماء تظلنى اذا قلت فى القرآن برأيى أو بما لا أعلم ۞ قال أبو جعفر وهذه الاخبار شاهدة لنا على صحة ما قلنا من أن ما كان من تأويل آى القرآن الذى لا يدرك علمه الا بنص بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم أو بنصبه الدلالة عليه فغير جائز لاحد القيل فيه برأيه بل القائل فى ذلك برأيه وان أصاب الحق فيه فمخطئ فيما كان من فعله بقيله فيه برأيه لان اصابته ليست اصابة موقن أنه محق وانما هو اصابة خارص وظان والقائل فى دين الله بالظن قائل على الله ما لم يعلم وقد حرم الله جل ثناؤه ذلك فى كتابه على عباده فقال قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون فالقائل فى تأويل كتاب الله الذى لا يدرك علمه الا ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى جعل الله اليه بيانه قائل بما لا يعلم وان وافق قيله ذلك فى تأويله ما أراد الله به من معناه لان القائل فيه بغير علم قائل على الله ما لا علم له به وهذا هو معنى الخبر الذى حدثنا به العباس بن عبد العظيم العنبرى قال حدثنا حبان بن هلال قال حدثنا سهيل بن أبى حزم قال حدثنا أبو عمران الجونى عن جندب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال فى القرآن برأيه فاصاب فقد أخطأ يعنى صلى الله عليه وسلم انه أخطأ فى فعله بقيله فيه برأيه وان وافق قيله ذلك عين الصواب عند الله لان قيله فيه برأيه ليس بقيل عالم أن الذى قال فيه من قول حق وصواب فهو قائل على الله ما لا يعلم آثم بفعله ما قد نهى عنه وحظر عليه ۞ ذكر بعض الاخبار التى رويت فى الحض على العلم بتفسير القرآن ومن كان يفسره من الصحابة حدثنا محمد بن على بن الحسن بن شقيق المروزى قال سمعت أبى يقول حدثنا الحسين بن واقد قال حدثنا الأعمش عن شقيق عن ابن مسعود قال كان الرجل منا اذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن

الحروف الثلاثة بحسب الاشتقاق الكبير ستة واحد مهمل والبواقى معتبرة منها ك ل م فمنه الكلام لانه يقرع السمع ويؤثر فيه وأيضا يؤثر فى الذهن بواسطة افادة المعنى ومنه الكلم للجرح وفيه شدة ومنها ك م ل لان الكامل أقوى من الناقص ومنها ل ك م ومعنى الشدة فى اللكم واضح ومنها م ك ل ومنه بئر مكول اذا قل ماؤها واذا كان كذلك كان ورودها مكروها فيحصل نوع شدة عند ورودها وأيضا انها تدل على شدة منابعها ومنها م ل ك ملكت العجين اذا أنعمت عجنه ومنه ملاك الانسان لانه نوع قوة ولفظ الكلمة قد يستعمل فى اللفظة الواحدة وقد يراد بها الكلام الكثير المرتبط بعضه ببعض ومنه قولهم للقصيدة كلمة ومنه كلمة الشهادة والكلمة الطيبة صدقة ولان المجاز خير من الاشتراك فاطلاق الكلمة على الكلام المركب مجاز إما من باب اطلاق الجزء على الكل وإما من باب المشابهة لان الكلام المرتبط يشبه المفرد فى الوحدة وأفعال الله تعالى كلماته اما لانه حدث بقوله كن أو لانه حدث فى زمان قليل كما تحدث الكلمة كذلك وعند النحويين الكلمة لفظ وضع لمعنى مفرد وفائدة القيود تذكر فى ذلك العلم والكلام ما تضمن كلمتين بالاسناد ومنكر والكلام النفسى اتفقوا على أن الكلام اسم لهذه الالفاظ والكلمات والاشاعرة يثبتون الكلام النفسى ويقولون

ان الكلام لفى الفؤاد وانما
جعل اللسان على الفؤاد دليلا

وقد تسمى الكلمات والعبارات أحاديث لان كل واحدة منها تحدث عقيب صاحبتها قال تعالى فليأتوا بحديث مثله وجمع الكلمة كلم والتاء فى الكلمة ليست للوحدة كاللبنة واللبن والرطبة والرطب لان الرطب واللبن مذكر والكلم مؤنث وتصغير رطب رطيب وتصغير كلم كليمات بالرد الى كلمة ثم جمعه بالالف والتاء وقد يكون الكلام مصدرا بمعنى التكليم كالسلام بمعنى التسليم قال تعالى يسمعون كلام الله ثم يحرفونه فسره ابن عباس بتكليم الله موسى وقت المناجاة ۞ وأما الحرف فهو الواحد من حروف المعجم سمى حرفا لقلته ودقته ولذلك قيل حرف الشئ لطرفه لانه آخره والقليل منه والحرف أيضا الناقة المهزولة وقد يقال للسمينة أيضا حرف فهو من الاضداد والحرف اللغة أيضا قال عليه السلام أنزل القرآن على سبعة أحرف والحرف أيضا القراءة بكمالها والقصيدة بتمامها والحرف أيضا أحد أقسام الكلمة وذلك أن الكلمة ان احتاجت فى الدلالة على معناها

حدثنا ابن حميد قال حدثنا جرير عن عطاء عن أبي عبد الرحمن قال حدثنا الذين كانوا يقرؤننا أنهم كانوا يستقرئون من النبي صلى الله عليه وسلم فكانوا اذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل فتعلمنا القرآن والعمل جميعا وحدثنا أبو كريب قال حدثنا جابر بن نوح قال حدثنا الاعمش عن مسلم عن مسروق قال قال عبد الله والذي لا اله غيره ما نزلت آية في كتاب الله الا وأنا أعلم فيم نزلت وأين أنزلت ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لأتيته وحدثني يحيى ابن ابراهيم المسعودي قال حدثنا أبي عن أبيه عن جده عن الاعمش عن مسلم عن مسروق قال كان عبد الله يقرأ علينا السورة ثم يحدثنا فيها ويفسرها عامة النهار حدثني أبو السائب سالم بن جنادة قال حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن شقيق قال استعمل علي ابن عباس على الحج قال فخطب الناس خطبة لو سمعها الترك والروم لاسلموا ثم قرأ عليهم سورة النور فجعل يفسرها وحدثنا محمد بن بشار قال حدثنا عبد الرحمن بن مهدي قال حدثنا سفيان عن الاعمش عن أبي وائل شقيق بن سلمة قال قرأ ابن عباس سورة البقرة فجعل يفسرها فقال رجل لو سمعت هذا الديلم لاسلمت وحدثنا أبو كريب قال حدثنا أبو يمان عن أشعث بن اسحق عن جعفر عن سعيد بن جبير قال من قرأ القرآن ثم لم يفسره كان كالاعمى أو كالاعرابي وحدثنا أبو كريب قال ذكر أبو بكر بن عياش الاعمش قال قال أبو وائل ولي ابن عباس الموسم فخطبهم فقرأ على المنبر سورة النور والله لو سمعها الترك لاسلموا فقيل له حدثنا به عن عاصم فسكت وحدثنا أبو كريب قال حدثنا ابن ادريس قال سمعت الاعمش عن شقيق قال شهدت ابن عباس وولي الموسم فقرأ سورة النور على المنبر وفسرها لو سمعت الروم لاسلمت ۞ قال أبو جعفر وفي حث الله عز وجل عباده على الاعتبار بما في آي القرآن من المواعظ والتبيان بقوله جل ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الالباب وقوله ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون وما أشبه ذلك من آي القرآن التي أمر الله عباده وحثهم فيها على الاعتبار بأمثال آي القرآن والاتعاظ بمواعظه ما يدل على أن عليهم معرفة تأويل ما لم يحجب عنهم تأويله من آيه لانه محال أن يقال لمن لا يفهم ما يقال له ولا يعقل تأويله اعتبر بما لا فهم لك به ولا معرفة من القيل والبيان الا على معنى الامر بان يفهمه و يفقهه ثم يتدبره ويعتبر به فاما قبل ذلك فمستحيل أمره بتدبره وهو بمعناه جاهل كما محال أن يقال لبعض أصناف الامم الذين لا يعقلون كلام العرب ولا يفهمونه لو أنشدت قصيدة شعر من أشعار بعض العرب ذات أمثال ومواعظ وحكم اعتبر بما فيها من الامثال وادكر بما فيها من المواعظ الا بمعنى الامر لها بفهم كلام العرب ومعرفته ثم الاعتبار بما نبهه عليه ما فيها من الحكم فاما وهي جاهلة بمعاني ما فيها من الكلام والمنطق فمحال أمرها بما دلت عليه معاني ما حوته من الامثال والعبر بل سواء أمرها بذلك وأمر بعض البهائم به الا بعد العلم بمعاني المنطق والبيان الذي فيها فكذلك ما في آي كتاب الله من العبر والحكم والامثال والمواعظ لا يجوز أن يقال اعتبر بها الا لمن كان بمعاني بيانه عالما و بكلام العرب عارفا والا بمعنى الامر لمن كان بذلك منه جاهلا أن يعلم معاني كلام العرب ثم يتدبره بعد و يتعظ بحكمه وصنوف عبره فاذ كان ذلك كذلك وكان الله جل ثناؤه قد أمر عباده بتدبره وحثهم على الاعتبار

بامثاله

الافرادي الى ضميمة نحو من وقد فهو حرف والا فان كانت في أصل الوضع بهيئتها التصريفية على أحد الازمنة الثلاثة الماضي والحال والاستقبال فهو فعل نحو نصر و ينصر والا فهو اسم كالانسان فان معناه لا يقترن بالزمان أصلا ومثل اليوم والساعة والزمان فان الزمان كل معناه ومثل الصبوح والغبوق لان الزمان جزء معناه ومثل علم وجهل وضرب فان معناه يدل على الزمان عقلا لا بحسب الهيئة ومثل ضارب ومضروب فانه لو سلم أن معناه يدل على الزمان بحسب الهيئة اذ لكل منهما هيئة مخصوصة لكنها ليست في أصل الوضع ولا يخرج من حد الفعل نحو عسى مما لا يدل على زمان لان تجرده عن الزمان عرض لغرض الانشاء ولا الفعل المستقبل لكون معناه مقترنا بزمانين الحال والاستقبال لان قولنا باحد الازمنة تحديد لادنى درجات الاقتران ولو سلم أنه يجب الاقتران باحد الازمنة فقط فذلك في أصل الوضع ولا مانع من اقترانه بعد ذلك بزمان آخر مجازا * (المقدمة السادسة) * في ذكر السبع الطول والمثاني والمئين والطواسيم والحواميم والمفصل والمسبحات وغير ذلك فالسبع الطول مضمومة الطاء مفتوحة الواو جمع الطولى كالفضلى والفضل هي البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف والانفال مع التوبة لانهما نزلتا جميعا في مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانتا تدعيان القرينتين ولذلك لم يفصل بينهما بالبسملة وقال بعضهم السابعة من السبع سورة يونس لا الانفال مع التوبة واما المثاني فسبع سور تتلو السبع الطول أولها سورة يونس وآخرها سورة النحل لانها ثنت الطول أي تلتها واحدها مثنى مثل معنى ومعان وقد يكون المثاني سور القرآن كلها طوالها وقصارها من قوله تعالى كتابا متشابها مثاني وقوله ولقد آتيناك سبعا من المثاني وقيل المثاني في هذه الآية آيات الفاتحة لانها نزلت مرتين أو لانها تثنى في كل صلاة وأما المئون فهن سبع أولها سورة بني اسرائيل وآخرها سورة المؤمنون لان كل سورة منها نحو من مائة آية وقيل المئون ما ولي السبع الطول ثم المثاني بعدها وقيل ان ما بعد السبع الطول من المئين الى الحواميم و بعد الحواميم المفصل وأما الطواسيم فان شئت قلت هكذا وان شئت قلت الطواسين قال الراجز * وبالطواسين التي قد ثلثت * وفي الحديث وأعطيت طه والطواسيم من ألواح موسى وأعطيت فاتحة الكتاب وأما الحواميم فان شئت قلت هكذا وان شئت قلت آل حم قال ابن عباس

ان لكل شئ لبابا وان لباب القرآن آل حم وقال الحواميم فكأن من قال آل حم نسب السور كلها الى حم وهو من أسماء الله تعالى بدليل قوله
صلى الله عليه وسلم ان بيتم الليلة فقولوا حم لا ينصرون وتسمى الحواميم عرائس القرآن عن عاصم عن زر بن حبيش الاسدى قال قرأت على
علىّ بن أبى طالب القرآن فى المسجد الجامع بالكوفة فلما بلغت الحواميم قال يا زر بن حبيش عرائس القرآن فلما بلغت رأس العشرين من
حم عسق والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير بكى حتى ارتفع
نحيبه ثم رفع رأسه الى السماء وقال
يا زر أمن على دعائى ثم قال اللهم انى
أسألك إخبات المخبتين واخلاص
الموقنين ومرافقة الابرار واستحقاق
حقائق الايمان والغنيمة من كل
بر والسلامة من كل اثم ووجوب
رحمتك وعزائم مغفرتك والفوز
بالجنة والخلاص من النار يا زر
اذا ختمت القرآن فادع بهؤلاء
الدعوات فان حبيبى رسول الله صلى
الله عليه وسلم أمرنى أن أدعو بهن
عند ختم القرآن * وأما المفصل فما
بعد الحواميم من قصار السور الى آخر
القرآن لكثرة التفصيل فيها بالبسملة
وأما المسبحات فسورة الحديد والحشر
والصف والجمعة والتغابن والاعلى لان
فى فواتحهن ما يدل على التسبيح وفى
الحديث كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا ينام حتى يقرأ المسبحات
ويقول ان فيها آية كألف آية وأفضل
المسبحات سبح اسم ربك الاعلى فقد
كان العلماء يقرؤن هذه السورة فى
التهجد والجمعة ويتعرفون بركتها
وأما المقشقشتان فسورة الكافرون
والاخلاص لانهما تبرئان من
النفاق والشرك يقال قشقشه اذا
برأه وتقشقش المريض من علته اذا
أفاق منها وبرئ وأما المعوذتان
فالفلق والناس وقد يضم اليهما
الاخلاص فيقال المعوذات
(المقدمة السابعة) فى ذكر الحروف
التى كتب بعضها على خلاف
بعض فى المصحف وهى فى الاصل
واحدة فأول ذلك بسم الله كتب بحذف الالف التى قبل السين وكتب اقرأ باسم ربك وسبح اسم ربك وبئس الاسم الفسوق ومنه اسمه بالالف
والاصل فى ذلك كله واحد وهو أن يكتب بالالف وانما حذفت من باسم الله فقط لانها ألف وصل ساقطة من اللفظ لقد كثر استعمال
الناس اياها فى صدور الكتب وفواتح السور وعند كل أمر يبدأ به فأمنوا أن يجهل القارئ معناها وكتب فيما موصولا فى كل القرآن الا فى
البقرة فى ما فعلن فى أنفسهن بالمعروف وفيها فى ما فعلن فى أنفسهن من معروف وفى الانعام فى ما أوحى الى محرما وفيه ليبلوكم فى ما آتاكم

بامثاله كان معلوما أنه لم يأمر بذلك من كان بما يدل عليه آيه جاهلا وإذا لم يجز أن يأمرهم بذلك
الا وهم بما يدلهم عليه عالمون صح أنهم بتأويل ما لم يحجب عنهم علمه من آيه الذى استأثر الله بعلمه منه
دون خلقه الذى قد قدمنا صفته آنفا عارفون واذ صح ذلك فسد قول من أنكر تفسير المفسرين
من كتاب الله وتنزيله ما لم يحجب عن خلقه تأويله ﴿ذكر بعض الاخبار التى غلط فى تأويلها منكرو
القول فى تأويل القرآن﴾ فان قال لنا قائل فما أنت قائل فيما حدثكم به العباس بن عبد العظيم قال
حدثنا محمد بن خالد بن عثمة قال حدثنى جعفر بن محمد الزبيرى قال حدثنى هشام بن عروة عن أبيه
عن عائشة قالت ما كان النبى صلى الله عليه وسلم يفسر شيأ من القرآن الا آيا تعد علمهن اياه جبريل
حدثنا محمد بن يزيد الطرسوسى قال أخبرنا معن عن جعفر بن خالد عن هشام بن عروة عن أبيه عن
عائشة قالت لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم يفسر شيأ من القرآن الا آيا تعد علمهن اياه جبريل عليه
السلام وحدثنا أحمد بن عبدة الضبى قال حدثنا حماد بن زيد قال حدثنا عبيد الله بن عمر قال
لقد أدركت فقهاء المدينة وانهم ليعظمون القول فى التفسير منهم سالم بن عبد الله والقاسم بن محمد
وسعيد بن المسيب ونافع وحدثنا محمد بن بشار قال حدثنا بشر بن عمر قال حدثنا مالك بن أنس عن
يحيى بن سعيد قال سمعت رجلا يسأل سعيد بن المسيب عن آية من القرآن فقال لا أقول فى القرآن
شيأ حدثنا يونس قال حدثنا ابن وهب قال أخبرنى مالك عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب
أنه كان اذا سئل عن تفسير آية من القرآن قال أنا لا أقول فى القرآن شيأ حدثنا يونس قال أخبرنا
ابن وهب قال سمعت الليث يحدث عن يحيى بن سعيد عن ابن المسيب أنه كان لا يتكلم الا فى المعلوم
من القرآن حدثنا ابن حميد قال حدثنا حكام قال حدثنا سفيان عن هشام عن ابن سيرين قال
سألت عبيدة السلمانى عن آية قال عليك بالسداد فقد ذهب الذين علموا فيم أنزل القرآن حدثنى
يعقوب قال حدثنا ابن علية عن أيوب وابن عون عن محمد قال سألت عبيدة عن آية من القرآن فقال
ذهب الذين كانوا يعلمون فيم أنزل القرآن اتق الله وعليك بالسداد وحدثنى يعقوب قال حدثنا ابن
علية عن أيوب عن ابن أبى مليكة أن ابن عباس سئل عن آية لو سئل عنها بعضكم لقال فيها فأبى أن
يقول فيها حدثنى يعقوب قال حدثنا ابن علية عن مهدى بن ميمون عن الوليد بن مسلم قال جاء طلق
ابن حبيب الى جندب بن عبد الله فسأله عن آية من القرآن فقال له أحرج عليك ان كنت مسلما لما
قمت عنى أو قال أن تجالسنى حدثنى عباس بن الوليد قال أخبرنى أبى قال حدثنا عبد الله بن شوذب
قال حدثنى يزيد بن أبى يزيد قال كنا نسأل سعيد بن المسيب عن الحلال والحرام وكان أعلم الناس
واذا سألناه عن تفسير آية من القرآن سكت كأن لم يسمع وحدثنا محمد بن المثنى قال حدثنا محمد بن
جعفر قال أخبرنا شعبة عن عمرو بن مرة قال سأل رجل سعيد بن المسيب عن آية من القرآن فقال
لا تسألنى عن آية من القرآن وسل من يزعم أنه لا يخفى عليه شئ منه يعنى عكرمة وحدثنا ابن المثنى
قال حدثنا سعيد بن عامر عن شعبة عن عبد الله بن أبى السفر قال قال الشعبى والله ما من آية الا قد
سألت عنها ولكنها الرواية عن الله وحدثنى يعقوب بن ابراهيم قال حدثنا ابن علية عن صالح يعنى
ابن مسلم قال حدثنى رجل عن الشعبى قال ثلاث لا أقول فيهن حتى أموت القرآن والروح والرأى

وما أشبه ذلك من الاخبار قيل له أما الخبر الذى روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لم يكن يفسر من القرآن شيأ الا آيا تعدّ فان ذلك مصحح ما قلنا من القول فى الباب الماضى قبل وهو أن من تأويل القرآن ما لا يدرك علمه الا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك يفصل جمل ما فى آيه من أمر الله ونهيه وحلاله وحرامه وحدوده وفرائضه وسائر معانى شرائع دينه الذى هو مجمل فى ظاهر التنزيل و بالعباد الى تفسيره الحاجة لا يدرك علم تأويله الا ببيان من عند الله على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أشبه ذلك مما تحويه آى القرآن من سائر حكمه الذى جعل الله بيانه لخلقه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يعلم أحد من خلق الله تأويل ذلك الا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يعلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بتعليم الله اياه ذلك بوحيه اليه اما مع جبريل أو مع من شاء من رسله اليه فذلك هو الآى التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسرها لاصحابه بتعليم جبريل اياه وهن لاشك آى ذوات عدد ومن آى القرآن ما قد ذكرنا أن الله جل ثناؤه استأثر بعلم تأويله فلم يطلع على علمه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا ولكنهم يؤمنون بانه من عنده وانه لا يعلم تأويله الا الله فأما ما لا بد للعباد من علم تأويله فقد بين لهم نبيهم صلى الله عليه وسلم ببيان الله ذلك له بوحيه مع جبريل وذلك هو المعنى الذى أمره الله ببيانه لهم فقال له جل ذكره وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون ولو كان تأويل الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان لا يفسر من القرآن شيأ الا آيا تعدهو ما يسبق اليه أوهام أهل الغباء من أنه لم يكن يفسر من القرآن الا القليل من آيه واليسير من حروفه كان انما أنزل اليه صلى الله عليه وسلم الذكر ليترك للناس بيان ما أنزل اليهم لا ليبين لهم ما أنزل اليهم وفى أمر الله جل ثناؤه نبيه صلى الله عليه وسلم ببلاغ ما أنزل اليه واعلامه اياه أنه انما نزل اليه ما أنزل ليبين للناس ما نزل اليهم وقيام الحجة على أن النبى صلى الله عليه وسلم قد بلغ فأدى ما أمره الله ببلاغه وأدائه على ما أمره به وصحة الخبر عن عبد الله بن مسعود لقيله كان الرجل منا اذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعلم معانيهن والعمل بهن ما ينبئ عن جهل من ظن أو توهم أن معنى الخبر الذى ذكرنا عن عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لم يكن يفسر من القرآن شيأ الا آيا تعدهو أنه لم يكن يبين لامته من تأويله الا اليسير القليل منه هذا مع ما فى الخبر الذى روى عن عائشة من العلة التى فى اسناده التى لا يجوز معها الاحتجاج به لاحد ممن علم صحيح سند الآثار وفاسدها فى الدين لان راويه ممن لا يعرف فى أهل الآثار وهو جعفر بن محمد الزبيرى وأما الاخبار التى ذكرناها عمن ذكرناها عنه من التابعين باحجامه عن التأويل فان فعل من فعل ذلك منهم كفعل من أحجم منهم عن الفتيا فى النوازل والحوادث مع اقراره بان الله جل ثناؤه لم يقبض نبيه اليه الا بعد اكمال الدين به لعباده وعلمه بان لله فى كل نازلة وحادثة حكما موجودا بنص أو دلالة فلم يكن احجامه عن القول فى ذلك احجام جاحد أن يكون لله فيه حكم موجود بين أظهر عباده ولكن احجام خائف أن لا يبلغ فى اجتهاده ما كلف الله العلماء من عباده فيه فكذلك معنى احجام من أحجم عن القيل فى تأويل القرآن وتفسيره من العلماء السلف انما كان احجامه عنه حذارا أن لا يبلغ أداء ما كلف من اصابة صواب القول فيه لا على ان تأويل ذلك محجوب عن علماء الامة غير موجود بين أظهرهم ۞ ذكر الاخبار عن بعض السلف فيمن كان من قدماء المفسرين

وفى الانفال فى ما أخذتم عذاب عظيم وفى الانبياء فى ما اشتهت أنفسهم وفى النور فى ما أفضتم وفى الشعراء فى ما ههنا آمنين وفى الروم فى ما رزقناكم وفى الزمر فى ما هم فيه يختلفون وفيها فى ما كانوا فيه يختلفون وفى الواقعة فى ما لا تعلمون فذلكن اثنا عشر حرفا مقطوع وما سوى ذلك موصول وكتب مما موصولا فى كل القرآن الا ثلاثة مواضع فى النساء فمن ما ملكت أيمانكم وفى الروم من ما ملكت أيمانكم وفى المنافقين من ما رزقناكم وكتب أنما موصولا فى كل القرآن (٣٠) الا فى الحج وأن ما تدعون من دونه هو الباطل وفى لقمان وأن ما تدعون من دونه الباطل وفيها ولو أن ما فى الارض وكتب إنما موصولة فى كل القرآن الا فى الانعام ان ما توعدون لآت وكتب لكى لا مقطوعة فى كل القرآن الا ثلاثة مواضع فى الحج لكيلا يعلم وفى الاحزاب لكيلا يكون عليك حرج وفى الحديد لكيلا تأسوا وكتب بئس ما مقطوعا حيث كان الا ثلاثة مواضع فى البقرة بئسما يأمركم به ايمانكم وفيها ولبئسما شروا به أنفسهم وفى الاعراف بئسما خلفتمونى وكتب أينما مقطوعا فى جميع القرآن الا أربعة مواضع فى البقرة فأينما تولوا وفى النحل أينما يوجهه وفى الشعراء أينما كنتم وفى الاحزاب أينما ثقفوا وكتب ألا موصولا فى كل القرآن الا عشرة مواضع فى الاعراف أن لا أقول على الله الا الحق وفيها أن لا تقولوا على الله الا الحق وفى التوبة أن لا ملجأ من الله الا اليه وفى هود أن لا تعبدوا الا الله وفيها وأن لا إله الا هو وفى الحج أن لا تشرك بى شيأ وفى يس أن لا تعبدوا الشيطان وفى الدخان وأن لا تعلوا على الله وفى الممتحنة أن لا يشركن بالله شيأ وفى القلم أن لا يدخلنها اليوم واختلف فى يوسف ألا تعبدوا الا اياه وما سواهن فهو ألا مدغما تعمرون وكتب إلا باسقاط النون فى كل القرآن من غير استثناء مثل إلا تفعلوه والا تغفر لى وكتب ألم موصولا فى كل القرآن الا فى الانعام أن لم يكن ربك وفى البلد أن لم يره أحد وكتب فى هود فالم يستجيبوا لكم موصولا مدغما وفى القصص فان لم يستجيبوا لك مقطوعا محمودا وكتب أمن موصولا فى كل القرآن الا أربعة مواضع فى سورة الانعام أم من يكون عليهم وكيلا وفى التوبة أم من أسس بنيانه وفى الصافات أم من خلقنا وفى حم السجدة أمن يأتى آمنا وكتب إما وأما موصولا الا فى الرعد وان ما نرينك وكتب عما موصولا الا فى الاعراف عن ما نهوا عنه وكتب أن لن مقطوعا الا ثلاثة مواضع فى الكهف ألن نجعل لكم موعدا وفى المزمل ألن تحصوه وفى القيامة ألن نجمع عظامه وكتب

محمودا علمه بالتفسير ومن كان منهم مذموما علمه بذلك حدثنا محمد بن بشار قال حدثنا وكيع قال حدثنا سفيان عن سليمان عن مسلم قال قال عبد الله نعم ترجمان القرآن ابن عباس وحدثني يحيى بن داود الواسطي قال حدثنا اسحق الازرق عن سفيان عن الاعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله بن مسعود قال نعم ترجمان القرآن ابن عباس وحدثني محمد بن بشار قال حدثنا جعفر بن عون قال حدثنا الاعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله بنحوه وحدثنا أبو كريب قال حدثنا طلق بن غنام عن عثمان المكي عن ابن أبي مليكة قال رأيت مجاهدا يسأل ابن عباس عن تفسير القرآن ومعه ألواحه فيقول له ابن عباس اكتب قال حتى سأله عن التفسير كله وحدثنا أبو كريب قال حدثنا المحاربي و يونس بن بكير قالا حدثنا محمد بن اسحق عن أبان بن صالح عن مجاهد قال عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته الى خاتمته أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها وحدثني عبيد الله بن يوسف الجبيري عن أبي بكر الحنفي قال سمعت سفيان الثوري يقول اذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به وحدثنا محمد بن المثنى قال حدثنا سليمان أبو داود عن شعبة عن عبد الملك بن ميسرة قال لم يلق الضحاك ابن عباس وانما لقي سعيد بن جبير بالري وأخذ عنه التفسير حدثنا ابن المثنى قال حدثنا أبو داود عن شعبة عن مشاش قال قلت للضحاك سمعت من ابن عباس شيأ قال لا حدثنا أبو كريب قال حدثنا ابن ادريس قال حدثنا زكريا قال كان الشعبي يمر بأبي صالح باذان فيأخذ باذنه فيعركها و يقول تفسر القرآن وأنت لا تقرأ القرآن وحدثني عبد الله بن أحمد بن شبويه قال حدثنا علي بن الحسين بن واقد قال حدثني أبي قال حدثنا الاعمش قال حدثني سعيد بن جبير عن ابن عباس والله يقضي بالحق قال قادر على أن يجزي بالحسنة الحسنة و بالسيئة السيئة ان الله هو السميع البصير قال الحسين فقلت للاعمش حدثني به الكلبي الا انه قال ان الله قادر ان يجزي بالسيئة السيئة و بالحسنة عشرا فقال الاعمش لو أن الذي عند الكلبي عندي ما خرج مني بحقير وحدثني سليمان بن عبد الجبار قال حدثنا علي بن حكيم الاودي قال حدثنا عبد الله بن بكير عن صالح بن مسلم قال مر الشعبي على السدي وهو يفسر فقال لأن يضرب على استك بالطبل خير لك من مجلسك هذا وحدثني سليمان بن عبد الجبار قال حدثني علي بن حكيم قال حدثنا شريك عن مسلم بن عبد الرحمن النخعي قال كنت مع ابراهيم فرأى السدي فقال أما إنه يفسر تفسير القوم حدثنا ابن البرقي قال حدثنا عمرو بن أبي سلمة قال سمعت سعيد بن بشير يقول عن قتادة قال ما أرى أحدا يجري مع الكلبي في التفسير في عنان ۞ قال أبو جعفر قد قلنا فيما مضى من كتابنا هذا في وجوه تأويل القرآن وان تأويل جميع القرآن على أوجه ثلاثة أحدها لا سبيل الى الوصول اليه وهو الذي استأثر الله بعلمه وحجب علمه عن جميع خلقه وهو أوقات ما كان من آجال الامور الحادثة التي أخبر الله في كتابه أنها كائنة مثل وقت قيام الساعة ووقت نزول عيسى ابن مريم ووقت طلوع الشمس من مغربها والنفخ في الصور وما أشبه ذلك والوجه الثاني ما خص الله بعلم تأويله نبيه صلى الله عليه وسلم دون سائر أمته وهو ما فيه مما بعباده الى علم تأويله الحاجة فلا سبيل لهم الى علم ذلك الا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم لهم تأويله والثالث منها ما كان علمه عند أهل اللسان الذي نزل به القرآن وذلك علم تأويل عربيته واعرابه لا توصل الى

كلما موصولا الا خمسة مواضع في النساء كل ما ردوا الى الفتنة أركسوا وفي الاعراف كل ما دخلت أمة وفي سبحان كل ما خبت وفي الملك كل ما ألقي فيها وفي نوح كل ما دعوتهم وكتب يومهم موصولا الا في المؤمن يوم هم بارزون وفي الذاريات يوم هم على النار يفتنون وكتبت الرحمة في مواضع القرآن بالهاء الا سبعة مواضع في البقرة أولئك يرجون رحمت الله وفي الاعراف ان رحمت الله قريب وفي هود رحمت الله و بركاته وفي مريم ذكر رحمت ربك وفي الروم الى آثار رحمت الله وفي الزخرف أهم يقسمون رحمت ربك وفيها ورحمت ربك فانها بالتاء وكتبت النعمة بالهاء الا أحد عشر موضعا في البقرة واذكروا نعمت الله عليكم وفي آل عمران واذكروا نعمت الله عليكم وفي المائدة واذكروا نعمت الله عليكم اذ هم وفي ابراهيم بدلوا نعمت الله كفرا وفيها وان تعدوا نعمت الله وفي النحل و بنعمت الله هم يكفرون وفيها يعرفون نعمت الله وفيها واشكروا نعمت الله وفي لقمان في البحر بنعمت الله وفي الملائكة اذكروا نعمت الله وفي الطور بنعمت ربك بكاهن وكتب امرأة بالهاء الا سبعة مواضع في آل عمران اذ قالت امرأت عمران وفي يوسف امرأت العزيز تراودفتاها وفيها امرأت العزيز الآن وفي القصص وقالت امرأت فرعون وفي التحريم امرأت نوح وامرأت لوط وامرأت فرعون وكتب سنة بالهاء في كل القرآن الا خمسة مواضع في الانفال مضت سنت الاولين وفي فاطر الا سنت الاولين فلن تجد لسنت الله تبديلا ولن تجد لسنت الله تحويلا وفي المؤمن سنت الله التي قد خلت وكتب معصية بالهاء حيث كانت الا موضعين في المجادلة ومعصيت الرسول بالتاء وكتب لعنة بالهاء في كل القرآن الا في آل عمران فنجعل لعنت الله وفي النور أن لعنت الله وكتب جنة بالهاء الا في الواقعة وجنت نعيم وكتب شجرة بالهاء الا في الدخان ان شجرت الزقوم وكتب قرة بالهاء الا في القصص قرت عين لي ولك وكتب بقية بالهاء الا في هود بقيت الله وكتب من ثمرة بالهاء الا في حم السجدة من ثمرت من أكمامها وكتب كلمة بالهاء الا أربعة مواضع في الانعام وتمت كلمت ربك وفي يونس حرفان كلمت ربك وفي المؤمن حقت كلمت ربك وكتب غيابت الجب بالتاء فهم على بينت منه بالتاء وكتب كل ما في القرآن من ذكر الآية بالهاء الا في العنكبوت لولا أنزل عليه آيت فانها بالتاء وكتب فطرت وعفريت وأفرأيتم اللات والعزى ولات حين

منساص وذات بهجة وهيهات ومريم ابنت عمران ومرضات كلها بالتاء وكتب الملأ بالالف الا أربعة مواضع فى المؤمنون فقال الملؤا الذين كفروا وفى النمل يا أيها الملؤا انى يا أيها الملؤا أفتونى يا أيها الملؤا أيكم يأتينى فانها كتبت بالواو وكتب فى البقرة يبصط بالصاد وماسواه بالسين وكتب فى البقرة بسطة بالسين وفى الاعراف بالصاد وكتب فى آل عمران منهم تقية بالياء وحق تقاته بالالف وكتب فى أول يوسف والزخرف قرآنا عربيا بغير ألف وسائر القرآن قرآنا بألف (٣٢) وكتب فى الاعراف و يونس بكل سحر عليم بغير ألف وفى الشعراء بسحار عليم بالالف بعد الحاء وكتب فى الذاريات ساحر أو مجنون بالالف وماسواه بغير ألف وكتب فى يونس لننظر كيف تعملون بنون واحدة واختلف فى قوله انا لننصر رسلنا فى المؤمن وكتب فى يونس ننج المؤمنين بنونين وحذف الياء وفى آخر يوسف فنجى من نشاء بنون واحدة وفى الانبياء وكذلك نجى المؤمنين بالياء وبنون واحدة وكتب جميع ما فى القرآن من ذكر الايدى بياء واحدة الا فى الذاريات والسماء بنيناها بأييد فانها كتبت بياءين والاصل كتبه بياء واحدة وكتب الن بغير ألف فى كل القرآن الا فى الجن فمن يستمع الآن فانه بالالف وكتب فى حم السجدة سموات بالالف وماسواه كتبت سموت بغير ألف وكتب فى أول سبأ علم الغيب بغير ألف وكتب فى البقرة خطيكم بحرف واحد بين الطاء والكاف وفى الاعراف خطيئتكم بحرفين بينهما وكتب رأ بغير ياء فى كل القرآن الا فى النجم لقد رأى من آيات ربه الكبرى وما كذب الفؤاد ما رأى وكتب فى يونس وما تغنى الآيات بالياء على الاصل وفى القمر فما تغن النذر بغير ياء على اللفظ وكتب فى البقرة يؤتى الحكمة بالياء وفى النساء وسوف يؤت الله بغير ياء وكتب ويمح الله الباطل بغير واو ويمحوا الله ما يشاء بالواو والالف وكتب الداع بغير ياء حيث كان الا قوله أجيبوا داعى الله وكتب ثمود بالالف فى حال النصب وهى فى أربعة مواضع فى هود والفرقان والعنكبوت والنجم وكتب ثمود الناقة بغير ألف وكتب فى النمل وما أنت بهادى بالياء وفى الروم بهاد بغير ياء والاصل فيهما الياء وكتب فى الحج ولؤلؤا بألف وفى فاطر بغير ألف وكتب فى الاعراف قال ابن أم بالالف مقطوعا وفى طه يابنؤم بالواو موصولا وكتب فى الحروف أصحاب الايكة بالالف وفى الشعراء و ص لئيكة بغير ألف وكتب فى يوسف لذو علم لما علمناه وفى المؤمن ذو العرش وفى السجدة لذو مغفرة وذو عقاب أليم

علم ذلك الا من قبلهم فاذا كان ذلك كذلك فأحق المفسرين باصابة الحق فى تأويل القرآن الذى الى علم تأويله للعباد السبيل أوضحهم حجة فيما تأول وفسر مما كان تأويله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم دون سائر أمته من أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم الثابتة عنه إما من وجه النقل المستفيض فيما وجد فيه من ذلك عنه النقل المستفيض وإما من وجه نقل العدول الاثبات فيما لم يكن فيه عنه النقل المستفيض أو من وجه الدلالة المنصوبة على صحته وأوضحهم برهانا فيما ترجم وبين من ذلك مما كان مدركا علمه من جهة اللسان إما بالشواهد من أشعارهم السائرة وإما من منطقهم ولغاتهم المستفيضة المعروفة كائنا من كان ذلك المتأول والمفسر بعد أن لا يكون خارجا تأويله وتفسيره ما تأول وفسر من ذلك عن أقوال السلف من الصحابة والائمة والخلف من التابعين وعلماء الامة ۞ (القول فى تأويل أسماء القرآن وسوره وآيه) قال أبو جعفر ان الله تعالى ذكره سمى تنزيله الذى أنزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أسماء أربعة منهن القرآن فقال فى تسميته اياه بذلك فى تنزيله نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين وقال ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون ومنهن الفرقان قال جل ثناؤه فى وحيه الى نبيه صلى الله عليه وسلم يسميه بذلك تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ومنهن الكتاب قال تبارك اسمه فى تسميته اياه به الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما ومنهن الذكر قال تعالى ذكره فى تسميته اياه به انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ولكل اسم من أسمائه الاربعة فى كلام العرب معنى ووجه غير معنى الآخر ووجهه فاما القرآن فان المفسرين اختلفوا فى تأويله والواجب أن يكون تأويله على قول ابن عباس من التلاوة والقراءة وأن يكون مصدرا من قول القائل قرأت القرآن كقولك الخسران من خسرت والغفران من غفر الله لك والكفران من كفرتك والفرقان من فرق الله بين الحق والباطل وذلك أن يحيى بن عثمان بن صالح السهمى حدثنى قال حدثنا عبد الله بن صالح قال حدثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله فاذا قرأناه يقول بيناه فاتبع قرآنه يقول اعمل به ومعنى قول ابن عباس هذا فاذا بيناه بالقراءة فاعمل بما بيناه لك بالقراءة ومما يوضح صحة ما قلنا فى تأويل حديث ابن عباس هذا ما حدثنى به محمد بن سعد قال حدثنى أبى قال حدثنى عمى قال حدثنى أبى عن أبيه عن عبد الله بن عباس ان علينا جمعه وقرآنه قال أن نقرئك فلا تنسى فاذا قرأناه عليك فاتبع قرآنه يقول اذا تلى عليك فاتبع ما فيه ۞ قال أبو جعفر فقد صرح هذا الخبر عن ابن عباس ان معنى القرآن عنده القراءة فانه مصدر من قول القائل قرأت على ما قد قلناه وأما على قول قتادة فان الواجب أن يكون مصدرا من قول القائل قرأت الشئ اذا جمعته وضممت بعضه الى بعض كقولك ما قرأت هذه الناقة سلا قط تريد بذلك أنها لم تضمم رحما على ولد كما قال عمرو بن كلثوم التغلبى

تريك اذا دخلت على خلاء * وقد أمنت عيون الكاشحينا
ذراعى عيطل أدماء بكر * هجان اللون لم تقرأ جنينا

يعنى بقوله لم تقرأ جنينا لم تضمم رحما على ولد وذلك أن بشر بن معاذ العقدى حدثنا قال حدثنا يزيد

ابن

ابن زريع قال حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في قوله تعالى ان علينا جمعه وقرآنه يقول
حفظه وتأليفه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه يقول اتبع حلاله واجتنب حرامه وحدثنا محمد بن عبد
الاعلى الصنعاني قال حدثنا محمد بن ثور قال حدثنا معمر عن قتادة بمثله فرأى قتادة أن تأويل القرآن
التأليف ﴿قال أبو جعفر﴾ وكلا القولين أعني قول ابن عباس وقول قتادة اللذين حكيناهما وجه
صحيح في كلام العرب غير أن أولى قوليهما بتأويل قول الله تعالى ان علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه
فاتبع قرآنه قول ابن عباس لان الله جل ثناؤه أمر نبيه في غير آية من تنزيله باتباع ما أوحى اليه ولم
يرخص له في ترك اتباع شئ من أمره الى وقت تأليفه القرآن له فكذلك قوله فاذا قرأناه فاتبع
قرآنه نظير سائر ما في آي القرآن التي أمره الله فيها باتباع ما أوحى اليه في تنزيله ولو وجب أن يكون
معنى قوله فاذا قرأناه فاتبع قرآنه فاذا ألفناه فاتبع ما ألفنا لك فيه لوجب أن لا يكون كان لزمه
فرض اقرأ باسم ربك الذي خلق ولا فرض يا أيها المدثر قم فأنذر قبل أن يؤلف الى ذلك غيره من
القرآن وذلك ان قاله قائل خروج من قول أهل الملة واذا صح أن حكم كل آية من آي القرآن كان
لازما النبي صلى الله عليه وسلم اتباعه والعمل به مؤلفة كانت الى غيرها أو غير مؤلفة صح ما قال ابن
عباس في تأويل قوله فاذا قرأناه فاتبع قرآنه أنه يعني به فاذا بيناه لك بقراءتنا فاتبع ما بيناه لك
بقراءتنا دون قول من قال معناه فاذا ألفناه فاتبع ما ألفناه وقد قيل ان قول الشاعر

ضحوا بأشمط عنوان السجود به * يقطع الليل تسبيحا وقرآنا

يعني به قائله تسبيحا وقراءة فان قال قائل وكيف يجوز أن يسمى قرآنا بمعنى القراءة وانما هو
مقروء قيل كما جاز أن يسمى المكتوب كتابا بمعنى كتاب الكاتب كما قال الشاعر في صفة كتاب
طلاق كتبه لامرأته

تؤمل رجعة مني وفيها * كتاب مثل ما لصق الغراء

يريد طلاقا مكتوبا فجعل المكتوب كتابا * وأما تأويل اسمه الذي هو فرقان فان تفسير أهل التفسير
جاء في ذلك بألفاظ مختلفة هي في المعاني مؤتلفة فقال عكرمة فيما حدثنا به ابن حميد قال حدثنا
حكام بن سلم عن عنبسة عن جابر عن عكرمة أنه كان يقول هو النجاة وكذلك كان السدي يتأوله
حدثنا بذلك محمد بن الحسين قال حدثنا أحمد بن المفضل قال حدثنا أسباط عن السدي وهو قول
جماعة غيرهما وكان ابن عباس يقول الفرقان المخرج حدثني بذلك يحيى بن عثمان بن صالح قال
حدثنا عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وكذلك كان مجاهد
يقول في تأويله حدثنا بذلك ابن حميد قال حدثنا حكام عن عنبسة عن جابر عن مجاهد وكان مجاهد
يقول في قول الله عز وجل يوم الفرقان يوم فرق الله فيه بين الحق والباطل حدثني بذلك محمد بن عمرو
الباهلي قال حدثني أبو عاصم عن عيسى بن ميمون عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فكل هذه التأويلات
في معنى الفرقان على اختلاف ألفاظها متقاربات المعاني وذلك أن من جعل له مخرج من أمر كان
فيه فقد جعل له ذلك المخرج منه نجاة وكذلك اذا نجي منه فقد نصر على من بغاه فيه سوءا وفرق بينه
وبين باغيه بالسوء فجميع ما روينا عمن روينا عنه في معنى الفرقان قول صحيح المعنى لاتفاق

وفي الجمعة ذو الفضل العظيم وفي البروج ذو العرش بغير ألف في هذه المواضع وما سواها ذوا بالالف وكتب الربوا بواو بعدها ألف في كل القرآن
الا قوله وما آتيتم من ربا فانه بغير واو وكتب لدا الباب بالالف ولدى الحناجر بالياء وكتب ولا اوضعوا خلالكم ولا اذبحنه بزيادة ألف وفي
مصاحف الشام ولامة مؤمنة بزيادة ألف أيضا وكتب أيه المؤمنون وأيه الساحر وأيه الثقلان بغير ألف وما سواها يأيها ويا أيتها بالالف
وكتب في الاحزاب الظنونا والرسولا والسبيلا بالالف وفي الفرقان أم هم ضلوا السبيل (٣٣) وفي الاحزاب وهو يهدى السبيل وهما رأس آية

وكتب في الانسان قواريرا بالالف
قوارير من فضة بغير ألف وكتب في
الانعام أئنكم لتشهدون وفي
الاعراف أئنكم لتأتون الرجال وفي
العنكبوت أئنكم لتأتون الرجال
وفي حم السجدة أئنكم لتكفرون
بالياء وما سواها بغير ياء وكتب في
الاعراف أءن لنا لاجرا بغير ياء وفي
الشعراء أئن لنا لاجرا بالياء وكتب
في النمل أئنا لمخرجون بالياء وكذلك
في الصافات أئنا لتاركوا وما سواهما
فهو أءنا بغير ياء وكتب في الواقعة
أئذا بالياء وفي سائر القرآن أءذا
بغير ياء وكتب في هود في أموالنا ما
نشاء بالالف بعد الواو ومثله في
الانعام يأتيهم أنباء وفيها أنهم فيكم
شركاء وفي حم عسق أم لهم شركاء
وفي الروم من شركائهم شفعاء وفي
ابراهيم فقال الضعفاء وفي الشعراء
فسيأتيهم أنباء وفيها أيضا أن يعلمه
علماء وفي فاطر من عباده العلماء وفي
الصافات لهو البلاء وفي حم الاولى
وما دعاء الكافرين وفي الدخان ما فيه
بلاؤ بالواو وفي الممتحنة انا برآؤا وكتب
جزاؤ بالواو الا في الكهف فله
جزاء الحسنى وكتب ان امرؤا هلك
ويتفيؤا ظلاله ويعبؤا بكم وأتوكؤا
عليها وتفتؤا تذكر ويدرؤا عنها ونبؤا
الذين ونبؤا الخصم وينشؤا في الحلية
ولا تظمؤا فيها ويبدؤا الخلق وما

أشبهها بواو وألف ليقووا بها الهمزة المضمومة أو على لغة من لا يهمز ولو كتب كلها بالواو
وحدها أو بالالف وحدها لجاز وكتب في الانعام من نبأي المرسلين بياء بعد الهمزة وكذلك في يونس تلقاءي نفسي وفي النحل وايتاءي
ذي القربى وفي طه ومن آناءي الليل وفي حم عسق أو من وراءي حجاب وكتب ما في القرآن من كل ذوات الواو بالالف مثل دعا عفا وتلا الا
دحيها وتليها وطحيها وسجى وما زكى وذوات الياء يكتب بالياء مثل هدى ورمى وقضى الا أحرفا هي ومضا مثل الاولين وجنا الجنتين

معانى ألفاظهم فى ذلك وأصل الفرقان عندنا الفرق بين الشيئين والفصل بينهما وقد يكون ذلك بقضاء واستنقاذ واظهار حجة وتصرف وغير ذلك من المعانى المفرقة بين المحق والمبطل فقد تبين بذلك أن القرآن سمى فرقانا لفصله بحجته وأدلته وحدوده وفرائضه وسائر معانى حكمه بين المحق والمبطل وفرقانه بينهما بنصره المحق وتخذيله المبطل حكما وقضاء * وأما تأويل اسمه الذى هو الكتاب فهو مصدر من قولك كتبت كتابا كما تقول قمت قياما وحسبت الشئ حسابا والكتاب هو خط الكاتب حروف المعجم مجموعة ومفترقة وسمى كتابا وانما هو مكتوب كما قال الشاعر فى البيت الذى استشهدنا به * وفيها * كتاب مثل ما لصق الغراء * يعنى به مكتوبا * وأما تأويل اسمه الذى هو الذكر فانه محتمل معنيين أحدهما انه ذكر من الله جل ذكره ذكر به عباده فعرفهم فيه حدوده وفرائضه وسائر ما أودعه من حكمه والآخر أنه ذكر وشرف وفخر لمن آمن به وصدق بما فيه كما قال جل ثناؤه وانه لذكر لك ولقومك يعنى به أنه شرف له ولقومه ۞ ثم لسور القرآن أسماء سماها بها رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا محمد بن بشار قال حدثنا أبو داود الطيالسى قال حدثنا أبو العوام وحدثنى محمد بن خلف العسقلانى قال حدثنا داود بن الجراح قال حدثنا سعيد بن بشير جميعا عن قتادة عن أبى المليح عن واثلة بن الاسقع أن النبى صلى الله عليه وسلم قال أعطيت مكان التوراة السبع الطول وأعطيت مكان الزبور المئين وأعطيت مكان الانجيل المثانى وفضلت بالمفصل وحدثنى يعقوب بن ابراهيم قال حدثنا ابن علية عن خالد الحذاء عن أبى قلابة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطيت السبع الطول مكان التوراة وأعطيت المثانى مكان الزبور وأعطيت المئين مكان الانجيل وفضلت بالمفصل قال خالد كانوا يسمون المفصل العربى قال خالد قال بعضهم ليس فى العربى سجدة وحدثنا محمد بن حميد قال حدثنا حكام بن سلم عن عمرو ابن أبى قيس عن عاصم عن المسيب عن ابن مسعود قال الطول كالتوراة والمئين كالانجيل والمثانى كالزبور وسائر القرآن بعد فضل على الكتب حدثنى أبو عبيد الوصابى قال حدثنا محمد بن حفص قال أنبأنا أبو حميد حدثنا الفزارى عن ليث بن أبى سليم عن أبى بردة عن أبى المليح عن واثلة بن الاسقع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أعطانى ربى مكان التوراة السبع الطول ومكان الانجيل المثانى ومكان الزبور المئين وفضلنى بالمفصل ۞ قال أبو جعفر فالسبع الطول البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف ويونس فى قول سعيد بن جبير حدثنى بذلك يعقوب ابن ابراهيم قال حدثنا هشيم عن أبى بشر عن سعيد بن جبير وقد روى عن ابن عباس قول يدل على موافقته قول سعيد هذا وذلك ما حدثنا به محمد بن بشار قال حدثنا ابن أبى عدى ويحيى بن سعيد ومحمد بن جعفر وسهل بن يوسف قالوا حدثنا عوف قال حدثنى يزيد الفارسى قال حدثنى ابن عباس قال قلت لعثمان بن عفان ما حملكم على أن عمدتم الى الانفال وهى من المثانى والى براءة وهى من المئين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموهما فى السبع الطول ما حملكم على ذلك قال عثمان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يأتى عليه الزمان وهو تنزل عليه السور ذوات العدد فكان اذا نزل عليه الشئ دعا بعض من كان يكتب فيقول ضعوا هذه الآيات

دان وطغا الماء وأقصا المدينة وأحيا الناس وكل ياءين اجتمعتا فى كلمة مثل الدنيا والعليا جعلت الاخيرة ألفا كراهة الجمع بين الياءين الا فى قوله تعالى يحيى وأمات وأحيى فى بعض المصاحف وكتب الزكوة والحيوة ومنوة ومشكوة وبالغدوة بالواو وكتب الصلوة بالواو الا فى الانعام وهم على صلاتهم يحافظون وصلاتى ونسكى وفى الانفال وما كان صلاتهم وفى أول المؤمنين فى صلاتهم خاشعون وفى المعارج على صلاتهم دائمون وفيها على صلاتهم يحافظون وفى أرأيت عن صلاتهم ساهون وكتب فاذا لا يؤتون الناس نقيرا وليكونا من الصاغرين ولنسفعا بالناصية بالالف والوقف عليها بالالف وكتب فى البقرة واخشونى ولأتم بالياء وفى المائدة واخشون اليوم واخشون ولا بغير ياء وكتب فى يوسف ومن اتبعنى وسبحان الله بالياء وفى آل عمران ومن اتبعن وقل بغير ياء وكتب فى سبحان الذى لئن أخرتن بغير ياء وفى المنافقون لولا أخرتنى بالياء وكتب فى يوسف ما نبغى بالياء وفى الكهف ما كنا نبغ بغير ياء وفى هود يوم يأت لا تكلم بغير ياء وفى النحل يوم تأتى كل نفس بالياء وفى الدخان يوم تأتى السماء بالياء وفى الانعام وقد هدان بغير ياء وانى هدانى بالياء وفى الاعراف ثم كيدون بغير ياء وفى هود فكيدونى جميعا بالياء وفى هود فلا تسئلن بغير ياء وفى الكهف فلا تسألنى بالياء وفى الكهف أن يهدين ربى بغير ياء وفى القصص أن يهدينى سواء السبيل بالياء وفى طه فاتبعونى وأطيعوا أمرى بالياء وفى الزخرف فاتبعون هذا بغير ياء وكذلك فى المؤمن وفى الاعراف فهو المهتدى بالياء وفى سبحان الذى وسورة الكهف فهو المهتد بغير ياء وفى ابراهيم قل لعبادى الذين آمنوا بالياء وفى الزمر فبشر عباد الذين بغير ياء وكتب الذى والذين بلام واحدة واللذان واللذين بلامين وكتب جزاء بغير واو وهزوا وكفوا بالواو وكتب بين المرء وجزء مقسوم ويخرج الخبء وملء الارض ودفء باسقاط الهمزة ومن غرائب الهجاء ونوادره ما كتب فى الفرقان وعتوا عتوا كبيرا بغير ألف وفى سبأ والذين سعو بغير ألف وفى الحشر والذين تبوءو الدار بواوين من غير ألف وفى المعصرات كنت ترابا بغير ألف وفى القلم بأييكم المفتون بياءين وفى آل عمران أفاين مات بالياء وفى الانبياء أفاين مت بغير ياء وكتب أفاقلتم ونحوه بالالف وكتب

في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا وكانت الانفال من أوائل ما نزل بالمدينة وكانت براءة من آخر القرآن نزولا وكانت قصتها شبيهة بقصتها فظننت أنها منها فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا أنها منها فمن أجل ذلك قرنت بينهما ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتهما في السبع الطول فهذا الخبر ينبئ عن عثمان بن عفان رحمة الله عليه انه لم يكن تبين له أن الانفال وبراءة من السبع الطول ويصرح عن ابن عباس أنه لم يكن يرى ذلك منها وانما سميت هذه السور السبع الطول لطولها على سائر سور القرآن وأما المئون فهي ما كان من سور القرآن عدد آيه مائة آية أو تزيد عليها شيأ أو تنقص منها شيأ يسيرا وأما المثاني فانها ما ثنى المئين فتلاها وكان المئون لها أوائل وكان المثاني لها ثواني وقد قيل ان المثاني سميت مثاني لتثنية الله جل ذكره فيها الامثال والخبر والعبر وهو قول ابن عباس حدثنا بذلك أبو كريب قال حدثنا ابن يمان عن سفيان عن عبد الله بن عثمان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وروى عن سعيد بن جبير أنه كان يقول انما سميت مثاني لانها ثنيت فيها الفرائض والحدود حدثنا بذلك محمد بن بشار قال حدثنا محمد بن جعفر قال حدثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير وقد قال جماعة يكثر تعدادهم القرآن كله مثان وقال جماعة أخرى بل المثاني فاتحة الكتاب لانها تثنى قراءتها في كل صلاة وسنذكر أسماء قائلي ذلك وعللهم والصواب من القول فيما اختلفوا فيه من ذلك اذا انتهينا الى تأويل قوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني ان شاء الله ذلك وبمثل ما جاءت به الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في أسماء سور القرآن التي ذكرت جاء شعر الشعراء فقال بعضهم

حلفت بالسبع اللواتي طولت * وبمئين بعدها قد أمئيت
وبمثان ثنيت فكررت * وبالطواسين التي قد ثلثت
وبالحواميم اللواتي سبعت * وبالمفصل اللواتي فصلت

۞ قال أبو جعفر رحمة الله عليه وهذه الابيات تدل على صحة التأويل الذي تأولناه في هذه الاسماء وأما المفصل فانها سميت مفصلا لكثرة الفصول التي بين سورها بسم الله الرحمن الرحيم ۞ قال أبو جعفر ثم تسمى كل سورة من سور القرآن سورة وتجمع سورا على تقدير خطبة وخطب وغرفة وغرف والسورة بغير همز المنزلة من منازل الارتفاع ومن ذلك سور المدينة سمى بذلك الحائط الذي يحويها لارتفاعه على ما يحويه غير أن السورة من سور المدينة لم يسمع في جمعها سور كما سمع في جمع سورة من القرآن سور قال العجاج في جمع السورة من البناء

فرب ذي سرادق محجور * سرت اليه في أعالي السور

فخرج بتقدير جمعها على تقدير جمع برة وبسرة لان جمع ذلك بر وبسر وكذلك لم يسمع في جمع سورة من القرآن سور ولو جمعت كذلك لم يكن خطأ في القياس اذا أريد به جميع القرآن وانما تركوا فيما نرى جمعه كذلك لان كل جمع كان بلفظ الواحد المذكر مثل بر وشعير وقصب وما أشبه ذلك فان جماعه كالواحد من الاشياء غيره لان حكم الواحد منه منفردا قلما يصاب فجرى جماعه مجرى الواحد من الاشياء غيره ثم جعلت الواحدة منه كالقطعة من جميعه فقيل برة وشعيرة وقصبة يراد به قطعة منه ولم تكن سور القرآن موجودة مجتمعة اجتماع البر والشعير وسور المدينة بل كل

فالدرتم ليس بين الدال والراء ولا بين الراء والتاء ألف في جميع المصاحف وكتب في الحاقة لبيان الحركة كتابيه وحسابيه وماليه وسلطانيه وفي القارعة ماهيه باثبات الهاء واختلف في لم يتسنه وفبهداهم اقتده أن الهاء فيهما لبيان الحركة أو لغير ذلك وكتب في سورة النساء فمال هؤلاء القوم وفي الكهف مال هذا الكتاب وفي الفرقان مال هذا الرسول وفي المعارج فمال الذين كفروا باللام مع ما مقطوعة عما بعدها (واعلم) أن هجاء المصحف كثير وقد ذكرنا منها ما هو أنفع للقارئ وأكثر فائدة وأما الحركات كلها فقد راعيناها الا ما شاء الله في كتابة متن القرآن من هذا الكتاب كما بلغنا عمن تقدمنا من السلف الصالحين والعلماء المتقين ورووا أنهم وجدوها في الامام كذلك وستراها في مواضعها ان شاء الله وانما كتبت هذه الحروف بعضها على خلاف بعض وفي الاصل واحدة لان الكتابة بالوجهين كانت جائزة عندهم فكتبوا بعضها على وجه وبعضها على وجه آخر جمعا بين المذهبين على أنهم كتبوا أكثرها على الاصل وكل ما كتب في المصحف على أصل لا يقاس عليه غيره من الكلام لان القرآن يلزمه لكثرة الاستعمال ما لا يلزم غيره واتباع المصحف في هجائه واجب ومن طعن في شئ من هجائه فهو كالطاعن في تلاوته لانه بالهجاء يتلى والفائدة للقارئ في معرفته أن يكون على يقين أن الذي يقرأ هو القرآن الذي أنزله الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بلا خلل فيه من جهة من الجهات وقال جماعة من الائمة ان الواجب على القراء والعلماء وأهل الكتاب أن يتبعوا هذا الرسم في خط المصحف فانه رسم زيد بن ثابت وكان أمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وكاتب وحيه وعلم من هذا العلم بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم ما لم يعلم غيره فما كتب شيأ من ذلك الا لعلة لطيفة وحكمة بليغة وان قصر عنها رأينا ألا ترى أنه لو كتب على صلوتهم وان صلوتك بالالف بعد الواو أو بالالف من غير واو لما دل ذلك الا على وجه واحد وقراءة واحدة وكذلك وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار كتب وسيعلم الكفر بغير ألف قبل الفاء ولا بعدها ليدل على القراءتين والله تعالى أعلم

(المقدمة الثامنة)

في أقسام الوقف الوقف قطع الكلمة اسما أو فعلا أو حرفا عما بعدها ولو فرضا وله عند أكثر الائمة خمس مراتب لازم ومطلق

وجائز ومجوز لوجه ومرخص ضرورة * فاللازم من الوقف مالو وصل طرفاه غير المرام وشنع الكلام كقوله تعالى وماهم بمؤمنين اذلووصل بقوله يخادعون الله صارت الجملة صفة للمؤمنين فانتفى الخداع عنهم وتقرر الايمان خالصا عن الخداع كما تقول ماهو بمؤمن مخادع ومراد الله جل ذكره نفي الايمان واثبات الخداع وفي نظائر ذلك كثرة يوصلك المرور بها الى العثور عليها * والمطلق مايحسن الابتداء بما بعده كالاسم المبتدابه نحو الله يجتبي اليه من يشاء وكالفعل المستأنف مع السين نحو سيقول السفهاء سيجعل الله بعد عسر يسرا وبغير السين نحو يعبدونني لايشركون بي شيأ الى غير ذلك من النظائر * والجائز ما يتجاذب فيه طرفا الوصل والوقف مثل وما أنزل من قبلك لان واو العطف تقتضي الوصل وتقديم المفعول على الفعل يقطع النظم فان التقدير ويوقنون بالآخرة * والمجوز لوجه مثل أولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة لان الفاء في قوله فلا يخفف عنهم والتعقيب يتضمن معنى الجواب والجزاء وذلك يوجب الوصل الا أن نظم الفعل على الاستئناف يرى للفصل وجها * والمرخص ضرورة مالا يستغني مابعده عما قبله لكن يرخص الوقف ضرورة انقطاع النفس لطول الكلام ولا يلزمه الوصل بالعود لان مابعده جملة مفهومة كقوله والسماء بناء لان قوله وأنزل لايستغني عن سياق الكلام فان فاعله ضمير يعود الى الصريح المذكور قبله غير أنها جملة مفهومة لكون الضمير مستكنا وان كان لايبرز الى النطق وأما مالا يجوز الوقف عليه فني مواجبه ومواقعه كثرة وسيتلى عليك مواقع الفصل والوصل في جميع القرآن مع علل ذلك مفصلة ان شاء الله تعالى وبعضهم قسم مراتب الوقوف الى ثلاث التام والكافي والحسن ولا مشاحة في الاصطلاحات بعد رعاية المعنى * ولكن علامة اللازم م وعلامة المطلق ط والجائز ج والمجوز ز والمرخص ص ومالاوقف عليه فعلامته لا وعلامة الآية دائرة صغيرة هكذا ه وانما التزمنا ايراد هذه الوقوف لدقة مسلكها وبلوغها في الغموض الى حيث قصر والبلاغة على معرفة الفصل والوصل الا أن ذلك بحسب الصياغة ومانحن فيه بطريق الصناعة وكل منهما تابع لارتباط المعنى بالمعنى وانفصاله عنه بالكل أو بالبعض وسيتلى عليك تفاصيلها وبالله التوفيق * (المقدمة التاسعة في تقسيمات يعرف منها اصطلاحات مهمة) * اللفظ اما أن يعتبر دلالته على تمام مسماه أو على جزء مسماه أو على لازمه الذهني الاول دلالة مطابقة

سورة منها موجودة منفردة بنفسها انفراد كل غرفة من الغرف وخطبة من الخطب فجعل جمعها جمع الغرف والخطب المبني جمعها من واحدها ومن الدلالة على أن معنى السورة المنزلة من الارتفاع قول نابغة بني ذبيان

ألم تر أن الله أعطاك سورة * ترى كل ملك دونها يتذبذب

يعني بذلك أن الله أعطاه منزلة من منازل الشرف التي قصرت عنها منازل الملوك وقد همز بعضهم السورة من القرآن وتأويلها في لغة من همزها القطعة التي قد أفضلت من القرآن عما سواها وأبقيت وذلك أن سؤر كل شئ البقية منه تبقى بعد الذي يؤخذ منه ولذلك سميت الفضلة من شراب الرجل يشربه ثم يفضلها فيبقيها في الاناء سؤرا ومن ذلك قول أعشى بني ثعلبة يصف امرأة فارقته فأبقت في قلبه من وجدها بقية

فبانت وقد أسأرت في الفؤا * د صدعا على نأيها مستطيرا

وقال الاعشى في مثل ذلك

بانت وقد أسأرت في النفس حاجتها * بعد ائتلاف وخير الود مانفعا

وأما الآية من آي القرآن فانها تحتمل وجهين في كلام العرب أحدهما أن تكون سميت آية لانها علامة يعرف بها تمام ماقبلها وابتداؤها كالآية التي تكون دلالة على الشئ يستدل بها عليه كقول الشاعر

ألكني اليها عمرك الله يافتى * بآية ماجاءت الينا تهاديا

يعني بعلامة ذلك ومنه قوله جل ذكره ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك أي علامة منك لاجابتك دعاءنا واعطائك ايانا سؤلنا والآخر منهما القصة كما قال كعب بن زهير بن أبي سلمى

ألا أبلغا هذا المعرض آية * أيقظان قال القول اذ قال أم حلم

يعني بقوله آية رسالة مني وخبرا عني فيكون معنى الآيات القصص قصة تتلو قصة بفصول ووصول

﴿ القول في تأويل أسماء فاتحة الكتاب ﴾ قال أبو جعفر صح الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما حدثني به يونس بن عبد الاعلى قال حدثنا ابن وهب قال أخبرني ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هي أم القرآن وهي فاتحة الكتاب وهي السبع المثاني فهذه أسماء فاتحة الكتاب وسميت فاتحة الكتاب لانها يفتتح بكتابتها المصاحف ويقرأ بها في الصلوات فهي فواتح لما يتلوها من سور القرآن في الكتابة والقراءة وسميت أم القرآن لتقدمها على سائر سور القرآن غيرها وتأخر ماسواها خلفها في القراءة والكتابة وذلك من معناها شبيه بمعنى فاتحة الكتاب وانما قيل لها لكونها كذلك أم القرآن لتسمية العرب كل جامع أمرا أو مقدم لأمر اذا كانت له توابع تتبعه هو لها امام جامع أما فتقول للجلدة التي تجمع الدماغ أم الرأس وتسمي لواء الجيش ورايتهم التي يجتمعون تحتها للجيش أما ومن ذلك قول ذي الرمة يصف راية معقودة على قناة يجتمع تحتها هو وصحبه

كدلالة البيت على مجموع الحائط والسقف والثانى دلالة تضمن كدلالة البيت على السقف أو الحائط والثالث دلالة الالتزام كدلالة السقف
على الحائط والدلالة الاولى وضعية صرفة والباقيتان عشاركة من الوضع والعقل * (تقسيم آخر) * اللفظ اما أن يقصد بجزء منه دلالة على جزء
معناه وهو المركب كعبد الله غير علم أولا يقصد وهو المفرد ويشمل مالا جزء له أصلا مثل ق علما وما كان له جزء ولكن لا يدل على معنى أصلا
نحو زيد وما كان له جزء دال على معنى لكن لا فى ذلك المسمى نحو أسد الله علما للشخص الانسانى وماله جزء دال على معنى

وأسمر قوام اذا نام صحبتى * خفيف الثياب لا توارى له أزرا
على رأسه أم لنا نقتدى بها * جماع أمور لا نعاصى لها أمرا
اذا نزلت قيل انزلوا واذا غدت * غدت ذات برزيق ننال بها فخرا

يعنى بقوله على رأسه أم لنا أى على رأس الرمح راية يجتمعون لها فى النزول والرحيل وعند لقاء العدو وقد قيل ان مكة سميت أم القرى لتقدمها أمام جميعها وجمعها ما سواها وقيل انما سميت بذلك لان الارض دحيت منها فصارت لجميعها أما ومن ذلك قول حميد بن ثور الهلالى

اذا كانت الخمسون أمك لم يكن * لدائك الا أن تموت طبيب

لان الخمسين جامعة ما دونها من العدد فسماها أما للذى قد بلغها وأما تأويل اسمها أنها السبع فانها سبع آيات لا خلاف بين الجميع من القراء والعلماء فى ذلك وانما اختلفوا فى الآى التى صارت بها سبع آيات فقال أعظم أهل الكوفة صارت سبع آيات ببسم الله الرحمن الرحيم وروى ذلك عن جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين وقال آخرون هى سبع آيات وليس منهن بسم الله الرحمن الرحيم ولكن السابعة أنعمت عليهم وذلك قول أعظم قراء أهل المدينة ومتفقهيهم ۞ قال أبو جعفر وقد بينا الصواب من القول عندنا فى ذلك فى كتابنا اللطيف فى أحكام شرائع الاسلام بوجيز من القول وسنستقصى بيان ذلك بحكاية أقوال المختلفين فيه من الصحابة والتابعين والمتقدمين والمتأخرين فى كتابنا الاكبر فى أحكام شرائع الاسلام ان شاء الله ذلك وأما وصف النبى صلى الله عليه وسلم آياتها السبع بأنهن مثان فلانها تثنى قراءتها فى كل صلاة تطوع ومكتوبة وكذلك كان الحسن البصرى يتأول ذلك حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال حدثنا ابن علية عن أبى رجاء قال سألت الحسن عن قوله ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم قال هى فاتحة الكتاب ثم سئل عنها وأنا أسمع فقرأها الحمد لله رب العالمين حتى أتى على آخرها فقال تثنى فى كل قراءة أو قال فى كل صلاة الشك من أبى جعفر والمعنى الذى قلنا فى ذلك قصد أبو النجم العجلى بقوله الحمد لله الذى عافانى * وكل خير بعده أعطانى * من القرآن ومن المثانى
وكذلك قول الراجز الآخر

نشدتكم بمنزل الفرقان * أم الكتاب السبع من مثانى
ثنين من آى من القرآن * والسبع سبع الطول الدوانى

وليس فى وجود اسم السبع المثانى لفاتحة الكتاب ما يدفع صحة وجود اسم المثانى للقرآن كله ولما يثنى من السور لان لكل ذلك وجها ومعنى مفهوما لا يفسد بتسمية بعض ذلك بالمثانى تسمية غيره بها فاما وجه تسمية ما ثنى المئين من سور القرآن بالمثانى فقد بينا صحته وسندل على صحة وجه تسمية جميع القرآن به عند انتهائنا اليه فى سورة الزمر ان شاء الله ۞ القول فى تأويل الاستعاذة ۞ تأويل قوله أعوذ ۞ قال أبو جعفر والاستعاذة الاستجارة وتأويل قول القائل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم أستجير بالله دون غيره من سائر خلقه من الشيطان أن يضرنى فى دينى أو يصدنى عن حق يلزمنى لربى ۞ تأويل قوله من الشيطان ۞ قال أبو جعفر والشيطان فى كلام العرب

فى ذلك المسمى لكنه لم يقصد مثل عبد الله علما له * (تقسيم آخر) * اللفظ المفرد باعتبار وحدته ووحدة مدلوله وتعددهما أربعة أقسام الاول اللفظ واحد والمدلول واحد الثانى مقابل ذلك أى اللفظ كثير والمعنى كثير الثالث اللفظ واحد والمعنى كثير الرابع عكسه المعنى واحد واللفظ كثير فالاول ان اشترك فى مفهومه كثيرون مجردا عن سبب من خارج فهو الكلى ويقال له اسم الجنس وهو أقسام ستة لانه اما موجود أو معدوم والموجود اما واحد أو كثير والواحد اما أن يكون مثله ممكنا كالشمس أو غير ممكن كالاله والكثير اما متناه كالكواكب أو غير متناه كالعدد والمعدوم اما ممكن الوجود فى الخارج كجبل من ذهب أو غير ممكن كشريك الاله وعلى التقادير فان تفاوت وقوعه على أفراده بان يكون لبعضها أولى أو أوّل أو أشد كالوجود للخالق والمخلوق فان وقوعه على الخالق أوّل وأولى وأشد وكالابيض على الثلج والعاج فان وقوعه على الثلج أشد فاللفظ مشكك لانه يشكك بالنسبة الى السامع فى أنه متواطئ نظرا الى اشتراك الكل فى أصل المعنى أو مشترك نظرا الى اختلافها فى ذلك وان لم يكن فى وقوعه تفاوت
فمتواطئ كالانسان بالنسبة الى أفراده فان كلها متوافقة فى الانسانية مستوية فيها وان لم يشترك فى مفهومه كثيرون فهو الجزئى
علم ان استقل فى الدلالة بحيث لا يحتاج الى أمر ينضم اليه من قرينة التخاطب والتكلم وتقدم الذكر ولام العهد والاشارة مضمر ان احتاج
الى احدى القرائن الثلاث الاول ومبهم ان احتاج الى شئ من الباقيتين والعلم اما اسم كابراهيم وموسى وعيسى واما أن يكون لقبا اشتهر المسمى
به مدحا أو ذما كاسرائيل أو كنية وتختص عما فى أوله الاب أو الام أو البنت أو الابن نحو أبى لهب وأم القرى وابنة عمران وابن مريم

وقد يكون العلم علما للجنس باسره بحيث لا يكون بعض أفراده الخارجة أولى بذلك من بعض لكونه للحقيقة الذهنية ليس فيها معنى الاستغراق ولا الوحدة الخارجية واذا أطلق على فرد من أفراده الخارجية نحو هذا أسامة مقبلا فليس ذلك بالوضع بل لمطابقة الحقيقة الذهنية لكل فرد خارجي مطابقة كل كلي طبيعي لجزئياته فهذه تمام أقسام القسم الاول وهو أن اللفظ واحد والمعنى واحد (الثاني) من الاربعة متباينة كالانسان والفرس (الثالث) ان كان اللفظ حقيقة للمتعدد من (٣٨) مدلولاته بان كان موضوعا للجميع فمشترك والا فنقول ان نقل من الموضوع له الى معنى آخر لعلاقة واشتهر فيه عرفي ان كان الناقل هو العرف العام واصطلاحي ان كان العرف الخاص وشرعي ان كان الشرع والا فبالنسبة الى المنقول عنه حقيقة وبالنسبة الى المنقول اليه مجاز ان انتقل من الملزوم الى اللازم وكناية ان كان العكس وان نقل لا لعلاقة فمرتجل (الرابع من الاقسام) مترادفة كالليث والاسد ولا يخفى أن القسمين الاولين والقسم الرابع ثلاثتها نصوص في معناها أما الاول فلاتحاد المعنى الموجب لعدم احتمال الغير وهو معنى النص وأما التكثر في اللفظ والمعنى فلانه حينئذ يكون لكل معنى لفظ فيتحد المعنى فلا يحتمل اللفظ غير ذلك وأما الرابع فلاشتراط الاتحاد في المعنى وأما القسم الثالث وهو أن اللفظ واحد والمعنى كثير فينقسم الى مجمل وظاهر ومؤول لان اللفظ بالنسبة الى ثلاث المعاني ان كان متساوي الدلالة فهو المجمل وبازائه المبين وان كانت متفاوتة فالراجح هو الظاهر والمرجوح هو المؤول فالاول كقوله تعالى ثلثة قروء فان دلالة القرء بالنسبة الى الطهر والحيض على السواء والثاني نحو أقيموا الصلوة فان الامر كما يحتمل الوجوب يحتمل الندب والصلاة كما يحتمل ذات الاركان يحتمل الدعاء الا أن الامر بالنسبة الى الوجوب راجح والصلاة بالنسبة الى الهيآت المخصوصة راجحة والثالث نحو يد الله فوق أيديهم فان اليد تحتمل القدرة والجارحة لكنها بالنسبة الى القدرة مرجوحة مع فالرجحان مشترك بين النص والظاهر ويسمى بالمحكم وعدم الرجحان مشترك بين المجمل والمؤول ويشملهما المتشابه والنص يمتاز عن الظاهر بانه لا يحتمل الغير والظاهر يحتمله احتمالا مرجوحا والمجمل يتميز بكونه غير مرجوح والمؤول مرجوح والتأويل اشتقاقه من آل يؤول أي رجع وفي الاصطلاح كما تقرر حمل الظاهر على المحتمل المرجوح فيشمل التأويل الفاسد والتأويل الصحيح فان أريد التأويل الصحيح فقط فقد

كل متمرد من الجن والانس والدواب وكل شئ وكذلك قال ربنا جل ثناؤه وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن فجعل من الانس شياطين مثل الذي جعل من الجن وقال عمر بن الخطاب رحمة الله عليه وركب برذونا فجعل يتبختر به فجعل يضربه فلا يزداد الا تبخترا فنزل عنه وقال ما حملتموني الا على شيطان ما نزلت عنه حتى أنكرت نفسي حدثنا بذلك يونس بن عبد الاعلى قال أنبأنا ابن وهب قال خبرني هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر ۞ قال أبو جعفر وانما سمي المتمرد من كل شئ شيطانا لمفارقة أخلاقه وأفعاله أخلاق سائر جنسه وأفعاله وبعده من الخير وقد قيل انه أخذ من قول القائل شطنت داري من دارك يريد بذلك بعدت ومن ذلك قول نابغة بني ذبيان

نأت بسعاد عنك نوى شطون * فبانت والفؤاد بها رهين

والنوى الوجه الذي نوته وقصدته والشطون البعيد فكأن الشيطان على هذا التأويل فيعال من شطن ومما يدل على أن ذلك كذلك قول أمية بن أبي الصلت

أيما شاطن عصاه عكاه * ثم يلقى في السجن والأكبال

ولو كان فعلان من شاط يشيط لقال أيما شائط ولكنه قال أيما شاطن لانه من شطن يشطن فهو شاطن ۞ تأويل قوله الرجيم * وأما الرجيم فهو فعيل بمعنى مفعول كقول القائل كف خضيب ولحية دهين ورجل لعين يريد بذلك مخضوبة ومدهونة وملعون وتأويل الرجيم الملعون المشتوم وكل مشتوم بقول رديء أو سب فهو مرجوم وأصل الرجم الرمي بقول كان أو بفعل ومن الرجم بالقول قول أبي ابراهيم لابراهيم صلوات الله عليه لئن لم تنته لأرجمنك وقد يجوز أن يكون قيل للشيطان رجيم لان الله جل ثناؤه طرده من سمواته ورجمه بالشهب الثواقب وقد روي عن ابن عباس أن أول ما نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم علمه الاستعاذة حدثنا أبو كريب قال حدثنا عثمان ابن سعيد قال حدثنا بشر بن عمارة قال حدثنا أبو روق عن الضحاك عن عبد الله بن عباس قال أول ما نزل جبريل على محمد قال يا محمد قل أستعيذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم ثم قال قل بسم الله الرحمن الرحيم ثم قال اقرأ باسم ربك الذي خلق قال عبد الله وهي أول سورة أنزلها الله على محمد بلسان جبريل فأمره أن يتعوذ بالله دون خلقه ۞ القول في تأويل بسم الله الرحمن الرحيم القول في تأويل بسم ۞ قال أبو جعفر ان الله تعالى ذكره وتقدست أسماؤه أدب نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بتعليمه تقديم ذكر أسمائه الحسنى أمام جميع أفعاله وتقدم اليه في وصفه بها قبل جميع مهماته وجعل ما أدبه به من ذلك وعلمه اياه منه لجميع خلقه سنة يستنون بها وسبيلا يتبعونه عليها في افتتاح أوائل منطقهم وصدور رسائلهم وكتبهم وحاجاتهم حتى أغنت دلالة ما ظهر من قول القائل بسم الله على ما بطن من مراده الذي هو محذوف وذلك أن الباء من بسم الله مقتضية فعلا يكون لها جالبا ولا فعل معها ظاهر فأغنت سامع القائل بسم الله معرفته بمراد قائله من اظهار قائل ذلك مراده قولا اذ كان كل ناطق به عند افتتاحه أمرا قد أحضر منطقه به إما معه وإما قبله بلا فصل ما قد أغنى سامعه من دلالة شاهدة على الذي من أجله افتتح قيله به فصار استغناء سامع ذلك منه عن اظهار ما حذف منه نظير استغنائه اذا سمع قائلا قيل له ما أكلت اليوم فقال طعاما عن أن يكرر المسؤل

زيد في الرسم بدليل يصيره راجحا أي بحسب ذلك الدليل وان كان مرجوحا بحسب مفهوم اللفظ وضعا أو عرفا كما قلنا في اليد بمعنى القدرة * واذا عرفت الاقسام الاربعة باسرها فنقول كل منها قد يكون مشتقا ان وجد له أصل يرجع اليه كالموجود والضارب بالاضافة الى الوجود والضرب فان معنى الاشتقاق أن تجد بين اللفظين تناسبا في المعنى والتركيب فترد أحدهما الى الآخر وقد يكون غير مشتق ان فقد له أصل كالوجود والانسان وغير المشتق صفة ان دل على معنى قائم بالذات كالعلم والكتابة وغير (٣٩) صفة ان لم يدل كالجسم مثلا (تنبيه) العلاقة المعتبرة في المجاز انما تقع بحكم الاستقراء على نيف وعشرين وجها منها الاشتراك في صفة ظاهرة كالاسد على الرجل الشجاع لا على الابخر لخفاء ذلك وهذا معظم أنواع المجاز لانه اطلاق اسم الملزوم على اللازم وأكثر المجازات بل جميعها يرجع الى ذلك ومنها الاشتراك في الشكل كالانسان للصورة المنقوشة ومنها كونه آئلا الى ذلك كالخمر للعصير أو كائنا عليه كالعبد على من أعتق ومنها المجاورة مثل جرى الميزاب اذ الجاري في الحقيقة هو الماء لا الميزاب المجاور له ومنها اطلاق اسم الحال على المحل مثل فأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون أي في الجنة لانها محل الرحمة ومنها عكسه كقوله صلى الله عليه وسلم لا يفضض الله فاك أي أسنانك اذ الفم محل الاسنان ومنها اطلاق اسم السبب على المسبب كقوله صلى الله عليه وسلم بلوا أرحامكم ولو بالسلام أي صلوها فانهم لما رأوا بعض الاشياء يتصل بالنداوة استعار صلى الله عليه وسلم البل للوصل ومنها عكس ذلك كقولهم للخمر اثم لكون الاثم مسببا عنها ومنها اطلاق الكل على الجزء نحو يجعلون أصابعهم في آذانهم أي أناملهم ومنها العكس نحو كل شئ هالك الا وجهه أي ذاته ومنها اسم المطلق على المقيد كقوله فياليت كل اثنين بينهما هوى * من الناس قبل اليوم يلتقيان أي قبل يوم القيامة ومنها العكس كقول شريح أصبحت ونصف الخلق علي غضبان يريد المحكوم عليهم وظاهر أنهم ليسوا النصف سواء ومنها اسم الخاص على العام كقوله سبحانه وحسن أولئك رفيقا أي رفقاء له تعالى ومنها العكس كقوله سبحانه حكاية عن محمد صلى الله عليه وسلم وأنا أول المسلمين لان الانبياء قبله كانوا كذلك ومنها كون المضاف محذوفا نحو واسئل القرية ومنها كون المضاف اليه محذوفا كقوله

مع قوله طعاما أكلت لما قد ظهر لديه من الدلالة على أن ذلك معناه بتقدم مسئلة السائل اياه عما أكل فنقول اذا أن قول القائل اذا قال بسم الله الرحمن الرحيم ثم افتتح تاليا سورة أن إتباعه بسم الله الرحمن الرحيم تلاوة السورة ينبئ عن معنى قوله بسم الله الرحمن الرحيم ومفهوم به أنه مريد بذلك أقرأ بسم الله الرحمن الرحيم وكذلك قوله بسم الله عند نهوضه للقيام أو عند قعوده وسائر أفعاله ينبئ عن معنى مراده بقوله بسم الله وانه أراد بقيله بسم الله أقوم بسم الله وأقعد باسم الله وكذلك سائر الافعال وهذا الذي قلنا في تأويل ذلك هو معنى قول ابن عباس الذي حدثنا به أبو كريب قال حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثنا بشر بن عمارة قال حدثنا أبو روق عن الضحاك عن عبد الله بن عباس قال ان أول ما نزل به جبريل على محمد قال يا محمد قل أستعيذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم ثم قال قل بسم الله الرحمن الرحيم قال قال له جبريل قل بسم الله يا محمد يقول اقرأ بذكر الله ربك وقم واقعد بذكر الله ﷺ قال أبو جعفر فان قال لنا قائل فان كان تأويل قول بسم الله ما وصفت والجالب الباء في بسم الله ما ذكرت فكيف قيل بسم الله بمعنى أقرأ بسم الله أو أقوم أو أقعد بسم الله وقد علمت أن كل قارئ كتاب الله فبعون الله وتوفيقه قراءته وأن كل قائم أو قاعد أو فاعل فعلا فبالله قيامه وقعوده وفعله وهلا اذ كان ذلك كذلك قيل بالله الرحمن الرحيم ولم يقل بسم الله فان قول القائل أقوم وأقعد بالله الرحمن الرحيم أو أقرأ بالله أوضح معنى لسامعه من قوله بسم الله اذ كان قوله أقوم وأقعد بسم الله يوهم سامعه أن قيامه وقعوده بمعنى غير الله قيل له ان المقصود اليه من معنى ذلك غير ما توهمته في نفسك وانما معنى قوله بسم الله أبدأ بتسمية الله وذكره قبل كل شئ أو أقرأ بتسمية الله أو أقوم وأقعد بتسمية الله وذكره لا أنه يعني بقيله بسم الله أقوم بالله أو أقرأ بالله فيكون قول القائل أقرأ بالله أو أقوم وأقعد بالله أولى بوجه الصواب في ذلك من قوله بسم الله فان قال فان كان الامر في ذلك على ما وصفت فكيف قيل بسم الله وقد علمت أن الاسم اسم وأن التسمية مصدر من قولك سميت قيل ان العرب قد تخرج المصادر مبهمة على أسماء مختلفة كقولهم أكرمت فلانا كرامة وانما بناء مصدر أفعلت اذا أخرج على فعله الافعال وكقولهم أهنت فلانا هوانا وكلمته كلاما وبناء مصدر فعلت التفعيل ومن ذلك قول الشاعر

أكفرا بعد رد الموت عني * وبعد عطائك المائة الرتاعا

يريد اعطائك ومنه قول الآخر

وان كان هذا البخل منك سجية * لقد كنت في طولي رجاءك أشعبا

يريد في إطالتي رجاءك ومنه قول الآخر

أظلوم إن مصابكم رجلا * أهدى السلام تحية ظلم

يريد اصابتكم والشواهد في هذا المعنى تكثر وفيما ذكرنا كفاية لمن وفق لفهمه فاذا كان الامر على ما وصفنا من اخراج العرب مصادر الافعال على غير بناء أفعالها كثيرا وكان تصديرها اياها على مخارج الاسماء موجودا فاشيا تبين بذلك صواب ما قلنا من التأويل في قول القائل بسم الله أن معناه في ذلك عند ابتدائه في فعل أو قول أبدأ بتسمية الله قبل فعلي أو قبل قولي وكذلك معنى قول

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا * أى أنا ابن رجل جلا ومنها اطلاق اسم آلة الشئ عليه مثل واجعل لى لسان صدق أى ذكرا حسنا لان اللسان آلة الذكر ومنها اطلاق اسم الشئ على بدله كما يقال فلان أكل الدم أى ديته قال * يأكلن كل ليلة إكافا * أى ثمن إكاف ومنها اطلاق النكرة للعموم كقوله عز من قائل علمت نفس ما أحضرت أى كل نفس ومنها اطلاق اسم أحد الضدين على الآخر مثل وجزاء سيئة سيئة مثلها اذ جزاء السيئة حسنة ومنه قولهم (٤٠) قاتله الله ما أحسن ما قال يريدون الدعاء له ومنها اطلاق المعرف باللام وارادة واحد منكر كقوله تعالى ادخلوا الباب سجدا أى بابا من أبوابها وسيجئ ومنها الحذف نحو يبين الله لكم أن تضلوا أى لئلا تضلوا ومنها الزيادة نحو ليس كمثله شئ * واعلم أن المجاز بالحقيقة فرع من فروع التشبيه لانك اذا قلت زيد أسد فكانك قلت زيد كالاسد فى الجراءة فيستدعى مشبها ومشبها به ووجه شبه بينهما والمشبه والمشبه به قد يكونان حسيين كقولك خده كالورد أو عقليين كالعلم اذا شبه بالحياة أو أحدهما محسوسا والآخر معقولا كالعطر اذا شبه بخلق كريم أو كالعدل اذا شبه بالقسطاس والخياليات كالشقيق اذا شبه باعلام ياقوت منشرة ملزوزة فى قرن والوهميات فى قولك نطقت الحال بشئ هو لها شبيه باللسان فانه صورة وهمية محضة وكذا الوجدانيات كاللذة والالم والشبع والجوع ملحقة بالعقليات ووجه التشبيه اما أن يكون أمرا واحدا أولا وحينئذ إما أن لا يكون فى حكم الواحد كما اذا شبهت انسانا بالشمس فى حسن الطلعة ونباهة الشان وعلو الرتبة أو يكون وذلك لكونه اما حقيقة ملتئمة من أوصاف كسقط النار اذا شبه بعين الديك فى الهيئة الحاصلة من الحمرة والشكل الكروى والمقدار المخصوص واما أوصافا مقصودا من مجموعها هيئة واحدة كقوله كأن مثار النقع فوق رؤسنا * وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه فرفع فليس المراد تشبيه النقع بالليل ثم تشبيه السيوف بالكواكب انما المراد تشبيه الهيئة الحاصلة من النقع الاسود والسيوف البيض حال كون السيوف متفرقات فيه بالهيئة الحاصلة من الليل المظلم والكواكب المشرقة فى جوانب منه ويسمى هذا تشبيه المركب بالمركب ومتى كان وجه التشبيه وصفا غير حقيقى وكان منتزعا من عدة أمور خص باسم التمثيل كما فى قوله عز من قائل

القائل عند ابتدائه تلاوة القرآن بسم الله الرحمن الرحيم انما معناه أقرأ مبتدئا بتسمية الله أو أبتدئ قراءتى بتسمية الله فجعل الاسم مكان التسمية كما جعل الكلام مكان التكليم والعطاء مكان الاعطاء وبمثل الذى قلنا من التأويل فى ذلك روى الخبر عن عبد الله بن عباس حدثنا أبو كريب قال حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثنا بشر بن عمارة قال حدثنا أبو روق عن الضحاك عن عبد الله بن عباس قال أول ما نزل جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم قال يا محمد قل أستعيذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم ثم قال قل بسم الله الرحمن الرحيم قال ابن عباس بسم الله يقول له جبريل يا محمد اقرأ بذكر الله ربك وقم واقعد بذكر الله وهذا التأويل من ابن عباس ينبئ عن صحة ما قلنا من انه يراد بقول القائل مفتتحا قراءته بسم الله الرحمن الرحيم أقرأ بتسمية الله وذكره وأفتتح القراءة بتسمية الله باسمائه الحسنى وصفاته العلى وفساد قول من زعم ان معنى ذلك من قائله بالله الرحمن الرحيم فى كل شئ مع أن العباد انما أمروا أن يبتدئوا عند فواتح امورهم بتسمية الله لا بالخبر عن عظمته وصفاته كالذى أمروا به من التسمية على الذبائح والصيد وعند المطعم والمشرب وسائر أفعالهم وكذلك الذى أمروا به من تسميته عند افتتاح تلاوة تنزيل الله وصدور رسائلهم وكتبهم ولا خلاف بين الجميع من علماء الامة أن قائلا لو قال عند تذكيته بعض بهائم الانعام بالله ولم يقل بسم الله أنه مخالف بتركه قيل بسم الله ما سن له عند التذكية من القول وقد علم بذلك انه لم يرد بقوله بسم الله بالله كما قال الزاعم أن اسم الله فى قول الله بسم الله الرحمن الرحيم هو الله لان ذلك لو كان كما زعم لوجب أن يكون القائل عند تذكيته ذبيحته بالله قائلا ما سن له من القول على الذبيحة وفى اجماع الجميع على أن قائل ذلك تارك ما سن له من القول على ذبيحته اذا لم يقل بسم الله دليل واضح على فساد ما ادعى من التأويل فى قول القائل بسم الله انه مراد به بالله وان اسم الله هو الله وليس هذا الموضع من مواضع الاكثار فى الابانة عن الاسم أهو المسمى أم غيره أم هو صفة له فنطيل الكتاب به وانما هذا موضع من مواضع الابانة عن الاسم المضاف الى الله أهو اسم أم مصدر بمعنى التسمية فان قال قائل فما أنت قائل فى بيت لبيد بن ربيعة

الى الحول ثم اسم السلام عليكما * ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

فقد تأوله مقدم فى العلم بلغة العرب أنه معنى به ثم السلام عليكما وان اسم السلام هو السلام قيل له لو جاز ذلك وصح تأويله فيه على ما تأول لجاز أن يقال رأيت اسم زيد وأكلت اسم الطعام وشربت اسم الشراب وفى اجماع جميع العرب على إحالة ذلك ما ينبئ عن فساد تأويل من تأول قول لبيد ثم اسم السلام عليكما أنه أراد ثم السلام عليكما وادعائه ان ادخال الاسم فى ذلك واضافته الى السلام انما جاز اذ كان اسم المسمى هو المسمى بعينه ويسئل القائلون قول من حكينا قوله هذا فيقال لهم أتستجيزون فى العربية أن يقال أكلت اسم العسل يعنى بذلك أكلت العسل كما جاز عندكم اسم السلام عليك وأنتم تريدون السلام عليك فان قالوا نعم خرجوا من لسان العرب وأجازوا فى لغتها ما تخطئه جميع العرب فى لغتها وان قالوا لا سئلوا الفرق بينهما فلن يقولوا فى أحدهما قولا الا ألزموا فى الآخر مثله فان قال لنا قائل فما معنى قول لبيد هذا عندك قيل له يحتمل ذلك وجهين كلاهما غير الذى قاله من حكينا قوله أحدهما ان السلام اسم من أسماء الله فجائز أن يكون لبيد عنى بقوله ثم اسم السلام عليكما ثم الزما اسم الله وذكره بعد ذلك ودعا ذكرى والبكاء على وجه الاغراء

مثلهم كمثل الذى استوقد نارا الآية وسيجيء تفسيرها ثم ان التشبيه التمثيلي اذا فشا استعماله على سبيل الاستعارة لا غير سمي مثلا كقولك لمن تردد فى أمر يقدّم رجلا ويؤخر أخرى وذلك أن الاستعارة هى أن تذكر أحد طرفى التشبيه وتريد به الطرف الآخر مدعيا دخول المشبه فى جنس المشبه به دالا على ذلك باثباتك للمشبه ما يخص المشبه به كما تقول فى الحمام أسد وأنت تريد به الشجاع مدعيا أنه من جنس الاسد فتثبت للشجاع ما يخص المشبه به وهو اسم جنسه أعنى الاسد مع سد طريق التشبيه بافراده فى الذكر لان التشبيه لا بد له من طرفين مشبه ومشبه به فاذا أفردت بالذكر أحدهما فكأنك قد سددت طريق التشبيه فاذن الاستعارة نوع من المجاز لان المستعار له وهو زيد مثلا فى قولك زيد أسد يبرز فى معرض المستعار منه وهو الاسد نظرا الى الدعوى وهذا شأن العارية وانما جرأهم على الدعوى ما رأوا بينهما من الاشتراك فى اللازم وهو الشجاعة والاستعارة فى نحو عندى أسد اذا لم تعقب بصفات ملائمة أو تفريع كلام لا تكون مجردة ولا مرشحة لفقد موضوعى التجريد والترشيح وانما يلحقها التجريد والترشيح اذا عقبت بذلك فتى عقبت بصفات ملائمة للمستعار له سميت مجردة نحو ساورت أسدا شاكى السلاح طويل القناة واذا عقبت بصفات ملائمة للمستعار منه سميت مرشحة نحو ساورت أسدا وافى البراثن هصورا * وقد بقي من الاصطلاحات قولهم هذا عام أو خاص أو مطلق أو مقيد فالعام ما دل على مسميات باعتبار أمر اشتركت فيه مطلقا ضربة فقولنا ما دل ليشمل العموم باللفظ والمعنى جميعا فان العموم من عوارض المعانى أيضا حقيقة كقولهم عم المطر والخصب وكذلك المعنى الكلى كالانسان لشموله الجزئيات التى تحته وقولنا على مسميات ليخرج المسمى وليدخل فى العام المعدوم والمستحيل اذ لو قلنا على أشياء لخرجا بناء على أنهما ليسا بشيء وقولنا باعتبار أمر اشتركت تلك المسميات فيه ليخرج نحو عشرة وغيرها من أسماء العدد النكرات فانها وان دلت على مسميات هى آحادها لكن لا باعتبار أمر اشتركت هى فيه بل باعتبار وضع اسم العدد للمجموع وكذا الكلام فى كل ذى أجزاء حسية أو عقلية وقولنا مطلقا ليخرج الرجال المعهودون فانها بقرينة العهد وضربة احترازا من نحو رجل فانه وان دل على مسميات باعتبار كونه كل منها ذكرا من بنى آدم مطلقا لكن لا دفعة بل على سبيل البدل ولهذا لا يخرج نحو رجال اذا تأملت فهذا احد

فرفع الاسم اذا أخر الحرف الذى يأتى بمعنى الاغراء وقد تفعل العرب ذلك اذا أخرت الاغراء وقدمت المغرى به وان كانت قد تنصب به وهو مؤخر ومن ذلك قول الشاعر

يا أيها المائح دلوى دونكا * انى رأيت الناس يحمدونكا

فأغرى بدونك وهى مؤخرة وانما معناه دونك دلوى فكذلك قول لبيد الى الحول ثم اسم السلام عليكما يعنى عليكما اسم السلام أى الزما ذكر الله ودعا ذكرى والوجد بى لان من بكى حولا على امرئ ميت فقد اعتذر فهذا أحد وجهيه والوجه الآخر منهما ثم تسميتى الله عليكما كما يقول القائل للشئ يراه فيعجبه اسم الله عليك يعوذه بذلك من السوء فكأنه قال ثم اسم الله عليكما من السوء وكان الوجه الاول أشبه المعنيين بقول لبيد ويقال لمن وجه بيت لبيد هذا الى أن معناه ثم السلام عليكما أترى ما قلنا من هذين الوجهين جائزا أو أحدهما أو غير ما قلت فيه فان قال لا أبان مقدار من العلم بتصاريف وجوه كلام العرب وأغنى خصمه عن مناظرته وان قال بلى قيل له فما برهانك على صحة ما ادعيت من التأويل أنه الصواب دون الذى ذكرت أنه محتمله من الوجه الذى يلزمنا تسليمه لك ولا سبيل الى ذلك وأما الخبر الذى حدثنا به اسمعيل بن الفضل قال حدثنا ابراهيم بن العلاء بن الضحاك قال حدثنا اسمعيل بن عياش عن اسمعيل بن يحيى عن ابن أبى مليكة عمن حدثه عن ابن مسعود ومسعر بن كدام عن عطية عن أبى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عيسى بن مريم أسلمته أمه الى الكتاب ليعلمه فقال له المعلم اكتب بسم فقال له عيسى وما بسم فقال له المعلم ما أدرى فقال عيسى الباء بهاء الله والسين سناؤه والميم مملكته فأخشى أن يكون غلطا من المحدث وأن يكون أراد ب س م على سبيل ما يعلم المبتدئ من الصبيان فى الكتاب حروف أبى جاد فغلط بذلك فوصله فقال بسم لانه لا معنى لهذا التأويل اذا تلى بسم الله الرحمن الرحيم على ما يتلوه القارئ فى كتاب الله لاستحالة معناه عن المفهوم به عند جميع العرب وأهل لسانها اذا حمل تأويله على ذلك

﴿القول فى تأويل قول الله (الله)﴾ قال أبو جعفر وأما تأويل قول الله فانه على معنى ما روى لنا عن عبد الله ابن عباس هو الذى يألهه كل شئ ويعبده كل خلق وذلك أن أبا كريب حدثنا قال حدثنا عثمان ابن سعيد قال حدثنا بشر بن عمارة قال حدثنا أبو روق عن الضحاك عن عبد الله بن عباس قال الله ذو الالوهية والمعبودية على خلقه أجمعين فان قال لنا قائل فهل لذلك فى فعل ويفعل أصل كان منه بناء هذا الاسم قيل أما سماعا من العرب فلا ولكن استدلالا فان قال وما دل على أن الالوهية هى العبادة وأن الاله هو المعبود وأن له أصلا فى فعل ويفعل قيل لا تمانع بين العرب فى الحكم لقول القائل يصف رجلا بعبادة ويطلب مما عند الله جل ذكره تأله فلان بالصحة ولا خلاف ومن ذلك قول رؤبة بن العجاج

لله در الغانيات المده * سبحن واسترجعن من تألهى

يعنى من تعبدى وطلبى الله بعمل ولا شك أن التأله التفعل من أله يأله وان معنى أله اذا نطق به عبد الله وقد جاء منه مصدر يدل على أن العرب قد نطقت منه بفعل يفعل بغير زيادة وذلك ما حدثنا به سفيان بن وكيع قال حدثنا أبى عن نافع بن عمر عن عمرو بن دينار عن ابن عباس أنه قرأ وبذرك

و إلاهتك قال عبادتك ويقول انه كان يعبد ولا يعبد و حدثنا سفيان قال حدثنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن محمد بن عمرو بن الحسن عن ابن عباس ويذرك وإلاهتك قال انما كان فرعون يعبد ولا يعبد وكذلك كان عبد الله يقرؤها ومجاهد وحدثنا القاسم قال حدثنا الحسين ابن داود قال أخبرني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ويذرك و إلاهتك قال وعبادتك ولا شك أن الالاهة على ما فسره ابن عباس ومجاهد مصدر من قول القائل أله الله فلان إلاهة كما يقال عبد الله فلان عبادة وعبر الرؤيا عبارة فقد بين قول ابن عباس ومجاهد هذا أن أله عبد وأن الالاهة مصدره فان قال فان كان جائزا أن يقال لمن عبد الله ألهه على تأويل قول ابن عباس ومجاهد فكيف الواجب في ذلك أن يقال اذا أراد المخبر الخبر عن استيجاب الله ذلك على عبده قيل أما الرواية فلا رواية عندنا ولكن الواجب على قياس ما جاء به الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي حدثنا به اسمعيل بن الفضل قال حدثنا ابراهيم بن العلاء قال حدثنا اسمعيل بن عياش عن اسمعيل بن يحيى عن ابن أبي مليكة عمن حدثه عن ابن مسعود ومسعر بن كدام عن عطية العوفي عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عيسى أسلمته أمه الى الكتاب ليعلمه فقال له المعلم اكتب الله فقال له عيسى أتدري ما الله الله اله الآلهة أن يقال الله جل جلاله أله العبد والعبد ألهه وأن يكون قول القائل الله من كلام العرب أصله الاله فان قال وكيف يجوز أن يكون ذلك كذلك مع اختلاف لفظهما قيل كما جاز أن يكون قوله لكنّ هو الله ربي أصله لكن أنا هو الله ربي كما قال الشاعر

وترمينني بالطرف أي أنت مذنب * وتقلينني لكنّ اياك لا أقلي

يريد لكن أنا اياك لا أقلي فحذف الهمزة من أنا فالتقت نون أنا ونون لكن وهي ساكنة فأدغمت في نون أنا فصارتا نونا مشددة فكذلك الله أصله الاله أسقطت الهمزة التي هي فاء الاسم فالتقت اللام التي هي عين الاسم واللام الزائدة التي دخلت مع الالف الزائدة وهي ساكنة فأدغمت في الاخرى التي هي عين الاسم فصارتا في اللفظ لاما واحدة مشددة كما وصفنا من قول الله لكنّ هو الله ربي

القول في تأويل قوله (الرحمن الرحيم) قال أبو جعفر أما الرحمن فهو فعلان من رحم والرحيم فعيل منه والعرب كثيرا ما تبني الاسماء من فعل يفعل على فعلان كقولهم من غضب غضبان ومن سكر سكران ومن عطش عطشان فكذلك قولهم رحمن من رحم لان فعل منه رحم يرحم وقيل رحيم وان كانت عين فعل منها مكسورة لانه مدح ومن شأن العرب أن يحملوا أبنية الاسماء اذا كان فيها مدح أو ذم على فعيل وان كانت عين فعل منها مكسورة أو مفتوحة كما قالوا من علم عالم وعليم ومن قدر قادر وقدير وليس ذلك منها بناء على أفعالها لان البناء من فعل يفعل وفعل يفعل فاعل فلو كان الرحمن والرحيم خارجين على بناء أفعالهما لكانت صورتهما الراحم فان قال قائل فاذا كان الرحمن والرحيم اسمين مشتقين من الرحمة فما وجه تكرير ذلك وأحدهما مؤد عن معنى الآخر قيل له ليس الامر في ذلك على ما ظننت بل لكل كلمة منهما معنى لا تؤدي الأخرى منهما عنها فان قال وما المعنى الذي انفردت به كل واحدة منهما فصارت احداهما غير مؤدية المعنى عن الاخرى قيل أما من جهة العربية فلا تمانع بين أهل المعرفة بلغات العرب أن قول القائل الرحمن عن أبنية الاسماء من فعل

ويفعل

العام والخاص بخلافه وهو ما دل لا على مسميات الى آخره فمن صيغ العموم أسماء الشرط والاستفهام مثل من وما والموصولات نحو الذي والتي والجموع المعرفة تعريف جنس كالرجال والمسلمات والجموع المضافة نحو عبيدي أحرار واسم الجنس المضاف أو المعرف تعريف الجنس مثل غلامي والغلام والنكرة في سياق النفي نحو ما في الدار أحد * والتخصيص قصر العام على بعض مسمياته وقد يطلق التخصيص أيضا على قصر اللفظ على بعض ما يتناوله وان لم يكن ذلك اللفظ عاما كما يطلق عليه أيضا أنه عام لتعدده وتكثره وان لم يكن من صيغ العموم كعشرة والمسلمين للمعهودين وكضمائر الجمع ولا يستقيم تخصيص الا فيما يستقيم توكيده بكل لكونه ذا أجزاء يصح افتراقها حسا أو حكما الا النكرة مثل قوله تعالى تلك عشرة كاملة ونحو جاءني رجال كرماء * والمخصص أحد أربعة أشياء الاول الاستثناء بالا ونحوها والثاني الشرط وهو ما يتوقف تأثير المؤثر عليه لا وجوده كالاحصان فانه يتوقف عليه اقتضاؤه الرجم لا وجود الزنا والثالث الصفة مثل فتحرير رقبة مؤمنة والرابع الغاية نحو أتموا الصيام الى الليل هذا هو التخصيص بالمتصل وقد يخص بالمنفصل وذلك اما العقل كقوله تعالى الله خالق كل شئ واما الحس نحو وأوتيت من كل شئ واما الدليل السمعي كقوله تعالى والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء خصصته الآية الأخرى وأولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن ويوصيكم الله في أولادكم خصصه قوله صلى الله عليه وسلم القاتل لا يرث * والمطلق هو اللفظ الدال على الماهية من حيث هي هي ويلزم منه تمكن المأمور من الاتيان بفرد منها أي فرد كان لانه لا يمكن الاتيان بالماهية الا بالاتيان بفرد منها وذلك اما في معرض الامر مثل أعتق رقبة أو مصدر الامر كقوله تعالى فتحرير رقبة أو الاخبار عن المستقبل مثل سأعتق رقبة ولا يتصور الاطلاق في معرض الخبر المتعلق بالماضي مثل رأيت رجلا ضرورة تعينه باسناد الرؤية اليه * والمقيد بخلاف المطلق فهو لفظ دال على مدلول غير شائع في جنسه فيدخل فيه الدال على المتعين مطلقا نحو زيد وهذا الرجل وأنا وأنت والدال على الشائع لا في جنسه بل في أفراده كالعام فهو مقيد لغة لا اصطلاحا ويطلق المقيد على ما أخرج من شياع بوجه بان يذكر الدال على الماهية بوصف زائد عليها كرقبة مؤمنة فانها وان كانت مطلقة في جنسها من حيث هي رقبة مؤمنة الا أنها مقيدة بالنسبة الى مطلق الرقبة فهي مطلقة من وجه ومقيدة من وجه وتقييد المطلق شبيه بتخصيص العام فيجوز التقييد بالمتصل استثناء كان أو صفة

ويفعل أشد عدولا من قوله الرحيم ولا خلاف مع ذلك بينهم أن كل اسم كان له أصل فى فعل و يفعل ثم كان عن أصله من فعل ويفعل أشد عدولا أن الموصوف به مفضل على الموصوف بالاسم المبنى على أصله من فعل و يفعل اذا كانت التسمية به مدحا أو ذما فهذا ما فى قول القائل الرحمن من زيادة المعنى على قوله الرحيم فى اللغة وأما من جهة الاثر والخبر ففيه بين أهل التأويل اختلاف فحدثنى السرى بن يحيى التميمى قال حدثنا عثمان بن زفر قال سمعت العزرمى يقول الرحمن الرحيم قال الرحمن بجميع الخلق الرحيم قال بالمؤمنين وحدثنا اسمعيل بن الفضل قال حدثنا ابراهيم بن العلاء قال حدثنا اسمعيل بن عياش عن اسمعيل بن يحيى عن ابن أبى مليكة عمن حدثه عن ابن مسعود ومسعر بن كدام عن عطية العوفى عن أبى سعيد يعنى الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عيسى بن مريم قال الرحمن رحمن الآخرة والدنيا والرحيم رحيم الآخرة فهذان الخبران قد أنبا عن فرق ما بين تسمية الله جل ثناؤه باسمه الذى هو رحمن وتسميته باسمه الذى هو رحيم واختلاف معنى الكلمتين وان اختلفا فى معنى ذلك الفرق فدل أحدهما على أن ذلك فى الدنيا ودل الآخر على أنه فى الآخرة فان قال فأى هذين التأويلين أولى عندك بالصحة قيل لجميعهما عندنا فى الصحة مخرج فلا وجه لقول قائل أيهما أولى بالصحة وذلك أن المعنى الذى فى تسمية الله بالرحمن دون الذى فى تسميته بالرحيم هو أنه بالتسمية بالرحمن موصوف بعموم الرحمة جميع خلقه وأنه بالتسمية بالرحيم موصوف بخصوص الرحمة بعض خلقه اما فى كل الاحوال واما فى بعض الاحوال فلا شك اذ كان ذلك كذلك أن ذلك الخصوص الذى فى وصفه بالرحيم لا يستحيل عن معناه فى الدنيا كان ذلك أو فى الآخرة أو فيهما جميعا فاذا كان صحيحا ما قلنا من ذلك وكان الله جل ثناؤه قد خص عباده المؤمنين فى عاجل الدنيا بما لطف بهم من توفيقه اياهم لطاعته والايمان به وبرسله واتباع أمره واجتناب معاصيه مما خذل عنه من أشرك به فكفر وخالف ما أمره به وركب معاصيه وكان مع ذلك قد جعل جل ثناؤه ما أعد فى آجل الآخرة فى جنانه من النعيم المقيم والفوز المبين لمن آمن به وصدق رسله وعمل بطاعته خالصا دون من أشرك وكفر به كان بينا أن الله قد خص المؤمنين من رحمته فى الدنيا والآخرة مع ما قد عمهم به والكفار فى الدنيا من الافضال والاحسان الى جميعهم فى البسط فى الرزق وتسخير السحاب بالغيث واخراج النبات من الارض وصحة الاجسام والعقول وسائر النعم التى لا تحصى التى يشترك فيها المؤمنون والكافرون فربنا جل ثناؤه رحمن جميع خلقه فى الدنيا والآخرة ورحيم المؤمنين خاصة فى الدنيا والآخرة فأما الذى عم جميعهم به فى الدنيا من رحمته فكان رحمانا لهم به فما ذكرنا مع نظائره التى لا سبيل الى احصائها لأحد من خلقه كما قال جل ثناؤه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وأما فى الآخرة فالذى عم جميعهم به فيها من رحمته فكان لهم رحمانا تسويته بين جميعهم جل ذكره فى عدله وقضائه فلا يظلم أحدا منهم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما ويوفى كل نفس ما كسبت فذلك معنى عمومه فى الآخرة جميعهم برحمته الذى كان به رحمانا فى الآخرة وأما ما خص به المؤمنين فى عاجل الدنيا من رحمته الذى كان به رحيما لهم فيها كما قال جل ذكره وكان بالمؤمنين رحيما فما وصفنا من اللطف لهم فى دينهم

أو شرطا أو غاية أو بدل بعض وبالمنفصل عقلا كان أو نقلا كتابا أو سنة * وتقسيم آخر التركيب المفيد أعنى الكلام قسمان أحدهما الذى يحتمل أن يقال لقائله صدقت أو كذبت من حيث ذات التركيب لا من أمر خارج عن ذات التركيب ويقال له الخبر واذا بلغ رواة الخبر مبلغا أحال العقل تواطؤهم على الكذب فهو متواتر والا فخبر الواحد والثانى ما لا يحتمل ذلك ويقال له الطلب والاول عبارة عن الجمل الاربع الاسمية والفعلية والشرطية والظرفية والثانى نوعان نوع لا يستدعى فى مطلوبه امكان الحصول وهو التمنى ونوع يستدعى فى مطلوبه ذلك ثم ان كان طلب فعل فأمر وان كان طلب ترك فنهى وان كان طلب فهم فاستفهام وان كان طلب اقبال فنداء فمتى امتنع اجراء هذه الابواب على الاصل تولد منها ما ناسب المقام كالاستبطاء والاغراء والتعجب والتوبيخ ونحو ذلك

* تقسيم آخر الحكم خطاب الله أو من أذن له الله متعلقا بأفعال المكلفين بالاقتضاء أو التخيير أو الوضع أما التخيير فيراد به الاباحة وأما الاقتضاء فاما اقتضاء فعل مع امتناع الترك وهو الوجوب أو مع جواز الترك وهو الندب واما اقتضاء ترك مع امتناع الفعل وهو الحظر والتحريم أو مع جوازه وهو الكراهة وأما الوضع فيراد به ما جعله الشارع بوضعه دليلا على شئ كدلوك الشمس على وجوب الصلاة أو سببا للشئ كالزنا لوجوب الحد أو شرطا كالوضوء لصحة الصلاة

* وأما الصحة والبطلان أو الحكم بهما فأمر عقلى لا حكم شرعى لان صحة العبادات اما كون الفعل مسقطا للقضاء كالفقهاء واما موافقة أمر الشرع كالمتكلمين ولا شك أن العبادات اذا اشتملت على أركانها وشرائطها حكم العقل بصحتها بكل من التفسيرين سواء حكم الشارع بها أولا والصحة فى المعاملات أيضا حكم عقلى لانها فيها كون الشئ بحيث يترتب عليه أثره واذا كان البيع مشتملا على الاسباب والشرائط وارتفاع الموانع حكم العقل بترتب أثره عليه سواء حكم الشرع بها أو لم يحكم وقس البطلان والفساد على ما قلنا * وكل حكم ثبت على خلاف الدليل لعذر فهو رخصة كحل الميتة للمضطر والقصر والفطر للمسافر واجبا ومندوبا ومباحا والا فعزيمة واذا عرفت ما ذكرنا من التقسيمات لا يخفى عليك المقصود من ايرادها لان معانى كتاب الله تعالى منها محكم ومتشابه ومنها مجمل ومبين ويندرج فيهما

المنسوخ والناسخ باعتبار ان النسخ بيان انتهاء أمد الحكم الشرعي ومنها عام وخاص ومنها مطلق ومقيد ومنها أمر ونهي ومنها ظاهر ومؤول ومنها حقيقة ومجاز ومنها تشبيه وتمثيل ومنها كناية وتصريح ومنها الكلي والجزئي ومنها الخبر والطلب باقسامهما ومنها الاحكام بأصنافها ولا ريب أن تصور هذه الاصطلاحات وتذكرها في علم التفسير أمر مهم والله أعلم * (المقدمة العاشرة في أن كلام الله تعالى قديم أولا) * ذكر قوم من أئمة الامة ان كلام الله تعالى قديم بعد أن عنوا بكلامه هذه الحروف المنتظمة المسموعة أما ان كلامه تعالى هو هذه الحروف فلقوله تعالى وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ومعلوم ان المسموع ليس الا هذه الحروف وأما انها قديمة فلان الكلام صفة الله تعالى ومن المحال قيام الحادث بالقديم وأيضا كل حادث متغير والتغير على ذات الله تعالى وصفاته محال وزعم قوم أن الكلام المؤلف من الحروف والاصوات يمتنع أن يكون قديما بالبديهة وكيف لا وانها أصوات تحدث عن قارئها شيأ بعد شئ فلو قلنا انها عين كلام الله تعالى لزمنا القول بأن الصفة الواحدة بعينها قائمة بذات الله تعالى وحالة في بدن هذا الانسان وهذا معلوم الفساد وجمع قوم بين المذهبين فقالوا الشئ وجود في الاعيان ووجود في الاذهان ووجود في العبارة ووجود في الكتابة فللقرآن وجود عيني وهو القائم بذات الله تعالى وانه قديم لا محالة لا يتطرق اليه شئ من سمات النقص ووجود ذهني كالحفاظ للقرآن ووجود في العبارة وهو على لسان القارئ ووجود كتابي وهو المثبت في المصاحف ولا ريب أن القرآن من حيثيات هذه الوجودات حادث بل القرآن انما يطلق على المحفوظ والمتلو والمكتوب بالمجاز من حيث انها دالة على الكلام القائم بذات الله تعالى (واعلم) أنه لا برهان على أن كل صوت فانه يقوم بجسم ولا على ان كل حرف فانما يقدر عليه ذو جارحة بل لعل ذلك في أهل الشاهد فقط فالكلام للقديم كمال قديم نطق وسمع وبصر ولا آلة ولا جارحة كما انه أدرك وعلم من غير ماقوى وعضو ومن لم يدركه كما ينبغي لم يدرك ادراكه كما ينبغي فلا يلومن الا نفسه كلامه كتاب وكتابه صواب وقوله فصل وحكمه عدل ونوره ظهور ووجوده شهود وعيانه بيان والكفر بهما سواء ايمان كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام *(المقدمة الحادية عشرة)* في كيفية استنباط المسائل

لخصهم به دون من خذله من أهل الكفر به وأما ما خصهم به في الآخرة فكان به رحيما لهم دون الكافرين بما وصفنا آنفا مما أعد لهم دون غيرهم من النعيم والكرامة التي تقصر عنها الاماني * وأما القول الآخر في تأويله فهو ما حدثنا به أبو كريب قال حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثنا بشر بن عمارة قال حدثنا أبو روق عن الضحاك عن عبد الله بن عباس قال الرحمن الفعلان من الرحمة وهو من كلام العرب قال الرحمن الرحيم الرقيق الرفيق بمن أحب أن يرحمه والبعيد الشديد على من أحب أن يعنف عليه وكذلك أسماؤه كلها وهذا التأويل من ابن عباس يدل على أن الذي به ربنا رحمن هو الذي به رحيم وان كان لقوله الرحمن من المعنى ما ليس لقوله الرحيم لانه جعل معنى الرحمن بمعنى الرقيق على من رق عليه ومعنى الرحيم بمعنى الرفيق بمن رفق به والقول الذي رويناه في تأويل ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وذكرناه عن العزرمي أشبه بتأويله من هذا القول الذي رويناه عن ابن عباس وان كان هذا القول موافقا معناه معنى ذلك في أن للرحمن من المعنى ما ليس للرحيم وان للرحيم تأويلا غير تأويل الرحمن * والقول الثالث في تأويل ذلك ما حدثني به عمران بن بكار الكلاعي قال حدثنا يحيى بن صالح قال حدثنا أبو الازهر نصر بن عمرو اللخمي من أهل فلسطين قال سمعت عطاء الخراساني يقول كان الرحمن فلما اختزل الرحمن من اسمه كان الرحمن الرحيم والذي أراد ان شاء الله عطاء بقوله هذا أن الرحمن كان من أسماء الله التي لا يتسمى بها أحد من خلقه فلما تسمى به الكذاب مسيلمة وهو اختزاله اياه يعني اقتطاعه من أسمائه لنفسه أخبر الله جل ثناؤه أن اسمه الرحمن الرحيم ليفصل بذلك لعباده اسمه من اسم من قد تسمى بأسمائه اذ كان لا يسمى أحد الرحمن الرحيم فيجمع له هذان الاسمان غيره جل ذكره وانما تسمى بعض خلقه اما رحيما أو يتسمى رحمن فأما رحمن رحيم فلم يجتمعا قط لاحد سواه ولا يجمعان لاحد غيره فكأن معنى قول عطاء هذا أن الله جل ثناؤه انما فصل بتكرير الرحيم على الرحمن بين اسمه واسم غيره من خلقه اختلف معناهما أو اتفقا والذي قال عطاء من ذلك غير فاسد المعنى بل جائز أن يكون جل ثناؤه خص نفسه بالتسمية بهما معا مجتمعين ابانة لها من خلقه ليعرف عباده بذكرهما مجموعين أنه المقصود بذكرهما دون من سواه من خلقه مع ما في تأويل كل واحد منهما من المعنى الذي ليس في الآخر منهما وقد زعم بعض أهل الغباء أن العرب كانت لا تعرف الرحمن ولم يكن ذلك في لغتها ولذلك قال المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا انكارا منهم لهذا الاسم كأنه كان محالا عنده أن ينكر أهل الشرك ما كانوا عالمين بصحته أو كأنه لم يتل من كتاب الله قول الله الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه يعني محمدا كما يعرفون أبناءهم وهم مع ذلك به مكذبون ولنبوته جاحدون فيعلم بذلك انهم قد كانوا يدافعون حقيقة ما قد ثبت عندهم صحته واستحكمت لديهم معرفته وقد أنشد لبعض الجاهلية الجهلاء

ألا ضربت تلك الفتاة هجينها * ألا قضب الرحمن ربي يمينها

وقال سلامة بن جندل الطهوي

عجلتم علينا عجلتينا عليكم * وما يشأ الرحمن يعقد ويطلق

وقد زعم أيضا بعض من ضعفت معرفته بتأويل أهل التأويل وقلت روايته لاقوال السلف من

الكثيرة من الالفاظ القليلة اذا شرعنا مثلا فى تفسير قول القائل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فههنا مباحث لفظية ومباحث معنوية أما اللفظية فمنها ما يتعلق بالقراءة ومنها ما يتعلق باللغة ومنها ما يتعلق بعلم الاشتقاق ومنها ما يتعلق بعلم الصرف ومنها ما يتعلق بالنحو ومنها ما يتعلق بعلم البديع أعنى المحسنات اللفظية وأما المعنوية فمنها ما يتعلق بالمعانى ومنها ما يتعلق بالبيان ومنها ما يتعلق بالاستدلال ومنها ما يتعلق بأصول الدين ومنها ما يتعلق بأصول الفقه ومنها ما يتعلق بالفقه ومنها (ع ٤) ما يتعلق بعلم الاحوال أما القراءة فكما مر وأما اللغة فاذا قلنا العوذ معناه كذا واسم الله معناه كذا والشيطان كذا والرجيم كذا والباء ومن واللام معناها ههنا كذا فكل واحد منها مسئلة **وأما** الاشتقاق فان اعتبرنا الاشتقاق الكبير وقلنا ان التراكيب الستة الممكنة من ع و ذ هل هى مستعملة أو مهملة وكذا كل من تراكيب ال ش ط ن أو ش ى ط ومن تراكيب ر ج م واذا كانت مستعملة فأصل المعنى فى كل من المستعملات كيف يعتبر فيحصل مسائل كثيرة وان اعتبرنا الاشتقاق الصغير فهل للعوذ معنى آخر غير الالتجاء وان كان فبابه الاشتراك بينهما أى شئ هو فيحصل مسائل وأما الصرف فكأن نقول أعوذ فعل مضارع متكلم وأصله أعوذ مثل أطلب نقلت الضمة من الواو الى ما قبلها تخفيفا والله أصله اله كالناس أصله الاناس فعال بمعنى مفعول نقلت الكسرة من الهمزة الى اللام وحذفت الهمزة للتخفيف فاجتمعت لامان فاسكنت الاولى وأدغمت فى الثانية وقالوا يا ألله فى النداء خاصة بالقطع لانها كالعوض من المحذوفة فكأنك قلت يا اله وقيل أصله لاه ألحقوا بها الالف واللام وأنشدوا كحلفة من أبى رياح

يسمعها لاهه الكبار

ولو عد هذه المسئلة من اللغة جاز لانها غير قياس والشيطان فعلان أو فيعال والرجيم فعيل بمعنى مفعول وكلاهما للمبالغة فهذه مسائل وأما النحو فأعوذ فعل فاعله ضمير المتكلم المستتر وهو أنا والمجموع جملة فعلية وبالله متعلق به وكذا من الشيطان الرجيم نحو سرت من البصرة الى الكوفة والرجيم صفة للشيطان معرف مثله وشيطان منصرف لانه اسم جنس لا علم فهذه مسائل وأما البديع فأن نقول انما اختير الرجيم دون اللعين أو المرجوم مثلا ليوافق الفاصلة الاخرى وهو الرحيم اذا ابتدأ القارئ بعد الاستعاذة بالبسملة وهو الاكثر مع أن أول القرآن أيضا البسملة واعتبار

أهل التفسير أن الرحمن مجازه ذو الرحمة والرحيم مجازه الراحم ثم قال قد يقدرون اللفظين من لفظ والمعنى واحد وذلك لاتساع الكلام عندهم قال وقد فعلوا مثل ذلك فقالوا ندمان ونديم ثم استشهد بقول برج بن مسهر الطائى

وندمان يزيد الكاس طيبا * سقيت وقد تغورت النجوم

واستشهد بأبيات نظائر له فى النديم والندمان ففرق بين معنى الرحمن والرحيم فى التأويل لقوله الرحمن ذو الرحمة والرحيم الراحم وان كان قد ترك بيان تأويل معنيهما على صحته ثم مثل ذلك باللفظين يأتيان بمعنى واحد فعاد الى ما قد جعله بمعنيين فجعله مثال ما هو بمعنى واحد مع اختلاف الالفاظ ولا شك أن ذا الرحمة هو الذى ثبت أن له الرحمة وصح أنها له صفة وأن الراحم هو الموصوف بأنه سيرحم أو قد رحم فانقضى ذلك منه أو هو فيه ولا دلالة له فيه حينئذ أن الرحمة له صفة كالدلالة على أنها له صفة اذا وصفه بأنه ذو الرحمة فأين معنى الرحمن الرحيم على تأويله من معنى الكلمتين يأتيان مقدرتين من لفظ واحد باختلاف الالفاظ واتفاق المعانى ولكن القول اذا كان على غير أصل معتمد عليه كان واضحا عواره وان قال لنا قائل ولم قدم اسم الله الذى هو الله على اسمه الذى هو الرحمن واسمه الذى هو الرحمن على اسمه الذى هو الرحيم قيل لان من شأن العرب اذا أرادوا الخبر عن مخبر عنه أن يقدموا اسمه ثم يتبعوه صفاته ونعوته وهذا هو الواجب فى الحكم أن يكون الاسم مقدما قبل نعته وصفته ليعلم السامع الخبر عمن الخبر فاذا كان ذلك كذلك وكان لله جل ذكره أسماء قد حرم على خلقه أن يتسموا بها خص بها نفسه دونهم وذلك مثل الله والرحمن والخالق وأسماء أباح لهم أن يسمى بعضهم بعضا بها وذلك كالرحيم والسميع والبصير والكريم وما أشبه ذلك من الاسماء كان الواجب أن يقدم أسماءه التى هى له خاصة دون جميع خلقه ليعرف السامع ذلك من توجه اليه الحمد والتمجيد ثم يتبع ذلك بأسمائه التى قد تسمى بها غيره بعد علم المخاطب أو السامع من توجه اليه ما يتلو ذلك من المعانى فبدأ الله جل ذكره باسمه الذى هو الله لان الالوهية ليست لغيره جل ثناؤه بوجه من الوجوه لا من جهة التسمى به ولا من جهة المعنى وذلك أنا قد بينا أن معنى الله هو المعبود ولا معبود غيره جل جلاله وان التسمى به قد حرمه الله جل ثناؤه وان قصد المتسمى به ما يقصد المتسمى بسعيد وهو شقى وبحسن وهو قبيح أولا ترى أن الله جل جلاله قال فى غير آية من كتابه أإله مع الله فاستكبر ذلك من المقر به وقال تعالى فى خصوصية نفسه بالله وبالرحمن قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياما تدعوا فله الاسماء الحسنى ثم ثنى باسمه الذى هو الرحمن اذ كان قد منع أيضا خلقه التسمى به وان كان من خلقه من قد يستحق تسميته ببعض معانيه وذلك أنه قد يجوز وصف كثير ممن هو دون الله من خلقه ببعض صفات الرحمة وغير جائز أن يستحق بعض الالوهية أحد دونه فلذلك جاء الرحمن ثانيا لاسمه الذى هو الله وأما اسمه الذى هو الرحيم فقد ذكرنا أنه مما هو جائز وصف غيره به والرحمة من صفاته جل ذكره فكان اذ كان الامر على ما وصفنا واقعا مواقع نعوت الاسماء اللواتى هن توابعها بعد تقدم الاسماء عليها فهذا وجه تقديم اسم الله الذى هو الله على اسمه الذى هو الرحمن واسمه الذى هو الرحمن على اسمه الذى هو الرحيم وقد كان الحسن البصرى يقول فى الرحمن مثل ما قلنا انه من

الاستعاذة ههنا أولى ليكون تجنيسا خطيا وترصيعا وأما المعاني فأن نقول انما اختير المضارع على الماضي ليدل على الاستمرار والدوام
أي شأني أني أعوذ كقولك يشرب الخطب وانما لم يقل أنا أعوذ وأنا عائذ وان كانت الجملة الاسمية تدل على الثبات لان المراد اني على تجدد
هذا القول مني لحظة فلحظة ثابت مستمر لا أن عوذي مستمر ويمكن أن يقال المراد أني أعوذ في حال القراءة لقوله تعالى فاذا قرأت القرآن
فاستعذ فتعين ايراد لفظ المضارع لانه مشترك بين الحال والاستقبال وانما لم يقل بالله أعوذ ليفيد الحصر كما قال في بسم الله أبتدئ لان
الاستعاذة ههنا أهم امتثالا للامر ولانه لا يعوذ (٤٦) الا بالانقطاع عن الغير والتبري عن سوى الحق جل ذكره فلا حاجة الى التخصيص
ولانه موافق لما ورد في القرآن فاستعذ بالله وانما اختير اسم الله لانه كالعلم والمقام مقام احضاره له في ذهن السامع بعينه ليكون أدل على انقطاعه عما سواه وانما ذكر الشيطان معرفا باللام الجنسي ليدل على هذه الحقيقة التي هي مادة كل شر و يشمل كل فرد منها ضرورة وجود الحقيقة في أي فرد يفرض ولو أريد العهد أيضا جاز كما مر ولو نكرت بأن قلت من شيطان رجيم لم يفد العموم وان قلت من كل شيطان لأطلت والمقام مقام اختصار وانما وصف بالرجيم لان المقام مقام تأكيد وذم ولانه أبلغ من البعد عن حضرة من هو منشأ كل كمال ومصدر كل خير وأما البيان فان قوله أعوذ معناه ألتصق ولا ريب أن الالتصاق بالله محال لان ذلك من شأن الاجسام والمراد ألتصق برحمة الله وفضله فهو اذن مجاز لغوي وفي نفس الالتصاق أيضا بعد تقدير الرحمة تجوز بعد على ما لا يخفى ولو أريد بالشيطان شيطان الانس أيضا و يثبت كون اللفظ موضوعا لشيطان الجن فقط كان استعارة واذا قدرنا الاستعاذة من شر الشيطان كما مر كان مجازا بالنقصان أيضا وأما ما يتعلق بالاستدلال فامامن جهة التصور واما من جهة التصديق أما الاول فهو كيفية اقتناص
التصورات الواقعة في التركيب من مفهوم العوذ ومفهوم اسم الله ومفهوم الشيطان ومفهوم الرجيم وأن على
كلا منها كيف يعرف بالحد أو الرسم فان عرف بالحد فكيف يرتب جنسه وفصله وان عرف بالرسم فكيف يركب لوازمه وأما معرفة الجنس
والفصل واللوازم أنفسها فلكل منها فن الامور العامة وأما الثاني فان قولنا أعوذ لفظه خبر ومعناه اما دعاء أي اللهم أعذني واما انشاء نحو
بعت واشتريت واذا كان كذلك فلا يتطرق اليه احتمال الصدق والكذب فلا يحتاج الى البرهان على أحدهما واستعمال الخبر في معنى

أسماء الله التي منع التسمي بها العباد حدثنا محمد بن بشار قال حدثنا حماد بن مسعدة عن عوف
عن الحسن قال الرحمن اسم ممنوع مع أن في اجماع الامة من منع التسمي به جميع الناس ما يغني
عن الاستشهاد على صحة ما قلنا في ذلك بقول الحسن وغيره ۞ القول في تأويل فاتحة الكتاب
۞ قال أبو جعفر معنى (الحمد لله) الشكر خالصا لله جل ثناؤه دون سائر ما يعبد من دونه ودون كل
ما برى من خلقه بما أنعم على عباده من النعم التي لا يحصيها العدد ولا يحيط بعددها غيره أحد في
تصحيح الآلات لطاعته وتمكين جوارح أجسام المكلفين لاداء فرائضه مع ما بسط لهم في دنياهم
من الرزق وغذاهم به من نعيم العيش من غير استحقاق منهم لذلك عليه ومع ما نبههم عليه ودعاهم
اليه من الاسباب المؤدية الى دوام الخلود في دار المقام في النعيم المقيم فلربنا الحمد على ذلك كله أولا
وآخرا وبما ذكرنا من تأويل قول ربنا جل ذكره وتقدست أسماؤه الحمد لله جاء الخبر عن ابن
عباس وغيره حدثنا محمد بن العلاء قال حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثنا بشر بن عمارة قال
حدثنا أبو روق عن الضحاك عن ابن عباس قال قال جبريل لمحمد قل يا محمد الحمد لله قال ابن عباس
الحمد لله هو الشكر والاستخذاء لله والاقرار بنعمته وهدايته وابتدائه وغير ذلك وحدثني سعيد بن
عمرو السكوني قال حدثنا بقية بن الوليد قال حدثني عيسى بن ابراهيم عن موسى بن أبي
حبيب عن الحكم بن عمير وكانت له صحبة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا قلت الحمد لله رب
العالمين فقد شكرت الله فزادك قال وقد قيل ان قول القائل الحمد لله ثناء على الله بأسمائه وصفاته
الحسنى وقوله الشكر لله ثناء عليه بنعمه وأياديه وقد روي عن كعب الأحبار أنه قال الحمد لله ثناء على
الله ولم يبين في الرواية عنه من أي معنى الثناء الذي ذكرنا ذلك حدثنا يونس بن عبد الأعلى الصدفي
قال أنبأنا ابن وهب قال حدثني عمر بن محمد عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه قال أخبرني السلولي
عن كعب قال من قال الحمد لله فذلك ثناء على الله وحدثني علي بن الحسن الخراز قال حدثنا
مسلم بن عبد الرحمن الجرمي قال حدثنا محمد بن مصعب القرقساني عن مبارك بن فضالة عن الحسن
عن الاسود بن سريع أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس شيء أحب اليه الحمد من الله تعالى ولذلك
أثنى على نفسه فقال الحمد لله ۞ قال أبو جعفر ولا تمانع بين أهل المعرفة بلغات العرب من الحكم
لقول القائل الحمد لله شكرا بالصحة فقد تبين اذ كان ذلك عند جميعهم صحيحا أن الحمد لله قد ينطق
به في موضع الشكر وأن الشكر قد يوضع موضع الحمد لان ذلك لو لم يكن كذلك لما جاز أن يقال
الحمد لله شكرا فيخرج من قول القائل الحمد لله مصدر أشكر لان الشكر لو لم يكن بمعنى الحمد كان
خطأ أن يصدر من الحمد غير معناه وغير لفظه فان قال لنا قائل وما وجه ادخال الالف واللام في
الحمد وهلا قيل حمدا لله رب العالمين قيل ان لدخول الالف واللام في الحمد معنى لا يؤديه قول
القائل حمدا باسقاط الالف واللام وذلك أن دخولهما في الحمد منبئ على أن معناه جميع المحامد
والشكر الكامل لله ولو أسقطتا منه لما دل الا على أن حمد قائل ذلك لله دون المحامد كلها اذ كان معنى
قول القائل حمدا لله أو حمد الله أحمد الله حمدا وليس التأويل في قول القائل الحمد لله رب العالمين تاليا
سورة أم القرآن أحمد الله بل التأويل في ذلك ما وصفنا قبل من أن جميع المحامد لله بألوهيته وانعامه

الطلب من مسائل علم المعاني أيضا وأما ما يتعلق باصول الدين فأن تعلم ذات الله تعالى وصفاته من أنه قادر مختار عليم الى غير ذلك من الصفات التي بها يتمكن المستعاذ به من دفع المضار والشرور عن المستعيذ بحيث لا يمنعه مانع ولا يغلبه منازع وتصور الشيطان ولوازمه وكيفية وسوسته بنحو مما سبق في المقدمة الثانية وأما ما يتعلق بأصول الفقه فأن يعرف أن الاستعاذة الواردة في الكتاب والسنة واجبة أم لا بل مندوبة وان كانت واجبة فتتكرر بتكرر القراءة أم لا وانها تقتضي (٤٧) الفور أو تحتمل التراخي وأما ما يتعلق بالفقه فانها تستحب في الصلاة أم لا وان استحبت فتجوز في المكتوبة أم لا وان جازت ففي كل ركعة أم في الاولى وحدها ويسر بها أم يجهر وأما ما يتعلق بعلم الاحوال فكالنكت التي ذكلنا بها المقدمة الثانية وانها لا تكاد تنحصر فهكذا يجب أن تستنبط المسائل من كل كلام يراد تفسيره من غير أن يتخطى في شيء من ذلك الى ما ليس من العلم كأن تقول في كل قراءة الاستعاذة والقراآت المشهورة سبع هي كذا وكذا ورواة كل قراءة من هم وما منشأ كل قراءة وفي اللغة أن واضعها من هو وكيف نشأت اللغات وما معنى الاشتقاق وما فائدته وفي الصرف أنه معرفة أحوال الكلم التي ليست باعراب ومن جملة الاحوال صيغة المضارع وما معناها وما حد الفعل والكلمة الى غير ذلك من قواعد الصرف بل ما فوق ذلك من مباحث الحرف والصوت بل مقولة الكيف وفي النحو أن التركيب مشتمل على الاسم والفعل والحرف والاسم معرب منصرف وغير منصرف ومبني وما سبب الاعراب والبناء والصرف ومنع الصرف وأنواع الاعراب كم هي وكل منها بما يختص بأي شيء من الفاعل والمفعول والمضاف اليه ولم يختص بكل صنف ما يختص وأصناف الفعل كم هي وأصناف الحرف كم هي ولا سيما حروف الجر وما معنى كل منها الى غير ذلك وبالجملة فمن كل علم يؤخذ نكت مخصوصة بهذه المادة يلزمنا ايرادها فقط اذ لو تعدينا الى ما فوق ذلك من القواعد والقوانين لزم ايراد كل العلوم أو أكثرها في تفسير كلام واحد وانه محال شنيع اذ يلزم تداخل العلوم واضطراب القوانين وأيضا لو فسر الشيطان الرجيم بما يلزمه من أنواع الضلالات والجهالات والعقائد الفاسدة والمذاهب الباطلة في الملة الاسلامية وغيرها أو فسر بما هو مباين عنه كأنواع الآفات وأصناف المخافات حتى يلزم تكثير المسائل لم يخل عن التعسف والاعنات ومن ارتكب

على خلقه بما أنعم به عليهم من النعم التي لا كفاء لها في الدين والدنيا والعاجل والآجل ولذلك من المعنى تتابعت قراءة القراء وعلماء الامة على رفع الحمد من الحمد لله رب العالمين دون نصبها الذي يؤدي الى الدلالة على أن معنى تاليه كذلك أحمد الله حمدا ولو قرأ قارئ ذلك بالنصب لكان عندي محيلا معناه ومستحقا العقوبة على قراءته اياه كذلك اذا تعمد قراءته كذلك وهو عالم بخطئه وفساد تأويله فان قال لنا قائل وما معنى قوله الحمد لله أحمد الله نفسه جل ثناؤه فأثنى عليها ثم علمناه لنقول ذلك كما قال ووصف به نفسه فان كان ذلك كذلك فما وجه قوله تعالى ذكره اياك نعبد واياك نستعين وهو عز ذكره معبود لا عابد أم ذلك من قيل جبريل أو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد بطل أن يكون ذلك لله كلاما قيل بل ذلك كله كلام الله جل ثناؤه ولكنه جل ذكره حمد نفسه وأثنى عليها بما هو له أهل ثم علم ذلك عباده وفرض عليهم تلاوته اختبارا منه لهم وابتلاء فقال لهم قولوا الحمد لله رب العالمين وقولوا اياك نعبد واياك نستعين فقوله اياك نعبد مما علمهم جل ذكره أن يقولوه ويدينوا له بمعناه وذلك موصول بقوله الحمد لله رب العالمين وكأنه قال قولوا هذا وهذا فان قال وأين قوله قولوا فيكون تأويل ذلك ما ادعيت قيل قد دللنا فيما مضى أن العرب من شأنها اذا عرفت مكان الكلمة ولم تشكك أن سامعها يعرف بما أظهرت من منطقها ما حذفت حذف ما كفى منه الظاهر من منطقها ولا سيما ان كانت تلك الكلمة التي حذفت قولا أو تأويل قول كما قال الشاعر

وأعلم أنني سأكون رمسا * اذا سار النواعج لا يسير
فقال السائلون لمن حفرتم * فقال المخبرون لهم وزير

قال أبو جعفر يريد بذلك فقال المخبرون لهم الميت وزير فأسقط الميت اذ كان قد أتى من الكلام بما يدل على ذلك وكذلك قول الآخر

ورأيت زوجك في الوغى * متقلدا سيفا ورمحا

وقد علم أن الرمح لا يتقلد وأنه انما أراد وحاملا رمحا ولكن لما كان معلوما معناه اكتفى بما قد ظهر من كلامه عن اظهار ما حذف منه وقد يقولون للمسافر اذا ودعوه مصاحبا معافى يحذفون سر واخرج اذ كان معلوما معناه وان أسقط ذكره فكذلك ما حذف من قول الله تعالى ذكره الحمد لله رب العالمين لما علم بقوله جل وعز اياك نعبد ما أراد بقوله الحمد لله رب العالمين من معنى أمره عباده أغنت دلالة ما ظهر عليه من القول عن ابداء ما حذف وقد روينا الخبر الذي قدمنا ذكره مبتدأ في تأويل قول الله الحمد لله رب العالمين عن ابن عباس وانه كان يقول ان جبريل قال لمحمد قل يا محمد الحمد لله رب العالمين وبينا أن جبريل انما علم محمدا صلى الله عليه وسلم ما أمر بتعليمه اياه وهذا الخبر ينبئ عن صحة ما قلنا في تأويل ذلك

القول في تأويل قول الله (رب) قال أبو جعفر قد مضى البيان عن تأويل اسم الله الذي هو الله في بسم الله فلا حاجة بنا الى تكراره في هذا الموضع وأما تأويل قوله رب فان الرب في كلام العرب متصرف على معان فالسيد المطاع فيهم يدعى ربا ومن ذلك قول لبيد بن ربيعة

وأهلكن يوما رب كندة وابنه * ورب معد بين خبت وعرعر

يعني رب كندة سيد كندة ومنه قول نابغة بني ذبيان

شيأ من ذلك فقد نطق بالخلف وزاغ عن الجادة وانحرف عن سواء السبيل نعم لو أورد طرف من الاصطلاحات أو المسائل على سبيل التصور من غير اشارة الى مأخذها الاصلية ودلائلها الكلية الانادرا جازما لم يتجاوز حد الضرورة ومقدار الواجب كما أشرنا اليها في المقدمات وقد بقي مما يمكن أن يعد من المقدمات ذكر ابتداء الوحي وكيفية نزول القرآن شيأ بعد شيء وبيان كيفية اعجاز القرآن ونحن قد رأينا الأليق بها ايرادها في مواضعها اذا أفضت النوبة اليها (٤٨) فلنشرع الآن في المقصود وهو التفسير المسمى بغرائب القرآن ورغائب الفرقان والله المستعان وعليه التكلان

(سورة فاتحة الكتاب مكية ويقال مدنية وهي سبع آيات الا أن المكي والكوفي عدا التسمية آية دون أنعمت عليهم ومذهب المدني والبصري والشامي بالعكس وكلماتها خمس وعشرون وحروفها مائة وثلاثة وعشرون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) «القراآت» مالك بالالف سهل ويعقوب وعاصم وعلي وخلف والباقون ملك الرحيم ملك مدغما أبو عمرو كذلك يدغم كل حرفين التقيا من كلمتين اذا كانا من جنس واحد مثل قال لهم أو مخرج واحد مثل ولتأت طائفة أو قريبي المخرج مثل خلقكم ولقد جاءكم سواء كان الحرف المدغم ساكنا مثل أنبتت سبع سنابل ويسمى بالادغام الصغير أو متحركا فأسكن للادغام مثل قيل لهم ولذهب بسمعهم ويسمى بالادغام الكبير الا أن يكون مضاعفا نحو أحل لكم ومس سقر أو منقوصا مثل وما كنت ترجو وكنت ترابا ونعني بالمنقوص الاجوف المحذوف العين أو مفتوحا قبله ساكن مثل البحر لتأكلوا والحمير لتركبوها الا في مواضع أربعة كاد تزيغ وقال رب حدثه في كل القرآن والصلاة طرفي النهار وبعد توكيدها ويكون الاظهار أخف من الادغام نحو أفأنت تهدي أفأنت تسمع وعن يعقوب ادغام الجنسين في جميع القرآن اذا التقيا من كلمتين الصراط باشمام الزاي ههنا وفي جميع القرآن حمزة وعن يعقوب بالسين في كل القرآن وعن الكسائي باشمام السين كل القرآن والباقون بالصاد عليهم واليهم ولديهم بضم الهاء آت كل القرآن حمزة وسهل ويعقوب ضم كل ميم جمع يزيد وابن كثير غير ورش بضم الميم عند ألف القطع فقط نحو أأنذرتهم أم «الوقوف» العالمين (لا) لاتصال الصفة بالموصوف

يخب الى النعمان حتى تناله * فدى لك من رب تليدي وطارفي

والرجل المصلح للشيء يدعى ربا ومنه قول الفرزدق بن غالب

كانوا كسالئة حمقاء اذ حقنت * سلاءها في أديم غير مربوب

يعني بذلك في أديم غير مصلح ومن ذلك قيل ان فلانا رب صنيعته عند فلان اذا كان يحاول اصلاحها وادامتها ومن ذلك قول علقمة بن عبدة

فكنت امرأ أفضت اليك ربابتي * وقبلك ربتني فضعت ربوب

يعني بقوله أفضت اليك أي وصلت اليك ربابتي فصرت أنت الذي ترب أمري فتصلحه لما خرجت من ربابة غيرك من الملوك الذين كانوا قبلك علي فضيعوا أمري وتركوا تفقده وهم الربوب واحدهم رب والمالك للشيء يدعى ربه وقد يتصرف أيضا معنى الرب في وجوه غير ذلك غير أنها تعود الى بعض هذه الوجوه الثلاثة فربنا جل ثناؤه السيد الذي لا شبه له ولا مثل في سودده والمصلح أمر خلقه بما أسبغ عليهم من نعمه والمالك الذي له الخلق والامر وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله جل ثناؤه رب العالمين جاءت الرواية عن ابن عباس حدثنا أبو كريب قال حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثنا بشر بن عمارة قال حدثنا أبو روق عن الضحاك عن ابن عباس قال قال جبريل لمحمد يا محمد قل الحمد لله رب العالمين قال ابن عباس يقول قل الحمد لله الذي له الخلق كله السموات كلهن ومن فيهن والارض كلهن ومن فيهن وما بينهن مما يعلم ومما لا يعلم يقول اعلم يا محمد أن ربك هذا لا يشبهه شيء

القول في تأويل قوله (العالمين) قال أبو جعفر والعالمون جمع عالم والعالم جمع لا واحد له من لفظه كالأنام والرهط والجيش ونحو ذلك من الاسماء التي هي موضوعات على جماع لا واحد له من لفظه والعالم اسم لاصناف الامم وكل صنف منها عالم وأهل كل قرن من كل صنف منها عالم ذلك القرن وذلك الزمان فالانس عالم وكل أهل زمان منهم عالم ذلك الزمان والجن عالم وكذلك سائر أجناس الخلق كل جنس منها عالم زمانه ولذلك جمع فقيل عالمون وواحده جمع لكون عالم كل زمان من ذلك عالم ذلك الزمان ومن ذلك قول العجاج * فخندف هامة هذا العالم * فجعلهم عالم زمانه وهذا القول الذي قلناه قول ابن عباس وسعيد بن جبير وهو معنى قول عامة المفسرين حدثنا أبو كريب قال حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثنا بشر بن عمارة قال حدثنا أبو روق عن الضحاك عن ابن عباس الحمد لله رب العالمين الحمد لله الذي له الخلق كله السموات والارض ومن فيهن وما بينهن مما يعلم ولا يعلم وحدثني محمد بن سنان القزاز قال حدثنا أبو عاصم عن شبيب عن عكرمة عن ابن عباس رب العالمين الجن والانس وحدثني علي بن الحسن قال حدثنا مسلم بن عبد الرحمن قال حدثنا مصعب عن قيس بن الربيع عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قول الله جل وعز رب العالمين قال رب الجن والانس وحدثنا أحمد بن اسحق بن عيسى الأهوازي قال حدثنا أبو أحمد الزبيري قال حدثنا قيس عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير قوله رب العالمين قال الجن والانس وحدثني أحمد بن عبد الرحيم البرقي قال حدثني ابن أبي مريم عن ابن لهيعة عن عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير قوله رب العالمين قال ابن آدم والجن والانس كل أمة منهم عالم على

الرحيم (لا) لذلك الدين (ط) للعدول عن الغائب الى المخاطب نستعين (ط) لابتداء الدعاء المستقيم (لا) لاتصال البدل بالمبدل أنعمت عليهم (لا) لاتصال البدل أو الصفة الضالين (٥) * «التفسير» روى عن جندب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال فى كتاب الله عز وجل برأيه فأصاب فقد أخطأ وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال فى القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار فذكر العلماء أن النهى عن تفسير القرآن بالرأى لا يخلو اما أن يكون المراد به الاقتصار (٤٩) على النقل والمسموع وترك الاستنباط أو المراد به

حدثه وحدثنى محمد بن حميد قال حدثنا مهران عن سفيان عن مجاهد الحمد لله رب العالمين قال الانس والجن وحدثنا أحمد بن اسحق الاهوازى قال حدثنا أبو أحمد الزبيرى عن سفيان عن رجل عن مجاهد بمثله وحدثنا بشر بن معاذ العقدى قال حدثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة رب العالمين قال كل صنف عالم وحدثنى أحمد بن حازم الغفارى قال حدثنا عبيد الله بن موسى عن أبى جعفر عن ربيع بن أنس عن أبى العالية فى قوله رب العالمين قال الانس عالم والجن عالم وما سوى ذلك ثمانية عشر ألف عالم أو أربعة عشر ألف عالم «هو يشك» من الملائكة على الارض وللارض أربع زوايا فى كل زاوية ثلاثة آلاف عالم وخمسمائة عالم خلقهم لعبادته وحدثنا القاسم ابن الحسن قال حدثنا الحسين بن داود قال حدثنا حجاج عن ابن جريج فى قوله رب العالمين قال الجن والانس ۞ القول فى تأويل قوله (الرحمن الرحيم) قال أبو جعفر قد مضى البيان عن تأويل قوله الرحمن الرحيم فى تأويل بسم الله الرحمن الرحيم فأغنى ذلك عن اعادته فى هذا الموضع ولم نحتج الى الابانة عن وجه تكرير الله ذلك فى هذا الموضع اذ كنا لا نرى أن بسم الله الرحمن الرحيم من فاتحة الكتاب آية فيكون علينا لسائل مسئلة بأن يقول ما وجه تكرير ذلك فى هذا الموضع وقد مضى وصف الله عز وجل به نفسه فى قوله بسم الله الرحمن الرحيم مع قرب مكان احدى الآيتين من الاخرى ومجاورتها لصاحبتها بل ذلك لنا حجة على خطأ دعوى من ادعى أن بسم الله الرحمن الرحيم من فاتحة الكتاب آية اذ لو كان ذلك كذلك لكان ذلك اعادة آية بمعنى واحد ولفظ واحد مرتين من غير فصل يفصل بينهما وغير موجود فى شئ من كتاب الله آيتان متجاورتان مكررتان بلفظ واحد ومعنى واحد لا فصل بينهما من كلام يخالف معناه معناهما وانما يأتى بتكرير آية بكمالها فى السورة الواحدة مع فصول تفصل بين ذلك وكلام يعترض به بغير معنى الآيات المكررات أو غير ألفاظها ولا فاصل بين قول الله تبارك وتعالى اسمه الرحمن الرحيم من بسم الله الرحمن الرحيم وقول الله الرحمن الرحيم من الحمد لله رب العالمين فان قال قائل فان الحمد لله رب العالمين فاصل بين ذلك قيل قد أنكر ذلك جماعة من أهل التأويل وقالوا ان ذلك من المؤخر الذى معناه التقديم وانما هو الحمد لله الرحمن الرحيم رب العالمين ملك يوم الدين واستشهدوا على صحة ما ادعوا من ذلك بقوله ملك يوم الدين فقالوا ان قوله ملك يوم الدين تعليم من الله عبده أن يصفه بالملك فى قراءة من قرأ ملك وبالملك فى قراءة من قرأ مالك قالوا فالذى هو أولى أن يكون مجاور وصفه بالملك أو الملك ما كان نظير ذلك من الوصف وذلك هو قوله رب العالمين الذى هو خبر عن ملكه جميع أجناس الخلق وأن يكون مجاور وصفه بالعظمة والالوهة ما كان له نظيرا فى المعنى من الثناء عليه وذلك قوله الرحمن الرحيم فزعموا أن ذلك لهم دليل على أن قوله الرحمن الرحيم بمعنى التقديم قبل رب العالمين وان كان فى الظاهر مؤخرا وقالوا نظائر ذلك من التقديم الذى هو بمعنى التأخير والمؤخر الذى هو بمعنى التقديم فى كلام العرب أفشى وفى منطقها أكثر من أن يحصى من ذلك قول جرير بن عطية

طاف الخيال وأين منك لماما * فارجع لزورك بالسلام سلاما

بمعنى طاف الخيال لماما وأين هو منك وكما قال جل ثناؤه فى كتابه الحمد لله الذى أنزل على عبده

أمر آخر وباطل أن يكون المراد به أن لا يتكلم أحد فى تفسير القرآن الا بما سمعه فان الصحابة رضى الله عنهم قد فسروا القرآن واختلفوا فى تفسيره على وجوه وليس كل ما قالوه سمعوه كيف وقد دعا النبى صلى الله عليه وسلم لابن عباس اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل فان كان التأويل مسموعا كالتنزيل فما فائدة تخصيصه بذلك وانما النهى يحمل على وجهين أحدهما أن يكون له فى الشئ رأى واليه ميل من طبعه وهواه فيتأول القرآن على وفق هواه ليحتج على تصحيح غرضه ولو لم يكن له ذلك الرأى والهوى لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى وهذا قد يكون مع العلم بأن المراد من الآية ليس ذلك ولكن يلبس على خصمه وقد يكون مع الجهل وذلك اذا كانت الآية محتملة فيميل فهمه الى الوجه الذى يوافق غرضه ويترجح ذلك الجانب برأيه وهواه ولولا رأيه لما كان يترجح عنده ذلك الوجه وقد يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلا من القرآن ويستدل عليه بما يعلم أنه ما أريد به كمن يدعو الى مجاهدة القلب القاسى فيقول المراد بفرعون فى قوله تعالى اذهب الى فرعون انه طغى هو النفس * الوجه الثانى أن يتسارع الى تفسير القرآن بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغريب القرآن وما فيه من الالفاظ المبهمة والاختصار والحذف والاضمار والتقديم والتأخير فالنقل والسماع لا بد منه فى ظاهر التفسير أولا ليتقى به مواضع الغلط ثم بعد ذلك يتسع للتفهم والاستنباط والغرائب التى لا تفهم الا بالسماع كثيرة كقوله تعالى وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها معناه آية مبصرة فظلموا أنفسهم بقتلها فالناظر الى ظاهر العربية يظن المراد أن الناقة كانت مبصرة ولم تكن عمياء وما يدرى بماذا ظلموا وانهم ظلموا غيرهم أو

أنفسهم وماعداهذين الوجهين فلا يتطرق النهى اليه مادام على قوانين العلوم العربية والقواعد الاصلية والفرعية واعلم أن مقتضى الديانة ان لا يؤول المسلم شيأ من القرآن والحديث بالمعانى بحيث تبطل الاعيان التى فسرها النبى صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح مثل الجنة والنار والصراط والميزان والحور والقصور والانهار والاشجار والثمار وغيرها ولكنه يجب أن يثبت تلك الاعيان كما جاءت ثم ان فهم منها حقائق أخرى ورموزا ولطائف بحسب ما كوشف فلا بأس فان الله تعالى ما خلق شيأ فى عالم الصورة الاوله نظير فى عالم المعنى وما خلق شيأ فى عالم المعنى وهو الآخرة الا وله حقيقة فى عالم الحق وهو غيب الغيب وما خلق فى العالمين شيأ الا وله أنموذج فى عالم الانسان والله تعالى أعلم والتفسير أصله الكشف والاظهار وكذلك سائر تقاليبه من ذلك سفرت المرأة كشفت عن وجهها والسفر لانه يكشف به عن وجوه الحوائج ومنه السرف لانه يكشف به عن ماله حينئذ والرفس لانه يكشف عن عضوه وانكشاف حال المقيد فى رسفانه واضح فن التفسير ما يتعلق باللغة ومنه ما يتعلق بالصرف أو النحو أو المعانى أو البيان الى غير ذلك من العلوم كما أشرنا الى ذلك فى آخر المقدمة العاشرة ومنه أسباب النزول وذكر القصص والاخبار وغير ذلك ونحن على أن نورد بعد القرآن مع الترجمة القراءة ثم الوقوف ثم أسباب النزول ثم التفسير الشامل لجميع ذلك ثم التأويل ان كان ولم نذكره فى التفسير ونذكر منه ما هو أقرب الى الامكان والله المستعان فلنشتغل بتفسير الفاتحة فنقول * فى البسملة مسائل الاولى الجار والمجرور لابد له من متعلق وليس بمذكور فيكون مقدرا وانه يكون فعلا أو اسما فيه رائحة الفعل وعلى التقديرين فاما ان يقدر مقدما أو مؤخرا نحو أبدأ بسم الله أو ابتدائى بسم الله أو بسم الله أبتدئ أو بسم الله ابتدائى أو الابتداء وتقدير الفعل أولى من تقدير الاسم لان كل فاعل يبدأ فى فعله ببسم الله يكون مضمرا ما جعل التسمية مبدأ له فيكون المراد ان انشاء ذلك الفعل انما هو على اسم الله فيقدر ههنا بسم الله اقرأ أو أتلو وأبدأ لان الذى يتلو التسمية مقروء ومبدوء به كما أن المسافر اذا حل وارتحل فقال بسم الله متبركا كان المعنى بسم الله أحل أو أرتحل وكذلك الذابح ونظيره فى حذف متعلق الجار قولهم فى الدعاء للمعرس بالرفاء والبنين أى بالرفاء أعرست وتقدير المحذوف دون

الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما المعنى الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا وما أشبه ذلك ففى ذلك دليل شاهد على صحة قول من أنكر أن تكون بسم الله الرحمن الرحيم من فاتحة الكتاب آية ۞ القول فى تأويل (مالك يوم الدين) ۞ قال أبو جعفر القراء مختلفون فى تلاوة ملك يوم الدين فبعضهم يتلوه ملك يوم الدين و بعضهم يتلوه مالك يوم الدين و بعضهم يتلوه مالك يوم الدين بنصب الكاف وقد استقصينا حكاية الرواية عمن روى عنه فى ذلك قراءة فى كتاب القراآت وأخبرنا بالذى نختار من القراءة فيه والعلة الموجبة صحة ما اخترنا من القراءة فيه فكرهنا اعادة ذلك فى هذا الموضع اذ كان الذى قصدنا له فى كتابنا هذا البيان عن وجوه تأويل آى القرآن دون وجوه قراءتها ولا خلاف بين جميع أهل المعرفة بلغات العرب أن الملك من الملك مشتق وأن المالك من الملك مأخوذ فتأويل قراءة من قرأ ذلك ملك يوم الدين أن لله الملك يوم الدين خالصا دون جميع خلقه الذين كانوا قبل ذلك فى الدنيا ملوكا جبابرة ينازعونه الملك و يدافعونه الانفراد بالكبرياء والعظمة والسلطان والجبرية فأيقنوا بلقاء الله يوم الدين أنهم الصغرة الاذلة وأن له دونهم ودون غيرهم الملك والكبرياء والعزة والبهاء كما قال جل ذكره وتقدست أسماؤه فى تنزيله يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شئ لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فأخبر تعالى أنه المنفرد يومئذ بالملك دون ملوك الدنيا الذين صاروا يوم الدين من ملكهم الى ذلة وصغار ومن دنياهم فى المعاد الى خسار وأما تأويل قراءة من قرأ مالك يوم الدين فما حدثنا به أبو كريب قال حدثنا عثمان بن سعيد عن بشر بن عمارة قال حدثنا أبو روق عن الضحاك عن عبد الله بن عباس مالك يوم الدين يقول لا يملك أحد فى ذلك اليوم معه حكما كملكهم فى الدنيا ثم قال لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا وقال وخشعت الاصوات للرحمن وقال ولا يشفعون الا لمن ارتضى ۞ قال أبو جعفر وأولى التأويلين بالآية وأصح القراءتين فى التلاوة عندى التأويل الاول وهى قراءة من قرأ ملك بمعنى الملك لان فى الاقرار له بالانفراد بالملك ايجابا لانفراده بالملك وفضيلة زيادة الملك على المالك اذ كان معلوما أن لا ملك الا وهو مالك وقد يكون المالك لا ملكا وبعد فان الله جل ذكره قد أخبر عباده فى الآية التى قبل قوله ملك يوم الدين أنه مالك جميع العالمين وسيدهم ومصلحهم والناظر لهم والرحيم بهم فى الدنيا والآخرة بقوله الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم فاذ كان جل ذكره قد أنبأهم عن ملكه اياهم كذلك بقوله رب العالمين فأولى الصفات من صفاته جل ذكره أن يتبع ذلك ما لم يحوه قوله رب العالمين الرحمن الرحيم مع قرب ما بين الآيتين من المواصلة والمجاورة اذ كانت حكمته الحكمة التى لا تشبهها حكمة وكان فى اعادة وصفه جل ذكره بأنه مالك يوم الدين اعادة ما قد مضى من وصفه به فى قوله رب العالمين مع تقارب الآيتين وتجاور الصفتين وكان فى اعادة ذلك تكرار ألفاظ مختلفة بمعان متفقة لا تفيد سامع ما كرر منه فائدة به اليها حاجة والذى لم يحوه من صفاته جل ذكره ما قبل قوله مالك يوم الدين المعنى الذى فى قوله ملك يوم الدين وهو وصفه بأنه الملك فبين اذا أن أولى القراءتين بالصواب وأحق التأويلين بالكتاب قراءة من قرأه ملك يوم الدين بمعنى اخلاص الملك له يوم الدين دون قراءة من قرأ مالك يوم الدين بمعنى أنه يملك الحكم بينهم وفصل القضاء متفردا به دون سائر خلقه فان ظن ظان أن قوله رب العالمين نبأ عن ملكه اياهم فى الدنيا

متأخرا أولى على نحو قوله تعالى بسم الله مجريها ومرساها لان تقديم ذكر الله أدخل فى التعظيم ولان ماهو السابق فى الوجود يستحق السبق فى الذكر ولهذا قال المحققون مارأينا شيأ الا ورأينا الله تعالى قبله ولأنهم كانوا يبدؤن بأسماء آلهتهم فيقولون باسم اللات باسم العزى فوجب أن يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الله عز وجل بالابتداء وذلك بتقديمه وتأخير الفعل كما فى اياك نعبد صرح بتقديم الاسم ارادة الاختصاص قال فى الكشاف وانما قدم الفعل فى اقرأ باسم ربك لان تقديم الفعل هنالك أوقع لانها أول سورة نزلت فكان الامر بالقراءة أهم وقال صاحب المفتاح الصواب أن يقال معنى اقرأ أوجد القراءة ثم يكون باسم ربك متعلقا باقرأ الثانى وذكر فى معنى تعلق اسم الله بالقراءة وجهان اما تعلق القلم بالكتبة فى قولك كتبت بالقلم كأن فعله لايجيء معتدا به شرعا الا بعد تصديره بذكر الله قال صلى الله عليه وسلم كل أمر ذى بال لم يبدأ فيه ببسم الله فهو أبتر وإما تعلق الدهن بالانبات فى قوله تعالى تنبت بالدهن أى متبركا باسم الله أقرأ كما فى قوله بالرفاء والبنين أى أعرست متلبسا بالرفاء وهذا أعرب وأحسن أما كونه أدخل فى العربية فلأنه لايعرفه الامن له دربة بفنون الاستعمالات بخلاف الاول فانه مبتذل وأما كونه أحسن فلان جعل اسم الله كالآلة خروج عن الأدب لأن الآلة من حيث انها آلة غير مقصودة بالذات واسم الله تعالى عند الموحد أهم شئ وانه مقول على ألسنة العباد تعليما لهم كيف يتبركون باسمه وكيف يعظمونه وكذلك الحمد لله رب العالمين الى آخره * الثانية انهم استحسنوا تفخيم اللام وتغليظها من لفظ الله بعد الفتحة والضمة دون الكسرة اما الاول فللفرق بينه وبين لفظ اللات فى الذكر ولان التفخيم مشعر بالتعظيم ولان اللام الرقيقة تذكر بطرف اللسان والغليظة تذكر بكل اللسان فكان العمل فيه أكثر فيكون أدخل فى الثواب وهذا كما جاء فى التوراة أحبب ربك بكل قلبك وأما الثانى فلان النقل من الكسرة الى اللام الغليظة ثقيل على اللسان لكونه كالصعود بعد الانحدار وانما لم يعدوا اللام الغليظة حرفا والرقيقة حرفا آخر كما عدوا الدال حرفا والطاء حرفا آخر مع ان نسبة الرقيقة الى الغليظة كنسبة الدال الى الطاء فان الدال بطرف اللسان والطاء بكل اللسان لاطراد استعمال الغليظة مكان كل رقيقة مالم يعق عائق الكسرة وعدم اطراد الطاء

دون الآخرة يوجب وصله بالنبإ عن نفسه أنه قد ملكهم فى الآخرة على نحو ملكه اياهم فى الدنيا بقوله مالك يوم الدين فقد أغفل وظن خطأ وذلك أنه لو جاز لظان أن يظن أن قوله رب العالمين محصور معناه على الخبر عن ربوبية عالم الدنيا دون عالم الآخرة مع عدم الدلالة على أن معنى ذلك كذلك فى ظاهر التنزيل أو فى خبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم به منقول أو بحجة موجودة فى المعقول لجاز لآخر أن يظن أن ذلك محصور على عالم الزمان الذى فيه نزل قوله رب العالمين دون سائر ما يحدث بعده فى الازمنة الحادثة من العالمين اذ كان صحيحا بما قد قدمنا من البيان أن عالم كل زمان غير عالم الزمان الذى بعده فان غبى عن علم صحة ذلك بما قد قدمنا ذو غباء فان فى قول الله جل ثناؤه ولقد آتينا بنى اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين دلالة واضحة على أن عالم كل زمان غير عالم الزمان الذى كان قبله وعالم الزمان الذى بعده اذ كان الله جل ثناؤه قد فضل أمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على سائر الأمم الخالية وأخبرهم بذلك فى قوله كنتم خير أمة أخرجت للناس الآية فمعلوم بذلك أن بنى اسرائيل فى عصر نبينا لم يكونوا مع تكذيبهم به صلى الله عليه وسلم أفضل العالمين بل كان أفضل العالمين فى ذلك العصر وبعده الى قيام الساعة المؤمنون به المتبعون منهاجه دون من سواهم من الامم المكذبة الضالة عن منهاجه فاذ كان بينا فساد تأويل متأول لو تأول قوله رب العالمين أنه معنى به أن الله رب عالمى زمن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم دون عالمى سائر الازمنة غيره كان واضحا فساد قول من زعم أن تأويله رب عالم الدنيا دون عالم الآخرة وأن مالك يوم الدين استحق الوصل به ليعلم أنه فى الآخرة من ملكهم وربوبيتهم بمثل الذى كان عليه فى الدنيا ويسئل زاعم ذلك الفرق بينه وبين متحكم مثله فى تأويل قوله رب العالمين تحكم فقال انه انما عنى بذلك أنه رب عالمى زمان محمد دون عالمى غيره من الازمان الماضية قبله والحادثة بعده كالذى زعم هذا القول انه عنى به عالم الدنيا دون عالم الآخرة من أصل أو دلالة فلن يقول فى أحدهما شيأ الا ألزم فى الآخر مثله وأما الزاعم أن تأويل قوله مالك يوم الدين أنه الذى يملك اقامة يوم الدين فان الذى ألزمنا قائل هذا القول الذى قبله له لازم اذ كانت اقامة القيامة انما هى اعادة الخلق الذين قد بادوا لهيآتهم التى كانوا عليها قبل الهلاك فى الدار التى أعد الله لهم فيها ما أعد وهم العالمون الذين قد أخبر جل ذكره عنهم أنه ربهم فى قوله رب العالمين * وأما تأويل ذلك فى قراءة من قرأ مالك يوم الدين فانه أراد يا مالك يوم الدين فنصبه بنية النداء والدعاء كما قال جل ثناؤه يوسف أعرض عن هذا بتأويل يا يوسف أعرض عن هذا وكما قال الشاعر من بنى أسد وهو شعر فيما يقال جاهلى

ان كنت أزننتنى بها كذبا * جزء فلاقيت مثلها عجلا

يريد يا جزء وكما قال الآخر

كذبتم وبيت الله لاتنكحونها * بنى شاب قرناها تصر وتحلب

يريد يا بنى شاب قرناها وانما أورطه فى قراءة ذلك بنصب الكاف من مالك على المعنى الذى وصفت حيرته فى توجيه قوله اياك نعبد واياك نستعين وجهته مع جر مالك يوم الدين وخفضه فظن أنه لا يصح معنى ذلك بعد جره مالك يوم الدين فنصب مالك يوم الدين ليكون اياك نعبد له خطابا كأنه أراد يا مالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين ولو كان علم تأويل أول السورة وأن الحمد لله رب

العالمين أمر من الله عبده بقيل ذلك كالذى ذكرنا قبل من الخبر عن ابن عباس أن جبريل قال للنبى صلى الله عليه وسلم عن الله قل يا محمد الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين وقل أيضا يا محمد اياك نعبد واياك نستعين وكان عقل عن العرب أن من شأنها اذا حكت أو أمرت بحكاية خبر يتلوا القول أن تخاطب ثم تخبر عن غائب وتخبر عن الغائب ثم تعود الى الخطاب لما فى الحكاية بالقول من معنى الغائب والمخاطب كقولهم للرجل قد قلت لاخيك لو قمت لقمت وقد قلت لاخيك لو قام لقمت لسهل عليه مخرج ما استصعب عليه وجهته من جر مالك يوم الدين ومن نظير مالك يوم الدين مجرورا ثم عوده الى الخطاب باياك نعبد لما ذكرنا قبل البيت السائر من شعر أبى كبير الهذلى

يالهف نفسى كان جلدة خالد * وبياض وجهك للتراب الأعفر

فرجع الى الخطاب بقوله وبياض وجهك بعد ما قد مضى الخبر عن خالد على معنى الخبر عن الغائب ومنه قول لبيد بن ربيعة

باتت تشكى الىّ النفس مجهشة * وقد حملتك سبعا بعد سبعينا

فرجع الى مخاطبة نفسه وقد تقدم الخبر عنها على وجه الخبر عن الغائب ومنه قول الله وهو أصدق قيل وأثبت حجة حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة فخاطب ثم رجع الى الخبر عن الغائب ولم يقل وجرين بكم والشواهد من الشعر وكلام العرب فى ذلك أكثر من أن تحصى وفيما ذكرنا كفاية لمن وفق لفهمه فقراءة مالك يوم الدين محظورة غير جائزة لاجماع جميع الحجة من القراء وعلماء الامة على رفض القراءة بها ۞ القول فى تأويل قوله (يوم الدين) قال أبو جعفر والدين فى هذا الموضع بتأويل الحساب والمجازاة بالاعمال كما قال كعب بن جعيل

اذا ما رمونا رميناهم * ودناهم مثل ما يقرضونا

وكما قال الآخر

واعلم وأيقن أن ملكك زائل * واعلم بأنك ما تدين تدان

يعنى ما تجزى تجازى ومن ذلك قول الله جل ثناؤه كلا بل تكذبون بالدين يعنى بالجزاء وان عليكم لحافظين يحصون ما تعملون من الاعمال وقوله تعالى فلولا ان كنتم غير مدينين يعنى غير مجزيين بأعمالكم ولا محاسبين وللدين معان فى كلام العرب غير معنى الحساب والجزاء سنذكرها فى أماكنها ان شاء الله وبما قلنا فى تأويل قوله يوم الدين جاءت الآثار عن السلف من المفسرين مع تصحيح الشواهد لتأويلهم الذى تأولوه فى ذلك حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء قال حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثنا بشر بن عمارة قال حدثنا أبو روق عن الضحاك عن عبد الله بن عباس يوم الدين قال يوم حساب الخلائق وهو يوم القيامة يدينهم بأعمالهم ان خيرا فخير وان شرا فشر الا من عفا عنه فالامر أمره ثم قال ألا له الخلق والامر وحدثنى موسى بن هرون الهمدانى قال حدثنا عمرو بن حماد القناد قال حدثنا أسباط بن نصر الهمدانى عن اسمعيل بن عبد الرحمن السدى عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمدانى عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم مالك يوم الدين هو يوم الحساب حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله مالك يوم الدين

مكان كل دال * الثالثة طولوا الباء من بسم الله اما للدلالة على همزة الوصل المحذوفة وإما لانهم أرادوا ان لا يستفتحوا كتاب الله الا بحرف معظم وكان يقول عمر بن عبد العزيز لكتابه طولوا الباء وأظهروا السين ودوروا الميم تعظيما لكتاب الله وقال أهل الاشارة الباء حرف منخفض فى الصورة فلما اتصل بكتابة لفظ الله ارتفعت واستعلت فلا يبعد أن القلب اذا اتصل بحضرة الله يرتفع حاله و يعلو شأنه * الرابعة ابقاء لام التعريف فى الخط على أصله فى لفظ الله كما فى سائر الاسماء المعرفة وأما حذف الألف قبل الهاء فلكراهتهم اجتماع الحروف المتشابهة فى الصورة عند الكتابة ولانه يشبه اللات فى الكتابة قال أهل الاشارة الاصل فى قولنا الله الاله وهو ستة أحرف و يبقى بعد التصرف أربعة فى اللفظ ألف ولامان وهاء فالهمزة من أقصى الحلق واللام من طرف اللسان والهاء من أقصى الحلق وهذه حال العبد يبتدئ من النكرة والجهالة و يترقى قليلا قليلا فى مقامات العبودية حتى اذا وصل الى آخر مراتب الوسع والطاقة ودخل فى عالم المكاشفات والانوار أخذ يرجع قليلا قليلا حتى ينتهى الى الفناء فى بحر التوحيد كما قيل النهاية رجوع الى البداية وأما حذف الالف قبل النون من لفظ الرحمن فهو جائز فى الخط ولو كتب كان أحسن * الخامسة الاسم أحد الأسماء العشرة التى بنوا أوائلها على السكون وهو عند البصريين فى الاصل سمو بدليل تكسيره على أسماء وتصغيره على سمى وتصريفه على سميت ونحوه فاشتقاقه من السمو وهو العلو مناسب لان التسمية تنويه بالمسمى واشادة بذكره وقيل لان اللفظ معرف للمعنى والمعرف متقدم على المعرف فى المعلومية فهو عال عليه حذفوا عجزه كما فى يد ودم فبقى حرفان أولهما متحرك والثانى ساكن فلما حرك الساكن للاعراب اسكن المتحرك للاعتدال فاحتيج الى همزة الوصل اذ كان دأبهم أن يبتدؤا بالمتحرك و يقفوا على الساكن حذرا من اللكنة والبشاعة ومنهم من لم يزد الهمزة وأبقى السين بحاله فيقول سم كما قال * باسم الذى فى كل سورة سمه * وقد يضم السين فيقال سم كأن الاصل عنده سمو وعند الكوفيين اشتقاق الاسم من الوسم والسمة لان الاسم كالعلامة المعرفة وزيف بانه لو كان كذلك لكان تصغيره وسيما وجمعه أوساما السادسة قال بعض المتكلمين ومنهم الاشعرى ان الاسم غير المسمى وغير التسمية وهو حق لان الاسم قد يكون موجودا والمسمى معدوما

قال يوم يدين الله العباد بأعمالهم و حدثنا القاسم بن الحسن قال حدثنا الحسين بن داود قال حدثني حجاج عن ابن جريج مالك يوم الدين قال يوم يدان الناس بالحساب ﴿ القول في تأويل قوله (اياك نعبد) قال أبو جعفر وتأويل قوله اياك نعبد لك اللهم نخشع ونذل ونستكين اقرارا لك يا ربنا بالربوبية لا لغيرك كما حدثنا أبو كريب قال حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثنا بشر بن عمارة قال حدثنا أبو روق عن الضحاك عن عبد الله بن عباس قال قال جبريل لمحمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد اياك نعبد اياك نوحد ونخاف ونرجو يا ربنا لا غيرك وذلك من قول ابن عباس بمعنى ما قلنا وانما اخترنا البيان عن تأويله بأنه بمعنى نخشع ونذل ونستكين دون البيان عنه بأنه بمعنى نرجو ونخاف وان كان الرجاء والخوف لا يكونان الا مع ذلة لان العبودية عند جميع العرب أصلها الذلة وأنها تسمى الطريق المذلل الذي قد وطئته الاقدام وذللته السابلة معبدا ومن ذلك قول طرفة ابن العبد

تباري عتاقا ناجيات وأتبعت * وظيفا وظيفا فوق مور معبد

يعني بالمور الطريق وبالمعبد المذلل الموطوء ومن ذلك قيل للبعير المذلل بالركوب في الحوائج معبد ومنه سمي العبد عبدا لذلته لمولاه والشواهد من أشعار العرب وكلامها على ذلك أكثر من أن تحصى وفيما ذكرناه كفاية لمن وفق لفهمه ان شاء الله تعالى ﴿ القول في تأويل قوله (واياك نستعين) قال أبو جعفر ومعنى قوله واياك نستعين واياك ربنا نستعين على عبادتنا اياك وطاعتنا لك وفي أمورنا كلها لا أحدا سواك اذ كان من يكفر بك يستعين في أموره معبوده الذي يعبده من الاوثان دونك ونحن بك نستعين في جميع أمورنا مخلصين لك العبادة كالذي حدثنا أبو كريب قال حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثني بشر بن عمارة قال حدثنا أبو روق عن الضحاك عن عبد الله بن عباس واياك نستعين قال اياك نستعين على طاعتك وعلى أمورنا كلها فان قال قائل وما معنى أمر الله عباده بأن يسألوه المعونة على طاعته أو جائز وقد أمرهم بطاعته أن لا يعينهم عليها أم هل يقول قائل لربه اياك نستعين على طاعتك الا وهو على قوله ذلك معان وذلك هو الطاعة فما وجه مسئلة العبد ربه ما قد أعطاه اياه قيل ان تأويل ذلك على غير الوجه الذي ذهبت اليه وانما الداعي ربه من المؤمنين أن يعينه على طاعته اياه داع أن يعينه فيما بقي من عمره على ما كلفه من طاعته دون ما قد تقضى ومضى من أعماله الصالحة فيما خلا من عمره وجازت مسئلة العبد ربه ذلك لان اعطاء الله عبده ذلك مع تمكينه جوارحه لاداء ما كلفه من طاعته وافترض عليه من فرائضه فضل منه جل ثناؤه تفضل به عليه ولطف منه لطف له فيه وليس في تركه التفضل على بعض عبيده بالتوفيق مع اشتغال عبده بمعصيته وانصرافه عن محبته ولا في بسطه فضله على بعضهم مع اجهاد العبد نفسه في محبته ومسارعته الى طاعته فساد في تدبير ولا جور في حكم فيجوز أن يجهل جاهل موضع حكم الله وأمره عبده بمسئلته عونه على طاعته وفي أمر الله جل ثناؤه عباده أن يقولوا اياك نعبد واياك نستعين بمعنى مسألتهم اياه المعونة على العبادة أدل الدليل على فساد قول القائلين بالتفويض من أهل القدر الذين أحالوا أن يأمر الله أحدا من عبيده بأمر

كلفظ المعدوم والمنفي ونحو ذلك وقد يكون بالعكس كالحقائق التي لم توضع لها أسماء ولأن الاسماء قد تكون كثيرة مع كون المسمى واحدا كالأسماء المترادفة وكأسماء الله التسعة والتسعين أو بالعكس كالاسماء المشتركة ولأن كون الاسم اسما للمسمى وكون المسمى مسمى له من باب الاضافة كالمالكية والمملوكية والمضافان متغايران لا محالة ولا يشكل ذلك بكون الشخص عالما بنفسه لانهما متغايران اعتبارا ولأن الاسم أصوات وحروف هي أعراض غير باقية والمسمى قد يكون باقيا (٥٣) بل واجب الوجود لذاته ولانه لا يلزم من التلفظ بالعسل وجود الحلاوة في اللسان ومن التلفظ بالنار وجود الحرارة وقالت المعتزلة الاسم نفس المسمى لقوله تعالى تبارك اسم ربك مكان تبارك ربك والجواب أنه كما يجب علينا تنزيه ذات الله تعالى من النقائص يجب تنزيه اسمه عما لا ينبغي وأيضا قد يراد لفظ الاسم مجازا كقوله * الى الحول ثم اسم السلام عليكما * قالوا اذا قال الرجل زينب طالق وكان له زوجة مسماة بزينب طلقت شرعا قلنا المراد الذات التي يعبر عنها بهذا اللفظ طالق فلهذا وقع الطلاق عليها والتسمية أيضا مغايرة للمسمى وللاسم لانها عبارة عن تعيين اللفظ المعين لتعريف الذات المعينة وذلك التعيين معناه قصد الواضع وارادته والاسم عبارة عن ذلك اللفظ المعين فافترقا * السابعة وضع الاسماء والافعال سابق على وضع الحروف لان الحروف رابطة بينهما والظاهر أن وضع الاسماء سابق على وضع الافعال لان الاسم لفظ دال على الماهية والفعل لفظ دال على حصول الماهية لشيء من الاشياء في زمان معين فكأن الاسم مفرد والفعل مركب والمفرد سابق على المركب طبعا فيكون سابقا عليه وضعا وأيضا الفعل مفتقر الى الفاعل والفاعل لا يفتقر الى الفعل وأيضا الاسم مستغن في الافادة عن الفعل دون العكس والاظهر أن أسماء الماهيات سابقة بالرتبة على الاسماء المشتقات لان الاولى مفردة والثانية مركبة ويشبه أن تكون أسماء الصفات سابقة بالرتبة على أسماء الذوات القائمة بأنفسها لانا لا نعرف الذوات الا بتوسط الصفات القائمة بها والمعرف معلوم قبل المعرّف فمناسب السبق في الذكر * الثامنة أقسام الاسماء الواقعة على المسميات تسعة أولها الاسم الواقع على الذات ثانيها الاسم الواقع على الشيء بحسب جزء من أجزائه كالحيوان على الانسان ثالثها الواقع عليه بحسب صفة

أو يكلفه فرض عمل الا بعد اعطائه المعونة على فعله وعلى تركه ولو كان الذى قالوا من ذلك كما قالوا لبطلت الرغبة الى الله فى المعونة على طاعته اذ كان على قولهم مع وجود الامر والنهى والتكليف حقا واجبا على الله للعبد اعطاؤه المعونة عليه سأله عبده ذلك أو ترك مسألة ذلك بل ترك اعطائه ذلك عندهم منه جور ولو كان الامر فى ذلك على ما قالوا لكان القائل اياك نعبد واياك نستعين انما يسأل ربه أن لا يجور وفى اجماع أهل الاسلام جميعا على تصويب قول القائل اللهم انا نستعينك وتخطئتهم قول القائل اللهم لا تجر علينا دليل واضح على خطإ ما قال الذين وصفت قولهم اذ كان تأويل قول القائل عندهم اللهم انا نستعينك اللهم لا تترك معونتنا التى تركها جور منك فان قال قائل وكيف قيل اياك نعبد واياك نستعين فقدم الخبر عن العبادة وأخرت مسئلة المعونة عليها بعدها وانما تكون العبادة بالمعونة فمسئلة المعونة كانت أحق بالتقديم قبل المعان عليه من العمل والعبادة بها قيل لما كان معلوما أن العبادة لا سبيل للعبد اليها الا بمعونة من الله جل ثناؤه وكان محالا أن يكون العبد عابدا الا وهو على العبادة معان وأن يكون معانا عليها الا وهو لها فاعل كان سواء تقديم ما قدم منهما على صاحبه كما سواء قولك للرجل اذا قضى حاجتك فأحسن اليك فى قضائها قضيت حاجتى فأحسنت الى فقدمت ذكر قضائه حاجتك أو قلت أحسنت الى فقضيت حاجتى فقدمت ذكر الاحسان على ذكر قضاء الحاجة لانه لا يكون قاضيا حاجتك الا وهو اليك محسن ولا محسنا اليك الا وهو لحاجتك قاض فكذلك سواء قول القائل اللهم انا اياك نعبد فأعنا على عبادتك وقوله اللهم أعنا على عبادتك فانا اياك نعبد * قال أبو جعفر وقد ظن بعض أهل الغفلة أن ذلك من المقدم الذى معناه التأخير كما قال امرؤ القيس

ولو أن ما أسعى لأدنى معيشة * كفانى ولم أطلب قليل من المال

يريد بذلك كفانى قليل من المال ولم أطلب كثيرا وذلك من معنى التقديم والتأخير ومن مشابهة بيت امرئ القيس بمعزل من أجل أنه قد يكفيه القليل من المال ويطلب الكثير فليس وجود ما يكفيه منه بموجب له ترك طلب الكثير فيكون نظير العبادة التى بوجودها وجود المعونة عليها وبوجود المعونة عليها وجودها ويكون ذكر أحدهما دالا على الآخر فيعتدل فى صحة الكلام تقديم ما قدم منهما قبل صاحبه أن يكون موضوعا فى درجته ومرتبا فى مرتبته فان قال فما وجه تكراره اياك مع قوله نستعين وقد تقدم ذلك قبل نعبد وهلا قيل اياك نعبد ونستعين اذ كان المخبر عنه أنه المعبود هو المخبر عنه انه المستعان قيل له ان الكاف التى مع إيا هى الكاف التى كانت تتصل بالفعل أعنى بقوله نعبد لو كانت مؤخرة بعد الفعل وهى كناية اسم المخاطب المنصوب بالفعل فكثرت بايا متقدمة اذ كانت الاسماء اذا انفردت بأنفسها لا تكون فى كلام العرب على حرف واحد فلما كانت الكاف من اياك هى كناية اسم المخاطب التى كانت تكون كافا وحدها متصلة بالفعل اذا كانت بعد الفعل ثم كان حظها أن تعاد مع كل فعل اتصلت به فيقال اللهم انا نعبدك ونستعينك ونحمدك ونشكرك وكان ذلك أفصح فى كلام العرب من أن يقال اللهم انا نعبدك ونستعين ونحمد كان كذلك اذا قدمت كناية اسم المخاطب قبل الفعل موصولة بايا كان الافصح

حقيقية قائمة بذاته كالاسود والحار رابعها الواقع عليه بحسب صفة اضافية كقولنا للشئ انه معلوم ومفهوم ومالك ومملوك خامسها الواقع عليه بحسب صفة سلبية كالاعمى والفقير سادسها الواقع عليه بحسب صفة حقيقية مع صفة اضافية كالعالم والقادر عند القائل بان العلم صفة حقيقية ولها اضافة الى المعلومات وكذا القدرة سابعها صفة حقيقية مع صفة سلبية كالمفهوم من مجموع قولنا قادر لا يعجز عن شئ وعالم لا يجهل شيأ ثامنها صفة اضافية مع صفة سلبية

كالاول فان معناه سابق غير مسبوق تاسعها صفة حقيقية مع صفة اضافية وصفة سلبية فهذه أقسام الاسماء لا تكاد تجد اسما خارجا عنها سواء كان لله تعالى أو لمخلوقاته * التاسعة هل لله تعالى بحسب ذاته المخصوصة اسم أم لا ذكر بعضهم أن حقيقته تعالى لما كانت غير مدركة للبشر فكيف يوضع له اسم مخصوص بذاته وما الفائدة فى ذلك أقول لا ريب أن الادراك التام عبارة عن الاحاطة التامة والمحاط لا يمكن أن يحيط بمحيطه أبدا وانه تعالى بكل شئ محيط فلا يدركه شئ مما دونه كما ينبغى الا أن وضع الاسم للذات لا ينافى عدم ادراكه كما ينبغى وانما ينافى عدم ادراكه مطلقا فيجوز أن يقال الشئ الذى تدرك منه هذه الآثار واللوازم مسمى بهذا اللفظ وأيضا اذا كان الواضع هو الله تعالى وانه يدرك ذاته لا محالة على ما هو عليه فله أن يضع لذاته اسما مخصوصا لا يشاركه فيه غيره حقيقة واذا كان وضع الاسم لتلك الحقيقة المخصوصة ممكنا فينبغى أن يكون ذلك الاسم أعظم الاسماء وذلك الذكر أشرف الاذكار لان شرف العلم والذكر بشرف المعلوم والمذكور فلو اتفق لعبد من عبيده المقربين الوقوف على ذلك الاسم حال ما يكون قد تجلى له معناه لم يبعد أن تنقاد له عوالم الجسمانيات والروحانيات ثم القائلون بان الاسم الاعظم موجود اختلفوا فيه على وجوه منهم من قال هو ذو الجلال والاكرام ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ألظوا بياذا الجلال والاكرام ورد بان الجلال من الصفات اعادتها السلبية والاكرام من الاضافية ومن البين أن حقيقته المخصوصة مغايرة للسلوب والاضافات ومنهم من يقول انه الحى القيوم لقوله صلى الله عليه وسلم لابى بن كعب حين قال له ما أعظم آية فى كتاب الله فقال الله لا اله الا هو الحى القيوم فقال صلى الله عليه وسلم ليهنك العلم يا أبا المنذر وزيف بأن الحى هو الدراك الفعال وهذا ليس فيه عظمة ولانه صفة وأما القيوم فمعناه كونه قائما بنفسه مقوما لغيره والأول مفهوم

سلبي وهو استغناؤه عن غيره والثاني اضافي ومنهم من قال ان أسماء الله تعالى كلها عظيمة لا ينبغي أن يفاوت بينها ورد بما مرّ من أن اسم الذات أشرف من اسم الصفة ومنهم من قال ان الاسم الاعظم هو الله وهذا أقرب لانا سنقيم الدلالة على أن هذا الاسم يجري مجرى اسم العلم في حقه سبحانه واذا كان كذلك كان دالا على ذاته المخصوصة ويؤيد ذلك ما روت أسماء بنت زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم (٥٥) وفاتحة سورة آل عمران الم الله لا اله الا هو الحي القيوم

وعن بريدة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول اللهم انى أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا اله الا أنت الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فقال والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الاعظم الذي اذا دعي به أجاب واذا سئل به أعطى ولا شك أن اسم الله في الآية والحديث أصل والصفات مرتبة عليه هذا وأما الاسم الدال على المسمى بحسب جزء من أجزائه فمحال في حق الله تعالى لان ذاته تعالى مبرأ عن شائبة التركيب بوجه من الوجوه وأما الاسم الدال بحسب صفة حقيقية قائمة بذاته المخصوصة فتلك الصفة اما أن تكون هي الوجود و إما أن تكون كيفية من كيفيات الوجود وإما أن تكون صفة أخرى مغايرة للوجود ولكيفيات الوجود فهذه ثلاثة أقسام القسم الأول الأسماء الدالة على الوجود ومنها الشئ ويجوز اطلاقه على الله تعالى عند الاكثرين لقوله تعالى قل أى شئ أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم كل شئ هالك الا وجهه أى ذاته وفي الخبر كان الله ولم يكن شئ غيره ولان الشئ عبارة عما يصح أن يعلم ويخبر عنه وذاته تعالى كذلك حجة المخالف قوله تعالى الله خالق كل شئ فلو كان الله تعالى شيأ لزم ان يكون خالق نفسه ومثله وهو على كل شئ قدير قلنا خص بالدليل العقلي قالوا ليس من صفات المدح قلنا نعم هو خير من لا شئ وان كان سائر الاشياء مشتركة معه في ذلك كالموجود والكريم والحليم فان كلا منها مدح بالنسبة الى من لا وجود له ولا كرم ولا حلم بل الشئ بالحقيقة هو وباقي الاشياء شيئيتها مستعارة كوجودها ومنها الموجود وأطبق المسلمون على جواز اطلاقه عليه تعالى وكيف لا ومعنى قول الموحد لا اله الا الله أى لا اله في الوجود الا الله ومنها الذات ولا شك في جواز اطلاقه عليه اذ يصدق

اعادتها مع كل فعل كما كان الفصيح من الكلام اعادتها مع كل فعل اذ كانت بعد الفعل متصلة به وان كان ترك اعادتها جائزا وقد ظن بعض من لم يمعن النظر أن اعادة اياك مع نستعين بعد تقدمها في قوله اياك نعبد بمعنى قول عدي بن زيد العبادي

وجاعل الشمس مصرا لا خفاء به * بين النهار و بين الليل قد فصلا

وكقول أعشى همدان

بين الأشج وبين قيس باذخ * بخ بخ لوالده وللمولود

وذلك جهل من قائله من أجل أن حظ اياك أن تكون مكررة مع كل فعل لما وصفنا آنفا من العلة وليس ذلك حكم بين لانها لا تكون اذا اقتضت اثنين الا تكريرا اذا أعيدت اذ كانت لا تنفرد بالواحد وانها لو أفردت بأحد الاسمين في حال اقتضائها اثنين كان الكلام كالمستحيل وذلك أن قائلا لو قال الشمس قد فصلت بين النهار لكان من الكلام خلفا لنقصان الكلام عما به الحاجة اليه من تمامه الذي يقتضيه بين ولو قال القائل اللهم اياك نعبد لكان ذلك كلاما تاما فكان معلوما بذلك أن حاجة كل كلمة كانت نظيرة اياك نعبد الى اياك كحاجة نعبد اليها وأن الصواب أن تكرر معها اياك اذ كانت كل كلمة منها جملة خبر مبتدأ وبينا حكم مخالفة ذلك حكم بين فيما وفق بينهما الذي وصفنا قوله ۞ القول في تأويل قوله (اهدنا) قال أبو جعفر ومعنى قوله اهدنا الصراط المستقيم في هذا الموضع عندنا وفقنا للثبات عليه كما روى ذلك عن ابن عباس حدثنا أبو كريب قال حدثنا عثمان ابن سعيد قال حدثنا بشر بن عمارة قال حدثنا أبو روق عن الضحاك عن عبد الله بن عباس قال قال جبريل لمحمد قل يا محمد اهدنا الصراط المستقيم يقول ألهمنا الطريق الهادي وألهامه اياه ذلك هو توفيقه له كالذي قلنا في تأويله ومعناه نظير معنى قوله اياك نستعين في أنه مسئلة العبد ربه التوفيق للثبات على العمل بطاعته واصابة الحق والصواب فيما أمره به ونهاه عنه فيما يستقبل من عمره دون ما قد مضى من أعماله وتقضى فيما سلف من عمره كما في قوله اياك نستعين مسئلة منه ربه المعونة على أداء ما قد كلفه من طاعته فيما بقي من عمره فكان معنى الكلام اللهم اياك نعبد وحدك لا شريك لك مخلصين لك العبادة دون ما سواك من الآلهة والاوثان فأعنا على عبادتك ووفقنا لما وفقت له من أنعمت عليه من أنبيائك وأهل طاعتك من السبيل والمنهاج فان قال قائل وأنى وجدت الهداية في كلام العرب بمعنى التوفيق قيل له ذلك في كلامها أكثر وأظهر من أن يحصى عدد ما جاء عنهم في ذلك من الشواهد فمن ذلك قول الشاعر

لا تحرمني هداك الله مسئلتي * ولا أكونن كمن أودى به السفر

يعني به وفقك الله لقضاء حاجتي ومنه قول الآخر

ولا تعجلني هداك المليك * فان لكل مقام مقالا

فمعلوم انه انما أراد وفقك الله لاصابة الحق في أمري ومنه قول الله جل ثناؤه والله لا يهدي القوم الظالمين في غير آية من تنزيله وقد علم بذلك أنه لم يعن أنه لا يبين للظالمين الواجب عليهم من فرائضه وكيف يجوز أن يكون ذلك معناه وقد عم بالبيان جميع المكلفين من خلقه ولكنه عني جل وعز أنه

على كل حقيقة أنها ذات الصفات أي صاحبة الصفات القائمة بها ويؤيد ذلك ماروي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان
ابراهيم لم يكذب الا في ثلاث ثنتين في ذات الله أي في طلب مرضاته ومنها النفس قال تعالى تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك وقال صلى الله
عليه وسلم أنت كما أثنيت على نفسك أي على ذاتك وحقيقتك ومنها الشخص قال لا شخص أغير من الله تعالى ومن أجل غيرته حرم
الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا شخص أحب اليه العذر من (٥٦) الله ومن أجل ذلك بعث المرسلين مبشرين ومنذرين ولا شخص أحب
اليه المدحة من الله والمراد بالشخص
الحقيقة المتعينة الممتازة عما عداها
ومنها النور قال عز من قائل الله نور
السموات والارض وليس المراد
به ما يشبه الكيفية المبصرة وانما
المراد أنه الظاهر في نفسه المظهر لغيره
واذ لا ظهور ولا اظهار فوق ظهوره
واظهاره فانه واجب الوجود
لذاته أزلا وأبدا ومخرج جميع
الممكنات من العدم الى الوجود
فاذن هو نور الانوار تعالى وتقدس
وسوف يأتيك تمام التحقيق
اذا وصلنا الى سورة النور وهو أعلم
بحقائق الامور ومنها الصورة وقد
ورد في الخبر ان الله خلق آدم على
صورته فقيل معناه خلق آدم على
صورته التي كان عليها يعني ما تولد
من نطفة ودم وما كان جنينا
ورضيعا بل خلقه الله تعالى رجلا
كاملا دفعة واحدة وقيل في حديث
آخر لا تقبحوا الوجه فان الله تعالى
خلق آدم على صورة الرحمن المراد من
الصورة الصفة كما يقال صورة هذه
المسئلة كذا أي خلقه على صفته في
كونه خليفة في أرضه متصرفا في جميع
الاجسام الارضية كما انه تعالى نافذ
القدرة في جميع العالم ويمكن أن
يقال الصورة اشارة الى وجه المناسبة
التي ينبغي أن تكون بين كل علة
ومعلولها فان الظلمة لا تصدر عن
النور وبالعكس وكما قد كتبنا في
هذه الرسالة ومنها الجوهر وانه
لا يطلق عليه بمعنى موجود لا في موضوع أي اذا وجد كان وجوده بحيث لا يحتاج الى محل يقوم به ويستغني المحل عنه فيصدنا
لان ذلك ينبئ عن كون وجوده زائدا على ماهيته وانما يمكن أن يطلق عليه بمعنى آخر وهو كونه قائما بذاته غير مفتقر الى شئ في شئ أصلا
لكن الاذن الشرعي حيث لم يرد بذلك وجب الامتناع عنه ومنها الجسم ولا يطلقه عليه الا المجسمة فان أرادوا الجوهر القابل للابعاد
الثلاثة فمحال للزوم التركيب والتجزي وان أرادوا معنى يليق بذاته من كونه موجودا قائما بالنفس غنيا عن المحل فالاذن الشرعي

لا يوفقهم ولا يشرح للحق والايمان صدورهم وقد زعم بعضهم أن تأويل قوله اهدنا زدنا هداية
وليس يخلو هذا القول من أحد أمرين اما أن يكون قائله قد ظن أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر
بمسئلة ربه الزيادة في البيان أو الزيادة في المعونة والتوفيق فان كان ظن انه أمر بمسئلة الزيادة في
البيان فذلك ما لا وجه له لان الله جل ثناؤه لا يكلف عبدا فرضا من فرائضه الا بعد تبيينه له واقامة
الحجة عليه به ولو كان معنى ذلك معنى مسئلته البيان لكان قد أمر أن يدعو ربه أن يبين له ما فرض
عليه وذلك من الدعاء خلف لانه لا يفرض فرضا الا مبينا لمن فرضه عليه أو يكون أمر أن يدعو
ربه أن يفرض عليه الفرائض التي لم يفرضها وفي فساد وجه مسئلة العبد ربه ذلك ما يوضح عن
أن معنى اهدنا الصراط المستقيم غير معنى بين لنا فرائضك وحدودك أو يكون ظن أنه أمر بمسئلة
ربه الزيادة في المعونة والتوفيق فان كان ذلك كذلك فلن تخلو مسئلته تلك الزيادة من أن تكون
مسئلة للزيادة في المعونة على ما قد مضى من عمله أو على ما يحدث وفي ارتفاع حاجة العبد الى
المعونة على ما قد تقضى من عمله ما يعلم أن معنى مسئلة تلك الزيادة انما هو مسئلته الزيادة لما يحدث
من عمله واذا كان ذلك كذلك صار الامر الى ما وصفنا وقلنا في ذلك من أنه مسئلة العبد ربه
التوفيق لاداء ما كلف من فرائضه فيما يستقبل من عمره وفي صحة ذلك فساد قول أهل القدر
الزاعمين أن كل مأمور بأمر أو مكلف فرضا فقد أعطي من المعونة عليه ما قد ارتفعت معه في ذلك
الفرض حاجته الى ربه لانه لو كان الامر على ما قالوا في ذلك لبطل معنى قول الله جل ثناؤه اياك
نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم وفي صحة معنى ذلك على ما بينا فساد قولهم وقد زعم
بعضهم أن معنى قوله اهدنا الصراط المستقيم أسلكنا طريق الجنة في المعاد أي قدمنا له وامض
بنا اليه كما قال جل ثناؤه فاهدوهم الى صراط الجحيم أي أدخلوهم النار كما تهدى المرأة الى زوجها
يعني بذلك أنها تدخل اليه وكما تهدى الهدية الى الرجل وكما تهدى الساق القدم نظير قول طرفة
ابن العبد

لعبت بعدي السيول به * وجرى في رونق رهمه
للفتى عقل يعيش به * حيث تهدى ساقه قدمه

أي ترد به الموارد وفي قول الله جل ثناؤه اياك نعبد واياك نستعين ما ينبئ عن خطا هذا التأويل مع
شهادة الحجة من المفسرين على تخطئته وذلك أن جميع المفسرين من الصحابة والتابعين مجمعون على
أن معنى الصراط في هذا الموضع غير المعنى الذي تأوله قائل هذا القول وأن قوله اياك نستعين
مسئلة العبد ربه المعونة على عبادته فكذلك قوله اهدنا انما هو مسئلة الثبات على الهدى فيما بقي
من عمره والعرب تقول هديت فلانا الطريق وهديته للطريق وهديته الى الطريق اذا أرشدته اليه
وسددته له وبكل ذلك جاء القرآن قال الله جل ثناؤه وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وقال في موضع
آخر اجتباه وهداه الى صراط مستقيم وقال اهدنا الصراط المستقيم وكل ذلك فاش في منطقها
موجود في كلامها من ذلك قول الشاعر

أستغفر الله ذنبا لست محصيه * رب العباد اليه الوجه والعمل

يريد أستغفر الله لذنب كما قال جل ثناؤه واستغفر لذنبك ومنه قول نابغة بني ذبيان

لم يرد به فلزم الامتناع ومنها الماهية والانية أى الحقيقة التي يسئل عنها بما هي وثبوته الدال عليه لفظ ان ولا بأس باطلاقهما عليه اذا أريد بهما الحقيقة والذات المخصوصة الامن حيث الشرع ومنها الحق فانه تعالى أحق الاشياء بهذا الاسم أما بحسب ذاته فلانه الموجود الذى يمتنع عدمه وزواله والحق يقال بازاء الباطل والباطل يقال للمعدوم قال لبيد * ألا كل شئ ما خلا الله باطل * وأما بحسب ما يقال ان هذا الخبر حق وصدق فهذا الخبر أحق وأصدق وأما بحسب ما يقال ان هذا الاعتقاد حق فلأن اعتقاد وجوده ووجوبه

فصدنا العبر المدل بحضره * قبل الونا والأشعب النباحا

يريد فيصدنا وذلك كثير في أشعارهم وكلامهم وفيما ذكرنا منه كفاية ﴿القول في تأويل قوله (الصراط المستقيم)﴾ قال أبو جعفر أجمعت الامة من أهل التأويل جميعا على أن الصراط المستقيم هو الطريق الواضح الذى لا اعوجاج فيه وكذلك ذلك في لغة جميع العرب فمن ذلك قول جرير بن عطية الخطفى

أمير المؤمنين على صراط * اذا اعوج الموارد مستقيم

يريد على طريق الحق ومنه قول الهذلى أبي ذؤيب

صبحنا أرضهم بالخيل حتى * تركناها أدق من الصراط

ومنه قول الراجز * فصد عن نهج الصراط القاصد * والشواهد على ذلك أكثر من أن تحصى وفيما ذكرنا غنى عما تركنا ثم تستعير العرب الصراط فتستعمله في كل قول وعمل وصف باستقامة أو اعوجاج فتصف المستقيم باستقامته والمعوج باعوجاجه والذى هو أولى بتأويل هذه الآية عندى أعنى اهدنا الصراط المستقيم أن يكون معنيا به وفقنا للثبات على ما ارتضيته ووفقت له من أنعمت عليه من عبادك من قول وعمل وذلك هو الصراط المستقيم لان من وفق لما وفق له من أنعم الله عليه من النبيين والصديقين والشهداء فقد وفق للاسلام وتصديق الرسل والتمسك بالكتاب والعمل بما أمر الله به والانزجار عما زجره عنه واتباع منهج النبي صلى الله عليه وسلم ومنهاج أبي بكر وعمر وعثمان وعلى وكل عبد لله صالح وكل ذلك من الصراط المستقيم وقد اختلفت تراجمة القرآن في المعنى بالصراط المستقيم يشمل معاني جميعهم في ذلك ما اخترنا من التأويل فيه ومما قالته في ذلك ما روى عن على بن أبي طالب رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال وذكر القرآن فقال هو الصراط المستقيم حدثنا بذلك موسى بن عبد الرحمن المسروقى قال حدثنا حسين الجعفى عن حمزة الزيات عن أبي المختار الطائى عن ابن أخى الحرث عن الحرث عن على عن النبي صلى الله عليه وسلم وحدثنا عن اسمعيل بن أبي كريمة قال حدثنا محمد بن سلمة عن أبي سنان عن عمرو بن مرة عن أبي البخترى عن الحرث عن على عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله وحدثنا أحمد بن اسحق الاهوازى قال حدثنا أبو أحمد الزبيرى قال حدثنا حمزة الزيات عن أبي المختار الطائى عن ابن أخى الحرث الاعور عن الحرث عن على قال الصراط المستقيم كتاب الله تعالى حدثنا أحمد بن اسحق الاهوازى قال حدثنا أبو أحمد الزبيرى قال حدثنا سفيان ح وحدثنا محمد بن حميد الرازى قال حدثنا مهران عن سفيان عن منصور عن أبي وائل قال قال عبد الله الصراط المستقيم كتاب الله وحدثني محمود بن خداش الطالقانى قال حدثنا حميد بن عبد الرحمن الرؤاسى قال حدثنا على والحسن ابنا صالح جميعا عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله اهدنا الصراط المستقيم قال الاسلام قال هو أوسع مما بين السماء والارض حدثنا أبو كريب قال حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثنا بشر بن عمار قال حدثنا أبو روق عن الضحاك عن عبد الله بن عباس قال قال جبريل لمحمد قل يا محمد اهدنا الصراط المستقيم يقول ألهمنا الطريق الهادى وهو دين الله الذى لا عوج له و حدثنا موسى بن سهل الرازى قال حدثنا يحيى بن عوف عن الفرات بن السائب

أصوب الاعتقادات المطابقة * القسم الثاني في الاسماء الدالة على كيفية الوجود منها القديم وهو في اللغة يفيد طول المدة وفي الشرع يرادفه الازلي ويراد بهما ما لا أول له في الطرف الماضي كالأبدي في الطرف المستقبل وكذا السرمدي واشتقاقه من السرد التوالي والتعاقب زيدت الميم للمبالغة ونعني بالنسبة في هذه الالفاظ أنه تعالى منسوب الى عدم البداية والنهاية في كلا طرفي الامتداد الوهمي المسمى بالزمان ومنها الممتد والمستمر ونعني بهما تلاحق الاجزاء وتعاقب الابعاض ولا يخفى أن أمثال هذه الالفاظ انما يصح اطلاقها بالحقيقة على الزمان والزمانيات وأما في حق الله جل ذكره فلا يصح الا بالمجاز بعد التوقيف ومنها الباقي قال تعالى كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وانه تعالى أحق الاشياء بهذا الاسم ومنها الدائم وهو كالباقي ومنها واجب الوجود لذاته أى ذاته اقتضى وجوده وما بالذات لا ينفك عنه أبدا فهو ممتنع الفناء والعدم أزلا وأبدا ولهذا قيل خداى معناه خود اى أى انه جاء بنفسه ومنها الكائن قال تعالى وكان الله عليما حكيما وفي بعض الادعية المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم يا كائنا قبل كل كون ويا حاضرا مع كل كون ويا باقيا بعد انقضاء كل كون ﴿واعلم﴾ أن لفظة كان تفيد الحصول والثبوت والوجود الا أن هذا قسمان منه ما يفيد حصول الشئ في نفسه ومنه ما يفيد حصول موصوفية شئ بشئ والاول يتم باسناده الى ذلك الشئ وهي التامة والثاني لا يتم الا بذكر شيئين وهي الناقصة نحو كان زيد عالما أى حصل موصوفية زيد بالعلم وكلا القسمين يجوز اطلاقه عليه تعالى * القسم الثالث في الصفات الحقيقية المغايرة للوجود ولكيفيات الوجود الفلاسفة والمعتزلة أنكروا قيام مثل هذه الصفات بذات الله تعالى أشد انكار لان

عن ميمون بن مهران عن ابن عباس فى قوله اهدنا الصراط المستقيم قال ذلك الاسلام وحدثنى محمود بن خداش قال حدثنا محمد بن ربيعة الكلابى عن اسمعيل الازرق عن أبى عمر البزار عن ابن الحنفية فى قوله اهدنا الصراط المستقيم قال هو دين الله الذى لا يقبل من العباد غيره وحدثنى موسى بن هرون الهمدانى قال حدثنا عمرو بن طلحة القناد قال حدثنا أسباط عن السدى فى خبر ذكره عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمدانى عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم اهدنا الصراط المستقيم قال هو الاسلام وحدثنا القاسم بن الحسن قال حدثنا الحسين بن داود قال حدثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس فى قوله اهدنا الصراط المستقيم قال الطريق حدثنا عبد الله بن كثير أبو صديف الآملى قال حدثنا هاشم بن القاسم قال حدثنا حمزة بن أبى المغيرة عن عاصم عن ابى العالية فى قوله اهدنا الصراط المستقيم قال هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه من بعده أبو بكر وعمر قال فذكرت ذلك للحسن فقال صدق أبو العالية ونصح وحدثنى يونس بن عبد الاعلى قال حدثنا ابن وهب قال قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم اهدنا الصراط المستقيم قال الاسلام حدثنا المثنى قال حدثنا أبو صالح قال حدثنى معاوية بن صالح أن عبد الرحمن بن جبير حدثه عن أبيه عن نواس ابن سمعان الانصارى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ضرب الله مثلا صراطا مستقيما والصراط الاسلام حدثنا المثنى قال حدثنا آدم العسقلانى قال حدثنا الليث عن معاوية ابن صالح عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه عن نواس بن سمعان الانصارى عن النبى صلى الله عليه وسلم بمثله ۞ قال أبو جعفر وانما وصفه الله بالاستقامة لانه صواب لا خطأ فيه وقد زعم بعض أهل الغباء أنه سماه مستقيما لاستقامته بأهله الى الجنة وذلك تأويل لتأويل جميع أهل التفسير خلاف وكفى باجماع جميعهم على خلافه دليلا على خطئه ۞ القول فى تأويل قوله (صراط الذين أنعمت عليهم) وقوله صراط الذين أنعمت عليهم ابانة عن الصراط المستقيم أى الصراط هو اذ كان كل طريق من طرق الحق صراطا مستقيما فقيل لمحمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد اهدنا يا ربنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم بطاعتك وعبادتك من ملائكتك وأنبيائك والصديقين والشهداء والصالحين وذلك نظير ما قال ربنا جل ثناؤه فى تنزيله ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا واذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما ولهديناهم صراطا مستقيما ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ۞ قال أبو جعفر فالذى أمر محمد صلى الله عليه وسلم وأمته أن يسألوه ربهم من الهداية للطريق المستقيم هى الهداية للطريق الذى وصف الله جل ثناؤه صفته وذلك الطريق هو طريق الذين وصفهم الله بما وصفهم به فى تنزيله ووعد من سلكه فاستقام فيه طائعا لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم أن يورده مواردهم والله لا يخلف الميعاد وبنحو ما قلنا فى ذلك روى الخبر عن ابن عباس وغيره حدثنا محمد بن العلاء قال حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثنا بشر ابن عمار قال حدثنا أبو روق عن الضحاك عن ابن عباس صراط الذين أنعمت عليهم يقول

واجب الوجود لذاته يجب أن يكون واحدا من جميع جهاته ولان تلك الصفة لو كانت واجبة الوجود لزم شريك للبارى مع أن الجمع بين الوجوب الذاتى وبين كونه صفة للغير والصفة مفتقرة الى الموصوف محال وان كانت ممكنة الوجود فلها علة موجدة ومحال أن يكون هو الله تعالى لانه قابل لها فلا يكون فاعلا لها ولان ذاته لو كانت كافية فى تحصيل تلك الصفة فتكون ذاته بدون تلك الصفة كاملة فى العلية وهو المطلوب وان لم تكن كافية لزم النقص المنافى (٥٨) لوجوب الوجود حجة المثبتين أن الله العالم يجب أن يكون عالما قادرا حيا ثم انا ندرك التفرقة بين قولنا ذات الله تعالى ذات وبين قولنا ذاته عالم قادر وذلك يدل على المغايرة بين الذات وهذه الصفات واذا قلنا باثبات الصفات الحقيقية فنقول العلم صفة يلزمها كونها متعلقة بالمعلوم والقدرة صفة يلزمها صحة تعلقها بايجاد المقدور والصفة الحقيقية العارية عن النسب والاضافات فى حقه تعالى ليست الا صفة الحياة ان لم نقل انها عبارة عن الدراكية والفعالية بل يقال انها صفة باعتبارها يصح أن يكون عالما وقادرا والتحقيق أن الحياة عبارة عن كون الشئ بحيث يصدر عنه ما من شانه أن يصدر عنه كما ينبغى أن يصدر عنه ولا ريب أن واجب الوجود تعالى أحق الاشياء بهذا الاسم لان وجوب الوجود يقتضى اتصافه بجميع الصفات الكمالية وصدور الاشياء الممكنة عنه على النحو الافضل ولهذا امدح الله تعالى به نفسه قائلا الله لا اله الا هو الحى القيوم وعنت الوجوه للحى القيوم وأما الاسماء الدالة على الصفات الاضافية فمنها التكوين وهو عند المعتزلة والاشعرى نفس المكون وقال غيرهم انه غيره حجة الاولين أن الصفة المسماة بالتكوين اما أن تؤثر على سبيل الصحة وهى القدرة لا غير أو على سبيل الوجوب و يلزم كونه موجبا بالذات لا فاعلا بالاختيار وأيضا ان كانت قديمة لزم قدم الآثار وان كانت حادثة افتقرت الى تكوين آخر وتسلسل الآخرون قالوا طريق كونه خالقا رازقا ليس عبارة عن الصفة الاضافية فقط بل هو عبارة عن صفة حقيقية موصوفة بصفة اضافية لان المعقول من كونه موجدا مغاير للمعقول من كونه قادرا فان القادر على الفعل قد يوجد وقد لا يوجد ومنها كونه تعالى معلوما ومذكورا ممجدا فيقال يا أيها المسبح بكل لسان ويا أيها الممدوح عند كل انسان ويا أيها المرجوع اليه فى كل حين وأوان ولما كان هذا النوع من الاضافات غير متناه

طريق من أنعمت عليهم بطاعتك وعبادتك من الملائكة والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين الذين أطاعوك وعبدوك **وحدثني** أحمد بن حازم الغفاري قال أخبرنا عبيد الله ابن موسى عن أبي جعفر عن ربيع صراط الذين أنعمت عليهم قال النبيون **وحدثني** القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس أنعمت عليهم قال المؤمنين وحدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال قال وكيع أنعمت عليهم المسلمين **وحدثني** يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال عبد الرحمن بن زيد في قول الله صراط الذين أنعمت عليهم قال النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه ۞ قال أبو جعفر وفي هذه الآية دليل واضح على أن طاعة الله جل ثناؤه لا ينالها المطيعون الا بانعام الله بها عليهم وتوفيقه اياهم لها أولا يسمعونه يقول صراط الذين أنعمت عليهم فأضاف كل ما كان منهم من اهتداء وطاعة وعبادة الى أنه انعام منه عليهم * فان قال قائل وأين تمام هذا الخبر وقد علمت ان قول القائل لآخر أنعمت عليك مقتض الخبر عما أنعم به عليه فأين ذلك الخبر في قوله صراط الذين أنعمت عليهم وما تلك النعمة التي أنعمها عليهم قيل له قد قدمنا البيان فيما مضى من كتابنا هذا عن اجتزاء العرب في منطقها ببعض من بعض اذا كان البعض الظاهر دالا على البعض الباطن وكافيا منه فقوله صراط الذين أنعمت عليهم من ذلك لان أمر الله جل ثناؤه عباده بمسئلته المعونة وطلبهم منه الهداية للصراط المستقيم لما كان متقدما قوله صراط الذين أنعمت عليهم الذي هو ابانة عن الصراط المستقيم وابدال منه كان معلوما أن النعمة التي أنعم الله بها على من أمرنا بمسئلته الهداية لطريقهم هو المنهاج القويم والصراط المستقيم الذي قد قدمنا البيان عن تأويله آنفا فكان ظاهر ما ظهر من ذلك مع قرب تجاور الكلمتين مغنيا عن تكراره كما قال نابغة بني ذبيان

كأنك من جمال بني أقيش * يقعقع خلف رجليه بشن

يريد كأنك من جمال بني أقيش جمل يقعقع خلف رجليه بشن فاكتفى بما ظهر من ذكر الجمال الدال على المحذوف من اظهار ما حذف وكما قال الفرزدق بن غالب

ترى أرباقهم متقلديها * اذا صدئ الحديد على الكماة

يريد متقلديها هم فحذف هم اذ كان الظاهر من قوله أرباقهم دالا عليها والشواهد على ذلك من شعر العرب وكلامها أكثر من أن تحصى فكذلك ذلك في قوله صراط الذين أنعمت عليهم ۞ القول في تأويل قوله (غير المغضوب عليهم) قال أبو جعفر والقراء مجمعة على قراءة غير بجر الراء منها والخفض يأتيها من وجهين أحدهما أن يكون غير صفة للذين ونعتا لهم فتخفضها اذ كان الذين خفضا وهي لهم نعت وصفة وانما جاز أن يكون غير نعتا للذين والذين معرفة وغير نكرة لان الذين بصلتها ليست بالمعرفة الموقتة كالاسماء التي هي أمارات بين الناس مثل زيد وعمرو وما أشبه ذلك وانما هي كالنكرات المجهولات مثل الرجل والبعير وما أشبه ذلك فلما كان الذين كذلك صفتها وكانت غير مضافة الى مجهول من الاسماء نظير الذين في أنه معرفة غير موقتة كما الذين معرفة غير موقتة جاز من أجل ذلك أن يكون غير المغضوب عليهم نعتا للذين أنعمت عليهم كما يقال لا أجلس الا الى العالم غير الجاهل يراد لا أجلس الا الى من يعلم لا الى من يجهل ولو كان الذين أنعمت عليهم معرفة موقتة كان غير جائز أن يكون غير المغضوب عليهم لها نعتا وذلك

كانت الاسماء الممكنة لله بحسب هذا النوع من الصفات غير متناهية ومنها ألفاظ متقاربة تدل على مجرد كونه موجدا مثل الموجد ومعناه المؤثر في الموجود والمحدث وهو أخص لانه الذي جعله موجودا بعد العدم والمكون وهو كالموجد والمنشئ ومعناه ينشئ على التدريج والمبدع والمخترع ويفهم منهما الايجاد الدفعي وكذا الفاطر مثل الصانع ويفهم منه تكلف وأما الخلق فهو التقدير وانه في حق الله تعالى يرجع الى العلم وأما البارئ فهو الذي يحدثه على الوجه الموافق للمصلحة يقال برى القلم اذا أصلحه وجعله موافقا للغرض معين * ومنها ألفاظ تدل على ايجاد شئ بعينه وانها تكاد تكون غير متناهية * ومنها ألفاظ تدل على ايجاد النوع الفلاني لاجل الحكمة الفلانية فاذا خلق المنافع سمي نافعا واذا خلق الالم سمي ضارا واذا خلق الحياة سمي محييا واذا خلق الموت سمي مميتا واذا خصهم بالاكرام سمي برا لطيفا واذا خصهم بالقهر سمي قهارا جبارا واذا أقل العطاء سمي قابضا واذا أكثر سمي باسطا واذا جازى الذنوب بالعقاب سمي منتقما واذا ترك ذلك الجزاء سمي عفوا غفورا رحمانا رحيما واذا حصل المنع والاعطاء في المال سمي قابضا باسطا واذا حصلا في الجاه والحشمة سمي خافضا رافعا * وأما الصفات السلبية فمنها ما يعود الى الذات كقولنا انه ليس جوهرا ولا جسما ولا مكانيا ولا زمانيا ولا حالا ولا محلا ولا مفتقرا الى شئ غيره تعالى في ذاته وفي صفاته وانه لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ومنها ما يعود الى الصفات ولا يخفى أن كل صفة من صفات النقص يجب تنزيه الله عنها وذلك اما راجع الى أضداد العلم كنفي النوم لا تأخذه سنة ولا نوم وكنفي النسيان وما كان ربك نسيا وكنفي الجهل لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وكأن لا يمنعه العلم ببعض المعلومات عن العلم بغيره لا يشغله شأن عن شأن واما راجع الى أضداد القدرة ككونه منزها في أفعاله عن التعب والنصب وما مسنا من لغوب وانه لا يحتاج في فعله الى الآلات وتقدم المادة والمدة انما أمرنا لشئ اذا أردناه ان نقول له كن فيكون وانه لا يتفاوت في قدرته القليل والكثير وما أمر الساعة الا كلمح البصر أو هو أقرب وانه لا تنتهي قدرته ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز واما راجع الى صفة الوحدة كنفي الانداد والاضداد ليس كمثله شئ ما اتخذ الله من ولد

وما كان معه من اله أو الى صفة الاستغناء وهو يطعم ولا يطعم وهو يجير ولا يجار عليه ومنها ما يعود الى الافعال لا يخلق الباطل وما خلقنا
السماء والارض وما بينهما باطلا لا يخلق اللعب وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين لا يخلق العبث أفحسبتم أنما خلقناكم
عبثا لا يرضى بالكفر لا يريد الظلم لا يحب الفساد لا يؤذى من غير سابقة جرم ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم لا ينتفع بطاعات
المطيعين ولا يتضرر بمعاصى المذنبين (٦٠) ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها ليس لاحد أن يعترض عليه فى أفعاله
وأحكامه لا يسئل عما يفعل وهم
يسئلون لا يخلف الميعاد ومن
أسماء السلوب القدوس والسلام
لانه منزه وسالم من نقائص الامكان
ومنها العزيز وهو الذى لا يوجد له
نظير أو لا يغلبه شئ والحليم الذى
لا يعاجل بالعقوبة ولا يمنع من
ايصال الرحمة والصبور الذى
لا يعاقب المسئ مع القدرة عليه وربما
يفرق بينهما بان المكلف يأمن العقوبة
فى صفة الحليم دون صفة الصبور
* وأما الاسماء الدالة على الصفات
الحقيقية مع الاضافية فمنها القادر
والقدير والمقتدر والمالك والملك
ومالك الملك والمليك والقوى وذو
القوة ومعانيها ترجع الى القدرة
ومنها ما يرجع الى العلم ولا يحيطون
بشئ من علمه عالم الغيب والشهادة
وهو بكل شئ عليم علام الغيوب الله
أعلم حيث يجعل رسالته علم الله أنكم
كنتم تختانون والله يعلم ما تسرون
وما تعلنون وعلم آدم الاسماء ولم يرد
علامة وان كان يفيد المبالغة لان
ذلك بتأويل أمة أو جماعة والخبير
يقرب من العليم وكذا الشهيد اذا
فسر بكونه مشاهدا لها واذا
أخذ من الشهادة كان من وصف
الكلام والحكمة تشارك العلم من
حيث انه ادراك حقائق الاشياء
كما هى وتباينه بانها أيضا صدور
الاشياء عنه كما ينبغى واللطيف قد
يراد به ايصال المنافع الى الغير بطرق خفية غامضة والتحقيق أنه الذى ينفذ تصرفه فى جميع الاشياء * ومنها وقفت
ما يرجع الى الكلام وكلم الله موسى تكليما وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا واذ قال ربك ما يبدل القول لدى ومن أصدق من الله
قيلا انما أمره ان الله يأمركم وعد الله حقا فأوحى الى عبده ما أوحى وكان الله شاكرا عليما كان سعيكم مشكورا وذلك انه أثنى على
عبده بمثل قوله كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون وهذا صورة الشكر ومنها ما يرجع الى الارادات يريد الله بكم اليسر

أنه خطأ فى كلام العرب اذا وصفت معرفة موقتة بنكرة أن تلزم نعتها النكرة اعراب المعرفة
المنعوت بها الا على نية تكرير ما أعرب المنعوت بها خطأ فى كلامهم أن يقال مررت بعبد الله غير
العالم فتخفض غير الا على نية تكرير الباء التى أعربت عبد الله فكان معنى ذلك لو قيل كذلك مررت
بعبد الله مررت بغير العالم فهذا أحد وجهى الخفض فى غير المغضوب عليهم والوجه الآخر من
وجهى الخفض فيها أن يكون الذين بمعنى المعرفة الموقتة واذا وجه الى ذلك كانت غير مخفوضة
بنية تكرير الصراط الذى خفض الذين عليها فكأنك قلت صراط الذين أنعمت عليهم صراط غير
المغضوب عليهم وهذان التأويلان فى غير المغضوب عليهم وان اختلفا باختلاف معربيهما فانهما
يتقارب معناهما من أجل أن من أنعم الله عليه فهداه لدينه الحق فقد سلم من غضب ربه ونجا من
الضلال فى دينه فسواء اذ كان سامع قوله اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير
جائز أن يرتاب مع سماعه ذلك من تاليه فى أن الذين أنعم الله عليهم بالهداية للصراط غير غاضب ربهم
عليهم مع النعمة التى قد عظمت منته بها عليهم فى دينهم ولا أن يكونوا ضلالا وقد هداهم للحق ربهم
اذ كان مستحيلا فى فطرهم اجتماع الرضا من الله جل ثناؤه عن شخص والغضب عليه فى حال
واحدة واجتماع الهدى والضلال له فى وقت واحد وصف القوم مع وصف الله اياهم بما وصفهم
به من توفيقه اياهم وهدايته لهم وانعامه عليهم بما أنعم الله به عليهم فى دينهم بانهم غير مغضوب عليهم
ولا هم ضالون أم لم يوصفوا بذلك لان الصفة الظاهرة التى وصفوا بها قد أنبأت عنهم أنهم كذلك
وان لم يصرح وصفهم به هذا اذا وجهنا غير الى أنها مخفوضة على نية تكرير الصراط الخافض
الذين ولم يجعل غير المغضوب عليهم ولا الضالين من صفة الذين أنعمت عليهم بل اذا جعلناهم غيرهم
وان كان الفريقان لا شك منعما عليهما فى أديانهما فاما اذا وجهنا غير المغضوب عليهم ولا الضالين
الى أنها من نعت الذين أنعمت عليهم فلا حاجة بسامعه الى الاستدلال اذ كان الصريح من معناه قد
أغنى عن الدليل وقد يجوز نصب غير فى غير المغضوب عليهم وان كنت للقراءة بها كارها لشذوذها
عن قراءة القراء وان ما شذ من القراآت عما جاءت به الامة نقلا ظاهرا مستفيضا فرأى للحق مخالف
وعن سبيل الله وسبيل رسوله صلى الله عليه وسلم وسبيل المسلمين متجانف وان كان له لو كانت
القراءة جائزة به فى الصواب مخرج وتأويل وجه صوابه اذا نصبت أن يوجه الى أن يكون صفة
للهاء والميم اللتين فى عليهم العائدة على الذين لانها وان كانت مخفوضة بعلى فهى فى محل نصب
بقوله أنعمت فكأن تأويل الكلام اذا نصبت غير التى مع المغضوب عليهم صراط الذين هديتهم
انعاما منك عليهم غير مغضوب عليهم أى لا مغضوبا عليهم ولا ضالين فيكون النصب فى ذلك حينئذ
كالنصب فى غير فى قولك مررت بعبد الله غير الكريم ولا الرشيد فتقطع غير الكريم من عبد الله
اذ كان عبد الله معرفة موقتة وغير الكريم نكرة مجهولة وقد كان بعض نحويى البصريين يزعم
أن قراءة من نصب غير فى غير المغضوب عليهم على وجه استثناء غير المغضوب عليهم من معانى صفة
الذين أنعمت عليهم كانه كان يرى أن معنى الذين قرؤا ذلك نصبا اهدنا الصراط المستقيم صراط
الذين أنعمت عليهم الا المغضوب عليهم الذين لم تنعم عليهم فى أديانهم ولم تهدهم للحق فلا تجعلنا منهم
كما قال نابغة بنى ذبيان

وقفت فيها أصيلا لا أسائلها * عيت جوابا وما بالربع من أحد
الا أواري لأيا ما أبينها * والنؤى كالحوض بالمظلومة الجلد

والاواري معلوم أنها ليست من عداد أحد في شئ فكذلك عنده استثنى غير المغضوب عليهم من الذين أنعمت عليهم وان لم يكونوا من معانيهم في الدين في شئ وأما نحويو الكوفيين فأنكروا هذا التأويل واستخطؤه وزعموا أن ذلك لو كان كما قاله الزاعم من أهل البصرة لكان خطأ أن يقال ولا الضالين لان لا نفي وجحد ولا يعطف بجحد الا على جحد وقالوا لم نجد في شئ من كلام العرب استثناء يعطف عليه بجحد وانما وجدناهم يعطفون على الاستثناء بالاستثناء وبالجحد على الجحد فيقولون في الاستثناء قام القوم الا أخاك والا أباك وفي الجحد ما قام أخوك ولا أبوك وأما قام القوم الا أباك ولا أخاك فلم نجده في كلام العرب قالوا فلما كان ذلك معدوما في كلام العرب وكان القرآن بأفصح لسان العرب نزوله علمنا اذ كان قوله ولا الضالين معطوفا على قوله غير المغضوب عليهم أن غير بمعنى الجحد لا بمعنى الاستثناء وأن تأويل من وجهها الى الاستثناء خطأ فهذه أوجه تأويل غير المغضوب عليهم باختلاف أوجه اعراب ذلك وانما اعترضنا بما اعترضنا في ذلك من بيان وجوه اعرابه وان كان قصدنا في هذا الكتاب الكشف عن تأويل آي القرآن لما في اختلاف وجوه اعراب ذلك من اختلاف وجوه تأويله فاضطرتنا الحاجة الى كشف وجوه اعرابه لتنكشف لطالب تأويله وجوه تأويله على قدر اختلاف المختلفة في تأويله وقراءته والصواب من القول في تأويله وقراءته عندنا القول الاول وهو قراءة غير المغضوب عليهم بخفض الراء من غير بتأويل انها صفة للذين أنعمت عليهم ونعت لهم لما قد قدمنا من البيان ان شئت وان شئت فبتأويل تكرير صراط كل ذلك صواب حسن فان قال لنا قائل فمن هؤلاء المغضوب عليهم الذين أمرنا الله جل ثناؤه بمسئلته أن لا يجعلنا منهم قيل هم الذين وصفهم الله جل ثناؤه في تنزيله فقال قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل. فأعلمنا جل ذكره عنه ما أحل بهم من عقوبته بمعصيتهم اياه ثم علمنا منة منه علينا وجه السبيل الى النجاة من أن يحل بنا مثل الذي حل بهم من المثلات ورأفة منه بنا فان قال وما الدليل على أنهم أولاء الذين وصفهم الله وذكر نبأهم في تنزيله على ما وصفت قيل حدثني أحمد بن الوليد الرملي قال حدثنا عبد الله بن جعفر الرقي قال حدثنا سفيان بن عيينة عن اسمعيل بن أبي خالد عن الشعبي عن عدي بن حاتم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المغضوب عليهم اليهود وحدثنا محمد بن المثنى قال حدثنا محمد بن جعفر قال حدثنا شعبة عن سماك بن حرب قال سمعت عباد ابن حبيش يحدث عن عدي بن حاتم قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المغضوب عليهم اليهود وحدثني علي بن الحسن قال حدثنا مسلم بن عبد الرحمن قال حدثنا محمد بن مصعب عن حماد بن سلمة عن سماك بن حرب عن مري بن قطري عن عدي بن حاتم قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن قول الله جل وعز غير المغضوب عليهم قال هم اليهود وحدثنا حميد بن مسعدة الشامي قال حدثنا بشر بن المفضل قال حدثنا الجريري عن عبد الله بن شقيق أن رجلا أتى

رضي الله عنهم أي صار مريد الافعالهم يحبهم ويحبونه والله يحب المتطهرين يريد ايصال الخير اليهم كل ذلك كان سيئة عند ربك مكروها * الاشعرية الكراهية عبارة عن ارادة عدم الفعل المعتزلة له صفة أخرى غير الارادة ومنها ما يرجع الى السمع والبصر انني معكما أسمع وأرى انه هو السميع البصير لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وأما الصفات الاضافية مع السلبية فكالاول لانه مركب من معنيين أحدهما انه سابق على غيره والثاني لا يسبق عليه غيره وكالآخر فانه الذي يبقى بعد غيره ولا يبقى بعده غيره وكالقيوم فانه الذي يفتقر اليه غيره ولا يفتقر هو الى غيره والظاهر اضافة محضة وكذا الباطن أي أنه ظاهر بحسب الدلائل باطن بحسب الماهية وأما الاسم الدال على مجموع الذات والصفات الحقيقية والاضافية والسلبية فالاله ولا يجوز اطلاق هذا اللفظ في الاسلام على غير الله وأما الله فسيأتي أنه اسم علم وقد بقي ههنا أسماء يطلقها عليه تعالى أهل التشبيه ككونه متحيزا أو حالا في المتحيز استبعادا منهم أنه كيف يكون موجود خاليا عن كلا الوصفين وهو عند أهل التقديس محال للزوم الافتقار اللهم الا أن يقال استصحاب المكان لا يستلزم الافتقار الى المكان ومنها العظيم والكبير وهما متقاربان لقوله تعالى في موضع وهو العلي العظيم وفي آخر وهو العلي الكبير وقد يفرق بينهما بانه ورد الكبرياء ردائي والعظمة ازاري والرداء أرفع من الازار وأيضا اختص تحريم الصلاة بالله أكبر دون الله أعظم ولا ريب أن اطلاق العظمة والكبر على الله تعالى بحسب الحجمية والمقدار كما للاجسام محال للزوم التبعيض والتجزئة ومنها العلي والمتعالي فان العلو بالمعنى المستلزم للتمكن محال على الله فاما أن يراد بمثل هذه الالفاظ مزيد الرتبة والشرف على الممكنات واما أن يقال انا نطلق هذه الاسماء للاذن الشرعي فنكل معانيها الى مراد الله تعالى واما أن نستمد في ادراكها بضرب من الكشف والعيان (العاشر في الاسماء المضمرة) قال عز من قائل انني أنا الله لا اله الا أنا ولا يصح لغيره هذا الذكر الا حكاية وما جاء من قول بعض أهل الكمال * أنا من أهوى ومن أهوى أنا * اشارة الى كمال المحبة وغاية ارادة الاتصاف بصفة المحبوب وفناء ارادته في ارادته وقال لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين ولا يصح هذا الا من العبد بشرط الحضور والمشاهدة وقال لا اله الا هو وانما يصح هذا من الغائبين

واعلم أن درجات الحضور مختلفة بالقرب والبعد وكمال التجلي ونقصانه فكل حاضر غائب بالنسبة الى مافوق تلك الدرجة ورب غائب حاضر كما قيل أياغائبا حاضرا فى الفؤاد * سلام على الغائب الحاضر وفى لفظة هو أسرار عجيبة منها أن العبد اذا قال ياهو فكانه يقول ماللتراب ورب الارباب وما المناسبة بين المتولد من النطفة والدم وبين الموصوف بالازلية والقدم فلهذا ينادى نداء الغائبين ويقول ياهو ومنها انه اذا قال ياهو فقد حكم على كل ماسوى الله تعالى بانه نفى محض لانه لوحصل فى الوجود شيأ آن لكان قوله هو صالحالهما جميعا فلا يتعين النداء ومنها اذا قال يارحمن فكانه يتذكر رحمته أو يطلب رحمته وكذا اذا قال ياكريم وغيره من الصفات فأما اذا قال ياهو فكانه استغرق فى بحر العرفان وفنى عما سوى الذات ومنها اذا قال ياهو فكانه يقول أجل حضرتك أن أمدحك وأثنى عليك بسلب نقائص المخلوقات عنك وهى صفات الجلال نحو لاجسم ولاجوهر ولاعرض ولافى المحل أو باسناد كمالات الممكنات اليك وهى صفات الاكرام ككونه مرتبا للموجودات على النحو الاكمل بل لاأمدحك ولاأثنى عليك الابهويتك من حيث هى ومنها أن هذا الذكر يفيد أن المنادى بسيط محض لاطريق الى تصوره الابالاشارة العقلية ومنها أن العبد كانه دهش حتى ذهل عن كل مايوصف به مالكه الاعن هذه الاشارة ولاختصاص هذا الذكر بهذه الاسرار ذكر الغزالى لااله الا الله توحيد العوام ولاهو الاهو توحيد الخواص وذلك ان قوله لاهو معناه كل شئ هالك وقوله الا هو معناه الاوجهه ومن جملة الاذكار الشريفة ياهو يامن لاهو الاهو ياأزل ياأبد يادهر ياديهور يامن هو الحى الذى لايموت ولقد لقننى بعض المشايخ من الذكر ياهو يامن هو هو يامن لاهو الاهو يامن لاهو بلا هو الاهو فالاول فناء عما سوى الله والثانى فناء فى الله والثالث فناء عما سوى الذات والرابع فناء عن الفناء عما سوى الذات (الحادى عشر فى بقية مباحث الاسماء) اختلفوا فى ان أسماء الله تعالى توقيفية أم لافقال بعضهم الى التوقيف لاانا نصف الله تعالى بكونه عالما ولا نصفه بكونه طبيبا وفقيها ومستيقنا فلولا ان أسماءه توقيفية لوصف عنلها وان كان على سبيل التجوز القائلون بعدم التوقيف احتجوا بان أسماء الله تعالى وصفاته مذكورة بالفارسية والتركية وان شيأ منها لم يرد فى القرآن ولافى الاخبار مع أن المسلمين أجمعوا على جواز اطلاقها والجواب ان عدم

رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محاصر وادى القرى فقال من هؤلاء الذين تحاصر يارسول الله قال هؤلاء المغضوب عليهم اليهود وحدثنى يعقوب بن ابراهيم قال حدثنا ابن علية عن سعيد الجريرى عن عروة عن عبد الله بن شقيق ان رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه وحدثنا الحسن بن يحيى قال أنبأنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن بديل العقيلى قال أخبرنى عبد الله بن شقيق أنه أخبره من سمع النبى صلى الله عليه وسلم وهو بوادى القرى وهو على فرسه وسأله رجل من بنى القين فقال يارسول الله من هؤلاء قال المغضوب عليهم وأشار الى اليهود وحدثنا القاسم بن الحسن قال حدثنا الحسين قال حدثنا خالد الواسطى عن خالد الحذاء عن عبد الله بن شقيق أن رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه وحدثنا أبو كريب قال حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثنا بشر بن عمار قال حدثنا أبو روق عن الضحاك عن ابن عباس غير المغضوب عليهم يعنى اليهود الذين غضب الله عليهم وحدثنى موسى بن هرون الهمدانى قال حدثنا عمرو بن طلحة قال حدثنا أسباط بن نصر عن السدى فى خبر ذكره عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمدانى عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم غير المغضوب عليهم هم اليهود وحدثنا ابن حميد الرازى قال حدثنا مهران عن سفيان عن مجاهد قال غير المغضوب عليهم قال هم اليهود حدثنا أحمد بن حازم الغفارى قال حدثنا عبد الله عن أبى جعفر عن ربيع غير المغضوب عليهم قال اليهود وحدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس غير المغضوب عليهم قال اليهود وحدثنى يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد غير المغضوب عليهم اليهود وحدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال حدثنى ابن زيد عن أبيه قال المغضوب عليهم اليهود ۞ قال أبو جعفر واختلف فى صفة الغضب من الله جل ذكره فقال بعضهم غضب الله على من غضب عليه من خلقه احلال عقوبته عن غضب عليه إما فى دنياه واما فى آخرته كما وصف به نفسه جل ذكره فى كتابه فقال فلما آسفونا انتقمنا منهم فاغرقناهم أجمعين وكما قال قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وقال بعضهم غضب الله على من غضب عليه من عباده ذم منه لهم ولافعالهم وشتم منه لهم بالقول وقال بعضهم الغضب منه معنى مفهوم كالذى يعرف من معانى الغضب غير أنه وان كان كذلك من جهة الاثبات فمخالف معناه منه معنى ما يكون من غضب الآدميين الذين يزعجهم ويحركهم ويشق عليهم ويؤذيهم لان الله جل ثناؤه لاتحل ذاته الآفات ولكنه له صفة كما العلم له صفة والقدرة له صفة على مايعقل من جهة الاثبات وان خالفت معانى ذلك معانى علوم العباد التى هى معارف القلوب وقواهم التى توجد مع وجود الافعال وتعدم مع عدمها ۞ القول فى تأويل قوله (ولا الضالين) قال أبو جعفر كان بعض أهل البصرة يزعم أن لا مع الضالين أدخلت تتميما للكلام والمعنى الغاؤها ويستشهد على قيله ذلك ببيت العجاج * فى بئر لاحور سرى وما شعر * ويتأوله بمعنى فى بئر حور سرى أى فى بئر هلكة وأن لا بمعنى الالغاء والصلة ويعتل أيضا لذلك بقول أبى النجم فما ألوم البيض أن لا تسخرا * لما رأين الشمط القفندرا

التوقيف في غير اللغة العربية لا يوجب عدمه في العربية وبان الله تعالى قال ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وكل اسم دل على صفات الكمال ونعوت الجلال كان حسنا أو يجوز اطلاقه والجواب أنه يجوز ولكن بعد التوقيف لم قلتم انه ليس كذلك والغزالي فرق بين اسم الذات وبين أسماء الصفات فمنع الاول وجوز الثاني واعلم أنه قد ورد في القرآن ألفاظ دالة على معان لا يمكن اثباتها بالحقيقة في حق الله تعالى منها الاستهزاء الله يستهزئ بهم والاستهزاء مذموم لكونه جهلا قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين ومنها المكر ومكروا ومكر الله ومنها الغضب وغضب الله عليهم ومنها التعجب بل عجبت ويسخرون وفيمن قرأ بضم التاء والتعجب حالة للقلب تعرض عند الجهل بسبب الشئ ومنها التكبر الجبار المتكبر ومنها الحياء ان الله لا يستحي أن يضرب مثلا والحياء تغير يعرض للقلب والوجه عند فعل شئ قبيح والقانون في تصحيح هذه الالفاظ أن يقال لكل واحدة من هذه الاحوال أمور توجد معها في البداية وآثار تصدر منها في النهاية مثاله الغضب حالة تحصل في القلب عند غليان دمه وسخونة مزاجه والاثر الحاصل منها في النهاية ايصال الضرر الى المغضوب عليه فالغضب في حقه تعالى محمول على الاثر الحاصل في النهاية لا الامر الكائن في البداية وقس على هذا قيل إن لله تعالى أربعة آلاف اسم ألف منها في القرآن والاخبار وألف في التوراة وألف في الانجيل وألف في الزبور وقد يقال ألف آخر في اللوح المحفوظ ولم يصل ذلك الى البشر وهذا غير مستبعد فان أقسام صفات الله تعالى بحسب السلوب والاضافات لا تكاد تنحصر وكل من كان اطلاعه على آثار حكمة الله تعالى في تدبير العالم العلوي والعالم السفلي أكثر كان اطلاعه على أسماء الله أكثر وان قلنا ان له بكل مخلوق اسما وكذا بكل خاصية ومنفعة فيه كمنافع الاعضاء والحيوان والنبات والاحجار خرجت الاسماء عن حيز العد والاحصاء كما قال عز من قائل وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فان قلت انا نرى في كتب العزائم أذكارا غير معلومة ورقى غير مفهومة وقد تكون كتابتها أيضا غير معلومة فما بال تلك الاذكار والرقى قلت لا نشك أن تلك الكلمات ان لم تدل على شئ أصلا لم تفد وان دلت فاحسن أحوال تلك الكلمات أن تكون شيأ من هذه الادعية ولا ريب ان الاذكار المعلومة أدخل في التأثير من قراءة تلك

وهو يريد فما ألوم البيض أن تسخر وبقول الاحوص

ويلحينني في اللهو أن لا أحبه * وللهو داع دائب غير غافل

يريد ويلحينني في اللهو أن أحبه وبقوله تعالى ما منعك أن لا تسجد يريد أن تسجد وحكي عن قائل هذه المقالة أنه كان يتأول غير التي مع المغضوب عليهم أنها بمعنى سوى فكأن معنى الكلام كان عنده اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم الذين هم سوى المغضوب عليهم والضالين وكان بعض نحويي الكوفيين يستنكر ذلك من قوله ويزعم أن غير التي مع المغضوب عليهم لو كانت بمعنى سوى لكان خطأ أن يعطف عليها بلا اذ كانت لا لا يعطف بها الا على جحد قد تقدمها كما كان خطأ قول القائل عندي سوى أخيك ولا أبيك لان سوى ليست من حروف النفي والجحود ويقول لما كان ذلك خطأ في كلام العرب وكان القرآن بأفصح اللغات من لغات العرب كان معلوما أن الذي زعمه القائل أن غير مع المغضوب عليهم بمعنى سوى المغضوب عليهم خطأ اذ كان قد كر عليه الكلام بلا وكان يزعم أن غير هنالك انما هي بمعنى الجحد اذ كان صحيحا في كلام العرب وفاشيا ظاهرا في منطقها توجيه غير الى معنى النفي ومستعملا فيهم أخوك غير محسن ولا مجمل يراد بذلك أخوك لا محسن ولا مجمل ويستنكر أن تأتي لا بمعنى الحذف في الكلام مبتدأ ولما يتقدمها جحد ويقول لو جاز مجيئها بمعنى الحذف مبتدأ قبل دلالة تدل على ذلك من جحد سابق لصح قول قائل قال أردت أن لا أكرم أخاك بمعنى أردت أن أكرم أخاك وكان يقول ففي شهادة أهل المعرفة بلسان العرب على تخطئة قائل ذلك دلالة واضحة على أن لا لا تأتي مبتدأة بمعنى الحذف ولما يتقدمها جحد وكان يتأول في لا التي في بيت العجاج الذي ذكرنا أن البصري استشهد به بقوله انها جحد صحيح وان معنى البيت سرى في بئر لا تحير عليه خيرا ولا يتبين له فيها أثر عمل وهو لا يشعر بذلك ولا يدري به من قولهم طحنت الطاحنة فما أحارت شيأ أي لم يتبين لها أثر عمل ويقول في سائر الابيات الاخر أعني مثل بيت أبي النجم

* فما ألوم البيض أن لا تسخرا * انما جاز أن تكون لا بمعنى الحذف لان الجحد قد تقدمها في أول الكلام فكان الكلام الآخر مواصلا للأول كما قال الشاعر

ما كان يرضى رسول الله فعلهم * والطيبان أبو بكر ولا عمر

فجاز ذلك اذ كان قد تقدم الجحد في أول الكلام قال أبو جعفر وهذا القول الآخر أولى بالصواب من الاول اذ كان غير موجود في كلام العرب ابتداء الكلام من غير جحد تقدمه بلا التي معناها الحذف ولا جائز العطف بها على سوى ولا على حرف الاستثناء وانما الغير في كلام العرب معان ثلاثة أحدها الاستثناء والآخر الجحد والثالث سوى فاذا بطل خطأ لا أن يكون بمعنى الالغاء مبتدأ وفسد أن يكون عطفا على غير التي مع المغضوب عليهم لو كانت بمعنى الا التي هي استثناء ولم يجز أيضا أن يكون عطفا عليها لو كانت بمعنى سوى وكانت لا موجودة عطفا بالواو التي هي عاطفة لها على ما قبلها صح وثبت أن لا وجه لغير التي مع المغضوب عليهم يجوز توجيهها اليه على صحة الا بمعنى الجحد والنفي وان لا وجه لقوله ولا الضالين الا العطف على غير المغضوب عليهم فتأويل الكلام اذا اذ كان صحيحا ما قلنا بالذي عليه استشهدنا اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم لا المغضوب عليهم ولا الضالين * فان قال لنا قائل ومن هؤلاء الضالون الذين أمرنا الله بالاستعاذة بالله أن يسلك بنا سبيلهم أو نضل ضلالهم قيل هم الذين وصفهم الله في تنزيله فقال يا أهل الكتاب لا تغلوا

المجهولات الآن أكثر الناس اذا قرؤا هذه الاذكار المعلومة ولم يكن لهم نفوس مشرقة تجذب بهم الى عالم القدس ويلوح عليهم أثر
الالهيات لم يكد يظهر عليهم شروق أنوارها ولهذا فقد ورد رب تال للقرآن والقرآن يلعنه نعوذ بالله من هذه الحالة اما اذا قرؤا تلك الالفاظ المجهولة
ولم يفهموا منها شيأ وحصلت عندهم أوهام أنها كلمات عالية استولى الفزع والرعب على قلوبهم فيحصل لهم بهذا السبب نوع تجرد
عن الجسمانيات وتوجه الى الروحانيات فتتأثر نفوسهم وتؤثر وهذا وجه مناسب فى قراءة الرقى المجهولة * واعلم أن بين
الخلق وبين أسماء الله تعالى مناسبات عجيبة والنفوس مختلفة والجنسية علة الضم فكل اسم يغلب معناه على بعض النفوس فاذا واظب صاحبه على ذلك الاسم كان انتفاعه به أسرع والله الموفق * حكى أن الشيخ أبا النجيب البغدادى كان يأمر المريد بالاربعين مرة أو مرتين بقدر ما يرى مصلحته فيه ثم يقرأ عليه الاسماء التسعة والتسعين وكان ينظر الى وجهه فان رآه عديم التأثر عند قراءتها عليه قال له اخرج الى السوق واشتغل بمهمات الدنيا فانك ما خلقت لهذا الطريق وان رآه تأثر مزيد تأثر عند سماع اسم خاص أمره بالمواظبة على ذلك الذكر وقال ان أبواب المكاشفات تنفتح عليك من هذا الطريق وذلك أن الرياضة والمجاهدة لا تغلب النفوس عن أحوالها الفطرية ولكنها تضعف بحيث لا تستولى على الانسان ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الناس معادن كمعادن الذهب والفضة الارواح جنود مجندة اعملوا فكل ميسر لما خلق له فهذا تمام البحث عن مطلق الاسماء

(الثانى عشر فى الابحاث المختصة باسم الله) المختار عند الخليل ومتابعيه وعند أكثر الاصوليين والفقهاء أن هذا اللفظ ليس بمشتق البتة وأنه اسم علم له سبحانه وتعالى
لانه لو كان مشتقا لكان معناه معنى كليا لا يمنع نفس مفهومه من وقوع الشركة فيه وحينئذ لا يكون قولنا لا اله الا الله الصفة
موجبا للتوحيد المحض فلا يدخل الكافر بقوله أشهد أن لا اله الا الله فى الاسلام كما لو قال أشهد أن لا اله الا الرحمن أو الا الملك لا يدخل
بذلك فى الاسلام بالاتفاق وأيضا الترتيب العقلى ذكر الذات ثم تعقيبه بالصفات نحو زيد الفقيه الاصولى النحوى ثم انا نقول الله الرحمن
الرحيم العالم القادر ولا نقول بالعكس فدل ذلك على أن الله اسم علم وقراءة من قرأ الى صراط العزيز الحميد الله الذى له ما فى السموات وما فى

فى دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل فان
قال وما برهانك على أنهم أولاء قيل حدثنا أحمد بن الوليد الرملى قال حدثنا عبد الله بن جعفر قال
حدثنا سفيان بن عيينة عن اسمعيل بن أبى خالد عن الشعبى عن عدى بن حاتم قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولا الضالين قال النصارى حدثنا محمد بن المثنى أنبأنا محمد بن جعفر أنبأنا شعبة
عن سماك قال سمعت عباد بن حبيش يحدث عن عدى بن حاتم قال قال لى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الضالين النصارى وحدثنى على بن الحسن قال حدثنا مسلم بن عبد الرحمن قال حدثنا
محمد بن مصعب عن حماد بن سلمة عن سماك بن حرب عن مرى بن قطرى عن عدى بن حاتم قال سألت
النبى صلى الله عليه وسلم عن قول الله ولا الضالين قال النصارى هم الضالون وحدثنا حميد بن مسعدة
الشامى قال حدثنا بشر بن المفضل قال حدثنا الجريرى عن عبد الله بن شقيق أن رجلا أتى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو محاصر وادى القرى قال قلت من هؤلاء قال هؤلاء الضالون النصارى
وحدثنا يعقوب بن ابراهيم قال حدثنا ابن علية عن سعيد الجريرى عن عروة يعنى ابن عبد الله بن
قيس عن عبد الله بن شقيق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه وحدثنا الحسن بن يحيى قال
حدثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن بديل العقيلى قال أخبرنى عبد الله بن شقيق أنه أخبره من
سمع النبى صلى الله عليه وسلم وهو بوادى القرى وهو على فرسه وسأله رجل من بنى القين فقال
يا رسول الله من هؤلاء قال هؤلاء الضالون يعنى النصارى وحدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال
حدثنا خالد الواسطى عن خالد الحذاء عن عبد الله بن شقيق أن رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم
وهو محاصر وادى القرى وهو على فرس من هؤلاء قال الضالون يعنى النصارى وحدثنا محمد بن
حميد قال حدثنا مهران عن سفيان عن مجاهد ولا الضالين قال النصارى وحدثنا أبو كريب قال
حدثنا عثمان بن سعيد عن بشر بن عمار قال حدثنا أبو روق عن الضحاك عن ابن عباس ولا الضالين قال
وغير طريق النصارى الذين أضلهم الله بفريتهم عليه قال يقول فألهمنا دينك الحق وهو لا اله الا الله
وحده لا شريك له حتى لا تغضب علينا كما غضبت على اليهود ولا تضلنا كما أضللت النصارى فتعذبنا
بما تعذبهم به يقول امنعنا من ذلك برفقك ورحمتك وقدرتك وحدثنا القاسم قال حدثنا الحسين
قال حدثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس الضالين النصارى وحدثنى موسى بن هرون
الهمدانى قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط بن نصر عن اسمعيل السدى فى خبر ذكره عن أبى
مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمدانى عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبى
صلى الله عليه وسلم ولا الضالين هم النصارى وحدثنى أحمد بن حازم الغفارى قال أخبرنا عبيد الله بن
موسى عن أبى جعفر عن ربيع ولا الضالين النصارى وحدثنى يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن
وهب قال قال عبد الرحمن بن زيد ولا الضالين النصارى وحدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال
حدثنا عبد الرحمن بن زيد عن أبيه قال الضالين النصارى (قال أبو جعفر) وكل حائد عن قصد
السبيل وسالك غير المنهج القويم فضال عند العرب لاضلاله وجه الطريق فلذلك سمى الله جل
ذكره النصارى ضلالا لخطئهم فى الحق منهج السبيل وأخذهم من الدين فى غير الطريق المستقيم
* فان قال قائل أوليس ذلك أيضا من صفة اليهود قيل بلى فان قال كيف خص النصارى بهذه

الصفة وخص اليهود بما وصفهم به من أنهم مغضوب عليهم قيل ان كلا الفريقين ضلال مغضوب عليهم غير أن الله جل ثناؤه وسم كل فريق منهم من صفته لعباده بما يعرفونه به اذا ذكره لهم أو أخبرهم عنه ولم يسم واحدا من الفريقين الا بما هو له صفة على حقيقته وان كان له من صفات الذم زيادات عليه وقد ظن بعض أهل الغباء من القدرية أن في وصف الله جل ثناؤه النصارى بالضلال بقوله ولا الضالين واضافته الضلال اليهم دون اضافة اضلالهم الى نفسه وتركه وصفهم بانهم المضللون كالذي وصف به اليهود أنهم المغضوب عليهم دلالة على صحة ما قاله اخوانه من جهلة القدرية جهلا منه بسعة كلام العرب وتصاريف وجوهه ولو كان الامر على ماظنه الغبي الذي وصفناشأنه لوجب أن يكون شأن كل موصوف بصفة أو مضاف اليه فعل لا يجوز أن يكون فيه سبب لغيره وأن يكون كل ما كان فيه من ذلك لغيره سبب فالحق فيه أن يكون مضافا الى مسببه ولو وجب ذلك لوجب أن يكون خطأ قول القائل تحركت الشجرة اذا حركتها الرياح واضطربت الارض اذا حركتها الزلزلة وما أشبه ذلك من الكلام الذي يطول باحصائه الكتاب وفي قول الله جل ثناؤه حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم باضافته الجري الى الفلك وان كان جريها باجراء غيرها اياها ما يدل على خطا التأويل الذي تأوله من وصفنا قوله في قوله ولا الضالين وادعائه أن في نسبة الله جل ثناؤه الضلالة الى من نسبها اليه من النصارى تصحيحا لما ادعى المنكرون أن يكون لله جل ثناؤه في أفعال خلقه سبب من أجله وجدت أفعالهم مع ابانة الله عز ذكره نصا في آي كثيرة من تنزيله أنه المضل الهادي فمن ذلك قوله جل ثناؤه أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون فأنبأ جل ذكره أنه المضل الهادي دون غيره ولكن القرآن نزل بلسان العرب على ما قد قدمنا البيان عنه في أول الكتاب ومن شأن العرب اضافة الفعل الى من وجد منه وان كان مسببه غير الذي وجد منه أحيانا وأحيانا الى مسببه وان كان الذي وجد منه الفعل غيره فكيف بالفعل الذي يكتسبه العبد كسبا ويوجده الله جل ثناؤه عينا منشأة بل ذلك أحرى أن يضاف الى مكتسبه كسبا له بالقوة منه عليه والاختيار منه له والى الله جل ثناؤه بايجاد عينه وانشائها تدبيرا ۞ (مسئلة يسأل عنها أهل الالحاد الطاعنون في القرآن) ان سألنا منهم سائل فقال انك قد قدمت في أول كتابك هذا في وصف البيان بان أعلاه درجة وأشرفه مرتبة أبلغه في الابانة عن حاجة المبين به عن نفسه وأبينه عن مراد قائله وأقربه من فهم سامعه وقلت مع ذلك ان أولى البيان بان يكون كذلك كلام الله جل ثناؤه بفضله على سائر الكلام وبارتفاع درجته على أعلى درجات البيان فما الوجه اذ كان الامر على ما وصفت في اطالة الكلام بمثل سورة أم القرآن بسبع آيات وقد حوت معاني جميعها منها آيتان وذلك قوله ملك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين اذ كان لا شك أن من عرف ملك يوم الدين فقد عرفه باسمائه الحسنى وصفاته المثلى وان من كان لله مطيعا فلا شك أنه لسبيل من أنعم الله عليه في دينه متبع وعن سبيل من غضب عليه وضل منعدل فما في زيادة الآيات الخمس الباقية من الحكمة التي لم تحوها الآيتان اللتان ذكرنا قيل له ان الله تعالى ذكره جمع لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولامته بما أنزل اليه من كتابه معاني لم يجمعهن بكتاب أنزله الى نبي قبله ولا لامة من الامم قبلهم وذلك أن كل كتاب أنزله جل ذكره على نبي من أنبيائه قبله فانما أنزله ببعض المعاني

الارض بخفض اسم الله ليست لاجل أنه جعله وصفا وانما هو للبيان فوزانه وزان قولك مررت بالعالم الفاضل الكامل زيد وأيضا قال تعالى هل تعلم له سميا وليس المراد به الصفة والا لزم خلاف الواقع فوجب ان يكون المراد اسم العلم وليس ذلك إلا الله ۞ حجة القائلين باشتقاقه قوله عز من قائل وهو الله في السموات وفي الارض فانه لا يجوز ان يقال هو زيد في البلد وانما يقال هو العالم في البلد قلنا لم لا يجوز أن يكون ذلك جاريا مجرى قولك هو زيد الذي لا نظير له في البلد قالوا لما كانت الاشارة (٦٥) ممتنعة في حقه تعالى كان اسم العلم له ممتنعا وأيضا العلم للتميز ولا مشاركة فلا حاجة الى التميز قلنا وضع العلم لتعيين الذات المعينة ولا حاجة فيه الى الاشارة الحسية ولا يتوقف على حصول الشركة وكأن النزاع بين الفريقين لفظي لان القائلين بالاشتقاق متفقون على أن الاله مشتق من أله بالفتح الاهة أي عبد عبادة واله اسم جنس كالرجل والفرس يقع على كل معبود بحق أو باطل ثم غلب على المعبود بحق كما أن النجم اسم لكل كوكب ثم غلب على الثريا وكذلك السنة على عام القحط والبيت على الكعبة والكتاب على كتاب سيبويه وأما الله بحذف الهمزة فمختص بالمعبود الحق لم يطلق على غيره وينبغي أن يكون المراد من كون الله تعالى معبودا كونه مستحقا ومستأهلا لان يعبده كل من سواه كما يليق بحال العابد فان اللائق بحال المعبود لا يقدر عليه أحد من المخلوقات ولا يخفى أن الاستحقاق والاستئهال حاصل له أزلا وأبدا فيكون الها أزلا وأبدا وان كل من سواه عابد له بقدر استعداده وعلى حسب حاله حتى النبات والجماد والكافر والفاسق وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا والعبد الصالح من يعبد الله تعالى لذاته لا لغرض رغبة في الثواب ورهبة من العقاب حتى لو فرض حصول المرغوب أو فقد المرهوب لم يكن عابدا ومع ذلك فينبغي أن يقطع النظر عن عبادته أيضا وقيل اشتقاقه من ألهت الى فلان أي سكنت اليه فالنفوس لا تسكن الا اليه تعالى والعقول لا تقف الا لديه لان الكمال محبوب لذاته ألا بذكر الله تطمئن القلوب الذين آمنوا وقيل من الوله وهو ذهاب العقل سواء فيه الواصلون الى ساحل بحر العرفان والواقفون في ظلمات الجهالة وتيه الخذلان وقيل من لاه ارتفع لانه تعالى ارتفع عن مشابهة

الممكنات ومناسبة المحدثات وقيل من أله في الشيء اذا تحير فيه لان العقل وقف بين إقدام على اثبات ذاته نظرا الى وجود مصنوعاته وبين
تكذيب لنفسه لتعاليه عن ضبط وهمه وحسه فلم يبق الا أن يقر بالوجود والكمال مع الاعتراف بالعجز عن ادراك كنه الجلال والجمال
وههنا العجز عن درك الادراك ادراك وقيل من لاه يلوه اذا احتجب لانه بكنه صمديته محتجب عن العقول فانا انما نستدل على كون
الشعاع مستفادا من الشمس بدورانه معها وجودا وعدما وشروقا وأفولا ولو كانت الشمس ثابتة في كبد السماء لما حصل
اطمئنان بكون الشعاع مستفادا
منها ولما كان ذاته تعالى باقيا على
حاله وكذا الممكنات التابعة له فرعا
يخطر ببال الضعفاء أن هذه
الاشياء موجودة بذواتها فلا سبب
لاحتجاب نوره الا كمال ظهوره
فالحق محتجب والخلق محجوب
وقيل من أله الفصيل اذا ولع بأمه
لان العباد مولعون بالتضرع اليه في
البليات واذا مس الناس ضر دعوا
ربهم منيبين اليه هذا شأن الناقصين
وأما الكاملون فهو جليسهم
وأنيسهم أبدا شكا بعض المريدين
كثرة الوسواس فقال الشيخ كنت
حدادا عشر سنين وقصارا عشرا
وبوابا عشرا فقيل وكيف وما رأينا
منك قال القلب كالحديد ألينه
بنار الخوف عشرا ثم شرعت في
غسله عن الاوضار والاوزار عشرا
ثم وقفت على باب القلب عشرا أسل
سيف لا اله الا الله فلم أترك حتى
يخرج منه حب غير الله ويدخل
فيه حب الله فلما خلت عرصة
القلب عن غيره وقويت فيه
محبته سقطت من بحر عالم الجلال
قطرة من النور فغرق القلب فبقي
في تلك القطرة وفني عن الكل ولم
يبق فيه الا محض سر لا اله الا الله
وقيل من أله الرجل يأله اذا فزع
من أمر نزل به فألهه أي أجاره والمجير
للخلائق من كل المضار هو الله وهو
يجير ولا يجار عليه ومن لطائف
اسم الله انك اذا لم تتلفظ بالهمزة بقي لله ولله جنود السموات والارض فان تركت من هذه البقية اللام الاولى بقيت البقية واذا
على صورة له له ما في السموات وما في الارض وان تركت اللام الباقية أيضا بقي الهاء المضمومة من هو قل هو الله أحد والواو زائدة بدليل
سقوطها في التثنية والجمع هما هم هذا بحسب اللفظ وأما بحسب المعنى فاذا دعوت الله به فكأنك دعوته بجميع الصفات بخلاف سائر
الاسماء ولهذا صحت كلمة الشهادة به فقط والله تعالى أعلم * الثالث عشر فيما يتعلق بالرحمن الرحيم الرحمن فعلان من رحم والرحيم

التي يحوي جميعها كتابه الذي أنزله الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كالتوراة التي هي مواعظ
وتفصيل والزبور الذي هو تحميد وتمجيد والانجيل الذي هو مواعظ وتذكير لا معجزة في واحد منها
تشهد لمن أنزل اليه بالتصديق والكتاب الذي أنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يحوي معاني
ذلك كله ويزيد عليه كثيرا من المعاني التي سائر الكتب غيره منها خال وقد قدمنا ذكرها فيما مضى
من هذا الكتاب ومن أشرف تلك المعاني التي فضل بها كتابنا سائر الكتب قبله نظمه العجيب
ووصفه الغريب وتأليفه البديع الذي عجزت عن نظم مثل أصغر سورة منه الخطباء وكلت عن
وصف شكل بعضه البلغاء وتحيرت في تأليفه الشعراء وتبلدت قصورا عن أن تأتي بمثله لديه أفهام
الفهماء فلم يجدوا له الا التسليم والاقرار بأنه من عند الواحد القهار مع ما يحوي مع ذلك من
المعاني التي هي ترغيب وترهيب وأمر وزجر وقصص وجدل ومثل وما أشبه ذلك من المعاني التي لم
تجتمع في كتاب أنزل الى الارض من السماء فمهما يكن فيه من اطالة على نحو ما في أم القرآن فلما
وصفت قبل من أن الله جل ذكره أراد أن يجمع بوصفه العجيب ونظمه الغريب المنعدل عن
أوزان الاشعار وسجع الكهان وخطب الخطباء ورسائل البلغاء العاجز عن وصف مثله جميع
الانام وعن نظم نظيره كل العباد الدلالة على نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبما فيه من تحميد
وتمجيد وثناء عليه تنبيه للعباد على عظمته وسلطانه وقدرته وعظم مملكته ليذكروه بآلائه
ويحمدوه على نعمائه فيستحقوا به منه المزيد ويستوجبوا عليه الثواب الجزيل وبما فيه
من نعت من أنعم عليه بمعرفته وتفضل عليه بتوفيقه لطاعته تعريف عباده أن كل ما بهم من
نعمة في دينهم ودنياهم فمنه ليصرفوا رغبتهم اليه ويبتغوا حاجاتهم من عنده دون ما سواه من الآلهة
والانداد وبما فيه من ذكره ما أحل بمن عصاه من مثلاته وأنزل بمن خالف أمره من عقوباته
ترهيب عباده عن ركوب معاصيه والتعرض لما لا قبل لهم به من سخطه فيسلك بهم في النكال
والنقمات سبيل من ركب ذلك من الهلاك فذلك وجه اطالة البيان في سورة أم القرآن وفيما
كان نظيرا لها من سائر سور الفرقان وذلك هو الحكمة البالغة والحجة الكاملة حدثنا أبو كريب
قال حدثنا المحاربي عن محمد بن اسحق قال حدثني العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب عن أبي السائب
مولى زهرة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قال العبد الحمد لله رب العالمين
قال الله حمدني عبدي واذا قال الرحمن الرحيم قال أثنى علي عبدي واذا قال مالك يوم الدين قال
مجدني عبدي فهذا لي واذا قال اياك نعبد واياك نستعين الى أن يختم السورة قال فذاك له
حدثنا أبو كريب قال حدثنا عبدة عن ابن اسحق عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبي السائب عن
أبي هريرة قال اذا قال العبد الحمد لله فذكر نحوه ولم يرفعه حدثنا أبو كريب قال حدثنا أبو أسامة
قال حدثنا الوليد بن كثير قال حدثني العلاء بن عبد الرحمن مولى الحرقة عن أبي السائب عن
أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثله حدثني صالح بن مسمار المروزي قال حدثنا
زيد بن الحباب قال حدثنا عنبسة بن سعيد عن مطرف بن طريف عن سعد بن اسحق بن كعب بن
عجرة عن جابر بن عبد الله الانصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل قسمت
الصلاة بيني وبين عبدي نصفين وله ما سأل فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله حمدني عبدي

واذا قال الرحمن الرحيم قال أثنى على عبدى واذا قال مالك يوم الدين قال مجدنى عبدى قال هذا لى وله ما بقى * آخر تفسير سورة فاتحة الكتاب

﴿القول فى تفسير السورة التى يذكر فيها البقرة﴾

القول فى تأويل قول الله جل ثناؤه (الم) قال أبو جعفر اختلفت تراجمة القرآن فى تأويل قول الله تعالى ذكره الم فقال بعضهم هو اسم من اسماء القرآن * ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله الم قال اسم من أسماء القرآن حدثنى المثنى بن ابراهيم الآملى قال حدثنا أبو حذيفة موسى بن مسعود قال حدثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال الم اسم من أسماء القرآن حدثنا القاسم بن الحسن قال حدثنا الحسين بن داود قال حدثنى حجاج عن ابن جريج قال الم اسم من أسماء القرآن * وقال بعضهم هو فواتح يفتح الله بها القرآن * ذكر من قال ذلك حدثنى هرون بن ادريس الأصم الكوفى قال حدثنا عبد الرحمن ابن محمد المحاربى عن ابن جريج عن مجاهد قال الم فواتح يفتح الله بها القرآن حدثنا أحمد بن حازم الغفارى قال حدثنا أبو نعيم قال حدثنا سفيان عن مجاهد قال الم فواتح حدثنى المثنى بن ابراهيم قال حدثنا اسحق بن الحجاج عن يحيى بن آدم عن سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال الم وحم والمص وص فواتح افتتح الله بها حدثنا القاسم بن الحسن قال حدثنا الحسين قال حدثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثل حديث هرون بن ادريس * وقال بعضهم هو اسم للسورة * ذكر من قال ذلك حدثنى يونس بن عبد الأعلى قال أنبأنا عبد الله بن وهب قال سألت عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن قول الله الم ذلك الكتاب والم تنزيل والمر تلك فقال قال أبى انما هى أسماء السور * وقال بعضهم هو اسم الله الاعظم * ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال حدثنا عبد الرحمن بن مهدى قال حدثنا شعبة قال سألت السدى عن حم وطسم والم فقال قال ابن عباس هو اسم الله الأعظم حدثنا محمد بن المثنى قال حدثنى أبو النعمان قال حدثنا شعبة عن اسمعيل السدى عن مرة الهمدانى قال قال عبد الله فذكر نحوه حدثنى المثنى قال حدثنا اسحق بن الحجاج عن عبيد الله بن موسى عن اسمعيل عن الشعبى قال فواتح السور من أسماء الله * وقال بعضهم هو قسم أقسم الله به وهو من أسمائه * ذكر من قال ذلك حدثنى يحيى بن عثمان بن صالح السهمى قال حدثنا عبد الله بن صالح قال حدثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قال هو قسم أقسم الله به وهو من أسماء الله حدثنا يعقوب بن ابراهيم قال حدثنا ابن علية قال حدثنا خالد الحذاء عن عكرمة قال الم قسم * وقال بعضهم هو حروف مقطعة من أسماء وأفعال كل حرف من ذلك لمعنى غير معنى الحرف الآخر * ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال حدثنا وكيع و حدثنا سفيان بن وكيع قال حدثنا ابن أبى شريك عن عطاء بن السائب عن أبى الضحى عن ابن عباس الم قال أنا الله أعلم وحدثت عن أبى عبيد قال حدثنا أبو اليقظان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير قال قوله الم قال أنا الله أعلم حدثنى موسى بن هرون الهمدانى قال حدثنا عمرو بن حماد القناد قال حدثنا أسباط ابن نصر عن اسمعيل السدى فى خبر ذكره عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمدانى عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم الم قال أما الم فهو

فعل منه واشتقاقه من الرحمة وهى ترك عقوبة من يستحقها وارادة الخير لاهله وأصله الرقة والتعطف ومنه الرحم لرقتها وانعطافها على ما فيها واختلف فى منع صرف رحمن اذ ليس له مؤنث على فعلى كعطشى ولا على فعلانة كندمانة فمن شرط فى منع صرف فعلان صفة وجود فعلى صرفه ومن شرط فيه انتفاء فعلانة لم يصرفه واذا تساقط الدليلان للتعارض فللصرف وجه وهو أن الاصل فى الاسماء الصرف وللمنع الصرف وجه وهو القياس على اخواته من بابه نحو عطشان وغرثان وزعم (٦٧) قوم أنهما بمعنى واحد كندمان ونديم وجمع بينهما للتأكيد والاتساع كقولهم جاد مجد قال طرفة

* متى أدن منه ينأ عنى و يبعد *

وقال قوم الرحمن أشد مبالغة استدلالا بالزيادة فى اللفظ على الزيادة فى المعنى قالوا ولهذا جاء رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا وربما يقال رحمن الدنيا ورحيم الآخرة لان رحمته فى الدنيا عمت المؤمن والكافر والبر والفاجر وفى الآخرة اختصت بالمؤمنين فالرحمن خاص اللفظ عام المعنى والرحيم بالعكس أما خصوص الرحمن فمن حيث لا يسمى به الا الله تعالى لانه من الصفات الغالبة كالدبران والعيوق وأما عمومه فمن حيث انه يشمل جميع الموجودات من طريق الخلق والرزق والنفع وأما عموم الرحيم فاشتراك تسمية الخلق به وأما خصوصه فرجوعه الى اللطف بالمؤمنين والتوفيق الضحاك الرحمن بأهل السماء حيث أسكنهم السموات وطوقهم الطاعات وأنطق ألسنتهم بأنواع التسبيحات وجنبهم الآفات وقطع عنهم المطامع واللذات والرحيم بأهل الارض حيث أرسل اليهم الرسل وأنزل عليهم الكتب قال عكرمة الرحمن برحمة واحدة والرحيم بمائة رحمة كما قال صلى الله عليه وسلم ان لله تعالى مائة رحمة وانه أنزل منها رحمة واحدة الى الارض فقسمها بين خلقه فبها يتعاطفون وبها يتراحمون وأخر تسعا وتسعين لنفسه يرحم بها عباده يوم القيامة قال ابن المبارك الرحمن الذى اذا سئل أعطى والرحيم الذى اذا لم يسئل غضب قال صلى الله عليه وسلم من لم يسأل الله يغضب عليه الرحمن بالنعماء وهى ما أعطى وحبا والرحيم باللأواء وهى ما صرف وزوى الرحمن بالانقاذ من النار وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها والرحيم بادخالهم الجنان ادخلوها بسلام آمنين الرحمن الراحم القادر على كشف الضر والرحيم الراحم وان لم يقدر على كشف الضر

وتسمية مسيلمة الكذاب بالرحمن تعنت منهم واقتطاع من أسماء الله تعالى قال عطاء ولذلك قرنه الله تعالى بالرحيم لان هذا المجموع لم يسم به غيره وانما قدم الرحمن وهو الأعلى على الرحيم والعادة التدرج من الادنى الى الأعلى لان الرحمن يتناول عظائم النعم وأصولها فأردفه بالرحيم كالتتمة ليتناول مادق منها ولطف واعلم أن الاشياء التي أنعم الله تعالى بها على الخلق أربعة أقسام الاول ما يكون نافعا وضروريا معا وذلك في الدنيا التنفس فانه لو انقطع لحظة

واحدة مات وفي الآخرة معرفة الله فانها اذا زالت عن القلب لحظة واحدة مات القلب واستوجب عذاب الأبد الثاني أن يكون نافعا لا ضروريا كالمال في الدنيا وكسائر العلوم والمعارف في الآخرة الثالث أن يكون ضروريا لا نافعا كالآفات والعلل ولا نظير لهذا القسم في الآخرة الرابع أن لا يكون نافعا ولا ضروريا كالفقر في الدنيا والعذاب في الآخرة وبالجملة فكل نعمة أو نقمة دنيوية أو أخروية فانما تصل الى العبد أو تندفع عنه برحمة الله تعالى وفضله من غير شائبة غرض ولا ضميمة علة لانه الجواد المطلق والغني الذي لا يفتقر فينبغي أن لا يرجى الا رحمته ولا يخشى الا عقابه (الرابع عشر) في نكت شريفة الأولى كل العلوم تندرج في الكتب الاربعة وعلومها في القرآن وعلوم القرآن في الفاتحة وعلوم الفاتحة في بسم الله الرحمن الرحيم وعلومها في الباء من بسم الله وذلك أن المقصود من كل العلوم وصول العبد الى الرب وهذه الباء للالصاق فهو يوصل العبد الى الرب وهو نهاية المطلب وأقصى الامد وقيل انما وقع ابتداء كتاب الله تعالى بالباء دون الالف لان الالف تطاول وترفع والباء انكسر وتساقط ومن تواضع لله رفعه الله * الثانية مرض موسى عليه السلام واشتد وجع بطنه فشكا الى الله فدله على عشب في المفازة فأكله فعوفي باذن الله ثم عاوده ذلك المرض في وقت آخر فأكل ذلك العشب فازداد مرضه فقال يارب أكلته أولا فاشتفيت به وأكلته ثانيا فضرني انها فقال لانك في المرة الاولى ذهبت مني الى الكلا فحصل فيه الشفاء وفي الثانية ذهبت منك الى الكلا فازداد المرض أما علمت أن الدنيا كلها سم وترياقها اسمي * الثالثة باتت رابعة ليلة في التهجد والصلاة فلما انفجر الصبح نامت فدخل السارق دارها وأخذ ثيابها وقصد الباب فلم يهتد الى الباب فوضعها فوجد الباب وفعل ذلك ثلاث مرات فنودي من زاوية البيت ضع القماش واخرج فان نام الحبيب فالسلطان

حرف اشتق من حروف هجاء أسماء الله جل ثناؤه حدثنا محمد بن معمر قال حدثنا عباس ابن زياد الباهلي قال حدثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله الم وحم ون قال اسم مقطع * وقال بعضهم هي حروف هجاء موضوع * ذكر من قال ذلك حدثت عن منصور بن أبي نويرة قال حدثنا أبو سعيد المؤدب عن خصيف عن مجاهد قال فواتح السور كلها ق وص وحم وطسم والر وغير ذلك هجاء موضوع * وقال بعضهم هي حروف يشتمل كل حرف منها على معان شتى مختلفة * ذكر من قال ذلك حدثني المثنى بن ابراهيم الطبري قال حدثنا اسحق بن الحجاج عن عبد الله بن أبي جعفر الرازي قال حدثني أبي عن الربيع بن أنس في قول الله تعالى ذكره الم قال هذه الاحرف من التسعة والعشرين حرفا دارت فيها الالسن كلها ليس منها حرف الا وهو مفتاح اسم من أسمائه وليس منها حرف الا وهو في آلائه وبلائه وليس منها حرف الا وهو مدة قوم وآجالهم وقال عيسى بن مريم وعجيب ينطقون في أسمائه ويعيشون في رزقه فكيف يكفرون قال الالف مفتاح اسمه الله واللام مفتاح اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد والالف آلاء الله واللام لطفه والميم مجده الالف سنة واللام ثلاثون سنة والميم أربعون سنة حدثنا ابن حميد قال حدثنا حكام عن أبي جعفر عن الربيع بنحوه * وقال بعضهم هي حروف من حساب الجمل كرهنا ذكر الذي حكي ذلك عنه اذ كان الذي رواه ممن لا يعتمد على روايته ونقله وقد مضت الرواية بنظير ذلك من القول عن الربيع بن أنس * وقال بعضهم لكل كتاب سر وسر القرآن فواتحه ۞ وأما أهل العربية فانهم اختلفوا في معنى ذلك فقال بعضهم هي حروف من حروف المعجم استغني بذكر ما ذكر منها في أوائل السور عن ذكر بواقيها التي هي تتمة الثمانية والعشرين حرفا كما استغني المخبر عمن أخبر عنه أنه في حروف المعجم الثمانية والعشرين بذكر ا ب ت ث عن ذكر بواقي حروفها التي هي تتمة الثمانية والعشرين قال ولذلك رفع ذلك الكتاب لان معنى الكلام الالف واللام والميم من الحروف المقطعة ذلك الكتاب الذي أنزلته اليك مجموعا لا ريب فيه فان قال قائل فان الف با تا ثا قد صارت كالاسم في حروف الهجاء كما صارت الحمد اسما لفاتحة الكتاب قيل له لما كان جائزا أن يقول القائل ابني في ط ظ وكان معلوما بقيله ذلك لو قاله أنه يريد الخبر عن ابنه انه في الحروف المقطعة علم بذلك أن ا ب ت ث ليس لها باسم وان كان ذلك يؤثر في الذكر من سائرها قال وانما خولف بين ذكر حروف المعجم في فواتح السور فذكرت في أوائلها مختلفة وذكرها اذا ذكرت بأوائلها التي هي ا ب ت ث مؤتلفة ليفصل بين الخبر عنها اذا أريد بذكر ما ذكر منها مختلفا الدلالة على الكلام المتصل واذا أريد بذكر ما ذكر منها مؤتلفا الدلالة على الحروف المقطعة باعيانها واستشهدوا لاجازة قول القائل ابني في ط ظ وما أشبه ذلك من الخبر عنه انه في حروف المعجم وان ذلك من قيله في البيان يقوم مقام قوله ابني في ا ب ت ث برجز بعض الرجاز من بني أسد

لما رأيت أمرها في حطي * وفنكت في كذب ولط * أخذت منها بقرون شمط

* فلم يزل ضربي بها ومعطي * حتى علا الرأس دم يغطي *

فزعم انه أراد بذلك الخبر عن المرأة أنها في أبي جاد فأقام قوله لما رأيت أمرها في حطي مقام خبره عنها

أنها في أبي جاد اذ كان ذلك من قوله يدل سامعه على مايدله عليه قوله لما رأيت أمرها في أبي جاد * وقال آخرون بل ابتدئت بذلك أوائل السور ليفتح لاستماعه أسماع المشركين اذ تواصوا بالاعراض عن القرآن حتى اذا استمعوا له تلى عليهم المؤلف منه * وقال بعضهم الحروف التي هي فواتح السور حروف يستفتح الله بها كلامه فان قيل هل يكون من القرآن ماليس له معنى فان معنى هذا أنه افتتح بها ليعلم أن السورة التي قبلها قد انقضت وانه قد أخذ في أخرى فجعل هذا علامة انقطاع مابينهما وذلك في كلام العرب ينشد الرجل منهم الشعر فيقول بل

* وبلدة ما الانس من آهالها * ويقول لابل * ماهاج أحزانا وشجوا قد شجا *

وبل ليست من البيت ولا تعد في وزنه ولكن يقطع بها كلاما ويستأنف الآخر قال أبو جعفر ولكل قول من الاقوال التي قالها الذين وصفنا قولهم في ذلك وجه معروف فاما الذين قالوا الم اسم من أسماء القرآن فلقولهم ذلك وجهان أحدهما أن يكونوا أرادوا أن الم اسم للقرآن كما الفرقان اسم له واذا كان معنى قائل ذلك كذلك كان تأويل قوله الم ذلك الكتاب على معنى القسم كأنه قال والقرآن هذا الكتاب لا ريب فيه والآخر منهما أن يكونوا أرادوا أنه اسم من أسماء السورة التي تعرف به كما تعرف سائر الاشياء بأسمائها التي هي لها أمارات تعرف بها فيفهم السامع من القائل يقول قرأت اليوم المص و ن أي السورة التي قرأها من سور القرآن كما يفهم عنه اذا قال لقيت اليوم عمرا وزيدا وهما بزيد وعمرو عارفان من الذي لقي من الناس وان أشكل معنى ذلك على امرئ فقال وكيف يجوز أن يكون ذلك كذلك ونظائر الم المر في القرآن جماعة من السور وانما تكون الاسماء أمارات اذا كانت مميزة بين الاشخاص فأما اذا كانت غير مميزة فليست أمارات قيل ان الاسماء وان كانت قد صارت لاشتراك كثير من الناس في الواحد منها غير مميزة الا بمعان أخر معها من ضم نسبة المسمى بها اليها أو نعته أو صفته بما يفرق بينه وبين غيره من أشكالها فانها وضعت ابتداء للتمييز لاشك ثم احتيج عند الاشتراك الى المعاني المفرقة بين المسمى بها فكذلك ذلك في أسماء السور جعل كل اسم في قول قائل هذه المقالة أمارة للمسمى به من السور فلما شارك المسمى به فيه غيره من سور القرآن احتاج المخبر عن سورة منها أن يضم الى اسمها المسمى به من ذلك مايفرق به للسامع بين الخبر عنها وعن غيرها من نعت وصفة أو غير ذلك فيقول المخبر عن نفسه أنه تلا سورة البقرة اذا سماها باسمها الذي هو الم قرأت الم البقرة وفي آل عمران قرأت الم آل عمران والم ذلك الكتاب والم الله لا اله الا هو الحي القيوم كما لو أراد الخبر عن رجلين اسم كل واحد منهما عمرو غير أن أحدهما تميمي والآخر أزدي للزمه أن يقول لمن أراد اخباره عنهما لقيت عمرا التميمي وعمرا الازدي اذ كان لا فرق بينهما وبين غيرهما ممن يشاركهما في أسمائهما الا بنسبتهما كذلك فكذلك ذلك في قول من تأول في الحروف المقطعة أنها أسماء للسور وأما الذين قالوا ذلك فواتح يفتتح الله عز وجل بها كلامه فانهم وجهوا ذلك الى نحو المعنى الذي حكيناه عمن حكينا عنه من أهل العربية أنه قال ذلك أدلة على انقضاء سورة وابتداء في أخرى وعلامة لانقطاع مابينهما كما جعلت بل في ابتداء قصيدة دلالة على ابتداء فيها وانقضاء أخرى قبلها كما ذكرنا عن العرب اذا أرادوا الابتداء في انشاد قصيدة قالوا بل * ماهاج أحزانا وشجوا قد شجا * وبل

يقظان * الرابعة كان بعض العارفين يرعى غنما فحضر في غنمه الذئب ولا يضر أغنامه فمر عليه رجل وناداه متى اصطلح الغنم والذئب قال الراعي من حين اصطلح الراعي مع الله * الخامسة روى أن فرعون قبل أن ادعى الالهية قصد أو أمر أن يكتب باسم الله على بابه الخارج فلما ادعى الالهية وأرسل الله اليه موسى ودعا فلم ير به أثر الرشد قال الهي كم أدعوه ولا أرى به خيرا فقال تعالى ياموسى لعلك تريد اهلاكه أنت تنظر الى كفره وأنا أنظر الى ما كتبه على بابه والنكتة أن من كتب هذه

الكلمة على بابه الخارج صار آمنا من الهلاك وان كان كافرا فالذي كتبه على سويداء قلبه من أول عمره الى آخره كيف يكون حاله * السادسة سمى نفسه رحمانا ورحيما فكيف لا يرحم روى أن سائلا وقف على باب رفيع فسأل شيأ فأعطى قليلا فجاء بفأس وأخذ يخرب الباب فقيل له لم تفعل قال اما أن تجعل الباب لائقا بالعطية أو العطية لائقة بالباب الهي كما أثبت في أول كتابك صفة رحمتك فلا تجعلنا محرومين من فضلك * السابعة اذا اشترى العبيد شيأ من الدواب أو المتاع وضعوا عليه سمة الملك لئلا يطمع فيه العدو فالله تعالى يقول عبدي عدوك الشيطان فاذا شرعت في عمل وطاعة فاجعل عليها سمتي وقل بسم الله الرحمن الرحيم * الثامنة اجعل ذكر الله قرينك حتى لا تبعد عنه في أحوالك روى أن النبي صلى الله عليه وسلم دفع خاتما الى أبي بكر وقال اكتب فيه لا اله الا الله فدفعه الى النقاش وقال اكتب فيه لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب النقاش ذلك فأتى أبو بكر بذلك الخاتم الى النبي صلى الله عليه وسلم فرأى النبي فيه لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق فقال يا أبا بكر ماهذه الزوائد فقال يارسول الله مارضيت أن أفرق اسمك من اسم الله فرضي الله أن يفرق اسمي عن اسمك * التاسعة أن نوحا صلى الله عليه وسلم لما ركب السفينة قال بسم الله مجريها ومرساها فنجا بنصف هذه الكلمة فما ظنك بمن واظب على الكلمة طول عمره كيف يبقى محروما عن النجاة * العاشرة الناس ثلاثة سابق بالخيرات ومقتصد وظالم لنفسه فقال الله للسابقين الرحمن للمقتصدين الرحيم للظالمين الله معطي العطاء الرحمن المتجاوز عن زلات الاولياء الرحيم الساتر لعيوب الاغنياء يعلم منك مالو علمه أبواك لفارقاك ولو علمت المرأة لجفتك ولو علمت الامة لأقدمت

ليست من البيت ولا داخلة فى وزنه ولكن ليدل به على قطع كلام وابتداء آخر وأما الذين قالوا ذلك حروف مقطعة بعضها من أسماء الله عز وجل وبعضها من صفاته ولكل حرف من ذلك معنى غير معنى الحرف الآخر فانهم نحوا بتأويلهم ذلك نحو قول الشاعر

قلنا لها قفى لنا قالت قاف * لا تحسبى أنا نسينا الايجاف

يعنى بقوله قالت قاف قالت قد وقفت فدلت باظهار القاف من وقفت على مرادها من تمام الكلمة التى هى وقفت فصرفوا قوله الم وما أشبه ذلك الى نحو هذا المعنى فقال بعضهم الألف ألف أنا واللام لام الله والميم ميم أعلم وكل حرف منها دال على كلمة تامة قالوا فجملة هذه الحروف المقطعة اذا ظهر مع كل حرف منهن تمام حروف الكلمة أنا الله أعلم قالوا وكذلك سائر جميع ما فى أوائل سور القرآن من ذلك فعلى هذا المعنى وبهذا التأويل قالوا ومستفيض ظاهر فى كلام العرب أن ينقص المتكلم منهم من الكلمة الأحرف اذا كان فيما بقى دلالة على ما حذف منها ويزيد فيها ما ليس منها اذا لم تكن الزيادة ملبسة معناها على سامعها كحذفهم فى النقص فى الترخيم من حارث الثاء فيقولون يا حار ومن مالك الكاف فيقولون يا مال وما أشبه ذلك وكقول راجزهم

ما للظليم عال كيف لايا * ينقد عنه جلده اذا يا

كأنه أراد أن يقول اذا يفعل كذا وكذا فاكتفى بالياء من يفعل وكما قال آخر منهم

* بالخير خيرات وان شرا فا * ربد فشرا * ولا أريد الشر الا أن تا *

يريد الا أن تشاء فاكتفى بالتاء والفاء فى الكلمتين جميعا من سائر حروفهما وما أشبه ذلك من الشواهد التى يطول الكتاب باستيعابه وكما حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال حدثنا ابن علية عن أيوب وابن عون عن محمد قال لما مات يزيد بن معاوية قال لى عبدة انى لا أراها الا كائنة فتنة فافزع من ضيعتك والحق بأهلك قلت فما تأمرنى قال أحب الى لك أن تا قال أيوب وابن عون بيده تحت خده الايمن يصف الاضطجاع حتى ترى أمرا تعرفه قال أبو جعفر يعنى بتا تضطجع فاجتزأ بالتاء من تضطجع وكما قال الآخر فى الزيادة فى الكلام على النحو الذى وصفت

أقول اذ خرت على الكلكال * يا ناقتى ما جلت من مجال

يريد الكلكل وكما قال الآخر

ان شكلى وان شكلك شتى * فالزمى الخص واخفضى تبيضضى

فزاد ضادا وليست فى الكلمة قالوا فكذلك ما نقص من تمام حروف كل كلمة من هذه الكلمات التى ذكرنا أنها تتمة حروف الم ونظائرها نظير ما نقص من الكلام الذى حكيناه عن العرب فى أشعارها وكلامها وأما الذين قالوا كل حرف من الم ونظائرها دال على معان شتى نحو الذى ذكرنا عن الربيع بن أنس فانهم وجهوا ذلك الى مثل الذى وجهه اليه من قال هو بتأويل أنا الله أعلم فى أن كل حرف منه بعض حروف كلمة تامة استغنى بدلالته على تمامه عن ذكر تمامه وان كانوا له مخالفين فى كل حرف من ذلك أهو من الكلمة التى ادعى أنه منها قائلو القول الاول أم من غيرها فقالوا بل الالف من الم من كلمات شتى هى دالة على معانى جميع ذلك وعلى تمامه قالوا وانما أفرد كل حرف من ذلك وقصر به عن تمام حروف الكلمة أن جميع حروف الكلمة لو أظهرت لم تدل

على الفرار ولو علم الجار لسعى فى تخريب الدار الله يوجب ولايته الله ولى الذين آمنوا الرحمن يستدعى محبته ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا الرحيم يفيض رحمته وكان بالمؤمنين رحيما هو رحيم بهم فى ستة مواضع فى القبر وحسراته والقيامة وظلماته وقراءة الكتب وفزعاته والصراط ومخافاته والنار ودركاته والجنة ودرجاته * الحادية عشرة مر عيسى عليه السلام بقبر فرأى ملائكة العذاب يعذبون ميتا فلما انصرف من حاجته مر بالقبر فرأى ملائكة الرحمة معهم أطباق من نور فتعجب من ذلك فصلى ودعا الله فأوحى الله تعالى اليه يا عيسى كان هذا العبد عاصيا وكان قد ترك امرأة حبلى فولدت وربت ولده حتى كبر فسلمته الى الكتاب فلقنه المعلم بسم الله الرحمن الرحيم فاستحييت من عبدى أن أعذبه بنارى فى بطن الارض وولده يذكر اسمى على ظهر الارض * الثانية عشرة كتب عارف بسم الله الرحمن الرحيم وأوصى أن تجعل فى كفنه فقيل له فى ذلك فقال أقول يوم القيامة الهى بعثت كتابا وجعلت عنوانه بسم الله الرحمن الرحيم فعاملنى بعنوان كتابك * الثالثة عشرة بسم الله الرحمن الرحيم تسعة عشر حرفا والزبانية تسعة عشر فالله تعالى يدفع بليتهم بهذه الحروف التسعة عشر * الرابعة عشرة اليوم بليلته أربع وعشرون ساعة ثم فرض خمس صلوات فى خمس ساعات فبقى التسعة عشرة ساعة لا تستغرق بذكر الله تعالى وهذه التسعة عشر حرفا تقع كفارات للذنوب الواقعة فى تلك التسع عشرة * الخامسة عشرة لما كانت سورة التوبة مشتملة على القتال والبراءة لم يكتب فى أولها بسم الله الرحمن الرحيم وأيضا السنة ان يقال عند الذبح باسم الله والله أكبر ولا يقال بسم الله الرحمن الرحيم فلما وفقك الله لذكر هذه الكلمات كل يوم سبع عشرة مرة فى الصلوات المفروضة دل ذلك على انه ما خلقك للقتل والعذاب وانما خلقك للرحمة والثواب * السادسة عشرة قال صلى الله عليه وسلم من رفع قرطاسا من الارض فيه بسم الله الرحمن الرحيم اجلالا لله تعالى كتب عند الله من الصديقين وخفف عن والديه وان كانا من المشركين وعن على رضى الله عنه قال لما نزلت بسم الله الرحمن الرحيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما نزلت هذه الآية على آدم قال أمن ذريتى من العذاب ما داموا على قراءتها ثم رفعت فأنزلت على ابراهيم عليه السلام فتلاها وهو فى كفة المنجنيق فجعل الله عليه النار بردا وسلاما ثم رفعت بعده فما أنزلت الا على سليمان

وعندها قالت الملائكة الآن تم والله ملكك ثم رفعت فأنزلها الله تعالى على ثم يأتي أمتي يوم القيامة وهم يقولون بسم الله الرحمن الرحيم فاذا وضعت أعمالهم في الميزان ترجحت حسناتهم وعن أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال يا أبا هريرة اذا توضأت فقل بسم الله الرحمن الرحيم فان حفظتك لا يستريحون أن يكتبوا لك الحسنات حتى تفرغ واذا غشيت أهلك فقل بسم الله الرحمن الرحيم فان حفظتك يكتبون لك الحسنات حتى تغتسل من الجنابة فان حصل من تلك المواقعة ولد كتبت له من الحسنات بعدد نفس ذلك الولد وبعدد أنفاس أعقابه ان كان له عقب حتى لا يبقى منهم أحد يا أبا هريرة اذا ركبت دابة فقل باسم الله والحمد لله يكتب لك الحسنات بعدد كل خطوة واذا ركبت سفينة فقل باسم الله والحمد لله يكتب لك الحسنات حتى تخرج منها وعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ستر ما بين أعين الجن وعورات بني آدم اذا نزعوا ثيابهم أن يقولوا بسم الله الرحمن الرحيم والاشارة فيه اذا صار هذا الاسم حجابا بينك وبين أعدائك من الجن في الدنيا أفلا يصير حجابا بينك وبين الزبانية في العقبى شعر

كانت لنفسي أهواء مفرقة * فاستجمعت اذ رأتك النفس أهوائي

فصار يحسدني من كنت أحسده * وصرت مولى الورى مذ صرت مولائي

تركت للناس دنياهم ودينهم

شغلا بذكرك يا ديني ودنيائي

هذا تمام الكلام في تفسير البسملة * وأما تفسير الفاتحة ففيه أيضا مسائل الاولى في أسماء هذه السورة وهي كثيرة وكثرة الاسماء تدل على شرف المسمى فالاول فاتحة الكتاب سميت بذلك لانه يفتتح بها في المصاحف وفي التعليم وفي القراءة في الصلاة ولأن الحمد فاتحة كل كتاب كما هي فاتحة القرآن وقيل لانها أول سورة نزلت من السماء الثاني سورة الحمد لأن أولها الحمد الثالث أم الكتاب وأم القرآن لانها أصل القرآن وأصل كل كتاب منزل لاشتمالها على الالهيات والمعاد واثبات القضاء والقدر والنبوات أو لان فيها حاصل جميع الكتب السماوية وذلك هو الثناء على الله والاشتغال بالخدمة والطاعة وطلب المكاشفات والمشاهدات أو لان المقصود من جميع العلوم معرفة عزة الربوبية وذلة العبودية أو لانها أفضل سور القرآن كما ان مكة وهي أم القرى أشرف البلدان وأصل لجميع البلدان حيث دحيت من تحتها وكما ان الحمى سميت أم ملدم لانهم جعلوها معظم الاوجاع والدم

الكلمة التي تظهر التي بعض هذه الحروف المقطعة بعض لها الا على معنى واحد لا على معنيين وأكثر منهما قالوا واذا كان لا دلالة في ذلك لو أظهر جميعها الا على معناها الذي هو معنى واحد وكان الله جل ثناؤه قد أراد الدلالة بكل حرف منها على معان كثيرة لشيء واحد لم يجز الا أن يفرد الحرف الدال على تلك المعاني ليعلم المخاطبون به أن الله عز وجل لم يقصد قصد معنى واحد ودلالة على شيء واحد بما خاطبهم به وأنه انما قصد الدلالة به على أشياء كثيرة قالوا فالالف من الم مقتضية معاني كثيرة منها اتمام اسم الرب الذي هو الله وتمام اسم نعماء الله التي هي آلاء الله والدلالة على أجل قوم أنه سنة اذ كانت الألف في حساب الجمل واحدا واللام مقتضية تمام اسم الله الذي هو لطيف وتمام اسم فضله الذي هو لطف والدلالة على أجل قوم أنه ثلاثون سنة والميم مقتضية تمام اسم الله الذي هو مجيد وتمام اسم عظمته التي هي مجد والدلالة على أجل قوم أنه أربعون سنة فكان معنى الكلام في تأويل قائل القول الاول أن الله جل ثناؤه افتتح كلامه بوصف نفسه بانه العالم الذي لا يخفى عليه شيء وجعل ذلك لعباده منهجا يسلكونه في مفتتح خطبهم ورسائلهم ومهم أمورهم وابتلاء منه لهم به ليستوجبوا به عظيم الثواب في دار الجزاء كما افتتح بالحمد لله رب العالمين والحمد لله الذي خلق السموات والارض وما أشبه ذلك من السور التي جعل مفاتحها الحمد لنفسه وكما جعل مفاتح بعضها تعظيم نفسه واجلالها بالتسبيح كما قال جل ثناؤه سبحان الذي أسرى بعبده ليلا وما أشبه ذلك من سائر سور القرآن التي جعل مفاتح بعضها تحميد نفسه ومفاتح بعضها تمجيدها ومفاتح بعضها تعظيمها وتنزيهها فكذلك جعل مفاتح السور الاخر التي أوائلها بعض حروف المعجم مدائح نفسه أحيانا بالعلم وأحيانا بالعدل والانصاف وأحيانا بالافضال والاحسان بايجاز واختصار ثم اقتصاص الأمور بعد ذلك وعلى هذا التأويل يجب أن يكون الالف واللام والميم في أماكن الرفع مرفوعا بعضها ببعض دون قوله ذلك الكتاب ويكون ذلك الكتاب خبر مبتدأ منقطعا عن معنى الم وكذلك ذلك في تأويل قول قائل هذا القول الثاني مرفوع بعضه ببعض وان كان مخالفا معناه معنى قول قائل القول الاول وأما الذين قالوا هن حروف من حروف حساب الجمل دون ما خالف ذلك من المعاني فانهم قالوا لا نعرف للحروف المقطعة معنى يفهم سوى حساب الجمل وسوى تهجي قول القائل الم وقالوا غير جائز أن يخاطب الله جل ثناؤه عباده الا بما يفهمونه ويعقلونه عنه فلما كان ذلك كذلك وكان قوله الم لا يعقل لها وجه توجه اليه الا أحد الوجهين اللذين ذكرنا فابطل أحد وجهيه وهو أن يكون مرادا بها تهجي الم صح وثبت أنه مراد به الوجه الثاني وهو حساب الجمل لان قول القائل الم لا يجوز أن يليه من الكلام ذلك الكتاب لاستحالة معنى الكلام وخروجه عن المعقول اذا ولي الم ذلك الكتاب واحتجوا لقولهم ذلك أيضا بما حدثنا به محمد بن حميد الرازي قال حدثنا سلمة بن الفضل قال حدثني محمد بن اسحق قال حدثني الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس عن جابر بن عبد الله بن رباب قال مر أبو ياسر بن أخطب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتلو فاتحة سورة البقرة الم ذلك الكتاب لا ريب فيه فأتى أخاه حيي بن أخطب في رجال من يهود فقال تعلمون والله لقد سمعت محمدا يتلو فيما أنزل الله عز وجل عليه الم ذلك الكتاب فقالوا أأنت سمعته قال نعم قال فمشى حيي بن أخطب في أولئك

الضرب الرابع السبع المثاني لانها سبع آيات ولانها تثنى في كل صلاة أولان نصفها ثناء العبد للرب والنصف الآخر اعطاء الرب العبد أو لأنها مستثناة لهذه الامة قال صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ما أنزلت فى التوراة والانجيل ولا فى الزبور مثل هذه السورة وانها السبع المثانى والقرآن العظيم أولانها نزلت مرتين أولانها أثنية ومدائح لله تعالى الخامس الوافية لانها تجب قراءة كلها ولا يجزئ بعضها فى الصلاة السادس الكافية قال صلى الله عليه وسلم (٧٣) أم القرآن عوض عن غيرها وليس غيرها عوضا عنها السابع الشفاء والشافية لقوله صلى الله عليه وسلم فاتحة الكتاب شفاء من كل سقم الثامن الاساس لانها أول سور القرآن فهي كالأساس أولانها تشتمل على أساس العبادات والمطالب قال الشعبي سمعت عبد الله بن عباس يقول أساس الكتب القرآن وأساس القرآن فاتحة الكتاب وأساس الفاتحة بسم الله الرحمن الرحيم فاذا اعتللت أواشتكيت فعليك بالاساس تشف باذن الله تعالى التاسع الصلاة قال النبي صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله تعالى قسمت الصلاة بيني و بين عبدي نصفين يعني الفاتحة وهو من باب تسمية الشئ بمعظم أركانه ومنه يعلم وجوب قراءة الفاتحة في الصلاة العاشر سورة تعليم المسئلة لان الله تعالى علم عباده فيها آداب السؤال فبدأ بالثناء ثم بالاخلاص ثم بالدعاء الحادى عشر سورة الكنز لما روى عن على بن أبى طالب عليه السلام أنه قال نزلت فاتحة الكتاب بمكة من كنز تحت العرش ولهذا قال أكثر العلماء انها مكية وخطؤا مجاهدا في قوله انها مدنية وكيف لا وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أبي بن كعب أنها من أول ما نزل من القرآن وأنها السبع المثاني وسورة الحجر مكية بلا خلاف وفيها قوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني ولا يسعنا القول بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبث بضع عشرة سنة بلا فاتحة الكتاب وقد جمع طائفة من العلماء بين القولين فقالوا انها نزلت بمكة مرة وبالمدينة أخرى وعلى هذا فانها لم تثبت في المصحف مرتين لانه لم يقع التواتر على نزولها مرتين ومن فضائل هذه السورة انه لم يوجد فيها الثاء وهو الثبور لاتدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا والجيم وهو جهنم وان جهنم لموعدهم أجمعين والخاء وهو الخزى يوم لايخزى الله النبي والذين آمنوا معه والزاى وهو الزفير والزقوم والشين وهو

النفر من يهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد ألم يذكر لنا أنك تتلو فيما أنزل عليك الم ذلك الكتاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى فقالوا أجاءك بهذا جبريل من عند الله قال نعم قالوا لقد بعث الله جل ثناؤه قبلك أنبياء ما نعلمه بين لنبي منهم ما مدة ملكه وما أجل أمته غيرك فقال حيى بن أخطب وأقبل على من كان معه فقال لهم الالف واحدة واللام ثلاثون والميم أربعون فهذه احدى وسبعون سنة قال فقال لهم أتدخلون في دين نبي انما مدة ملكه وأجل أمته احدى وسبعون سنة قال ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد هل مع هذا غيره قال نعم قال ماذا قال المص قال هذه أثقل وأطول الالف واحدة واللام ثلاثون والميم أربعون والصاد تسعون فهذه مائة واحدى وستون سنة هل مع هذا يا محمد غيره قال نعم قال ماذا قال الر قال هذه أثقل وأطول الالف واحدة واللام ثلاثون والراء مائتان فهذه احدى وثلاثون ومائتا سنة فقال هل مع هذا غيره يا محمد قال نعم المر قال فهذه أثقل وأطول الالف واحدة واللام ثلاثون والميم أربعون والراء مائتان فهذه احدى وسبعون ومائتا سنة ثم قال لقد لبس علينا أمرك يا محمد حتى ما ندرى أقليلا أعطيت أم كثيرا ثم قاموا عنه فقال أبو ياسر لاخيه حيى بن أخطب ولمن معه من الاحبار ما يدريكم لعله قد جمع هذا كله لمحمد احدى وسبعون واحدى وستون ومائة ومائتان واحدى وثلاثون ومائتان واحدى وسبعون فذلك سبعمائة سنة وأربع وثلاثون فقالوا لقد تشابه علينا أمره ويزعمون أن هؤلاء الآيات نزلت فيهم هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فقالوا قد صرح هذا الخبر بصحة ما قلنا في ذلك من التأويل وفساد ما قاله مخالفونا فيه والصواب من القول عندى في تأويل مفاتح السور التى هي حروف المعجم أن الله جل ثناؤه جعلها حروفا مقطعة ولم يصل بعضها ببعض فيجعلها كسائر الكلام المتصل الحروف لانه عز ذكره أراد بلفظه الدلالة بكل حرف منه على معان كثيرة لا على معنى واحد كما قال الربيع بن أنس وان كان الربيع قد اقتصر به على معان ثلاثة دون ما زاد عليها والصواب في تأويل ذلك عندي أن كل حرف منه يحوى ما قاله الربيع وما قاله سائر المفسرين غيره فيه سوى ما ذكرت من القول عمن ذكرت عنه من أهل العربية أنه كان يوجه تأويل ذلك الى أنه حروف هجاء استغنى بذكر ما ذكر منه في مفاتح السور عن ذكر تتمة الثمانية والعشرين حرفا من حروف المعجم بتأويل أن هذه الحروف ذلك الكتاب مجموعة لاريب فيه فانه قول خطأ فاسد لخروجه عن أقوال جميع الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الخالفين من أهل التفسير والتأويل فكفى دلالة على خطئه شهادة الحجة عليه بالخطا مع ابطال قائل ذلك قوله الذى حكيناه عنه اذ صار الى البيان عن رفع ذلك الكتاب بقوله مرة انه مرفوع كل واحد منهما بصاحبه ومرة أخرى انه مرفوع بالراجع من ذكره في قوله لاريب فيه ومرة بقوله هدى للمتقين وذلك ترك منه لقوله ان الم رافعة ذلك الكتاب وخروج من القول الذى ادعاه في تأويل الم ذلك الكتاب وأن تأويل ذلك هذه الحروف ذلك الكتاب فان قال لنا قائل وكيف يجوز أن يكون حرف واحد شاملا الدلالة على معان كثيرة مختلفة قيل كما جاز أن تكون كلمة واحدة تشتمل على معان كثيرة مختلفة كقولهم للجماعة من الناس أمة وللحين من الزمان

أمة

الشهيق لهم فيها زفير وشهيق والظاء وهو لظى كلا انها لظى والفاء وهو الفراق ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فلما أسقط الله تعالى
من الفاتحة هذه الحروف الدالة على العذاب وهي بعدد أبواب جهنم لقوله تعالى لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم غلب على الظن
أن من قرأ الفاتحة نجا من جهنم ودخول أبوابها وتخلص من دركات النار وعذابها * الثانية في المباحث اللفظية الحمد مبتدأ والله خبره أي
الحمد ثابت لله وأصله النصب الذي هو قراءة بعضهم باضمار فعله

كقولهم شكرا وعجبا وسبحانك ومعاذ الله فعدل
الى الرفع للدلالة على ثبات المعنى واستقراره نحو قوله تعالى قالوا سلاما قال سلام ولهذا كان تحية ابراهيم صلى الله عليه وسلم أحسن من تحيتهم كما جاء واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها ومما يدل على أن أصله النصب أن قوله اياك نعبد واياك نستعين بيان لحمدهم فكأنه قيل كيف يحمدون فقيل اياك نعبد والاصل توافق الجملتين واللام في الحمد لتعريف الجنس ومعناه الاشارة الى ما يعرفه كل احد من أن الحمد ما هو والاستغراق وهم لانه لو سلم كون اللام للاستغراق فحمد أبويه مثلا لا يدخل فيه وأيضا نحو نحمد الله لا يفهم منه الاحقيقة الحمد من حيث هي فكذا ما ناب منابه وهو الحمد لله وقرأ بعضهم بكسر الدال اتباعا وبعضهم بضم اللام الرب المالك ربه يربه فهو رب أو مصدر وصف به للمبالغة كالعدل وهو مطلقا مختص بالله تعالى ومضافا يجوز اطلاقه على غيره نحو رب الدار ارجع الى ربك وقرئ بالنصب على المدح أو بتقدير نحمد والعالم اسم موضوع للجمع كالانام والرهط وهو ما يعقل من الملائكة والثقلين قاله ابن عباس والاكثرون وقيل كل ما علم به الخالق من الجواهر والاعراض كقوله تعالى قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والارض وما بينهما

فعلى الاول مشتق من العلم وخصوا بالذكر للتغليب وعلى الثاني من العلامة وجمع ليشمل كل جنس
مما سمي به وجمع بالواو والنون تغليبا لما فيه من صفات العقلاء مالك يوم الدين صفة أخرى واليوم هو المدة من طلوع نصف جرم
الشمس الى غروب نصف جرمها أو من ابتداء طلوعها الى غروب كلها أو من طلوع الفجر الثاني الى غروبها وهذا في عرف الشرع ويراد
به في الآية الوقت لعدم الشمس ثمة والدين الجزاء بالخير والشر كما تدين تدان واضافة اسم الفاعل الى الظرف اتساع واجراء للظرف مجرى

أمة وللرجل المتعبد المطيع لله أمة وللدين والملة أمة وكقولهم للجزاء والقصاص دين وللسلطان
والطاعة دين وللتذلل دين وللحساب دين في أشباه لذلك كثيرة يطول الكتاب باحصائها مما يكون
من الكلام بلفظ واحد وهو مشتمل على معان كثيرة وكذلك قول الله جل ثناؤه الم و المر و المص
وما أشبه ذلك من حروف المعجم التي هي فواتح أوائل السور كل حرف منها دال على معان شتى شامل
جميعها من أسماء الله عز وجل وصفاته ما قاله المفسرون من الاقوال التي ذكرناها عنهم وهن مع
ذلك فواتح السور كما قاله من قال ذلك وليس كون ذلك من حروف أسماء الله جل ثناؤه وصفاته
بمانعها أن تكون للسور فواتح لان الله جل ثناؤه قد افتتح كثيرا من سور القرآن بالحمد لنفسه
والثناء عليها وكثيرا منها بتمجيدها وتعظيمها فغير مستحيل أن يبتدئ بعض ذلك بالقسم بها فالتي
ابتدئ أوائلها بحروف المعجم أحد معاني أوائلها أنهن فواتح ما افتتح بهن من سور القرآن وهن مما
أقسم بهن لان أحد معانيهن أنهن من حروف أسماء الله تعالى ذكره وصفاته على ما قدمنا البيان
عنها ولا شك في صحة معنى القسم بالله وأسمائه وصفاته وهن من حروف حساب الجمل وهن للسور
التي افتتحت بهن شعار وأسماء فذلك يحوي معاني جميع ما وصفنا مما بينا من وجوهه لان الله
جل ثناؤه لو أراد بذلك أو بشيء منه الدلالة على معنى واحد مما يحتمله ذلك دون سائر المعاني غيره
لأبان ذلك لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ابانة غير مشكلة اذ كان جل ثناؤه انما أنزل كتابه على
رسوله صلى الله عليه وسلم ليبين لهم ما اختلفوا فيه وفي تركه صلى الله عليه وسلم ابانة ذلك أنه مراد به
من وجوه تأويله البعض دون البعض أوضح الدليل على أنه مراد به جميع وجوهه التي هو لها
محتمل اذ لم يكن مستحيلا في العقل وجه منها أن يكون من تأويله ومعناه كما كان غير مستحيل
اجتماع المعاني الكثيرة للكلمة الواحدة باللفظ الواحد في كلام واحد ومن أبى ما قلناه في ذلك سئل
الفرق بين ذلك وبين سائر الحروف التي تأتي بلفظ واحد مع اشتمالها على المعاني الكثيرة المختلفة
كالامة والدين وما أشبه ذلك من الاسماء والافعال فلن يقول في أحد ذلك قولا الا ألزم في الآخر
مثله وكذلك يسئل كل من تأول شيأ من ذلك على وجه دون الاوجه الاخر التي وصفنا عن البرهان
على دعواه من الوجه الذي يجب التسليم له ثم يعارض بقول يخالفه في ذلك ويسئل الفرق بينه وبينه
من أصل أو مما يدل عليه أصل فلن يقول في أحدهما قولا الا ألزم في الآخر مثله وأما الذي زعم من
النحويين أن ذلك نظير بل في قول المنشد شعرا بل * ما هاج أحزانا وشجوا قد شجا * وأنه لا معنى له
وانما هو زيادة في الكلام معناه الطرح فانه أخطأ من وجوه شتى أحدها أنه وصف الله تعالى
ذكره بأنه خاطب العرب بغير ما هو من لغتها وغير ما هو في لغة أحد من الآدميين اذ كانت العرب
وان كانت قد كانت تفتتح أوائل انشادها ما أنشدت من الشعر ببل فانه معلوم منها أنها لم تكن
تبتدئ شيأ من الكلام بالم والر والمص بمعنى ابتدائها ذلك ببل واذ كان ذلك ليس من ابتدائها
وكان الله جل ثناؤه انما خاطبهم بما خاطبهم من القرآن بما يعرفون من لغاتهم ويستعملون بينهم من
منطقهم في جميع آيه فلا شك أن سبيل ما وصفنا من حروف المعجم التي افتتحت بها أوائل السور
التي هن لها فواتح سبيل سائر القرآن في أنه لم يعدل بها عن لغاتهم التي كانوا بها عارفين ولها بينهم
في منطقهم مستعملين لان ذلك لو كان معدولا به عن سبيل لغاتهم ومنطقهم كان خارجا عن معنى

الابانة التي وصف الله عز وجل بها القرآن فقال تعالى ذكره نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين وأنى يكون مبينا مالا يعقله ولا يفقهه أحد من العالمين في قول قائل هذه المقالة ولا يعرف في منطق أحد من المخلوقين في قوله وفي إخبار الله جل ثناؤه عنه أنه عربي مبين ما يكذب هذه المقالة وينبئ عنه أن العرب كانوا به عالمين وهو لها مستبين فذلك أحد أوجه خطئه والوجه الثاني من خطئه في ذلك اضافته الى الله جل ثناؤه أنه خاطب عباده بما لا فائدة لهم فيه ولا معنى له من الكلام الذي سواء الخطاب به وترك الخطاب به وذلك اضافة العبث الذي هو منفي في قول جميع الموحدين عن الله الى الله تعالى ذكره والوجه الثالث من خطئه أن بل في كلام العرب مفهوم تأويلها ومعناها وأنها تدخلها في كلامها رجوعا عن كلام لها قد تقضى كقولهم ما جاءني أخوك بل أبوك وما رأيت عمرا بل عبد الله وما أشبه ذلك من الكلام كما قال أعشى بني ثعلبة

ولأشربن ثمانيا وثمانيا * وثلاث عشرة واثنتين وأربعا

ومضى في كلمته حتى بلغ قوله

بالجلسان وطيب أردانه * بالون يضرب لي يكر الاصبعا

ثم قال

بل عد هذا في قريض غيره * واذكر فتى سمح الخليقة أروعا

فكأنه قال دع هذا وخذ في قريض غيره فبل انما يأتي في كلام العرب على هذا النحو من الكلام فأما افتتاحا لكلام مهاما بتدأ بمعنى التطويل والحذف من غير أن يدل على معنى فذلك مما لا نعلم أحدا ادعاه من أهل المعرفة بلسان العرب ومنطقها سوى الذي ذكرت قوله فيكون ذلك أصلا يشبه به حروف المعجم التي هي فواتح سور القرآن التي افتتحت بها لو كانت له مشبهة فكيف وهي من الشبه به بعيدة ۞ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (ذلك الكتاب) قال عامة المفسرين تأويل قول الله تعالى ذلك الكتاب هذا الكتاب * ذكر من قال ذلك حدثني هرون بن ادريس الاصم الكوفي قال حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي عن ابن جريج عن مجاهد ذلك الكتاب قال هو هذا الكتاب حدثني يعقوب بن ابراهيم قال حدثنا ابن علية قال أخبرنا خالد الحذاء عن عكرمة قال ذلك الكتاب هذا الكتاب حدثنا أحمد بن اسحق الاهوازي قال حدثنا أبو أحمد الزبيري قال حدثنا الحكم بن ظهير عن السدي في قوله ذلك الكتاب قال هذا الكتاب حدثنا القاسم بن الحسن قال حدثنا الحسين بن داود قال حدثني حجاج عن ابن جريج قوله ذلك الكتاب هذا الكتاب قال قال ابن عباس ذلك الكتاب هذا الكتاب * فان قال قائل وكيف يجوز أن يكون ذلك بمعنى هذا وهذا لاشك اشارة الى حاضر معاين وذلك اشارة الى غائب غير حاضر ولا معاين قيل جاز ذلك لان كل ما تقضى وقرب تقضيه من الاخبار فهو وان صار بمعنى غير الحاضر فكالحاضر عند المخاطب وذلك كالرجل يحدث الرجل الحديث فيقول السامع ان ذلك والله لكما قلت وهذا والله كما قلت وهو والله كما ذكرت فيخبر عنه مرة بمعنى الغائب اذ كان قد تقضى ومضى ومرة بمعنى الحاضر لقرب جوابه من كلام مخبره كأنه غير منقض فكذلك ذلك في قوله ذلك الكتاب لانه جل ذكره لما قدم قبل ذلك الكتاب الم التي ذكرنا تصرفها في وجوهها من المعاني على ما وصفنا قال لنبيه صلى الله عليه

المفعول به مثل ياسارق الليلة أهل الدار وانما أفادت التعريف حتى جاز وقوعه صفة للمعرفة لانه اما بمعنى الماضي نحو ونادى أصحاب الاعراف وسيق الذين اتقوا ربهم أو بمعنى الاستمرار نحو زيد مالك العبيد فيكون بمعنى من يملك المفيد للاستمرار نحو فلان يعطي ويمنع وحينئذ لا تعمل فتكون الاضافة حقيقية وقرئ بنصب الكاف ورفعها مدحا وبسكون اللام مخفف مالك مكسور اللام وبجعله فعلا ماضيا ونصب يوم ومليك رفعا ونصبا وجرا * إيا ضمير منصوب منفصل ولا محل للكاف الخطاب نحو أرأيتك وهو مذهب الاخفش والمحققين وحكاية الخليل اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب شاذ والاصل نعبدك ونستعينك فلما قدم الضمير المتصل للاختصاص صار منفصلا وقرئ اياك بتخفيف الياء وأياك بفتح الهمزة والتشديد وهياك بقلب الهمزة هاء قال طفيل

فهياك والامر الذي ان تراحبت * موارده ضاقت عليك مصادره

فان قيل لم عدل عن الغيبة الى الخطاب قلنا هذا يسمى الالتفات في علم البيان وذلك على عادة افتنانهم في الكلام والتنقل من أسلوب الى أسلوب تطرية لنشاط السامع وقد يختص مواقعه بفوائد وسننظم لك في سلك التقرير فائدته في هذا الموضع * والعبادة أقصى غاية الخضوع طريق معبد أي مذلل وثوب ذو عبدة في غاية الصفاقة وقوة النسج * هدى يتعدى باللام أو بالى ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم وانك لتهدي الى صراط مستقيم فعومل معاملة اختار في قوله تعالى واختار موسى قومه والاصل فيه الامالة ومنه انا هدنا اليك أي ملنا والهدية لانها تمال من ملك الى ملك والهدى للذي يساق الى الحرم أي أمل قلوبنا الى الحق * والصراط الجادة وأصله السين من سرط الشئ ابتلعه لانه يسرط السابلة اذا سلكوه كما سمي لقما لانه يلتقمهم ومثله مسيطر ومصيطر والصراط يذكر ويؤنث كالطريق والسبيل وصراط الذين أنعمت عليهم بدل الكل من الصراط المستقيم وفائدته التوكيد كقولك هل أدلك على أكرم الناس وأفضلهم فلان ويكون ذلك أبلغ في وصفه بالكرم والفضل من قولك هل أدلك على فلان الاكرم الافضل لانك بينت ذكره مجملا أولا ومفصلا ثانيا وقراءة ابن مسعود صراط من أنعمت عليهم وغير المغضوب بدل من الذين أو صفة وانما جاز وقوعه صفة للمعرفة لان تعريف الذين كلا تعريف كقوله * ولقد أمر على اللئيم

يسبني • أولان المغضوب عليهم والضالين خلاف المنعم عليهم فهو كقولك عليك بالحركة غير السكون ويجوز أن يكون بدلا وان كان نكرة
من معرفة ولا نعت للافادة والفرق بين عليهم الاولى والثانية أن الاولى محلها النصب على المفعولية والثانية محلها الرفع على انه مفعول
أقيم مقام الفاعل وأصل النعمة المبالغة والزيادة يقال دققت الدواء فأنعمت دقه أي بالغت في دقه وكل ما في القرآن من ذكر النعمة بكسر النون
فهي المنة والعطية والنعمة بفتح النون التنعم وسعة العيش ونعمة كانوا فيها فاكهين والغضب في اللغة الشدة وقد عرفت

معناه بحسب اطلاقه على الخلق
وعلى الخالق وأصل الضلال الغيبوبة
ضل الماء في اللبن اذا غاب فيه وضل
الكافر غاب عن الحق قال تعالى
أئذا ضللنا في الارض وغير ههنا بمعنى
لا ولا بمعنى غير ولذلك جاز عطف
أحدهما على الآخر تقول أنا زيدا
غير ضارب كما تقول انا زيدا لا ضارب
ويعضده ما قرئ وغير الضالين وقرأ
أيوب السختياني ولا الضألين بالهمزة
كما قرأ عمرو بن عبيد ولا جأن وآمين
مدا وقصرا معناه استجب كما أن
رويد معناه أمهل وعن ابن عباس
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
معناه افعل (الثالث في المباحث
الفقهية) البحث الاول أجمع
الاكثرون ومنهم الشافعي على أن
قراءة الفاتحة واجبة في الصلاة
وان ترك منها حرفا واحدا وهو
يحسنها لم تصح صلاته وعند أبي
حنيفة قراءتها غير واجبة لنا أنه صلى
الله عليه وسلم واظب طول عمره على
قراءتها في الصلاة فتجب علينا لقوله
تعالى فاتبعوه وأيضا أقيموا الصلاة
معناه الصلاة التي أتى بها الرسول
صلى الله عليه وسلم لكنه كان يقرأ
الفاتحة فيها فتجب وأيضا روى في
ذلك أخبار كثيرة مثل لا صلاة الا
بفاتحة الكتاب كل صلاة لم يقرأ
فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج
وروى رفاعة بن مالك أن رجلا
دخل المسجد وصلى فلما فرغ من صلاته وذكر الخبر الى ان قال الرجل علمني الصلاة يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم اذا توجهت
الى القبلة فكبر واقرأ بفاتحة الكتاب وظاهر الامر للوجوب ولا سيما في معرض التعليم وأيضا الخلفاء الراشدون واظبوا على قراءتها
طول العمر وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين وأيضا المواظبة على قراءة الفاتحة توجب هجران سائر السور وذلك
غير جائز ان لم تكن واجبة فثبت أنها واجبة حجة أبي حنيفة فاقرؤا ما تيسر من القرآن قلنا الفاتحة هي المتيسرة المحفوظة على جميع

عليه وسلم يا محمد هذا الذي ذكرته وبينته لك الكتاب ولذلك حسن وضع ذلك في مكان هذا لانه أشير به
الى الخبر عما تضمنه قوله الم من المعاني بعد تقضي الخبر عنه بالم فصار لقرب الخبر عنه من تقضيه
كالحاضر المشار اليه فأخبر عنه بذلك لانقضائه ومصير الخبر عنه كالخبر عن الغائب وترجمه
المفسرون أنه بمعنى هذا لقرب الخبر عنه من انقضائه فكان كالمشاهد المشار اليه بهذا نحو الذي
وصفنا من الكلام الجاري بين الناس في محاوراتهم وكما قال جل ذكره واذكر اسمعيل واليسع وذا
الكفل وكل من الاخيار هذا ذكر فهذا ما في ذلك اذا عنى بها هذا وقد يحتمل قوله جل ذكره
ذلك الكتاب أن يكون معنيا به السور التي نزلت قبل سورة البقرة بمكة والمدينة فكأنه قال جل
ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا محمد اعلم أن ما تضمنته سور الكتاب التي قد أنزلتها اليك هو
الكتاب الذي لا ريب فيه ثم ترجمه المفسرون بان معنى ذلك هذا الكتاب اذ كانت تلك السور التي
نزلت قبل سورة البقرة من جملة جميع كتابنا هذا الذي أنزله الله عز وجل على نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم وكان التأويل الاول أولى بما قاله المفسرون لان ذلك أظهر معاني قولهم الذي قالوه
في ذلك وقد وجه معنى ذلك بعضهم الى نظير معنى بيت خفاف بن ندبة السلمي

فان تك خيلي قد أصيب صميمها * فعمدا على عين تيممت مالكا
أقول له والرمح يأطر متنه * تأمل خفافا انني أنا ذلكا

كأنه أراد تأملني أنا ذلك فرأى أن ذلك الكتاب بمعنى هذا نظير ما أظهر خفاف من اسمه على وجه
الخبر عن الغائب وهو مخبر عن نفسه فلذلك أظهر ذلك بمعنى الخبر عن الغائب والمعنى فيه الاشارة
الى الحاضر المشاهد والقول الاول أولى بتأويل الكتاب لما ذكرنا من العلل وقد قال بعضهم
ذلك الكتاب يعني به التوراة والانجيل واذا وجه تأويل ذلك الى هذا الوجه فلا مؤنة فيه على متأوله
كذلك لان ذلك يكون حينئذ اخبارا عن غائب على صحة ۞ القول في تأويل قوله (لا ريب فيه)
وتأويل قوله لا ريب فيه لا شك فيه كما حدثني هرون بن ادريس الاصم قال حدثنا عبد الرحمن
المحاربي عن ابن جريج عن مجاهد لا ريب فيه قال لا شك فيه حدثني سلام بن سالم الخزاعي قال
حدثنا خلف بن ياسين الكوفي عن عبد العزيز بن أبي رواد عن عطاء لا ريب فيه قال لا شك فيه
حدثني أحمد بن اسحق الاهوازي قال حدثنا أبو أحمد الزبيري قال حدثنا الحكم بن ظهير عن
السدي قال لا ريب فيه لا شك فيه حدثني موسى بن هرون الهمداني قال حدثنا عمرو بن حماد قال
حدثنا أسباط عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة
الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لا ريب فيه لا شك فيه
حدثنا محمد بن حميد قال حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن اسحق عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن
ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس لا ريب فيه قال لا شك فيه حدثنا القاسم بن
الحسن قال حدثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس لا ريب فيه يقول
لا شك فيه حدثنا الحسن بن يحيى قال حدثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة لا ريب فيه
يقول لا شك فيه وحدثت عن عمار بن الحسن قال حدثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن
الربيع بن أنس قوله لا ريب فيه يقول لا شك فيه وهو مصدر من قولك رابني الشيء يريبني ريبا ومن

الالسنة ثم قال اذا قرأ آية واحدة كفت مثل الم أو حم والطور ومدهامتان أبو يوسف ومحمد لا بد من قراءة ثلاث آيات أو آية واحدة طويلة مثل آية الدين (البحث الثاني) قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها على أن التسمية ليست بآية من الفاتحة ولا من غيرها من السور وانما كتبت للفصل والتبرك وهو مذهب أبي حنيفة ومن تابعه ولذلك لا يجهر بها عندهم في الصلاة وقراء مكة والكوفة وفقهاؤهما على أنها آية من كل سورة وعليه الشافعي (٧٦) وأصحابه لما روى عن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتحة الكتاب فعدّ بسم الله الرحمن الرحيم آية الحمد لله رب العالمين آية الرحمن الرحيم آية مالك يوم الدين آية اياك نعبد واياك نستعين آية اهدنا الصراط المستقيم آية صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آية وعن سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاتحة الكتاب سبع آيات أولاهن بسم الله الرحمن الرحيم وروى الثعلبي في تفسيره باسناده عن أبي بريدة عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبرك بآية لم تنزل على أحد بعد سليمان بن داود غيري فقلت بلى فقال بأي شيء تفتتح القرآن اذا افتتحت الصلاة قلت ببسم الله الرحمن الرحيم قال هي هي وباسناده عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له كيف تقول اذا قمت الى الصلاة قال أقول الحمد لله قال قل بسم الله الرحمن الرحيم وباسناده عن علي بن أبي طالب انه كان اذا افتتح السورة في الصلاة يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم وكان يقول من ترك قراءتها فقد نقص في صلاته وباسناده عن ابن عباس في قوله ولقد آتيناك سبعا من المثاني قال فاتحة الكتاب فقيل لابن عباس فأين السابع فقال بسم الله الرحمن الرحيم وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله سبحانه قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فاذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم فيه قال الله مجدني عبدي واذا قال الحمد لله رب العالمين قال الله حمدني عبدي واذا قال الرحمن الرحيم قال الله أثنى علي عبدي واذا قال مالك يوم الدين قال الله فوض الي عبدي واذا قال اياك نعبد واياك نستعين قال الله هذا بيني وبين عبدي واذا قال اهدنا الصراط المستقيم قال الله هذا لعبدي ولعبدي ما سأل الى غير ذلك من الاخبار وأيضا التسمية مكتوبة بخط القرآن في مصاحف السلف مع توصيتهم

ذلك قول ساعدة بن جؤية الهذلي

فقالوا تركنا الحي قد حصروا به * فلا ريب أن قد كان ثم لحيم

ويروى حصروا وحصروا والفتح أكثر والكسر جائز يعني بقوله حصروا به أطافوا به ويعني بقوله لا ريب لا شك فيه وبقوله أن قد كان ثم لحيم يعني قتيلا يقال قد لحم اذا قتل والهاء التي في فيه عائدة على الكتاب كأنه قال لا شك في ذلك الكتاب أنه من عند الله هدى للمتقين ۞ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (هدى) حدثني أحمد بن حازم الغفاري قال حدثنا أبو نعيم قال حدثنا سفيان عن بيان عن الشعبي هدى قال هدى من الضلالة حدثني موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط بن نصر عن اسمعيل السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم هدى للمتقين يقول نور للمتقين والهدى في هذا الموضع مصدر من قولك هديت فلانا الطريق اذا أرشدته اليه ودللته عليه وبينته له أهديه هدى وهداية * فان قال لنا قائل أوما كتاب الله نور الا للمتقين ولا رشاد الا للمؤمنين قيل ذلك كما وصفه ربنا عز وجل ولو كان نورا لغير المتقين ورشادا لغير المؤمنين لم يخصص الله عز وجل المتقين بأنه لهم هدى بل كان يعم به جميع المنذرين ولكنه هدى للمتقين وشفاء لما في صدور المؤمنين ووقر في آذان المكذبين وعمى لابصار الجاحدين وحجة لله بالغة على الكافرين فالمؤمن به مهتد والكافر به محجوج وقوله هدى يحتمل أوجها من المعاني أحدها أن يكون نصبا لمعنى القطع من الكتاب لانه نكرة والكتاب معرفة فيكون التأويل حينئذ الم ذلك الكتاب هاديا للمتقين وذلك مرفوع بالم والم به والكتاب نعت لذلك وقد يحتمل أن يكون نصبا على القطع من راجع ذكر الكتاب الذي في فيه فيكون معنى ذلك حينئذ الم الذي لا ريب فيه هاديا وقد يحتمل أن يكون أيضا نصبا على هذين الوجهين أعني على وجه القطع من الهاء التي في فيه ومن الكتاب على أن الم كلام تام كما قال ابن عباس ان معناه أنا الله أعلم ثم يكون ذلك الكتاب خبرا مستأنفا ويرفع حينئذ الكتاب بذلك وذلك بالكتاب ويكون هدى قطعا من الكتاب وعلى أن يرفع ذلك بالهاء العائد عليه التي في فيه والكتاب نعت له والهدى قطع من الهاء التي في فيه وان جعل الهدى في موضع رفع لم يجز أن يكون ذلك الكتاب الا خبرا مستأنفا والم كلاما تاما مكتفيا بنفسه الا من وجه واحد وهو أن يرفع حينئذ هدى بمعنى المدح كما قال الله جل وعز الم تلك آيات الكتاب الحكيم هدى ورحمة للمحسنين في قراءة من قرأ رحمة بالرفع على المدح للآيات والرفع في هدى حينئذ يجوز من ثلاثة أوجه أحدها ما ذكرنا من أنه مدح مستأنف والآخر على أن يجعل مرافع ذلك والكتاب نعت لذلك والثالث أن يجعل تابعا لموضع لا ريب فيه ويكون ذلك الكتاب مرفوعا بالعائد في فيه فيكون كما قال تعالى ذكره وهذا كتاب أنزلناه مبارك وقد زعم بعض المتقدمين في العلم بالعربية من الكوفيين ان ألم مرافع ذلك الكتاب بمعنى هذه الحروف من حروف المعجم ذلك الكتاب الذي وعدتك أن أوحيه اليك ثم نقض ذلك من قوله فأسرع نقضه وهدم ما بنى فأسرع هدمه فزعم أن الرفع في هدى من وجهين والنصب من وجهين وان أحد وجهي الرفع أن يكون الكتاب نعتا لذلك والهدى في موضع رفع خبر لذلك كأنك قلت ذلك لا شك

فيه قال وان جعلت لاريب فيه خبره رفعت أيضا هدى بجعله تابعا لموضع لاريب فيه كما قال الله جل ثناؤه وهذا كتاب أنزلناه مبارك كانه قال وهذا كتاب هدى من صفته كذا وكذا قال وأما أحد وجهي النصب فان تجعل الكتاب خبر الذلك وتنصب هدى على القطع لان هدى نكرة اتصلت بمعرفة وقد تم خبرها فتنصبها لان النكرة لاتكون دليلا على معرفة وان شئت نصبت هدى على القطع من الهاء التى فى فيه كأنك قلت لاشك فيه هاديا (قال أبو جعفر) فترك الاصل الذى أصله فى الم وأنها مرفوعة بذلك الكتاب ونبذه وراء ظهره واللازم له على الاصل الذى كان أصله أن لايجيز الرفع فى هدى بحال الا من وجه واحد وذلك من قبل الاستئناف اذ كان مدحا فاما على وجه الخبر لذلك أو على وجه الاتباع لموضع لاريب فيه فكان اللازم له على قوله أن يكون خطأ وذلك أن الم اذا رافعت ذلك الكتاب فلاشك ان هدى غير جائز حينئذ أن يكون خبر الذلك بمعنى المرافع له أو تابعا لموضع لاريب فيه لان موضعه حينئذ نصب لتمام الخبر قبله وانقطاعه بمخالفته اياه عنه ۞ القول فى تأويل قوله جل ثناؤه (للمتقين) حدثنا سفيان بن وكيع قال حدثنا أبى عن سفيان عن رجل عن الحسن قوله للمتقين قال اتقوا ما حرم عليهم وأدوا ما افترض عليهم حدثنا محمد ابن حميد قال حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن اسحق عن محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس للمتقين أى الذين يحذرون من الله عز وجل عقوبته فى ترك ما يعرفون من الهدى ويرجون رحمته بالتصديق بما جاء به حدثنى موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدى فى خبر ذكره عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمدانى عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم هدى للمتقين قال هم المؤمنون حدثنا أبو كريب قال حدثنا أبو بكر بن عياش قال سألنى الاعمش عن المتقين قال فاجبته فقال لى سل عنها الكلبى فسألته فقال الذين يجتنبون كبائر الاثم قال فرجعت الى الاعمش فقال نرى أنه كذلك ولم ينكره حدثنى المثنى بن ابراهيم الطبرى قال حدثنا اسحق بن الحجاج عن عبد الرحمن بن عبد الله قال حدثنا عمر أبو حفص عن سعيد بن أبى عروبة عن قتادة هدى للمتقين من هم نعتهم ووصفهم فاثبت صفتهم فقال الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون حدثنا أبو كريب قال حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثنا بشر بن عمار عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس للمتقين قال المؤمنين الذين يتقون الشرك ويعملون بطاعتى وأولى التأويلات بقول الله جل ثناؤه هدى للمتقين تأويل من وصف القوم بأنهم الذين اتقوا الله تبارك وتعالى فى ركوب ما نهاهم عن ركوبه فتجنبوا معاصيه واتقوه فيما أمرهم به من فرائضه فاطاعوه بأدائها وذلك أن الله عز وجل انما وصفهم بالتقوى فلم يحصر تقواهم اياه على بعضها من أهل منهم دون بعض فليس لاحد من الناس أن يحصر معنى ذلك على وصفهم بشئ من تقوى الله عز وجل دون شئ الا بحجة يجب التسليم لها لان ذلك من صفة القوم لو كان محصورا على خاص من معانى التقوى دون العام منها لم يدع الله جل ثناؤه بيان ذلك لعباده إما فى كتابه وإما على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم اذ لم يكن فى العقل دليل على استحالة وصفهم بعموم التقوى فقد تبين

بتجريد القرآن عما ليس منه ولذلك لم يثبتوا امين وأيضا قال صلى الله عليه وسلم لابى بن كعب ما أعظم آية فى كتاب الله قال بسم الله الرحمن الرحيم فصدقه النبى صلى الله عليه وسلم ومعلوم أنها ليست آية تامة فى قوله انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم فتكون آية فى غير هذا الموضع وأيضا ان أكثر الانبياء أوجبوا على أنفسهم الابتداء بذكر الله قال نوح عند ركوب السفينة باسم الله مجريها ومرساها وكتب سليمان الى بلقيس بسم الله الرحمن الرحيم وقوله انه من سليمان من قول بلقيس قبل فتح الكتاب فلما فتحت الكتاب قرأت التسمية فقالت وانه بسم الله الرحمن الرحيم ولما ثبت الابتداء بالتسمية فى حقهم ثبت فى حق نبينا أيضا أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وعن عبد الله بن مسعود قال كنا لا نعلم فصل ما بين السورتين حتى تنزل بسم الله الرحمن الرحيم وعن ابن عمر قال نزلت بسم الله الرحمن الرحيم فى كل سورة وأيضا البسملة من القرآن فى النمل ثم انا نراه مكررا بخط القرآن فوجب أن نعتقد كونه من القرآن مثل فبأى آلاء ربكما تكذبان ويل يومئذ للمكذبين ۞ حجة المخالف خبر أبى هريرة أيضا فى رواية أخرى قال يقول الله قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدنى عبدى الى آخره قال لم يذكر التسمية ولو كانت آية من الفاتحة لذكرها قلنا اذا تعارضت الروايتان فالترجيح للمثبت لا للنافى قالوا التنصيف انما يحصل اذا لم تعد التسمية آية حتى يحصل للرب ثلاث آيات ونصف وللعبد ثلاث ونصف من اياك نستعين الى آخر السورة أما اذا قلنا التسمية آية صار القسم الاول أربع آيات ونصفا فينخرم التنصيف قلنا نحن نعد التسمية آية ولا نعد أنعمت عليهم وهذا أولى رعاية لتشابه المقاطع ولان غير صفة أو بدل ويختل الكلام بجعله منقطعا عما قبله لان طلب الاهتداء بصراط المنعم عليهم لا يجوز الا بشرط كون المنعم عليه غير مغضوب عليه ولا ضالا بدليل قوله تعالى ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا فهذا المجموع كلام واحد وهذا بخلاف الرحمن الرحيم فانا لو قطعنا النظر عن الصفة كان الكلام مع الموصوف غير مختل النظام قالوا روت عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يفتتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين قلنا قال الشافعى لعل عائشة جعلت الحمد لله رب العالمين اسما لهذه السورة كما يقال قرأ

فلان الحمد لله الذى خلق السموات والارض قالوا لو كانت من الفاتحة لزم التكرار فى الرحمن الرحيم قلنا التكرار للتأكيد غير عزيز
فى القرآن فان قيل اذا عد التسمية آية من كل سورة على ما روى عن ابن عباس فمن تركها فقد ترك مائة وأربع عشرة آية من كتاب
الله فما وجه ما روى عن أبى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال فى سورة الملك انها ثلاثون آية وفى الكوثر انها ثلاث آيات مع ان العدد
حاصل بدون التسمية قلنا اما ان تعد التسمية مع ما بعدها آية وذلك غير بعيد ألا ترى أن قوله الحمد

لله رب العالمين آية تامة وفى قوله وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين بعض آية واما أن يراد ما هو خاصة الكوثر ثلاث آيات فان التسمية كالشئ المشترك فيه بين السور (البحث الثالث) عن أحمد بن حنبل ان التسمية آية من الفاتحة ويسر بها فى كل ركعة أبو حنيفة ليست بآية ويسر بها مالك لا ينبغى أن يقرأها فى المكتوبة لا سرا ولا جهرا الشافعى آية ويجهر بها لانها بعد ما ثبت كونها من الفاتحة والقرآن لا يعقل فرق بينها وبين باقى الفاتحة حتى يسر بهذه ويجهر بذلك وأيضا انه ثناء على الله وذكره فوجب أن يكون الاعلان به مشروعا لقوله عز من قائل فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا وأيضا الاخفاء والسر انما يليق بما فيه نقيصة ومثلبة لا بما فيه مفخرة وفضيلة قال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن مات ولسانه رطب من ذكر الله وكان على بن أبى طالب يقول يا من ذكره شرف للذاكرين وكان مذهبه الجهر بها فى جميع الصلوات وقد ثبت هذا منه تواترا ومن اقتدى به لن يضل قال صلى الله عليه وسلم اللهم أدر الحق معه حيث دار وروى البيهقى فى السنن الكبرى
عن أبى هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهر فى الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم وروى عن عمر وابنه وابن عباس
وابن الزبير مثل ذلك وروى الشافعى باسناده أن معاوية قدم المدينة فصلى بهم ولم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ولم يكبر عند الخفض الى الركوع
والسجود فلما سلم ناداه المهاجرون والانصار يا معاوية سرقت من الصلاة أين بسم الله الرحمن الرحيم أين التكبير عند الركوع والسجود ثم انه
أعاد الصلاة مع التسمية والتكبير قال وكان معاوية شديد الشكيمة ذا شوكة فلولا أن الجهر بالتسمية كان مقررا عند كل الصحابة لم يجسروا على

اذا بذلك فساد قول من زعم أن تأويل ذلك انما هو الذين اتقوا الشرك وبرؤا من النفاق لانه قد
يكون كذلك وهو فاسق غير مستحق أن يكون من المتقين الا أن يكون عند قائل هذا القول معنى
النفاق ركوب الفواحش التى حرمها الله جل ثناؤه وتضييع فرائضه التى فرضها عليه فان جماعة
من أهل العلم قد كانت تسمى من كان يفعل ذلك منافقا فيكون وان كان مخالفا فى تسميته من كان
كذلك بهذا الاسم مصيبا تأويل قول الله عز وجل للمتقين ۞ القول فى تأويل قوله جل ثناؤه (الذين
يؤمنون) حدثنا محمد بن حميد الرازى قال حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن اسحق عن محمد بن أبى
محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس الذين يؤمنون قال يصدقون
حدثنى يحيى بن عثمان بن صالح السهمى قال حدثنا أبو صالح قال حدثنى معاوية بن صالح عن على
ابن أبى طلحة عن ابن عباس يؤمنون يصدقون حدثنى المثنى بن ابراهيم قال حدثنا اسحق بن
الحجاج قال حدثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع يؤمنون يخشون حدثنا محمد بن
عبد الاعلى الصنعانى قال حدثنا محمد بن ثور عن معمر قال قال الزهرى الايمان العمل وحدثت عن
عمار بن الحسن قال حدثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن العلاء بن المسيب بن رافع عن أبى اسحق عن
أبى الاحوص عن عبد الله قال الايمان التصديق ومعنى الايمان عند العرب التصديق فيدعى
المصدق بالشئ قولا مؤمنا به ويدعى المصدق قوله بفعله مؤمنا ومن ذلك قول الله جل ثناؤه وما أنت
بمؤمن لنا ولو كنا صادقين يعنى وما أنت بمصدق لنا فى قولنا وقد تدخل الخشية لله فى معنى الايمان
الذى هو تصديق القول بالعمل والايمان كلمة جامعة للاقرار بالله وكتبه ورسله وتصديق الاقرار
بالفعل واذا كان ذلك كذلك فالذى هو أولى بتأويل الآية وأشبه بصفة القوم أن يكونوا موصوفين
بالتصديق بالغيب قولا واعتقادا وعملا اذ كان جل ثناؤه لم يحصرهم من معنى الايمان على معنى
دون معنى بل أجمل وصفهم به من غير خصوص شئ من معانيه أخرجه من صفتهم بخبر ولا عقل
۞ القول فى تأويل قول الله جل ثناؤه (بالغيب) حدثنا محمد بن حميد الرازى قال حدثنا سلمة بن
الفضل عن محمد بن اسحق عن محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير
عن ابن عباس بالغيب قال بما جاء منه يعنى من الله جل ثناؤه حدثنى موسى بن هرون قال حدثنا
عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدى فى خبر ذكره عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس
وعن مرة الهمدانى عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم بالغيب أما
الغيب فما غاب عن العباد من أمر الجنة وأمر النار وما ذكر الله تبارك وتعالى فى القرآن لم يكن
تصديقهم بذلك يعنى المؤمنين من العرب من قبل أصل كتاب أو علم كان عندهم حدثنا أحمد
ابن اسحق الاهوازى قال حدثنا أبو أحمد الزبيرى قال حدثنا سفيان عن عاصم عن زر قال الغيب
القرآن حدثنا بشر بن معاذ العقدى قال حدثنا يزيد بن زريع عن سعيد بن أبى عروبة عن قتادة
فى قوله الذين يؤمنون بالغيب قال آمنوا بالجنة والنار والبعث بعد الموت وبيوم القيامة وكل هذا
غيب حدثت عن عمار بن الحسن قال حدثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس
الذين يؤمنون بالغيب آمنوا بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر وجنته وناره ولقائه وآمنوا بالحياة
بعد الموت فهذا كله غيب وأصل الغيب كل ما غاب عنك من شئ وهو من قولك غاب فلان يغيب
غيبا

ذلك حجة المخالف ماروى البخاري في صحيحه عن أنس قال صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلف أبي بكر وعمر وعثمان فكانوا يستفتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين وفي رواية ولم أسمع أحدا منهم قال بسم الله الرحمن الرحيم وفي رواية ولم يجهر أحد منهم ببسم الله الرحمن الرحيم وعن عبد الله بن المغفل أنه قال سمعني أبي وأنا أقول بسم الله الرحمن الرحيم فقال أي بني اياك والحدث في الاسلام قد صليت خلف أبي بكر فقال الحمد لله رب العالمين وصليت خلف عمر فقال الحمد لله رب العالمين (٧٩) وصليت خلف عثمان فقال الحمد لله رب العالمين فاذا صليت فقل الحمد لله رب العالمين والجواب أن حديث أنس معارض بما روى عنه أيضا ان معاوية لما ترك التسمية في الصلاة أنكر عليه المهاجرون والانصار وروى أيضا أبو قلابة عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر كانوا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم ويروى أيضا أنه سئل عن الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم والاسرار به فقال لا أدري هذه المسئلة واذا اضطربت الروايات عنه وجب الرجوع الى سائر الدلائل وأيضا ففيها تهمة أخرى وهي أن عليا رضي الله عنه كان يبالغ في الجهر بالتسمية فلما كان زمن بني أمية بالغوا في المنع من الجهر سعيا في ابطال آثار علي بن أبي طالب فلعل أنسا خاف منهم فلهذا اضطربت أقواله وأيضا من المعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقدم أولي الاحلام والنهى والاكابر والعلماء على غيرهم ولا شك ان عليا وابن عباس وابن عمر كانوا أعلى حالا من أنس وابن المغفل وأقرب موقفا وانه صلى الله عليه وسلم ما كان يبالغ في الجهر لقوله تعالى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا فلهذا لم يسمعا ورواية المثبت أولى من رواية النافي والدلائل العقلية معنا ويؤيدها عمل علي بن أبي طالب كان (البحث الرابع) تقديم التسمية على الوضوء سنة عند عامة العلماء وليست بواجبة خلافا لبعض أهل الظاهر حيث قالوا لو تركها عمدا أو سهوا لم تصح صلاته لنا قوله صلى الله عليه وسلم توضأ كما أمرك الله والتسمية غير مذكورة في آية الوضوء والصحيح عندنا ان الجنب والحائض لا يقولها بقصد القراءة والتسمية عند الذبح وعند الرمي الى الصيد وعند ارسال الكلب مستحبة فلو تركها عامدا أو ناسيا لم تحرم الذبيحة عند الشافعي ولكن تركها عمدا مكروه وعند أبي حنيفة ان ترك التسمية عمدا لم يحل وان نسي

غيبا وقد اختلف أهل التأويل في أعيان القوم الذين أنزل الله جل ثناؤه هاتين الآيتين من أول هذه السورة فيهم وفي نعتهم وصفتهم التي وصفهم بها من ايمانهم بالغيب وسائر المعاني التي حوتها الآيتان من صفاتهم غيره فقال بعضهم هم مؤمنو العرب خاصة دون غيرهم من مؤمني أهل الكتاب واستدلوا على صحة قولهم ذلك وحقيقة تأويلهم بالآية التي تتلو هاتين الآيتين وهو قول الله عز وجل والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك قالوا فلم يكن للعرب كتاب قبل الكتاب الذي أنزله الله عز وجل على محمد صلى الله عليه وسلم تدين بتصديقه والاقرار والعمل به وانما كان الكتاب لاهل الكتابين غيرها قالوا فلما قص الله عز وجل نبأ الذين يؤمنون بما أنزل الى محمد وما أنزل من قبله بعد اقتصاصه نبأ المؤمنين بالغيب علمنا أن كل صنف منهم غير الصنف الآخر وان المؤمنين بالغيب نوع غير النوع المصدق بالكتابين الذين أحدهما منزل على محمد صلى الله عليه وسلم والآخر منهما على من قبله من رسل الله تعالى ذكره قالوا واذا كان ذلك كذلك صح ما قلنا من أن تأويل قول الله تعالى الذين يؤمنون بالغيب انما هم الذين يؤمنون بما غاب عنهم من الجنة والنار والثواب والعقاب والبعث والتصديق بالله وملائكته وكتبه ورسله وجميع ما كانت العرب لا تدين به في جاهليتها مما أوجب الله جل ثناؤه على عباده الدينونة به دون غيرهم * ذكر من قال ذلك حدثني موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أما الذين يؤمنون بالغيب فهم المؤمنون من العرب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أما الغيب فما غاب عن العباد من أمر الجنة والنار وما ذكر الله في القرآن لم يكن تصديقهم بذلك من قبل أصل كتاب أو علم كان عندهم والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون هؤلاء المؤمنون من أهل الكتاب * وقال بعضهم بل نزلت هذه الآيات الاربع في مؤمني أهل الكتاب خاصة لايمانهم بالقرآن عند اخبار الله جل ثناؤه اياهم فيه عن الغيوب التي كانوا يخفونها بينهم ويسرونها فعلموا عند اظهار الله جل ثناؤه نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك منهم في تنزيله أنه من عند الله جل وعز فآمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وصدقوا بالقرآن وما فيه من الاخبار عن الغيوب التي لا علم لهم بها لما استقر عندهم بالحجة التي احتج الله تبارك وتعالى بها عليهم في كتابه من الاخبار فيه عما كانوا يكتمونه من ضمائرهم أن جميع ذلك من عند الله وقال بعضهم بل الآيات الاربع من أول هذه السورة أنزلت على محمد صلى الله عليه وسلم بوصف جميع المؤمنين الذين ذلك صفتهم من العرب والعجم وأهل الكتابين سواهم وانما هذه صفة صنف من الناس والمؤمن بما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم وما أنزل من قبله هو المؤمن بالغيب قالوا وانما وصفهم الله بالايمان بما أنزل الى محمد وبما أنزل الى من قبله بعد تقضي وصفه اياهم بالايمان بالغيب لان وصفه اياهم بما وصفهم به من الايمان بالغيب كان معنيا به أنهم يؤمنون بالجنة والنار والبعث وسائر الامور التي كلفهم الله جل ثناؤه الايمان بها مما لم يروه ولم يأت بعد مما هو آت دون الاخبار عنهم أنهم يؤمنون بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ومن قبله من

حل والعلماء أجمعوا على أنه يستحب ان لا يشرع فى عمل من الاعمال الا أن يقول باسم الله فاذا نام قال باسم الله واذا انتبه قال باسم الله واذا قام من المقام قال باسم الله واذا أكل أو شرب قال باسم الله واذا أعطى أو أخذ قال باسم الله ويستحب للقابلة اذا أخذت الولد من الام أن تقول باسم الله وهذا أول أحواله من الدنيا واذا مات وأدخل القبر قيل باسم الله وهذا آخر أحواله من الدنيا واذا قام من القبر قال باسم الله واذا حضر الموقف قال باسم الله فلا جرم يدخل الجنة ببركة اسم الله * (البحث الخامس) (٨٠) قال الشافعى ترجمة القرآن لا تكفى فى صحة الصلاة لا فى حق من يحسن القراءة ولا فى حق من لا يحسنها وقال أبو حنيفة انها كافية فى حق القادر والعاجز وقال أبو يوسف ومحمد كافية فى حق العاجز لا القادر لنا أنه صلى الله عليه وسلم والخلفاء من بعده وجميع الصحابة ما قرؤا فى الصلاة الا هذا القرآن العربى فوجب علينا اتباعهم وكيف يجوز عاقل قيام الترجمة باى لغة كانت وهى كلام البشر مقام كلام خالق القوى والقدر قالوا وروى عن عبد الله بن مسعود أنه كان يعلم رجلا ان شجرة الزقوم طعام الاثيم والرجل لا يحسنه فقال قل طعام الفاجر ثم قال عبد الله ليس الخطأ فى القرآن أن تقرأ مكان العليم الحكيم انما الخطأ بان تضع آية الرحمة مكان آية العذاب قلنا الظن بابن مسعود غير ذلك قالوا وانه لفى زبر الاولين ان هذا لفى الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى ولا ريب أن القرآن بهذا اللفظ ما كان فى زبر الاولين لكن بالعبرية والسريانية قلنا ان القصص والمواعظ موجودة لا باللفظ بل بالمعنى ولا يلزم من ذلك أن يكون الموجود فيها قرآنا فان النظم المعجز جزء من ماهية القرآن والكل بدون الجزء مستحيل (البحث السادس) الشافعى فى القول الجديد قال تجب قراءة الفاتحة على المقتدى سواء أسر الامام بالقراءة أو جهر بها وفى القديم تجب اذا أسر الامام ولا تجب اذا جهر وهو قول مالك وأحمد أبو حنيفة تكره القراءة خلف الامام بكل حال لنا قوله تعالى فاقرؤا ما تيسر من القرآن وقوله لا صلاة الا بفاتحة الكتاب يشمل المنفرد والمقتدى وأيضا روى الترمذى فى جامعه باسناده عن عبادة بن الصامت أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى الصبح فثقلت عليه القراءة فلما انصرف صلى الله عليه وسلم قال انى أراكم تقرؤن خلف امامكم قلنا اى والله قال لا تفعلوا الا بام القرآن فانه لا صلاة لمن لم يقرأ بها قال وهذا حديث حسن وأيضا قراءتها لا تبطل الصلاة عندهم ولكن وأرى

الرسل والكتب قالوا فلما كان معنى قوله والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك غير موجود فى قوله الذين يؤمنون بالغيب كانت الحاجة من العباد الى معرفة صفتهم بذلك ليعرفوهم نظير حاجتهم الى معرفتهم بالصفة التى وصفوا بها من ايمانهم بالغيب ليعلموا ما يرضى الله من أفعال عباده ويحبه من صفاتهم فيكونوا به ان وفقهم له ربهم * ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو بن العباس الباهلى قال حدثنا أبو عاصم الضحاك بن مخلد قال حدثنا عيسى بن ميمون المكى قال حدثنا عبد الله بن أبى نجيح عن مجاهد قال أربع آيات من سورة البقرة فى نعت المؤمنين وآيتان فى نعت الكافرين وثلاث عشرة فى المنافقين حدثنا سفيان بن وكيع قال حدثنا أبى عن سفيان عن رجل عن مجاهد بمثله وحدثنى المثنى بن ابراهيم قال حدثنا موسى بن مسعود قال حدثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله وحدثت عن عمار بن الحسن قال حدثنا عبد الله ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس قال أربع آيات من فاتحة هذه السورة يعنى سورة البقرة فى الذين آمنوا وآيتان فى قادة الاحزاب وأولى القولين عندى بالصواب وأشبههما بتأويل الكتاب القول الاول وهو أن الذين وصفهم الله تعالى ذكره بالايمان بالغيب وما وصفهم به جل ثناؤه فى الآيتين الاولتين غير الذين وصفهم بالايمان بالذى أنزل على محمد والذى أنزل الى من قبله من الرسل لما ذكرت من العلل قبل لمن قال ذلك ومما يدل أيضا مع ذلك على صحة هذا القول أنه جنس بعد وصف المؤمنين بالصفتين اللتين وصف وبعد تصنيفه كل صنف منهما على ما صنف الكفار جنسين فجعل أحدهما مطبوعا على قلبه مختوما عليه مأيوسا من ايمانه والآخر منافقا يرائى باظهار الايمان فى الظاهر ويستسر النفاق فى الباطن فصير الكفار جنسين كما صير المؤمنين فى أول السورة جنسين ثم عرف عباده نعت كل صنف منهم وصفتهم وما أعد لكل فريق منهم من ثواب أو عقاب وذم أهل الذم منهم وشكر سعى أهل الطاعة منهم ۞ القول فى تأويل قوله جل ثناؤه (ويقيمون) اقامتها أداؤها بحدودها وفروضها والواجب فيها على من فرضت عليه كما يقال أقام القوم سوقهم اذا لم يعطلوها من البيع والشراء فيها وكما قال الشاعر

أقمنا لاهل العراقين سوق الضراب فخاموا وولوا جميعا

وكما حدثنا محمد بن حميد قال حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن اسحق عن محمد بن أبى محمد مولى زيد ابن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ويقيمون الصلاة قال الذين يقيمون الصلاة بفروضها حدثنا أبو كريب قال حدثنا عثمان بن سعيد عن بشر بن عمار عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس ويقيمون الصلاة قال اقامة الصلاة تمام الركوع والسجود والتلاوة والخشوع والاقبال عليها فيها ۞ القول فى تأويل قوله جل ثناؤه (الصلاة) حدثنى يحيى بن أبى طالب قال حدثنا يزيد قال حدثنا جويبر عن الضحاك فى قوله الذين يقيمون الصلاة يعنى الصلاة المفروضة وأما الصلاة فى كلام العرب فانها الدعاء كما قال الاعشى

لها حارس لا يبرح الدهر بيتها * وان ذبحت صلى عليها وزمزما

يعنى بذلك دعا لها وكقول الآخر أيضا

وقابلها الريح فى دنها * وصلى على دنها وارتسم

يجوزون تركها وبطلها عدم القراءة عندنا فالاحوط قراءتها احتج المخالف بقوله تعالى واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا وباخبار بين ضعفها البيهقي فى كتابه ونحن نقول أما القرآن فمخصوص بغير الفاتحة لما مر وأما الاخبار فهب أنها صحيحة الاأن الترجيح معنا لان الاشتغال بقراءة القرآن من أعظم الطاعات ولانه أحوط * (البحث السابع) مذهب الشافعى أن الفاتحة واجبة فى كل ركعة فان تركها فى ركعة بطلت صلاته وبه قال أبو بكر وعمر وعلى عليهم السلام وابن

مسعود ومعظم الصحابة لانه صلى الله عليه وسلم كان يقرؤها فى كل ركعة ولانه قال للاعرابى الذى علمه الصلاة وكذلك فافعل فى كل ركعة وعن أبى سعيد الخدرى انه قال أمرنا النبى صلى الله عليه وسلم أن نقرأ فاتحة الكتاب فى كل ركعة فريضة كانت أونافلة وأيضا القراءة فى كل ركعة أحوط فيجب المصير اليها وقيل غير واجبة أصلا وقيل تجب فى كل صلاة فى ركعة واحدة فقط وبه يحصل امتثال قوله لاصلاة الابفاتحة الكتاب وعند أبى حنيفة القراءة تجب فى الركعتين الاولين لقول عائشة فرضت الصلاة فى الاصل ركعتين فأقرت فى السفر وزيدت فى الحضر فهما أصل والزائد تبع قلنا ماذكرنا أحوط وقيل تجب الفاتحة فى الاولين وتكره فى الآخرتين وعند مالك تجب فى أكثر الركعات ففى الثنائية فيهما وفى الثلاثية فى اثنتين وفى الرباعية فى ثلاث * (البحث الثامن) اذا ثبت أن القراءة شرط فى الصلاة فلو تركها أو حرفا من حروفها عمدا بطلت صلاته وكذا سهوا على الجديد وما روى أن عمر بن الخطاب صلى المغرب فترك القراءة فقيل له تركت القراءة قال كيف كان الركوع والسجود قالوا حسنا قال فلا باس معارض بما روى الشعبى عنه أنه أعاد الصلاة وأيضا لعله ترك الجهر بالقراءة لا نفس القراءة * (البحث التاسع) يجب رعاية الترتيب فى أجزاء الفاتحة وما وقع غير مرتب فغير محسوب * (البحث العاشر) ان لم يحفظ شيأ من الفاتحة قرأ بقدرها من غيرها من القرآن ثم من ذكر من الاذكار ثم عليه مثل وقفة بقدرها فان تعلم قرأ ما لم يفرغ منه (البحث الحادى عشر) نقل عن ابن مسعود انه كان ينكر أن تكون الفاتحة والمعوذتان من جملة القرآن والظن به أن هذا النقل عنه كذب والا فجحد المتواتر كيف يليق بحاله ﴿الرابع فيما يختص بتفسير الحمد لله من الفوائد * الفائدة الاولى فى الفرق بين

وأرى أن الصلاة المفروضة سميت صلاة لان المصلى متعرض لاستنجاح طلبته من ثواب الله بعمله مع ما يسأل ربه فيهما من حاجاته تعرض الداعى بدعائه ربه استنجاح حاجاته وسؤله ﴿ القول فى تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ اختلف المفسرون فى تأويل ذلك فقال بعضهم بما حدثنا به ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ومما رزقناهم ينفقون قال يؤتون الزكاة احتسابا بها حدثنى المثنى قال حدثنا عبد الله بن صالح عن معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس ومما رزقناهم ينفقون قال زكاة أموالهم حدثنى يحيى بن أبى طالب قال حدثنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك ومما رزقناهم ينفقون قال كانت النفقات قربات يتقربون بها الى الله على قدر ميسورهم وجهدهم حتى نزلت فرائض الصدقات سبع آيات فى سورة براءة مما يذكر فيهن الصدقات هن المثبتات الناسخات وقال بعضهم بما حدثنى موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدى فى خبر ذكره عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمدانى عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ومما رزقناهم ينفقون هى نفقة الرجل على أهله وهذا قبل أن تنزل الزكاة وأولى التأويلات بالآية وأحقها بصفة القوم أن يكونوا كانوا لجميع اللازم لهم فى أموالهم مؤدين زكاة كان ذلك أونفقة من لزمته نفقته من أهل وعيال وغيرهم ممن تجب عليهم نفقته بالقرابة والملك وغير ذلك لان الله جل ثناؤه عم وصفهم اذ وصفهم بالانفاق مما رزقهم فمدحهم بذلك من صفتهم فكان معلوما انه اذ لم يخصص مدحهم ووصفهم بنوع من النفقات المحمود عليها صاحبها دون نوع بخبر ولا غيره أنهم موصوفون بجميع معانى النفقات المحمود عليها صاحبها من طيب ما رزقهم ربهم من أموالهم وأملاكهم وذلك الحلال منه الذى لم يشبه حرام ﴿ القول فى تأويل قوله جل ثناؤه ﴿والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك﴾ قد مضى البيان عن المنعوتين بهذا النعت وأى أجناس الناس هم غير أنا نذكر ما روى فى ذلك عمن روى عنه فى تأويله قوله حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك أى يصدقونك بما جئت به من الله جل وعز وما جاء به من قبلك من المرسلين لا يفرقون بينهم ولا يجحدون ما جاؤهم به من عند ربهم حدثنا موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدى فى خبر ذكره عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمدانى عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون هؤلاء المؤمنون من أهل الكتاب ﴿ القول فى تأويل قوله جل ثناؤه ﴿وبالآخرة هم يوقنون﴾ قال أبو جعفر أما الآخرة فانها صفة للدار كما قال جل ثناؤه وان الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون وانما وصفت بذلك لمصيرها آخرة لاولى كانت قبلها كما تقول للرجل أنعمت عليك مرة بعد أخرى فلم تشكر لى الاولى ولا الآخرة وانما صارت الآخرة آخرة للاولى لتقدم الاولى أمامها فكذلك الدار الآخرة سميت آخرة

الحمد والمدح والشكر المدح للحي ولغير الحي كاللؤلؤة والياقوتة الثمينة والحمد للحي فقط والمدح قد يكون قبل الاحسان وقد يكون بعده والحمد انما يكون بعد الاحسان والمدح قد يكون منهيا عنه قال صلى الله عليه وسلم احثوا التراب في وجوه المداحين والحمد مأمور به مطلقا قال صلى الله عليه وسلم من لم يحمد الناس لم يحمد الله والمدح عبارة عن القول الدال على انه مختص بنوع من أنواع الفضائل باختياره وبغير اختياره والحمد قول دال على أنه مختص بفضيلة

اختيارية معينة وهي فضيلة الانعام اليك والى غيرك ولا بد أن يكون

لتقدم الدار الاولى أمامها فصارت التالية لها آخرة وقد يجوز أن تكون سميت آخرة لتأخرها عن الخلق كما سميت الدنيا دنيا لدنوها من الخلق وأما الذي وصف الله جل ثناؤه به المؤمنين بما أنزل الى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وما أنزل الى من قبله من المرسلين من ايقانهم به من أمر الآخرة فهو ايقانهم بما كان المشركون به جاحدين من البعث والنشر والثواب والعقاب والحساب والميزان وغير ذلك مما أعد الله لخلقه يوم القيامة كما حدثنا به محمد بن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وبالآخرة هم يوقنون أي بالبعث والقيامة والجنة والنار والحساب والميزان أي لا هؤلاء الذين يزعمون أنهم آمنوا بما كان قبلك ويكفرون بما جاءك من ربك وهذا التأويل من ابن عباس قد صرح عن أن السورة من أولها وان كانت الآيات التي في أولها من نعت المؤمنين تعريض من الله عز وجل بذم الكفار أهل الكتاب الذين زعموا أنهم بما جاءت به رسل الله عز وجل الذين كانوا قبل محمد صلوات الله عليهم وعليه مصدقون وهم بمحمد عليه السلام مكذبون ولما جاء به من التنزيل جاحدون ويدعون مع جحودهم ذلك أنهم مهتدون وانه لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى فأكذب الله جل ثناؤه ذلك من قيلهم بقوله الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون وأخبر جل ثناؤه عباده أن هذا الكتاب هدى لاهل الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به المصدقين بما أنزل اليه والى من قبله من رسله من البينات والهدى خاصة دون من كذب بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به وادعى انه مصدق بمن قبل محمد عليه السلام من الرسل وبما جاء به من الكتب ثم أكد جل ثناؤه أمر المؤمنين من العرب ومن أهل الكتاب المصدقين بمحمد عليه السلام وبما أنزل اليه والى من قبله من الرسل بقوله أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون فأخبر أنهم هم أهل الهدى والفلاح خاصة دون غيرهم وان غيرهم هم أهل الضلال والخسار ۞ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (أولئك على هدى من ربهم) اختلف أهل التأويل فيمن عنى الله جل ثناؤه بقوله أولئك على هدى من ربهم فقال بعضهم عنى بذلك أهل الصفتين المتقدمتين أعني المؤمنين بالغيب من العرب والمؤمنين بما أنزل الى محمد صلى الله عليه وسلم والى من قبله من الرسل واياهم جميعا وصف بانهم على هدى منه وانهم هم المفلحون ذكر من قال ذلك من أهل التأويل حدثني موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أما الذين يؤمنون بالغيب فهم المؤمنون من العرب والذين يؤمنون بما أنزل اليك المؤمنون من أهل الكتاب ثم جمع الفريقين فقال أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون وقال بعضهم بل عنى بذلك المتقين الذين يؤمنون بالغيب وهم الذين يؤمنون بما أنزل الى محمد وبما أنزل الى من قبله من الرسل وقال آخرون بل عنى بذلك الذين يؤمنون بما أنزل الى محمد صلى الله عليه وسلم وبما أنزل الى من قبله وهم مؤمنو أهل الكتاب الذين صدقوا بمحمد

صلى

على جهة التفضيل لا على سبيل التهكم والاستهزاء والشكر على النعمة الواصلة اليك خاصة وهو باللسان وقد يكون بالقلب والجوارح قال الشاعر

أفادتكم النعماء مني ثلاثة
يدي ولساني والضمير المحجبا

والحمد باللسان وحده فهو احدى شعب الشكر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الحمد رأس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده وانما جعله رأس الشكر لان ذكر النعمة باللسان والثناء على موليها أشيع لها وأدل على مكانها من الاعتقاد وأداء الجوارح لخفاء عمل القلب وما في عمل الجوارح من الاحتمال بخلاف عمل اللسان وهو النطق الذي يفصح عن كل خفي والحمد نقيضه الذم ولهذا قيل الشعير يؤكل ويذم والمدح نقيضه الهجاء والشكر نقيضه الكفران اذا عرفت ذلك فنقول اذا قال المدح لله لم يدل ذلك على كونه تعالى فاعلا مختارا لما مر أن المدح قد يكون لغير المختار ولو قال الشكر لله كان ثناء بسبب انعام وصل الى ذلك القائل واذا قال الحمد لله فكأنه يقول سواء أعطيتني أو لم تعطني فانعامك واصل الى كل العالمين وأنت مستحق للحمد العظيم ولا ريب أن هذا أولى وقيل الحمد لله على ما دفع من البلاء والشكر لله على ما أعطى من النعماء والنعمة في الاعطاء أكثر من النعمة في دفع البلاء فكأنه يقول أنا شاكر لادنى النعمتين فكيف بأعلاهما ويمكن أن يقال ان المنع غير متناه والاعطاء متناه والابتداء بشكر دفع البلاء الذي لا نهاية له أولى وأيضا دفع الضرر أهم من جلب النفع فتقديمه أحرى الثانية لو قال أحمد الله أفاد كون ذلك القائل على حمده واذا قال الحمد لله أفاد انه كان محمودا قبل حمد الحامدين وقبل شكر الشاكرين وأيضا الحمد لله معناه ان مطلق الحمد والثناء حق لله وملكه كما ينبغي

عنه اللام الجنسية واللام الجارة وذلك بسبب كثرة ايلائه أنواع آلائه على عبيده وامائه ولا يخفى أن هذا أولى من أن يحمده شخص واحد فقط ولهذا لو سئلت هل حصل لفلان عليك نعمة فان قلت نعم فقد حمدته ولكن حمدا ضعيفا ولو قلت في الجواب بل نعمه على كل الخلائق كان أكمل فان قيل أليس أن المنعم يستحق الحمد من المنعم عليه فالاستاذ يستحق الحمد من التلميذ والسلطان العادل يستحق الحمد من الرعية وقال صلى الله عليه وسلم من لم يحمد الناس لم يحمد الله قلنا المنعم في الحقيقة هو الله لانه خلق تلك الداعية في ذلك المنعم بعد أن خلق تلك النعمة وسلط المنعم عليها ومكن المنعم عليه من الانتفاع وأمنه من فوات الانقطاع ولهذا قال عز من قائل وما بكم من نعمة فمن الله وأيضا كل مخلوق ينعم على غيره فانه يطلب بذلك الانعام عوضا اما ثوابا أو ثناء أو تحصيل خلق أو تخلصا من رذيلة البخل وطالب العوض لا يكون منعما ولا مستحقا للحمد في الحقيقة أما الله سبحانه فانه كامل لذاته والكامل لذاته لا يطلب الكمال لان تحصيل الحاصل محال فكان عطاؤه جودا محضا فثبت أن لا مستحق للحمد الا الله تعالى الثالثة انما لم يقل احمدوا الله لان الانسان عاجز عن الاتيان بحمد الله وشكره فلم يحسن أن يكلف فوق ما يستطيعه وذلك أن نعم الله على العباد غير محصورة وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها واذا امتنع الوقوف عليها امتنع اقتداره على الشكر والثناء اللائق بها وأيضا انما يمكنه القيام بحمد الله وشكره اذا أقدره الله على ذلك الحمد والشكر وخلق في قلبه داعية ذلك وأزال عنه العوائق والصوارف وكل ذلك انعام من الله فيتسلسل وأيضا الاشتغال بالحمد والشكر معناه أن المنعم عليه يقابل انعام المنعم بشكر نفسه ومن اعتقد أن حمده وشكره يساوي نعمة الله فقد أشرك وهذا معنى قول الواسطي الشكر شرك أما اذا قال الحمد لله فالمعنى ان كمال الحمد حقه وملكه سواء قدر الخلق على الاتيان به أو لم يقدروا ونقل أن داود عليه السلام قال يا رب كيف أشكرك وشكري لك لا يتم الا بانعامك علي وهو أن توفقني لذلك الشكر فقال يا داود لما علمت عجزك عن شكري فقد شكرتني بحسب قدرتك وطاقتك الرابعة عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا أنعم الله على عبد فقال الحمد لله يقول الله تعالى انظروا الى عبدي أعطيته ما لا قدر له فاعطاني ما لا قيمة له ومعناه أن ما أنعم الله على العبد شئ واحد واذا قال

صلى الله عليه وسلم وبما جاء به وكانوا مؤمنين من قبل بسائر الانبياء والكتب وعلى هذا التأويل الآخر يحتمل أن يكون الذين يؤمنون بما أنزل اليك في محل خفض ومحل رفع فاما الرفع فيه فانه يأتيها من وجهين أحدهما من قبل العطف على ما في يؤمنون بالغيب من ذكر الذين والثاني أن يكون خبر مبتدا ويكون أولئك على هدى من ربهم مرافعها وأما الخفض فعلى العطف على المتقين واذا كانت معطوفة على الذين اتجه لها وجهان من المعنى أحدهما أن تكون هي والذين الاولى من صفة المتقين وذلك على تأويل من رأى أن الآيات الاربع بعد الم نزلت في صنف واحد من أصناف المؤمنين والوجه الثاني أن تكون الذين الثانية معطوفة في الاعراب على المتقين بمعنى الخفض وهم في المعنى صنف غير الصنف الاول وذلك على مذهب من رأى أن الذين نزلت فيهم الآيتان الاولتان من المؤمنين بعد قوله الم غير الذين نزلت فيهم الآيتان الآخرتان اللتان تليان الاولتين وقد يحتمل أن تكون الذين الثانية مرفوعة في هذا الوجه بمعنى الاستئناف اذ كانت مبتدأ بها بعد تمام آية وانقضاء قصة وقد يجوز الرفع فيها أيضا بنية الاستئناف اذ كانت في مبتدا آية وان كانت من صفة المتقين فالرفع اذا يصح فيها من أربعة أوجه والخفض من وجهين وأولى التأويلات عندي بقوله أولئك على هدى من ربهم ما ذكرت من قول ابن مسعود وابن عباس وأن تكون أولئك اشارة الى الفريقين أعني المتقين والذين يؤمنون بما أنزل اليك وتكون أولئك مرفوعة بالعائد من ذكرهم في قوله على هدى من ربهم وأن تكون الذين الثانية معطوفة على ما قبل من الكلام على ما قد بيناه وانما رأينا أن ذلك أولى التأويلات بالآية لان الله جل ثناؤه نعت الفريقين بنعتهم المحمود ثم أثنى عليهم فلم يكن عز وجل ليخص أحد الفريقين بالثناء مع تساويهما فيما استحقا به الثناء من الصفات كما غير جائز في عدله أن يتساويا فيما يستحقان به الجزاء من الاعمال فيخص أحدهما بالجزاء دون الآخر ويحرم الآخر جزاء عمله فكذلك سبيل الثناء بالاعمال لان الثناء أحد أقسام الجزاء وأما معنى قوله أولئك على هدى من ربهم فان معنى ذلك أنهم على نور من ربهم وبرهان واستقامة وسداد بتسديد الله اياهم وتوفيقه لهم كما حدثني ابن حميد قال حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن اسحق عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أولئك على هدى من ربهم أي على نور من ربهم واستقامة على ما جاءهم ۞ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (وأولئك هم المفلحون) وتأويل قوله وأولئك هم المفلحون أي أولئك هم المنجحون المدركون ما طلبوا عند الله تعالى ذكره بأعمالهم وايمانهم بالله وكتبه ورسله من الفوز بالثواب والخلود في الجنان والنجاة مما أعد الله تبارك وتعالى لاعدائه من العقاب كما حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة قال حدثنا ابن اسحق عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وأولئك هم المفلحون أي الذين أدركوا ما طلبوا ونجوا من شر ما منه هربوا ومن الدلالة على ان أحد معاني الفلاح ادراك الطلبة والظفر بالحاجة قول لبيد بن ربيعة

اعقلي ان كنت لما تعقلي * ولقد أفلح من كان عقل

يعني ظفر بحاجته وأصاب خيرا ومنه قول الراجز

عدمت أما ولدت رياحا * جاءت به مفركحا فركاحا

تحسب أن قد ولدت نجاحا * أشهد لا يزيدها فلاحا

يعني خيرا وقربا من حاجتها والفلاح مصدر من قولك أفلح فلان يفلح افلاحا وفلاحا وفلحا والفلاح أيضا البقاء ومنه قول لبيد

نحل بلادا كلها حل قبلنا * ونرجو الفلاح بعد عاد وحمير

يريد البقاء ومنه أيضا قول عبيد

أفلح بما شئت فقد يبلغ بالضعف * وقد يخدع الاريب

يريد عش وابق بما شئت وكذلك قول نابغة بني ذبيان

وكل فتى ستشعبه شعوب * وان أثرى وان لاقى فلاحا

أي نجاحا بحاجته وبقاء ❁ القول في تأويل قوله (ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) اختلف أهل التأويل فيمن عني بهذه الآية وفيمن نزلت فكان ابن عباس يقول كما حدثنا به محمد بن حميد قال حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن اسحق عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان الذين كفروا أي بما أنزل اليك من ربك وان قالوا انا قد آمنا بما قد جاءنا من قبلك وكان ابن عباس يرى أن هذه الآية نزلت في اليهود الذين كانوا بنواحي المدينة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم توبيخا لهم في جحودهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وتكذيبهم به مع علمهم به ومعرفتهم بانه رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم والى الناس كافة وحدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان صدر سورة البقرة الى المائة منها نزل في رجال سماهم بأعيانهم وأنسابهم من أحبار يهود ومن المنافقين من الاوس والخزرج كرهنا تطويل الكتاب بذكر أسمائهم وقد روي عن ابن عباس في تأويل ذلك قول آخر وهو ما حدثنا به المثنى بن ابراهيم قال حدثنا عبد الله ابن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرص على أن يؤمن جميع الناس ويتابعوه على الهدى فأخبره الله جل ثناؤه انه لا يؤمن الا من سبق له من الله السعادة في الذكر الاول ولا يضل الا من سبق له من الله الشقاء في الذكر الاول وقال آخرون بما حدثت به عن عمار بن الحسن قال حدثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس قال آيتان في قادة الاحزاب ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون الى قوله ولهم عذاب عظيم قال وهم الذين ذكرهم الله في هذه الآية ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار قال فهم الذين قتلوا يوم بدر وأولى هذه التأويلات بالآية تأويل ابن عباس الذي ذكره محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عنه وان كان لكل قول مما قاله الذين ذكرنا قولهم في ذلك مذهب فأما مذهب من تأول في ذلك ما قاله الربيع بن أنس فهو أن الله تعالى

الحمد لله فمعناه المحامد التي أتى بها الاولون والآخرون من الملائكة والثقلين لله تعالى وكذا المحامد التي سيذكرونها الى وقت قوله تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين والى أبد الآبدين ودهر الداهرين فالمنعم به متناه والحمد غير متناه واذا أسقط المتناهي من غير المتناهي بقي غير المتناهي فالذي بقي للعبد طاعات غير متناهية فلا بد من مقابلتها بنعم غير متناهية فلهذا يستحق العبد الثواب الابدي والخير السرمدي * الخامسة لا شك أن الوجود خير من العدم وان وجود كل ما سوى الله فانه حصل بايجاد الله وجوده فانعام الله تعالى واصل الى كل من سواه فاذا قال العبد الحمد لله فكأنه قال الحمد لله على كل مخلوق خلقه وعلى كل محدث أحدثه من نور وظلمة وسكون وحركة وعرش وكرسي وجني وانسي وذات وصفة وجسم وعرض من أزل الآزال الى أبد الآباد وأنا أشهد أنها بأسرها لك لا شركة لاحد فيها معك * السادسة التسبيح مقدم على التحميد لانه يقال سبحان الله والحمد لله فما السبب في وقوع البداءة بالتحميد والجواب ان التسبيح داخل في التحميد دون العكس فان التسبيح يدل على كونه مبرأ في ذاته وصفاته عن النقائص والتحميد يدل على كونه محسنا الى العباد ولا يكون محسنا اليهم الا اذا كان عالما بجميع المعلومات ليعلم مواقع الحاجات والا اذا كان قادرا على المقدورات ليقدر على تحصيل ما يحتاجون اليه والا اذا كان غنيا في نفسه والا شغله حاجة نفسه عن حاجة غيره فثبت أن كونه محسنا لا يتم الا بعد كونه منزها عن النقائص والآفات * السابعة الحمد لله تعلق بالماضي وهو وقوعه شكرا على النعم السابقة وتعلق بالمستقبل وهو اقتضاء تجدد النعم لقوله تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم فبالاول يغلق عنك أبواب النيران وبالثاني يفتح لك أبواب الجنان فان الحمد لله ثمانية أحرف بعدد أبواب الجنة ذكره * الثامنة الحمد لله كلمة جليلة لكنه يجب أن تذكر في موضعها ليحصل المقصود قال السري منذ ثلاثين سنة أستغفر الله لقولي مرة واحدة الحمد لله وذلك انه وقع الحريق في بغداد وأحرقت دكاكين الناس فأخبرني واحد أن دكاني لم يحترق فقلت الحمد لله وكان من حق الدين والمروءة أن لا أفرح بذلك فانا في الاستغفار منذ ثلاثين سنة فالحمد على نعم الدين أفضل من الحمد على نعم الدنيا والحمد على أعمال القلوب

أولى من الحمد على أعمال الجوارح والحمد على النعم من حيث انها عطية المنعم أولى من الحمد عليها من حيث هي نعم فهذه مقامات يجب اعتبارها حتى يقع الحمد فى موضعه اللائق به * التاسعة أول ما بلغ الروح الى سرة آدم عطس فقال الحمد لله رب العالمين وآخر دعوى أهل الجنة الحمد لله رب العالمين ففاتحة العالم مبنية على الحمد وخاتمته مبنية على الحمد فاجتهد أن يكون أول أعمالك وآخرها مقرونا بكلمة الحمد * العاشرة لا يحسن عندنا أن يقدر قولوا الحمد لله لان الاضمار خلاف القياس ولان الوالد اذا قال لولده اعمل كذا وكذا فلم يمتثل كان عاقا فالاولى أن يقول الامر الفلانى ينبغى أن يفعل ثم ان كان الولد بارا فانه يجيبه و يطيعه وان كان عاقا كان أثمه أقل فكذلك اذا قال الحمد لله فمن كان مطيعا حمده ومن كان عاصيا كان اثمه أقل بخلاف مالوقدر قولوا الحمد لله * الحادية عشرة شنعت الجبرية على المعتزلة ومن يجرى مجراهم بانكم تثبتون للعبد فعلا واختيارا واستحقاق الحمد انما يكون على أشرف النعم وهو الايمان فلو كان الايمان بفعل العبد لكان المستحق للحمد هو العبد والجواب أن الايمان باختيار العبد لكن الاختيار أيضا مستند الى الله تعالى فاستحق الحمد لذلك وشنعت المعتزلة على الجبرية بان قوله الحمد لله لا يتم الا على مذهبنا لان المستحق للحمد على الاطلاق هو الذى لا قبح فى فعله ولا جور فى قضيته وعندكم لا قبح الا وهو فعله ولا جور الا وهو حكمه والجواب أن القبح والجور انما يثبتان لو أمكن تصور الفعل المخصوص فى القابل المخصوص أحسن وأتم مما صدر لكنه محال فانه تعالى حكيم وكل ما يصدر عن الحكيم كان على أفضل ما يمكن بالنسبة الى المحل المخصوص * الثانية عشرة اختلفوا فى أن شكر المنعم واجب عقلا أو شرعا فمنهم من قال عقلا ومن جملة أدلتهم قوله الحمد لله فانه يدل على ثبوت الاستحقاق على الاطلاق وأيضا عقبه بقوله رب العالمين وترتيب الحكم على الوصف المناسب يدل على كون ذلك الحكم معللا بذلك الوصف فدل ذلك على ان استحقاقه للحمد ثابت بكونه ربا للعالمين قبل مجىء الشرع وبعده والجواب أن استحقاقه لمثل هذا الحمد عرفناه من قبل الشرع * واعلم أن الحمد سبيله سبيل سائر الاذكار والعبادات فى انها انما يؤتى بها الا لان الله تعالى مستكمل بها ولا لانه تعالى مجازى بها ولكنها لتحقيق نسبة العبودية واضافة الامكان الله حسبى * الخامس فى فوائد قوله رب العالمين الاولى الموجود اما واجب لذاته

ذكره لما أخبر عن قوم من أهل الكفر بانهم لا يؤمنون وان الانذار غير نافعهم ثم كان من الكفار من قد نفعه الله بانذار النبى صلى الله عليه وسلم اياه لايمانه بالله و بالنبى صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند الله بعد نزول هذه السورة لم يجز أن تكون الآية نزلت الا فى خاص من الكفار واذ كان ذلك كذلك وكانت قادة الاحزاب لاشك انهم ممن لم ينفعه الله عز وجل بانذار النبى صلى الله عليه وسلم اياه حتى قتلهم الله تبارك وتعالى بايدى المؤمنين يوم بدر علم أنهم ممن عنى الله جل ثناؤه بهذه الآية وأما علتنا فى اختيارنا ما اخترنا من التأويل فى ذلك فهى أن قول الله جل ثناؤه ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون عقيب خبر الله جل ثناؤه عن مؤمنى أهل الكتاب وعقيب نعتهم وصفتهم وثنائه عليهم بايمانهم به وبكتبه ورسله فأولى الامور بحكمة الله أن يتلى ذلك الخبر عن كفارهم ونعوتهم وذم أسبابهم وأحوالهم واظهار شتمهم والبراءة منهم لان مؤمنيهم ومشركيهم وان اختلفت أحوالهم باختلاف أديانهم فان الجنس يجمع جميعهم بانهم بنو اسرائيل وانما احتج الله جل ثناؤه بأول هذه السورة لنبيه صلى الله عليه وسلم على مشركى اليهود من أحبار بنى اسرائيل الذين كانوا مع علمهم بنبوته منكرين نبوته باظهار نبيه صلى الله عليه وسلم على ما كانت تسره الاحبار منهم وتكتمه فيجهله عظم اليهود وتعلمه الاحبار منهم ليعلموا ان الذى أطلعه على علم ذلك هو الذى أنزل الكتاب على موسى اذ كان ذلك من الامور التى لم يكن محمد صلى الله عليه وسلم ولا قومه ولا عشيرته يعلمونه ولا يعرفونه من قبل نزول الفرقان على محمد صلى الله عليه وسلم فيمكنهم ادعاء اللبس فى أمره عليه السلام انه نبى وأن ما جاء به من عند الله وأنى يمكنهم ادعاء اللبس فى صدق أمى نشأ بين أميين لا يكتب ولا يقرأ ولا يحسب فيقال قرأ الكتب فعلم أو حسب فنجم وانبعث على أحبار قراء كتبة قد درسوا الكتب ورأسوا الامم يخبرهم عن مستور عيوبهم ومصون علومهم ومكتوم أخبارهم وخفيات أمورهم التى جهلها من هو دونهم من أحبارهم ان أمر من كان كذلك لغير مشكل وان صدقه لبين ومما ينبئ عن صحة ما قلنا من ان الذين عنى الله تعالى ذكره بقوله ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون هم أحبار اليهود الذين قتلوا على الكفر وماتوا عليه اقتصاص الله تعالى ذكره نبأهم وتذكيره اياهم ما أخذ عليهم من العهود والمواثيق فى أمر محمد عليه السلام بعد اقتصاصه تعالى ذكره ما اقتص من أمر المنافقين واعتراضه بين ذلك بما اعترض به من الخبر عن ابليس وآدم فى قوله يابنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم الآيات واحتجاجه لنبيه عليهم بما احتج به عليهم فيها بعد جحودهم نبوته فاذا كان الخبر أولا عن مؤمنى أهل الكتاب وآخرا عن مشركيهم فاولى أن يكون وسطا عنهم اذ كان الكلام بعضه لبعض تبع الا أن تأتيهم دلالة واضحة بعدول بعض ذلك عما ابتدئ به من معانيه فيكون معروفا حينئذ انصرافه عنه وأما معنى الكفر فى قوله ان الذين كفروا فانه الجحود وذلك ان الاحبار من يهود المدينة جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وستروه عن الناس وكتموا أمره وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وأصل الكفر عند العرب تغطية الشئ ولذلك سموا الليل كافرا لتغطية ظلمته ما لبسته كما قال الشاعر

فتذكرا ثقلا رثيدا بعدما * ألقت ذكاء يمينها فى كافر

وقال لبيد بن ربيعة * في ليلة كفر النجوم غمامها * يعني غطاها فكذلك الاحبار من اليهود غطوا أمر محمد صلى الله عليه وسلم وكتموه الناس مع علمهم بنبوته ووجودهم صفته في كتبهم فقال الله جل ثناؤه فيهم ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون وهم الذين أنزل الله عز وجل فيهم ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ۞ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) وتأويل سواء معتدل مأخوذ من التساوي كقولك متساو وهذان الامران عندي وهما عندي سواء أي هما متعادلان عندي ومنه قول الله جل ثناؤه فانبذ اليهم على سواء يعني أعلمهم وآذنهم بالحرب حتى يستوي علمك وعلمهم بما عليه كل فريق منهم للفريق الآخر فكذلك قوله سواء عليهم معتدل عندهم أي الامرين كان منك اليهم ألانذار أم ترك الانذار لانهم كانوا لا يؤمنون وقد ختمت على قلوبهم وسمعهم ومن ذلك قول عبد الله بن قيس الرقيات

تغذي الشهباء نحو ابن جعفر * سواء عليها ليلها ونهارها

يعني بذلك معتدل عندها في السير الليل والنهار لانه لا فتور فيه ومنه قول الآخر

وليل يقول المرء من ظلماته * سواء صحيحات العيون وعورها

لان الصحيح لا يبصر فيه الا بصرا ضعيفا من ظلمته وأما قوله أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون فانه ظهر به الكلام ظهور الاستفهام وهو خبر لانه وقع موقع أي كما تقول لا نبالي أفت أم قعدت وأنت مخبر لا مستفهم لوقوع ذلك موقع أي وذلك أن معناه اذا قلت ذلك ما نبالي أي هذين كان منك فكذلك ذلك في قوله سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لما كان معنى الكلام سواء عليهم أي هذين كان منك اليهم حسن في موضعه مع سواء أفعلت أم لم تفعل وقد كان بعض نحويي أهل البصرة يزعم أن حرف الاستفهام انما دخل مع سواء وليس باستفهام لان المستفهم اذا استفهم غيره فقال أزيد عندك أم عمرو مستثبت صاحبه أيهما عنده فليس أحدهما أحق بالاستفهام من الآخر فلما كان قوله سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم بمعنى التسوية أشبه ذلك الاستفهام اذ أشبهه في التسوية وقد بينا الصواب في ذلك فتأويل الكلام اذا معتدل يا محمد على هؤلاء الذين جحدوا نبوتك من أحبار يهود المدينة بعد علمهم بها وكتموا بيان أمرك للناس بانك رسولي الى خلقي وقد أخذت عليهم العهد والميثاق أن لا يكتموا ذلك وأن يبينوه للناس ويخبروهم أنهم يجدون صفتك في كتبهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم فانهم لا يؤمنون ولا يرجعون الى الحق ولا يصدقون بك وبما جئتهم به كما حدثنا محمد بن حميد قال حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن اسحق عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون أي انهم قد كفروا بما عندهم من العلم من ذكر وجحدوا ما أخذ عليهم من الميثاق لك فقد كفروا بما جاءك وبما عندهم مما جاءهم به غيرك فكيف يسمعون منك انذارا وتحذيرا وقد كفروا بما عندهم من علمك ۞ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم) وأصل الختم الطبع والخاتم هو الطابع يقال منه ختمت الكتاب اذا طبعته فان قال لنا قائل وكيف يختم على القلوب وانما الختم طبع على الاوعية والظروف والغلف

وهو الله سبحانه وتعالى فقط واما ممكن لذاته وهو كل ما سواه ويسمى العالم كما مر وذلك اما متحيز أو صفة للمتحيز أو لا هذا ولا ذاك القسم الاول ان كان قابلا للقسمة فهو الجسم والا فالجوهر الفرد فالجسم اما علوي أو سفلي والعلوي كالسماويات ويندرج فيها العرش والكرسي وسدرة المنتهى واللوح والقلم والجنة والكواكب والسفلي اما بسيط وهو العناصر الاربعة الارض بما عليها أو فيها والماء وهو البحر المحيط وما يتشعب منه في القدر المكشوف من الارض والهواء ومنه كرة البخار وكرة النسيم ومنه الهواء الصافي والنار واما مركب وهو المعادن والنبات والحيوان على تباين أنواعها وأصنافها القسم الثاني الاعراض باجناسها وأنواعها القسم الثالث الارواح وهي اما سفلية خيرة كالجن أو شريرة كالشياطين واما علوية متعلقة بالاجسام كملائكة السموات قال صلى الله عليه وسلم ما في السموات موضع شبر الا وفيه ملك قائم أو قاعد أو غير متعلقة وهي الملائكة المقربون وما يعلم جنود ربك الا هو ولان كل موجود سوى الواجب يحتاج الى الواجب في الوجود وفي البقاء أيضا فهو اله العالمين من حيث انه أخرجها من العدم الى الوجود ورب العالمين من حيث انه يبقيها حال استقرارها فكل من كان أكثر احاطة بأحوال الموجودات وتفاصيلها كان أكثر وقوفا على تفسير قوله رب العالمين * الثانية المربي قسمان أحدهما أن يربي ليربح عليهم والثاني أن يربي ليربحوا عليه والاول شأن المخلوقين الذين غرضهم من التربية اما ثواب أو ثناء أو تعصب أو غير ذلك والثاني دأب الحق سبحانه وتعالى كما قال خلقتكم لتربحوا علي لا لأربح عليكم وكيف لا يربحون عليه وانه متعال عن الاستكمال منزه عن أن يحدث في خزائنه بسبب التربية والافادة والافاضة اختلال يحب الملحين في الدعاء ويزيد في الخلق ما يشاء يكفي علمه عن المقال ويغني كرمه عن السؤال وسع كل شئ رحمة وعلما وربي كل حي كرما وحلما ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين فلينظر الانسان الى طعامه أنا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا متاعا لكم ولانعامكم ألم نجعل الارض مهادا

والجبال أوتادا وخلقناكم أزواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وبنينا فوقكم سبعا شدادا وجعلنا سراجا وهاجا وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا وجنات ألفافا * الثالثة لما كان الله أحسن الاسماء عقبه بأكمل الصفات وهو رب العالمين اذ معناه ان وجود ما سواه فائض عن تربيته واحسانه وجوده وامتنانه فالاول يدل على التمام والثاني على انه فوق التمام * الرابعة رب العالمين ثم انه ربيك كانه ليس له عبد سواك وهو الله الواحد الاحد الصمد وأنت تخدمه كان لك أربابا غيره فيا انصافك أيها الانسان قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن خلقت لعبادة الرب فلا تهدم حقيقتك بمعصية الرب الآدمي بنيان الرب ملعون من هدم بنيان الرب * السادس في فوائد قوله الرحمن الرحيم * الاولى الرحمن بما لا يتصور صدوره من العباد والرحيم بما يقدر عليه العباد أنا الرحمن لانك تسلم الي نطفة مذرة فأسلمها اليك صورة حسنة أنا الرحيم لانك تسلم الي طاعة ناقصة فأسلم اليك جنة خالصة * الثانية ذهب بعضهم الى ملك فقال جئتك لمهم يسير فقال اطلب المهم اليسير من الرجل اليسير فكأن الله تعالى يقول لو اقتصرت على الرحمن لاحتشمت مني ولتعذر عليك سؤالي الامور اليسيرة فأنا الرحمن لتطلب مني الامور العظيمة وأنا الرحيم لتطلب مني شراك نعلك وملح قدرك * الثالثة الوالد اذا أهمل حال ولده ولم يؤدبه ظن أن ذلك رحمة وهو في الحقيقة عذاب من لم يؤدبه الابوان أدبه الملوان وعكسه حال من تقطع يده لأكلة فيها أو يضرب لتعليم حرفة أو لتأدب بخصلة شريفة فكل ما في العالم من محنة وبلية فهو في الحقيقة رحمة ونعمة وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيأ وهو شر لكم وقصة موسى مع الخضر كما تجيء في موضعها تؤيد ما ذكرناه والحكيم المحقق هو الذي يبني الامور على الحقائق لا على الظواهر فان ترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شر كثير * الرابعة أعطى مريم عليها السلام رحمة ولنجعله آية للناس ورحمة منا فصارت سببا لنجاتها من توبيخ الكفار والفجار وأعطانا رحمة وما أرسلناك الا رحمة للعالمين فكيف لا ننجو بسببه من عذاب النار * الخامسة وصف النبي صلى الله عليه وسلم بالرحمة فكان من حاله انه لما كسرت أسنانه قال اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون وانه يوم القيامة يقول أمتي أمتي فلما وصف نفسه بكونه رحمانا رحيما أيضا فكأنه يقول الرحمة الواحدة لا تكفي

والغلف قيل فان قلوب العباد أوعية لما أودعت من العلوم وظروف لما جعل فيها من المعارف بالامور فمعنى الختم عليها وعلى الاسماع التي بها تدرك المسموعات ومن قبلها يوصل الى معرفة حقائق الانباء عن المغيبات نظير معنى الختم على سائر الاوعية والظروف فان قال فهل لذلك من صفة تصفها لنا فنفهمها أهي مثل الختم الذي يعرف لما ظهر للابصار أم هي بخلاف ذلك قيل قد اختلف أهل التأويل في صفة ذلك وسنخبر بصفته بعد ذكرنا قولهم * فحدثني عيسى بن عثمان بن عيسى الرملي قال حدثنا يحيى بن عيسى عن الاعمش قال أرانا مجاهد بيده فقال كانوا يرون أن القلب في مثل هذا يعني الكف فاذا أذنب العبد ذنبا ضم منه وقال باصبعه الخنصر هكذا فاذا أذنب ضم وقال باصبع أخرى فاذا أذنب ضم وقال باصبع أخرى هكذا حتى ضم أصابعه كلها قال ثم يطبع عليه بطابع قال مجاهد وكانوا يرون أن ذلك الرين حدثنا أبو كريب قال حدثنا وكيع عن الاعمش عن مجاهد قال القلب مثل الكف فاذا أذنب ذنبا قبض أصبعا حتى يقبض أصابعه كلها وكان أصحابنا يرون انه الران حدثنا القاسم بن الحسن قال حدثنا الحسين بن داود قال حدثني حجاج قال حدثنا ابن جريج قال قال مجاهد نبئت أن الذنوب على القلب تحف به من نواحيه حتى تلتقي عليه فالتقاؤها عليه الطبع والطبع الختم قال ابن جريج الختم الختم على القلب والسمع حدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج قال حدثني عبد الله بن كثير انه سمع مجاهدا يقول الران أيسر من الطبع والطبع أيسر من الاقفال والاقفال أشد ذلك كله وقال بعضهم انما معنى قوله ختم الله على قلوبهم اخبار من الله جل ثناؤه عن تكبرهم واعراضهم عن الاستماع لما دعوا اليه من الحق كما يقال ان فلانا لأصم عن هذا الكلام اذا امتنع من سماعه ورفع نفسه عن تفهمه تكبرا والحق في ذلك عندي ما صح بنظيره الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ما حدثنا به محمد بن بشار قال حدثنا صفوان بن عيسى قال حدثنا ابن عجلان عن القعقاع عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن اذا أذنب ذنبا كان نكتة سوداء في قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه فان زاد زادت حتى يغلف قلبه فذلك الران الذي قال الله جل ثناؤه كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون فأخبر صلى الله عليه وسلم أن الذنوب اذا تتابعت على القلوب أغلقتها واذا أغلقتها أتاها حينئذ الختم من قبل الله عز وجل والطبع فلا يكون للايمان اليها مسلك ولا للكفر منها مخلص فذلك هو الطبع والختم الذي ذكره الله تبارك وتعالى في قوله ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم نظير الطبع والختم على ما تدركه الابصار من الاوعية والظروف التي لا يوصل الى ما فيها الا بفض ذلك عنها ثم حلها فكذلك لا يصل الايمان الى قلوب من وصف الله انه ختم على قلوبهم الا بعد فضه خاتمه وحله رباطه عنها ويقال لقائلي القول الثاني الزاعمين ان معنى قوله جل ثناؤه ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم هو وصفهم بالاستكبار والاعراض عن الذي دعوا اليه من الاقرار بالحق تكبرا أخبرونا عن استكبار الذين وصفهم الله جل ثناؤه بهذه الصفة واعراضهم عن الاقرار بما دعوا اليه من الايمان وسائر المعاني اللواحق به أفعل منهم أم فعل من الله تعالى ذكره بهم فان زعموا أن ذلك فعل منهم وذلك قولهم قيل لهم فان الله تبارك وتعالى قد أخبر انه هو الذي ختم على قلوبهم

لصلاح المخلوقات فذرني وعبيدي فاني أنا الرحمن الرحيم رحمتي غير متناهية ومعصيتهم متناهية والمتناهي لا يدرك غير المتناهي فتستغرق معصيتهم في بحار رحمتي ولسوف يعطيك ربك فترضى السادسة حكي عن ابراهيم بن أدهم أنه قال كنت ضيفا لبعض القوم فقدم المائدة فنزل غراب وسلب رغيفا فاتبعته تعجبا فنزل في بعض التلال فاذا هو برجل مقيد مشدود اليدين فالقى الغراب ذلك الرغيف على وجهه وعن ذي النون أنه قال كنت في البيت اذ وقعت في قلبي داعية أن أخرج من البيت فانتهيت الى شط النيل فرأيت عقربا قويا يعدو فلما وصل الى النيل فاذا هو بضفدع على طرف النهر فقفز العقرب عليه وأخذ الضفدع يسبح فركبت السفينة فاتبعته حتى اذا وصل الضفدع الى الطرف الآخر نزل العقرب عن ظهره وأخذ يعدو فتبعته فرأيت شابا نائما تحت شجرة وعنده أفعى يقصده فلما قرب الافعى من ذلك الشاب وصلت العقرب الى الافعى ولدغتها والافعى أيضا لدغتها وماتتا معا وفي أدعية العرب يارازق النعاب في عشه وحكايته أن ولد الغراب لما يخرج من البيض يكون كأنه قطعة لحم فتهجره أمه تنفر امنه حتى اذا خرج ريشه عادت اليه فيبعث الله تعالى اليه في تلك المدة ذبابا يغتذي به وروي ان فتى قرب وفاته واعتقل لسانه عن شهادة أن لا اله الا الله فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم وأخبروه فقام فدخل عليه وكان يعرض عليه الشهادة ولا يعمل لسانه فقال صلى الله عليه وسلم أما كان يصلي أما كان يزكي أما كان يصوم فقالوا بلى فقال فهل عق والدته قالوا نعم فقال هاتوا أمه فأتي بعجوز عوراء فقال النبي صلى الله عليه وسلم هلا عفوت عنه فقالت لا أعفو عنه لانه لطمني ففقأ عيني فقال صلى الله عليه وسلم هاتوا بالحطب والنار فقالت وما تصنع بالنار فقال صلى الله عليه وسلم أحرقه بالنار بين يديك جزاء عما عمل فقالت عفوت عفوت ألنار حملته تسعة أشهر ألنار أرضعته سنتين فاين رحمة الام فعند ذلك انطلق لسانه وذكر أشهد أن لا اله الا الله والنكتة أنها كانت رحيمة فقط ولم تجوز الاحراق فالرحمن الرحيم كيف يجوز احراق عبد واظب على ذكر الرحمن الرحيم سبعين سنة قال صلى الله عليه وسلم ان لله تعالى مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الانس والجن والطير والبهائم والهوام فبها يتعاطفون ويتراحمون وأخر تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة ولعل هذا على سبيل التفهيم والتمثيل والا فكرمه بلا غاية ورحمته بلا نهاية

وسمعهم وكيف يجوز أن يكون اعراض الكافر عن الايمان وتكبره عن الاقرار به وهو فعله عندكم ختما من الله على قلبه وسمعه وختمه على قلبه وسمعه فعل الله عز وجل دون فعل الكافر فان زعموا أن ذلك جائز أن يكون كذلك لان تكبره واعراضه كانا عن ختم الله على قلبه وسمعه فلما كان الختم سببا لذلك جاز أن يسمى مسببه به تركوا قولهم وأوجبوا أن الختم من الله على قلوب الكفار وأسماعهم معنى غير كفر الكافر وغير تكبره واعراضه عن قبول الايمان والاقرار به وذلك دخول فيما أنكروه وهذه الآية من أوضح الادلة على فساد قول المنكرين تكليف ما لا يطاق الا بمعونة الله لأن الله جل ثناؤه أخبر أنه ختم على قلوب صنف من كفار عباده وأسماعهم ثم لم يسقط التكليف عنهم ولم يضع عن أحد منهم فرائضه ولم يعذره في شيء مما كان منه من خلاف طاعته بسبب ما فعل به من الختم والطبع على قلبه وسمعه بل أخبر أن لجميعهم منه عذابا عظيما على تركهم طاعته فيما أمرهم به ونهاهم عنه من حدوده وفرائضه مع حتمه القضاء عليهم مع ذلك بانهم لا يؤمنون ۞ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (وعلى أبصارهم غشاوة) وقوله وعلى أبصارهم غشاوة خبر مبتدأ بعد تمام الخبر عما ختم الله جل ثناؤه عليه من جوارح الكفار الذين مضت قصصهم وذلك أن غشاوة مرفوعة بقوله وعلى أبصارهم فذلك دليل على أنه خبر مبتدأ وان قوله ختم الله على قلوبهم قد تناهى عند قوله وعلى سمعهم وذلك هو القراءة الصحيحة عندنا لمعنيين أحدهما اتفاق الحجة من القراء والعلماء على الشهادة بتصحيحها وانفراد المخالف لهم في ذلك وشذوذه عما هم على تخطئته مجمعون وكفى باجماع الحجة على تخطئة قراءته شاهدا على خطئها والثاني أن الختم غير موصوفة به العيون في شيء من كتاب الله ولا في خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا موجود في لغة أحد من العرب وقد قال تبارك وتعالى في سورة أخرى وختم على سمعه وقلبه ثم قال وجعل على بصره غشاوة فلم يدخل البصر في معنى الختم وذلك هو المعروف في كلام العرب فلم يجز لنا ولا لأحد من الناس القراءة بنصب الغشاوة لما وصفت من العلتين اللتين ذكرت وان كان لنصبها مخرج معروف في العربية وبما قلنا في ذلك من القول والتأويل روي الخبر عن ابن عباس حدثني محمد بن سعد قال حدثني أبي قال حدثني عمي الحسين بن الحسن عن أبيه عن جده عن ابن عباس ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم والغشاوة على أبصارهم فان قال قائل وما وجه مخرج النصب فيها قيل له ان نصبها باضمار جعل كأنه قال وجعل على أبصارهم غشاوة ثم أسقط جعل اذ كان في أول الكلام ما يدل عليه وقد يحتمل نصبها على اتباعها موضع السمع اذ كان موضعه نصبا وان لم يكن حسنا اعادة العامل فيه على غشاوة ولكن على اتباع الكلام بعضه بعضا كما قال تعالى ذكره يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق ثم قال وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون وحور عين فخفض اللحم والحور على العطف به على الفاكهة اتباعا لآخر الكلام أوله ومعلوم أن اللحم لا يطاف به ولا بالحور ولكن ذلك كما قال الشاعر يصف فرسه

علفتها تبنا وماء باردا * حتى شتت همالة عيناها

ومعلوم أن الماء يشرب ولا يعلف به ولكنه نصب ذلك على ما وصفت قبل وكما قال الآخر

* ورأيت زوجك في الوغى * متقلدا سيفا ورمحا *

وكان ابن جريج يقول في انتهاء الخبر عن الختم

الى

الى قوله وعلى سمعهم وابتداء الخبر بعده بمثل الذى قلنا فيه ويتأول فيه من كتاب الله فان يشا الله يختم على قلبك حدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثنى حجاج قال حدثنا ابن جريج قال الختم على القلب والسمع والغشاوة على البصر قال الله تعالى ذكره فان يشا الله يختم على قلبك وقال وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة والغشاوة فى كلام العرب الغطاء ومنه قول الحارث بن خالد ابن العاص

تبعتك اذ عينى عليها غشاوة * فلما انجلت قطعت نفسى ألومها

ومنه يقال تغشاه الهم اذا تجلله وركبه ومنه قول نابغة بنى ذبيان

هلا سألت بنى ذبيان ما حسبى * اذا الدخان تغشى الأشمط البرما

يعنى بذلك اذا تجلله وخالطه وانما أخبر الله تعالى ذكره نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم عن الذين كفروا به من أحبار اليهود أنه قد ختم على قلوبهم وطبع عليها فلا يعقلون لله تبارك وتعالى موعظة وعظهم بها فيما آتاهم من علم ما عندهم من كتبه وفيما حدد فى كتابه الذى أوحاه وأنزله الى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وعلى سمعهم فلا يسمعون من محمد صلى الله عليه وسلم نبى الله تحذيرا ولا تذكيرا ولا حجة أقامها عليهم بنبوته فيتذكروا ويحذروا عقاب الله عز وجل فى تكذيبهم اياه مع علمهم بصدقه وصحة أمره وأعلمه مع ذلك أن على أبصارهم غشاوة عن أن يبصروا سبيل الهدى فيعلموا قبح ما هم عليه من الضلالة والردى وبنحو ما قلنا فى ذلك روى الخبر عن جماعة من أهل التأويل حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة أى عن الهدى أن يصيبوه أبدا بغير ما كذبوك به من الحق الذى جاءك من ربك حتى يؤمنوا به وان آمنوا بكل ما كان قبلك حدثنى موسى بن هرون الهمدانى قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدى فى خبر ذكره عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمدانى عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم يقول فلا يعقلون ولا يسمعون ويقول وجعل على أبصارهم غشاوة يقول على أعينهم فلا يبصرون وأما آخرون فانهم كانوا يتأولون أن الذين أخبر الله عنهم من الكفار انه فعل ذلك بهم هم قادة الاحزاب الذين قتلوا يوم بدر حدثنى المثنى بن ابراهيم قال حدثنا اسحق بن الحجاج قال حدثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس قال هاتان الآيتان الى ولهم عذاب عظيم هم الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار وهم الذين قتلوا يوم بدر فلم يدخل من القادة أحد فى الاسلام الا رجلان أبو سفيان ابن حرب والحكم بن أبى العاص وحدثت عن عمار بن الحسن قال حدثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس عن الحسن قال أما القادة فليس فيهم مجيب ولا ناج ولا مهتد وقد دللنا فيما مضى على أولى هذين التأويلين بالصواب فكرهنا اعادته ۞ القول فى تأويل قوله جل ثناؤه (ولهم عذاب عظيم) وتأويل ذلك عندى كما قاله ابن عباس وتأوله حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد ابن أبى محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ولهم بما هم عليه من خلافك عذاب عظيم قال فهذا فى الاحبار من يهود فيما كذبوك به من الحق الذى جاءك من ربك

(السابع) فى فوائد قوله مالك يوم الدين * الاولى من قضية العدالة الفرق بين المحسن والمسئ والمطيع والعاصى والموافق والمخالف ولا يظهر ذلك الا فى يوم الجزاء ان الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره روى أنه يجاء برجل يوم القيامة وينظر فى أحوال نفسه فلا يرى لنفسه حسنة البتة فيأتيه النداء يا فلان ادخل الجنة بعملك فيقول الهى ماذا عملت فيقول الله ألست لما كنت نائما تقلب من جنب الى جنب ليلة كذا فقلت فى خلال ذلك الله ثم غلبك النوم فى الحال فنسيت أما أنا فلا تأخذنى سنة ولا نوم فما نسيت ذلك ويجاء برجل وتوزن حسناته بسيآته فتخف حسناته فتأتيه بطاقة فتثقل ميزانه فاذا فيها شهادة أن لا اله الا الله فلا يثقل مع ذكر الله غيره * واعلم أن حقوق الله تعالى على المسامحة لانه غنى عن العالمين وأما حقوق العباد فهى أولى بالاحتراز عنها روى عن أبى هريرة انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون ما المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع قال ان المفلس من يأتى يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام ويأتى قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم يطرح فى النار (الثانية) من قرأ مالك احتج بوجوه الاول أن فيه حرفا زائدا فيكون ثوابه أكثر الثانى فى القيامة ملوك ولا مالك الا الله الثالث المالكية سبب لاطلاق التصرف والملكية ليست كذلك الرابع العبد أدون حالا من الرعية فيكون القهر فى المالكية أكثر منه فى الملكية الخامس الرعية يمكنهم اخراج أنفسهم عن كونهم رعية لذلك الملك بالاختيار بخلاف المملوك السادس الملك يجب عليه رعاية حال الرعية كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته ولا يجب على الرعية خدمة الملك أما المملوك فيجب عليه خدمة مالكه وأن لا يستقل فى الامر الا باذنه حتى انه لا يصح منه القضاء والامامة والشهادة ويصير مسافرا اذا نوى مولاه السفر ومقيما اذا نوى الاقامة * حجة من قرأ ملك أن كل واحد من أهل البلد يكون مالكا والملك لا يكون الا أعلاهم شأنا وأيضا قل أعوذ برب الناس ملك الناس لم يقرأ

فيه غير ملك فتعين وأيضا الملك أقصر ومالك يلزم منه تطويل الامل فانه يمكن أن يدركه الموت قبل تمام التلفظ به وأجيب بان العزم يقوم مقام الفعل لومات قبل الاتمام كما لو نوى بعد غروب الشمس صوم يوم يجب صومه بخلاف ما لو نوى في النهار عن الغد ثم يتفرع على كل من القراءتين أحكام أما المتفرعة على الاولى فقراءة مالك أرجى من قراءة ملك لان أقصى ما يرجى من الملك العدل والانصاف وأن ينجو الانسان منه رأسا برأس والمالك يطلب العبد منه الكسوة والطعام والتربية والانعام ياعبادي كلكم جائع الا من أطعمته فاستطعموني

بعد معرفتهم * القول في تأويل قوله جل ثناؤه (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين) قال أبو جعفر أما قوله ومن الناس فان في الناس وجهين أحدهما أن يكون جمعا لا واحد له من لفظه وانما واحده انسان وواحدته انسانة والوجه الآخر أن يكون أصله أناس أسقطت الهمزة منها لكثرة الكلام بها ثم دخلتها الالف واللام المعرفتان فأدغمت اللام التي دخلت مع الالف فيها للتعريف في النون كما قيل في لكنا هو الله ربي على ما قد بينا في اسم الله الذي هو الله وقد زعم بعضهم أن الناس لغة غير أناس وانه سمع العرب تصغره نويس من الناس وان الاصل لو كان أناس لقيل في التصغير أنيس فرد الى أصله * وأجمع جميع أهل التأويل على أن هذه الآية نزلت في قوم من أهل النفاق وأن هذه الصفة صفتهم * ذكر بعض من قال ذلك من أهل التأويل بأسمائهم حدثنا محمد بن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يعني المنافقين من الاوس والخزرج ومن كان على أمرهم وقد سمي في حديث ابن عباس هذا أسماؤهم عن أبي بن كعب غير أني تركت تسميتهم كراهة اطالة الكتاب بذكرهم حدثنا الحسين بن يحيى قال أنبأنا عبد الرزاق قال أنبأنا معمر عن قتادة في قوله ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين حتى بلغ فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين قال هذه في المنافقين حدثنا محمد بن عمرو الباهلي قال حدثنا أبو عاصم قال حدثنا عيسى بن ميمون قال حدثنا عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد قال هذه الآية الى ثلاث عشرة في نعت المنافقين حدثني المثنى بن ابراهيم قال حدثنا أبو حذيفة قال حدثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا سفيان قال حدثنا أبي عن سفيان عن رجل عن مجاهد مثله حدثني موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن اسمعيل السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين هم المنافقون حدثني المثنى قال حدثنا اسحق عن ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس في قوله ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر الى فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم قال هؤلاء أهل النفاق حدثنا القاسم قال حدثنا الحسين بن داود قال حدثني حجاج عن ابن جريج في قوله ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين قال هذا المنافق يخالف قوله فعله وسره علانيته ومدخله مخرجه ومشهده مغيبه * وتأويل ذلك أن الله جل ثناؤه لما جمع لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم أمره في دار هجرته واستقر بها قراره وأظهر الله بها كلمته وفشا في دور أهلها الاسلام وقهر بها المسلمون من فيها من أهل الشرك من عبدة الاوثان وذل بها من فيها من أهل الكتاب أظهر أحبار يهودها لرسول الله صلى الله عليه وسلم الضغائن وأبدوا له العداوة والشنآن حسدا وبغيا الا نفرا منهم هداهم الله للاسلام فأسلموا كما قال جل ثناؤه ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق وطابقهم سرا على معاداة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وبغيهم الغوائل قوم من أراهط الانصار

أطعمكم ياعبادي كلكم عار الا من كسوته فاستكسوني أكسكم والملك يطمع فيك والمالك أنت تطمع فيه والملك لا يختار من العسكر الا كل قوي سوي ويترك من كان مريضا عاجزا والمالك ان مرض عبده عالجه وان ضعف أعانه والملك له هيبة وسياسة والمالك له رأفة ورحمة واحتياجنا الى الرأفة والرحمة أشد من احتياجنا الى الهيبة والسياسة وأما المتفرعة على الثانية فانه في الدنيا ملك الملوك قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وفي الآخرة لا ملك الا هو لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وملكه لا يشبه ملك المخلوقين لانهم اذا بذلوا قلت خزائنهم ونفدت ذخائرهم وانه سبحانه كلما كان أكثر عطاء كان أوسع ملكا فان أعطاك عشرة أولاد زاد في ملكه عشرة أعبد ومن لوازم ملكه كمال الرحمة فلهذا اقرن بقوله ملك يوم الدين قوله رب العالمين الرحمن الرحيم ومثله الملك يومئذ الحق للرحمن قل أعوذ برب الناس ملك الناس فمن اتصف بهذه الصفة من ملوك الدنيا صدق عليه أنه ظل الله في الارض الكفر سبب لخراب العالم تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا والطاعة تتضمن صلاح المعاش والمعاد من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم الذين أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون فعلى الناس أن يطيعوا ملوكهم وعلى الملوك أن يطيعوا مالك الملك حتى تنتظم أمور معاشهم ومعادهم لما وصف نفسه بانه ملك يوم الدين أظهر للعالمين كمال عدله بنفي الظلم تارة وما ربك بظلام للعبيد وبثبوت العدل أخرى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا خصلة للملك أعم نفعا وأتم وقعا من أن يكون عادلا ومن هنا تظهر البركة في العالم أو ترتفع ان كان السلطان عادلا أو جائرا

يحكى أن أنوشروان خرج يوما الى الصيد وانقطع عن عسكره واستولى عليه العطش فرأى بستانا فيه رمان فلما دخله قال لصبي فيه أعطني رمانة فأعطاه فعصرها وأخرج منها ماء كثيرا فشربه وأعجبه ذلك فعزم على أن يأخذ ذلك البستان من مالكه ثم قال لذلك الصبي أعطني رمانة أخرى فأعطاه فعصرها فخرج منها ماء قليل فشربه فوجده عفصا فقال أيها الصبي لم صار الرمان هكذا فقال الصبي فلعل ملك البلد عزم على الظلم فلشؤم ظلمه صار هكذا فتاب أنوشروان في قلبه وأناب وقال للصبي أعطني رمانة أخرى فعصرها فوجدها أطيب من الاولى فقال للصبي لم بدلت هذه الحالة فقال لعل الملك تاب عن ظلمه فلما وجد أنوشروان مقالة الصبي مطابقة لاحواله في قلبه تاب بالكلية فكان من ميامن عدله أن ورد في حقه قول نبينا صلى الله عليه وسلم ولدت في زمن الملك العادل * الثالثة كونه مالكا وملكا معناه أنه قادر على ترجيح جانب وجود الممكنات على عدمها وانه قادر على نقلها من صفة الى صفة كما يشاء من غير مانع ولا منازع وعلى قضية الحكمة والعدالة فهو الملك الحق وانه ملك يوم الدين أيضا لان القدرة على احياء الخلق بعد اماتتهم والعلم بتلك الاجزاء المتفرقة من أبدان الناس لا يختص به أحد غيره فاذا كان الحشر والنشر لا يتأتى الا بعلم يتعلق بجميع المعلومات وقدرة تنفذ في كل الممكنات فلا مالك ليوم الدين الا الله فان قيل لا يكون مالكا الا اذا كان المملوك موجودا لكن القيامة غير موجودة فينبغي أن يقال مالك يوم الدين بالتنوين بدليل أنه لو قال أنا قاتل زيد كان اقرارا ولو قال أنا قاتل زيدا كان تهديدا قلنا لما كان قيام القيامة أمرا حقا لا يجوز الاخلال به في الحكمة جعل وجوده كالشئ القائم في الحال ولو قيل من مات فقد قامت قيامته زال السؤال * الرابعة قالت القدرية ان كان الكل من الله فثواب الرجل على ما لم يعمله عبث وعقابه على ما لم يفعله ظلم فيبطل كونه مالكا ليوم الدين قلنا خلق الجنة وخلق أهلا لها وخلق النار وخلق أهلا لها وذلك أن له صفة لطف وصفة قهر كما ينبغي لكل ملك فخلق لكل صفة مظهرا ولا يسئل عما يفعل لان كل سؤال ينقلب فهو باطل * الخامسة في هذه السورة من أسماء الله تعالى خمسة الله الرب الرحمن الرحيم المالك كأنه يقول خلقتك أولا فأنا الله ثم ربيتك بأصناف النعم فأنا الرب ثم عصيت فسترت

الذين آووا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصروه كانوا قد عتوا في شركهم وجاهليتهم قد سمو النا بأسمائهم كرهنا تطويل الكتاب بذكر أسمائهم وأنسابهم وظاهروهم على ذلك في خفاء غير جهار حذار القتل على أنفسهم والسباء من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وركونا الى اليهود لما هم عليه من الشرك وسوء البصيرة بالاسلام فكانوا اذا لقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل الايمان به من أصحابه قالوا لهم حذارا على أنفسهم انا مؤمنون بالله وبرسوله وبالبعث وأعطوهم بألسنتهم كلمة الحق ليدرؤا عن أنفسهم حكم الله فيمن اعتقد ما هم عليه مقيمون من الشرك لو أظهروا بألسنتهم ما هم معتقدوه من شركهم واذا لقوا اخوانهم من اليهود وأهل الشرك والتكذيب بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به فخلوا بهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن فاياهم عنى جل ذكره بقوله ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يعني بقوله تعالى خبرا عنهم آمنا بالله وصدقنا بالله وقد دللنا على أن معنى الايمان التصديق فيما مضى قبل من كتابنا هذا وقوله وباليوم الآخر يعني بالبعث يوم القيامة وانما سمي يوم القيامة اليوم الآخر لانه آخر يوم لا يوم بعده سواه فان قال قائل وكيف لا يكون بعده يوم ولا انقطاع للآخرة ولا فناء ولا زوال قيل ان اليوم عند العرب انما سمي يوما بليلته التي قبله فاذا لم يتقدم النهار ليل لم يسم يوما فيوم القيامة يوم لا ليل له بعده سوى الليلة التي قامت في صبيحتها القيامة فذلك اليوم هو آخر الايام ولذلك سماه الله جل ثناؤه اليوم الآخر ونعته بالعقيم ووصفه بانه يوم عقيم لانه لا ليل بعده * وأما تأويل قوله وما هم بمؤمنين ونفيه عنهم جل ذكره اسم الايمان وقد أخبر عنهم أنهم قد قالوا بألسنتهم آمنا بالله وباليوم الآخر فان ذلك من الله جل وعز تكذيب لهم فيما أخبروا عن اعتقادهم من الايمان والاقرار بالبعث واعلام منه نبيه صلى الله عليه وسلم أن الذي يبدونه له بأفواههم خلاف ما في ضمائر قلوبهم وضد ما في عزائم نفوسهم وفي هذه الآية دلالة واضحة على بطول ما زعمته الجهمية من أن الايمان هو التصديق بالقول دون سائر المعاني غيره وقد أخبر الله جل ثناؤه عن الذين ذكرهم في كتابه من أهل النفاق أنهم قالوا بألسنتهم آمنا بالله وباليوم الآخر ثم نفى عنهم أن يكونوا مؤمنين اذ كان اعتقادهم غير مصدق قيلهم ذلك وقوله وما هم بمؤمنين يعني بمصدقين فيما يزعمون أنهم به مصدقون ۞ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (يخادعون الله والذين آمنوا) قال أبو جعفر وخداع المنافق ربه والمؤمنين اظهاره بلسانه من القول والتصديق خلاف الذي في قلبه من الشك والتكذيب ليدرأ عن نفسه بما أظهر بلسانه حكم الله عز وجل اللازم من كان بمثل حاله من التكذيب لو لم يظهر بلسانه ما أظهر من التصديق والاقرار من القتل والسباء فذلك خداعه ربه وأهل الايمان بالله فان قال قائل وكيف يكون المنافق لله وللمؤمنين مخادعا وهو لا يظهر بلسانه خلاف ما هو له معتقد الا تقية قيل لا تمتنع العرب أن تسمي من أعطى بلسانه غير الذي هو في ضميره تقية لينجو مما هو له خائف فنجا بذلك مما خافه مخادعا لمن تخلص منه بالذي أظهر له من التقية فكذلك المنافق سمي مخادعا لله وللمؤمنين باظهاره ما أظهر بلسانه تقية مما تخلص به من القتل والسباء والعذاب العاجل وهو لغير ما أظهر مستبطن وذلك من فعله وان كان خداعا للمؤمنين في عاجل الدنيا فهو لنفسه بذلك من فعله خادع لانه يظهر لها بفعله ذلك بها أنه

عليك فأنا الرحمن ثم تبت فغفرت لك فأنا الرحيم ثم أجازيك بما عملت فأنا مالك يوم الدين وذكر الرحمن الرحيم مرة في التسمية ومرة أخرى في السورة دليل على أن العناية بالرحمة أكثر منها بسائر الاوصاف ومع ذلك عقبها بقوله مالك يوم الدين كيلا يغتروا بها ونظيره غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب * السادسة الحمد والمدح والتعظيم فيما بين الناس انما يكون لكونه كاملا في ذاته وان لم يكن له احسان اليك واما لكونه محسنا اليك واما رجاء وطمعا في المستقبل

واما خوفا ورهبة فكأنه سبحانه يقول ان كنتم تعظمون للكمال الذاتي فاحمدوني فاني أنا الله وان كنتم تعظمون للاحسان السالف فانا رب العالمين وان كنتم تعظمون للاحسان المترقب فانا الرحمن الرحيم وان كنتم تعظمون رهبة عن العقاب فانا مالك يوم الدين * الثامن في فوائد قوله اياك نعبد الاولى لاشك أن تقديم المفعول مفيد للاختصاص أي لا نعبد أحدا سواك والحاكم فيه الذوق السليم واستحقاق هذا الاختصاص لله تعالى ظاهر لان العبادة عبارة عن نهاية التعظيم فلا تليق الا لمن صدر منه غاية الانعام وهو الله تعالى وذلك أن للعبد أحوالا ثلاثة الماضي والحاضر والمستقبل أما الماضي فقد كان معدوما فاوجده وقد خلقتك من قبل ولم تك شيأ أو من كان ميتا فاحييناه وكنتم أمواتا فأحياكم وكان جاهلا فعلمه أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيأ ثم أسمعه وأبصره وأعقله وجعل لكم السمع والابصار والافئدة فهو اله بهذه المعاني وأما الحاضر فحاجاته كثيرة ووجوه افتقاره غير محصورة من أول عمره الى آخره مع انفتاح أبواب المعصية وانخلاع ربقة الطاعة فهو رب رحمن رحيم من هذه الوجوه وأما المستقبل فأموره المتعلقة بما بعد الموت وانه مالك يوم الدين بهذه الجهة فلا مفزع للعبد في شيء من أحواله الا اليه فلا يستحق عبادة العبد الا هو وأيضا ثبت بالدلائل القاطعة وجوب كونه تعالى عالما قد
قادرا جوادا غنيا حكيما الى غير ذلك من الصفات الكمالية وأما كون غيره من الفلكيات والطبائع والنفوس كذلك فمشكوك فيه وان كنا نجزم بانه لا تأثير لها فوجب طرح المشكوك والاخذ باليقين فلا معبود بالحق الا الله سبحانه وأيضا العبودية ذلة ومهانة فكلما كان المولى أشرف وأعلى كانت العبودية أهنأ وأمرأ ولما كان الله تعالى أشرف الموجودات وأعلاها وأولاها بالصفات العلى فعبوديته

بعطبها أمنيتها ويسقيها كاس سرورها وهو موردها حياض عطبها ومجرعها به كاس عذابها ومذيقها من غضب الله وأليم عقابه ما لا قبل لها به فذلك خديعته نفسه ظنا منه مع اساءته اليها في أمر معادها انه اليها محسن كما قال جل ثناؤه وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون اعلاما منه عباده المؤمنين أن المنافقين باساءتهم الى أنفسهم في اسخاطهم ربهم بكفرهم وشكهم وتكذيبهم غير شاعرين ولا دارين ولكنهم على عمياء من أمرهم مقيمون وبنحو ما قلنا في تأويل ذلك كان ابن زيد يقول حدثني يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال سألت عبد الرحمن بن زيد عن قول الله جل ذكره يخادعون الله والذين آمنوا الى آخر الآية قال هؤلاء المنافقون يخادعون الله ورسوله والذين آمنوا انهم مؤمنون بما أظهروا وهذه الآية من أوضح الدليل على تكذيب الله جل ثناؤه قول الزاعمين ان الله لا يعذب من عباده الا من كفر به عنادا بعد علمه بوحدانيته وبعد تقرر صحة ما عاند ربه تبارك وتعالى عليه من توحيده والاقرار بكتبه ورسله عنده لان الله جل ثناؤه قد أخبر عن الذين وصفهم بما وصفهم به من النفاق وخداعهم اياه والمؤمنين أنهم لا يشعرون انهم مبطلون فيما هم عليه من الباطل مقيمون وأنهم بخداعهم الذي يحسبون أنهم به يخادعون ربهم وأهل الايمان به مخدوعون ثم أخبر تعالى ذكره أن لهم عذابا أليما بتكذيبهم بما كانوا يكذبون من نبوة نبيه واعتقاد الكفر به وبما كانوا يكذبون في زعمهم انهم مؤمنون وهم على الكفر مصرون

* فان قال لنا قائل قد علمت أن المفاعلة لا تكون الا من فاعلين كقولك ضاربت أخاك وجالست أباك اذا كان كل واحد مجالس صاحبه ومضاربه فاما اذا كان الفعل من أحدهما فانما يقال ضربت أخاك وجلست الى أبيك فمن خادع المنافق فجاز أن يقال فيه خادع الله والمؤمنين قيل قد قال بعض المنسوبين الى العلم بلغات العرب ان ذلك حرف جاء بهذه الصورة أعني يخادع بصورة يفاعل وهو بمعنى يفعل في حروف أمثالها شاذة من منطق العرب نظير قولهم قاتلك الله بمعنى قتلك الله وليس القول في ذلك عندي كالذي قال بل ذلك من التفاعل الذي لا يكون الا من اثنين كسائر ما يعرف من معنى يفاعل ومفاعل في كل كلام العرب وذلك أن المنافق يخادع الله جل ثناؤه بكذبه بلسانه على ما قد تقدم وصفه والله تبارك اسمه خادعه بخذلانه عن حسن البصيرة بما فيه نجاة نفسه في آجل معاده كالذي أخبر في قوله ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما وبالمعنى الذي أخبر أنه فاعل به في الآخرة بقوله يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم الآية فذلك نظير سائر ما يأتي من معاني الكلام بيفاعل ومفاعل وقد كان بعض أهل النحو من أهل البصرة يقول لا تكون المفاعلة الا من شيئين ولكنه انما قيل يخادعون الله عند أنفسهم بظنهم أن لا يعاقبوا وقد علموا خلاف ذلك في أنفسهم بحجة الله تبارك اسمه الواقعة على خلقه بمعرفته وما يخدعون الا أنفسهم قال وقد قال بعضهم وما يخدعون يقول يخدعون أنفسهم بالتخلية بها وقد تكون المفاعلة من واحد في أشياء كثيرة * القول في تأويل قوله جل ثناؤه (وما يخدعون الا أنفسهم) ان قال لنا قائل أوليس المنافقون قد خدعوا المؤمنين بما أظهروا بألسنتهم من قيل الحق عن أنفسهم وأموالهم وذراريهم حتى سلمت لهم دنياهم وان كانوا

أولى وأيضا كل ماسوى الواجب الغنى ممكن فقير والفقير مشغول بحاجة نفسه فلا يمكنه افادة غيره فدافع الحاجات هو الله فلا يستحق العبادة الا هو وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه * الثانية تقديم ذكر الله تعالى يورث الخشية والمهابة حتى لا يلتفت فى العبادة يمينا وشمالا بخلاف العكس (يحكى) أن واحدا من المصارعين الاستاذين صارع بعض من هو دونه ولا يعرفه فصرع الاستاذ مرارا فقيل له فلان الاستاذ فانصرع فى الحال وما ذاك الا لاحتشامه بعد عرفانه وأيضا ذكره تعالى أولا مما يورث

العبد قوة يسهل بها عليه ثقل العبودية فوجب تقديمه كما أن من أراد حمل ثقيل يقدم عليه دواء أو غذاء يعينه على ذلك كما أن العاشق يسهل عليه جميع الآلام عند حضور معشوقه وأيضا ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون فالنفس اذا مسها طائف الشيطان من الكسل والغفلة والبطالة طلع لها جلال الله من مشرق اياك نعبد فتصير مبصرة مستعدة لاداء حق العبودية وأيضا ان بدأ بالعبادة فض ابليس قلبه أن المعبود من هو فيلقى فى نفسه وساوس أما اذا غير هذا الترتيب وقال اياك نعبد كان بعيدا عن احتمال الشرك وأيضا الواجب لذاته متقدم فى الوجود فمناسب أن يكون مقدما فى الذكر وأيضا المحققون نظرهم على المعبود لا على العبادة وعلى المنعم لا على النعمة ولهذا قيل لبنى اسرائيل اذكروا نعمتى ولامة محمد اذكرونى فذكر المعبود عندهم أولى من ذكر العبادة * الثالثة النون فى قوله نعبد فيه وجوه من الحكمة منها انه تشريف من الله تعالى للعبد حيث لقنه لفظا ينبئ عن التعظيم والتكريم كقوله حكاية عن نفسه نحن نقص عليك أحسن القصص كانه قال لما أظهرت عبوديتى ولم تستنكف أن تكون عبدا لى جعلناك أمة ان ابراهيم كان أمة ومنها أنه لو قال اياك أعبد كان اخبارا عن كونه عبدا فقط ولما قال اياك نعبد صار معناه انى واحد من عبيدك ولا ريب أن الثانى أدخل فى الادب والتواضع ومنها أن يكون تنبيها على أن الصلاة بالجماعة أولى قال صلى الله عليه وسلم التكبيرة الاولى فى صلاة الجماعة خير من الدنيا وما فيها وههنا نكتة وهى أن الانسان اذا أكل الثوم أو البصل فليس له أن يحضر الجماعة كيلا يتأذى منه جاره واذا كان ثواب الجماعة لا يفى بهذا القدر من الايذاء فكيف يفى بما هو أكثر من ذلك ايذاء المسلمين من الغيبة والتهمة والنميمة والسعاية وسائر

قد كانوا مخدوعين فى أمر آخرتهم قيل خطأ أن يقال انهم خدعوا المؤمنين لانا اذا قلنا ذلك أوجبنا لهم حقيقة خدعة جازت لهم على المؤمنين كما أنا لو قلنا قتل فلان فلانا أوجبنا له حقيقة قتل كان منه لفلان ولكنا نقول خادع المنافقون ربهم والمؤمنين ولم يخدعوهم بل خدعوا أنفسهم كما قال جل ثناؤه دون غيرها نظير ما تقول فى رجل قاتل آخر فقتل نفسه ولم يقتل صاحبه قاتل فلان فلانا ولم يقتل الا نفسه فتوجب له مقاتلة صاحبه وتنفى عنه قتله صاحبه وتوجب له قتل نفسه فكذلك تقول خادع المنافق ربه والمؤمنين ولم يخدع الا نفسه فتثبت منه مخادعة ربه والمؤمنين وتنفى عنه أن يكون خدع غير نفسه لان الخادع هو الذى قد صحت له الخديعة ووقع منه فعلها فالمنافقون لم يخدعوا غير أنفسهم لان ما كان لهم من مال وأهل فلم يكن المسلمون ملكوه عليهم فى حال خداعهم اياهم عنه بنفاقهم ولا قبلها فيستنقذوه بخداعهم منهم وانما دافعوا عنه بكذبهم واظهارهم بألسنتهم غير الذى فى ضمائرهم ويحكم الله لهم فى أموالهم وأنفسهم وذراريهم فى ظاهر أمورهم بحكم ما انتسبوا اليه من الملة والله بما يخفون من أمورهم عالم وانما الخادع من ختل غيره عن شيئه والمخدوع غير عالم بموضع خديعة خادعه فاما والمخادع عارف بخداع صاحبه اياه وغير لاحقه من خداعه اياه مكروه بل انما يتجافى للظان به انه له مخادع استدراجا ليبلغ غاية يتكامل له عليه الحجة للعقوبة التى هو بها موقع عند بلوغه اياها والمستدرج غير عالم بحال نفسه عند مستدرجه ولا عارف باطلاعه على ضميره وان امهال مستدرجه وتركه اياه معاقبته على جرمه ليبلغ المخاتل المخادع من استحقاقه عقوبة مستدرجه بكثرة اساءته وطول عصيانه اياه وكثرة صفح المستدرج وطول عفوه عنه أقصى غاية فانما هو خادع نفسه لا شك دون من حدثته نفسه أنه له مخادع ولذلك نفى الله جل ثناؤه عن المنافق أن يكون خدع غير نفسه اذ كانت الصفة التى وصفنا صفته واذ كان الامر على ما وصفنا من خداع المنافق ربه وأهل الايمان به وانه غير صائر بخداعه ذلك الى خديعة صحيحة الا لنفسه دون غيرها لما يورطها بفعله من الهلاك والعطب فالواجب اذا أن يكون الصحيح من القراءة وما يخدعون الا أنفسهم دون وما يخادعون لان لفظ المخادع غير موجب تثبيت خديعة على صحة ولفظ خادع موجب تثبيت خديعة على صحة ولا شك أن المنافق قد أوجب خديعة الله عز وجل لنفسه بما ركب من خداعه ربه ورسوله والمؤمنين بنفاقه فلذلك وجبت الصحة لقراءة من قرأ وما يخدعون الا أنفسهم ومن الدلالة أيضا على أن قراءة من قرأ وما يخدعون أولى بالصحة من قراءة من قرأ وما يخادعون ان الله جل ثناؤه قد أخبر عنهم انهم يخادعون الله والمؤمنين فى أول الآية فمحال أن ينفى عنهم ما قد أثبت أنهم قد فعلوه لان ذلك تضاد فى المعنى وذلك غير جائز من الله جل وعز * القول فى تأويل قول الله جل ثناؤه (وما يشعرون) يعنى بقوله جل ثناؤه وما يشعرون وما يدرون يقال ما شعر فلان بهذا الامر وهو لا يشعر به اذا لم يدر ولم يعلم شعرا وشعورا كما قال الشاعر

عقوا بسهم ولم يشعر به أحد * ثم استفاؤا وقالوا حبذا الوضح

يعنى بقوله لم يشعر به لم يدر به أحد ولم يعلم فأخبر الله تعالى ذكره عن المنافقين انهم لا يشعرون بان الله خادعهم باملائه لهم واستدراجه اياهم الذى هو من الله جل ثناؤه ابلاغ اليهم فى الحجة والمعذرة ومنهم لانفسهم خديعة ولها فى الآجل مضرة كالذى حدثنى يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن

أنواع الظلم ومنها أن يكون المراد أعبدك والملائكة معي والحاضرون بل جميع عبادك الصالحين ومنها ان المؤمنين اخوة فكأن الله تعالى قال لما أثنيت على بقولك الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين ارتفعت منزلتك عندنا فلا تقتصر على اصلاح حالك بل عليك بالسعي في اصلاح حال جميع اخوانك فقل اياك نعبد واياك نستعين ومنها ان العبد يقول الهي عبادتي مخلوطة بالتقصير واني أخلطها بعبادة جميع العابدين فلا يليق بكرمك أن تميز (٩٤) بين العبادات ولا أن ترد الكل وفيها عبادة الانبياء والاولياء بل الملائكة المقربين وهذا كما أن الرجل اذا باع من غيره عشرة أعبد فالمشترى اما أن يقبل الكل أو يرد الكل وليس له أن يقبل البعض دون البعض في تلك الصفقة . الرابعة من عرف فوائد العبادة طاب له الاشتغال بها وثقل عليه الاشتغال بغيرها لان الكمال محبوب لذاته وأكمل أحوال الانسان اشتغاله بخدمة مولاه فانه يستنير قلبه بنوره ويشرق عليه من جماله ولهذا قد ورد من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار وأيضا التكاليف أمانة انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان وأداء الامانة واجب عقلا وشرعا ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها وأداء الامانات من أحد الجانبين سبب لادائها من الجانب الآخر قال بعض الصحابة أتى أعرابي باب المسجد فنزل عن ناقته وتركها ودخل المسجد وصلى بالسكينة والوقار ودعا بما شاء فتعجبنا فلما خرج لم يجد الناقة فقال الهي أديت أمانتك فأين أمانتي قال الراوى فزدنا تعجبا فلم يمكث حتى جاء رجل على ناقته وقد قطع يده وسلم الناقة اليه وقال صلى الله عليه وسلم لابن عباس يا غلام احفظ الله في الخلوات يحفظك في الفلوات وأيضا الاشتغال بالعبادة انتقال من عالم الغرور الى دار السرور وركون من الخلق الى حضرة الحق وذلك يوجب كمال اللذة والبهجة (يحكى) عن أبي حنيفة أن حية سقطت من السقف وتفرق الناس وهو في الصلاة فلم يشعر به ووقعت الاكلة في بعض أعضاء عبد الله بن الزبير واحتاجوا الى قطع ذلك العضو فقطع وهو في الصلاة ولم يشعر به وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان حين يشرع في الصلاة كانوا يسمعون من صدره أزيزا كأزيز المرجل ومن استبعد فليقرأ قوله تعالى فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن فاذا كان لجمال البشر مثل هذا التأثير فكيف جلال الله وعظمته اذا تجلى على قلب الموحد العابد وقد تحدث الحيرة والدهش عند رؤية بعض السلاطين

وهب قال سألت ابن زيد عن قوله وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون قال ما يشعرون أنهم ضروا أنفسهم بما أسروا من الكفر والنفاق وقرأ قول الله يوم يبعثهم الله جميعا قال هم المنافقون حتى بلغ ويحسبون أنهم على شئ قد كان الايمان ينفعهم عندكم ۞ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (في قلوبهم مرض) واصل المرض السقم ثم يقال ذلك في الاجساد والاديان فاخبر الله جل ثناؤه أن في قلوب المنافقين مرضا وانما عنى تبارك وتعالى بخبره عن مرض قلوبهم الخبر عن مرض ما في قلوبهم من الاعتقاد ولكن لما كان معلوما بالخبر عن مرض القلب أنه معني به مرض ما هم معتقدوه من الاعتقاد استغنى بالخبر عن القلب بذلك والكناية عن تصريح الخبر عن ضمائرهم واعتقاداتهم كما قال عمر بن لجا

وسبحت المدينة لا تلمها * رأت قمرا بسوقهم نهارا

يريد وسبح أهل المدينة فاستغنى بمعرفة السامعين خبره بالخبر عن المدينة عن الخبر عن أهلها ومثله قول عنترة العبسي

هلا سألت الخيل يا ابنة مالك * ان كنت جاهلة بما لم تعلمي

يريد هلا سألت أصحاب الخيل ومنه قولهم يا خيل الله اركبي يراد يا أصحاب خيل الله اركبوا والشواهد على ذلك أكثر من أن يحصيها كتاب وفيما ذكرنا كفاية لمن وفق لفهمه فكذلك معنى قول الله جل ثناؤه في قلوبهم مرض انما يعني في اعتقاد قلوبهم الذي يعتقدونه في الدين والتصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به من عند الله مرض وسقم فاجتزأ بدلالة الخبر عن قلوبهم على معناه عن تصريح الخبر عن اعتقادهم والمرض الذي ذكر الله جل ثناؤه أنه في اعتقاد قلوبهم الذي وصفناه هو شكهم في أمر محمد وما جاء به من عند الله وتحيرهم فيه فلا هم به موقنون ايقان ايمان ولا هم له منكرون انكار اشراك ولكنهم كما وصفهم الله عز وجل مذبذبون بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء كما يقال فلان يمرض في هذا الامر أي يضعف العزم ولا يصحح الروية فيه وبمثل الذي قلنا في تأويل ذلك تظاهر القول في تفسيره من المفسرين * ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قلوبهم مرض أي شك وحدثت عن المنجاب قال حدثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس قال المرض النفاق حدثني موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في قلوبهم مرض يقول في قلوبهم شك حدثني يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال عبد الرحمن بن زيد في قوله في قلوبهم مرض قال هذا مرض في الدين وليس مرضا في الاجساد قال هم المنافقون حدثني المثنى بن ابراهيم قال حدثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك قراءة عن سعيد عن قتادة في قوله في قلوبهم مرض قال في قلوبهم ريبة وشك في أمر الله جل ثناؤه وحدثت عن عمار بن الحسن قال حدثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس في قلوبهم مرض قال هؤلاء أهل النفاق والمرض الذي في قلوبهم الشك في أمر الله تعالى ذكره حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال عبد الرحمن بن زيد ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر حتى بلغ في قلوبهم مرض قال المرض الشك الذي دخلهم في الاسلام ۞ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (فزادهم الله مرضا) قد

دللنا

فكيف اذا كان الوقوف بين يدى رب العالمين * واعلم أن العبادة لها ثلاث درجات لانه اما أن يعبد الله رغبة فى ثوابه أو رهبة من عقابه ويختص
باسم الزاهد حيث يعرض عن متاع الدنيا وطيباتها طمعا فيما هو أشرف منها وأدوم وهذه مرتبة نازلة عند المحققين واما أن يعبد الله تشرفا
بعبادته أو بقبول تكاليفه أو بالانتساب اليه وهذه مرتبة متوسطة وتسمى بالعبودية واما أن يعبد الله لكونه الها ولكونه عبدا له والالهية
توجب العزة والهيبة والعبودية تقتضى الخضوع والذلة وهذه أعلى الدرجات وتسمى بالعبودة واليها الاشارة بقول المصلى أصلى لله
فانه لو قال أصلى لثواب الله أو هربا
من عقابه فسدت صلاته (يحكى)
أن عابدا فى بنى اسرائيل اعتزل
وعبد الله تعالى سبعين سنة فارسل
الله تعالى اليه ملكا فقال ان
عبادتك غير مقبولة فلا تشق على
نفسك ولا تجاهد فأجاب العابد ان
الذى على هو العبودية وانى لا أزال
أفعل ما على فأما القبول وعدم
القبول فموكول الى المعبود فرجع
الملك فقال الله ثم أجاب العابد فقال
أنت أعلم يارب انه قال كذا
وكذا فقال الله تعالى ارجع اليه
وقل له قبلنا طاعتك بسبب ثبات
نيتك والتحقيق أن اثبات نسبة
الامكان هو قصارى مجهود العابدين
ونهاية مطامح أبصار العارفين
وفى العبادة انشراح صدور المؤمنين
وانها عاقبة حال المتقين قال عز من
قائل ولقد نعلم أنك يضيق صدرك
بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن
من الساجدين واعبد ربك حتى
يأتيك اليقين ولان العبودية أشرف
المقامات مدح الله تعالى به نبيه فى
قوله سبحان الذى أسرى بعبده
ليلا وافتخر عيسى بذلك أول ما نطق
فقال انى عبد الله وكان على يقول
كفانى فخرا أن أكون لك
عبدا وكفانى شرفا أن تكون لى
ربا اللهم انى وجدتك الها كما أردت
فاجعلنى عبدا كما أردت ومنهم
من قال العبودية أشرف من
الرسالة فبالعبودية ينصرف من
الخلق الى الحق وبالرسالة ينصرف من الحق الى الخلق وبالعبودية ينعزل عن التصرفات وبالرسالة يقبل على التصرفات ولهذا نال شرف
التقدم فى قول الموحد أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا
الملائكة المقربون (التاسع) فى فوائد قوله واياك نستعين * الاولى لا شك أن للعبد قدرة بها يتمكن من الفعل والترك وانما يحصل الرجحان
بمرجح ولو كان ذلك المرجح من عند العبد عاد التقسيم فلا بد أن ينتهى الى الله تعالى وأيضا كل الخلائق يطلبون طريق الحق مع استوائهم

دللنا آنفا على أن تأويل المرض الذى وصف الله جل ثناؤه انه فى قلوب المنافقين هو الشك فى
اعتقادات قلوبهم وأديانهم وما هم عليه فى أمر محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر نبوته وما
جاء به مقيمون فالمرض الذى أخبر الله جل ثناؤه عنهم أنه زادهم على مرضهم هو نظير ما كان
فى قلوبهم من الشك والحيرة قبل الزيادة فزادهم الله بما أحدث من حدوده وفرائضه التى لم يكن
فرضها قبل الزيادة التى زادها المنافقين من الشك والحيرة اذ شكوا وارتابوا فى الذى أحدث لهم من
ذلك الى المرض والشك الذى كان فى قلوبهم فى السالف من حدوده وفرائضه التى كان فرضها قبل
ذلك كما زاد المؤمنين به الى ايمانهم الذى كانوا عليه قبل ذلك بالذى أحدث لهم من الفرائض والحدود
اذ آمنوا به الى ايمانهم بالسالف من حدوده وفرائضه ايمانا كالذى قال جل ثناؤه فى تنزيله واذا
ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه ايمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون
وأما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون فالزيادة التى زيدها
المنافقون من الرجاسة الى رجاستهم هو ما وصفنا والزيادة التى زيدها المؤمنون الى ايمانهم هو ما بينا
وذلك هو التأويل المجمع عليه * ذكر بعض من قال ذلك من أهل التأويل حدثنا ابن حميد قال
حدثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير
عن ابن عباس فزادهم الله مرضا قال شكا حدثنى موسى بن هرون قال أخبرنا عمرو بن حماد قال
حدثنا أسباط عن السدى فى خبر ذكره عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمدانى
عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فزادهم الله مرضا يقول فزادهم الله
ريبة وشكا حدثنى المثنى بن ابراهيم قال حدثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك قراءة عن سعيد
عن قتادة فزادهم الله مرضا يقول فزادهم الله ريبة وشكا فى أمر الله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن
وهب قال قال ابن زيد فى قول الله فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا قال زادهم رجسا وقرأ قول
الله عز وجل فأما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون وأما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم
رجسا الى رجسهم قال شرا الى شرهم وضلالة الى ضلالتهم وحدثت عن عمار بن الحسن قال حدثنا
ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فزادهم الله مرضا قال زادهم الله شكا (القول فى تأويل قوله جل
ثناؤه) (ولهم عذاب أليم) قال أبو جعفر والاليم هو الموجع ومعناه ولهم عذاب مؤلم فصرف مؤلم الى
أليم كما يقال ضرب وجيع بمعنى موجع والله بديع السموات والارض بمعنى مبدع ومنه قول عمرو
ابن معديكرب الزبيدى

أمن ريحانة الداعى السميع * يؤرقنى وأصحابى هجوع

بمعنى المسمع ومنه قول ذى الرمة

ويرفع من صدور شمردلات * يصد وجوهها وهج أليم

ويروى يصك وانما الاليم صفة للعذاب كأنه قال ولهم عذاب مؤلم وهو مأخوذ من الالم والالم الوجع
كما حدثنى المثنى قال حدثنا اسحق قال حدثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قال الاليم
الموجع حدثنا يعقوب قال حدثنا هشيم قال أخبرنا جويبر عن الضحاك قال الاليم الموجع
وحدثت عن المنجاب بن الحارث قال حدثنا بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك فى قوله أليم
قال هو العذاب الموجع وكل شئ فى القرآن من الأليم فهو الموجع (القول فى تأويل قوله جل

في القدرة والعقل والجد والطلب ولا يفوز به الا بعضهم فليس ذلك الا باعانة الحق وأيضا قد يطلب الانسان حاجة من غيره ويدافعه مدة مديدة ثم يقضي حاجته فالقاء تلك الداعية في القلب ليس الا من الله فثبت أنه لا حول عن معصية الله الا بعصمة الله ولا قوة على طاعة الله الا بتوفيق الله وتظهر فائدة الاستعانة في انه ربما جعل الله تعالى ذلك واسطة الى نيل المطلوب كالشبع الحاصل عقيب أكل الطعام ونحوه فيسقط اعتراض الجبري والقدري فافهم * الثانية لقائل أن يقول الاستعانة على العمل انما تحسن قبل الشروع فيه لا بعده فهلا قدمت الاستعانة على ذكر العبادة والجواب كأنه يقول شرعت في العبادة فأستعين بك على اتمامها حتى لا تمنعني مانع ولا يعارضني صارف فان قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن وأيضا ان قبل الاستعانة مطلقة تتناول كل مستعان فيه فذكر العبادة كالوسيلة الى طلب الاعانة على الحوائج وتقديم الوسيلة مناسب * الثالثة لا أريد بالاعانة غيرك اقتداء بالخليل صلى الله عليه وسلم حيث قيد نمروذ يديه ورجليه ورماه الى النار فجاءه جبرائيل وقال هل لك حاجة فقال له أما اليك فلا قال فاسأل الله قال حسبي من سؤالي علمه بحالي وههنا نكتة وهي أن المؤمن في الصلاة مقيدة رجلاه عن المشي ويداه عن البطش ولسانه الا عن القراءة والذكر فكما أن الله قال يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم فكذلك تقول له نار جهنم جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي * الرابعة لا أستعين غيرك لان الغير لا يمكنه اعانتي الا اذا أعنته فأنا أقطع الواسطة ولا أنظر الا الى اعانتك * الخامسة اياك نعبد تورث العجب بالعبادة فأردفه بقوله واياك نستعين لازالة ذلك * السادسة ههنا مقامان معرفة الربوبية ومعرفة العبودية وعند اجتماعهما يحصل الربط المذكور في قوله أوفوا بعهدي أوف بعهدكم أما معرفة الربوبية فكمالها مذكور في قوله الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين فانتقال العبد من العدم السابق الى الوجود يدل على كونه الها وحصول لم الفوائد للعبد حال وجوده يدل على كونه ربا رحمانا رحيما وأحوال معاده تدل على انه مالك يوم الدين وأما معرفة العبودية فبدؤها اياك نعبد وكمالها واياك نستعين في جميع المطالب واذا تم الوفاء بالعهدين ترتبت عليه الثمرة وهو قوله اهدنا الى آخره وهذا ترتيب لا يتصور أحسن منه * السابعة في الالتفات الوارد في السورة وجوه منها أن المصلي كان أجنبيا عند الشروع في الصلاة فلا جرم أثنى على الله بالالفاظ الغائبة

ثناؤه (بما كانوا يكذبون) اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأه بعضهم بما كانوا يكذبون مخففة الذال مفتوحة الياء وهي قراءة معظم أهل الكوفة وقرأه آخرون يكذبون بضم الياء وتشديد الذال وهي قراءة معظم أهل المدينة والحجاز والبصرة وكأن الذين قرؤا ذلك بتشديد الذال وضم الياء رأوا أن الله جل ثناؤه انما أوجب للمنافقين العذاب الاليم بتكذيبهم نبيهم محمدا صلى الله عليه وسلم وبما جاء به وان الكذب لولا التكذيب لا يوجب لأحد اليسير من العذاب فكيف بالاليم منه وليس الامر في ذلك عندي كالذي قالوا وذلك أن الله عز وجل أنبأ عن المنافقين في أول النبائهم في هذه السورة بانهم يكذبون بدعواهم الايمان واظهارهم ذلك بألسنتهم خداعا لله عز وجل ولرسوله وللمؤمنين فقال ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا بذلك من قيلهم مع استسرارهم الشك والريبة وما يخدعون بصنيعهم ذلك الا أنفسهم دون رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وما يشعرون بموضع خديعتهم أنفسهم واستدراج الله عز وجل اياهم باملائه لهم في قلوبهم شك أي نفاق وريبة والله زائدهم شكا وريبة بما كانوا يكذبون الله ورسوله والمؤمنين بقولهم بألسنتهم آمنا بالله وباليوم الآخر وهم في قيلهم ذلك كذبة لاستسرارهم الشك والمرض في اعتقادات قلوبهم في أمر الله وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم فأولى في حكمة الله جل جلاله أن يكون الوعيد منه لهم على ما افتتح به الخبر عنهم من قبيح أفعالهم وذميم أخلاقهم دون ما لم يجر له ذكر من أفعالهم اذ كان سائر آيات تنزيله بذلك نزل وهو أن يفتتح ذكر محاسن أفعال قوم ثم يختم ذلك بالوعد على ما افتتح به ذكره من أفعالهم ويفتتح ذكر مساوي أفعال آخرين ثم يختم ذلك بالوعيد على ما ابتدأ به ذكره من أفعالهم فكذلك الصحيح من القول في الآيات التي افتتح فيها ذكر بعض مساوي أفعال المنافقين أن يختم ذلك بالوعيد على ما افتتح به ذكره من قبائح أفعالهم فهذا مع دلالة الآية الاخرى على صحة ما قلنا وشهادتها بان الواجب من القراءة ما اخترنا وأن الصواب من التأويل ما تأولنا من أن وعيد الله المنافقين في هذه الآية العذاب الاليم على الكذب الجامع معنى الشك والتكذيب وذلك قول الله تبارك وتعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله انهم ساء ما كانوا يعملون والآية الاخرى في المجادلة اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله فلهم عذاب مهين فأخبر جل ثناؤه أن المنافقين بقيلهم ما قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم مع اعتقادهم فيه ما هم معتقدون كاذبون ثم أخبر تعالى ذكره أن العذاب المهين لهم على ذلك من كذبهم ولو كان الصحيح من القراءة على ما قرأه القارؤن في سورة البقرة ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون لكانت القراءة في السورة الاخرى والله يشهد ان المنافقين لمكذبون ليكون الوعيد لهم الذي هو عقيب ذلك وعيدا على التكذيب لا على الكذب وفي اجماع المسلمين على أن الصواب من القراءة في قوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون بمعنى الكذب وان ايعاد الله تبارك وتعالى فيه المنافقين العذاب الاليم على ذلك من كذبهم أوضح الدلالة على أن الصحيح من القراءة في سورة البقرة بما كانوا يكذبون بمعنى الكذب وان الوعيد من الله تعالى ذكره للمنافقين فيها على الكذب حق لا على التكذيب الذي

لم يجرله ذكر نظير الذى فى سورة المنافقين سواء وقد زعم بعض نحويى البصرة أن ما من قول الله تبارك اسمه بما كانوا يكذبون اسم للمصدر كما أن أن والفعل اسمان للمصدر فى قولك أحب أن تأتينى وان المعنى انما هو بكذبهم وتكذيبهم قال وأدخل كان ليخبر أنه كان فيما مضى كما يقال ما أحسن ما كان عبد الله فانت تعجب من عبد الله لا من كونه وانما وقع التعجب فى اللفظ على كونه وكان بعض نحويى الكوفة ينكر ذلك من قوله ويستخطئه ويقول انما ألغيت كان فى التعجب لان الفعل قد تقدمها فكانه قال حسنا كان زيد وحسن كان زيد يبطل كان ويعمل مع الاسماء والصفات التى بالفاظ الاسماء اذا جاءت قبل كان ووقعت كان بينها وبين الاسماء وأما العلة فى ابطالها اذا أبطلت فى هذه الحال فشبه الصفات والاسماء بفعل ويفعل اللتين لا يظهر عمل كان فيهما ألا ترى أنك تقول يقوم كان زيد ولا يظهر عمل كان فى يقوم وكذلك قام كان زيد فلذلك أبطل عملها مع فاعل تمثيلا بفعل ويفعل وأعملت مع فاعل أحيانا لانه اسم كما تعمل فى الاسماء فاما اذا تقدمت كان الاسماء والافعال وكان الاسم والفعل بعدها فخطأ عنده أن تكون كان مبطلة فلذلك أحال قول البصرى الذى حكيناه وتأول قول الله عز وجل بما كانوا يكذبون أنه بمعنى الذى يكذبونه ۞ القول فى تاويل قوله جل ثناؤه (واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الارض) اختلف أهل التأويل فى تأويل هذه الآية فروى عن سلمان الفارسى أنه كان يقول لم يجئ هؤلاء بعد حدثنا أبو كريب قال حدثنا عثام بن على قال حدثنا الاعمش قال سمعت المنهال بن عمرو يحدث عن عباد بن عبد الله عن سلمان قال ما جاء هؤلاء بعد الذين اذا قيل لهم لا تفسدوا فى الارض قالوا انما نحن مصلحون حدثنى أحمد ابن عثمان بن حكيم قال حدثنا عبد الرحمن بن شريك قال حدثنا أبى قال حدثنى الاعمش عن زيد بن وهب وغيره عن سلمان أنه قال فى هذه الآية واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الارض قالوا انما نحن مصلحون قال ما جاء هؤلاء بعد وقال آخرون بما حدثنى به موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدى فى خبر ذكره عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمدانى عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الارض قالوا انما نحن مصلحون هم المنافقون أما لا تفسدوا فى الارض فان الفساد هو الكفر والعمل بالمعصية وحدثت عن عمار بن الحسن قال حدثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الارض يقول لا تعصوا فى الارض قال فكان فسادهم على أنفسهم ذلك معصية الله جل ثناؤه لان من عصى الله فى الارض أو أمر بمعصيته فقد أفسد فى الارض لان اصلاح الارض والسماء بالطاعة وأولى التأويلين بالآية تأويل من قال ان قول الله تبارك اسمه واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الارض قالوا انما نحن مصلحون نزلت فى المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وان كان معنيا بها كل من كان بمثل صفتهم من المنافقين بعدهم الى يوم القيامة وقد يحتمل قول سلمان عند تلاوة هذه الآية ما جاء هؤلاء بعد أن يكون قاله بعد فناء الذين كانوا بهذه الصفة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرا منه عمن

الى قوله مالك يوم الدين ثم الله تعالى كانه يقول حمدتنى وأقررت بانى اله رب العالمين رحمن رحيم مالك يوم الدين فنعم العبد أنت يا عبد رفعنا الحجاب وأبدلنا البعد بالقرب فتكلم بالمخاطبة وقل اياك نعبد ومنها انه لما ذكر الحقيق بالحمد وأجرى عليه تلك الصفات العظام من كونه ربا لا يخرج شئ من ملكوته منعما على الخلق بانواع النعم جلائلها ودقائقها مالكا للامر كله فى العاقبة تعلق العلم بمعلوم عظيم الشان حقيق بغاية الخضوع والاستعانة فى المهام نحو طب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات فقيل اياك يا من هذه صفاته نخص بالعبادة والاستعانة ليكون الخطاب أدل على أن العبادة له لذلك التميز الذى لا تحق العبادة الا به ومنها أن الدعاء بالحضور أولى كما أن الثناء فى الغيبة أوقع وأحرى وهكذا فعل الانبياء عليهم السلام ربنا ظلمنا أنفسنا رب هب لى حكما رب زدنى علما رب أرنى رب لا تذرنى فردا وأنت خير الوارثين ومنها أنه اذا شرع فى الصلاة نوى القربة فاثنى على الله بما هو أهله فاستجاب الله دعاءه فى تحصيل تلك القربة ونقله الى مقام الحضور من مقام الغيبة (الثامنة) اعلم أن المشركين طوائف منهم من اتخذ الهه من الاجسام المعدنية كالحجر والذهب والفضة والنحاس ومنهم من اتخذه من النبات كالشجر المعين ومنهم من اتخذه من الانسان كعبدة المسيح وعزير ومنهم من اتخذه من الاجسام البسيطة اما السفلية كعبدة النار وهم المجوس أو العلوية كعبدة الشمس والقمر وسائر الكواكب ومنهم من قال مدبر العالم نور وظلمة وهم الثنوية ومنهم من قال الملائكة عبارة عن الارواح الفلكية ولكل اقليم روح من الارواح الفلكية يدبره وكذا لكل نوع من أنواع هذا العالم فيتخذون لتلك الارواح صورا وتماثيل ويعبدونها وهم عبدة الملائكة ومنهم من قال للعالم الهان أحدهما خير وهو الله والآخر شرير وهو ابليس اذا عرفت ذلك فنقول قد مر أن الحمد لله يتضمن التسبيح له وسائر الصفات منبئة عن سبب اثبات جميع أنواع الحمد له واياك نعبد يدل على التوحيد المحض والبراءة من كل ما يعبد من دون الله وان الله أكبر من جميع المعبودين فيقوم مقام قوله لا اله الا الله والله أكبر واياك نستعين يدل على قوله لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فثبت أن سورة الفاتحة مشتملة الى هنا على الذكر المشهور سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله

والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم * العاشر في فوائد قوله اهدنا الصراط المستقيم الاولى سئل ان طلب الهداية من المؤمن وهو مهدي تحصيل للحاصل وأجيب بأن المراد منه صراط الاولين في تحمل ما يشق وكان تحمل المشاق العظيمة لاجل مرضاة الله تعالى يحكى أن نوحا عليه السلام كان يضرب في كل يوم مرات بحيث يغشى عليه وكان يقول اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون وأيضا ان في كل خلق من الاخلاق طرفي افراط وتفريط هما مذمومان والحق هو الوسط والصواب فالمؤمن بعد أن عرف الله بالدليل صار مهتديا لكنه لا بد مع ذلك من حصول الملكات والاخلاق الفاضلة التي هي وسط بين الطرفين ومستقيم بين المنحرفين ففي القوة الشهوية طرف الافراط فجور وطرف التفريط خمود وهما مذمومان والوسط وهو استعمالها في مواضعها على قضية العدالة والشريعة محمود وهو العفة وكذا في القوة الغضبية طرفا التهور والجبن مذمومان والوسط وهو الشجاعة محمود وفي القوة النفسانية الجربزة والبله مذمومان والوسط وهو الحكمة محمود وبالجملة فانه يحصل من توسط استعمال القوة الشهوية الحياء والرفق والصبر والقناعة والورع والحرية والسخاء ومن توابع السخاء الكرم والايثار والعفو والمروءة والمسامحة ويلزم من توسط استعمال القوة الغضبية كبر النفس وعلو الهمة والثبات والحلم والسكون والتحمل والتواضع والحمية والرقة ومن توسط استعمال القوة النطقية الذكاء وسرعة الفهم وصفاء الذهن وسهولة التعلم وحسن التعقل والتحفظ والتذكر ويحصل من كمال التوسط في القوى الثلاث كمال العدالة ويتبعها الصداقة والالفة والوفاء والشفقة وصلة الرحم والمكافأة وحسن الشركة والتسليم والتوكل وتعظيم المعبود الحق وملائكته وأنبيائه وأولي الامر والانقياد لاوامرهم ونواهيهم والتقوى تكمل هذه المعاني وتتممها من

ولان القوة النطقية ذاتية للانسان والشهوية والغضبية حصلتا له بواسطة التعلق البدني فكمال التوسط في النطقية أن يستعملها بحيث لا يمكن أن يدمنها وكمال التوسط في الأخريين أن يستعملها بحيث لا يمكن أقل من ذلك ليفضي الى تحصيل سعادة الدارين وأيضا العلم النظري يقبل الزيادة بمعنى تواصل أوقاته وقلة الفترات وبمعنى زيادة الادلة فليس من علم بدليل كمن علم بأدلة فلا موجود من أقسام

جاء منهم بعدهم ولما يجئ بعد لأنه عنى انه لم يمض ممن هذه صفته أحد وانما قلنا أولى التأويلين بالآية ما ذكرنا لاجماع الحجة من أهل التأويل على أن ذلك صفة من كان بين ظهراني أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنافقين وأن هذه الآيات فيهم نزلت والتأويل المجمع عليه أولى بتأويل القرآن من قول لا دلالة على صحته من أصل ولا نظير والافساد في الارض العمل فيها بما نهى الله جل ثناؤه عنه وتضييع ما أمر الله بحفظه فذلك جملة الافساد كما قال جل ثناؤه في كتابه مخبرا عن قيل ملائكته قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء يعنون بذلك أتجعل في الأرض من يعصيك ويخالف أمرك فكذلك صفة أهل النفاق مفسدون في الارض بمعصيتهم فيها ربهم وركوبهم فيها ما نهاهم عن ركوبه وتضييعهم فرائضه وشكهم في دين الله الذي لا يقبل من أحد عملا الا بالتصديق به والايقان بحقيته وكذبهم المؤمنين بدعواهم غير ما هم عليه مقيمون من الشك والريب وبمظاهرتهم أهل التكذيب بالله وكتبه ورسله على أولياء الله اذا وجدوا الى ذلك سبيلا فذلك افساد المنافقين في أرض الله وهم يحسبون أنهم بفعلهم ذلك مصلحون فيها فلم يسقط الله جل ثناؤه عنهم عقوبته ولا خفف عنهم أليم ما أعد من عقابه لاهل معصيته بحسبانهم أنهم فيما أتوا من معاصي الله مصلحون بل أوجب لهم الدرك الاسفل من ناره والاليم من عذابه والعار العاجل بسب الله اياهم وشتمه لهم فقال تعالى ألا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون وذلك من حكم الله جل ثناؤه فيهم أدل الدليل على تكذيبه تعالى قول القائلين ان عقوبات الله لا يستحقها الا المعاند ربه فيما لزمه من حقوقه وفروضه بعد علمه وثبوت الحجة عليه بمعرفته بلزوم ذلك اياه ۞ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (قالوا انما نحن مصلحون) وتأويل ذلك كالذي قاله ابن عباس الذي حدثنا به محمد بن حميد قال حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن اسحق عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قوله انما نحن مصلحون أي قالوا انما نريد الاصلاح بين الفريقين من المؤمنين وأهل الكتاب وخالفه في ذلك غيره حدثنا القاسم بن الحسن قال حدثنا الحسين بن داود قال حدثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قال اذا ركبوا معصية الله فقيل لهم لا تفعلوا كذا وكذا قالوا انما نحن على الهدى مصلحون قال أبو جعفر وأي الامرين كان منهم في ذلك أعني في دعواهم أنهم مصلحون فهم لا شك أنهم كانوا يحسبون أنهم فيما أتوا من ذلك مصلحون فسواء بين اليهود والمسلمين كانت دعواهم الاصلاح أو في أديانهم وفيما ركبوا من معصية الله وكذبهم المؤمنين فيما أظهروا لهم من القول وهم لغير ما أظهروا مستبطنون لانهم كانوا في جميع ذلك من أمرهم عند أنفسهم محسنين وهم عند الله مسيئون ولامر الله مخالفون لان الله جل ثناؤه قد كان فرض عليهم عداوة اليهود وحربهم مع المسلمين وألزمهم التصديق برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما جاء به من عند الله كالذي ألزم من ذلك المؤمنين فكان لقاؤهم اليهود على وجه الولاية منهم لهم وشكهم في نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيما جاء به أنه من عند الله أعظم الفساد وان كان ذلك كان عندهم اصلاحا وهدى في أديانهم أو فيما بين المؤمنين واليهود فقال جل ثناؤه فيهم ألا انهم هم المفسدون دون الذين ينهونهم

الممكنات الاوفيه دلالة على وجود الله وعلمه وقدرته وجوده ورحمته وحكمته وربما صح دين الانسان بالدليل الواحد وبقي غافلا عن سائر الدلائل فكأنه يقول عرّفنا الهنا ما في كل شيء من كيفية دلالته على ذاتك وصفاتك وعلمك وقدرتك وأيضا قد يراد بالصراط المستقيم الاقتداء بالانبياء وهو أن يكون الانسان معرضا عما سوى الله مقبلا بكلية قلبه وفكره وذكره على الله حتى لو أمر بذبح ولده لأطاع كالخليل ولو أمر أن يذبح لانقاد كاسمعيل ولو أمر بالقاء نفسه في البحر امتثل

كيونس ولو أمر بتلمذة من هو أعلم منه بعد بلوغه أعلى منصب ائتمر كموسى مع الخضر وعن خباب قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا ألا تستنصر لنا ألا تدعو لنا فقال قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الارض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه ويجعل نصفين ويمشط بامشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه وأيضا كأن العبد يقول الاحباب يدعونني الى طريق والاعداء الى طريق ثان والشيطان الى ثالث وكذا القول في الشهوة والغضب والاعتقادات والآراء والعقل ضعيف والعمر قصير والقضاء عسير فاهدنا في هذا الطريق السوي الذي لا أزيغ به * حكي عن ابراهيم بن أدهم أنه كان يسير الى بيت الله فاذا أعرابي على ناقة له فقال يا شيخ الى أين فقال الى بيت الله قال كأنك مجنون لا أرى لك مركبا ولا زادا والسفر طويل فقال ابراهيم ان لي مراكب كثيرة ولكنك لا تراها قال وما هي قال اذا نزلت عليّ بلية ركبت مركب الصبر واذا أسديت الي نعمة ركبت مركب الشكر واذا ألم بي القضاء ركبت مركب الرضا واذا دعتني النفس الى شيء علمت أن ما بقي من العمر أقل مما مضى فقال الاعرابي سر باذن الله فأنت الراكب وأنا الراجل وقيل الصراط القرآن أو الاسلام وليس بشيء اذ يصير المعنى اهدنا صراط المتقدمين مع أنه لم يكن لهم قرآن ولا اسلام اللهم الا أن يراد أصول هذه الشريعة وقوانينها كما قال فبهداهم اقتده وعن علي كرم الله وجهه ثبتنا على الهداية كقوله ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا فكم من عالم يزل ومهتد يضل وفي اختيار لفظ الصراط دون الطريق أو السبيل تذكر الصراط الذي هو الجسر الممدود بين طرفي جهنم سهل الله تعالى علينا عبوره وورده الثانية انما قيل اهدنا بلفظ الجمع لان الدعاء متى كان أعم كان الى

من المؤمنين عن الافساد في الارض ولكن لا يشعرون ۞ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (ألا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون) وهذا القول من الله جل ثناؤه تكذيب للمنافقين في دعواهم اذا أمروا بطاعة الله فيما أمرهم الله به ونهوا عن معصية الله فيما نهاهم الله عنه قالوا انما نحن مصلحون لا مفسدون ونحن على رشد وهدى فيما أنكرتموه علينا دونكم لا ضالون فكذبهم الله عز وجل في ذلك من قيلهم فقال ألا انهم هم المفسدون المخالفون أمر الله عز وجل المتعدون حدوده الراكبون معصيته التاركون فروضه وهم لا يشعرون ولا يدرون أنهم كذلك لا الذين يأمرونهم بالقسط من المؤمنين وينهونهم عن معاصي الله في أرضه من المسلمين ۞ القول في تأويل قول الله جل ثناؤه (واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس) قال أبو جعفر وتأويل قوله واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس يعني واذا قيل لهؤلاء الذين وصفهم الله ونعتهم بأنهم يقولون آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين صدقوا بمحمد وبما جاء به من عند الله كما صدق به الناس ويعني بالناس المؤمنين الذين آمنوا بمحمد ونبوته وما جاء به من عند الله كما حدثنا أبو كريب قال حدثنا عثمان ابن سعيد عن بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس في قوله واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس يقول واذا قيل لهم صدقوا كما صدق أصحاب محمد قالوا انه نبي ورسول وان ما أنزل عليه حق وصدقوا بالآخرة وأنكم مبعوثون من بعد الموت وانما أدخلت الالف واللام في الناس وهم بعض الناس لا جميعهم لانهم كانوا معروفين عند الذين خوطبوا بهذه الآية بأعيانهم وانما معناه آمنوا كما آمن الناس الذين تعرفونهم من أهل اليقين والتصديق بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند الله وباليوم الآخر فلذلك أدخلت الالف واللام فيه كما أدخلتا في قوله الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم لانه أشير بدخولها الى ناس معروفين عند من خوطب بذلك ۞ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء) قال أبو جعفر والسفهاء جمع سفيه كالعلماء جمع عليم والحكماء جمع حكيم والسفيه الجاهل الضعيف الرأي القليل المعرفة بمواضع المنافع والمضار ولذلك سمى الله عز وجل النساء والصبيان سفهاء فقال تعالى ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما فقال عامة أهل التأويل هم النساء والصبيان لضعف آرائهم وقلة معرفتهم بمواضع المصالح والمضار التي تصرف اليها الاموال وانما عنى المنافقون بقيلهم أنؤمن كما آمن السفهاء اذ دعوا الى التصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به من عند الله والاقرار بالبعث فقال لهم آمنوا كما آمن أصحاب محمد وأتباعه من المؤمنين المصدقين به أهل الايمان واليقين والتصديق بالله وبما افترض عليهم على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وفي كتابه وباليوم الآخر فقالوا اجابة لقائل ذلك لهم أنؤمن كما آمن أهل الجهل ونصدق بمحمد صلى الله عليه وسلم كما صدق به هؤلاء الذين لا عقول لهم ولا افهام كالذي حدثني موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء يعنون أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم حدثني المثنى بن ابراهيم قال حدثنا اسحق بن الحجاج قال حدثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه

الاجابة أقرب ولهذا قال بعض العلماء لتلميذه اذا قلت قبل القراءة رضى الله عنك وعن جماعة المسلمين فاياك وأن تنسانى فى قولك وعن جماعة المسلمين فان ذلك أوقع عندى من قولك رضى الله عنك لان هذا تخصيص بالدعاء ويجوز أن لا يقبل وأما قولك وعن المسلمين فانه أرجى لانه لا بد أن يكون فى المسلمين من يستحق الاجابة واذا أجاب الله دعاء فى البعض فهو أكرم من أن يرده فى الباقى ومن هنا ورد فى السنة أن يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم قبل كل دعاء (١٠٠) و بعده لان الدعاء فى الطرفين مستجاب البتة لانه فى حق النبى صلى الله عليه وسلم فيستجاب الوسط بتبعية ذلك لامحالة وأيضا قال صلى الله عليه وسلم ادعوا الله بألسنة ما عصيتموه بها قالوا يارسول الله ومن لنا بتلك الألسنة قال يدعو بعضكم لبعض لانك ما عصيت بلسانه وهو ما عصى بلسانك وأيضا الحمد لله شامل لحمد جميع الحامدين واياك نعبد لعبادة الجميع واياك نستعين لاستعانة الكل فلا جرم لما طلب الهداية طلبها للكل كما طلب الاقتداء بالصالحين جميعا فى قوله صراط الذين أنعمت عليهم والفرار من الطالحين جميعا فى قوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين واذا كان كذلك فى الدنيا رجى أن يكون كذلك فى الآخرة ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا الثالثة الخط المستقيم أقرب خط يصل بين النقطتين والعبد عاجز فلا يليق بضعفه الا الطريق المستقيم وأيضا المستقيم واحد وما سواه معوجة يشبه بعضها بعضا فى الاعوجاج فكان أبعد من الخوف وأقرب الى الخلاص وأيضا ميل الطباع الى الاستقامة أكثرى فلهذه الاسباب سئل الصراط المستقيم * الحادى عشر فى فوائد قوله صراط الذين أنعمت عليهم * الاولى حد النعمة بأنها المنفعة المفعولة على جهة الاحسان الى الغير لانه لو قصد الفاعل منفعة نفسه أو لا على جهة الاحسان لم يكن نعمة فلا يستحق الشكر ثم نقول كل ما يصل الى الخلق من نفع أو دفع ضر فهو من الله تعالى لقوله وما بكم من نعمة فمن الله ولان الواصل من جهة غير الله ينتهى اليه أيضا لانه الخالق لتلك النعمة وكذلك للمنعم ولداعية ذلك الانعام فيه والنعم الواصلة الينا لما تناهى أيضا من الله تعالى لانها بتوفيقه واعانته بأن أتاح الاسباب وأزاح الاعذار وأول نعمة من الله تعالى على عبده نعمة الحياة التى بها يمكن الانتفاع بالمنافع

عن الربيع بن أنس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء يعنون أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حدثنى يونس بن عبد الأعلى قال أنبأنا ابن وهب قال حدثنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فى قوله قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء قال هذا قول المنافقين يريدون أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم حدثنا أبو كريب قال حدثنا عثمان بن سعيد عن بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء يقولون أنقول كما تقول السفهاء يعنون أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لخلافهم لدينهم ۞ القول فى تأويل قوله جل ثناؤه (ألا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون) قال أبو جعفر وهذا خبر من الله تعالى عن المنافقين الذين تقدم نعته لهم ووصفه اياهم بما وصفهم به من الشك والتكذيب أنهم هم الجهال فى أديانهم الضعفاء الآراء فى اعتقاداتهم واختياراتهم التى اختاروها لانفسهم من الشك والريب فى أمر الله وأمر رسوله وأمر نبوته وفيما جاء به من عند الله وأمر البعث لاساءتهم الى أنفسهم بما أتوا من ذلك وهم يحسبون أنهم اليها يحسنون وذلك هو عين السفه لان السفيه انما يفسد من حيث يرى أنه يصلح و يضيع من حيث يرى أنه يحفظ فكذلك المنافق يعصى ربه من حيث يرى أنه يطيعه و يكفر به من حيث يرى أنه يؤمن به و يسىء الى نفسه من حيث يحسب أنه يحسن اليها كما وصفهم به ربنا جل ذكره فقال ألا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون وقال ألا انهم هم السفهاء دون المؤمنين المصدقين بالله و بكتابه وبرسوله وثوابه وعقابه ولكن لا يعلمون وكذلك كان ابن عباس يتأول هذه الآية حدثنا أبو كريب قال حدثنا عثمان ابن سعيد عن بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس يقول الله جل ثناؤه ألا انهم هم السفهاء يقول الجهال ولكن لا يعلمون يقول ولكن لا يعقلون وأما وجه دخول الالف واللام فى السفهاء فشبيه بوجه دخولهما فى الناس فى قوله واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس وقد بينا العلة فى دخولهما هنالك والعلة فى دخولهما فى السفهاء نظيرتها فى دخولهما فى الناس هنالك سواء والدلالة التى تدل عليه هذه الآية من خطا قول من زعم أن العقوبة من الله لا يستحقها الا المعاند ربه مع علمه بصحة ما عانده فيه نظير دلالة الآيات الاخر التى قد تقدم ذكرنا تأويلها فى قوله ولكن لا يشعرون ونظائر ذلك ۞ القول فى تأويل قوله جل ثناؤه (واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم) قال أبو جعفر وهذه الآية نظير الآية الاخرى التى أخبر الله جل ثناؤه فيها عن المنافقين بخداعهم الله و رسوله والمؤمنين فقال ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر ثم أكذبهم تعالى ذكره بقوله وما هم بمؤمنين وانهم بقيلهم ذلك يخادعون الله والذين آمنوا وكذلك أخبر عنهم فى هذه الآية أنهم يقولون للمؤمنين المصدقين بالله و كتابه ورسوله بألسنتهم آمنا وصدقنا بمحمد و بما جاء به من عند الله خداعا عن دمائهم وأموالهم وذراريهم ودرأ لهم عنها وانهم اذا خلوا الى مردتهم وأهل العتو والشر والخبث منهم ومن سائر أهل الشرك الذين هم على مثل الذى هم عليه من الكفر بالله وبكتابه ورسوله وهم شياطينهم وقد دللنا فيما مضى من كتابنا على ان شياطين كل شىء مردته قالوا لهم انا معكم أى انا معكم على دينكم وظهراؤكم على من خالفكم فيه وأولياؤكم دون أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم انما نحن مستهزؤن بالله وبكتابه ورسوله وأصحابه كالذى حدثنا محمد بن العلاء قال حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثنا بشر بن عمارة

عن

والاحتراز عن المضار قال تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم عقب ذلك بقوله هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا * الثانية هل لله تعالى على الكافر نعمة أم لا أنكر ذلك بعض أصحابنا لوجوه منها قوله صراط الذين أنعمت عليهم فانه لو كان له على الكفار نعمة لزم طلب صراط الكفار لان المبدل منه وهو الصراط المستقيم في حكم المنحى والجواب أن قوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين يدفع ذلك ومنها قوله ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لانفسهم

انما نملي لهم ليزدادوا اثما والجواب أنه لا يلزم من أن لا يكون الاملاء خيرا ونعمة لهم أن لا يكون أصل الحياة وسائر أسباب الانتفاع نعمة فان الاملاء تأخير النقمة بعد ثبوت استحقاقها فما قبل هذه الحالة لا يكون كذلك على أن نفس الاملاء أيضا تمتيع حالي قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره الى عذاب النار وليس هذا كمن جعل السم في الحلواء على ما ظن وانما هو كمن ناول شخصا حلواء لذيذة غير مسمومة ولكن ذلك الشخص لفساد مزاجه أو لاستعماله الحلواء لا كما ينبغي أفسد مزاج الحلواء أيضا وصيره كالسم القاتل بالنسبة اليه ولهذا قال صلى الله عليه وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح وكيف لا تعم نعم الله تعالى وقد قال على العموم يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء وقال وكنتم أمواتا فأحياكم كل ذلك في معرض الامتنان وشرح النعم وقال وقليل من عبادي الشكور ولا تجد أكثرهم شاكرين والشكر لا يكون الا بعد النعمة * الثالثة ما المراد بالنعمة المذكورة في قوله أنعمت عليهم قلنا يتناول كل من كان لله عليه نعمة دينية ودنيوية ثم انه يخرج بقوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين كل من عليه نعمة دنيوية فقط ويبقى الذين أنعم الله عليهم في الدنيا والآخرة من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وكما أن أصل النعم الدنيوية هي الحياة المستتبعة لكل المنافع فكذلك أصل النعم الدينية هو الايمان المستلزم لجميع الخيرات والسعادات وكما أن كمال البدن بالحياة فكمال النفس بالايمان وموتها بفقده انك لا تسمع الموتى وما أنت بمسمع من في القبور وكما أن حياة البدن من الله فكذا الايمان منه وبتوفيقه واضافة الايمان الى العبد اضافة الاثر الى القابل

عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس في قوله واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا قال كان رجال من اليهود اذا لقوا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أو بعضهم قالوا انا على دينكم واذا خلوا الى أصحابهم وهم شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن اسحق عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قال اذا خلوا الى شياطينهم من يهود الذين يأمرونهم بالتكذيب وخلاف ما جاء به الرسول قالوا انا معكم أي انا على مثل ما أنتم عليه انما نحن مستهزؤن حدثني موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا خلوا الى شياطينهم أما شياطينهم فهم رؤسهم في الكفر حدثنا بشر بن معاذ العقدي قال حدثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة قوله واذا خلوا الى شياطينهم أي رؤسائهم وقادتهم في الشر قالوا انما نحن مستهزؤن حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أنبأنا معمر عن قتادة في قوله واذا خلوا الى شياطينهم قال المشركون حدثني محمد بن عمرو الباهلي قال حدثنا أبو عاصم قال حدثنا عيسى بن ميمون قال حدثنا عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عز وجل واذا خلوا الى شياطينهم قال اذا خلا المنافقون الى أصحابهم من الكفار حدثني المثنى بن ابراهيم قال حدثنا أبو حذيفة عن شبل بن عباد عن عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد واذا خلوا الى شياطينهم قال أصحابهم من المنافقين والمشركين حدثني المثنى قال حدثنا اسحق بن الحجاج عن عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس واذا خلوا الى شياطينهم قال اخوانهم من المشركين قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن حدثنا القاسم بن الحسن قال حدثنا الحسين بن داود قال حدثني حجاج قال قال ابن جريج في قوله واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا قال اذا أصاب المؤمنين رخاء قالوا انا نحن معكم انما نحن اخوانكم واذا خلوا الى شياطينهم استهزؤا بالمؤمنين حدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج قال وقال مجاهد شياطينهم أصحابهم من المنافقين والمشركين فان قال لنا قائل أرأيت قوله واذا خلوا الى شياطينهم فكيف قيل خلوا الى شياطينهم ولم يقل خلوا بشياطينهم فقد علمت أن الجاري بين الناس في كلامهم خلوت بفلان أكثر وأفشى من خلوت الى فلان ومن قولك أن القرآن أفصح البيان قيل قد اختلف في ذلك أهل العلم بلغة العرب فكان بعض نحويي البصرة يقول يقال خلوت الى فلان اذا أريد به خلوت اليه في حاجة خاصة لا يحتمل اذا قيل كذلك الا الخلاء اليه في قضاء الحاجة فأما اذا قيل خلوت به احتمل معنيين أحدهما الخلاء به في الحاجة والآخر في السخرية به فعلى هذا القول واذا خلوا الى شياطينهم لا شك أفصح منه لو قيل واذا خلوا بشياطينهم لما في قول القائل اذا خلوا بشياطينهم من التباس المعنى على سامعيه الذي هو منتف عن قوله واذا خلوا الى شياطينهم فهذا أحد الاقوال والقول الآخر أن توجيه معنى قوله واذا خلوا الى شياطينهم أي اذا خلوا مع شياطينهم اذ كانت حروف الصفات يعاقب بعضها بعضا كما قال الله مخبرا عن عيسى بن مريم انه قال للحواريين من أنصاري الى الله يريد مع الله وكما توضع على في موضع من وفي وعن والباء كما قال الشاعر

وبذلك القول يستأهل الثواب والمؤمن لا يبقى مخلدا فى النار فان من شرفه الله تعالى بأعظم الانعام لن يعاقبه بأشد الآلام فما الانعام الا بالاتمام قيل لو كان رعاية الأصلح على الله واجبا لم يكن ذلك انعاما لان أداء الواجب لا يسمى انعاما قلت النزاع لفظى لان الأصلح لا بد أن يصدر عنه ولا يليق بحكمته وكماله خلاف ذلك ثم ما شئت فسمه * الثانى عشر فى فوائد قوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين الاولى من المغضوب عليهم ومن الضالون قلت المغضوب عليهم هم المائلون فى كل خلق أو اعتقاد الى طرف التفريط ومنهم اليهود والضالون هم المائلون الى طرف الافراط ومنهم النصارى وانما خص الاولون بالغضب عليهم لان الغضب يلزمه البعد والطرد والمفرط فى شئ هو المعرض عنه غير مجد بطائل فهو بعيد عن ذلك وأما المفرط فقد أقبل عليه وجاوز حد الاعتدال فغاب عن المقصود ومنى بالحرمان كالذى استهوته الشياطين فى الارض حيران فاليهود فرطوا فى شأن نبى الله ولم يطيعوه وآذوه حتى قالوا بعد أن نجاهم الله من عدوهم ياموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ولهذا قال عز من قائل ياأيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا والنصارى أفرطوا وقالوا المسيح ابن الله ان الله ثالث ثلاثة روى عن عدى بن حاتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال غير المغضوب عليهم اليهود والضالون النصارى وتصديق ذلك من كتاب الله حيث قال فى اليهود وباؤا بغضب من الله وفى النصارى وضلوا عن سواء السبيل هذا شأن الفريقين وأما المؤمنون فطلبوا الوسط بين المنحرفين وذلك من لطف الله تعالى بهم وفضله عليهم وكذلك جعلناكم أمة وسطا كنتم خير أمة أخرجت للناس وخير الامور أوسطها * الثانية الآية تدل على أن أحدا من الملائكة والانبياء ما أقدم على عمل أو اعتقاد يخالف الحق والا لكان ضالا لقوله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال ولم يصلح للاقتداء به والاهتداء بطريقه * الثالثة ما الفائدة فى أن عدل من أن يقول اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين الى ما عدل قلت الايمان انما يكمل بالرجاء والخوف كما قال صلى الله عليه وسلم لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا فقوله صراط الذين أنعمت عليهم يدل على الرجاء وباقى الآية يدل على الخوف فيكمل الايمان بطرفيه وركنيه * الثالث عشر فى تفسير

اذا رضيت علىّ بنو قشير * لعمر الله أعجبنى رضاها

يعنى عنى وأما بعض نحويى أهل الكوفة فانه كان يتأول أن ذلك بمعنى واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا صرفوا خلاءهم الى شياطينهم فيزعم أن الجالب لالى المعنى الذى دل عليه الكلام من انصراف المنافقين عن لقاء المؤمنين الى شياطينهم خالين بهم لا قوله خلوا وعلى هذا التأويل لا يصلح فى موضع الى غيرها لتغير الكلام بدخول غيرها من الحروف مكانها وهذا القول عندى أولى بالصواب لان لكل حرف من حروف المعانى وجها هو به أولى من غيره فلا يصلح تحويل ذلك عنه الى غيره الا بحجة يجب التسليم لها ولالى فى كل موضع دخلت من الكلام حكم وغير جائز سلبها معانيها فى أماكنها ﴿القول فى تأويل قوله جل ثناؤه (انما نحن مستهزؤن)﴾ أجمع أهل التأويل جميعا لا خلاف بينهم على أن معنى قوله انما نحن مستهزؤن انما نحن ساخرون فمعنى الكلام اذا واذا انصرف المنافقون خالين الى مردتهم من المنافقين والمشركين قالوا انا معكم على ما أنتم عليه من التكذيب بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به ومعاداته ومعاداة أتباعه انما نحن ساخرون بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فى قيلنا لهم اذا لقيناهم آمنا بالله وباليوم الآخر كما حدثنا محمد بن العلاء قال حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثنا بشر بن عمار عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس قالوا انما نحن مستهزؤن ساخرون بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انما نحن مستهزؤن أى انما نحن نستهزئ بالقوم ونلعب بهم حدثنا بشر بن معاذ العقدى قال حدثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة انما نحن مستهزؤن انما نستهزئ بهؤلاء القوم ونسخر بهم حدثنى المثنى قال حدثنا اسحق بن الحجاج عن عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع انما نحن مستهزؤن أى نستهزئ بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ﴿القول فى تأويل قوله جل ثناؤه (الله يستهزئ بهم)﴾ قال أبو جعفر اختلف فى صفة استهزاء الله جل جلاله الذى ذكر أنه فاعله بالمنافقين الذين وصف صفتهم فقال بعضهم استهزاؤه بهم كالذى أخبرنا تبارك اسمه أنه فاعل بهم يوم القيامة فى قوله تعالى يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى الآية وكالذى أخبرنا أنه فعل بالكفار بقوله ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خير لانفسهم انما نملى لهم ليزدادوا اثما فهذا وما أشبهه من استهزاء الله جل وعز وسخريته ومكره وخديعته للمنافقين وأهل الشرك به عند قائلى هذا القول ومتأولى هذا التأويل وقال آخرون بل استهزاؤه بهم توبيخه اياهم ولومه لهم على ما ركبوا من معاصى الله والكفر به كما يقال ان فلانا ليهزأ منه منذ اليوم ويسخر منه يراد به توبيخ الناس اياه ولومهم له أو اهلاكه اياهم وتدميره بهم كما قال عبيد بن الابرص

سائل بنا حجر ابن أم قطام اذ * ظلت به السمر النواهل تلعب

فزعموا أن السمر وهى القنا لا لعب منها ولكنها لما قتلتهم وشردتهم جعل ذلك من فعلها اللعب عن

فعلت

فعلت ذلك به قالوا فكذلك استهزاء الله جل ثناؤه بمن استهزأ به من أهل النفاق والكفر به اما اهلاكه اياهم وتدميره بهم واما املاؤه لهم ليأخذهم فى حال أمنهم عند أنفسهم بغتة أو توبيخه لهم ولائمته اياهم قالوا وكذلك معنى المكر منه والخديعة والسخرية وقال آخرون قوله يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا أنفسهم على الجواب كقول الرجل لمن كان يخدعه اذا ظفر به أنا الذى خدعتك ولم تكن منه خديعة ولكن قال ذلك اذ صار الامر اليه قالوا وكذلك قوله ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين والله يستهزئ بهم على الجواب والله لا يكون منه المكر ولا الهزء والمعنى أن المكر والهزء حاق بهم وقال آخرون قوله انما نحن مستهزؤن الله يستهزئ بهم وقوله يخادعون الله وهو خادعهم وقوله فيسخرون منهم سخر الله منهم ونسوا الله فنسيهم وما أشبه ذلك اخبار من الله انه مجازيهم جزاء الاستهزاء ومعاقبهم عقوبة الخداع فأخرج خبره عن جزائه اياهم وعقابه لهم مخرج خبره عن فعلهم الذى عليه استحقوا العقاب فى اللفظ وان اختلف المعنيان كما قال جل ثناؤه وجزاء سيئة سيئة مثلها ومعلوم أن الاولى من صاحبها سيئة اذ كانت منه لله تبارك وتعالى معصية وأن الاخرى عدل لانها من الله جزاء للعاصى على المعصية فهما وان اتفق لفظاهما مختلفا المعنى وكذلك قوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه فالعدوان الاول ظلم والثانى جزاء لا ظلم بل هو عدل لانه عقوبة للظالم على ظلمه وان وافق لفظه لفظ الاول والى هذا المعنى وجهوا كل ما فى القرآن من نظائر ذلك مما هو خبر عن مكر الله جل وعز بقوم وما أشبه ذلك وقال آخرون ان معنى ذلك أن الله جل وعز أخبر عن المنافقين أنهم اذا خلوا الى مردتهم قالوا انا معكم على دينكم فى تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به وانما نحن بما نظهر لهم من قولنا لهم صدقنا بمحمد عليه السلام وما جاء به مستهزؤن يعنون أنا نظهر لهم ما هو عندنا باطل لا حق ولا هدى قالوا وذلك هو معنى من معانى الاستهزاء فأخبر الله أنه يستهزئ بهم فيظهر لهم من أحكامه فى الدنيا خلاف الذى لهم عنده فى الآخرة كما أظهروا للنبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فى الدين ما هم على خلافه فى سرائرهم والصواب فى ذلك من القول والتأويل عندنا أن معنى الاستهزاء فى كلام العرب اظهار المستهزئ للمستهزإ به من القول والفعل ما يرضيه ويوافقه ظاهرا وهو بذلك من قيله وفعله به مورثه مساءة باطنا وكذلك معنى الخداع والسخرية والمكر واذ كان ذلك كذلك وكان الله جل ثناؤه قد جعل لأهل النفاق فى الدنيا من الاحكام بما أظهروا بألسنتهم من الاقرار بالله وبرسوله وبما جاء به من عند الله المدخل لهم فى عداد من يشمله اسم الاسلام وان كانوا لغير ذلك مستبطنين من أحكام المسلمين المصدقين اقرارهم بألسنتهم بذلك بضمائر قلوبهم وصحائح عزائمهم وحميد أفعالهم المحققة لهم صحة ايمانهم مع علم الله عز وجل بكذبهم واطلاعه على خبث اعتقادهم وشكهم فيما ادعوا بألسنتهم أنهم مصدقون حتى ظنوا فى الآخرة اذ حشروا فى عداد من كانوا فى عدادهم فى الدنيا أنهم واردون موردهم وداخلون مدخلهم والله جل جلاله مع اظهاره ما قد أظهر لهم من الاحكام الملحقهم فى عاجل الدنيا وآجل الآخرة الى حال تمييزه بينهم وبين أوليائه وتفريقه بينهم وبينهم معد لهم من أليم عقابه ونكال عذابه ما أعد منه لأعدى أعدائه وأشر عباده حتى ميز بينهم وبين أوليائه فألحقهم من طبقات جحيمه بالدرك الاسفل كان معلوما أنه جل ثناؤه بذلك من فعله بهم

السورة مجموعة وفيه مناهج * المنهج الاول نسبة عالم الغيب الى عالم الشهادة ونسبة الاصل الى الفرع والنور الى الظلمة فكل شاهد فله فى الغائب أصل والا كان كسراب زائل وخيال باطل وكل غائب فله فى الشاهد مثال والا كان كشجرة بلا ثمرة ومدلول بلا دليل وكل شريف فهو بالنسبة الى ما دونه مطاع كما قال عز من قائل ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين والمطاع فى عالم الروحانيات مطاع فى عالم الجسمانيات والمطاع فى عالم الارواح هو المصدر والمطاع فى عالم الاجسام هو المظهر ولا بد من أن يكون بينهما ملاقاة ومجانسة وبهما تتم سعادة الدارين لانهما يدعوان الى الله بالرسالة وحاصل الدعوة أمور سبعة تشتمل عليها خواتيم سورة البقرة أربعة منها تتعلق بالمبدا وهى معرفة الربوبية أعنى معرفة الله تعالى وملائكته وكتبه ورسله آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله واثنان منها تتعلق بالوسط أحدهما مبدأ العبودية وقالوا سمعنا وأطعنا والثانى كمال العبودية وهو الالتجاء الى الله وطلب المغفرة منه غفرانك ربنا وواحد يتعلق بالمعاد وهو الذهاب الى حضرة الملك الوهاب واليك المصير ويتفرع على هذه المراتب سبع مراتب فى الدعاء والتضرع أولها ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا فضد النسيان هو الذكر واذكر ربك اذا نسيت وهذا الذكر انما يحصل بقوله بسم الله الرحمن الرحيم وثانيها ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ودفع الاصر والثقل يوجب الحمد لله رب العالمين وثالثها ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به وذلك اشارة الى كمال رحمته الرحمن الرحيم ورابعها واعف عنا الأنك أنت المالك للقضاء والحكومة فى يوم الدين مالك يوم الدين وخامسها واغفر لنا لانا التجأنا بكليتنا اليك وتوكلنا فى جميع الامور عليك اياك نعبد واياك نستعين وسادسها وارحمنا لانا طلبنا الهداية منك اهدنا الصراط المستقيم وسابعها أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين فهذه المراتب ذكرها محمد صلى الله عليه وسلم فى عالم الروحانيات عند صعوده الى المعراج فلما نزل من المعراج فاض أثر المصدر على المظهر فوقع التعبير عنها بسورة الفاتحة فمن قرأها فى صلاته صعدت هذه الانوار من المظهر الى المصدر كما نزلت فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم

من المصدر الى المظهر فلهذا السبب قال صلى الله عليه وسلم الصلاة معراج المؤمن * المنهج الثانى المداخل التى يأتى الشيطان من
فى الاصل ثلاثة الشهوة والغضب والهوى الشهوة بهيمية والغضب سبعية والهوى شيطانية أرضية ولهذا قال فالشهوة آفة لكن الغ
أعظم منها والغضب آفة لكن الهوى أعظم منه قال تعالى وينهى عن الفحشاء أى الشهوة والمنكر الغضب والبغى الهوى فبالشهو
الانسان ظالما لنفسه وبالغضب ظالما لغيره وبالهوى لربه ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الظلم ثلاثة فظلم لا يغفر وظلم لا

وظلم عسى الله أن يتركه فالظلم الذى لا يغفر هو الشرك بالله والظلم الذى لا يترك هو ظلم العباد بعضهم بعضا والظلم الذى عسى الله أن يتركه هو ظلم الانسان نفسه ونتيجة الشهوة الحرص والبخل ونتيجة الغضب العجب والكبر ونتيجة الهوى الكفر والبدعة ويحصل من اجتماع هذه الست فى بنى آدم خصلة سابعة هى الحسد وهو نهاية الاخلاق الذميمة كما أن الشيطان هو النهاية فى الاشخاص المذمومة ولهذا السبب ختم الله تعالى مجامع الشرور الانسانية بالحسد فى قوله تعالى ومن شر حاسد اذا حسد كما ختم جوامع الخبائث الشيطانية بالوسوسة فى قوله يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس روى أن ابليس أتى باب فرعون وقرع الباب فقال فرعون من هذا قال ابليس ولو كنت الها ما جهلت فلما دخل قال فرعون أتعرف فى الارض شرا منى ومنك قال نعم الحاسد وبالحسد وقعت فيما وقعت ثم نقول الاسماء الثلاثة فى التسمية دافعة للاخلاق الثلاثة الاصلية والآيات السبع التى هى الفاتحة دافعة للاخلاق السبعة بيان ذلك من عرف الله تباعد عنه شيطان الهوى أفرأيت من اتخذ الهه هواه ياموسى خالف هواك فانى ما خلقت خلقا نازعنى فى ملكى الا هواك ومن عرف انه رحمن لم يغضب لان منشأ الغضب طلب الولاية

والولاية للرحمن الملك يومئذ الحق للرحمن ومن عرف انه رحيم صحح نسبته اليه فلا يظلم نفسه ولا يلطخها بالافعال البهيمية أ
وأما الفاتحة فاذا قال الحمد لله فقد شكر الله واكتفى بالحاصل فزالت شهوته ومن عرف انه رب العالمين زال حرصه فيما لم يجد وبخله ف
ومن عرف أنه مالك يوم الدين بعد أن عرف انه الرحمن الرحيم زال غضبه ومن قال اياك نعبد واياك نستعين زال كبره بالاول وعج
واذا قال اهدنا الصراط المستقيم اندفع عنه شيطان الهوى واذا قال صراط الذين أنعمت عليهم زال عنه كفره واذا قال غير الم

وان كان جزاء لهم على أفعالهم وعدلا مافعل من ذلك بهم لاستحقاقهم اياه منه بعصيانهم له
بهم بما أظهر لهم من الامور التى أظهرها لهم من الحاقه أحكامهم فى الدنيا باحكام أوليائه
له أعداء وحشره اياهم فى الآخرة مع المؤمنين وهم به من المكذبين الى أن ميز بينهم و
مستهزئا وساخرا ولهم خادعا وبهم ماكرا اذ كان معنى الاستهزاء والسخرية والمكر والخ
ما وصفنا قبل دون أن يكون ذلك معناه فى حال فيها المستهزئ بصاحبه له ظالم أو عليه فيها غير
بل ذلك معناه فى كل أحواله اذا وجدت الصفات التى قدمنا ذكرها فى معنى الاستهزاء وما أشبه
نظائره وبنحو ما قلنا فيه روى الخبر عن ابن عباس حدثنا أبو كريب قال حدثنا عثمان بن
قال حدثنا بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس فى قوله الله يستهزئ بهم
يسخر بهم للنقمة منهم وأما الذين زعموا أن قول الله تعالى ذكره الله يستهزئ بهم انما هو على
الجواب وانه لم يكن من الله استهزاء ولا مكر ولا خديعة فنافون عن الله عز وجل ما قد أثبت
عز وجل لنفسه وأوجبه لها وسواء قال قائل لم يكن من الله جل ذكره استهزاء ولا مكر ولا خ
ولا سخرية بمن أخبر أنه يستهزئ ويسخر ويمكر به أو قال لم يخسف الله بمن أخبر أنه خسف
الامم ولم يغرق من أخبر أنه أغرقه منهم ويقال لقائل ذلك ان الله جل ثناؤه أخبرنا أنه مكر
مضوا قبلنا لم نرهم وأخبر عن آخرين أنه خسف بهم وعن آخرين أنه أغرقهم فصدقنا الله
ذكره فيما أخبرنا به من ذلك ولم نفرق بين شئ منه فما برهانك على تفريقك ما فرقت بينه بزع
قد أغرق وخسف بمن أخبر أنه أغرق وخسف به ولم يمكر بمن أخبر أنه قد مكر به ثم نعكس ا
عليه فى ذلك فلن يقول فى أحدهما شيأ الا ألزم فى الآخر مثله فان لجأ الى أن يقول ان الاس
عبث ولعب وذلك عن الله عز وجل منفى قيل له ان كان الامر عندك على ما وصفت من
الاستهزاء أفلست تقول الله يستهزئ بهم وسخر الله منهم ومكر الله بهم وان لم يكن من الله
هزء ولا سخرية فان قال لا كذب بالقرآن وخرج عن ملة الاسلام وان قال بلى قيل له أفتقو
الوجه الذى قلت الله يستهزئ بهم وسخر الله منهم يلعب الله بهم ويعبث ولا لعب من الله ولا
فان قال نعم وصف الله بما قد أجمع المسلمون على نفيه عنه وعلى تخطئة واصفه به وأضاف ا
قد قامت الحجة من العقول على ضلال مضيفه اليه وان قال لا أقول يلعب الله بهم ولا يعبث
أقول يستهزئ بهم ويسخر منهم قيل فقد فرقت بين معنى اللعب والعبث والهزء والس
والمكر والخديعة ومن الوجه الذى جاز قيل هذا ولم يجز قيل هذا افترق معنياهما فعلم أن
واحد منهما معنى غير معنى الآخر وللكلام فى هذا النوع موضع غير هذا كرهنا اطالة ال
باستقصائه وفيما ذكرنا كفاية لمن وفق لفهمه ۞ القول فى تأويل قوله جل ثناؤه (ويمده
أبو جعفر اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله ويمدهم فقال بعضهم بما حدثنى به موسى بن
قال حدثنا عمرو قال حدثنا أسباط عن السدى فى خبر ذكره عن أبى مالك وعن أبى صالح ع
عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يمدهم يملى لهم
آخرون بما حدثنى به المثنى بن ابراهيم قال حدثنا سويد بن نصر عن ابن المبارك عن ابن
قراءة عن مجاهد يمدهم قال يزيدهم وكان بعض نحويى البصرة يتأول ذلك انه بمعنى يمد لهم

عليهم ولا الضالين اندفعت بدعته واذا زالت عنه الاخلاق الستة اندفع عنه الحسد ثم ان جملة القرآن كالنتائج والشعب من الفاتحة وكذا جميع الاخلاق الذميمة كالنتائج والشعب من تلك السبعة فلا جرم القرآن كله كالعلاج لجميع الاخلاق الذميمة وههنا نكتة دقيقة تتعلق بالرب والملك والاله وبسببها ختم القرآن عليها كأنه قال ان أتاك الشيطان من قبل الشهوة فقل أعوذ برب الناس وان أتاك من قبل الغضب فقل ملك الناس وان أتاك من قبل الهوى فقل اله الناس

* (المنهج الثالث) فى أن سورة الفاتحة جامعة لكل ما يفتقر اليه الانسان فى معرفة المبدا والوسط والمعاد الحمد لله اشارة الى اثبات الصانع المختار العليم الحكيم المستحق للحمد والثناء والتعظيم رب العالمين يدل على أن ذلك الاله واحد وأن كل العالمين ملكه وملكه وليس فى العالم اله سواه ولهذا جاء فى القرآن الاستدلال بخلق الخلائق كثيرا قال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت الذى خلقنى فهو يهدين ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى ربكم ورب آبائكم الاولين اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق وهذه الحالة كما انها فى نفسها دليل على وجود الرب فكذلك هى فى نفسها انعام عظيم وذلك أن تولد الاعضاء المختلفة الطبائع والصور من النطفة المتشابهة الاجزاء لا يمكن الا اذا قصد الخالق ايجاد تلك الاعضاء على تلك الصور والطبائع وكل منها مطابق للمطلوب وموافق للغرض كما يشهد به علم تشريح الابدان فلا أحق بالحمد والثناء من هذا المنعم المنان الكريم الرحمن الرحيم الذى شمل احسانه قبل الموت وعند الموت وبعد الموت مالك يوم الدين يدل على أن من لوازم حكمته ورحمته أن يقدر بعد هذا اليوم يوما آخر يظهر فيه تمييز المحسن من المسيء والمظلوم من الظالم وههنا تمت معرفة الربوبية ثم ان قوله اياك نعبد اشارة الى الامور التى لا بد من معرفتها فى تقرير العبودية وهى نوعان الاعمال والآثار المتفرعة على الاعمال أما الاعمال فلها ركنان أحدهما الاتيان بالعبادة وهو قوله اياك نعبد والثانى علمه بانه لا يمكنه ذلك الا باعانة الله وهو قوله واياك نستعين وأما الآثار المتفرعة على الاعمال فهى حصول الهداية والتحلى بالاخلاق الفاضلة المتوسطة بين الطرفين المستقيمة بين المنحرفين اهدنا الصراط

ان ذلك نظير قول العرب الغلام يلعب الكعاب يراد به يلعب بالكعاب قال وذلك أنهم قد يقولون قد مددت له وأمددت له فى غير هذا المعنى وهو قول الله وأمددناهم وهذا من أمددناهم قال ويقال قد مد البحر فهو ماد وأمد الجرح فهو ممد وحكى عن يونس الجرمى انه كان يقول ما كان من الشر فهو مددت وما كان من الخير فهو أمددت ثم قال وهو كما فسرت لك اذا أردت أنك تركته فهو مددت له واذا أردت أنك أعطيته قلت أمددت وأما بعض نحويى الكوفة فانه كان يقول كل زيادة حدثت فى الشئ من نفسه فهو مددت بغير ألف كما تقول مد النهر ومده نهر آخر غيره اذا اتصل به فصار منه وكل زيادة احدثت فى الشئ من غيره فهو بألف كقولك أمد الجرح لان المدة من غير الجرح وأمددت الجيش بمدد وأولى هذه الاقوال بالصواب فى قوله ويمدهم أن يكون بمعنى يزيدهم على وجه الاملاء والترك لهم فى عتوهم وتمردهم كما وصف ربنا أنه فعل بنظرائهم فى قوله ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم فى طغيانهم يعمهون يعنى نذرهم ونتركهم فيه ونملى لهم ليزدادوا اثما الى اثمهم ولا وجه لقول من قال ذلك بمعنى يمد لهم لانه لا تدافع بين العرب وأهل المعرفة بلغتها ان يستجيزوا قول القائل مد النهر نهر آخر بمعنى اتصل به فصار زائدا ماء المتصل به بماء المتصل من غير تأول منهم وذلك أن معناه مد النهر نهر آخر فكذلك ذلك فى قول الله ويمدهم فى طغيانهم يعمهون ۞ القول فى تأويل قوله (فى طغيانهم) قال أبو جعفر والطغيان الفعلان من قولك طغى فلان يطغى طغيانا اذا تجاوز فى الأمر حده فبغى ومنه قول الله كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى اى يتجاوز حده ومنه قول أمية بن أبى الصلت

ودعا الله دعوة لات هنا * بعد طغيانه فظل مشيرا

وانما عنى الله جل ثناؤه بقوله ويمدهم فى طغيانهم أنه يملى لهم ويذرهم يبغون فى ضلالهم وكفرهم حيارى يترددون كما حدثت عن المنجاب قال حدثنا بشر عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس فى قوله فى طغيانهم يعمهون قال فى كفرهم يترددون وحدثنى موسى بن هرون قال حدثنا عمرو قال حدثنا أسباط عن السدى فى خبر ذكره عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فى طغيانهم فى كفرهم وحدثنا بشر ابن معاذ قال حدثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة فى طغيانهم يعمهون أى فى ضلالتهم يعمهون وحدثت عن عمار بن الحسن قال حدثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فى طغيانهم فى ضلالتهم وحدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فى طغيانهم قال طغيانهم كفرهم وضلالتهم ۞ القول فى تأويل قوله (يعمهون) قال أبو جعفر والعمه نفسه الضلال يقال منه عمه فلان يعمه عمهانا وعموها اذا ضل ومنه قول رؤبة بن العجاج يصف مضلة من المهامه

ومخفق من لهله ولهله * من مهمه يجتبنه فى مهمه * أعمى الهدى بالجاهلين العمه

والعمه جمع عامه وهم الذين يضلون فيه فيتحيرون فمعنى قوله جل ثناؤه ويمدهم فى طغيانهم يعمهون فى ضلالهم وكفرهم الذى قد غمرهم دنسه وعلاهم رجسه يترددون حيارى ضلالا لا يجدون الى المخرج منه سبيلا لان الله قد طبع على قلوبهم وختم عليها فأعمى أبصارهم عن الهدى وأغشاها فلا يبصرون رشدا ولا يهتدون سبيلا وبنحو ما قلنا فى العمه جاء تأويل المتأولين حدثنى موسى بن هرون قال

المستقيم الى آخره وفى قوله صراط الذين أنعمت عليهم دليل على ان الاستضاءة بانوار أرباب الكمال خلة محمودة وسنة مرضية هم القوم لا يشقى بهم جليسهم قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله وفى قوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين اشارة الى ان التجنب عن مرافقة أصحاب البدع والاهواء واجب عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه * فكل قرين بالمقارن يقتدى * والجمر يوضع فى الرماد فيخمد * (المنهج الرابع) قال صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله (١٠٦) عز وجل قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين فاذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم يقول الله ذكرنى عبدى واذا قال الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدنى عبدى واذا قال الرحمن الرحيم يقول الله عظمنى عبدى واذا قال مالك يوم الدين يقول الله مجدنى عبدى وفى رواية فوض الىّ عبدى واذا قال اياك نعبد يقول الله عبدنى عبدى واذا قال واياك نستعين يقول الله توكل علىّ عبدى وفى رواية واذا قال اياك نعبد واياك نستعين يقول الله هذا بينى وبين عبدى واذا قال اهدنا الصراط المستقيم يقول الله هذا لعبدى ولعبدى ما سأل فقوله قسمت الصلاة بينى وبين عبدى اشارة الى أن أهم مهمات العبد أن يستنير قلبه بمعرفة الربوبية ثم بمعرفة العبودية لانه انما خلق لرعاية هذا العهد وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم فلا جرم أنزل الله تعالى هذه السورة جامعة لكل ما يحتاج اليه العبد فى الوفاء بذلك العهد وقوله اذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم يقول الله ذكرنى عبدى مناسب لقوله تعالى فاذكرونى أذكركم أنا جليس من ذكرنى فان ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وان ذكرنى فى ملا ذكرته فى ملا خير منه والذكر مقام عال شريف ذكره الله تعالى فى القرآن كثيرا يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا واذكر ربك فى نفسك تذكروا فاذا هم مبصرون الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ولهذا وقع الابتداء به وقوله ذكرنى عبدى يدل على أن ذاته المخصوصة صارت مذكورة بقوله بسم الله الرحمن الرحيم وهذا يدل على أن الله اسم علم وقوله اذا قال الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدنى عبدى يدل على ان مقام الحمد أعلى من مقام الذكر لانه أول كلام فى أول خلق العالم حيث قالت الملائكة ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك وآخر كلام فى الجنة وآخر

حدثنا عمرو قال حدثنا أسباط عن السدى فى خبر ذكره عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يعمهون يتمادون فى كفرهم **وحدثنى** المثنى بن ابراهيم قال حدثنا عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس يعمهون قال يتمادون **وحدثت** عن المنجاب قال ثنا بشر عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس فى قوله يعمهون قال يترددون **وحدثنا** القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس يعمهون المتلدد **وحدثنا** محمد بن عمرو الباهلى قال حدثنا أبو عاصم قال حدثنا عيسى بن ميمون قال حدثنا ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله فى طغيانهم يعمهون قال يترددون **وحدثنى** المثنى قال حدثنا أبو حذيفة قال حدثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله **وحدثنا** سفيان بن وكيع قال حدثنا أبى عن سفيان عن رجل عن مجاهد مثله **وحدثنى** المثنى قال حدثنا سويد بن نصر عن ابن المبارك عن ابن جريج قراءة عن مجاهد مثله وحدثت عن عمار قال حدثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع يعمهون قال يترددون ۞ القول فى تأويل قوله جل ثناؤه (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) قال أبو جعفر ان قال قائل وكيف اشترى هؤلاء القوم الضلالة بالهدى وانما كانوا منافقين لم يتقدم نفاقهم ايمان فيقال فيهم باعوا هداهم الذى كانوا عليه بضلالتهم التى استبدلوها منه وقد علمت أن معنى الشراء المفهوم اعتياض شئ ببذل شئ مكانه عوضا منه والمنافقون الذين وصفهم الله بهذه الصفة لم يكونوا قط على هدى فيتركوه ويعتاضوا منه كفرا ونفاقا قيل قد اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك فنذكر ما قالوا فيه ثم نبين الصحيح من التأويل فى ذلك ان شاء الله **حدثنا** محمد بن حميد قال حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن اسحق عن محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى أى الكفر بالايمان **وحدثنى** موسى بن هرون قال حدثنا عمرو قال حدثنا أسباط عن السدى فى خبر ذكره عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى يقول أخذوا الضلالة وتركوا الهدى **وحدثنا** بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد عن سعيد عن قتادة أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى استحبوا الضلالة على الهدى **وحدثنى** محمد بن عمرو قال حدثنا أبو عاصم قال حدثنا عيسى بن ميمون عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى آمنوا ثم كفروا **وحدثنا** المثنى قال حدثنا أبو حذيفة قال حدثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله ۞ قال أبو جعفر فكأن الذين قالوا فى تأويل ذلك أخذوا الضلالة وتركوا الهدى وجهوا معنى الشراء الى أنه أخذ المشترى مكان الثمن المشترى به فقالوا كذلك المنافق والكافر قد أخذا مكان الايمان الكفر فكان ذلك منهما شراء للكفر والضلالة اللذين أخذاهما بتركهما ما تركا من الهدى وكان الهدى الذى تركاه هو الثمن الذى جعلاه عوضا من الضلالة التى أخذاها وأما الذين تأولوا أن معنى قوله اشتروا استحبوا فانهم لما وجدوا الله جل ثناؤه قد وصف الكفار فى موضع آخر فنسبهم الى استحبابهم الكفر على الهدى

فقال

دعواهم أن الحمد لله رب العالمين ولان الفكر في ذات الله تعالى غير ممكن تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله وكل من تفكر في مخلوقاته ومصنوعاته كان وقوفه على رحمته وفضله واحسانه أكثر فيحمد الله تعالى أكثر فقوله حمدني عبدي شهادة من الله تعالى على وقوف العبد بعقله وفكره على وجوه فضله وانعامه في ترتيب العالم وتربية العالمين وانه أقر بقلبه ولسانه بكرمه واحسانه وقوله واذا قال الرحمن الرحيم يقول الله عظمني عبدي يدل ذلك على أن الاله الكامل المكمل المنزه عن الشريك والنظير والمثل والند والضد هو في غاية الرحمة والفضل والكرم مع عباده ولا شك أن غاية ما يصل العقل والفهم والوهم اليه من تصور معنى الكمال والجلال ليس الا هذا المقام وهو التعظيم لله وقوله واذا قال مالك يوم الدين يقول الله مجدني عبدي أي نزهني وقدسني عن الظلم وعن شبهة الظلم حيث قضيت معادا يحشر اليه العباد ويقضي فيه بين الظالم والمظلوم والقوي والضعيف

أيحسب الظالم في ظلمه ... أهمله القادر أم أمهلا
ما أهملوه بل لهم موعد ... لن يجدوا من دونه موئلا

وقوله واذا قال العبد اياك نعبد واياك نستعين قال الله هذا بيني وبين عبدي معناه أن اياك نعبد يدل على اقدام العبد على الطاعة والعبادة ولا يتم ذلك الا باعانة الله بخلق داعية فيه خالصة عن المعارض فان العبد غير مستقل بالاتيان بذلك العمل فهو المراد من قوله واياك نستعين وقوله واذا قال اهدنا الصراط المستقيم يقول الله هذا لعبدي ولعبدي ما سأل تقرر أن أهل العلم مختلفون بالنفي والاثبات في جميع المسائل الالهية أو أكثرها وفي المعاد والنبوات وغيرها مع استواء الكل في العقل والنظر فالاهتداء الى ما هو الحق في الامر نفسه ليس الا بهداية الله تعالى وارشاده كما قالت الملائكة سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا وقال ابراهيم عليه السلام لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين وقال موسى رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري * (المنهج الخامس) آيات الفاتحة سبع والاعمال المحسوسة في الصلاة أيضا سبعة القيام والركوع والانتصاب منه والسجود الاول والانتصاب منه والسجود الثاني والقعدة فهذه الاعمال كالشخص والفاتحة لها كالروح وانما يحصل الكمال عند اتصال الروح بالجسد فقوله بسم الله الرحمن الرحيم بازاء القيام ألا ترى أن الباء في بسم الله لما اتصل باسم الله حصل

فقال وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى صرفوا قوله اشتروا الضلالة بالهدى الى ذلك وقالوا قد تدخل الباء مكان على وعلى مكان الباء كما يقال مررت بفلان ومررت على فلان بمعنى واحد وكقول الله جل ثناؤه ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك أي على قنطار فكان تأويل الآية على معنى هؤلاء أولئك الذين اختاروا الضلالة على الهدى وأراهم وجهوا معنى قول الله جل ثناؤه اشتروا الى معنى اختاروا لان العرب تقول اشتريت كذا على كذا واشتريته يعنون اخترته عليه ومن الاشتراء قول أعشى بني ثعلبة فقد أخرج الكاعب المشترا ة من خدرها وأشيع القمارا يعني بالمشتراة المختارة وقال ذو الرمة في الاشتراء بمعنى الاختيار

يذب القصايا عن شراة كأنها * جماهير تحت المدجنات الهواضب

يعني بالشراة المختارة وقال آخر في مثل ذلك ان الشراة روقة الاموال * وحزرة القلب خيار المال

قال أبو جعفر وهذا وان كان وجها من التأويل فلست له بمختار لان الله جل ثناؤه قال فما ربحت تجارتهم فدل بذلك على أن معنى قوله أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى معنى الشراء الذي يتعارفه الناس من استبدال شئ مكان شئ وأخذ عوض على عوض وأما الذين قالوا ان القوم كانوا مؤمنين وكفروا فانه لا مؤنة عليهم لو كان الامر على ما وصفوا به القوم لان الامر اذا كان كذلك فقد تركوا الايمان واستبدلوا به الكفر عوضا من الهدى وذلك هو المعنى المفهوم من معاني الشراء والبيع ولكن دلائل أول الآيات في نعوتهم الى آخرها دالة على أن القوم لم يكونوا قط استضاؤا بنور الايمان ولا دخلوا في ملة الاسلام أوما تسمع الله جل ثناؤه من لدن ابتدأ في نعتهم الى أن أتى على صفتهم انما وصفهم باظهار الكذب بألسنتهم بدعواهم التصديق بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به خداعا لله ولرسوله وللمؤمنين عند أنفسهم واستهزاء في نفوسهم بالمؤمنين وهم لغير ما كانوا يظهرون مستبطنون لقول الله جل جلاله ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ثم اقتص قصصهم الى قوله أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فأين الدلالة على أنهم كانوا مؤمنين فكفروا فان كان قائل هذه المقالة ظن أن قوله أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى هو الدليل على ان القوم قد كانوا على الايمان فانتقلوا عنه الى الكفر فلذلك قيل لهم اشتروا فان ذلك تأويل غير مسلم له اذ كان الاشتراء عند مخالفيه قد يكون أخذ شئ بترك آخر غيره وقد يكون بمعنى الاختيار وبغير ذلك من المعاني والكلمة اذا احتملت وجوها لم يكن لاحد صرف معناها الى بعض وجوهها دون بعض الا بحجة يجب التسليم لها قال أبو جعفر والذي هو أولى عندي بتأويل الآية ما روينا عن ابن عباس وابن مسعود من تأويلهما قوله اشتروا الضلالة بالهدى أخذوا الضلالة وتركوا الهدى وذلك أن كل كافر بالله فانه مستبدل بالايمان كفرا باكتسابه الكفر الذي وجد منه بدلا من الايمان الذي أمر به أوما تسمع الله جل ثناؤه يقول فمن اكتسب كفرا به مكان الايمان به وبرسوله ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل وذلك هو معنى الشراء لان كل مشتر شيأ فانما يستبدل مكان الذي يؤخذ منه من البدل آخر بدلا منه فكذلك المنافق والكافر استبدلا بالهدى الضلالة والنفاق فاضلهما الله وسلبهما نور الهدى فترك جميعهم في ظلمات

قائما من تفعا وأيضا التسمية لبداية الامور كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه باسم الله فهو أبتر والقيام أيضا أول الاعمال وقوله الحمد لله رب العالمين بازاء الركوع لان الحمد في مقام التوحيد نظرا الى الحق والى الخلق والمنعم والنعمة لانه الثناء على الله بسبب الانعام الصادر منه الى العبد فهو حالة متوسطة بين الاعراض والاستغراق كما أن الركوع متوسط بين القيام والسجود وأيضا ذكر النعم الكثيرة مما يثقل الظهر فينحني وقوله الرحمن الرحيم مناسب للانتصاب (١٠٨) لان العبد لما تضرع الى الله بالركوع فاللائق برحمته أن يرده الى الانتصاب

ولهذا قال صلى الله عليه وسلم اذا قال العبد سمع الله لمن حمده نظر الله اليه بالرحمة وقوله مالك يوم الدين مناسب للسجدة الاولى لدلالته على كمال القهر والجلال والكبرياء وذلك يوجب الخوف الشديد المستتبع لغاية الخضوع وقوله اياك نعبد واياك نستعين مناسب للقعدة بين السجدتين لان اياك نعبد اخبار عن السجدة التي تقدمت واياك نستعين استعانة بالله في أن يوفقه للسجدة الثانية وقوله اهدنا الصراط المستقيم سؤال لاهم الاشياء فيليق به السجدة الثانية ليدل على نهاية الخشوع وقوله صراط الذين أنعمت عليهم الخ مناسب للقعود لان العبد لما أتى بغاية التواضع قابله الله بالاكرام والقعود بين يديه وحينئذ يقرأ التحيات لله كما أن محمدا صلى الله عليه وسلم قرأها في معراجه فالصلاة معراج المؤمن * (المنهج السادس) آيات الفاتحة سبع وأعمال الصلاة المحسوسة سبعة كما تقدم ومراتب خلق الانسان سبع ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين فنور آيات الفاتحة يسري الى الاعمال السبعة ونور الاعمال

لا يبصرون ۞ القول في تأويل قوله (فما ربحت تجارتهم) قال أبو جعفر وتأويل ذلك أن المنافقين بشرائهم الضلالة بالهدى خسروا ولم يربحوا لان الرابح من التجار المستبدل من سلعته المملوكة عليه بدلا هو أنفس من سلعته أو أفضل من ثمنها الذي يبتاعها به فأما المستبدل من سلعته بدلا دونها ودون الثمن الذي يبتاعها به فهو الخاسر في تجارته لا شك فكذلك الكافر والمنافق لانهما اختارا الحيرة والعمى على الرشاد والهدى والخوف والرعب على الحفظ والامن فاستبدلا في العاجل بالرشاد الحيرة وبالهدى الضلالة وبالحفظ الخوف وبالامن الرعب مع ما قد أعد لهما في الآجل من أليم العقاب وشديد العذاب فخابا وخسرا ذلك هو الخسران المبين وبنحو الذي قلنا في ذلك كان قتادة يقول حدثنا بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين قد والله رأيتموهم خرجوا من الهدى الى الضلالة ومن الجماعة الى الفرقة ومن الامن الى الخوف ومن السنة الى البدعة ۞ قال أبو جعفر فان قال قائل فما وجه قوله فما ربحت تجارتهم وهل التجارة مما تربح أو توكس فيقال ربحت أو وضعت قيل ان وجه ذلك على غير ما ظننت وانما معنى ذلك فما ربحوا في تجارتهم لا فيما اشتروا ولا فيما شروا ولكن الله جل ثناؤه خاطب بكتابه عربا فسلك في خطابه اياهم وبيانه لهم مسلك خطاب بعضهم بعضا وبيانهم المستعمل بينهم فلما كان فصيحا لديهم قول القائل لآخر خاب سعيك ونام ليلك وخسر بيعك ونحو ذلك من الكلام الذي لا يخفى على سامعه ما يريد قائله خاطبهم بالذي هو في منطقهم من الكلام فقال فما ربحت تجارتهم اذ كان معقولا عندهم أن الربح انما هو في التجارة كما النوم في الليل فاكتفى بفهم المخاطبين بمعنى ذلك عن أن يقال فما ربحوا في تجارتهم وان كان ذلك معناه كما قال الشاعر

وشر المنايا ميت وسط أهله * كهلك الفتاة أسلم الحي حاضره

يعني بذلك وشر المنايا منية ميت وسط أهله فاكتفى بفهم سامع قيله مراده من ذلك عن اظهار ما ترك اظهاره وكما قال رؤبة بن العجاج

حارث قد فرجت عني همي * فنام ليلي وتجلى غمي

فوصف بالنوم الليل ومعناه انه هو الذي نام وكما قال جرير بن الخطفى

وأعور من نبهان أما نهاره * فأعمى وأما ليله فبصير

فأضاف العمى والابصار الى الليل والنهار ومراده وصف النبهاني بذلك ۞ القول في تأويل قوله (وما كانوا مهتدين) يعني بقوله جل ثناؤه وما كانوا مهتدين ما كانوا رشداء في اختيارهم الضلالة على الهدى واستبدالهم الكفر بالايمان واشترائهم النفاق بالتصديق والاقرار ۞ القول في تأويل قوله (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون) قال أبو جعفر ان قال لنا قائل وكيف قيل مثلهم كمثل الذي استوقد نارا وقد علمت أن الهاء والميم من قوله مثلهم كناية جماعة من الرجال أو الرجال والنساء والذي دلالة على واحد من الذكور فكيف جعل الخبر عن واحد مثلا للجماعة وهلا قيل مثلهم كمثل الذين استوقدوا نارا وان جاز عندك أن تمثل الجماعة بالواحد فتجيز لقائل رأى جماعة من الرجال فأعجبته صورهم وتمام خلقهم وأجسامهم أن يقول كأن هؤلاء أو كأن أجسام هؤلاء نخلة

السبعة يسري الى هذه المراتب فيحصل في القلب نور على نور ثم ينعكس الى وجه المؤمن من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار * (المنهج السابع) انه كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم معراجان من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ثم من المسجد الاقصى الى عالم الملكوت هذا في عالم الحس وأما في عالم الارواح فمن الشهادة الى الغيب ثم من الغيب الى غيب الغيب فهذا بمنزلة قوسين متلاصقين فتخطاهما محمد صلى الله عليه وسلم فكان قاب قوسين وقوله أو أدنى اشارة الى فنائه في نفسه والمراد بعالم الشهادة كل ما يتعلق بعالم الجسم قيل

والجسمانيات وبعالم الارواح ما فوق ذلك من الارواح السفلية ثم المتعلقة بسماء سماء الى الملائكة الحافين من حول العرش ثم الى حملة العرش ومن عند الله الذين طعامهم ذكر الله وشرابهم محبته وأنسهم بالثناء عليه ولذتهم في خدمته لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهكذا يتصاعد الى أن ينتهي الى نور الانوار وروح الارواح ولا يعلم تفاصيلها الا الله أو من ارتضاه والمقصود أن نبينا صلى الله عليه وسلم لما عرج وأراد أن يرجع قال رب العزة المسافر اذا عاد الى وطنه أتحف أصحابه

قيل أما في الموضع الذي مثل ربنا جل ثناؤه جماعة من المنافقين بالواحد الذي جعله لافعالهم مثلا فجائز حسن وفي نظائره كما قال جل ثناؤه في نظير ذلك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت يعني كدوران عين الذي يغشى عليه من الموت وكقوله ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة بمعنى الا كبعث نفس واحدة وأما في تمثيل أجسام الجماعة من الرجال في الطول وتمام الخلق بالواحدة من النخيل فغير جائز ولا في نظائره لفرق بينهما فاما تمثيل الجماعة من المنافقين بالمستوقد الواحد فانما جاز لان المراد من الخبر عن مثل المنافقين الخبر عن مثل استضاءتهم بما أظهروا بألسنتهم من الاقرار وهم لغيره مستبطنون من اعتقاداتهم الرديئة وخلطهم نفاقهم الباطن بالاقرار بالايمان الظاهر والاستضاءة وان اختلفت أشخاص أهلها معنى واحد لا معان مختلفة فالمثل لها في معنى المثل للشخص الواحد من الاشياء المختلفة الاشخاص وتأويل ذلك مثل استضاءة المنافقين بما أظهروه من الاقرار بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به قولا وهم به مكذبون اعتقادا كمثل استضاءة الموقد نارا ثم أسقط ذكر الاستضاءة وأضيف المثل اليهم كما قال نابغة بني جعدة

وكيف تواصل من أصبحت * خلالته كأبي مرحب

يريد كخلالة أبي مرحب فأسقط خلالة اذ كان فيما أظهر من الكلام دلالة لسامعيه على ما حذف منه فكذلك القول في قوله مثلهم كمثل الذي استوقد نارا لما كان معلوما عند سامعيه بما أظهر من الكلام أن المثل انما ضرب لاستضاءة القوم بالاقرار دون أعيان أجسامهم حسن حذف ذكر الاستضاءة واضافة المثل الى أهله والمقصود بالمثل ما ذكرنا فلما وصفنا جاز وحسن قوله مثلهم كمثل الذي استوقد نارا ويشبه مثل الجماعة في اللفظ بالواحد اذ كان المراد بالمثل الواحد في المعنى وأما اذا أريد تشبيه الجماعة من أعيان بني آدم أو أعيان ذوي الصور والاجسام بشئ فالصواب من الكلام تشبيه الجماعة بالجماعة والواحد بالواحد لان عين كل واحد منهم غير أعيان الآخرين ولذلك من المعنى افترق القول في تشبيه الافعال والاسماء فجاز تشبيه أفعال الجماعة من الناس وغيرهم اذا كانت بمعنى واحد بفعل الواحد ثم حذف أسماء الافعال واضافة المثل والتشبيه الى الذين لهم الفعل فيقال ما أفعالكم الا كفعل الكلب ثم يحذف فيقال ما أفعالكم الا كالكلب أو كالكلاب وأنت تعني الا كفعل الكلب والا كفعل الكلاب ولم يجز أن تقول ماهم الا نخلة وأنت تريد تشبيه أجسامهم بالنخل في الطول والتمام وأما قوله استوقد نارا فانه في تأويل أوقد كما قال الشاعر

وداع دعا يا من يجيب الى الندى * فلم يستجبه عند ذاك مجيب

يريد فلم يجبه فكان معنى الكلام اذا مثل استضاءة هؤلاء المنافقين في اظهارهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين بألسنتهم من قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر وصدقنا بمحمد وبما جاء به وهم للكفر مستبطنون فيما الله فاعل بهم مثل استضاءة موقد نار بناره حتى أضاءت له النار ما حوله يعني ما حول المستوقد وقد زعم بعض أهل العربية من أهل البصرة أن الذي في قوله كمثل الذي استوقد نارا بمعنى الذين كما قال جل ثناؤه والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون

وان تحفة أمتك الصلاة الجامعة بين المعراجين الجسماني بالافعال والروحاني بالاذكار فلكن المصلي ثوبه طاهرا وبدنه طاهرا لانه بالوادي المقدس طوى وأيضا عنده ملك وشيطان ودين ودنيا وعقل وهوى وخير وشر وصدق وكذب وحق وباطل وحلم وطيش وقناعة وحرص وسائر الاخلاق المتضادة والصفات المتنافية فلينظر أيهما يختار فانه اذا استحكمت المرافقة تعذرت المفارقة اختار الصديق صحبة محمد صلى الله عليه وسلم فلم يفارقه في الدنيا وفي القبر ويكون معه في القيامة وفي الجنة وصحب كلب أصحاب الكهف فلزمهم في الدنيا والآخرة قال تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ثم اذا تطهر فليرفع يديه اشارة الى توديع الدنيا والآخرة وليوجه قلبه وروحه وسره الى الله ثم ليقل الله أكبر أي من كل الموجودات بل هو أكبر من أن يقاس اليه غيره بانه أكبر منه ثم ليقل سبحانك اللهم وبحمدك وفي هذا المقام ينكشف له نور سبحات الجلال ثم ليقل تبارك اسمك اشارة الى الدوام المنزه عن الافناء والاعدام ليطالع حقيقة الازل في القدم وحقيقة الابد في البقاء فيتجلى له نور الازل والابد ثم ليقل وتعالى جدك اشارة الى أنه أعلى وأعظم من أن تكون صفات جلاله ونعوت كماله محصورة في القدر المذكور ثم ليقل ولا اله غيرك اشارة الى أن كل صفات الجلال وسمات الكمال له تعالى لا لغيره فهو الكامل الذي لا كامل الا هو وفي الحقيقة لا هو الا هو وههنا يكل اللسان وتدهش الالباب ثم عند أيها المصلي الى نفسك وحالك وقل وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض فقولك سبحانك اللهم وبحمدك معراج الملائكة المقربين حيث قالوا ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك وهو أيضا معراج محمد صلى الله عليه وسلم لان معراجه مفتتح بقوله سبحانك اللهم وبحمدك وقولك وجهت

وكما قال الشاعر

فان الذي حانت بفلج دماؤهم ... هم القوم كل القوم يا أم خالد

قال أبو جعفر والقول الاول هو القول لما وصفنا من العلة وقد أغفل قائل ذلك فرق ما بين الذي في الآيتين وفي البيت لان الذي في قوله والذي جاء بالصدق قد جاءت الدلالة على ان معناها الجمع وهو قوله أولئك هم المتقون وكذلك الذي في البيت وهو قوله دماؤهم وليست هذه الدلالة في قوله كمثل الذي استوقد نارا فذلك فرق ما بين الذي في قوله كمثل الذي استوقد نارا وسائر شواهده التي استشهد بها على أن معنى الذي في قوله كمثل الذي استوقد نارا بمعنى الجماعة وغير جائز لاحد نقل الكلمة التي هي الاغلب في استعمال العرب على معنى الى غيره الا بحجة يجب التسليم لها ثم اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فروى عن ابن عباس فيه أقوال أحدها ما حدثنا به محمد بن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ضرب الله للمنافقين مثلا فقال مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون أي يبصرون الحق ويقولون به حتى اذا خرجوا به من ظلمة الكفر أطفؤه بكفرهم به ونفاقهم فيه فتركهم في ظلمات الكفر فهم لا يبصرون هدى ولا يستقيمون على حق والآخر ما حدثنا به المثنى بن ابراهيم قال حدثنا أبو صالح قال حدثنا معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس مثلهم كمثل الذي استوقد نارا الى آخر الآية هذا مثل ضربه الله للمنافقين انهم كانوا يعتزون بالاسلام فيناكحهم المسلمون ويوارثونهم ويقاسمونهم الفيء فلما ماتوا سلبهم الله ذلك العز كما سلب صاحب النار ضوءه وتركهم في ظلمات يقول في عذاب والثالث ما حدثني به موسى بن هرون قال حدثنا عمرو قال حدثنا أسباط عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون زعم أن أناسا دخلوا في الاسلام مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ثم انهم نافقوا فكان مثلهم كمثل رجل كان في ظلمة فاوقد نارا فاضاءت له ما حوله من قذى أو أذى فابصره حتى عرف ما يتقي فبينا هو كذلك اذ طفئت ناره فاقبل لا يدري ما يتقي من أذى فكذلك المنافق كان في ظلمة الشرك فاسلم فعرف الحلال من الحرام والخير من الشر فبينا هو كذلك اذ كفر فصار لا يعرف الحلال من الحرام ولا الخير من الشر وأما النور فالايمان بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وكانت الظلمة نفاقهم والآخر ما حدثني به محمد بن سعيد قال حدثني أبي سعيد بن محمد قال حدثني عمي عن أبيه عن جده عن ابن عباس قوله مثلهم كمثل الذي استوقد نارا الى فهم لا يرجعون ضربه الله مثلا للمنافق وقوله ذهب الله بنورهم قال أما النور فهو ايمانهم الذي يتكلمون به وأما الظلمة فهي ضلالتهم وكفرهم يتكلمون به وهم قوم كانوا على هدى ثم نزع منهم فعتوا بعد ذلك وقال آخرون بما حدثني به بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة قوله مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون وان المنافق تكلم بلا اله الا الله فاضاءت له في الدنيا فناكح بها المسلمين وعاد بها المسلمين ووارث بها المسلمين وحقن بها دمه وماله فلما كان عند

وجهي معراج الخليل صلى الله عليه وسلم وقولك ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي معراج الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم فقد جمع المصلي بين معراج الملائكة المقربين ومعراج عظماء الانبياء والمرسلين ثم اذا فرغت من هذه الحالة فقل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم لتدفع العجب عن نفسك وفي هذا المقام يفتح لك أحد أبواب الجنة وهو باب المعرفة وبقولك بسم الله الرحمن الرحيم يفتح باب الذكر وبقولك الحمد لله رب العالمين يفتح باب الشكر وبقولك الرحمن الرحيم يفتح باب الرجاء وبقولك مالك يوم الدين يفتح باب الخوف وبقولك اياك نعبد واياك نستعين يفتح باب الاخلاص المتولد من معرفة العبودية ومعرفة الربوبية وبقولك اهدنا الصراط المستقيم يفتح باب الدعاء والتضرع ادعوني استجب لكم وبقولك صراط الذين أنعمت الخ يفتح باب الاقتداء بالارواح الطيبة والاهتداء بانوارهم فبهذه المعارف الربانية انفتحت لك أبوابها الثمانية بهذه المقاليد الروحانية فهذا بيان المعراج الروحاني في الصلاة وأما الجسماني فاولى المراتب أن تقوم بين يدي الله كقيام أصحاب الكهف اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض بل قيام أهل القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين ثم اقرأ سبحانك اللهم وبحمدك ثم وجهت وجهي ثم الفاتحة وبعدها ما تيسر لك من القرآن واجتهد في أن تنظر من الله الى عبادتك حتى تستحقرها واياك ان تنظر من عبادتك الى الله فانك ان فعلت ذلك صرت من الهالكين وهذا سر قوله اياك نعبد واياك نستعين واعلم أن نفسك الى الآن جارية مجرى خشبة عرضتها على نار خوف الجلال فلانت فاجعلها منحنية بالركوع ثم اتركها لتستقيم مرة أخرى فان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغض طاعة الله الى نفسك فان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى فاذا عادت الى استقامتها فانحدر الى الارض بغاية التواضع واذكر ربك بغاية العلو وقل سبحان ربي الاعلى فاذا سجدت ثانية فقد حصل لك ثلاثة أنواع من الطاعة ركوع واحد وسجدتان فبالركوع تنجو من عقبة الشهوات وبالسجود الاول من عقبة الغضب الذي هو رئيس المؤذيات وبالسجود الثاني تنجو من عقبة الهوى الداعي الى كل المضلات فاذا تجاوزت هذه الصفات وتخلصت عن هذه الدركات وصلت الى الدرجات العاليات وملكت الباقيات الصالحات وانتهيت الى عقبة جلال مدبر الارض والسموات فقل عند ذلك

الموت

الموت سلبها المنافق لانه لم يكن لها أصل فى قلبه ولا حقيقة فى علمه وحدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله هى لا اله الا الله أضاءت لهم فأكلوا بها وشربوا وأمنوا فى الدنيا ونكحوا النساء وحقنوا بها دماءهم حتى اذا ماتوا اذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون وحدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثنى أبو تميلة عن عبيد بن سلمان عن الضحاك بن مزاحم قوله كمثل الذى استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله قال أما النور فهو ايمانهم الذى يتكلمون به وأما الظلمات فهى ضلالتهم وكفرهم وقال آخرون بما حدثنى به محمد بن عمرو الباهلى قال حدثنا أبو عاصم قال حدثنا عيسى بن ميمون قال حدثنا ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله قال أما اضاءة النار فاقبالهم الى المؤمنين والهدى وذهاب نورهم اقبالهم الى الكافرين والضلالة وحدثنى المثنى بن ابراهيم قال حدثنا أبو حذيفة عن شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله أما اضاءة النار فاقبالهم الى المؤمنين والهدى وذهاب نورهم اقبالهم الى الكافرين والضلالة حدثنى القاسم قال حدثنى الحسين قال حدثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وحدثنى المثنى قال حدثنا اسحق بن الحجاج عن عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس قال ضرب مثل أهل النفاق فقال مثلهم كمثل الذى استوقد نارا قال انما ضوء النار ونورها ما أوقدتها فاذا خمدت ذهب نورها كذلك المنافق كلما تكلم بكلمة الاخلاص أضاءله فاذا شك وقع فى الظلمة وحدثنى يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال حدثنى عبد الرحمن بن زيد فى قوله كمثل الذى استوقد نارا الى آخر الآية قال هذه صفة المنافقين كانوا قد آمنوا حتى أضاء الايمان فى قلوبهم كما أضاءت النار لهؤلاء الذين استوقدوا ثم كفروا فذهب الله بنورهم فانتزعه كما ذهب بضوء هذه النار فتركهم فى ظلمات لا يبصرون * وأولى التأويلات بالآية ما قاله قتادة والضحاك وما رواه على بن أبى طلحة عن ابن عباس وذلك أن الله جل ثناؤه انما ضرب هذا المثل للمنافقين الذين وصف صفتهم وقص قصصهم من لدن ابتدأ بذكرهم بقوله ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين أى لا المعلنين بالكفر المجاهرين بالشرك ولو كان المثل لمن آمن ايمانا صحيحا ثم أعلن بالكفر اعلانا صحيحا على ما ظن المتأول قول الله جل ثناؤه كمثل الذى استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون أن ضوء النار مثل لايمانهم الذى كان منهم عنده على صحة وان ذهاب نورهم مثل لارتدادهم واعلانهم الكفر على صحة لم يكن هنالك من القوم خداع ولا استهزاء عند انفسهم ولا نفاق وأنى يكون خداع ونفاق ممن لم يبدلك قولا ولا فعلا الا ما أوجب لك العلم بحاله التى هو لك عليها وبعزيمة نفسه التى هو مقيم عليها ان هذا بغير شك من النفاق بعيد ومن الخداع برىء فان كان القوم لم تكن لهم الا حالتان حال ايمان ظاهر وحال كفر ظاهر فقد سقط عن القوم اسم النفاق لانهم فى حال ايمانهم الصحيح كانوا مؤمنين وفى حال كفرهم الصحيح كانوا كافرين ولا حالة هنالك ثالثة كانوا بها منافقين وفى وصف الله جل ثناؤه اياهم بصفة النفاق ما ينبئ عن أن القول غير القول الذى زعمه من زعم أن القوم كانوا مؤمنين ثم ارتدوا الى الكفر فأقاموا عليه الا أن يكون قائل ذلك أراد

التحيات المباركات باللسان والصلوات بالاركان والطيبات بالجنان وقوة الايمان بالله فيصعد نور روحك وينزل نور روح محمد صلى الله عليه وسلم فيتلاقى الروحان ويحصل هنالك الروح والريحان فقل السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته فعند ذلك يقول محمد صلى الله عليه وسلم السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فكأنه قيل لك بم نلت هذه الكرامات فقل بقولى أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا رسول الله فقيل ان محمدا الذى هداك أى شئ هديتك له صلى الله عليه وسلم فقل اللهم (111) صل على محمد وآل محمد فقيل لك ان ابراهيم صلى الله عليه وسلم هو الذى قال ربنا وابعث فيهم رسولا منهم فما جزاؤك له صلى الله عليه وسلم فقل كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم فى العالمين فيقال لك هذه الخيرات من محمد وابراهيم أو من الله فقل بل من الحميد المجيد انك حميد مجيد ثم ان العبد اذا ذكر الله تعالى بهذه الاثنية والمدائح ذكره الله تعالى فى محافل الملائكة اذا ذكرنى فى ملا ذكرته فى ملا خير من ملئه فاذا سمع الملائكة ذلك اشتاقوا الى العبد فقال الله تعالى ان الملائكة اشتاقوا الى زيارتك وقد جاؤك زائرين فابدأ بالسلام عليهم لتكون من السابقين فقل عن اليمين وعن الشمال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فلا جرم اذا دخل المصلون الجنة فالملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار * (المنهج الثامن) أعظم المخلوقين جلالة ومهابة المكان والزمان فالمكان فضاء لانهاية له وخلاء لاغاية له والزمان امتداد وهمى شبيه بنهر خرج من قعر جبل الازل فامتد ودخل فى قعر الابد فلا يعرف لانفجاره مبدأ ولا لاستقراره منزل فالاول والآخر صفة الزمان والظاهر والباطن صفة المكان وكمال هذه الاربعة الرحمن الرحيم فالحق سبحانه وسع المكان ظاهرا وباطنا ووسع الزمان أولا وآخرا وهو منزه عن الافتقار الى المكان والزمان فانه كان ولا مكان ولا زمان فعقد المكان بالكرسى وسع كرسيه السموات والارض وعقد الزمان بالعرش وكان عرشه على الماء لان جرى الزمان يشبه جرى الماء فالعلو صفة الكرسى وسع كرسيه والعظمة صفة العرش رب العرش العظيم وكمال العلو والعظمة لله ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم والعلو والعظمة درجتان من درجات الكمال الا أن العظمة أقوى وفوق الكل درجة الكبرياء الكبرياء ردائى والعظمة ازارى ولا يخفى أن الرداء أعظم من الازار وفوق جميع

الصفات صفة الجلال وهي تقدسه في هويته المخصوصة عن مناسبة الممكنات وبه استحق الالهية ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ألظوا بياذا الجلال والاكرام وفي التنزيل ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام فالمصلي يبتغي وجه الله والداخل على السلطان يجب أن يتطهر من الأدناس والارجاس وأولى المراتب التطهر من دنس الذنوب توبوا الى الله توبة نصوحا ثم من الدنيا حلالها وحرامها وهو الزهد ثم من الكونين الدنيا والآخرة وهو مقام المعرفة ثم من الالتفات الى (١٣٢) أعماله وهو مقام الاخلاص ثم من الالتفات الى عدم الالتفات وهو مقام المحسنين ثم من الالتفات الى كل ما سوى الله وهو مقام الصديقين ثم قم قائما فاقم وجهك للدين حنيفا واستحضر في نفسك جميع أقسام العالم من الروحانيات والجسمانيات فقل الله أكبر أي من الكل كأمر أومن أن لا يراني ولا يسمع كلامي كما قال النبي صلى الله عليه وسلم الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك أو أكبر من أن تصل اليه عقول الخلق وأفهامهم كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه التوحيد أن لا تتوهمه أو أكبر من أن يقدر الخلق على قضاء حق عبوديته فاذا قلت الله أكبر فأجل طرف عقلك في ميادين جلال الله وقل سبحانك اللهم وبحمدك ثم قل وجهت وجهي ثم انتقل الى عالم الامر والتكليف واجعل سورة الفاتحة مرآة لكي تبصر فيها عجائب الدنيا والآخرة وتطلع منها على أنوار أسماء الله الحسنى وصفاته العليا والاديان السالفة والكتب الالهية والشرائع النبوية فتصل الى الشريعة ومنها الى الطريقة ومنها الى الحقيقة وتشاهد درجات الكاملين ودركات الناقصين فاذا قلت بسم الله الرحمن الرحيم أبصرت به الدنيا فباسمه قامت السموات والارضون واذا قلت الحمد لله رب العالمين أبصرت به الآخرة فبالحمد قامت الآخرة وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين واذا قلت الرحمن الرحيم أبصرت به عالم الجمال المشتمل على أصول النعم وفروع النوال واذا قلت مالك يوم الدين أبصرت استوقد به عالم الجلال وما يحصل هنالك من الاحوال والاهوال واذا قلت اياك نعبد أبصرت به عالم الشريعة واذا قلت واياك نستعين أبصرت به عالم الطريقة واذا قلت اهدنا الصراط المستقيم أبصرت به عالم الحقيقة واذا قلت صراط الذين أنعمت عليهم أبصرت به درجات أرباب السعادات وأصحاب الكرامات واذا قلت غير المغضوب عليهم ولا الضالين لاحظت دركات أهل التفريط والافراط فاذا انكشفت لك هذه المقامات فلا

أنهم انتقلوا من ايمانهم الذي كانوا عليه الى الكفر الذي هو نفاق وذلك قول ان قاله لم تدرك صحته الا بخبر مستفيض أو ببعض المعاني الموجبة صحته فأما في ظاهر الكتاب فلا دلالة على صحته لاحتماله من التأويل ما هو أولى به منه فاذا كان الامر على ما وصفنا في ذلك فأولى تأويلات الآية بالآية مثل استضاءة المنافقين بما أظهروا بألسنتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الاقرار به وقولهم له وللمؤمنين آمنا بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر حتى حكم لهم بذلك في عاجل الدنيا بحكم المسلمين في حقن الدماء والاموال والامن على الذرية من السباء وفي المناكحة والموارثة كمثل استضاءة الموقد النار بالنار حتى ارتفق بضيائها وأبصر ما حوله مستضيأ بنوره من الظلمة حتى خمدت النار وانطفأت فذهب نوره وعاد المستضيء به في ظلمة وحيرة وذلك أن المنافق لم يزل مستضيأ بضوء القول الذي دافع عنه في حياته القتل والسباء مع استبطانه ما كان مستوجبا به القتل وسلب المال لو أظهره بلسانه تخيل اليه بذلك نفسه أنه بالله ورسوله والمؤمنين مستهزئ مخادع حتى سولت له نفسه اذ ورد على ربه في الآخرة أنه ناج منه بمثل الذي نجا به في الدنيا من الكذب والنفاق أوما تسمع الله جل ثناؤه يقول اذ نعتهم ثم أخبر خبرهم عند ورودهم عليه يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا انهم هم الكاذبون ظنا من القوم أن نجاتهم من عذاب الله في الآخرة في مثل الذي كان به نجاتهم من القتل والسباء وسلب المال في الدنيا من الكذب والافك وأن خداعهم نافعهم هنالك نفعه اياهم في الدنيا حتى عاينوا من أمر الله ما أيقنوا به أنهم كانوا من ظنونهم في غرور وضلال واستهزاء بأنفسهم وخداع اذ أطفأ الله نورهم يوم القيامة فاستنظروا المؤمنين ليقتبسوا من نورهم فقيل لهم ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا واصلوا سعيرا فذلك حين ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون كما انطفأت نار المستوقد النار بعد اضاءتها له فبقي في ظلمته حيران تائها لقول الله جل ثناؤه يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الاماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هي مولاكم وبئس المصير فان قال لنا قائل انك ذكرت أن معنى قول الله تعالى ذكره كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله خمدت وانطفأت وليس ذلك بموجود في القرآن فما دلالتك على أن ذلك معناه قيل قد قلنا ان من شأن العرب الايجاز والاختصار اذا كان فيما نطقت به الدلالة الكافية على ما حذفت وتركت كما قال أبو ذؤيب الهذلي

(١) عصيت اليها القلب اني لامرها * سميع فما أدري أرشد طلابها

يعني بذلك فما أدري أرشد طلابها أم غي فحذف ذكر أم غي اذ كان فيما نطق به الدلالة عليها وكما قال ذو الرمة في نعت حمير

فلما لبسن الليل أو حين نصبت * له من خذا آذانها وهو جانح

يعني أو حين أقبل الليل في نظائر لذلك كثيرة كرهنا اطالة الكتاب بذكرها فكذلك قوله كمثل الذي

(١) الموجود في كتب النحو دعاني اليها القلب اني لامره الخ كتبه مصححه

تظن أنك قد بلغت الغايات بل عد الى الاقرار للحق بالكبرياء ولنفسك بالهوان وقل الله أكبر ثم انزل من صفة الكبرياء الى العظمة وقل سبحان ربى العظيم ثم انتصب ثانيا وادع لمن وقف موقفك وحمد حمدك وقل سمع الله لمن حمده فانك اذا سألته لغيرك وجدته لنفسك فالله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه المسلم ولا تكبير فى هذا المقام لان التكبير من الكبرياء والهيبة والخوف وهذا مقام الشفاعة ثم عد الى التكبير وانحدر به الى غاية العلو وقل سبحان ربى الاعلى لان السجود

أكثر تواضعا روى أن لله ملكا تحت العرش اسمه حزقيل فاوحى اليه أيها الملك طر فطار ثلاثين ألف سنة ثم ثلاثين ألف سنة ثم ثلاثين ألف سنة فلم يبلغ من أحد طرفى العرش الى الثانى فأوحى الله اليه لو طرت الى نفخ الصور لم تبلغ الى الطرف الثانى من العرش فقال الملك عند ذلك سبحان ربى الاعلى * أما فوائد السجدتين فالاولى الازل والثانية الابد والقعدة بينهما هى الدنيا فتعرف بازليته أنه لا أول له فتسجد له وبابديته انه لا آخر له فتسجد له ثانيا وأيضا الاولى فناء الدنيا فى الآخرة والثانية فناء الآخرة فى جلال الله تعالى وأيضا الاولى فناء الكل فى أنفسها والثانية بقاؤها ببقائه وأيضا الاولى انقياد عالم الشهادة لقدرته والثانية انقياد عالم الارواح لعزته ألا له الخلق والامر وأيضا الاولى سجدة الشكر بمقدار ما أعطانا من معرفة ذاته وصفاته والثانية سجدة الخوف مما فاتنا من أداء حقوق كبريائه وأيضا صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم فتواضع السجدتين بازاء تواضع ركوع واحد وأيضا ليكونا شاهدين للعبد على أداء العبادة وأيضا ليناسب الوجود الآخذ من الوحدة الى الكثرة ومن الفردية الى الزوجية وأيضا الانتصاب صفة الانسان والانحناء صفة الانعام والجثوم صفة النبات

استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله لما كان فيه وفيما بعده من قوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون دلالة على المتروك كافية من ذكره اختصر الكلام طلب الايجاز وكذلك حذف ما حذف واختصار ما اختصر من الخبر عن مثل المنافقين بعده نظير ما اختصر من الخبر عن مثل المستوقد النار لان معنى الكلام فكذلك المنافقون ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون بعد الضياء الذى كانوا فيه فى الدنيا بما كانوا يظهرون بالسنتهم من الاقرار بالاسلام وهم لغيره مستبطنون كما ذهب ضوء نار هذا المستوقد باطفاء ناره وخمودها فبقى فى ظلمة لا يبصر والهاء والميم فى قوله ذهب الله بنورهم عائدة على الهاء والميم فى قوله مثلهم ❁ القول فى تأويل قول الله (صم بكم عمى فهم لا يرجعون) قال أبو جعفر واذ كان تأويل قول الله جل ثناؤه ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون هو ما وصفنا من أن ذلك خبر من الله جل ثناؤه عما هو فاعل بالمنافقين فى الآخرة عند هتك أستارهم واظهاره فضائح أسرارهم وسلبه ضياء أنوارهم من تركهم فى ظلم أهوال يوم القيامة يترددون وفى حنادسها لا يبصرون فبين أن قوله جل ثناؤه صم بكم عمى فهم لا يرجعون من المؤخر الذى معناه التقديم وان معنى الكلام أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين صم بكم عمى فهم لا يرجعون مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون أو كمثل صيب من السماء واذ كان ذلك معنى الكلام فمعلوم أن قوله صم بكم عمى يأتيه الرفع من وجهين والنصب من وجهين فأما أحد وجهى الرفع فعلى الاستئناف لما فيه من الذم وقد تفعل العرب ذلك فى المدح والذم فتنصب وترفع وان كان خبرا عن معرفة كما قال الشاعر

لا يبعدن قومى الذين هم * سم العداة وآفة الجزر
النازلين بكل معترك * والطيبين معاقد الازر

فيروى النازلون والنازلين وكذلك الطيبون والطيبين على ما وصفت من المدح والوجه الآخر على نية التكرير من أولئك فيكون المعنى حينئذ أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين أولئك صم بكم عمى فهم لا يرجعون وأما أحد وجهى النصب فأن يكون قطعا مما فى مهتدين من ذكر أولئك لان الذى فيه من ذكرهم معرفة والصم نكرة والآخر أن يكون قطعا من الذين لان الذين معرفة والصم نكرة وقد يجوز النصب فيه أيضا على وجه الذم فيكون ذلك وجها من النصب ثالثا فاما على تأويل ما روينا عن ابن عباس من غير وجه رواية على بن أبى طلحة عنه فانه لا يجوز فيه الرفع الا من وجه واحد وهو الاستئناف وأما النصب فقد يجوز فيه من وجهين أحدهما الذم والآخر القطع من الهاء والميم اللتين فى تركهم أو من ذكرهم فى لا يبصرون وقد بينا القول الذى هو أولى بالصواب فى تأويل ذلك والقراءة التى هى قراءة الرفع دون النصب لانه ليس لاحد خلاف رسوم مصاحف المسلمين واذا قرئ نصبا كانت قراءة مخالفة رسم مصاحفهم ❁ قال أبو جعفر وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن المنافقين أنهم باشترائهم الضلالة بالهدى لم يكونوا للهدى والحق مهتدين بل هم صم عنهما فلا يسمعونهما لغلبة خذلان الله عليهم بكم عن القيل بهما فلا ينطقون بهما

فى الركوع هضم للنفس بمرتبة واحدة وفى السجود بمرتبتين ولعل ما فاتنا من الفوائد أكثر مما أدركنا * (المنهج التاسع فى اللطائف) عن النبى صلى الله عليه وسلم ان ابراهيم صلى الله عليه وسلم سأل ربه فقال ما جزاء من حمدك فقال تعالى الحمد لله فاتحة الشكر وخاتمته فقال أهل التحقيق من ههنا جعلها الله فاتحة كتابه وخاتمة كلام أحبائه فى جنته وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين وعن على عليه السلام ان أول ما خلق الله العقل من نوره المكنون ثم قال له تكلم فقال الحمد لله فقال الرب وعزتى وجلالى

ما خلقت خلقا أعز علي منك ونقل عن آدم صلى الله عليه وسلم لما عطس قال الحمد لله فأول كلام لفاتحة المحدثات الحمد وأول كلام لخاتمة
المحدثات الحمد فلا جرم جعلها الله تعالى فاتحة كتابه وأيضا أول كلام الله الحمد لله وآخر أنبيائه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين
الاول والآخر مناسبة فجعل الحمد لله أول آية من كتاب محمد رسول الله ولما كان كذلك وضع لمحمد رسول الله من كلمة الحمد اسمان محمد
وأحمد وعند هذا قال صلى الله عليه وسلم أنا في السماء أحمد وفي الارض محمد فأهل السماء في تحميد

الله ورسوله أحمدهم والله تعالى في تحميد أهل الارض كما قال فأولئك كان سعيهم مشكورا ورسول الله محمدهم * أخرى الحمد لا يحصل الا عند الفوز بالرحمة والنعمة فلما كان الحمد أول الكلمات وجب أن تكون النعمة والرحمة أول الافعال فلهذا قال سبقت رحمتي غضبي * أخرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه أحمد أي أكثر الحامدين حمدا فوجب أن تكون رحمة الله في حقه أكثر فلهذا جاء رحمة للعالمين * أخرى ان من أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى اسمه محمد وأحمد الحامد والمحمود على ما جاء في الروايات وكلها تدل على الرحمة لان الحمد يتضمن النعمة فقال تعالى نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم فقوله نبئ اشارة الى محمد وهو مذكور قبل العباد والياء في قوله عبادي ضمير الله سبحانه وكذا في اني وأنا والغفور والرحيم صفتان لله فالعبد بين يوم القيامة وقدامه الرسول صلى الله عليه وسلم مع خمسة أسماء تدل على الرحمة وخلفه خمسة ألفاظ من أسماء الله تعالى تدل على الرحمة ورحمة الرسول كثيرة وما أرسلناك الا رحمة للعالمين ورحمة الله تعالى غير متناهية ورحمتي وسعت كل شيء فكيف يضيع المذنب فيما بين
هذه الاصناف من الرحمة * أخرى في الفاتحة عشرة أشياء خمسة من صفات الربوبية وكما
الله الرب الرحمن الرحيم المالك وخمسة من صفات العبودية العبادة الاستعانة طلب الهداية طلب الاستقامة طلب النعمة في قوله أنعمت
عليهم وكأنه قيل اياك نعبد لانك أنت الله واياك نستعين يا رب اهدنا يا رحمن وارزقنا الاستقامة يا رحيم وأفض علينا سجال فضلك يا مالك
* أخرى الانسان مركب من خمسة أشياء بدن ونفس شيطانية ونفس سبعية ونفس بهيمية وجوهر ملكي عقلي فتجلى اسم الله للجوهر الملكي

والبكم الخرس وهو جمع أبكم عمي عن أن يبصروهما فيعقلوهما لان الله قد طبع على قلوبهم
بنفاقهم فلا يهتدون وبمثل ما قلنا في ذلك قال علماء أهل التأويل حدثنا محمد بن حميد قال
حدثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير
عن ابن عباس صم بكم عمي عن الخير حدثني المثنى بن ابراهيم قال حدثنا عبد الله بن صالح قال
حدثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس صم بكم عمي يقول لا يسمعون الهدى
ولا يبصرونه ولا يعقلونه وحدثني موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط
عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود
وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بكم هم الخرس حدثنا بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد
ابن زريع عن سعيد عن قتادة قوله صم بكم عمي صم عن الحق فلا يسمعونه عمي عن الحق فلا
يبصرونه بكم عن الحق فلا ينطقون به ۞ القول في تأويل قوله (فهم لا يرجعون) قال أبو جعفر
وقوله فهم لا يرجعون اخبار من الله جل ثناؤه عن هؤلاء المنافقين الذين نعتهم الله باشترائهم الضلالة
بالهدى وصممهم عن سماع الخير والحق وبكمهم عن القيل بهما وعماهم عن ابصارهما انهم
لا يرجعون الى الاقلاع عن ضلالتهم ولا يتوبون الى الانابة من نفاقهم فآيس المؤمنين من أن يبصر
هؤلاء رشدا او يقولوا حقا أو يسمعوا داعيا الى الهدى أو أن يذكروا فيتوبوا من ضلالتهم كما
آيس من توبة قادة كفار أهل الكتاب والمشركين وأحبارهم الذين وصفهم بانه قد ختم على قلوبهم
وعلى سمعهم وغشى على أبصارهم وبمثل الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل حدثنا بشر
ابن معاذ قال حدثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة فهم لا يرجعون أي لا يتوبون ولا يذكرون
وحدثني موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدي في خبر ذكره
عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم فهم لا يرجعون الى الاسلام وقد روي عن ابن عباس قول يخالف معناه معنى
هذا الخبر وهو ما حدثنا به ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن محمد بن أبي محمد مولى
زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فهم لا يرجعون أي فلا يرجعون الى
الهدى ولا الى خير فلا يصيبون نجاة ما كانوا على ما هم عليه وهذا تأويل ظاهر التلاوة بخلافه
وذلك أن الله جل ثناؤه أخبر عن القوم أنهم لا يرجعون عن اشترائهم الضلالة بالهدى الى ابتغاء
الهدى وابصار الحق من غير حصر منه جل ذكره ذلك من حالهم الى وقت دون وقت وحال دون
حال وهذا الخبر الذي ذكرناه عن ابن عباس ينبئ عن أن ذلك من صفتهم محصور على وقت وهو
ما كانوا على أمرهم مقيمين وأن لهم السبيل الى الرجوع عنه وذلك من التأويل دعوى باطلة لا دلالة
عليها من ظاهر ولا من خبر تقوم بمثله الحجة فيسلم لها ۞ القول في تأويل قوله تعالى ذكره
(أو كصيب من السماء) قال أبو جعفر والصيب الفيعل من قولك صاب المطر يصوب صوبا اذا
انحدر ونزل كما قال الشاعر فلست لانسي ولكن لملأك * تنزل من جو السماء يصوب

وكما قال علقمة بن عبدة كأنهم صابت عليهم سحابة * صواعقها لطيرهن دبيب
فلا تعدلي بيني وبين معمر * سقيت روايا المزن حين تصوب

يعني حين تحدر وهو في الاصل صيوب ولكن الواو لما سبقتها ياء ساكنة صيرتا جميعا ياء مشددة كما قيل سيد من ساد يسود وجيد من جاد يجود وكذلك تفعل العرب بالواو اذا كانت متحركة وقبلها ياء ساكنة تصيرهما جميعا ياء مشددة وبما قلنا من القول في ذلك قال أهل التأويل حدثني محمد بن اسمعيل الاحمسي قال حدثنا محمد بن عبيد قال حدثنا هرون بن عنترة عن أبيه عن ابن عباس في قوله أو كصيب من السماء قال القطر وحدثني عباس بن محمد قال حدثنا حجاج قال قال ابن جريج قال لي عطاء الصيب المطر وحدثني المثنى قال حدثنا أبو صالح قال حدثني معاوية ابن صالح عن علي عن ابن عباس قال الصيب المطر وحدثني موسى قال حدثنا عمرو قال حدثنا أسباط عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الصيب المطر وحدثني محمد بن سعد قال حدثني أبي سعد قال حدثني عمي الحسين عن أبيه عن جده عن ابن عباس مثله وحدثنا بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد عن سعيد عن قتادة أو كصيب قال المطر وحدثنا الحسن بن يحيي قال أخبرنا عبد الرزاق قال أنبأنا معمر عن قتادة مثله وحدثني محمد بن عمرو الباهلي وعمرو بن علي قالا حدثنا أبو عاصم قال حدثنا عيسى بن ميمون عن ابن أبي نجيح عن مجاهد الصيب المطر وحدثني المثنى قال حدثنا أبو حذيفة قال حدثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد الصيب المطر حدثني المثنى قال حدثنا اسحق عن ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس الصيب المطر وحدثت عن المنجاب قال حدثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس قال الصيب المطر وحدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال عبد الرحمن بن زيد أو كصيب من السماء قال أو كغيث من السماء وحدثنا سوار بن عبد الله العنبري قال قال سفيان الصيب الذي فيه المطر حدثنا عمرو بن علي قال حدثنا أبو معاوية قال حدثنا ابن جريج عن عطاء في قوله أو كصيب من السماء قال المطر * قال أبو جعفر وتأويل ذلك مثل استضاءة المنافقين بضوء اقرارهم بالاسلام مع استسرارهم الكفر مثل اضاءة موقد النار بضوء ناره على ما وصف جل ثناؤه من صفته أو كمثل مطر مظلم ودقه يحدر من السماء تحمله مزنة ظلماء في ليلة مظلمة وذلك هو الظلمات التي أخبر الله جل ثناؤه أنها فيه فان قال لنا قائل أخبرنا عن هذين المثلين أهما مثلان للمنافقين أو أحدهما فان يكونا مثلين للمنافقين فكيف قيل أو كصيب وأو تأتي بمعنى الشك في الكلام ولم يقل وكصيب بالواو التي تلحق المثل الثاني بالمثل الاول أو يكون مثل القوم أحدهما فما وجه ذكر الآخر بأو وقد علمت أن أو اذا كانت في الكلام فانما تدخل فيه على وجه الشك من المخبر فيما أخبر عنه كقول القائل لقيني أخوك أو أبوك وانما لقيه أحدهما ولكنه جهل عين الذي لقيه منهما مع علمه أن أحدهما قد لقيه وغير جائز في الله جل ثناؤه أن يضاف اليه الشك في شيء أو عزوب علم شيء عنه فيما أخبر أو ترك الخبر عنه قيل له ان

فاطمأن اليه ألا بذكر الله تطمئن القلوب وتجلى للنفس الشيطانية باسم الرب فلان وانقاد لطاعة الديان رب أعوذ بك من همزات الشياطين وتجلى للنفس السبعية باسم الرحمن وهو مركب من القهر واللطف الملك يومئذ الحق للرحمن فترك الخصومة والعدوان وتجلى للنفس البهيمية باسم الرحيم أحل لكم الطيبات فترك العصيان وتجلى للابدان بصفة القهر والمالكية لان البدن غليظ كثيف فيحتاج الى قهر شديد لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فدان فلما كان هذه التجليات انغلقت له أبواب النيران وفتحت عليه أبواب الجنان ورجع القهقرى كما جاء فلطاعة الابدان قال اياك نعبد ولطاعة النفس البهيمية قال واياك نستعين على ترك اللذات وارتكاب المنكرات ولطاعة النفس السبعية قال اهدنا وأرشدنا وعلى دينك ثبتنا ولطاعة النفس الشيطانية طلب الاستقامة فقال اهدنا الصراط المستقيم ولجوهره العقلي الملكي طلب مرافقة الارواح المقدسة لا المدنسة فقال صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين * أخرى بني الاسلام على خمس شهادة أن لا اله الا الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت فشهادة أن لا اله الا الله من تجلي نور اسم الله واقام الصلاة من تجلي نور اسم الرب لان الرب من التربية والعبد يربي أمانة عدد الصلاة وايتاء الزكاة من تجلي اسم الرحمن لان الزكاة سببها الرحمة على الفقراء وصوم رمضان من تجلي اسم الرحيم لان الصائم اذا جاع يذكر جوع الفقراء فيعطيهم (يحكى) أن يوسف حين تمكن من مصر كان لا يشبع فقيل له في ذلك فقال أخاف ان أشبع فانسى الجياع وأيضا الصائم يرحم نفسه لانه اذا جاع حصل له فطام عن الالتذاذ بالمحسوسات فعند الموت يسهل عليه مفارقتها ووجوب الحج من تجلي اسم مالك يوم الدين لان الحج يوجب هجرة الوطن ومفارقة الاهل والولد وذلك يشبه سفر القيامة وأيضا الحاج يكون عاريا حافيا حاسرا وهو يشبه أحوال القيامة * أخرى الحواس خمس ولكل أدب فادب البصر ما زاغ البصر وما طغى فاعتبروا يا أولي الابصار وأدب السمع الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وأدب الذوق يا أيها الرسل كلوا من الطيبات وأدب الشم اني لأجد ريح يوسف وأدب المس والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فاستعن بانوار الاسماء الخمسة الله الرب الرحمن الرحيم المالك على تأديب هذه الحواس الخمس

• أخرى الشطر الاول من الفاتحة مشتمل على الاسماء الحسنة لله فيفيض أنوارها على الاسرار والشطر الثانى مشتمل على الصفات الحسن للعبد فتصعد منها أسراره الى تلك الانوار ويحصل للعبد معراج فى قراءته وتقرير الاسرار أن حاجة العبد اما لدفع ضر أو جلب خير وكل منهما اما فى الدنيا واما فى الآخرة فهذه أربعة وههنا قسم خامس هو الاشرف وذلك الاقبال على طاعة الله وعبوديته لا لاجل رغبة أو رهبة فان شاهدت نور اسم الله لم تطلب منه شيأ سوى الله وان (١١٦) طالعت نور الرب طلبت منه خيرات الجنة وان طالعت نور الرحمن طلبت منه خيرات الدنيا وان طالعت نور الرحيم طلبت منه العصمة عن مضار الآخرة وان طالعت نور مالك يوم الدين طلبت منه الصون عن آفات الدنيا الموقعة فى عذاب الآخرة أعاذنا الله منها • أخرى للتجلى ثلاث مراتب تجلى الذات قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون وهذا لعظماء الانبياء والملائكة المقربين وهذه نهاية الاحوال ويدل عليه اسم الله وتجلى الصفات وهو فى أواسط الاحوال ويكون للاولياء وأولى الالباب الذين يتفكرون فى خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا ويدل عليه اسم الرحمن وتجلى الافعال والآيات وهو فى بداية الاحوال ويكون لعامة العباد الذى جعل لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى كلوا وارعوا أنعامكم ان فى ذلك لآيات لأولى النهى ويدل عليه لفظ الرحيم ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما • أخرى فى الفاتحة كلمتان مضافتان الى اسم الله بسم الله والحمد لله بسم الله لبداية الامور والحمد لله لخواتيم الامور بسم الله ذكر والحمد لله شكر بسم الله أستحق الرحمة رحمن الدنيا وبالحمد لله أستحق رحمة أخرى رحيم الآخرة وكلمتان أضيف اليهما اسمان لله رب العالمين مالك يوم الدين فالربوبية لبداية حالهم ألست بربكم قالوا بلى والملك لنهاية حالهم لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وبينهما اسمان مطلقان لوسط حالهم الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من فى الارض يرحمكم من فى السماء • المنهج العاشر للخلق خمس أحوال أولها الايجاد والتكوين والابداع ويدل عليه اسم الله وثانيها التربية فى مصالح الدنيا ويدل عليه اسم الرب وثالثها التربية فى معرفة المبدا ويدل عليها اسم الرحمن ورابعها فى معرفة المعاد ويدل عليها اسم الرحيم كى يقدم على ما ينبغى ويحجم عما لا ينبغى وخامسها نقل الارواح من

الامر فى ذلك بخلاف الذى ذهبت اليه وأو وان كانت فى بعض الكلام تأتى بمعنى الشك فانها قد تأتى دالة على مثل ما تدل عليه الواو اما بسابق من الكلام قبلها واما بما يأتى بعدها كقول توبة ابن الحمير

وقد زعمت ليلى بانى فاجر * لنفسى تقاها أو عليها فجورها

ومعلوم أن ذلك من توبة على غير وجه الشك فيما قال ولكن لما كانت أو فى هذا الموضع دالة على مثل الذى كانت تدل عليه الواو لو كانت مكانها وضعها موضعها وكذلك قول جرير

جاء الخلافة أو كانت له قدرا * كما أتى ربه موسى على قدر

وكما قال الآخر

فلو كان البكاء يرد شيأ * بكيت على جبير أو عناق
على المرأين اذ مضيا جميعا * لشأنهما بحزن واشتياق

فقد دل بقوله على المرأين اذ مضيا جميعا أن بكاءه الذى أراد أن يبكيه لم يرد أن يقصد به أحدهما دون الآخر بل أراد أن يبكيهما جميعا فكذلك ذلك فى قول الله جل ثناؤه أو كصيب من السماء لما كان معلوما أن أو دالة فى ذلك على مثل الذى كانت تدل عليه الواو لو كانت مكانها كان سواء نطق فيه بأو أو بالواو وكذلك وجه حذف المثل من قوله أو كصيب لما كان قوله كمثل الذى استوقد نارا دالا على أن معناه كمثل صيب حذف المثل واكتفى بدلالة ما مضى من الكلام فى قوله كمثل الذى استوقد نارا على أن معناه أو كمثل صيب من اعادة ذكر المثل طلب الايجاز والاختصار ۞ القول فى تأويل قوله جل ثناؤه ﴿فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه واذا أظلم عليهم قاموا﴾ قال أبو جعفر فأما الظلمات فجمع واحدها ظلمة وأما الرعد فان أهل العلم اختلفوا فيه فقال بعضهم هو ملك يزجر السحاب ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال حدثنا محمد بن جعفر قال حدثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد قال الرعد ملك يزجر السحاب بصوته وحدثنا محمد بن المثنى قال حدثنا ابن أبى عدى عن شعبة عن الحكم عن مجاهد مثله وحدثنى يحيى بن طلحة اليربوعى قال حدثنا فضيل بن عياض عن ليث عن مجاهد مثله وحدثنى يعقوب بن ابراهيم قال حدثنا هشيم قال أنبأنا اسمعيل ابن سالم عن أبى صالح قال الرعد ملك من الملائكة يسبح وحدثنى نصر ابن عبد الرحمن الاودى قال حدثنا محمد بن يعلى عن أبى الخطاب البصرى عن شهر بن حوشب قال الرعد ملك موكل بالسحاب يسوقه كما يسوق الحادى الابل يسبح كلما خالفت سحابة سحابة صاح بها فاذا اشتد غضبه طارت النار من فيه فهى الصواعق التى رأيتم وحدثت عن المنجاب بن الحارث قال حدثنا بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس قال الرعد ملك من الملائكة اسمه الرعد وهو الذى تسمعون صوته حدثنا أحمد بن اسحق الاهوازى قال حدثنا أبو أحمد قال حدثنا عبد الملك بن حسين عن السدى عن أبى مالك عن ابن عباس قال الرعد ملك يزجر السحاب بالتسبيح والتكبير وحدثنا الحسن بن محمد قال حدثنا على بن عاصم عن ابن جريج عن مجاهد عن ابن عباس قال الرعد اسم ملك وصوته هذا تسبيحه فاذا اشتد زجره السحاب اضطرب السحاب

واحتك

عالم الاجساد الى المعاد ويدل عليه اسم مالك يوم الدين ثم ان العبد اذا انتفع بهذه الاسماء صار من أهل المشاهدة فقال اياك نعبد لانك أنت الله الخالق واياك نستعين لانك أنت الرب الرازق اياك نعبد لانك الرحمن واياك نستعين لانك الرحيم اياك نعبد لانك الملك واياك نستعين لانك المالك اياك نعبد لانا ننتقل من دار الشرور الى دار السرور ولا بد من زاد وخير الزاد العبادة واياك نستعين لان الذى نكتسب بقوتنا وقدرتنا لا يكفينا فان السفر طويل والزاد قليل ثم اذا حصل الزاد باعانتك فالشقة شاسعة والطرق كثيرة فلا طريق الا أن يطلب الطريق ممن هو بارشاد السالكين حقيق اهدنا الصراط المستقيم ثم انه لا بد لسالك الطريق الطويل من رفيق ودليل صراط الذين أنعمت عليهم فالانبياء أدلاء والصديقون والشهداء والصالحون رفقاء غير المغضوب عليهم ولا الضالين لان الحجب قسمان نارية وهى الدنيا بما فيها ونورية وهى ما سواها اللهم ادفع عنا كل ما يحجب بينك وبيننا انك رب العالمين ومالك يوم الدين

﴿سورة البقرة وقد يقال السورة التى تذكر فيها البقرة مدنية غير آية نزلت يوم عرفة يعنى قوله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله حروفها ٢٥٥٠٠ كلماتها ٦١٢١ آياتها عند أهل الكوفه ٢٨٦﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون﴾

القراآت لا ريب بالمد خلف والعجلى عن حمزة وخلف لنفسه وكذلك قوله تعالى لا خير ولا جرم وذلك لاجتماع الفتحة مع الالف أولتأكيد معنى النفى للجنس فيه ابن كثير وكذلك يشبع كل هاء كناية فى جميع القرآن هدى للمتقين مدغما من غير غنة حمزة وعلى وخلف ويزيد وورش من طريق النجارى والهاشمى عن ابن كثير وكذلك يدغمون النون الساكنة والتنوين فى الراء حيث وقعت أبو عمرو بالوجهين ادغام الغنة واظهارها والباقون باظهار الغنة ولا خلاف بين القراء فى ادغام أصل النون والتنوين فى اللام والواو والراء والياء والميم وانما الخلاف بينهم فى اظهار الغنة واسقاطها وهى صوت من الخيشوم يؤمنون غير مهموز أبو عمرو ويزيد وورش والاعشى وحمزة فى الوقف وكذلك ما أشبهها من الافعال الا فى أحرف يسيرة تذكر فى مواضعها الباقون بالهمز (باب فى المد) (بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك) بالمد عاصم وحمزة وعلى وخلف وابن ذكوان فلا يفرقون بين مد الكلمة والكلمتين وكذلك روى ورش عن نافع والباقون

واحتك فتخرج الصواعق من بينه حدثنا الحسن قال حدثنا عفان قال حدثنا أبو عوانة عن موسى البزار عن شهر بن حوشب عن ابن عباس قال الرعد ملك يسوق السحاب بالتسبيح كما يسوق الحادى الابل بحدائه حدثنا الحسن بن محمد قال حدثنا يحيى بن عباد وشبابة قالا ثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد قال الرعد ملك يزجر السحاب حدثنا أحمد بن اسحق قال حدثنا أبو أحمد الزبيرى قال حدثنا عتاب بن زياد عن عكرمة قال الرعد ملك فى السحاب يجمع السحاب كما يجمع الراعى الابل وحدثنا بشر قال حدثنا يزيد قال حدثنا سعيد عن قتادة قال الرعد خلق من خلق الله جل وعز سامع مطيع لله جل وعز حدثنا القاسم بن الحسن قال حدثنا الحسين بن داود قال حدثنى حجاج عن ابن جريج عن عكرمة قال ان الرعد ملك يؤمر بازجاء السحاب فيؤلف بينه فذلك الصوت تسبيحه وحدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال الرعد ملك وحدثنى المثنى قال حدثنا الحجاج بن المنهال قال حدثنا حماد بن سلمة عن المغيرة بن سالم عن أبيه أو غيره ان على بن أبى طالب قال الرعد ملك حدثنا المثنى قال حدثنا حجاج قال حدثنا حماد قال أخبرنا موسى بن سالم أبو جهضم مولى ابن عباس قال كتب ابن عباس الى أبى الخلد يسأله عن الرعد فقال الرعد ملك حدثنا المثنى قال حدثنا مسلم بن ابراهيم قال حدثنا عمر بن الوليد السنى عن عكرمة قال الرعد ملك يسوق السحاب كما يسوق الراعى الابل حدثنى سعد بن عبد الله بن عبد الحكم قال حدثنا حفص بن عمر قال حدثنا الحكم بن أبان عن عكرمة قال كان ابن عباس اذا سمع الرعد قال سبحان الذى سبحت له قال وكان يقول ان الرعد ملك ينعق بالغيث كما ينعق الراعى بغنمه وقال آخرون ان الرعد ريح تختنق تحت السحاب فتصاعد فيكون منه ذلك الصوت ۞ ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن اسحق قال حدثنا أبو أحمد الزبيرى قال حدثنا بشر بن اسمعيل عن أبى كثير قال كنت عند أبى الخلد اذ جاءه رسول ابن عباس بكتاب اليه فكتب اليه كتبت تسألنى عن الرعد فالرعد الريح حدثنى ابراهيم بن عبد الله قال حدثنا عمران بن ميسرة قال حدثنا ابن ادريس عن الحسن بن الفرات عن أبيه قال كتب ابن عباس الى أبى الخلد يسأله عن الرعد فقال الرعد ريح ۞ قال أبو جعفر فان كان الرعد ما ذكره ابن عباس ومجاهد فمعنى الآية أو كصيب من السماء فيه ظلمات وصوت رعد لان الرعد ان كان ملكا يسوق السحاب فغير كائن فى الصيب لان الصيب انما هو ما تحدر من صوب السحاب والرعد انما هو فى جو السماء يسوق السحاب على انه لو كان فيه ثم لم يكن له صوت مسموع فلم يكن هنالك رعب يرعب به أحد لانه قد قيل ان مع كل قطرة من قطر المطر ملكا فلا يعدو الملك الذى اسمه الرعد لو كان مع الصيب اذا لم يكن مسموعا صوته أن يكون كبعض تلك الملائكة التى تنزل مع القطر الى الارض فى أن لا رعب على أحد بكونه فيه فقد علم اذ كان الامر على ما وصفنا من قول ابن عباس أن معنى الآية أو كمثل غيث تحدر من السماء فيه ظلمات وصوت رعد ان كان الرعد هو ما قاله ابن عباس وانه استغنى بدلالة ذكر الرعد باسمه على المراد فى الكلام من ذكر صوته وان كان الرعد ما قاله أبو الخلد فلا شئ فى قوله فيه ظلمات ورعد متروك

يفرقون فيمدون الكلمة ولا يمدون بين الكلمتين فاطول الناس مدا ورش عن نافع وحمزة وخلف في اختياره والاعشى ومدهم بمنزلة اربع ألفات وأوسطهم مدا علي وابن ذكوان وعاصم غير الاعشى وأقصرهم مدا ابن كثير وأبو جعفر ونافع غير ورش وأبو عمرو وسهل ويعقوب وهشام وأصل المد ألف ساكنة على قدر فتحة فيك فتحا تاما وبالآخرة بترك الهمزة ونقلها الى الساكن الذي قبلها حيث كان ورش وكذلك حمزة في الوقف فان مذهبه أن يقف على كل كلمة

مهموزة بغير همزة (باب السكتة) روى عن حمزة وحماد والشموني انهم يسكتون على كل حرف ساكن بعده همزة سكتة لطيفة نحو الارض والانهار وقالوا آمنا وأشباه ذلك والسبب فيه التمكين والمبالغة في تحقيقها لان الهمزة بعد السكتة كالمبتدأ بها والاختيار في الكلمة الواحدة أن لا تسكت على ساكن غير لام التعريف احترازا عن قطع الكلمة * الوقوف * الم ج للاختلاف لا ريب ج على حذف خبر لا تقديره لا ريب فيه ثم يستأنف فيه هدى ومن وصل جعل فيه خبر لا أو وصف ريب وحذف خبر لا تقديره لا ريب فيه عند المؤمنين والوقف على التقديرين على فيه وهدى خبر مبتدأ محذوف أي هو هدى ومن جعل هدى حالا للكتاب باعمال معنى الاشارة في ذلك على تقدير أشير الى الكتاب هاديا لم يقف قبل هدى للمتقين لا لان الذين صفتهم ينفقون لا للعطف ليدخل عبد الله بن سلام وأصحابه في المتقين فان القرآن لهم هدى وليدخل الصحابة المؤمنون بالغيب في ثناء الهدى ووعد الفلاح ولو ابتدأ والذين كان أولئك على هدى خبرهم مختصا بهم واختص هدى القرآن واسم التقوى بالذين يؤمنون بالغيب من قبلك ج لاختلاف النظم بتقديم المفعول يوقنون ط لان أولئك مبتدأ وليس بخبر عما قبله وكذلك على كل آية وقف بها الا ما أعلم بعلامة لا المفلحون * التفسير وفيه أبحاث * البحث الاول في الم اعلم أن الالفاظ التي يتهجى بها في قولهم ألف با تا ثا أسماء مسمياتها الحروف المبسوطة التي منها ركبت الكلم لان الضاد مثلا لفظ مفرد دال بالتواطؤ على معنى مستقل بنفسه غير مقترن باحد الازمنة وذلك المعنى هو الحرف الاول من ضرب مثلا فيكون لفظ الضاد اسما ولهذا قد يتصرف في بعضها بالامالة نحو با تا وبالتفخيم نحو با تا وبالتعريف والتنكير والجمع والتصغير والوصف والاسناد اليه والاضافة وقولهم با تا ثا متهجاة

لان معنى الكلام حينئذ فيه ظلمات ورعد الذي هو ما وصفنا صفته * وأما البرق فان أهل العلم اختلفوا فيه فقال بعضهم بما حدثنا مطر بن محمد الضبي قال حدثنا أبو عاصم ح وحدثني محمد بن بشار قال حدثني عبد الرحمن بن مهدي ح وحدثنا أحمد بن اسحق الاهوازي قال حدثنا أبو أحمد الزبيري قالوا جميعا حدثنا سفيان الثوري عن سلمة بن كهيل عن سعيد بن أشوع عن ربيعة بن الابيض عن علي قال البرق مخاريق الملائكة حدثنا أحمد بن اسحق قال حدثنا أبو أحمد الزبيري قال حدثنا عبد الملك بن الحسين عن السدي عن أبي مالك عن ابن عباس البرق مخاريق بايدي الملائكة يزجرون بها السحاب وحدثني المثنى قال حدثنا الحجاج قال حدثنا حماد عن المغيرة بن سالم عن أبيه أو غيره أن علي بن أبي طالب قال الرعد الملك والبرق ضربه السحاب بمخراق من حديد وقال آخرون هو سوط من نور يزجي به الملك السحاب حدثت عن المنجاب بن الحرث قال حدثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس بذلك وقال آخرون هو ماء * ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن اسحق الأهوازي قال حدثنا أبو أحمد الزبيري قال حدثنا بشر بن اسمعيل عن أبي كثير قال كنت عند أبي الجلد اذ جاءه رسول ابن عباس بكتاب اليه فكتب اليه تسألني عن البرق فالبرق الماء حدثنا ابراهيم بن عبد الله قال حدثنا عمران بن ميسرة قال حدثنا ابن ادريس عن الحسن بن الفرات عن أبيه قال كتب ابن عباس الى أبي الجلد يسأله عن البرق فقال البرق ماء حدثنا ابن حميد قال حدثنا جرير عن عطاء عن رجل من أهل البصرة من قرائهم قال كتب ابن عباس الى أبي الجلد رجل من أهل هجر يسأله عن البرق فكتب اليه كتبت الي تسألني عن البرق وانه من الماء * وقال آخرون هو مصع ملك حدثنا محمد بن بشار قال حدثنا عبد الرحمن بن مهدي قال حدثنا سفيان عن عثمان بن الاسود عن مجاهد قال البرق مصع ملك حدثني المثنى قال حدثنا اسحق قال حدثنا هشام عن محمد بن مسلم الطائفي قال بلغني أن البرق ملك له أربعة أوجه وجه انسان ووجه ثور ووجه نسر ووجه أسد فاذا مصع باجنحته فذلك البرق حدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج عن وهب بن سليمان عن شعيب الجبائي قال في كتاب الله الملائكة حملة العرش لكل ملك منهم وجه انسان وثور وأسد فاذا حركوا أجنحتهم فهو البرق وقال أمية بن أبي الصلت

رجل وثور تحت رجل يمينه * والنسر للاخرى وليث مرصد

حدثنا الحسين بن محمد قال حدثنا علي بن عاصم عن ابن جريج عن مجاهد عن ابن عباس البرق ملك وقد حدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج قال الصواعق ملك يضرب السحاب بالمخاريق يصيب منه من يشاء ۞ قال أبو جعفر وقد يحتمل أن يكون ما قاله علي بن أبي طالب وابن عباس ومجاهد بمعنى واحد وذلك أن تكون المخاريق التي ذكر علي رضي الله عنه أنها هي البرق هي السياط التي هي من نور التي يزجي بها الملك السحاب كما قال ابن عباس ويكون ازجاء الملك السحاب مصعه اياه بها وذلك أن المصاع عند العرب أصله المجالدة بالسيوف ثم تستعمله في كل شيء جولد به في حرب وغير حرب كما قال أعشى بني ثعلبة وهو يصف جواري يلعبن

بحليهن

يحليهن ويجالدن به اذا هن نازلن أقرانهن * وكان المصاع بما فى الجون
يقال منه ماصعه مصاعا وكان مجاهدا انما قال مصع ملك اذ كان السحاب لا يماصع الملك وانما الرعد
هو المماصع له فجعله مصدرا من مصعه يمصعه مصعا وقد ذكرنا ما فى معنى الصاعقة ما قال شهر بن
حوشب فيما مضى * وأما تأويل الآية فان أهل التأويل مختلفون فيه فروى عن ابن عباس فى ذلك
أقوال أحدها ما حدثنا به محمد بن حميد قال حدثنا سلمة قال حدثنا محمد بن اسحق عن محمد بن أبى
محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أو كصيب من السماء فيه
ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت أى هم من ظلمات ما هم
فيه من الكفر والحذر من القتل على الذى هم عليه من الخلاف والتخوف منكم على مثل ما وصف
من الذى هو فى ظلمة الصيب فجعل أصابعه فى أذنيه من الصواعق حذر الموت يكاد البرق يخطف
أبصارهم أى لشدة ضوء الحق كلما أضاء لهم مشوا فيه واذا أظلم عليهم قاموا أى يعرفون الحق
ويتكلمون به فهم من قولهم به على استقامة فاذا ارتكسوا منه الى الكفر قاموا متحيرين والآخر ما
حدثنى به موسى بن هرون قال حدثنا عمرو قال حدثنا أسباط عن السدى فى خبر ذكره عن أبى
مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله
عليه وسلم أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق الى ان الله على كل شئ قدير أما الصيب والمطر
كان رجلان من المنافقين من أهل المدينة هربا من رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين
فأصابهما هذا المطر الذى ذكر الله فيه رعد شديد وصواعق وبرق فجعلا كلما أضاء لهما الصواعق
جعلا أصابعهما فى آذانهما من الفرق أن تدخل الصواعق فى مسامعهما فتقتلهما واذا لمع البرق
مشوا فى ضوئه واذا لم يلمع لم يبصرا قاما مكانهما لا يمشيان فجعلا يقولان ليتنا قد أصبحنا فأتى محمدا
فنضع أيدينا فى يده فأصبحا فأتياه فأسلما ووضعا أيديهما فى يده وحسن اسلامهما فضرب الله
شأن هذين المنافقين الخارجين مثلا للمنافقين الذين بالمدينة وكان المنافقون اذا حضروا مجلس النبى
صلى الله عليه وسلم جعلوا أصابعهم فى آذانهم فرقا من كلام النبى صلى الله عليه وسلم أن ينزل فيهم
شئ أو يذكروا بشئ فيقتلوا كما كان ذانك المنافقان الخارجان يجعلان أصابعهما فى آذانهما واذا
أضاء لهم مشوا فيه فاذا كثرت أموالهم وولد لهم الغلمان وأصابوا غنيمة أو فتحا مشوا فيه وقالوا ان
دين محمد صلى الله عليه وسلم دين صدق فاستقاموا عليه كما كان ذانك المنافقان يمشيان اذا أضاء لهم
البرق مشوا فيه واذا أظلم عليهم قاموا فكانوا اذا هلكت أموالهم وولد لهم الجوارى وأصابهم البلاء
قالوا هذا من أجل دين محمد فارتدوا كفارا كما قام ذانك المنافقان حين أظلم البرق عليهما والثالث ما
حدثنى به محمد بن سعد قال حدثنى أبى قال حدثنى عمى عن أبيه عن جده عن ابن عباس أو كصيب
من السماء كمطر فيه ظلمات ورعد وبرق الى آخر الآية هو مثل المنافق فى ضوء ما تكلم بما معه من كتاب
الله وعمل مراآة للناس فاذا خلا وحده عمل بغيره فهو فى ظلمة ما أقام على ذلك وأما الظلمات فالضلالة
وأما البرق فالايمان وهم أهل الكتاب واذا أظلم عليهم فهو رجل يأخذ بطرف الحق لا يستطيع أن

ومقصورة نحو لا ثم قولهم كتبت باء بالمد نحو كتبت لالا يدل على أنها حروف مثل لا فانهم انما قالوا كذلك فى التهجى لكثرة الاستعمال
واستدعائها التخفيف والذى رواه ابن مسعود أن النبى صلى الله عليه وسلم قال من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها
لا أقول الم حرف بل ألف حرف ولام حرف وميم حرف وأيضا ما وقع فى عبارات المتقدمين من انها حروف التهجى خليق بان يصرف الى التسامح
والتجوز لانه اسم للحرف وهما متلازمان أولان الحرف قد يطلق على الكلمة تسمية للجنس باسم النوع ويحكى عن الخليل
انه سأل أصحابه كيف تنطقون
بالباء التى فى ضرب والكاف التى
فى ذلك فقالوا نقول باء كاف فقال
انما جئتم بالاسم لا الحرف وقال
أقول ب ك ثم انهم راعوا فى
هذه التسمية لطيفة وهى أنهم
جعلوا المسمى صدر كل اسم منها الا
الالف فانهم استعاروا الهمزة
مكان مسماها لانه لا يكون الا
ساكنا ومما يضاهيها فى ابداع اللفظ
دلالة على المعنى البسملة والحمدلة
والتهليل ونحوها وحكم هذه
الاسماء سكون الاعجاز مالم تلها
العوامل فيقال ألف لام ميم موقوفا
عليها الفقد مقتضى الاعراب نحو
واحد اثنان ثلاثة دار ثوب جارية فاذا
وليتها العوامل أدركها الاعراب
نحو هذه ألف وكتبت ألفا ونظرت
الى ألف والدليل على أن سكونها
وقف وليس ببناء أنها لو بنيت
لحذى بها حذو كيف وأين وهؤلاء
ولم يقل صاد قاف نون مجموعا
فيها بين الساكنين وللناس فى
الم وما يجرى مجراه من فواتح السور
قولان أحدهما أن هذا علم مستور
وسر محجوب استأثر الله به
والتخاطب بالحروف المفردة سنة
الاحباب فى سنن المحاب فهو سر
الحبيب مع الحبيب بحيث لا يطلع
عليه الرقيب شعر

بين المحبين سر ليس يفشيه
قول ولا قلم للخلق يحكيه

عن أبى بكر فى كل كتاب سر وسره فى القرآن أوائل السور وعن على كرم الله وجهه ان لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجى
وقال بعض العارفين العلم كبحر أجرى منه واد ثم أجرى من الوادى نهر ثم أجرى من النهر جدول ثم أجرى من الجدول ساقية فالوادى
لا يحتمل البحر والنهر لا يحتمل الوادى ولهذا قال عز من قائل أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فبحور العلم عند الله تعالى
فأعطى الرسل منها أودية ثم أعطى الرسل من أوديتهم أنهارا الى العلماء ثم أعطى العلماء الى العامة جداول صغارا على قدر طاقتهم ثم

أجرت العامة سواقى الى أهاليهم بقدر طاقتهم وهذا مأخوذ مما ورد فى الخبر للعلماء سر وللخلفاء سر وللانبياء سر وللملائكة سر ولله من بعد
ذلك كله سر فلو اطلع الجهال على سر العلماء لأبادوهم ولو اطلع العلماء على سر الخلفاء لنابذوهم ولو اطلع الخلفاء على سر الانبياء لخالفوهم ولو
اطلع الانبياء على سر الملائكة لاتهموهم ولو اطلع الملائكة على سر الله لطاحوا حائرين وبادوا بائدين والسبب فى ذلك أن العقول الضعيفة
لا تحتمل الاسرار القوية كما لا يحتمل نور الشمس أبصار الخفافيش وسئل الشعبى عن هذه الحروف فقال سر الله فلا تطلبو
وعن ابن عباس انه قال عجزت العلماء
عن ادراكها وقيل هو من المتشابه
وزيف هذا القول بنحو قوله تعالى
أفلا يتدبرون القرآن تبيانا لكل شئ
هدى للمتقين وانما يمكن التدبر
ويكون تبيانا وهدى اذا كان مفهوما
وبقوله صلى الله عليه وسلم انى
تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن
تضلوا كتاب الله وعترتى فكيف يمكن
التمسك به وهو غير معلوم وأيضا
لا يخاطب المكلف بما لا يفهم كما
لا يخاطب العربى بالعجمى ولا يجوز
التحدى بما لا يكون معلوما وعورض
بقوله تعالى وما يعلم تأويله الا الله
والوقف هنا لأن الراسخين لو كانوا
عالمين بتأويله كان الايمان به كالايمان
بالمحكم فلا يكون فى الايمان به مزيد
مدح ولا يكون فى قوله كل من عند
ربنا فائدة على ما لا يخفى وبقوله
صلى الله عليه وسلم أصحابى كالنجوم
بأيهم اقتديتم اهتديتم وقد رويناه
عن أكابر الصحابة مار وينا وأيضا
الافعال التى كلفنا بها منها ما يظهر
وجه الحكمة فيه كالصلاة فان فيها
تواضعا للمعبود والصوم ففيه كسر
الشهوة والزكاة ففيها سد خلة
المساكين ومنها ما لا يظهر فيه الحكمة
ككثير من أفعال الحج ويحسن من
الله تعالى الامر بالنوعين لظهور
الامتثال بهما بل كمال الانقياد فى
النوع الثانى أظهر وأكثر لانه
تعبد محض فلم لا يجوز أن يكون فى الاقوال أيضا مثل ذلك مع ان فيه فائدة أخرى
هى اشتغال السر بذكر الله والتفكر فى كلامه * القول الثانى ان المراد من هذه الفواتح معلوم ثم اختلفوا على وجوه الاول انها أسماء وهو
قول أكثر المتكلمين واختاره الخليل وسيبويه كما سموا بلام والد حارثة بن لام الطائى وكقولهم للنحاس صاد وللسحاب عين وللجبل قاف
وللحوت نون وسيعود تمام الكلام فى هذا القول الثانى انها أسماء الله تعالى روى عن على عليه السلام أنه كان يقول يا كهيعص يا حم عسق

يجاوزه والرابع ما حدثنى به المثنى قال حدثنا عبد الله بن صالح قال حدثنى معاوية بن صالح عن
على بن أبى طلحة عن ابن عباس أو كصيب من السماء وهو المطر ضرب مثله فى القرآن يقول فيه
ظلمات يقول ابتلاء ورعد يقول فيه تخويف وبرق يكاد البرق يخطف أبصارهم يقول يكاد محكم
القرآن يدل على عورات المنافقين كلما أضاء لهم مشوا فيه يقول كلما أصاب المنافقون من الاسلام
عزا اطمأنوا وان أصاب الاسلام نكبة قالوا ارجعوا الى الكفر يقول واذا أظلم عليهم قاموا كقوله
ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة الى آخر الآية ثم
اختلف سائر أهل التأويل بعد فى ذلك نظير ما روى عن ابن عباس من الاختلاف فحدثنى محمد بن
عمرو الباهلى قال حدثنا أبو عاصم عن عيسى بن ميمون عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال اضاءة البرق
واظلامه على نحو ذلك المثل وحدثنى المثنى قال حدثنا أبو حذيفة قال حدثنا شبل عن ابن أبى
نجيح عن مجاهد مثله حدثنا عمرو بن على قال حدثنا أبو عاصم قال حدثنا عيسى عن ابن أبى نجيح
عن مجاهد مثله وحدثنا بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة فى قول الله
فيه ظلمات ورعد وبرق الى قوله واذا أظلم عليهم قاموا فالمنافق اذا رأى فى الاسلام رخاء أو طمأنينة
أو سلوة من عيش قال أنا معكم وأنا منكم واذا أصابته شدة حقحق والله عندها فانقطع به فلم يصبر على
بلائها ولم يحتسب أجرها ولم يرج عاقبتها وحدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا
معمر عن قتادة فيه ظلمات ورعد وبرق يقول أخبر عن قوم لا يسمعون شيأ الا ظنوا انهم هالكون فيه
حذرا من الموت والله محيط بالكافرين ثم ضرب لهم مثلا آخر فقال يكاد البرق يخطف أبصارهم
كلما أضاء لهم مشوا فيه يقول هذا المنافق اذا كثر ماله وكثرت ماشيته وأصابته عافية قال لم يصبنى
منذ دخلت فى دينى هذا الاخير واذا أظلم عليهم قاموا يقول اذا ذهبت أموالهم وهلكت مواشيهم
وأصابهم البلاء قاموا متحيرين وحدثنى المثنى قال حدثنا اسحق بن الحجاج عن عبد الله بن أبى
جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس فيه ظلمات ورعد وبرق قال مثلهم كمثل قوم ساروا فى ليلة
مظلمة ولها مطر ورعد وبرق على جادة فلما أبرقت أبصروا الجادة فمضوا فيها واذا ذهب البرق تحيروا
وكذلك المنافق كلما تكلم بكلمة الاخلاص أضاء له فاذا شك تحير ووقع فى الظلمة فكذلك قوله كلما
أضاء لهم مشوا فيه واذا أظلم عليهم قاموا ثم قال فى أسماعهم وأبصارهم التى عاشوا بها فى الناس
ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم ۞ قال أبو جعفر وحدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال
حدثنا أبو تميلة عن عبيد بن سليمان الباهلى عن الضحاك بن مزاحم فيه ظلمات قال أما الظلمات
فالضلالة والبرق الايمان وحدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال حدثنى عبد الرحمن بن زيد فى
قوله فيه ظلمات ورعد وبرق فقرأ حتى بلغ ان الله على كل شئ قدير قال هذا أيضا مثل ضربه الله
للمنافقين كانوا قد استناروا بالاسلام كما استنار هذا بنور هذا البرق وحدثنا القاسم قال حدثنا الحسين
قال حدثنى حجاج قال قال ابن جريج ليس شئ فى الارض سمعه المنافق الا ظن أنه يراد به وانه الموت
كراهية له والمنافق أكره خلق الله للموت كما اذا كانوا بالبراز فى المطر فروا من الصواعق حدثنا عمرو
ابن

ابن على قال حدثنا أبو معاوية قال حدثنا ابن جريج عن عطاء فى قوله أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق قال مثل ضرب للكافر وهذه الاقوال التى ذكرنا عمن رويناها عنه فانها وان اختلفت فيها ألفاظ قائليها متقاربات المعانى لانها جميعا تنبئ عن أن الله ضرب الصيب لظاهر ايمان المنافق مثلا ومثل مافيه من ظلمات بضلالته ومافيه من ضياء برق بنور ايمانه واتقاءه من الصواعق بتصيير أصابعه فى أذنيه بضعف جنانه وتحير فؤاده من حلول عقوبة الله بساحته ومشيه فى ضوء البرق باستقامته على نور ايمانه وقيامه فى الظلام بحيرته فى ضلالته وارتكاسه فى عمهه فتأويل الآية اذا اذ كان الامر على ماوصفنا أومثل ما استضاء به المنافقون من قيلهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين بألسنتهم آمنا بالله وباليوم الآخر وبمحمد وما جاء به حتى صار لهم بذلك فى الدنيا أحكام المؤمنين وهم مع اظهارهم بألسنتهم ما يظهرون بالله وبرسوله صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند الله وباليوم الآخر مكذبون ولخلاف ما يظهرون بالالسن فى قلوبهم معتقدون على عمى منهم وجهالة بما هم عليه من الضلالة لايدرون أى الامرين اللذين قد شرع لهم الهداية فى الكفر الذى كانوا عليه قبل ارسال الله محمدا صلى الله عليه وسلم بما أرسله به اليهم أم فى الذى أتاهم به محمد صلى الله عليه وسلم من عند ربهم فهم من وعيد الله اياهم على لسان محمد صلى الله عليه وسلم وجلون وهم مع وجلهم من ذلك فى حقيقته شاكون فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا كمثل غيث سرى ليلا فى مزنة ظلماء وليل مظلمة يحدوها رعد ويستطير فى حافاتها برق شديد لمعانه كثير خطرانه يكاد سنا برقه يذهب بالابصار ويختطفها من شدة ضيائه ونور شعاعه وينهبط منها تارات صواعق تكاد تدع النفوس من شدة أهوالها زواهق فالصيب مثل لظاهر ما أظهر المنافقون بألسنتهم من الاقرار والتصديق والظلمات التى هى فيه لظلمات ماهم مستبطنون من الشك والتكذيب ومرض القلوب وأما الرعد والصواعق فلما هم عليه من الوجل من وعيد الله اياهم على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم فى آى كتابه اما فى العاجل واما فى الآجل أن يحل بهم مع شكهم فى ذلك هل هو كائن أم غير كائن وهل له حقيقة أم ذلك كذب وباطل مثل فهم من وجلهم أن يكون ذلك حقا يتقونه بالاقرار بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم بألسنتهم مخافة على أنفسهم من الهلاك ونزول النقمات وذلك تأويل قوله جل ثناؤه يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت يعنى بذلك يتقون وعيد الله الذى أنزله فى كتابه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم بما يبدونه بألسنتهم من ظاهر الاقرار كما يتقى الخائف أصوات الصواعق بتغطية أذنيه وتصيير أصابعه فيها حذرا على نفسه منها وقد ذكرنا الخبر الذى روى عن ابن مسعود وابن عباس أنهما كانا يقولان ان المنافقين كانوا اذا حضروا مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم أدخلوا أصابعهم فى آذانهم فرقا من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزل فيهم شئ أو يذكروا بشئ فيقتلوا فان كان ذلك صحيحا ولست أعلمه صحيحا اذ كنت باسناده مرتابا فان القول الذى روى عنهما هو القول وان يكن غير صحيح فاولى بتأويل الآية ما قلنا لان الله انما قص علينا من خبرهم فى أول

ويقرب منه ماروى عن سعيد بن جبير أنها أبعاض أسماء الله تعالى فان الر حم ن مجموعها اسم الرحمن لكنا لانقدر على كيفية تركيبها فى الجميع * الثالث انها أسماء القرآن وهو قول الكلبى والسدى وقتادة * الرابع كل واحد من الحروف دال على اسم من أسماء الله تعالى أو صفة من صفاته فالالف اشارة الى أنه أحد أول آخر أزلى أبدى واللام اشارة الى أنه لطيف والميم الى انه مجيد ملك منان وفى كهيعص الكاف كاف لعباده والهاء هاد والياء من الحكيم والعين عالم والصاد صادق أو الكاف محمول على الكبير والكريم والياء على انه مجير والعين على العزيز والعدل ويروى هذا عن ابن عباس وعنه أيضا فى ألم أنا الله أعلم وفى المص أنا الله أعلم وأفصل وفى المر أنا الله أرى * الخامس انها صفات الافعال الالف آلاؤه واللام لطفه والميم مجده قاله محمد ابن كعب القرظى * السادس الالف من الله واللام من جبرائيل والميم من محمد صلى الله عليه وسلم أى أنزل الله الكتاب بواسطة جبرائيل على محمد صلى الله عليه وسلم * السابع الالف أنا واللام لى والميم منى قاله بعض الصوفية * الثامن ان ورودها مسرودة هكذا على نمط التعديد ليكون كالايقاظ وقرع العصا لمن تحدى بالقرآن أى ان هذا المتلو عليهم وقد عجزوا عنه عن آخرهم كلام منظوم من عين ما ينظمون منه كلامهم فلولا انه كلام خالق القدر لم يعجز معشر البشر عن الاتيان بمثل الكوثر قاله المبرد وجم غفير * التاسع كأنه تعالى يقول اسمعوها مقطعة حتى اذا وردت عليكم مؤلفة كنتم قد عرفتموها قبل ذلك وهذا على طريقة تعليم الصبيان قاله عبد العزيز ابن يحيى * العاشر ان الكفار لما قالوا لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه أنزل الله تعالى هذه الاحرف رغبة فى اصغائهم اليه بهجم عليهم القرآن من حيث لايشعرون قاله أبو روق وقطرب * الحادى عشر قول أبى العالية انه حساب على ماروى ابن عباس انه مر أبو ياسر بن أخطب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتلو سورة البقرة الم ذلك الكتاب ثم أتى أخوه حيى بن أخطب وكعب بن الاشرف فسألوه عن الم وقالوا ننشدك الله الذى لا اله الا هو أحق انها أتتك من السماء فقال صلى الله عليه وسلم نعم كذلك نزلت فقال حيى ان كنت صادقا انى لاعلم أجل هذه الامة من السنين ثم قال كيف ندخل فى دين رجل دلت هذه الحروف بحساب الجمل على أن منتهى مدته

مبتدا اقصصهم أنهم يخادعون الله ورسوله والمؤمنين بقولهم آمنا بالله وباليوم الآخر مع شك قلوبهم
ومرض أفئدتهم في حقيقة ما زعموا أنهم به مؤمنون مما جاءهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم
من عند ربهم وبذلك وصفهم في جميع آى القرآن التى ذكر فيها صفتهم فكذلك ذلك في هذه الآية
وانما جعل الله ادخالهم أصابعهم في آذانهم مثلا لاتقائهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين
بما ذكرنا أنهم يتقونهم به كما يتقى سامع صوت الصاعقة بادخال أصابعه في أذنيه وذلك من المثل
نظير تمثيل الله جل ثناؤه ما أنزل فيهم من الوعيد في آى كتابه بأصوات الصواعق وكذلك قوله حذر
الموت جعله جل ثناؤه مثلا لخوفهم واشفاقهم من حلول عاجل العقاب المهلك الذى توعده
بساحتهم كما يجعل سامع أصوات الصواعق أصابعه في أذنيه حذر العطب والموت على نفسه أن
تزهق من شدتها وانما نصب قوله حذر الموت على نحو ما تنصب به التكرمة في قولك زرتك تكرمة
لك تريد بذلك من أجل تكرمتك وكما قال جل ثناؤه ويدعوننا رغبا ورهبا على التفسير للفعل وقد
روى عن قتادة أنه كان يتأول قوله حذر الموت حذرا من الموت حدثنا بذلك الحسن بن يحيى قال
حدثنا عبد الرزاق قال أنبأنا معمر عنه وذلك مذهب من التأويل ضعيف لان القوم لم يجعلوا
أصابعهم في آذانهم حذرا من الموت فيكون معناه ما قال انه لم ... به حذرا من الموت وانما جعلوها
من حذار الموت في آذانهم وكان قتادة وابن جريج يتأولان قوله والله ... لون أصابعهم في آذانهم من
الصواعق حذر الموت ان ذلك من الله جل ثناؤه صفة للمنافقين ... قال أخبرنا ... ضعف القلوب وكراهة
الموت ويتأولان في ذلك قوله يحسبون كل صيحة عليهم وليس الامر في ذلك عندى كالذى قالا
وذلك أنه قد كان فيهم من لا تنكر شجاعته ولا تدفع بسالته كقزمان الذى لم يقم مقامه أحد من
المؤمنين بأحد ودونه وانما كانت كراهتهم شهود المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركهم
معاونته على أعدائه لانهم لم يكونوا في أديانهم مستبصرين ولا برسول الله صلى الله عليه وسلم
مصدقين فكانوا للحضور معه مشاهده كارهين الا بالتخذيل عنه ولكن ذلك وصف من الله جل
ثناؤه لهم بالاشفاق من حلول عقوبة الله بهم على نفاقهم إما عاجلا وإما آجلا ثم أخبر جل ثناؤه
أن المنافقين الذين نعتهم النعت الذى ذكر وضرب لهم الامثال التى وصف وان اتقوا عقابه
وأشفقوا عذابه اشفاق الجاعل في أذنيه أصابعه حذار حلول الوعيد الذى توعدهم به في آى كتابه
غير منجيهم ذلك من نزوله بعقوبتهم وحلوله بساحتهم اما عاجلا في الدنيا واما آجلا في الآخرة للذى
في قلوبهم من مرضها والشك في اعتقادها فقال والله محيط بالكافرين بمعنى جامعهم فحل بهم
عقوبته وكان مجاهد يتأول ذلك كما حدثني محمد بن عمرو الباهلى قال حدثنا أبو عاصم عن عيسى
ابن ميمون عن عبد الله بن أبى نجيح عن مجاهد في قول الله والله محيط بالكافرين قال جامعهم في
جهنم واما ابن عباس فروى عنه في ذلك ما حدثني به ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن اسحق
عن محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس والله محيط
بالكافرين يقول الله منزل ذلك بهم من النقمة حدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثنا
حجاج عن ابن جريج عن مجاهد في قوله والله محيط بالكافرين قال جامعهم ثم عاد جل ذكره الى نعت

احدى وسبعون سنة فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حيي فهل غير ذلك فقال نعم المص فقال حيي مائة واحدى وستون فهل
غير هذه فقال نعم الر فقال حيي نشهد ان كنت صادقا ما ملكت أمتك الا مائتين واحدى وثلاثين سنة فهل غير هذا قال نعم المر قال
حيي لا ندرى بأى أقوالك نأخذ فقال أبو ياسر أما أنا فأشهد أن أنبياءنا قد أخبروا عن ملك هذه الامة ولم يبينوا أنها كم تكون فان كان محمد
صلى الله عليه وسلم صادقا فيما يقوله انى لأراه يستجمع له هذا كله فقام اليهود وقالوا اشتبه علينا أمرك فأنزل
الله تعالى هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات * الثانى عشر تدل على انقطاع كلام واستئناف كلام آخر * الثالث عشر قول الأخفش ان الله تعالى أقسم بهذه الحروف المعجمة لشرفها من حيث انها أصول اللغات بها يتعارفون ويذكرون الله ويوحدونه واقتصر على البعض والمراد الكل كما تقول قرأت الحمد وتريد السورة كلها أقسم الله بها أن هذا الكتاب هو المثبت في اللوح المحفوظ * الرابع عشر أن النطق بالحروف أنفسها كانت العرب فيه مستوية الاقدام الاميون وأهل الخط والكتاب بخلاف النطق بأسامى الحروف فانه كان مختصا عن خط وقرأ فلما أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بها من غير تعلم خط وقراءة كان ذلك دليلا على أنه استفاد ذلك من قبل الوحى * الخامس عشر قال القاضى الماوردى معناه ألم بكم ذلك الكتاب أى نزل وهذا لا يتأتى في كل فاتحة * السادس عشر الألف اشارة الى ما لا بد منه من الاستقامة على الشريعة في أول الامر ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا واللام اشارة الى الحاصل عند المجاهدات
وهو رعاية الطريقة والذين جاهدوا فينا والميم اشارة الى صيرورة العبد في مقام المحبة كالدائرة التى يكون نهايتها عين بدايتها وهو اقرار
مقام الفناء في الله بالكلية وهو الحقيقة قل الله ثم ذرهم * السابع عشر الألف من أقصى الحلق واللام من طرف اللسان وهو وسط المخارج
والميم من الشفة وهو آخر المخارج أى أول ذكر العبد ووسطه وآخره لا ينبغى الا الله * الثامن عشر سمعت بعض الشيعة يقول هذه
الفواتح اذا حذف منها المكررات يبقى ما يمكن ان تـ كـ ـمنه على صراط حق نمسكه وهذا غريب مع انه متكلف فلهذا أوردته * واعلم ان الناقة

اقرار المنافقين بألسنتهم والخبر عنه وعنهم وعن نفاقهم واتمام المثل الذي ابتدأ ضربه لهم ولشكهم ومرض قلوبهم فقال يكاد البرق يعني بالبرق الاقرار الذي أظهروه بألسنتهم بالله وبرسوله وما جاء به من عند ربهم فجعل البرق له مثلا على ما قدمنا صفته يخطف أبصارهم يعني يذهب بها ويستلبها ويلتمعها من شدة ضيائه ونور شعاعه كما حدثت عن المنجاب بن الحرث قال حدثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس في قوله يكاد البرق يخطف أبصارهم قال يلتمع أبصارهم ولما يفعل ۞ قال أبو جعفر والخطف السلب ومنه الخبر الذي روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن الخطفة يعني بها النهبة ومنه قيل للخطاف الذي يخرج به الدلو من البئر خطاف لاختطافه واستلابه ما علق به ومنه قول نابغة بني ذبيان

خطاطيف حجن في حبال متينة * تمد بها أيد اليك نوازع

فجعل ضوء البرق وشدة شعاع نوره كضوء اقرارهم بألسنتهم بالله وبرسوله صلى الله عليه وسلم وبما جاء به من عند الله واليوم الآخر وشعاع نوره مثلا ثم قال تعالى ذكره كلما أضاء لهم يعني أن البرق كلما أضاء لهم وجعل البرق لايمانهم مثلا وانما أراد بذلك أنهم كلما أضاء لهم الايمان واضاءته لهم أن يروا فيه ما يعجبهم في عاجل دنياهم من النصرة على الاعداء واصابة الغنائم في المغازي وكثرة الفتوح ومنافعها والثراء في الاموال والسلامة في الابدان والاهل والاولاد فذلك اضاءته لهم لانهم انما يظهرون بألسنتهم ما يظهرونه من الاقرار ابتغاء ذلك ومدافعة عن أنفسهم وأموالهم وأهليهم وذراريهم وهم كما وصفهم الله جل ثناؤه بقوله ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه ويعني بقوله مشوا فيه مشوا في ضوء البرق وانما ذلك مثل لاقرارهم على ما وصفنا فمعناه كلما رأوا في الايمان ما يعجبهم في عاجل دنياهم على ما وصفنا ثبتوا عليه وأقاموا فيه كما يمشي السائر في ظلمة الليل وظلمة الصيب الذي وصفه جل ثناؤه اذا برقت فيها بارقة أبصر طريقه فيها واذا أظلم يعني ذهب ضوء البرق عنهم ويعني بقوله عليهم على السائرين في الصيب الذي وصف جل ذكره وذلك للمنافقين مثل ومعنى اظلام ذلك أن المنافقين كلما لم يروا في الاسلام ما يعجبهم في دنياهم عند ابتلاء الله مؤمني عباده بالضراء وتمحيصه إياهم بالشدائد والبلاء من اخفاقهم في مغزاهم وانالة عدوهم منهم أو ادبار من دنياهم عنهم أقاموا على نفاقهم وثبتوا على ضلالتهم كما قام السائرون في الصيب الذي وصف جل ذكره اذا أظلم وخفت ضوء البرق فحار في طريقه فلم يعرف منهجه ۞ القول في تأويل قوله (ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم) قال أبو جعفر وانما خص جل ذكره السمع والأبصار بأنه لو شاء أذهبها من المنافقين دون سائر أعضاء أجسامهم للذي جرى من ذكرها في الآيتين أعني قوله يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق وقوله يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه فجرى ذكرها في الآيتين على وجه المثل ثم عقب جل ثناؤه ذكر ذلك بأنه لو شاء أذهبه من المنافقين عقوبة لهم على نفاقهم وكفرهم وعيدا من الله لهم كما توعدهم في الآية التي قبلها بقوله والله محيط بالكافرين

من الفواتح بعد حذف المكرر أربعة عشر نصف عدد حروف المعجم بعد الكسر وقد أورد الله الفواتح في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم وهذه الباقية تشتمل على أنصاف أجناس الحروف من المهموسة نصفها الصاد والكاف والهاء والسين والحاء ومن المجهورة نصفها الالف واللام والميم والراء والعين والطاء والقاف والياء والنون ومن الشديدة نصفها ا ك ط ق ومن الرخوة نصفها لمر صه ع سحين ومن المطبقة نصفها ص ط ومن المنفتحة نصفها الر كهو س ح ق ى ن ومن المستعلية نصفها ق ص ط ومن المنخفضة نصفها الم ر ك ه ى ع س ح ن ومن حروف القلقلة نصفها ق ط وأكثر ألفاظ القرآن من هذه الحروف وهذا دليل على أن الله تعالى عدد على العرب الالفاظ التي منها تراكيب كلامهم تبكيتا لهم واظهارا لعجزهم كما مر في الوجه الثامن ويؤيد ذلك أن الالف واللام لما تكاثر وقوعهما جاءتا في معظم هذه الفواتح مكررتين والله أعلم * التاسع عشر قيل معناه ألست بربكم الالف واللام من أوله والميم من آخره أي أخذت منكم كتاب العهد في يوم الميثاق * والمختار من هذه الاقوال عند الاكثرين القول بأنها أسماء السور ثم انه عورض بوجوه الاول أنا نجد سورا كثيرة اتفقت في التسمية بالم وحم والمقصود من العلم رفع الاشتباه * الثاني لو كانت أسماء لاشتهرت وتواترت * الثالث العرب لم يتجاوزوا بما سموا به مجموع اسمين نحو معديكرب وبعلبك ولم يسم أحد منهم بمجموع ثلاثة أسماء وأربعة وخمسة فالقول بأنها أسماء السور خروج عن لغتهم * الرابع لو كانت أسماء لاشتهرت السور بها لكنها اشتهرت بغيرها نحو سورة البقرة وآل عمران * الخامس هذه الالفاظ داخلة في السور وجزء الشئ متقدم على الشئ بالرتبة واسم الشئ متأخر عن الشئ فلزم أن يكون متقدما متأخرا معا وهو محال وليس هذا كتسميتهم صاد بالحرف الاول منه فان هذا كتسمية المفرد بالمؤلف فلا يلزم الا تأخر المركب عن المفرد (٣) بوجهين وهذا تسمية المؤلف بالمفرد ويلزم المحال المذكور وأجيب عن الاول بما يجاب عن الاعلام المشتركة من أنها ليست بوضع واحد مع أنه لا يبعد أن تجعل مشتركا حتى يتميز كل واحد من الآخر بعلامة أخرى لحكمة خفية وعن الثاني بأن تسمية السورة بلفظة معينة ليست من

الامور العظام التى تتوفر الدواعى على نقلها وعن الثالث بأن التسمية بثلاثة أسماء خروج عن كلام العرب ولكن اذا جعلت اسما واحدا فأما منثورة نثر أسماء العدد فلا استنكار لانها من باب التسمية بما حقه أن يحكى حكاية نحو برق نحره وكما لو سمى ببيت شعر أو بطائفة من أسماء حروف المعجم وعن الرابع أنه لا يبعد أن يصير اللقب أشهر من الاسم وعن الخامس أن تأخرما هو متقدم باعتبار آخر غير مستحيل وفى لسان الصوفية ان هيئة الصلاة ثلاث القيام والركوع والسجود فالالف اشارة الى القيام واللام الى الركوع والميم الى السجود أى من قرأ فاتحة الكتاب فى الصلاة التى هى معراج المؤمن شرفه الله بالهداية فى قوله هدى للمتقين وعلى هذا فيكون ذلك الكتاب اشارة الى الفاتحة لانها أم الكتاب * ثم ان هذه الاسماء ضربان أحدهما ما لا يتأتى فيه الاعراب نحو كهيعص المر وثانيهما ما يتأتى فيه الاعراب لكونه اسما فردا كصاد وقاف ونون أو أسماء عدة مجموعها على زنة مفرد كحم وطس ويس فانها موازنة لقابيل وهابيل وكقولك طسم اذا فتح نونها صار كدرابجرد فالنوع الاول محكى ليس الا والثانى فيه أمران الاعراب والحكاية فاذا أعرب منع الصرف للعلمية والتأنيث قال الشاعر

يذكرنى حاميم والرمح شاجر

فهلا تلا حاميم قبل التقدم

والحكاية أن تجىء بالقول بعد نقله على استبقاء صورته نحو قولك بدأت بالحمد لله قال ذو الرمة

سمعت الناس ينتجعون غيثا

فقلت لصيدح انتجعى بلالا

وأما من قرأ صاد وقاف ونون مفتوحات فبفعل مضمر نحو اذكر أو حركت لالتقاء الساكنين واستكره جعلها مقسما بها على طريق قولهم نعم الله لأفعلن على حذف حرف الجر واعمال فعل القسم لان القرآن والقلم بعدها محلوف بهما واستكرهوا الجمع بين قسمين على مقسم عليه واحد ولهذا قال الخليل الواو الثانية فى قوله عزمن قائل والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى واو العطف لا القسم نحو وحياتى ثم حياتك لأفعلن ولو كان انقضى قسمه بالاول على شئ لجاز أن يستعمل كلاما آخر نحو بالله لأفعلن تالله لأخرجن ولا سبيل فيما نحن بصدده الى جعل الواو للعطف لمخالفة الثانى الاول فى الاعراب اللهم الا أن تقدر مجرورة باضمار الباء القسمية لا بحذفها فقد جاء عنهم الله لأفعلن مجرورا غير أنها فتحت فى موضع الجر لكونها غير مصروفة وأما من قرأ صاد وقاف بالكسر فلالتقاء الساكنين وهذه الفواتح جاءت فى المصحف مكتوبة على وافراد

واصفا بذلك جل ذكره نفسه أنه المقتدر عليهم وعلى جمعهم لاحلال سخطه بهم وانزال نقمته عليهم ومحذرهم بذلك سطوته ومخوفهم به عقوبته ليتقوا بأسه ويسارعوا اليه بالتوبة كما حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن أبى محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم لما تركوا من الحق بعد معرفته وحدثنى المثنى قال حدثنا اسحق قال حدثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس قال ثم قال يعنى قال الله فى اسماعهم يعنى أسماع المنافقين وأبصارهم التى عاشوا بها فى الناس ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم ۞ قال أبو جعفر وانما معنى قوله لذهب بسمعهم وأبصارهم لأذهب سمعهم وأبصارهم ولكن العرب اذا أدخلوا الباء فى مثل ذلك قالوا ذهبت ببصره واذا حذفوا الباء قالوا أذهبت بصره كما قال جل ثناؤه آتنا غداءنا ولو أدخلت الباء فى الغداء لقيل ائتنا بغدائنا ۞ قال أبو جعفر فان قال لنا قائل وكيف قيل لذهب بسمعهم فوحد وقال وأبصارهم فجمع وقد علمت أن الخبر فى السمع خبر عن سمع جماعة كما الخبر فى الابصار خبر عن أبصار جماعة قيل قد اختلف أهل العربية فى ذلك فقال بعض نحويى الكوفة وحد السمع لانه عنى به المصدر وقصد به الخرق وجمع الأبصار لانه عنى به الاعين وكان بعض نحويى البصرة يزعم أن السمع وان كان فى لفظ واحد فانه بمعنى جماعة ويحتج فى ذلك بقول الله لا يرتد اليهم طرفهم يريد لا ترتد اليهم أطرافهم وبقوله ويولون الدبر يراد به أدبارهم وانما جاز ذلك عندى لان فى الكلام ما يدل على أنه مراد به الجمع فكان فيه دلالة على المراد منه وأدى معنى الواحد من السمع عن معنى جماعة مغنيا عن جماعة ولو فعل بالبصر نظير الذى فعل بالسمع أو فعل بالسمع نظير الذى فعل بالابصار من الجمع والتوحيد كان فصيحا صحيحا لما ذكرنا من العلة كما قال الشاعر

كلوا فى بعض بطنكمو تعفوا * فان زمانكم زمن خميص

فوحد البطن والمراد منه البطون لما وصفنا من العلة ۞ القول فى تأويل قوله جل ثناؤه (ان الله على كل شئ قدير) قال أبو جعفر وانما وصف الله نفسه جل ذكره بالقدرة على كل شئ فى هذا الموضع لانه حذر المنافقين بأسه وسطوته وأخبرهم أنه بهم محيط وعلى إذهاب أسماعهم وأبصارهم قدير ثم قال فاتقونى أيها المنافقون واحذروا خداعى وخداع رسولى وأهل الايمان بى لا أحل بكم نقمتى فانى على ذلك وعلى غيره من الاشياء قدير ومعنى قدير قادر كما معنى عليم عالم على ما وصفت فيما تقدم من نظائره من زيادة معنى فعيل على فاعل فى المدح والذم ۞ القول فى تأويل قول الله تعالى (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم) قال أبو جعفر فأمر جل ثناؤه الفريقين اللذين أخبر الله عن أحدهما أنه سواء عليهم أنذروا أم لم ينذروا أنهم لا يؤمنون لطبعه على قلوبهم وعلى سمعهم وأبصارهم وعن الآخر أنه يخادع الله والذين آمنوا بما يبدى بلسانه من قيله آمنا بالله وباليوم الآخر مع استبطانه خلاف ذلك ومرض قلبه وشكه فى حقيقة ما يبدى من ذلك وغيرهم من سائر خلقه المكلفين بالاستكانة والخضوع له بالطاعة

صور الحروف أنفسها الا على صور أساميها الان المألوف أنه اذا قيل للكاتب اكتب صادمثلا فانه يكتب مسماها ص وأيضا اشتهار أمرها بأن المراد بها هنا الاسامي لا المسميات آمن وقوع اللبس فيها وأيضا خطان لا يقاسان خط المصحف لانه سنة وخط العروض لان المعتبرهناك الملفوظ ومن لم يجعل هذه الفواتح أسماء السور فلا محل لها عنده كما لا محل للجمل المبتدأة والمفردات المعدودة ومن جعلها أسماء للسور فسنخبرك عن تأليفها مع ما بعدها الله حسبي

وإفراد الربوبية له والعبادة دون الأوثان والأصنام والآلهة لانه جل ذكره هو خالقهم وخالق من قبلهم من آبائهم وأجدادهم وخالق أصنامهم وأوثانهم وآلهتهم فقال لهم جل ذكره فالذي خلقكم وخلق آباءكم وأجدادكم وسائر الخلق غيركم وهو يقدر على ضركم ونفعكم أولى بالطاعة ممن لا يقدر لكم على نفع ولا ضر وكان ابن عباس فيما روى لنا عنه يقول في ذلك نظير ما قلنا فيه غير أنه ذكر عنه أنه كان يقول في معنى اعبدوا ربكم وحدوا ربكم وقد دللنا فيما مضى من كتابنا هذا على ان معنى العبادة الخضوع لله بالطاعة والتذلل له بالاستكانة والذي أراد ابن عباس ان شاء الله بقوله في تأويل قوله اعبدوا ربكم وحدوه أي أفردوا الطاعة والعبادة لربكم دون سائر خلقه حدثنا محمد بن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال الله يا أيها الناس اعبدوا ربكم للفريقين جميعا من الكفار والمنافقين اى وحدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم وحدثني موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد عن أسباط عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم يقول خلقكم وخلق الذين من قبلكم ﴿ قال أبو جعفر وهذه الآية من أدل دليل على فساد قول من زعم أن تكليف ما لا يطاق الا بمعونة الله غير جائز الا بعد اعطاء الله المكلف المعونة على ما كلفه وذلك أن الله أمر من وصفنا بعبادته والتوبة من كفره بعد اخباره عنهم أنهم لا يؤمنون وأنهم عن ضلالتهم لا يرجعون ﴿ القول في تأويل قوله (لعلكم تتقون) قال أبو جعفر وتأويل ذلك لعلكم تتقون بعبادتكم ربكم الذى خلقكم وطاعتكم اياه فيما أمركم به ونهاكم عنه وافرادكم له بالعبادة لتتقوا سخطه وغضبه أن يحل عليكم وتكونوا من المتقين الذين رضي عنهم ربهم وكان مجاهد يقول في تأويل قوله لعلكم تتقون تطيعون حدثنا ابن وكيع قال حدثني أبي عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله لعلكم تتقون قال لعلكم تطيعون * قال أبو جعفر والذي أظن أن مجاهدا أراد بقوله هذا لعلكم أن تتقوا ربكم بطاعتكم اياه واقلاعكم عن ضلالتكم ﴿ قال أبو جعفر فان قال لنا قائل فكيف قال جل ثناؤه لعلكم تتقون أولم يكن عالما بما يصير اليه أمرهم اذا هم عبدوه وأطاعوه حتى قال لهم لعلكم اذا فعلتم ذلك أن تتقوا فأخرج الخبر عن عاقبة عبادتهم اياه مخرج الشك قيل له ذلك على غير المعنى الذي توهمت وانما معنى ذلك اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لتتقوه بطاعته وتوحيده وافراده بالربوبية والعبادة كما قال الشاعر

وقلتم لنا كفوا الحروب لعلنا * نكف ووثقتم لنا كل موثق
فلما كففنا الحرب كانت عهودكم * كلمح سراب في الفلا متألق

يريد بذلك قلتم لنا كفوا لنكف وذلك أن لعل في هذا الموضع لو كان شكا لم يكونوا وثقوا لهم كل موثق ﴿ القول في تأويل قوله (الذى جعل لكم الارض فراشا) وقوله الذى جعل لكم الارض فراشا مردود على الذى الاولى في قوله اعبدوا ربكم الذى خلقكم وهما جميعا من نعت ربكم

* البحث الثاني في قوله ذلك الكتاب وفيه مسائل الاولى انما صحت الاشارة بذلك الى ما ليس ببعيد لانه وقعت الاشارة بذلك الى الم بعد ما سبق التكلم به والمنقضي في حكم المتباعد ولهذا يحسب الحاسب ثم يقول فذلك كذا أولا نه لما وصل من المرسل الى المرسل اليه وقع في حد البعد كما تقول لصاحبك وقد أعطيته شيأ احتفظ بذلك أولأنه وان كان حاضرا نظرا الى ألفاظه لكنه غائب نظرا الى أسراره وحقائقه أولانه على مقتضى الوضع اللغوي لا العرفي أولأنه اشارة الى ما نزل بمكة قبل سورة البقرة وقد يسمى بعض القرآن قرآنا أولأنه اشارة الى ما وعد به الرسول عند مبعثه انا سنلقي عليك قولا ثقيلا أولانه اشارة الى ما أخبر به الانبياء أن الله سينزله على النبي المبعوث من ولد اسمعيل أو المراد أن هذا المنزل هو ذلك المثبت في اللوح المحفوظ كقوله وانه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم * الثانية انما ذكر اسم الاشارة والمشار اليه مؤنث وهو السورة في بعض الوجوه نظرا الى صفته وهو الكتاب كقولك هند ذلك الانسان قال الذبياني

نبئت نعمى على الهجران عاتبة
سقيا ورعيا لذاك العاتب الزاري

وان جعلت الكتاب خبرا فنظرا الى أن ذلك في معناه ومسماه فجاز اجراء حكمه عليه في التذكير كما أجرى عليه في التأنيث في قولهم من كانت أمك * الثالثة للقرآن أسماء كثيرة منها الكتاب والقرآن وقد تقدم ومنها الفرقان تبارك الذى نزل الفرقان لانه نزل متفرقا في نيف وعشرين سنة أولانه يفرق بين الحق والباطل ومنها التذكرة والذكرى والذكر وانه لتذكرة للمتقين وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وانه لذكر لك ولقومك أي ذكر من الله تعالى ذكر به عباده فعرفهم تكاليفه أو شرف وفخر ومنها التنزيل وإنه لتنزيل رب العالمين ومنها الحديث الله نزل أحسن الحديث شبهه بما يتحدث به فان الله تعالى

فكأنه قال اعبدوا ربكم الخالقكم والخالق الذين من قبلكم الجاعل لكم الارض فراشا يعني بذلك أنه جعل لكم الارض مهادا وموطئا وقرارا يستقر عليها يذكر ربنا جل ذكره بذلك من قيله زيادة نعمه عندهم وآلائه لديهم ليذكروا أياديه عندهم فينيبوا الى طاعته تعطفا منه بذلك عليهم ورأفة منه بهم ورحمة لهم من غير ما حاجة منه الى عبادتهم ولكن ليتم نعمته عليهم ولعلهم يهتدون كما حدثني موسى بن هرون قال حدثنا عمرو قال حدثنا أسباط عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذي جعل لكم الارض فراشا فهي فراش يمشى عليها وهي المهاد والقرار وحدثنا بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة الذي جعل لكم الارض فراشا قال مهادا لكم وحدثني المثنى قال حدثنا إسحق عن عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس الذي جعل لكم الارض فراشا أي مهادا ۞ القول في تأويل قوله (والسماء بناء) قال أبو جعفر وانما سميت السماء سماء لعلوها على الارض وعلى سكانها من خلقه وكل شيء كان فوق شيء آخر فهو لما تحته سماء ولذلك قيل لسقف البيت سماؤه لانه فوقه مرتفع عليه ولذلك قيل سما فلان لفلان اذا أشرف له وقصد نحوه عاليا عليه كما قال الفرزدق

سمونا لنجران اليماني وأهله * ونجران أرض لم تديث مقاوله

وكما قال نابغة بني ذبيان

سمت لي نظرة فرأيت منها * تحيت الخدر واضعة القرام

يريد بذلك أشرفت لي نظرة وبدت فكذلك السماء سميت للارض سماء لعلوها واشرافها عليها كما حدثني موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والسماء بناء فبناء السماء على الارض كهيئة القبة وهي سقف على الارض وحدثنا بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد عن سعيد عن قتادة في قول الله والسماء بناء قال جعل السماء سقفا لك وانما ذكر السماء والارض جل ثناؤه فيما عدد عليهم من نعمه التي أنعمها عليهم لأن منهما أقواتهم وأرزاقهم ومعايشهم وبهما قوام دنياهم فأعلمهم أن الذي خلقهما وخلق جميع ما فيهما وما هم فيه من النعم هو المستحق عليهم الطاعة والمستوجب منهم الشكر والعبادة دون الاصنام والاوثان التي لا تضر ولا تنفع ۞ القول في تأويل قول الله جل ثناؤه (وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم) يعني بذلك أنه أنزل من السماء مطرا فأخرج بذلك المطر مما أنبتوه في الارض من زرعهم وغرسهم ثمرات رزقا لهم غذاء وأقواتا فنبههم بذلك على قدرته وسلطانه وذكرهم به آلاءه لديهم وأنه هو الذي خلقهم وهو الذي يرزقهم ويكفلهم دون من جعلوه له ندا وعدلا من الاوثان والآلهة ثم زجرهم عن أن يجعلوا له ندا مع علمهم بأن ذلك كما أخبرهم وأنه لا ند له ولا عدل ولا لهم نافع ولا ضار ولا خالق ولا رازق سواه ۞ القول في تأويل قوله تعالى (فلا تجعلوا لله أندادا) قال أبو جعفر والانداد جمع ند والند العدل

خاطب به المكلفين ومنها الموعظة قد جاءتكم موعظة من ربكم ومنها الحكم والحكمة والحكيم والمحكم وكذلك أنزلناه حكما عربيا حكمة بالغة يس والقرآن الحكيم كتاب أحكمت آياته ومنها الشفاء والرحمة وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ومنها الهدى والهادي هدى للمتقين ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ومنها الصراط المستقيم وأن هذا صراطي مستقيما ومنها حبل الله واعتصموا بحبل الله جميعا ومنها الروح وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا لانه سبب لحياة الارواح ومنها القصص ان هذا لهو القصص الحق ومنها البيان والتبيان والمبين هذا بيان للناس تبيانا لكل شيء تلك آيات الكتاب المبين ومنها البصائر هذا بصائر من ربكم ومنها الفصل إنه لقول فصل ومنها النجوم فلا أقسم بمواقع النجوم لأنه نزل نجما نجما ومنها المثاني مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم لأنه يثنى فيه القصص والاخبار ومنها النعمة وأما بنعمة ربك فحدث قال ابن عباس أي القرآن ومنها البرهان قد جاءكم برهان من ربكم ومنها البشير والنذير قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا ومنها القيم قيما لينذر بأسا شديدا ومنها المهيمن مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ومنها النور واتبعوا النور الذي أنزل معه ومنها الحق وإنه لحق اليقين ومنها العزيز وإنه لكتاب عزيز ومنها الكريم انه لقرآن كريم ومنها العظيم ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم ومنها المبارك كتاب أنزلناه اليك مبارك فهذه جملة الاسماء وسيجيء تفاسيرها في مواضعها * الرابعة في تأليف ذلك الكتاب مع الم ان جعلت الم اسما للسورة ففي التأليف وجوه أن يكون الم مبتدأ وذلك مبتدأ ثانيا والكتاب خبره والجملة خبر المبتدأ الاول أي هو الكتاب الكامل الذي يستأهل أن يسمى كتابا كما تقول هو الرجل أي الكامل في الرجولية وكقوله * هم القوم والمثل كل القوم يا أم خالد * وأن يكون الكتاب صفة ومعناه هو ذلك الكتاب الموعود وأن يكون الم خبر مبتدأ محذوف أي هذه الم ويكون ذلك خبرا ثانيا أو بدلا على أن الكتاب صفة وأن يكون هذه الم جملة ذلك الكتاب جملة أخرى وفقد العاطف لان الثانية بيان للاولى وان جعلت الم بمنزلة الصوت كان ذلك مبتدأ خبره الكتاب أي ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل أو الكتاب صفة والخبر ما بعده أو قدر مبتدأ

والمثل كما قال حسان بن ثابت

أتهجوه ولست له بند * فشركما لخيركما الفداء

يعني بقوله ولست له بند لست له بمثل ولا عدل وكل شيء كان نظيرا لشيء وشبيها فهو له ند كما حدثنا
بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد عن سعيد عن قتادة فلا تجعلوا لله أندادا أي عدلاء وحدثني المثنى
قال حدثني أبو حذيفة قال حدثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فلا تجعلوا لله أندادا أي عدلاء
وحدثني موسى بن هرون قال حدثنا عمرو قال حدثنا أسباط عن السدي في خبر ذكره عن
أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى
الله عليه وسلم فلا تجعلوا لله أندادا قال أكفاء من الرجال تطيعونهم في معصية الله وحدثني
يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول الله فلا تجعلوا لله أندادا قال
الانداد الآلهة التي جعلوها معه وجعلوا لها مثل ما جعلوا له وحدثت عن المنجاب قال حدثنا بشر
عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس في قوله فلا تجعلوا لله أندادا قال أشباها حدثني محمد بن
سنان قال حدثنا أبو عاصم عن شبيب عن عكرمة فلا تجعلوا لله أندادا أي تقولوا لولا كلبنا لدخل
علينا اللص الدار لولا كلبنا صاح في الدار ونحو ذلك فنهاهم الله تعالى أن يشركوا به شيأ وأن يعبدوا
غيره أو يتخذوا له ندا وعدلا في الطاعة فقال كما لا شريك لي في خلقكم وفي رزقكم الذي
أرزقكم وملكي اياكم ونعمتي التي أنعمتها عليكم فكذلك فأفردوا لي الطاعة وأخلصوا لي
العبادة ولا تجعلوا لي شريكا وندا من خلقي فانكم تعلمون أن كل نعمة عليكم مني ۞ القول في تأويل
قوله (وأنتم تعلمون) اختلف أهل التأويل في الذين عنوا بهذه الآية فقال بعضهم عني بها
جميع المشركين من مشركي العرب وأهل الكتاب وقال بعضهم عني بذلك أهل الكتابين
التوراة والانجيل * ذكر من قال عني بها جميع عبدة الأوثان من العرب وكفار أهل الكتابين
حدثنا محمد بن حميد قال حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن اسحق عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن
ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال نزل ذلك في الفريقين جميعا من الكفار
والمنافقين وانما عني بقوله فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون أي لا تشركوا بالله غيره من الانداد
التي لا تنفع ولا تضر وأنتم تعلمون أنه لا رب لكم يرزقكم غيره وقد علمتم أن الذي يدعوكم اليه الرسول
من توحيده هو الحق لا شك فيه حدثنا بشر قال حدثنا يزيد عن سعيد عن قتادة في قوله وأنتم
تعلمون أي تعلمون أن الله خلقكم وخلق السموات والارض ثم تجعلون له أندادا * ذكر من قال
عني بذلك أهل الكتابين حدثنا أبو كريب قال حدثنا وكيع عن سفيان عن رجل عن مجاهد
فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون أنه اله واحد في التوراة والانجيل وحدثني المثنى بن ابراهيم قال
حدثنا قبيصة قال حدثنا سفيان عن مجاهد مثله وحدثني المثنى قال حدثنا أبو حذيفة قال
حدثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وأنتم تعلمون يقول وأنتم تعلمون أنه لا ند له في التوراة
والانجيل ۞ قال أبو جعفر وأحسب أن الذي دعا مجاهدا الى هذا التأويل واضافة ذلك الى
أنه خطاب لاهل التوراة والانجيل دون غيرهم الظن منه بالعرب أنها لم تكن تعلم أن الله خالقها

محذوف أي هو يعني المؤلف من هذه الحروف ذلك الكتاب وفي قراءة عبد الله بن مسعود الم تنزيل الكتاب * البحث الثالث في قوله
لا ريب فيه الريب مصدر رابني وحقيقته قلق النفس روى الحسن بن علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى
ما لا يريبك فان الشك ريبة والصدق طمأنينة أي كون الامر مشكوكا فيه مما تقلق له النفس وكونه صحيحا صادقا مما تطمئن له ومنه
ريب الزمان لنوائبه المقلقة وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم مر بظبي (١٢٧) حاقف أي منعوج مضطجع وهم محرمون فقال
لا يريبه أحد بشيء أي لا يزعجه
والحاصل أن الريب شك وزيادة
ظن سوء فان قلت كيف نفي الريب
على سبيل الاستغراق وكم من
شقي مرتاب فيه قلت ما نفي أن أحدا
لا يرتاب فيه وانما المنفي كونه متعلقا
للريب ومظنة له لأنه من وضوح
الدلالة وسطوع البرهان بحيث
لا ينبغي لمرتاب أن يقع فيه ومثله
وان كنتم في ريب مما نزلنا على
عبدنا فأتوا بسورة من مثله لم يقل
واذا كنتم مع وقوع الشك منهم
في الواقع دلالة على أن الشك فيه
مما لا ينبغي أن يوجد الا على سبيل
الفرض والتقدير ولو فرض فوجه
ازالته أن يجردوا أنفسهم ويبرزوا
قواهم في البلاغة هل تتم للمعارضة
أم تتضاءل دونها فان قلت فهلا قدم
الظرف على الريب كما قدم على
الغول في قوله تعالى لا فيها غول قلنا
لان المقصود منها ليس الا نفي الريب
عنه واثبات أنه حق وصدق ولو عكس
لأفاد ذلك مع ما ليس بمراد ولا هو
بصادق في نفس الامر وهو
التعريض بأن ريبا في غيره من
الكتب كما أن في قوله لا فيها غول
تعريضا بان خمور الدنيا تغتال
العقول وقرأ أبو الشعثاء لا ريب
فيه بالرفع قيل والفرق بينها وبين
المشهورة أن المشهورة توجب
الاستغراق وهذه تجوزه ويمكن
ان يقال كلاهما يوجب الاستغراق الا أن الاول نظر الى نفي الماهية والثاني لان قوله لا ريب جواب قول القائل هل ريب فيه وهذا يفيد
ثبوت فرد واحد فنقيضه يكون سلب جميع الافراد * البحث الرابع في قوله هدى للمتقين وفيه مسائل الاولى في حقيقة الهدى هو مصدر
على فعل كالسرى وهو على الاصح عبارة عن الدلالة وقيل بشرط كونها موصلة الى البغية بدليل وقوعه في مقابل الضلالة أولئك الذين
اشتروا الضلالة بالهدى ولانه يقال مهدي في معرض المدح فلو احتمل ان يقال هدى فلم يهتد لم يكن مدحا ولان مطاوعه اهتدى فيلزمه

وأجيب بأن مقابل الضلالة الاهتداء لا الهدى وبأن قولنا مهدي إنما أفاد المدح لأنه من المعلوم أن الوسيلة إذا لم تفض إلى المقصود كانت كالعدم وبالمنع من أن اهتدى لازم هدى لزوما كليا إذ يصح في العرف أن يقال هديته فلم يهتد قال عز من قائل وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى وقال بعضهم الهدى الاهتداء فإن زعم مطلقا فخطأ لوقوعه صفة للقرآن وإن زعم حينا فصحيح لوقوعه في مقابلة الضلالة * الثانية المتقي اسم فاعل من وقاه فاتقى والوقاية

فرط الصيانة وهذه الدابة تقي من وجئها إذا أصابها ظلع من غلظ الأرض ورقة الحافر فهو يقي حافره أن يصيبه أدنى شيء وهو في الشرع المؤتمر للمأمورات المجتنب عن المحظورات واختلف في الصغائر أنه إذا لم يتقها فهل يستحق هذا الاسم روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرا مما به بأس فحقيقة التقوى الخشية يا أيها الناس اتقوا ربكم وقد يراد بها الإيمان وألزمهم كلمة التقوى أي التوحيد وقد يراد التوبة ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا أي تابوا وقد يراد الطاعة أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون وقد يراد ترك المعصية وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله وقد يراد الإخلاص فإنها من تقوى القلوب أي من إخلاصها والتقوى مقام شريف إن الله مع الذين اتقوا وتزودوا فإن خير الزاد التقوى إن أكرمكم عند الله أتقاكم وعن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أحب أن يكون أكرم الناس فليتق الله ومن أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله ومن أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يده وقال علي عليه السلام التقوى ترك الإصرار على المعصية وترك الاغترار بالطاعة وعن إبراهيم بن أدهم أن لا يجد الخلق في لسانك عيبا ولا الملائكة المقربون في أفعالك عيبا ولا ملك العرش في سرك عيبا الواقدي أن تزين سرك للحق حقا كما زينت ظاهرك للخلق ويقال التقوى أن لا يراك مولاك حيث نهاك ولله در القائل

خل الذنوب صغيرها * وكبيرها فهو التقى
كن مثل ماش في طريق الشوك يحذر ما يرى * لا تحقرن صغيرة * إن الجبال من الحصى

وفي قوله هدى للمتقين ثم في موضع آخر شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس دليل على أن الناس محصورون في المتقين والباقون كالأنعام بل هم أضل * الثالثة لم اختص كون

ورازقها بجحودها وحدانيته بها وإشراكها معه في العبادة غيره وإن ذلك لقول ولكن الله جل ثناؤه قد أخبر في كتابه عنها أنها كانت تقر بوحدانيته غير أنها كانت تشرك في عبادته ما كانت تشرك فيها فقال جل ثناؤه ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله وقال قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون فالذي هو أولى بتأويل قوله وأنتم تعلمون إذ كان ما كان عند العرب من العلم بوحدانية الله وأنه مبدع الخلق وخالقهم ورازقهم نظير الذي كان من ذلك عند أهل الكتابين ولم يكن في الآية دلالة على أن الله جل ثناؤه عنى بقوله وأنتم تعلمون أحد الحزبين بل مخرج الخطاب بذلك عام للناس كافة لهم لأنه تحدى الناس كلهم بقوله يا أيها الناس اعبدوا ربكم أن يكون تأويله ما قاله ابن عباس وقتادة من أنه يعني بذلك كل مكلف عالم بوحدانية الله وأنه لا شريك له في خلقه يشرك معه في عبادته غيره كائنا من كان من الناس عربيا كان أو أعجميا كاتبا أو أميا وإن كان الخطاب لكفار أهل الكتاب الذين كانوا حوالي دار هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل النفاق منهم وممن بين ظهرانيهم ممن كان مشركا فانتقل إلى النفاق بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ۞ القول في تأويل قوله (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله) قال أبو جعفر وهذا من الله عز وجل احتجاج لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم على مشركي قومه من العرب ومنافقيهم وكفار أهل الكتاب وضلالهم الذين افتتح بقصصهم قوله جل ثناؤه إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم وإياهم يخاطب بهذه الآيات وأخبر بأهم نعوتها قال الله جل ثناؤه لهم وإن كنتم أيها المشركون من العرب والكفار من أهل الكتابين في شك وهو الريب مما نزلنا على عبدنا محمد صلى الله عليه وسلم من النور والبرهان وآيات الفرقان أنه من عندي وأني الذي أنزلته إليه فلم تؤمنوا به ولم تصدقوه فيما يقول فأتوا بحجة تدفع حجته لأنكم تعلمون أن حجة كل ذي نبوة على صدقه في دعواه النبوة أن يأتي ببرهان يعجز عن أن يأتي بمثله جميع الخلق ومن حجة محمد صلى الله عليه وسلم على صدقه وبرهانه على نبوته وأن ما جاء به من عندي عجز جميعكم وجميع من تستعينون به من أعوانكم وأنصاركم عن أن تأتوا بسورة من مثله وإذا عجزتم عن ذلك وأنتم أهل البراعة في الفصاحة والبلاغة والدراية فقد علمتم أن غيركم عما عجزتم عنه من ذلك أعجز كما كان برهان من سلف من رسلي وأنبيائي على صدقه وحجته على نبوته من الآيات ما يعجز عن الإتيان بمثله جميع خلقي فيتقرر حينئذ عندكم أن محمدا لم يتقوله ولم يختلقه لأن ذلك لو كان منه اختلاقا وتقولا لم يعجزوا وجميع خلقي عن الإتيان بمثله لأن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يعد أن يكون بشرا مثلكم وفي مثل حالكم في الجسم وبسطة الخلق وذرابة اللسان فيمكن أن يظن به اقتدار على ما عجزتم عنه أو يتوهم منكم عجز عما اقتدر عليه ثم اختلف أهل التأويل في تأويل قوله فأتوا بسورة من مثله فحدثنا بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد عن سعيد عن قتادة فأتوا بسورة من مثله يعني من مثل هذا القرآن

حقا وصدقا لا باطل فيه ولا كذب وحدثنا الحسن بن يحيى قال أنبأنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله فأتوا بسورة من مثله يقول بسورة مثل هذا القرآن وحدثني محمد ابن عمرو الباهلي قال حدثنا أبو عاصم عن عيسى بن ميمون عن عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد فأتوا بسورة من مثله مثل القرآن وحدثنا المثنى قال حدثنا أبو حذيفة قال حدثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله وحدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فأتوا بسورة من مثله قال مثله مثل القرآن فمعنى قول مجاهد وقتادة اللذين ذكرنا عنهما أن الله جل ذكره قال لمن حاجه في نبيه محمد صلى الله عليه وسلم من الكفار فأتوا بسورة من مثل هذا القرآن من كلامكم أيتها العرب كما أتى به محمد بلغاتكم ومعاني منطقكم وقد قال قوم آخرون ان معنى قوله فأتوا بسورة من مثله من مثل محمد من البشر لأن محمدا بشر مثلكم ﷺ قال أبو جعفر والتأويل الاول الذي قاله مجاهد وقتادة هو التأويل الصحيح لأن الله جل ثناؤه قال في سورة أخرى أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله ومعلوم أن السورة ليست لمحمد بنظير ولا شبيه فيجوز أن يقال فأتوا بسورة مثل محمد فان قال قائل انك ذكرت أن الله عنى بقوله فأتوا بسورة من مثله من مثل هذا القرآن فهل للقرآن من مثل فيقال ائتوا بسورة من مثله قيل انه لم يعن به ائتوا بسورة من مثله في التأليف والمعاني التي باين بها سائر الكلام غيره وانما عنى ائتوا بسورة من مثله في البيان لأن القرآن أنزله الله بلسان عربي فكلام العرب لا شك له مثل في معنى العربية فأما في المعنى الذي باين به القرآن سائر كلام المخلوقين فلا مثل له من ذلك الوجه ولا نظير ولا شبيه وانما احتج الله جل ثناؤه عليهم لنبيه صلى الله عليه وسلم بما احتج له عليهم من القرآن اذ ظهر عجز القوم عن أن يأتوا بسورة من مثله في البيان اذ كان القرآن بيانا مثل بيانهم وكلاما نزل بلسانهم فقال لهم جل ثناؤه وان كنتم في ريب من أن ما أنزلت على عبدي من القرآن من عندي فأتوا بسورة من كلامكم الذي هو مثله في العربية اذ كنتم عربا وهو بيان نظير بيانكم وكلام شبيه كلامكم فلم يكلفهم جل ثناؤه أن يأتوا بسورة من غير اللسان الذي هو نظير اللسان الذي نزل به القرآن فيقدروا أن يقولوا كلفتنا ما لو أحسناه أتيناه به وانا لا نقدر على الاتيان به لأنا لسنا من أهل اللسان الذي كلفتنا الاتيان به فليس لك علينا حجة بهذا لأنا وان عجزنا عن أن نأتي بمثله من غير ألسنتنا لأنا لسنا بأهله ففي الناس خلق كثير من غير أهل لساننا يقدر على أن يأتي بمثله من اللسان الذي كلفتنا الاتيان به ولكنه جل ثناؤه قال لهم ائتوا بسورة من مثله لأن مثله من الألسن ألسنتكم وأنتم ان كان محمد اختلقه وافتراه اذا اجتمعتم وتظاهرتم على الاتيان بمثل سورة منه من لسانكم وبيانكم أقدر على اختلاقه ووضعه وتأليفه من محمد صلى الله عليه وسلم وان لم تكونوا أقدر عليه منه فلن تعجزوا وأنتم جميع عما قدر عليه محمد من ذلك وهو وحده ان كنتم صادقين في دعواكم وزعمكم أن محمدا افتراه واختلقه وأنه من عند غيري * واختلف أهل التأويل في تأويل قوله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين فقال ابن عباس بما حدثنا به

القرآن هدى للمتقين وأيضا المتقي مهتد فكيف يهتدي ثانيا والجواب أن المتقين لما كانوا هم المنتفعين بالهداية خصوا بالذكر مدحا لهم كقوله تعالى انما أنت منذر من يخشاها انما تنذر من اتبع الذكر مع أنه صلى الله عليه وسلم منذر كل الناس وأيضا قوله هدى للمتقين كقولك للعزيز المكرم أعزك الله وأكرمك تريد طلب الزيادة واستدامة ما هو ثابت فيه ووجه آخر سماهم عند مشارفتهم لاكتساء لباس التقوى متقين نحو من قتل قتيلا فله سلبه فهذا المجاز من باب تسمية الشئ بما هو آيل اليه واللطف فيه أنه لو قال (١٢٩) هدى للصائرين الى التقوى بعد الضلال كان اطنابا في غير موضعه فان تصدير السورة التي هي أولى الزهراوين وسنام القرآن وأول المثاني بذكر أولياء الله والمرتضين من عباده هو اللائق بالمقام فاختص الكلام باجرائه على الطريقة التي ذكرنا فان قلت كيف وصف القرآن بأنه كله هدى وفيه مجمل ومتشابه لا يهتدى فيه الى المقصود الا بحكم العقل فيكون الهدى في ذلك العقل لا القرآن ومما يؤكد ما قلنا ما نقل عن علي عليه السلام أنه قال لابن عباس حين بعثه رسولا الى الخوارج لا تحتج عليهم بالقرآن فانه خصم ذو وجهين ولهذا كان فرق الاسلام المحق منهم والمبطل يحتجون به قلنا المتشابه لما لم ينفك عما يبين المراد معه على التعيين عقلا كان أو سمعا صار كله هدى فان قيل كل ما يتوقف صحة كون القرآن هدى على صحته كمعرفة الله تعالى وصفاته وكمعرفة النبوة فالقرآن ليس هدى فيه فكيف جعل هدى على الاطلاق قلنا المراد كونه هدى في تعريف الشرائع والمطلق لا يقتضي العموم أو كونه هدى في تأكيد ما في العقول أيضا فيهم * الرابعة محل هدى للمتقين الرفع لانه خبر مبتدأ محذوف أو خبر مع لا ريب فيه لذلك أو مبتدأ اذا جعل الظرف المقدم خبرا عنه ويجوز أن ينتصب على الحال والعامل فيه معنى الاشارة أو الظرف والذي هو أرسخ عرقا في البلاغة أن يقال الم جملة برأسها أو طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها وذلك الكتاب جملة ثانية ولا ريب فيه ثالثة وهدى للمتقين رابعة وفقد العاطف بينها لمجيئها متآخية آخذا بعضها بحجزة بعض لانه نبه أولا على أنه الكلام المتحدى به ثم أشير اليه بانه الكتاب المنعوت بغاية الكمال فكان تقريرا لجهة التحدي ثم نفى عنه أن يتشبث به طرف من الريب فكان تسجيلا بكماله فلا كمال أكمل مما للحق واليقين ثم أخبر عنه بأنه هدى للمتقين فقرر

بذلك كونه يقينا لا يحوم الشك حوله ثم فى كل من الجمل نكتة ذات جزالة ففى الاولى الحذف والرمز الى الغرض بألطف وجه وأرشقه كما مر فى الوجه الثامن وفى الثانية ما فى التعريف من الفخامة أى الكتاب الذى يستأهل أن يقال له الكتاب وفى الثالثة ما فى تقديم الريب على الظرف وفى الرابعة الحذف ووضع المصدر الذى هو هدى موضع هاد وايراده منكرا والايجاز فى ذكر المتقين * البحث الخامس فى قوله تعالى (الذين يؤمنون بالغيب) الآية وفيه مسائل (١٣٠) * الاولى الذين يؤمنون اما موصول بالمتقين صفة أو نصب على المدح أو رفع كذلك بتقدير أعنى الذين أو هم الذين أو مرفوع بالابتداء مخبر عنه بأولئك على هدى * الثانية الذين يؤمنون على تقدير كونه صفة يكون اما واردا بيانا وكشفا وذلك اذا فسر المتقى بانه الذى يفعل الحسنات ويجتنب السيآت لان الايمان أساس الحسنات والصلاة أم العبادات البدنية قال صلى الله عليه وسلم الصلاة عماد الدين وبين العبد وبين الكفر ترك الصلاة والزكاة أفضل العبادات المالية قال صلى الله عليه وسلم الزكاة قنطرة الاسلام فاختصر الكلام اختصارا بذكر ما هو كالعنوان لسائر الطاعات وكالاصول لبواقى الحسنات ويندرج فيها اجتناب الفواحش والمنكرات لقوله عز من قائل ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر واما مسرودة مع المتقين مفيدة غير فائدتها وذلك اذا فسر المتقى بالمجتنب عن المعاصى فقط ثم انه يكون قد وصف بالايمان وهو فعل القلب وباداء الصلاة والزكاة وهما من أفعال الجوارح وهذا ترتيب مناسب لان لوح القلب يجب تخليته عن النقوش الفاسدة أولا ثم تحليته بالعقائد الحقة والاخلاق الحميدة واما معدودة عدا على سبيل المدح والثناء وذلك اذا فرض المتقى موسوما بهذه السمات مشهورا بهذه الصفات غير محتاج لذلك الى البيان والايضاح كصفات الله الجارية عليه تعالى تمجيدا وتعظيما * الثالثة الايمان إفعال من الامن يقال من أمنه وآمنته غيرى ثم يقال أمنه اذا صدقه وحقيقته أمنه التكذيب والمخالفة والتعدية بالباء لتضمينه معنى أقر واعترف ووثق به قال فى التفسير الكبير اختلف أهل القبلة فى مسمى الايمان على أربعة أقوال الاول قول المعتزلة والخوارج والزيدية وأهل الحديث انه اسم لافعال القلوب واللسان والجوارح لكن المعتزلة قالوا الايمان اذا عدى بالباء فمعناه التصديق على تضمين الاقرار والوثوق كما مر من حيث

محمد بن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد عن ابن عباس وادعوا شهداءكم من دون الله يعنى أعوانكم على ما أنتم عليه ان كنتم صادقين **وحدثنى** محمد بن عمرو قال حدثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وادعوا شهداءكم ناس يشهدون **وحدثنى** المثنى قال حدثنا أبو حذيفة قال حدثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله **وحدثنا** أبو كريب قال حدثنا وكيع عن سفيان عن رجل عن مجاهد قال قوم يشهدون لكم **وحدثنا** القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وادعوا شهداءكم قال ناس يشهدون قال ابن جريج شهداءكم عليها اذا أتيتم بها أنها مثله مثل القرآن وذلك قول الله لمن شك من الكفار فيما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وقوله فادعوا يعنى استنصروا واستعينوا كما قال الشاعر

فلما التقت فرساننا ورجالهم * دعوا يا لكعب واعتزينا لعامر

يعنى بقوله دعوا يا لكعب استنصروا كعبا واستعانوا بهم وأما الشهداء فانها جمع شهيد كالشركاء جمع شريك والخطباء جمع خطيب والشهيد يسمى به الشاهد على الشىء لغيره بما يحقق دعواه وقد يسمى به المشاهد للشىء كما يقال فلان جليس فلان يعنى به مجالسه ونديمه يعنى به منادمه وكذلك يقال شهيده يعنى به مشاهده فاذ كانت الشهداء محتملة أن تكون جمع الشهيد الذى هو منصرف للمعنيين اللذين وصفت فاولى وجهيه بتأويل الآية ما قاله ابن عباس وهو أن يكون معناه واستنصروا على أن تأتوا بسورة من مثله أعوانكم وشهداءكم الذين يشاهدونكم ويعاونونكم على تكذيبكم الله ورسوله ويظاهرونكم على كفركم ونفاقكم ان كنتم محقين فى جحودكم أن ما جاءكم به محمد صلى الله عليه وسلم اختلاق وافتراء لتمتحنوا أنفسكم وغيركم هل تقدرون على أن تأتوا بسورة من مثله فيقدر محمد على أن يأتى بجميعه من قبل نفسه اختلاقا وأما ما قاله مجاهد وابن جريج فى تأويل ذلك فلا وجه له لان القوم كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أصنافا ثلاثة أهل ايمان صحيح وأهل كفر صحيح وأهل نفاق بين ذلك فاهل الايمان كانوا بالله وبرسوله مؤمنين فكان من المحال أن يدعى الكفار أن لهم شهداء على حقيقة ما كانوا يأتون به لو أتوا باختلاق من الرسالة ثم ادعوا أنه للقرآن نظير من المؤمنين فاما أهل النفاق والكفر فلا شك أنهم لو دعوا الى تحقيق الباطل وابطال الحق لسارعوا اليه مع كفرهم وضلالهم فمن أى الفريقين كانت تكون شهداؤهم لو ادعوا أنهم قد أتوا بسورة من مثل القرآن ولكن ذلك كما قال جل ثناؤه قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا فاخبر جل ثناؤه فى هذه الآية أن مثل القرآن لا يأتى به الجن والانس ولو تظاهروا وتعاونوا على الاتيان به وتحداهم بمعنى التوبيخ لهم فى سورة البقرة فقال تعالى وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين يعنى بذلك ان كنتم فى شك فى صدق محمد فيما جاءكم به من عندى انه

اللغة وأما اذا ذكر مطلقا فنقول الى معنى آخر وهو أن يعتقد الحق ويعرب عنه بلسانه ويصدقه بعمله فمن أخل بالاعتقاد وان شهد وعمل فهو منافق ومن أخل بالشهادة فهو كافر ومن أخل بالعمل فهو فاسق ثم اختلفوا فبعضهم كواصل بن عطاء والقاضي عبد الجبار قالوا الايمان عبارة عن فعل كل الطاعات سواء كانت واجبة أو مندوبة أو من باب الاقوال أو الافعال أو الاعتقادات وبعضهم كأبي علي وأبي هاشم انه عبارة عن فعل الواجبات فقط دون النوافل وبعضهم كالنظام انه عبارة عن اجتناب كل ما جاء فيه الوعيد ثم يحتمل ان يكون من الكبائر ما لم يرد فيه الوعيد فالمؤمن عند الله من اجتنب كل الكبائر والمؤمن عندنا من اجتنب كل ما ورد فيه الوعيد والخوارج قالوا الايمان بالله يتناول المعرفة بالله وبكل ما وضع الله عليه دليلا عقليا أو نقليا من الكتاب والسنة ويتناول طاعة الله في جميع ما أمر به من الافعال والتروك صغيرا كان أو كبيرا فمجموع هذه الاشياء هو الايمان وترك خصلة من هذه الخصال كفر وأهل الحديث ذكروا وجهين الاول أن المعرفة ايمان كامل وهو الاصل ثم بعد ذلك كل طاعة ايمان على حدة وهذه الطاعات لا يكون شئ منها ايمانا الا اذا كانت مرتبة على الاصل الذي هو المعرفة وزعموا أن الجحود وانكار القلب كفر ثم كل معصية بعده كفر على حدة ولم يجعلوا شيأ من الطاعات ايمانا ما لم توجد المعرفة والاقرار ولا شيأ من المعاصي كفرا ما لم يوجد الجحود والانكار الثاني ان الايمان اسم للطاعات كلها فريضة أو نافلة الا أنه اذا ترك فريضة انتقص ايمانه وان ترك نافلة لم ينتقص ومنهم من قال الايمان اسم للفرائض دون النوافل (القول الثاني) قول من قال الايمان بالقلب واللسان معا ثم اختلفوا على مذاهب الاول ان الايمان اقرار باللسان ومعرفة بالجنان وهو مذهب أبي حنيفة وعامة الفقهاء ثم اختلفوا في موضعين أحدهما في حقيقة هذه المعرفة فمنهم من قال هي الاعتقاد الجازم سواء كان اعتقادا تقليديا أو علما صادرا عن الدليل وهم الاكثرون الذين يحكمون بان المقلد مسلم ومنهم من فسرها بالعلم الصادر عن الاستدلال وثانيهما في أن العلم المعتبر في تحقق الايمان علم بماذا قال بعض المتكلمين هو العلم بالله وبصفاته على سبيل التمام والكمال ثم انه لما كثر اختلاف الخلق في صفات الله تعالى فلاجرم أقدم كل طائفة على

من عندي فأتوا بسورة من مثله وليستنصر بعضكم بعضا على ذلك ان كنتم صادقين في زعمكم حتى تعلموا أنكم اذا عجزتم عن ذلك أنه لا يقدر على أن يأتي به محمد صلى الله عليه وسلم ولا من البشر أحد ويصح عندكم أنه تنزيلي ووحيي الى عبدي ۞ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (فان لم تفعلوا ولن تفعلوا) قال أبو جعفر يعني تعالى بقوله فان لم تفعلوا ان لم تأتوا بسورة من مثله وقد تظاهرتم أنتم وشركاؤكم عليه وأعوانكم فتبين لكم بامتحانكم واختباركم عجزكم وعجز جميع خلقي عنه وعلمتم انه من عندي ثم أقمتم على التكذيب به وقوله ولن تفعلوا أي لن تأتوا بسورة من مثله أبدا كما حدثنا بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد عن سعيد عن قتادة فان لم تفعلوا ولن تفعلوا أي لا تقدرون على ذلك ولا تطيقونه وحدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فقد بين لكم الحق ۞ القول في تأويل قوله تعالى (فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة) قال أبو جعفر يعني جل ثناؤه بقوله فاتقوا النار يقول فاتقوا ان تصلوا النار بتكذيبكم رسولي بما جاءكم به من عندي انه من وحيي وتنزيلي بعد تبينكم انه كتابي ومن عندي وقيام الحجة عليكم بانه كلامي ووحيي بعجزكم وعجز جميع خلقي عن أن يأتوا بمثله ثم وصف جل ثناؤه النار التي حذرهم صليها فأخبرهم أن الناس وقودها وان الحجارة وقودها فقال التي وقودها الناس والحجارة يعني بقوله وقودها حطبها والعرب تجعله مصدرا وهو اسم اذا فتحت الواو بمنزلة الحطب فاذا ضمت الواو من الوقود كان مصدرا من قول القائل وقدت النار فهي تقد وقودا وقدة ووقدانا ووقدا يراد بذلك انها التهبت فان قال قائل وكيف خصت الحجارة فقرنت بالناس حتى جعلت لنار جهنم حطبا قيل انها حجارة الكبريت وهي أشد الحجارة فيما بلغنا حرا اذا أحميت كما حدثنا أبو كريب قال حدثنا أبو معاوية عن مسعر عن عبد الملك بن ميسرة الزراد عن عبد الرحمن بن سابط عن عمرو بن ميمون عن عبد الله في قوله وقودها الناس والحجارة قال هي حجارة من كبريت خلقها الله يوم خلق السموات والارض في السماء الدنيا يعدها للكافرين وحدثنا الحسن بن يحيى قال أنبأنا عبد الرزاق قال أنبأنا ابن عيينة عن مسعر عن عبد الملك الزراد عن عمرو بن ميمون عن ابن مسعود في قوله وقودها الناس والحجارة قال حجارة الكبريت جعلها الله كما شاء وحدثني موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أما الحجارة فهي حجارة في النار من كبريت أسود يعذبون به مع النار وحدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج في قوله وقودها الناس والحجارة قال حجارة من كبريت أسود في النار قال وقال لي عمرو بن دينار حجارة أصلب من هذه وأعظم حدثنا سفيان بن وكيع قال حدثنا أبي عن مسعر عن عبد الملك بن ميسرة عن عبد الرحمن بن سابط عن عمرو بن ميمون عن عبد الله بن مسعود قال حجارة من الكبريت خلقها الله عنده كيف شاء وكما شاء ۞ القول في تأويل قوله (أعدت للكافرين) قد دللنا فيما مضى من

تكفير من عداها من الطوائف والانصاف أن المعتبر هو العلم بكل ما علم بالضرورة كونه من دين محمد صلى الله عليه وسلم فعلى هذا العلم بكونه تعالى عالما بالعلم أو بذاته أو مرئيا وغير مرئي لا يكون داخلا في مسمى الايمان * والمذهب الثاني أن الايمان هو التصديق بالقلب واللسان معا وهو مذهب أبي الحسن الاشعري وبشر المريسي والمراد من التصديق الكلام القائم بالنفس * المذهب الثالث كلام بعض الصوفية الايمان اقرار باللسان واخلاص بالقلب (القول الثالث) قول من قال الايمان عبارة عن عمل القلب فقط فمن هؤلاء من قال الايمان معرفة الله بالقلب حتى ان من عرف الله بقلبه ثم جحد بلسانه ومات قبل أن يقر به فهو مؤمن كامل الايمان وهو قول جهم بن صفوان وزعم أن معرفة الكتب والرسل واليوم الآخر غير داخلة في حقيقة الايمان وحكى الكعبي عنه أن الايمان معرفة الله مع معرفة كل ما علم بالضرورة كونه من دين محمد صلى الله عليه وسلم ومنهم من قال الايمان مجرد التصديق بالقلب (القول الرابع) قول من قال الايمان هو الاقرار باللسان فقط ثم منهم من قال شرط كونه ايمانا حصول المعرفة في القلب ومنهم من قال لا حاجة بنا الى هذا الشرط أيضا بل المنافق مؤمن الظاهر كافر السريرة يثبت له حكم المؤمنين في الدنيا وحكم الكافرين في الآخرة وهذا قول الكرامية ثم قال الامام رحمه الله تعالى عندي أن الايمان عبارة عن التصديق بكل ما عرف بالضرورة كونه من دين محمد صلى الله عليه وسلم مع الاعتقاد فههنا قيود الاول ان الايمان عبارة عن التصديق وذلك أن الايمان أكثر الالفاظ دورانا على ألسنة المسلمين فلو صار منقولا الى غير مسماه الاصلي لتوفرت الدواعي على نقل هذا النقل وتواتر وليس كذلك وأيضا الايمان المعدى بالباء على أصله اتفاقا فغير المعدى أيضا يكون كذلك كلما ذكر الله تعالى الايمان في القرآن أضافه الى القلب وقلبه مطمئن بالايمان كتب في قلوبهم الايمان ولما يدخل الايمان في قلوبكم وأيضا قرن الايمان بالعمل الصالح ولو كان العمل داخلا في الايمان لزم التكرار وأيضا قرن الايمان بالمعاصي الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا والذين آمنوا ولم يهاجروا مع عظيم الوعيد في ترك الهجرة قال ابن عباس في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص انما يجب القصاص على القاتل المتعمد ومع ذلك يدخل في الخطاب ثم قال فمن عفي له

كتابنا هذا على أن الكافر في كلام العرب هو الساتر شيأ بغطاء وأن الله جل ثناؤه انما سمى الكافر كافرا لجحوده آلاءه عنده وتغطيته نعماءه قبله فمعنى قوله اذا أعدت للكافرين أعدت النار للجاحدين أن الله ربهم المتوحد بخلقهم وخلق الذين من قبلهم الذي جعل لهم الارض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لهم المشركين معه في عبادته الانداد والآلهة وهو المتفرد لهم بالانشاء والمتوحد بالاقوات والارزاق كما حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد ابن اسحق عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد عن ابن عباس أعدت للكافرين أي لمن كان على مثل ما أنتم عليه من الكفر * القول في تأويل قوله (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الانهار) أما قوله تعالى وبشر فانه يعني أخبرهم والبشارة أصلها الخبر بما يسر المخبر به اذا كان سابقا به كل مخبر سواه وهذا أمر من الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بابلاغ بشارته خلقه الذين آمنوا به وبمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به من عند ربه وصدقوا ايمانهم ذلك واقرارهم بأعمالهم الصالحة فقال له يا محمد بشر من صدقك أنك رسولي وان ما جئت به من الهدى والنور فمن عندي وحقق تصديقه ذلك قولا بأداء الصالح من الاعمال التي افترضتها عليه وأوجبتها في كتابي على لسانك عليه ان له جنات تجري من تحتها الانهار خاصة دون من كذب بك وأنكر ما جئت به من الهدى من عندي وعاندك ودون من أظهر تصديقك وأقر بان ما جئته به فمن عندي قولا وجحده اعتقادا ولم يحققه عملا فان لاولئك النار التي وقودها الناس والحجارة معدة عندي والجنات جمع جنة والجنة البستان وانما عنى جل ذكره بذكر الجنة ما في الجنة من أشجارها وثمارها وغروسها دون أرضها فلذلك قال عز ذكره تجري من تحتها الانهار لانه معلوم أنه انما أراد جل ثناؤه الخبر عن ماء أنهارها انه جار تحت أشجارها وغروسها وثمارها لا أنه جار تحت أرضها لان الماء اذا كان جاريا تحت الارض فلا حظ فيها للعيون من فوقها الا بكشف الساتر بينها وبينه على أن الذي توصف به أنهار الجنة أنها جارية في غير أخاديد كما حدثنا أبو كريب قال حدثنا الاشجعي عن سفيان عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن مسروق قال نخل الجنة نضيد من أصلها الى فرعها وثمرها أمثال القلال كلما نزعت ثمرة عادت مكانها أخرى وماؤها يجري في غير أخدود وحدثنا مجاهد قال حدثنا يزيد قال أخبرنا مسعر بن كدام عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة بنحوه وحدثنا محمد بن بشار قال حدثنا ابن مهدي قال حدثنا سفيان قال سمعت عمرو بن مرة يحدث عن أبي عبيدة فذكر مثله قال فقلت لابي عبيدة من حدثك فغضب وقال مسروق فاذ كان الامر كذلك في أن أنهارها جارية في غير أخاديد فلا شك أن الذي أريد بالجنات أشجار الجنات وغروسها وثمارها دون أرضها اذ كانت أنهارها تجري فوق أرضها وتحت غروسها وأشجارها على ما ذكره مسروق وذلك أولى بصفة الجنة من أن تكون أنهارها جارية تحت أرضها وانما رغب الله جل ثناؤه بهذه الآية عباده في الايمان وحضهم على عبادته بما أخبرهم أنه أعده لاهل طاعته والايمان به عنده كما حذرهم في الآية التي قبلها بما أخبر من اعداده ما أعد لاهل الكفر

من أخيه شئ وهذه الاخوة ليست الا أخوة الايمان انما المؤمنون أخوة ثم قال ذلك تخفيف من ربكم ورحمة وهذا لا يليق الا بالمؤمن القيد الثانى ان الايمان ليس عبارة عن تصديق اللسان لقوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وماهم بمؤمنين القيد الثالث ليس عبارة عن مطلق التصديق لان من صدق بالجبت والطاغوت لا يسمى مؤمنا القيد الرابع لا يشترط التصديق بجميع صفات الله تعالى لقوله صلى الله عليه وسلم أعتقها فانها مؤمنة بعد قوله عليه الصلاة والسلام لها أين الله قالت فى السماء ويعلم مما ذكرنا أن من عرف الله بالدليل ولما تم العرفان مات ووجد من الوقت ما أمكنه التلفظ بكلمة الشهادة لكنه لم يتلفظ بها كان مؤمنا وكان الامتناع عن النطق جاريا مجرى المعاصى التى يؤتى بها مع الايمان وبهذا حكم الغزالى رضى الله عنه (قلت) وبالله التوفيق التحقيق فى المقام ان للايمان وجودا فى الاعيان ووجودا فى الاذهان ووجودا فى العبارة ولا ريب أن الوجود العينى لكل شئ هو الاصل وباقى الوجودات فرع وتابع فالوجود العينى للايمان هو النور الحاصل للقلب بسبب ارتفاع الحجاب بينه وبين الحق جل ذكره الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور وهذا النور قابل للقوة والضعف والاشتداد والنقص كسائر الانوار واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا كلما ارتفع حجاب ازداد نورا فيتقوى الايمان ويتكامل الى أن ينبسط نوره فينشرح الصدر ويطلع على حقائق الاشياء وتتجلى له الغيوب وغيوب الغيوب فيعرف كل شئ فى موضعه فيظهر له صدق الانبياء عليهم السلام ولاسيما محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين فى جميع ما أخبروا عنه اجمالا أو تفصيلا على حسب نوره وبمقدار انشراح صدره وينبعث من قلبه داعية العمل بكل مأمور والاجتناب عن كل محظور فينضاف الى نور معرفته أنوار الاخلاق الفاضلة والملكات الجيدة نورهم يسعى بين أيديهم وبايمانهم نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء وأما الوجود الذهنى فملاحظة المؤمن لهذا النور ومطالعته له ولواقعه وأما الوجود اللفظى فخلاصته ما اصطلح عليه الشارع بشهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يخفى أن مجرد التلفظ بقولنا لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير النور المذكور لا يفيد الا كما

الكفر به الجاعلين معه الآلهة والانداد من عقابه عن اشراك غيره معه والتعرض لعقوبته بركوب معصيته وترك طاعته ❁ القول فى تأويل قوله تعالى (كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابها) قال أبو جعفر يعنى بقوله كلما رزقوا منها من الجنات والهاء راجعة على الجنات وانما المعنى أشجارها فكأنه قال كلما رزقوا من أشجار البساتين التى أعدها الله للذين آمنوا وعملوا الصالحات فى جناته من ثمرة من ثمارها رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل ثم اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله هذا الذى رزقنا من قبل فقال بعضهم تأويل ذلك هذا الذى رزقنا من قبل هذا فى الدنيا ذكر من قال ذلك حدثنى موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدى فى خبر ذكره عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قالوا هذا الذى رزقنا من قبل قال انهم أتوا بالثمرة فى الجنة فلما نظروا اليها قالوا هذا الذى رزقنا من قبل فى الدنيا حدثنا بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة قالوا هذا الذى رزقنا من قبل أى فى الدنيا وحدثنى محمد بن عمرو قال حدثنا أبو عاصم عن عيسى بن ميمون عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قالوا هذا الذى رزقنا من قبل يقولون ما أشبهه به حدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وحدثنى يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قالوا هذا الذى رزقنا من قبل فى الدنيا قال وأتوا به متشابها يعرفونه ❁ قال أبو جعفر وقال آخرون بل تأويل ذلك هذا الذى رزقنا من ثمار الجنة من قبل هذا لشدة مشابهة بعض ذلك فى اللون والطعم بعضا ومن علة قائلى هذا القول ان ثمار الجنة كلما نزع منها شئ عاد مكانه آخر مثله كما حدثنا ابن بشار قال حدثنا ابن مهدى قال حدثنا سفيان قال سمعت عمرو بن مرة يحدث عن أبى عبيدة قال نخل الجنة نضيد من أصلها الى فرعها وثمرها مثل القلال كلما نزعت منها ثمرة عادت مكانها أخرى قالوا فانما اشتبهت عند أهل الجنة لان التى عادت نظيرة التى نزعت فأكلت فى كل معانيها قالوا ولذلك قال الله جل ثناؤه وأتوا به متشابها لاشتباه جميعه فى كل معانيه وقال بعضهم بل قالوا هذا الذى رزقنا من قبل لمشابهته الذى قبله فى اللون وان خالفه فى الطعم ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم بن الحسن قال حدثنا الحسين بن داود قال حدثنا شيخ من المصيصة عن الاوزاعى عن يحيى بن أبى كثير قال يؤتى أحدهم بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى بأخرى فيقول هذا الذى أتينا به من قبل فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف وهذا التأويل مذهب من تأول الآية غير أنه يدفع صحته ظاهر التلاوة والذى يدل على صحته ظاهر الآية ويحقق صحة قول القائلين ان معنى ذلك هذا الذى رزقنا من قبل فى الدنيا وذلك أن الله جل ثناؤه قال كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا فأخبر جل ثناؤه أن من قيل أهل الجنة كلما رزقوا من ثمر الجنة رزقا أن يقولوا هذا الذى رزقنا من قبل ولم يخصص بأن ذلك من قيلهم فى بعض ذلك دون بعض فاذ كان قد أخبر جل ذكره عنهم أن ذلك من قيلهم فى كل ما رزقوا من ثمرها فلا شك أن ذلك من

يفيد للعطشان التلفظ بالماء الزلال دون التروى به الا أن التعبير عما فى الضمير لما لم يتيسر الا بواسطة النطق المفصح عن كل خفى والمعرب
عن كل مشتبه كان للتلفظ بكلمة الشهادة ولعدم التلفظ بها مدخل عظيم فى الحكم بايمان المرء وكفره فصح جعل ذلك وما ينخرط فى سلكه
من العلامات كعدم لبس الغيار وشد الزنار دليلا عليهما وتفويض أمر الباطن الى عالم الخفيات المطلع على السرائر والنيات ولهذا قال صلى
الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا (١٣٤) لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على
الله * الرابعة يجوز أن يكون
بالغيب صلة للايمان أى يعترفون أو
يثقون به وعلى هذا يكون الغيب
بمعنى الغائب اما تسمية بالمصدر
كما سمى الشاهد بالشهادة قال الله
تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب
تسمى المطمئن من الارض غيبا
واما أن يكون مخفف فيعل والمراد
به الخفى الذى لا ينفذ فيه ابتداء الا
علم اللطيف الخبير وانما نعلم منه نحن
ما أعلمناه أو نصب لنا دليل عليه ولهذا
لا يجوز أن يطلق فيقال فلان يعلم
الغيب وذلك نحو الصانع وصفاته
والنبوات وما يتعلق بها والبعث
والنشور والحساب والوعد والوعيد
وغير ذلك ويجوز أن يكون
بالغيب حالا والغيب بمعنى الغيبة
والخفاء أى يؤمنون غائبين عن
المؤمن به وحقيقته متلبسين
بالغيب نحو الذين يخشون ربهم
بالغيب ليعلم أنى لم أخنه بالغيب
وفيه تعريض بالمنافقين حيث ان
باطنهم يخالف ظاهرهم وغيبتهم
تباين حضورهم واذا لقوا الذين
آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى
شياطينهم قالوا انا معكم وقال بعض
الشيعة المراد بالغيب المهدى
المنتظر الذى وعد الله فى القرآن
وورد فى الخبر وعد الله الذين
آمنوا منكم وعملوا الصالحات
ليستخلفنهم فى الارض لو لم يبق من
الدنيا الا يوم واحد لطول الله ذلك
اليوم حتى يخرج رجل من أمتى يواطئ اسمه اسمى وكنيته كنيتى يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما * الخامسة بعضه
معنى اقامة الصلاة أحد ثلاثة أشياء اما تعديل أركانها وحفظها من أن يقع زيغ فى فرائضها وسننها وآدابها من أقام العود اذا قومه واما
الدوام عليها والمحافظة والذين هم على صلاتهم دائمون والذين هم على صلاتهم يحافظون من قامت السوق اذا نفقت وأقامها قال الاسدى
أقامت غزالة سوق الضراب * لاهل العراقين حولا قميطا غزالة اسم امرأة شبيب الخارجى قتله الحجاج فحاربته سنة تامة

قبلهم فى أول رزق رزقوه من ثمارها أتوا به بعد دخولهم الجنة واستقرارهم فيها الذى لم يتقدمه
عندهم من ثمارها ثمرة فاذ كان لا شك أن ذلك من قيلهم فى أوله كما هو من قيلهم فى وسطه وما يتلوه
فمعلوم انه محال أن يكون من قيلهم لاول رزق رزقوه من ثمار الجنة هذا الذى رزقنا من قبل هذا
من ثمار الجنة وكيف يجوز أن يقولوا الاول رزق رزقوه من ثمارها ولما يتقدمه عندهم غيره هذا هو
الذى رزقناه من قبل الا أن ينسبهم ذو غرة وضلال الى قيل الكذب الذى قد طهرهم الله منه
أو يدفع دافع أن يكون ذلك من قيلهم لاول رزق رزقوه منها من ثمارها فيدفع صحة ما أوجب الله
صحته بقوله كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا من غير نصب دلالة على أنه معنى به حال من أحوالهم
دون حال فقد تبين بما بينا أن معنى الآية كلما رزق الذين آمنوا وعملوا الصالحات من ثمرة من
ثمار الجنة فى الجنة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل هذا فى الدنيا فان سألنا سائل فقال وكيف
قال القوم هذا الذى رزقنا من قبل والذى رزقوه من قبل قد عدم بأكلهم اياه وكيف يجوز أن يقول
أهل الجنة قولا لا حقيقة له قيل ان الامر على غير ما ذهبت اليه فى ذلك وانما معناه هذا من
النوع الذى رزقناه من قبل هذا من الثمار والرزق كالرجل يقول لآخر قد أعد لك فلان من
الطعام كذا وكذا من ألوان الطبيخ والشواء والحلوى فيقول المقول له ذلك هذا طعامى فى منزلى
يعنى بذلك أن النوع الذى ذكر له صاحبه أنه أعده له من الطعام هو طعامه لا أن أعيان ما أخبره
صاحبه انه قد أعده له هو طعامه بل ذلك مما لا يجوز لسامع سمعه يقول ذلك أن يتوهم انه أراده أو
قصده لان ذلك خلاف مخرج كلام المتكلم وانما يوجه كلام كل متكلم الى المعروف فى الناس من
مخارجه دون المجهول من معانيه فكذلك ذلك فى قوله قالوا هذا الذى رزقنا من قبل اذ كان ما كانوا
رزقوه من قبل قد فنى وعدم فمعلوم أنهم عنوا بذلك هذا من النوع الذى رزقناه من قبل ومن
جنسه فى التسميات والالوان على ما قد بينا من القول فى ذلك فى كتابنا هذا وقد زعم بعض أهل
العربية أن معنى قوله وأتوا به متشابها أنه متشابه فى الفضل أى كل واحد منه له من الفضل فى
نحوه مثل الذى للآخر فى نحوه ۞ قال أبو جعفر وليس هذا قولا نستجيز التشاغل بالدلالة
على فساده لخروجه عن قول جميع علماء أهل التأويل وحسب قول بخروجه عن قول أهل
العلم دلالة على خطئه ۞ القول فى تأويل قوله (وأتوا به متشابها) قال أبو جعفر والهاء
فى قوله وأتوا به متشابها عائدة على الرزق فتأويله وأتوا بالذى رزقوا من ثمارها متشابها وقد
اختلف أهل التأويل فى تأويل المتشابه فى ذلك فقال بعضهم تشابهه أن كله خيار لا رذل
فيه * ذكر من قال ذلك حدثنا خلاد بن أسلم قال أخبرنا النضر بن شميل قال أخبرنا أبو
عامر عن الحسن فى قوله متشابها قال خيارا كلها لا رذل فيها وحدثنى يعقوب بن ابراهيم
قال حدثنا ابن علية عن أبى رجاء قرأ الحسن آيات من البقرة فأتى على هذه الآية
وأتوا به متشابها قال ألم تروا الى ثمار الدنيا كيف ترذلون بعضه وان ذلك ليس فيه رذل وحدثنا
الحسن بن يحيى قال حدثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال قال الحسن وأتوا به متشابها قال يشبه

بعضه بعضا ليس فيه مرذول حدثنا بشر قال حدثنا يزيد عن سعيد عن قتادة وأتوا به متشابها أي
خيارا لا رذل فيه وان ثمار الدنيا ينقى منها و يرذل منها وثمار الجنة خيار كله لا يرذل منه شئ وحدثنا
القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج قال ثمر الدنيا منه ما يرذل ومنه نقاوة
وثمر الجنة نقاوة كله يشبه بعضه بعضا في الطيب ليس منه مرذول وقال بعضهم تشابهه في اللون
وهو مختلف في الطعم ذكر من قال ذلك حدثني موسى قال حدثنا عمرو قال حدثنا أسباط عن
السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن
ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأتوا به متشابها في اللون والمرأى وليس يشبه الطعم
حدثني محمد بن عمرو قال حدثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وأتوا به متشابها
مثل الخيار وحدثنا المثنى قال حدثنا أبو حذيفة قال حدثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وأتوا
به متشابها لونه مختلفا طعمه مثل الخيار من القثاء وحدثت عن عمار بن الحسن قال حدثنا ابن
أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس وأتوا به متشابها يشبه بعضه بعضا ويختلف الطعم وحدثنا
الحسن بن يحيى قال حدثنا عبد الرزاق قال أنبأنا الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله
متشابها قال مشتبها في اللون ومختلفا في الطعم حدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثني
حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وأتوا به متشابها مثل الخيار وقال بعضهم تشابهه في اللون
والطعم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال حدثنا أبي عن سفيان عن رجل عن مجاهد قوله
متشابها قال اللون والطعم حدثني المثنى قال حدثنا اسحق قال حدثنا عبد الرزاق عن الثوري
عن ابن أبي نجيح عن مجاهد و يحيى بن سعيد متشابها قالا في اللون والطعم وقال بعضهم
تشابهه تشابه ثمر الجنة وثمر الدنيا في اللون وان اختلف طعومهما ذكر من قال ذلك حدثنا
الحسن بن يحيى قال أنبأنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة وأتوا به متشابها قال يشبه ثمر
الدنيا غير أن ثمر الجنة أطيب وحدثنا المثنى قال حدثنا اسحق قال قال حفص بن عمر قال
حدثنا الحكم بن أبان عن عكرمة في قوله وأتوا به متشابها قال يشبه ثمر الدنيا غير أن ثمر الجنة
أطيب وقال بعضهم لا يشبه شئ مما في الجنة ما في الدنيا الا الاسماء * ذكر من قال ذلك حدثني
أبو كريب قال حدثنا الأشجعي ح وحدثنا محمد بن بشار قال حدثنا مؤمل قالا جميعا حدثنا
سفيان عن الاعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس قال أبو كريب في حديثه عن الاشجعي لا يشبه
شئ مما في الجنة ما في الدنيا الا الاسماء وقال ابن بشار في حديثه عن مؤمل قال ليس في الدنيا مما
في الجنة الا الاسماء حدثنا عباس بن محمد قال حدثنا محمد بن عبيد عن الاعمش عن أبي ظبيان
عن ابن عباس قال ليس في الدنيا من الجنة شئ الا الاسماء وحدثني يونس بن عبد الاعلى قال أنبأنا
ابن وهب قال قال عبد الرحمن بن زيد في قوله وأتوا به متشابها قال يعرفون أسماءه كما كانوا في الدنيا
التفاح بالتفاح والرمان بالرمان قالوا في الجنة هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا وأتوا به متشابها
يعرفونه وليس هو مثله في الطعم * قال أبو جعفر وأولى هذه التأويلات بتأويل الآية تأويل

والضراب القتال والعراقان الكوفة والبصرة وقيطا أي كاملا لانها اذا حوفظ عليها كانت كالشئ النافق الذي تتوجه اليه الرغبات واما
التجلد والتشمر لادائها وأن لا يكون في مؤديها فتور عنها ولا توان من قولهم قام في الامر خلاف تقاعد عنه فعبر عن الاداء بالاقامة لان القيام
بعض أركانها كما عبر عنه بالقنوت والقنوت القيام و بالركوع والسجود و بالتسبيح يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي فلولا أنه كان من
المسبحين ولا يخفى أن اقامة الصلاة بجميع هذه المعاني تستحق المدح والثناء

* السادسة الصلاة في عرف الشرع عبارة عن الهيآت والاقوال المخصوصة التي مفتتحها التحريم ومختتمها التسليم فرضا كانت أو نفلا الا أنه يحتمل أن يقال المراد بها في الآية الفرض لان الفلاح قد نيط بها في قوله صلى الله عليه وسلم للاعرابي أفلح والله ان صدق بعد قول الاعرابي والله لا أزيد على هذا ولا أنقص أي على الصلوات المفروضة واشتقاقها لغة اما من الصلاة بمعنى الدعاء قال الاعشى

وقابلها الريح في دنها
وصلى على دنها وارتسم

أي وضع عليها الرسم وهو الخاتم واما من قولهم صليت العصا بالنار اذا لينتها وقومتها قال

فلا تعجل بأمرك واستدمه
فما صلى عصاك كمستديم

والمصلي يسعى في تعديل ظاهره وتقويم باطنه كالخشب الذي يعرض على النار واما من قولهم صلى الفرس اذا جاء مصليا أي ملازما للسابق لان رأسه عند صلاه والصلا ما عن يمين الذنب وشماله والمصلي ملازم لفعله من حين شروعه الى أوان فراغه والصلاة اسم وضع موضع المصدر يقال صليت صلاة ولا يقال تصلية قال في الكشاف الصلاة فعلة من صلى كالزكاة من زكى وكتبها بالواو على لفظ المفخم وحقيقة صلى حرك
الصلوين لان المصلي يفعل ذلك في ركوعه وسجوده ولا يخفى ما فيه من التعسف * السابعة الرزق لغة هو ما ينتفع به فيشمل الحلال
والحرام والمأكول وغيره والمملوك وغيره والمعتزلة ومن يجري مجراهم زادوا قيدا آخر وهو أن لا يكون ممنوعا عن الانتفاع به وعلى هذا
لا يكون الحرام عندهم رزقا قال في الكشاف اسناد الرزق الى نفسه للاعلام بانهم ينفقون الحلال المطلق الذي يستأهل أن يضاف الى الله
تعالى ويسمى رزقا منه وأدخل من التبعيضية صيانة لهم وكفا عن الاسراف والتبذير المنهي عنه وقدم مفعول الفعل دلالة على كونه أهم

من قال وأتوا به متشابها فى اللون والمنظر والطعم مختلف يعنى بذلك اشتباه ثمر الجنة وثمر الدنيا فى المنظر واللون مختلفا فى الطعم والذوق لما قدمنا من العلة فى تأويل قوله كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأن معناه كلما رزقوا من الجنان من ثمرة من ثمارها رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل هذا فى الدنيا فاخبر الله جل ثناؤه عنهم أنهم قالوا ذلك من أجل أنهم أتوا بما أتوا به من ذلك فى الجنة متشابها يعنى بذلك تشابه ما أتوا به فى الجنة منه والذى كانوا رزقوه فى الدنيا فى اللون والمرأى والمنظر وان اختلفا فى الطعم والذوق فتباينا فلم يكن لشئ مما فى الجنة من ذلك نظير فى الدنيا وقد دللنا على فساد قول من زعم أن معنى قوله قالوا هذا الذى رزقنا من قبل انما هو قول من أهل الجنة فى تشبيههم بعض ثمر الجنة ببعض وتلك الدلالة على فساد ذلك القول هى الدلالة على فساد قول من خالف قولنا فى تأويل قوله وأتوا به متشابها لان الله جل ثناؤه انما أخبر عن المعنى الذى من أجله قال القوم هذا الذى رزقنا من قبل بقوله وأتوا به متشابها وسئل من أنكر ذلك فزعم أنه غير جائز أن يكون شئ مما فى الجنة نظير الشئ مما فى الدنيا بوجه من الوجوه فيقال له أيجوز أن يكون أسماء ما فى الجنة من ثمارها وأطعمتها وأشربتها نظائر أسماء ما فى الدنيا منها فان أنكر ذلك خالف نص كتاب الله لان الله جل ثناؤه انما عرف عباده فى الدنيا ما هو عنده فى الجنة بالاسماء التى يسمى بها ما فى الدنيا من ذلك وان قال ذلك جائز بل هو كذلك قيل فما أنكرت أن يكون ألوان ما فيها من ذلك نظائر ألوان ما فى الدنيا منه بمعنى البياض والحمرة والصفرة وسائر صنوف الالوان وان تباينت فتفاضلت بفضل حسن المرآة والمنظر فكان لما فى الجنة من ذلك من البهاء والجمال وحسن المرآة والمنظر خلاف الذى لما فى الدنيا منه كما كان جائزا ذلك فى الاسماء مع اختلاف المسميات بالفضل فى أجسامها ثم يعكس عليه القول فى ذلك فلن يقول فى أحدهما شيأ الا ألزم فى الآخر مثله وكان أبو موسى الاشعرى يقول فى ذلك بما حدثنى به ابن بشار قال حدثنا ابن أبى عدى وعبد الوهاب ومحمد بن جعفر عن عوف عن قسامة عن الاشعرى قال ان الله لما أخرج آدم من الجنة زوده من ثمار الجنة وعلمه صنعة كل شئ فثماركم هذه من ثمار الجنة غير أن هذه تغير وتلك لا تغير ۞ القول فى تأويل قوله (ولهم فيها أزواج مطهرة) قال أبو جعفر والهاء والميم اللتان فى لهم عائدتان على الذين آمنوا وعملوا الصالحات والهاء والالف اللتان فى فيها عائدتان على الجنات وتأويل ذلك وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات فيها أزواج مطهرة والازواج جمع زوج وهى امرأة الرجل يقال فلانة زوج فلان وزوجته وأما قوله مطهرة فان تأويله انهن طهرن من كل أذى وقذى وريبة مما يكون فى نساء أهل الدنيا من الحيض والنفاس والغائط والبول والمخاط والبصاق والمنى وما أشبه ذلك من الاذى والادناس والريب والمكاره كما حدثنا به موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدى فى خبر ذكره عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أما أزواج مطهرة فانهن لا يحضن ولا يحدثن ولا يتنخمن وحدثنى المثنى قال حدثنا

كأنه قال و يخصون بعض المال الحلال بالتصدق به والحق أن التمكين من الانتفاع بالمرزوق مسند الى الله تعالى على الاطلاق اذ كل بقدرته الا أن مذهب المعتزلة الى الادب أقرب ولا سيما فى هذا المقام ليستحقوا المدح بالانفاق منه * الثامنة أنفق الشئ وأنفده أخوان وكل ما فاؤه نون وعينه فاء يدل على معنى الخروج والذهاب وما قرب منه ويدخل فى هذا الانفاق الواجب من الزكاة التى هى أخت الصلاة وشقيقتها ومن الانفاق على النفس وعلى من تجب نفقته (١٣٦) ومن الانفاق فى الجهاد ويمكن أن يتناول كل منفق فى سبيل الخير للاطلاق قال تعالى وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت والمراد به الصدقة لقوله فأصدق وأكن من الصالحين

* (البحث السادس) فى قوله تعالى والذين يؤمنون الآية وفيه مسائل الاولى يحتمل أن يراد بهؤلاء مؤمنو أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأضرابه الذين اشتمل ايمانهم على كل وحى نزل من عند الله سالف أو مترقب سبيله سبيل السالف لكونه معقودا بعضه ببعض ومربوطا آتيه بماضيه وأيقنوا بالآخرة ايقانا زال معه ما كانوا عليه من أنه لا يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى وأن النار لن تمسهم الا أياما معدودات وأن أهل الجنة لا يتلذذون الا بالنسيم والارواح العبقة والسماع اللذيذ ونحو ذلك فيكون المعطوف غير المعطوف عليه اما مغايرة المباينة وذلك اذا أريد بالاولين كل من آمن ابتداء بمحمد صلى الله عليه وسلم من غير ايمان قبل ذلك بموسى وعيسى عليهما السلام واما مغايرة الخاص للعام وذلك اذا أريد بالاولين كل من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم سواء كان قبل ذلك مؤمنا بموسى وعيسى عليهما السلام أو لم يكن ويكون السبب فى ذكر هذا الخاص بعد العام اثبات شرف لهم وترغيب أمثالهم فى الدين ويحتمل أن يراد بهؤلاء الاولون ووسط العاطف على معنى أنهم الجامعون بين تلك الصفات وهذه كقوله

الى الملك القرم وابن الهمام * وليث الكتيبة عبد فى المزدحم

يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب

الثانية قال فى التفسير الكبير المراد من انزال الوحى أن جبريل سمع فى السماء كلام الله تعالى فنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم كما يقال نزلت رسالة الامير من القصر والرسالة لا تنزل لكن المستمع يستمع الرسالة فى علو فينزل فيؤدى فى سفل وقول الامير لا يفارق ذاته ولكن السامع يسمع فينزل ويؤدى بلفظ نفسه قال فان قيل كيف سمع جبريل

كلام الله وكلامه ليس حرفا ولا صوتا عندكم قلنا يحتمل أن يخلق الله له سمعا لكلامه ثم أقدره على عبارة يعبر بها عن ذلك الكلام القديم ويجوز أن يكون خلق الله في اللوح المحفوظ كتابة بهذا النظم المخصوص فقرأه جبرائيل فحفظه ويجوز أن يخلق أصواتا مقطعة بهذا النظم المخصوص في جسم مخصوص فيتلقفه جبرائيل ويخلق له علما ضروريا بأنه هو العبارة المؤدية لمعنى ذلك الكلام (وأقول) انك اذا تأملت ما أشرت اليه في المقدمة العاشرة من مقدمات الكتاب انكشف لك الغطاء عن هذه المسئلة (الثالثة) الايمان بجميع الكتب السماوية أعني التصديق بها واجب لان الفلاح منوط بذلك ويجب تحصيل العلم بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم على سبيل التفصيل ليقوم بواجبه علما وعملا لكنه فرض كفاية لقوله تعالى وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين الآية وأما المنزل على الانبياء المتقدمين فالايمان به واجب على الجملة لان الله تعالى ما تعبدنا الآن به حتى يلزمنا معرفتها مفصلة لكنا ان عرفنا شيأ من تفاصيلها فهناك يجب علينا الايمان بتلك التفاصيل (الرابعة) الآخرة صفة الدار تلك الدار الآخرة وهي من الصفات الغالبة تأنيث الآخر نقيض الاول وكذلك الدنيا تأنيث الأدنى لانها أقرب واليقين هو العلم بالشيء ضرورة أو استدلالا لا بعد أن كان صاحبه شاكا فيه ولذلك لا يوصف الله تعالى بأنه متيقن ولا يقال تيقنت أن السماء فوقي أو أني موجود وفي تقديم الآخرة وبناء يوقنون على هم تعريض بأهل الكتاب وبما كانوا عليه من اثبات أمر الآخرة على خلاف حقيقته ومن غير ايقان وان اليقين ما عليه من آمن بما أنزل على محمد وعلى غيره من الانبياء وهذا في معرض المدح ومعلوم أنه لا يمدح بتيقن وجود الآخرة فقط بل به وبما يتبعه من الحساب والسؤال وادخال المؤمنين الجنة والكافرين النار عن النبي صلى الله عليه وسلم يا عجبا كل العجب من الشاك في الله وهو يرى خلقه ويا عجبا ممن يعرف النشأة الاولى ثم ينكر النشأة الآخرة ويا عجبا ممن ينكر البعث والنشور وهو كل يوم يموت ويحيا يعني النوم واليقظة ويا عجبا ممن يؤمن بالجنة وما فيها من النعيم ثم يسعى لدار الغرور ويا عجبا من المتكبر الفخور وهو يعلم أن أوله نطفة مذرة وآخره جيفة قذرة (البحث السابع) في قوله تعالى أولئك على هدى من ربهم الآية وفيه مسائل (الاولى) في كيفية تعلق هذه الآية بما قبلها وجوه أحدها أن نوى

عبد الله بن صالح قال حدثنا معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله أزواج مطهرة يقول مطهرة من القذر والاذى حدثنا محمد بن بشار قال حدثنا يحيى القطان عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولهم فيها أزواج مطهرة قال لا يبلن ولا يتغوطن ولا يمذين وحدثنا أحمد بن اسحق الاهوازي قال حدثنا أبو أحمد الزبيري قال حدثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد نحوه الا أنه زاد فيه ولا يمنين ولا يحضن وحدثني محمد بن عمرو قال حدثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله ولهم فيها أزواج مطهرة قال مطهرة من الحيض والغائط والبول والنخام والبزاق والمني والولد وحدثني المثنى بن ابراهيم قال حدثنا سويد ابن نصر قال حدثنا ابن المبارك عن ابن جريج عن مجاهد مثله وحدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال لا يبلن ولا يتغوطن ولا يحضن ولا يلدن ولا يمنين ولا يبزقن * أخبرنا المثنى قال حدثنا أبو حذيفة قال حدثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد نحو حديث محمد بن عمرو عن أبي عاصم وحدثنا بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة ولهم فيها أزواج مطهرة إي والله من الاثم والاذى وحدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله ولهم فيها أزواج مطهرة قال طهرهن الله من كل بول وغائط وقذر ومن كل مأثم حدثت عن عمار بن الحسن قال حدثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن قتادة قال مطهرة من الحيض والحبل والاذى وحدثت عن عمار بن الحسن قال حدثني ابن أبي جعفر عن أبيه عن ليث عن مجاهد قال المطهرة من الحيض والحبل وحدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد ولهم فيها أزواج مطهرة قال المطهرة التي لا تحيض قال وأزواج الدنيا ليست بمطهرة ألا تراهن يدمين ويتركن الصلاة والصيام قال ابن زيد وكذلك خلقت حواء حتى عصت فلما عصت قال الله اني خلقتك مطهرة وسأدميك كما أدميت هذه الشجرة وحدثت عن عمار قال حدثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع عن الحسن في قوله ولهم فيها أزواج مطهرة قال يقول مطهرة من الحيض حدثنا عمرو ابن علي قال حدثنا خالد بن يزيد قال حدثنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن الحسن في قوله ولهم فيها أزواج مطهرة قال من الحيض وحدثنا عمرو قال حدثنا أبو معاوية قال حدثنا ابن جريج عن عطاء قوله لهم فيها أزواج مطهرة قال من الولد والحيض والغائط والبول وذكر أشياء من هذا النحو ۞ القول في تأويل قوله (وهم فيها خالدون) قال أبو جعفر يعني تعالى ذكره بذلك والذين آمنوا وعملوا الصالحات في الجنات خالدون فالهاء والميم من قوله وهم عائدة على الذين آمنوا وعملوا الصالحات والهاء والالف في فيها على الجنات وخلودهم فيها دوام بقائهم فيها على ما أعطاهم الله فيها من الحبرة والنعيم المقيم ۞ القول في تأويل قوله (ان الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها) قال أبو جعفر اختلف أهل التأويل في المعنى الذي أنزل الله جل ثناؤه فيه هذه الآية وفي تأويلها فقال بعضهم بما حدثني به موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد

الابتداء بالذين يؤمنون بالغيب على سبيل الاستئناف وأولئك على هدى الجملة خبره كأنه لما قيل هدى للمتقين فخص المتقون بان الكتاب لهم هدى اتجه لسائل أن يسأل فيقول ما بال المتقين مخصوصين بذلك فاجيب بان الذين هؤلاء عقائدهم وأعمالهم أحقاء بان يهديهم الله ويعطيهم الفلاح وهذا النوع من الاستئناف يجيء تارة باعادة اسم من استؤنف عنه الحديث نحو قد أحسنت الى زيد زيد حقيق بالاحسان وتارة باعادة صفته مثل أحسنت الى زيد صديقك القديم أهل لذلك منك فيكون الاستئناف باعادة الصفة كما فى الآية أحسن وأبلغ لانطوائها على بيان الموجب وتلخيصه وثانيها أن يجعل الذين والذين تابعا للمتقين ويقع الاستئناف على أولئك كأنه قيل ما للمستقلين بهذه الصفات قد اختصوا بالهدى فقيل أولئك الموصوفون غير مستبعد أن يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلا وبالفلاح آجلا وثالثها أن يجعل الموصول الاول صفة للمتقين ويرفع الثانى على الابتداء وأولئك خبره ويكون اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضا باهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ظانون أنهم على الهدى وطامعون فى أنهم سيفلحون عند الله تعالى والافضل من هذه الوجوه لاولها لان الكلام المبنى على السؤال والجواب أكثر فائدة ولان الاستئناف باعادة الصفة أبلغ ولان السؤال على الوجه الاخير كالضائع لان موجبات اختصاصهم بالهدى قد علمت وأيضا انه يجعل الموصولين تابعا والوجه الاول يجعل الموصول الاول ركنا من الكلام * الثانية الاستعلاء فى قوله على هدى مثل لتمكنهم من الهدى كقولهم هو على الحق وفلان على الباطل وقد يصرح بذلك فيقال جعل الغواية مركبا وامتطى الحق

قال حدثنا أسباط عن السدى فى خبر ذكره عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم لما ضرب الله هذين المثلين للمنافقين يعنى قوله مثلهم كمثل الذى استوقد نارا وقوله أو كصيب من السماء الآيات الثلاث قال المنافقون الله أعلى وأجل من أن يضرب هذه الامثال فأنزل الله ان الله لا يستحيى أن يضرب مثلا ما بعوضة الى قوله أولئك هم الخاسرون وقال آخرون بما حدثنى به أحمد بن ابراهيم قال حدثنا (٧) قراد عن أبى جعفر الرازى عن الربيع بن أنس فى قوله تعالى ان الله لا يستحيى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها قال هذا مثل ضربه الله للدنيا ان البعوضة تحيا ما جاعت فاذا سمنت ماتت وكذلك مثل هؤلاء القوم الذين ضرب الله لهم هذا المثل فى القرآن اذا امتلؤا من الدنيا ريا أخذهم الله عند ذلك قال ثم تلا فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شئ الآية وحدثنى المثنى بن ابراهيم قال حدثنا اسحق بن الحجاج قال حدثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس بنحوه الا أنه قال فاذا خلت آجالهم وانقطعت مدتهم صاروا كالبعوضة تحيا ما جاعت وتموت اذا رويت فكذلك هؤلاء الذين ضرب الله لهم هذا المثل اذا امتلؤا من الدنيا ريا أخذهم الله فأهلكهم فذلك قوله حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذاهم مبلسون وقال آخرون بما حدثنا به بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد عن سعيد عن قتادة قوله ان الله لا يستحيى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها أى ان الله لا يستحيى من الحق أن يذكر منه شيأ ما قل منه أو كثر ان الله حين ذكر فى كتابه الذباب والعنكبوت قال أهل الضلالة ما أراد الله من ذكر هذا فأنزل الله ان الله لا يستحيى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها وحدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال لما ذكر الله العنكبوت والذباب قال المشركون ما بال العنكبوت والذباب يذكران فانزل الله ان الله لا يستحيى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها وقد ذهب كل قائل ممن ذكرنا قوله فى هذه الآية وفى المعنى الذى نزلت فيه مذهبا غير أن أولى ذلك بالصواب وأشبهه بالحق ما ذكرنا من قول ابن مسعود وابن عباس وذلك أن الله جل ذكره أخبر عباده أنه لا يستحيى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها عقيب أمثال قد تقدمت فى هذه السورة ضربها للمنافقين دون الامثال التى ضربها فى سائر السور غيرها فلأن يكون هذا القول أعنى قوله ان الله لا يستحيى أن يضرب مثلا ما جوابا لنكير الكفار والمنافقين ما ضرب لهم من الامثال فى هذه السورة أحق وأولى من أن يكون ذلك جوابا لنكيرهم ما ضرب لهم من الامثال فى غيرها من السور فان قال قائل انما أوجب أن يكون ذلك جوابا لنكيرهم ما ضرب من الامثال فى سائر السور لان الامثال التى ضربها الله لهم ولآلهتهم فى سائر السور أمثال موافقة المعنى لما أخبر عنه أنه لا يستحيى أن يضرب به مثلا اذا كان بعضها تمثيلا لآلهتهم بالعنكبوت وبعضها تشبيها لها فى الضعف والمهانة بالذباب وليس ذكر شئ من ذلك

(٧) قوله قراد بالقاف المضمومة آخره دال مهملة اسمه عبد الرحمن بن غزوان وكنيته أبو نوح كما فى شرح والقاموس الخلاصة كتبه مصححه

واقتعد غارب الهوى ومعنى هدى من ربهم أى منحوه من عنده وأوتوه من قبله وهو اما اللطف والتوفيق الذى يوجود اعتضدوا به على أعمال الخير والترقى من الافضل الى الافضل واما الارشاد الى الدليل الموجب للثبات على ما اعتقدوه والدوام على ما عملوه ونكر هدى ليفيد ضربا من المبالغة أى هدى لا يبلغ كنهه قال الهذلى فلا وأبى الطير المربة بالضحى * على خالد لقد وقعت على لحم أى لحم وأى لحم وأرب بالمكان اذا أقام به والاب مقحم للاستعظام اذ الكنى انما تكون للاشراف كما أن الاقسام بالطير

أيضا الاستعظامهن لوقوعهن على لحم عظيم وعن بعضهم الهدى من الله كثير ولا يبصره الا بصير ولا يعمل به الا يسير ألا ترى أن نجوم السماء يبصرها البصراء ولا يهتدى بها الا العلماء الثالثة فى تكرير أولئك تنبيه على أنهم كما ثبت لهم الاختصاص بالهدى ثبت لهم الاختصاص بالفلاح فتميزوا عن غيرهم بهذين الاختصاصين ووسط العاطف بينهما لاختلاف خبريهما بخلاف قوله أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون فان التسجيل عليهم بالغفلة وعدهم من جملة

الانعام شئ واحد الرابعة هم فصل وفائدته بعد الدلالة على أن الوارد بعده خبر لا صفة التوكيد وايجاب ان فائدة المسند ثابتة للمسند اليه دون غيره ويحتمل أن يكون هم مبتدأ والمفلحون خبره والجملة خبر أولئك الخامسة المفلح الفائز بالبغية والمفلج بالجيم مثله كأنه الذى انفتحت له وجوه الظفر وكذلك أخواته فى الفاء والعين تدل على معنى الشق والفتح نحو فلق وفلذ ومنه سمى الزارع فلاحا ومعنى التعريف فى المفلحون اما العهد أى المتقون هم الناس الذين بلغك أنهم المفلحون فى الآخرة أو الجنس على معنى أنهم الذين ان حصلت صفة المفلحين فهم هم لا يعدون تلك الحقيقة كما تقول لصاحبك هل عرفت الاسد وما جبل عليه من فرط الاقدام ان زيدا هو هو فانظر كيف كرر الله عز وجل التنبيه على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله أحد على طرق شتى وهى ذكر اسم الاشارة فان فى ذكره ايذانا بان ما يرد عقيبه فالمذكورون قبله أهل لاكتسابه من أجل الخصال التى عددت لهم وتكرير اسم الاشارة وتعريف المفلحين وتوسيط الفصل اللهم زينا بلباس التقوى واحشرنا فى زمرة من صدرت بذكرهم أولى الزهراوين قد ورد فى الخبر يحشر الناس يوم القيامة ثم يقول الله عز وجل لهم طالما كنتم تتكلمون وأنا ساكت فاسكتوا اليوم حتى أتكلم انى رفعت نسبا وأبيتم الا أنسابكم قلت ان أكرمكم عند الله أتقاكم وأبيتم أنتم فقلتم لا بل فلان بن فلان فرفعتم أنسابكم ووضعتم نسبى فاليوم أرفع نسبى وأضع أنسابكم فسيعلم أهل الجمع من أصحاب الكرم أين المتقون فلما أخذ العاقل بحكمة الله تعالى وهو نوط الثواب وتعليق العقاب بالعمل الصالح والسيئ الا عما هو غير مضبوط من عفوه عن بعض المذنبين ورده طاعة بعض المطيعين كما أن

بموجود فى هذه السورة فيجوز أن يقال ان الله لا يستحى أن يضرب مثلا ما فان ذلك بخلاف ما ظن وذلك أن قول الله جل ثناؤه ان الله لا يستحى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها انما هو خبر منه جل ذكره انه لا يستحى أن يضرب فى الحق من الامثال صغيرها وكبيرها ابتلاء بذلك عباده واختبارا منه لهم ليميز به أهل الايمان والتصديق به من أهل الضلال والكفر به اضلالا منه به لقوم وهداية منه به لآخرين كما حدثنى محمد بن عمرو قال حدثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله مثلا ما بعوضة يعنى الامثال صغيرها وكبيرها يؤمن بها المؤمنون ويعلمون أنها الحق من ربهم ويهديهم الله بها ويضل بها الفاسقين يقول يعرفه المؤمنون فيؤمنون به ويعرفه الفاسقون فيكفرون به وحدثنى المثنى قال حدثنا أبو حذيفة قال حدثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بمثله وحدثنى القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله قال أبو جعفر لا أنه جل ذكره قصد الخبر عن عين البعوضة أنه لا يستحى من ضرب المثل بها ولكن البعوضة لما كانت أضعف الخلق كما حدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة قال البعوضة أضعف ما خلق الله وحدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثنى حجاج عن ابن جريج بنحوه خصها الله بالذكر فى القلة فأخبر أنه لا يستحى أن يضرب أقل الامثال فى الحق وأحقرها وأعلاها الى غير نهاية فى الارتفاع جوابا منه جل ذكره لمن أنكر من منافقى خلقه ما ضرب لهم من المثل بموقد النار والصيب من السماء على ما نعتهما به من نعتهما فان قال لنا قائل وأين ذكر نكير المنافقين الامثال التى وصفت الذى هذا الخبر جوابه فنعلم أن القول فى ذلك ما قلت قيل الدلالة على ذلك بينها جل ذكره فى قوله فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا وان القوم الذين ضرب لهم الامثال فى الآيتين المقدمتين اللتين مثل ما عليه المنافقون مقيمون فيهما بموقد النار وبالصيب من السماء على ما وصف من ذلك قبل قوله ان الله لا يستحى أن يضرب مثلا قد أنكروا المثل وقالوا ماذا أراد الله بهذا مثلا فأوضح خطأ قيلهم ذلك وقبح لهم ما نطقوا به وأخبرهم بحكمهم فى قيلهم ما قالوا منه وانه ضلال وفسوق وأن الصواب والهدى ما قاله المؤمنون دون ما قالوه وأما تأويل قوله ان الله لا يستحى فان بعض المنسوبين الى المعرفة بلغة العرب كان يتأول معنى ان الله لا يستحى ان الله لا يخشى أن يضرب مثلا ويستشهد على ذلك من قوله بقول الله تعالى وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ويزعم أن معنى ذلك وتستحى الناس والله أحق أن تستحيه فيقول الاستحياء بمعنى الخشية والخشية بمعنى الاستحياء وأما معنى قوله أن يضرب مثلا فهو أن يبين ويصف كما قال جل ثناؤه ضرب لكم مثلا من أنفسكم بمعنى وصف لكم وكما قال الكميت

وذلك ضرب أخماس أريدت * لأسداس عسى أن لا تكونا

بمعنى وصف أخماس والمثل الشبه يقال هذا مثل هذا ومثله كما يقال شبهه وشبهه ومنه قول كعب بن زهير

حكمته لما اقتضت ترتب الشبع والرى على الاكل والشرب لم يعهد الاتكال على ما يمكن أن يقع بالنسبة الى قدرته من اشباع شخص أو اروائه من غير تناول الطعام والشراب أو بالعكس وهذه نكتة شريفة ينتفع بها من وفق لها ان شاء الله (ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم) القراآت أأنذرتهم بهمزتين عاصم وحمزة وعلى وخلف وابن ذكوان وروى الحلوانى (١٤٠) عن هشام آأنذرتهم بهمزتين بينهما مدة والباقون يهمزون الاولى و يلينون الثانية

كانت مواعيد عرقوب لها مثلا * وما مواعيدها الا الأباطيل

يعنى شبها فعنى قوله اذا ان الله لا يستحيى أن يضرب مثلا ان الله لا يخشى أن يصف شبه المماشبه به وأما ما التى مع مثل فانها بمعنى الذى لان معنى الكلام ان الله لا يستحيى أن يضرب الذى هو بعوضة فى الصغر والقلة فما فوقها مثلا فان قال لنا قائل فان كان القول فى ذلك كما قلت فما وجه نصب البعوضة وقد علمت أن تأويل الكلام على ما تأولت ان الله لا يستحيى أن يضرب مثلا الذى هو بعوضة فالبعوضة على قولك فى محل الرفع فأنى أتاها النصب قيل أتاها النصب من وجهين أحدهما أن ما لما كانت فى محل نصب بقوله يضرب وكانت البعوضة لها صلة أعربت بتعريبها فألزمت اعرابها كما قال حسان بن ثابت

وكفى بنا فضلا على من غيرنا * حب النبى محمد إيانا

فعربت غير باعراب من فالعرب تفعل ذلك خاصة فى من وما تعرب صلاتهما باعرابهما لانهما يكونان معرفة أحيانا ونكرة أحيانا وأما الوجه الآخر فان يكون معنى الكلام ان الله لا يستحيى أن يضرب مثلا ما بين بعوضة الى ما فوقها ثم حذف ذكر بين والى اذ كان فى نصب البعوضة ودخول الفاء فى ما الثانية دلالة عليهما كما قالت العرب مطرنا ما زبالة فالثعلبية وله عشرون ما ناقة فجملا وهى أحسن الناس ما قرنا فقدما يعنون ما بين قرنها الى قدمها وكذلك يقولون فى كل ما حسن فيه من الكلام دخول ما بين كذا الى كذا ينصبون الاول والثانى ليدل النصب فيهما على المحذوف من الكلام فكذلك ذلك فى قوله ما بعوضة فما فوقها وقد زعم بعض أهل العربية أن ما التى مع المثل صلة فى الكلام بمعنى التطول وان معنى الكلام ان الله لا يستحيى أن يضرب بعوضة مثلا فما فوقها فعلى هذا التأويل يجب أن تكون بعوضة منصوبة بيضرب وان تكون ما الثانية التى فى فما فوقها معطوفة على البعوضة لا على ما وأما تاويل قوله فما فوقها فما هو أعظم منها عندى لما ذكرنا قبل من قول قتادة وابن جريج ان البعوضة أضعف خلق الله فاذا كانت أضعف خلق الله فهى نهاية فى القلة والضعف واذ كانت كذلك فلا شك أن ما فوق أضعف الاشياء لا يكون الأقوى منه فقد يجب أن يكون المعنى على ما قاله فما فوقها فى العظم والكبر اذ كانت البعوضة نهاية فى الضعف والقلة وقيل فى تاويل قوله فما فوقها فى الصغر والقلة كما يقال فى الرجل يذكره الذاكر فيصفه باللؤم والشح فيقول السامع نعم وفوق ذاك يعنى فوق الذى وصف فى الشح واللؤم وهذا قول خلاف تاويل أهل العلم الذين ترتضى معرفتهم بتأويل القرآن فقد تبين اذا بما وصفنا أن معنى الكلام ان الله لا يستحيى أن يصف شبها لما شبه به الذى هو ما بين بعوضة الى ما فوق البعوضة فاما تأويل الكلام لو رفعت البعوضة فغير جائز فى ما الا ما قلنا من ان تكون اسما لا صلة بمعنى التطول ﴿القول فى تأويل قوله (فاما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا) قال أبو جعفر يعنى بقوله جل ذكره فاما الذين آمنوا فاما الذين صدقوا الله ورسوله

بالتليين جعل الهمزة بين بين أى بين الهمزة و بين الحرف الذى منه حركة الهمزة وعلى أبصارهم بمالة أبو عمرو وعلى غير ليث وابن حمدون وحمدويه وحمزة وفى رواية ابن سعدان وأبى عمرو وكذلك قوله عز وجل بقنطار و بالاسحار وكالفجار والغار ومن أنصار وأشعارها وأشباه ذلك حيث كان يعنى اذا كان قبل الالف حرف مانع و بعدها راء مكسورة فى موضع اللام لان الراء المكسورة تغلب الحروف المستعلية غشاوة بالفصل وقرأ حمزة فى رواية خلف وابن سعدان وخلف لنفسه وأبو اسحق ابراهيم ابن أحمد عن أبى الحرث عن على وورش من طريق البخارى مدغمة النون والتنوين فى الواو فى جميع القرآن عظيم بالاشمام فى الوقف وكذلك اذا كانت الكلمة مكسورة حمزة وعلى وخلف وهو الاختيار عندنا (الوقوف) لا يؤمنون ه على سمعهم ط لان الواو للاستئناف غشاوة ز لان الجملتين وان اتفقتا نظما فالاولى بيان وصف موجود والثانية اثبات عذاب موعود عظيم ه (التفسير) وفيه مسائل (الاولى) فيما يتعلق بان أما عمله من نصب الاسم و رفع الخبر فمعلوم من علم النحو وأما فائدته فما ذكره المبرد فى جواب الكندى من ان قولهم عبد الله قائم اخبار عن قيامه وقولهم ان عبد الله قائم جواب عن سؤال سائل وقولهم ان عبد الله لقائم جواب عن انكار منكر لقيامه وقد يضاف اليه القسم وقوله أيضا نحو والله ان عبد الله لقائم قال ابو نواس عليك باليأس من الناس * ان غنى نفسك فى الياس حسن موقع ان لان الغالب على الناس خلاف هذا الظن وقد يجىء اذا ظن المتكلم فى الذى وجد أنه لم يوجد كقولك انه كان منى اليه احسان فقابلنى بالسوء وكانك ترد على نفسك ظنك الذى ظننت وتبين الخطأ فيما توهمت كقوله تعالى حكاية عن أم مريم قالت رب انى وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت

وكذلك قول نوح رب ان قومى كذبون * (الثانية) لما قدم ذكر أوليائه وخالصة عباده بصفاتهم الموجبة لامتداحه اياهم بها عقب ذلك بذكر أضدادهم وهم المردة من الكفار الذين لا يجبع فيهم الهدى وسواء عليهم الانذار وعدمه وانما فقد العاطف بين القصتين خلاف ما فى نحو قوله تعالى ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم لتباين الجملتين ههنا فى الغرض والاسلوب اذ الاولى مسبوقة بذكر الكتاب وانه هدى للمتقين والثانية لان الكفار من صفتهم كيت وكيت وذلك اذا جعلت الذين

يؤمنون مبتدأ وأولئك خبره لان الكلام المبتدأ على سبيل الاستئناف مبنى على تقدير سؤال وذلك ادراج له فى حكم المتقين وتصييره تبعاله فى المعنى فله حكم الاول وكذا اذا جعلت الموصول الثانى مبتدأ وأولئك خبره لان الجملة برأسها من مستتبعات هدى للمتقين لارتباط بينهما من حيث المعنى * (الثالثة) التعريف فى الذين اما أن يراد به ناس معهودون باعيانهم كأبى لهب وأبى جهل والوليد بن المغيرة وأضرابهم واما ان يراد به الجنس متناولا كل من صمم على كفره تصميما لا يرعوى بعده فقط دون من عداهم من الكفار الذين أسلموا بدليل الحديث عنهم باستواء الانذار وتركه عليهم (الرابعة) الكفر نقيض الايمان فيختلف تعريفه باختلاف تعريف الايمان وقد تقدم وأصل الكفر الستر والتغطية ومنه الكافر لانه يستر الحق ويجحده والزارع كافر لانه يستر الحب والليل المظلم كافر لانه بظلمته يستر كل شئ والكافر الذى كفر درعه بثوب أى غطى ولبسه فوقه قال فى التفسير الكبير كفروا اخبار عن كفرهم بصيغة الماضى فيقتضى كون المخبر عنه متقدما على ذلك الاخبار فللمعتزلة أن يحتجوا بهذا على أن كلام الله محدث فان القديم يستحيل أن يكون مسبوقا بالغير (قلت) التحقيق فى هذا وأمثاله أن كلامه تعالى أزلى الا أن حكمته فى باب التفهيم والتعليم اقتضت ان يكون كلامه على حسب وصوله الى السامعين ضرورة كونهم مترمنين فكل ما هو متقدم على زمان الوصول وقع الاخبار عنه فى الازل بلفظ الماضى وكل ما هو متأخر عن زمان الوصول وقع الاخبار عنه بلفظ المستقبل نحو لتدخلن المسجد الحرام سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب والا اختل نظام التفاهم والتخاطب ومن هذا يعلم أن قوله سنلقى ليس كونه مستقبلا بالنظر الى الازل مقصودا بالنسبة الى المخاطبين وانما المقصود استقباله بالنظر الى زمان نزول الآية فافهم (الخامسة) سواء

وقوله فيعلمون أنه الحق من ربهم يعنى فيعرفون أن المثل الذى ضرب الله لما ضرب له مثل كما حدثنى به المثنى قال حدثنا اسحق بن الحجاج قال حدثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس فاما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم أن هذا المثل الحق من ربهم انه كلام الله ومن عنده وكما حدثنا بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة قوله فاما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم أى يعلمون أنه كلام الرحمن وأنه الحق من الله وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا ۞ قال أبو جعفر وقوله وأما الذين كفروا يعنى الذين جحدوا آيات الله وأنكروا ما عرفوا وستروا ما علموا أنه حق وذلك صفة المنافقين واياهم عنى الله جل وعز ومن كان من نظرائهم وشركائهم من المشركين من أهل الكتاب وغيرهم بهذه الآية فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا كما قد ذكرنا قبل من الخبر الذى رويناه عن مجاهد الذى حدثنا به محمد بن عمرو قال حدثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فاما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم الآية قال يؤمن بها المؤمنون ويعلمون أنها الحق من ربهم ويهديهم الله بها ويضل بها الفاسقون يقول يعرفه المؤمنون فيؤمنون به ويعرفه الفاسقون فيكفرون به وتأويل قوله ماذا أراد الله بهذا مثلا ما الذى أراد الله بهذا المثل مثلا فذا مع ما فى معنى الذى وأراد صلته وهذا اشارة الى المثل ۞ القول فى تأويل قوله جل ثناؤه (يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا) قال أبو جعفر يعنى بقوله جل وعز يضل به كثيرا يضل الله به كثيرا من خلقه والهاء فى به من ذكر المثل وهذا خبر من الله جل ثناؤه مبتدأ ومعنى الكلام أن الله يضل بالمثل الذى يضربه كثيرا من أهل النفاق والكفر كما حدثنى موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدى فى خبر ذكره عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يضل به كثيرا يعنى المنافقين ويهدى به كثيرا يعنى المؤمنين فيزيد هؤلاء ضلالا الى ضلالهم لتكذيبهم بما قد علموه حقا يقينا من المثل الذى ضربه الله لما ضربه له وانه لما ضربه له موافق فذلك اضلال الله اياهم به ويهدى به يعنى بالمثل كثيرا من أهل الايمان والتصديق فيزيدهم هدى الى هداهم وايمانا الى ايمانهم لتصديقهم بما قد علموه حقا يقينا أنه موافق ما ضربه الله له مثلا واقرارهم به وذلك هداية من الله لهم به وقد زعم بعضهم أن ذلك خبر عن المنافقين كأنهم قالوا ماذا أراد الله بمثل لا يعرفه كل أحد يضل به هذا ويهدى به هذا ثم استؤنف الكلام والخبر عن الله فقال الله وما يضل به الا الفاسقين وفيما فى سورة المدثر من قول الله وليقول الذين فى قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا كذلك يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء ما ينبئ عن أنه فى سورة البقرة كذلك مبتدأ أعنى قوله يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا ۞ القول فى تأويل قوله جل ثناؤه (وما يضل به الا الفاسقين) وتأويل ذلك ما حدثنى به موسى بن هرون قال حدثنا عمرو قال حدثنا أسباط عن السدى فى خبر ذكره عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس

اسم بمعنى الاستواء وصف به كما يوصف بالمصادر تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم فى أربعة أيام سواء للسائلين يعنى مستوية وارتفاعه على انه خبر ان وأأنذرتهم أم لم تنذرهم فى موضع الفاعل أى مستو عليهم انذارك وعدمه نحو ان زيدا مختصم أخوه وابن عمه ويحتمل أن يكون أأنذرتهم أم لم تنذرهم فى موضع الابتداء وسواء خبر مقدم والجملة خبر ان وانما صح وقوع الفعل مخبرا عنه مع أنه أبدا خبر نظرا الى المعنى كقولهم لا تأكل السمك وتشرب اللبن معناه لا يكن (١٤٢) منك أكل السمك وشرب اللبن وان كان ظاهر اللفظ على ما لا يصح من عطف الاسم على الفعل فان أن مع الفعل فى تقدير المصدر على الفعل وهو النهى وقد جردت الهمزة وأم لمعنى الاستواء وسلخ عنهما معنى الاستفهام رأسا قال سيبويه هذا مثل قولهم اللهم اغفر لنا أيتها العصابة يعنى أن هذا جرى على صورة الاستفهام ولا استفهام كما أن ذلك جرى على صورة النداء ولا نداء ومعنى الاستواء فى الداخل عليهما الهمزة وأم استواؤهما فى علم المستفهم لانه قد علم ان أحد الأمرين كائن لكن لا بعينه وكلاهما معلوم بعلم غير معين والحاصل أن الاستفهام يلزمه معنيان أحدهما استواء طرفى الحكم فى ذهن المستفهم والثانى طلب معرفة أحدهما فجرد هذا التركيب لمعنى الاستواء وسلخ عنه الطلب وفائدة العدول عن العبارة الاصلية وهى سواء عليهم الانذار وعدمه أن يعلم أن قطع الرجاء وحصول اليأس عنهم انما حصل بعد اصرارهم وكانوا قبل ذلك مرجوا منهم الايمان لا فى علم الله تعالى بل فى علمنا فنزلت الآية بحسب ما يليق بحالنا فى باب التقرير والتصوير أو نقول فائدته أن يعلم ان استواء الطرفين بلغ مبلغا يصح أن يستفهم عنه لكونه خاليا عن شوب التخمين وترجيح أحد الطرفين بوجه فان قول القائل الانذار وعدمه مستويان عليهم يمكن أن يحمل على التقريب لا التحقيق بخلاف ما لو أخبر عن الأمرين بطريق الهمزة وأم فافهم والانذار التخويف من عقاب الله اخرجهم بالزجر عن المعاصى وانما ذكر الانذار دون البشارة لان المقام مقام المبالغة وتأثير الانذار فى الفعل والترك أقوى لان دفع الضرر أهم من جلب النفع وقوله لا يؤمنون اما جملة مؤكدة للتى قبلها أو خبر لان والجملة قبلها اعتراض * (السادسة) الختم والكتم أخوان لان فى الاستيثاق من الشئ بضرب الخاتم عليه كتماله وتغطية لئلا يتوصل اليه ولا يطلع عليه والغشاوة الغطاء فعالة من غشاه اذا غطاه وهذا البناء لما يشتمل عليه

وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وما يضل به الا الفاسقين هم المنافقون وحدثنا بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد عن سعيد عن قتادة وما يضل به الا الفاسقين فسقوا فأضلهم الله على فسقهم وحدثنى المثنى قال حدثنا اسحق قال حدثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس وما يضل به الا الفاسقين هم أهل النفاق ۞ قال أبو جعفر وأصل الفسق فى كلام العرب الخروج عن الشئ يقال منه فسقت الرطبة اذا خرجت من قشرها ومن ذلك سميت الفارة فويسقة لخروجها عن جحرها فكذلك المنافق والكافر سميا فاسقين لخروجهما عن طاعة ربهما ولذلك قال جل ذكره فى صفة ابليس الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه يعنى به خرج عن طاعته واتباع أمره كما حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة قال حدثنى ابن اسحق عن داود بن الحصين عن عكرمة مولى ابن عباس عن ابن عباس فى قوله بما كانوا يفسقون اى بما بعدوا عن أمرى فمعنى قوله وما يضل به الا الفاسقين وما يضل الله بالمثل الذى يضرب به لاهل الضلال والنفاق الا الخارجين عن طاعته والتاركين اتباع أمره من أهل الكفر به من أهل الكتاب وأهل الضلال من أهل النفاق ۞ القول فى تأويل قوله (الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه) قال أبو جعفر وهذا وصف من الله جل ذكره الفاسقين الذين أخبر أنه لا يضل بالمثل الذى ضرب به لاهل النفاق غيرهم فقال وما يضل الله بالمثل الذى يضرب به على ما وصف قبل فى الآيات المتقدمة الا الفاسقين الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ثم اختلف أهل المعرفة فى معنى العهد الذى وصف الله هؤلاء الفاسقين بنقضه فقال بعضهم هو وصية الله الى خلقه وأمره اياهم بما أمرهم به من طاعته ونهيه اياهم عما نهاهم عنه من معصيته فى كتبه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ونقضهم ذلك تركهم العمل به وقال آخرون انما نزلت هذه الآيات فى كفار أهل الكتاب والمنافقين منهم واياهم عنى الله جل ذكره بقوله ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم وبقوله ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر فكل ما فى هذه الآيات فعذل لهم وتوبيخ الى انقضاء قصصهم قالوا فعهد الله الذى نقضوه بعد ميثاقه هو ما أخذه الله عليهم فى التوراة من العمل بما فيها واتباع محمد صلى الله عليه وسلم اذا بعث والتصديق به وبما جاء به من عند ربهم ونقضهم ذلك هو جحودهم به بعد معرفتهم بحقيقته وانكارهم ذلك وكتمانهم علم ذلك عن الناس بعد اعطائهم الله من أنفسهم الميثاق ليبيننه للناس ولا يكتمونه فأخبر الله جل ثناؤه أنهم نبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا وقال بعضهم ان الله عنى بهذه الآية جميع أهل الشرك والكفر والنفاق وعهده الى جميعهم فى توحيده ما وضع لهم من الادلة الدالة على ربوبيته وعهده اليهم فى أمره ونهيه ما احتج به لرسله من المعجزات التى لا يقدر أحد من الناس غيرهم أن يأتى بمثلها الشاهدة لهم على صدقهم قالوا ونقضهم ذلك تركهم الاقرار بما قد تبينت لهم صحته بالادلة وتكذيبهم الرسل والكتب مع علمهم أن ما أتوا به حق وقال آخرون العهد الذى ذكره الله جل ذكره هو العهد الذى أخذه عليهم حين

كالعصابة والعمامة والقلب يراد به تارة اللحم الصنوبرى المودع فى التجويف الايسر من الصدر وهو محل الروح الحيوانى الذى هو منشأ الحس والحركة وينبعث منه الى سائر الاعضاء بتوسط الاوردة والشرايين ويراد به تارة اللطيفة الربانية التى بها يكون الانسان انسانا وبها يستعد لامتثال الاوامر والنواهى والقيام بواجب التكاليف «ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب» وهى من عالم الأمر الذى لا يتوقف وجوده على مادة ومدة بعد ارادة موجده له «انما أمرنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن (١٤٣) فيكون» كما أن البدن بل اللحم الصنوبرى من عالم الخلق الذى هو نقيض ذلك « الا له الخلق والأمر » وقد يعبر عنها بالنفس الناطقة «ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها» وبالروح «قل الروح من أمر ربى ونفخت فيه من روحى» والسمع قوة مرتبة فى العصب المتفرق فى سطح الصماخ تدرك صورة ما يتأدى اليه بتموج الهواء المنضغط بين قارع ومقروع مقاوم له انضغاطا بعنف يحدث منه تموج فاعل للصوت فيتأدى الى الهواء المحصور الراكد فى تجويف الصماخ ويموجه بشكل نفسه وتماس أمواج تلك الحركة تلك العصبة فتسمع قاله ابن سينا ولعل هذا فى الشاهد فقط وأما البصر فقال ابن سينا هى قوة مرتبة فى العصبة المجوفة تدرك صورة ما ينطبع فى الرطوبة الجليدية من أشباح الأجسام ذوات اللون المتأدية فى الأجسام الشفافة بالفعل الى سطوح الأجسام الصيقلية وزعم غيره أن البصر يخرج منه شئ فيلاقى المبصر ويأخذ صورته من خارج ويكون من ذلك ابصار وفى الاكثر يسمون ذلك الخارج شعاعا والحق عندى أن نسبة البصر الى العين نسبة البصيرة الى القلب ولكل من العين والقلب نور أما نور العين فتنطبع فيها لأنه من عالم الخلق فهو نور جزئى ومدركه جزئى وأما نور القلب ففارق لانه من عالم الأمر وهو نور كلى ومدركه كلى وادراك كل منهما عبارة عن وقوع مدركه فى ذلك النور ولكل منهما بل لكل فرد من كل منهما حد ينتهى اليه بحسب شدته وضعفه ويتدرج فى الضعف بحسب تباعد المرئى حتى لا يدركه أو يدركه أصغر مما هو عليه ولا يلزم من قولنا ان للبصر نورا يقع فيه المرئى أن يشتد النور اذا اجتمع بصراء كثيرة فى موضع واحد قياسا على أنوار الكواكب والسرج فان ذلك الانضمام من خواص الانوار المحسوسات والملزومات المختلفة لا تستدعى الاشتراك فى اللوازم وهذا القدر من

أخرجهم من صلب آدم الذى وصفه فى قوله واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم الآيتين ونقضهم ذلك تركهم الوفاء به وأولى الاقوال عندى بالصواب فى ذلك قول من قال ان هذه الآيات نزلت فى كفار أحبار اليهود الذين كانوا بين ظهرانى مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وما قرب منها من بقايا بنى اسرائيل ومن كان على شركه من أهل النفاق الذين قد بينا قصصهم فيما مضى من كتابنا هذا وقد دللنا على أن قول الله جل ثناؤه ان الذين كفروا سواء عليهم وقوله ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر فيهم أنزلت وفيمن كان على مثل الذى هم عليه من الشرك بالله غير أن هذه الآيات عندى وان كانت فيهم نزلت فانه معنى بها كل من كان على مثل ما كانوا عليه من الضلال ومعنى بما وافق منها صفة المنافقين خاصة جميع المنافقين وبما وافق منها صفة كفار أحبار اليهود جميع من كان لهم نظيرا فى كفرهم وذلك أن الله جل ثناؤه يعم أحيانا جميعهم بالصفة لتقديمه ذكر جميعهم فى أول الآيات التى ذكرت قصصهم ويخص أحيانا بالصفة بعضهم لتفصيله فى أول الآيات بين فريقيهم أعنى فريق المنافقين من عبدة الاوثان وأهل الشرك بالله وفريق كفار أحبار اليهود فالذين ينقضون عهد الله هم التاركون ما عهد الله اليهم من الاقرار بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به وتبيين نبوته للناس الكاتمون بيان ذلك بعد علمهم به وبما قد أخذ الله عليهم فى ذلك كما قال الله جل ذكره واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم ونبذهم ذلك وراء ظهورهم هو نقضهم العهد الذى عهد اليهم فى التوراة الذى وصفناه وتركهم العمل به وانما قلت انه عنى بهذه الآيات من قلت انه عنى بها لان الآيات من ابتداء الآيات الخمس والست من سورة البقرة فيهم نزلت الى تمام قصصهم وفى الآية التى بعد الخبر عن خلق آدم وأبنائه فى قوله يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم وخطابه اياهم جل ذكره بالوفاء فى ذلك خاصة دون سائر البشر ما يدل على أن قوله الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه مقصود به كفارهم ومنافقوهم ومن كان من أشياعهم من مشركى عبدة الاوثان على ضلالهم غير أن الخطاب وان كان لمن وصفت من الفريقين فداخل فى أحكامهم وفيما أوجب الله لهم من الوعيد والذم والتوبيخ كل من كان على سبيلهم ومنهاجهم من جميع الخلق وأصناف الامم المخاطبين بالامر والنهى فمعنى الآية اذا وما يضل به الا التاركين طاعة الله الخارجين عن اتباع أمره ونهيه الناكثين عهود الله التى عهدها اليهم فى الكتب التى أنزلها الى رسله وعلى ألسن أنبيائه باتباع أمر رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به وطاعة الله فيما افترض عليهم فى التوراة من تبيين أمره للناس واخبارهم اياهم أنهم يجدونه مكتوبا عندهم أنه رسول من عند الله مفترضة طاعته وترك كتمان ذلك لهم ونكثهم ذلك ونقضهم اياه هو مخالفتهم الله فى عهده اليهم فيما وصفت أنه عهد اليهم بعد اعطائهم ربهم الميثاق بالوفاء بذلك كما وصفهم به جل ذكره بقوله فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض

التحقيق في تفسير القلب والسمع والبصر كاف بحسب المقام ثم اللفظ يحتمل أن تكون الاسماع داخلة في حكم الختم وفي حكم التغشية الا أن الاولى دخولها في حكم الختم لقوله تعالى وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ولهذا يوقف على سمعهم دون قلوبهم وفي تكرير الجار ايذان باستقلال الختم على كل من القلب والسمع وانما وحد السمع لوجوه منها أمن اللبس كما في قوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا * فان زمانكم زمن خميص اذ لا يلتبس (١٤٤) أن لكل واحد بطنا ولهذا اذا لم يؤمن نحو فرسهم وثوبهم والمراد الجمع رفضوه ومنها أن السمع في الاصل مصدر والمصادر لا تجمع فلمح الاصل ولهذا جمع الاذن في قوله وفي آذاننا وقر * ومنها ان يقدر مضاف محذوف أي على حواس سمعهم ومنها الاستدلال بما قبله وبما بعده على ان المراد به الجمع مثل عن اليمين والشمائل يخرجهم من الظلمات الى النور (السابعة) من الناس من قال السمع أفضل من البصر لتقديمه في اللفظ ولانه شرط النبوة فما بعث رسول أصم بخلاف البصر فمن الانبياء من كان مبتلى بالعمى ولان السمع سبب وصول المعارف ونتائج العقول الى الفهم والبصر سبب وصول المحسوسات الى المبصر ولان السمع يتصرف في الجهات الست دون البصر ولان فاقد السمع في الاصل فاقد النطق بخلاف فاقد البصر ومنهم من فضل البصر لان متعلق الابصار النور ومتعلق الاسماع الريح والبصر يرى من بعيد دون السمع ولان عجائب الله تعالى في تخليق العين أكثر منها في تخليق السمع وقد أسمع الله كلامه موسى من غير سبق سؤال ونوقش في الرؤية وفي المثل ليس وراء العيان بيان وفي العين جمال الوجه دون السمع والحق أن من فقد حسا فقد فقد علما هو المتوقف على ذلك الحس ولا ريب أن معظم العلوم يتوقف تحصيلها على البصر والارشاد والتعليم على الاطلاق يتوقف على السمع فكل من الحواس في موضعه ضروري وتفضيل البعض على البعض تطويل بلا طائل فسبحان من دقت في كل مصنوع حكمته وأحسن كل شئ خلقه (الثامنة) الآية الاولى فيها الاخبار بان الذين كفروا لا يؤمنون والانذار وعدمه عليهم سيان والآية الثانية فيها بيان السبب الذي لاجله لم يؤمنوا وهو الختم والتغشية فاحتج أهل السنة بالآيتين ونظائرهما على تكليف ما لا يطاق وعلى أن الله تعالى هو الذي خلق فيهم الداعية الموجبة للكفر وختم على قلوبهم وسمعهم ومنعهم

هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وان يأتهم عرض مثله يأخذوه ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله الا الحق وأما قوله من بعد ميثاقه فانه يعني من بعد توثق الله منه بأخذ عهوده بالوفاء له بما عهد اليه في ذلك غير أن التوثق مصدر من قولك توثقت من فلان توثقا والميثاق اسم منه والهاء في الميثاق عائدة على اسم الله وقد يدخل في حكم هذه الآية كل من كان بالصفة التي وصف الله بها هؤلاء الفاسقين من المنافقين والكفار في نقض العهد وقطع الرحم والافساد في الارض كما حدثنا بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد عن سعيد عن قتادة قوله الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه فاياكم ونقض هذا الميثاق فان الله قد كره نقضه وأوعد فيه وقدم فيه في آي القرآن حجة وموعظة ونصيحة وانا لا نعلم الله جل ذكره أوعد في ذنب ما أوعد في نقض الميثاق فمن أعطى عهد الله وميثاقه من ثمرة قلبه فليف به لله وحدثني المثنى قال حدثنا اسحق قال حدثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الارض أولئك هم الخاسرون فهي ست خلال في أهل النفاق اذا كانت لهم الظهرة أظهروا هذه الخلال الست جميعا اذا حدثوا كذبوا واذا وعدوا أخلفوا واذا اؤتمنوا خانوا ونقضوا عهد الله من بعد ميثاقه وقطعوا ما أمر الله به أن يوصل وأفسدوا في الارض واذا كانت عليهم الظهرة أظهروا الخلال الثلاث اذا حدثوا كذبوا واذا وعدوا أخلفوا واذا اؤتمنوا خانوا ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) قال أبو جعفر والذي رغب الله في وصله وذم على قطعه في هذه الآية الرحم وقد بين ذلك في كتابه فقال تعالى فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم وانما عنى بالرحم أهل الرحم الذين جمعتهم واياه رحم والدة واحدة وقطع ذلك ظلمه في ترك أداء ما ألزم الله من حقوقها وأوجب من برها ووصلها أداء الواجب لها اليها من حقوق الله التي أوجب لها والتعطف عليها بما يحق التعطف به عليها وأن التي مع يوصل في محل خفض بمعنى ردها على موضع الهاء التي في به وكان معنى الكلام ويقطعون الذي أمر الله بان يوصل والهاء التي في به هي كناية عن ذكر أن يوصل وبما قلنا في تأويل قوله ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل وأنه الرحم كان قتادة يقول حدثنا بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد عن سعيد عن قتادة ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل فقطع والله ما أمر الله به أن يوصل بقطيعة الرحم والقرابة وقد تأول بعضهم ذلك أن الله ذمهم بقطعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به وأرحامهم واستشهد على ذلك بعموم ظاهر الآية وأن لا دلالة على انه معني بها بعض ما أمر الله بوصله دون بعض ۞ قال أبو جعفر وهذا مذهب من تأويل الآية غير بعيد من الصواب ولكن الله جل ثناؤه قد ذكر المنافقين في غير آية من كتابه فوصفهم بقطع الارحام فهذه نظيرة تلك غير أنها وان كانت كذلك فهي دالة على ذم الله كل قاطع قطع ما أمر الله بوصله رحما كانت أو غيرها ۞ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (ويفسدون في الارض) قال أبو جعفر وفسادهم في الارض هو ما تقدم وصفناه قبل من معصيتهم ربهم

وكفرهم

وكفرهم به وتكذيبهم رسوله وجحدهم نبوته وانكارهم ما أتاهم به من عند الله أنه حق من عنده

القول في تأويل قوله (أولئك هم الخاسرون) قال أبو جعفر والخاسرون جمع الخاسر والخاسرون الناقصون أنفسهم حظوظها بمعصيتهم الله من رحمته كما يخسر الرجل في تجارته بان يوضع من رأس ماله في بيعه فكذلك الكافر والمنافق خسر بحرمان الله اياه رحمته التي خلقها لعباده في القيامة أحوج ما كان الى رحمته يقال منه خسر الرجل يخسر خسرا وخسرانا وخسارا كما قال جرير بن عطية

إن سليطا في الخسار إنه * أولاد قوم خلقوا أقنه

يعني بقوله في الخسار أي فيما يوكسهم حظوظهم من الشرف والكرم وقد قيل ان معنى أولئك هم الخاسرون أولئك هم الهالكون وقد يجوز أن يكون قائل ذلك أراد ما قلنا من هلاك الذي وصف الله صفته بالصفة التي وصفه بها في هذه الآية بحرمان الله إياه ما حرمه من رحمته بمعصيته اياه وكفره به فحمل تأويل الكلام على معناه دون البيان عن تأويل عين الكلمة بعينها فان أهل التأويل ربما فعلوا ذلك لعلل كثيرة تدعوهم اليه وقال بعضهم في ذلك بما حدثت به عن المنجاب قال حدثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس قال كل شيء نسبه الله الى غير أهل الاسلام من اسم مثل خاسر فانما يعني به الكفر وما نسبه الى أهل الاسلام فانما يعني به الذنب

القول في تأويل قول الله (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم بما حدثني به موسى بن هرون قال حدثنا عمرو ابن حماد قال حدثنا أسباط عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم يقول لم تكونوا شيأ فخلقكم ثم يميتكم ثم يحييكم يوم القيامة وحدثنا محمد بن بشار قال حدثنا عبد الرحمن بن مهدي قال حدثنا سفيان عن أبي اسحق عن أبي الأحوص عن عبد الله في قوله أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين قال هي كالتي في البقرة كنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم وحدثني أبو حصين عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن يونس قال حدثنا عبثر قال حدثنا حصين عن أبي مالك في قوله أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين قال خلقتنا ولم نكن شيأ ثم أمتنا ثم أحييتنا وحدثني يعقوب بن ابراهيم قال حدثنا هشيم عن حصين عن أبي مالك في قوله أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين قال كانوا أمواتا فأحياهم الله ثم أماتهم ثم أحياهم وحدثنا القاسم قال حدثنا الحسين بن داود قال حدثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد في قوله كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم قال لم تكونوا شيأ حين خلقكم ثم يميتكم الموتة الحق ثم يحييكم وقوله أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين مثلها وحدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج قال حدثني عطاء الخراساني عن ابن عباس قال

عن قبول الحق والصدق وكل بتقديره ولا يسئل عما يفعل وأما المعتزلة وأمثالهم فيقولون كيف ينشئ فيهم الكفر ثم يقول لم تكفرون وخلق فيهم ما به لبس الحق بالباطل ثم يقول لم تلبسون الحق بالباطل ونحو ذلك من الآيات الدالة على أن الكفر باختيار العبد وقدرته فتأولوا الآية على أنها جارية مجرى قولهم فلان مجبول على كذا أو مفطور عليه يريدون أنه بليغ في الثبات عليه أو على أنها تمثيل لحال قلوبهم فيما كانت عليه من التجافي عن الحق بحال قلوب ختم الله عليها حتى دخلوا في زمرة الانعام لاتعي شيأ أو لا تفقه كقولهم سال به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء اذا أطال الغيبة وليس للوادي ولا للعنقاء عمل في هلاكه ولا في طول غيبته وانما مثلت حاله في هلاكه بحال من سال به الوادي وفي طول غيبته بحال من طارت به العنقاء والشيطان هو الخاتم في الحقيقة أو الكافر الا أن الله تعالى لما كان هو الذي أقدره ومكنه أسند اليه الختم كما يسند الفعل الى المسبب في قولهم بنى الامير المدينة أو أنهم لما ترقى أمرهم في التصميم على الكفر الى حد لا ينتهون عنه الا بالقسر والالجاء ثم لم يقسرهم الله ولم يلجئهم لئلا ينتقض الغرض من التكليف عبر عن ترك القسر والالجاء بالختم أو يكون حكاية لما كان الكفرة يقولونه تهكما بهم من قولهم قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ويحكى أن الامام أبا القاسم الانصاري سئل عن تكفير المعتزلة في هذه المسئلة فقال لا لانهم نزهوه عما يشبه الظلم والقبيح ولا يليق بالحكمة وسئل عن أهل الجبر فقال لا لانهم عظموه حتى لا يكون لغيره قدرة وتأثير وايجاد وزعم الامام فخر الدين أن اثبات الاله يلجئ الى القول بالجبر لان الفاعلية لو لم تتوقف على الداعية لزم وقوع الممكن من غير مرجح وهو نفي الصانع واثبات الرسول يلجئ الى القول بالقدر لانه لو لم يقدر العبد على الفعل فأي فائدة في بعثة الرسل وانزال الكتب وأقول لما رجعنا الى الفطرة السليمة وجدنا أن ما استوى الوجود والعدم بالنسبة اليه لا يترجح أحدهما على الآخر الا لمرجح وهذا يقتضي الجبر ونجد تفرقة ضرورية بين حركات الانسان وسكناته وبين حركات الجمادات والحركات الاضطرارية وذلك يقتضي مذهب الاعتزال فلذلك بقيت هذه المسئلة في حيز الاشكال (قلت) والله تعالى الموفق عندي أن المسئلة في غاية الاستنارة

والسطوع اذا لوحظت المبادى ورتبت المقدمات فان مبدأ الكل لولم يكن قادرا على كل الممكنات وخرج شئ من الاشياء عن علمه وقدرته وتأثيره وايجاده بواسطة أو بغير واسطة لم يصلح لمبدئية الكل فالهداية والضلالة والايمان والكفر والخير والشر والنفع والضر وسائر المتقابلات كلها مستندة ومنتهية الى قدرته وتأثيره وعلمه وارادته والآيات الناطقة بصحة هذه القضية كقوله تعالى ولوشاء لهدا كم أجمعين ولوشئنا لآتينا كل نفس هداها قل كل من عند الله (١٤٦) كثيرة وكذا الاحاديث اعملوا فكل ميسر لما خلق له كل شئ بقدر حتى العجز والكيس احتج آدم وموسى عند ربهما فحج آدم موسى الحديث فهذه القضية مطابقة للعقل والنقل وبقى الجواب عن اعتراضات المخالف أما حكاية التنزيه عن الظلم والقبائح فاقول لاريب أنه تعالى منزه عن جميع القبائح ولكن لا بالوجه الذى يذكره المخالف اذ يلزم منه النقص من جهة أخرى وهو الخلل فى مبدئيته للكل وفى كونه مالك الملك بل الوجه أن يقال ان الله تعالى صفتى لطف وقهر ومن الواجب فى الحكمة أن يكون الملك ولاسيما ملك الملوك كذلك اذ كل منهما من أوصاف الكمال ولا يقوم أحدهما مقام الآخر ومن منع ذلك كابر وعاند ولابد لكل من الوصفين من مظهر فالملائكة ومن ضاهاهم من الاخيار مظاهر اللطف والشياطين ومن والاهم من الاشرار مظاهر القهر ومظاهر اللطف هم أهل الجنة والاعمال المستتبعة لها ومظاهر القهر هم أهل النار والافعال المعقبة اياها وههنا سر وهو أن اللطف والقهر والجنة والنار انما يصح وجود كل من كل منهما بوجود الآخر فلولا القهر لم يتحقق اللطف ولولا النار لم تثبت الجنة كما أنه لولا الالم لم تتبين اللذة ولولا الجوع والعطش لم يظهر الشبع والرى

هو قوله أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين وحدثت عن عمار بن الحسن قال حدثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قال حدثنى أبو العالية فى قول الله كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا يقول حين لم يكونوا شيأ ثم أحياهم حين خلقهم ثم أماتهم ثم أحياهم يوم القيامة ثم رجعوا اليه بعد الحياة وحدثت عن المنجاب قال حدثنا بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس فى قوله أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين قال كنتم ترابا قبل أن يخلقكم فهذه ميتة ثم أحيا كم فخلقكم فهذه احياءة ثم يميتكم فترجعون الى القبور فهذه ميتة أخرى ثم يبعثكم يوم القيامة فهذه احياءة فهما ميتتان وحياتان فهو قوله كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحيا كم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون وقال آخرون بما حدثنا به أبو كريب قال حدثنا وكيع عن سفيان عن السدى عن أبى صالح كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحيا كم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون قال يحييكم فى القبر ثم يميتكم وقال آخرون بما حدثنا به بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة قوله كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا الآية قال كانوا أمواتا فى أصلاب آبائهم فأحياهم الله وخلقهم ثم أماتهم الموتة التى لابد منها ثم أحياهم للبعث يوم القيامة فهما حياتان وموتتان وقال بعضهم بما حدثنى به يونس قال أنبأنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله تعالى ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين قال خلقهم من ظهر آدم حين أخذ عليهم الميثاق وقرأ واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم حتى بلغ أو تقولوا انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون قال فكسبهم العقل وأخذ عليهم الميثاق قال وانتزع ضلعا من أضلاع آدم القصيرى فخلق منه حواء ذكره عن النبى صلى الله عليه وسلم قال وذلك قول الله تعالى يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء قال وبث فيهما بعد ذلك فى الارحام خلقا كثيرا وقرأ يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق قال خلقا بعد ذلك قال فلما أخذ عليهم الميثاق أماتهم ثم خلقهم فى الارحام ثم أماتهم ثم أحياهم يوم القيامة فذلك قول الله ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا وقرأ قول الله وأخذنا منهم ميثاقا غليظا قال يومئذ قال وقرأ قول الله واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذى واثقكم به اذ قلتم سمعنا وأطعنا ۞ قال أبو جعفر ولكل قول من هذه الاقوال التى حكيناها عمن رويناها عنه وجه ومذهب من التأويل فأما وجه تأويل من تأول قوله كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحيا كم أى لم تكونوا شيأ فانه ذهب الى نحو قول العرب للشئ الدارس والامر الخامل الذكر هذا شئ ميت وهذا أمر ميت يراد بوصفه بالموت خمول ذكره ودروس أثره من الناس وكذلك يقال فى ضد ذلك وخلافه هذا أمر حى وذكر حى يراد بوصفه بذلك أنه نابه متعالم فى الناس كما قال أبو نخيلة السعدى

فأحييت لى ذكرى وما كنت خاملا ۞ ولكن بعض الذكر أنبه من بعض

ولله در القائل ۞ وبضدها تتبين الاشياء ۞ فخلق الله تعالى للجنة خلقا يريد يعملون بعمل أهل الجنة وللنار خلقا يعملون بعمل أهل النار ولا اعتراض لاحد عليه فى تخصيص كل من الفريقين بما خصصوا به فانه لو عكس الامر لكان الاعتراض بحاله وههنا تظهر حقيقة الشقاوة والسعادة فمنهم شقى وسعيد الآية وقال صلى الله عليه وسلم ان خلق أحدكم يجمع فى بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله اليه ملكا بأربع كلمات فيكتب عمله وأجله

ورزقه وشقي أو سعيد الحديث واذا تؤمل فيما قلت ظهر أن لا وجه بعد ذلك لاسناد الظلم والقبائح اليه تعالى لان هذا الترتيب والتمييز من لوازم
الوجود والايجاد كما يشهد به العقل الصريح ولا سيما عند المخالف القائل بالتحسين والتقبيح العقليين وليت شعري لم لا ينسب الظلم الى الملك
المجازي حيث يجعل بعض من تحت تصرفه وزيرا وبعضهم كناسا بعد ان كلا منهما من ضرورات المملكة وينسب الظلم اليه تعالى
في تخصيص كل من عبيده بما خصص به مع أن كلا منهم ضروري في مقامه فهذا القائل يهدم بناء حكمته تعالى ويدعي
أنه يحفظه فافسد حين أصلح وأما
قوله أي فائدة في بعثة الرسل وانزال
الكتب ففي غاية السخافة لانا
لما بينا أنه تعالى يفعل ما يشاء
ويحكم ما يريد فكيف يبقى للمعترض
أن يقول لم جعل الله تعالى الشيء
الفلاني سببا وواسطة للشيء الفلاني
كما أنه ليس له أن يقول مثلا لم جعل
الشمس سببا لانارة الارض غاية
ما في الباب أن يقول اذا علم الله
تعالى أن الكافر لا يؤمن فلم يأمره
بالايمان ويبعث اليه النبي صلى
الله عليه وسلم فأقول فائدة بعث
الانبياء وانزال الكتب بالحقيقة
ترجع الى المؤمنين الذين جعل
الله بعثهم وانزالها سببا وواسطة
لاهتدائهم انما أنت منذر من
يخشاها كما أن فائدة نور الشمس
تعود الى أصحاب العيون الصحاح
وأما فائدة ذلك بالنسبة الى المختوم
على قلوبهم فكفائدة نور الشمس
بالنسبة الى الاكمه وأما الذين في
قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى
رجسهم وماتوا وهم كافرون غاية
ذلك الزام الحجة واقامة البينة عليهم
ظاهرا لئلا يكون للناس على الله
حجة بعد الرسل ولو أنا أهلكناهم
بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا
أرسلت الينا رسولا وهو بالحقيقة
النعي عليهم بأنهم في أصل
الخلقة ناقصون أشقياء وهذا المعنى ربما لا يظهر لهم أيضا غاية نقصانهم كما أن الاكمه ربما لا يصدق البصراء ولا يعرف أن التقصير
والنقصان منه وان سائر الشرائط من محاذاة المرئي وظهور النير موجودة وانما يعرف نقصانهم أرباب الابصار وأما حديث التفرقة
الضرورية بين الحركات الاختيارية والحركات الاضطرارية كالرعشة مثلا فأقول لا ريب أن للانسان ارادات وقوى بها يتم له حصول
الملائم واجتناب المنافي الا أن تلك الارادات والقوى مستندة الى الله تعالى فكأنه لا اختيار له والتفرقة المذكورة سببها في أن الرعشة

يريد بقوله فاحييت لي ذكري أي رفعته وشهرته في الناس حتى نبه فصار مذكورا حيا بعد أن كان
خاملا ميتا فكذلك تأويل قول من قال في قوله وكنتم أمواتا لم تكونوا شيأ أي كنتم خمولا لا ذكر لكم
وذلك كان موتكم فاحياكم فجعلكم بشرا أحياء تذكرون وتعرفون ثم يميتكم بقبض أرواحكم
واعادتكم كالذي كنتم قبل أن يحييكم من دروس ذكركم وتعفي آثاركم وخمول أموركم ثم
يحييكم باعادة أجسامكم الى هيآتها ونفخ الروح فيها وتصييركم بشرا كالذي كنتم قبل الاماتة
لتعارفوا في بعثكم وعند حشركم وأما وجه تأويل من تأول ذلك أنه الاماتة التي هي خروج الروح
من الجسد فانه ينبغي أن يكون ذهب بقوله وكنتم أمواتا الى أنه خطاب لاهل القبور بعد احيائهم
في قبورهم وذلك معنى بعيد لان التوبيخ هنالك انما هو توبيخ على ما سلف وفرط من اجرامهم
لا استعتاب واسترجاع وقوله جل ذكره كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا توبيخ مستعتب عباده
وتأنيب مسترجع خلقه من المعاصي الى الطاعة ومن الضلالة الى الانابة ولا إنابة في القبور بعد
الممات ولا توبة فيها بعد الوفاة وأما وجه تأويل قول قتادة ذلك أنهم كانوا أمواتا في أصلاب آبائهم
فانه عنى بذلك أنهم كانوا نطفا لا أرواح فيها فكانت بمعنى سائر الاشياء الموات التي لا أرواح فيها
واحياؤه اياها تعالى ذكره نفخه الارواح فيها واماتته اياهم بعد ذلك قبضه أرواحهم واحياؤه اياهم
بعد ذلك نفخ الارواح في أجسامهم يوم ينفخ في الصور ويبعث الخلق للموعود وأما ابن زيد فقد
أبان عن نفسه ما قصد بتأويله ذلك وان الاماتة الاولى عنده اعادة الله جل ثناؤه عباده في أصلاب
آبائهم بعد ما أخذهم من صلب آدم وان الاحياء الآخر هو نفخ الارواح فيهم في بطون أمهاتهم وان
الاماتة الثانية هي قبض أرواحهم للعود الى التراب والمصير في البرزخ الى يوم البعث وان الاحياء
الثالث هو نفخ الارواح فيهم لبعث الساعة ونشر القيامة وهذا تأويل اذا تدبره المتدبر وجده خلافا
لظاهر قول الله الذي زعم مفسره أن الذي وصفنا من قوله تفسيره وذلك أن الله جل ثناؤه أخبر في
كتابه عن الذين أخبر عنهم من خلقه أنهم قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين وزعم ابن زيد في
تفسيره أن الله أحياهم ثلاث احياآت وأماتهم ثلاث اماتات والامر عندنا وان كان فيما وصف
من استخراج الله جل ذكره من صلب آدم ذريته وأخذه ميثاقه عليهم كما وصف فليس ذلك من تأويل
هاتين الآيتين أعني قوله كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا الاية وقوله ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا
اثنتين في شيء لان أحدا لم يدع أن الله أمات من ذرأ يومئذ غير الاماتة التي صار بها في البرزخ الى يوم
البعث فيكون جائزا أن يوجه تأويل الآية الى ما وجهه اليه ابن زيد وقال بعضهم الموتة الاولى
مفارقة نطفة الرجل جسده الى رحم المرأة فهي ميتة من لدن فراقها جسده الى نفخ الروح فيها ثم
يحييها الله بنفخ الروح فيها فيجعلها بشرا سويا بعد تارات تأتي عليها ثم يميته الميتة الثانية بقبض الروح
منه فهو في البرزخ ميت الى يوم ينفخ في الصور فيرد في جسده روحه فيعود حيا سويا لبعث القيامة
فذلك موتتان وحياتان وانما دعا هؤلاء الى هذا القول لانهم قالوا موت ذي الروح مفارقة الروح اياه

نقصت واسطة هي الداعية وفي الحركة المسماة بالاختيار به زادت واسطة فافهم هذه الحقائق والاشارات واستعن بها في سائر ما يقرع سمعك
من هذا القبيل فلعلنا لا نكررها في كل موضع حذرا من التطويل ومن لم يستضئ بمصباح لا يستفيد باصباح والله يقول الحق وهو يهدي
السبيل * التاسعة العذاب مثل النكال بناء ومعنى لانك تقول أعذب عن الشئ اذا أمسك عنه كما تقول نكل عنه ومنه العذب لانه يقمع
العطش ويردعه بخلاف الملح فانه يزيده ثم اتسع فيه فسمي كل ألم فادح عذابا وان لم يكن نكالا أي عقابا يرتدع به

فزعموا أن كل شئ من ابن آدم حي ما لم يفارق جسده الحي ذا الروح فكل ما فارق جسده الحي ذا الروح فارقته الحياة فصار ميتا كالعضو من أعضائه مثل اليد من يديه والرجل من رجليه لو قطعت وأبينت والمقطوع ذلك منه حي كان الذي بان من جسده ميتا لا روح فيه بفراقه سائر جسده الذي فيه الروح قالوا فكذلك نطفته حية بحياته ما لم تفارق جسده ذا الروح فاذا فارقته مباينة له صارت ميتة نظير ما وصفنا من حكم اليد والرجل وسائر أعضائه وهذا قول ووجه من التأويل لو كان به قائل من أهل القدوة الذين يرتضى للقرآن تأويلهم وأولى ما ذكرنا من الاقوال التي بينا بتأويل قول الله جل ذكره كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم الآية القول الذي ذكرناه عن ابن مسعود وعن ابن عباس من أن معنى قوله وكنتم أمواتا أموات الذكر خمولا في أصلاب آبائكم نطفا لا تعرفون ولا تذكرون فأحياكم بانشائكم بشرا سويا حتى ذكرتم وعرفتم وحييتم ثم يميتكم بقبض أرواحكم واعادتكم رفاتا لا تعرفون ولا تذكرون في البرزخ الى يوم تبعثون ثم يحييكم بعد ذلك بنفخ الارواح فيكم لبعث الساعة وصيحة القيامة ثم الى الله ترجعون بعد ذلك كما قال ثم اليه ترجعون لان الله جل ثناؤه يحييهم في قبورهم قبل حشرهم ثم يحشرهم لموقف الحساب كما قال جل ذكره يوم يخرجون من الاجداث سراعا كأنهم الى نصب يوفضون وقال ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون والعلة التي من أجلها اخترنا هذا التأويل ما قد قدمنا ذكره للقائلين به وفساد ما خالفه بما قد أوضحناه قبل وهذه الآية توبيخ من الله جل ثناؤه للقائلين آمنا بالله وباليوم الآخر الذين أخبر الله عنهم أنهم مع قيلهم ذلك بأفواههم غير مؤمنين به وأنهم انما يقولون ذلك خداعا لله وللمؤمنين فعذلهم الله بقوله كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ووبخهم واحتج عليهم في نكيرهم ما أنكروا من ذلك وجحودهم ما جحدوا بقلوبهم المريضة فقال كيف تكفرون بالله فتجحدون قدرته على احيائكم بعد اماتتكم واعادتكم بعد افنائكم وحشركم اليه لمجازاتكم بأعمالكم ثم عدد ربنا عليهم وعلى أوليائهم من أحبار اليهود الذين جمع بين قصصهم وقصص المنافقين في كثير من آي هذه السورة التي افتتح الخبر عنهم فيها بقوله ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون نعمه التي سلفت منه اليهم والى آبائهم التي عظمت منهم مواقعها ثم سلب كثيرا منهم كثيرا منها بما ركبوا من الآثام واجترموا من الاجرام وخالفوا من الطاعة الى المعصية يحذرهم بذلك تعجيل العقوبة لهم كالتي عجلها للاسلاف والافراط قبلهم ويخوفهم حلول مثلاته بساحتهم كالذي أحل بأوليهم ويعرفهم ما لهم من النجاة في سرعة الاوبة اليه وتعجيل التوبة من الخلاص لهم يوم القيامة من العقاب فبدأ بعد تعديده عليهم ما عدد من نعمه التي هم فيها مقيمون بذكر أبينا وأبيهم آدم أبي البشر صلوات الله عليه وما سلف منه من كرامته اليه وآلائه لديه وما أحل به وبعدوه ابليس من عاجل عقوبته بمعصيتهما التي كانت منهما ومخالفتهما أمره الذي أمرهما به وما كان من تغمده آدم برحمته اذ تاب وأناب اليه وما كان من احلاله بابليس من لعنته في العاجل واعداده له ما أعد له من العذاب المقيم في الآجل اذ استكبر وأبى التوبة اليه والانابة منها لهم على

حكمه

الجاني عن المعاودة والفرق بين العظيم والكبير أن العظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير ويستعملان في المعاني والاعيان جميعا تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته أو خطره ومعنى التنكير أن على أبصارهم نوعا من الاغطية غير ما يتعارفه الناس وهو غطاء التعامي عن آيات الله ولهم من بين الآلام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه الا الله نعوذ بالله منه * العاشرة اتفق المسلمون أكثرهم على انه يحسن من الله تعالى تعذيب الكفار وقال بعضهم لا يحسن وفسروا قوله ولهم عذاب عظيم وكذا كل وعيد ورد في القرآن بانهم يستحقون ذلك لكن كرمه يوجب عليه العفو وذكروا أيضا دلائل عقلية مبنية على الحسن والقبح كقولهم التعذيب ضرر خال عن المنفعة لان الله تعالى منزه عن ذلك والعبد يتضرر به ولو سلم أنه ينتفع به فالله قادر على ايصال النفع اليه من غير توسط ذلك العذاب والضرر الخالي عن المنافع قبيح بالبديهة وكقولهم علم أن الكافر لا يظهر منه الا العصيان فتكليفه أمر امتى لم يفعل ترتب عليه العذاب وما كان مستعقبا للضرر من غير نفع كان قبيحا فلم يبق الا أن يقال لم يوجد هذا التكليف أو وجد لكنه لا يستعقب العقاب وكقولهم انه سبحانه هو الخالق لداعية المعصية
فيقبح أن يعاقب عليها وكقولهم ان العبد لو واظب على الكفر طول عمره فاذا تاب ثم مات عفا الله عنه
أترى هذا الكريم العظيم ما بقي في الآخرة أو سلبت عقول أولئك المعذبين فلا يتوبون عن معاصيهم واذا تابوا فلم لا يتقبل الله منهم توبتهم ولم
كان في الدنيا بحيث قال ادعوني أستجب لكم وفي الآخرة بحيث لا يجيب دعاءهم الا بقوله اخسؤا فيها ولا تكلمون وأجيب بان تعذيبهم
نقل الينا بالتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا مصير الى انكاره والشبه التي تمسكتم بها تنهدم بانهدام قاعدة الحسن والقبح وأقول قد

بينت بالبرهان النير في المسئلة الثامنة أن وقوع فريق في طريق القهر ضروري في حكمته تعالى وكل ما تقتضيه حكمته وكماله كان حسنا ومن ظن أنه قبيح كان الخلل في عقله وقصور في فهمه فلا قبيح في النظر الاولى وهو حسن من جهات أخرى لا يعلمها الا منشئها وموجدها وهل يستقبح أحد وقوع بعض الاحجار للملوك تيجانا وبعضها للعشوش جدرانا أو وقوع بعض من الحديد سيفا يتقلده الناس وبعضه نعلا يطؤها الافراس حيث يرى كلا منهما في مصالح الوجود ضروريا ثم العذاب وهو بالحقيقة البعد من الله تعالى لازم للكفر والعصيان والملزوم لا ينفك من اللازم وأما سبب عدم انتفاع الكافر والعاصي بالايمان والتوبة بعد المفارقة فذلك أن محل الكسب هو الدنيا والتكليف بامتثال الاوامر والنواهي انما وقع فيها فليس لاحد أن يؤخر الامتثال الى الآخرة ألا ترى أنه لو قال طبيب حاذق لمريض اشرب الدواء الفلاني في اليوم الفلاني فقصر وأخر حتى اذا مضى وقته وأشرف على الهلاك قال اني أشرب الآن لم ينفعه ذلك الدواء ولا يسعه الا الهلاك وكذا لو قال ملك لواحد افعل الامر الفلاني في هذا الوقت ففعله في وقت آخر لم يعد ممتثلا ولا ينفعه الائتمار به لان غرض الامتثال قد فات ولا سيما اذا فعل بعد أن يرى أمارات الغضب وعلامات العذاب فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون صدق الله العظيم * (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون ألا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين) * القراآت ومن الناس ممالة قرأ قتيبة ونصير في كل القرآن ما كان مكسورا من يقول مدغمة النون والتنوين في الياء حيث وقعت حمزة وعلي وخلف وورش من طريق

حكمه في المنيبين اليه بالتوبة وقضائه في المستكبرين عن الانابة اعذارا من الله بذلك اليهم وانذارا لهم ليتدبروا آياته وليتذكر منهم أولو الالباب وخاصا أهل الكتاب بما ذكر من قصص آدم وسائر القصص التي ذكرها معها وبعدها مما علمه أهل الكتاب وجهلته الامة الامية من مشركي عبدة الاوثان بالاحتجاج عليهم دون غيرهم من سائر أصناف الامم الذين لا علم عندهم بذلك لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ليعلموا باخباره اياهم بذلك أنه لله رسول مبعوث وأن ما جاءهم به فمن عنده اذ كان ما اقتص عليهم من هذه القصص من مكنون علومهم ومصون ما في كتبهم وخفي أمورهم التي لم يكن يدعي معرفة علمها غيرهم وغير من أخذ عنهم وقرأ كتبهم وكان معلوما من محمد صلى الله عليه وسلم أنه لم يكن قط كاتبا ولا لاسفارهم تاليا ولا لاحد منهم مصاحبا ولا مجالسا فيمكنهم أن يدعوا أنه أخذ ذلك من كتبهم أو عن بعضهم فقال جل ذكره في تعديده عليهم ما هم فيه مقيمون من نعمه مع كفرهم به وتركهم شكره عليها بما يجب له عليهم من طاعته هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم فاخبرهم جل ذكره أنه خلق لهم ما في الارض جميعا لان الارض وجميع ما فيها لبني آدم منافع أما في الدين فدليل على وحدانية ربهم وأما في الدنيا فمعاش وبلاغ لهم الى طاعته وأداء فرائضه فلذلك قال جل ذكره هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا وقوله هو مكني من اسم الله جل ذكره عائد على اسمه في قوله كيف تكفرون بالله ومعنى خلقه ما خلق جل ثناؤه انشاؤه عينه واخراجه من حال العدم الى الوجود وما بمعنى الذي فمعنى الكلام اذا كيف تكفرون بالله وقد كنتم نطفا في أصلاب آبائكم فجعلكم بشرا أحياء ثم يميتكم ثم هو محييكم بعد ذلك وباعثكم يوم الحشر للثواب والعقاب وهو المنعم عليكم بما خلق لكم في الارض من معايشكم وأدلتكم على وحدانية ربكم وكيف بمعنى التعجب والتوبيخ لا بمعنى الاستفهام كأنه قال ويحكم كيف تكفرون بالله كما قال فاين تذهبون وحل قوله وكنتم أمواتا فأحياكم محل الحال وفيه اضمار قد ولكنه احذفت لما في الكلام من الدليل عليها وذلك ان فعل اذا حلت محل الحال كان معلوما أنها مقتضية قد كما قال جل ثناؤه أو جاؤكم حصرت صدورهم بمعنى قد حصرت صدورهم وكما تقول للرجل أصبحت كثرت ماشيتك تريد قد كثرت ماشيتك وبنحو الذي قلنا في قوله هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا كان قتادة يقول حدثنا بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد عن سعيد عن قتادة قوله هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا نعم والله سخر لكم ما في الارض ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات) قال أبو جعفر اختلف في تأويل قوله ثم استوى الى السماء فقال بعضهم معنى استوى الى السماء أقبل عليها كما تقول كان فلان مقبلا على فلان ثم استوى علي يشاتمني واستوى الي يشاتمني بمعنى أقبل علي والي يشاتمني واستشهد على أن الاستواء بمعنى الاقبال بقول الشاعر

أقول وقد قطعن بنا شرورى * سوامد واستوين من الضجوع

فزعم أنه عنى به أنهن خرجن من الضجوع وكان ذلك عندهم بمعنى أقبلن وهذا من التأويل في هذا

البيت خطأ وانما معنى قوله واستوين من الضجوع عندي استوين على الطريق من الضجوع خارجات بمعنى استقمن عليه وقال بعضهم لم يكن ذلك من الله جل ذكره بتحوّل ولكنه بمعنى فعله كما تقول كان الخليفة في أهل العراق يواليهم ثم تحوّل الى الشام انما يريد تحوّل فعله وقال بعضهم قوله ثم استوى الى السماء يعني به استوت كما قال الشاعر

أقول له لما استوى في ترابه * على أيّ دين قبل الرأس مصعب

وقال بعضهم ثم استوى الى السماء عمد اليها وقال بل كل تارك عملا كان فيه الى آخر فهو مستو لما عمد له ومستو اليه وقال بعضهم الاستواء هو العلو والعلو هو الارتفاع وممن قال ذلك الربيع بن أنس حدثت بذلك عن عمار بن الحسن قال حدثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس ثم استوى الى السماء يقول ارتفع الى السماء ثم اختلف متأولو الاستواء بمعنى العلو والارتفاع في الذي استوى الى السماء فقال بعضهم الذي استوى الى السماء وعلا عليها هو خالقها ومنشئها وقال بعضهم بل العالي اليها الدخان الذي جعله الله للارض سماء ﴿﴾ قال أبو جعفر الاستواء في كلام العرب منصرف على وجوه منها انتهاء شباب الرجل وقوته فيقال اذا صار كذلك قد استوى الرجل ومنها استقامة ما كان فيه أود من الامور والاسباب يقال منه استوى لفلان أمره اذا استقام له بعد أود ومنه قول الطرماح بن حكيم

طال على رسم مهدد أبده * وعفا واستوى به بلده

يعني استقام به ومنها الاقبال على الشئ بالفعل كما يقال استوى فلان على فلان بما يكرهه ويسوءه بعد الاحسان اليه ومنها الاحتياز والاستيلاء كقولهم استوى فلان على المملكة بمعنى احتوى عليها وحازها ومنها العلو والارتفاع كقول القائل استوى فلان على سريره يعني به علوه عليه وأولى المعاني بقول الله جل ثناؤه ثم استوى الى السماء فسواهن علا عليهن وارتفع فدبرهن بقدرته وخلقهن سبع سموات والعجب ممن أنكر المعنى المفهوم من كلام العرب في تأويل قول الله ثم استوى الى السماء الذي هو بمعنى العلو والارتفاع هربا عند نفسه من أن يلزمه بزعمه اذا تأوله بمعناه المفهوم كذلك أن يكون انما علا وارتفع بعد أن كان تحتها الى أن تأوله بالمجهول من تأويله المستنكر ثم لم ينج مما هرب منه فيقال له زعمت أن تأويل قوله استوى أقبل أفكان مدبرا عن السماء فاقبل اليها فان زعم أن ذلك ليس باقبال فعل ولكنه اقبال تدبير قيل له فكذلك فقل علا عليها علو ملك وسلطان لا علو انتقال وزوال ثم لن يقول في شئ من ذلك قولا الا ألزم في الآخر مثله ولولا أنا كرهنا اطالة الكتاب بما ليس من جنسه لأنبأنا عن فساد قول كل قائل قال في ذلك قولا لقول أهل الحق فيه مخالفا وفيما بينا منه ما يشرف بذي الفهم على ما فيه له الكفاية ان شاء الله تعالى ﴿﴾ قال أبو جعفر وان قال لنا قائل أخبرنا عن استواء الله جل ثناؤه الى السماء كان قبل خلق السماء أم بعده قيل بعده وقبل أن يسويهن سبع سموات كما قال جل ثناؤه ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها والاستواء كان بعد أن خلقها دخانا وقبل أن يسويها سبع سموات

النجارى بمؤمنين غير مهموز أبو عمرو وغير شجاع ويزيد والاعشى وورش وحمزة في الوقف وكذلك ما أشبهها من الاسماء وما يخادعون أبو عمرو وابن كثير ونافع فزادهم الله وبابه مما كان ماضيا بالامالة حمزة ونصير وابن ذكوان من طريق مجاهد والنقاش بن الاخرم ههنا بالامالة فقط يكذبون خفيفا عاصم وحمزة وعلي وخلف قيل وغيض وجيء بالاشمام علي وهشام ورويس السفهاء ألا بهمزتين عاصم وحمزة وعلي وخلف وابن عامر السفهاء ولا بقلب الثانية واوا أبو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير وأبو جعفر ونافع السفهاء وألا بقلب الاولى واوا روى الخزاعي وابن شنبوذ عن أهل مكة وكذلك ما أشبهها مما اختلف الهمزتان فيها الا أن تكون الاولى منهما مفتوحة مثل شهداء إذ وجاء إخوة وأشباه ذلك مستهزؤن بترك الهمزة في الحالين يزيد ووافق حمزة في الوقف وكذلك ما أشبهها وعن حمزة في الوقف وجهان الحذف والتليين شبه الياء والواو طغيانهم حيث كان بالامالة قتيبة ونصير وأبو عمرو بالهدى وما أشبهها من الاسماء والافعال من ذوات الياء بالامالة حمزة وعلي وخلف وقرأ أهل المدينة بين الفتح والكسر والى الفتح أقرب وكذلك كل كلمة تجوز الامالة فيها وذلك طبعهم وعادتهم * الوقوف بمؤمنين م لما مر في المقدمة الثامنة آمنوا ج لعطف الجملتين المتفقتين مع ابتداء النفي يشعرون ط للآية وانقطاع النظم والمعنى فان تعلق الجار بما بعده مرض لا لان الفاء للجزاء وكان تأكيدا لما في قلوبهم مرضا ج لعطف الجملتين المختلفتين يكذبون * في الارض لا لان قالوا جواب اذا وعامله مصلحون * لا يشعرون * كما آمن السفهاء ط للابتداء بكلمة التنبيه ومن وصل فليجعل رد السفه عليهم لا يعلمون * آمنا ج لتبدل وجه الكلام معنى مع أن الوصل أولى لبيان حالتيهم المتناقضتين وهو المقصود شياطينهم لا لان قالوا جواب اذا معكم لا تحرزا عن قول ما لا يقوله مسلم وان جاز الابتداء بانما مستهزؤن * يعمهون * بالهدى ص لانقطاع النفس ولا يلزم العود لان ما بعده بدون ما قبله مفهوم مهتدين ० (التفسير) وفيه مباحث * المبحث الاول في قوله تعالى ومن الناس من يقول الآية وفيه مسائل * الاولى عن مجاهد قال أربع آيات من أول هذه السورة نزلت في المؤمنين وآيتان بعدها نزلتا في الكافرين وثلاث عشرة بعدها نزلت في المنافقين فأقول أحوال القلب أربع الاعتقاد المطابق عن وقال

الدليل وهو العلم والاعتقاد المطابق لا عن الدليل وهو اعتقاد المقلد المحق والاعتقاد غير المطابق وهو الجهل وخلو القلب عن كل ذلك وأحوال اللسان ثلاث الاقرار والانكار والسكوت كل منها بالاختيار أو بالاضطرار فيحصل من التراكيب أربعة وعشرون قسما فلنتكلم في الاحوال القلبية ونجعل البواقي تبعا لها في الذكر (النوع الاول) العرفان القلبي ان انضم اليه الاقرار باللسان اختيارا فصاحبه مؤمن حقا بالاتفاق أو اضطرارا فهو منافق لانه لولا الخوف لما أقر فهو بقلبه منكر مكذب وجوب الاقرار وان انضم اليه الانكار اضطرارا فهو مسلم لقوله تعالى الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان أو اختيارا فهو كافر معاند وان انضم اليه السكوت اضطرارا فمسلم حقا لانه خاف أو كما عرف مات فجأة فيكون معذورا أو اختيارا فمسلم أيضا عند الغزالي وعند كثير من الائمة لقوله صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان * النوع الثاني الاعتقاد التقليدي ان وجد معه الاقرار اختيارا فهو المسئلة المشهورة من أن المقلد مؤمن أم لا والاكثرون على ايمانه أو اضطرارا فنفاق بالطريق الاولى كما مر في النوع الاول وان وجد معه الانكار اختيارا فلا شك في كفره أو اضطرارا فمسلم عند من يحكم بايمان المقلد وان وجد معه السكوت اضطرارا فمسلم بناء على اسلام المقلد أو اختيارا فكافر معاند * النوع الثالث الانكار القلبي مع الاقرار اللساني ان كان اضطرارا فنفاق وكذا اختيارا لانه أظهر خلاف ما أضمر ومع الانكار اللساني كفر كيف كان وكذا مع السكوت * النوع الرابع القلب الخالي عن جميع الاعتقادات مع الاقرار اللساني ان كان اختيارا فان كان صاحبه في مهلة النظر لم يلزمه الكفر لكنه فعل ما لا يجوز له حيث أخبر عما لا يدري انه هل هو صادق فيه أم لا وان كان لا في مهلة النظر ففيه نظر أما اذا كان اضطرارا فلا يكفر صاحبه لان توقفه اذا كان في مهلة النظر وكان يخاف على نفسه من ترك الاقرار لم يكن عمله قبيحا والقلب الخالي مع الانكار اللساني كيف كان نفاق والقلب الخالي مع اللسان الخالي ان كان في مهلة النظر فذلك هو الواجب وان كان خارجا عن مهلة النظر وجب تكفيره ولا نفاق فظهر من التقسيم أن المنافق هو الذي لا يطابق ظاهره باطنه سواء كان في باطنه ما يضاد ظاهره أو كان باطنه خاليا عما يشعر به ظاهره ومنه النافقاء احدى جحرة

وقال بعضهم انما قال استوى الى السماء ولا سماء كقول الرجل لآخر اعمل هذا الثوب وانما معه غزل وأما قوله فسواهن فانه يعني هيأهن وخلقهن ودبرهن وقومهن والتسوية في كلام العرب التقويم والاصلاح والتوطئة كما يقال سوى فلان لفلان هذا الامر اذا قومه وأصلحه ووطأه له فكذلك تسوية الله جل ثناؤه سمواته تقويمه اياهن على مشيئته وتدبيره لهن على ارادته وتفتيقهن بعد ارتتاقهن كما حدثت عن عمار قال حدثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس فسواهن سبع سموات يقول سوى خلقهن وهو بكل شئ عليم وقال جل ذكره فسواهن فأخرج مكنيهن مخرج مكني الجمع وقد قال قبل ثم استوى الى السماء فأخرجها على تقدير الواحد وانما أخرج مكنيهن مخرج مكني الجمع لان السماء جمع واحدها سماوة فتقدير واحدتها وجمعها اذا تقدير بقرة وبقر ونخلة ونخل وما أشبه ذلك ولذلك أنث السماء مرة فقيل هذه سماء وذكر أخرى فقيل السماء منفطر به كما يفعل ذلك بالجمع الذي لا فرق بينه وبين واحده غير دخول الهاء وخروجها فيقال هذا بقر وهذه بقر وهذا نخل وهذه نخل وما أشبه ذلك وكان بعض أهل العربية يزعم أن السماء واحدة غير أنها تدل على السموات فقيل فسواهن يراد بذلك التي ذكرت وما دلت عليه من سائر السموات التي لم تذكر معها قال وانما تذكر اذا ذكرت وهي مؤنثة فيقال السماء منفطر به كما يذكر المؤنث وكما قال الشاعر

فلا مزنة ودقت ودقها * ولا أرض أبقل ابقالها

وكما قال أعشى بني ثعلبة

فاما ترى لمتي بدلت * فان الحوادث أزرى بها

وقال بعضهم السماء وان كانت سماء فوق سماء وأرضا فوق أرض فهي في التأويل واحدة ان شئت ثم تكون تلك الواحدة جماعا كما يقال ثوب أخلاق وأسمال وبرمة أعشار للمتكسرة وبرمة أكسار وأجبار وأخلاق أي أن نواحيه أخلاق فان قال لنا قائل فانك قد قلت ان الله جل ثناؤه استوى الى السماء وهي دخان قبل أن يسويها سبع سموات ثم سواها سبعا بعد استوائه اليها فكيف زعمت أنها جماع قيل انهن كن سبعا غير مستويات فلذلك قال جل ذكره فسواهن سبعا كما حدثني محمد بن حميد قال حدثنا سلمة بن الفضل قال قال محمد بن اسحق كان أول ما خلق الله تبارك وتعالى النور والظلمة ثم ميز بينهما فجعل الظلمة ليلا أسود مظلما وجعل النور نهارا مضيأ مبصرا ثم سمك السموات السبع من دخان يقال والله أعلم من دخان الماء حتى استقللن ولم يحبكهن وقد أغطش في السماء الدنيا ليلها وأخرج ضحاها فجرى فيها الليل والنهار وليس فيها شمس ولا قمر ولا نجوم ثم دحى الارض وأرساها بالجبال وقدر فيها الاقوات وبث فيها ما أراد من الخلق ففرغ من الارض وما قدر فيها من أقواتها في أربعة أيام ثم استوى الى السماء وهي دخان كما قال فحبكهن وجعل في السماء الدنيا شمسها وقمرها ونجومها وأوحى في كل سماء أمرها فأكمل خلقهن في يومين ففرغ من خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى في اليوم السابع فوق سمواته ثم قال للسموات والارض

ائتيا طوعا أو كرها لما أردت بكما فاطمئنا عليه طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فقد أخبر ابن اسحق
ان الله جل ثناؤه استوى الى السماء بعد خلقه الارض وما فيها وهن سبع من دخان فسواهن كما
وصف وانما استشهدنا لقولنا الذى قلنا فى ذلك بقول ابن اسحق لانه أوضح بيانا عن خبر السموات
انهن كن سبعا من دخان قبل استواء ربنا اليها بتسويتها من غيره وأحسن شرحا لما أردنا الاستدلال
به من أن معنى السماء التى قال الله فيها ثم استوى الى السماء بمعنى الجمع على ما وصفنا وانه انما قال جل
ثناؤه فسواهن اذ كانت السماء بمعنى الجمع على ما بينا * قال أبو جعفر فان قال لنا قائل فما صفة
تسوية الله جل ثناؤه السموات التى ذكرها فى قوله فسواهن اذ كن قد خلقن سبعا قبل تسويته
اياهن وما وجه ذكر خلقهن بعد ذكر خلق الارض ألأنها خلقت قبلها أم بمعنى غير ذلك قيل قد
ذكرنا ذلك فى الخبر الذى رويناه عن ابن اسحق ونزيد ذلك توكيدا بما انضم اليه من أخبار بعض
السلف المتقدمين وأقوالهم * حدثنى موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط
عن السدى فى خبر ذكره عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن
ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا ثم استوى الى السماء
فسواهن سبع سموات قال ان الله تبارك وتعالى كان عرشه على الماء ولم يخلق شيأ غير ما خلق قبل الماء
فلما أراد أن يخلق الخلق أخرج من الماء دخانا فارتفع فوق الماء فسما عليه فسماه سماء ثم أيبس الماء
فجعله أرضا واحدة ثم فتقها فجعل سبع أرضين فى يومين فى الاحد والاثنين فخلق الارض على
حوت والحوت هو النون الذى ذكره الله فى القرآن ن والقلم والحوت فى الماء والماء على ظهر صفاة
والصفاة على ظهر ملك والملك على صخرة والصخرة فى الريح وهى الصخرة التى ذكر لقمان ليست فى
السماء ولا فى الارض فتحرك الحوت فاضطرب فتزلزلت الارض فأرسى عليها الجبال فقرت فالجبال
تفخر على الارض فذلك قوله وجعل لها رواسى أن تميد بكم وخلق الجبال فيها وأقوات أهلها وشجرها
وما ينبغى لها فى يومين فى الثلاثاء والاربعاء وذلك حين يقول أئنكم لتكفرون بالذى خلق الارض
فى يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها يقول أنبت
شجرها وقدر فيها أقواتها يقول أقواتها لاهلها فى أربعة أيام سواء للسائلين يقول قل لمن يسألك
هكذا الامر ثم استوى الى السماء وهى دخان وكان ذلك الدخان من تنفس الماء حين تنفس فجعلها
سماء واحدة ثم فتقها فجعلها سبع سموات فى يومين فى الخميس والجمعة وانما سمى يوم الجمعة لانه جمع
فيه خلق السموات والارض وأوحى فى كل سماء أمرها قال خلق فى كل سماء خلقها من الملائكة
والخلق الذى فيها من البحار وجبال البرد وما لا يعلم ثم زين السماء الدنيا بالكواكب فجعلها زينة
وحفظا تحفظ من الشياطين فلما فرغ من خلق ما أحب استوى على العرش فذلك حين يقول
خلق السموات والارض فى ستة أيام يقول كانتا رتقا ففتقناهما * وحدثنى الحسن بن يحيى قال
أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله هو الذى خلق لكم ما فى
الارض جميعا ثم استوى الى السماء قال خلق الارض قبل السماء فلما خلق الارض ثار منها دخان

البروع يكتمها ويظهر غيرها فاذا اتى من قبل القاصعاء ضرب النافقاء برأسه فانتفق أى خرج * الثانية زعم قوم أن الكفر الاصلى أقبح
من النفاق لان الكافر جاهل بالقلب كاذب باللسان والمنافق جاهل بالقلب صادق باللسان وقال الآخرون المنافق أيضا كاذب باللسان لانه
يخبر عن كونه على ذلك الاعتقاد مع أنه ليس عليه قال عز من قائل والله يشهد ان المنافقين لكاذبون وأيضا انه قصد التلبيس والكافر الاصلى
لا يقصد ذلك وأيضا الكافر الاصلى على طبع الرجال والمنافق على طبيعة الخناث وأيضا الكافر ما رضى لنفسه بالكذب
بل استنكف منه والمنافق رضى بالكذب وأيضا المنافق ضم الى الكفر الاستهزاء والخداع دون الكافر الاصلى ولغلظ كفر المنافقين قال الله تعالى ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار ووصف حال الكفار فى آيتين وحال المنافقين فى ثلاث عشرة آية نعى عليهم فيها خبثهم ونكرهم وفضحهم وسفههم واستجهلهم واستهزأ بهم وتهكم بفعلهم وسجل بطغيانهم وعمههم ودعاهم صما بكما عميا وضرب لهم الامثال الشنيعة * الثالثة قصة المنافقين عن آخرها معطوفة على قصة الذين كفروا كما تعطف الجملة على الجملة وأصل ناس أناس بدليل انسان وانس وأناسى حذفت الهمزة تخفيفا وحذفها مع لام التعريف كاللازم وقوله ان المنايا يطلعن على الاناس الآمنينا قليل ونويس من المصغر الآتى على خلاف مكبره كانيسيان سموا بذلك لظهورهم وأنهم يؤنسون أى يبصرون كما سمى الجن لاجتنانهم ووزن ناس فعال لان الزنة على الاصول كما يقال وزن ق افعل وهو اسم جمع كرخال للانثى من أولاد الضأن وأما الذى مفرده رخل بكسر الراء فرخال بكسر الراء ومن فى من يقول موصوفة ان جعلت
اللام فى الناس للجنس كقوله من المؤمنين رجال ليكون معنى الكلام ان فى جنس الانس طائفة كيت وكيت فيعود فذلك
فائدة الكلام الى الوصف وان لم يكن مفيدا من حيث الحمل لان الطائفة الموصوفة تكون لا محالة من الناس ولا يجوز أن تكون من موصولة
حينئذ لان الصلة تكون جملة معلومة الانتساب الى الموصول فتبطل فائدة الوصف فيبقى الكلام غير مفيد رأسا وان جعلت اللام للعهد فمن
تكون موصولة نحو ومنهم الذين يؤذون النبى وتكون اللام اشارة الى الذين كفروا المار ذكرهم ولا يجوز أن تكون من موصوفة اذ ذاك لان

فائدة الكلام تعود الى الوصف أيضا ولكن لا يحاوبه نظم الكلام اذ يصير المعنى ان من المختوم على قلوبهم طائفة يقولون كيت وكيت وما هم بمؤمنين ومن البين أن مدلول قوله وما هم بمؤمنين معلوم من حال المطبوع على قلوبهم فيقع ذكره ضائعا والضمير العائد الى من يكون موحدا تارة باعتبار اللفظ نحو ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم أكنة ومجموعا أخرى باعتبار المعنى مثل ومنهم من يستمعون اليك وقد اجتمع الاعتباران في الآية في يقول وآمنا وانما اختص

بالذكر الايمان بالله والايمان باليوم الآخر

فذلك حين يقول ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات قال بعضهن فوق بعض وسبع أرضين بعضهن تحت بعض وحدثنا الحسن بن يحيى قال أنبأنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله فسواهن سبع سموات قال بعضهن فوق بعض بين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام وحدثنا المثنى قال حدثنا أبو صالح قال حدثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله حيث ذكر خلق الارض قبل السماء ثم ذكر السماء قبل الارض وذلك أن الله خلق الارض باقواتها من غير أن يدحوها قبل السماء ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات ثم دحا الارض بعد ذلك فذلك قوله والارض بعد ذلك دحاها وحدثني المثنى قال حدثنا عبد الله بن صالح قال حدثني أبو معشر عن سعيد بن أبي سعيد عن عبد الله بن سلام أنه قال ان الله بدأ الخلق يوم الاحد فخلق الارضين في الاحد والاثنين وخلق الاقوات والرواسي في الثلاثاء والاربعاء وخلق السموات في الخميس والجمعة وفرغ في آخر ساعة من يوم الجمعة فخلق فيها آدم على عجل فتلك الساعة التي تقوم فيها الساعة ۞ قال أبو جعفر فمعنى الكلام اذا هو الذي أنعم عليكم فخلق لكم ما في الارض جميعا وسخره لكم تفضلا منه بذلك عليكم ليكون لكم بلاغا في دنياكم ومتاعا الى موافاة آجالكم ودليلا لكم على وحدانية ربكم ثم علا الى السموات السبع وهي دخان فسواهن وحبكهن وأجرى في بعضهن شمسه وقمره ونجومه وقدر في كل واحدة منهن ما قدر من خلقه ۞ القول في تأويل قوله (وهو بكل شيء عليم) يعني بقوله جل جلاله وهو نفسه وبقوله بكل شيء عليم أن الذي خلقكم وخلق لكم ما في الارض جميعا وسوى السموات السبع بما فيهن فأحكمهن من دخان الماء وأتقن صنعهن لا يخفى عليه أيها المنافقون والملحدون الكافرون به من أهل الكتاب ما تبدون وما تكتمون في أنفسكم وان أبدى منافقوكم بألسنتهم قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر وهم على التكذيب به منطوون وكذبت أحباركم بما أتاهم به رسولي من الهدى والنور وهم بصحته عارفون وجحدوا وكتموا ما قد أخذت عليهم ببيانه لخلقي من أمر محمد ونبوته المواثيق وهم به عالمون بل أنا عالم بذلك وغيره من أموركم وأمور غيركم اني بكل شيء عليم وقوله عليم بمعنى عالم وروي عن ابن عباس انه كان يقول هو الذي قد كمل في علمه حدثني المثنى قال حدثنا عبد الله بن صالح قال حدثنا معاوية بن صالح قال حدثني علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال العالم الذي قد كمل في علمه ۞ القول في تأويل قوله (واذ قال ربك) قال أبو جعفر زعم بعض المنسوبين الى العلم بلغات العرب من أهل البصرة أن تأويل قوله واذ قال ربك وقال ربك وأن اذ من الحروف الزوائد وأن معناها الحذف واعتل لقوله الذي وصفنا عنه في ذلك ببيت الاسود بن يعفر

فاذا وذلك لا مهاه لذكره * والدهر يعقب صالحا بفساد

ثم قال ومعناها وذلك لا مهاه لذكره وببيت عبد مناف بن ربع الهذلي

حتى اذا أسلكوهم في قتائدة * شلا كما تطرد الجمالة الشردا

وقال معناه حتى أسلكوهم ۞ قال أبو جعفر والامر في ذلك بخلاف ما قال وذلك أن اذ حرف يأتي

لانهما قطرا الايمان ومن أحاط بهما فقد حاز الايمان بحذافيره وفي تكرير الباء ايذان بانهم ادعوا كل واحد من الايمانين على صفة الصحة والاستحكام فان قلت ان كان هؤلاء المنافقون من المشركين فظاهر عدم ايمانهم بالله واليوم الآخر وان كانوا من اليهود فكيف يصح ذلك قلت ايمان اليهود بالله ليس بايمان لقولهم عزير ابن الله وكذلك ايمانهم باليوم الآخر لانهم يعتقدونه على خلاف صفته فقولهم هذا لو صدر عنهم لا على وجه النفاق بل على عقيدتهم فهو كفر لا ايمان فاذا قالوه على وجه النفاق خديعة واستهزاء وتخييلا للمسلمين أنهم مثلهم في الايمان الحقيقي كان خبثا الى خبث وكفرا الى كفر والمراد باليوم الآخر اما طرف الابد الذي لا ينقطع لانه متأخر عن الاوقات المنقضية أو الوقت المحدود من النشور الى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار لانه آخر الاوقات المحدودة التي لا حد للوقت بعده فان قلت كيف طابق قوله وما هم بمؤمنين قولهم آمنا والاول في ذكر شأن الفعل لا الفاعل والثاني بالعكس قلت لما أتوا بالجملة الفعلية ليكون معناها أحدثنا الدخول في الايمان لتروج دعواهم

الكاذبة جيء بالجملة الاسمية لتفيد نفي ما انتحلوا اثباته لانفسهم على سبيل البت والقطع وانهم ليس لهم استئهال أن يكونوا طائفة من طوائف المؤمنين فكان هذا أوكد وأبلغ من أن يقال انهم لم يؤمنوا ونظير الآية قوله تعالى يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ثم ان قوله وما هم بمؤمنين يحتمل أن يكون مقيدا وترك لدلالة التقييد في آمنوا ويحتمل الاطلاق أي انهم ليسوا من الايمان في شيء قط لا من الايمان بالله وباليوم الآخر ولا من الايمان بغيرهما * البحث الثاني في قوله يخادعون الله الى

يكذبون اعلم ان الله ذكر من قبائح أفعال المنافقين أربعة أشياء أحدها المخادعة وأصلها الاخفاء ومنه سميت الخزانة المخدع والاخدعان
عرقان في العنق خفيان وخدع الضب خدعا اذا توارى في جحره فلم يظهر الا قليلا والخديعة مذمومة لانها اظهار ما يوهم السداد والسلامة
وابطان ما يقتضي الاضرار بالغير أو التخلص منه فهي بمنزلة النفاق في الكفر والرياء في الافعال الحسنة فان قيل مخادعة الله والمؤمنين
لا تصح لان العالم الذي لا يخفى عليه خافية

لا يخدع والحكيم الحليم الذي لا يفعل القبيح لا يخدع والمؤمنون وان
جاز أن يخدعوا كما قال ذو الرمة
تلك الفتاة التي علقتها عرضا
ان الحليم ذا الاسلام يختلب
لم يجز أن يخدعوا قلنا كانت
صورة صنعهم مع الله حيث
يتظاهرون بالايمان وهم كافرون
صورة صنع الخادعين وصورة صنع
الله معهم حيث أمر باجراء أحكام
المسلمين عليهم وهم عنده أهل
الدرك الاسفل من النار صورة
صنع الخادع وكذلك صورة صنع
المؤمنين معهم حيث امتثلوا أمر
الله فيهم فاجروا أحكامه عليهم
ويحتمل أن يكون ذلك ترجمة عن
معتقدهم وظنهم ان الله ممن يصح
خداعه لان من كان ادعاؤه الايمان
بالله تعالى نفاقا لم يكن عارفا بالله
ولا بصفاته فلم يبعد من مثله تجويز
أن يكون الله مخدوعا ومصابا
بالمكروه من وجه خفي أو تجويز
أن يدلس على عباده ويخدعهم
ويحتمل أن يذكر الله ويراد الرسول
لانه خليفته والناطق باوامره
ونواهيه مع عباده ان الذين
يبايعونك انما يبايعون الله
ويحتمل أن يكون من قولهم
أعجبني زيد وكرمه فيكون المعنى
يخادعون الذين آمنوا بالله وفائدة
هذه الطريقة قوة الاختصاص
ولما كان المؤمنون من الله بمكان
سلك بهم هذا المسلك ومثله والله ورسوله أحق ان يرضوه ان الذين يؤذون الله ورسوله وقولهم علمت زيدا فاضلا ... من
الغرض ذكر الاحاطة بفضل زيد لان زيدا كان معلوما له قديما كأنه قيل علمت فضل زيد ولكن ذكره توطئة وتمهيدا او وجه الاختصار
يخادعون على واحد أن يقال عني به فعلت الا انه أخرج في زنة فاعلت لان الزنة في أصلها للمغالبة والمباراة والفعل متى غولب فيه فاعله
جاء أبلغ وأحكم منه اذا زاوله وحده من غير مغالب ولا مبار لزيادة قوة الداعي اليه و يخادعون بيان ليقول ويجوز أن يكون مستأنفا كأنه

بمعنى الجزاء ويدل على مجهول من الوقت وغير جائز ابطال حرف كان دليلا على معنى في الكلام
(٧) اذ سواء قيل قائل هو بمعنى التطول وهو في الكلام دليل على معنى مفهوم وقيل آخر في جميع
الكلام الذي نطق به دليلا على ما أريد به هو بمعنى التطول وليس لمدعي الذي وصفنا قوله في بيت
الاسود بن يعفر أن اذا بمعنى التطول وجه مفهوم بل ذلك لو حذف من الكلام لبطل المعنى الذي
أراده الاسود بن يعفر من قوله * فاذا وذلك لا مهاه لذكره * وذلك انه أراد بقوله فاذا الذي نحن
فيه وما مضى من عيشنا وأشار بقوله ذلك الى ما تقدم وصفه من عيشه الذي كان فيه لا مهاه لذكره
يعني لا طعم له ولا فضل لاعقاب الدهر صالح ذلك بفساد وكذلك معنى قول عبد مناف بن ربع
* حتى اذا أسلكوهم في قتائدة * شلا لو أسقط منه اذا بطل معنى الكلام لان معناه حتى
اذا أسلكوهم في قتائدة سلكوا شلا فدل قوله أسلكوهم شلا على معنى المحذوف فاستغنى عن
ذكره بدلالة اذا عليه فحذف كما قد ذكرنا فيما مضى من كتابنا على ما تفعل العرب في نظائر ذلك
وكما قال النمر بن تولب

فان المنية من يخشها * فسوف تصادفه أينما

وهو يريد أينما ذهب وكما تقول العرب أتيتك من قبل ومن بعد تريد من قبل ذلك ومن بعد ذلك
فكذلك ذلك في اذا كما يقول القائل اذا أكرمك أخوك فأكرمه واذا لا فلا يريد واذا لم يكرمك فلا
تكرمه ومن ذلك قول الآخر

فاذا وذلك لا يضرك ضره * في يوم أسأل نائلا أو أنكدا

نظير ما ذكرنا من المعنى في بيت الاسود بن يعفر وكذلك معنى قوله الله جل ثناؤه واذ قال ربك
للملائكة لو أبطلت اذ وحذفت من الكلام لاستحال عن معناه الذي هو به وفيه اذ فان قال قائل
فما معنى ذلك وما الجالب لاذ اذ لم يكن في الكلام قبله ما يعطف به عليه قيل له قد ذكرنا فيما مضى
أن الله جل ثناؤه خاطب الذين خاطبهم بقوله كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم بهذه
الآيات والتي بعدها موبخهم مقبحا اليهم سوء فعالهم ومقامهم على ضلالهم مع النعم التي أنعمها
عليهم وعلى أسلافهم ومذكرهم بتعديد نعمه عليهم وعلى أسلافهم بأسه أن يسلكوا سبيل من هلك
من أسلافهم في معصية الله فيسلك بهم سبيلهم في عقوبته ومعرفهم ما كان منه من تعطفه على
التائب منهم استعتابا منه لهم فكان مما عدد من نعمه عليهم أنه خلق لهم ما في الارض جميعا وسخر
لهم ما في السموات من شمسها وقمرها ونجومها وغير ذلك من منافعها التي جعلها لهم ولسائر بني
آدم معهم منافع فكان في قوله كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم
اليه ترجعون معنى اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم اذ خلقتكم ولم تكونوا شيئا وخلقت لكم ما في
الارض جميعا وسويت لكم ما في السماء ثم عطف بقوله واذ قال ربك للملائكة على المعنى المقتضى
بقوله كيف تكفرون بالله اذ كان مقتضيا ما وصفت من قوله اذكروا نعمتي اذ فعلت بكم وفعلت
واذكروا فعلي بأبيكم آدم اذ قلت للملائكة اني جاعل في الارض خليفة فان قال قائل فهل لذلك

(٧) قوله اذ سواء الخ كذا بالاصول التي وقفنا عليها وتأمل وحرر اه مصححه

قيل ولم يدعون الايمان كاذبين فقيل يخادعون وكان غرضهم من الخداع الدفع عن أنفسهم أحكام الكفار من القتل والنهب وتعظيم المسلمين اياهم وأعطائهم الحظوظ من المغانم واطلاعهم على أسرار المسلمين لاختلاطهم بهم والسؤال الذي يذكر ههنا من انه تعالى لم أبقى المنافق على حاله من النفاق ولم يظهر أمره حتى لا يصل من أغراض الخداع الى ما وصل وارد على استبقاء الكفار وسائر أعداء الدين بل على استبقاء ابليس وذريته وتنحل العقدة في الجميع بما سلف لنا من الحقائق ولاسيما في تفسير قوله تعالى ختم الله على قلوبهم وقراءة من قرأ وما يخادعون الا أنفسهم أي وما يعاملون تلك المعاملة المضاهية لمعاملة المخادعين الا أنفسهم لان مكرها يحيق بهم ودائرتها تدور عليهم لان الله تعالى يدفع ضرر الخداع عن المؤمنين ويصرفه اليهم كقوله ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم ويحتمل أن يراد حقيقة المخادعة لانهم يخدعون أنفسهم حيث يمنونها الاباطيل وأنفسهم أيضا تمنيهم وتحدثهم بالاكاذيب وأن يراد وما يخدعون فجيء به على لفظ يفاعلون للمبالغة والنفس ذات الشيء وحقيقته ولا يختص بالاجسام لقوله تعالى تعلم ما في نفسي والشعور علم الشيء علم حس ومشاعر الانسان حواسه والمعنى ان لحوق ضرر ذلك بهم كالمحسوس وهم لتمادي غفلتهم كالذي لا حس له والمرض حالة توجب وقوع الخلل في الافعال الصادرة عن موضوعها واستعمال المرض في القلب يجوز أن يكون حقيقة بان يراد الالم كما تقول في جوفه مرض ومجازا بان يستعار لبعض أعراض القلب كسوء الاعتقاد والغل والحسد والميل الى المعاصي فان صدورهم كانت تغلي على الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين غلا وحنقا واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ وناهيك بما كان من ابن أبي وقول سعد بن عبادة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعف عنه يا رسول الله واصفح فوالله لقد أعطاك الله الذي أعطاك ولقد اصطلح أهل هذه البحيرة ان يعصبوه بالعصابة وذلك شيء منظوم بالجواهر شبه التاج أي يجعلوه ملكا فلما رد الله ذلك بالحق الذي أعطاكه شرق بذلك أو يراد ما يداخل قلوبهم من الضعف والخور لانهم كانوا يطمعون أن ريح الاسلام تهب حينا ثم تركد فكانت تقوى قلوبهم بذلك الطمع فلما شاهدوا شوكة المسلمين واعلاء كلمة الحق وما قذف الله في قلوبهم من الرعب

من نظير في كلام العرب نعلم به صحة ما قلت قيل نعم أكثر من أن يحصى من ذلك قول الشاعر

أجدك لن ترى بثعيلبات * ولا بيدان ناجية ذمولا
ولا متدارك والشمس طفل * ببعض نواشغ الوادي حمولا

فقال ولا متدارك ولم يتقدمه فعل بلفظه يعطف عليه ولا حرف معرب اعرابه فيرد متدارك عليه في اعرابه ولكنه لما تقدمه فعل مجحود بلن يدل على المعنى المطلوب في الكلام وعلى المحذوف استغنى بدلالة ما ظهر منه عن اظهار ما حذف وعامل الكلام في المعنى والاعراب معاملته أن لو كان ما هو محذوف منه ظاهرا لان قوله * أجدك لن ترى بثعيلبات * بمعنى أجدك لست براء فرد متداركا على موضع ترى كأن لست والباء موجودتان في الكلام فكذلك قوله واذ قال ربك لما سلف قبله تذكير الله المخاطبين به ما سلف قبلهم وقبل آبائهم من أياديه وآلائه وكان قوله واذ قال ربك للملائكة مع ما بعده من النعم التي عددها عليهم ونبههم على مواقعها ردا اذ على موضع وكنتم أمواتا فأحياكم لان معنى ذلك اذكروا هذه من نعمي وهذه التي قلت فيها للملائكة فلما كانت الاولى مقتضية اذ عطف واذ على موضعها في الاولى كما وصفنا من قول الشاعر في ولا متدارك ۞ القول في تأويل قوله (للملائكة) قال أبو جعفر والملائكة جمع ملك غير أن واحدهم بغير الهمز أكثر وأشهر في كلام العرب منه بالهمز وذلك أنهم يقولون في واحدهم ملك من الملائكة فيحذفون الهمز منه ويحركون اللام التي كانت مسكنة لو همز الاسم وانما يحركونها بالفتح لانهم ينقلون حركة الهمزة التي فيه بسقوطها الى الحرف الساكن قبلها فاذا جمعوا واحدهم ردوا الجمع الى الاصل وهمزوا فقالوا ملائكة وقد تفعل العرب نحو ذلك كثيرا في كلامها فتترك الهمز في الكلمة التي هي مهموزة فيجري كلامهم بترك همزها في حال وبهمزها في أخرى كقولهم رأيت فلانا فجرى كلامهم بهمز رأيت ثم قالوا نرى وترى ويرى فجرى كلامهم في يفعل ونظائرها بترك الهمز حتى صار الهمز معها شاذا مع كون الهمز فيها أصلا فكذلك ذلك في ملك وملائكة جرى كلامهم بترك الهمز من واحدهم وبالهمز في جميعهم وربما جاء الواحد مهموزا كما قال الشاعر

فلست لانسي ولكن لملأك * تحدر من جو السماء يصوب

وقد يقال في واحدهم مألك فيكون ذلك مثل قولهم جبذ وجذب وشأمل وشمأل وما أشبه ذلك من الحروف المقلوبة غير أن الذي يجب اذا سمي واحدهم مألك أن يجمع اذا جمع على ذلك مآلك ولست أحفظ جمعهم كذلك سماعا ولكنهم قد يجمعون ملائك وملائكة كما يجمع أشعث أشاعث وأشاعثة ومسمع مسامع ومسامعة قال أمية بن أبي الصلت في جمعهم كذلك

وفيها من عباد الله قوم * ملائك ذللوا وهم صعاب

وأصل الملأك الرسالة كما قال عدي بن زيد العبادي

أبلغ النعمان عني مألكا * انه قد طال حبسي وانتظار

وقد ينشد مألكا على اللغة الاخرى فمن قال ملأكا فهو مفعل من لأك اليه يلأك اذا أرسل اليه

ضعفت جبنا وخورا ومعنى زيادة الله اياهم مرضا انه كلما أنزل على رسوله الوحي فكفروا به ازدادوا كفرا الى كفرهم فاسند الفعل الى المسبب له كما أسند الى السورة في قوله فزادتهم رجسا الى رجسهم وهذا كما قال الحكيم البدن الغير النقي كلما غذوته زدته شرا وكلما زاد رسوله نصرة وتبسطا ازدادوا حسدا وبغضا ويحتمل أن يراد بزيادة المرض الطبع ويحتمل أن يقال الغل والحسد قد يفضي الى تغير مزاج القلب ويؤدي الى تلف صاحبه كقوله

اصبر على مضض الحسو * د فان صبرك قاتله

النار تأكل نفسها

ان لم تجد ما تأكله

فافضاء صاحبه الى الهلاك هو المعنى بالزيادة والأليم الوجيع ووصف العذاب به على طريقة قولهم جد جده والألم بالحقيقة للمؤلم كما أن الجد للجاد والمراد بكذبهم قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر وفي ترتب الوعيد على الكذب دليل على قبح الكذب وسماجته وما يروى عن ابراهيم صلى الله عليه وسلم انه كذب ثلاث كذبات أحدها قوله اني سقيم وثانيها قوله لسارة حين أراد أن يغصبها ظالم انها أختي وثالثها قوله بل فعله كبيرهم هذا فالمراد التعريض ان في المعاريض لمندوحة عن الكذب ولكن لما كانت صورته صورة الكذب سمي به والكذب الاخبار بالشيء على خلاف ما هو به وقد يعتبر فيه علم المخبر بكون المخبر عنه مخالفا للخبر والصدق نقيضه وقراءة من قرأ يكذبون بالتشديد اما من كذبه الذي هو نقيض صدقه واما من كذب الذي هو مبالغة في كذب كما بولغ في صدق فقيل صدق نحو بان الشيء وبين الشيء ومنه قوله

قد بين الصبح لذي عينين

أو بمعنى الكثرة نحو موتت البهائم أو من قولهم كذب الوحشي اذا جرى شوطا ثم وقف لينظر ما وراءه لان المنافق متوقف متردد في أمره مذبذب بين ذلك وقال صلى الله عليه وسلم مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير الى هذه مرة والى هذه مرة وما في قوله بما كانوا مصدرية أي بكذبهم وكان مقحمة لتفيد الثبوت والدوام أي بسبب أن هذا شأنهم وهجيراهم * البحث الثالث في قوله تعالى واذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض الى قوله ولكن لا يشعرون هذا هو النوع الثاني من قبائح أفعال المنافقين فقوله واذا قيل اما معطوف على كانوا يكذبون أي ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون وبما كانوا اذا قيل لهم كذا قالوا كذا واما على يقول أي ومن الناس من اذا قيل لهم

رسالة ملأكة ومن قال مألكا فهو مفعل من ألكت اليه ألك اذا أرسلت اليه مألكة وألوكا كما قال لبيد بن أبي ربيعة

وغلام أرسلته أمه * بألوك فبذلنا ما سأل

فهذا من ألكت ومنه قول نابغة بني ذبيان

ألكني يا عيين اليك قولا * ستهديه الرواة اليك عني

وقال عبد بني الحسحاس

ألكني اليها عمرك الله يا فتى * بآية ما جاءت الينا تهاديا

يعني بذلك أبلغها رسالتي فسميت الملائكة ملائكة بالرسالة لانها رسل الله بينه وبين أنبيائه ومن أرسلت اليه من عباده ۞ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (اني جاعل في الارض) اختلف أهل التأويل في قوله اني جاعل فقال بعضهم اني فاعل ۞ ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم بن الحسن قال حدثنا الحسين قال حدثني حجاج عن جرير بن حازم ومبارك عن الحسن وأبي بكر يعني الهذلي عن الحسن وقتادة قالوا قال الله للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قال لهم اني فاعل وقال آخرون اني خالق ذكر من قال ذلك حدثت عن المنجاب بن الحارث قال حدثنا بشر بن عمارة عن أبي روق قال كل شيء في القرآن جعل فهو خلق ۞ قال أبو جعفر والصواب في تأويل قوله اني جاعل في الارض خليفة أي مستخلف في الارض خليفة ومصير فيها خلفا وذلك أشبه بتأويل قول الحسن وقتادة وقيل ان الارض التي ذكرها الله في هذه الآية هي مكة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال حدثنا جرير عن عطاء عن ابن سابط أن النبي صلى الله عليه وسلم قال دحيت الارض من مكة وكانت الملائكة تطوف بالبيت فهي أول من طاف به وهي الارض التي قال الله اني جاعل في الارض خليفة وكان النبي اذا هلك قومه ونجا هو والصالحون أتى هو ومن معه فعبدوا الله بها حتى يموتوا فان قبر نوح وهود وصالح وشعيب بين زمزم والركن والمقام ۞ القول في تأويل قوله (خليفة) والخليفة الفعيلة من قولك خلف فلان فلانا في هذا الامر اذا قام مقامه فيه بعده كما قال جل ثناؤه ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون يعني بذلك أنه أبدلكم في الارض منهم فجعلكم خلفاء بعدهم ومن ذلك قيل للسلطان الاعظم خليفة لانه خلف الذي كان قبله فقام بالامر مقامه فكان منه خلفا يقال منه خلف الخليفة يخلف خلافة وخلافا وكان ابن اسحق يقول بما حدثنا به ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن اسحق اني جاعل في الارض خليفة يقول ساكنا وعامرا يسكنها ويعمرها خلفا ليس منكم وليس الذي قال ابن اسحق في معنى الخليفة بتأويلها وان كان الله جل ثناؤه انما أخبر ملائكته أنه جاعل في الارض خليفة يسكنها ولكن معناها ما وصفت قبل * فان قال قائل فما الذي كان في الارض قبل بني آدم لها عامرا فكان بنو آدم بدلا منه وفيها منه خلفا قيل قد اختلف أهل التأويل في ذلك فحدثنا أبو كريب قال حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثنا بشر بن عمارة عن

أبي

ويحتمل أن يقال الواو للاستئناف واسناد قيل الى لا تفسدوا وآمنوا ليس من اسناد الفعل الى الفعل فانه لا يصح ولكنه اسناد الى لفظ الفعل أي واذا قيل لهم هذا القول نحو زعموا مطية الكذب والقائل لهم اما النبي صلى الله عليه وسلم اذا بلغه عنهم النفاق ولم يقطع بذلك نصحهم فاجابوا بما يحقق ايمانهم وأنهم في الصلاح واما بعض من كانوا يلقون اليه الفساد كان لا يقبل منهم و يعظهم واما بعض المؤمنين ولا يجوز ان يكون القائل ممن لا يختص بالدين والفساد خروج

الشيء عن أن يكون منتفعا به ونقيضه الصلاح وهو الحصول على الحالة المستقيمة النافعة عن ابن عباس والحسن وقتادة والسدي أن المراد بالافساد المنهي عنه اظهار معصية الله تعالى فان الشرائع سنن موضوعة بين العباد فاذا تمسك الخلق بها زال العدوان ولزم كل أحد شأنه فحقنت الدماء وضبطت الاموال وحفظت الفروج وكان ذلك صلاح الارض وأهلها وأما اذا أهملت الشريعة وأقدم كل واحد على ما يهواه اشتعلت نوائر الفتن من كل جانب وحدثت المفاسد وقيل هو مداراة المنافقين الكافرين ومخالطتهم اياهم لانهم اذا مالوا الى الكفار مع أنهم في الظاهر مؤمنون أوهم ذلك ضعف أمر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فيصير سببا لطمع الكفار في المؤمنين فتهيج الفتن والحروب وقيل كانوا يدعون في السر الى تكذيبه ويلقون الشبه ويفشون أسرار المؤمنين ولما نهوا عن الافساد في الارض كان قولهم انما نحن مصلحون كالمقابل له فههنا احتمالات أحدها أنهم اعتقدوا في دينهم أنه هو الصواب وكان سعيهم لاجل تقوية ذلك الدين فزعموا أنهم مصلحون وثانيها اذا فسر الافساد بموالاتهم الكافرين أن يكون مرادهم أن الغرض من تلك الموالاة هو الاصلاح بين المسلمين كقولهم فيما حكى الله سبحانه ان أردنا الا احسانا وتوفيقا وثالثها أن يكون المراد انكار اذاعة أسرار المسلمين ونسبة أنفسهم الى الاستقامة والسداد وجيء باداة القصر دلالة على أن صفة المصلحين خلصت لهم وتمحضت أي حالنا مقصورة على الاصلاح لا تتعداه الى غيره وألا مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي فيفيد التنبيه على تحقق ما بعدها كقوله تعالى أليس ذلك بقادر ولافادتها التحقيق لا تكاد تقع الجملة بعدها الا مصدرة بنحو ما يتلقى به القسم وأختها التي هي أما من مقدمات اليمين وطلائعها قال

أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس قال أول من سكن الارض الجن فافسدوا فيها وسفكوا فيها الدماء وقتل بعضهم بعضا قال فبعث الله اليهم ابليس في جند من الملائكة فقتلهم ابليس ومن معه حتى ألحقهم بجزائر البحور وأطراف الجبال ثم خلق آدم فاسكنه اياها فلذلك قال انى جاعل في الارض خليفة فعلى هذا القول انى جاعل في الارض خليفة من الجن يخلفونهم فيها فيسكنونها ويعمرونها وحدثني المثنى قال حدثنا اسحق قال حدثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس في قوله انى جاعل في الارض خليفة الآية قال ان الله خلق الملائكة يوم الاربعاء وخلق الجن يوم الخميس وخلق آدم يوم الجمعة فكفر قوم من الجن فكانت الملائكة تهبط اليهم في الارض فتقاتلهم فكانت الدماء وكان الفساد في الارض وقال آخرون في تاويل قوله انى جاعل في الارض خليفة أي خلفا يخلف بعضهم بعضا وهم ولد آدم الذين يخلفون أباهم آدم ويخلف كل قرن منهم القرن الذي سلف قبله وهذا قول حكي عن الحسن البصري ونظيره له ما حدثني به محمد بن بشار قال حدثنا أبو أحمد الزبيري قال حدثنا سفيان عن عطاء بن السائب عن ابن سابط في قوله انى جاعل في الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء قال يعنون به بني آدم وحدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قال الله للملائكة انى أريد أن أخلق في الارض خلقا وأجعل فيها خليفة وليس لله يومئذ خلق الا الملائكة والارض ليس فيها خلق وهذا القول يحتمل ما حكي عن الحسن ويحتمل أن يكون أراد ابن زيد أن الله أخبر الملائكة انه جاعل في الارض خليفة له يحكم فيها بين خلقه بحكمه نظير ما حدثني به موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ان الله جل ثناؤه قال للملائكة انى جاعل في الارض خليفة قالوا ربنا وما يكون ذلك الخليفة قال يكون له ذرية يفسدون في الارض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضا فكان تاويل الآية على هذه الرواية التي ذكرناها عن ابن مسعود وابن عباس انى جاعل في الارض خليفة مني يخلفني في الحكم بين خلقي وذلك الخليفة هو آدم ومن قام مقامه في طاعة الله والحكم بالعدل بين خلقه وأما الافساد وسفك الدماء بغير حقها فمن غير خلفائه ومن غير آدم ومن قام مقامه في عباد الله لانهما أخبرا أن الله جل ثناؤه قال لملائكته اذ سألوه وما ذاك الخليفة انه خليفة يكون له ذرية يفسدون في الارض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضا فاضاف الافساد وسفك الدماء بغير حقها الى ذرية خليفته دونه وأخرج منه خليفته وهذا التأويل وان كان مخالفا في معنى الخليفة ما حكي عن الحسن من وجه فموافق له من وجه فاما موافقته اياه فصرف متأوليه اضافة الافساد في الارض وسفك الدماء فيها الى غير الخليفة وأما مخالفته اياه فاضافتهم الخلافة الى آدم بمعنى استخلاف الله اياه فيها واضافة الحسن الخلافة الى ولده بمعنى خلافة بعضهم بعضا وقيام قرن منهم مقام قرن قبلهم واضافة الافساد في الارض وسفك الدماء الى الخليفة والذي دعا المتأولين قوله انى

أماوالذى أبكى وأضحك والذى أمات وأحيا والذى أمره الامر رد الله ما ادعوه من الانضمام فى زمرة المصلحين ابلغ رد من جهة الاستئناف فان ادعاءهم ذلك مع توغلهم فى الفساد مما يشوق السامع أن يعرف ما حكمهم فرد الله عليهم وكان وروده بدون الواو وهو المطابق ومن جهة ما فى ألا وفى ان من التأكيد ومن قبيل تعريف الخبر وتوسيط الفصل وقوله لا يشعرون * البحث الرابع فى قوله واذا قيل لهم آمنوا الآية هذا هو النوع الثالث من قبائح أفعال المنافقين وذلك أن المؤمنين أتوهم فى النصيحة من وجهين أحدهما تقبيح ما كانوا عليه مما يجر الى الفساد والفتنة والثانى دعوتهم الى الطريقة المثلى من اتباع ذوى الاحلام وبعبارة أخرى أمروهم أولا بالتخلية عما لا ينبغى وثانيا بالتحلية بما ينبغى لان كمال حال الانسان فى هاتين وكان من جوابهم فيما بينهم أو للقائل أن سفهوهم لتمادى سفههم وفى هذا تسلية للعالم اذا لم يعرف حقه الجاهل

واذا أتتك مذمتى من ناقص
فهى الشهادة لى بأنى كامل

وما فى كما يجوز أن تكون كافة تصحح دخول الجار على الفعل وتفيد تشبيه مضمون الجملة بالجملة كقولك يكتب زيد كما يكتب عمرو أوزيد صديقى كما عمرو أخى ويجوز أن تكون مصدرية مثلها فى بما رحبت واللام فى الناس للعهد أى كما آمن الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه وهم ناس معهودون أى ليكن ايمانكم ثابتا كما أن ايمان هؤلاء ثابت أو ليحصل ايمانكم كحصول ايمان هؤلاء أو آمنوا كما آمن عبد الله بن سلام وأتباعه لانهم من جلدتهم أى كما آمن أصحابكم ويحتمل أن تكون للجنس أى كما آمن الكاملون فى الانسانية من الاقرار اللسانى الناشئ عن الاعتقاد القلبى أو جعل المؤمنون كأنهم الناس ومن عداهم كالنسناس فى عدم التمييز بين الحق والباطل والاستفهام فى أنؤمن فى معنى الانكار واللام فى السفهاء مشار بها الى الناس كقولك لصاحبك ان زيدا قد سعى بك فتقول أوقد فعل السفيه أو للجنس و ينطوى تحته الجارى ذكرهم على زعمهم لانهم عندهم أعرق الناس فى السفه وهو ضد الحلم وأصله الخفة والحركة يقال تسفهت الريح الشجر اذا مالت به قال ذو الرمة

جرين كما اهتزت رماح تسفهت * أعاليها مر الرياح النواسم

وانما سفهوا المؤمنين مع رجحان عقول أهل الايمان لانهم لجهلهم واخلالهم بالنظر الصحيح اعتقدوا أن ما هم فيه

جاعل فى الارض خليفة فى التأويل الذى ذكر عن الحسن الى ما قالوا فى ذلك أنهم قالوا ان الملائكة انما قالت لربها اذ قال لهم ربهم انى جاعل فى الارض خليفة أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء اخبارا منها بذلك عن الخليفة الذى أخبر الله جل ثناؤه أنه جاعله فى الارض لا غيره لان المحاورة بين الملائكة وبين ربها عنه جرت قالوا فاذ كان ذلك كذلك وكان الله قد برأ آدم من الافساد فى الارض وسفك الدماء وطهره من ذلك علم أن الذى عنى به غيره من ذريته فثبت أن الخليفة الذى يفسد فى الارض ويسفك الدماء هو غير آدم وأنهم ولده الذين فعلوا ذلك وأن معنى الخلافة التى ذكرها الله انما هى خلافة قرن منهم قرنا غيرهم لما وصفنا وأغفل قائلو هذه المقالة ومتأولو الآية هذا التأويل سبيل التأويل وذلك أن الملائكة اذ قال لها ربها انى جاعل فى الارض خليفة لم تضف الافساد وسفك الدماء فى جوابها ربها الى خليفته فى أرضه بل قالت أتجعل فيها من يفسد فيها وغير منكر أن يكون ربها أعلمها انه يكون لخليفته ذلك ذرية يكون منهم الافساد وسفك الدماء فقالت يا ربنا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء كما قال ابن مسعود وابن عباس ومن حكينا ذلك عنه من أهل التأويل ﴿القول فى تأويل قوله جل ثناؤه خبرا عن ملائكته﴾ (قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) قال أبو جعفر ان قال قائل وكيف قالت الملائكة لربها اذ أخبرها أنه جاعل فى الارض خليفة أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ولم يكن آدم بعد مخلوقا ولا ذريته فيعلموا ما يفعلون عيانا أعلمت الغيب فقالت ذلك أم قالت ما قالت من ذلك ظنا فذلك شهادة منها بالظن وقول بما لا تعلم وذلك ليس من صفتها فما وجه قيلها ذلك لربها قيل قد قالت العلماء من أهل التأويل فى ذلك أقوالا ونحن ذاكرو أقوالهم فى ذلك ثم مخبرون بأصحها برهانا وأوضحها حجة فروى عن ابن عباس فى ذلك ما حدثنا به أبو كريب قال حدثنا عثمان ابن سعيد قال حدثنا بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس قال كان ابليس من حى من أحياء الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم من بين الملائكة قال وكان اسمه الحرث قال وكان خازنا من خزان الجنة قال وخلقت الملائكة كلهم من نور غير هذا الحى قال وخلقت الجن الذين ذكروا فى القرآن من مارج من نار وهو لسان النار الذى يكون فى طرفها اذا ألهبت قال وخلق الانسان من طين فأول من سكن الارض الجن فأفسدوا فيها وسفكوا الدماء وقتل بعضهم بعضا قال فبعث الله اليهم ابليس فى جند من الملائكة وهم هذا الحى الذين يقال لهم الجن فقتلهم ابليس ومن معه حتى ألحقهم بجزائر البحور وأطراف الجبال فلما فعل ابليس ذلك اغتر فى نفسه وقال قد صنعت شيأ لم يصنعه أحد قال فاطلع الله على ذلك من قلبه ولم تطلع عليه الملائكة الذين كانوا معه فقال الله للملائكة الذين معه انى جاعل فى الارض خليفة فقالت الملائكة مجيبين له أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء كما أفسدت الجن وسفكت الدماء وانما بعثنا عليهم لذلك فقال انى أعلم ما لا تعلمون يقول انى قد اطلعت من قلب ابليس على ما لم تطلعوا عليه من كبره واغتراره قال ثم أمر بتربة آدم فرفعت فخلق الله آدم من طين لازب واللازب اللزج الصلب من

هو الحق ولانهم كانوا فى رياسة وثروة وكان أكثر المؤمنين فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال وخباب فدعوهم سفهاء تحقير الشأنهم كما قال قوم نوح وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا أو أرادوا عبد الله بن سلام وأشياعه لما غاظهم من اسلامهم وفت فى أعضائهم * عن أنس انه سمع عبد الله بن سلام بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى أرض مخترف فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال انى سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبى فما أول اشراط الساعة وما أول طعام أهل الجنة وما ينزع الولد الى أبيه أو الى أمه قال صلى الله عليه وسلم أخبرنى بهن جبريل آنفا أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق الى المغرب وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت واذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد واذا سبق ماء المرأة نزعت قال أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله يا رسول الله ان اليهود قوم بهت وانهم ان يعلموا باسلامى قبل أن تسألهم بهتونى فجاءت اليهود فقال أى رجل عبد الله فيكم قالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا قال أرأيتم ان أسلم عبد الله ابن سلام قالوا أعاذه الله من ذلك فخرج عبد الله فقال أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا فانتقصوه قال هذا الذى كنت أخاف يا رسول الله ثم ان الله تعالى ألقى عليهم هذا اللقب مقرونا بالمؤكدات التى بيناها فى قوله ألا انهم هم المفسدون وذلك أن من أعرض عن الدليل ثم نسب المتمسك به الى السفه فهو السفيه وكذا من باع آخرته بدنياه قال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت وأيضا من السفه معاداة المحمديين يريدون أن يطفؤا نور الله بأفواههم

* كالطود يحقر نطحة الأوعال *

انما فصلت هذه الآية بلا يعلمون والتى قبلها بلا يشعرون لان الوقوف على ان المؤمنين على الحق وهم على الباطل أمر عقلى نظرى وأما النفاق وما يؤل اليه من الفساد فى الارض فأمر دنيوى مبنى على العادات وخصوصا عند العرب فى جاهليتهم وما كان قائما بينهم من التحارب والتجاذب فهو كالمحسوس المشاهد ولانه قد ذكر السفه وهو جهل فكان ذكر العلم معه أحسن طباقا له * البحث الخامس فى قوله واذا لقوا الذين آمنوا الآيات هذا هو النوع الرابع من قبائح أفعالهم والفرق بين هذه الآية وبين قوله ومن الناس من يقول آمنا أن تلك فى بيان

حمأ مسنون منتن قال وانما كان حمأ مسنونا بعد التراب قال فخلق منه آدم بيده قال فمكث أربعين ليلة جسدا ملقى فكان ابليس يأتيه فيضربه برجله فيصلصل أى فيصوت قال فهو قول الله من صلصال كالفخار يقول كالشئ المنفوخ الذى ليس بمصمت قال ثم يدخل فى فيه ويخرج من دبره ويدخل من دبره ويخرج من فيه ثم يقول لست شيأ للصلصلة ولشئ ما خلقت لئن سلطت عليك لأهلكنك ولئن سلطت على لأعصينك قال فلما نفخ الله فيه من روحه أتت النفخة من قبل رأسه فجعل لا يجرى شئ منها فى جسده الا صار لحما ودما فلما انتهت النفخة الى سرته نظر الى جسده فأعجبه ما رأى من حسنه فذهب لينهض فلم يقدر فهو قول الله وكان الانسان عجولا قال ضجرا لا صبر له على سراء ولا ضراء قال فلما تمت النفخة فى جسده عطس فقال الحمد لله رب العالمين بالهام من الله تعالى فقال الله له يرحمك الله يا آدم قال ثم قال الله للملائكة الذين كانوا مع ابليس خاصة دون الملائكة الذين فى السموات اسجدوا لآدم فسجدوا كلهم أجمعون الا ابليس أبى واستكبر لما كان حدثت به نفسه من كبره واغتراره فقال لا أسجد له وأنا خير منه وأكبر سنا وأقوى خلقا خلقتنى من نار وخلقته من طين يقول ان النار أقوى من الطين قال فلما أبى ابليس أن يسجد أبلسه الله وآيسه من الخير كله وجعله شيطانا رجيما عقوبة لمعصيته ثم علم آدم الاسماء كلها وهى هذه الاسماء التى يتعارف بها الناس انسان ودابة وأرض وسهل وبحر وجبل وحمار وأشباه ذلك من الامم وغيرها ثم عرض هذه الاسماء على أولئك الملائكة يعنى الملائكة الذين كانوا مع ابليس الذين خلقوا من نار السموم وقال لهم أنبؤنى بأسماء هؤلاء يقول أخبرونى بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين أنكم تعلمون أنى أجعل فى الارض خليفة قال فلما علمت الملائكة مؤاخذة الله عليهم فيما تكلموا به من علم الغيب الذى لا يعلمه غيره الذى ليس لهم به علم قالوا سبحانك تنزيها لله من أن يكون أحد يعلم الغيب غيره تبنا اليك لا علم لنا الا ما علمتنا تبريا منهم من علم الغيب الا ما علمتنا كما علمت آدم فقال يا آدم أنبئهم بأسمائهم يقول أخبرهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم أيها الملائكة خاصة انى أعلم غيب السموات والارض ولا يعلمه غيرى وأعلم ما تبدون يقول ما تظهرون وما كنتم تكتمون يقول أعلم السر كما أعلم العلانية يعنى ما كتم ابليس فى نفسه من الكبر والاغترار وهذه الرواية عن ابن عباس تنبئ عن أن قول الله جل ثناؤه واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة خطاب من الله جل ثناؤه لخاص من الملائكة دون الجميع وأن الذين قيل لهم ذلك من الملائكة كانوا قبيلة ابليس خاصة الذين قاتلوا معه جن الارض قبل خلق آدم وأن الله انما خصهم بقيل ذلك امتحانا منه لهم وابتلاء ليعرفهم قصور علمهم وفضل كثير ممن هو أضعف خلقا منهم من خلقه عليهم وأن كرامته لا تنال بقوى الابدان وشدة الاجسام كما ظنه ابليس عدو الله ويصرح بأن قيلهم لربهم أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء كانت هفوة منهم ورجما بالغيب وأن الله جل ثناؤه أطلعهم على مكروه ما نطقوا به من ذلك ووقفهم عليه حتى تابوا وأنابوا اليه مما قالوا ونطقوا من رجم الغيب بالظنون وتبرؤا اليه أن يعلم الغيب غيره وأظهر لهم من ابليس ما كان

مذهبهم والترجمة عن نفاقهم وهذه في بيان معاملتهم مع المؤمنين من التكذيب لهم والاستهزاء بهم عن ابن عباس نزلت هذه الآية في عبد الله ابن أبي وأصحابه وذلك انهم خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله بن أبي انظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء عنكم فذهب فاخذ بيد أبي بكر فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار الباذل نفسه وماله ثم أخذ بيد عمر فقال مرحبا (١٦٠) بسيد بني عدي بن كعب الفاروق القوي في دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم أخذ بيد علي عليه السلام فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله ثم افترقوا فقال عبد الله لاصحابه كيف رأيتموني فعلت فاذا رأيتموهم فافعلوا كما فعلت فأثنوا عليه خيرا فرجع المسلمون الى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبروه بذلك فنزلت ويقال لقيته ولاقيته اذا استقبلته قريبا منه وخلوت بفلان واليه اذا انفردت معه ويجوز أن يكون من خلا بمعنى مضى وخلاك ذم أي عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية أو من خلوت به اذا سخرت منه وهو من قولك خلا فلان بعرض فلان يعبث به ومعناه اذا أنهوا السخرية بالمؤمنين الى شياطينهم وحدثوهم بها كما تقول أحمد اليك فلانا أو أذمه اليك أي أنهي اليك حمدي لفلان أو ذمي وعن ابن عباس اني أحمد اليكم غسل الاحليل أي أعلمكم انه أمر محمود وشياطينهم رؤساؤهم وأكابرهم الذين ماثلوا الشياطين في تمردهم وهم اما أكابر المنافقين فالقائلون انا معكم أي مصاحبوكم وموافقوكم على أمر دينكم أصاغرهم واما أكابر الكافرين فالقائلون يحتمل أن يكون جميع المنافقين وانما فسرنا الشياطين بالرؤساء لانهم هم القادرون على الافساد في الارض وانما خاطبوا المؤمنين بأضعف الجملتين وهي الفعلية وشياطينهم باقواها أعني الاسمية المحققة بان لانهم في ادعاء حدوث الايمان الناشئ عن صميم القلب منهم لا في ادعاء انهم أوحديون في الايمان كاملون اما لان أنفسهم لا تساعدهم عليه وهكذا كل قول لم يصدر عن صدق رغبة وباعث داخلي واما لانه لا يروج عنهم لو قالوه على وجه التوكيد وهم بين ظهراني المهاجرين والانصار القائلين ربنا اننا آمنا واما مخاطبة اخوانهم فعن وفور نشاط ورغبة وفي حيز القبول والرواج فكان مظنة للتحقيق ومئنة للتوكيد وانما فقد العاطف بين قوله انا معكم وبين قوله انما نحن مستهزؤن لان

منطويا عليه من الكبر الذي قد كان عنهم مستخفيا وقد روي عن ابن عباس خلاف هذه الرواية وهو ما حدثني به موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لما فرغ الله من خلق ما أحب استوى على العرش فجعل ابليس على ملك سماء الدنيا وكان من قبيلة من الملائكة يقال لهم الجن وانما سموا الجن لانهم خزان الجنة وكان ابليس مع ملكه خازنا فوقع في صدره كبر وقال ما أعطاني الله هذا الا لمزية لي هكذا قال موسى بن هرون وقد حدثني به غيره وقال لمزية لي على الملائكة فلما وقع ذلك الكبر في نفسه اطلع الله على ذلك منه فقال الله للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا ربنا وما يكون ذلك الخليفة قال يكون له ذرية يفسدون في الارض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضا قالوا ربنا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني أعلم ما لا تعلمون يعني من شأن ابليس فبعث جبريل الى الارض ليأتيه بطين منها فقالت الارض اني أعوذ بالله منك أن تنقص مني أو تشينني فرجع ولم يأخذ وقال رب انها عاذت بك فأعذتها فبعث الله ميكائيل فعاذت منه فأعاذها فرجع فقال كما قال جبريل فبعث ملك الموت فعاذت منه فقال وأنا أعوذ بالله أن أرجع ولم أنفذ أمره فاخذ من وجه الارض وخلط فلم يأخذ من مكان واحد وأخذ من تربة حمراء وبيضاء وسوداء فلذلك خرج بنو آدم مختلفين فصعد به فبل التراب حتى عاد طينا لازبا واللازب هو الذي يلتزق بعضه ببعض ثم ترك حتى أنتن وتغير وذلك حين يقول من حمإ مسنون قال منتن ثم قال للملائكة اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فخلقه الله بيده لكيلا يتكبر ابليس عنه ليقول له تتكبر عما عملت بيدي ولم أتكبر أنا عنه فخلقه بشرا فكان جسدا من طين أربعين سنة من مقدار يوم الجمعة فمرت به الملائكة ففزعوا منه لما رأوه وكان أشدهم منه فزعا ابليس فكان يمر به فيضربه فيصوت الجسد كما يصوت الفخار وتكون له صلصلة فذلك حين يقول من صلصال كالفخار ويقول لأمر ما خلقت ودخل من فيه فخرج من دبره فقال للملائكة لا ترهبوا من هذا فان ربكم صمد وهذا أجوف لئن سلطت عليه لأهلكنه فلما بلغ الحين الذي يريد الله جل ثناؤه أن ينفخ فيه الروح قال للملائكة اذا نفخت فيه من روحي فاسجدوا له فلما نفخ فيه الروح فدخل الروح في رأسه عطس فقالت له الملائكة قل الحمد لله فقال الحمد لله فقال له الله رحمك ربك فلما دخل الروح في عينيه نظر الى ثمار الجنة فلما دخل في جوفه اشتهى الطعام فوثب قبل أن تبلغ الروح رجليه عجلان الى ثمار الجنة فذلك حين يقول خلق الانسان من عجل فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس أبى أن يكون مع الساجدين أبى واستكبر وكان من الكافرين قال الله له ما منعك أن تسجد اذ أمرتك لما خلقت بيدي قال أنا خير منه لم أكن لاسجد لبشر خلقته من طين قال الله له اخرج منها فما يكون لك يعني ما ينبغي لك أن تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين والصغار هو الذل قال وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرض الخلق على الملائكة فقال أنبئوني باسماء

بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين أن بني آدم يفسدون في الارض ويسفكون الدماء فقالوا له سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم قال الله يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم اني أعلم غيب السموات والارض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون قال قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها فهذا الذي أبدوا وأعلم ما كنتم تكتمون يعني ما أسر ابليس في نفسه من الكبر قال أبو جعفر فهذا الخبر أوله مخالف معناه معنى الرواية التي رويت عن ابن عباس من رواية الضحاك التي قد قدمنا ذكرها قبل وموافق معنى آخره معناها وذلك انه ذكر في أوله ان الملائكة سألت ربها ما ذاك الخليفة حين قال لها اني جاعل في الارض خليفة فأجابها أنه تكون له ذرية يفسدون في الارض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضا فقالت الملائكة حينئذ أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فكان قول الملائكة ما قالت من ذلك لربها بعد اعلام الله اياها أن ذلك كائن من ذرية الخليفة الذي يجعله في الارض فذلك معنى خلاف أوله معنى خبر الضحاك الذي ذكرناه وأما موافقته اياه في آخره فهو قولهم في تأويل قوله أنبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين أن بني آدم يفسدون في الارض ويسفكون الدماء وأن الملائكة قالت اذ قال لها ربها ذلك تبريا من علم الغيب سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم وهذا اذا تدبره ذو الفهم علم أن أوله يفسد آخره وأن آخره يبطل معنى أوله وذلك أن الله جل ثناؤه ان كان أخبر الملائكة أن ذرية الخليفة الذي يجعله في الارض تفسد فيها وتسفك الدماء فقالت الملائكة لربها أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فلا وجه لتوبيخها على أن أخبرت عمن أخبرها الله عنه أنه يفسد في الارض ويسفك الدماء بمثل الذي أخبرها عنهم ربها فيجوز أن يقال لها فيما طوى عنها من العلوم ان كنتم صادقين فيما علمتم بخبر الله اياكم أنه كائن من الامور فأخبرتم به فأخبرونا بالذي قد طوى الله عنكم علمه كما قد أخبرتمونا بالذي قد أطلعكم الله عليه بل ذلك خلف من التأويل ودعوى على الله ما لا يجوز أن يكون له صفة وأخشى أن يكون بعض نقلة هذا الخبر هو الذي غلط على من رواه عنه من الصحابة وأن يكون التأويل منهم كان على ذلك أنبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين فيما ظننتم أنكم أدركتموه من العلم بخبري اياكم أن بني آدم يفسدون في الارض ويسفكون الدماء حتى استجزتم أن تقولوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فيكون التوبيخ حينئذ واقعا على ما ظنوا أنهم قد أدركوا بقول الله لهم انه يكون له ذرية يفسدون في الارض ويسفكون الدماء لا على اخبارهم بما أخبرهم الله به أنه كائن وذلك أن الله جل ثناؤه وان كان أخبرهم عما يكون من بعض ذرية خليفته في الارض ما يكون منه فيها من الفساد وسفك الدماء فقد كان طوى عنهم الخبر عما يكون من كثير منهم مما يكون من طاعتهم ربهم واصلاحهم في أرضه وحقن الدماء ورفعه منزلتهم وكرامتهم عليه فلم يخبرهم بذلك فقالت الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء على ظن منها على تأويل هذين الخبرين اللذين ذكرت وظاهرهما أن جميع ذرية الخليفة الذي يجعله في الارض يفسدون فيها ويسفكون

الاول معناه الثبات على الكفر والثاني ردّ للاسلام لان المستهزئ بالشئ منكر له دافع ودفع نقيض الشئ اثبات وتأكيد للشئ أولأن الثاني بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر أولأنه استئناف كأنه قيل ما بالكم ان صح أنكم معنا توافقون أهل الاسلام فقالوا انما نحن مستهزؤن والاستهزاء السخرية والاستخفاف وأصله الخفة من الهزء وهو القتل السريع ثم ان الله تعالى أجابهم بأشياء أحدها قوله الله يستهزئ بهم وهو استئناف في غاية الجزالة والفخامة كأنه سئل ما مصير أمرهم (١٦١) وعقبى حالهم فقيل الله يستهزئ بهم وفي الالتفات من الحكاية الى المظهر أن الله عزوجل هو الذي يستهزئ بهم الاستهزاء الأبلغ الذي استهزاؤهم بالنسبة الى ذلك كالعدم وفي تخصيص الله بالذكر مع قرينة أن المؤمنين هم الذين استهزئ بهم دلالة على أن الله هو الذي يتولى الاستهزاء بهم انتقاما للمؤمنين ولا يحوج المؤمنين أن يعارضوهم باستهزاء مثله فان قيل الاستهزاء جهالة قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين فما معنى استهزاء الله بهم قلنا معناه انزال الهوان والحقارة بهم وهو المقصد الأقصى للمستهزئ أو سمى جزاء الاستهزاء استهزاء مثل فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم أو عاملهم الله معاملة المستهزئ في الدنيا لأنه كان يطلع الرسول على أسرارهم مع كونهم مبالغين في اخفائها وفي الآخرة على ما روي عن ابن عباس اذا دخل المؤمنون الجنة والكافرون النار فتح الله من الجنة بابا على الجحيم في الموضع الذي هو مسكن المنافقين فاذا رأى المنافقون الباب مفتوحا أخذوا يخرجون من الجحيم و يتوجهون الى الجنة وأهل الجنة ينظرون اليهم فاذا وصلوا الى باب الجنة فهنالك يغلق دونهم الباب فذلك قوله تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الأرائك ينظرون فهذا هو الاستهزاء وانما لم يقل الله مستهزئ بهم ليكون طبقا لقوله انما نحن مستهزؤن لأن المراد تجدد الاستهزاء بهم وقتا بعد وقت وهكذا كانت نكايات الله فيهم ونزول الآيات في شأنهم أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزؤا ان الله مخرج ما تحذرون وثانيها قوله ويمدهم في طغيانهم هو من مد الجيش وأمده اذا زاده وألحق به ما يقويه ويكثره وكذلك مد الدواة والسراج زادهما ما يصلحهما وانما قلنا [illegible] المدد لا من المد في العمر والامهال

لقراءة نافع فى موضع آخر واخوانهم يمدونهم فى الغى على أن الذى بمعنى أمهله انما هو مدله مع اللام كأملى له قاله فى الكشاف وهو مخالف لنقل الجوهرى مده فى غيه أى أمهله والطغيان الغلو فى الكفر ومجاوزة الحد فى العتو ومعنى مدد الله تعالى اياهم فى الطغيان يعرف من تفسير ختم الله على قلوبهم وقد يوجه بانه لما منعهم ألطافه التى منحها المؤمنين بقيت قلوبهم يتزايد الرين والظلمة فيها تزايد الانشراح والنور فى صدور المؤمنين فسمى ذلك التزايد مددا أو بانه (١٦٢) لم يقسرهم أو بانه أسند فعل الشيطان الى الله تعالى لانه بتمكينه واقداره ولا يخفى ما فى هذا التوجيه من التكلف لان انتهاء الكل الى مسبب الاسباب ومن هذا القبيل ما قيل ان النكتة فى اضافة الطغيان اليهم هى أن يعلم أن التمادى فى الضلالة مما اقترفته أنفسهم وان الله برىء منه فان الانتهاء الى الله تعالى لما كان ضروريا فكيف يتبرأ من ذلك ويعمهون فى موضع الحال والعمه كالعمى الا أن العمى فى البصر وفى الرأى والعمه فى الرأى خاصة وهو التحير والتردد لا يدرى أين يتوجه وثالثها قوله أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى أى اختاروها عليه واستبدلوها به وهذه استعارة لان الاشتراء فيه اعطاء بدل وأخذ آخر قال أبو النجم

أخذت بالجمة رأسا أزعرا
وبالثنايا الواضحات الدردرا
وبالطويل العمر عمرا جيدرا
كما اشترى المسلم اذ تنصرا

وعن وهب قال الله تعالى فيما يعيب به بنى اسرائيل تفقهون لغير الدين وتعلمون لغير العمل وتبتاعون الدنيا بعمل الآخرة جعلوا لتمكنهم من الهدى بحسب الفطرة الانسانية الشخصية كأنه فى أيديهم فتركوه واستبدلوا به الضلالة وهى الجور عن القصد وفقد الاهتداء وفى المثل ضل دريص نفقه أى جحره والدرص ولد الفأرة ونحوها يضرب لمن يعيا بأمره فاستعيرت الضلالة للذهاب عن الصواب فى الدين والربح الفضل على رأس المال والتجارة مصدر وانما أسند الخسران اليها وهو لاصحابها اسناد مجازا بالملابسة التجارة بالمشترين وقد يقال ربح عبدك وخسرت جاريتك مجازا اذا دلت الحال ولما ذكر الله سبحانه شراء الضلالة بالهدى مجازا أتبعه ما نشأ كله ويواخيه من الربح والتجارة لتكون الاستعارة مرشحة كقوله شعر ولما رأيت النسر عز ابن دأية * وعشش فى وكريه جاش له صدرى

قبله

فيها الدماء فقال الله لهم اذ علم آدم الأسماء كلها أنبئونى بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين أنكم تعلمون أن جميع بنى آدم يفسدون فى الارض ويسفكون الدماء على ما ظننتم فى أنفسكم انكارا منه جل ثناؤه لقيلهم ما قالوا من ذلك على الجميع والعموم وهو من صفة خاص ذرية الخليفة منهم وهذا الذى ذكرناه هو صفة منا التأويل الخبر لا القول الذى نختاره فى تأويل الآية ومما يدل على ما ذكرنا من توجيه خبر الملائكة عن افساد ذرية الخليفة وسفكها الدماء على العموم ما حدثنا به ابن أحمد بن اسحق الأهوازى قال حدثنا أبو أحمد الزبيرى قال حدثنا سفيان عن عطاء بن السائب عن عبد الرحمن بن سابط قوله أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء قال يعنون الناس وقال آخرون فى ذلك بما حدثنا به بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة قوله واذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الارض خليفة فاستشار الملائكة فى خلق آدم فقالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء وقد علمت الملائكة من علم الله أنه لا شئ أكره الى الله من سفك الدماء والفساد فى الارض ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى أعلم ما لا تعلمون فكان فى علم الله جل ثناؤه أنه سيكون من ذلك الخليفة أنبياء ورسل وقوم صالحون وساكنوا الجنة قال وذكر لنا أن ابن عباس كان يقول ان الله لما أخذ فى خلق آدم قالت الملائكة ما الله خالق خلقا أكرم عليه منا ولا أعلم منا فابتلوا بخلق آدم وكل خلق مبتلى كما ابتليت السموات والارض بالطاعة فقال الله ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين وهذا الخبر عن قتادة يدل على أن قتادة كان يرى أن الملائكة قالت ما قالت من قولها أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء على غير يقين علم تقدم منها بأن ذلك كائن ولكن على الرأى منها والظن وأن الله جل ثناؤه أنكر ذلك من قيلها ورد عليها ما رأت بقوله انى أعلم ما لا تعلمون من أنه يكون من ذرية ذلك الخليفة الانبياء والرسل والمجتهد فى طاعة الله وقد روى عن قتادة خلاف هذا التأويل وهو ما حدثنا به الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله أتجعل فيها من يفسد فيها قال كان الله أعلمهم اذا كان فى الارض خلق أفسدوا فيها وسفكوا الدماء فذلك قوله أتجعل فيها من يفسد فيها وبمثل قول قتادة قال جماعة من أهل التأويل منهم الحسن البصرى حدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثنى حجاج عن جرير بن حازم ومبارك عن الحسن وأبى بكر عن الحسن وقتادة قالا قال الله لملائكته انى جاعل فى الارض خليفة قال لهم انى فاعل فعرضوا برأيهم فعلمهم علما وطوى عنهم علما علمه لا يعلمونه فقالوا بالعلم الذى علمهم أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء وقد كانت الملائكة علمت من علم الله أنه لا ذنب أعظم عند الله من سفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى أعلم ما لا تعلمون فلما أخذ فى خلق آدم همست الملائكة فيما بينها فقالوا ليخلق ربنا ما شاء أن يخلق فلن يخلق خلقا الا كنا أعلم منه وأكرم عليه منه فلما خلقه ونفخ فيه من روحه أمرهم أن يسجدوا له لما قالوا ففضله عليهم فعلموا أنهم ليسوا بخير منه فقالوا ان لم نكن خيرا منه فنحن أعلم منه لانا كنا

لماشبه الشيب بالنهر والشعر الفاحم بالغراب اتبعه ذكر التعشيش والوكر وما كانوا مهتدين لطرق التجارة لأن مطلوب التاجر في متصرفاته شيآن سلامة رأس المال والربح وهؤلاء قد أضاعوا الطلبتين معا لأن رأس مالهم كان هو الهدى فلم يبق لهم مع الضلالة والضلالة أمر عدمي فلا عوض ولا معوّض فلا ربح ولا رأس المال وهكذا حال من يدعي الارادة ولا يخرج من العادة ويريد الجمع بين مقاصد الدنيا ومصالح الدين كالمنافق أراد الجمع بين عشرة الكفار وصحبة المسلمين والمكاتب عبد ما بقي عليه درهم واذا أقبل الليل من ههنا أدبر النهار من ههنا نعوذ بالله من الغواية ونسأله أن يعصمنا من الضلالة بعد الهداية

(مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون صم بكم عمي فهم لا يرجعون أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه واذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم ان الله على كل شئ قدير)

(القرا آت) آذانهم وبابه بالامالة نصير وأبو عمر بالكافرين وما أشبهها مما كان في محل الخفض بالامالة أبو عمر وقتيبة ونصير وأبو عمرو ويعقوب غير روح شاء الله حيث كان بالامالة حمزة وعلي وخلف وابن ذكوان (الوقوف) نارا الا لان جواب لما منتظر لما فيها من معنى الشرط مع دخول فاء التعقيب فيها لا يبصرون ٥ لا يرجعون ٥ للعطف بأو وهو للتخيير ومعنى التخيير لا يبقى مع الفصل ومن جعل أو بمعنى الواو جاز وقفه لعطفه الجملتين مع أنها رأس آية وقد اعترضت بينهما آية على تقدير ومثلهم كصيب وبرق ج لان قوله يجعلون يحتمل ان يكون خبرا لمحذوف أي هم يجعلون أو حالا عامله معنى التشبيه في الكاف وذو الحال محذوف أي كأصحاب صيب الموت ط بالكافرين ٥ أبصارهم ط لان كلما استئناف فيه لا لان تمام المقصود بيان الحال المضاد للحال الاول قاموا ط وأبصارهم ط قدير ٥ (التفسير) لما جاء بحقيقة صفة المنافقين عقبها بضرب المثل تتميما للبيان ولضرب الامثال شأن ليس بالخفي في رفع الاستار عن الحقائق حتى يبرز المتخيل في معرض المتيقن والغائب كأنه شاهد وفيه تبكيت للخصم الألد ولامر ما أكثر الله تعالى في كتبه أمثاله وتلك الامثال نضربها للناس وفشت

قبله وخلقت الامم قبله فلما أعجبوا بعلمهم ابتلوا فعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين أني لا أخلق خلقا إلا كنتم أعلم منه فأخبروني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين قال ففزع القوم الى التوبة واليها يفزع كل مؤمن فقالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم اني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون لقولهم ليخلق ربنا ما شاء فلن يخلق خلقا أكرم عليه منا ولا أعلم منا قال علمه اسم كل شئ هذه الجبال وهذه البغال والابل والجن والوحش وجعل يسمي كل شئ باسمه وعرضت عليه كل أمة فقال ألم أقل لكم اني أعلم غيب السموات والارض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون قال أما ما أبدوا فقولهم أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء وأما ما كتموا فقول بعضهم لبعض نحن خير منه وأعلم **وحدثني** المثنى بن ابراهيم قال حدثنا اسحق بن الحجاج قال حدثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس في قوله اني جاعل في الارض خليفة الآية قال ان الله خلق الملائكة يوم الاربعاء وخلق الجن يوم الخميس وخلق آدم يوم الجمعة قال فكفر قوم من الجن فكانت الملائكة تهبط اليهم في الارض فتقاتلهم فكانت الدماء وكان الفساد في الارض فمن ثم قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء الآية **وحدثت** عن عمار بن الحسن قال أخبرنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بمثله ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين الى قوله انك أنت العليم الحكيم قال وذلك حين قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال فلما عرفوا أنه جاعل في الارض خليفة قالوا بينهم لن يخلق الله خلقا الا كنا نحن أعلم منه وأكرم فأراد الله أن يخبرهم أنه قد فضل عليهم آدم وعلم آدم الأسماء كلها فقال للملائكة أنبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين الى قوله وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون وكان الذى أبدوا حين قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء وكان الذى كتموا بينهم قولهم لن يخلق الله خلقا الا كنا نحن أعلم منه وأكرم فعرفوا أن الله فضل عليهم آدم في العلم والكرم وقال ابن زيد بما **حدثني** به يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد لما خلق الله النار ذعرت منها الملائكة ذعرا شديدا وقالوا ربنا (١) لم خلقت هذه النار ولأي شئ خلقتها قال لمن عصاني من خلقي قال ولم يكن لله خلق يومئذ الا الملائكة والارض ليس فيها خلق انما خلق آدم بعد ذلك وقرأ قول الله هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيأ مذكورا قال قال عمر بن الخطاب يا رسول الله ليت ذلك الحين ثم قال قالت الملائكة يا رب أو يأتي علينا دهر نعصيك فيه لا يرون له خلقا غيرهم قال لا اني أريد أن أخلق في الارض خلقا وأجعل فيها خليفة يسفكون الدماء ويفسدون في الارض فقالت الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء وقد اخترتنا فاجعلنا نحن فيها فنحن نسبح بحمدك ونقدس لك ونعمل فيها بطاعتك وأعظمت الملائكة أن يجعل الله في الارض من يعصيه

(١) كذا في النسخ بتكرير الاستفهام والذى في الدر المنثور الاقتصار على الاول وحرر كتبه مصححه

في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الدنيا مثل ظلك ان طلبته تباعد وان تركته تتابع مثل الجليس الصالح كمثل الداري وأمثال
العرب أكثر من أن تحصى حتى صنف فيها كتب مشهورة والمثل في أصل كلامهم بمعنى المثيل وهو النظير ثم قيل للقول السائر الممثل
مضربه بمورده مثل ولا يخلو من غرابة ومن ثم حوفظ عليه من التغيير وأما ههنا فاستعير المثل للحال أو الصفة أو القصة التي فيها غرابة ولها شأن
شبهت حالهم العجيبة الشأن من حيث انهم (١٦٤) أوتوا ضربا من الهدى بحسب الفطرة ولما نطقت به ألسنتهم من كلمة الاسلام فحقنوا
دماءهم وأموالهم عاجلا ثم لم يتوصلوا
بذلك الى نعيم الأبد باستبطانهم
الكفر فيؤل حالهم الى أنواع
الحسرات وأصناف العقوبات
بحال الذي استوقد نارا في توجه
الطمع الى تسني المطلوب بسبب مباشرة
أسبابه القريبة مع تعقب الحرمان
والخيبة لانقلاب الاسباب والمراد
بالذي استوقد اما جمع كقوله
وخضتم كالذي خاضوا وحذف
النون لاستطالته بصلته أو قصد
جنس المستوقدين أو أريد الجمع
أو الفوج الذي استوقد نارا ولولا
عود الضمير الى الذي مجموعا في قوله
بنورهم وتركهم لم يحتج الى
التكلفات المذكورة على أنه يمكن
أن يشبه قصة جماعة بقصة شخص
واحد نحو مثل الذين حملوا التوراة
ثم لم يحملوها كمثل الحمار ووقود
النار سطوعها وارتفاع لهبها
وأوقدتها أنا واستوقدتها أيضا
والنار جوهر لطيف مضيء حار
محرق والنور ضوءها وضوء كل
نير واشتقاقها من نار ينور اذا نفر
لان فيها حركة واضطرابا والاضاءة
فرط الانارة جعل الشمس ضياء
والقمر نورا وهي في الآية
متعدية ويحتمل أن تكون غير
متعدية مسندة الى ما حوله والتأنيث
للحمل على المعنى لأن ما حول
المستوقد أماكن وأشياء أو يستتر
في الفعل اللازم ضمير النار ويجعل
اشراق ضوء النار حوله بمنزلة اشراق النار نفسها على أن ما مزيدة أو موصولة في معنى الأمكنة وحوله نصب على الظرف من
وتأليفه للدوران والاطافة والعام حول لانه يدور وجواب لما ذهب الله بنورهم فالضمير يعود الى الذي استوقد نظرا الى المعنى كما أن
الضمير في حوله راجع اليه من حيث اللفظ وقيل الاولى أن يقال جوابه محذوف مثل فلما ذهبوا به لما فيه من الوجازة مع الاعراب عن الصفة
التي حصل عليها المستوقد بما هو أبلغ من الذكر في أداء المعنى كأنه قيل فلما أضاءت ما حوله كان ما كان من حصولهم خابطين في ظلام

فقال اني أعلم ما لا تعلمون يا آدم أنبئهم بأسمائهم فقال فلان وفلان قال فلما رأوا ما أعطاه الله
من العلم أقروا لآدم بالفضل عليهم وأبى الخبيث ابليس أن يقر له قال أنا خير منه خلقتني من نار
وخلقته من طين قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها وقال ابن اسحق بما حدثنا به
ابن حميد قال حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن اسحق قال لما أراد الله أن يخلق آدم بقدرته
ليبتليه ويبتلي به لعلمه بما في ملائكته وجميع خلقه وكان أول بلاء ابتليت به الملائكة مما لها فيه
ما تحب وما تكره للبلاء والتمحيص لما فيهم مما لم يعلموا وأحاط به علم الله منهم جمع الملائكة من
سكان السموات والارض ثم قال اني جاعل في الارض خليفة يقول عامر أو ساكن يسكنها
ويعمرها خلقا ليس منكم ثم أخبرهم بعلمه فيهم فقال يفسدون في الارض ويسفكون الدماء
ويعملون بالمعاصي فقالوا جميعا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك
ونقدس لك لا نعصي ولا نأتي شيأ كرهته قال اني أعلم ما لا تعلمون قال اني أعلم فيكم ومنكم ولم
يبدها لهم من المعصية والفساد وسفك الدماء واتيان ما أكره منهم مما يكون في الارض مما
ذكرت في بني آدم قال الله لمحمد صلى الله عليه وسلم ما كان لي من علم بالملا الأعلى اذ يختصمون
إن يوحى الي الا أنما أنا نذير مبين الى قوله فقعوا له ساجدين فذكر لنبيه صلى الله عليه وسلم الذي
كان من ذكره آدم حين أراد خلقه ومراجعة الملائكة اياه فيما ذكر لهم منه فلما عزم الله تعالى
ذكره على خلق آدم قال للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حما مسنون بيدي تكرمة له
وتعظيما لأمره وتشريفا له حفظت الملائكة عهده ووعوا قوله وأجمعوا الطاعة الا ما كان
من عدو الله ابليس فانه صمت على ما كان في نفسه من الحسد والبغي والتكبر والمعصية وخلق
الله آدم من أدمة الارض من طين لازب من حما مسنون بيديه تكرمة له وتعظيما لأمره
وتشريفا له على سائر خلقه قال ابن اسحق فيقال والله أعلم خلق الله آدم ثم وضعه ينظر اليه
أربعين عاما قبل أن ينفخ فيه الروح حتى عاد صلصالا كالفخار ولم تمسه نار قال فيقال والله
أعلم انه لما انتهى الروح الى رأسه عطس فقال الحمد لله فقال له ربه يرحمك ربك ووقع الملائكة
حين استوى سجودا له حفظا لعهد الله الذي عهد اليهم وطاعة لأمره الذي أمرهم به وقام عدو الله
ابليس من بينهم فلم يسجد مكابرا متعظما بغيا وحسدا فقال له يا ابليس ما منعك أن تسجد لما
خلقت بيدي الى لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين قال فلما فرغ الله من ابليس
ومعاتبته وأبى الا المعصية أوقع عليه اللعنة وأخرجه من الجنة ثم أقبل على آدم وقد علمه الاسماء
كلها فقال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم اني أعلم غيب السموات
والارض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم
الحكيم أي انما أجبناك فيما علمتنا فأما ما لم تعلمنا فأنت أعلم به فكان ما سمى آدم من شيء كان
اسمه الذي هو عليه الى يوم القيامة وقال ابن جريج بما حدثنا به القاسم قال حدثنا الحسين قال
حدثني حجاج عن ابن جريج قال انما تكلموا بما أعلمهم أنه كائن من خلق آدم فقالوا أتجعل فيها

متحيرين خائبين فيها بعد الكدح في احياء النار ثم ان سائلا كأنه يسأل ما بالهم قد أشبهت حالهم حال هذا المستوقد فقيل له ذهب الله بنورهم أي بنور المنافقين وعلى هذا يحتمل أن يكون الذى مفردا ويمكن أن يكون بدلا من جملة التمثيل على سبيل البيان أي مثلهم كمثل الذى استوقد نارا وكمثل الذى ذهب الله بنورهم ومعنى اسناد الفعل الى الله أنه اذا طفئت النار بسبب سماوى كريح أو مطر فقد أطفأها الله وذهب بنور المستوقد أو يكون المستوقد مستوقد نار لا يرضاها الله ثم اما أن تكون نارا مجازية كنار الفتنة والعداوة للاسلام وتلك النار متقاصرة مدة اشتعالها واضاءتها فنافعها الدنيوية قليلة البقاء والباطل صولة ثم تضمحل ولريح الضلالة عصفة ثم تخفت ونار العرفج مثل لثروة كل طماح كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله واما نارا حقيقية أوقدها الغواة ليتوصلوا بالاستضاءة بها الى بعض المعاصى ويهتدوا بها فى طرق العيث فأطفأها الله وخيب أمانيهم وانما لم يقل ذهب الله بضوئهم على سياق فلما أضاءت لأن ذكر النور أبلغ فى الغرض وهو ازالة النور عنهم رأسا وطمسه أصلا فان الضوء شدة النور وزيادته وذهاب الاصل يوجب زوال الزيادة عليه دون العكس والفرق بين أذهبه وذهب به أن معنى أذهبه أزاله وجعله ذاهبا ويقال ذهب به اذا استصحبه ومضى به معه وذهب السلطان بماله أخذه وأمسكه وما يمسك الله فلا مرسل له فهو أبلغ من الاذهاب وترك بمعنى طرح وخلى اذا علق بواحد واذا علق بشيئين كان مضمنا معنى صير فيجرى مجرى أفعال القلوب كقول عنترة

* فتركته جزر السباع ينشنه *

ومنه قوله تعالى وتركهم فى ظلمات والظلمة عدم النور عما من شأنه أن يستنير وقيل عرض ينافي النور واشتقاقها من قولهم ما ظلمك أن تفعل كذا أي ما منعك وشغلك لانها تسد البصر وتمنع الرؤية وفي جمع الظلمة وتنكيرها وإتباعها ما يدل على أنها ظلمة لا يتراءى فيها شبحان وفي قوله لا يبصرون دلالة على أن الظلمة بلغت مبلغا يبهت معها الواصفون وكذا في اسقاط مفعول لا يبصرون وجعله من قبيل المتروك المطرح الذى لا يلتفت الى إخطاره بالبال لا من قبيل المقدر المنوى كأن الفعل غير متعد أصلا ومحل لا يبصرون اما جر صفة لظلمات أي لا يبصرون فيها شيأ واما نصب مفعولا ثانيا وحالا من هم مثل ويذرهم في

من يفسد فيها ويسفك الدماء وقال بعضهم انما قالت الملائكة ما قالت أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء لأن الله أذن لها في السؤال عن ذلك بعد ما أخبرها أن ذلك كائن من بنى آدم فسألته الملائكة فقالت على التعجب منها وكيف يعصونك يارب وأنت خالقهم فأجابهم ربهم انى أعلم ما لا تعلمون يعنى أن ذلك كائن منهم وان لم تعلموه أنتم (١) ومن بعض من ترونه لى طائعا يعرفهم بذلك قصور علمهم عن علمه * وقال بعض أهل العربية قول الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها على غير وجه الانكار منهم على ربهم وانما سألوه ليعلموا وأخبروا عن أنفسهم أنهم يسبحون وقال قالوا ذلك لأنهم كرهوا أن يعصى الله لأن الجن قد كانت أمرت قبل ذلك فعصت وقال بعضهم ذلك من الملائكة على وجه الاسترشاد عما لم يعلموا من ذلك فكأنهم قالوا يارب خبرنا مسئلة استخبار منهم لله لا على وجه مسئلة التوبيخ * قال أبو جعفر وأولى هذه التأويلات بقول الله جل ثناؤه مخبرا عن ملائكته قيلها له أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك تأويل من قال ان ذلك منها استخبار لربها بمعنى أعلمنا ربنا أجاعل أنت فى الأرض من هذه صفته وتارك أن تجعل خلفاءك منا ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك لا إنكار منها لما أعلمها ربها أنه فاعل وان كانت قد استعظمت لما أخبرت بذلك أن يكون لله خلق يعصيه وأما دعوى من زعم أن الله جل ثناؤه كان أذن لها بالسؤال عن ذلك فسألته على وجه التعجب فدعوى لا دلالة عليها فى ظاهر التنزيل ولا خبر بها من الحجة يقطع العذر وغير جائز أن يقال فى تأويل كتاب الله بما لا دلالة عليه من بعض الوجوه التى تقوم بها الحجة وأما وصف الملائكة من وصفت فى استخبارها ربها عنه بالفساد فى الارض وسفك الدماء فغير مستحيل فيه ما روى عن ابن عباس وابن مسعود من القول الذى رواه السدى ووافقهما عليه قتادة من التأويل وهو أن الله جل ثناؤه أخبرهم أنه جاعل فى الارض خليفة تكون له ذرية يفعلون كذا وكذا فقالوا أتجعل فيها من يفسد فيها على ما وصفت من الاستخبار فان قال لنا قائل وما وجه استخبارها والأمر على ما وصفت من أنها قد أخبرت أن ذلك كائن قيل وجه استخبارها حينئذ يكون عن حالهم عند وقوع ذلك وهل ذلك منهم ومسئلتهم ربهم أن يجعلهم الخلفاء فى الارض حتى لا يعصوه وغير فاسد أيضا ما رواه الضحاك عن ابن عباس وتابعه عليه الربيع بن أنس من أن الملائكة قالت ذلك لما كان عندها من علم سكان الارض قبل آدم من الجن فقالت لربها أجاعل فيها أنت مثلهم من الخلق يفعلون مثل الذى كانوا يفعلون على وجه الاستعلام منهم لربهم لا على وجه الايجاب أن ذلك كائن كذلك فيكون ذلك منها اخبارا عما لم تطلع عليه من علم الغيب وغير خطأ أيضا ما قاله ابن زيد من أن يكون قيل الملائكة ما قالت من ذلك على وجه التعجب منها من أن يكون لله خلق يعصى خالقه وانما تركنا القول بالذى رواه الضحاك عن ابن عباس ووافقه عليه الربيع بن أنس

---

(١) قوله ومن بعض من الخ معطوف على منهم أى كائن منهم ومن بعض الخ وان لم تعلموه أنتم تأمل

طغيانهم يعمهون أي حال كونهم ليسوا من أهل الابصار عن سعيد بن جبير نزلت في اليهود وانتظارهم لخروج النبي صلى الله عليه وسلم واستفتاحهم به على مشركي العرب فلما خرج كفروا به وكان انتظارهم له كايقاد النار وكفرهم به بعد ظهوره كزوال ذلك النور ثم انه كان من المعلوم من حالهم أنهم يسمعون وينطقون ويبصرون لكنهم شبهوا بمن إيفت مشاعرهم فقيل لهم صم بكم عمي حيث سدوا عن الاصاغة الى الحق مسامعهم وأبوا أن تنطق به

ألسنتهم وأن ينظروا ويستبصروا بعيونهم وانما قلنا ان ما في الآية

وبالذي قاله ابن زيد في تأويل ذلك لانه لا خبر عندنا بالذي قالوه من وجه يقطع مجيئه العذر ويلزم سامعه به الحجة والخبر عما مضى وما قد سلف لا يدرك علم صحته الا بمجيئه مجيئا يمتنع منه التشاغب والتواطؤ ويستحيل منه الكذب والخطأ والسهو وليس ذلك بموجود كذلك فيما حكاه الضحاك عن ابن عباس ووافقه عليه الربيع ولا فيما قاله ابن زيد فأولى التأويلات اذ كان الامر كذلك بالآية ما كان عليه من ظاهر التنزيل دلالة مما يصح مخرجه في المفهوم فان قال قائل فان كان أولى التأويلات بالآية هو ما ذكرت من أن الله أخبر الملائكة بأن ذرية خليفته في الارض يفسدون فيها ويسفكون فيها الدماء فمن أجل ذلك قالت الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها فأين ذكر إخبار الله اياهم في كتابه بذلك قيل له اكتفى بدلالة ما قد ظهر من الكلام عليه عنه كما قال الشاعر

فلا تدفنوني ان دفني محرم * عليكم ولكن خامري ام عامر

فحذف قوله دعوني للتي يقال لها عند صيدها خامري أم عامر اذ كان فيما أظهر من كلامه دلالة على معنى مراده فكذلك ذلك في قوله قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها لما كان فيه دلالة على ما ترك ذكره بعد قوله اني جاعل في الارض خليفة من الخبر عما يكون من افساد ذريته في الارض اكتفى بدلالته وحذف فترك ذكره كما ذكرنا من قول الشاعر ونظائر ذلك في القرآن وأشعار العرب وكلامها أكثر من أن يحصى فلما ذكرنا من ذلك اخترنا ما اخترنا من القول في تأويل قوله قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) قال أبو جعفر أما قوله ونحن نسبح بحمدك فانه يعني انا نعظمك بالحمد لك والشكر كما قال جل ثناؤه فسبح بحمد ربك وكما قال والملائكة يسبحون بحمد ربهم وكل ذكر لله عند العرب فتسبيح وصلاة يقول الرجل منهم قضيت سبحتي من الذكر والصلاة وقد قيل ان التسبيح صلاة الملائكة حدثنا ابن حميد قال حدثنا يعقوب القمي عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي فمر رجل من المسلمين على رجل من المنافقين فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يصلي وأنت جالس فقال له امض الى عملك ان كان لك عمل فقال ما أظن الا سيمر عليك من ينكر عليك فمر عليه عمر بن الخطاب فقال له يا فلان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي وأنت جالس فقال له مثلها فقال هذا من عملي فوثب عليه فضربه حتى انتهى ثم دخل المسجد فصلى مع النبي صلى الله عليه وسلم فلما انفتل النبي صلى الله عليه وسلم قام اليه عمر فقال يا نبي الله مررت آنفا على فلان وأنت تصلي فقلت له النبي صلى الله عليه وسلم يصلي وأنت جالس فقال سر الى عملك ان كان لك عمل فقال النبي صلى الله عليه وسلم فهلا ضربت عنقه فقام عمر مسرعا فقال يا عمر ارجع فان غضبك عز ورضاك حكم ان لله في السموات السبع ملائكة يصلون له غني عن صلاة فلان فقال عمر يا نبي الله وما صلاتهم فلم يرد عليه شيأ فأتاه جبريل فقال يا نبي الله سألك عمر عن صلاة أهل السماء قال نعم فقال اقرأ على

تشبيه لا استعارة مع أن المشبه مطوي ذكره كما هو حق الاستعارة لان ذلك في حكم المنطوق به والابقي الخبر بلا مبتدا ومعنى لا يرجعون لا يعودون الى الهدى بعد أن باعوه أو عن الضلالة بعد أن اشتروها تسجيلا عليهم بالطبع أو أراد أنهم بمنزلة المتحيرين الذين لا يدرون أيتقدمون أم يتأخرون والى حيث ابتدؤا منه كيف يرجعون شعر

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي * متأخر عنه ولا متقدم

(١) ومثله حال مريد طريقة الذي له بداية ولازم خلوته وصحبته حتى شرقت له من صفات القلب شوارق الشوق وبرقت له من أنوار الروح بوارق الذوق فطرقته الهواجس وأزعجته الوساوس فيرجع القهقرى الى ما كان من حضيض عالم الطبيعة فغابت شمسه وأظلمت نفسه وفضل عن يومه أمسه ثم ان الله تعالى ضرب للمنافقين مثلا آخر ليكون كشفا لحالهم بعد كشف وايضاحا عقب ايضاح لأن المقام مقام تفصيل واشباع فيكون تقدير الكلام مثل المنافقين كمثل المستوقدين أو كمثل ذوي صيب على معنى أن قصة المنافقين مشبهة بهاتين القصتين فانهما سواء في صحة التشبيه بهما فأنت مخير في التشبيه بأيتهما شئت أو بهما جميعا نحو جالس الحسن أو ابن سيرين والتمثيلان جميعا من جملة التمثيلات المركبة دون المفردة لا يتكلف لواحد واحد شئ يقدر شبهه به بل تراعى الكيفية المنتزعة من مجموع الكلام وهي أنهم في مقام الطمع في حصول المطالب ونجح المآرب لا يحظون الا بضد المطموع فيه من مجرد مقاساة الاهوال وشدائد الاحوال ولا يخفى أن التمثيل الثاني أبلغ لأنه أدل على فرط الحيرة وشدة الامر وفظاعته ولذلك أخر تدرجا من الأهون الى الاغلظ وانما قدرنا المضاف المحذوف حيث قلنا أو كمثل ذوي صيب مع أنه لا يلزم في التشبيه المركب أن يلي حرف

عمر

(١) قوله ومثله حال مريد الخ كذا في الاصل ولعل في العبارة سقطا أو تحريفا وحرر كتبه مصححه

التشبيه مفرد يتأتى التشبيه به ألا ترى الى قوله تعالى انما مثل الحياة الدنيا كماء كيف ولى الماء الكاف اذ التشبيه مركب لأن الضمير فى يجعلون لابد له من راجع هذا هو التحقيق وقد يقال شبه دين الاسلام بالصيب لان القلوب تحيا به حياة الارض بالمطر وما يحوم حوله من شبه الكفار بالظلمات وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق وما يصيب الكفرة من الافزاع والبلايا والفتن من جهة أهل الاسلام بالصواعق وعلى هذا يكون تقدير المضاف ضروريا ليصح تشبيه المنافقين بهم ويكون المعنى مثلهم كمثل قوم أخذتهم السماء على هذه الصفة فلقوا منها مالقوا ويكون ذكر المشبهات مطويا على سنن الاستعارة والصيب المطر الذى يصوب أى ينزل و يقع و يقال للسحاب صيب أيضا وتنكير صيب للدلالة على أنه نوع من المطر شديد هائل كما نكرت النار فى التمثيل الاول والسماء هذه المظلة والفائدة فى ذكره والصيب لايكون الا من السماء أنه جاء بالسماء معرفة فنفى أن يتصوب من سماء أى من أفق واحد من بين سائر الآفاق ولكنه غمام مطبق آخذ بآفاق السماء وكما جاء بصيب وفيه مبالغات من جهة التركيب من ص و ب والبناء على فيعل والتنكير أمد ذلك بأن جعله مطبقا وأعلم أنه اذا وقعت القوى الفلكية على العناصر باذن الله تعالى حركتها وخالطتها حصل من اختلاطها موجودات شتى فاذا هيج الفلك باسخانه الحرارة بخر من الاجسام المائية أو دخن من الاجسام الارضية وأثار شيأ بين البخار والدخان من الاجسام المائية والارضية أما الدخان فانه قد يتعدى صعوده حيز الهواء الى أن يوافى تخوم النار فيشتعل وربما سرى فيه الاشتعال فتراءى كأنه كوكب يقذف به وربما لم يشتعل بل احترق وثبت فيه الاحتراق فرأيت العلامات الهائلة الحمرة والسواد وأما البخار الصاعد فمنه ما يلطف ويرتفع جدا فيتراكم ويتكثر مدته فى أقصى الهواء عند منقطع الشعاع فيبرد فيكثف فيقطر فيكون المتكاثف منه سحابا والقاطر مطرا ومنه ما يقصر لثقله عن الارتفاع بل يبرد سريعا فينزل كما وافيه برد الليل قبل أن يتراكم سحابا وهذا هو الطل وربما جمد البخار المتراكم فى الأعالى أعنى السحاب فنزل وكان ثلجا وربما جمد البخار الغير المتراكم فى الأعالى أعنى مادة الطل فنزل وكان صقيعا وهو ما يسقط بالليل من السماء شبيها بالثلج وربما جمد البخار بعد ما استحال قطرات

عمر السلام وأخبره أن أهل السماء الدنيا سجود الى يوم القيامة يقولون سبحان ذى الملك والملكوت وأهل السماء الثانية ركوع الى يوم القيامة يقولون سبحان ذى العزة والجبروت وأهل السماء الثالثة قيام الى يوم القيامة يقولون سبحان الحى الذى لايموت * قال أبوجعفر وحدثنى يعقوب بن ابراهيم وسهل بن موسى الرازى قالا حدثنا ابن علية قال أخبرنا الجريرى عن أبى عبد الله الجسرى عن عبد الله بن الصامت عن أبى ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاده أو أن أباذر عاد النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله بأبى أنت أى الكلام أحب الى الله فقال ما اصطفى الله لملائكته سبحان ربى وبحمده سبحان ربى وبحمده فى كل اشكال لما ذكرنا من الأخبار كرهنا اطالة الكتاب باستقصائها وأصل التسبيح لله عند العرب التنزيه له من اضافة ماليس من صفاته اليه والتبرئة له من ذلك كما قال أعشى بنى ثعلبة

أقول لما جاءنى فخره * سبحان من علقمة الفاخر

يريد سبحان الله من فخر علقمة أى تنزيها لله مما أتى علقمة من الافتخار على وجه النكير منه لذلك وقد اختلف أهل التأويل فى معنى التسبيح والتقديس فى هذا الموضع فقال بعضهم قولهم نسبح بحمدك نصلى لك ذكر من قال ذلك حدثنى موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدى فى خبر ذكره عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال يقولون نصلى لك وقال آخرون نسبح لك التسبيح المعلوم ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال حدثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله ونحن نسبح بحمدك قال التسبيح التسبيح ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ونقدس لك) قال أبوجعفر والتقديس هو التطهير والتعظيم ومنه قولهم سبوح قدوس يعنى بقولهم سبوح تنزيه لله وبقولهم قدوس طهارة له وتعظيم ولذلك قيل للارض أرض مقدسة يعنى بذلك المطهرة فمعنى قول الملائكة اذا ونحن نسبح بحمدك ننزهك ونبرئك مما يضيفه اليك أهل الشرك بك ونصلى لك ونقدس لك ننسبك الى ما هو من صفاتك من الطهارة من الادناس وما أضاف اليك أهل الكفر بك وقد قيل ان تقديس الملائكة لربها صلاتها له كما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله ونقدس لك قال التقديس الصلاة وقال بعضهم نقدس لك نعظمك ونمجدك ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال حدثنا هاشم بن القاسم قال حدثنا أبوسعيد المؤدب قال حدثنا اسمعيل عن أبى صالح فى قوله ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال نعظمك ونمجدك وحدثنى محمد بن عمرو قال حدثنا أبوعاصم قال حدثنى عيسى وحدثنى المثنى قال حدثنا أبوحذيفة قال حدثنا شبل جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله ونقدس لك قال نعظمك ونكبرك وحدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة بن الفضل عن ابن اسحق ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك لانعصى ولانأتى شيأ تكرهه

و حدثت عن المنجاب قال حدثنا بشر عن أبي روق عن الضحاك في قوله ونقدس لك قال التقديس التطهير * وأما قول من قال ان التقديس الصلاة أو التعظيم فان معنى قوله ذلك راجع الى المعنى الذي ذكرناه من التطهير من أجل أن صلاتها للرب بها تعظيم منها له وتطهير مما ينسبه اليه أهل الكفر به ولو قال مكان ونقدس لك ونقدسك كان فصيحا من الكلام وذلك ان العرب تقول فلان يسبح الله ويقدسه ويسبح لله ويقدس له بمعنى واحد وقد جاء بذلك القرآن قال الله جل ثناؤه كى نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا وقال في موضع آخر يسبح لله ما في السموات وما في الارض ۞ القول في تأويل قوله تعالى (قال انى أعلم مالا تعلمون) قال أبو جعفر اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم يعنى بقوله أعلم مالا تعلمون مما اطلع عليه من ابليس واضماره المعصية لله واخفائه الكبر مما اطلع عليه تبارك وتعالى منه وخفى على ملائكته ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن العلاء قال حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثنا(١) بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس انى أعلم مالا تعلمون يقول انى قد اطلعت من قلب ابليس على مالم تطلعوا عليه من كبره واغتراره و حدثنى موسى قال حدثنا عمرو قال حدثنا أسباط عن السدى في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم انى أعلم مالا تعلمون يعنى من شأن ابليس و حدثنا أحمد بن اسحق الأهوازى قال حدثنا أبو أحمد و حدثنا محمد ابن بشار قال حدثنا مؤمل قالا جميعا حدثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد انى أعلم مالا تعلمون قال علم من ابليس المعصية وخلقه لها وحدثنى موسى بن عبد الرحمن المسروقى قال حدثنا محمد بن بشر قال حدثنا سفيان عن على بن بذيمة عن مجاهد مثله حدثنا أبو كريب قال حدثنا ابن يمان عن سفيان عن على بن بذيمة عن مجاهد مثله وحدثنا ابن حميد قال حدثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبي بزة عن مجاهد في قوله انى أعلم مالا تعلمون قال علم من ابليس المعصية وخلقه لها و حدثنى جعفر بن محمد البزورى قال حدثنا حسن بن بشر عن حمزة الزيات عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله انى أعلم مالا تعلمون قال علم من ابليس كتمانه الكبر أن لا يسجد لآدم و حدثنى محمد بن عمرو قال حدثنا أبو عاصم قال حدثنا عيسى بن ميمون قال و حدثنى المثنى قال حدثنا أبو حذيفة قال حدثنا شبل جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله انى أعلم مالا تعلمون قال علم من ابليس المعصية و حدثنا أبو كريب قال حدثنا وكيع عن سفيان عن رجل عن مجاهد مثله و حدثنى المثنى قال حدثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن سفيان قال قال مجاهد في قوله انى أعلم مالا تعلمون قال علم من ابليس المعصية وخلقه لها وقال مرة آدم وحدثنى المثنى قال حدثنا حجاج بن المنهال قال حدثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت عبد الوهاب بن مجاهد يحدث عن أبيه في قوله انى أعلم مالا تعلمون قال علم من ابليس المعصية وخلقه لها وعلم من آدم الطاعة

(١) قوله بشر بن عمارة كذا في النسخ بالتاء وتكرر بها فيها كلها وهو في الخلاصة بدون تاء وحرر

ماء فكان بردا وانما يكون جوده في الشتاء وقد فارق السحاب وفي الربيع وهو داخل السحاب وذلك اذا سخن خارجه فبطنت البرودة الى داخله فتكاثف داخله واستحال ماء وأجمده شدة البرودة وربما تكاثف الهواء نفسه لشدة البرد فاستحال سحابا فاستحال مطرا وأما الجواهر البخارية والدخانية المركبة من مادتى الرطوبة واليبوسة فمنها ما يتخلص من الارض فتكون منها الرياح واذا تصعدت فتميز البخار من الدخان انعقد البخار سحابا فبرد فتغلغل فيه الدخان طلبا للنفوذ الى العلو فحصل من تغلغله فيه ضرب من الرعد وهو صوت ريح عاصفة في سحاب كثيف وربما امتد ذلك التغلغل لكثرة وصول المواد ويكون أعالى السحاب أكثف لان البرد هنالك أشد أو يكون هنالك ريح مقاومة تعوقها عن النفوذ فيندفع الى أسفل وقد أشعلته المحاكة والحركة نارا تبرق فتشق السحاب شعلة كجمر يطفأ فيسمع من ذلك ضرب من الرعد وان كان قويا شديدا غليظ المادة كان صاعقة وربما وجد مندفعا فيه سهل الانشقاق فخرج بلا رعد واشتعال فهذا القدر من الحقائق في هذا المقام لا ضير في معرفتها بعد أن يعتقد انتهاء أسبابها الى مدبر الكل سبحانه وتعالى ولنرجع الى ما كنا فيه فنقول ارتفع ظلمات بالظرف على الاتفاق من سيبويه والأخفش لاعتماده على موصوف والصيب ان كان سحابا فظلماته سحمته وتطبيقه مضمومة اليهما ظلمة الليل وان كان مطرا فظلماته تكاثفه وانتساجه بتتابع القطر وظلمة اظلال الغمام مع ظلمة الليل ثم ان كان الصيب سحابا فكونه مكانا للرعد والبرق ظاهر وان كان مطرا فكونهما متلبسين به في الجملة سوغ ذلك وانما لم يجمع الرعد والبرق كما قال البحترى

ياعارضا متلفعا ببروده * يختال بين بروقه ورعوده

وكما قيل ظلمات لانهما في الاصل مصدران فروعى حكم الاصل ويمكن أن يراد بهما الحدث كانه قيل وإرعاد وإبراق ونكرت هذه الاشياء لان المراد أنواع منها كأنه قيل في ظلمات داجية ورعد قاصف وبرق خاطف وجاز رجوع الضمير في يجعلون الى أصحاب الصيب لانه في حكم المذكور قال حسان

يسقون من ورد البريص عليهم * بردى يصفق بالرحيق السلسل

ذكر يصفق لان المعنى ماء بردى وهى واد بدمشق والبريص نهر من أنهارها ويصفق أى يمزج والرحيق الخمر ولا محل لقوله يجعلون لكونه

وخلقه لها وحدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه
والثوري عن علي بن بذيمة عن مجاهد في قوله إني أعلم ما لا تعلمون قال علم من إبليس المعصية
وخلقه لها وحدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن إسحق إني أعلم ما لا تعلمون أي فيكم ومنكم
ولم يبدها لهم من المعصية والفساد وسفك الدماء * وقال آخرون معنى ذلك إني أعلم ما لا تعلمون
من أنه يكون من ذلك الخليفة أهل الطاعة والولاية لله ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن
معاذ قال حدثنا يزيد بن زريع قال حدثنا سعيد عن قتادة قال إني أعلم ما لا تعلمون فكان في علم
الله أنه سيكون من ذلك الخليفة أنبياء ورسل وقوم صالحون وساكنو الجنة وهذا الخبر من
الله جل ثناؤه ينبئ عن أن الملائكة التي قالت أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء
استفظعت أن يكون لله خلق يعصيه وعجبت منه إذ أخبرت أن ذلك كائن فلذلك قال لهم ربهم إني
أعلم ما لا تعلمون يعني بذلك والله أعلم إنكم لتعجبون من أمر الله وتستفظعونه وأنا أعلم أنه في بعضكم
وتصفون أنفسكم بصفة أعلم خلافها من بعضكم وتعرضون بأمر قد جعلته لغيركم وذلك أن
الملائكة لما أخبرها ربها بما هو كائن من ذرية خليفته من الفساد وسفك الدماء قالت لربها يا رب
أجاعل أنت في الأرض خليفة من غيرنا يكون من ذريته من يعصيك أم منا فإنا نعظمك ونصلي لك
ونطيعك ولا نعصيك ولم يكن عندها علم بما قد انطوى عليه كشحا إبليس من استكباره على ربه فقال
لهم ربهم إني أعلم غير الذي تقولون من بعضكم وذلك هو ما كان مستورا عنهم من أمر إبليس
وانطوائه على ما قد كان انطوى عليه من الكبر وعلى قيلهم ذلك ووصفهم أنفسهم بالعموم من
الوصف وعوتبوا ❁ القول في تأويل قوله تعالى ذكره (وعلم آدم) قال أبو جعفر حدثنا محمد
ابن حميد قال حدثنا يعقوب القمي عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال
بعث رب العزة ملك الموت فأخذ من أديم الأرض من عذبها ومالحها فخلق منه آدم ومن ثم سمي آدم
لأنه خلق من أديم الأرض وحدثنا أحمد بن إسحق قال حدثنا أبو أحمد الزبيري قال حدثنا عمرو بن
ثابت عن أبيه عن جده عن علي قال إن آدم خلق من أديم الأرض فيه الطيب والصالح والردي فكل
ذلك أنت راء في ولده الصالح والردي وحدثنا أحمد بن إسحق قال حدثنا أبو أحمد قال حدثنا مسعر
عن أبي حصين عن سعيد بن جبير قال خلق آدم من أديم الأرض فسمي آدم وحدثنا ابن المثنى قال
حدثنا أبو داود قال حدثنا شعبة عن أبي حصين عن سعيد بن جبير قال إنما سمي آدم لأنه خلق من
أديم الأرض وحدثني موسى بن هرون قال حدثنا عمرو قال حدثنا أسباط عن السدي في خبر ذكره
عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم أن ملك الموت لما بعث ليأخذ من الأرض تربة آدم أخذ من وجه الأرض وخلط
فلم يأخذ من مكان واحد وأخذ من تربة حمراء وبيضاء وسوداء فلذلك خرج بنو آدم مختلفين ولذلك
سمي آدم لأنه أخذ من أديم الأرض وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر يحقق ما قال
من حكينا قوله في معنى آدم وذلك ما حدثني به يعقوب بن إبراهيم قال حدثنا ابن علية عن عوف

مستأنفا كأنه قيل فكيف حالهم مع مثل ذلك الرعد فقيل يجعلون أصابعهم ثم سئل فكيف حالهم مع مثل ذلك البرق فأجيب يكاد البرق يخطف
أبصارهم وإنما لم يقل أناملهم مع أنها هي التي تجعل في الآذان لأن في ذكر الأصابع من المبالغة ما ليس في ذكر الأنامل ولأن اسم الكل قد
يطلق على البعض نحو فاقطعوا أيديهما والمراد إلى الرسغ وليس بعض الأصابع كالمسبحة مثلا بجعلها في الأذن أولى من بعض حتى يقال لم
ذكر العام والمراد الخاص وقوله من الصواعق أي من أجل الصواعق نحو سقاه من العيمة وقد تحصل مما ذكرنا
أن الصاعقة قصفة رعد تنقض معها شقة من نار تنقدح من السحاب إذا اصطكت أجرامه وهي نار لطيفة حديدة لا تمر بشيء إلا أتت عليه إلا أنها مع حدتها سريعة الخمود يحكى أنها سقطت على نخلة فأحرقت نحو النصف ثم طفئت ويقال صعقته الصاعقة إذا أهلكته فصعق أي مات إما بشدة الصوت أو بالإحراق وبناؤها إما أن يكون صفة لقصفة الرعد أو للرعد والتاء للمبالغة كما في الراوية أو مصدرا كالعافية والكاذبة وحذر الموت مفعول له كقوله

وأغفر عوراء الكريم ادخاره
وأعرض عن شتم اللئيم تكرما

والموت فساد بنية الحيوان وقيل عرض معاقب للحياة لا يصح معه إحساس وإحاطة الله بالكافرين مجاز أي لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط به حقيقة والجملة معترضة لا محل لها يكاد من أفعال المقاربة كاد يفعل كذا يكاد كودا ومكادا ومكادة وضعت لمقاربة الشيء فعل أو لم يفعل فمجرده ينبئ عن نفي الفعل ومقرونه بالجحد ينبئ عن وقوع الفعل وخبر كاد فعل مضارع بغير أن وهو ههنا يخطف والبرق اسمه والخطف الأخذ بسرعة كلما أضاء لهم استئناف ثالث كأنه قيل كيف يصنعون في حالتي خفوق البرق وفتوره وأضاء إما متعد بمعنى كلما نور لهم ممشى ومسلكا أخذوه والمفعول محذوف وإما غير متعد بمعنى كلما لمع لهم مشوا
في مطرح نوره والمشي جنس الحركة المخصوصة وفوقها السعي وفوقه العدو وأظلم إما لازم وهو الظاهر وإما متعد منقول من ظلم الليل أي أظلم
البرق المطر بقي عليهم بأن فتر عن لمعانه ومعنى قاموا وقفوا وثبتوا في مكانهم من قام الماء جمد وإنما قيل مع الإضاءة كلما ومع الإظلام إذا لأنهم
حراص على وجود ما همهم به معقود من إمكان المشي وتأتيه وكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها وخطوا خطوات يسيرة وليس كذلك التوقف

والتحبس ولوشاء الله لزاد فى قصف الرعد فأصمهم وفى ضوء البرق فأعماهم ومفعول شاء محذوف لان الجواب يدل عليه والمعنى ولوشاء الله أن يذهب بسمعهم وأبصارهم لذهب بها وهذا الحذف فى شاء وأراد كثير لا يكادون يبرزون المفعول الا فى الشئ المستغرب كقوله * فلوشئت أن أبكى دما لبكيته * عليه ولكن ساحة الصبر أوسع * وقال عزمن قائل لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه وكلمة لو تفيد انتفاء الثانى لانتفاء الاول وقد تجىء للمبالغة كقوله نعم العبد صهيب

لولم يخف الله لم يعصه والمراد أن عدم العصيان ثابت على كل حال لانه على تقدير عدم الخوف ثابت فعلى تقدير الخوف أولى والشئ أعم العام كما ان الله أخص الخاص يجرى على الجوهر والعرض والقديم والحادث بل على المعدوم والمحال وهذا العام مخصوص بدليل العقل فمن الاشياء ما لا تعلق به للقادر كالمستحيل والواجب وجوده لذاته وأما الممكن فابقاؤه على العدم وكذا ايجاده وابقاؤه على وجوده لان جميع ذلك بقدرة القادر فلا يستغنى آنا من الآنات ولحظة من اللحظات عن تاثير القادر فيه وقدرة كل قادر على مقدار قوته واستطاعته ونقيضها العجز فلا قادر بالحق الا هو سبحانه وتعالى (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذى جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون) القراآت خلقكم مدغما أبو عمرو وكذلك كل ما كان قبلها متحرك وزاد عباس كل ما كان قبلها ساكن مثل ما خلقكم وصدقكم ورزقكم وميثاقكم وأشباه ذلك قال ابن مجاهد يدغمها باظهار صوت القاف وقال غيره وهو ابن مهران لا يظهر ذلك وكل صواب * الوقوف تتقون ٥ لان الذى صفة الرب تعالى بناء ص لعطف الجملتين المتفقتين لكم ج لانقطاع النظم مع فاء التعقيب تعلمون ٥ التفسير لما قدم الله تعالى أحكام فرق المكلفين من المؤمنين والكفار والمنافقين وذكر صفاتهم ومجارى أمورهم عاجلا وآجلا أقبل عليهم بالخطاب وهو من جملة الالتفات الذى يورث الكلام رونقا وبهاء ويزيد السامع هزة ونشاطا ومن لطائف المقام أنه تعالى كأنه يقول جعلت الرسول واسطة بينى وبينك أولا والآن أزيد فى اكرامك وتقريبك فاخاطبك من غير واسطة ليحصل لك مع التنبه على الادلة شرف

وحدثنا محمد بن بشار وعمر بن شبة قالا حدثنا يحيى بن سعيد قال حدثنا عوف وحدثنا ابن بشار قال حدثنا ابن أبى عدى ومحمد بن جعفر وعبد الوهاب الثقفى قالوا حدثنا عوف وحدثنى محمد ابن عمارة الاسدى قال حدثنا اسمعيل بن أبان قال حدثنا عنبسة عن عوف الاعرابى عن قسامة بن زهير عن أبى موسى الاشعرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الارض فجاء بنو آدم على قدر الارض جاء منهم الاحمر والاسود والابيض وبين ذلك والسهل والحزن والخبيث والطيب فعلى التأويل الذى تأول آدم من تأوله بمعنى أنه خلق من أديم الارض يجب أن يكون أصل آدم فعلا سمى به أبو البشر كما سمى أحمد بالفعل من الاحماد وأسعد من الاسعاد فلذلك لم يجر ويكون تأويله حينئذ آدم الملك الارض يعنى به بلغ أدمتها وأدمتها وجهها الظاهر لرأى العين كما أن جلدة كل ذى جلدة له أدمة ومن ذلك سمى الادام اداما لانه صار كالجلدة العليا مما هى منه ثم نقل من الفعل فجعل اسما للشخص بعينه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (الاسماء كلها) قال أبو جعفر اختلف أهل التأويل فى الاسماء التى علمها آدم ثم عرضها على الملائكة فقال ابن عباس ما حدثنا به أبو كريب قال حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثنا بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس قال علم الله آدم الاسماء كلها وهى هذه الاسماء التى يتعارف بها الناس انسان ودابة وأرض وسهل وبحر وجبل وحمار وأشباه ذلك من الامم وغيرها وحدثنا محمد بن عمرو قال حدثنا أبو عاصم قال حدثنى عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وحدثنى المثنى قال حدثنا أبو حذيفة قال حدثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله وعلم آدم الاسماء كلها قال علمه اسم كل شئ وحدثنا ابن وكيع قال حدثنا أبى عن سفيان عن خصيف عن مجاهد وعلم آدم الاسماء كلها قال علمه اسم كل شئ وحدثنا على بن الحسن قال حدثنا مسلم الحرمى عن محمد بن مصعب عن قيس بن الربيع عن خصيف عن مجاهد قال علمه اسم الغراب والحمامة واسم كل شئ وحدثنا ابن وكيع قال حدثنا أبى عن شريك عن سالم الافطس عن سعيد بن جبير قال علمه اسم كل شئ حتى البعير والبقرة والشاة وحدثنا ابن وكيع قال حدثنا أبى عن شريك عن عاصم بن كليب عن سعيد بن معبد عن ابن عباس قال علمه اسم القصعة والفسوة والفسية وحدثنا أحمد بن اسحق قال حدثنا أبو أحمد قال حدثنا شريك عن عاصم بن كليب عن الحسن بن سعد عن ابن عباس وعلم آدم الاسماء كلها قال حتى الفسوة والفسية حدثنا على بن الحسن قال حدثنا مسلم قال حدثنا محمد بن مصعب عن قيس عن عاصم بن كليب عن سعيد بن معبد عن ابن عباس فى قول الله وعلم آدم الاسماء كلها قال علمه اسم كل شئ حتى الهنة والهنية والفسوة والضرطة وحدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثنا على بن مسهر عن عاصم ابن كليب قال قال ابن عباس علمه القصعة من القصيعة والفسوة من الفسية وحدثنا بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة قوله وعلم آدم الاسماء كلها حتى بلغ انك أنت العليم الحكيم قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فانبأ كل صنف من الخلق باسمه وألجأه الى جنسه وحدثنا

الحسن

المخاطبة والمكالمة وفيه اشعار بان العبد مهما استغل بالعبودية ازداد قربا وحضورا وأيضا الآيات المتقدمة حكايات أحوالهم وهذه أمر وتكليف وفيه كلفة ومشقة فلابد من راحة وهي أن يرفع ملك الملوك الواسطة من البين ويخاطبهم بذاته فيستطاب التكليف بالتكليم حينئذ ويستلذ هذا وقد صح الاسناد عن علقمة ان كل شئ نزل فيه يا أيها الناس فهو مكي ويا أيها الذين آمنوا فهو مدني فقوله يا أيها الناس اعبدوا ربكم خطاب لمشركي مكة بحسب هذا النقل وان كان من

الجائز أن يخاطب المؤمنون باسم جنسهم

الحسن بن يحيى قال حدثنا عبد الرزاق قال حدثنا معمر عن قتادة في قوله وعلم آدم الاسماء كلها قال علمه اسم كل شئ هذا جبل وهذا بحر وهذا كذا وهذا كذا لكل شئ ثم عرض تلك الاشياء على الملائكة فقال أنبؤني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين وحدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثني حجاج عن جرير بن حازم ومبارك عن الحسن وأبي بكر عن الحسن وقتادة قالا علمه اسم كل شئ هذه الخيل وهذه البغال والابل والجن والوحش وجعل يسمي كل شئ باسمه وحدثت عن عمار قال حدثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قال اسم كل شئ وقال آخرون علم آدم الاسماء كلها أسماء الملائكة * ذكر من قال ذلك حدثت عن عمار قال حدثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله وعلم آدم الاسماء كلها قال أسماء الملائكة وقال آخرون انما علمه أسماء ذريته كلها * ذكر من قال ذلك حدثني يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وعلم آدم الاسماء كلها قال أسماء ذريته أجمعين وأولى هذه الاقوال بالصواب وأشبهها بما دل على صحته ظاهر التلاوة قول من قال في قوله وعلم آدم الاسماء كلها انها أسماء ذريته وأسماء الملائكة دون أسماء سائر أجناس الخلق وذلك أن الله جل ثناؤه قال ثم عرضهم على الملائكة يعني بذلك أعيان المسمين بالاسماء التي علمها آدم ولا تكاد العرب تكني بالهاء والميم الا عن أسماء بني آدم والملائكة وأما اذا كانت عن أسماء البهائم وسائر الخلق سوى من وصفنا فانها تكني عنها بالهاء والالف أو بالهاء والنون فقالت عرضهن أو عرضها وكذلك تفعل اذا كنت عن أصناف من الخلق كالبهائم والطير وسائر أصناف الامم وفيها أسماء بني آدم والملائكة فانها تكني عنها بما وصفنا من الهاء والنون أو الهاء والالف وربما كنت عنها اذا كان كذلك بالهاء والميم كما قال جل ثناؤه والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع فكنى عنها بالهاء والميم وهي أصناف مختلفة فيها الآدمي وغيره وذلك وان كان جائزا فان الغالب المستفيض في كلام العرب ما وصفنا من اخراجهم كناية أسماء أجناس الامم اذا اختلطت بالهاء والالف أو الهاء والنون فلذلك قلت أولى بتأويل الآية أن تكون الاسماء التي علمها آدم أسماء أعيان بني آدم وأسماء الملائكة وان كان ما قال ابن عباس جائزا على مثال ما جاء في كتاب الله من قوله والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه الآية وقد ذكر أنها في حرف ابن مسعود ثم عرضهن وأنها في حرف أبي ثم عرضها ولعل ابن عباس تأول ما تأول من قوله علمه اسم كل شئ حتى الفسوة والفسية على قراءة أبي فانه فيما بلغنا كان يقرأ قراءة أبي وتأويل ابن عباس على ما حكي عن أبي من قراءته غير مستنكر بل هو صحيح مستفيض في كلام العرب على نحو ما تقدم وصفي ذلك ﴿القول في تأويل قوله تعالى (ثم عرضهم على الملائكة)﴾ قال أبو جعفر قد تقدم ذكرنا التأويل الذي هو أولى بالآية على قراءتنا ورسم مصحفنا وأن قوله ثم عرضهم بالدلالة على بني آدم والملائكة أولى منه بالدلالة على أجناس الخلق كلها وان كان غير فاسد أن يكون دالا على جميع

ويؤمروا بالاستمرار على العبادة والازدياد منها ويا حرف وضع لاجل التخفيف مقام أنادي الانشائية لا الاخبارية وههنا نكتة وهي أن أقوى المراتب الاسم وأضعفها الحرف فظن قوم أنه لا يأتلف الاسم بالحرف فكذا أقوى الموجودات هو الحق سبحانه وأضعفها البشر وخلق الانسان ضعيفا فقالت الملائكة ما للتراب ورب الارباب أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فقيل لهم قد يأتلف الاسم مع الحرف في حال النداء فكذا البشر يصلح لحضرة الرب حال التضرع والدعاء ادعوني أستجب لكم واذا سألك عبادي عني فاني قريب فاذكروني أذكركم ويا وضع في أصله لنداء ما ليس بقريب حقيقة أو تقديرا لكونه ساهيا أو غافلا أو نائما أو لتبعيد المنادي نفسه عن ساحة عزة المنادى هضما واستقصارا كقول الداعي في جؤاره يارب يا الله مع أنه أقرب اليه من حبل الوريد ولتحقق الاجابة بمقتضى قوله أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي وقد ينادى القريب (٣) المقاطن في غير هذه الصورة بيا ويكون المراد به أن الخطاب الذي يتلوه معنى به جدا نحو يا أيها الذين آمنوا يا عبادي يا أيها النبي لان ما يعقبها أمور عظام وخطوب جسام من الاوامر والنواهي والعظات عليهم أن يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم اليها وأي وصلة الى نداء ما فيه الالف واللام وهو اسم مبهم يوصف باسم جنس ليصح المقصود بالنداء مع ضرب من التأكيد المستفاد من الابهام ثم التوضيح وفي حرف التنبيه المقحم فائدتان معاضدة حرف النداء بتأكيد معناه ووقوعها عوضا عما يستحقه أي من الاضافة ثم ان قلنا ان الخطاب عام لجميع المكلفين لان الجمع المعرف باللام يفيد العموم بدليل صحة تأكيده بكل وأجمعون في مثل قوله فسجد الملائكة كلهم أجمعون وبدليل صحة الاستثناء

فالاقرب أنه لا يتناول الا الموجودين فى ذلك العصر وانما يتناول الذين سيوجدون بدليل منفصل هو ما عرف بالتواتر من دين محمد صلى الله عليه
وسلم أن حكم الموجودين فى عصره حكم من سيوجد الى قيام الساعة وان قلنا ان الخطاب لمشركى مكة فيدخل سائر الناس بالتبعية على قياس
ماقلنا والمراد من قوله اعبدوا وحدوا نسبة العبادة وذلك بان يعرف نفسه بالامكان ليعرف ربه بالوجوب ويعرف نفسه بالمملوكية ليعرف
ربه بالمالكية و يعرف نفسه بالمقهورية والمقدورية ليعرف ربه بالقاهرية والقادرية و يعرف نفسه بالمأمورية

أصناف الامم للعلل التى وصفنا ويعنى جل ثناؤه بقوله ثم عرضهم ثم عرض أهل الاسماء على
الملائكة وقد اختلف المفسرون فى تأويل قوله ثم عرضهم على الملائكة نحو اختلافهم فى قوله
وعلم آدم الاسماء كلها وسأذكر قول من انتهى الينا عنه فيه قول حدثنا محمد بن العلاء
قال حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثنا بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس ثم
عرضهم على الملائكة ثم عرض هذه الاسماء يعنى أسماء جميع الاشياء التى علمها آدم من أصناف
جميع الخلق وحدثنى موسى قال حدثنا عمرو قال حدثنا أسباط عن السدى فى خبر ذكره عن أبى
مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله
عليه وسلم ثم عرضهم ثم عرض الخلق على الملائكة وحدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال
ابن زيد أسماء ذريته كلها أخذهم من ظهره قال ثم عرضهم على الملائكة وحدثنا الحسن بن
يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة ثم عرضهم قال علمه اسم كل شئ ثم عرض تلك
الاسماء على الملائكة وحدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثنى حجاج عن ابن جريج عن
مجاهد ثم عرضهم عرض أصحاب الاسماء على الملائكة وحدثنا على بن الحسن قال حدثنا مسلم
قال حدثنا محمد بن مصعب عن قيس عن خصيف عن مجاهد ثم عرضهم على الملائكة يعنى عرض
الاسماء الحمامة والغراب وحدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثنى حجاج عن جرير بن
حازم ومبارك عن الحسن وأبى بكر عن الحسن وقتادة قالا علمه اسم كل شئ هذه الخيل وهذه البغال
وما أشبه ذلك وجعل يسمى كل شئ باسمه وعرضت عليه أمة أمة ۞ القول فى تأويل قوله (فقال
أنبئونى باسماء هؤلاء) قال أبو جعفر وتأويل قوله أنبئونى أخبرونى كما حدثنا أبو كريب قال
حدثنا عثمان قال حدثنا بشر عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس أنبئونى يقول أخبرونى
باسماء هؤلاء ومنه قول نابغة بنى ذبيان

وأنبأه المنبئ أن حيا * حلول من حرام أو جذام

يعنى بقوله أنبأه أخبره وأعلمه ۞ القول فى تأويل قوله جل ذكره (باسماء هؤلاء) قال أبو
جعفر حدثنى محمد بن عمرو قال حدثنا أبو عاصم قال حدثنا عيسى وحدثنا المثنى قال حدثنا
أبو حذيفة قال حدثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله باسماء هؤلاء قال باسماء
هذه التى حدثت بها آدم حدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثنا حجاج عن ابن جريج
عن مجاهد أنبئونى باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين يقول باسماء هؤلاء التى حدثت بها آدم ۞ القول
فى تأويل قوله تعالى ذكره (ان كنتم صادقين) قال أبو جعفر اختلف أهل التأويل فى ذلك
حدثنا أبو كريب قال حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثنا بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك
عن ابن عباس ان كنتم صادقين ان كنتم تعلمون لم أجعل فى الارض خليفة وحدثنا موسى بن
هرون

والذلة ليعرف ربه بالآمرية
والعزة فلا يتجاوز حده ولا يعكس
هذه القضايا فلا يرى لنفسه
تصرفا بوجه من الوجوه ولا قدرة
بنوع من الانواع وانما يكون عبدا
ذليلا ماثلا بين يدى مولاه طائعا
له بكل ما يأمره و ينهاه لانه اذا
تصور كونه عبدا فلا بد أن يطلب
لنفسه سيدا واذا وجد السيد فلا
محالة يوطن نفسه لطاعته وانقياده
ولا يرى مخالفته فى شئ أصلا اذ قال
له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين
والالم تصح نسبة عبوديته عن
الاصمعى أنه أتى بغلام ليشتريه
فقال له ما اسمك قال ما تسمينى قال
أى شئ تأكل قال ما تطعمنى قال
ما تشرب قال ما تسقينى قال تريد
أن أشتريك قال العبد لا يكون له
ارادة والامر بالعبادة بهذا المعنى
يشمل الكافر والمؤمن وكل من فيه
أهلية الخطاب ويندرج فيه
المبادى والنهايات والاصول والفروع
ثم انه تعالى لما علم القصور البشرى
وضعف قواهم الفطرية والفكرية
أرشدهم اليه ونبههم عليه بقوله
ربكم الذى خلقكم والذين من
قبلكم * واعلم أن الطريق الى معرفة
الواجب سبحانه وتعالى بعد ما قلنا
من الرجوع الى النفس والتنبه لسمة
العبودية اما الامكان أو الحدوث
أو مجموعهما وكل منهما فى الجواهر
أو فى الاعراض أما الاستدلال بامكان
الذوات فاليه الاشارة بقوله تعالى والله الغنى وأنتم الفقراء وان الى ربك المنتهى وأما الاستدلال بامكان الصفات فاليه الاشارة
بقوله خلق الله السموات والارض الذى جعل لكم الارض فراشا وبحدوث الاجسام قول ابراهيم عليه السلام لا أحب الآفلين وبحدوث
الاعراض دلائل الانفس ودلائل الآفاق فان كل أحد يعلم بالضرورة أنه كان معدوما وما قبل ذلك والموجود بعد العدم له موجد وليس هو
بنفسه ولا الابوان ولا سائر الناس لعجز الكل ولا طبائع الفصول والافلاك الآفلات فى أفق الامكان فهو شئ غير متسم بسمة الحدوث والنقصان

وهذا الطريق هو أقرب الطرق الى الافهام فلهذا أورده الله تعالى فى فاتحة كتابه لينتفع به الخاص والعام مع أن فيه تذكيرا لنعمه السابقة وعطيته السابغة عليهم وعلى آبائهم وتذكير النعم مما يوجب المحبة والميل الى الانصاف وترك الجدال * وأما قوله لعلكم تتقون ففيه بحثان الاول كلمة لعل للترجي أو الاشفاق ولا يحصلان الا عند الجهل بالعاقبة وهو على الله محال والجواب أن الترجي راجع الى العباد لا الى الله تعالى كقوله لعله يتذكر أو يخشى أى اذهبا أنتما على رجائكما وطمعكما فى

ايمانه ثم الله عالم بما يؤل اليه أمره وأيضا فمن ديدن الملوك أن يقتصروا فى مواعيدهم التى يوطنون أنفسهم لانجازها على أن يقولوا عسى ولعل وحينئذ لا يبقى لطالب ما عندهم شك فى الفوز والنجاح بالمطلوب أو جاء على طريق الاطماع دون التحقيق لئلا يتكل العباد مثل توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيآتكم أو وقع لعل موقع المجاز لا الحقيقة لان الله عز وجل خلق عباده ليتعبدهم بالتكليف وركب فيهم العقول والشهوات وأزاح العلة فى إقدارهم وتمكينهم وهداهم النجدين وأراد منهم الخير والتقوى فهم فى صورة المرجو منهم أن يتقوا ليترجح أمرهم وهم مختارون بين الطاعة والعصيان كما ترجح حال المترجى بين أن يفعل وبين أن لا يفعل ونظيره ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهذا الجواب مبنى على أن قوله لعلكم متعلق بخلقكم مثل وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون لا باعبدوا وقيل لعل بمعنى كى ووجه بانها للاطماع والكريم الرحيم اذا أطمع فعل فجرى اطماعه مجرى وعده المحتوم فلهذا قيل انها بمعنى كى قال القفال فى لعل معنى التكرير والتأكيد اذ اللام للابتداء نحو لقد ولقولهم علك أن تفعل كذا وعل يفيد التكرير ومنه العلل بعد النهل فقول القائل افعل كذا لعلك تظفر بحاجتك معناه افعله فان فعلك له يؤكد طلبك له ويقويك عليه * (البحث الثانى) اذا كانت العبادة تقوى فقوله لعلكم تتقون جار مجرى قوله اعبدوا ربكم لعلكم تعبدون واتقوا ربكم لعلكم تتقون والجواب المنع من اتحادهما مفهومهما وخصوصا على ما فسرناه اذ المعنى يعود الى قولنا صححوا نسبة العبودية لتتصفوا بصفة التقوى وهى الاجتناب عن المعاصى فقط أو هو مع الاتيان بالاوامر وأما قوله هو الذى جعل لكم الأرض فراشا الآية فنقول فيه لفظ الذى مع صلته اما أن يكون

هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدى فى خبر ذكره عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ان كنتم صادقين أن بنى آدم يفسدون فى الارض ويسفكون الدماء وحدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثنا حجاج عن جرير بن حازم ومبارك عن الحسن وأبى بكر عن الحسن وقتادة قالا أنبؤنى بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين أنى لم أخلق خلقا الا كنتم أعلم منه فاخبرونى باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين * قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال بتأويل الآية تاويل ابن عباس ومن قال بقوله ومعنى ذلك فقال أنبؤنى باسماء من عرضته عليكم أيتها الملائكة القائلون أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء من غيرنا أم منا فنحن نسبح بحمدك ونقدس لك ان كنتم صادقين فى قيلكم انى ان جعلت خليفتى فى الارض من غيركم عصانى ذريته وأفسدوا فيها وسفكوا الدماء وان جعلتكم فيها أطعتمونى واتبعتم أمرى بالتعظيم لى والتقديس فانكم ان كنتم لا تعلمون أسماء هؤلاء الذين عرضتهم عليكم من خلقى وهم مخلوقون موجودون ترونهم وتعاينونهم وعلمه غيركم بتعليمى اياه فانتم بما هو غير موجود من الامور الكائنة التى لم توجد بعد وبما هو مستتر من الامور التى هى موجودة عن أعينكم أحرى أن تكونوا غير عالمين فلا تسألونى ما ليس لكم به علم فانى أعلم بما يصلحكم ويصلح خلقى وهذا الفعل من الله جل ثناؤه بملائكته الذين قالوا له أتجعل فيها من يفسد فيها من جهة عتابه جل ذكره اياهم نظير قوله جل جلاله لنبيه نوح صلوات الله عليه اذ قال رب ان ابنى من أهلى وان وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين فلا تسألن ما ليس لك به علم انى أعظك أن تكون من الجاهلين فكذلك الملائكة سألت ربها أن تكون خلفاء فى الارض يسبحوه ويقدسوه فيها اذ كان ذرية من أخبرهم أنه جاعله فى الارض خليفة يفسدون فيها ويسفكون الدماء فقال لهم جل ذكره انى أعلم ما لا تعلمون يعنى بذلك انى أعلم أن بعضكم فاتح المعاصى وخاتمها وهو ابليس منكرا بذلك تعالى ذكره قولهم ثم عرفهم موضع هفوتهم فى قيلهم ما قالوا من ذلك بتعريفهم قصور علمهم عما هم له شاهدون عيانا فكيف بما لم يروه ولم يخبروا عنه بعرضه ما عرض عليهم من خلقه الموجودين يومئذ وقيله لهم أنبؤنى باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين أنكم ان استخلفتكم فى أرضى سبحتمونى وقدستمونى وان استخلفت فيها غيركم عصانى ذريته وأفسدوا وسفكوا الدماء فلما اتضح لهم موضع خطأ قيلهم وبدت لهم هفوة زلتهم أنابوا الى الله بالتوبة فقالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا فسارعوا الرجعة من الهفوة وبادروا الانابة من الزلة كما قال نوح حين عوتب فى مسئلته فقيل له فلا تسألن ما ليس لك به علم رب انى أعوذ بك أن أسألك ما ليس لى به علم والا تغفر لى وترحمنى أكن من الخاسرين وكذلك فعل كل مسدد للحق موفق له سريعة الى الحق انابته قريبة اليه أوبته وقد زعم بعض نحويى أهل البصرة أن قوله أنبؤنى بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين لم يكن ذلك لان الملائكة ادعوا شيأ انما أخبر الله عن جهلهم بعلم الغيب وعلمه بذلك وفضله فقال أنبؤنى ان كنتم صادقين كما يقول الرجل للرجل أنبئنى بهذا ان كنت تعلم وهو يعلم أنه لا يعلم يريد أنه جاهل وهذا قول اذا تدبره

في محل النصب بدلا من الذي خلقكم أو على المدح والتعظيم واما أن يكون رفعا على المدح أيضا أي هو الذي وكلمة الذي موضوعة للاشارة الى مفرد عند محاولة تعريفه بقضية معلومة فقوله جعل لكم الارض فراشا قضية معلومة فادخل عليها الذي كي يتنبهوا الجاعل و يعترفوا به والحاصل أنه تعالى عدد في هذا المقام عليهم خمسة دلائل اثنين من الانفس وهما خلقهم وخلق أصولهم وثلاثة من الآفاق جعل الارض فراشا والسماء بناء والامور الحاصلة من مجموعهما

وهي انزال الماء من السماء واخراج الثمرات بسببه وسبب هذا الترتيب ظاهر لان أقرب الاشياء الى الانسان نفسه ثم ما منه منشؤه وأصله ثم الارض التي هي مكانه ومستقره يقعدون عليها و ينامون و يتقلبون كما يتقلب أحدهم على فراشه ثم السماء التي هي كالقبة المضروبة والخيمة المبنية على هذا القرار ثم ما يحصل من شبه الازدواج بين المقلة والمظلة من انزال الماء عليها والاخراج به من بطنها أشباه النسل من الحيوان من ألوان الغذاء وأنواع الثمار رزقا لبني آدم وأيضا خلق المكلفين أحياء قادرين أصل لجميع النعم وأما خلق الارض والسماء فذلك انما ينتفع به بشرط حصول الخلق والحياة والقدرة والشهوة وذكر الاصول مقدم على ذكر الفروع وأيضا كل ما في السماء والارض من الدلائل على وجود الصانع فهو حاصل في الانسان بزيادة الحياة والقدرة والشهوة والعقل ولما كانت وجوه الدلالة فيه أتم كان تقديمه في الذكر أهم * (وههنا مسائل) الاولى في منافع الارض الفراش اسم لما يفرش كالمهاد لما يمهد والبساط لما يبسط وليس من ضرورات الافتراش أن يكون سطحها مستويا كالفراش على ما ظن فسواء كانت كذلك أو على شكل الكرة فالافتراش غير مستنكر ولا مدفوع لعظم جرمها وتباعد أطرافها ولكنه لا يتم الافتراش عليها ما لم تكن ساكنة في حيزها الطبيعي وهو وسط الافلاك لان الثقال بالطبع تميل الى تحت كما أن الخفاف بالطبع تميل الى فوق والفوق من جميع الجوانب ما يلي السماء والتحت ما يلي المركز فكما أنه يستبعد صعود الارض فيما يلينا الى جهة السماء فليستبعد هبوطها في مقابلة ذلك لان ذلك الهبوط صعود أيضا الى السماء فاذن لا حاجة في سكون الارض وقرارها في حيزها الى علاقة من فوقها ولا الى دعامة من تحتها بل يكفي في ذلك ما أعطاها خالقها وركز فيها من الميل الطبيعي الى الوسط الحقيقي بقدرته واختياره ان الله يمسك السموات والارض أن

متدبر علم أن بعضه مفسد بعضا وذلك أن قائله زعم أن الله جل ثناؤه قال للملائكة اذ عرض عليهم أهل الاسماء أنبئوني باسماء هؤلاء وهو يعلم أنهم لا يعلمون ولا هم ادعوا علم شئ يوجب أن يوبخوا بهذا القول وزعم أن قوله ان كنتم صادقين نظير قول الرجل للرجل أنبئني بهذا ان كنت تعلم وهو يعلم أنه لا يعلم يريد أنه جاهل ولا شك ان معنى قوله ان كنتم صادقين انما هو ان كنتم صادقين إما في قولكم واما في فعلكم لان الصدق في كلام العرب انما هو صدق في الخبر لا في العلم وذلك أنه غير معقول في لغة من اللغات أن يقال صدق الرجل بمعنى علم فاذا كان ذلك كذلك فقد وجب أن يكون الله جل ثناؤه قال للملائكة على تأويل قول هذا الذي حكينا قوله في هذه الآية أنبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين وهو يعلم أنهم غير صادقين يريد بذلك أنهم كاذبون وذلك هو عين ما أنكره لانه زعم أن الملائكة لم تدع شيأ فكيف جاز أن يقال لهم ان كنتم صادقين فانبئوني باسماء هؤلاء هذا مع خروج هذا القول الذي حكيناه عن صاحبه من أقوال جميع المتقدمين والمتأخرين من أهل التأويل والتفسير وقد حكي عن بعض أهل التفسير أنه كان يتأول قوله ان كنتم صادقين بمعنى اذ كنتم صادقين ولو كانت ان بمعنى اذ في هذا الموضع لوجب أن تكون قراءتها بفتح ألفها لان إذ اذا تقدمها فعل مستقبل صارت علة للفعل وسببا له وذلك كقول القائل أقوم اذ قمت فمعناه أقوم من أجل أنك قمت والامر بمعنى الاستقبال فمعنى الكلام لو كانت ان بمعنى اذ أنبئوني باسماء هؤلاء من أجل أنكم صادقون فاذا وضعت ان مكان ذلك قيل أنبئوني باسماء هؤلاء أن كنتم صادقين مفتوحة الالف وفي اجماع جميع قراء أهل الاسلام على كسر الالف من ان دليل واضح على خطا تأويل من تأول ان بمعنى اذ في هذا الموضع ۞ القول في تأويل قوله تعالى ذكره (قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم) قال أبو جعفر وهذا خبر من الله جل ذكره عن ملائكته بالاوبة اليه وتسليم علم ما لم يعلموه له وتبريهم من أن يعلموا أو يعلم أحد شيأ الا ما علمه تعالى ذكره وفي هذه الآيات الثلاث العبرة لمن اعتبر والذكرى لمن اذكر والبيان لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد عما أودع الله جل ثناؤه آي هذا القرآن من لطائف الحكم التي تعجز عن أوصافها الالسن وذلك أن الله جل ثناؤه احتج فيها لنبيه صلى الله عليه وسلم على من كان بين ظهرانيه من يهود بني اسرائيل باطلاعه اياه من علوم الغيب التي لم يكن جل ثناؤه أطلع عليها من خلقه الا خاصا ولم يكن مدركا علمه الا بالانباء والاخبار لتتقرر عندهم صحة نبوته و يعلموا أن ما أتاهم به فمن عنده ودل فيها على أن كل مخبر خبرا عما قد كان أو عما هو كائن مما لم يكن ولم يأته به خبر ولم يوضع له على صحته برهان فتقول ما يستوجب به من ربه العقوبة ألا ترى أن الله جل ذكره رد على ملائكته قيلهم أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني أعلم ما لا تعلمون وعرفهم أن قيل ذلك لم يكن جائزا لهم بما عرفهم من قصور علمهم عند عرضه ما عرض عليهم من أهل الاسماء فقال أنبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين فلم يكن لهم مفزع الا الاقرار بالعجز والتبري اليه أن يعلموا الا ما علمهم بقولهم سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا فكان في ذلك أوضح الدلالة وأبين الحجة على كذب مقالة كل من ادعى شيأ من علوم الغيب من الحزاة والكهنة

والكهنة والقافة والمنجمة وذكر بها الذين وصفنا أمرهم من أهل الكتاب سوالف نعمه على آبائهم وأياديه عند أسلافهم عند انابتهم اليه واقبالهم الى طاعته مستعطفهم بذلك الى الرشاد ومستعتبهم به الى النجاة وحذرهم بالاصرار والتمادى فى البغى والضلال حلول العقاب بهم نظير ما أحل بعدوه ابليس اذ تمادى فى البغى والخسار (قال) وأما تاويل قوله سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا فهو كما حدثنا به أبو كريب قال حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثنا بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس قالوا سبحانك تنزيها لله من أن يكون أحد يعلم الغيب غيره تبنا اليك لا علم لنا الا ما علمتنا تبرؤا منهم من علم الغيب الا ما علمتنا كما علمت آدم وسبحان مصدر لا تصرف له ومعناه نسبحك كأنهم قالوا نسبحك تسبيحا وننزهك تنزيها ونبرئك من أن نعلم شيأ غير ما علمتنا

﴿القول فى تاويل قوله (انك أنت العليم الحكيم) قال أبو جعفر وتاويل ذلك انك أنت يا ربنا العليم من غير تعليم بجميع ما قد كان وما هو كائن والعالم للغيوب دون جميع خلقك وذلك أنهم نفوا عن أنفسهم بقولهم لا علم لنا الا ما علمتنا أن يكون لهم علم الا ما علمهم ربهم وأثبتوا ما نفوا عن أنفسهم من ذلك لربهم بقولهم انك أنت العليم يعنون بذلك العالم من غير تعليم اذ كان من سواك لا يعلم شيأ الا بتعليم غيره اياه والحكيم هو ذو الحكمة كما حدثنى به المثنى قال حدثنا عبد الله بن صالح قال حدثنى معاوية عن على عن ابن عباس العليم الذى قد كمل فى علمه والحكيم الذى قد كمل فى حكمه وقد قيل ان معنى الحكيم الحاكم كما أن العليم بمعنى العالم والخبير بمعنى الخابر

﴿القول فى تأويل قوله تعالى (قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم انى أعلم غيب السموات والارض) قال أبو جعفر ان الله جل ثناؤه عرف ملائكته الذين سالوه أن يجعلهم الخلفاء فى الارض ووصفوا أنفسهم بطاعته والخضوع لامره دون غيرهم الذين يفسدون فيها ويسفكون الدماء أنهم من الجهل بمواقع تدبيره ومحل قضائه قبل اطلاعه اياهم عليه على نحو جهلهم بأسماء الذين عرضهم عليهم اذ كان ذلك مما لم يعلمهم فيعلموه وأنهم وغيرهم من العباد لا يعلمون من العلم الا ما علمهم اياه ربهم وانه يخص بما شاء من العلم من شاء من الخلق ويمنعه منهم من شاء كما علم آدم أسماء ما عرض على الملائكة ومنعهم علمها الا بعد تعليمه اياهم فأما تاويل قوله قال يا آدم أنبئهم يقول أخبر الملائكة والهاء والميم فى قوله أنبئهم عائدتان على الملائكة وقوله بأسمائهم يعنى بأسماء الذين عرضهم على الملائكة والهاء والميم اللتان فى أسمائهم كناية عن ذكر هؤلاء التى فى قوله أنبئونى بأسماء هؤلاء فلما أنبأهم يقول فلما أخبر آدم الملائكة بأسماء الذين عرضهم عليهم فلم يعرفوا أسماءهم وأيقنوا خطأ قيلهم أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك وأنهم قد هفوا فى ذلك وقالوا ما لا يعلمون كيفية وقوع قضاء ربهم فى ذلك لو وقع على ما نطقوا به قال لهم ربهم ألم أقل لكم انى أعلم غيب السموات والارض والغيب هو ما غاب عن أبصارهم فلم يعاينوه توبيخا من الله جل ثناؤه لهم بذلك على ما سلف من قيلهم وفرط منهم من خطا مسئلتهم كما حدثنا به محمد بن العلاء قال حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثنا بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس قال يا آدم

نزولا ومما من الله تعالى به على عباده فى خلق الارض أنها لم تجعل فى غاية الصلابة كالحجر ولا فى غاية اللين والانغماز كالماء ليسهل النوم والمشى عليها وأمكنت الزراعة واتخاذ الابنية منها ويتأتى حفر الآبار واجراء الانهار ومنها أنها لم تخلق فى نهاية اللطافة والشفيف لتستقر الانوار عليها وتسخن منها فيمكن جوارها ومنها أن جعلت بارزة بعضها من الماء مع ان طبعها الغوص فيه لتصلح لتعيش الحيوانات البرية عليها وسبب انكشاف ما برز منها وهو قريب من ربعها أنها لم تخلق صحيحة الاستدارة بل خلقت هى والماء بحيث اذا انجذب الماء بطبعه الى المواضع الغائرة والمنخفضة منها بقى شئ منها مكشوفا وصار مجموع الارض والماء بمنزلة كرة واحدة يدل على ذلك فيما بين الخافقين تقدم طلوع الكواكب وغروبها للمشرقين على طلوعها وغروبها للمغربين وفيما بين الشمال والجنوب ازدياد ارتفاع القطب الظاهر وانحطاط الخفى للواغلين فى الشمال وبالعكس للواغلين فى الجنوب وتركب الاختلافين لمن يسير على سمت بين السمتين الى غير ذلك من الاعراض الخاصة بالاستدارة يستوى فى ذلك راكب البر وراكب البحر ونتوء الجبال وان شمخت لا يخرجها عن أصل الاستدارة لانها بمنزلة الخشونة القادحة فى ملاسة الكرة لا فى استدارتها ومنها الاشياء المتولدة فيها من المعادن والنبات والحيوان والآثار العلوية والسفلية ولا يعلم تفاصيلها الا موجدها ومنها أن يتخمر الرطب به فيحصل التماسك فى أبدان المركبات ومنها اختلاف بقاعها فى الرخاوة والصلابة والدماثة والوعورة بحسب اختلاف الاعراض والحاجات وفى الارض قطع متجاورات ومنها اختلاف ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ومنها انصداعها بالنبات والارض ذات الصدع ومنها جذبها الماء المنزل من السماء وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه فى الارض ومنها العيون والانهار العظام التى فيها والارض مددناها ومنها أن لها طبع الكرم والسماحة تأخذ واحدة وترد سبعمائة كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة ومنها حياتها وموتها وآية لهم الارض الميتة أحييناها ومنها الدواب المختلفة وبث فيهما من كل دابة ومنها النباتات المتنوعة وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج فاختلاف ألوانها دلالة واختلاف طعومها دلالة واختلاف روائحها دلالة فمنها قوت البشر ومنها قوت البهائم

كلوا وارعوا أنعامكم ومنها الطعام ومنها الادام ومنها الدواء ومنها الفواكه ومنها كسوة البشر نباتية كالقطن والكتان وحيوانية كالشعر والصوف والابريسم والجلود ومنها الاحجار المختلفة بعضها للزينة وبعضها للابنية فانظر الى الحجر الذي يستخرج منه النار مع كثرته وانظر الى الياقوت الاحمر مع عزته وانظر الى كثرة النفع بذلك الحقير وقلة النفع بهذا الخطير ومنها ما أودع الله تعالى فيها من المعادن الشريفة كالذهب والفضة ثم تأمل

أن البشر استنبطوا الحرف الدقيقة والصنائع الجليلة واستخرجوا السمك من قعر البحر واستنزلوا الطير من أوج الهواء لكن عجزوا عن اتخاذ الذهب والفضة والسبب فيه أن معظم فائدتهما ترجع الى الثمنية وهذه الفائدة لا تحصل الا عند العزة والقدرة على اتخاذهما تبطل هذه الحكمة فلذلك ضرب الله دونهما بابا مسدودا ومن ههنا اشتهر في الالسنة من طلب المال بالكيمياء أفلس ومنها ما يوجد على الجبال والاراضي من الاشجار الصالحة للبناء والسقف ثم الحطب وما أشد الحاجة اليه في الخبز والطبخ ولعل ما ترك من المنافع أكثر مما عددنا فاذا تأمل العاقل في هذه الغرائب والعجائب اعترف بمدبر حكيم ومقدر عليم ان كان ممن يسمع ويعي ويبصر ويعتبر (الثانية في منافع السماء) البناء مصدر سمي به المبني بيتا كان أو قبة أو خباء وأبنية العرب أخبيتهم ومنه بنى على امرأته لانهم كانوا اذا تزوجوا ضربوا عليها خباء جديدا ثم ان الله تعالى زين السماء الدنيا بالمصابيح ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وبالقمر وجعل القمر فيهن نورا وبالشمس وجعل الشمس سراجا وبالعرش رب العرش العظيم وبالكرسي وسع كرسيه السموات والارض وباللوح في لوح محفوظ وبالقلم ن والقلم وسماها سقفا محفوظا وسبعا طباقا وسبعا شدادا وذكر أن خلقها مشتمل على حكم بليغة وغايات صحيحة ربنا ما خلقت هذا باطلا وما خلقنا السماء انهم والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا وجعلها مصعد الاعمال ومهبط الانوار وقبلة الدعاء ومحل الضياء والصفاء وجعل لونها أنفع الالوان وهو المستنير وشكلها أفضل الاشكال وهو المستدير ونجومها رجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها في ظلمات البر والبحر وقيض للشمس طلوعا يسهل معه التقلب لقضاء الاوطار في الاطراف وغروبا يصلح معه الهدوء والقرار في الاكنان لتحصل الراحة وانبعاث القوة الهاضمة

أنبئهم بأسمائهم يقول أخبرهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم أيها الملائكة خاصة اني أعلم غيب السموات والارض ولا يعلمه غيري وحدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قصة الملائكة وآدم فقال الله للملائكة كما لم تعلموا هذه الاسماء فليس لكم علم انما أردت أن أجعلهم ليفسدوا فيها هذا عندي قد علمته فكذلك أخفيت عنكم أني أجعل فيها من يعصيني ومن يطيعني قال وسبق من الله لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين قال ولم تعلم الملائكة ذلك ولم يدروه قال فلما رأوا ما أعطى الله آدم من العلم أقروا لآدم بالفضل ﴿ القول في تأويل قوله تعالى (وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) قال أبو جعفر اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فروي عن ابن عباس في ذلك ما حدثنا به أبو كريب قال حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس وأعلم ما تبدون يقول ما تظهرون وما كنتم تكتمون يقول أعلم السر كما أعلم العلانية يعني ما كتم ابليس في نفسه من الكبر والاغترار وحدثني موسى ابن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون قال قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها فهذا الذي أبدوا وما كنتم تكتمون يعني ما أسر ابليس في نفسه من الكبر وحدثنا أحمد بن اسحق الاهوازي قال حدثنا أبو أحمد الزبيري قال حدثنا عمرو بن ثابت عن أبيه عن سعيد بن جبير قوله وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون قال ما أسر ابليس في نفسه وحدثنا أحمد بن اسحق قال حدثنا أبو أحمد قال حدثنا سفيان في قوله وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون قال ما أسر ابليس في نفسه من الكبر أن لا يسجد لآدم وحدثني المثنى بن ابراهيم قال أخبرنا الحجاج الانماطي قال حدثنا مهدي بن ميمون قال سمعت الحسن بن دينار قال للحسن ونحن جلوس عنده في منزله يا أبا سعيد أرأيت قول الله للملائكة وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ما الذي كتمت الملائكة فقال الحسن ان الله لما خلق آدم رأت الملائكة خلقا عجيبا فكأنهم دخلهم من ذلك شيء فأقبل بعضهم الى بعض وأسروا ذلك بينهم فقالوا وما يهمكم من هذا المخلوق ان الله لن يخلق خلقا الا كنا أكرم عليه منه وحدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون قال أسروا بينهم فقالوا يخلق الله ما يشاء أن يخلق فلن يخلق خلقا الا ونحن أكرم عليه منه وحدثني المثنى قال حدثنا اسحق قال حدثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون فكان الذي أبدوا حين قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها وكان الذي كتموا بينهم قولهم لن يخلق ربنا خلقا الا كنا نحن أعلم منه وأكرم فعرفوا أن الله فضل عليهم آدم في العلم والكرم ﴿ قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال بتأويل الآية ما قاله ابن عباس وهو أن معنى قوله وأعلم ما تبدون وأعلم مع علمي غيب السموات والارض ما تظهرون بألسنتكم وما كنتم تكتمون وما كنتم تخفونه في أنفسكم فلا يخفى علي شيء سواء عندي سرائركم وعلانيتكم والذي أظهروه بألسنتهم ما أخبر الله جل ثناؤه عنهم

أنهم قالوه وهو قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك والذي كانوا يكتمونه ما كان منطويا عليه ابليس من الخلاف على الله في أمره والتكبر عن طاعته لانه لا خلاف بين جميع أهل التأويل أن تأويل ذلك غير خارج من أحد الوجهين اللذين وصفت وهو ما قلنا والآخر ما ذكرنا من قول الحسن وقتادة ومن قال ان معنى ذلك كتمان الملائكة بينهم لن يخلق الله خلقا الا كانوا أكرم عليه منه فاذ كان لا قول في تأويل ذلك الا أحد القولين اللذين وصفت ثم كان أحدهما غير موجودة على صحته الدلالة من الوجه الذي يجب التسليم له صح الوجه الآخر فالذي حكي عن الحسن وقتادة ومن قال بقولهما في تأويل ذلك غير موجودة الدلالة على صحته من الكتاب ولا من خبر يجب به حجة والذي قاله ابن عباس يدل على صحته خبر الله جل ثناؤه عن ابليس وعصيانه اياه اذ دعاه الى السجود لآدم فأبى واستكبر واظهاره لسائر الملائكة من معصيته وكبره ما كان له كاتما قبل ذلك فان ظن ظان أن الخبر عن كتمان الملائكة ما كانوا يكتمونه لما كان خارجا مخرج الخبر عن الجميع كان غير جائز أن يكون ما روي في تأويل ذلك عن ابن عباس ومن قال بقوله من أن ذلك خبر عن كتمان ابليس الكبر والمعصية صحيحا فقد ظن غير الصواب وذلك أن من شأن العرب اذا أخبرت خبرا عن بعض جماعة بغير تسمية شخص بعينه أن تخرج الخبر عنه مخرج الخبر عن جميعهم وذلك كقولهم قتل الجيش وهزموا وانما قتل الواحد أو البعض منهم وهزم الواحد أو البعض فتخرج الخبر عن المهزوم منه والمقتول مخرج الخبر عن جميعهم كما قال جل ثناؤه ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ذكر أن الذي نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية فيه كان رجلا من جماعة بني تميم كانوا قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخرج الخبر عنه مخرج الخبر عن الجماعة فكذلك قوله وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون أخرج الخبر مخرج الخبر عن الجميع والمراد به الواحد منهم

﴿القول في تأويل قوله تعالى ذكره (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين) قال أبو جعفر أما قوله واذ قلنا فمعطوف على قوله واذ قال ربك للملائكة كأنه قال جل ذكره لليهود الذين كانوا بين ظهراني مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني اسرائيل معددا عليهم نعمه ومذكرهم آلاءه على نحو الذي وصفنا فيما مضى قبل اذكروا فعلي بكم اذ أنعمت عليكم فخلقت لكم ما في الارض جميعا واذ قلت للملائكة اني جاعل في الارض خليفة فكرمت أباكم آدم بما آتيته من علمي وفضلي وكرامتي واذ أسجدت له ملائكتي فسجدوا له ثم استثنى من جميعهم ابليس فدل باستثنائه اياه منهم على انه منهم وانه ممن قد أمر بالسجود معهم كما قال جل ثناؤه الا ابليس لم يكن من الساجدين قال ما منعك أن لا تسجد اذ أمرتك فأخبر جل ثناؤه أنه قد أمر ابليس فيمن أمره من الملائكة بالسجود لآدم ثم استثناه جل ثناؤه مما أخبر عنهم أنهم فعلوه من السجود لآدم فأخرجه من الصفة التي وصفهم بها من الطاعة لامره ونفى عنه ما أثبته لملائكته من السجود لعبده آدم ثم اختلف أهل التأويل فيه هل هو من الملائكة أم

وتنفيذ الغذاء الى الاعضاء وأيضا لولا الطلوع لانجمدت المياه وغلبت البرودة والكثافة وأفضت الى خمود الحرارة الغريزية وانكسار سورتها ولولا الغروب لحميت الارض حتى يحترق كل من عليها من حيوان ونبات فهي بمنزلة سراج يوضع لاهل بيت بمقدار حاجتهم ثم يرفع عنهم ليستقروا ويستريحوا فصار النور والظلمة على تضادهما متظاهرين على ما فيه صلاح قطان الارض وههنا نكتة كأن الله تعالى يقول لو وقفت الشمس في جانب من السماء فالغني قد يرفع بناءه على كوة الفقير الجار فلا يصل النور الى الفقير لكني أدير الفلك وأسيرها حتى يجد الفقير نصيبه كما وجد الغني نصيبه أما ارتفاع الشمس وانحطاطها فقد جعله الله سببا لاقامة الفصول الاربعة ففي الشتاء تغور الحرارة في الشجر والنبات فيتولد منه مواد الثمار ويلطف الهواء ويكثر السحاب والمطر وتقوى أبدان الحيوانات بسبب احتقان الحرارة الغريزية في البواطن وفي الربيع تتحرك الطباع وتظهر المواد المتولدة في الشتاء وينور الشجر ويهيج الحيوان للسفاد وفي الصيف يحتدم الهواء فتنضج الثمار وتنحل فضول الابدان ويجف وجه الارض ويتهيأ للعمارة والزراعة وفي الخريف يظهر البرد واليبس فتدرك الثمار وتستعد الابدان قليلا قليلا للشتاء وأما القمر فهو تالي الشمس وخليفتها وبه يعلم عدد السنين والحساب ويضبط المواقيت الشرعية ومنه تحصيل النماء والرواء وقد جعل الله تعالى في طلوعه مصلحة وفي غيبته مصلحة يحكى أن أعرابيا نام عن جمله ليلا ففقده فلما طلع القمر وجده فنظر الى القمر فقال ان الله صورك ونورك وعلى البروج دورك فاذا شاء نورك واذا شاء كورك فلا أعلم مزيدا أسأله لك ولئن أهديت الي سرورا لقد أهدى الله اليك نورا ثم أنشأ يقول

ماذا أقول وقولي فيك ذو قصر ... وقد كفيتني التفصيل والجملا

ان قلت لازلت مرفوعا فأنت كذا * أو قلت زانك ربي فهو قد فعلا

وقد كان في العرب من يذم القمر ويقول القمر يدرك الهارب ويهتك العاشق ويبلي الكتان ويهرم الشاب وينسي ذكر الاحباب ويقرب الدين ويدني الحين وكيفية ارتباط القمر وسائر الكواكب بالشمس وكمية حركتها وبيان اختلافات أوضاعها وعلل كل منها فن برأسه لا يحتمل ايراده ههنا قال الجاحظ اذا تأملت في هذا العالم وجدته

كالبيت المعدّ فيه كل ما يحتاج اليه فالسماء مرفوعة كالسقف والارض ممدودة كالبساط والنجوم منضودة كالمصابيح والانسان
كالمالك البيت المتصرف فيه وضروب النبات مهيأة لمنافعه وصنوف الحيوان متصرفة فى مصالحه فهذه جملة واضحة دالة على أن العالم مخلوق
بتدبير كامل وتقدير شامل وحكمة بالغة وقدرة غير متناهية (الثالثة فى أن السماء أفضل أم الارض) قال بعضهم السماء أفضل لانها متعبد
الملائكة وما فيها بقعة عصى الله فيها ولما أتى آدم صلى الله عليه وسلم بتلك المعصية أهبط من الجنة وقال الله تعالى

لا يسكن فى جوارى من عصانى
وقال تعالى وجعلنا السماء سقفا
محفوظا وقال تبارك الذى جعل
فى السماء بروجا وورد فى الاكثر
ذكر السماء مقدما على ذكر
الارض والسماوات مؤثرة
والارضيات متأثرة والمؤثر أشرف
من المتأثر وقال آخرون بل الارض
أفضل لانه تعالى وصف بقاعا من
الارض بالبركة ان أول بيت وضع
للناس للذى ببكة مباركا فى البقعة
المباركة الى المسجد الاقصى الذى
باركنا حوله مشارق الارض
ومغاربها التى باركنا فيها يعنى أرض
الشام ووصف جملة الارض بالبركة
وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى
أربعة أيام فان قيل وأى بركة فى
المفاوز المهلكة قلنا انها مساكن
الوحوش ومرعاها ومساكن
الناس اذا احتاجوا اليها
ومساكن خلق لا يعلمهم الا الله
تعالى فلهذه البركات قال تعالى وفى
الارض آيات للموقنين تشريفا
لهم لانهم هم المنتفعون بها كما قال
هدى للمتقين وخلق الانبياء من
الارض منها خلقناكم وأودعهم فيها
وفيها نعيدكم وأكرم نبيه المصطفى
فجعل الارض كلها له مسجدا
وطهورا ولما خلق الله الارض
وكانت كالصدفة والدرة المودعة
فيها آدم صلى الله عليه وسلم
وأولاده ثم علم الله أصناف حاجاتهم قال يا آدم لا أحوجك الى شئ غير هذه كان
الارض التى هى لك كالام فقال انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم يا عبدى ان أعز
الاشياء عندك الذهب والفضة ولو أنى خلقت الارض منهما هل كان يحصل منهما هذه المنافع ثم انى جعلت هذه الاشياء فى الدنيا مع انها سجن
المؤمن فكيف الحال فى الجنة فالحاصل أن الارض أمك بل أشفق من الام لان الام تسقيك نوعا واحدا من اللبن والارض تطعمك ألوانا من

هو من غيرهم فقال بعضهم بما حدثنا به أبو كريب قال حدثنا عثمان بن سعيد عن بشر بن
عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس قال كان ابليس من حى من أحياء الملائكة يقال
لهم الجن خلقوا من نار السموم من بين الملائكة قال فكان اسمه الحارث قال وكان خازنا من خزان
الجنة قال وخلقت الملائكة من نور غير هذا الحى قال وخلقت الجن الذين ذكروا فى القرآن
من مارج من نار وهو لسان النار الذى يكون فى طرفها اذا التهبت وحدثنا ابن حميد قال حدثنا
سلمة عن ابن اسحق عن خلاد عن عطاء عن طاوس عن ابن عباس قال كان ابليس قبل أن يركب
المعصية من الملائكة اسمه عزازيل وكان من سكان الارض وكان من أشد الملائكة اجتهادا
وأكثرهم علما فذلك دعاه الى الكبر وكان من حى يسمون جنا وحدثنا به ابن حميد مرة أخرى
قال حدثنا سلمة عن ابن اسحق عن خلاد عن عطاء عن طاوس أو مجاهد أبى الحجاج عن ابن عباس
وغيره بنحوه الا أنه قال كان ملكا من الملائكة اسمه عزازيل وكان من سكان الارض وعمارها
وكان سكان الارض فيهم يسمون الجن من بين الملائكة وحدثنى موسى بن هرون قال حدثنا
عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدى فى خبر ذكره عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن
عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم جعل ابليس على
ملك سماء الدنيا وكان من قبيلة من الملائكة يقال لهم الجن وانما سموا الجن لانهم خزان الجنة وكان
ابليس مع ملكه خازنا وحدثنا القاسم بن الحسن قال حدثنا حسين قال حدثنى حجاج عن ابن
جريج قال قال ابن عباس كان ابليس من أشراف الملائكة وأكرمهم قبيلة وكان خازنا على الجنان
وكان له سلطان سماء الدنيا وكان له سلطان الارض قال قال ابن عباس وقوله كان من الجن انما
يسمى بالجنان أنه كان خازنا عليها كما يقال للرجل مكى ومدنى وكوفى وبصرى قال ابن جريج
وقال آخرون هم سبط من الملائكة قبيلة فكان اسم قبيلته الجن وحدثنا القاسم قال حدثنا
الحسين قال حدثنى حجاج عن ابن جريج عن صالح مولى التوأمة وشريك بن أبى نمر أحدهما أو
كلاهما عن ابن عباس قال ان من الملائكة قبيلة من الجن وكان ابليس منها وكان يسوس ما بين
السماء والارض وحدثت عن الحسن بن الفرج قال سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد قال أخبرنا
عبيد بن سلمان قال سمعت الضحاك بن مزاحم يقول فى قوله فسجدوا الا ابليس كان من الجن
قال كان ابن عباس يقول ان ابليس كان من أشراف الملائكة وأكرمهم قبيلة ثم ذكر مثل
حديث ابن جريج الاول سواء وحدثنا محمد بن المثنى قال حدثنى شيبان قال حدثنا سلام بن
مسكين عن قتادة عن سعيد بن المسيب قال كان ابليس رئيس ملائكة سماء الدنيا وحدثنا بشر
ابن معاذ قال حدثنا يزيد قال حدثنا سعيد عن قتادة قوله واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا
الا ابليس كان من الجن كان من قبيل من الملائكة يقال لهم الجن وكان ابن عباس يقول لو لم يكن
من الملائكة لم يؤمر بالسجود وكان على خزانة سماء الدنيا قال وكان قتادة يقول جن عن طاعة
ربه وحدثنا الحسين بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله الا ابليس

الاطعمة ثم قال منها خلقنا كم وفيها نعيدكم معناه نردكم الى هذه الام وهذا ليس بوعيد لان المرء لا يتوعد بامه وذلك لان مقامك من الام التى ولدتك أضيق من مقامك من الارض ثم انك كنت فى بطن الام الصغرى تسعة اشهر فما مسك جوع ولا عطش فكيف اذا دخلت بطن الام الكبرى ولكن الشرط أن تدخل بطن الام الكبرى كما كنت فى بطن الام الصغرى ما كانت لك زلة فضلا من أن يكون لك كبيرة بل كنت مطيعا لله فحيث دعاك مرة بالخروج الى الدنيا خرجت اليها بالرأس طاعة منذ لم بلك واليوم يدعوك سبعين

كان من الجن قال كان من قبيل من الملائكة يقال لهم الجن وحدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة قال حدثنا محمد بن اسحق قال أما العرب فيقولون ما الجن إلا كل من اجتن فلم يروأ ماقوله الا ابليس كان من الجن أى كان من الملائكة وذلك أن الملائكة اجتنوا فلم يروا وقد قال الله جل ثناؤه وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون وذلك لقول قريش ان الملائكة بنات الله فيقول الله ان تكن الملائكة بناتى فابليس منها وقد جعلوا بينى و بين ابليس وذريته نسبا قال وقد قال الاعشى أعشى بنى قيس بن ثعلبة البكرى وهو يذكر سليمان بن داود وما أعطاه الله

ولو كان شئ خالدا أو معمرا * لكان سليمان البرى من الدهر
براه الهى واصطفاه عباده * وملكه ما بين (١) ثريا الى مصر
وسخر من جن الملائك تسعة * قياما لديه يعملون بلا أجر

قال فأبت العرب فى لغتها الا أن الجن كل ما اجتن يقول ما سمى الله الجن الا أنهم اجتنوا فلم يروا وما سمى بنى آدم الانس الا أنهم ظهروا فلم يجتنوا فما ظهر فهو انس وما اجتن فلم ير فهو جن وقال آخرون بما حدثنا به محمد بن بشار قال حدثنا ابن أبى عدى عن عوف عن الحسن قال ما كان ابليس من الملائكة طرفة عين قط وانه لأصل الجن كما أن آدم أصل الانس وحدثنا بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد بن زريع قال حدثنا سعيد عن قتادة قال كان الحسن يقول فى قوله الا ابليس كان من الجن الجاء الى نسبه فقال الله أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى الآية وهم يتوالدون كما يتوالد بنو آدم وحدثنا ابن حميد قال حدثنا يحيى بن واضح قال حدثنا أبو سعيد اليحمدى حدثنا اسمعيل بن ابراهيم قال حدثنا سوار بن الجعد اليحمدى عن شهر بن حوشب قوله من الجن قال كان ابليس من الجن الذين طردتهم الملائكة فأسره بعض الملائكة فذهب به الى السماء وحدثنى على بن الحسين قال حدثنى أبو نصر أحمد بن محمد الخلال قال حدثنى سنيد بن داود قال حدثنا هشيم قال أخبرنا عبد الرحمن بن يحيى عن موسى بن نمير وعثمان بن سعيد بن كامل عن سعد بن مسعود قال كانت الملائكة تقاتل الجن فسبى ابليس وكان صغيرا فكان مع الملائكة فتعبد معها فلما أمروا بالسجود لآدم سجدوا فأبى ابليس فلذلك قال الله الا ابليس كان من الجن وحدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة بن الفضل قال حدثنا المبارك بن مجاهد أبو الأزهر عن شريك ابن عبد الله بن أبى نمر عن صالح مولى التوأمة عن ابن عباس قال ان من الملائكة قبيلا يقال لهم الجن فكان ابليس منهم وكان ابليس يسوس ما بين السماء والارض فعصى فمسخه الله شيطانا رجيما قال وحدثنا يونس عن ابن وهب قال قال ابن زيد ابليس أبو الجن كما آدم أبو الانس وعلة من قال هذه المقالة أن الله جل ثناؤه أخبر فى كتابه أنه خلق ابليس من نار السموم ومن مارج من

(١) قوله ثريا كذا فى الاصل ولم نعثر على ضبطه ولا معناه بعد البحث عنه فى كتب اللغة وكتب الجغرافيا فليحرر كتبه مصححه

مرة الى الصلاة فلا تجيبه برجلك * الرابعة معنى اخراج الثمرات بالماء وانما اخرجت بقدرة الله ومشيئته أنه جعل الماء سببا فى خروجها ومادة لها كالنطفة فى خلق الولد وهو قادر على انشاء الاشياء بلا أسباب ومواد كما أنشأ نفوس الاسباب والمواد ولكن له فى هذا التدريج والتسبب حكما يتبصر بها من يستبصر ويتفطن بها من يعتبر ومن فى من الثمرات للتبعيض كأنه قصد بتنكير ماء ورزقا معنى البعضية لانه مفرد فى سياق الاثبات فكأنه قيل وأنزلنا من السماء بعض الماء فاخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهذا معنى صحيح لانه لم ينزل من السماء الماء كله ولا أخرج بالمطر جميع الثمرات ولا جعل الرزق كله فى الثمرات فيكون كل الثمرات بعض الرزق فضلا عن بعضها و يجوز أن تكون للبيان كقولك أنفقت من الدراهم ألفا فان كانت من للتبعيض كان انتصاب رزقا بانه مفعول له وان كانت للبيان كان مفعولا لاخرج ولكم صفة جارية على الرزق ان أريد به العين وان جعل مصدرا فهو مفعول به كأنه قيل رزقا اياكم وانما قيل الثمرات على لفظ القلة وان كان الثمر المخرج بماء السماء جما كثيرا لانه قصد بالثمرات جماعة الثمرة التى فى قولك فلان أدركت ثمرة بستانه تريد ثماره كقولهم للقصيدة كلمة وللقرية مدرة أولان القلة وضعت موضع الكثرة نحو ثلاثة قروء أو تنبيها على قلة ثمار الدنيا فى جنب ثمار الآخرة * الخامسة قوله فلا تجعلوا اما أن يتعلق بالامر أى اعبدوا ربكم فلا تجعلوا له أندادا لان أصل العبادة وأساسها التوحيد وأن لا يجعل لله ند ولا شريك أو بلعل فتنتصب تجعلوا بعده مثل لعلى أبلغ الاسباب أسباب السموات فاطلع فى رواية حفص عن عاصم أو بالذى جعل لكم اذا رفعته على الابتداء أى هو الذى نصب لكم هذه

الادلة القاطعة والآيات الناطقة بالوحدانية فلا تتخذوا له تعالى شركاء والند المثل ولا يقال الا للمثل المخالف المنادّ من نادّت الرجل خالفته ونافرته ونددوا اذا نفر ومعنى قول الموحد ليس لله ند ولا ضد نفي ما يسد مسده ونفي ما ينافيه وقوله وأنتم تعلمون بترك المفعول معناه وأنتم من أهل العلم والمعرفة بدقائق الامور وغوامض الاحوال وهكذا كانت العرب خصوصا قطان الحرم من قريش وكنانة لا يشق غبارهم في الدهاء والفطنة والتوبيخ فيه

آكد أى أنتم العرافون المميزون ثم ما أنتم عليه فى أمر ديانتكم من جعل الاصنام لله أندادا هو غاية الجهل ونهاية سخافة العقل ويجوز أن يقدر وأنتم تعلمون أنه لا مماثل أو وأنتم تعلمون ما بينه وبينها من التفاوت أو وأنتم تعلمون أنها لا تفعل مثل أفعاله كقوله هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ واعلم أنه ليس فى العالم أحد يثبت لله شريكا يساويه فى الوجوب والعلم والقدرة والحكمة ولكن الثنوية يثبتون الهين حكيم يفعل الخير وسفيه يفعل الشر أما اتخاذ معبود سوى الله ففى الذاهبين اليه كثرة الفريق الاول عبدة الكواكب وهم الصابئة فانهم يقولون ان الله تعالى خلق هذه الكواكب وهى المدبرات فى هذا العالم فيجب علينا أن نعبد الكواكب والكواكب تعبد الله تعالى والفريق الثانى عبدة المسيح صلى الله عليه وسلم والفريق الثالث عبدة الاوثان فنقول لا دين أقدم من دين عبدة الاوثان لأن أقدم الانبياء الذين نقل الينا تاريخهم هو نوح عليه السلام وهو انما جاء بالرد عليهم وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا ودينهم باق الى الآن والدين الذى هذا شأنه يستحيل أن يعرف فساده بالضرورة ولكن العلم بأن هذا الحجر المنحوت فى هذه الساعة ليس هو الذى خلقنى وخلق السماء والارض علم ضرورى فيمتنع اطباق الجمع العظيم عليه فوجب أن يكون لهم غرض الذين آخر سوى ذلك والعلماء ذكروا فيه وجوها أحدها ما ذكره أبو معشر جعفر بن محمد المنجم البلخى ان كثيرا من أهل الصين والهند كانوا يقولون بالله وملائكته ويعتقدون أنه جسم ذو صورة كأحسن ما يكون من الصور وكذا الملائكة وانهم كلهم قد احتجبوا عنا بالسماء وان الواجب عليهم أن يصوغوا تماثيل أنيقة المنظر على الهيئة التى كانوا يعتقدونها من صور الاله والملائكة فيعكفون على عبادتها قاصدين به طلب

نار ولم يخبر عن الملائكة أنه خلقها من شئ من ذلك وأن الله جل ثناؤه أخبر أنه من الجن فقالوا فغير جائز أن ينسب الى غير ما نسبه الله اليه قالوا ولابليس نسل وذرية والملائكة لا تتناسل ولا تتوالد حدثنا محمد بن سنان القزاز قال حدثنا أبو عاصم عن شريك عن رجل عن عكرمة عن ابن عباس قال ان الله خلق خلقا فقال اسجدوا لآدم فقالوا لا نفعل فبعث الله عليهم نارا تحرقهم ثم خلق خلقا آخر فقال انى خالق بشرا من طين اسجدوا لآدم فأبوا فبعث الله عليهم نارا فأحرقتهم قال ثم خلق هؤلاء فقال اسجدوا لآدم فقالوا نعم وكان ابليس من أولئك الذين أبوا أن يسجدوا لآدم (قال أبو جعفر) وهذه علل تنبئ عن ضعف معرفة أهلها وذلك أنه غير مستنكر أن يكون الله جل ثناؤه خلق أصناف ملائكته من أصناف من خلقه شتى فخلق بعضا من نور وبعضا من نار وبعضا مما شاء من غير ذلك وليس فيما نزل الله جل ثناؤه الخبر عما خلق منه ملائكته واخباره عما خلق منه ابليس ما يوجب أن يكون ابليس خارجا عن معناهم اذ كان جائزا أن يكون خلق صنفا من ملائكته من نار كان منهم ابليس وان يكون أفرد ابليس بأن خلقه من نار السموم دون سائر ملائكته وكذلك غير مخرجه أن يكون كان من الملائكة بأن كان له نسل وذرية لما ركب فيه من الشهوة واللذة التى نزعت من سائر الملائكة لما أراد الله به من المعصية وأما خبر الله عنه أنه من الجن فغير مدفوع أن يسمى ما اجتن من الاشياء عن الابصار كلها جنا كما قد ذكرنا قبل فى شعر الاعشى فيكون ابليس والملائكة منهم لاجتنانهم عن أبصار بنى آدم القول فى معنى ابليس

قال أبو جعفر وابليس افعيل من الابلاس وهو الاياس من الخير والندم والحزن كما حدثنا به أبو كريب قال حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثنا بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس قال ابليس أبلسه الله من الخير كله وجعله شيطانا رجيما عقوبة لمعصيته وحدثنا موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدى قال كان اسم ابليس الحارث وانما سمى ابليس حين أبلس فغير كما قال الله جل ثناؤه فاذا هم مبلسون يعنى به أنهم آيسون من الخير نادمون حزنا كما قال العجاج

يا صاح هل تعرف رسما مكرسا * قال نعم أعرفه وأبلسا

وقال رؤبة

وحضرت يوم الخميس الأخماس * وفى الوجوه صفرة وابلاس

يعنى به اكتئابا وكسوفا فان قال قائل فان كان ابليس كما قلت إفعيل من الابلاس فهلا صرف وأجرى قيل ترك اجراؤه استثقالا اذ كان اسما لا نظير له من أسماء العرب فشبهته العرب اذ كان كذلك بأسماء العجم التى لا تجرى وقد قالوا مررت باسحق فلم يجروه وهو من أسحقه الله اسحاقا اذ كان وقع مبتدأ اسما لغير العرب ثم تسمت به العرب فجرى مجراه وهو من أسماء العجم فى الاعراب فلم يصرف وكذلك أيوب انما هو فيعول من آب يئوب وتأويل قوله أبى يعنى جل ثناؤه بذلك ابليس أنه امتنع من السجود لآدم فلم يسجد له واستكبر يعنى بذلك أنه تعظم وتكبر عن طاعة الله فى السجود لآدم وهذا وان كان من الله جل ثناؤه خبرا عن ابليس فانه تقريع لضربائه من خلق الله

الزلفى الى الله تعالى وملائكته فعلى هذا السبب فى عبادة الاوثان هو اعتقاد الشبه وثانيها ماذكره أكثر العلماء وهو أن الناس لما رأوا تغيرات أحوال هذا العالم مربوطة بتغيرات أحوال الكواكب واعتقدوا ارتباط السعادة والنحوسة فى الدنيا بكيفية وقوعها فى طوالع الناس بالغوا فى تعظيمها فمنهم من اعتقد أنها واجبة الوجود لذواتها وهى التى خلقت هذه العوالم ومنهم من اعتقد أنها مخلوقة لله الاكبر لكنها خالقة لهذا العالم وانها الوسائط بين الله والبشر فلاجرم اشتغلوا بعبادتها والخضوع

لها ثم لما رأوا الكواكب مستترة فى أكثر الاوقات عن الابصار اتخذوا لها أصناما وأقبلوا على عبادتها قاصدين بتلك العبادة تلك الاجرام العالية ومتقربين الى أشباحها الغائبة ولما طالت المدة تركوا ذكر الكواكب وتجرد والعبادة تلك التماثيل فهؤلاء بالحقيقة عبدة الكواكب وثالثها ان أصحاب الاحكام كانوا يرتقبون أوقاتا فى السنين المتطاولة نحو الالف والالفين ويزعمون أن من اتخذ طلسما فى ذلك الوقت على وجه خاص فانه ينتفع به فى أحوال مخصوصة نحو السعادة والخصب ودفع الآفات وكانوا اذا اتخذوا ذلك الطلسم عظموه لاعتقادهم أنهم ينتفعون به فلما بالغوا فى ذلك التعظيم صار ذلك كالعبادة ثم نسوا مبدأ الامر بتطاول المدة واشتغلوا بعبادتها ورابعها أنه متى مات منهم رجل كبير يعتقدون فيه أنه مستجاب الدعوة ومقبول الشفاعة عند الله تعالى اتخذوا صنما على صورته وعبدوها على اعتقاد أن ذلك الانسان يكون شفيعا لهم يوم القيامة عند الله تعالى ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وخامسها لعلهم اتخذوها قبلة لصلاتهم وطاعاتهم ويسجدون اليها لا لها كما أنا نسجد الى القبلة لا للقبلة ولما استمرت هذه الحالة ظن جهال القوم أنه يجب عبادتها وسادسها لعلهم كانوا من المجسمة فاعتقدوا جواز حلول الرب فيها فعبدوها على هذا التأويل فهذه هى الوجوه التى يمكن حمل مذهبهم عليها حتى لا يصير بحيث يعلم بطلانه بالضرورة فان قيل لما رجع حاصل مذاهب عبدة الاوثان الى الوجوه التى ذكرت فما وجه المنع عنها قلنا لما تقربوا اليها وعظموها وسموها آلهة أشبهت حالهم حال من يعتقد أنها آلهة مثله قادرة على مخالفته ومضادته فقيل لهم ذلك على سبيل التهكم وكأنه تهكم بهم بلفظ الند شنع عليهم واستفظع

الذين يتكبرون عن الخضوع لامر الله والانقياد لطاعته فيما أمرهم به وفيما نهاهم عنه والتسليم له فيما أوجب لبعضهم على بعض من الحق وكان ممن تكبر عن الخضوع لامر الله والتذلل لطاعته والتسليم لقضائه فيما ألزمهم من حقوق غيرهم اليهود الذين كانوا بين ظهرانى مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحبارهم الذين كانوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وصفته عارفين وبانه لله رسول عالمين ثم استكبروا مع علمهم بذلك عن الاقرار بنبوته والاذعان لطاعته بغيا منهم له وحسدا فقرعهم الله بخبره عن ابليس الذى فعل فى استكباره عن السجود لآدم حسدا له وبغيا نظير فعلهم فى التكبر عن الاذعان لمحمد نبى الله صلى الله عليه وسلم ونبوته اذ جاءهم بالحق من عند ربهم حسدا وبغيا ثم وصف ابليس بمثل الذى وصف به الذين ضرب به لهم مثلا فى الاستكبار والحسد والاستنكاف عن الخضوع لمن أمره الله بالخضوع له فقال جل ثناؤه وكان يعنى ابليس من الكافرين من الجاحدين نعم الله عليه وأياديه عنده بخلافه عليه فيما أمره به من السجود لآدم كما كفرت اليهود نعم ربها التى آتاها وآباءها قبل من اطعام الله أسلافهم المن والسلوى واظلال الغمام عليهم ومالا يحصى من نعمه التى كانت لهم خصوصا ما خص الذين أدركوا محمدا صلى الله عليه وسلم بادراكهم اياه ومشاهدتهم حجة الله عليهم فجحدت نبوته بعد علمهم به ومعرفتهم بنبوته حسدا وبغيا فنسبه الله جل ثناؤه الى الكافرين فجعله من عدادهم فى الدين والملة وان خالفهم فى الجنس والنسبة كما جعل أهل النفاق بعضهم من بعض لاجتماعهم على النفاق وان اختلفت أنسابهم وأجناسهم فقال المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يعنى بذلك أن بعضهم من بعض فى النفاق والضلال فكذلك قوله فى ابليس كان من الكافرين كان منهم فى الكفر بالله ومخالفته أمره وان كان مخالفا جنسه أجناسهم ونسبه نسبهم ومعنى قوله وكان من الكافرين أنه كان حين أبى عن السجود من الكافرين حينئذ وقد روى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية أنه كان يقول فى تأويل قوله وكان من الكافرين فى هذا الموضع وكان من العاصين حدثنى المثنى بن ابراهيم قال حدثنا آدم العسقلانى قال حدثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبى العالية فى قوله وكان من الكافرين يعنى العاصين وحدثت عن عمار بن الحسن قال حدثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع بمثله وذلك شبيه بمعنى قولنا فيه وكان سجود الملائكة لآدم تكرمة لآدم وطاعة لله لا عبادة لآدم كما حدثنا به بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد بن زريع قال حدثنا سعيد عن قتادة قوله واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فكانت الطاعة لله والسجدة لآدم أكرم الله آدم أن أسجد له ملائكته ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ذكره (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة) قال أبو جعفر وفى هذه الآية دلالة واضحة على صحة قول من قال ان ابليس أخرج من الجنة بعد الاستكبار عن السجود لآدم وأسكنها آدم قبل أن يهبط ابليس الى الارض ألا تسمعون الله جل ثناؤه يقول وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه فقد

شأنهم بان جعلوا أندادا كثيرة لمن لا يصح أن يكون له ند قط ولا يفيد في طريق عبادته الا الحنيفية والاخلاص ورفع الوسائط من البين واعلم أن اليونانيين كانوا قبل خروج الاسكندر عمدوا الى بناء هياكل لهم معروفة باسماء القوى الروحانية والاجرام النيرة واتخذوها معبودة لهم على حدة وقد كان هيكل العلة الاولى وهي عندهم الامر الالهي وهيكل العقل الصريح وهيكل السياسة المطلقة وهيكل النفس والصور مدورات كلها وكان هيكل زحل مسدسا وهيكل المشترى مثلثا وهيكل المريخ مستطيلا وهيكل الشمس مربعا وهيكل الزهرة

مثلثا في جوفه مربع وهيكل عطارد مثلثا في جوفه مستطيل وهيكل القمر مثمنا و زعم أصحاب التاريخ أن عمرو بن لحي لما ساد قومه وترأس على طبقاتهم و ولي أمر البيت الحرام اتفقت له سفرة الى البلقاء فرأى قوما يعبدون الاصنام فسألهم عنها فقالوا هذه أوثان نستنصر بها فننصر ونستسقي بها فنسقى فالتمس منهم أن يأتوا بواحد منها فاعطوه الصنم المعروف بهبل فصار به الى مكة و وضعه في الكعبة ودعا الناس الى تعظيمه وذلك في أول ملك سابور ذي الاكتاف ومن بيوت الاصنام المشهورة غمدان الذي بناه الضحاك على اسم الزهرة بمدينة صنعاء وخربه عثمان بن عفان ومنها نوبهار الذي بناه منوجهر الملك على اسم القمر ثم كان لقبائل العرب أوثان معروفة مثل ود بدومة الجندل لكلب وسواع لبني هذيل ويغوث لمذحج ويعوق لهمدان ونسر بارض حمير لذي الكلاع واللات بالطائف لثقيف ومنات بيثرب للخزرج والعزى لكنانة بنواحي مكة وإساف ونائلة على الصفا والمروة وكان قصي جد رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهاهم عن عبادتها ويدعوهم الى عبادة الله سبحانه وتعالى وكذلك زيد بن عمرو ابن نفيل حين فارق قومه وهو الذي يقول * أربا واحدا أم ألف رب * أدين اذا تقسمت الامور * تركت اللات والعزى جميعا * كذلك يفعل الرجل البصير (وان كنتم في ريب بينما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين) القراآت ما يتعلق بها من ضم ميم الجمع ومن امالة الناس يعرف مما مر * الوقوف من مثله ص صادقين ٥ والحجارة ج على تقدير هي أعدت للكافرين والوصل أجود لان قوله أعدت بدل الجملة الأولى في كونها صلة للتي للكافرين ٥ * التفسير لما نبه

تبين أن ابليس انما أزلهما عن طاعة الله بعد أن لعن وأظهر التكبر لان سجود الملائكة لآدم كان بعد أن نفخ فيه الروح وحينئذ كان امتناع ابليس من السجود له وعند الامتناع من ذلك حلت عليه اللعنة كما حدثني به موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن عدو الله ابليس أقسم بعزة الله ليغوين آدم وذريته وزوجه الا عباده المخلصين منهم بعد أن لعنه الله وبعد أن أخرج من الجنة وقبل أن يهبط الى الارض وعلم الله آدم الاسماء كلها وحدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن اسحق قال لما فرغ الله من ابليس ومعاتبته وأبى الا المعصية وأوقع عليه اللعنة ثم أخرجه من الجنة أقبل على آدم وقد علمه الاسماء كلها فقال يا آدم أنبئهم باسمائهم الى قوله انك أنت العليم الحكيم ثم اختلف أهل التأويل في الحال التي خلقت لآدم زوجته والوقت الذي جعلت له سكنا فقال ابن عباس بما حدثني به موسى ابن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فأخرج ابليس من الجنة حين لعن وأسكن آدم الجنة فكان يمشي فيها وحشا ليس له زوج يسكن اليها فنام نومة فاستيقظ واذا عند رأسه امرأة قاعدة خلقها الله من ضلعه فسألها من أنت فقالت امرأة قال ولم خلقت قالت تسكن الي قالت له الملائكة ينظرون ما بلغ علمه ما اسمها يا آدم قال حواء قالوا ولم سميت حواء قال لانها خلقت من شيء حي فقال الله له يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما فهذا الخبر ينبئ عن ان حواء خلقت بعد أن سكن آدم الجنة فجعلت له سكنا وقال آخرون بل خلقت قبل أن يسكن آدم الجنة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن اسحق قال لما فرغ الله من معاتبة ابليس أقبل على آدم وقد علمه الاسماء كلها فقال يا آدم أنبئهم باسمائهم الى قوله انك أنت العليم الحكيم قال ثم ألقى السنة على آدم فيما بلغنا عن أهل الكتاب من أهل التوراة وغيرهم من أهل العلم عن عبد الله بن عباس وغيره ثم أخذ ضلعا من أضلاعه من شقه الايسر ولأم مكانه لحما وآدم نائم لم يهب من نومته حتى خلق الله من ضلعه تلك زوجته حواء فسواها امرأة ليسكن اليها فلما كشف عنه السنة وهب من نومته رآها الى جنبه فقال فيما يزعمون والله أعلم لحمي ودمي وزوجتي فسكن اليها فلما زوجه الله تبارك وتعالى وجعل له سكنا من نفسه قال له قيلا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين (قال أبو جعفر) ويقال لامرأة الرجل زوجه وزوجته والزوجة بالهاء أكثر في كلام العرب منها بغير الهاء والزوج بغير الهاء يقال انه لغة لازد شنوءة فأما الزوج الذي لا اختلاف فيه بين العرب فهو زوج المرأة ۞ القول في تأويل قوله (وكلا منها رغدا حيث شئتما) قال أبو جعفر أما الرغد فانه الواسع من العيش الهنيء الذي لا يعني صاحبه يقال أرغد فلان اذا أصاب واسعا من العيش الهنيء كما قال امرؤ القيس بن حجر

بالآيتين السابقتين على طريق الاعتراف بوجود الصانع ووحدانيته أعقبهما بما يدل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وحقية ما نزل عليه صلى الله عليه وسلم وقد ذكر فى كون القرآن معجزا طريقان الاول أنه اما ان يكون مساويا بالكلام سائر الفصحاء أو زائدا عليه بما لا ينقض العادة أو بما ينقضها والاولان باطلان لانهم وهم زعماء وملوك الكلام تحدوا بسورة منه مجتمعين أو منفردين ثم لم يأتوا بها مع أنهم كانوا متهالكين فى ابطال أمره حتى بذلوا النفوس والاموال وارتكبوا المخاوف والمحن وكانوا فى الحمية والانفة الى حد لا يقبلون الحق فكيف الباطل فتعين القسم الثالث الطريق الثانى أن يقال ان بلغت السورة المتحدى بها فى الفصاحة الى حد الاعجاز فقد حصل المقصود والا فامتناعهم من المعارضة مع شدة دواعيهم الى توهين أمره معجز فعلى التقديرين يحصل الاعجاز فان قيل وما يدريك أنه لن يعارض فى مستأنف الزمان وان لم يعارض الى الآن قلت لانه لا احتياج الى المعارضة أشد مما فى وقت التحدى والالزم تقرير المبطل المشبه للحق وحيث لم تقع المعارضة وقتئذ علم أن لا معارضة والى هذا أشار سبحانه بقوله ولن تفعلوا كما يجىء * واعلم ان شان الاعجاز عجيب يدرك ولا يمكن وصفه كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصفها وكالملاحة فمدرك الاعجاز هو الذوق ومن فسر الاعجاز بانه صرف الله تعالى البشر عن معارضته أو بانه هو كون أسلوبه مخالفا لاساليب الكلام أو بانه هو كونه مبرأ عن التناقض أو بكونه مشتملا على الاخبار بالغيوب وبما ينخرط فى سلك هذه الآراء فقد كذب ابن أخت خالته فانا نقطع أن الاستغراب من سماع القرآن انما هو من أسلوبه ونظمه المؤثر فى القلوب تأثيرا لا يمكن انكاره لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد لا من صرف الله تعالى البشر عن الاتيان بمثله كما لو قال أحد معجزتى أن أضع الساعة يدى على رأسى و يتعذر ذلك عليكم وكان كما قال جاء الاستغراب من التعذر لا من نفس الفعل وأيضا تسمية كل أسلوب غريب معجزا باطل وكذا تسمية كل كلام مبرإ عن التناقض أو مشتملا على الغيب ككلام الكهان ونحوهم فان قيل كيف نعتقد اعجاز القرآن بحيث يعجز عنه الثقلان فقط والزائد غير معلوم الحال أو بحيث يعجز عنه المخلوقات باسرها قلنا لا ريب أن الحق هو القسم الثانى الا أن التحدى لم يقع الا بالقدر الاول وبه يثبت صحة

بينما المرء تراه ناعما * يأمن الاحداث فى عيش رغد

وكما حدثنى به موسى بن هرون قال حدثنا عمرو قال حدثنا أسباط عن السدى فى خبر ذكره عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وكلا منها رغدا قال الرغد الهنىء وحدثنى محمد بن عمرو قال حدثنا أبو عاصم قال حدثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله رغدا قال لا حساب عليهم وحدثنا المثنى قال حدثنا أبو حذيفة قال حدثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله وحدثنا ابن حميد قال حدثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد وكلا منها رغدا أى لا حساب عليهم وحدثت عن المنجاب بن الحرث قال حدثنا بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس وكلا منها رغدا حيث شئتما قال الرغد سعة المعيشة فمعنى الآية وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا من الجنة رزقا واسعا هنيأ من العيش حيث شئتما كما حدثنا بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد بن زريع قال حدثنا سعيد عن قتادة قوله يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ثم ان البلاء الذى كتب على الخلق كتب على آدم كما ابتلى الخلق قبله ان الله جل ثناؤه أحل له ما فى الجنة أن يأكل منها رغدا حيث شاء غير شجرة واحدة نهى عنها وقدم اليه فيها فما زال به البلاء حتى وقع بالذى نهى عنه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ولا تقربا هذه الشجرة) قال أبو جعفر والشجر فى كلام العرب كل ما قام على ساق ومنه قول الله جل ثناؤه والنجم والشجر يسجدان يعنى بالنجم ما نجم من الارض من نبت وبالشجر ما استقل على ساق ثم اختلف أهل التأويل فى عين الشجرة التى نهى عن أكل ثمرها آدم فقال بعضهم هى السنبلة ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن اسمعيل الاحمسى قال حدثنا عبد الحميد الحمانى عن النضر عن عكرمة عن ابن عباس قال الشجرة التى نهى عن أكل ثمرها آدم هى السنبلة وحدثنى يعقوب بن ابراهيم حدثنا هشيم وحدثنا ابن وكيع قال حدثنا عمران بن عتيبة جميعا عن حصين عن أبى مالك فى قوله ولا تقربا هذه الشجرة قال هى السنبلة وحدثنا محمد بن بشار قال حدثنا ابن مهدى وحدثنا أحمد بن اسحق الاهوازى قال حدثنا أبو أحمد الزبيرى قالا جميعا حدثنا سفيان عن حصين عن أبى مالك مثله وحدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا حدثنا ابن ادريس قال سمعت أبى عن عطية فى قوله ولا تقربا هذه الشجرة قال السنبلة وحدثنا بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد عن سعيد عن قتادة قال الشجرة التى نهى عنها آدم هى السنبلة وحدثنى المثنى بن ابراهيم قال حدثنا مسلم بن ابراهيم قال حدثنا القاسم قال حدثنى رجل من بنى تميم أن ابن عباس كتب الى أبى الجلد يسأله عن الشجرة التى أكل منها آدم والشجرة التى تاب عندها فكتب اليه أبو الجلد سألتنى عن الشجرة التى نهى عنها آدم وهى السنبلة وسألتنى عن الشجرة التى تاب عندها آدم وهى الزيتونة وحدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن

النبوة لكن النبي صادق وقد أخبر بأنه كلام الله تعالى ونحن نعلم أن كلامه صفته وصفته يجب أن تكون في غاية الكمال ونهاية الجلال فالقرآن اذاً في غاية البلاغة ونهاية الفصاحة والبلاغة هي بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حداً له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها وايراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها وهي فينا كأنها هيئة اجتماعية حاصلة من معرفة قوانين علمي المعاني والبيان والفصاحة إما معنوية وهي خلوص الكلام عن التعقيد والتعقيد (١٨٤) أن يعثر صاحبه فكرك في متصرفه ويشيك طريقك الى المعنى ويوعر مذهبك نحوه حتى يقسم فكرك ويشعب ظنك فلا تدري من أين تتوصل وباي طريق معناه يتحصل واما لفظية وهي أن تكون الكلمة عربية أصلية وعلامة ذلك ان تكون على ألسنة الفصحاء من العرب الموثوق بعربيتهم أدرب واستعمالهم لها أكثر وان تكون أجرى على قوانين اللغة العربية وأن تكون سليمة عن التنافر عذبة على العذبات سلسة على الاسلات والحاكم في ذلك هو الذوق السليم والطبع المستقيم فقلما يجمع هنالك الاذلك ثم انه قد اجتمع في القرآن وجوه كثيرة تقتضي نقصان الفصاحة ومع ذلك فانه بلغ في الفصاحة النهاية التي لاغاية وراءها فدل ذلك على كونه معجزاً منها أن فصاحة العرب أكثرها في وصف المشاهدات كبعير أو فرس أو جارية أو ملك أو ضربة أو طعنة أو وصف حرب أو وصف غارة وليس في القرآن من هذه الاشياء مقدار كثير ومنها أنه تعالى راعى طريق الصدق وتبرأ عن الكذب وقد قيل أحسن الشعر أكذبه ولهذا كان لبيد بن ربيعة وحسان بن ثابت لما أسلما وتركا سلوك سبيل الكذب والتخيل ترك شعرهما ومنها أن الكلام الفصيح والشعر الفصيح انما يتفق في بيت أو في بيتين من قصيدة والقرآن كله فصيح كل جزء منه ومنها ان الشاعر الفصيح اذا كرر كلامه لم يكن الثاني في الفصاحة بمنزلة الاول وكل مكرر في القرآن فهو في نهاية الفصاحة وغاية الملاحة

أعد ذكر نعمان لنا ان ذكره * هو المسك ما كررته يتضوع

ومنها انه اقتصر على ايجاب العبادات وتحريم المنكرات والحث على مكارم الاخلاق والزهد في الدنيا والاقبال على الآخرة ولا يخفى ضيق عطن البلاغة في هذه المواد ومنها أنهم قالوا ان شعر امرئ القيس يحسن في النساء وصفة الخيل وشعر النابغة عند الخوف وشعر الاعشى عند الطرب ووصف الخمر وشعر زهير عند الرغبة

ابن اسحق عن رجل من أهل العلم عن مجاهد عن ابن عباس انه كان يقول الشجرة التي نهي عنها آدم البر **وحدثني** المثنى قال حدثنا اسحق قال حدثنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة وابن المبارك عن الحسن بن عمارة عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كانت الشجرة التي نهى الله عنها آدم وزوجته السنبلة **وحدثنا** ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل اليمن عن وهب بن منبه اليماني أنه كان يقول هي البر ولكن الحبة منها في الجنة ككلى البقر ألين من الزبد وأحلى من العسل وأهل التوراة يقولون هي البر **وحدثنا** ابن حميد قال حدثنا سلمة قال حدثني محمد بن اسحق عن يعقوب بن عتبة أنه حدث أنها الشجرة التي تحتك بها الملائكة للخلد **وحدثنا** ابن وكيع قال حدثنا ابن يمان عن جابر بن يزيد بن رفاعة عن محارب بن دثار قال هي السنبلة **وحدثنا** ابن وكيع قال حدثنا أبو أسامة عن يزيد بن ابراهيم عن الحسن قال هي السنبلة التي جعلها الله رزقاً لولده في الدنيا ۞ قال أبو جعفر وقال آخرون هي الكرمة ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال حدثنا عبد الله عن اسرائيل عن السدي عمن حدثه عن ابن عباس قال هي الكرمة **حدثني** موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ولا تقربا هذه الشجرة قال هي الكرمة وتزعم اليهود أنها الحنطة **وحدثنا** ابن وكيع قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدي قال الشجرة هي الكرم **وحدثني** يعقوب بن ابراهيم قال حدثنا هشيم عن مغيرة عن الشعبي عن جعدة بن هبيرة قال هو العنب في قوله ولا تقربا هذه الشجرة **وحدثنا** ابن وكيع قال حدثني أبي عن خلاد الصفار عن بيان عن الشعبي عن جعدة بن هبيرة ولا تقربا هذه الشجرة قال الكرم وحدثنا ابن المثنى قال حدثني الحسين قال حدثنا خالد الواسطي عن بيان عن الشعبي عن جعدة ابن هبيرة ولا تقربا هذه الشجرة قال الكرم **وحدثنا** ابن حميد وابن وكيع قالا حدثنا جرير عن مغيرة عن الشعبي عن جعدة بن هبيرة قال الشجرة التي نهي عنها آدم شجرة الخمر **وحدثنا** أحمد بن اسحق قال حدثنا أبو أحمد الزبيري قال حدثنا عباد بن العوام قال حدثنا سفيان بن حسين عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير قوله ولا تقربا هذه الشجرة قال الكرم **وحدثنا** أحمد ابن اسحق قال حدثنا أبو أحمد قال حدثنا سفيان عن السدي قال العنب **وحدثنا** القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثني حجاج عن أبي معشر عن محمد بن قيس قال عنب ۞ وقال آخرون هي التينة ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج عن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال تينة (قال أبو جعفر) والقول في ذلك عندنا أن الله جل ثناؤه أخبر عباده أن آدم وزوجه أكلا من الشجرة التي نهاهما ربهما عن الاكل منها فأتيا الخطيئة التي نهاهما عن اتيانها بأكلهما ما أكلا منها بعد أن بين الله جل ثناؤه لهما عن

الشجرة

الشجرة التى نهاهما عن الاكل منها وأشار لهما اليها بقوله ولا تقربا هذه الشجرة ولم يضع الله جل ثناؤه لعباده المخاطبين بالقرآن دلالة على أىّ أشجار الجنة كان نهيه آدم أن يقربها بنص عليها باسمها ولا بدلالة عليها ولو كان لله فى العلم بأىّ ذلك من أى رضا لم يخل عباده من نصب دلالة لهم عليها يصلون بها الى معرفة عينها ليطيعوه بعلمهم بها كما فعل ذلك فى كل ما بالعلم به له رضا فالصواب فى ذلك أن يقال ان الله جل ثناؤه نهى آدم وزوجته عن أكل شجرة بعينها من أشجار الجنة دون سائر أشجارها فخالفا الى ما نهاهما الله عنه فأكلا منها كما وصفهما الله جل ثناؤه به ولا علم عندنا بأىّ شجرة كانت على التعيين لان الله لم يضع لعباده دليلا على ذلك فى القرآن ولا فى السنة الصحيحة فأنى يأتى ذلك من أتى وقد قيل كانت شجرة البر وقيل كانت شجرة العنب وقيل كانت شجرة التين وجائز أن تكون واحدة منها وذلك ان علمه عالم لم ينفع العالم به علمه وان جهله جاهل لم يضره جهله به ❁ القول فى تأويل قوله تعالى ذكره (ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) قال أبو جعفر اختلف أهل العربية فى تأويل قوله ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فقال بعض نحويى الكوفيين تأويل ذلك ولا تقربا هذه الشجرة فانكما ان قربتماها كنتما من الظالمين فصار الثانى فى موضع جواب الجزاء وجواب الجزاء يعمل فيه أوله كقولك ان تقم أقم فتجزم الثانى بجزم الاول فكذلك قوله فتكونا لما وقعت الفاء فى موضع شرط الاول نصب بها وصيرت بمنزلة كى فى نصبها الأفعال المستقبلة للزومها الاستقبال اذ كان أصل الجزاء الاستقبال وقال بعض نحويى أهل البصرة تأويل ذلك لا يكن منكما قرب هذه الشجرة فأن تكونا من الظالمين غير أنه زعم أنّ أن غير جائز اظهارها مع لا ولكنها مضمرة لا بد منها ليصح الكلام بعطف اسم وهى أن على الاسم كما غير جائز فى قولهم عسى أن يفعل عسى الفعل ولا فى قولك ما كان ليفعل ما كان لان يفعل وهذا القول الثانى يفسده اجماع جميعهم على تخطئة قول القائل سرنى تقوم يا هذا وهو يريد سرنى قيامك فكذلك الواجب أن يكون خطأ على هذا المذهب قول القائل لا تقم اذا كان المعنى لا يكن منك قيام وفى اجماع جميعهم على صحة قول القائل لا تقم وفساد قول القائل سرنى تقوم بمعنى سرنى قيامك الدليل الواضح على فساد دعوى المدعى أن مع لا التى فى قوله ولا تقربا هذه الشجرة ضميرا أن وصحة القول الآخر وفى قوله فتكونا من الظالمين وجهان من التأويل أحدهما أن يكون فتكونا فى نية العطف على قوله ولا تقربا فيكون تأويله حينئذ ولا تقربا هذه الشجرة ولا تكونا من الظالمين فيكون فتكونا حينئذ فى معنى الجزم مجزوما بما جزم به ولا تقربا كما يقول القائل لا تكلم عمرا ولا تؤذه وكما قال امرؤ القيس

فقلت له صوّب ولا تجهدنه * فيذرك من أخرى القطاة فتزلق

فجزم فيذرك بما جزم به لا تجهدنه كأنه كرر النهى والثانى أن يكون فتكونا من الظالمين بمعنى جواب النهى فيكون تأويله حينئذ لا تقربا هذه الشجرة فانكما ان قربتماها كنتما من الظالمين كما تقول لا تشتم عمرا فيشتمك مجازاة فيكون فتكونا حينئذ فى موضع نصب اذ كان حرفا

والرجاء والقرآن جاء فصيحا فى كل فن من فنون الكلام فانظر فى الترغيب الى قوله فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرّة أعين وفى الترهيب وخاب كل جبار عنيد من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد يتجرّعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت وفى الزجر فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من أغرقنا وفى الوعظ أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون وفى الالهيات الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الارحام وما تزداد وكل شئ عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال ومنها أن القرآن أصل العلوم كلها كعلم الكلام وعلم أصول الفقه وعلم الفقه واللغة والنحو والصرف والنجوم والمعانى والبيان وعلم الاحوال وعلم الاخلاق وما شئت ومن يطيق وصف القرآن وبلاغته فانه كما أن الاتيان باقصر سورة منه فوق حد البشر فوصفه كما هو فوق طاقة البشر

* فدع عنك بحرا ضل فيه السوابح

وانما قيل وان كنتم دون اذ كنتم لما عرفت فى تفسير لا ريب فيه وانما اختير نزلنا على لفظ التنزيل دون الانزال لان المراد النزول على سبيل التدريج والتنجيم وهو من مجازه لمكان التحدى وذلك أنهم كانوا يقولون لو أنزله الله لانزله جملة واحدة وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة أى على خلاف ما نرى عليه أهل الخطابة والشعر من وجود ما يوجد منهم مفرقا شيأ فشيأ وحينا فحينا حسب ما يعنّ لهم من الاحوال المتجددة والحاجات السانحة فقيل لهم ان ارتبتم فى هذا الذى وقع انزاله هكذا على مهل وتدريج فهاتوا أنتم نوبة واحدة من نوبه وهلموا نجما من نجومه أصغر سورة وهى الكوثر ومعنى السورة مذكور فى المقدمة الرابعة وانما قيل على عبدنا دون أن يقال على محمد كقوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد تشريفا له صلى الله عليه وسلم واعلاما بانه صلى الله عليه وسلم ممن صح نسبة العبودية المأمور بها فى قوله تعالى يا أيها الناس اعبدوا واضافة العبد الى الضمير أيضا تؤيد ذلك كقوله تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان وفيه أن السعادة كل السعادة فى نسبة العبدية فهى التى توصل الى العندية فى مقعد صدق عند مليك مقتدر وأنا عند المنكسرة قلوبهم لأجلى وكمال العندية فى كمال الحرية عما سوى الله وأما فائدة تفصيل القرآن وتقطيعه سورا فمن ذلك ان الجنس اذا انطوت تحته أنواع واشتملت الانواع على الاصناف كان افراز

كل من صاحبه أحسن ولهذا وضع المصنفون كتبهم على الابواب والفصول ونحوها ومنها أن القارئ اذا ختم سورة أو بابا من الكتاب ثم أخذ فى آخر كان أنشط له كالمسافر اذا قطع ميلا أو طوى فرسخا ومن ثم جزؤا القرآن أسباعا وأجزاء وعشورا وأخماسا ومنها أن الحافظ اذا حفظ السورة اعتقد أنه أخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها فيجل فى نفسه ومنه حديث أنس كان الرجل اذا قرأ البقرة وآل عمران جدّ فينا ولهذا كانت القراءة فى الصلاة بسورة تامة أفضل ومن مثله متعلق بمحذوف أى بسورة كائنة من مثله والضمير لما نزلنا أو لعبدنا ويجوز أن يتعلق بقوله فأتوا والضمير للعبد معناه فأتوا بسورة مما هو على صفته فى البيان الغريب والنظم الأنيق أو فأتوا ممن هو على حاله من كونه بشرا عربيا أو أميا لم يقرأ الكتب ولم يقصد الى مثل ونظير معين ولكنه كقول من قال للحجاج وقد توعده بقوله لأحملنك على الأدهم مثل الامير يحمل على الأدهم والأشهب أراد من كان على صفة الامير من السلطان والقدرة وبسطة اليد ولم يقصد أحدا يجعله مثل الحجاج ورد الضمير على المنزل أوجه وعليه المحققون ويروى عن عمر وابن مسعود وابن عباس والحسن ولأن ذلك يطابق الآيات الأخر فأتوا بسورة مثله فأتوا بعشر سور مثله ولان البحث انما وقع فى المنزل لا فى المنزل عليه اذ المعنى وان ارتبتم أن القرآن منزل من عند الله فهاتوا أنتم شيأ مما يماثله ولو كان الضمير مردودا الى الرسول اقتضى الترتيب أن يقال وان ارتبتم فى أن محمدا صلى الله عليه وسلم منزل عليه فأتوا بسورة ممن يماثله وأيضا لو كان عائدا الى القرآن اقتضى أن يكونوا عاجزين عن الاتيان بمثله مجتمعين أو متفرقين أميين أو قارئين ولو عاد الى النبى صلى الله عليه وسلم اقتضى أن يكون الشخص الواحد الامى الذى هو مثله عاجزا ولا شك أن الاعجاز على الوجه الاول أقوى ولا سيما فانه يلزم من الوجه الثانى تقرير نقص للنبى صلى الله عليه وسلم وايهام أن الاتيان بالقرآن ممن يكون قارئا ممكن وأيضا الاول هو الملائم لقوله وادعوا شهداءكم اذ لو كان المراد فلتأت واحدا آخر أمى بنحو ما أتى به هذا الواحد لم يحتج أن يستظهر بالشهداء وهى جمع شهيد بمعنى الحاضر أو القائم بالشهادات والمراد بها إما آلهتهم كأنه قيل ان كان الأمر كما تقولون من أنها تستحق العبادة لما أنها تنفع وتضر فقد دفعتم فى

عطف على غير شكله لما كان فى ولا تقربا حرف عامل فيه ولا يصلح اعادته فى فتكونا فنصب على ما قد بنيت فى أول هذه المسئلة وأما تأويل قوله فتكونا من الظالمين فانه يعنى به فتكونا من المتعدين الى غير ما أذن لهم وأبيح لهم فيه وانما عنى بذلك أنكما ان قربتما هذه الشجرة كنتما على منهاج من تعدى حدودى وعصى أمرى واستحل محارمى لان الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولى المتقين وأصل الظلم فى كلام العرب وضع الشئ فى غير موضعه ومنه قول نابغة بنى ذبيان

الا أوارىّ لأيا ما أبينها * والنؤى كالحوض بالمظلومة الجلد

فجعل الارض مظلومة لان الذى حفر فيها النؤى حفر فى غير موضع الحفر فجعلها مظلومة لوضع الحفرة منها فى غير موضعها ومن ذلك قول ابن قميئة فى صفة غيث

ظلم البطاح بها انهلال حريصة * فصفا النطاف له بعيد المقلع

وظلمه اياه مجيئه فى غير أوانه وانصبابه فى غير مصبه ومنه ظلم الرجل جزوره وهو نحره اياها لغير علة وذلك عند العرب وضع النحر فى غير موضعه وقد يتفرع الظلم فى معان يطول باحصائها الكتاب وسنبينها فى أماكنها اذا أتينا عليها ان شاء الله تعالى وأصل ذلك كله ما وصفنا من وضع الشئ فى غير موضعه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (فأزلهما الشيطان عنها) قال أبو جعفر اختلف القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامتهم فأزلهما بتشديد اللام بمعنى استزلهما من قولك زل الرجل فى دينه اذا هفا فيه وأخطأ فأتى ما ليس له اتيانه فيه وأزله غيره اذا سبب له ما يزل من أجله فى دينه أو دنياه ولذلك أضاف الله تعالى ذكره الى ابليس خروج آدم وزوجته من الجنة فقال فأخرجهما يعنى ابليس مما كانا فيه لانه كان الذى سبب لهما الخطيئة التى عاقبهما الله عليها باخراجهما من الجنة وقرأه آخرون فأزالهما بمعنى ازالة الشئ عن الشئ وذلك تنحيته عنه وقد روى عن ابن عباس فى تأويل قوله فأزلهما ما حدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس فى تأويل قوله تعالى فأزلهما الشيطان قال أغواهما وأولى القراءتين بالصواب قراءة من قرأ فأزلهما لأن الله جل ثناؤه قد أخبر فى الحرف الذى يتلوه بأن ابليس أخرجهما مما كانا فيه وذلك هو معنى قوله فأزالهما فلا وجه اذ كان معنى الازالة معنى التنحية والاخراج أن يقال فأزالهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه فيكون كقوله فأزالهما الشيطان عنها فأزالهما مما كانا فيه ولكن المعنى المفهوم أن يقال فاستزلهما ابليس عن طاعة الله كما قال جل ثناؤه فأزلهما الشيطان وقرأت به القراء فأخرجهما باستزلاله اياهما من الجنة فان قال لنا قائل وكيف كان استزلال ابليس آدم وزوجته حتى أضيف اليه اخراجهما من الجنة قيل قد قالت العلماء فى ذلك أقوالا سنذكر بعضها فحكى عن وهب بن منبه فى ذلك ما حدثنا به الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا عمرو بن عبد الرحمن بن مهرب قال سمعت وهب بن منبه يقول لما أسكن الله آدم وذريته أو زوجته الشك من أبى جعفر وهو فى أصل كتابه وذريته ونهاه عن الشجرة وكانت شجرة غصونها متشعب بعضها فى بعض وكان لها ثمر تأكله الملائكة لخلدهم وهى الثمرة

التى

منازعة محمد الى فاقة شديدة فتجعلوا الاستعانة بها والا فاعلموا أنكم مبطلون فيكون فى الكلام محاجة من جهتين من جهة ابطال كونها آلهة ومن جهة ابطال ما أنكروه من إعجاز القرآن و إما أكابرهم ورؤساؤهم أى ادعوهم ليعينوكم على المعارضة أو ليحكموا لكم وعليكم ومعنى دون أدنى مكان من الشئ ومنه الشئ الدون وهو الحقير ودوّن الكتب اذا جمعها بتقليل المسافة بينها و يقال هذا دون ذلك اذا كان أحط منه قليلا ودونك هذا اى خذه من دونك أى من أدنى مكان منك

فاختصر واستعير للتفاوت فى الاحوال والرتب وقيل زيد دون عمرو فى الشرف والعلم ومنه قول من قال لعدوه وقد كان يثنى عليه رياء أنا دون هذا وفوق ما فى نفسك واتسع فيه فاستعمل فى كل تجاوز حد الى حد وتخطى حكم الى حكم قال الله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أى لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين الى ولاية الكافرين ومن دون الله متعلق بشهداءكم أو بادعوا وعلى الاول يحتمل ثلاثة معان ادعوا الذين اتخذتموهم آلهة من دون الله وزعمتم أنهم يشهدون لكم يوم القيامة أنكم على الحق أو ادعوا الذين زعمتم أنهم يشهدون لكم بين يدى الله من قول الاعشى

* تريك القذى من دونها وهى دونه *

أى تريك القذى قدام الزجاجة والحال أن الخمر قدام القذى لرقتها وصفائها وفى أمرهم أن يستظهروا بالجماد الذى لا ينطق فى معارضة القرآن المعجز بفصاحته غاية التهكم بهم أو ادعوا شهداءكم من دون الله أى من دون أوليائه ومن غير المؤمنين ليشهدوا لكم أنكم أتيتم بمثله وهذا من المساهلة وارخاء العنان والاشعار بأن شهداءهم وهم فرسان البلاغة تأبى بهم الطباع وتجمح بهم الانسانية والأنفة أن يرضوا لانفسهم الشهادة بصحة الفاسد وعلى الثانى يحتمل معنيين ادعوا من دون الله شهداءكم يعنى لا تستشهدوا بالله ولا تقولوا الله يشهد أن ما ندعيه حق كما يقوله العاجز عن اقامة البينة على صحة دعواه وادعوا الشهداء من الناس الذين شهادتهم ظاهرة تصحح بها الدعاوى عند الحكام وهذا تعجيز لهم وبيان لانقطاعهم وانخزالهم وأن الحجة قد بهرتهم ولم تبق لهم متشبثا غير قولهم الله يشهد إنا الصادقون سئل بعض العرب عن نسبه فقال قرشى والحمد لله فقيل له قولك الحمد لله فى هذا المقام ريبة أو المراد بالشهداء الله تعالى وكل من له أهلية الحضور من الجن

التى نهى الله آدم عنها وزوجته فلما أراد ابليس أن يستزلهما دخل فى جوف الحية وكانت للحية أربع قوائم كأنها بختية من أحسن دابة خلقها الله فلما دخلت الحية الجنة خرج من جوفها ابليس فأخذ من الشجرة التى نهى الله عنها آدم وزوجته فجاء به الى حواء فقال انظرى الى هذه الشجرة ما أطيب ريحها وأطيب طعمها وأحسن لونها فأخذت حواء فأكلت منها ثم ذهبت بها الى آدم فقالت انظر الى هذه الشجرة ما أطيب ريحها وأطيب طعمها وأحسن لونها فأكل منها آدم فبدت لهما سوآتهما فدخل آدم فى جوف الشجرة فناداه ربه يا آدم أين أنت قال أنا هنا يا رب قال ألا تخرج قال أستحيى منك يا رب قال ملعونة الارض التى خلقت منها لعنة يتحول ثمرها شوكا قال ولم يكن فى الجنة ولا فى الارض شجرة كان أفضل من الطلح والسدر ثم قال يا حواء أنت التى غررت عبدى فانك لا تحملين حملا الا حملته كرها فاذا أردت أن تضعى ما فى بطنك أشرفت على الموت مرارا وقال للحية أنت التى دخل الملعون فى جوفك حتى غر عبدى ملعونة أنت لعنة تتحول قوائمك فى بطنك ولا يكن لك رزق الا التراب أنت عدوة بنى آدم وهم أعداؤك حيث لقيت أحدا منهم أخذت بعقبه وحيث لقيك شدخ رأسك قال عمرو قيل لوهب وما كانت الملائكة تأكل قال يفعل الله ما يشاء وروى عن ابن عباس نحو هذه القصة حدثنى موسى بن هرون قال حدثنا عمرو قال حدثنا أسباط عن السدى فى خبر ذكره عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم لما قال الله لآدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين أراد ابليس أن يدخل عليهما الجنة فمنعته الخزنة فأتى الحية وهى دابة لها أربع قوائم كأنها البعير وهى كأحسن الدواب فكلمها أن تدخله فى فمها حتى تدخل به الى آدم فأدخلته فى فمها فمرت الحية على الخزنة فدخلت ولا يعلمون لما أراد الله من الامر فكلمه من فمها فلم يبال بكلامه فخرج اليه فقال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى يقول هل أدلك على شجرة ان أكلت منها كنت ملكا مثل الله عز وجل أو تكونا من الخالدين فلا تموتان أبدا وحلف لهما بالله انى لكما لمن الناصحين وانما أراد بذلك ليبدى لهما ما وورى عنهما من سوآتهما بهتك لباسهما وكان قد علم أن لهما سوأة لما كان يقرأ من كتب الملائكة ولم يكن آدم يعلم ذلك وكان لباسهما الظفر فأبى آدم أن يأكل منها فتقدمت حواء فأكلت ثم قالت يا آدم كل فانى قد أكلت فلم يضرنى فلما أكل آدم بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة و حدثت عن عمار بن الحسن قال حدثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قال حدثنى محدث أن الشيطان دخل الجنة فى صورة دابة ذات قوائم فكان يرى أنه البعير قال فلعن فسقطت قوائمه فصار حية و حدثت عن عمار قال حدثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قال وحدثنى أبو العالية أن من الابل ما كان أولها من الجن قال فأبيحت له الجنة كلها الا الشجرة وقيل لهما لا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين قال فأتى الشيطان حواء فبدأ بها فقال أنهيتما عن شئ قالت نعم عن هذه الشجرة فقال

والانس فكأنه قيل لهم ادعوا غير الله من الجن والانس من أردتم كقوله قل لئن اجتمعت الانس والجن الاية وانما استثنى الله لأنه القادر وحده على أن يأتي بمثله دون كل شاهد * واعلم أن التحقيق في التحدي هو أن النبي يقول اني مخصوص من الله تعالى بمزيد الكرامة والنور وجعلني واسطة بينكم وبين هدايتكم فاتبعون أهدكم سبيل الخير والرشاد وان كنتم في ريب مما أقول فانظروا الى هذا الذي أقدر عليه باظهار الله تعالى اياه على يدي وأنتم لا تقدرون عليه لعدم

اقداره لتعرفوا أني خصصت بمزيد فضل من عنده وأني صادق فيما أقول فان أنصفوا من أنفسهم بمشيئة الله تعالى ونور هدايته اتبعوه واهتدوا والا بقوا في الضلالة خائبين وكل هذا من عالم الاسباب التي ربط الله تعالى بها الوقائع والحوادث حسب ما أراد ولا يلزم من هذا أن يكون للعبد قدرة مستقلة يقع التحدي عليها بل الله يهدي من يشاء وكل بقدر وقوله ان كنتم صادقين قيد لقوله فأتوا ولقوله وادعوا المعطوف عليه ويجوز أن يكون قيدا لقوله وادعوا لأن قوله فأتوا مقيد بقوله وان كنتم وجواب الشرط الثاني محذوف لدلالة ماقبله وهو مثله عليه التقدير وان كنتم في ريب فأتوا وان كنتم صادقين في أن أصنامكم تعينكم أو في أن القرآن غير معجز فادعوا شهداءكم وانما قلنا الجواب محذوف لأن الجزاء لا يتقدم على الشرط فان للشرط صدر الكلام كالاستفهام ولهذا لم يلزم الفاء في قولك أنت مكرم ان جئتني وانما تقدم ما يدل عليه ومثله في القرآن كثير فاعتبره في كل موضع وأما قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا الآية فأقول أولا انها تدل على اعجاز القرآن وصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من وجوه أحدها انا نعلم بالتواتر أن العرب كانوا يعادونه صلى الله عليه وسلم أشد المعاداة ويتهالكون في ابطال أمره وفراق الاوطان والعشيرة وبذل النفوس والمهج منهم من أقوى ما يدل على ذلك فاذا انضاف اليه مثل هذا التقريع وهو قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فلو حيث أمكنهم الاتيان بمثله لأتوا به وحيث لم يأتوا به ظهر كونه معجزا وثانيها أنه صلى الله عليه وسلم ان كان متهما عندهم فيما يتعلق بالنبوة فقد كان معلوم الحال في وفور العقل فلو خاف صلى الله عليه وسلم عاقبة أمره لتهمة فيه صلى الله عليه وسلم حاشاه عن ذلك لم يبالغ في التحدي الى هذه الغاية وثالثها أنه صلى الله عليه وسلم لو لم يكن قاطعا بنبوته لكان يجوز خلافه وبتقدير وقوع خلافه يظهر كذبه فالمبطل المزور لا يقطع في الكلام قطعا وحيث جزم دل على صدقه ورابعها أن قوله ولن تفعلوا وفي لن تأكيد بليغ في نفي المستقبل الى يوم الدين اخبار بالغيب وقد

مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين قال فبدأت حواء فأكلت منها ثم أمرت آدم فأكل منها قال وكانت شجرة من أكل منها أحدث قال ولا ينبغي أن يكون في الجنة حدث قال فأزالهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه قال فأخرج آدم من الجنة و **حدثنا** ابن حميد قال حدثنا سلمة قال حدثنا ابن اسحق عن بعض أهل العلم أن آدم حين دخل الجنة ورأى مافيها من الكرامة وما أعطاه الله منها قال لو أن خلدا كان فاغتمزها منه الشيطان لما سمعها منه فأتاه من قبل الخلد و **حدثنا** ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن اسحق قال حدثت أن أول ما ابتدأهما به من كيده اياهما أنه ناح عليهما نياحة أحزنتهما حين سمعاها فقالا له ما يبكيك قال أبكي عليكما تموتان فتفارقان ما أنتما فيه من النعمة والكرامة فوقع ذلك في أنفسهما ثم أتاهما فوسوس اليهما فقال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقال مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين أي تكونا ملكين أو تخلدا ان لم تكونا ملكين في نعمة الجنة فلا تموتان يقول الله جل ثناؤه فدلاهما بغرور و **حدثني** يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد وسوس الشيطان الى حواء في الشجرة حتى أتى بها اليها ثم حسنها في عين آدم قال فدعاها آدم لحاجته قالت لا الا أن تأتي ههنا فلما أتى قالت لا الا أن تأكل من هذه الشجرة قال فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما قال وذهب آدم هاربا في الجنة فناداه ربه يا آدم أمني تفر قال لا يارب ولكن حياء منك قال يا آدم أني أتيت قال من قبل حواء أي رب فقال الله فان لها علي أن أدميها في كل شهر مرة كما أدميت هذه الشجرة وأن أجعلها سفيهة فقد كنت خلقتها حليمة وأن أجعلها تحمل كرها وتضع كرها فقد كنت جعلتها تحمل يسرا وتضع يسرا قال ابن زيد ولولا البلية التي أصابت حواء لكان نساء الدنيا لا يحضن ولكن حليمات وكن يحملن يسرا ويضعن يسرا و **حدثنا** ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن سعيد بن المسيب قال سمعته يحلف بالله ما يستثني ما أكل آدم من الشجرة وهو يعقل ولكن حواء سقته الخمر حتى اذا سكر قادته اليها فأكل و **حدثنا** ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن اسحق عن ليث بن أبي سليم عن طاوس اليماني عن ابن عباس قال ان عدو الله إبليس عرض نفسه على دواب الارض أنها تحمله حتى يدخل الجنة معها ويكلم آدم وزوجته فكل الدواب أبى ذلك عليه حتى كلم الحية فقال لها أمنعك من ابن آدم فأنت في ذمتي ان أنت أدخلتني الجنة فجعلته بين نابين من أنيابها ثم دخلت به فكلمهما من فيها وكانت كاسية تمشي على أربع قوائم فأعراها الله وجعلها تمشي على بطنها قال يقول ابن عباس اقتلوها حيث وجدتموها اخفروا ذمة عدو الله فيها و **حدثنا** ابن حميد قال حدثنا سلمة قال قال ابن اسحق وأهل التوراة يدرسون انما كلم آدم الحية ولم يفسروا كتفسير ابن عباس و **حدثنا** القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثني حجاج عن أبي معشر عن محمد بن قيس قال نهى الله آدم وحواء أن يأكلا من شجرة واحدة في الجنة ويأكلا منها رغدا

وقع كما قال صلى الله عليه وسلم لان أحد الو عارضه صلى الله عليه وسلم لم يمتنع أن يتواصفه الناس و يتناقلوه عادة لاسيما والطاعنون فيه صلى الله عليه وسلم أكثف عددا من الذابين عنه صلى الله عليه وسلم واذا لم تقع المعارضة الى الآن غلب على الظن بل حصل الجزم أنها لا تقع أبدا لاستقرار الاسلام وقلة شوكة الطاعنين وانما جىء بان الذى للشك دون اذا الذى للوجوب والقطع مع أن انتفاء اتيانهم بالسورة واجب بناء على حسبانهم وطمعهم فانهم كانوا بعد غير جازمين بالعجز عن المعارضة لاتكالهم على بلاغتهم وأيضا فيه تهكم كما يقول الموصوف بالقوة الواثق من نفسه بالغلبة على من يقاويه ان غلبتك لم أبق عليك وانما اختير قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا على قوله فان لم تأتوا بسورة من مثله ولن تأتوا بسورة من مثله طلبا للوجازة فان الاتيان فعل من الافعال وحذف مفعول فعل كثير دون مفعول أتى فهو جار مجرى الكناية التى تعطيك اختصارا يغنيك عن طول المكنى عنه كما لو قلت أتيت فلانا وأعطيته درهما فيقال لك نعم ما فعلت وقوله ولن تفعلوا جملة معترضة لا محل لها وليس الواو للحال وانما هو للاستئناف والمعترضة تجىء بالواو وبدون الواو وقد اجتمعتا فى قوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم وانما لم يقل فان لم تفعلوا فاتركوا العناد كما هو الظاهر لان اتقاء النار لصيقه وضميمه ترك العناد فوضع موضعه من حيث انه من نتائجه لان من اتقى النار ترك المعاندة ونظيره قول الملك لحشمه ان أردتم الكرامة عندى فاحذروا سخطى يريد فاتبعون وافعلوا ما هو نتيجة حذر السخط فهو من باب الكناية وفائدته الايجاز الذى هو من حلية القرآن وتهويل شأن العناد بأنه الموجب للنار ولهذا اشنع بتفظيع أمرها والوقود ما ترفع به النار وأما المصدر فضموم وقد جاء فيه الفتح فان قلت صلة الذى والتى يجب أن تكون قصة معلومة للمخاطب فكيف علم أولئك أن نار الآخرة توقد بالناس والحجارة قلنا لا يمتنع أن يتقدم لهم بذلك سماع من أهل الكتاب أو سمعوه من رسول الله أو يكون اشارة الى ما نزلت بمكة قبل نزول هذه بالمدينة وذلك فى سورة التحريم قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة ولهذا عرفت ههنا مشارا بها الى ما عرفوه ثمة أولا والمعنى اتقوا نارا ممتازة عن غيرها من النيران بأنها لا تتقد الا بالناس والحجارة أو بأنها توقد بنفس ما يراد احراقه واحراؤه أو بأنها لافراط

حيث شاء آلجاء الشيطان فدخل فى جوف الحية فكلم حواء ووسوس الشيطان الى آدم فقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين قال فعضت حواء الشجرة فدميت الشجرة وسقط عنهما رياشهما الذى كان عليهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين لم أكلتها وقد نهيتك عنها قال يارب أطعمتنى حواء قال لحواء لم أطعمته قالت أمرتنى الحية قال للحية لم أمرتها قالت أمرنى ابليس قال ملعون مدحور أما أنت يا حواء فكما أدميت الشجرة فتدمين فى كل هلال وأما أنت ياحية فأقطع قوائمك فتمشين جريا على وجهك وسيشدخ رأسك من لقيك بالحجر اهبطوا بعضكم لبعض عدو قال أبو جعفر وقد رويت هذه الاخبار عمن رويناها عنه من الصحابة والتابعين وغيرهم فى صفة استزلال ابليس عدو الله آدم وزوجته حتى أخرجهما من الجنة وأولى ذلك بالحق عندنا ما كان لكتاب الله موافقا وقد أخبر الله تعالى ذكره عن ابليس أنه وسوس لآدم وزوجته ليبدى لهما ما ووري عنهما من سوآتهما وأنه قال لهما ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وأنه قاسمهما انى لكما لمن الناصحين مدليا لهما بغرور ففى اخباره جل ثناؤه عن عدو الله أنه قاسم آدم وزوجته بقيله لهما انى لكما لمن الناصحين الدليل الواضح على أنه قد باشر خطابهما بنفسه إما ظاهرا لأعينهما وإما مستجنا فى غيره وذلك أنه غير معقول فى كلام العرب أن يقال قاسم فلان فلانا فى كذا وكذا اذا سبب له سببا وصل به اليه دون أن يحلف له والحلف لا يكون بتسبب السبب فكذلك قوله فوسوس اليه الشيطان لو كان ذلك كان منه الى آدم على نحو الذى منه الى ذريته من تزيين أكل ما نهى الله آدم عن أكله من الشجرة بغير مباشرة خطابه اياه بما استزله به من القول والحيل لما قال جل ثناؤه وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين كما غير جائز أن يقول اليوم قائل من أتى معصية قاسمنى ابليس انه لى ناصح فيما زين لى من المعصية التى أتيتها فكذلك الذى كان من آدم وزوجته لو كان على النحو الذى يكون فيما بين ابليس اليوم وذرية آدم لما قال جل ثناؤه وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين ولكن ذلك كان ان شاء الله على نحو ما قال ابن عباس ومن قال بقوله فأما سبب وصوله الى الجنة حتى كلم آدم بعد أن أخرجه الله منها وطرده عنها فليس فيما روى عن ابن عباس ووهب بن منبه فى ذلك معنى يجوز لذى فهم مدافعته اذ كان ذلك قولا لا يدفعه عقل ولا خبر يلزم تصديقه من حجة بخلافه وهو من الامور الممكنة والقول فى ذلك أنه قد وصل الى خطابهما على ما أخبرنا الله جل ثناؤه وممكن أن يكون وصل الى ذلك بنحو الذى قاله المتأولون بل ذلك ان شاء الله كذلك لتتابع أقوال أهل التأويل على تصحيح ذلك وان كان ابن اسحق قد قال فى ذلك ما حدثنا به ابن حميد قال حدثنا سلمة قال قال ابن اسحق فى ذلك والله أعلم كما قال ابن عباس وأهل التوراة انه خلص الى آدم وزوجته بسلطانه الذى جعل الله له ليبتلى به آدم وذريته وانه يأتى ابن آدم فى نومته وفى يقظته وفى كل حال من أحواله حتى يخلص الى ما أراد منه حتى يدعوه

حوها اذا اتصلت بما لا يشتعل به نار اشتعلت وارتفع لهبها ولعل لكفار الجن وشياطينهم نارا وقودها الشياطين جزاء لكل جنس بما يشاكله
من العذاب والحجارة قيل هي حجارة الكبريت وقيل هي ما نحتوها أصناما انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم لأنهم لما اعتقدوا
فيها أنها شفعاؤهم عند الله وأنهم ينتفعون بها ويدفعون المضار عن أنفسهم جعلها الله عذابهم ابلاغا في ايلامهم وتوريثا لنقيض مطلوبهم
ونحوه ما يفعله بالذين يكنزون الذهب والفضة (١٩٠) ولا ينفقونها في سبيل الله أي يمنعون حقوقها حيث يحمى عليها في نار جهنم فتكوى
بها جباههم وجنوبهم وظهورهم
والتاء في الحجارة لتأكيد التأنيث
في الجماعة نحو صقورة وقد يدور
في الخلد من هذه الآية ومن قوله
ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي
كالحجارة ومن قوله نار الله الموقدة
التي تطلع على الأفئدة أن المراد
بالحجارة هي الافئدة أي وقودها
الناس وقلوبهم وتخصيص القلب
بالذكر لأنه أشرف الاعضاء وأولى
بالاحراق ان كان مقصرا في درك
ما خلق الانسان لأجله ومعنى
أعدت هيئت وجعلت عدة لعذابهم
وانما فقد العاطف لانها بدل من
الصلة أو استئناف كأنه قيل لمن
أعدت هذه النار فقيل أعدت
للكافرين (وبشر الذين آمنوا
وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري
من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها
من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا
من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها
أزواج مطهرة وهم فيها خالدون)
﴿الوقوف﴾ الانهار ط رزقا لا
لأن قالوا جواب كلما متشابها
ط مطهرة ج خالدون ٥
﴿التفسير﴾ انه سبحانه لما ذكر
دلائل التوحيد والنبوة وانجر
الكلام الى ذكر عقاب الكافرين
شفع ذلك بذكر ثواب المؤمنين جريا
على سننه المعهود من ذكر الترغيب
مع الترهيب وضم البشارة الى
الانذار والجمع بين الوعد والوعيد
والجنة والنار وهل هما الآن
مخلوقتان أم لا ظاهر الآية من نحو قوله أعدت للمتقين أعدت للكافرين والاحاديث كقوله صلى الله عليه وسلم
في حديث صلاة الخسوف اني رأيت الجنة فتناولت منها عنقودا ورأيت النار فلم أر كاليوم منظرا قط يدل على وجودهما وكذا اسكنى آدم
وحواء الجنة وقد جمع الله في الآية جوامع اللذات من المسكن وهو الجنات ومن المطعم وهو الثمرات ومن المنكح وهو الأزواج المطهرات
ثم زال عنهم نقص الزوال بقوله وهم فيها خالدون اتماما للنعمة وتكميلا للبهجة والسرور والبشارة الاخبار بما تظهر سرور

الى المعصية ويوقع في نفسه الشهوة وهو لا يراه وقد قال الله فوسوس لهما الشيطان فأخرجهما
مما كانا فيه وقال يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما
ليريهما سوآتهما انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم انا جعلنا الشياطين أولياء للذين
لا يؤمنون وقد قال الله لنبيه عليه السلام قل أعوذ برب الناس ملك الناس الى آخر السورة ثم
ذكر الاخبار التي رويت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى
الدم قال ابن اسحق وانما أمر ابن آدم فيما بينه وبين عدو الله كأمره فيما بينه وبين آدم فقال الله
اهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين ثم خلص الى آدم وزوجته
حتى كلمهما كما قص الله علينا من خبرهما قال فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على
شجرة الخلد وملك لا يبلى فخلص اليهما بما خلص الى ذريته من حيث لا يريانه والله أعلم أي ذلك
كان فتابا الى ربهما * قال أبو جعفر وليس في يقين ابن اسحق لو كان قد أيقن في نفسه أن ابليس
لم يخلص الى آدم وزوجته بالمخاطبة بما أخبر الله عنه أنه قال لهما وخاطبهما به ما يجوز لذي فهم
الاعتراض به على ما ورد من القول مستفيضا من أهل العلم مع دلالة الكتاب على صحة ما استفاض
من ذلك بينهم فكيف بشكه والله نسأل التوفيق ﴿ القول في تأويل قوله تعالى (فأخرجهما
مما كانا فيه) قال أبو جعفر وأما تأويل قوله فأخرجهما فانه يعني فأخرج الشيطان آدم وزوجته
مما كانا يعني مما كان فيه آدم وزوجته من رغد العيش في الجنة وسعة نعيمها الذي كانا فيه وقد
بينا أن الله جل ثناؤه انما أضاف اخراجهما من الجنة الى الشيطان وان كان الله هو المخرج لهما
لان خروجهما منها كان عن سبب من الشيطان وأضيف ذلك اليه لتسبيبه اياه كما يقول القائل
لرجل وصل اليه منه أذى حتى تحول من أجله عن موضع كان يسكنه ما حولني من موضعي الذي
كنت فيه الا أنت ولم يكن منه له تحويل ولكنه لما كان تحوله عن سبب منه جاز له اضافة
تحويله اليه ﴿ القول في تأويل قوله تعالى (وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو) قال
أبو جعفر يقال هبط فلان أرض كذا ووادي كذا اذا حل ذلك كما قال الشاعر

ما زلت أرمقهم حتى اذا هبطت * أيدي الركاب بهم من راكس فلقا

وقد أبان هذا القول من الله جل ثناؤه عن صحة ما قلنا من أن المخرج آدم من الجنة هو الله جل
ثناؤه وأن اضافة الله الى ابليس ما أضاف اليه من اخراجهما كان على ما وصفنا ودل بذلك أيضا
على أن هبوط آدم وزوجته وعدوهما ابليس كان في وقت واحد بجمع الله اياهم في الخبر عن
اهباطهم بعد الذي كان من خطيئة آدم وزوجته وتسبب ابليس ذلك لهما على ما وصفه ربنا جل
ذكره عنهم وقد اختلف أهل التأويل في المعني بقوله اهبطوا مع اجماعهم على أن آدم وزوجته
ممن عني به حدثنا سفيان بن وكيع قال حدثنا أبو أسامة عن أبي عوانة عن اسمعيل بن سالم عن
أبي صالح اهبطوا بعضكم لبعض عدو قال آدم وحواء وابليس والحية حدثنا ابن وكيع وموسى
ابن هرون قالا حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدي اهبطوا بعضكم لبعض

عدو

المخبر به ولهذا قال العلماء اذا قال لعبيده أيكم بشرني بقدوم فلان فهو حر فبشروه فرادى عتق أولهم لانه هو الذي أظهر سروره بخبره ولو قال مكان بشرني أخبرني عتقوا جميعا لانهم جميعا أخبروه ومنه البشرة لظاهر الجلد وتباشير الصبح ما ظهر من أوائل ضوئه فأما قوله فبشرهم بعذاب أليم فمن باب التهكم والاستهزاء فان قيل علام عطف هذا الامر ولم يسبق أمر ولا نهي يصح عطفه عليه قلنا ليس الذي اعتمد بالعطف هو الأمر حتى يطلب له مشاكل من أمر أو نهي انما المعتمد بالعطف هو جملة وصف ثواب المؤمنين على جملة وصف عقاب الكافرين كما تقول زيد يعاقب بالقيد والارهاق وبشر عمرا بالعفو والاطلاق ولك أن تقول معطوف على فاتقوا كقولك يا بني تميم احذروا عقوبة ما جنيتم وبشر يا فلان بني أسد باحساني اليهم وقال بعض المحققين انه معطوف على قل مقدرا قبل يا أيها الناس فان تقدير القول في القرآن مع وجود القرينة غير عزيز كقوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا أي يقولان ربنا ثم المأمور في قوله وبشر إما الرسول وإما كل من له استئهال أن يبشر والصالحة نحو الحسنة في جريها مجرى الاسم قال الحطيئة

كيف الهجاء وما تنفك صالحة * من آل لأم بظهر الغيب تأتيني

واللام للجنس والمراد بالصالحات جملة الأعمال الصحيحة المستقيمة في الدين على حسب حال المؤمن في مواجب التكليف واستدل بهذه الآية من قال ان الأعمال غير داخلة في مسمى الايمان والا لزم التكرار ولمن زعم أن الايمان هو المجموع أن يقول عطف بعض الاجزاء على الكل جائز لغرض من الاغراض كقوله تعالى وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل ثم ههنا مذاهب منهم من قال ان العبد لا يستحق على الطاعة ثوابا ولا على المعصية عقابا استحقاقا عقليا واجبا وهو قول أهل السنة ولا يرد عليه اشكال ومنهم من زعم أنه يستحق الثواب بالايمان والعمل الصالح بشرط أن لا يحبطهما المكلف بالكفر والاقدام على الكبائر وبالندم على ما أوجده من فعل الطاعة وترك المعصية بدليل قوله لئن أشركت ليحبطن عملك وانما طوى ذكر هذا الشرط في الآية للعلم به فانه قد ركز في العقول أن الاحسان انما يستحق فاعله عليه المثوبة والثناء اذا لم يتعقبه ما يفسده ويذهب بحسنه وهذا قول المعتزلة ومن يجري مجراهم ومنهم من أحال القول بالاحباط لأن من آمن وعمل صالحا

عدو قال فلعن الحية وقطع قوائمها وتركها تمشي على بطنها وجعل رزقها من التراب وأهبط الى الأرض آدم وحواء وابليس والحية وحدثني محمد بن عمرو قال حدثنا أبو عاصم قال حدثنا عيسى بن ميمون عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله اهبطوا بعضكم لبعض عدو قال آدم وابليس والحية وحدثني المثنى بن ابراهيم قال حدثنا أبو حذيفة قال حدثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد اهبطوا بعضكم لبعض عدو آدم وابليس والحية ذرية بعضهم أعداء لبعض وحدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بعضكم لبعض عدو قال آدم وذريته وابليس وذريته وحدثنا المثنى قال حدثنا آدم بن أبي إياس قال حدثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية في قوله بعضكم لبعض عدو قال يعني ابليس وآدم حدثني المثنى قال حدثنا اسحق قال حدثنا عبيد الله بن موسى عن اسرائيل عن السدي عمن حدثه عن ابن عباس في قوله اهبطوا بعضكم لبعض عدو قال بعضهم لبعض عدو آدم وحواء وابليس والحية وحدثني يونس بن عبد الأعلى قال حدثنا ابن وهب قال حدثني عبد الرحمن بن مهدي عن اسرائيل عن اسمعيل السدي قال حدثني من سمع ابن عباس يقول اهبطوا بعضكم لبعض عدو قال آدم وحواء وابليس والحية وحدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله اهبطوا بعضكم لبعض عدو قال لهما ولذريتهما * قال أبو جعفر فان قال قائل وما كانت عداوة ما بين آدم وزوجته وابليس والحية قيل أما عداوة ابليس آدم وذريته فحسده اياه واستكباره عن طاعة الله في السجود له حين قال لربه أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين وأما عداوة آدم وذريته ابليس فعداوة المؤمنين اياه لكفره بالله وعصيانه لربه في تكبره عليه ومخالفته أمره وذلك من آدم ومؤمني ذريته ايمان بالله وأما عداوة ابليس آدم فكفر بالله وأما عداوة ما بين آدم وذريته والحية فقد ذكرنا ما روي في ذلك عن ابن عباس ووهب بن منبه وذلك هي العداوة التي بيننا وبينها كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ما سالمناهن منذ حاربناهن فمن تركهن خشية ثأرهن فليس منا حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال حدثني حجاج بن رشد قال حدثنا حيوة بن شريح عن ابن عجلان عن أبيه عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ما سالمناهن منذ حاربناهن فمن ترك شيأ منهن خيفة فليس منا * قال أبو جعفر وأحسب أن الحرب التي بيننا كان أصله ما ذكره علماؤنا الذين قدمنا الرواية عنهم في ادخالها ابليس الجنة بعد أن أخرجه الله منها حتى استزله عن طاعة ربه في أكله ما نهي عن أكله من الشجرة وحدثنا أبو كريب قال حدثنا معاوية بن هشام وحدثني محمد بن خلف العسقلاني قال حدثني آدم جميعا عن شيبان عن جابر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الحيات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقت هي والانسان كل واحد منهما عدو لصاحبه ان رآها أفزعته وان لدغته أوجعته فاقتلها حيث وجدتها

القول في تأويل قوله تعالى (ولكم في الارض مستقر)

استحق الثواب الدائم فلو فرض احباط بكفره لاستحق العقاب الدائم والجمع بينهما محال ولا يخفى ضعف هذا المذهب فان الامور بخواتيمها
قال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعمل عمل أهل النار وإنه من أهل الجنة و يعمل عمل أهل الجنة وإنه من أهل النار وانما الاعمال بالخواتيم
والجنة البستان من النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف أغصانه والتركيب دائر على معنى الستر كأنها فعلة من جنه اذا ستره
وسميت دار الثواب كلها جنة لما فيها من الجنان على حسب استحقاقات العاملين لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنان فلهذا
نكرت والنهر المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر يقال لبردى نهر دمشق وللنيل نهر مصر واللغة العالية الغالبة النهر بفتح الهاء ومدار التركيب على السعة واسناد الجرى الى الأنهار من الاسناد المجازى لان الجارى هو الماء وكذا من تحتها أى من تحت أشجارها وأنزه البساتين وأكرمها منظرا ما كانت أشجارها مظللة والانهار فى خلالها مطردة ولولاها كانت كتماثيل لا أرواح فيها وصور لا حياة لها وانما عرفت الانهار لان المراد بها الجنس كما تقول لفلان بستان فيه الماء الجارى والتين والعنب وألوان الفواكه تشير الى الأجناس التى فى علم المخاطب أو يراد بها أنهارها فعوض التعريف باللام من تعريف الاضافة مثل واشتعل الرأس شيبا أو يشار باللام الى الانهار المذكورة فى قوله فيها أنهار من ماء غير آسن الآية وكلما رزقوا إما صفة ثانية لجنات أو خبر مبتدا محذوف أى هم كلما رزقوا أو جملة مستأنفة لانه لما قيل ان لهم جنات لم يخل خلد السامع أن يقع فيه أثمار تلك الجنات أشباه ثمار جنات الدنيا أم أجناس أخر لا تشابه هذه الاجناس فقيل ان ثمارها أشباه ثمار جنات الدنيا أى أجناسها أجناسها وان تفاوتت الى غاية لا يعلمها الا الله ومن فى منها وفى من ثمرة لابتداء الغاية كما
لو قلت رزقنى فلان فيقال من أين فتقول من بستانه فيقال من أى ثمرة فتقول من الرمان فالرزق قد ابتدئ من الجنات اذا
والرزق من الجنات قد ابتدى من ثمرة وليس المراد بالثمرة التفاحة الواحدة والرمانة الفذة على هذا التفسير وانما المراد النوع من أنواع الثمار
ووجه آخر وهو أن يكون من ثمرة بيانا على منهاج قولك رأيت منك أسدا تريد أنت أسد وعلى هذا يصح أن يراد بالثمرة النوع من الثمار
والجناة الواحدة لان التفاحة الواحدة مثلا يصدق عليها أنها رزق كما أن نوع التفاح يصدق عليه ذلك بخلاف ابتداء الرزق من الجنات فان

قال أبو جعفر اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم بما حدثنى المثنى بن ابراهيم
قال حدثنا آدم العسقلانى قال حدثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبى العالية فى قوله ولكم
فى الارض مستقر قال هو قوله الذى جعل لكم الارض فراشا وحدثت عن عمار بن الحسن
قال حدثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فى قوله ولكم فى الارض مستقر قال هو
قوله جعل لكم الارض قرارا وقال آخرون معنى ذلك ولكم فى الارض قرار فى القبور ذكر
من قال ذلك حدثنى موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدى
ولكم فى الارض مستقر يعنى القبور وحدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال حدثنى
عبد الرحمن بن مهدى عن اسرائيل عن اسمعيل السدى قال حدثنى من سمع ابن عباس
قال ولكم فى الارض مستقر قال القبور وحدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد
ولكم فى الارض مستقر قال مقامهم فيها * قال أبو جعفر والمستقر فى كلام العرب هو موضع
الاستقرار فاذ كان ذلك كذلك فحيث كان من الارض موجودا حالا فذلك المكان من الارض
مستقره وانما عنى الله جل ثناؤه بذلك أن لهم فى الارض مستقرا ومنزلا بأماكنهم ومستقرهم
من الجنة والسماء وكذلك قوله ومتاع يعنى به أن لهم فيها متاعا بمتاعهم فى الجنة ۞ القول
فى تأويل قوله تعالى ذكره (ومتاع الى حين) قال أبو جعفر اختلف أهل التأويل فى تأويل
ذلك فقال بعضهم ولكم فيها بلاغ الى الموت ذكر من قال ذلك حدثنى موسى بن هرون قال
حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدى فى قوله ومتاع الى حين قال يقول بلاغ الى
الموت وحدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال حدثنا عبد الرحمن بن مهدى عن اسرائيل
عن اسمعيل السدى قال حدثنى من سمع ابن عباس ومتاع الى حين قال الحياة * وقال آخرون
يعنى بقوله ومتاع الى حين الى قيام الساعة ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى بن ابراهيم قال
حدثنا أبو حذيفة قال حدثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ومتاع الى حين قال الى يوم
القيامة الى انقطاع الدنيا * وقال آخرون الى حين قال الى أجل ذكر من قال ذلك حدثت عن
عمار بن الحسن قال حدثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع ومتاع الى حين قال الى أجل
والمتاع فى كلام العرب كل ما استمتع به من شئ من معاش استمتع به أو رياش أو زينة أولذة أو غير
ذلك فاذ كان ذلك كذلك وكان الله جل ثناؤه قد جعل حياة كل حى متاعا له يستمتع بها أيام حياته
وجعل الارض للانسان متاعا أيام حياته بقراره عليها واغتذائه بما أخرج الله منها من الأقوات
والثمار والتذاذه بما خلق فيها من الملاذ وجعلها من بعد وفاته لجثته كفاتا ولجسمه منزلا وقرارا
وكان اسم المتاع يشمل جميع ذلك كان أولى التأويلات بالآية ان لم يكن الله جل ثناؤه وضع دلالة
دالة على أنه قصد بقوله ومتاع الى حين بعضا دون بعض وخاصا دون عام فى عقل ولا خبر أن يكون
ذلك فى معنى العام وأن يكون الخبر أيضا كذلك الى وقت يطول استمتاع بنى آدم و بنى ابليس بها
وذلك الى أن تبدل الارض غير الارض فاذ كان ذلك أولى التأويلات بالآية لما وصفنا فالواجب

اذا أن يكون تأويل الآية ولكم في الارض منازل ومساكن تستقرون فيها استقراركم كان في السموات وفي الجنات في منازلكم منها واستمتاع منكم بها وبما أخرجت لكم منها وبما جعلت لكم فيهما من المعاش والرياش والزين والملاذ وبما أعطيتكم على ظهرها أيام حياتكم ومن بعد وفاتكم لأرماسكم وأجداثكم تدفنون فيها وتبلغون باستمتاعكم بها الى أن أبدلكم بها غيرها

﴿ القول في تأويل قوله تعالى (فتلقى آدم من ربه كلمات) قال أبو جعفر أما تأويل قوله فتلقى آدم فقيل انه أخذ وقيل أصله التفعل من اللقاء كما يتلقى الرجل الرجل يستقبله عند قدومه من غيبة أو سفر فكذلك ذلك في قوله فتلقى كأنه استقبله فتلقاه بالقبول حين أوحى اليه أو أخبر به فمعنى ذلك اذا فلقى الله آدم كلمات توبة فتلقاها آدم من ربه وأخذها عنه تائبا فتاب الله عليه بقيله اياها وقبوله اياها من ربه كما حدثني يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فتلقى آدم من ربه كلمات الآية قال لقاهما هذه الآية ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وقد قرأ بعضهم فتلقى آدم من ربه كلمات فجعل الكلمات هي المتلقية آدم وذلك وان كان من جهة العربية جائزا اذ كان كل ما تلقاه الرجل فهو له متلق وما لقيه فقد لقيه فصار للمتكلم أن يوجه الفعل الى أيهما شاء ويخرج من الفعل أيهما أحب فغير جائز عندي في القراءة الا رفع آدم على أنه المتلقي الكلمات لاجماع الحجة من القراء وأهل التأويل من علماء السلف والخلف على توجيه التلقي الى آدم دون الكلمات وغير جائز الاعتراض عليها فيما كانت عليه مجمعة بقول من يجوز عليه السهو والخطأ واختلف أهل التأويل في أعيان الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فقال بعضهم بما حدثنا به أبو كريب قال حدثنا ابن عطية عن قيس عن ابن أبي ليلى عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه قال أي رب ألم تخلقني بيدك قال بلى قال أي رب ألم تنفخ في من روحك قال بلى قال أي رب ألم تسكني جنتك قال بلى قال أي رب ألم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال أرأيت ان أنا تبت وأصلحت أراجعي أنت الى الجنة قال نعم قال فهو قوله فتلقى آدم من ربه كلمات وحدثني علي بن الحسن قال حدثنا مسلم قال حدثنا محمد بن مصعب عن قيس بن الربيع عن عاصم بن كليب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس نحوه وحدثني محمد بن سعد قال حدثني أبي قال حدثني عمي قال حدثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه قال ان آدم قال لربه اذ عصاه رب أرأيت ان أنا تبت وأصلحت فقال له ربه اني راجعك الى الجنة وحدثنا بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة قوله فتلقى آدم من ربه كلمات ذكر لنا أنه قال يا رب أرأيت ان أنا تبت وأصلحت قال اني اذا راجعك الى الجنة قال وقال الحسن انهما قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وحدثني المثنى قال حدثنا آدم العسقلاني قال حدثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية في قوله فتلقى آدم من ربه كلمات قال ان آدم لما أصاب الخطيئة قال يا رب أرأيت ان تبت وأصلحت فقال

فذلك انما يكون بنوع التفاح أولا وبالذات وبشخصه ثانيا وبالعرض لان التشخص أمر زائد على حقيقة الشيء فاعلم وانتصاب رزقا على انه مفعول ثان لرزقوا ومعنى هذا الذي أي هذا مثل الذي رزقنا من قبل نحو أبو يوسف أبو حنيفة لان ذات الذي رزقوه في الجنة لا تكون هي ذات الذي رزقوه في الدنيا والضمير في قوله وأتوا به يرجع الى المرزوق في الدنيا والآخرة جميعا لان قوله هذا الذي رزقنا من قبل انطوى تحته ذكر ما رزقوه في الدارين والغرض في تشابه ثمر الدنيا وثمر الآخرة (١٩٣) أن الانسان بالمألوف آنس والى المعهود أميل ولانه اذا ظفر بشيء من جنس ما سلف له به عهد ورأى فيه مزية ظاهرة أفرط ابتهاجه وطال استعجابه وتبين كنه النعمة فيه فاذا أبصروا الرمانة والنبقة في الدنيا وحجمها ثم أبصروا رمانة الجنة تشبع السكن والنبقة كقلال هجر كما يرون الشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعه كان ذلك أبين للفضل وأزيد في التعجب من أن يفاجؤا ذلك الرمان وذلك النبق من غير عهد سابق بجنسهما وترديدهم هذا القول ونطقهم به عند كل ثمرة يرزقونها دليل على تناهي الامر في ظهور المزية وكمال الاستغراب في كل أوان عن مسروق نخل الجنة نضيد من أصلها الى فرعها وثمرها أمثال القلال كلما نزعت ثمرة عادت مكانها أخرى وأنهارها تجري في غير أخدود والعنقود اثنا عشر ذراعا ويجوز أن يرجع الضمير في أتوا به الى الرزق كما أن هذا اشارة اليه ويكون المعنى ان ما يرزقونه من ثمرات الجنة يأتيهم متجانسا في نفسه اما للتساوي ثوابهم في كل الاوقات في القدر والدرجة حتى لا يزيد ولا ينقص واما لان الانسان اذا التذ بشيء وأعجب به لا تتعلق نفسه الا بمثله فاذا ساؤه بما يشبه الاول من كل الوجوه كان ذلك نهاية اللذة وعن الحسن أن

الاشتباه في اللون فقط قال يؤتى أحدهم بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى بالاخرى فيقول هذا الذي أتينا به من قبل فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف وعن النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هي بواصلة الى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها فاذا أبصروها والهيئة هيئتها الاولى قالوا ذلك ويحتمل أن يقال ان كمال السعادة ليس الا في معرفة ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله من الملائكة الكروبية والملائكة الروحانية

الله اذا أرجعك الى الجنة فهى من الكلمات ومن الكلمات أيضا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وحدثنى موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدى فتلقى آدم من ربه كلمات قال رب ألم تخلقنى بيدك قيل له بلى قال ونفخت فى من روحك قيل له بلى قال وسبقت رحمتك غضبك قيل له بلى قال رب هل كنت كتبت هذا على قيل له نعم قال رب ان تبت وأصلحت هل أنت راجعى الى الجنة قيل له نعم قال الله تعالى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى * وقال آخرون بما حدثنا به محمد بن بشار قال حدثنا عبد الرحمن ابن مهدى قال حدثنا سفيان عن عبد العزيز بن رفيع قال حدثنى من سمع عبيد بن عمير يقول قال آدم يارب خطيئتى التى أخطأتها أشئ كتبته على قبل أن تخلقنى أو شئ ابتدعته من قبل نفسى قال بلى شئ كتبته عليك قبل أن أخلقك قال فكما كتبته على فاغفره لى قال فهو قول الله فتلقى آدم من ربه كلمات وحدثنا ابن سنان قال حدثنا مؤمل قال حدثنا سفيان عن عبد العزيز ابن رفيع قال أخبرنى من سمع عبيد بن عمير بمثله وحدثنا ابن سنان قال حدثنا وكيع بن الجراح قال حدثنا سفيان عن عبد العزيز بن رفيع عمن سمع عبيد بن عمير يقول قال آدم فذكر نحوه وحدثنا المثنى قال حدثنا أبو نعيم قال حدثنا سفيان عن عبد العزيز بن رفيع قال أخبرنى من سمع عبيد بن عمير بنحوه وحدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن عبد العزيز عن عبيد بن عمير بمثله * وقال آخرون بما حدثنى به أحمد بن عثمان بن حكيم الأودى قال حدثنا عبد الرحمن بن شريك قال حدثنا أبى قال حدثنا حصين ابن عبد الرحمن عن حميد بن نبهان عن عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية انه قال قوله فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه قال آدم اللهم لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك أستغفرك وأتوب اليك تب على إنك أنت التواب الرحيم وحدثنى المثنى بن ابراهيم قال حدثنا أبو غسان قال أنبأنا أبو زهير وحدثنا أحمد بن اسحق الأهوازى قال أخبرنا أبو أحمد قال حدثنا سفيان وقيس جميعا عن خصيف عن مجاهد فى قوله فتلقى آدم من ربه كلمات قال قوله ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا حتى فرغ منها وحدثنى المثنى قال حدثنا أبو حذيفة قال حدثنى شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد كان يقول فى قول الله فتلقى آدم من ربه كلمات الكلمات اللهم لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى انك خير الغافرين اللهم لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك ربى انى ظلمت نفسى فارحمنى انك خير الراحمين اللهم لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك رب انى ظلمت نفسى فتب على انك أنت التواب الرحيم وحدثنا ابن وكيع قال حدثنا أبى عن النضر بن عربى عن مجاهد فتلقى آدم من ربه كلمات قال هو قوله ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا الآية وحدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فتلقى آدم من ربه كلمات قال أى رب أتتوب على ان تبت قال نعم فتاب آدم فتاب عليه ربه وحدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله فتلقى آدم من ربه كلمات قال هو قوله ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد هو قوله ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وهذه الاقوال التى حكيناها عمن حكيناها عنه وان كانت مختلفة الالفاظ فان معانيها متفقة فى أن الله جل ثناؤه لقى آدم كلمات فتلقاهن آدم من ربه فقبلهن وعمل بهن وتاب بقيله اياهن وعمله بهن الى الله من خطيئته معترفا بذنبه متنصلا الى ربه من خطيئته نادما على ما سلف منه من خلاف أمره فتاب الله عليه بقبوله الكلمات التى

وطبقات الارواح وعالم السموات بحيث يصير روح الانسان كالمرآة المحاذية لعالم القدس ثم ان هذه المعارف تحصل فى الدنيا ولكن لا يحصل بها كمال الالتذاذ والابتهاج لمكان العلائق البدنية واذا زال العائق بعد الموت وشاهد تلك المعارف قال هذه هى التى كانت حاصلة لى فى الدنيا ووجد كمال اللذة والسرور وقال أهل التحقيق الجنة جنة الوصول وأشجارها هى الملكات الحميدة والأخلاق الفاضلة والثمرات ثمرات المكاشفات والمشاهدات والاسرار والاشارات والالهامات وغيرها من المواهب وانهم يشاهدون أحوال الاشياء فى صورة واحدة من ثمرات مجاهداتهم فيقول بعض المتوسطين منهم ان هذا المشاهد هو الذى شاهدته قبل هذا فتكون الصورة تلك الصورة ولكن المعنى حقيقة أخرى كما أن موسى شاهد نور الهداية فى صورة نار فتكون تارة تلك النار نار صفة غضبية كما كان لموسى اذا اشتد غضبه اشتعلت قلنسوته نارا وتارة تكون نار المحبة تقع فى محبوبات النفس فتحرقها وتارة تكون نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة فتحرق عليهم بيت وجودهم فافهم وأيضا كل شئ له صورة فى الدنيا فله فى الآخرة معنى آخر غيبى كقوله صلى الله عليه وسلم فى

تلقاهن منه وندمه على سالف الذنب منه والذى يدل عليه كتاب الله أن الكلمات التى تلقاهن آدم من ربه هن الكلمات التى أخبر الله عنه انه قالها متنصلا بقيلها الى ربه معترفا بذنبه وهو قوله ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وليس ما قاله ٣ من خالف قولنا هذا من الاقوال التى حكيناها بمدفوع قوله ولكنه قول لا شاهد عليه من حجة يجب التسليم لها فيجوز لنا اضافته الى آدم وأنه مما تلقاه من ربه عند انابته اليه من ذنبه وهذا الخبر الذى أخبر الله عن آدم من قيله الذى لقاه إياه فقاله تائبا اليه من خطيئته تعريف منه جل ذكره جميع المخاطبين بكتابه كيفية التوبة اليه من الذنوب وتنبيه للمخاطبين بقوله كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم على موضع التوبة مما هم عليه من الكفر بالله وأن خلاصهم مما هم عليه مقيمون من الضلالة نظير خلاص أبيهم آدم من خطيئته مع تذكيره اياهم به السالف اليهم من النعم التى خص بها أباهم آدم وغيره من آبائهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (فتاب عليه) قال أبو جعفر وقوله فتاب عليه يعنى على آدم والهاء التى فى عليه عائدة على آدم وقوله فتاب عليه يعنى رزقه التوبة من خطيئته والتوبة معناها الانابة الى الله والأوبة الى طاعته مما يكره من معصيته ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (انه هو التواب الرحيم قلنا اهبطوا منها جميعا) قال أبو جعفر وتأويل قوله انه هو التواب الرحيم أن الله جل ثناؤه هو التواب على من تاب اليه من عباده المذنبين من ذنوبه التارك مجازاته بانابته الى طاعته بعد معصيته بما سلف من ذنبه وقد ذكرنا أن معنى التوبة من العبد الى ربه انابته الى طاعته وأوبته الى ما يرضيه بتركه ما يسخطه من الامور التى كان عليها مقيما مما يكرهه ربه فكذلك توبة الله على عبده هو أن يرزقه ذلك ويؤب من غضبه عليه الى الرضا عنه ومن العقوبة الى العفو والصفح عنه وأما قوله الرحيم فانه يعنى أنه المتفضل عليه مع التوبة بالرحمة ورحمته اياه اقالة عثرته وصفحه عن عقوبة جرمه وقد ذكرنا القول فى تأويل قوله قلنا اهبطوا منها جميعا فيما مضى فلا حاجة بنا الى اعادته اذ كان معناه فى هذا الموضع هو معناه فى ذلك الموضع وقد حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال حدثنا هشيم قال أخبرنا اسمعيل ابن سالم عن أبى صالح فى قوله اهبطوا منها جميعا قال آدم وحواء والحية وابليس ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ذكره (فاما يأتينكم منى هدى) قال أبو جعفر وتأويل قوله فاما يأتينكم فان يأتكم وما التى مع ان توكيد للكلام ولدخولها مع ان أدخلت النون المشددة فى يأتينكم تفرقة بدخولها بين ما التى تأتى بمعنى توكيد الكلام التى تسميها أهل العربية صلة وحشوا وبين ما التى تأتى بمعنى الذى فتؤذن بدخولها فى الفعل أن ما التى مع ان التى بمعنى الجزاء توكيد وليست ما التى بمعنى الذى وقد قال بعض نحويى البصريين ان إما إن زيدت معها ما وصار الفعل الذى بعده بالنون الخفيفة أو الثقيلة وقد يكون بغير نون وانما حسنت فيه النون لما دخلته ما لان ما نفى فهى مما ليس بواجب وهى الحرف الذى ينفى الواجب فحسنت فيه النون نحو قولهم بعين ما أرينك حين أدخلت فيها ما حسنت النون فيما ههنا وقد أنكر جماعة من أهل العربية دعوى قائلى هذه المقالة ان ما التى مع بعين ما أرينك بمعنى الجحد وزعموا أن ذلك بمعنى التوكيد للكلام وقال آخرون بل هو حشو فى الكلام ومعناها الحذف وانما معنى الكلام بعين أراك وغير جائز أن يجعل مع الاختلاف فيه أصلا يقاس عليه غيره ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ذكره (منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) قال أبو جعفر والهدى فى هذا الموضع البيان والرشاد كما حدثنا المثنى ابن ابراهيم قال حدثنا آدم العسقلانى قال حدثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبى العالية فى قوله

دماء الشهداء اللون لون الدم والريح ريح المسك فاعلم وقوله وأتوا به متشابها جملة معترضة تفيد زيادة التقرير كقولك فلان أحسن الى فلان ونعم ما فعل والمراد بتطهير الازواج تطهيرهن من الأقذار والأدناس لا سيما التى تختص بالنساء وكذا من الاخلاق الذميمة وعادات السوء وهما لغتان فصيحتان النساء فعلن وهن فاعلات والنساء فعلت وهى فاعلة والمعنى ولهم جماعة أزواج مطهرة وفى مطهرة فخامة لصفتهن ليست فيما لو قيل طاهرة وهى الاشعار بان مطهرا طهرهن وليس ذلك الا الله عز وجل المريد لعباده أن يخولهم كل مزية فيما أعد لهم وههنا نكتة وهى أن المرأة اذا حاضت فالله تعالى يمنع من مباشرتها قال فاعتزلوا النساء فى المحيض مع أنها معذورة فى تنجسها فاذا كانت اللواتى فى الجنة مطهرات فلأن يمنعك عنهن اذا كنت نجسا بالمعاصى مع أنك غير معذور فيها كان أولى وأيضا من قضى شهوته من الحلال فانه يمنع من الدخول فى المسجد الذى يدخل فيه كل بر وفاجر فمن قضى شهوته من الحرام كيف يمكن من دخول الجنة التى لا يسكنها الا المطهرون وكفى دليلا على ذلك باخراج آدم منها بسبب الزلة الصادرة عنه وأيضا من كان على ثوبه ذرة من النجاسة

فاما يأتينكم مني هدى قال الهدى الانبياء والرسل والبيان فان كان ما قال أبو العالية في ذلك
كما قال فالخطاب بقوله اهبطوا وان كان لآدم وزوجته فيجب أن يكون مرادا به آدم وزوجته
وذريتهما فيكون ذلك حينئذ نظير قوله فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين
بمعنى أتينا بما فينا من الخلق طائعين ونظير قوله في قراءة ابن مسعود ربنا واجعلنا مسلمين لك
ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرهم مناسكهم فجمع قبل أن تكون ذرية وهو في قراءتنا وأرنا مناسكنا
وكما يقول القائل لآخر كأنك قد تزوجت وولد لك وكثرتم وعززتم ونحو ذلك من الكلام وانما قلنا
ان ذلك هو الواجب على التأويل الذي ذكرناه عن أبي العالية لان آدم كان هو النبي صلى الله عليه
وسلم أيام حياته بعد أن أهبط الى الارض والرسول من الله جل ثناؤه الى ولده فغير جائز أن يكون
معنيا وهو الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله فاما يأتينكم مني هدى خطابا له ولزوجته فاما يأتينكم
مني هدى أنبياء ورسل الا على ما وصفت من التأويل وقول أبي العالية في ذلك وان كان وجها من
التأويل تحتمله الآية فأقرب الى الصواب منه عندي وأشبه بظاهر التلاوة أن يكون تأويلها
فاما يأتينكم مني يا معشر من أهبطته الى الارض من سمائي وهو آدم وزوجته وابليس كما قد ذكرنا
قبل في تأويل الآية التي قبلها اما يأتينكم مني بيان من أمري وطاعتي ورشاد الى سبيلي وديني
فمن اتبعه منكم فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون وان كان قد سلف منهم قبل ذلك الى معصية
وخلاف لامري وطاعتي يعرفهم بذلك جل ثناؤه أنه التائب على من تاب اليه من ذنوبه
والرحيم لمن أناب اليه كما وصف نفسه بقوله انه هو التواب الرحيم وذلك أن ظاهر الخطاب بذلك
انما هو للذين قال لهم جل ثناؤه اهبطوا منها جميعا والذين خوطبوا به هم من سمينا في قول
الحجة من الصحابة والتابعين الذين قد قدمنا الرواية عنهم وذلك وان كان خطابا من الله جل ذكره
لمن أهبط حينئذ من السماء الى الارض فهو سنة الله في جميع خلقه وتعريف منه بذلك للذين
أخبر عنهم في أول هذه السورة بما أخبر عنهم في قوله ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم
تنذرهم لا يؤمنون وفي قوله ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وماهم بمؤمنين وأن
حكمه فيهم ان تابوا اليه وأنابوا واتبعوا ما أتاهم من البيان من عند الله على لسان رسوله محمد
صلى الله عليه وسلم أنهم عنده في الآخرة ممن لا خوف عليهم ولاهم يحزنون وأنهم ان هلكوا على
كفرهم وضلالتهم قبل الانابة والتوبة كانوا من أهل النار المخلدين فيها * وقوله فمن تبع هداى
يعني فمن اتبع بياني الذي أبينه على ألسن رسلي أو مع رسلي كما حدثنا به المثنى قال حدثنا
آدم قال حدثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية فمن تبع هداي يعني بياني وقوله فلا خوف
عليهم يعني فهم آمنون في أهوال القيامة من عقاب الله غير خائفين عذابه بما أطاعوا الله
في الدنيا واتبعوا أمره وهداه وسبيله ولاهم يحزنون يومئذ على ما خلفوا بعد وفاتهم في الدنيا
كما حدثني يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد لا خوف عليهم يقول
لا خوف عليكم أمامكم وليس شئ أعظم في صدر الذي يموت مما بعد الموت فأمنهم منه وسلاهم
عن الدنيا فقال ولاهم يحزنون ۞ وقوله والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم
فيها خالدون يعني والذين جحدوا آياتي وكذبوا رسلي وآيات الله حججه وأدلته على وحدانيته
وربوبيته وما جاءت به الرسل من الاعلام والشواهد على ذلك وعلى صدقها فيما أنبأت عن ربها
وقد بينا أن معنى الكفر التغطية على الشئ أولئك أصحاب النار يعني أهلها الذين هم أهلها دون
غيرهم المخلدون فيها أبدا الى غير أمد ولا نهاية كما حدثنا به عقبة بن سنان البصري قال حدثنا

لا تجوز صلاته أو تستكره فكيف
بمن صلى وعلى قلبه جبال من
نجاسات الذنوب والمعاصي والخلد
عند المعتزلة الثبات الدائم والبقاء
اللازم الذي لا ينقطع بدليل قوله
تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد
نفى الخلد عن البشر مع تعمير
بعضهم ومنكم من يرد الى أرذل
العمر وعند الاشاعرة الخلد هو
الثبات الطويل دام أو لم يدم ولو
كان التأبيد داخلا في مفهوم الخلد
كان قوله خالدين فيها أبدا تكرارا
ويقال في العرف حبسه حبسا
مخلدا أو وقف وقفا مخلدا والحق
أن خوف الانقطاع ينغص النعمة
وذلك لا يليق بأكرم الأكرمين
﴿ان الله لا يستحيي أن يضرب مثلا
ما بعوضة فما فوقها فأما الذين
آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم
وأما الذين كفروا فيقولون ماذا
أراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا
ويهدي به كثيرا وما يضل به الا
الفاسقين الذين ينقضون عهد
الله من بعد ميثاقه ويقطعون
ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون
في الارض أولئك هم الخاسرون﴾
الوقوف فما فوقها ط من ربهم
ج لان الجملتين وان اتفقتا فكلمة
أما للتفصيل بين الجمل مثلا م لانه لو
وصل صار ما بعده صفة له وليس
بصفة انما هو ابتداء اخبار من الله
عز وجل جوابا لهم ويهدي به

غسان بن مضر قال حدثنا سعيد بن يزيد وحدثنا سوار بن عبد الله العنبرى قال حدثنا بشر بن
المفضل قال حدثنا أبو مسلمة سعيد بن يزيد وحدثنى يعقوب بن ابراهيم وأبو بكر بن عون قالا
حدثنا اسمعيل بن علية عن سعيد بن يزيد عن أبى نضرة عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم أما أهل النار الذين هم أهلها فانهم لايموتون فيها ولا يحيون ولكن أقواما أصابتهم
النار بخطاياهم أو بذنوبهم فأماتتهم اماتة حتى اذا صاروا فحما أذن فى الشفاعة ۞ القول فى تأويل
قوله تعالى ذكره (يابنى اسرائيل) قال أبو جعفر يعنى بقوله جل ثناؤه يابنى اسرائيل ياولد
يعقوب بن اسحق بن ابراهيم خليل الرحمن وكان يعقوب يدعى اسرائيل يعنى عبد الله وصفوته
من خلقه وإيل هو الله وإسرا هو العبد كما قيل جبريل يعنى عبد الله وكما حدثنا ابن حميد
حدثنا جرير عن الاعمش عن اسمعيل بن رجاء عن عمير مولى ابن عباس عن ابن عباس ان اسرائيل
كقولك عبد الله وحدثنا ابن حميد قال حدثنا جرير عن الاعمش عن المنهال عن عبد الله بن
الحرث قال ايل الله بالعبرانية وانما خاطب الله جل ثناؤه بقوله يابنى اسرائيل أحبار اليهود من
بنى اسرائيل الذين كانوا بين ظهرانى مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنسبهم جل ذكره الى
يعقوب كما نسب ذرية آدم الى آدم فقال يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وما أشبه ذلك
وانما خصهم بالخطاب فى هذه الآية والتى بعدها من الآى التى ذكرهم فيها نعمه وان كان قد تقدم
ما أنزل فيهم وفى غيرهم فى أول هذه السورة ما قد تقدم أن الذى احتج به من الحجج والآيات التى فيها
أنباء أسلافهم وأخبار أوائلهم وقصص الامور التى هم بعلمها مخصوصون دون غيرهم من سائر الأمم
ليس عند غيرهم من العلم بصحته وحقيقته مثل الذى لهم من العلم به الا لمن اقتبس علم ذلك منهم
فعرفهم باطلاع محمد على علمها مع بعد قومه وعشيرته من معرفتها وقلة مزاولة محمد صلى الله
عليه وسلم دراسة الكتب التى فيها أنباء ذلك أن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يصل الى علم ذلك الا بوحى
من الله وتنزيل منه ذلك اليه لأنهم من علم صحة ذلك بمحل ليس به من الأمم غيرهم فلذلك جل
ثناؤه خص بقوله يابنى اسرائيل خطابهم كما حدثنا به ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن
اسحق عن محمد بن أبى محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قوله يابنى اسرائيل قال
ياأهل الكتاب للاحبار من يهود ۞ القول فى تأويل قوله (اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم)
قال أبو جعفر ونعمته التى أنعم بها على بنى اسرائيل جل ذكره اصطفاؤه منهم الرسل وانزاله عليهم
الكتب واستنقاذه إياهم مما كانوا فيه من البلاء والضراء من فرعون وقومه الى التمكين لهم
فى الارض وتفجير عيون الماء من الحجر واطعام المن والسلوى فأمر جل ثناؤه أعقابهم أن يكون
ما سلف منه الى آبائهم على ذكر وأن لاينسوا صنيعه الى أسلافهم وآبائهم فيحل بهم من النقم
ما أحل بمن نسى نعمه عنده منهم وكفرها وجحد صنائعه عنده كما حدثنا ابن حميد قال حدثنا
سلمة عن محمد بن اسحق عن محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير
عن ابن عباس اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم أى آلائى عندكم وعند آبائكم لما كان نجاهم
به من فرعون وقومه وحدثنى المثنى قال حدثنا آدم قال حدثنا أبو جعفر عن الربيع عن
أبى العالية فى قوله اذكروا نعمتى قال نعمته أن جعل منهم الانبياء والرسل وأنزل عليهم
الكتب وحدثنى المثنى قال حدثنا أبو حذيفة قال حدثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد
اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم يعنى نعمته التى أنعم على بنى اسرائيل فيما سمى وفيما سوى
ذلك فجر لهم الحجر وأنزل عليهم المن والسلوى وأنجاهم من عبودية آل فرعون وحدثنى
يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله نعمتى التى أنعمت عليكم قال نعمه

كثيرا ط الفاسقين لا لان
الذين صفتهم ميثاقه ص لعطف
المتفقتين فى الأرض ص
الخاسرون ٥ ﴿التفسير﴾
لما بين كون القرآن معجزا أورد
شبهة أوردها الكفار قدحا فى
ذلك وأجاب عنها عن ابن عباس
لما ضرب الله سبحانه هذين المثلين
للمنافقين يعنى قوله مثلهم كمثل
الذى استوقد نارا وقوله أو كصيب
قالوا الله أجل وأعلى من أن يضرب
الامثال فأنزل الله هذه الآية وعن
الحسن وقتادة لما ذكر الله الذباب
والعنكبوت فى كتابه وضرب
للمشركين به المثل ضحكت اليهود
وقالوا ما يشبه هذا كلام الله فنزلت
والعجب منهم كيف أنكروا ذلك
وما زال الناس يضربون الامثال
بالبهائم والطيور وأحناش الارض
وهذه أمثال العرب بين أيديهم
مسيرة فى حواضرهم وبواديهم قد
تمثلوا فيها بأحقر الاشياء فقالوا أجرأ
من الذباب وأضعف من بعوضة
وكلفتنى مخ البعوض ولقد
ضربت الأمثال فى الانجيل
بالاشياء المحقرة كالزوان حب
يخالط البر وكحبة خردل والمنخل
والحصاة والأرضة والدود والزنابير
قال مثل ملكوت السماء كمثل
رجل زرع فى قريته حنطة جيدة
نقية فلما نام الناس جاء عدوه فزرع
الزوان بين الحنطة فلما نبت الزرع

عامة ولا نعمة أفضل من الاسلام والنعم بعد تبع لها وقرأ قول الله يمنون عليك أن أسلموا قل
لا تمنوا على اسلامكم الآية وتذكير الله الذين ذكرهم جل ثناؤه بهذه الآية من نعمه على لسان
رسوله محمد صلى الله عليه وسلم نظير تذكير موسى صلوات الله عليه أسلافهم على عهده الذي أخبر
الله عنه أنه قال لهم وذلك قوله واذ قال موسى لقومه ياقوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم
أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم مالم يؤت أحدا من العالمين ۞ القول في تأويل قوله تعالى
(وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم) قال أبو جعفر قد تقدم بياننا معنى العهد فيما مضى من
كتابنا هذا واختلاف المختلفين في تأويله والصواب عندنا من القول فيه وهو في هذا الموضع
عهد الله ووصيته التي أخذ على بني اسرائيل في التوراة أن يبينوا للناس أمر محمد صلى الله عليه
وسلم أنه رسول وأنهم يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة أنه نبي الله وأن يؤمنوا به وبما جاء به من
عند الله أوف بعهدكم وعهده اياهم أنهم اذا فعلوا ذلك أدخلهم الجنة كما قال جل ثناؤه ولقد
أخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا الآية وكما قال فسأكتبها للذين يتقون
ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الآية وكما حدثنا به
ابن حميد قال حدثنا سلمة بن الفضل عن ابن اسحق عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن
عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس وأوفوا بعهدى الذي أخذت في أعناقكم للنبي صلى الله
عليه وسلم اذا جاءكم أوف بعهدكم أي أنجز لكم ما وعدتكم عليه بتصديقه واتباعه بوضع
ما كان عليكم من الاصر والأغلال التي كانت في أعناقكم بذنوبكم التي كانت من أحداثكم
وحدثنا المثنى قال حدثنا آدم قال حدثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية في قوله أوفوا
بعهدى أوف بعهدكم قال عهده الى عباده دين الاسلام أن يتبعوه أوف بعهدكم يعني الجنة
وحدثنا موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدى أوفوا بعهدى
أوف بعهدكم أما أوفوا بعهدى فما عهدت اليكم في الكتاب وأما أوف بعهدكم فالجنة عهدت
اليكم أنكم ان عملتم بطاعتي أدخلتكم الجنة وحدثني القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثني
حجاج عن ابن جريج في قوله وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم قال ذلك الميثاق الذي أخذ عليهم
في المائدة ولقد أخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا الى آخر الآية فهذا
عهد الله الذي عهد اليهم وهو عهد الله فينا فمن أوفى بعهد الله وفى الله له بعهده وحدثت عن
المنجاب قال حدثنا بشر عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس في قوله وأوفوا بعهدى أوف
بعهدكم يقول أوفوا بما أمرتكم به من طاعتي ونهيتكم عنه من معصيتي في النبي صلى الله عليه
وسلم وفي غيره أوف بعهدكم يقول أرض عنكم وأدخلكم الجنة وحدثني يونس قال أخبرنا
ابن وهب قال قال ابن زيد في قول وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم قال أوفوا بأمري أوف بالذي
وعدتكم وقرأ ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم حتى بلغ ومن أوفى بعهده من الله
قال هذا عهده الذي عهده لهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ذكره (واياى فارهبون) قال
أبو جعفر وتأويل قوله واياى فارهبون واياى فاخشوا واتقوا أيها المضيعون عهدى من
بني اسرائيل والمكذبون رسولي الذي أخذت ميثاقكم فيما أنزلت من الكتب على أنبيائي أن
تؤمنوا به وتتبعوه أن أحل بكم من عقوبتي ان لم تنيبوا وتتوبوا الى باتباعه والاقرار بما أنزلت
اليه ما أحللت بمن خالف أمري وكذب رسلي من أسلافكم كما حدثني به محمد بن حميد قال
حدثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن
ابن عباس واياى فارهبون أن أنزل بكم ما أنزلت بمن كان قبلكم من آبائكم من النقمات التي قد

واشتد غلب عليه الزوان فقال
عبيد الزارع ياسيدنا أليس حنطة
جيدة نقية زرعت في قريتك فقال
بلى قالوا فمن أين هذا الزوان قال
لعلكم ان ذهبتم أن تقلعوا الزوان
تقلعوا معه حنطة دعوهما يتربيان
جميعا حتى الحصاد فأمر الحصادين
أن يلتقطوا الزوان من الحنطة
وأن يربطوه حزما ثم يحرق بالنار
ويجمعوا الحنطة الى الجرين وأفسر
لكم ذلك الرجل الذي زرع الحنطة
الجيدة وهو أبو البشر والقرية هي
العالم والحنطة الجيدة النقية هي
أبناء الملكوت الذين يعملون بطاعة
الله والعدو الذي زرع الزوان
هو ابليس والزوان المعاصي التي
يزرعها ابليس وأصحابه والحصادون
هم الملائكة يتركون الناس حتى
تدنو آجالهم فيحصدون أهل الخير
الى ملكوت الله وأهل الشر الى
الهاوية وكما أن الزوان يلتقط ويحرق
بالنار فكذلك رسل الله وملائكته
يلتقطون من ملكوته المتكاسلين
وجميع عمال الاثم فيلقونهم في
أتون الهاوية فيكون هنالك البكاء
وصريف الاسنان ويكون الابرار
هنالك في ملكوت ربهم من كانت
له أذن تسمع فليسمع وأضرب لكم
مثلا آخر يشبه ملكوت السماء
رجل آخر أخذ حبة الخردل وهي
أصغر الحبوب فزرعها في قريته فلما
نبتت عظمت حتى صارت كأعظم
شجرة من البقول وجاء طير السماء

عرفتم من المسيح وغيره وحدثنا المثنى بن ابراهيم قال حدثني آدم العسقلاني قال حدثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية في قوله وإياي فارهبون يقول فاخشون وحدثني موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدي وإياي فارهبون يقول وإياي فاخشون ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم) قال أبو جعفر يعني بقوله آمنوا صدقوا كما قد قدمنا البيان عنه قبل ويعني بقوله بما أنزلت ما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم من القرآن ويعني بقوله مصدقا لما معكم أن القرآن مصدق لما مع اليهود من بني اسرائيل من التوراة فأمرهم بالتصديق بالقرآن وأخبرهم جل ثناؤه أن في تصديقهم بالقرآن تصديقا منهم للتوراة لان الذي في القرآن من الامر بالاقرار بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وتصديقه واتباعه نظير الذي من ذلك في الانجيل والتوراة ففي تصديقهم بما أنزل على محمد تصديق منهم لما معهم من التوراة وفي تكذيبهم به تكذيب منهم لما معهم من التوراة وقوله مصدقا قاطع من الهاء المتروكة في أنزلته من ذكر ما ومعنى الكلام وآمنوا بالذي أنزلته مصدقا لما معكم أيها اليهود والذي معهم هو التوراة والانجيل كما حدثنا به محمد بن عمرو الباهلي قال حدثنا أبو عاصم قال حدثنا عيسى بن ميمون عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم يقول انما أنزلت القرآن مصدقا لما معكم التوراة والانجيل وحدثني المثنى قال حدثنا أبو حذيفة قال حدثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله وحدثني المثنى قال حدثنا آدم قال أخبرنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم يقول يا معشر أهل الكتاب آمنوا بما أنزلت على محمد مصدقا لما معكم يقول لأنهم يجدون محمدا صلى الله عليه وسلم مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ولا تكونوا أول كافر به) قال أبو جعفر فان قال لنا قائل كيف قيل ولا تكونوا أول كافر به والخطاب فيه لجمع وكافر واحد وهل نجيز ان كان ذلك جائزا أن يقول قائل لا تكونوا أول رجل قام قيل له انما يجوز توحيد ما أضيف له أفعل وهو خبر لجمع اذا كان اسما مشتقا من فعل ويفعل لأنه يؤدي عن المراد معه المحذوف من الكلام وهو من ويقوم مقامه في الاداء عن معنى ما كان يؤدي عنه من من الجمع والتأنيث وهو في لفظ واحد ألا ترى أنك تقول ولا تكونوا أول من يكفر به فمن بمعنى جمع وهو غير متصرف تصرف الاسماء للتثنية والجمع والتأنيث فاذا أقيم الاسم المشتق من فعل ويفعل مقامه جرى وهو موحد مجراه في الاداء عما كان يؤدي عنه من من معنى الجمع والتأنيث كقولك الجيش ينهزم والجند يقبل فتوحد الفعل لتوحيد لفظ الجيش والجند وغير جائز أن يقال الجيش رجل والجند غلام حتى تقول الجند غلمان والجيش رجال لان الواحد من عدد الاسماء التي هي غير مشتقة من فعل ويفعل لا يؤدي عن معنى الجماعة منهم ومن ذلك قول الشاعر

واذاهمو طعموا فألأم طاعم * واذاهمو جاعوا فشر جياع

فوحد مرة على ما وصفت من نية من واقامة الظاهر من الاسم الذي هو مشتق من فعل ويفعل مقامه وجمع أخرى على الاخراج على عدد أسماء المخبر عنهم ولو وحد حيث جمع أو جمع حيث وحد كان صوابا جائزا فأما تأويل ذلك فانه يعني به يا معشر أحبار أهل الكتاب صدقوا بما أنزلت على رسولي محمد صلى الله عليه وسلم من القرآن المصدق كتابكم والذي عندكم من التوراة والانجيل المعهود اليكم فيهما أنه رسولي ونبيي المبعوث بالحق ولا تكونوا أول من كذب به وجحد أنه من

فعشش في قوعها فكذلك الهدى من دعا اليه ضاعف الله تعالى أجره وعظمه ورفع ذكره ونجا به من اهتدى وقال لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الطيب ويمسك النخالة كذلك أنتم تخرج الحكمة من أفواهكم وتبقون الغل في صدوركم وقال قلوبكم كالحصاة التي لا تنضجها النار ولا يلينها الماء ولا ينسفها الرياح وقال لا تدخروا ذخائركم حيث السوس والارضة فتفسد ولا في البرية حيث السموم واللصوص فتحرقها السموم وتسرقها اللصوص ولكن ادخروا ذخائركم عند الله وقال نحفر فنجد دواب عليها لباسها وهنالك رزقها وهن لا يغزلن ولا يشخصن ومنهن ماهو في جوف الحجر الأصم وفي جوف العود من يأتيهن بلباسهن وأرزاقهن الا الله أفلا تعقلون وقال لا تثيروا الزنابير فتلدغكم كذلك لا تخاطبوا السفهاء فيشتموكم هذا ونحن نرى أن الانسان يذكر معنى فلا يلوح كما ينبغي فاذا ذكر المثال اتضح وانكشف وذلك أن من طبع الخيال حب المحاكاة فاذا ذكر المعنى وحده أدركه العقل ولكن مع منازعة الخيال واذا ذكر التشبيه معه أدركه العقل مع معاونة الخيال ولا شك أن الثاني يكون أكمل واذا كان التمثيل يفيد زيادة البيان والوضوح وجب ذكره في الكتاب الذي أنزل تبيانا

عندي وعندكم من العلم به ماليس عند غيركم وكفرهم به بجحودهم أنه من عند الله والهاء التي في به من ذكر ما التي مع قوله وآمنوا بما أنزلت كما حدثني القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثنا حجاج قال قال ابن جريج في قوله ولا تكونوا أول كافر به بالقرآن * قال أبو جعفر وروى عن أبي العالية في ذلك ما حدثني به المثنى قال حدثنا آدم قال حدثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية ولا تكونوا أول كافر به يقول لا تكونوا أول من كفر بمحمد صلى الله عليه وسلم * وقال بعضهم ولا تكونوا أول كافر به يعني بكتابكم ويتأول أن في تكذيبهم بمحمد صلى الله عليه وسلم تكذيبا منهم بكتابهم لأن في كتابهم الامر باتباع محمد صلى الله عليه وسلم وهذان القولان من ظاهر ما تدل عليه التلاوة بعيدان وذلك أن الله جل ثناؤه أمر المخاطبين بهذه الآية في أولها بالايمان بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم فقال جل ذكره وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ومعقول أن الذي أنزله الله في عصر محمد صلى الله عليه وسلم هو القرآن لا محمد لان محمدا صلوات الله عليه رسول مرسل لا تنزيل منزل والمنزل هو الكتاب ثم نهاهم أن يكونوا أول من يكفر بالذي أمرهم بالايمان به في أول الآية من أهل الكتاب فذلك هو الظاهر المفهوم ولم يجر لمحمد صلى الله عليه وسلم في هذه الآية ذكر ظاهر فيعاد عليه بذكره مكنيا في قوله ولا تكونوا أول كافر به وان كان غير محال في الكلام أن يذكر مكني اسم لم يجر له ذكر ظاهر في الكلام وكذلك لا معنى لقول من زعم أن العائد من الذكر في به على ما التي في قوله لما معكم لان ذلك وان كان محتمل ظاهر الكلام فانه بعيد مما يدل عليه ظاهر التلاوة والتنزيل لما وصفنا قبل من أن المأمور بالايمان به في أول الآية هو القرآن فكذلك الواجب أن يكون المنهي عن الكفر به في آخرها هو القرآن وأما أن يكون المأمور بالايمان به غير المنهي عن الكفر به في كلام واحد وآية واحدة فذلك غير الأشهر الاظهر في الكلام هذا مع بعد معناه في التأويل حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا أول كافر به وعندكم فيه من العلم ماليس عند غيركم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ذكره (ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا) قال أبو جعفر اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فحدثني المثنى بن ابراهيم قال حدثنا آدم قال حدثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا يقول لا تأخذوا عليه أجرا قال وهو مكتوب عندهم في الكتاب الاول يا ابن آدم علم مجانا كما علمت مجانا * وقال آخرون بما حدثني به موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدي ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا يقول لا تأخذوا طمعا قليلا وتكتموا اسم الله فذلك الطمع هو الثمن فتأويل الآية اذا لا تبيعوا ما آتيتكم من العلم بكتابي وآياته بثمن خسيس وعرض من الدنيا قليل وبيعهم اياه تركهم ابانة ما في كتابهم من أمر محمد صلى الله عليه وسلم للناس وأنه مكتوب فيه أنه النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل بثمن قليل وهو رضاهم بالرياسة

لكل شئ ثم ان الله تعالى هو الذي خلق الكبير والصغير وحكمته في كل ما خلق وبرأ عامة بالغة وليس الصغير أخف عليه من الكبير ولا الكبير أصعب عليه من الصغير فالمعتبر اذن ما يليق بالقصة فاذا كان اللائق بها الذباب والعنكبوت لخسة مضرب المثل ووهنه فكيف يضرب بالفيل وبشئ مستحكم النسج والصفاقة وهذا مما لا يخفى على من به أدنى مسكة ولكن ديدن المحجوج المبهوت دفع الواضح وانكار المستقيم وكم من عائب قولا صحيحا (۲۰۰) * وآفته من الفهم السقيم والحياء تغير وانكسار يعتري الانسان من تخوف ما يعاب به ويذم واشتقاقه من الحياة يقال حيي الرجل كما يقال نسي وحشي اذا اشتكى النسا والحشا وكأن الحيي صار منتقص القوة منتكس الحياة وقد عرفت في الاسماء الحسنى أن أمثال هذه الصفات انما يجوز أن تطلق على الله تعالى بعد الاذن الشرعي باعتبار النهايات لا باعتبار المبادئ فحديث سلمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع اليه العبد يديه أن يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا انما جاء على سبيل التمثيل لانه مثل تركه تخييب العبد بترك من يترك رد المحتاج اليه حياء منه ومعنى قوله ان الله لا يستحيي أي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي أن يمثل بها لحقارتها ويجوز أن تقع هذه العبارة في كلام الكفرة فقالوا أما يستحيي رب محمد أن يضرب مثلا بالذباب والعنكبوت فجاءت على سبيل المقابلة والطباق وهو فن بديع قال أبو تمام

من مبلغ أفناء يعرب كلها * أني بنيت الجار قبل المنزل

فلولا بناء الدار لم يصح بناء الجار وقد استعير الحياء فيما لا يصح فيه

اذا ما استحين الماء يعرض نفسه * كرعن بسبت في اناء من الورد

فوصف كثرة مياه الامطار في طريقه وانه أينما ذهب رأى الماء وكأنه يعرض نفسه على النوق فتستحيي فيكرع على فيه مشافر كأنها السبت وهو الجلد المدبوغ بالقرظ وشبه الارض وفيها الماء وحواليه الازهار باناء من الورد وفيه لغتان استحييت منه واستحيته وهما محتملتان ههنا وضرب المثل اعتماده وصنعه من ضرب اللبن وضرب الخاتم وفي الحديث ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتما من ذهب وما هذه ابهامية اذا اقترنت باسم نكرة زادته شياعا وعموما كقولك أعطني كتابا ما تريد أي كتاب كان أو صلة

على أتباعهم من أهل ملتهم ودينهم وأخذهم الأجر ممن بينوا له ذلك على ما بينوا له منه وانما قلنا معنى ذلك لا تبيعوا لأن مشتري الثمن القليل بآيات الله بائع الآيات بالثمن فكل واحد من الثمن والمثمن مبيع لصاحبه وصاحبه به مشتري وانما معناه على ما تأوله أبو العالية بينوا للناس أمر محمد صلى الله عليه وسلم ولا تبتغوا عليه منهم أجرا فيكون حينئذ نهيه عن أخذ الاجر على تبيينه هو النهي عن شراء الثمن القليل بآياته ۞ القول في تأويل قوله تعالى ذكره (واياي فاتقون) قال أبو جعفر يقول فاتقون في بيعكم آياتي بالخسيس من الثمن وشرائكم بها القليل من العرض وكفركم بما أنزلت على رسولي وجحودكم نبوة نبيي أن أحل بكم ما أحللت بأسلافكم الذين سلكوا سبيلكم من المثلات والنقمات ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ولا تلبسوا الحق بالباطل) قال أبو جعفر يعني بقوله ولا تلبسوا لا تخلطوا واللبس هو الخلط يقال منه لبست عليهم الامر ألبسه لبسا اذا خلطته عليهم كما حدثت عن المنجاب عن بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس في قوله وللبسنا عليهم ما يلبسون يقول لخلطنا عليهم ما يخلطون ومنه قول العجاج

لما لبسن الحق بالتجني * غنين واستبدلن زيدا مني

يعني بقوله لبسن خلطن وأما اللبس فانه يقال منه لبسته ألبسه لبسا وملبسا وذلك في الكسوة يكتسيها فيلبسها ومن اللبس قول الاخطل

لقد لبست لهذا الدهر أعصره * حتى تجلل رأسي الشيب واشتعلا

ومن اللبس قول الله جل ثناؤه وللبسنا عليهم ما يلبسون ان قال لنا قائل وكيف كانوا يلبسون الحق بالباطل وهم كفار وأي حق كانوا عليه مع كفرهم بالله قيل انه كان فيهم منافقون منهم يظهرون التصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم ويستبطنون الكفر به وكان أعظمهم يقولون محمد نبي مبعوث الا أنه مبعوث الى غيرنا فكان لبس المنافق منهم الحق بالباطل اظهاره الحق بلسانه واقراره لمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به جهارا وخلطه ذلك الظاهر من الحق بالباطل الذي يستبطنه وكان لبس المقر منهم بانه مبعوث الى غيرهم الجاحد أنه مبعوث اليهم اقراره بانه مبعوث الى غيرهم وهو الحق وجحوده أنه مبعوث اليهم وهو الباطل وقد بعثه الله الى الخلق كافة فذلك خلطهم الحق بالباطل ولبسهم اياه به كما حدثنا به أبو كريب قال حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس قوله ولا تلبسوا الحق بالباطل قال لا تخلطوا الصدق بالكذب و حدثني المثنى قال حدثنا آدم قال حدثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية ولا تلبسوا الحق بالباطل يقول لا تخلطوا الحق بالباطل وأدوا النصيحة لعباد الله في أمر محمد عليه السلام و حدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثني حجاج قال قال ابن جريج قال مجاهد ولا تلبسوا الحق بالباطل اليهودية والنصرانية بالاسلام و حدثني يونس ابن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولا تلبسوا الحق بالباطل

للتأكيد كالتي في قوله فبما نقضهم أي مثلا حقا أو البتة وانتصب بعوضة بأنها عطف بيان لمثلا وذلك أن ما يضرب به المثل قد يسمى مثلا كما يقال حاتم مثل في الجود أو مفعول لضرب ومثلا حال عن النكرة مقدمة عليها أو انتصبا مفعولين لجري ضرب مجرى جعل والبعوض في أصله صفة على فعول من البعض القطع ومنه بعض الشيء لأنه قطعة منه وفي معناه البضع والعضب ومن غرائب خلقه أنه مع صغره أعطى كل ما أعطى الفيل مع كبره ففيه اشارة الى أن خلق (٢٠١) أحدهما ليس أصعب من خلق الآخر واشارة الى حالة الانسان وكمال استعداده كما قال صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته أي على صفته فأعطاه على ضعفه من كل صفة من صفات جماله وجلاله أنموذجا ليشاهد في مرآة نفسه جمال صفات ربه ومن العجائب أن خرطومه في غاية الصغر ومع ذلك مجوف ومع فرط صغره وكونه مجوفا يغوص في جلد الجاموس والفيل على ثخانته كما يضرب الرجل اصبعه في الخبيص وذلك لما ركب الله تعالى في رأس خرطومه من السم وقوله فما فوقها أي فالذي هو أعظم منها في الجثة كالذباب والعنكبوت والحمار والكلب فان القوم أنكروا تمثيل الله بكل هذه الأشياء أو أرادوا فما فوقها في الصغر كجناح البعوضة حيث ضرب به صلى الله عليه وسلم مثلا للدنيا وهذا أولى لان الآية نزلت في بيان أن الله تعالى لا يمتنع من التمثيل بالشيء الحقير فيجب أن يكون المذكور ثانيا أحقر من الاول والفاء ههنا تفيد الترتيب في الذكر لانه يذكر في هذا المقام الأخس فالأخس كقوله * يا دارمية بالعلياء فالسند * لانه يذكر في تعريف الأمكنة الاخص بعد الاعم فكأن العلياء موضع وسيع يشتمل على مواضع منها السند

وأما حرف فيه معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء وفائدته التوكيد تقول زيد ذاهب فاذا قصدت التوكيد وأن الذهاب منه عزيمة قلت أما زيد فذاهب ولذلك قال سيبويه في تفسيره مهما يكن من شيء فزيد ذاهب وليس مراده من هذا التفسير أن أما بمعنى مهما كيف وهذه حرف ومهما اسم بل قصده الى المعنى البحت أي ان يكن في الدنيا شيء يوجد ذهاب زيد فهذا جزم بوقوع ذهابه لانك جعلت حصول ذهابه لازما لحصول أي شيء في الدنيا ومادامت الدنيا باقية فلا بد من

قال الحق التوراة الذى أنزل الله على موسى والباطل الذى كتبوه بأيديهم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ذكره (وتكتموا الحق وأنتم تعلمون) قال أبو جعفر وفى قوله وتكتموا الحق وجهان من التأويل أحدهما أن يكون الله جل ثناؤه نهاهم عن أن يكتموا الحق كما نهاهم أن يلبسوا الحق بالباطل فيكون تأويل ذلك حينئذ ولا تلبسوا الحق بالباطل ولا تكتموا الحق ويكون قوله وتكتموا عند ذلك مجزوما بما جزم به تلبسوا عطفا عليه والوجه الآخر منهما أن يكون النهى من الله جل ثناؤه لهم عن أن يلبسوا الحق بالباطل ويكون قوله وتكتموا الحق خبرا منه عنهم بكتمانهم الحق الذى يعلمونه فيكون قوله وتكتموا حينئذ منصوبا لانصرافه عن معنى قوله ولا تلبسوا الحق بالباطل اذ كان قوله ولا تلبسوا نهيا وقوله وتكتموا الحق خبرا معطوفا عليه غير جائز أن يعاد عليه ما عمل فى قوله تلبسوا من الحرف الجازم وذلك هو المعنى الذى يسميه النحويون صرفا ونظير ذلك فى المعنى والاعراب قول الشاعر

لا تنه عن خلق وتأتى مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم

فنصب تأتى على التأويل الذى قلنا فى قوله وتكتموا الآية لانه لم يرد لا تنه عن خلق ولا تأت مثله وانما معناه لا تنه عن خلق وأنت تأتى مثله فكان الاول نهيا والثانى خبرا فنصب الخبر اذ عطفه على غير شكله فأما الوجه الاول من هذين الوجهين اللذين ذكرنا أن الآية تحتملهما فهو على مذهب ابن عباس الذى حدثنا به أبو كريب قال حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثنا بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس قوله وتكتموا الحق يقول ولا تكتموا الحق وأنتم تعلمون وحدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة بن الفضل عن ابن اسحق عن محمد بن أبى محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وتكتموا الحق أى ولا تكتموا الحق وأما الوجه الثانى منهما فهو على مذهب أبى العالية ومجاهد حدثنى المثنى بن ابراهيم قال حدثنا آدم قال حدثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبى العالية وتكتموا الحق وأنتم تعلمون قال كتموا بعث محمد صلى الله عليه وسلم وحدثنا محمد بن عمرو قال حدثنا أبو عاصم عن عيسى بن ميمون عن ابن أبى نجيح عن مجاهد نحوه وحدثنى المثنى قال حدثنا أبو حذيفة قال حدثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد نحوه وأما تأويل الحق الذى كتموه وهم يعلمونه فهو ما حدثنا به ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وتكتموا الحق يقول لا تكتموا ما عندكم من المعرفة برسولى وما جاء به وأنتم تجدونه عندكم فيما تعلمون من الكتب التى بأيديكم وحدثنا أبو كريب قال حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثنا بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس وتكتموا الحق يقول انكم قد علمتم أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهاهم عن ذلك وحدثنى محمد بن عمرو قال حدثنا أبو عاصم قال حدثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله وتكتموا الحق وأنتم تعلمون قال يكتم أهل الكتاب محمدا وهم يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل وحدثنى المثنى ابن ابراهيم قال حدثنا أبو حذيفة قال حدثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله وحدثنى موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدى وتكتموا الحق وأنتم تعلمون قال الحق هو محمد صلى الله عليه وسلم وحدثنى المثنى قال حدثنا آدم قال حدثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبى العالية وتكتموا الحق وأنتم تعلمون قال كتموا بعث محمد صلى الله عليه وسلم وهم يجدونه مكتوبا عندهم وحدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثنى حجاج عن ابن جريج

حصول شئ فيها ففى ايراد الجملتين مصدرتين به وأن لم يقل فالذين آمنوا يعلمون والذين كفروا يقولون احماد عظيم لامر المؤمنين واعتداد بعلمهم أنه الحق ونعى على الكافرين ورميهم بالكلمة الحمقاء والحق الثابت الذى لا يسوغ انكاره وحق الامر ثبت ووجب والضمير فى أنه الحق للمثل أو لأن يضرب وماذا فيه وجهان أن يكون ذا اسما موصولا بمعنى الذى فيكون كلمتين ما مبتدأ وخبره ذا مع صلته وأن تكون ذا مركبة مع ما مجعولتين اسما واحدا فيكون منصوب المحل فى حكم ما وحده لو قلت ما أراد الله وجوابه على الاول مرفوع وعلى الثانى منصوب وقد يجئ على العكس كما تقول فى جواب من قال ما رأيت خير أى المرئى خير وفى جواب ما الذى رأيت خيرا أى رأيت خيرا والارادة نقيض الكراهة قال الامام الرازى الارادة ماهية يجدها العاقل من نفسه ويدرك التفرقة البديهية بينها وبين علمه وقدرته وألمه ولذته والمتكلمون أنها صفة تقتضى رجحان أحد طرفى الجائز على الآخر لا فى الوقوع بل فى الايقاع واحترز بهذا القيد الاخير عن القدرة واختلفوا فى كونه تعالى مريدا مع اتفاق المسلمين على اطلاق هذا اللفظ على الله تعالى فزعم

عن مجاهد تكتمون محمدا وأنتم تعلمون وأنتم تجدونه عندكم في التوراة والانجيل فتأويل الآية
اذا ولا تخلطوا على الناس أيها الأحبار من أهل الكتاب في أمر محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به
من عند ربه وتزعموا أنه مبعوث الى بعض أجناس الامم دون بعض أو تنافقوا في أمره وقد علمتم
أنه مبعوث الى جميعكم وجميع الامم غيركم فتخلطوا بذلك الصدق بالكذب وتكتموا به ما تجدونه
في كتابكم من نعته وصفته وأنه رسولي الى الناس كافة وأنتم تعلمون أنه رسولي وأن ما جاء به
اليكم فمن عندي وتعرفون أن من عهدي الذي أخذت عليكم في كتابكم الايمان به وبما جاء به
والتصديق به ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين)
قال أبو جعفر ذكر أن أحبار اليهود والمنافقين كانوا يأمرون الناس باقام الصلاة وايتاء الزكاة
ولا يفعلونه فامرهم الله باقام الصلاة مع المسلمين المصدقين بمحمد وبما جاء به وايتاء زكاة أموالهم
معهم وأن يخضعوا لله ولرسوله كما خضعوا كما حدثت عن عمار بن الحسن قال حدثنا ابن
أبي جعفر عن أبيه عن قتادة في قوله وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة قال فريضتان واجبتان
فأدوهما الى الله وقد بينا معنى اقامة الصلاة فيما مضى من كتابنا هذا فكرهنا اعادته أما ايتاء
الزكاة فهو أداء الصدقة المفروضة وأصل الزكاة نماء المال وتثميره وزيادته ومن ذلك قيل زكا
الزرع اذا كثر ما أخرج الله منه وزكت النفقة اذا كثرت وقيل زكا الفرد اذا صار زوجا بزيادة
الزائد عليه حتى صار به شفعا كما قال الشاعر

كانوا خسا أو زكا من دون أربعة * لم يخلقوا وجدود الناس تعتلج

وقال آخر

فلا خسا عديده ولا زكا * كما شرار البقل أطراف السفا

قال أبو جعفر السفا شوك البهمى والبهمى الذي يكون مدورا في السلى يعني بقوله ولا زكا لم
يصيرهم شفعا من وتر بحدوثه فيهم وانما قيل للزكاة زكاة وهي مال يخرج من مال لتثمير الله
باخراجها مما أخرجت منه ما بقي عند رب المال من ماله وقد يحتمل أن تكون سميت زكاة لانها
تطهير لما بقي من مال الرجل وتخليص له من أن تكون فيه مظلمة لاهل السهمان كما قال جل ثناؤه
مخبرا عن نبيه موسى صلوات الله عليه أقتلت نفسا زكية يعني بريئة من الذنوب طاهرة وكما يقال
للرجل هو عدل زكي بذلك المعنى وهذا الوجه أعجب الي في تأويل زكاة المال من الوجه الاول
وان كان الاول مقبولا في تأويلها وايتاؤها اعطاؤها أهلها وأما تأويل الركوع فهو الخضوع
لله بالطاعة يقال منه ركع فلان لكذا وكذا اذا خضع له ومنه قول الشاعر

بيعت بكسر لئيم واستغاث بها * من الهزال أبوها بعد ما ركعا

يعني بعد ما خضع من شدة الجهد والحاجة وهذا أمر من الله جل ثناؤه لمن ذكر من أحبار بني
اسرائيل ومنافقيها بالانابة والتوبة اليه وباقام الصلاة وايتاء الزكاة والدخول مع المسلمين في
الاسلام والخضوع له بالطاعة ونهي منه لهم عن كتمان ما قد علموه من نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
بعد تظاهر حججه عليهم بما قد وصفنا قبل فيما مضى من كتابنا هذا وبعد الاعذار اليهم والانذار وبعد
تذكيرهم نعمه اليهم والى أسلافهم تعطفا منه بذلك عليهم وابلاغا اليهم في المعذرة ۞ القول في تأويل
قوله تعالى (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم) قال أبو جعفر اختلف أهل التأويل في معنى
البر الذي كان المخاطبون بهذه الآية يأمرون الناس به وينسون أنفسهم بعد اجماع جميعهم على أن
كل طاعة لله فهي تسمى برا فروى عن ابن عباس ما حدثنا به ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن
اسحق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أتأمرون الناس بالبر
وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون أي تنهون الناس عن الكفر بما عندكم من

النجار أنه معنى سلبي ومعناه أنه غير
ساه ولا مكره ومنهم من قال انه أمر
ثبوتي ثم اختلفوا فالجاحظ والكعبي
وأبو الحسين البصري معناه علمه
تعالى باشتمال الفعل على المصلحة
أو المفسدة ويسمون هذا العلم
بالداعي أو الصارف والأشاعرة
وأبو علي وأبو هاشم وأتباعهما
أنه صفة زائدة على العلم ثم القسمة
في تلك الصفة أنها اما أن تكون
ذاتية وهو القول الآخر للنجار واما
ان تكون معنوية وذلك المعنى
اما ان يكون قديما وهو قول
الاشعري أو محدثا وذلك المحدث
اما ان يكون قائما بالله تعالى وهو
قول الكرامية أو قائما بجسم آخر
ولم يقل به أحد أو موجودا لا في
محل وهو قول أبي علي وأبي هاشم
وأتباعهما وفي قولهم ماذا أراد
الله بهذا مثلا استرذال واستحقار
كما قالت عائشة في عبد الله بن
عمرو بن العاص حين أفتى بنقض
ذوائب النساء في الاغتسال يا عجبا
لابن عمرو هذا تحقرة له ومثلا
نصب على التمييز كقولك لمن أجاب
بجواب غث ماذا أردت بهذا جوابا
ولمن حمل سلاحا رديئا كيف
تنتفع بهذا سلاحا أو على الحال نحو
هذه ناقة الله لكم آية وقوله يضل به
كثيرا ويهدي به كثيرا جار مجرى

النبوة والعهد من التوراة وتتركون أنفسكم أي وأنتم تكفرون بما فيها من عهدي اليكم في تصديق رسولي وتنقضون ميثاقي وتجحدون ما تعلمون من كتابي وحدثنا أبو كريب قال حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس في قوله أتأمرون الناس بالبر يقول أتأمرون الناس بالدخول في دين محمد صلى الله عليه وسلم وغير ذلك مما أمرتم به من إقام الصلاة وتنسون أنفسكم وقال آخرون بما حدثني به موسى بن هرون قال حدثني عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدي أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم قال كانوا يأمرون الناس بطاعة الله وبتقواه وهم يعصونه وحدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم قال كان بنو اسرائيل يأمرون الناس بطاعة الله وبتقواه وبالبر ويخالفون فعيرهم الله وحدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثنا الحجاج قال قال ابن جريج أتأمرون الناس بالبر أهل الكتاب والمنافقون كانوا يأمرون الناس بالصوم والصلاة ويدعون العمل بما يأمرون به الناس فعيرهم الله بذلك فمن أمر بخير فليكن أشد الناس فيه مسارعة وقال آخرون بما حدثني به يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد هؤلاء اليهود كان اذا جاء الرجل يسألهم ما ليس فيه حق ولا رشوة ولا شئ أمروه بالحق فقال الله لهم أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون وحدثني علي بن الحسن قال حدثنا مسلم الجرمي قال حدثنا مخلد بن الحسين عن أيوب السختياني عن أبي قلابة في قول الله أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب قال قال أبو الدرداء لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله ثم يرجع الى نفسه فيكون لها أشد مقتا (قال أبو جعفر) وجميع الذي قال في تأويل هذه الآية من ذكرنا قوله متقارب المعنى لانهم وان اختلفوا في صفة البر الذي كان القوم يأمرون به غيرهم الذين وصفهم الله بما وصفهم به فهم متفقون في انهم كانوا يأمرون الناس بما لله فيه رضا من القول أو العمل ويخالفون ما أمروهم به من ذلك الى غيره بأفعالهم فالتأويل الذي يدل على صحته ظاهر التلاوة اذا أتأمرون الناس بطاعة الله وتتركون أنفسكم تعصيه فهلا تأمرونها بما تأمرون به الناس من طاعة ربكم معيرهم بذلك ومقبحا اليهم قبيح ما أتوا به ومعنى نسيانهم أنفسهم في هذا الموضع نظير النسيان الذي قال جل ثناؤه نسوا الله فنسيهم بمعنى تركوا طاعة الله فتركهم الله من ثوابه

۞ القول في تأويل قوله تعالى (وأنتم تتلون الكتاب) قال أبو جعفر يعني بقوله تتلون تدرسون وتقرؤن كما حدثنا أبو كريب قال حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثنا بشر عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس وأنتم تتلون الكتاب يقول تدرسون الكتاب بذلك ويعني بالكتاب التوراة

۞ القول في تأويل قوله تعالى (أفلا تعقلون) قال أبو جعفر يعني بقوله أفلا تعقلون أفلا تفقهون وتفهمون قبح ما تأتون من معصيتكم ربكم التي تأمرون الناس بخلافها وتنهونهم عن ركوبها وأنتم راكبوها وأنتم تعلمون أن الذي عليكم من حق الله وطاعته في اتباع محمد والايمان به وبما جاء به مثل الذي على من تأمرونه باتباعه كما حدثنا به محمد بن العلاء قال حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس أفلا تعقلون يقول أفلا تفهمون فنهاهم عن هذا الخلق القبيح وهذا يدل على صحة ما قلنا من أمر أحبار يهود بني اسرائيل غيرهم باتباع محمد صلى الله عليه وسلم وانهم كانوا يقولون هو مبعوث الى غيرنا كما ذكرنا قبل

۞ القول في تأويل قوله تعالى ذكره (واستعينوا بالصبر والصلاة) قال أبو جعفر يعني بقوله جل ثناؤه واستعينوا بالصبر استعينوا على

التفسير والبيان للعملتين المصدرتين بأما وأهل الهدى كثير في أنفسهم وحيث يوصفون بالقلة وقليل من عبادي الشكور وقليل ما هم انما يوصفون بها بالقياس الى أهل الضلال وأيضا فان المهديين كثير في الحقيقة وان قلوا في الصورة

ان الكرام كثير في البلاد وان
قلوا كما غيرهم قل وان كثروا

واسناد الاضلال الى الله تعالى اسناد الفعل الى السبب البعيد لانه لما ضرب المثل ازداد به المؤمنون نورا الى نورهم فتسبب لهديهم وازدادت الكفرة رجسا الى رجسهم فتسبب لضلالهم عن الحق والفسق الخروج عن القصد قال رؤبة

فواسقا عن قصدها جوائرا
يذهبن في نجد وغورا غائرا

والفاسق في الشريعة الخارج عن أمر الله بارتكاب الكبيرة وهو عند أهل السنة من أهل الايمان الا أنه عاص وعند الخوارج كافر وعند المعتزلة نازل بين المنزلتين لان حكمه حكم المؤمن في أنه يناكح ويوارث ويغسل ويصلى عليه ويدفن في مقابر المسلمين وهو كالكافر في الذم واللعن والبراءة منه واعتقاد عداوته وأن لا تقبل له شهادة ومذهب مالك بن أنس والزيدية أن الصلاة لا تجزئ خلفه ويقال للخلفاء المردة من الكفار الفسقة وقد جاء الاستعمالان في كتاب الله تعالى

الوفاء بعهدى الذى عاهدتمونى فى كتابكم من طاعتى واتباع أمرى وترك ماتهوونه من الرياسة
وحب الدنيا الى ماتكرهونه من التسليم لامرى واتباع رسولى محمد صلى الله عليه وسلم بالصبر عليه
والصلاة وقد قيل ان معنى الصبر فى هذا الموضع الصوم والصوم بعض معانى الصبر عندنا بل تأويل
ذلك عندنا أن الله تعالى ذكره أمرهم بالصبر على كل ما كرهته نفوسهم من طاعة الله وترك معاصيه
وأصل الصبر منع النفس محابها وكفها عن هواها ولذلك قيل للصابر على المصيبة صابر لكفه نفسه
عن الجزع وقيل لشهر رمضان شهر الصبر لصبر صائمه عن المطاعم والمشارب نهارا وصبره اياهم
عن ذلك حبسه لهم وكفه اياهم عنه كما يصبر الرجل المسىء للقتل فيحبسه عليه حتى يقتله ولذلك قيل
قتل فلان فلانا صبرا يعنى به حبسه عليه حتى قتله فالمقتول مصبور والقاتل صابر وأما الصلاة فقد
ذكرنا معناها فيما مضى فان قال لنا قائل قد علمنا معنى الامر بالاستعانة بالصبر على الوفاء بالعهد
والمحافظة على الطاعة فما معنى الامر بالاستعانة بالصلاة على طاعة الله وترك معاصيه والتعرى عن
الرياسة وترك الدنيا قيل ان الصلاة فيها تلاوة كتاب الله الداعية آياته الى رفض الدنيا وهجر
نعيمها المسلية النفوس عن زينتها وغرورها المذكرة الآخرة وما أعد الله فيها لاهلها ففى الاعتبار
بها المعونة لاهل طاعة الله على الجد فيها كما روى عن نبينا صلى الله عليه وسلم أنه كان اذا حزبه أمر
فزع الى الصلاة حدثنى بذلك اسمعيل بن موسى الفزارى قال حدثنا الحسين بن رتاق الهمدانى
عن ابن جريج عن عكرمة بن عمار عن محمد بن عبيد بن أبى قدامة عن عبد العزيز بن اليمان عن
حذيفة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة وحدثنى سليمان بن
عبد الجبار قال حدثنا خلف بن الوليد الازدى قال حدثنا يحيى بن زكريا عن عكرمة بن عمار عن
محمد بن عبد الله الدولى قال قال عبد العزيز أخو حذيفة قال حذيفة كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا حزبه أمر صلى وكذلك روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه رأى أبا هريرة منبطحا على بطنه فقال
له (١) اشكنب درد قال ثم قال قم فصل فان فى الصلاة شفاء فأمر الله جل ثناؤه الذين وصف أمرهم
من أحبار بنى اسرائيل أن يجعلوا مفزعهم فى الوفاء بعهد الله الذى عاهدوه الى الاستعانة بالصبر
والصلاة كما أمر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بذلك فقال له فاصبر «يا محمد» على مايقولون وسبح
بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى فأمره
جل ثناؤه فى نوائبه بالفزع الى الصبر والصلاة وقد حدثنا محمد بن العلاء ويعقوب بن ابراهيم
قالا حدثنا ابن علية قال حدثنا عيينة بن عبد الرحمن عن أبيه أن ابن عباس نعى اليه أخوه
قثم وهو فى سفر فاسترجع ثم تنحى عن الطريق فأناخ فصلى ركعتين أطال فيهما الجلوس ثم
قام يمشى الى راحلته وهو يقول واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين
وأما أبو العالية فانه كان يقول بما حدثنى به المثنى قال حدثنا آدم قال حدثنا أبو جعفر
عن الربيع عن أبى العالية واستعينوا بالصبر والصلاة قال يقول استعينوا بالصبر والصلاة
على مرضاة الله واعلموا أنهما من طاعة الله وقال ابن جريج بما حدثنا به القاسم قال
حدثنا الحسين قال حدثنى حجاج قال قال ابن جريج فى قوله واستعينوا بالصبر والصلاة قال انهما
معونتان على رحمة الله وحدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واستعينوا
بالصبر والصلاة الآية قال قال المشركون والله يا محمد انك لتدعونا الى أمر كبير قال الى الصلاة
والايمان بالله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ذكره (وانها لكبيرة الا على الخاشعين) قال

(١) يعنى تشتكى بطنك بالفارسيه كذا بهامش الاصل

بئس الاسم الفسوق بعد الايمان
يعنى اللمز والتنابز إن المنافقين
هم الفاسقون والنقض الفسخ
وفك التركيب وانما ساغ
استعمال النقض فى ابطال العهد
من حيث تسميتهم العهد بالحبل على
سبيل الاستعارة لما فيه من ثبات
الوصلة بين المتعاهدين وهذا كقولك
عالم يغترف منه الناس فتنبه
بالاغتراف من العالم بانه بحر وتسكت
عن المستعار لأنك رمزت اليه بذكر
شئ من لوازمه والعهد الموثق
عهد اليه فى كذا اذا أوصاه به
ووثقه عليه والمراد بالناقضين إما
كل من ضل وكفر لانهم نقضوا
عهدا أبرمه الله باراءة آياته فى الآفاق
وفى أنفسهم وبما ركز فى عقولهم من
اقامة البينة على الصانع وعلى
توحيده وعلى حقية شريعته
بعد ازاحة العلات وازالة الشبهات
وإما قوم من أهل الكتاب وقد أخذ
عليهم العهد والميثاق فى الكتب
المنزلة على أنبيائهم بتصديق محمد
صلى الله عليه وسلم وبين لهم أمره
وأمر أمته فنقضوا ذلك وأعرضوا
عنه وجحدوا نبوته وقيل عهد الله
الى خلقه ثلاثة عهود العهد
الذى أخذه على جميع ذرية آدم
واذ أخذ ربك الآية وعهد خص
به النبيين أن يبلغوا الرسالة
ويقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه

أبو جعفر يعنى بقوله جل ثناؤه وانها وان الصلاة فالهاء والالف فى وانها عائدتان على الصلاة وقد قال بعضهم ان قوله وانها بمعنى ان اجابة محمد صلى الله عليه وسلم ولم يجر لذلك بلفظ الاجابة ذكر فتجعل الهاء والالف كناية عنه وغير جائز ترك الظاهر المفهوم من الكلام الى باطن لا دلالة على صحته و يعنى بقوله لكبيرة لشديدة ثقيلة كما حدثنى يحيى بن أبى طالب قال أخبرنا ابن زيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك فى قوله وانها لكبيرة الا على الخاشعين قال انها الثقيلة ويعنى بقوله الا على الخاشعين الا على الخاضعين لطاعته الخائفين سطواته المصدقين بوعده ووعيده كما حدثنى المثنى بن ابراهيم قال حدثنا عبد الله بن صالح قال حدثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس الا على الخاشعين يعنى المصدقين بما أنزل الله وحدثنى المثنى قال حدثنا آدم العسقلانى قال حدثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبى العالية فى قوله الا على الخاشعين قال يعنى الخائفين وحدثنى محمد بن جعفر قال حدثنا أبو عاصم قال حدثنا سفيان عن جابر عن مجاهد الا على الخاشعين قال المؤمنين حقا وحدثنى المثنى قال حدثنا أبو حذيفة قال حدثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله وحدثنى يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد الخشوع الخوف والخشية لله وقرأ قول الله خاشعين من الذل قال قد أذلهم الخوف الذى نزل بهم وخشعوا له وأصل الخشوع التواضع والتذلل والاستكانة ومنه قول الشاعر

لما أتى خبر الزبير تواضعت * سور المدينة والجبال الخشع

يعنى والجبال خشع متذللة لعظم المصيبة بفقده فمعنى الآية واستعينوا أيها الاحبار من أهل الكتاب بحبس أنفسكم على طاعة الله وكفها عن معاصى الله وباقامة الصلاة المانعة من الفحشاء والمنكر المقربة من مراضى الله العظيمة اقامتها الا على المتواضعين لله المستكينين لطاعته المتذللين من مخافته ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (الذين يظنون) قال أبو جعفر ان قال لنا قائل وكيف أخبر الله جل ثناؤه عمن قد وصفه بالخشوع له بالطاعة أنه يظن أنه ملاقيه والظن شك والشاك فى لقاء الله عندك بالله كافر قيل له ان العرب قد تسمى اليقين ظنا والشك ظنا نظير تسميتهم الظلمة سدفة والضياء سدفة والمغيث صارخا والمستغيث صارخا وما أشبه ذلك من الاسماء التى تسمى بها الشئ وضده ومما يدل على أنه يسمى به اليقين قول دريد بن الصمة

فقلت لهم ظنوا بألفى مدجج * سراتهم فى الفارسى المسرد

يعنى بذلك تيقنوا ألفى مدجج تأتيكم وقول عميرة بن طارق

(١) بان يعتزوا قومى وأقعد فيكم * وأجعل منى الظن غيبا مرجما

يعنى وأجعل منى اليقين غيبا مرجما والشواهد من أشعار العرب وكلامها على أن الظن فى معنى

(١) قوله بان يعتزوا الخ كذا فى النسخ ولم نعثر عليه فى غير هذا الموضع ولا نأمن على بعض كلماته التحريف كتبه مصححه

واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم وعهد خص به العلماء واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه والضمير فى ميثاقه للعهد والميثاق اما مصدر بمعنى التوثقة كالميعاد والميلاد بمعنى الوعد والولادة أو اسم لما وثقوا به عهد الله من قبوله والزامه أنفسهم ويجوز أن يرجع الضمير الى الله أى من بعد توثقته عليهم أو من بعد ما وثق الله تعالى به عهده من آياته وكتبه ورسله ومعنى قطعهم ما أمر الله به أن يوصل إما قطعهم ما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرابة والرحم أو قطعهم موالاة المؤمنين الى موالاة الكافرين أو قطعهم ما بين الانبياء من الوصلة والاتحاد والاجتماع على الحق فى ايمانهم ببعض وكفرهم ببعض والامر طلب الفعل ممن هو دونك وبعثه عليه وبه سمى الامر الذى هو واحد الامور لان الداعى الذى يدعو اليه من يتولاه شبه بآمر يأمره به فقيل له أمر تسمية للمفعول به بالمصدر كأنه مأمور به وللامر حرف واحد وهو اللام الجازم نحو ليفعل وصيغ مخصوصة للمخاطب نحو انزل ونزال وصه وقد يستعمل فى الدعاء والالتماس بمعونة القرينة وظاهره للوجوب وغيره من الندب أو الاباحة يتوقف على القرينة وقوله أن يوصل بدل الاشتمال من الضمير المجرور والجار الذى ينبغى أن يعاد مقدر تقديره بان يوصل أى يوصله والافساد فى الارض اما اظهار المعاصى واما التنازع واثارة الفتن أولئك هم الخاسرون لانهم استبدلوا النقض بالوفاء والقطع بالوصل والافساد بالاصلاح وعقاب هذه الامور بثوابها ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شئ عليم) * القراآت فاحياكم وبابه بالامالة على" ترجعون بفتح التاء وكسر الجيم كل القرآن يعقوب وهو وبابه بسكون الهاء أبو جعفر ونافع غير ورش وعلى وأبو عمرو * الوقوف فاحياكم ج للعدول أى ثم هو يميتكم مع اتحاد مقصود الكلام ترجعون ط سموات ط عليم ٥ التفسير هذه الآية مسوقة لبيان التعجب من حال الكفرة وذلك أن الاستفهام من علام الغيوب يمتنع اجراؤه على أصله فيتولد بمعونة قرائن الاحوال ما ذكرنا ووجهه هو أن الكفار حين صدور الكفر منهم لابد من أن يكونوا على أحد

اليقين

لحالين اما عالمين بالله واما جاهلين به فلا ثالثة فاذا قيل لهم كيف تكفرون بالله ومن المعلوم ان كيف للسؤال عن الحال وللكفر مزيد اختصاص
من بين سائر أحوال الكافر بالعلم بالصانع أو الجهل به لانه لا يمكن تصور كفر الكافر بالصانع مع الذهول عن كونه عالما بالله أو جاهلا به بخلاف
سائر أحواله المتقابلة كالقعود والقيام والسكون والحركة فانه يمكن تصور كفره مع الذهول عنها وان كان لا ينفك الكافر في الوجود عنها كما
لا ينفك من العلم بالصانع أو الجهل به في الوجود وتوجه الاستفهام الى ذلك الذي له (٢٠٧) مزيد اختصاص فافاد الاستفهام أفي حال العلم
بالله تكفرون أم في حال الجهل به
لكن الجهل بعيد عن العاقل لان
الحال حال علم بهذه القصة وهي أن
كانوا أمواتا فصاروا أحياء وسيكون
كذا والحال كذا من الاماتة ثم
الاحياء ثم الرجع اليه فبقي أن
يكون الحال حال العلم بالصانع
الموجبة للصرف عن الكفر فصدور
الفعل عمن له صورة اختيار في الترك
مع الصارف القوي مظنة تعجب
وتعجيب وانكار وتوبيخ فكأنه قيل
ما أعجب كفركم والحال أنكم عالمون
بهذه القصة وهي أن كنتم أمواتا
نطفا في أصلاب آبائكم فجعلكم
أحياء ثم يميتكم بعد هذه الحياة
وهذه مما لا يشك فيها لانها من
المشاهدات ثم يحييكم حين ينفخ في
الصور أو حين تسألون في القبور ثم
اليه أي الى حكمه ترجعون أي بعد
الحشر للثواب والعقاب أو من
قبوركم وهذه القضايا أيضا مما لا
يشك فيها لنصب الادلة وازاحة
العلة والاموات جمع ميت كالاقوال
جمع قيل وقد يطلق الميت على الجماد
كقوله بلدة ميتا ويجوز أن يكون
استعارة لاجتماعهما في أن لا روح
ولا احساس ويحتمل أن يقال المراد
به خمول الذكر كقوله هل أتى على
الانسان حين من الدهر لم يكن شيأ
مذكورا قال أبو نخيلة السعدي
وأحييت لي ذكرى وما كنت خاملا * ولكن بعض الذكر أنبه من بعض * ولا يخفى أن الآية بالنسبة الى العامة فاما بعض
الناس فقد أماتهم ثلاث مرات فاماته الله مائة عام ثم بعثه فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون
وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم وآتيناه أهله ومثلهم معهم * واعلم أن هذه الآية دالة على أمور منها اشتمالها على وجود ما يدل على الصانع القادر
العالم الحي السميع البصير الغني عما سواه ومنها الدلالة على أنه لا قدرة على الاحياء والاماتة الا لله فيبطل قول الدهري وما يهلكنا الا الدهر

اليقين أكثر من أن تحصى وفيما ذكرنا لمن وفق لفهمه كفاية ومنه قول الله جل ثناؤه ورأى
المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها وبمثل الذي قلنا في ذلك جاء تفسير المفسرين حدثني المثنى
ابن ابراهيم قال حدثنا آدم قال حدثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية في قوله يظنون أنهم
ملاقو ربهم قال ان الظن ههنا يقين وحدثنا محمد بن بشار قال حدثنا أبو عاصم قال حدثنا
سفيان عن جابر عن مجاهد قال كل ظن في القرآن يقين اني ظننت وظنوا وحدثني المثنى قال حدثنا
اسحق قال حدثنا أبو داود الحفري عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال كل ظن في القرآن
فهو علم وحدثني موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدي
الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم أما يظنون فيستيقنون وحدثني القاسم قال حدثنا الحسين قال
حدثني حجاج قال قال ابن جريج الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم علموا أنهم ملاقو ربهم هي كقوله اني
ظننت أني ملاق حسابيه يقول علمت وحدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد
في قوله الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم قال لانهم لم يعاينوا فكان ظنهم يقينا وليس ظنا في شك
وقرأ اني ظننت أني ملاق حسابيه ۞ القول في تأويل قوله تعالى (أنهم ملاقو ربهم) قال
أبو جعفر ان قال لنا قائل وكيف قيل انهم ملاقو ربهم فاضيف الملاقون الى الرب جل ثناؤه وقد
علمت أن معناه الذين يظنون أنهم يلقون ربهم واذا كان المعنى كذلك فمن كلام العرب ترك
الاضافة واثبات النون وانما تسقط النون وتضيف في الاسماء المبنية من الافعال اذا كانت بمعنى
فعل فاما اذا كانت بمعنى يفعل وفاعل فشأنها اثبات النون وترك الاضافة قيل لا تدافع بين جميع
أهل المعرفة بلغات العرب وألسنها في اجازة اضافة الاسم المبني من فعل ويفعل واسقاط النون
وهو بمعنى يفعل وفاعل أعني بمعنى الاستقبال وحال الفعل ولما ينقض فلا وجه لمسئلة السائل
عن ذلك لم قيل وانما اختلف أهل العربية في السبب الذي من أجله أضيف وأسقطت النون
فقال نحويو البصرة أسقطت النون من ملاقو ربهم وما أشبهه من الافعال التي في لفظ الاسماء
وهي في معنى يفعل وفي معنى ما لم ينقض استثقالا لها وهي مرادة كما قال جل ثناؤه كل نفس ذائقة
الموت وكما قال انا مرسلو الناقة فتنة لهم ولما يرسلها بعد وكما قال الشاعر

هل أنت باعث دينار لحاجتنا * أو عبد رب أخا عون بن مخراق

فاضاف باعثا الى الدينار ولما يبعث ونصب عبد رب عطفا على موضع دينار لانه في موضع نصب
وان خفض وكما قال الآخر

الحافظو عورة العشيرة لا * يأتيهم من ورائهم نطف

بنصب العورة وخفضها فالخفض على الاضافة والنصب على حذف النون استثقالا وهي مرادة
وهذا قول نحويي البصرة وأما نحويو الكوفة فانهم قالوا جائز في ملاقو الاضافة وهو في معنى
يلقون واسقاط النون منه لانه في لفظ الاسماء فله في الاضافة الى الاسماء حظ الاسماء وكذلك
حكم كل اسم كان له نظيرا قالوا واذا أثبت في شيء من ذلك النون وتركت الاضافة فانما تفعل ذلك

ومنها الدلالة على صحة الحشر والنشر مع التنبيه على الدليل القطعي الدال عليه لان الاعادة أهون من الابداء ومنها الدلالة على التكليف والترغيب والترهيب ومنها الدلالة على وجوب الزهد في الدنيا لانه قال فاحياكم أي بعقب كونكم نطفا من غير تخلل حالة أخرى بينهما ثم يميتكم بعد انقضاء مهلة الحياة ثم بين انه لا يترك على هذا الموت بل لابد من حياة ثانية للسؤال أو للحشر ثم من الرجوع اليه للثواب أو العقاب فبين سبحانه انه بعد ما كان نطفة فانه أحياه وصوّره أحسن صورة وجعله بشرا سويا وأكمل عقله وبصره بانواع المضار والمنافع وملكه الاموال والاولاد والدور والقصور ثم انه تعالى يزيل كل ذلك عنه بان يميته ويصيره بحيث لا يملك شيأ ولا يبقى منه في الدنيا خبر ولا أثر ويبقى مدة مديدة في اللحد ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون ينادى فلا يجيب ويستنطق فلا يتكلم ثم لا يزوره الاقربون بل ينساه الاهل والبنون

مرّ أقاربي بحذاء قبري
كأن أقاربي لم يعرفوني

الهي اذا قمنا من ثرى الاجداث مغبرة رؤسنا شاحبة وجوهنا جائعة بطوننا مثقلة من حمل الاوزار ظهورنا بادية لاهل القيامة سوآتنا فلا تضعف مصائبنا باعراضك عنا ياواسع المغفرة ويا باسط اليدين بالرحمة ولما ذكر الله تعالى في الآية الاولى أصل جميع النعم وهو الاحياء الذي من حقه أن يشكر ولا يكفر أعقبها بذكر ما هو كالاصل لسائر النعم وهو خلق الارض بما فيها وخلق السماء ومعنى لكم لاجلكم ولانتفاعكم به في دنياكم وذلك ظاهر وفي دينكم من النظر في عجائب الصنع الدالة على الصانع القادر الحكيم ومن التذكير بالآخرة وثوابها وعقابها لاشتماله على أسباب الانس واللذة من فنون المطاعم والمشارب والفواكه والمناكح والمراكب والمناظر الحسنة البهية وعلى أسباب الوحشة والالم من النيران والصواعق والسباع والاحناش والسموم والغموم والمخاوف فظاهر الآية لا يدل على الاعلى خلق ما في الارض لاجلهم دون الارض فان اريد بالارض الجهات السفلية دون الغبراء كما يذكر السماء ويراد به الجهات العلوية جاز أن يراد خلق لكم الارض وما فيها وجميعا نصب على الحال من الموصول الثاني وهو ما أي مجموعة والمجموع الذي جمع من ههنا وههنا وان لم يجعل كالشئ الواحد ويندرج فيها جميع البسائط من الماء والهواء والنار وجميع المواليد من المعادن والنبات والحيوان وجميع

به لان له معنى يفعل الذي لم يكن ولم يجب بعد قالوا والاضافة فيه للفظ وترك الاضافة للمعنى فتأويل الآية اذا واستعينوا على الوفاء بعهدي بالصبر عليه والصلاة وان الصلاة لكبيرة الاعلى الخائفين عقابي المتواضعين لامري الموقنين بلقائي والرجوع الىّ بعد مماتهم وانما أخبر الله جل ثناؤه أن الصلاة كبيرة الاعلى من هذه صفته لان من كان غير موقن بمعاد ولا مصدق بمرجع ولا ثواب ولا عقاب فالصلاة عنده عناء وضلال لانه لا يرجو باقامتها ادراك نفع ولا دفع ضر وحق لمن كانت هذه الصفة صفته أن تكون الصلاة عليه كبيرة واقامتها عليه ثقيلة وله فادحة وانما خفت على المؤمنين المصدقين بلقاء الله الراجين عليها جزيل ثوابه الخائفين بتضييعها أليم عقابه لما يرجون باقامتها في معادهم من الوصول الى ما وعد الله عليها اهلها ولما يحذرون بتضييعها ما أوعد مضيعها فامر الله جل ثناؤه أحبار بني اسرائيل الذين خاطبهم بهذه الآيات أن يكونوا من مقيميها الراجين ثوابها اذا كانوا أهل يقين بانهم الى الله راجعون واياه في القيامة ملاقون ۞ القول في تاويل قوله تعالى (وأنهم اليه راجعون) قال أبو جعفر والهاء والميم اللتان في قوله وأنهم من ذكر الخاشعين والهاء في اليه من ذكر الرب تعالى ذكره في قوله ملاقو ربهم فتأويل الكلمة وانها لكبيرة الاعلى الخاشعين الموقنين أنهم الى ربهم راجعون ثم اختلف في تاويل الرجوع الذي في قوله وانهم اليه راجعون فقال بعضهم بما حدثني به المثنى بن ابراهيم قال حدثنا آدم قال حدثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية في قوله وأنهم اليه راجعون قال يستيقنون أنهم يرجعون اليه يوم القيامة وقال آخرون معنى ذلك انهم اليه يرجعون بموتهم وأولى التأويلين بالآية القول الذي قاله أبو العالية لان الله تعالى ذكره قال في الآية التي قبلها كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون فاخبر جل ثناؤه أن مرجعهم اليه بعد نشرهم واحيائهم من مماتهم وذلك لاشك يوم القيامة فكذلك تاويل قوله وانهم اليه راجعون ۞ القول في تاويل قوله تعالى (يابني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم) قال أبو جعفر وتاويل ذلك في هذه الآية نظير تاويله في التي قبلها في قوله اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي وقد ذكرته هنالك ۞ القول في تاويل قوله (وأني فضلتكم على العالمين) قال أبو جعفر وهذا أيضا مما ذكرهم جل ثناؤه من آلائه ونعمه عندهم ويعني بقوله واني فضلتكم على العالمين أني فضلت أسلافكم فنسب نعمه على آبائهم واسلافهم الى انها نعم منه عليهم اذ كانت مآثر الآباء مآثر للابناء والنعم عند الآباء نعما عند الابناء لكون الابناء من الآباء وأخرج جل ذكره قوله واني فضلتكم على العالمين مخرج العموم وهو يريد به خصوصا لان المعنى واني فضلتكم على عالم من كنتم بين ظهريه وفي زمانه كالذي حدثنا به محمد بن عبد الاعلى الصنعاني قال حدثنا محمد بن ثور عن معمر وحدثنا الحسن بن يحيي قال حدثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة واني فضلتكم على العالمين قال فضلهم على عالم ذلك الزمان حدثني المثنى قال حدثنا آدم قال حدثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية واني فضلتكم على العالمين قال بما أعطوا من الملك والرسل والكتب

الصنائع والحرف وبعضهم يستدل بهذا على أن الاصل فى الاشياء الاباحة عقلا لكل أحد أن يتناولها ويستنفع بها (١) ويمكن أن يقال بل بهذه الآية والا كان تصرفا فى ملك الغير من غير اذنه ولا يلزم من أنه تعالى خلق ما فى الارض لاجل المكلفين أن يكون فعله معللا بغرض وان كان لا يخلو من فائدة وغاية والا كان عبثا لانه لا يلزم من استتباع الفعل الغاية أن تكون تلك الغاية علة لعلية فاعله لان هذا فيما اذا كانت فاعليته ناقصة لتتكمل بتلك الغاية أما اذا كانت فاعليته تامة فانه يوجد الشئ ذا الغاية (٣٠٩) من غير أن تكون تلك الغاية حاملة له على ذلك وهذا فرق دقيق يتنبه له من يسر عليه * قيل انه تعالى خلق الكل للكل فلا يكون لاحد اختصاص بشئ أصلا قلنا قابل الكل بالكل فيقتضى مقابلة الفرد للفرد والتعيين يستفاد من دليل منفصل * والاستواء بمعنى الانتصاب ضد الاعوجاج من صفات الاجسام وانه تعالى منزه عن ذلك وأيضا ثم تقتضى التراخى فلو كان المراد بهذا الاستواء العلو بالمكان لكان ذلك العلو حاصلا أزلا ولم يكن متأخرا عن خلق ما فى الارض فيجب التأويل وتقريره أن يقال استوى العود اذا اعتدل ثم قيل استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير أن يلوى على شئ ومنه استعير قوله ثم استوى الى السماء أى قصد اليها بارادته ومشيئته بعد خلق ما فى الارض من غير أن يريد فيما بين ذلك خلق شئ آخر والمراد بالسماء جهات العلو كأنه قيل ثم استوى الى فوق أو هذا كقولك لآخر اعمل هذا الثوب وانما معه غزل على أنها كانت دخانا ثم سواها سبع سموات وثم ههنا اما للتراخى فى الوقت والمراد أنه حين قصد الى السماء لم يحدث فيما بين ذلك أى فى تضاعيف القصد اليها خلقا آخر كما قلنا أو للتفاوت بين الخلقين وفضل خلق السموات على خلق الارض كقوله فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر وكقوله ثم كان من الذين آمنوا وتفسير هذه الآية فى

قوله قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين يعنى تقدير الارض فى يومين وتقدير الاقوات فى يومين كما يقول القائل من الكوفة الى المدينة عشرون يوما والى مكة ثلاثون يوما يريد أن جميع ذلك هو هذا القدر ثم استوى الى السماء فى يومين آخرين ومجموع ذلك ستة أيام كما قال خلق السموات والارض فى ستة أيام فان قيل أما يناقض هذا قوله والارض بعد ذلك دحاها قلنا أجاب فى الكشاف لا لان

على عالم من كان فى ذلك الزمان فان لكل زمان عالما * حدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثنى حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد فى قوله وأنى فضلتكم على العالمين قال على من هم بين ظهرانيه * وحدثنى محمد بن عمرو قال حدثنا أبو عاصم قال حدثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال على من هم بين ظهرانيه * وحدثنى يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال سألت ابن زيد عن قول الله وأنى فضلتكم على العالمين قال عالم أهل ذلك الزمان وقرأ قول الله ولقد اخترناهم على علم على العالمين قال هذه لمن أطاعه واتبع أمره وقد كان فيهم القردة وهم أبغض خلقه اليه وقال لهذه الامة كنتم خير أمة أخرجت للناس قال هذه لمن أطاع الله واتبع أمره واجتنب محارمه (قال أبو جعفر) والدليل على صحة ما قلنا من أن تأويل ذلك على الخصوص الذى وصفنا ما حدثنى به يعقوب بن ابراهيم قال حدثنا ابن علية وحدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر جميعا عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا انكم وفيتم سبعين أمة قال يعقوب فى حديثه أنتم آخرها وقال الحسن أنتم خيرها وأكرمها على الله فقد أنبأ هذا الخبر عن النبى صلى الله عليه وسلم أن بنى اسرائيل لم يكونوا مفضلين على أمة محمد عليه السلام وأن معنى قوله وفضلناهم على العالمين وقوله وأنى فضلتكم على العالمين على ما بينا من تأويله وقد أتينا على بيان تأويل قوله العالمين بما فيه الكفاية فى غير هذا الموضع فأغنى ذلك عن اعادته ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيأ) قال أبو جعفر وتأويل قوله واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيأ واتقوا يوما لا تجزى فيه نفس عن نفس شيأ وجائز أيضا أن يكون تأويله واتقوا يوما لا تجزيه نفس عن نفس شيأ كما قال الراجز

قد صبحت صبحها السلام * بكبد خالطها سنام * فى ساعة يحبها الطعام

وهو يعنى يحب فيها الطعام فحذفت الهاء الراجعة على اليوم اذ فيه اجتزاء بما ظهر من قوله واتقوا يوما لا تجزى نفس الدال على المحذوف منه عما حذف اذ كان معلوما معناه وقد زعم قوم من أهل العربية أنه لا يجوز أن يكون المحذوف فى هذا الموضع الا الهاء وقال آخرون لا يجوز أن يكون المحذوف الا فيه وقد دللنا فيما مضى على جواز حذف كل ما دل الظاهر عليه وأما المعنى فى قوله واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيأ فانه تحذير من الله تعالى ذكره عباده الذين خاطبهم بهذه الآية عقوبته أن تحل بهم يوم القيامة وهو اليوم الذى لا تجزى فيه نفس عن نفس شيأ ولا يجزى فيه والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيأ وأما تأويل قوله لا تجزى نفس فانه يعنى لا تغنى كما حدثنى به موسى بن هرون قال حدثنا عمرو قال حدثنا أسباط عن السدى واتقوا يوما لا تجزى نفس أما تجزى فتغنى وأصل الجزاء فى كلام العرب القضاء والتعويض يقال جزيته قرضه ودينه أجزيه جزاء بمعنى قضيته دينه ومن ذلك قيل جزى الله فلانا عنى خيرا أو شرا بمعنى أثابه عنى وقضاه عنى ما لزمنى له بفعله الذى سلف منه الى وقد قال قوم من أهل العلم بلغة العرب يقال

(١) قوله ويمكن أن يقال بل الخ هكذا فى الاصل ولعل فى الكلام تحريفا أو سقطا فليحرر كتبه مصححه

جرم الارض تقدم خلقه خلق السماء وأما دحوها فتأخر وعن الحسن خلق الله الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم أصعد الدخان وخلق منه السموات وأمسك الفهر في موضعه وبسط منه الارض فذلك قوله كانتا رتقا وهو الالتزاق و زيف بان الارض جسم عظيم يمتنع انفكاك خلقها عن التدحية وأيضا قوله تعالى خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء يدل على أن خلق الارض وخلق ما فيها مقدم على خلق السماء لان خلق الاشياء في الارض لا يمكن الا اذا كانت مدحوة وقال بعض العلماء في دفع التناقض قوله والارض بعد ذلك دحاها يقتضي تقدم خلق السماء على الارض ولا يقتضي أن تكون تسوية السماء مقدمة على خلق الارض وزيف أيضا بان قوله أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها والارض بعد ذلك دحاها يقتضي أن يكون خلق السماء وتسويتها مقدما على تدحية الارض بل على خلقها لانهما متلازمان وحينئذ يعود التناقض والمعتمد عند بعضهم في دفعه أن يقال ثم ليس للترتيب ههنا وانما هو على جهة تعديد النعم مثاله أن تقول لغيرك ألست قد أعطيتك نعما عظيمة ثم رفعت قدرك ثم دفعت عنك الخصوم ولعل بعض ما أخرته في الذكر مقدم في الوقوع (قلت) وهذا صحيح معقول من حيث ابتداء الوجود من الاشرف فالاشرف والالطف فالالطف ان ساعده النقل والا فلا احالة في أنه تعالى خلق الارض أولا في غاية الصغر وجعل فيها أصول الجبال ووضع فيها البركة وقدر الاقوات ثم استوى الى السماء فسواهن سبعا ثم دحا الارض بان جعلها أعظم مما كانت عليه كهيئتها الآن والله تعالى أعلم والضمير في سواهن ضمير مبهم وسبع سموات تفسيره نحو ربه رجلا وفائدة الابهام أولا ثم البيان ثانيا أن الكلام هكذا أوقع في النفس لان المحصول بعد الطلب أعز من المنساق بلا تعب وقيل الضمير راجع الى السماء والسماء في معنى الجنس وقيل جمع سماءة والوجه العربي هو الاول ومعنى تسويتهن تعديل خلقهن وتقويمه واخلاؤه من العوج والفطور أو اتمام خلقهن وهو بكل شيء عليم فمن ثم خلقهن خلقا مستويا محكما من غير تفاوت مع خلق ما في الارض على حسب الحاجات وكفاء المصالح ومقتضى الحكمة والتدبير وهذا عام لم يدخله التخصيص قطعا وبه يهدم بناء من زعم أنه غير عالم بالجزئيات لانه تعالى لو لم يعرف تفاصيلها لم تكن

أجزيت عنه كذا اذا أعنته عليه وجزيت عنك فلانا اذا كافأته وقال آخرون منهم بل جزيت عنك قضيت عنك وأجزيت كفيت وقال آخرون منهم بل هما بمعنى واحد يقال جزت عنك شاة وأجزت وجزى عنك درهم وأجزى ولا تجزي عنك شاة ولا تجزي بمعنى واحد الا أنهم ذكروا أن جزت عنك ولا تجزي عنك من لغة أهل الحجاز وان أجزأ وتجزئ من لغة غيرهم وزعموا أن تميما خاصة من بين قبائل العرب تقول أجزأت عنك شاة وهي تجزئ عنك وزعم آخرون أن جزى بلا همز قضى وأجزأ بالهمز كافأ فمعنى الكلام اذا واتقوا يوما لا تقضي نفس عن نفس شيأ ولا تغني عنها غنى

فان قال لنا قائل وما معنى لا تقضي نفس عن نفس ولا تغني عنها غنى قيل هو أن أحدنا اليوم ربما قضى عن ولده أو والده أو ذي الصداقة والقرابة دينه وأما في الآخرة فانه فيما أتتنا به الاخبار عنها يسر الرجل أن يبرد له على ولده أو والده حق وذلك أن قضاء الحقوق في القيامة من الحسنات والسيآت كما

حدثنا أبو كريب ونصر بن عبد الرحمن الاودي قال حدثنا المحاربي عن أبي خالد الدولابي يزيد بن عبد الرحمن عن زيد بن أبي أنيسة عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله عبدا كانت عنده لأخيه مظلمة في عرض قال أبو بكر في حديثه أو مال أو جاه فاستحله قبل أن يؤخذ منه وليس ثم دينار ولا درهم فان كانت له حسنات أخذوا من حسناته وان لم تكن له حسنات حملوا عليه من سيآتهم

حدثنا أبو عثمان المقدمي قال حدثنا الفروي قال حدثنا مالك عن المقبري عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه

حدثنا خلاد بن أسلم قال حدثنا أبو همام الاهوازي قال أخبرنا عبد الله بن سعيد عن سعيد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه

حدثني موسى بن سهل الرملي قال حدثنا نعيم بن حماد قال حدثنا عبد العزيز الدراوردي عن عمرو بن أبي عمرو عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموتن أحدكم وعليه دين فانه ليس هناك دينار ولا درهم انما يقتسمون هنالك الحسنات والسيآت وأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده يمينا وشمالا

حدثني محمد بن اسحق قال حدثنا سالم بن قادم قال حدثنا أبو معاوية هاشم بن عيسى قال أخبرني الحرث بن مسلم عن الزهري عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو حديث أبي هريرة

(قال أبو جعفر) فذلك معنى قوله جل ثناؤه ولا تجزي نفس عن نفس شيأ يعني أنها لا تقضي عنها شيأ لزمها لغيرها لان القضاء هنالك من الحسنات والسيآت على ما وصفنا وكيف يقضي عن غيره ما لزمه من كان يسره أن يثبت له على ولده أو والده حق فيأخذه منه ولا يتجافى له عنه وقد زعم بعض نحويي البصرة أن معنى قوله لا تجزي نفس عن نفس شيأ لا تجزي منها أن تكون مكانها وهذا قول يشهد ظاهر القرآن على فساده وذلك أنه غير معقول في كلام العرب أن يقول القائل ما أغنيت عني شيأ بمعنى ما أغنيت مني أن تكون مكاني بل اذا أرادوا الخبر عن شيء أنه لا يجزي من شيء قالوا لا يجزي هذا من هذا ولا يستجيزون أن يقولوا لا يجزي هذا من هذا شيأ فلو كان تأويل قوله لا تجزي نفس عن نفس شيأ ما قاله من حكينا قوله لقال واتقوا يوما لا تجزي نفس عن

نفس

مخلوقاته على غاية الاتقان والاحكام فسبحانه من خبير يعلم الذرة فى الاجواف والدرة فى الاصداف والقطرة فى البحر والخطرة فى النحر وعلى هذ
يدور نظام العالم وبه يحصل قوام مناهج بنى آدم ثم ان العقل قد يدل على وجود سبع سموات وتخصيص عدد بالذكر لا يدل على نفى الزائد فاثبت
أهل الارصاد تسعة أفلاك على ما استقر عليه رأيهم أولها من الجانب الاعلى للحركة اليومية لان هذه الحركة تشمل جميع الاجرام فيجب أن
يكون فلكها حاويا للكل وثانيها للثوابت جميعها لتحديد الادنى الدرجات لاتحاد الحركات وان كان كونها على أفلاك شتى

نفس كما يقال لا تجزى نفس من نفس ولم يقل لا تجزى نفس عن نفس شيأ وفى صحة التنزيل بقوله لا تجزى نفس عن نفس شيأ أوضح الدلالة على صحة ما قلنا وفساد قول من ذكرنا قوله فى ذلك

القول فى تأويل قوله عز وجل (ولا تقبل منها شفاعة) قال أبو جعفر والشفاعة مصدر من قول الرجل شفع لى فلان الى فلان شفاعة وهو طلبه اليه فى قضاء حاجته وانما قيل للشفيع شفيع وشافع لانه ثنى المستشفع له فصار له شفعا فكان ذو الحاجة قبل استشفاعه به فى حاجته فردا فصار صاحبه له فيها شافعا وطلبه فيه وفى حاجته شفاعة ولذلك سمى الشفيع فى الدار وفى الارض شفيعا لمصير البائع به شفعا فتأويل الآية اذا واتقوا يوما لا تقضى نفس عن نفس حقا لزمها لله جل ثناؤه ولا لغيره ولا يقبل الله منها شفاعة شافع فيترك لها ما لزمها من حق وقيل ان الله عز وجل خاطب أهل هذه الآية بما خاطبهم به فيها لانهم كانوا من يهود بنى اسرائيل وكانوا يقولون نحن أبناء الله وأحباؤه وأولاد أنبيائه وسيشفع لنا عنده آباؤنا فأخبرهم الله جل وعز أن نفسا لا تجزى عن نفس شيأ فى القيامة ولا يقبل منها شفاعة أحد فيها حتى يستوفى لكل ذى حق منها حقه **كما حدثنى** عباس ابن أبى طالب قال حدثنا حجاج بن نصير عن شعبة عن العوام بن مزاحم رجل من قيس بن ثعلبة عن أبى عثمان النهدى عن عثمان بن عفان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الجماء لتقتص من القرناء يوم القيامة كما قال الله عز وجل ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيأ الآية فآيسهم الله جل ذكره مما كانوا أطمعوا فيه أنفسهم من النجاة من عذاب الله مع تكذيبهم بما عرفوا من الحق وخلافهم أمر الله فى اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وما جاءهم به من عنده بشفاعة آبائهم وغيرهم من الناس كلهم وأخبرهم أنه غير نافعهم عنده الا التوبة اليه من كفرهم والانابة من ضلالهم وجعل ما سن فيهم من ذلك اماما لكل من كان على مثل منهاجهم لئلا يطمع ذو إلحاد فى رحمة الله وهذه الآية وان كان مخرجها عاما فى التلاوة فان المراد بها خاص فى التأويل لتظاهر الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال شفاعتى لاهل الكبائر من أمتى وأنه قال ليس من نبى الا وقد أعطى دعوة وانى اختبأت دعوتى شفاعة لأمتى وهى نائلة ان شاء الله منهم من لا يشرك بالله شيأ فقد تبين بذلك أن الله جل ثناؤه قد يصفح لعباده المؤمنين بشفاعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لهم عن كثير من عقوبة اجرامهم بينه وبينهم وأن قوله ولا يقبل منها شفاعة انما هى لمن مات على كفره غير تائب الى الله عز وجل وليس هذا من مواضع الاطالة فى القول فى الشفاعة والوعد والوعيد فنستقصى الحجاج فى ذلك وسنأتى على ما فيه الكفاية فى مواضعه ان شاء الله تعالى

القول فى تأويل قوله تعالى (ولا يؤخذ منها عدل) قال أبو جعفر والعدل فى كلام العرب بفتح العين الفدية **كما حدثنا** به المثنى بن ابراهيم قال حدثنا آدم قال حدثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبى العالية ولا يؤخذ منها عدل قال يعنى فداء **وحدثنى** موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط بن نصر عن السدى ولا يؤخذ منها عدل أما عدل فيعدلها من العدل يقول لو جاءت بملء الارض ذهبا تفتدى به ما تقبل منها **حدثنا** الحسن بن يحيى قال

جائزا والسبعة الباقية للسيارات السبعة جميع ذلك بوجود اختلاف المنظر وعدمه وعلى ترتيب خسف بعضها بعضا أولها مما يلينا للقمر وفوقه لعطارد ثم للزهرة ثم للشمس ثم للمريخ ثم للمشترى ثم لزحل ونازعهم بعض الناس فى زيادة الفلكين الثامن والتاسع فقال من المحتمل أن تتصل نفس بمجموع السبعة فتحركها حركة الكل ثم يكون لكل فلك نفس على حدة تحركه حركته الخاصة به وتكون الثوابت على محدب ممثل زحل مثلا وبالجملة فلم يتبين لاحد من الاوائل والاواخر كمية أعداد السموات على ما هى عليه لا عقلا ولا سمعا وما يعلم جنود ربك الا هو وما هى الا ذكرى للبشر (واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى أعلم ما لا تعلمون) القرآآت خليفة وأشباهها بالامالة عند الوقف أبو عمرو وحمزة وعلى والاعشى والبرجمى الا أن يكون قبلها من الحروف الموانع السبع وهى الصاد والضاد والطاء والظاء والغين والخاء والقاف نحو خاصة وفريضة وحطة وغلظة وصبغة وصاخة وشقة وأما العين والحاء والراء فعلى الاختلاف عند أهل المدينة فأشدهم امالة حمزة وعلى فاما أبو عمرو والاعشى والبرجمى فانهم يميلون بين الفتح والكسر والى الفتح أقرب انى أعلم بفتح الياء ابن كثير وأبو جعفر ونافع وأبو عمرو * الوقوف خليفة (ط) بناء على ان عامل اذ محذوف أى اذكر ومن جعل قالوا عامل اذ وصل الدماء (ج) لان انتهاء الاستفهام على قوله ويسفك الدماء يقتضى الفصل واحتمال الواو لمعنى الحال فى قوله ونحن نسبح بحمدك يقتضى الوصل ونقدس لك (ط) ما لا تعلمون (ه) * التفسير هذا ابتداء الاخبار عن كيفية خلق آدم عليه السلام وعن كيفية تعظيمه اياه فينخرط فى سلك ما تقدمه من النعم فان النعمة على الآباء نعمة

أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله ولا يؤخذ منها عدل قال لو جاءت بكل شئ لم يقبل منها حدثنا القاسم بن الحسن قال حدثنا حسين قال حدثنى حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد قال ابن عباس ولا يؤخذ منها عدل قال بدل والبدل الفدية حدثنى يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ولا يؤخذ منها عدل قال لو أن لها ملء الارض ذهبا لم يقبل منها فداء قال ولو جاءت بكل شئ لم يقبل منها وحدثنى نجيح بن ابراهيم قال حدثنا على بن حكيم قال حدثنا حميد بن عبد الرحمن عن أبيه عن عمرو بن قيس الملائى عن رجل من بنى أمية من أهل الشام أحسن عليه الثناء قال قيل يا رسول الله ما العدل قال العدل الفدية وانما قيل للفدية من الشئ والبدل منه عدل لمعادلته اياه وهو من غير جنسه ومصيره له مثلا من وجه الجزاء لا من وجه المشابهة فى الصورة والخلقة كما قال جل ثناؤه وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها بمعنى وان تفد كل فدية لا يؤخذ منها يقال منه هذا عدله وعديله وأما العدل بكسر العين فهو مثل الحمل المحمول على الظهر يقال من ذلك عندى غلام عدل غلامك وشاة عدل شاتك بكسر العين اذا كان غلام يعدل غلاما وشاة تعدل شاة وكذلك ذلك فى كل مثل للشئ من جنسه فاذا أريد أن عنده قيمته من غير جنسه نصبت العين فقيل عندى عدل شاتك من الدراهم وقد ذكر عن بعض العرب أنه يكسر العين من العدل الذى هو بمعنى الفدية لمعادلة ما عادله من جهة الجزاء وذلك لتقارب معنى العدل والعدل عندهم فاما واحد الاعدال فلم يسمع فيه الا عدل بكسر العين ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ولا هم ينصرون) وتأويل قوله ولا هم ينصرون يعنى أنهم يومئذ لا ينصرهم ناصر كما لا يشفع لهم شافع ولا يقبل منهم عدل ولا فدية بطلت هنالك المحاباة واضمحلت الرشا والشفاعات وارتفع من القوم التعاون والتناصر وصار الحكم الى العدل الجبار الذى لا ينفع لديه الشفعاء والنصراء فيجزى بالسيئة مثلها وبالحسنة أضعافها وذلك نظير قوله جل ثناؤه وقفوهم انهم مسؤلون مالكم لا تناصرون بل هم اليوم مستسلمون وكان ابن عباس يقول فى معنى لا تناصرون ما حدثت به عن المنجاب قال حدثنا بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس مالكم لا تناصرون مالكم لا تمانعون منا هيهات ليس ذلك لكم اليوم وقد قال بعضهم فى معنى قوله ولا هم ينصرون وليس لهم من الله يومئذ نصير ينتصر لهم من الله اذا عاقبهم وقد قيل ولا هم ينصرون بالطلب فيهم والشفاعة والفدية قال أبو جعفر والقول الاول أولى بتأويل الآية لما وصفنا من أن الله جل ثناؤه انما أعلم المخاطبين بهذه الآية أن يوم القيامة يوم لا فدية لمن استحق من خلقه عقوبته ولا شفاعة فيه ولا ناصر له وذلك أن ذلك قد كان لهم فى الدنيا فأخبر أن ذلك يوم القيامة معدوم لا سبيل لهم اليه ۞ القول فى تأويل قوله (واذ نجيناكم من آل فرعون) أما تاويل قوله واذ نجيناكم فانه عطف على قوله يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى فكأنه قال اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم واذكروا انعامنا عليكم اذ نجيناكم من آل فرعون بانجائنا لكم منهم وأما آل فرعون فانهم أهل دينه وقومه وأشياعه وأصل آل أهل أبدلت الهاء همزة كما قالوا ماء فابدلوا الهاء همزة فاذا صغروه قالوا

على الابتداء واذ ههنا مجرد لمعنى الظرفية أى اذكر وقت قول ربك كقوله واذكر أخا عاد اذ أنذر أى وقت انذاره على أنه بدل من أخا عاد لان الذكر فى ذلك الوقت ممتنع والخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم أو لكل واحد من بنى آدم ويجوز أن ينتصب بقالوا فيكون للمجازاة * والملائكة جمع ملأك وأصله مألك بتقديم الهمزة من الالوكة وهى الرسالة ثم قلبت وقدمت اللام فقيل ملأك وجمع على فعائل مثل شمأل وشمائل ثم تركت همزة المفرد لكثرة الاستعمال وألقيت حركتها على اللام والحاق التاء لتأنيث الجمع نحو حجارة وقد لا تلحق * واعلم أن الملك قبل النبى صلى الله عليه وسلم بالشرف والعلية وان كان بعده فى عقولنا وأذهاننا وقد جعله الله واسطة بينه وبين رسله فى تبليغ الوحى والشريعة وقدم ذكر الايمان بالملائكة على ذكر الايمان بالانبياء والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ولا خلاف بين العقلاء فى أن شرف العالم العلوى بالملائكة كما أن شرف العالم السفلى بوجود الانبياء فيه وللناس فى حقيقة الملائكة مذاهب منهم من زعم أنها أجسام لطيفة هوائية تقدر على التشكل باشكال مختلفة مسكنها السموات وهو قول أكثر المسلمين ومنهم عبدة الاوثان القائلون ان الملائكة هى هذه الكواكب الموصوفة بالاسعاد والانحاس وانها أحياء ناطقة فالمسعدات ملائكة الرحمة والمنحسات ملائكة العذاب ومنهم معظم المجوس والثنوية القائلون بالنور والظلمة وانهما عندهم جوهران حساسان مختاران قادران متضادا النفس والصورة مختلفا الفعل والتدبير فجوهر النور فاضل خير نقى طيب الريح كريم النفس يسر ولا يضر وينفع ولا يمنع ويحيى ولا يبلى وجوهر الظلمة ضد ذلك فالنور يولد الاولياء وهم الملائكة لا على سبيل التناكح بل كتولد الحكمة من الحكيم والضوء من المضىء وجوهر الظلمة يولد الاعداء وهم الشياطين كتولد السفه من السفيه ومنهم القائلون بانها جواهر غير متحيزة ثم اختلفوا فقال بعضهم وهم طوائف من النصارى انها هى الانفس الناطقة المفارقة لابدانها فان كانت صافية خيرة فالملائكة وان كانت خبيثة كثيفة فالشياطين وقال آخرون وهم الفلاسفة انها مخالفة لنوع النفوس الناطقة البشرية وانها أكمل قوة وأكثر علما ونسبتها الى النفوس البشرية كنسبة الشمس الى الاضواء فنها نفوس ناطقة فلكية ومنها عقول مجردة ومنهم من أثبت أنواعا أخر

موبه

من الملائكة وهي الارضية المدبرة لاحوال العالم السفلي خيرها الملائكة وشرها الشياطين ولكل من الفرق دلائل على ما ذهب اليه بطول ذكرها ههنا وقد يستدل عليها أصحاب المجاهدات من جهة المكاشفة وأصحاب الحاجات والضرورات من جهة مشاهدة آثار المعونة والهداية الى المعالجات النادرة الغريبة وتركيب المعجونات واستخراج صنعة الترياقات كما يحكى أنه كان لجالينوس وجع في الكبد فرأى في المنام كان امرأ يأمره أن يفصد الشريان الذي على ظهر كفه اليمنى بين السبابة والابهام ففعل فعوفي ومما يدل على ذلك حال الرؤيا الصادقة ولا نزاع البتة بين الانبياء عليهم السلام في اثبات الملائكة وذلك كالامر المجمع عليه بينهم وأما شرح كثرتهم فقد قال صلى الله عليه وسلم أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع قدم الا وفيه ملك ساجد أو راكع وروى ان بني آدم عشر الجن والجن وبنو آدم عشر حيوانات البر وهؤلاء كلهم عشر الطيور وهؤلاء كلهم عشر حيوانات البحر وهؤلاء كلهم عشر ملائكة الارض الموكلين وكل هؤلاء عشر ملائكة السماء الدنيا وكل هؤلاء عشر ملائكة السماء الثانية وعلى هذا الترتيب الى ملائكة السماء السابعة ثم الكل في مقابلة ملائكة الكرسي نزر قليل ثم كل هؤلاء عشر ملائكة السرادق الواحد من سرادقات العرش التي عددها ستمائة ألف طول كل سرادق وعرضه وسمكه اذا قوبلت به السموات والارض وما فيها فانها كلها تكون شيأ يسيرا وقدرا قليلا وما مقدار موضع قدم الا وفيه ملك ساجد أو راكع أو قائم لهم زجل بالتسبيح والتقديس ثم كل هؤلاء في مقابلة الملائكة الذين يحومون حول العرش كالقطرة في البحر ولا يعرف عددهم الا الله ثم مع هؤلاء ملائكة اللوح الذين هم أشياع اسرافيل صلى الله عليه وسلم والملائكة الذين هم جنود جبريل وهم كلهم سامعون مطيعون لا يستكبرون عن عبادته ولا يسأمون * وأما أصنافهم فمنهم حملة العرش ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ومنهم أكابر الملائكة جبرائيل صاحب الوحي والعلم وميكائيل صاحب الرزق والغذاء واسرافيل صاحب الصور وعزرائيل ملك الموت ومنهم ملائكة الجنة والملائكة يدخلون عليهم من كل باب ومنهم ملائكة النار عليها تسعة عشر ومنهم الموكلون ببني آدم عن اليمين وعن الشمال قعيد ومنهم الموكلون باحوال هذا العالم والصافات صفا وأما أوصافهم فكما قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه منهم سجود لا يركعون وركوع لا ينتصبون

مويه فردوا الهاء في التصغير وأخرجوه على أصله وكذلك اذا صغروا آل قالوا أهيل وقد حكي سماعا من العرب في تصغير آل أويل وقد يقال فلان من آل النساء يراد به أنه منهن خلق ويقال ذلك أيضا بمعنى انه يريدهن ويهواهن كما قال الشاعر

فانك من آل النساء وانما * يكن لأدنى لا وصال لغائب

وأحسن أماكن آل أن ينطق به مع الاسماء المشهورة مثل قولهم آل النبي محمد صلى الله عليه وسلم وآل علي وآل عباس وآل عقيل وغير مستحسن استعماله مع المجهول وفي أسماء الارضين وما أشبه ذلك غير حسن عند أهل العلم بلسان العرب أن يقال رأيت آل الرجل ورأني آل المرأة ولا رأيت آل البصرة وآل الكوفة وقد ذكر عن بعض العرب سماعا أنها تقول رأيت آل مكة وآل المدينة وليس ذلك في كلامهم بالمستعمل الفاشي وأما فرعون فانه يقال انه اسم كانت ملوك العمالقة بمصر تسمى به كما كانت ملوك الروم يسمى بعضهم قيصر وبعضهم هرقل وكما كانت ملوك فارس تسمى الاكاسرة واحدهم كسرى وملوك اليمن تسمى التبابعة واحدهم تبع وأما فرعون موسى الذي أخبر الله تعالى عن بني اسرائيل أنه نجاهم منه فانه يقال ان اسمه الوليد بن مصعب بن الريان وكذلك ذكر محمد بن اسحق أنه بلغه عن اسمه حدثنا بذلك محمد بن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن اسحق أن اسمه الوليد بن مصعب بن الريان وانما جاز أن يقال واذ نجيناكم من آل فرعون والخطاب به لمن لم يدرك فرعون ولا المنجين منه لان المخاطبين بذلك كانوا أبناء من نجاهم من فرعون وقومه فأضاف ما كان من نعمه على آبائهم اليهم وكذلك ما كان من كفران آبائهم على وجه الاضافة كما يقول القائل لآخر فعلنا بكم كذا وفعلنا بكم كذا وقتلناكم وسبيناكم والمخبر اما أن يكون يعني قومه وعشيرته بذلك أو أهل بلده ووطنه كان المقول له ذلك أدرك ما فعل بهم من ذلك أو لم يدركه كما قال الاخطل يهاجي جرير بن عطية

ولقد سما لكم الهذيل فنالكم * باراب حيث تقسم الانفالا
في فيلق يدعو الاراقم لم تكن * فرسانه عزلا ولا أكفالا

ولم يلق جرير هذيلا ولا أدركه ولا أدرك إراب ولا شهده ولكنه لما كان يوما من أيام قوم الاخطل على قوم جرير أضاف الخطاب اليه والى قومه فكذلك خطاب الله عز وجل من خاطبه بقوله واذ نجيناكم من آل فرعون لما كان فعله ما فعل من ذلك بقوم من خاطبه بالآية وآبائهم أضاف فعله ذلك الذي فعله بآبائهم الى المخاطبين بالآية وقومهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (يسومونكم سوء العذاب) وفي قوله يسومونكم وجهان من التأويل أحدهما أن يكون خبرا مستأنفا عن فعل فرعون ببني اسرائيل فيكون معناه حينئذ واذكروا نعمتي عليكم اذ نجيناكم من آل فرعون وكانوا من قبل يسومونكم سوء العذاب واذا كان ذلك تأويله كان موضع يسومونكم رفعا والوجه الثاني أن يكون يسومونكم حالا فيكون تأويله حينئذ واذ نجيناكم من آل فرعون سائميكم سوء العذاب فيكون حالا من آل فرعون وأما تأويل قوله يسومونكم فانه يوردونكم ويذيقونكم ويولونكم

يقال منه سامه خطة ضيم اذا أولاه ذلك وأذاقه كما قال الشاعر * ان سيم خسفا وجهه تربدا *

فأما تأويل قوله سوء العذاب فانه يعنى ما ساءهم من العذاب وقد قال بعضهم أشد العذاب ولو كان ذلك معناه لقيل أسوأ العذاب فان قال لنا قائل وما ذلك العذاب الذى كانوا يسومونهم الذى كان يسوءهم قيل هو ما وصفه الله تعالى فى كتابه فقال يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وقد قال محمد بن اسحق فى ذلك ما حدثنا به ابن حميد قال حدثنا سلمة قال أخبرنا ابن اسحق قال كان فرعون يعذب بنى اسرائيل فيجعلهم خدما وخولا وصنفهم فى أعماله فصنف يبنون وصنف يزرعون له فهم فى أعماله ومن لم يكن منهم فى صنعة من عمله فعليه الجزية فسامهم كما قال الله عز وجل سوء العذاب وقال السدى جعلهم فى الاعمال القذرة وجعل يقتل أبناءهم ويستحيى نساءهم حدثنى بذلك موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدى * القول فى تأويل قوله تعالى (يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم) قال أبو جعفر وأضاف الله جل ثناؤه ما كان من فعل آل فرعون ببنى اسرائيل من سومهم اياهم سوء العذاب وذبحهم أبناءهم واستحيائهم نساءهم اليهم دون فرعون وان كان فعلهم ما فعلوا من ذلك كان بقوة فرعون وعن أمره لمباشرتهم ذلك بأنفسهم فبين بذلك أن كل مباشر قتل نفس أو تعذيب حى بنفسه وان كان عن أمر غيره ففاعله المتولى ذلك هو المستحق اضافة ذلك اليه وان كان الآمر قاهرا الفاعل المأمور بذلك سلطانا كان الآمر أو لصا خاربا أو متغلبا فاجرا كما أضاف جل ثناؤه ذبح أبناء بنى اسرائيل واستحياء نسائهم الى آل فرعون دون فرعون وان كانوا بقوة فرعون وأمره اياهم بذلك فعلوا ما فعلوا مع غلبته اياهم وقهره لهم فكذلك كل قاتل نفسا بأمر غيره ظلما فهو المقتول عندنا به قصاصا وان كان قتله اياه باكراه غيره له على قتله * وأما تأويل ذبح أبناء بنى اسرائيل واستحيائهم نساءهم فانه كان فيما ذكر لنا عن ابن عباس وغيره كالذى حدثنا به العباس بن الوليد الآملى وتميم بن المنتصر الواسطى قالا حدثنا يزيد بن هرون قال أخبرنا الاصبغ بن زيد قال حدثنا القاسم ابن أيوب قال حدثنا سعيد بن جبير عن ابن عباس قال تذاكر فرعون وجلساؤه ما كان الله وعد ابراهيم خليله أن يجعل فى ذريته أنبياء وملوكا وائتمروا وأجمعوا أمرهم على أن يبعث رجالا معهم الشفار يطوفون فى بنى اسرائيل فلا يجدون مولودا ذكرا الا ذبحوه ففعلوا فلما رأوا أن الكبار من بنى اسرائيل يموتون بآجالهم وأن الصغار يذبحون قال توشكون أن تفنوا بنى اسرائيل فتصيروا الى أن تباشروا من الاعمال والخدمة ما كانوا يكفونكم فاقتلوا عاما كل مولود ذكر فتقل أبناؤهم ودعوا عاما فحملت أم موسى بهارون فى العام الذى لا يذبح فيه الغلمان فولدته علانية آمنة حتى اذا كان القابل حملت بموسى وقد حدثنا عبد الكريم بن الهيثم قال حدثنا ابراهيم بن بشار الرمادى قال حدثنا سفيان بن عيينة قال حدثنا أبو سعيد عن عكرمة عن ابن عباس قال قالت الكهنة لفرعون انه يولد فى هذا العام مولود يذهب بملكك قال فجعل فرعون على كل ألف امرأة مائة رجل وعلى كل مائة عشرة وعلى كل عشرة رجلا فقال انظروا كل

امرأة

وصافون لا يتزايلون ومسبحون لا يسأمون لا يغشاهم نوم العيون ولا سهو العقول ولا فترة الابدان ولا غفلة النسيان ومنهم أمناء على وحيه وألسنة الى رسله ومختلفون بقضائه وأمره ومنهم الحفظة لعباده والسدنة لابواب جنانه ومنهم الثابتة فى الارضين السفلى أقدامهم والمارقة من السماء العليا أعناقهم والخارجة من الاقطار أركانهم والمناسبة لقوائم العرش أكتافهم ناكسة دونه أبصارهم متلفعون بأجنحتهم مضروبة بينهم وبين من دونهم حجب العزة وأستار القدرة

لا يتوهمون ربهم بالتصوير ولا يجرون عليه صفات المصنوعين ولا يحدونه بالاماكن ولا يشيرون اليه بالنظائر ثم انه روى الضحاك عن ابن عباس أنه سبحانه انما قال هذا القول للملائكة الذين كانوا محاربين مع ابليس لان الله تعالى لما أسكن الجن الارض فأفسدوا فيها وسفكوا الدماء وقتل بعضهم بعضا بعث الله ابليس فى جند من الملائكة فأخرجوهم من الارض وألحقوهم بجزائر البحر فقال تعالى لهم انى جاعل فى الارض خليفة وقال الأكثرون من الصحابة والتابعين انه تعالى قال ذلك لجماعة الملائكة من غير تخصيص لان لفظ الملائكة يفيد العموم والتخصيص خلاف الاصل * وجاعل من جعل الذى له مفعولان معناه مصير فى الارض خليفة وانما لم يقل انى خالق كما قال انى خالق بشرا من طين لانه باعتبار الخلافة من عالم الامر لا من عالم الخلق والظاهر أن الارض يراد بها ما بين الخافقين وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أن الارض ههنا أرض مكة التى دحيت الارض من تحتها والخليفة من يخلف غيره ويقوم مقامه والخليفة اسم يصلح للواحد والجمع والمذكر والمؤنث وجمعه خلائف مثل كريمة وكرائم وجاء خلفاء لانهم جمعوه على اسقاط الهاء مثل ظريف وظرفاء والمراد به آدم صلى الله عليه وسلم اما لانه صار خليفة لأولئك الجن الذين تقدموه ويروى ذلك عن ابن عباس واما لانه يخلف الله فى الحكم بين خلقه كقوله ياداود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق وهو المروى عن ابن مسعود والسدى وعن الحسن أن المراد بالخليفة أبناء آدم لانه يخلف بعضهم بعضا ويؤيده قوله وهو الذى جعلكم خلائف الارض وانما وحد بتأويل من يخلف أو خلفا يخلف وبالحقيقة الانسان يخلف جميع المكونات من الروحانيات والجسمانيات والسماويات والارضيات ولا يخلفه شئ منها اذ لم يجتمع فى شئ منها ما اجتمع فيه وليس للعالم مصباح يضئ بنار

نورالله فيظهر أنوار صفاته خلافة عنه الامصباح الانسان لانه أعطى مصباح السرفى زجاجة القلب والزجاجة فى مشكاة الجسد وفى زجاجة
القلب زيت الروح يكاد زيتها يضيء من صفاء العقل ولولم تمسسه نار النور وفى مصباح السرفتيلة الخفاء فاذا استنار مصباحه بنار نورالله كان
خليفة الله فى أرضه فيظهر أنوار صفاته فى هذا العالم بالعدل والاحسان والرأفة والرحمة واللطف والقهر ولا تظهر هذه الصفات لا على الحيوان
ولا على الملك فاعلم والفائدة فى اخبار الملائكة بذلك اما تعليم العباد المشاورة فى (٢١٥) أمورهم وان كان هو بحكمته البالغة غنيا عن ذلك
واما ليسئلوا ذلك السؤال ويجابوا
بما أجيبوا واعلم أن الجمهور من
علماء الدين على أن الملائكة كلهم
معصومون عن جميع الذنوب لقوله
تعالى يخافون ربهم من فوقهم
ويفعلون ما يؤمرون فلا شئ من
المأمورات بل ومن المنهيات لان
المنهى مأمور بتركه الاو يدخل
فيه بدليل صحة الاستثناء وأيضا قوله
بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول
وهم بامره يعملون يسبحون الليل
والنهار لا يفترون الى غير ذلك من
الآيات وطعن فيهم بعض الحشوية
بانهم قالوا أتجعل والاعتراض على
الله من أعظم الذنوب وأيضا نسبوا
بنى آدم الى القتل والفساد وهذا
غيبة وهى من أعظم الكبائر وأيضا
مدحوا أنفسهم بقولهم ونحن
نسبح بحمدك وهو عجب وأيضا
قولهم لا علم لنا الا ما علمتنا اعتذار
والعذر دليل الذنب وأيضا قوله تعالى
ان كنتم صادقين دل على أنهم كانوا
كاذبين فيما قالوه وأيضا قوله ألم أقل
لكم انى أعلم غيب السموات والارض
يدل على أنهم كانوا مرتابين فى أنه
تعالى عالم بكل المعلومات وأيضا علمهم
بالافساد وسفك الدماء اما بالوحى
وهو بعيد والا لم يكن لاعادة الكلام
فائدة واما بالاستنباط والظن وهو
منهى ولا تقف ما ليس لك به علم
وأيضا قصة هاروت وماروت وان ابليس كان من الملائكة المقربين ثم عصى الله وكفر والجواب عن اعتراضهم على الله أن غرضهم
من ذلك السؤال لم يكن هو الانكار ولا تنبيه الله على شئ لا يعلمه فان هذا الاعتقاد كفر وانما المقصود من ذلك أمور منها أن الانسان اذا كان
قاطعا بحكمة غيره ثم رآه يفعل فعلا لا يهتدى ذلك الانسان الى وجه الحكمة فيه استفهم عن ذلك متعجبا فكأنهم قالوا اعطاء هذه النعم
العظام من يفسد ويسفك لا تفعله الا لوجه دقيق وسر غامض فما أبلغ حكمتك ومنها ان ابداء الاشكال طلبا للجواب غير محذور

امرأة حامل فى المدينة فاذا وضعت حملها فانظروا اليه فان كان ذكرا فاذبحوه وان كان أنثى
فخلوا عنها وذلك قوله يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم حدثنى
المثنى بن ابراهيم قال حدثنا آدم قال حدثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبى العالية فى قوله واذ
نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب قال ان فرعون ملكهم أربعمائة سنة فقالت
الكهنة انه سيولد العام بمصر غلام يكون هلاكك على يديه فبعث فى أهل مصر نساء قوابل فاذا
ولدت امرأة غلاما أتى به فرعون فقتله ويستحيى الجوارى وحدثنى المثنى قال حدثنا اسحق
ابن الحجاج قال حدثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس فى قوله واذ نجيناكم
من آل فرعون الآية قال ان فرعون ملكهم أربعمائة سنة وانه أتاه آت فقال انه سينشأ فى مصر
غلام من بنى اسرائيل فيظهر عليك ويكون هلاكك على يديه فبعث فى مصر نساء فذكر نحو
حديث آدم وحدثنى موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط بن نصر
عن السدى قال كان من شأن فرعون أنه رأى فى منامه أن نارا أقبلت من بيت المقدس حتى
اشتملت على بيوت مصر فاحرقت القبط وتركت بنى اسرائيل وأخربت بيوت مصر فدعا
السحرة والكهنة والعافة والقافة والحازة فسألهم عن رؤياه فقالوا له يخرج من هذا البلد الذى جاء
بنو اسرائيل منه يعنون بيت المقدس رجل يكون على وجهه هلاك مصر فأمر ببنى اسرائيل
أن لا يولد لهم غلام الا ذبحوه ولا تولد لهم جارية الا تركت وقال للقبط انظروا مملوكيكم الذين
يعملون خارجا فأدخلوهم واجعلوا بنى اسرائيل يلون تلك الاعمال القذرة فجعل بنى اسرائيل فى
أعمال غلمانهم وأدخلوا غلمانهم فذلك حين يقول الله تبارك وتعالى ان فرعون علا فى الارض
يقول تجبر فى الارض وجعل أهلها شيعا يعنى بنى اسرائيل حين جعلهم فى الاعمال القذرة
يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم فجعل لا يولد لبنى اسرائيل مولود الا ذبح فلا يكبر الصغير
وقذف الله فى مشيخة بنى اسرائيل الموت فاسرع فيهم فدخل رؤس القبط على فرعون فكلموه
فقالوا ان هؤلاء قد وقع فيهم الموت فيوشك أن يقع العمل على غلماننا نذبح أبناءهم فلا تبلغ الصغار
وتفنى الكبار فلو أنك كنت تبقى من أولادهم فامر أن يذبحوا سنة ويتركوا سنة فلما كان فى
السنة التى لا يذبحون فيها ولد هارون فترك فلما كان فى السنة التى يذبحون فيها حملت بموسى
حدثنا محمد بن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن اسحق قال ذكر لى أنه لما تقارب زمان موسى أتى منجمو
فرعون وأحزابه اليه فقالوا له نعم انا نجد فى علمنا أن مولودا من بنى اسرائيل قد أظلك زمانه الذى
يولد فيه يسلبك ملكك ويغلبك على سلطانك ويخرجك من أرضك ويبدل دينك فلما قالوا له
ذلك أمر بقتل كل مولود يولد من بنى اسرائيل من الغلمان وأمر بالنساء يستحيين فجمع القوابل من
نساء مملكته فقال لهن لا يسقطن على أيديكن غلام من بنى اسرائيل الا قتلتنه فكن يفعلن ذلك
وكان يذبح من فوق ذلك من الغلمان ويأمر بالحبالى فيعذبن حتى يطرحن ما فى بطونهن حدثنا

فكأنه قيل الهنا أنت الحكيم الذي لا يفعل السفه البتة وتمكين السفيه من السفه قبيح من الحكيم فكيف يمكن الجمع بين الامرين وهذا جواب المعتزلة واستدلوا به على أن الملائكة لم يجوزوا صدور القبيح من الله تعالى فكانوا على مذهب أهل العدل قالوا ومما يؤكد ذلك أنهم أضافوا الفساد وسفك الدماء الى المخلوقين لا الى الخالق وأيضا قالوا ونحن نسبح بحمدك والتسبيح تنزيه ذاته عن صفة الاجسام ونقدس لك والتقديس تنزيه أفعاله عن صفة الذم ونعت السفه ومنها ان الخيرات في هذا العالم غالبة على شرورها وترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شر كثير فالملائكة نظروا الى الشرور فأجابهم الله تعالى بقوله انى أعلم مالا تعلمون أى من الخيرات الكثيرة التى لا يتركها الحكيم لاجل الشر القليل وهذا جواب الحكيم ومنها أن سؤالهم كان على وجه المبالغة فى اعظام الله تعالى فان العبد المخلص لشدة حبه لمولاه يكره أن يكون له عبد يعصيه ومنها أن قولهم أتجعل مسئلة منهم أن يجعل الارض أو بعضها لهم ان كان ذلك صلاحا نحو قول موسى أتهلكنا بما فعل السفهاء منا أى لا تهلك فقال تعالى انى أعلم مالا تعلمون من صلاحكم وصلاح هؤلاء فبين أن الاختيار لهم السماء ولهؤلاء الارض ليرضى كل فريق بما اختار الله له ومنها أن هذا الاستفهام خارج مخرج الايجاب كقول جرير

* ألستم خير من ركب المطايا *

أى أنتم كذلك والا لم يكن مدحا فكأنهم قالوا انك تفعل ذلك ونحن مع هذا نسبح بحمدك لانا نعلم فى الجملة أنك لا تفعل الا الصواب والحكمة فقال تعالى انى أعلم مالا تعلمون فانتم علمتم ظاهرهم وهو الفساد والقتل وأنا أعلم ظاهرهم وما فى باطنهم من الاسرار الخفية التى تقتضى ايجادهم وفيه أن استحقاق تلك الخلافة ليس بكثرة الطاعة ولكنه بسابق العناية وانه تعالى غنى عن طاعة المطيعين كما أنه لا تضره معصية المذنبين والجواب عن الغيبة أن من أراد ايراد السؤال وجب أن يتعرض لمحل الاشكال فلذلك ذكروا الفساد والسفك لا للغيبة وعن العجب أن مدح النفس غير ممنوع منه مطلقا وأما بنعمة ربك فحدث فكأنهم قالوا ما سألناك للقدح فى حكمتك يارب فانا نعترف لك بالالهية والحكمة بل لطلب وجه الحكمة وعن الاعتذار انه لم يكن للذنب بل لان ترك السؤال كان أولى وروى عن الحسن وقتادة أن الله تعالى لما أخذ فى خلق آدم همست الملائكة فيما بينهم وقالوا ليخلق ربنا ما شاء أن

ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن عبد الله بن أبى نجيح عن مجاهد قال لقد ذكر أنه كان ليأمر بالقصب فيشق حتى يجعل أمثال الشفار ثم يصف بعضه الى بعض ثم يؤتى بالحبالى من بنى اسرائيل فيوقفن عليه فيحز أقدامهن حتى ان المرأة منهن لتمصع بولدها فيقع من بين رجليها فتظل تطؤه تتقى به حد القصب عن رجلها لما بلغ من جهدها حتى أسرف فى ذلك وكاد يفنيهم فقيل له أفنيت الناس وقطعت النسل وانهم خولك وعمالك فامر أن يقتل الغلمان عاما ويستحيوا عاما فولد هارون فى السنة التى يستحيا فيها الغلمان وولد موسى فى السنة التى فيها يقتلون قال أبو جعفر والذى قاله من ذكرنا قوله من أهل العلم كان ذبح آل فرعون أبناء بنى اسرائيل واستحياؤهم نساءهم فتأويل قوله اذا على ما تأوله الذين ذكرنا قولهم ويستحيون نساءهم يستبقونهن فلا يقتلونهن وقد يجب على تأويل من قال بالقول الذى ذكرنا عن ابن عباس وأبى العالية والربيع ابن أنس والسدى فى تأويل قوله ويستحيون نساءكم انه تركهم الاناث من القتل عند ولادتهن اياهن أن يكون جائزا أن تسمى الطفلة من الاناث فى حال صباها وبعد ولادها امرأة والصبايا الصغار وهن أطفال نساء لانهم تأولوا قول الله جل وعز ويستحيون نساءكم يستبقون الاناث من الولدان عند الولادة فلا يقتلونهن وقد أنكر ذلك من قولهم ابن جريج فقال بما حدثنا به القاسم ابن الحسن قال حدثنا الحسين بن داود قال حدثنى حجاج عن ابن جريج قوله ويستحيون نساءكم قال يسترقون نساءكم فحاد ابن جريج بقوله هذا عما قاله من ذكرنا قوله فى قوله ويستحيون نساءكم انه استحياء الصبايا الاطفال قال اذ لم نجدهن يلزمهن اسم نساء ثم دخل فيما هو أعظم مما أنكر بتأويله ويستحيون يسترقون وذلك تأويل غير موجود فى لغة عربية ولا عجمية وذلك أن الاستحياء انما هو الاستفعال من الحياة نظير الاستبقاء من البقاء والاستسقاء من السقى وهو من معنى الاسترقاق بمعزل وقد قال آخرون قوله يذبحون أبناءكم بمعنى يذبحون رجالكم آباء أبنائكم وأنكروا أن يكون المذبوحون الاطفال وقد قرن بهم النساء فقالوا فى اخبار الله جل ثناؤه ان المستحيين هم النساء الدلالة الواضحة على أن الذين كانوا يذبحون هم الرجال دون الصبيان لان المذبحين لو كانوا هم الاطفال لوجب أن يكون المستحيون هم الصبايا قالوا وفى اخبار الله عز وجل انهم النساء ما يبين أن المذبحين هم الرجال وقد أغفل قائلو هذه المقالة مع خروجهم من تأويل أهل التأويل من الصحابة والتابعين موضع الصواب وذلك أن الله جل ثناؤه قد أخبر عن وحيه الى أم موسى أنه أمرها ان ترضع موسى فاذا خافت عليه أن تلقيه فى التابوت ثم تلقيه فى اليم فمعلوم بذلك أن القوم لو كانوا انما كانوا يقتلون الرجال ويتركون النساء لم يكن بأم موسى حاجة الى القاء موسى فى اليم أو لو أن موسى كان رجلا لم تجعله أمه فى التابوت ولكن ذلك عندنا على ما تأوله ابن عباس ومن حكينا قوله قبل من ذبح آل فرعون الصبيان وتركهم من القتل الصبايا وانما قيل ويستحيون نساءكم اذ كان الصبايا داخلات مع أمهاتهن وأمهاتهن لا شك نساء فى الاستحياء لانهم لم يكونوا يقتلون صغار النساء ولا كبارهن فقيل ويستحيون نساءكم يعنى بذلك الوالدات والمولودات

والمولودات كما يقال قد أقبل الرجال وان كان فيهم صبيان فكذلك قوله ويستحيون نساءكم وأما من الذكور فانه لما لم يكن يذبح الا المولودون قيل يذبحون أبناءكم ولم يقل يذبحون رجالكم

﴿ القول في تأويل قوله تعالى ذكره (وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم) أما قوله وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم فانه يعني وفي الذي فعلنا بكم من انجائنا اياكم مما كنتم فيه من عذاب آل فرعون اياكم على ما وصفت بلاء لكم من ربكم عظيم ويعني بقوله بلاء نعمة كما **حدثني** المثنى بن ابراهيم قال حدثنا أبو صالح قال حدثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله بلاء من ربكم عظيم قال نعمة **وحدثني** موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدي في قوله وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم أما البلاء فالنعمة وحدثنا سفيان قال حدثنا أبي عن سفيان عن رجل عن مجاهد وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم قال نعمة من ربكم عظيمة **حدثني** المثنى قال حدثنا أبو حذيفة قال حدثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثل حديث سفيان **حدثني** القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم قال نعمة عظيمة وأصل البلاء في كلام العرب الاختبار والامتحان ثم يستعمل في الخير والشر لان الامتحان والاختبار قد يكون بالخير كما يكون بالشر كما قال الله جل ثناؤه وبلوناهم بالحسنات والسيآت لعلهم يرجعون يقول اختبرناهم وكما قال جل ذكره ونبلوكم بالشر والخير فتنة ثم تسمي العرب الخير بلاء والشر بلاء غير أن الاكثر في الشر أن يقال بلوته أبلوه بلاء وفي الخير أبليته أبليه ابلاء وبلاء ومن ذلك قول زهير بن أبي سلمى

جزى الله بالاحسان ما فعلا بكم * وأبلاهما خير البلاء الذي يبلو

فجمع بين اللغتين لانه أراد فانعم الله عليهما خير النعم التي يختبر بها عباده ﴿ القول في تأويل قوله تعالى (واذ فرقنا بكم البحر) أما تأويل قوله واذ فرقنا بكم فانه عطف على واذ نجيناكم بمعنى واذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم واذكروا اذ نجيناكم من آل فرعون واذ فرقنا بكم البحر ومعنى قوله فرقنا بكم فصلنا بكم البحر لانهم كانوا اثني عشر سبطا ففرق البحر اثني عشر طريقا فسلك كل سبط منهم طريقا منها فذلك فرق الله بهم جل ثناؤه البحر وفصله بهم بتفريقهم في طرقه الاثني عشر كما **حدثني** موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط بن نصر عن السدي لما أتى موسى البحر كناه أبا خالد وضربه فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم فدخلت بنو اسرائيل وكان في البحر اثنا عشر طريقا في كل طريق سبط وقد قال بعض نحويي البصرة معنى قوله واذ فرقنا بكم البحر فرقنا بينكم وبين الماء يريد بذلك فصلنا بينكم وبينه وحجزناه حيث مررتم به وذلك خلاف ما في ظاهر التلاوة لان الله جل ثناؤه انما أخبر انه فرق البحر بالقوم ولم يخبر أنه فرق بين القوم وبين البحر فيكون التأويل ما قاله قائلو هذه المقالة وفرقه البحر بالقوم انما هو تفريقه البحر بهم على ما وصفنا من افتراق سبيله بهم على ما جاءت به الآثار ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ذكره

يخلق فلن يخلق خلقا الا [كنا] نحن خلقا أعظم منه وأكرم عليه فلما خلق آدم عليه السلام وفضله عليهم وعلمه الاسماء كلها قال أنبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين في أنه لا يخلق خلقا الا وأنتم أفضل منه ففزعوا الى التوبة وقالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا ثم ان العلماء ذكروا في اخبار الملائكة عن الفساد والسفك وجوها منها أنهم قالوا ذلك ظنا اما لانهم قاسوهم على حال الجن الذين كانوا قبل آدم عليه السلام في الارض وهو مروي عن ابن عباس والكلبي واما لانهم عرفوا خلقته وعلموا أنه مركب من الاركان (٢١٧) المتخالفة والاخلاط المتنافية الموجبة للشهوة التي منها الفساد وللغضب الذي منه سفك الدماء ومنها أنهم قالوا ذلك عن اليقين ويروى عن ابن مسعود وناس من الصحابة وذلك انه تعالى لما قال للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا ربنا وما يكون الخليفة قال يكون له ذرية يفسدون في الارض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضا فعند ذلك قالوا ربنا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء أو أنه تعالى كان قد أعلم الملائكة أنه اذا كان في الارض خلق عظيم أفسدوا فيها وسفكوا الدماء أو لانه لما كتب القلم في اللوح ما هو كائن الى يوم القيامة فلعلهم طالعوا اللوح فعرفوا ذلك أو لان معنى الخليفة اذا كان النائب لله في الحكم والقضاء والاحتياج الى الحاكم انما يكون عند التنازع والتظالم كان الاخبار عن وجود الخليفة اخبارا عن وقوع الفساد والشر بطريق الالتزام وقيل لما خلق الله النار خافت الملائكة خوفا شديدا فقالوا لم خلقت هذه النار قال لمن عصاني من خلقي ولم يكن يومئذ لله خلق الا الملائكة ولم يكن في الارض خلق البتة فلما قال اني جاعل في الارض خليفة عرفوا أن المعصية منهم تظهر وأما قصة ابليس وهاروت وماروت فسيجيء الكلام فيها واختلف الناس في أن الملائكة لهم قدرة على المعاصي والشرور أم لا فالفلاسفة وكثير من أهل الجبر قالوا انهم خير محض ولا قدرة لهم على الشر والمعتزلة أثبتوا لهم قدرة على الامرين لان قولهم أتجعل اما معصية أو ترك الاولى وعلى التقديرين فالمقصود حاصل وأيضا قال تعالى ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم وهذا يقتضي كونهم مزجورين وقال لا يستكبرون عن عبادته والمدح بترك الاستكبار انما يحسن لو كان قادرا على الاستكبار ويمكن الزامهم بان الثواب عندهم واجب على الله فيمتنع عليه تركه مع انه يستحق المدح على الثواب والوافي ونحن نسبح للعبال كقولك أتحسن

الى فلان وأنا أحق بالاحسان والتسبيح تبعيد الله من السوء وكذا التقديس من سبح فى الماء وقدس فى الارض اذا ذهب فيها وأبعد والتبعيد عن السوء اما فى الذات ويحصل بنفى الامكان المستلزم لنفى الكثرة المستلزمة لنفى الجسمية والعرضية والضد والند واما فى الصفات بان يكون مبرأ عن العجز والجهل والتغيرات محيطا بكل المعلومات قادرا على كل المقدورات واما فى الافعال بان لا تكون أفعاله لجلب المنافع ودفع المضار يقول الله تعالى أنا المنزه عن النظير (٢١٨) والشريك سبحانه هو الواحد القهار أنا المدبر للسموات والارض سبحان رب السموات والارض أنا المدبر لكل العالمين سبحان الله رب العالمين أنا المنزه عن قول الظالمين سبحان ربك رب العزة عما يصفون أنا الغنى عن الكل سبحانه هو الغنى أنا السلطان الذى كل شئ سواى فهو تحت قهرى وتسخيرى فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ أنا المنزه عن الصاحبة والولد سبحانه أنى يكون له ولد أنا الذى أخلق الولد من غير أب سبحانه اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون أنا الذى سخرت الانعام القوية للبشر الضعيف سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين أنا الذى أعلم لا بعلم المعلمين ولا بارشاد المرشدين سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا أنا الذى أغفر معصية سبعين سنة بتوبة ساعة فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس فان أردت رضوان الله فسبح ومن ناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى وان أردت الخلاص من النار فسبح سبحانك فقنا عذاب النار وان أردت الفرج من البلاء فسبح لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين أيها العبد واظب على تسبيحى وسبحوه بكرة وأصيلا والا فالضرر يعود اليك فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون يسبح لى الحجر والمدر والرمال والجبال والشجر والدواب والليل والنهار والظلمات والانوار والجنة والنار والزمان والمكان والعناصر والاركان والارواح والاجسام سبح لله ما فى السموات والارض وان من شئ الا يسبح بحمده أيها العبد أنا الغنى عن تسبيح هذه الاشياء وهذه الاشياء ليست من الاحياء فلا حاجة بها الى ثواب هذا التسبيح ولا أضيع ثواب هذه التسبيحات فان ذلك لا يليق بربى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما باطلا لكنى أوصل ثواب هذه الاشياء اليك لتعرف أن من اجتهد فى خدمتى أجعل كل العالم فى خدمته وان العالم ليستغفر له من فى السموات ومن فى الارض والحيتان فى جوف الماء أيها العبد اذكرنى بالعبودية لتنتفع به لا أنا سبحان ربك رب العزة عما يصفون فانك اذا ذكرتنى فى الخلوات ذكرتك فى

قال

(فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون) قال أبو جعفر ان قال لنا قائل وكيف غرق الله جل ثناؤه آل فرعون ونجى بنى اسرائيل قيل له كما حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن كعب القرظى عن عبد الله بن شداد بن الهاد قال لقد ذكر لى انه خرج فرعون فى طلب موسى على سبعين ألفا من دهم الخيل سوى ما فى جنده من شية الخيل وخرج موسى حتى اذا قابله البحر ولم يكن له عنه منصرف طلع فرعون فى جنده من خلفهم فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى انا لمدركون قال موسى كلا ان معى ربى سيهدين أى للنجاة وقد وعدنى ذلك ولا خلف لوعده حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة قال حدثنى ابن اسحق قال أوحى الله الى البحر فيما ذكر لى اذا ضربك موسى بعصاه فانفلق له قال فبات البحر يضرب بعضه بعضا فرقا من الله وانتظار أمره فأوحى الله جل وعز الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فضربه بها وفيها سلطان الله الذى أعطاه فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم أى كالجبل على يبس من الارض يقول الله لموسى اضرب لهم طريقا فى البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى فلما استقر له البحر على طريق قائمة يبس سلك فيه موسى ببنى اسرائيل واتبعه فرعون بجنوده وحدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة قال حدثنى محمد بن اسحق عن محمد بن كعب القرظى عن عبد الله بن شداد بن الهاد الليثى قال حدثت انه لما دخل بنو اسرائيل البحر فلم يبق منهم أحد أقبل فرعون وهو على حصان له من الخيل حتى وقف على شفير البحر وهو قائم على حاله فهاب الحصان أن ينفذ فعرض له جبريل على فرس أنثى وديق فقربها منه فشمها الفحل فلما شمها تبعها فتقدم معها الحصان عليه فرعون فلما رأى جند فرعون فرعون قد دخل دخلوا معه وجبريل أمامه وهم يتبعون فرعون وميكائيل على فرس من خلف القوم يسوقهم يقول الحقوا بصاحبكم حتى اذا فصل جبريل من البحر ليس أمامه أحد ووقف ميكائيل على ناحيته الاخرى وليس خلفه أحد طبق عليهم البحر ونادى فرعون حين رأى من سلطان الله عز وجل وقدرته ما رأى وعرف ذلته وخذلته نفسه آمنت انه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أبى اسحق الهمدانى عن عمرو بن ميمون الأودى فى قوله واذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون قال لما خرج موسى ببنى اسرائيل بلغ ذلك فرعون فقال لا تتبعوهم حتى يصيح الديك قال فوالله ما صاح ليلتئذ ديك حتى أصبحوا فدعا بشاة فذبحت ثم قال لا أفرغ من كبدها حتى يجتمع الى ستمائة ألف من القبط فلم يفرغ من كبدها حتى اجتمع اليه ستمائة ألف من القبط ثم سار فلما أتى موسى البحر قال له رجل من أصحابه يقال له يوشع بن نون أين أمرك ربك يا موسى قال أمامك يشير الى البحر فأقحم يوشع فرسه فى البحر حتى بلغ الغمر فذهب به ثم رجع فقال أين أمرك ربك يا موسى فوالله ما كذبت ولا كذبت ففعل ذلك ثلاث مرات ثم أوحى الله جل ثناؤه الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم يقول مثل جبل قال ثم سار موسى ومن معه واتبعهم فرعون فى طريقهم حتى اذا تتاموا فيه أطبقه الله عليهم فلذلك

قال وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون قال معمر قال قتادة كان مع موسى ستمائة ألف واتبعه فرعون على ألف ألف ومائة ألف حصان وحدثني عبد الكريم بن الهيثم قال حدثنا ابراهيم ابن بشار الرمادى قال حدثنا سفيان قال حدثنا أبو سعيد عن عكرمة عن ابن عباس قال أوحى الله جل وعز الى موسى أن أسر بعبادى ليلا انكم متبعون قال فسرى موسى ببنى اسرائيل ليلا فاتبعهم فرعون فى ألف ألف حصان سوى الاناث وكان موسى فى ستمائة ألف فلما عاينهم فرعون قال ان هؤلاء لشرذمة قليلون وانهم لنا لغائظون وانا لجميع حذرون فسرى موسى ببنى اسرائيل حتى هجموا على البحر فالتفتوا فاذاهم برهج دواب فرعون فقالوا ياموسى أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا هذا البحر أمامنا وهذا فرعون قد رهقنا عن معه قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الارض فينظر كيف تعملون قال فأوحى الله جل ثناؤه الى موسى أن اضرب بعصاك البحر وأوحى الى البحر أن اسمع لموسى وأطع اذا ضربك قال فثاب البحر له أفكل يعنى له رعدة لا يدرى من أى جوانبه يضرب به قال فقال يوشع لموسى بماذا أمرت قال أمرت أن أضرب البحر قال فاضربه قال فضرب موسى البحر بعصاه فانفلق فكان فيه اثنا عشر طريقا كل طريق كالطود العظيم فكان لكل سبط منهم طريق يأخذون فيه فلما أخذوا فى الطريق قال بعضهم لبعض ما لنا لانرى أصحابنا قالوا لموسى أين أصحابنا لانراهم قال سيروا فانهم على طريق مثل طريقكم قالوا لانرضى حتى نراهم قال سفيان قال عمار الدهنى قال موسى اللهم أعنى على أخلاقهم السيئة قال فأوحى الله اليه أن قل بعصاك هكذا وأومأ ابراهيم بيده يديرها على البحر قال موسى بعصاه على الحيطان هكذا فصار فيها كوى ينظر بعضهم الى بعض قال سفيان قال أبو سعيد عن عكرمة عن ابن عباس فساروا حتى خرجوا من البحر فلما جاز آخر قوم موسى هجم فرعون على البحر هو وأصحابه وكان فرعون على فرس أدهم ذنوب حصان فلما هجم على البحر هاب الحصان أن يقتحم فى البحر فتمثل له جبريل على فرس أنثى وديق فلما رآها الحصان تقحم خلفها وقيل لموسى اترك البحر رهوا قال طرقا على حاله قال ودخل فرعون وقومه فى البحر فلما دخل آخر قوم فرعون وجاز آخر قوم موسى أطبق البحر على فرعون وقومه فأغرقوا حدثنا موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط بن نصر عن السدى أن الله أمر موسى أن يخرج ببنى اسرائيل فقال أسر بعبادى ليلا انكم متبعون فخرج موسى وهرون فى قومهما وألقى على القبط الموت فمات كل بكر رجل فأصبحوا يدفنونهم فشغلوا عن طلبهم حتى طلعت الشمس فذلك حين يقول الله جل ثناؤه فأتبعوهم مشرقين فكان موسى على ساقة بنى اسرائيل وكان هرون أمامهم يقدمهم فقال المؤمن لموسى يانبى الله أين أمرت قال البحر فاراد أن يقتحم فمنعه موسى وخرج موسى فى ستمائة ألف وعشرين ألف مقاتل لا يعدون ابن العشرين لصغره ولا ابن الستين لكبره وانما عدوا ما بين ذلك سوى الذرية وتبعهم فرعون وعلى مقدمته هامان فى ألف ألف وسبعمائة ألف حصان ليس فيها ماذيانه يعنى الانثى وذلك حين يقول الله جل ثناؤه

الفلوات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما أقرضنى وان كنت أنا الغنى حتى أرد الواحد عليك عشرة ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم لا حاجة لى الى العسكر ولو شاء الله لانتصر منهم ولكن اذا نصرتنى نصرتك ان تنصروا الله ينصركم اخدمنى يا أيها الناس اعبدوا ربكم لا لأنى أحتاج الى خدمتك فانى أنا الملك ولله ملك السموات والارض ولكن اصرف فى خدمتى عمرا قصير التنال ملكا كبيرا وخيرا كثيرا وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة فى جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم (قوله بحمدك) فى موضع الحال أى نسبحك ملتبسين بحمدك فانه لولا انعامك علينا بالتوفيق لم نتمكن من ذلك وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الكلام أفضل فقال ما اصطفاه الله لملائكته سبحان الله وبحمده ويروى أن أهل السماء الدنيا سجود الى يوم القيامة يقولون سبحان ذى الملك والملكوت وأهل السماء الثانية قيام الى يوم القيامة يقولون سبحان ذى العزة والجبروت وأهل السماء الثالثة ركوع الى يوم القيامة يقولون سبحان الحى الذى لا ينام ولا يموت وعن ابن عباس وابن مسعود نسبح أى نصلى والتسبيح الصلاة وعن مجاهد نقدس لك نطهر أنفسنا من ذنوبنا وخطايانا ابتغاء لمرضاتك وقيل نطهر قلوبنا عن الالتفات الى غيرك حتى تصير مستغرقة فى أنوار معرفتك (انى أعلم ما لا تعلمون) معناه لا تعجبوا ولا تغتموا بان فيهم من يفسد ويسفك فانى أعلم أن فيهم من لو أقسم على الله لأبره وأعلم أن معكم ابليس وفى قلبه من الحسد والكبر والنفاق ما فيه أو انكم لما وصفتم أنفسكم بهذه المدائح فانتم فى تسبيح أنفسكم لا فى تسبيحى اصبروا حتى أخلق البشر فيكون فيهم من يعبدوننى ثم يخشوننى يؤدون حق العبادات ثم لا يتكلمون على تلك الطاعات انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والذين هم من خشية ربهم مشفقون والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين أو أعلم من المصالح فى ذلك ما هو خفى عليكم ولكم فى هذا الاجمال ما يغنيكم عن التفصيل فان أفعالى كلها حكمة ومصلحة وان خفى عليكم وجه كل واحد واحد على أنه قد بين لهم بعض ذلك فى قوله * (وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم قال يا آدم أنبئهم

بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم انى أعلم غيب السموات والارض وأعلم ماتبدون وما كنتم تكتمون) * القراآت أنبؤنى وكذلك خاطئون وخاسئين وفالؤن ونحن المنشؤن وليطفؤا وليواطؤا ومتكئين وقل استهزؤا ومتكئا ويستنبؤنك وبابه بريأ وبريؤن وبابه وكهيئة وأشباه ذلك ابن كثير وأبو جعفر ونافع وأبو عمرو هؤلاء هابغير المد أولاء بالمد يزيد ويعقوب وأوقيه ومصعب عن قالون قال أبو اسحق هما كلمتان لا يمدها ويمد أولاء

هؤلاء ان بهمزتين عاصم وحمزة وعلى وخلف وابن عامر وقرأ أبو عمرو والبزى من طريق الهاشمى بترك الهمزة الاولى واثبات الثانية وكذلك فى المفتوحتين والمضمومتين وقرأ يزيد وورش والقواس وسهل ويعقوب باثبات الهمزة الاولى وتليين الثانية وعن نافع تليين الاولى واثبات الثانية وكذلك فى المضمومتين وأما فى المفتوحتين فكأبى عمرو أنبئهم عن ابن عامر روايتان مهموزة مكسورة الهاء وغير مهموزة مكسورة الهاء والباقون مهموزة مضمومة الهاء * الوقوف صادقين ٥ علمتنا ط الحكيم ٥ أنبئهم ج باسمائهم ج لمكان فاء التعقيب باسمائهم لا لان قال جواب فلما تكتمون * التفسير وفيه أبحاث الاول الاشعرى والجبائى والكعبى على أن اللغات كلها توقيفية بمعنى أن الله تعالى خلق علما ضروريا بتلك الالفاظ وتلك المعانى وبأن تلك الالفاظ موضوعة لتلك المعانى بدليل قوله تعالى وعلم آدم الاسماء كلها الا علم لنا الا ما علمتنا وهذا يدل على أن الملائكة وآدم لا يعلمون الا بتعليم الله تعالى اياهم وخالفهم أصحاب أبى هاشم الذاهبون الى أن اللغات اصطلاحية وضعها البشر واحد أو جماعة وحصل التعريف للباقين بالاشارة والقرائن كالاطفال فقالوا المراد ألهمه وبعث داعيته على الوضع مثل وعلمناه صنعة لبوس لكم أى ألهمناه أو المراد علمه ماسبق من اصطلاحات قوم كانوا قبل آدم وأجيب بان الاصل عدم العدول عن الظاهر قالوا ثم عرضهم يدل على ان المراد بالاسماء المسميات فان عرض الاسماء غير معقول فاذن المراد أسماء المسميات فعوض الالف واللام عن المضاف اليه كما فى قوله واشتعل الرأس شيبا أى علمه أسماء كل ما خلق من أجناس المحدثات من جميع اللغات المختلفة التى يتكلم بها ولده اليوم من العربية والفارسية والرومية وغيرها وكان ولد آدم يتكلمون بهذه اللغات فلما مات وتفرق ولده فى نواحى العالم تكلم كل واحد بلغة واحدة معينة من تلك اللغات فلما ومسح

فارسل فرعون فى المدائن حاشرين ان هؤلاء لشرذمة قليلون يعنى بنى اسرائيل فتقدم هرون فضرب البحر فأبى البحر أن ينفتح وقال من هذا الجبار الذى يضربنى حتى أتاه موسى فكناه أبا خالد وضربه فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم يقول كالجبل العظيم فدخلت بنو اسرائيل وكان فى البحر اثنا عشر طريقا فى كل طريق سبط وكانت الطرق انفلقت بجدران فقال كل سبط قد قتل أصحابنا فلما رأى ذلك موسى دعا الله فجعلها لهم قناطر كهيئة الطيقان فنظر آخرهم الى أولهم حتى خرجوا جميعا ثم دنا فرعون وأصحابه فلما نظر فرعون الى البحر منفلقا قال ألا ترون البحر فرق منى قد انفتح لى حتى أدرك أعدائى فأقتلهم فذلك حين يقول الله جل ثناؤه وأزلفنا ثم الآخرين يقول قربنا ثم الآخرين يعنى آل فرعون فلما قام فرعون على أفواه الطرق أبت خيله أن تقتحم فنزل جبريل على ماذيانة فشام الحصان ريح الماذيانة فاقتحم فى أثرها حتى اذا هم أولهم أن يخرج ودخل آخرهم أمر البحر أن يأخذهم فالتطم عليهم وحدثنى يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد لما أخذ عليهم فرعون الارض الى البحر قال لهم فرعون قولوا لهم يدخلون البحر ان كانوا صادقين فلما رآهم أصحاب موسى قالوا انا لمدركون قال كلا ان معى ربى سيهدين فقال موسى للبحر ألست تعلم أنى رسول الله قال بلى قال وتعلم أن هؤلاء عباد من عباد الله أمرنى أن آتى بهم قال بلى قال أتعلم أن هذا عدو الله قال بلى قال فانفرق لى طريقا ولمن معى قال ياموسى انما أنا عبد مملوك ليس لى أمر الا أن يأمرنى الله تعالى فاوحى الله عز وجل الى البحر اذا ضربك موسى بعصاه فانفرق وأوحى الى موسى أن يضرب البحر وقرأ قول الله تعالى فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى وقرأ قوله واترك البحر رهوا سهلا ليس فيه تعد فانفرق اثنتى عشرة فرقة فسلك كل سبط فى طريق قال فقالوا لفرعون انهم قد دخلوا البحر قال ادخلوا عليهم قال وجبريل فى آخر بنى اسرائيل يقول لهم ليلحق آخركم أولكم وفى أول آل فرعون يقول لهم رويدا يلحق آخركم أولكم فجعل كل سبط فى البحر يقولون للسبط الذين دخلوا قبلهم قد هلكوا فلما دخل ذلك قلوبهم أوحى الله جل وعز الى البحر فجعل لهم قناطر ينظر هؤلاء الى هؤلاء حتى اذا خرج آخر هؤلاء ودخل آخر هؤلاء أمر الله البحر فأطبق على هؤلاء ويعنى بقوله وأنتم تنظرون أى تنظرون الى فرق الله لكم البحر واهلاكه آل فرعون فى الموضع الذى نجاكم فيه والى عظيم سلطانه فى الذى أراكم من طاعة البحر إياه من مصيره ركاما فرقا كهيئة الاطواد الشامخة غير زائل عن حده انقيادا لامر الله واذعانا لطاعته وهو سائل ذائب قبل ذلك يوقفهم بذلك جل ذكره على موضع حججه عليهم ويذكرهم آلاءه عند أوائلهم ويحذرهم فى تكذيبهم نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم أن يحل بهم ما حل بفرعون وآله فى تكذيبهم موسى صلى الله عليه وسلم وقد زعم بعض أهل العربية أن معنى قوله وأنتم تنظرون كمعنى قول القائل ضربت وأهلك ينظرون فما أتوك ولا أعانوك بمعنى وهم قريب بمرأى

طالت المدة ومضت القرون نسوا سائر اللغات ثم لا يبعد بل ينبغي أن يكون الله تعالى قد علمه مع ذلك صفات الاشياء ونعوتها وخواصها وما يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية لان اشتقاق الاسم اما من السمة أو من السمو فان كان من السمة فالاسم هو العلامة وصفات الاشياء وخواصها دالة على ماهياتها وعلامة عليها وان كان من السمو فدليل الشيء كالمرتفع على ذلك الشيء فان العلم بالدليل حاصل قبل العلم بالمدلول وانما قلنا ينبغي ذلك لان الفضيلة في معرفة حقائق الاشياء أكثر من الفضيلة في معرفة أسمائها ثم من الحقائق ما يتوقف ادراكها على آلة تدرك بها كالمبصرات والمسموعات وغيرها فاذا كان لآدم تلك الآلات وقد عرفها بها ولم يكن للملائكة ذلك لزم عجزهم وأيضا العربي لا يحسن منه أن يقول لغيره تكلم بلغتي لان العقل لا طريق له الى معرفة اللغات بل ان حصل التعليم حصل العلم بها والا فلا أما العلم بحقائق الاشياء فالعقل يتمكن من تحصيله فصح وقوع التحدي به وانما قيل ثم عرضهم بلفظ المذكور لان في جملة المسميات الملائكة والثقلين وهم العقلاء فغلب الكامل على الناقص والتذكير على التأنيث ومن الناس من تمسك بقوله أنبؤني باسماء هؤلاء على جواز تكليف ما لا يطاق وهو ضعيف لانه انما استنبأهم مع علمه بعجزهم تبكيتا لهم بدليل قوله ان كنتم صادقين أي في أني لا أخلق خلقا الا كنتم أعلم منهم وقيل أي في قولكم انه لا شيء مما يتعبد به الخلق الا وأنتم تصلحون له وتقومون به وهو قول ابن عباس وابن مسعود وقيل أعلموني باسماء هؤلاء ان علمتم أنكم تكونون صادقين في ذلك الاعلام وقيل أخبروني ولا تقولوا الا حقا وصدقا فيكون الغرض منه التوكيد لما نبههم عليه من القصور لانه متى تمكن في أنفسهم العلم بانهم ان أخبروا لم يكونوا صادقين ولا لهم اليه سبيل لم يجترؤا على الجواب ثم ان الذين اعتقدوا معصية الملائكة في قولهم أتجعل قالوا انهم لما عرفوا خطأهم تابوا واعتذروا بقولهم سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا والذين أنكروا معصيتهم قالوا انهم قالوا ذلك على وجه الاعتراف بالعجز والتسليم كانهم قالوا لا نعلم الا ما علمتنا فاذا لم تعلمنا ذلك فكيف نعلمه أو أنهم انما قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها لان الله تعالى أعلمهم ذلك فكانهم قالوا انك علمتنا أنهم يفسدون في الارض فقلنا لك أتجعل وأما هذه الاسماء فانك ما علمتنا فكيف نعلمها ومعنى سبحانك نسبحك تسبيحا أي ننزهك تنزيها وهو مصدر غير متصرف أي لا يستعمل الا محذوف

ومسمع وكقول الله تعالى ألم تر الى ربك كيف مد الظل وليس هنالك رؤية انما هو علم والذي دعاه الى هذا التأويل انه وجه قوله وأنتم تنظرون أي وأنتم تنظرون الى غرق فرعون فقال قد كانوا في شغل من أن ينظروا مما اكتنفهم من البحر الى فرعون وغرقه وليس التأويل الذي تأوله تأويل الكلام انما التأويل وأنتم تنظرون الى فرق الله البحر لكم على ما قد وصفنا آنفا والتطام أمواج البحر بآل فرعون في الموضع الذي صير لكم في البحر طريقا يبسا وذلك كان لا شك نظر عيان لا نظر علم كما ظنه قائل هذا القول الذي حكينا قوله ۞ القول في تأويل قوله تعالى (واذ واعدنا) اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأ بعضهم واعدنا بمعنى أن الله تعالى واعد موسى ملاقاة الطور لمناجاته فكانت المواعدة من الله لموسى ومن موسى لربه وكان من حجتهم على اختيارهم قراءة واعدنا على وعدنا أن قالوا كل ايعاد كان بين اثنين للالتقاء أو الاجتماع فكل واحد منهما مواعد صاحبه ذلك فلذلك زعموا أنه وجب أن يقضى لقراءة من قرأ واعدنا بالاختيار على قراءة من قرأ وعدنا وقرأه بعضهم وعدنا بمعنى أن الله الواعد موسى والمنفرد بالوعد دونه وكان من حجتهم في اختيارهم ذلك أن قالوا انما تكون المواعدة بين البشر فاما الله جل ثناؤه فانه المنفرد بالوعد والوعيد في كل خير وشر قالوا وبذلك جاء التنزيل في القرآن كله فقال جل ثناؤه ان الله وعدكم وعد الحق وقال واذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم قالوا فكذلك الواجب أن يكون هو المنفرد بالوعد في قوله واذ وعدنا موسى والصواب عندنا في ذلك من القول أنهما قراءتان قد جاءت بهما الأمة وقرأت بهما القراء وليس في القراءة باحداهما ابطال معنى الاخرى وان كان في احداهما زيادة معنى على الاخرى من جهة الظاهر والتلاوة فاما من جهة المفهوم بهما فهما متفقتان وذلك أن من أخبر عن شخص أنه وعد غيره اللقاء بموضع من المواضع فمعلوم أن الموعود ذلك واعد صاحبه من لقائه بذلك المكان مثل الذي وعده من ذلك صاحبه اذا كان وعده ما وعده اياه من ذلك عن اتفاق منهما عليه ومعلوم أن موسى صلوات الله عليه لم يعده ربه الطور الا عن رضا موسى بذلك اذ كان موسى غير مشكوك فيه أنه كان بكل ما أمر الله به راضيا والى محبته فيه مسارعا ومعقول أن الله تعالى لم يعد موسى ذلك الا وموسى اليه مستجيب واذ كان ذلك كذلك فمعلوم أن الله عز ذكره قد كان وعد موسى الطور ووعده موسى اللقاء وكان الله عز ذكره لموسى واعدا ومواعدا له المناجاة على الطور وكان موسى واعدا لربه مواعدا له اللقاء فبأي القراءتين من وعد وواعد قرأ القارئ فهو الحق في ذلك من جهة التأويل واللغة مصيب لما وصفنا من العلل قبل ولا معنى لقول القائل انما تكون المواعدة بين البشر وأن الله بالوعد والوعيد منفرد في كل خير وشر وذلك أن انفراد الله بالوعد والوعيد في الثواب والعقاب والخير والشر والنفع والضر الذي هو بيده واليه دون سائر خلقه لا يحيل الكلام الجاري بين الناس في استعمالهم اياه عن وجوهه ولا يغيره عن معانيه والجاري بين الناس من الكلام المفهوم بما وصفنا من أن كل ايعاد كان بين اثنين فهو وعد من كل واحد منهما صاحبه ومواعدة بينهما وان كل واحد منهما واعد صاحبه مواعد وأن الوعد الذي يكون به الانفراد من الواعد دون الموعود انما

الفعل منصوبا على المصدرية فاذا استعمل غير مضاف كان سبحان علما للتسبيح فان العلمية كما تجرى فى الاعيان تجرى فى المعانى قالت المعتزلة ههنا المراد أنه لا علم لنا الا من جهتك اما بالتعليم واما بنصب الادلة وقالت الاشاعرة بل الجمع بالتعليم لان المؤثر فى وجود العلم ليس هو ذات الدليل بل النظر فى الدليل وانه يستند الى توفيق الله تعالى وتسهيله ثم احتج أهل الاسلام بالآية أنه لا سبيل الى معرفة المغيبات الا بتعليم الله وانه لا يمكن التوصل اليها بعلم النجوم والكهانة وللمنجم أن يقول للمعتزلى اذا فسرت التعليم بوضع الدليل فعندى حركات النجوم دلائل خلقها الله تعالى على أحوال هذا العالم فيكون من جملة ما علمه الله تعالى انك أنت العليم بكل المعلومات فأمكنك تعليم آدم الحكيم فى هذا الفعل المصيب فيه وعن ابن عباس ان مراد الملائكة من الحكيم أنه هو الذى حكم بجعل آدم خليفة فى الارض وقوله ألم أقل لكم انى أعلم غيب السموات والارض استحضار لقوله تعالى لهم انى أعلم مالا تعلمون الا انه تعالى جاء به على وجه أبسط وأشرح فيندرج فيه علمه بأحوال آدم قبل أن خلقه وفيه دليل على أنه تعالى يعلم الاشياء قبل حدوثها فيبطل مذهب هشام ابن الحكم انه لا يعلم الاشياء الا عند وقوعها وقد روى الشعبى عن ابن عباس وابن مسعود أنه يريد بقوله ما تبدون قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها وبقوله وما كنتم تكتمون ما أسر ابليس فى نفسه من الكفر والكبر وأن لا يسجد وقيل لما خلق آدم رأت الملائكة خلقا عجيبا فقالوا ليكن ما شاء فلن يخلق ربنا خلقا الا كنا أكرم عليه منه فهذا هو الذى كتموه ويجوز أن يكون هذا القول منهم سرا أسروه بينهم فأبداه بعضهم لبعض وأسروه عن غيرهم فكان فى هذا الفعل الواحد ابداء وكتمان والظاهر أنه عام كقوله انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون انه يعلم الجهر وما يخفى

* البحث الثانى قالت المعتزلة ماظهر من آدم معجز دل على نبوته فى ذلك الوقت فكان مبعوثا الى حواء أو الى من توجه التحدى اليهم لانهم وان كانوا رسلا فقد يجوز الارسال الى الرسل كبعثة ابراهيم الى لوط صلى الله عليه وسلم واحتجوا بأن حصول ذلك العلم له ناقض للعادة ومنع بأن حصول العلم بالاسماء لمن علمه الله وعدم حصوله لمن لم يعلمه ليس بناقض للعادة وأيضا أهم علموا أن تلك الاسماء موضوعة لتلك المسميات أولا فان علموا فقد قدروا على المعارضة والا فكيف عرفوا أن آدم أصاب فيما ذكر اللهم الا أن يقال ان لكل صنف منهم لغة

هو ما كان بمعنى الوعد الذى هو خلاف الوعيد ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ذكره (موسى) وموسى فيما بلغنا بالقبطية كلمتان يعنى بهما ماء وشجر فمو هو الماء وسا هو الشجر وانما سمى بذلك فيما بلغنا لان أمه لما جعلته فى التابوت حين خافت عليه من فرعون وألقته فى اليم كما أوحى الله اليها وقيل ان اليم الذى ألقته فيه هو النيل دفعته أمواج اليم حتى أدخلته بين أشجار عند بيت فرعون فخرج جوارى آسية امرأة فرعون يغتسلن فوجدن التابوت فأخذنه فسمى باسم المكان الذى أصيب فيه وكان ذلك المكان فيه ماء وشجر فقيل موسى ماء وشجر كذلك حدثنى موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد عن أسباط بن نصر عن السدى وهو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله فيما زعم ابن اسحق حدثنى بذلك ابن حميد قال حدثنا سلمة بن الفضل عنه ۞ القول فى تأويل قوله عز وجل (أربعين ليلة) ومعنى ذلك واذ واعدنا موسى أربعين ليلة بتمامها فالاربعون ليلة كلها داخلة فى الميعاد وقد زعم بعض نحويى البصرة أن معناه واذ واعدنا موسى انقضاء أربعين ليلة أى رأس الاربعين ومثل ذلك بقوله واسأل القرية وبقولهم اليوم أربعون منذ خرج فلان واليوم يومان أى اليوم تمام يومين وتمام أربعين وذلك خلاف ما جاءت به الرواية عن أهل التأويل وخلاف ظاهر التلاوة فأما ظاهر التلاوة فان الله جل ثناؤه قد أخبر أنه واعد موسى أربعين ليلة فليس لاحد احالة ظاهر خبره الى باطن بغير برهان دال على صحته وأما أهل التأويل فانهم قالوا فى ذلك ما أنا ذاكره وهو ما حدثنى به المثنى بن ابراهيم قال حدثنا آدم قال حدثنا أبو جعفر عن الربيع بن أنس عن أبى العالية قوله واذ واعدنا موسى أربعين ليلة قال يعنى ذا القعدة وعشرا من ذى الحجة وذلك حين خلف موسى أصحابه واستخلف عليهم هرون فمكث على الطور أربعين ليلة وأنزل عليه التوراة فى الالواح وكانت الالواح من زبرجد فقربه الرب اليه نجيا وكلمه وسمع صريف القلم وبلغنا أنه لم يحدث حدثا فى الاربعين ليلة حتى هبط من الطور وحدثت عن عمار بن الحسن حدثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع بنحوه حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة بن الفضل عن ابن اسحق قال وعد الله موسى حين أهلك فرعون وقومه ونجاه وقومه ثلاثين ليلة ثم أتمها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة تلقاه ربه فيها بما شاء واستخلف موسى هرون على بنى اسرائيل وقال انى متعجل الى ربى فاخلفنى فى قومى ولا تتبع سبيل المفسدين فخرج موسى الى ربه متعجلا للقائه شوقا اليه وأقام هرون فى بنى اسرائيل ومعه السامرى يسير بهم على أثر موسى ليلحقهم به حدثنى موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدى قال انطلق موسى واستخلف هرون على بنى اسرائيل وواعدهم ثلاثين ليلة وأتمها الله بعشر ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون) وتأويل قوله ثم اتخذتم العجل من بعده ثم اتخذتم فى أيام مواعدة موسى العجل الها من بعد أن فارقكم موسى متوجها الى الموعد والهاء فى قوله من بعده عائدة على ذكر موسى فاخبر جل ثناؤه المخالفين نبينا صلى الله عليه وسلم من يهود بنى اسرائيل المكذبين

من تلك اللغات ثم ان جميع الاصناف حضروا وان آدم عرض عليهم جميع تلك اللغات فكان معجزا أو يقال انه تعالى عرفهم قبل أن يسمعوا من آدم تلك الاسماء فاستدلوا به على صدق آدم والظاهر أنهم قد عرفوا صدقه بتصديق الله تعالى اياه ولئن سلم انه ظهر منه فعل خارق للعادة فلم لا يجوز أن يكون ذلك من باب الكرامات أو من باب الارهاص وهما عندنا جائزان القاطعون بانه عليه السلام ما كان نبيا في ذلك الوقت قالوا اصدرت الكبيرة منه بعد ذلك والاقدام عليها يوجب الطرد والتحقير فوجب أن تكون النبوة متأخرة عنها كيف وقد قال عز من قائل ثم اجتباه ربه والرسالة هي الاجتباء فيكون بعد الزلة وأيضا لو كان رسولا فان لم يكن مبعوثا الى أحد فلا فائدة وان كان مبعوثا فاما الى الملائكة وهم أفضل من البشر عند المعتزلة ولا يجوز جعل الادون رسولا الى الاشرف وان المرء الى قبول القول ممن هو من جنسه أمكن ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا واما الى الانس ولا انسان الا حواء وانها عرفت التكليف لا بواسطة آدم بدليل ولا تقربا هذه الشجرة واما الى الجن وما كان في السماء أحد من الجن *

(البحث الثالث في فضل العلم) لو كان في الامكان شئ أشرف من العلم لأظهر الله تعالى فضل آدم بذلك الشئ ومما يدل على فضيلته الكتاب والسنة والمعقول أما الكتاب فمن ذلك ما روي عن مقاتل أن الحكمة في القرآن على أربعة أوجه أحدها مواعظ القرآن وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به وثانيها الحكمة بمعنى الفهم والعلم وآتيناه الحكم صبيا ولقد آتينا لقمان الحكمة وثالثها الحكمة بمعنى النبوة فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة ورابعها القرآن يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وجميع هذه الوجوه عند التحقيق ترجع الى العلم ومن ذلك انه تعالى فرق بين سبعة نفر في كتابه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون قل لا يستوي الخبيث والطيب لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الاحياء ولا الاموات فاذا تأملت وجدت كل ذلك ماخوذا من الفرق بين العالم والجاهل ومن ذلك قوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم أي العلماء في أصح الاقوال لان الملوك يجب عليهم طاعة العلماء ولا ينعكس شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم جعلهم في الآيتين في المرتبة

المكذبين به المخاطبين بهذه الآية عن فعل آبائهم وأسلافهم وتكذيبهم رسلهم وخلافهم أنبياءهم مع تتابع نعمه عليهم وسبوغ آلائه لديهم معرفهم بذلك أنهم من خلافهم محمدا صلى الله عليه وسلم وتكذيبهم به وجحودهم لرسالته مع علمهم بصدقه على مثل منهاج آبائهم وأسلافهم ومحذرهم من نزول سطوته بهم بمقامهم على ذلك من تكذيبهم ما نزل بأوائلهم المكذبين بالرسل من المسخ واللعن وأنواع النقمات وكان سبب اتخاذهم العجل ما حدثني به عبد الكريم بن الهيثم قال حدثنا ابراهيم بن بشار الرمادي قال حدثنا سفيان بن عيينة قال حدثنا أبو سعيد عن عكرمة عن ابن عباس قال لما هجم فرعون على البحر هو وأصحابه وكان فرعون على فرس أدهم ذنوب حصان فلما هجم على البحر هاب الحصان أن يقتحم في البحر فتمثل له جبريل على فرس أنثى وديق فلما رآها الحصان تقحم خلفها قال وعرف السامري جبريل لان أمه حين خافت أن يذبح خلفته في غار وأطبقت عليه فكان جبريل يأتيه فيغذوه باصابعه فيجد في بعض أصابعه لبنا وفي الاخرى عسلا وفي الاخرى سمنا فلم يزل يغذوه حتى نشأ فلما عاينه في البحر عرفه فقبض قبضة من أثر فرسه قال أخذ من تحت الحافر قبضة قال سفيان فكان ابن مسعود يقرؤها فقبضت قبضة من أثر فرس الرسول قال أبو سعيد قال عكرمة عن ابن عباس وألقي في روع السامري انك لا تلقيها على شئ فتقول كن كذا وكذا الا كان فلم تزل القبضة معه في يده حتى جاوز البحر فلما جاوز موسى وبنو اسرائيل البحر وأغرق الله آل فرعون قال موسى لاخيه هرون اخلفني في قومي وأصلح ومضى موسى لموعد ربه قال وكان مع بني اسرائيل حلي من حلي آل فرعون قد تعوروه فكأنهم تأثموا منه فاخرجوه لتنزل النار فتأكله فلما جمعوه قال السامري بالقبضة التي كانت في يده هكذا فقذفها فيه وأومأ ابن اسحق بيده هكذا وقال كن عجلا جسدا له خوار فصار عجلا جسدا له خوار وكان يدخل الريح في دبره ويخرج من فيه يسمع له صوت فقال هذا الهكم واله موسى فعكفوا على العجل يعبدونه فقال هرون يا قوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى حدثني موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط بن نصر عن السدي لما أمر الله موسى أن يخرج ببني اسرائيل يعني من أرض مصر أمر موسى بني اسرائيل أن يخرجوا وأمرهم أن يستعيروا الحلي من القبط فلما نجى الله موسى ومن معه من بني اسرائيل من البحر وغرق آل فرعون أتى جبريل الى موسى يذهب به الى الله فأقبل على فرس فرآه السامري فانكره وقال انه فرس الحياة فقال حين رآه ان لهذا لشأنا فأخذ من تربة الحافر حافر الفرس فانطلق موسى واستخلف هرون على بني اسرائيل وواعدهم ثلاثين ليلة وأتمها الله بعشر فقال لهم هرون يا بني اسرائيل ان الغنيمة لا تحل لكم وان حلي القبط انما هو غنيمة فاجمعوها جميعا واحفروا لها حفرة فادفنوها فان جاء موسى فأحلها أخذتموها والا كان شيأ لم تأكلوه فجمعوا ذلك الحلي في تلك الحفرة وجاء السامري بتلك القبضة فقذفها فأخرج الله من الحلي عجلا جسدا له خوار وعدت بنو اسرائيل موعد موسى فعدوا الليلة يوما واليوم يوما

فلما كان تمام العشرين خرج لهم العجل فلما رأوه قال لهم السامرى هذا إلهكم وإله موسى فنسى يقول ترك موسى إلهه ههنا وذهب يطلبه فعكفوا عليه يعبدونه وكان يخور ويمشى فقال لهم هرون يابنى اسرائيل انما فتنتم به يقول انما ابتليتم به يقول بالعجل وان ربكم الرحمن فأقام هرون ومن معه من بنى اسرائيل لا يقاتلونهم وانطلق موسى الى إلهه يكلمه فلما كلمه قال له ما أعجلك عن قومك ياموسى قال هم أولاء على أثرى وعجلت اليك رب لترضى قال فانا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامرى فاخبره خبرهم قال موسى يارب هذا السامرى أمرهم أن يتخذوا العجل أرأيت الروح من نفخها فيه قال الرب أنا قال رب أنت اذا أضللتهم حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن اسحق قال كان فيما ذكر لى أن موسى قال لبنى اسرائيل فيما أمره الله عز وجل به استعيروا منهم يعنى من آل فرعون الامتعة والحلى والثياب فانى منفلكم أموالهم مع هلاكهم فلما أذن فرعون فى الناس كان مما يحرض به على بنى اسرائيل أن قال حين ساروا لم يرضوا أن يخرجوا بأنفسهم حتى ذهبوا بأموالكم معهم حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة قال حدثنى محمد بن اسحق عن حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان السامرى رجلا من أهل باجرما وكان من قوم يعبدون البقر وكان حب عبادة البقر فى نفسه وكان قد أظهر الاسلام فى بنى اسرائيل فلما فصل هرون فى بنى اسرائيل وفصل موسى الى ربه قال لهم هرون أنتم قد حملتم أوزارا من زينة القوم آل فرعون وأمتعة وحليا فتطهروا منها فانها نجس وأوقد لهم نارا فقال اقذفوا ما كان معكم من ذلك فيها قالوا نعم فجعلوا يأتون بما كان معهم من تلك الامتعة وذلك الحلى فيقذفون به فيها حتى اذا تكسر الحلى فيها ورأى السامرى أثر فرس جبريل أخذ ترابا من أثر حافره ثم أقبل الى النار فقال لهرون يانبى الله ألقى ما فى يدى قال نعم ولا يظن هرون الا أنه كبعض ما جاء به غيره من ذلك الحلى والامتعة فقذفه فيها فقال كن عجلا جسدا له خوار فكان للبلاء والفتنة فقال هذا إلهكم وإله موسى فعكفوا عليه وأحبوه حبا لم يحبوا مثله شيأ قط يقول الله عز وجل فنسى أى ترك ما كان عليه من الاسلام يعنى السامرى أفلا يرون أن لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا وكان اسم السامرى موسى بن ظفر وقع فى أرض مصر فدخل فى بنى اسرائيل فلما رأى هرون ما وقعوا فيه قال ياقوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعونى وأطيعوا أمرى قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى فاقام هرون فيمن معه من المسلمين ممن لم يفتتن وأقام من يعبد العجل على عبادة العجل وتخوف هرون ان سار بمن معه من المسلمين أن يقول له موسى فرقت بين بنى اسرائيل ولم ترقب قولى وكان له هائبا مطيعا حدثنى يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد لما أنجى الله عز وجل بنى اسرائيل من فرعون وأغرق فرعون ومن معه قال موسى لاخيه هرون اخلفنى فى قومى وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين قال لما خرج موسى وأمر هرون بما أمره به وخرج موسى متعجلا مسرورا الى الله قد عرف موسى أن المرء اذا نجح فى حاجة سيده كان يسره أن يتعجل اليه قال وكان حين خرجوا استعاروا حليا وثيابا من آل فرعون

الثالثة ثم زاد فى الاكرام فجعلهم فى المرتبة الثانية وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب ومن ذلك قوله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ومن ذلك وصفهم بالايمان والراسخون فى العلم يقولون آمنا به وبشهادة التوحيد شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم وبالبكاء والسجود والخشوع ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا وبالخشية انما يخشى الله من عباده العلماء * وأما الاخبار فمنها ما رواه أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم من أحب أن ينظر الى عتقاء الله من النار فلينظر الى المتعلمين فوالذى نفسى بيده ما من متعلم يختلف الى باب العالم الا كتب الله له بكل قدم عبادة سنة وبنى له بكل قدم مدينة فى الجنة ويمشى على الارض والارض تستغفر له ويمسى ويصبح مغفورا له وشهدت الملائكة لهم بانهم عتقاء الله من النار وعن أنس أيضا أن النبى صلى الله عليه وسلم قال من طلب العلم لغير الله لم يخرج من الدنيا حتى يأتى عليه العلم فيكون لله ومن طلب العلم لله فهو كالصائم نهاره والقائم ليله وان بابا من العلم يتعلمه الرجل خير له من أن يكون له أبو قبيس ذهبا فينفقه فى سبيل الله وعن الحسن مرفوعا من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيى به الاسلام كان بينه وبين الانبياء درجة فى الجنة وعنه صلى الله عليه وسلم رحمة الله على خلفائى فقيل يارسول الله ومن خلفاؤك قال الذين يحيون سنتى ويعلمونها عباد الله وعن أبى موسى الاشعرى مرفوعا يبعث الله العباد يوم القيامة ثم يميز العلماء فيقول يامعشر العلماء انى لم أضع نورى فيكم الا لعلمى بكم ولم أضع علمى فيكم لأعذبكم انطلقوا فقد غفرت لكم وقال صلى الله عليه وسلم معلم الخير اذا مات بكى عليه طير السماء ودواب الارض وحيتان البحر وعن أبى هريرة مرفوعا من صلى خلف عالم من العلماء فكانما صلى خلف نبى من الانبياء وعن ابن عمر مرفوعا فضل العالم على العابد بسبعين درجة بين كل درجة حضر الفرس سبعين عاما وذلك أن الشيطان يضع البدعة للناس فيبصرها العالم ويزيلها والعابد يقبل على عبادته لا يتوجه اليها ولا يتعرف لها وقال صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله عنه حين بعثه الى اليمن لان يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك مما تطلع عليه الشمس أو تغرب وعن ابن مسعود مرفوعا من طلب العلم ليحدث به الناس ابتغاء وجه الله

فرعون فقال لهم هرون ان هذه الثياب والحلي لا تحل لكم فاجمعوا نارا فألقوه فيها فأحرقوه قال فجمعوا نارا قال وكان السامري قد نظر الى أثر دابة جبريل وكان جبريل على فرس أنثى وكان السامري في قوم موسى قال فنظر الى أثره فقبض منه قبضة فيبست عليها يده فلما ألقى قوم موسى الحلي في النار وألقى السامري معهم القبضة صور الله جل وعز ذلك لهم عجلا ذهبا فدخلته الريح فكان له خوار فقالوا ما هذا فقال السامري الخبيث هذا الهكم واله موسى فنسي الآية الى قوله حتى يرجع الينا موسى قال حتى اذا أتى موسى الموعد قال الله ما أعجلك عن قومك يا موسى قال هم أولاء على أثري فقرأ حتى بلغ أفطال عليكم العهد حدثنا القاسم بن الحسن قال حدثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد في قوله ثم اتخذتم العجل من بعده قال العجل حسيل البقرة قال حلي استعاروه من آل فرعون فقال لهم هرون أخرجوه فتطهروا منه وأحرقوه وكان السامري قد أخذ قبضة من أثر فرس جبريل فطرحه فيه فانسبك وكان له كالجوف تهوي فيه الرياح حدثني المثنى بن ابراهيم قال حدثنا آدم قال حدثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية قال انما سمي العجل لانهم عجلوا فاتخذوه قبل أن يأتيهم موسى حدثني محمد بن عمرو الباهلي قال حدثنا أبو عاصم قال حدثني عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بنحو حديث القاسم عن الحسن حدثني المثنى بن ابراهيم قال حدثنا أبو حذيفة قال حدثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بنحوه

* وتأويل قوله (وأنتم ظالمون) يعني وأنتم واضعو العبادة في غير موضعها لان العبادة لا تنبغي الا لله عز وجل وعبدتم أنتم العجل ظلما منكم ووضعا للعبادة في غير موضعها وقد دللنا في غير هذا الموضع مما مضى من كتابنا ان أصل كل ظلم وضع الشيء في غير موضعه فأغنى ذلك عن اعادته في هذا الموضع ۞ القول في تأويل قوله تعالى ذكره (ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون) وتأويل قوله ثم عفونا عنكم من بعد ذلك يقول تركنا معاجلتكم بالعقوبة من بعد ذلك أي من بعد اتخاذكم العجل الها كما حدثني به المثنى بن ابراهيم قال حدثنا آدم العسقلاني قال حدثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية ثم عفونا عنكم من بعد ذلك يعني من بعد ما اتخذتم العجل وأما تأويل قوله لعلكم تشكرون فانه يعني به لتشكروا ومعنى لعل في هذا الموضع معنى كي وقد بينت فيما مضى قبل أن أحد معاني لعل كي بما فيه الكفاية عن اعادته في هذا الموضع فمعنى الكلام اذا ثم عفونا عنكم من بعد اتخاذكم العجل الها لتشكروني على عفوي عنكم اذ كان العفو يوجب الشكر على أهل اللب والعقل ۞ القول في تأويل قوله تعالى ذكره (واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون) يعني بقوله واذ آتينا موسى الكتاب واذكروا أيضا اذ آتينا موسى الكتاب والفرقان ويعني بالكتاب التوراة وبالفرقان الفصل بين الحق والباطل كما حدثني المثنى بن ابراهيم قال حدثنا آدم قال حدثنا أبو جعفر عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان قال فرق به بين الحق والباطل حدثني محمد بن عمرو الباهلي

أعطاه الله أجر سبعين نبيا وعن عامر الجهني مرفوعا يؤتى بمداد العلماء ودم الشهداء يوم القيامة لا يفضل أحدهما على الآخر وفي رواية فيرجح مداد العلماء وعن أبي واقد الليثي أن النبي صلى الله عليه وسلم بينما هو جالس والناس معه اذ أقبل ثلاثة نفر فأما أحدهم فرأى فرجة في الحلقة فجلس اليها وأما الآخر فجلس خلفهم وأما الثالث فانه رجع وفر فلما فرغ صلى الله عليه وسلم من كلامه قال ألا أخبركم عن النفر الثلاثة فأما الاول فأوى الى الله فآواه الله وأما الثاني فاستحيا فاستحيا الله منه وأما الثالث فأعرض فأعرض الله عنه وعنه صلى الله عليه وسلم يشفع يوم القيامة ثلاثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء قال الراوي فأعظم مرتبة هي الواسطة بين النبوة والشهادة وعن أبي هريرة مرفوعا اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له بالخير وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا سألتم الحوائج فاسألوها الناس قيل يا رسول الله ومن الناس قال صلى الله عليه وسلم أهل القرآن قيل ثم من قال أهل العلم قيل ثم من قال صلى الله عليه وسلم صباح الوجوه قال الراوي والمراد بأهل القرآن من يحفظ معانيه وقال صلى الله عليه وسلم كن عالما أو متعلما أو مستمعا أو محبا ولا تكن الخامسة فتهلك قال الراوي وجه التوفيق بين هذه الرواية وبين الرواية الاخرى الناس رجلان عالم ومتعلم وسائر الناس همج لا خير فيه أن المستمع والمحب بمنزلة المتعلم وما أحسن قول بعض الاعراب لولده كن سبعا خالسا أو ذئبا خانسا أو كلبا حارسا واياك أن تكون انسانا ناقصا وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يحدث انسانا فأوحى الله تعالى اليه أنه لم يبق من عمر هذا الرجل الذي تحدثه الا ساعة وكان هذا وقت العصر فأخبره الرسول بذلك فاضطرب الرجل وقال يا رسول الله دلني على أوفق عمل لي في هذه الساعة قال صلى الله عليه وسلم اشتغل بالتعلم فاشتغل بالتعلم وقبض قبل المغرب قال الراوي فلو كان شيء أفضل من العلم لأمره النبي صلى الله عليه وسلم به في ذلك الوقت * وأما الآثار فان مصعب بن الزبير قال لابنه تعلم العلم فانه ان يك لك مال كان لك جمالا وان لم يكن لك مال كان العلم لك مالا وقال علي بن أبي طالب لا خير في الصمت عن العلم كما لا خير في الكلام عن الجهل وقيل مثل العالم بالله وبأمر الله كمثل الشمس لا تزيد ولا تنقص وهو الجالس على الحد المشترك بين عالم المعقولات وعالم المحسوسات فهو تارة مع الله بالحب له وتارة مع الخلق بالشفقة والرحمة فاذا رجع من ربه الى

قال حدثنا أبو عاصم قال حدثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان قال الكتاب هو الفرقان فرقان بين الحق والباطل حدثني المثنى قال حدثنا أبو حذيفة قال حدثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله وحدثني القاسم بن الحسن قال حدثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان قال الكتاب هو الفرقان فرق بين الحق والباطل حدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثنا حجاج عن ابن جريج قال وقال ابن عباس الفرقان جماع اسم التوراة والانجيل والزبور والفرقان وقال ابن زيد في ذلك بما حدثني به يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال سألته يعني ابن زيد عن قول الله عز وجل واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان فقال أما الفرقان الذي قال الله جل وعز يوم الفرقان يوم التقى الجمعان فذلك يوم بدر يوم فرق الله بين الحق والباطل والقضاء الذي فرق به بين الحق والباطل قال فكذلك أعطى الله موسى الفرقان فرق الله بينهم وسلمه الله وأنجاه فرق بينهم بالنصر فكما جعل الله ذلك بين محمد والمشركين فكذلك جعله بين موسى وفرعون (قال أبو جعفر) وأولى هذين التأويلين بتأويل الآية ما روي عن ابن عباس وأبي العالية ومجاهد من أن الفرقان الذي ذكر الله انه آتاه موسى في هذا الموضع هو الكتاب الذي فرق به بين الحق والباطل وهو نعت للتوراة وصفة لها فيكون تأويل الآية حينئذ واذ آتينا موسى التوراة التي كتبناها له في الالواح وفرقنا بها بين الحق والباطل فيكون الكتاب نعتا للتوراة أقيم مقامها استغناء به عن ذكر التوراة ثم عطف عليه بالفرقان اذ كان من نعتها وقد بينا معنى الكتاب فيما مضى من كتابنا هذا وانه بمعنى المكتوب وانما قلنا هذا التأويل أولى بالآية وان كان محتملا غيره من التأويل لان الذي قبله ذكر الكتاب وأن معنى الفرقان الفصل وقد دللنا على ذلك فيما مضى من كتابنا هذا فالحاقه اذ كان كذلك بصفة ما وليه أولى من الحاقه بصفة ما بعد منه وأما تأويل قوله (لعلكم تهتدون) فنظير تأويل قوله لعلكم تشكرون ومعناه لتهتدوا وكأنه قال واذكروا أيضا اذ آتينا موسى التوراة التي تفرق بين الحق والباطل لتهتدوا بها وتتبعوا الحق الذي فيها لاني جعلتها كذلك هدى لمن اهتدى بها واتبع ما فيها ۞ القول في تأويل قوله تعالى ذكره (واذ قال موسى لقومه ياقوم انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم) وتأويل ذلك واذكروا أيضا اذ قال موسى لقومه من بني اسرائيل ياقوم انكم ظلمتم أنفسكم وظلمهم اياها كان فعلهم بها ما لم يكن لهم أن يفعلوه بها مما أوجب لهم العقوبة من الله تعالى وكذلك كل فاعل فعلا يستوجب به العقوبة من الله تعالى فهو ظالم لنفسه بايجابه العقوبة لها من الله تعالى وكان الفعل الذي فعلوه فظلموا به أنفسهم هو ما أخبر الله عنهم من ارتدادهم باتخاذهم العجل ربا بعد فراق موسى اياهم ثم أمرهم موسى بالمراجعة من ذنبهم والانابة الى الله من ردتهم بالتوبة اليه والتسليم لطاعته فيما أمرهم به وأخبرهم

الخلق صار كواحد منهم كأنه لم يعرف الله واذا خلا بربه مشتغلا بذكره وخدمته فكأنه لا يعرف الخلق فهذا سبيل المرسلين والصديقين ومثل العالم بالله فقط كمثل القمر يكمل تارة وينقص أخرى وهو المستغرق في المعارف الالهية غير متفرغ لتعلم علم الاحكام الا ما لا بد منه ومثل العالم بأمر الله فقط وهو العارف بالحلال والحرام دون أسرار جلال الله كمثل السراج يحرق نفسه ويضيء لغيره وقال شقيق البلخي الناس يقومون من مجلسي على ثلاثة أصناف وذلك اني أفسر (٢٢٦) القرآن فأقول عن الله وعن الرسول فمن لا يصدقني فهو كافر محض ومن ضاق قلبه منه فهو منافق محض ومن ندم على ما صنع وعزم على أن لا يذنب كان مؤمنا محضا وقال أيضا ثلاثة من النوم يبغضها الله وثلاثة من الضحك النوم بعد صلاة الفجر وقبل صلاة العتمة والنوم في الصلاة والنوم عند مجالس الذكر والضحك خلف الجنازة والضحك في المقابر والضحك في مجلس الذكر وقيل العالم أرأف بالتلميذ من الاب والام لأن الآباء والامهات يحفظونهم من نار الدنيا وآفاتها والعلماء يحفظونهم من نار الآخرة وشدائدها وقيل لابن مسعود بم وجدت هذا العلم قال بلسان سؤل وقلب عقول وقال بعضهم سل مسئلة الحمقى واحفظ حفظ الاكياس وقيل الدنيا بستان تزينت بخمسة أشياء علم العلماء وعدل الامراء وعبادة العباد وأمانة التجار ونصيحة المحترفين فجاء ابليس بخمسة أعلام وأقامها بجنب هذه الخمس فجاء بالحسد فركزه في جنب العلم وجاء بالجور فركزه بجنب العدل وجاء بالرياء فركزه بجنب العبادة وجاء بالخيانة فركزها بجنب الامانة وجاء بالغش فركزه بجنب النصيحة (وقال) علي بن أبي طالب رضي الله عنه العلم أفضل من المال لسبعة أوجه العلم ميراث الانبياء والمال ميراث الفراعنة العلم لا ينقص بالنفقة والمال ينقص * المال يحتاج الى الحافظ والعلم يحفظ صاحبه * اذا مات الرجل خلف ماله والعلم يدخل معه قبره * المال يحصل للمؤمن والكافر ان
والعلم لا يحصل الا للمؤمن * جميع الناس محتاجون الى العالم في أمر دينهم ولا يحتاجون الى صاحب المال * العلم يقوي الرجل عند المرور على الصراط والمال يمنعه منه * (قال) الفقيه أبو الليث من جلس عند العالم ولا يقدر أن يحفظ من ذلك العلم شيأ فله سبع كرامات * ينال فضل المتعلمين * وكان محبوسا من الذنوب ما دام جالسا عنده * واذا خرج من منزله طلبا للعلم نزلت الرحمة عليه واذا جلس في حلقة العلم فنزلت الرحمة

أن توبتهم من الذنب الذي ركبوه قتلهم أنفسهم وقد دللنا فيما مضى على أن معنى التوبة الاوبة مما يكرهه الله الى ما يرضاه من طاعته فاستجاب القوم لما أمرهم به موسى من التوبة مما ركبوا من ذنوبهم الى ربهم على ما أمرهم به كما حدثنا محمد بن المثنى قال حدثنا محمد بن جعفر قال حدثنا شعبة عن أبي اسحق عن أبي عبد الرحمن أنه قال في هذه الآية فاقتلوا أنفسكم قال عمدوا الى الخناجر فجعل يطعن بعضهم بعضا حدثني عباس بن محمد قال حدثنا حجاج بن محمد قال ابن جريج أخبرني القاسم بن أبي بزة أنه سمع سعيد بن جبير ومجاهدا قالا قام بعضهم الى بعض بالخناجر يقتل بعضهم بعضا لا يحن رجل على رجل قريب ولا بعيد حتى ألوى موسى بثوبه فطرحوا ما بأيديهم فتكشف عن سبعين ألف قتيل وان الله أوحى الى موسى أن حسبي قد اكتفيت فذلك حين ألوى بثوبه حدثني عبد الكريم بن الهيثم قال حدثنا ابراهيم بن بشار قال حدثنا سفيان بن عيينة قال قال أبو سعيد عن عكرمة عن ابن عباس قال قال موسى لقومه توبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم قال أمر موسى قومه عن أمر ربه عز وجل أن يقتلوا أنفسهم قال فاحتبى الذين عكفوا على العجل فجلسوا وقام الذين لم يعكفوا على العجل وأخذوا الخناجر بأيديهم وأصابتهم ظلمة شديدة فجعل يقتل بعضهم بعضا فانجلت الظلمة عنهم وقد أجلوا عن سبعين ألف قتيل كل من قتل منهم كانت له توبة وكل من بقي كانت له توبة وحدثني موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدي قال لما رجع موسى الى قومه قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا الى قوله فكذلك ألقى السامري فألقى موسى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره اليه قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي اني خشيت أن تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي فترك هرون ومال الى السامري فقال ما خطبك يا سامري الى قوله ثم لننسفنه في اليم نسفا ثم أخذه فذبحه ثم حرقه بالمبرد ثم ذراه في اليم فلم يبق بحر يجري يومئذ الا وقع فيه شيء منه ثم قال لهم موسى اشربوا منه فشربوا فمن كان يحبه خرج على شاربيه الذهب فذلك حين يقول وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم فلما سقط في أيدي بني اسرائيل حين جاء موسى ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين فأبى الله أن يقبل توبة بني اسرائيل الا بالحال التي كرهوا أن يقاتلوهم حين عبدوا العجل فقال لهم موسى يا قوم انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم قال فصفوا صفين ثم اجتلدوا بالسيوف فاجتلد الذين عبدوه والذين لم يعبدوه بالسيوف فكان من قتل من الفريقين شهيدا حتى كثر القتل حتى كادوا أن يهلكوا حتى قتل بينهم سبعون ألفا وحتى دعا موسى وهرون ربنا هلكت بنو اسرائيل ربنا البقية البقية فأمرهم أن يضعوا السلاح وتاب عليهم فكان من قتل شهيدا ومن بقي كان مكفرا عنه فذلك قوله فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم حدثني محمد ابن عمرو الباهلي قال حدثنا أبو عاصم قال حدثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله تعالى

عليهم حصل له منها نصيب * وما دام يكون في الاستماع تكتب له طاعة * اذا استمع ولم يفهم ضاق قلبه وانكسر فيكون في زمرة أنا عند المنكسرة قلوبهم لأجلي * اذا رأى اعزاز المسلمين للعالم واذلالهم للفساق نفر عن الفسق ومال الى طلب العلم (وقيل) ثلاثة لا ينبغي للشريف أن يأنف منها وان كان أميرا قيامه من مجلسه لأبيه وخدمته للعالم الذي يتعلم منه والسؤال عما لا يعلم ممن هو أعلم منه (واعلم) أن الله تعالى علم سبعة نفر سبعة أشياء علم آدم الاسماء كلها وعلم الخضر علم الفراسة وعلمناه من لدنا علما وعلم يوسف علم التعبير وعلمتني من تأويل الاحاديث وعلم داود صنعة الدرع وعلمناه صنعة لبوس لكم وعلم سليمان منطق الطير علمنا منطق الطير وعلم عيسى عليه السلام علم التوراة والانجيل ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل وعلم محمدا صلى الله عليه وسلم الشرع والتوحيد وعلمك ما لم تكن تعلم فعلم آدم كان سببا لحصول السجدة والتحية وعلم الخضر كان سببا لوجود تلميذ مثل موسى ويوشع وعلم يوسف لوجود الاهل والمملكة وعلم سليمان لوجدان بلقيس والغلبة وعلم داود للرياسة والملك وعلم عيسى لزوال التهمة عن أمه وعلم محمد صلى الله عليه وسلم لوجدان الشفاعة ثم نقول من علم أسماء المخلوقات وجد تحية الملائكة فمن علم ذات الخالق وصفاته أما يجد تحية الملائكة بل تحية ربه سلام قولا من رب رحيم والخضر وجد بعلم الفراسة صحبة موسى فأمة محمد بعلم الحقيقة يجدون صحبة محمد صلى الله عليه وسلم فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين ويوسف بتأويل الرؤيا نجا من حبس الدنيا فمن كان عالما بتأويل كتاب الله كيف لا ينجو من حبس الشبهات ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم وأيضا فان يوسف عليه السلام ذكر منة الله على نفسه حيث قال وعلمتني من تأويل الاحاديث فأنت يا عالم أما تذكر نعمة الله على نفسك حيث جعلك مفسرا لكلامه وسميا لنفسه ووارثا لنبيه وداعيا لخلقه وواعظا لعباده وسراجا لاهل بلاده وقائدا للخلق الى جنته وثوابه وزاجرا لهم عن ناره وعقابه كما جاء في الحديث العلماء سادة والفقهاء قادة ومجالستهم زيادة وان سليمان لم يحتج الى الهدهد الا لعلمه بالماء (وروى) عن نافع بن الازرق أنه قال لابن عباس كيف اختار سليمان الهدهد لطلب الماء قال لان الارض له كالزجاجة يرى باطنها من ظاهرها فقال نافع الفخ يغطى له باصبع من التراب فلا يراه فيقع فيه فقال ابن عباس اذا جاء القضاء عمي البصر وقال لولده يا بني عليك بالادب فانه دليل على المروءة وأنس في الوحشة

وصاحب فى الغربة وقرين فى الحضر وصدر فى المجلس ووسيلة عند انقضاء الوسائل وغنى عند العدم ورفعة للخسيس وكمال للشريف وجلال للملك (وقال) سقراط من فضيلة العلم أنك لاتقدر على أن تخدمك فيه أحد كما تخدم من يخدمك فى سائر الاشياء بل تخدمه بنفسك ولا يقدر أحد على سلبه عنك وقيل لبعض الحكماء لاتنظر فغمض عينيه وقيل له لاتسمع فسد أذنيه وقيل له لاتتكلم فوضع يده على فيه وقيل له لاتعلم فقال لاأقدر عليه * وعن بعض (٢٢٨) الحكماء عظم العلم فى ذاتك وصغر الدنيا فى عينك وكن ضعيفا عند الهزل قويا عند الجد ولا تلم أحدا على فعل يمكن أن يعتذر منه ولاترفع شكايتك الا الى من ترى نفعه عندك حتى تكون حكيما فاضلا * ولبعضهم آفة الزعماء ضعف السياسة وآفة العلماء حب الرياسة (وأما النكت) فالمعصية عند الجهل لايرجى زوالها وعند السهو يرجى زوالها انظر الى زلة آدم فانه بعلمه استغفر والشيطان عصى وبقى فى الغى أبدا لان ذلك كان بسبب الجهل وان يوسف عليه السلام لما صار ملكا احتاج الى وزير فسأل جبريل عن ذلك فقال ان ربك يقول لاتختر الا فلانا فرآه فى أسوء الاحوال فقال لجبريل كيف يصلح لهذا العمل مع سوء حاله فقال له جبرائيل ان ربه عينه لذلك لانه ذب عنك بعلمه حين قال وان كان قميصه قدمن دبر فكذبت وهو من الصادقين والنكتة أن من ذب عن يوسف استحق الشركة فى مملكته فمن ذب عن الدين القويم بالبرهان المستقيم فكيف لايستحق من الله الخير والاحسان (وقيل) أراد واحد خدمة ملك فقال الملك اذهب وتعلم حتى تصلح لخدمتى فلما شرع فى التعلم وذاق لذة العلم بعث الملك اليه وقال اترك التعلم فقد صرت أهلا لخدمتى فقال كنت أهلا لخدمتك حين لم ترنى أهلا لخدمتك وحين رأيتنى أهلا لخدمتك رأيت نفسى أهلا لخدمة الله وذلك لانى كنت أظن أن الباب بابك لجهلى والآن علمت أن الباب باب الرب (وقال حكيم) القلب ميت وحياته بالعلم والعلم ميت وحياته بالطلب والطلب ضعيف وقوته بالمدارسة فاذا قوى حل بالمدارسة فهو محتجب واظهاره بالمناظرة واذا ظهر بالمناظرة فهو عقيم ونتاجه بالعمل فاذا زوج العلم بالعمل توالد وتناسل ملكا أبديا لا آخر له وان نملة واحدة نالت الرياسة بمسئلة واحدة علمتها وذلك قولها وهم لا يشعرون كانها اشارة الى تنزيه الانبياء عن المعصية وايذاء البرىء من غير جرم فقالت لو حطمكم فانما يصدر ذلك منه على سبيل السهو فمن علم حقائق الاشياء من الموجودات والمعدومات كيف لا يستحق الرياسة فى الدين

باتخاذكم العجل قال كان موسى أمر قومه عن أمر ربه أن يقتل بعضهم بعضا بالخناجر فجعل الرجل يقتل أباه ويقتل ولده فتاب الله عليهم حدثنى المثنى قال حدثنا آدم قال حدثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبى العالية فى قوله واذ قال موسى لقومه ياقوم انكم ظلمتم أنفسكم الآية قال فصاروا صفين فجعل يقتل بعضهم بعضا فبلغ القتلى ماشاء الله ثم قيل لهم قد تيب على القاتل والمقتول حدثنا المثنى قال حدثنا أبو صالح قال حدثنى الليث قال حدثنى عقيل عن ابن شهاب قال لما أمرت بنو اسرائيل بقتل أنفسها برزوا ومعهم موسى فتضاربوا بالسيوف وتطاعنوا بالخناجر وموسى رافع يديه حتى اذا فتر أتاه بعضهم قالوا يانبى الله ادع الله لنا وأخذوا بعضديه يشدون يديه فلم يزل أمرهم على ذلك حتى اذا قبل الله توبتهم قبض أيدى بعضهم عن بعض فألقوا السلاح وحزن موسى وبنو اسرائيل للذى كان من القتل فيهم فأوحى الله جل ثناؤه الى موسى لايحزنك أما من قتل منكم فحى عندى يرزق وأما من بقى فقد قبلت توبته فسر بذلك موسى وبنو اسرائيل حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهرى وقتادة فى قوله فاقتلوا أنفسكم قال قاموا صفين فقتل بعضهم بعضا حتى قيل لهم كفوا قال قتادة كانت شهادة للمقتول وتوبة للحى حدثنا القاسم بن الحسن قال حدثنا الحسين بن داود قال حدثنى حجاج عن ابن جريج قال قال لى عطاء سمعت عبيد بن عمير يقول قام بعضهم الى بعض يقتل بعضهم بعضا ما يتوقى الرجل أخاه ولا أباه ولا ابنه ولا أحدا حتى نزلت التوبة قال ابن جريج وقال ابن عباس بلغ قتلاهم سبعين ألفا ثم رفع الله جل وعز عنهم القتل وتاب عليهم قال ابن جريج قاموا صفين فاقتتلوا بينهم فجعل الله القتل لمن قتل منهم شهادة وكانت توبة لمن بقى وكان قتل بعضهم بعضا أن الله علم أن ناسا منهم علموا أن العجل باطل فلم يمنعهم أن ينكروا عليهم الا مخافة القتال فلذلك أمر أن يقتل بعضهم بعضا حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن اسحق قال لما رجع موسى الى قومه وأحرق العجل وذراه فى اليم خرج الى ربه بمن اختار من قومه فأخذتهم الصاعقة ثم بعثوا فسأل موسى ربه التوبة لبنى اسرائيل من عبادة العجل فقال لا الا أن يقتلوا أنفسهم قال فبلغنى أنهم قالوا لموسى نصبر لأمر الله فأمر موسى من لم يكن عبد العجل أن يقتل من عبده فجلسوا بالافنية وسلت عليهم القوم السيوف فجعلوا يقتلونهم وبكى موسى وبهش اليه النساء والصبيان يطلبون العفو عنهم فتاب عليهم وعفا عنهم وأمر موسى أن ترفع عنهم السيوف حدثنى يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد لما رجع موسى الى قومه وكان سبعون رجلا قد اعتزلوا مع هرون العجل لم يعبدوه فقال لهم موسى انطلقوا الى موعد ربكم فقالوا ياموسى أما من توبة قال بل اقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم الآية فاخترطوا السيوف والجرزة والخناجر والسكاكين قال وبعث عليهم ضبابة قال فجعلوا يتلامسون بالأيدى ويقتل بعضهم بعضا قال ويلقى الرجل أباه وأخاه فيقتله ولا يدرى ويتنادون فيها رحم الله عبدا صبر حتى يبلغ الله رضاه وقرأ قول الله

والدنيا وان الكلب المعلم يكون صيده طاهرا ببركة العلم مع أنه نجس فى الاصل فالنفس الطاهرة فى الفطرة اذا تلوثت باوزار المعصية كيف لا تطهر ببركة العلم بالله و بصفاته واذا كان السارق عالما لا تقطع يده لانه يقول كان المال وديعة لى وكذا الشارب يقول حسبته حلالا وكذا الزانى يقول تزوجتها فانه لا يحد * وأما الحكايات (يحكى) ان هرون الرشيد كان بحضرته فقهاء فيهم أبو يوسف فأتى برجل فادعى عليه آخر انه أخذ من بيتى مالا بالليل ثم أقر الآخذ بذلك فى المجلس فاتفق العلماء على أنه تقطع يده فقال أبو يوسف لا قطع عليه لانه أقر بالأخذ وانه لا يوجب القطع بل لا بد من الاعتراف بالسرقة فصدقه الكل فى ذلك ثم قالوا للآخذ أسرقتها فقال نعم فأجمعوا على القطع لانه أقر بالسرقة فقال أبو يوسف لا قطع عليه لانه وان أقر بالسرقة لكن بعدما أوجب الضمان عليه باقراره بالاخذ واذا أقر بالسرقة بعد ذلك فهو بهذا الاقرار يسقط الضمان عن نفسه فلا يسمع اقراره فتعجب الكل (وعن الشعبى) كنت عند الحجاج فأتى بيحيى بن يعمر فقيه خراسان من بلخ مكبلا فى الحديد فقال الحجاج أنت زعمت أن الحسن والحسين من ذرية الرسول فقال بلى فقال الحجاج لتأتينى ببينة واضحة من كتاب الله أو لأقطعنك عضوا عضوا فقال آتيك ببينة واضحة من كتاب الله يا حجاج قال فتعجب من جرأته بقوله يا حجاج فقال له ولا تأتنى بهذه الآية ندع أبناءنا وأبناءكم فقال آتيك بها واضحة من كتاب الله قال تعالى ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان الى قوله وزكريا ويحيى وعيسى فمن أبو عيسى فقد ألحق تعالى عيسى بذرية نوح قال فأطرق مليا ثم رفع رأسه فقال كأنى لم أقرأ هذه الآية من كتاب الله حلوا وثاقه وأعطوه من المال كذا (ويحكى) أن جماعة من أهل المدينة جاؤا الى أبى حنيفة ليناظروه فى القراءة خلف الامام ويبكتوه ويسفهوا عليه فقال لهم لا يمكننى مناظرة الجميع ففوضوا أمر المناظرة الى أعلمكم لأناظره فأشاروا الى واحد فقال هذا أعلمكم فقالوا نعم قال والمناظرة معه كالمناظرة معكم قالوا نعم قال والالزام عليه كالالزام عليكم قالوا نعم قال وان ناظرته وألزمته الحجة فقد ألزمتكم الحجة قالوا نعم قال وكيف قالوا لانا رضينا به اماما فكان قوله قولا لنا قال أبو حنيفة فنحن لما اخترنا الامام فى الصلاة فقراءته قراءة لنا وهو ينوب عنا فأقروا له بالعلم * ويحكى أن المنصور دعا أبا حنيفة يوما فقال الربيع وهو يعاديه يا أمير المؤمنين هذا يخالف جدك حيث يقول الاستثناء المنفصل جائز وأبو حنيفة ينكره فقال أبو حنيفة هذا الربيع

جل ثناؤه وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين قال فقتلاهم شهداء وتيب على أحيائهم وقرأ فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم فالذى ذكرنا عمن روينا عنه الأخبار التى رويناها كان توبة القوم من الذنب الذى أتوه فيما بينهم وبين ربهم بعبادتهم العجل مع ندمهم على ما سلف منهم من ذلك وأما معنى قوله فتوبوا الى بارئكم فانه يعنى به ارجعوا الى طاعة خالقكم والى ما يرضيه عنكم كما حدثنى به المثنى بن ابراهيم قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبى العالية فتوبوا الى بارئكم أى الى خالقكم وهو من برأ الله الخلق يبرؤه فهو بارئ والبرية الخلق وهى فعيلة بمعنى مفعولة غير أنها لا تهمز كما لا يهمز ملك وهو من لأك لكنه جرى بترك الهمز كذلك قال نابغة بنى ذبيان

الا سليمان اذ قال المليك له * قم فى البرية فاحددها عن الفند

وقد قيل ان البرية انما لم تهمز لانها فعيلة من البرى والبرى التراب فكان تأويله على قول من تأوله كذلك انه مخلوق من التراب وقال بعضهم انما أخذت البرية من قولك بريت العود فلذلك لم يهمز قال أبو جعفر وترك الهمز من بارئكم جائز والابدال منها جائز فاذ كان ذلك جائزا فى باريكم فغير مستنكر أن تكون البرية من برى الله الخلق بترك الهمزة وأما قوله ذلكم خير لكم عند بارئكم فانه يعنى بذلك توبتكم بقتلكم أنفسكم وطاعتكم ربكم خير لكم عند بارئكم لانكم تنجون بذلك من عقاب الله فى الآخرة على ذنبكم وتستوجبون به الثواب منه وقوله فتاب عليكم أى بما فعلتم مما أمركم به من قتل بعضكم بعضا وهذا من المحذوف الذى استغنى بالظاهر منه عن المتروك لان معنى الكلام فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتبتم فتاب عليكم فترك ذكر قوله فتبتم اذ كان فى قوله فتاب عليكم دلالة بينة على اقتضاء الكلام فتبتم ويعنى بقوله فتاب عليكم رجع لكم ربكم الى ما أحببتم من العفو عن ذنوبكم وعظيم ما ركبتم والصفح عن جرمكم انه هو التواب الرحيم يعنى الراجع لمن أناب اليه بطاعته الى ما يحب من العفو عنه ويعنى بالرحيم العائد اليه برحمته المنجية من عقوبته ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) وتأويل ذلك واذكروا أيضا اذ قلتم يا موسى لن نصدقك ولن نقر بما جئتنا به حتى نرى الله جهرة عيانا برفع الساتر بيننا وبينه وكشف الغطاء دوننا ودونه حتى ننظر اليه بأبصارنا كما تجهر الركية وذلك اذا كان ماؤها قد غطاه الطين فنقى ما قد غطاه حتى ظهر الماء وصفا يقال منه قد جهرت الركية أجهرها جهرا وجهرة ولذلك قيل قد جهر فلان بهذا الامر مجاهرة وجهارا اذا أظهره لرأى العين وأعلنه كما قال الفرزدق بن غالب

(١) من اللائى يضل الالف منه * مسحا من مخافته جهارا

وكما حدثنا به القاسم بن الحسن قال ثنا الحسين قال حدثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس حتى نرى الله جهرة قال علانية وحدثت عن عمار بن الحسن قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه

(١) لم نقف على البيت فى غير هذا الموضع ولسنا على يقين من صحة جميع كلماته فليحرر كتبه مصححه

عن الربيع حتى نرى الله جهرة يقول عيانا وحدثنى يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد حتى نرى الله جهرة حتى يطلع الينا حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة حتى نرى الله جهرة أى عيانا فذكرهم بذلك جل ذكره اختلاف آبائهم وسوء استقامة أسلافهم لانبيائهم مع كثرة معاينتهم من آيات الله جل وعز وعبره ما تثلج بأقلها الصدور وتطمئن بالتصديق معها النفوس وذلك مع تتابع الحجج عليهم وسبوغ النعم من الله لديهم وهم مع ذلك مرة يسألون نبيهم أن يجعل لهم الها غير الله ومرة يعبدون العجل من دون الله ومرة يقولون لا نصدقك حتى نرى الله جهرة وأخرى يقولون له اذا دعوا الى القتال اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ومرة يقال لهم قولوا حطة وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطاياكم فيقولون حنطة فى شعيرة ويدخلون الباب من قبل أستاههم مع غير ذلك من أفعالهم التى آذوا بها نبيهم عليه السلام التى يكثر احصاؤها فأعلم ربنا تبارك وتعالى ذكره الذين خاطبهم بهذه الآيات من يهود بنى اسرائيل الذين كانوا بين ظهرانى مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم لن يعدوا أن يكونوا فى تكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم وجحودهم نبوته وتركهم الاقرار به وبما جاء به مع علمهم به ومعرفتهم بحقيقة أمره كأسلافهم وآبائهم الذين فصل عليهم قصصهم فى ارتدادهم عن دينهم مرة بعد أخرى وتوثبهم على نبيهم موسى صلوات الله وسلامه عليه تارة بعد أخرى مع عظيم بلاء الله جل وعز عندهم وسبوغ آلائه عليهم ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون) اختلف أهل التأويل فى صفة الصاعقة التى أخذتهم فقال بعضهم بما حدثنا به الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله فاخذتكم الصاعقة قال ماتوا وحدثت عن عمار بن الحسن قال حدثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فاخذتكم الصاعقة قال سمعوا صوتا فصعقوا يقول فماتوا وقال آخرون بما حدثنى موسى بن هرون الهمدانى قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدى فاخذتكم الصاعقة والصاعقة نار وقال آخرون بما حدثنا به ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال أخذتهم الرجفة وهى الصاعقة فماتوا جميعا وأصل الصاعقة كل أمر هائل رآه أو عاينه أو أصابه حتى يصير من هوله وعظيم شأنه الى هلاك وعطب والى ذهاب عقل وغمور فهم أو فقد بعض آلات الجسم صوتا كان ذلك أو نارا أو زلزلة أو رجفا ومما يدل على أنه قد يكون مصعوقا وهو حى غير ميت قول الله عز وجل وخر موسى صعقا يعنى مغشيا عليه ومنه قول جرير بن عطية

وهل كان الفرزدق غير قرد * أصابته الصواعق فاستدارا

فقد علم أن موسى لم يكن حين غشى عليه وصعق ميتا لان الله جل وعز أخبر عنه أنه لما أفاق قال تبت اليك ولا شبه جرير الفرزدق وهو حى بالقرد ميتا ولكن معنى ذلك ما وصفنا ويعنى بقوله وأنتم تنظرون وأنتم تنظرون الى الصاعقة التى أصابتكم يقول أخذتكم الصاعقة عيانا جهارا وأنتم تنظرون اليها ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون) يعنى بقوله ثم بعثناكم ثم أحييناكم وأصل البعث اثارة الشئ من محله ومنه قيل بعث فلان راحلته

يقول ليس لك بيعة فى رقبة الناس فقال كيف قال انهم يعقدون البيعة لك ثم يرجعون الى منازلهم فيستثنون فتبطل بيعتهم فضحك المنصور وقال اياك يا ربيع وأبا حنيفة فلما خرج الربيع قال سعيت فى دمى قال كنت البادى * ويحكى أنه دخل اللصوص على رجل وأخذوا متاعه واستحلفوه بالطلاق ثلاثا أن لا يعلم أحدا فاصبح الرجل وهو يرى اللصوص يبيعون متاعه وليس يقدر أن يتكلم من أجل يمينه فجاء الرجل يشاور أبا حنيفة فقال أحضر لى امام مسجدك وأهل محلتك فأدخلهم جميعا فى دار واحدة وأخرج واحدا واحدا فقال للرجل ان لم يكن لصك فقل لا وان كان فاسكت فلما سكت قبض على اللص ورد الله تعالى عليه جميع ما سرق منه * ويحكى أنه كان فى جوار أبى حنيفة فتى يغشى مجلس أبى حنيفة فقال يوما له انى أريد التزوج من آل فلان وقد خطبتها اليهم فطلبوا منى من المهر فوق طاقتى قال استقرض وادخل عليها فان الله تعالى يسهل الامر عليك بعد ذلك فاقرضه أبو حنيفة ذلك القدر ثم قال له بعد الدخول أظهر أنك تريد الخروج من هذا البلد الى بلد بعيد وأنك تسافر باهلك معك فاظهر الرجل ذلك فاشتد على أهل المرأة وجاؤا الى أبى حنيفة يشكونه ويستفتونه فقال لهم له ذلك والطريق أن ترضوه بان تردوا عليه ما أخذتموه فاجابوا اليه فقال الزوج انى أريد شيأ آخر فوق ذلك فقال له أبو حنيفة ترضى بهذا والا أقرت لرجل بدين فلا يمكن المسافرة بها حتى تقضى ما عليها فقال الرجل الله الله لا يسمعوا بهذا فرضى بذلك وحصل ببركة علم أبى حنيفة فرج كل واحد من الخصمين * وسئل أبو حنيفة عن رجل حلف ليقربن امرأته فى نهار رمضان فلم يعرف أحد وجه الجواب فقال يسافر بامرأته فيطؤها نهارا فى رمضان وقال بشر المريسى للشافعى كيف تدعى انعقاد الاجماع مع أهل المشرق والمغرب على شئ واحد وكانت هذه المناظرة عند الرشيد فقال الشافعى هل تعرف اجماع الناس على خلاف هذا الجالس اذا فاقر به خوفا وانقطع * ويحكى أن أعرابيا سأل الحسن بن على رضى الله عنه حاجة وقال سمعت جدك يقول اذا سألتم حاجة فاسألوها من أحد أربعة اما عربيا شريفا أو مولى كريما أو حامل القرآن أو صاحب الوجه الصبيح فاما العرب فتشرفت بجدك وأما الكرم فدأبكم وسيرتكم وأما القرآن ففى بيوتكم نزل وأما الوجه الصبيح فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا أردتم أن تنظروا الى فانظروا الى الحسن

والحسين رضي الله عنهما فقال الحسين رضي الله عنه ما حاجتك فكتبها على الارض فقال الحسين رضي الله عنه سمعت أبي عليا رضي الله عنه يقول قيمة كل امرئ ما يحسنه وسمعت جدي يقول المعروف بقدر المعرفة فأسألك عن ثلاث مسائل ان أحسنت في جواب واحدة فلك ثلث ما عندي وان أجبت عن ثنتين فلك ثلثا ما عندي وان أجبت عن الثلاث فلك كل ما عندي وقد حمل الى الحسين صرة مختومة من العراق فقال سل ولا قوة الا بالله فقال رضي الله عنه أي الاعمال أفضل قال الاعرابي الايمان بالله قال فما نجاة العبد من الهلكة قال الثقة بالله قال فما يزين المرء قال علم معه حلم قال رضي الله عنه فان أخطأ ذلك قال فمال معه كرم قال رضي الله عنه فان أخطأ ذلك قال ففقر معه صبر قال رضي الله عنه فان أخطأ ذلك قال فصاعقة تنزل من السماء فتحرقه فضحك الحسين رضي الله عنه ورمى بالصرة اليه * وأما الوجوه العقلية فمنها أن الامور أربعة أقسام قسم يرضاه العقل دون الشهوة كمكاره الدنيا وقسم عكس ذلك كالمعاصي وقسم ترضاه الشهوة والعقل وهو العلم والجنة وقسم لا ترضاه الشهوة والعقل وهو الجهل والنار فمن رضي بالجهل فقد رضي بنار حاضرة ومن اشتغل بالعلم فقد خاض في جنة حاضرة وكما يعيش يموت وكما يموت يبعث * ومنها أن اللذة ادراك المحبوب وكلما كان المدرك أكمل وأشرف كانت اللذة أكمل وأتم ومدرك العقل هو الله تعالى وجميع مخلوقاته من الملائكة والافلاك والعناصر والمواليد وجميع أحكامه وأوامره وأي معلوم أشرف من ذلك فلا كمال ولا لذة فوق كمال العلم ولذته ولا ألم ولا نقصان مثل ألم الجهل ونقصانه ولهذا قال عز من قائل اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم كأنه قال كنت في أول حالك علقة هي الغاية في الخساسة ثم صرت في آخر حالك في غاية الشرف وأيضا ترتب الحكم على الوصف مشعر بالعلية وهذا يدل على أنه انما يستحق الاكرمية لانه أعطى العلم فالعلم أشرف عطية وأعظم موهبة * ومنها أنه تعالى قال انما يخشى الله من عباده العلماء فالعلماء من أهل الخشية وأهل الخشية أهل الجنة لقوله تعالى جزاؤهم عند ربهم جنات عدن الى قوله ذلك لمن خشي ربه فالعلماء من أهل الجنة بل ليس أهل الجنة الا العلماء وذلك لكلمة انما المفيدة للحصر ولاجل لام الاختصاص في قوله لمن خشي والسبب في أن العلماء

اذا أثارها من مبركها للسير كما قال الشاعر

(١) فأبعثها وهي صنيع حول * كركن الرعن ذعلبة وقاحا

والرعن منقطع أنف الجبل والذعلبة الخفيفة والوقاح الشديدة الحافر أو الخف ومن ذلك قيل بعثت فلانا لحاجتي اذا أقمته من مكانه الذي هو فيه للتوجه فيها ومن ذلك قيل ليوم القيامة يوم البعث لانه يوم يثار الناس فيه من قبورهم لموقف الحساب ويعني بقوله من بعد موتكم من بعد موتكم بالصاعقة التي أهلكتكم وقوله لعلكم تشكرون يقول فعلنا بكم ذلك لتشكروني على ما أوليتكم من نعمتي عليكم باحيائي اياكم استبقاء مني لكم لتراجعوا التوبة من عظيم ذنبكم بعد احلالي العقوبة بكم بالصاعقة التي أحللتها بكم فأماتتكم بعظيم خطئكم الذي كان منكم فيما بينكم وبين ربكم وهذا القول على تأويل من تأول قوله ثم بعثناكم ثم أحييناكم وقال آخرون معنى قوله ثم بعثناكم أي بعثناكم أنبياء حدثني بذلك موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدي (قال أبو جعفر) وتأويل الكلام على ما تأوله السدي فأخذتكم الصاعقة ثم أحييناكم من بعد موتكم وأنتم تنظرون الى احيائنا اياكم من بعد موتكم ثم بعثناكم أنبياء لعلكم تشكرون وزعم السدي أن ذلك من المقدم الذي معناه التأخير والمؤخر الذي معناه التقديم حدثنا بذلك موسى قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدي وهذا تأويل يدل ظاهر التلاوة على خلافه مع اجماع أهل التأويل على تخطئته والواجب على تأويل السدي الذي حكيناه عنه أن يكون معنى قوله لعلكم تشكرون تشكروني على تصييري اياكم أنبياء وكان سبب قيلهم لموسى ما أخبر الله جل وعز عنهم أنهم قالوه له من قولهم لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ما حدثنا به محمد بن حميد قال ثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن اسحق قال لما رجع موسى الى قومه ورأى ما هم فيه من عبادة العجل وقال لاخيه وللسامري ما قال وحرق العجل وذراه في اليم اختار موسى منهم سبعين رجلا الخير فالخير وقال انطلقوا الى الله عز وجل فتوبوا اليه مما صنعتم وسلوه التوبة على من تركتم وراءكم من قومكم صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم فخرج بهم الى طور سيناء لميقات وقته له ربه وكان لا يأتيه الا باذن منه وعلم فقال له السبعون فيما ذكر لي حين صنعوا ما أمرهم به وخرجوا للقاء الله يا موسى اطلب لنا الى ربك أن نسمع كلام ربنا فقال أفعل فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه الغمام حتى تغشى الجبل كله ودنا موسى فدخل فيه وقال للقوم ادنوا وكان موسى اذا كلمه ربه وقع على جبهته نور ساطع لا يستطيع أحد من بني آدم أن ينظر اليه فضرب دونه الحجاب ودنا القوم حتى اذا دخلوا في الغمام وقعوا سجودا فسمعوه وهو يكلم موسى يأمره وينهاه افعل ولا تفعل فلما فرغ من أمره وانكشف عن موسى الغمام فاقبل اليهم فقالوا لموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الرجفة وهي الصاعقة فماتوا جميعا وقام موسى يناشد ربه ويدعوه ويرغب اليه ويقول رب لو شئت أهلكتهم من قبل واياي قد سفهوا أفتهلك من ورائي من بني اسرائيل بما تفعل السفهاء منا اي ان هذا لهم هلاك اخترت منهم سبعين رجلا الخير فالخير أرجع اليهم وليس معي منهم رجل واحد فما الذي يصدقوني به أو

(١) لم نقف على البيت في غير هذا الموضع بعد البحث وياء هي مشددة لاقامة الوزن فليعلم اه

هم أهل الخشية أن من لم يكن عالما بالشئ استحال أن يكون خائفا منه ثم ان العلم بالذات لا يكفي في الخوف بل لابد معه من العلم بأمور ثلاثة أحدها العلم بالقدرة لان الملك عالم باطلاع رعيته على أفعاله القبيحة لكنه لا يخافهم لعلمه بانهم لا يقدرون على دفعه وثانيها العلم بكونه عالما لان السارق من مال السلطان يعلم قدرته لكنه يعلم أنه غير عالم بسرقته فلا يخافه وثالثها العلم بكونه حكيما فان المسخرة عند السلطان عالم بكون السلطان قادرا على منعه عالما بقبائح أفعاله لكنه يعلم أنه قد رضي بما لا ينبغي فلا يحصل الخوف فثبت أن خوف العبد من الله لا يحصل الا اذا علم كونه تعالى عالما بجميع المعلومات قادرا على كل المقدورات غير راض بالمنكرات والمحرمات فاذن الخوف من لوازم العلم بالله وبهذا يعرف نباهة قدر العلم ومن هنا أمر حبيبه صلى الله عليه وسلم بالازدياد منه حيث قال وقل رب زدني علما ولم يكتف نبي الله موسى عليه السلام بما علم بل قال للخضر هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا ولم يفتخر سليمان بالمملكة العظيمة بل افتخر بالعلم علمنا منطق الطير ولولا شرف العلم لم يكن الهدهد مع ضعفه أن يتكلم بحضرة سليمان بقوله أحطت بما لم تحط به وهكذا الرجل الساقط اذا تعلم العلم صار نافذ القول على السلاطين وما ذاك الا ببركة العلم * ومنها أنه صلى الله عليه وسلم قال تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة وذلك أن التفكر يوصلك الى الله والعبادة توصلك الى ثواب الله وأيضا التفكر عمل القلب والعبادة عمل الجوارح * ومنها أن سائر كتب الله ناطقة بفضل العلم أما التوراة فقال لموسى عظم الحكمة فاني لا أجعل الحكمة في قلب عبد الا وأردت أن أغفر له فتعلمها ثم اعمل بها ثم ابذلها كي تنال بذلك كرامتي في الدنيا والآخرة وأما الزبور فقال سبحانه لداود قل لاحبار بني اسرائيل ورهبانهم حادثوا من الناس الاتقياء فان لم تجدوا فيهم تقيا فحادثوا العلماء فان لم تجدوا عالما فحادثوا العقلاء فان التقى والعلم والعقل ثلاث مراتب ما جعلت واحدة منهن في أحد من خلقي وأنا أريد هلاكه وانما قدم سبحانه التقى على العلم لان التقى لا يوجد بدون العلم كما بينا من ان الخشية لا تحصل الا مع العلم والموصوف بالامرين أشرف من الموصوف بأمر واحد ولهذا السر أيضا قدم العالم على العاقل لان العالم لابد وأن يكون عاقلا وأما العاقل فقد لا يكون عالما فالعقل كالبذر والعلم كالشجر والتقوى كالثمر وأما الانجيل فقد قال عز من

يأمنوني عليه بعد هذا انا هدنا اليك فلم يزل موسى يناشد ربه عز وجل ويطلب اليه حتى رد اليهم أرواحهم فطلب اليه التوبة لبني اسرائيل من عبادة العجل فقال لا الا أن يقتلوا أنفسهم حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط بن نصر عن السدي لما تابت بنو اسرائيل من عبادة العجل وتاب الله عليهم بقتل بعضهم بعضا كما أمرهم به أمر الله تعالى موسى أن يأتيه في ناس من بني اسرائيل يعتذرون اليه من عبادة العجل ووعدهم موعدا فاختار موسى قومه سبعين رجلا على عينه ثم ذهب بهم ليعتذروا فلما أتوا ذلك المكان قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فانك قد كلمته فأرناه فأخذتهم الصاعقة فماتوا فقام موسى يبكي ويدعو الله ويقول رب ماذا أقول لبني اسرائيل اذا أتيتهم وقد أهلكت خيارهم رب لو شئت أهلكتهم من قبل واياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا فأوحى الله الى موسى ان هؤلاء السبعين ممن اتخذ العجل فذلك حين يقول موسى ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء انا هدنا اليك وذلك قوله واذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة ثم ان الله جل ثناؤه أحياهم فقاموا وعاشوا رجلا رجلا ينظر بعضهم الى بعض كيف يحيون فقالوا ياموسى أنت تدعو الله فلا تسأله شيأ الا أعطاك فادعه يجعلنا أنبياء فدعا الله تعالى فجعلهم أنبياء فذلك قوله ثم بعثناكم من بعد موتكم ولكنه قدم حرفا وأخر حرفا حدثني يونس بن عبد الاعلى قال أنا ابن وهب قال قال ابن زيد قال لهم موسى لما رجع من عند ربه بالالواح قد كتب فيها التوراة فوجدهم يعبدون العجل فأمرهم بقتل أنفسهم ففعلوا فتاب الله عليهم فقال ان هذه الالواح فيها كتاب الله فيه أمره الذي أمركم به ونهيه الذي نهاكم عنه فقالوا ومن يأخذه بقولك أنت لا والله حتى نرى الله جهرة حتى يطلع الله علينا فيقول هذا كتابي فخذوه فماله لا يكلمنا كما يكلمك أنت ياموسى فيقول هذا كتابي فخذوه وقرأ قول الله تعالى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة قال فجاءت غضبة من الله عز وجل فجاءتهم صاعقة بعد التوبة فصعقتهم فماتوا أجمعون قال ثم أحياهم الله من بعد موتهم وقرأ قول الله تعالى ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون فقال لهم موسى خذوا كتاب الله فقالوا لا فقال أي شئ أصابكم قالوا أصابنا أنا متنا ثم حيينا قال خذوا كتاب الله قالوا لا فبعث الله تعالى ملائكة فنتقت الجبل فوقهم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون ثم بعثناكم من بعد موتكم قال أخذتهم الصاعقة ثم بعثهم الله تعالى ليكملوا بقية آجالهم حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس في قوله فأخذتكم الصاعقة قال هم السبعون الذين اختارهم موسى فساروا معه قال فسمعوا كلاما فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة قال فسمعوا صوتا فصعقوا يقول ماتوا فذلك قوله ثم بعثناكم من بعد موتكم فبعثوا من بعد موتهم لان موتهم ذاك كان عقوبة لهم فبعثوا لبقية آجالهم فهذا ماروى في السبب الذي من اجله قالوا لموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ولا خبر عندنا بصحة شئ مما قاله من ذكرنا قوله في سبب قيلهم ذلك لموسى تقوم به حجة فنسلم لهم

وجائز أن يكون ذلك بعض ما قالوه واذ كان لا خبر بذلك تقوم به حجة فالصواب من القول فيه أن يقال ان الله جل ثناؤه قد أخبر عن قوم موسى أنهم قالوا له يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة كما أخبر عنهم أنهم قالوه وانما أخبر الله عز وجل بذلك عنهم الذين خوطبوا بهذه الآيات توبيخا لهم في كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقد قامت حجته على من احتج به عليه ولا حاجة لمن انتهت اليه الى معرفة السبب الداعي لهم الى قيل ذلك وقد قال الذين أخبرنا عنهم الاقوال التي ذكرناها وجائز أن يكون بعضها حقا كما قال ﴿القول في تأويل قوله تعالى (وظللنا عليكم الغمام)﴾ وظللنا عليكم عطف على قوله ثم بعثناكم من بعد موتكم فتأويل الآية ثم بعثناكم من بعد موتكم وظللنا عليكم الغمام وعدد عليهم سائر ما أنعم به عليهم لعلكم تشكرون والغمام جمع غمامة كالسحاب جمع سحابة والغمام هو ما غم السماء فألبسها من سحاب وقتام وغير ذلك مما يسترها عن أعين الناظرين وكل مغطى فان العرب تسميه مغموما وقد قيل ان الغمام التي ظللها الله على بني اسرائيل لم تكن سحابا حدثنا أحمد بن اسحق الاهوازي قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله وظللنا عليكم الغمام قال ليس بالسحاب وحدثني المثنى بن ابراهيم قال حدثنا أبو حذيفة قال حدثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله وظللنا عليكم الغمام قال ليس بالسحاب هو الغمام الذي يأتي الله فيه يوم القيامة لم يكن الا لهم وحدثني محمد بن عمرو الباهلي قال حدثنا أبو عاصم قال حدثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله جل ثناؤه وظللنا عليكم الغمام قال هو بمنزلة السحاب وحدثني القاسم بن الحسن قال حدثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس وظللنا عليكم الغمام قال هو غمام أبرد من هذا وأطيب وهو الذي يأتي الله عز وجل فيه يوم القيامة في قوله في ظلل من الغمام وهو الذي جاءت فيه الملائكة يوم بدر قال ابن عباس وكان معهم في التيه واذ كان معنى الغمام ما وصفنا مما غم السماء من شيء فغطى وجهها عن الناظر اليها فليس الذي ظلله الله عز وجل على بني اسرائيل فوصفه بأنه كان غماما بأولى بوصفه اياه بذلك أن يكون سحابا منه بأن يكون غير ذلك مما ألبس وجه السماء من شيء وقد قيل انه ما ابيض من السحاب ﴿القول في تأويل قوله تعالى ذكره (وأنزلنا عليكم المن)﴾ اختلف أهل التأويل في صفة المن فقال بعضهم بما حدثني به محمد بن عمرو قال حدثنا أبو عاصم قال حدثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عز وجل وأنزلنا عليكم المن قال المن صمغة حدثنا المثنى قال حدثنا أبو حذيفة قال حدثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا الحسن بن يحيى قال أنا عبد الرزاق قال أنا معمر عن قتادة في قوله وأنزلنا عليكم المن والسلوى يقول كان المن ينزل عليهم مثل الثلج وقال آخرون هو شراب ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال حدثنا اسحق قال حدثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس قال المن شراب كان ينزل عليهم مثل العسل فيمزجونه بالماء ثم يشربونه وقال آخرون المن عسل ذكر من قال ذلك

قائل في السورة السابعة عشرة منه ويل لمن سمع العلم فلم يطلبه كيف يحشر مع الجهال الى النار اطلبوا العلم وتعلموه فان العلم ان لم يسعدكم لم يشقكم وان لم يرفعكم لم يضعكم وان لم يغنكم لم يفقركم وان لم ينفعكم لم يضركم ولا تقولوا نخاف أن نعلم فلا نعمل ولكن قولوا نرجو أن نعلم فنعمل اذا العلم شفيع لصاحبه وحق على الله أن لا يخزيه وان الله تعالى يقول يوم القيامة يا معشر العلماء ما ظنكم بربكم فيقولون ظننا أن ترحمنا وتغفر لنا فيقول فاني قد فعلت اني استودعتكم حكمتي لا لشر أردته بكم بل لخير أردته بكم فادخلوا في صالحي عبادي الى جنتي برحمتي * وبالجملة فكون العلم صفة شرف وكمال وكون الجهل صفة نقصان أمر معلوم للعقلاء بالضرورة ولذلك لو قيل للرجل العالم يا جاهل تأذى بذلك وان كان يعلم أنه كاذب ولو قيل للرجل الجاهل يا عالم فرح بذلك وان كان يعلم أنه ليس كذلك والعلم أينما وجد كان صاحبه محترما معظما حتى ان غير الانسان من الحيوان اذا رأى الانسان احتشمه بعض الاحتشام وانزجر به بعض الانزجار وان كان ذلك الحيوان أقوى بكثير من الانسان والعلماء اذا لم يعاندوا كانوا رؤساء بالطبع على من دونهم في العلم وان كثيرا ممن كانوا يعاندون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويريدون قتله كانوا اذا وقع بصرهم عليه ألقى الله في قلوبهم الرعب منه فهابوه وانقادوا له

لو لم تكن فيه آيات مبينة
كانت بداهته تغنيك عن خبر

وما فضل الانسان على سائر الحيوان الا لاختصاصه بالمزية النورانية واللطيفة الربانية التي لاجلها صار مستعدا لادراك حقائق الاشياء والاشتغال بعبادة الله تعالى والجاهل كانه في ظلمة شديدة اذا أخرج يده لم يكد يراها والعالم كانه يطير في أقطار الملكوت ويسبح في بحار المعقولات فيطالع الموجودات والمعدوم والواجب والممكن والمحال ثم يعرف انقسام الممكن الى الجوهر والعرض والجوهر الى البسيط والمركب ويبالغ في تقسيم كل منها الى أنواعها وأنواع أنواعها وأجزائها وأجزاء أجزائها والجزء الذي به يشارك غيره والجزء الذي به يمتاز عن غيره ويعرف أثر كل شيء ومؤثره ومعلوله وعلته ولازمه وملزومه وكليته وجزئيته فيصير كالنسخة التي أثبت فيها جميع المعلومات بتفاصيلها وأقسامها وانه في عالم الارواح كالشمس في عالم الاجسام كاملا ومكملا واسطة بين الله وعباده ولامر ما لم يجعل الله سبحانه سائر صفات الجلال من القدرة والارادة والسمع والبصر والوجوب والقدم والاستغناء عن المكان والحيز جوابا للملائكة

وموجبا لسكوتهم وانما جعل تعالى صفة العلم جوابا لهم حيث قال انى أعلم مالا تعلمون وهكذا أظهر فضيلة آدم بالعلم بعد افتخارهم بالتسبيح والتقديس وان ابراهيم اشتغل فى أول أمره بطلب العلم منتقلا بفكره من الكوكب الى القمر ومن القمر الى الشمس الى أن وصل بالدليل الباهر والبرهان الظاهر الى المقصود وهو الملة الحنيفية وان الله تعالى سمى العلم تارة بالحياة أومن كان ميتا فأحييناه وتارة بالروح وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا وتارة بالنور يهدى الله لنوره (٢٣٤) من يشاء وضرب المثل فى العلم بالماء أنزل من السماء ماء فعلم التوحيد كماء العين

حدثنا يونس بن عبد الاعلى أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد المن عسل كان ينزل لهم من السماء حدثنا أحمد بن اسحق قال حدثنا أبو أحمد قال حدثنا اسرائيل عن جابر عن عامر قال عسلكم هذا جزء من سبعين جزأ من المن وقال آخرون المن خبز الرقاق ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال حدثنا اسحق قال حدثنا اسمعيل بن عبد الكريم قال حدثنى عبد الصمد قال سمعت وهبا وسئل ما المن قال خبز الرقاق مثل الذرة ومثل النقى وقال آخرون المن الترنجبين ذكر من قال ذلك حدثنى موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدى المن كان يسقط على شجر الترنجبين وقال آخرون المن هو الذى يسقط على الشجر الذى تأكله الناس ذكر من قال ذلك حدثنى القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس كان المن ينزل على شجرهم فيغدون عليه فيأكلون منه ماشاؤا وحدثنى المثنى قال حدثنا الحمانى قال حدثنا شريك عن مجالد عن عامر فى قوله وأنزلنا عليكم المن قال المن الذى يقع على الشجر وحدثت عن المنجاب بن الحرث قال حدثنا بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس فى قوله المن قال المن الذى يسقط من السماء على الشجر فتأكله الناس حدثنا أحمد بن اسحق قال حدثنا أبو أحمد الزبيرى قال حدثنا شريك عن مجالد عن عامر قال المن هذا الذى يقع على الشجر وقد قيل ان المن هو الترنجبين وقال بعضهم المن هو الذى يسقط على الثمام والعشر وهو حلو كالعسل واياه عنى الاعشى ميمون بن قيس بقوله

لو أطعموا المن والسلوى مكانهم * ما أبصر الناس طعما فيهم نجعا

وتظاهرت الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين وقال بعضهم المن شراب حلو كانوا يطبخونه فيشربونه وأما أمية بن أبى الصلت فانه جعله فى شعره عسلا فقال يصف أمرهم فى التيه ومارزقوا فيه

(١) فرأى الله أنهم عضيع * لا بذى مزرع ولا ممورا
فعناها عليهم غاديات * ومرى مزنهم خلايا وخورا
عسلا ناطفا وماء فراتا * وحليبا ذا بهجة ممرورا

الممرور الصافى من اللبن فجعل المن الذى كان ينزل عليهم عسلا ناطفا والناطف هو القاطر ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ذكره (والسلوى)﴾ والسلوى اسم طائر يشبه السمانى واحده وجماعه بلفظ واحد كذلك السمانى لفظ جماعها وواحدها سواء وقد قيل ان واحدة السلوى سلواة ذكر من قال ذلك حدثنى موسى بن هرون قال حدثنى عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط

(١) قوله فرأى الله أنهم الخ لم نقف على الابيات فى غير هذا الموضع بعد البحث وفى بعض النسخ تغيير لبعض كلماتها لم نثق به كقوله فسناها بدل فعناها وقوله مزمورا بدل ممرورا ولم نجد فيما عندنا من كتب اللغة الممرور ولا المزمور بمعنى الصافى حرر كتبه مصححه

لا يجوز تحريكه لئلا يتكدر كذلك لا ينبغى طلب كيفية الله كيلا يفضى الى الكفر وعلم الفقه كماء القناة يزداد بالاستنباط والحفر وعلم الزهد كماء المطر ينزل صافيا ويتكدر بغبار الهواء وكذلك علم الزهد صاف ويتكدر بالطبع وعلم البدع كماء السيل يهلك الاحياء ويميت الخلق * وأما الاخبار والآثار الدالة على وعيد من لم يعمل بعلمه أو طلب العلم لغير ذات الله فنها أنه صلى الله عليه وسلم قال لا تجالسوا العلماء الا ان دعوكم من خمس الى خمس من الشك الى اليقين ومن الكبر الى التواضع ومن العداوة الى النصيحة ومن الرياء الى الاخلاص ومن الرغبة الى الزهد وقال صلى الله عليه وسلم الناس كلهم هلكى الا العالمون والعالمون كلهم هلكى الا العاملون والعاملون كلهم هلكى الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم عن عدى بن حاتم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال يؤتى بناس يوم القيامة فيؤمر بهم الى الجنة حتى اذا دنوا منها ووجدوا رائحتها ونظروا الى قصورها والى ما أعد الله لاهلها نودوا أن اصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها فيرجعون عنها بحسرة مارجع أحد بمثلها ويقولون يا ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما أريتنا من ثوابك وما أعددت فيها لاوليائك كان أهون علينا فنودوا ذاك أردت بكم كنتم اذا خلوتم بى بارزتمونى بالعظائم واذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين
عن
تراؤن الناس بخلاف ما تضمرون عليه فى قلوبكم هبتم الناس ولم تهابونى أجللتم الناس ولم تجلونى تركتم المعاصى ولم تتركوها لى كنت أهون الناظرين عليكم فاليوم أذيقكم أليم عذابى مع ما حرمتكم من النعيم وقيل اطلب أربعة فى أربعة من الموضع السلامة ومن الصاحب الكرامة ومن المال الفراغة ومن العلم المنفعة فاذا لم تجد من الموضع السلامة فالسجن خير منه واذا لم تجد من الصاحب الكرامة

فالكلب خير منه واذا لم تجد من مالك الفراغة فالمدر خير منه واذا لم تجد من العلم المنفعة فالموت خير منه وقيل لا تتم أربعة أشياء الا بأربعة أشياء لا يتم الدين الا بالتقوى ولا يتم القول الا بالفعل ولا تتم المروءة الا بالتواضع ولا يتم العلم الا بالعمل فالدين بلا تقوى على الخطر والقول بلا فعل كالهذر والمروءة بلا تواضع كالشجر بلا ثمر والعلم بلا عمل كالغيم بلا مطر وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه لجابر بن عبد الله الانصاري قوام الدنيا بأربعة بعالم يعمل بعلمه وجاهل لا يستنكف عن تعلمه وغني لا يبخل (٢٣٥) بماله وفقير لا يبيع آخرته بدنياه فاذا لم يعمل العالم بعلمه استنكف الجاهل من تعلمه واذا بخل الغني بمعروفه باع الفقير آخرته بدنياه فالويل لهم والثبور سبعين مرة وقيل اذا وضعت على سواد عينك جزأ من الدنيا لا ترى شيأ فاذا وضعت على سويداء قلبك كل الدنيا كيف ترى بقلبك شيأ

* البحث الرابع في حد العلم الاشعري العلم ما يعلم به وربما قال ما يصير الذات به عالما القاضي العلم معرفة المعلوم على ما هو عليه القفال اثبات المعلوم على ما هو به والكل دائر المعتزلة هو الاعتقاد المقتضي لسكون النفس الفلاسفة صورة حاصلة في النفس مطابقة للمعلوم ولا يخفى خروج علم الله تعالى عنهما فانه لا يطلق هنالك النفس وفيه مفاسد أخر يطول ذكرها ههنا وعند كثير من المحققين هو بديهي وقيل أصح الحدود صفة توجب تمييزا لا يحتمل النقيض والحق في هذا المقام هو أن نسبة البصيرة الى مدركاتها كنسبة البصر الى مدركاته فكما أن للبصر نورا كل ما يقع في ذلك النور فهو مدركه فكذا للبصيرة نور كل ما يقع فيه فهو مدركها ولا يدرك حقيقة هذا النور الا من له نور ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور وهكذا ادراكات جميع الانوار حتى نور الانوار وكلما ازدادت النفس نورية وشروقا ازداد انبساطها فيقع فيها المعلومات أكثر وهكذا يكون الحال في كل مستكمل أما اذا كان العالم بحيث تكون كمالاته الممكنة له موجودة معه بالفعل فلا تزداد نوريته ولا يتجاوز مرتبته في العلم وما منا الا له مقام معلوم ثم ان كان الكمال والنور بحيث لا يمكن أكمل منه ولا أنور كان جميع الاشياء واقعة في نوره بل يكون نوره نافذا في الكل متصرفا فيها محيطا بها أزلا وأبدا ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء وههنا أسرار أخر لا يجوز التعبير عنها لعزتها يتفطن لبعضها من وفق لها من أهلها * البحث الخامس في ألفاظ تقرب من العلم الاول الادراك وهو

عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم السلوى طير يشبه السماني حدثني موسى بن هرون قال حدثنا عمرو قال حدثنا أسباط عن السدي قال كان طيرا أكبر من السماني حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال السلوى طائر كانت تحشرها عليهم الريح الجنوب حدثني محمد بن عمرو قال حدثنا أبو عاصم قال حدثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال السلوى طائر حدثني المثنى قال حدثنا أبو حذيفة قال حدثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد السلوى طير حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا اسمعيل ابن عبد الكريم قال حدثني عبد الصمد قال سمعت وهبا وسئل ما السلوى فقال طير سمين مثل الحمام حدثني يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد السلوى طير حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس السلوى كان طيرا يأتيهم مثل السماني حدثني المثنى ثنا الحماني قال ثنا شريك عن مجالد عن عامر قال السلوى السماني حدثت عن المنجاب قال حدثنا بشر عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس قال السلوى هو السماني حدثنا أحمد بن اسحق قال أخبرنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن مجالد عن عامر قال السلوى السماني حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عامر قال ثنا قرة عن الضحاك قال السماني هو السلوى * فان قال قائل وما سبب تظليل الله جل ثناؤه الغمام وانزاله المن والسلوى على هؤلاء القوم قيل قد اختلف أهل العلم في ذلك ونحن ذاكرون ما حضرنا منه فحدثنا موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط بن نصر عن السدي لما تاب الله على قوم موسى وأحيا السبعين الذين اختارهم موسى بعد ما أماتهم أمرهم الله بالمسير الى أريحا وهي أرض بيت المقدس فساروا حتى اذا كانوا قريبا منهم بعث موسى اثني عشر نقيبا وكان من أمرهم وأمر الجبارين وأمر قوم موسى ما قد قص الله في كتابه فقال قوم موسى لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون فغضب موسى فدعا عليهم فقال رب اني لا أملك الا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين فكانت عجلة من موسى عجلها فقال الله تعالى انها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الارض فلما ضرب عليهم التيه ندم موسى وأتاه قومه الذين كانوا معه يطيعونه فقالوا له ما صنعت بنا يا موسى فلما ندم أوحى الله اليه أن لا تأس على القوم الفاسقين أي لا تحزن على القوم الذين سميتهم فاسقين فلم يحزن فقالوا يا موسى كيف لنا بماء ههنا أين الطعام فانزل الله عليهم المن فكان يسقط على شجر الترنجبين والسلوى وهو طير يشبه السماني فكان يأتي أحدهم فينظر الى الطير ان كان سمينا ذبحه والا أرسله فاذا سمن أتاه فقالوا هذا الطعام فأين الشراب فأمر موسى فضرب بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا فشرب كل سبط من عين فقالوا هذا الطعام والشراب فأين الظل فظلل عليهم الغمام فقالوا هذا الظل فأين اللباس فكانت

ثيابهم تطول معهم كما تطول الصبيان ولا يتخرق لهم ثوب فذلك قوله وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى وقوله واذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لما تاب الله عز وجل على بنى اسرائيل وأمر موسى أن يرفع عنهم السيف من عبادة العجل أمر موسى أن يسير بهم الى الارض المقدسة وقال انى قد كتبتها لكم دارا وقرارا ومنزلا فاخرج اليها وجاهد من فيها من العدو فانى ناصركم عليهم فسار بهم موسى الى الارض المقدسة بامر الله عز وجل حتى اذا نزل التيه بين مصر والشام وهى أرض ليس فيها (١) خمر ولا ظل دعا موسى ربه حين آذاهم الحر فظلل عليهم بالغمام ودعا لهم بالرزق فانزل الله لهم المن والسلوى حدثنى المثنى بن ابراهيم قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس وحدثت عن عمار بن الحسن ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قوله وظللنا عليكم الغمام قال ظلل عليهم الغمام فى التيه تاهوا فى خمسة فراسخ أو ستة كلما أصبحوا ساروا غادين فأمسوا فاذا هم فى مكانهم الذى ارتحلوا منه فكانوا كذلك حتى مرت أربعون سنة قال وهم فى ذلك ينزل عليهم المن والسلوى ولا تبلى ثيابهم ومعهم حجر من حجارة الطور يحملونه معهم فاذا نزلوا ضربه موسى بعصاه فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا اسمعيل بن عبد الكريم قال حدثنى عبد الصمد قال سمعت وهبا يقول ان بنى اسرائيل لما حرم الله عليهم أن يدخلوا الارض المقدسة أربعين سنة يتيهون فى الارض شكوا الى موسى فقالوا ما نأكل فقال ان الله سيأتيكم بما تأكلون قالوا من أين لنا الا أن يمطر علينا خبزا قال ان الله عز وجل سينزل عليكم خبزا مخبوزا فكان ينزل عليهم المن سئل وهب ما المن قال خبز الرقاق مثل الذرة أو مثل النقى قالوا وما نأتدم وهل بد لنا من لحم قال فان الله يأتيكم به فقالوا من أين لنا الا أن تأتينا به الريح قال فان الريح تأتيكم به وكانت الريح تأتيهم بالسلوى فسئل وهب ما السلوى قال طير سمين مثل الحمام كانت تأتيهم فيأخذون منه من السبت الى السبت قالوا فما نلبس قال لا يخلق لاحد منكم ثوب أربعين سنة قالوا فما نحتذى قال لا ينقطع لاحدكم شسع أربعين سنة قالوا فان فينا أولادا فما نكسوهم قال ثوب الصغير يشب معه قالوا فمن أين لنا الماء قال يأتيكم به الله قالوا فمن أين الا أن يخرج لنا من الحجر فامر الله تبارك وتعالى موسى أن يضرب بعصاه الحجر قالوا فبم نبصر تغشانا الظلمة فضرب لهم عمودا من نور فى وسط عسكرهم أضاء عسكرهم كله قالوا فبم نستظل فان الشمس علينا شديدة قال يظلكم الله بالغمام حدثنى يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال ابن زيد فذكر نحو حديث موسى بن هرون عن عمرو بن حماد عن أسباط عن السدى حدثنى القاسم بن الحسن قال ثنا الحسين قال حدثنى حجاج قال قال ابن جريج قال عبد الله بن عباس خلق لهم فى التيه ثياب لا تخلق ولا تدرن قال وقال

(١) الخمر محركة كل ما سترك من شجر أو بناء أو غيره كذا فى اللسان كتبه مصححه

الوصول لان القوة العاقلة تصل الى حقيقة المعقول الثانى الشعور وهو ادراك بغير استثبات وهو أول مراتب وصول المعقول الى القوة العاقلة ولهذا لا يوصف به الله تعالى الثالث التصور مشتق من الصورة فكأن حقيقة المعقول حلت فى العاقلة حلول الشكل فى المادة الرابع الحفظ وذلك اذا استحكمت الصورة فى العاقلة بحيث لو زالت لتمكنت من استرجاعها الخامس التذكر وهو محاولة استرجاع الصورة المحفوظة وانه بالحقيقة التفات النفس الى عالمها السادس الذكر وهو وجدان الصورة بعد محاولة استرجاعها ولا محالة يكون مسبوقا بالزوال قال الشاعر

الله يعلم أنى لست أذكره
وكيف أذكره اذ لست أنساه

ويوصف القول بالذكر لانه سبب حضور المعنى فى النفس قال عز من قائل انا نحن نزلنا الذكر السابع المعرفة وقد اختلفوا فى تفسيرها فمن قائل انها ادراك الجزئيات والعلم ادراك الكليات ومن قائل انها التصور والعلم هو التصديق وجعل العرفان أشرف من العلم لان تصديقنا باستناد هذه المحسوسات الى موجود واجب الوجود أمر معلوم بالضرورة وأما تصور حقيقته فأمر وراء الطاقة البشرية وقال بعضهم من أدرك شيأ وانحفظ أثره فى نفسه ثم أدرك ذلك الشئ ثانيا وعرف أن هذا المدرك الذى أدركه ثانيا هو الذى كان قد أدركه أولا فهذا هو المعرفة والنفس قبل البدن كانت معترفة بالربوبية الا أنها فى ظلمة العلاقة البدنية قد نسيت مولاها فاذا تخلصت من قيد العلاقة عرفت ربها وعرفت أنها كانت عارفة الثامن الفهم وهو تصور الشئ من لفظ المخاطب والافهام هو ايصال المعنى باللفظ الى فهم السامع التاسع الفقه وهو العلم بغرض المخاطب من خطابه قال تعالى لا يكادون يفقهون حديثا أى لا يقفون على المقصود الاصلى من التكاليف العاشر العقل وهو العلم بصفات الاشياء من حسنها وقبحها وكمالها ونقصانها ونفعها وضرها حتى يصير مانعا من الفعل مرة ومن الترك أخرى فيجرى ذلك مجرى عقال الناقة ومن ههنا قيل هو العلم بخير الخيرين وشر الشرين والعاقل من عقل عن الله أمره ونهيه الحادى عشر الدراية وهى المعرفة الحاصلة بضرب من الحيلة وهى ترتيب المقدمات فلا يصح اطلاقها عليه تعالى الثانى عشر الحكمة وهى اسم لكل علم حسن وعمل صالح وهو بالعلم العملى أخص منه بالعلم النظرى وفى العمل أكثر استعمالا منه فى العلم وقيل هى الاقتداء بالخالق سبحانه بقدر القوة البشرية وذلك أن يجتهد أن ينزه

ابن جريج ان أخذ الرجل من المن والسلوى فوق طعام يوم فسد الا انهم كانوا ياخذون فى يوم الجمعة طعام يوم السبت فلا يصبح فاسدا ۞ القول فى تاويل قوله تعالى ذكره (كلوا من طيبات مارزقناكم) وهذا مما استغنى بدلالة ظاهره على ماترك منه وذلك أن تاويل الآية وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى وقلنا لكم كلوا من طيبات مارزقناكم فترك ذكر قوله وقلنا لكم لما بينا من دلالة الظاهر فى الخطاب عليه وعنى جل ذكره بقوله كلوا من طيبات مارزقناكم كلوا من مشتهيات رزقنا الذى رزقناكموه وقد قيل عنى بقوله من طيبات مارزقناكم من حلاله الذى أبحناه لكم فجعلناه لكم رزقا والاول من القولين أولى بالتأويل لانه وصف ماكان القوم فيه من هنىء العيش الذى أعطاهم فوصف ذلك بالطيب الذى هو بمعنى اللذة أحرى من وصفه بانه حلال مباح وما التى مع رزقناكم بمعنى الذى كانه قيل كلوا من طيبات الرزق الذى رزقناكموه ۞ القول فى تاويل قوله تعالى ذكره (وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) وهذا أيضا من الذى استغنى بدلالة ظاهره على ماترك منه وذلك أن معنى الكلام كلوا من طيبات مارزقناكم فخالفوا ما أمرناهم به وعصوا ربهم ثم رسولنا اليهم وما ظلمونا فاكتفى بما ظهر عما ترك وقوله وما ظلمونا يقول وما ظلمونا بفعلهم ذلك ومعصيتهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ويعنى بقوله وما ظلمونا وما وضعوا فعلهم ذلك وعصيانهم ايانا موضع مضرة علينا ومنقصة لنا ولكنهم وضعوه من أنفسهم موضع مضرة عليها ومنقصة لها كما حدثت عن المنجاب قال ثنا بشر عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون قال يضرون وقد دللنا فيما مضى على أن أصل الظلم وضع الشئ فى غير موضعه بما فيه الكفاية فاغنى ذلك عن اعادته وكذلك ربنا جل ذكره لاتضره معصية عاص ولا يتحيف خزائنه ظلم ظالم ولا تنفعه طاعة مطيع ولا يزيد فى ملكه عدل عادل بل نفسه يظلم الظالم وحظها يبخس العاصى واياها ينفع المطيع وحظها يصيب العادل ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (واذ قلنا ادخلوا هذه القرية) والقرية التى أمرهم الله جل ثناؤه أن يدخلوها فيأكلوا منها رغدا حيث شاؤا فيما ذكر لنا بيت المقدس ذكر الرواية بذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أنبأنا عبد الرزاق قال أنبأنا معمر عن قتادة فى قوله ادخلوا هذه القرية قال بيت المقدس حدثنى موسى بن هرون قال حدثنى عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدى واذ قلنا ادخلوا هذه القرية أما القرية فقرية بيت المقدس حدثت عن عمار بن الحسن قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع واذ قلنا ادخلوا هذه القرية يعنى بيت المقدس حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سألته يعنى ابن زيد عن قوله ادخلوا هذه القرية فكلوا منها قال هى أريحا وهى قريبة من بيت المقدس ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (فكلوا منها حيث شئتم رغدا) يعنى بذلك فكلوا من هذه القرية حيث شئتم عيشا هنيا واسعا بغير حساب وقد بينا معنى الرغد فيما مضى من كتابنا وذكرنا أقوال أهل التأويل فيه ۞ القول فى تاويل قوله تعالى ذكره (وادخلوا الباب سجدا) أما الباب الذى أمروا أن يدخلوه فانه قيل هو باب الحطة من بيت المقدس ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو الباهلى قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن

علمه عن الجهل وعدله عن الجور وجوده عن البخل وحلمه عن السفه الثالث عشر علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين فعلم اليقين ما كان من طريق النظر والاستدلال وعين اليقين ما كان من طريق الكشوف والنوال وحق اليقين ما كان متحققا فى الانفصال عن لوث الصلصال بورود رائد الوصال الرابع عشر الذهن وهو قوة النفس على اكتساب الحدود والآراء الخامس عشر الفكر وهو انتقال النفس من التصديقات الحاضرة الى التصديقات المستحضرة وقيل انه يجرى مجرى التضرع الى الله تعالى فى استنزال العلم من عنده السادس عشر الحدس وهو قوة للنفس بها يهتدى بسرعة الى الحد الاوسط فى كل قياس السابع عشر الذكاء وهو شدة هذا الحدس وبلوغه الغاية القصوى من ذكت النار اشتعلت الثامن عشر الفطنة وهى التنبه لشئ قصد تعريضه كالاحاجى والرموز التاسع عشر الخاطر وهو حركة النفس نحو تحصيل حق أو حظ العشرون الوهم وهو الاعتقاد المرجوح وقد يقال انه الحكم بامور جزئية غير محسوسة لاشخاص جزئية كحكم السخلة بصداقة الام وعداوة الذئب الحادى والعشرون الظن وهو الاعتقاد الراجح فان كان عن أمارة قوية قبل ومدح وعليه مدار أكثر أحوال العالم وان كان عن أمارة ضعيفة ذم ان بعض الظن اثم الثانى والعشرون الخيال وهو عبارة عن الصورة الباقية عن المحسوس بعد غيبته وما كان من ذلك فى النوم قد يخص باسم الطيف الثالث والعشرون البديهة وهى المعرفة الحاصلة للنفس ابتداء لا بتوسط الفكر مثل الكل أعظم من الجزء وقد يقال لها الاوليات الرابع والعشرون الروية وهى ما كان من المعارف بعد فكر كثير الخامس والعشرون الكياسة وهى تمكن النفس من استنباط ما هو أنفع ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت السادس والعشرون الخبر وهو معرفة تحصل بطريق التجربة وجدت الناس اخبر تقله السابع والعشرون الرأى وهو اجالة الخاطر فى المقدمات التى يرجى منها انتاج المطلوب وقد يقال للقضية المستنتجة من الرأى رأى والرأى للفكرة كالآلة للصانع ولهذا قيل اياك والرأى الفطير الثامن والعشرون الفراسة وهى اختلاس المعارف من فرس السبع الشاة فضرب منها يحصل للانسان من باطنه ولا يعرف له سبب الا صفاء جوهر الروح وهو شبه الالهام واياه عنى النبى صلى الله عليه وسلم بقوله ان فى أمتى لمحدثين وان عمر منهم وقد يسمى النفث

في الروع وضرب يحصل بالاستدلال من الاشكال الظاهرة على الاخلاق الباطنة وقيل أفمن كان على بينة من ربه اشارة الى الاول ويتلوه شاهد منه الى الثاني والله أعلم * التأويل * عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم فتجلى فيه فبالتجلي علمه التخلق باخلاقه والاتصاف بصفاته وهذا هو سر الخلافة بالحقيقة لان المراة تكون خليفة المتجلي فيها أنبؤني باسماء هؤلاء أي باسماء هؤلاء المخلوقات دون أسماء الله وصفاته ان كنتم صادقين في دعوى الفضيلة فان الفضيلة ليست بمجرد الطاعة فان ذرات الموجودات مسبحات بحمدي وانما الافضلية بالعلم لان الطاعة من صفات الخلق والعلم من صفات الخالق والفضل لمن له صفة الحق والخلق جميعا فيخلف عن الحق بصفاته وعن الخلق بصفاتهم وانما قال أنبئهم ولم يقل علمهم كقوله تعالى وعلم آدم لان الملائكة ليس لهم الترقي في الدرجات والملكوتيات لهم شهادة كالجسمانيات لنا ولا يتجاوزون ما فوق سدرة المنتهى كما قال جبريل لو دنوت أنملة لاحترقت والجسمانيات مرتبة دون مرتبتهم فيمكن انباؤهم بها لان الجسمانيات لهم كالحيوانيات بالنسبة الينا وأما الالهيات فليس لهم استعداد الترقي اليها فلهذا لم يقل أنبئهم باسمائهم كلها كما قال وعلم آدم الاسماء كلها لئلا يكون تكليفا بما لا يطاق وانما كان آدم مخصوصا بعلم الاسماء واحتاجت الملائكة اليه في انباء أسمائهم وأسماء غيرهم لانه كان خلاصة العالم ولهذا خلق شخصه بعد تمام العالم بما فيه كخلق الثمرة بعد تمام الشجرة فكما أن الثمرة تعبر على أجزاء الشجرة كلها حتى تظهر على أعلى الشجرة كذلك آدم عبر على أجزاء شجرة الوجود وكان في كل جزء من أجزائها له منفعة ومضرة ومصلحة ومفسدة فحصل له من كل من ذلك اسم يلائمه حتى ان أسماء الله تعالى جاءت على وفقه فضلا عن أسماء غيره وذلك انه لما كان مخلوقا كان الله خالقا ولما كان مرزوقا كان الله رازقا ولما كان عبدا كان الله معبودا ولما كان معيوبا كان ستارا ولما كان مذنبا كان غفارا ولما كان تائبا كان توابا ولما كان منتفعا ومتضررا كان نافعا وضارا ولما كان ظالما كان عادلا ولما كان عليه السلام مظلوما كان منتقما وعلى هذا فقس (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من

أبي نجيح عن مجاهد ادخلوا الباب سجدا قال باب الحطة من باب ايلياء من بيت المقدس حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدي وادخلوا الباب سجدا أما الباب فباب من أبواب بيت المقدس حدثني محمد بن سعد قال حدثني أبي قال حدثني عمي قال حدثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وادخلوا الباب سجدا أنه أحد أبواب بيت المقدس وهو يدعى باب حطة وأما قوله سجدا فان ابن عباس كان يتأوله بمعنى الركع حدثني محمد بن بشار قال ثنا أبو أحمد الزبيري قال ثنا سفيان عن الاعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله ادخلوا الباب سجدا قال ركعا من باب صغير حدثنا الحسن بن الزبرقان النخعي قال ثنا أبو أسامة عن سفيان عن الاعمش عن المنهال عن سعيد عن ابن عباس في قوله ادخلوا الباب سجدا قال أمروا أن يدخلوا ركعا وأصل السجود الانحناء لمن سجد له معظما بذلك فكل منحن لشئ تعظيما له فهو ساجد ومنه قول الشاعر

بجمع تضل البلق في حجراته * ترى الأكم فيه سجدا للحوافر

يعني بقوله سجدا خاشعة خاضعة ومن ذلك قول أعشى بني قيس بن ثعلبة

يراوح من صلوات المليك طورا سجودا وطورا جؤارا

فذلك تأويل ابن عباس قوله سجدا ركعا لان الراكع منحن وان كان الساجد أشد انحناء منه

القول في تأويل قوله تعالى (وقولوا حطة) وتأويل قوله حطة فعلة من قول القائل حط الله عنك خطاياك فهو يحطها حطة بمنزلة الردة والحدة والمدة من حددت ومددت واختلف أهل التأويل في تأويله فقال بعضهم بنحو الذي قلنا في ذلك ذكر من قال ذلك منهم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أنا معمر وقولوا حطة قال الحسن وقتادة أي احطط عنا خطايانا حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد وقولوا حطة يحط الله بها عنكم ذنبكم وخطاياكم حدثنا القاسم ابن الحسن قال ثنا الحسين قال حدثني حجاج قال قال ابن جريج قال ابن عباس وقولوا حطة قال يحط عنكم خطاياكم حدثنا أبو كريب قال حدثنا وكيع عن سفيان عن الاعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قوله حطة مغفرة حدثت عن عمار بن الحسن قال حدثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله حطة قال يحط عنكم خطاياكم حدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال أخبرني حجاج عن ابن جريج قال قال لي عطاء في قوله وقولوا حطة قال سمعنا أنه يحط عنهم خطاياهم * وقال آخرون معنى ذلك قولوا لا اله الا الله كأنهم وجهوا تأويله قولوا الذي يحط عنكم خطاياكم وهو قول لا اله الا الله ذكر من قال ذلك حدثني المثنى وسعد بن عبد الله بن عبد الحكم المصري قالا أخبرنا حفص بن عمر ثنا الحكم بن أبان عن عكرمة وقولوا حطة قال قولوا لا اله الا الله * وقال آخرون بمثل معنى قول عكرمة الا أنهم جعلوا القول الذي أمروا بقيله الاستغفار ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن الزبرقان النخعي ثنا أبو أسامة عن سفيان عن الاعمش عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وقولوا حطة قال أمروا أن يستغفروا * وقال آخرون نظير قول

عكرمة

الظالمين فازلهما الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الارض مستقر ومتاع الى حين فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم قلنا اهبطوا منها جميعا فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) القراآت للملائكة اسجدوا برفع الهاء للاتباع يزيد وقتيبة وروى ابن مهران عنهما أنهما يشمان الكاف الكسر ويرفعان الهاء وروى الخزاعى وابن شنبوذ عن أهل مكة الملايكة بغير همز وكذلك كل كلمة فى وسطها همزة مكسورة الا قوله السائلين والسائل والبائس فانهما بالهمز ششتماو بابه بغير همز أبو عمرو ويزيد والاعشى وورش ومن طريق الاصفهانى وحمزة فى الوقف فأزالهما حمزة آدم نصب كلمات رفع ابن كثير فلا خوف عليهم بالفتح حيث كان يعقوب هداى ومحياى ومثواى بالامالة كل القرآن على غير ليث النار بالامالة كل القران وكذلك كل كلمة فى آخرها راء مكسورة بعد الالف فى موضع اللام من الكلمة قرأها على غير ليث وأبى حمدون وحمدويه والنجارى عن ورش وحمزة فى رواية ابن سعدان وأبو عمرو الا أنه لا يميل الجار والغار فى بعض الروايات فروى ابراهيم بن حماد عن اليزيدى الجار بالامالة وروى ابن مجاهد عن اليزيدى الغار بالامالة وسائر الروايات عنه بالتفخيم لقلة دورهما واختلفوا فى وقف أبى عمرو فى مثل النار وأشباه ذلك فروى ابن مجاهد والحسن بن عبد الله عن النقاش وكثير من أهل العراق انه يقف كما يصل وروى سلمة بن عاصم أنه يقف بالتفخيم والاول أكثر * الوقوف ابليس (ط) لانه معرف والجملة بعده لا تكون صفة له الا بواسطة الذى ولا عامل فتجعل الجملة حالا الكافرين ه شتما (ص) لاتفاق الجملتين الظالمين ه كانا فيه ص لعطف الجملتين المتفقتين عدو ج لاختلاف الجملتين حين ه فتاب عليه ط الرحيم ج جميعا ج لابتداء الشرط مع فاء التعقيب يحزنون ه النار ج لان ما بعدها مبتدأ وخبر وقيل الجملة خبر بعد خبر لا وقف لان تمام المقصود بوعيد هو الخلود مثل الرمان حلو حامض خالدون ه * التفسير لما خصص الله تعالى أبانا آدم بالخلافة ثم علمه من العلوم ما ظهر بذلك مزيته على جميع الملائكة اقتضت حكمته البالغة أن جعله مسجودا لهم وهذا مقتضى النسق ههنا ظاهر الا أن قوله تعالى فى

عكرمة الا أنهم قالوا القول الذى أمروا أن يقولوه هو أن يقولوا هذا الامر حق كما قيل لكم ذكر من قال ذلك حدثت عن المنجاب قال ثنا بشر عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس فى قوله وقولوا حطة قال قولوا هذا الامر حق كما قيل لكم واختلف أهل العربية فى المعنى الذى من أجله رفعت الحطة فقال بعض نحويى البصرة رفعت الحطة بمعنى قولوا ليكن منك حطة لذنوبنا كما تقول للرجل سمعك وقال آخرون منهم هى كلمة أمرهم الله أن يقولوها مرفوعة وفرض عليهم قيلها كذلك وقال بعض نحويى الكوفيين رفعت الحطة بضمير هذه كأنه قال وقولوا هذه حطة وقال آخرون منهم هى مرفوعة بضمير معناه الخبر كأنه قال قولوا ما هو حطة فتكون حطة حينئذ خبرا لما والذى هو أقرب عندى فى ذلك الى الصواب وأشبه بظاهر الكتاب أن يكون رفع حطة بنية خبر محذوف قد دل عليه ظاهر التلاوة وهو دخولنا الباب سجدا حطة فكفى من تكريره بهذا اللفظ ما دل عليه الظاهر من التنزيل وهو قوله وادخلوا الباب سجدا كما قال جل ثناؤه واذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم يعنى موعظتنا اياهم معذرة الى ربكم فكذلك عندى تأويل قوله وقولوا حطة يعنى بذلك واذ قلنا ادخلوا هذه القرية وادخلوا الباب سجدا وقولوا دخولنا ذلك سجدا حطة لذنوبنا وهذا القول على نحو تأويل الربيع بن أنس وابن جريج وابن زيد الذى ذكرناه آنفا وأما على تأويل قول عكرمة فان الواجب أن تكون القراءة بالنصب فى حطة لان القوم ان كانوا أمروا أن يقولوا لا اله الا الله أو أن يقولوا نستغفر الله فقد قيل لهم قولوا هذا القول فقولوا واقع حينئذ على الحطة لان الحطة على قول عكرمة هى قول لا اله الا الله واذ كانت هى قول لا اله الا الله فالقول عليها واقع كما لو أمر رجل رجلا بقول الخير فقال له قل خيرا نصبا ولم يكن صوابا أن يقول له قل خير الا على استكراه شديد وفى اجماع القراء على رفع الحطة بيان واضح على خلاف الذى قاله عكرمة من التأويل فى قوله وقولوا حطة وكذلك الواجب على التأويل الذى رويناه عن الحسن وقتادة فى قوله وقولوا حطة أن تكون القراءة فى حطة نصبا لان من شأن العرب اذا وضعوا المصادر مواضع الافعال وحذفوا الافعال أن ينصبوا المصادر كما قال الشاعر

أبيدوا بأيدى عصبة وسيوفهم * على أمهات الهام ضربا شآميا

وكقول القائل للرجل سمعا وطاعة بمعنى أسمع سمعا وأطيع طاعة وكما قال جل ثناؤه معاذ الله بمعنى نعوذ بالله القول فى تأويل قوله تعالى (نغفر لكم) يعنى بقوله نغفر لكم نتغمد لكم بالرحمة خطاياكم ونسترها عليكم فلا نفضحكم بالعقوبة عليها وأصل الغفر التغطية والستر فكل ساتر شيأ فهو غافره ومن ذلك قيل للبيضة من الحديد التى تتخذ جنة للرأس مغفر لانها تغطى الرأس وتجنه ومنه غمد السيف وهو ما يغمده فيواريه ولذلك قيل لزئبر الثوب غفر لتغطيته العورة وحوله بين الناظر والنظر اليها ومنه قول أوس بن حجر

فلا أعتب ابن العم ان كان جاهلا * وأغفر عنه الجهل ان كان أجهلا

يعنى بقوله وأغفر عنه الجهل أستر عليه جهله بحلمى عنه ﴿القول فى تأويل قوله تعالى (خطاياكم)﴾ والخطايا جمع خطية بغير همز كالمطايا جمع مطية والحشايا جمع حشية وانما ترك جمع الخطايا بالهمز لان ترك الهمز فى خطيئة أكثر من الهمز فجمع على خطايا على أن واحدتها غير مهموزة ولو كانت الخطايا مجموعة على خطيئة بالهمز لقيل خطائى على مثل قبيلة وقبائل وصحيفة وصحائف وقد تجمع خطيئة بالتاء فيهمز فيقال خطيئات والخطيئة فعيلة من خطئ الرجل يخطأ خطأ وذلك اذا عدل عن سبيل الحق ومنه قول الشاعر
وان مهاجرين تكنفاه * لعمر الله قد خطئا وخابا
يعنى أضلا الحق وأثما ﴿القول فى تاويل قوله تعالى ذكره (وسنزيد المحسنين)﴾ وتأويل ذلك ماروى لنا عن ابن عباس وهو ما حدثنا به القاسم بن الحسن قال ثنا الحسين قال حدثنى حجاج قال قال ابن جريج قال ابن عباس وسنزيد المحسنين من كان منكم محسنا زيد فى احسانه ومن كان مخطئا نغفر له خطيئته فتأويل الآية واذ قلنا ادخلوا هذه القرية مباحا لكم كل مافيها من الطيبات موسعا عليكم بغير حساب وادخلوا الباب سجدا وقولوا سجودنا هذا لله حطة من ربنا لذنوبنا يحط به آثامنا نتغمد لكم ذنوب المذنب منكم فنسترها عليه ونحط أوزاره عنه وسنزيد المحسنين منكم الى احساننا السالف عنده احسانا ثم أخبر الله جل ثناؤه عن عظيم جهالتهم وسوء طاعتهم ربهم وعصيانهم لانبيائهم واستهزائهم برسله مع عظيم آلاء الله عز وجل عندهم وعجائب ما أراهم من آياته وعبره موبخا بذلك أبناءهم الذين خوطبوا بهذه الآيات ومعلمهم أنهم ان تعدوا فى تكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم وجحودهم نبوته مع عظيم احسان الله بمبعثه فيهم اليهم وعجائب ما أظهر على يديه من الحجج بين أظهرهم أن يكونوا كاسلافهم الذين وصف صفتهم وقص علينا أنباءهم فى هذه الآيات فقال جل ثناؤه فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء الآية ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ذكره (فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم)﴾ وتأويل قوله فبدل فغير ويعنى بقوله الذين ظلموا الذين فعلوا مالم يكن لهم فعله ويعنى بقوله قولا غير الذى قيل لهم بدلوا قولا غير الذى أمروا أن يقولوه فقالوا خلافه وذلك هو التبديل والتغيير الذى كان منهم وكان تبديلهم بالقول الذى أمروا أن يقولوه قولا غيره ما حدثنا به الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن همام بن منبه أنه سمع أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله لبنى اسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم فبدلوا ودخلوا الباب يزحفون على أستاههم وقالوا حبة فى شعيرة حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة وعلى بن مجاهد قالا حدثنا محمد بن اسحق عن صالح بن كيسان عن صالح مولى التوأمة عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال وحدثت عن محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت عن سعيد بن جبير أو عن عكرمة عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال دخلوا الباب الذى أمروا أن يدخلوا منه سجدا يزحفون على أستاههم يقولون حنطة فى شعيرة وحدثنى محمد بن عبد الله المحاربى قال حدثنا عبد الله بن المبارك عن معمر عن همام عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله حطة قال بدلوا فقالوا حبة

حدثنا

موضع آخر فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين يقتضى أن يكون الامر بالسجود قبل تسوية خلقه وانه كما صار حيا صار مسجودا لهم وتعليم الاسماء ومناظرته مع الملائكة فى ذلك حصل بعد سجدتهم والله أعلم بذلك ثم ان المسلمين أجمعوا على أن ذلك السجود لم يكن للعبادة لانه تعالى لا يامر بالكفر والعبادة لغيره كفر فزعم بعض أن السجود كان لله تعالى وآدم كالقبلة فقوله اسجدوا لآدم مثل قولك صل للقبلة قال حسان بن ثابت

ما كنت أعرف أن الامر منصرف * عن هاشم ثم منها عن أبى حسن
أليس أول من صلى لقبلتكم * وأعرف الناس بالقرآن والسنن

وهو ضعيف لان المقصود من هذه القصة شرح تعظيم آدم وجعله مجرد القبلة لا يفيد كونه أعظم حالا من الساجد وزعم آخرون أن المراد بالسجود الانقياد والخضوع كما هو مقتضى أصل اللغة مثل والنجم والشجر يسجدان وزيف بانه فى عرف الشرع عبارة عن وضع الجبهة على الارض فوجب أن يكون فى أصل اللغة كذلك لان الاصل عدم التغيير وأصح الاقوال أن السجود كان بمعنى وضع الجبهة ولكن لا عبادة بل تكرمة وتحية كالسلام منهم عليه وقد كانت الامم السالفة تفعل ذلك بدل التسليم قال قتادة فى قوله وخروا له سجدا كان تحية الناس يومئذ سجود بعضهم لبعض ويجوز أن تختلف الرسوم والعادات باختلاف الازمنة والاوقات واختلف فى أن ابليس من الملائكة أم لا فقال أكثر المتكلمين لا سيما المعتزلة انه لم يكن منهم وقال كثير من الفقهاء انه كان منهم حجة الاولين انه من الجن لقوله تعالى فى الكهف الا ابليس كان من الجن فلا يكون من الملائكة وأيضا قال ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن ورد الاول بان الجن قد يطلق على الملك لاستتاره عن العيون وبان كان يحتمل أن تكون بمعنى صار والثانى بانه لا يلزم من كون الجن فى هذه الآية نوعا مغايرا للملائكة أن يكون فى الآية الاولى أيضا مغايرا لاحتمال كونه على مقتضى أصل اللغة وهو الاستتار وقالوا ان ابليس له ذرية لقوله تعالى أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى والملائكة لا ذرية لها لانها لا تحصل من الذكر والانثى ولا اناث فيهم لقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا منكرا عليهم وأيضا الملائكة معصومون لما سلف وابليس لم يكن

حدثنا ابن بشار قال حدثنا عبد الرحمن بن مهدي قال حدثنا سفيان عن السدي عن أبي سعيد عن أبي الكنود عن عبد الله ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة قالوا حنطة حمراء فيها شعيرة فأنزل الله فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم حدثنا محمد بن بشار قال حدثنا أبو أحمد الزبيري قال حدثنا سفيان عن الاعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله ادخلوا الباب سجدا قال ركوعا من باب صغير فجعلوا يدخلون من قبل أستاههم ويقولون حنطة فذلك قوله فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم حدثنا الحسن بن الزبرقان النخعي قال حدثنا أبو أسامة عن سفيان عن الاعمش عن المنهال عن سعيد عن ابن عباس قال أمروا أن يدخلوا ركعا ويقولوا حطة قال أمروا أن يستغفروا قال فجعلوا يدخلون من قبل أستاههم من باب صغير ويقولون حنطة يستهزؤن فذلك قوله فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم حدثنا الحسن بن يحيى قال أنبأنا عبد الرزاق قال أنبأنا معمر عن قتادة والحسن ادخلوا الباب سجدا قالا دخلوها على غير الجهة التي أمروا بها فدخلوها متزحفين على أوراكهم وبدلوا قولا غير الذي قيل لهم فقالوا حبة في شعيرة حدثني محمد بن عمرو الباهلي قال حدثنا أبو عاصم قال حدثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال أمر موسى قومه أن يدخلوا الباب سجدا ويقولوا حطة وطوطئ لهم الباب ليسجدوا فلم يسجدوا ودخلوا على أدبارهم وقالوا حنطة حدثني المثنى قال حدثنا أبو حذيفة قال حدثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال أمر موسى قومه أن يدخلوا المسجد ويقولوا حطة وطوطئ لهم الباب ليخفضوا رؤسهم فلم يسجدوا ودخلوا على أستاههم الى الجبل وهو الجبل الذي تجلى له ربه وقالوا حنطة فذلك التبديل الذي قال الله عز وجل فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم حدثني موسى بن هرون الهمداني (۷) عن ابن مسعود انه قال انهم قالوا هطى سمقا يا ازبة هزبا وهو بالعربية حبة حنطة حمراء مثقوبة فيها شعيرة سوداء فذلك قوله فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم حدثنا أبو كريب قال حدثنا وكيع عن سفيان عن الاعمش عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وادخلوا الباب سجدا قال فدخلوا على أستاههم مقنعي رؤسهم حدثنا سفيان بن وكيع قال حدثنا أبي عن النضر بن عدي عن عكرمة وادخلوا الباب سجدا فدخلوا مقنعي رؤسهم وقولوا حطة فقالوا حنطة حمراء فيها شعيرة فذلك قوله فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم حدثت عن عمار بن الحسن قال حدثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة قال فكان سجود احدهم على خده وقولوا حطة نحط عنكم خطاياكم فقالوا حنطة وقال بعضهم حبة في شعيرة فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم وحدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة يحط الله بها عنكم ذنبكم وخطيئاتكم قال فاستهزؤا به يعني بموسى وقالوا ما يشاء موسى أن يلعب بنا الا لعب بنا حطة حطة أي شئ حطة وقال بعضهم لبعض حنطة حدثنا القاسم بن الحسن قال حدثني الحسين قال حدثني

(۷) هكذا بالنسخ وفيه انقطاع اذ حذف ما بين شيخه وبين ابن مسعود اهـ مصححه

كذلك وأيضا انه من النار خلقتني من نار وانهم من نور لقوله صلى الله عليه وسلم خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار رواه الزهري عن عروة عن عائشة ومن المشهور الذي لا يدفع ان الملائكة روحانيون فقيل سموا بذلك لانهم من الريح أو من الروح وأيضا الملائكة رسل جاعل الملائكة رسلا ورسل الله معصومون الله أعلم حيث يجعل رسالته * حجة الآخرين انه استثناه من الملائكة وحمله على المتصل أولى لان تخصيص العمومات في كتاب الله أكثر من الاستثناء المنقطع قيل انه جني (۲٤۱) واحد مغمور بين ظهراني ألوف من الملائكة فغلبوا عليه وهذا لا ينافي كون الاستثناء متصلا وأجيب بأن التغليب انما يصار اليه اذا كان المغلوب ساقطا عن درجة الاعتبار أما اذا كان معظم الحديث فيه فلا يصار الى التغليب وأيضا لو لم يكن من الملائكة لم يتناوله الخطاب باسجدوا وحينئذ لم يستحق بترك السجود لوما وتعنيفا ولا يمكن أن يقال انه نشأ معهم والتصق بهم فتناوله الأمر لما بين في أصول الفقه أن خطاب الذكور لا يتناول الاناث وبالعكس مع شدة المخالطة بين الصنفين ولأن يقال انه وان لم يدخل في هذا الأمر الا أنه تعالى أمره بلفظ آخر ما حكاه في القرآن بدليل قوله ما منعك ألا تسجد اذ أمرتك لأن قوله أبى واستكبر عقيب قوله واذ قلنا للملائكة اسجدوا مشعر بأن المخالفة بسبب هذا الأمر هذا ما قيل عن الجانبين ومما يناسب تفسير الآية الكلام في أن الأنبياء أفضل من الملائكة أم بالعكس قال أكثر أهل السنة بالأول ومالت المعتزلة والشيعة الى الثاني واختاره الباقلاني وأبو عبد الله الحليمي من فقهاء أهل السنة * المعتزلة احتجوا بامور أحدها ومن عنده لا يستكبرون وليس المراد عندية المكان والجهة بل عندية القرب والشرف وعورض بما حكي عنه سبحانه أنا عند المنكسرة قلوبهم لأجلي بل هذا أبلغ لان كون الله تعالى عند العبد أدخل في التعظيم من كون العبد عنده قالوا الآية تدل على أنه تعالى يقول الملائكة مع شدة قوتهم واستيلائهم على أجرام السموات والارض وأمنهم من الهرم والمرض والآفات لا يتركون العبودية لحظة واحدة فالبشر مع غاية ضعفهم وقصورهم أولى بذلك وأجيب بانه لا نزاع في ذلك وانما النزاع في الأفضلية بمعنى كثرة الثواب * الثانية عباداتهم أشق من عبادات البشر فيكون ثوابهم أكثر لقوله صلى الله عليه وسلم لعائشة أجرك على

قدر نصبك ولقوله أفضل العبادات أحمزها أى أشقها وأما بيان أن عباداتهم أشق فمن وجهين أحدهما أنهم سكان السموات وهى جنان ومتنزهات وهم مع ذلك لا يلتفتون الى نعيمها ويقبلون على طاعاتهم خائفين وجلين وكأنه لا يقدر أحد من بنى آدم أن يبقى كذلك يوما واحدا فضلا عن تلك الاعصار المتطاولة ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى ويؤكده قصة آدم فانه أطلق له فى الجنة جميعها الا شجرة واحدة ومع ذلك لم يملك نفسه والثانى أن انتقال المكلف

من نوع عبادة الى نوع آخر كالانتقال من طعام الى طعام والاقامة على نوع واحد تورث السآمة وهذا شأن الملائكة وانا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبحون ومنهم ركوع ومنهم سجود منذ خلقوا وعورض الوجه الاول بان أسباب البلاء مجتمعة على البشر ثم انهم راضون بقضاء الله مواظبون على تكاليفهم ولذلك كان العبيد والخدم تطيب قلوبهم بالخدمة حال الرفاهية ولا يصبر أحدهم على مشقة الخدمة الا من كان فى نهاية الاخلاص والثانى بأن العادة طبيعة خامسة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم أفضل الصوم صوم داود كان يصوم يوما ويفطر يوما * الثالثة عباداتهم أدوم يسبحون الليل والنهار لا يفترون وخير الاعمال أدومها مع أن أعمارهم أكثر وعلى الآية سؤال روى عن عبد الله بن الحرث بن نوفل قال قلت لكعب أرأيت قول الله عز وجل لا يفترون ثم قال جاعل الملائكة رسلا أولئك عليهم لعنة الله والملائكة أفلا تكون الرسالة واللعن مانعين عن التسبيح فأجاب بان التنفس لا يمنعنا من الاشتغال بشئ آخر فكذلك التسبيح لهم وزيف بأن آلة النفس فينا غير آلة الكلام وأما اللعن والتسبيح فهما من جنس الكلام فاجتماعهما فى آلة واحدة محال وأجيب باحتمال أن يكون لهم ألسنة كثيرة يسبحون الله تعالى ببعضها ويلعنون أعداءه ببعض آخر وبأن ثناء الله يستلزم تبعد من اعتقد فى الله ما لا ينبغى أو المراد الذى لا يفترون عن العزم على أدائه فى أوقاته اللائقة به كما يقال فلان يواظب على الجماعات يعنون انه عازم على أدائها فى أوقاتها ونوقضت الحجة بان الطاعة القليلة من الانسان قد تقع على وجه يستحق بها ثوابا أكثر من ثواب طاعاتهم * الرابعة أنهم أسبق السابقين فى كل العبادات والسابقون السابقون أولئك المقربون من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها * الخامسة الملائكة رسل الى الأنبياء عليه

حجاج عن ابن جريج وقال ابن عباس لما دخلوا قالوا حبة فى شعيرة حدثنى محمد بن سعد قال حدثنى أبى سعد بن محمد بن الحسن قال أخبرنى عمى عن أبيه عن ابن عباس قال لما دخلوا الباب قالوا حبة فى شعيرة فبدلوا قولا غير الذى قيل لهم * القول فى تأويل قوله تعالى (فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء) يعنى بقوله فأنزلنا على الذين ظلموا على الذين فعلوا ما لم يكن لهم فعله من تبديلهم القول الذى أمرهم الله جل وعز أن يقولوه قولا غيره ومعصيتهم اياه فيما أمرهم به وبركوبهم ما قد نهاهم عن ركوبه رجزا من السماء بما كانوا يفسقون والرجز فى لغة العرب العذاب وهو غير الرجز وذلك أن الرجز البثر ومنه الخبر الذى روى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى الطاعون أنه قال انه رجز عذب به بعض الامم الذين قبلكم حدثنى يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى يونس عن ابن شهاب قال أخبرنى عامر بن سعد بن أبى وقاص عن أسامة بن زيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان هذا الوجع أو السقم رجز عذب به بعض الامم قبلكم وحدثنى أبو شيبة بن أبى بكر بن أبى شيبة قال حدثنا عمر بن حفص قال حدثنا أبى عن الشيبانى عن رباح بن عبيدة عن عامر بن سعد قال شهدت أسامة بن زيد عند سعد بن مالك يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الطاعون رجز أنزل على من كان قبلكم أو على بنى اسرائيل وبمثل الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أنا عبد الرزاق قال أنا معمر عن قتادة فى قوله رجزا قال عذابا حدثنى المثنى قال حدثنا آدم العسقلانى قال حدثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبى العالية فى قوله فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء قال الرجز الغضب حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد لما قيل لبنى اسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذى قيل لهم بعث الله جل وعز عليهم الطاعون فلم يبق منهم أحدا وقرأ فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون قال وبقى الابناء ففيهم الفضل والعبادة التى توصف فى بنى اسرائيل والخير وهلاك الآباء كلهم أهلكهم الطاعون حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد الرجز العذاب وكل شئ فى القرآن رجز فهو عذاب حدثت عن المنجاب قال حدثنا بشر عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس فى قوله رجزا قال كل شئ فى كتاب الله من الرجز يعنى به العذاب وقد دللنا على أن تأويل الرجز العذاب وعذاب الله جل ثناؤه أصناف مختلفة وقد أخبر الله جل ثناؤه أنه أنزل على الذين وصفنا أمرهم الرجز من السماء وجائز أن يكون ذلك طاعونا وجائز أن يكون غيره ولا دلالة فى ظاهر القرآن ولا فى أثر عن الرسول ثابت أى أصناف ذلك كان فالصواب من القول فى ذلك أن يقال كما قال الله عز وجل فأنزلنا عليهم رجزا من السماء بفسقهم غير أنه يغلب على النفس صحة ما قاله ابن زيد للخبر الذى ذكرت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اخباره عن الطاعون انه رجز وأنه عذب به قوم قبلنا وان كنت لا أقول ان ذلك كذلك يقينا لان الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا بيان فيه أى أمة عذبت بذلك وقد يجوز أن يكون الذين عذبوا به كانوا غير الذين وصف الله صفتهم فى قوله فبدل الذين ظلموا قولا غير

شديد القوى نزل به الروح الامين والرسول أفضل من الامة قياسا على الشاهد ومنع بان هذا اذا كان الرسول حاكما على المرسل اليهم ومتوليا لأمورهم كالانبياء المبعوثين الى أممهم أما فى مطلق الرسول فلم قلتم انه كذلك كما لو أرسل الملك عبدا من عبيده الى وزيره أو الى ملك آخر * السادسة أنهم أتقى من البشر لدوام خوفهم يخافون ربهم من فوقهم مع وجود شهوة الترفع والرياسة فيهم ولهذا قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها وان لم يكن لهم شهوة الأكل والوقاع فوجب أن يكونوا أفضل ان (٢٤٣) أكرمكم عند الله أتقاكم وورد بان تقوى الانسان أكمل فان لهم مع شهوة الرياسة شهوة البطن والفرج أيضا * السابعة لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون خرج الثانى مخرج التأكيد للاول ومثل هذا انما يكون بذكر الأفضل بعد الفاضل كقولك هذا العالم لا يستنكف عن خدمة الوزير ولا الملك فيفيد أفضلية الملائكة المقربين فى المعانى المصححة للعبودية من نهاية الخضوع والخشوع وما يتبعها مع شدة بطشهم وقوة حالهم وعورض بانه قد يقال هذا العالم لا يستنكف عن خدمة القاضى ولا السلطان ولا يفيد الا أن السلطان أكمل من القاضى فى بعض الامور كالقوة والقدرة ولا يدل على كونه أكمل من القاضى فى سائر الدرجات كالعلم والزهد فلم قلتم انهم أفضل من البشر فى كثرة الثواب قلت والحق أن جميع الدرجات مندرجة تحت العبودية كما أشرنا اليه فيما مر فيفيد أفضلية الملائكة لكن المقربين منهم فقط دون غيرهم ومفضولية المسيح فقط دون غيره لمحمد صلى الله عليه وسلم * الثامنة ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين فهذا وان كان حكاية قول ابليس الا أن آدم وحواء لو لم يعتقدا أفضلية الملك لم يغترا بذلك واعتقادهما حجة وورد بان آدم لعله أخطأ فى ذلك الاعتقاد إما لان الزلة جائزة على الانبياء أو لانه ما كان نبيا فى ذلك الوقت وأيضا هب انه حجة لكنه قبل الزلة لم يكن نبيا فلا يلزم من مفضوليته وقتئذ مفضوليته وقت نبوته وان سلم مفضوليته ونبوته وقتئذ فلا نسلم أن ذلك فى باب الثواب بل فى باب القدرة والقوة والحسن والجمال ونحو ذلك فانهم خلقوا من الانوار وآدم خلق من التراب فاغترا رغبة فيما لهم من هذه الامور وأيضا يحتمل أن يكون المراد الا أن تنقلبا ملكين فيصح استدلالكم وأن يكون المراد أن النهى مختص بالملائكة الخالدين دونكما كما يقول أحدنا لغيره ما نهيت أنت عن كذا

الذى قيل لهم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ذكره (بما كانوا يفسقون) وقد دللنا فيما مضى من كتابنا هذا على أن معنى الفسق الخروج من الشئ فتأويل قوله بما كانوا يفسقون اذا بما كانوا يتركون طاعة الله عز وجل فيخرجون عنها الى معصيته وخلاف أمره ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ذكره (واذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم) يعنى بقوله واذ استسقى موسى لقومه واذ استسقانا موسى لقومه أى سألنا أن نسقى قومه ماء فترك ذكر المسؤول ذلك والمعنى الذى سأل موسى اذ كان فيما ذكر من الكلام الظاهر دلالة على معنى ما ترك وكذلك قوله فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا انما استغنى بدلالة الظاهر على المتروك منه وذلك أن معنى الكلام فقلنا اضرب بعصاك الحجر فضربه فانفجرت فترك ذكر الخبر عن ضرب موسى الحجر اذ كان فيما ذكر دلالة على المراد منه وكذلك قوله قد علم كل أناس مشربهم انما معناه قد علم كل أناس منهم مشربهم فترك ذكر منهم لدلالة الكلام عليه وقد دللنا فيما مضى على أن الناس جمع لا واحد له من لفظه وأن الانسان لو جمع على لفظه لقيل أناسى وأناسية وقوم موسى هم بنو اسرائيل الذين قص الله عز وجل قصصهم فى هذه الآيات وانما استسقى لهم ربه الماء فى الحال التى تاهوا فيها فى التيه كما حدثنا بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد بن زريع عن سعيد بن أبى عروبة عن قتادة قوله واذ استسقى موسى لقومه الآية قال كان هذا اذ هم فى البرية اشتكوا الى نبيهم الظمأ فأمروا بحجر طورى أى من الطور أن يضربه موسى بعصاه فكانوا يحملونه معهم فاذا نزلوا ضربه موسى بعصاه فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا لكل سبط عين معلومة مستفيض ماؤها لهم حدثنى تميم بن المنتصر قال حدثنا يزيد بن هرون قال حدثنا أصبغ بن زيد عن القاسم بن أبى أيوب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ذلك فى التيه ظلل عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى وجعل لهم ثيابا لا تبلى ولا تتسخ وجعل بين ظهرانيهم حجر مربع وأمر موسى فضرب بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا فى كل ناحية منه ثلاث عيون لكل سبط عين ولا يرتحلون منقلة الا وجدوا ذلك الحجر معهم بالمكان الذى كان به معهم فى المنزل الاول حدثنى عبد الكريم قال أخبرنا ابراهيم بن بشار قال حدثنا سفيان عن أبى سعيد عن عكرمة عن ابن عباس قال ذلك فى التيه ضرب لهم موسى الحجر فصار فيه اثنتا عشرة عينا من ماء لكل سبط منهم عين يشربون منها وحدثنى محمد بن عمرو قال حدثنا أبو عاصم قال حدثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا لكل سبط منهم عين كل ذلك كان فى تيههم حين تاهوا حدثنا القاسم بن الحسن قال حدثنا الحسين قال حدثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله واذ استسقى موسى لقومه قال خافوا الظمأ فى تيههم حين تاهوا فانفجر لهم الحجر اثنتى عشرة عينا ضربه موسى قال ابن جريج قال ابن عباس الاسباط بنو يعقوب كانوا اثنى عشر رجلا كل واحد منهم ولد سبطا وأمة من الناس وحدثنى يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد استسقى لهم موسى فى التيه فسقوا فى حجر مثل رأس الشاة قال

يلقونه في جانب الجوالق اذا ارتحلوا ويقرعه موسى بالعصا اذا نزل فتنفجر منه اثنتا عشرة عينا لكل سبط منهم عين فكان بنو اسرائيل يشربون منه حتى اذا كان الرحيل استمسكت العيون وقيل به فألقى في جانب الجوالق فاذا نزل رمى به فقرعه بالعصا فتفجرت عين من كل ناحية مثل البحر حدثني موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدى قال كان ذلك في التيه وأما قوله قد علم كل أناس مشربهم فانما أخبر الله عنهم بذلك لان معناهم في الذي أخرج الله جل وعز لهم من الحجر الذي وصف جل ذكره في هذه الآية صفته من الشرب كان مخالفا معاني سائر الخلق فيما أخرج الله لهم من المياه من الجبال والارضين التي لا مالك لها سوى الله عز وجل وذلك أن الله كان جعل لكل سبط من الاسباط الاثنى عشر عينا من الحجر الذي وصف صفته في هذه الآية يشرب منها دون سائر الاسباط غيره لا يدخل سبط منهم في شرب سبط غيره وكان مع ذلك لكل عين من تلك العيون الاثنتي عشرة موضع من الحجر قد عرفه السبط الذي منه شربه فلذلك خص جل ثناؤه هؤلاء بالخبر عنهم أن كل أناس منهم كانوا عالمين بمشربهم دون غيرهم من الناس اذ كان غيرهم في الماء الذي لا يملكه أحد شركاء في منابعه ومسايله وكان كل سبط من هؤلاء مفردا بشرب منبع من منابع الحجر دون سائر منابعه خاص لهم دون سائر الاسباط غيرهم فلذلك خصوا بالخبر عنهم أن كل أناس منهم قد علموا مشربهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (كلوا واشربوا من رزق الله) وهذا أيضا مما استغنى بذكر ما هو ظاهر منه عن ذكر ما ترك ذكره وذلك أن تأويل الكلام فقلنا اضرب بعصاك الحجر فضربه فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم فقيل لهم كلوا واشربوا من رزق الله أخبر الله جل ثناؤه أنه أمرهم بأكل ما رزقهم في التيه من المن والسلوى وبشرب ما فجر لهم فيه من الماء من الحجر المتعاور الذي لا قرار له في الارض ولا سبيل اليه لمالكيه يتدفق بعيون الماء ويزخر بينابيع العذب الفرات بقدرة ذي الجلال والاكرام ثم تقدم جل ذكره اليهم مع اباحتهم ما أباح وانعامه عليهم بما أنعم به عليهم من العيش الهنئ بالنهى عن السعى في الارض فسادا والعثا فيها استكبارا فقال جل ثناؤه لهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ولا تعثوا في الأرض مفسدين) يعني بقوله لا تعثوا لا تطغوا ولا تسعوا في الارض مفسدين كما حدثني به المثنى قال حدثنا آدم قال حدثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية ولا تعثوا في الارض مفسدين يقول لا تسعوا في الارض فسادا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولا تعثوا في الارض مفسدين لا تعث لا تطغ حدثنا بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد بن زريع قال حدثنا سعيد عن قتادة ولا تعثوا في الارض مفسدين أي لا تسيروا في الارض مفسدين حدثت عن المنجاب قال حدثنا بشر عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس ولا تعثوا في الارض مفسدين لا تسعوا في الارض وأصل العثا شدة الافساد بل هو أشد الافساد يقال منه عثى فلان في الارض اذا تجاوز في الافساد الى غايته يعثى عثا مقصور وللجماعة هم يعثون وفيه لغتان أخريان احداهما عثا يعثو عثوا ومن قرأها بهذه

اللغة

الا أن تكون فلانا ويكون المعنى ان المنهى عنه هو فلان دونك فكان غرض ابليس ايهام أنهما لم ينهيا وأيضا غاية ما في الباب أن الآية تدل على مفضولية آدم ولا يلزم منه مفضولية جميع الانبياء كمحمد صلى الله عليه وسلم * التاسعة ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول انى ملك أي لا أدعى القدرة على كل المقدورات والعلم بكل المعلومات ولا أدعى قدرة مثل قدرة الملك ولا علما مثل علمهم وذلك أنه لم يرد به نفى الصورة لانه لا يفيد الغرض وانما نفى أن يكون له مثل ما لهم من الصفات الجسمية والقوى العظيمة ورد بانه لا يلزم من عدم الاستواء في كل الصفات حصول الاختلاف في جميعها * العاشرة ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم ولا يخفى أن التشبيه في السيرة من غض البصر وقمع النفس عن المحرمات بدلالة وصفه بالكرم لا في الصورة ورد بان قولها فذلكن الذي لمتنني فيه كالتصريح بأن مراد النساء تعظيم حال يوسف في الحسن والجمال فبذلك يظهر عذرها في عشقها ولئن سلمنا أن التشبيه في الاخلاق المرضية فذلك لا يوجب مفضوليته من جميع الجهات على أن قول النساء لا يصلح لأن يكون حجة * الحادية عشرة وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا وذلك أن المخلوقات اما غير المكلفين والانسان أفضل منهم واما المكلفون وهم الملائكة والانس والجن والشياطين ولا ريب أن الانس أفضل من الجن والشياطين فلو كانوا أفضل من الملك أيضا لزم كون البشر أفضل من كل المخلوقات فينبغي أن يقال وفضلناهم على جميع من خلقنا ورد بان كونه أفضل من كثير لا يدل على أنه ليس بافضل من الباقي الا بدليل الخطاب وهو غير حجة وأيضا ثبت ان جنس الملائكة أفضل من جنس بنى آدم ولكن لا يلزم من كون أحد المجموعين أفضل من المجموع الآخر أن يكون كل واحد من افراد المجموع الاول أفضل من افراد المجموع الثاني وأيضا الكلام في التفضيل الحاصل بسبب الكرامة المذكورة في أول الآية ولقد كرمنا بنى آدم ولا يلزم من كون الملك أفضل من البشر في تلك الكرامات وهو حسن الصورة والطهارة واستخراج الاعمال العجيبة أن يكونوا أفضل منهم في الاشياء الموجبة للثواب * الثانية عشرة الانبياء ما استغفروا الا بدؤا بانفسهم قال نوح رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وقال ابراهيم رب هب لي حكما وألحقني بالصالحين ثم قال واغفر لأبي وقال لمحمد واستغفر لذنبك

وللمؤمنين والمؤمنات والملائكة لم يستغفروا لأنفسهم ولكن طلبوا المغفرة للمؤمنين فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك ورد بأن هذا لا يدل إلا على صدور الزلة من البشر وعدم صدورها عنهم وهذا لا يوجب أفضليتهم في القرب والثواب على الاطلاق ومن الناس من قال استغفارهم للبشر كالعذر عما طعنوا فيهم بقولهم أتجعل فيها * الثالثة عشرة وإن عليكم لحافظين ويدخل فيه الأنبياء وغيرهم والحافظ للمكلف عن المعصية أفضل من المحفوظ وأيضا جعل كتابتهم حجة للبشر وعليهم فيكونون أفضل ورد بأن الحافظ والشاهد قد يكون أدون حالا من المحفوظ والمشهود * الرابعة عشرة يوم يقوم الروح والملائكة صفا والمقصود بيان عظمة الله وجلاله ورد بأن هذا يفيد قوتهم وبطشهم فقط كما يقال ان السلطان لما جلس وقف حول سريره ملوك الاطراف وهذا لا يدل على أنهم أكرم عند السلطان من ولده * الخامسة عشرة والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والتقديم في الذكر يدل على التقديم في الدرجة ولهذا لما قال الشاعر

* كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا *

قال عمر بن الخطاب لو قدمت الاسلام لأجزتك ولما كتبوا كتاب الصلح بين رسول الله صلى الله عليه وسلم والمشركين وقع التنازع في تقديم الاسم وكذا في كتاب الصلح بين علي ومعاوية ومنع من أن الواو لا تفيد الترتيب وعورض بتقديم تبت على الاخلاص * السادسة عشرة إن الله وملائكته يصلون على النبي جعل صلوات الملائكة كالتشريف للنبي صلى الله عليه وسلم وعورض بقوله يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه ولا تشريف بل تتشرف الأمة بذلك * السابعة عشرة ان جبرائيل أفضل من محمد صلى الله عليه وسلم لأن الله تعالى وصفه بست من صفات الكمال انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين ثم وصف محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله وما صاحبكم بمجنون وشتان بين الوصفين ورد بأنه وان وصفه ههنا بهذا القدر لاقتضاء المقام ذلك فقط فقد وصفه في مواضع أخر بما يليق به يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا * الثامنة عشرة ان جبريل كان معلما للنبي صلى الله عليه وسلم ولغيره من الانبياء لا في العلوم التي لا يتوصل اليها الا بالعقل كالعلم بذات الله تعالى بل في العلم بكيفية مخلوقاته وما فيها من العجائب والعلم بأحوال العرش والكرسي والجنة والنار وأطباق السموات وأصناف الموجودات وأحوال الأمم الخالية والقرون الماضية والمعلم أفضل قل

اللغة فانه ينبغي له أن يضم الثاء من يعثو ولا أعلم قارئا يقتدي بقراءته قرأ به ومن نطق بهذه اللغة مخبرا عن نفسه قال عثوت أعثو ومن نطق باللغة الاولى قال عثيت أعثى والاخرى منهما عاث يعيث عيثا وعيوثا وعيثانا كل ذلك بمعنى واحد ومن العيث قول رؤبة بن العجاج

وعاث فينا مستحل عائث * مصدق أو تاجر مقاعث

يعني بقوله عاث فينا أفسد فينا ﴿القول في تأويل قوله تعالى ذكره﴾ (واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها) قد دللنا فيما مضى قبل على معنى الصبر وأنه كف النفس وحبسها عن الشئ فاذا كان ذلك كذلك فمعنى الآية اذا واذكروا اذ قلتم يا معشر بني اسرائيل لن نطيق حبس أنفسنا على طعام واحد وذلك الطعام الواحد هو ما أخبر الله جل ثناؤه أنه أطعمهموه في تيههم وهو السلوى في قول بعض أهل التأويل وفي قول وهب بن منبه هو الخبز النقي مع اللحم فاسأل لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من البقل والقثاء وما سمى الله مع ذلك وذكر أنهم سألوه موسى وكان سبب مسألتهم موسى ذلك فيما بلغنا ما حدثنا به بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد بن زريع قال حدثنا سعيد عن قتادة قوله واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد قال كان القوم في البرية قد ظلل عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى فملوا ذلك وذكروا عيشا كان لهم بمصر فسألوه موسى فقال الله تعالى اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله لن نصبر على طعام واحد قال ملوا طعامهم وذكروا عيشهم الذي كانوا فيه قبل ذلك قالوا ادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها الآية حدثني المثنى ابن ابراهيم قال حدثنا آدم قال حدثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية في قوله واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد قال كان طعامهم السلوى وشرابهم المن فسألوا ما ذكر فقيل لهم اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم قال أبو جعفر وقال قتادة انهم لما قدموا الشأم فقدوا أطعمتهم التي كانوا يأكلونها فقالوا ادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها وكانوا قد ظلل عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى فملوا ذلك وذكروا عيشا كانوا فيه بمصر حدثني محمد بن عمرو قال حدثنا أبو عاصم قال حدثنا عيسى قال سمعت ابن أبي نجيح في قوله عز وجل لن نصبر على طعام واحد المن والسلوى فاستبدلوا به البقل وما ذكر معه حدثني المثنى قال حدثنا أبو حذيفة قال حدثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله سواء حدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثني موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدي أعطوا في التيه ما أعطوا فملوا ذلك وقالوا يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها حدثني يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أنبأنا ابن زيد قال كان طعام بني اسرائيل في التيه واحدا وشرابهم واحدا كان شرابهم عسلا ينزل لهم

هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ومنع من كون الملائكة أعلم بدليل قصة آدم ولان تعليم جبريل كان بالحقيقة تعليم الله تعالى ولم يكن جبريل الا واسطة ولئن سلم مزيد علمهم منع كثرة ثوابهم * التاسعة عشرة ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم وهذه تدل على أنهم بلغوا فى الترفع الى حد لو خالفوا أمر الله لما خالفوه الا فى ادعاء الالهية ورد بان مزيد قدرتهم لا يوجب مزيد ثوابهم * العشرون قال صلى الله عليه وسلم حكاية عن الرب تعالى اذا ذكرنى عبدى فى ملا ذكرته فى ملا خير من ملائه وهذا يدل على أن الملأ الأعلى أشرف ورد بعد قبول خبر الواحد أنه لا يلزم منه الا أن الملأ الأعلى خير من ملا عوام البشر ولا يلزم من ذلك كونهم أفضل من الانبياء ﷺ واعلم ان الفلاسفة اتفقوا على أن الارواح السماوية المسماة بالملائكة عندهم أفضل من الارواح الناطقة البشرية لوجوه الاول الملائكة ذواتها بسيطة مبرأة عن الكثرة والبشر مركب من النفس والبدن ولكل منهما قوى وأجزاء والبسيط خير من المركب لان أسباب العدم للمركب أكثر منها للبسيط وعورض بان المستجمع للروحانى والجسمانى ينبغى أن يكون أفضل مما له طرف الروحانى فقط ولهذا جعل أبو البشر مسجودا للملائكة وبان الملائكة ليس لها الا الاستغراق فى مقاماتها النورية والنفوس البشرية قواها وافية بكلا الطرفين ومحيطة بضبط أحوال العالمين فتكون أفضل * الثانى الجواهر الروحانية بريئة عن الشهوة والغضب المستلزمين للفساد وسفك الدماء بخلاف البشر ورد بان الخدمة مع كثرة العلائق أدل على الاخلاص وأيضا من البين أن درجتهم حين قالوا لا علم لنا الا ما علمتنا أعلى منها حين قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها وما ذاك الا بسبب الانكسار الحاصل من الزلة وهذا فى البشر أكثر ولهذا قال صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه أنين المذنبين أحب الى من زجل المسبحين * الثالث انها بريئة من طبيعة القوة فان كل ما كان ممكنا لها بحسب أنواعها المنحصرة فى أشخاصها فقد خرج الى الفعل والانبياء ليسوا كذلك ولهذا قال صلى الله عليه وسلم وانى لأستغفر الله فى اليوم والليلة مائة مرة ولا خفاء أن ما بالفعل التام أشرف مما بالقوة ورد بان بعض الامور فيها لعلها بالقوة ولهذا قيل ان تحريكاتها للافلاك لاجل استخراج التعلقات من القوة الى الفعل كالتحريكات العارضة لارواحنا الحاملة لقوى الفكر والتخيل الا أن أبى

من السماء يقال له المن وطعامهم طير يقال له السلوى يأكلون الطير ويشربون العسل لم يكونوا يعرفون خبزا ولا غيره فقالوا يا موسى إنا لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها فقرأ حتى بلغ اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم وانما قال جل ذكره يخرج لنا مما تنبت الارض ولم يذكر الذى سألوه أن يدعو ربه ليخرج لهم من الارض فيقول قالوا ادع لنا ربك يخرج لنا كذا وكذا مما تنبته الارض من بقلها وقثائها لأن من تأتى بمعنى التبعيض لما بعدها فاكتفى بها عن ذكر التبعيض اذ كان معلوما بدخولها معنى ما أريد بالكلام الذى هى فيه كقول القائل أصبح اليوم عند فلان من الطعام يريد شيأ منه وقد قال بعضهم من ههنا بمعنى الالغاء والاسقاط كأن معنى الكلام عنده يخرج لنا ما تنبت الارض من بقلها واستشهد على ذلك بقول العرب ما رأيت من أحد بمعنى ما رأيت أحدا وبقول الله ويكفر عنكم من سيآتكم وبقولهم قد كان من حديث فخل عنى حتى أذهب يريدون قد كان حديث وقد أنكر من أهل العربية جماعة أن تكون من بمعنى الالغاء فى شئ من الكلام وادعوا أن دخولها فى كل موضع دخلت فيه مؤذن أن المتكلم مريد لبعض ما أدخلت فيه لا جميعه وانها لا تدخل فى موضع الا لمعنى مفهوم فتأويل الكلام اذا على ما وصفنا من أمر من ذكرنا فادع لنا ربك يخرج لنا بعض ما تنبت الارض من بقلها وقثائها والبقل والقثاء والعدس والبصل هو ما قد عرفه الناس بينهم من نبات الارض وحبها وأما الفوم فان أهل التأويل اختلفوا فيه فقال بعضهم هو الحنطة والخبز * ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو أحمد ومؤمل قالا ثنا سفيان عن ابن أبى نجيح عن عطاء قال الفوم الخبز حدثنى أحمد بن اسحق قال حدثنا أبو أحمد ثنا سفيان عن ابن جريج عن عطاء ومجاهد قوله وفومها قالا خبزها حدثنى زكريا بن يحيى بن أبى زائدة ومحمد بن عمرو قالا ثنا أبو عاصم عن عيسى بن ميمون عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وفومها قال الخبز حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد عن سعيد عن قتادة والحسن الفوم هو الحب الذى تختبزه الناس حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة والحسن بمثله حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن أبى مالك فى قوله وفومها قال الحنطة حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط بن نصر عن السدى وفومها الحنطة حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال ثنا هشيم عن يونس عن الحسن وحصين عن أبى مالك فى قوله وفومها الحنطة حدثنى المثنى قال حدثنا آدم قال ثنا أبو جعفر الرازى عن قتادة قال الفوم الحب الذى يختبز الناس منه حدثنى القاسم قال ثنا الحسين قال حدثنى حجاج عن ابن جريج قال قال لى عطاء بن أبى رباح قوله وفومها قال خبزها قالها مجاهد حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال لى ابن زيد الفوم الخبز حدثنى يحيى بن عثمان السهمى قال ثنا عبد الله بن صالح قال حدثنى معاوية عن على بن

أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله وفومها يقول الحنطة والخبز حدثت عن المنجاب قال ثنا بشر عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس فى قوله وفومها قال هو البر بعينه الحنطة حدثنا على بن الحسن قال ثنا مسلم الجرمى قال ثنا عيسى بن يونس عن رشدين بن كريب عن أبيه عن ابن عباس فى قول الله عز وجل وفومها قال الفوم الحنطة بلسان بنى هاشم حدثنى عبد الرحمن بن عبد الله ابن عبد الحكم قال ثنا عبد العزيز بن منصور عن نافع بن أبى نعيم أن عبد الله بن عباس سئل عن قول الله وفومها قال الحنطة أما سمعت قول أحيحة بن الجلاح وهو يقول

قد كنت أغنى الناس شخصا واحدا * ورد المدينة عن زراعة فوم

وقال آخرون هو الثوم * ذكر من قال ذلك حدثنى أحمد بن اسحق الاهوازى قال ثنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن ليث عن مجاهد قال هو هذا الثوم حدثنى المثنى بن ابراهيم قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قال الفوم الثوم وهو فى بعض القراآت وثومها وقد ذكر أن تسمية الحنطة والخبز جميعا فوما من اللغة القديمة حكى سماعا من أهل هذه اللغة فوموا لنا بمعنى اختبزوا وان ذكر أن ذلك قراءة عبد الله بن مسعود وثومها بالثاء فان كان ذلك صحيحا فانه من الحروف المبدلة كقولهم وقعوا فى عاثور شر وعافور شر وكقولهم للاثافى أثاثى وللمغافير مغاثير وما أشبه ذلك مما تقلب الثاء فاء والفاء ثاء لتقارب مخرج الفاء من مخرج الثاء والمغافير شبيه بالشئ الحلو يشبه بالعسل ينزل من السماء حلوا يقع على الشجر ونحوها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير) يعنى بقوله قال أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير قال لهم موسى أتأخذون الذى هو أخس خطرا وقيمة وقدرا من العيش بدلا بالذى هو خير منه خطرا وقيمة وقدرا وذلك كان استبدالهم وأصل الاستبدال هو ترك شئ لآخر غيره مكان المتروك ومعنى قوله أدنى أخس وأوضع وأصغر قدرا وخطرا وأصله من قولهم هذا رجل دنى بين الدناءة وانه ليدنى فى الامور بغير همز اذا كان يتتبع خسيسها وقد ذكر الهمز عن بعض العرب فى ذلك سماعا منهم يقولون ما كنت دنيأ ولقد دنأت وأنشدنى بعض أصحابنا عن غيره أنه سمع بعض بنى كلاب ينشد بيت الأعشى

باسلة الوقع سرابيلها * بيض الى دانئها الظاهر

بهمز الدانئ وأنه سمعهم يقولون انه لدانئ خبيث بالهمز فان كان ذلك عنهم صحيحا فالهمز فيه لغة وتركه أخرى ولا شك أن من استبدل بالمن والسلوى البقل والقثاء والعدس والبصل والثوم فقد استبدل الوضيع من العيش بالرفيع منه وقد تأول بعضهم قوله الذى هو أدنى بمعنى الذى هو أقرب ووجه قوله أدنى الى أنه أفعل من الدنو الذى هو بمعنى القرب وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله الذى هو أدنى قاله عدد من أهل التأويل فى تأويله ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة قال أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير يقول أتستبدلون الذى هو شر بالذى هو خير منه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثنى حجاج

هذا المنع لا يجرى فى الملائكة المقربين المسماة عندهم بالعقول المجردة وانما يجرى فى النفوس الفلكية * الرابع الروحانيات أبدية الوجود مبرأة عن التغير والفناء والنفوس الناطقة البشرية ليست كذلك وردبانه لا قديم فى الوجود الا الله ولئن سلم انها ممكنة الوجود لذاتها فهى واجبة الوجود بمباديها وعورض بما عليه كثير من المحققين ان النفوس البشرية أيضا أزلية بمباديها وكانت كالظلال تحت العرش يسبحون بحمد ربهم الا أن المبدئ الاول أمرها بالنزول الى عالم الاجساد وشبكات المواد فلما تعلقت بهذه الاجسام عشقتها واستحكم إلفها بها فبعث من تلك الظلال أشرفها وأكملها لتخليص تلك الارواح عن تلك الشبكات وهذا هو المراد من باب الحمامة المطوقة المذكورة فى كتاب كليلة ودمنة * الخامس الروحانيات نورانية علوية لطيفة والجسمانيات ظلمانية سفلية كثيفة فاين أحدهما من الآخر وردبأن الشرف عند الليس بالمادة وانما هو بالانقياد لرب العالمين * السادس الارواح السماوية تفضل الارضية بقوى العلم والعمل أما الاول فبالاتفاق على احاطة الارواح السماوية بالمغيبات ولان علومهم فعلية فطرية كلية دائمة تامة وعلوم البشر بالضد من ذلك وأما العمل فلقوله يسبحون الليل والنهار لا يفترون واعترض بان المواظب على تناول الاغذية اللطيفة لا يلتذ بها كما يلتذ المبتلى بالجوع فلا تكون لذة الملائكة من العلم والعمل كلذة البشر لعروض الفترات لهم فى أكثر الاوقات بسبب العلائق الجسمانية والحجب الظلمانية فهذه المزية من اللذة مما يختص به البشر ولعل هذا هو المراد من قوله انا عرضنا الامانة الآية ولذلك قالت الاطباء ان الحرارة فى حمى الدق أشد منها فى حمى الغب لكن الحرارة فى الدق لما دامت واستقرت بطل الشعور بها فهذه الحالة ليست للملائكة لاجل الاستمرار ولا لغير الانسان لعدم الاستعداد فكان الانسان لها بالمرصاد * السابع الروحانيات لها قوة على تقليب الاجسام وتصريف الاجرام وقواهم ليست من جنس القوى المزاجية حتى يعرض لها كلال ولغوب وانك ترى الحامة اللطيفة تشق الصخرة الصماء وما ذاك الا لقوة نباتية فاضت عليها من الجواهر العلوية فما ظنك بتلك الجواهر أنفسها والارواح السفلية ليست كذلك وما يحكى من قوة الشياطين على الامور الصعاب ممنوع ولئن سلم فالارواح العلوية أقدر على ذلك مع انهم يصرفون قواها الى منازل العالم السفلى لا فيما هو

عن ابن جريج عن مجاهد قوله الذى هو أدنى قال أردأ ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ذكره (اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم) وتأويل ذلك فدعا موسى فاستجبنا له فقلنا لهم اهبطوا مصرا وهو من المحذوف الذى اجتزئ بدلالة ظاهره على ذكر ما حذف وترك منه وقد دللنا فيما مضى على أن معنى الهبوط الى المكان انما هو النزول اليه والحلول به فتأويل الآية اذا واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال لهم موسى أتستبدلون الذى هو أخس وأردأ من العيش بالذى هو خير منه فدعا لهم موسى ربه أن يعطيهم ما سألوه فاستجاب الله له دعاءه فأعطاهم ما طلبوا وقال الله لهم اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم ثم اختلف القراء فى قراءة قوله مصرا فقرأه عامة القراء مصرا بتنوين المصر واجرائه وقرأه بعضهم بترك التنوين وحذف الالف منه فأما الذين نونوه وأجروه فانهم عنوا به مصرا من الامصار لا مصرا بعينه فتأويله على قراءتهم اهبطوا مصرا من الامصار لأنكم فى البدو والذى طلبتم لا يكون فى البوادى والفيافى وانما يكون فى القرى والامصار فان لكم اذا هبطتموه ما سألتم من العيش وقد يجوز أن يكون بعض من قرأ ذلك بالاجراء والتنوين كان تأويل الكلام عنده اهبطوا مصرا البلدة التى تعرف بهذا الاسم وهى مصر التى خرجوا عنها غير أنه أجراها ونونها اتباعا منه خط المصحف لان فى المصحف ألفا ثابتة فى مصر فيكون سبيل قراءته ذلك بالاجراء والتنوين سبيل من قرأ قواريرا قواريرا من فضة منونة اتباعا منه خط المصحف وأما الذى لم ينون مصر فانه لا شك أنه عنى مصر التى تعرف بهذا الاسم بعينها دون سائر البلدان غيرها * وقد اختلف أهل التأويل فى ذلك نظير اختلاف القراء فى قراءته فحدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة اهبطوا مصرا أى مصرا من الامصار فان لكم ما سألتم وحدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدى اهبطوا مصرا من الامصار فان لكم ما سألتم فلما خرجوا من التيه رفع المن والسلوى وأكلوا البقول وحدثنى المثنى قال حدثنى آدم قال ثنا أبو جعفر عن قتادة فى قوله اهبطوا مصرا قال يعنى مصرا من الامصار وحدثنا القاسم بن الحسن قال ثنا الحسين قال حدثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد اهبطوا مصرا قال مصرا من الامصار زعموا أنهم لم يرجعوا الى مصر حدثنى يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد اهبطوا مصرا قال مصرا من الامصار ومصر لا تجرى فى الكلام فقيل أى مصر فقال الارض المقدسة التى كتب الله لهم وقرأ قول الله جل ثناؤه ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم * وقال آخرون هى مصر التى كان فيها فرعون ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى ثنا آدم ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبى العالية فى قوله اهبطوا مصرا قال يعنى به مصر فرعون حدثت عن عمار بن الحسن عن ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع مثله ومن حجة من قال ان الله جل ثناؤه انما عنى بقوله اهبطوا مصرا مصرا من الامصار دون مصر فرعون بعينها أن الله جعل أرض الشام لبنى اسرائيل

مساكن

شرلهم واعترض بانه لا مانع من أن تتفق نفس ناطقة بشرية كاملة مستعلية على الاجرام العنصرية بالتقلب والتصريف * الثامن الملائكة لهم اختيارات فائضة من أنوار جلال الله متوجهة الى الخيرات واختيارات البشر مترددة بين جهتى العلو والسفل والخير والشر وانما يتوجه الى الخير باعانة الملك على ما ورد فى الاخبار من أن لكل انسان ملكا يسدده ويهديه ويحتمل أن يقال فتكون اذن أعمالهم أشق فيكون ثوابهم أكثر * التاسع الافلاك كالابدان والكواكب كالقلوب والملائكة كالارواح فنسبة الارواح الى الارواح كنسبة الابدان الى الابدان وكما أن اختلافات أحوال الافلاك مباد لحصول الاختلافات فى هذا العالم فكل أرواح العالم العلوى يجب أن تكون مستولية على أرواح العالم السفلى بل تكون عللا ومبادى لها فهذه هى الآباء وهنالك المنابع والمعادن فكيف يليق بالعقل ادعاء المساواة فضلا عن الزيادة وأجيب بانه لا مؤثر عندنا الا الله تعالى * العاشر الروحانيات الفلكية مبادئ لروحانيات هذا العالم ومعادلها منها نزلت فتوسخت باوضار الجسمانيات ثم تطهرت بالاخلاق الزكية وصعدت الى عالمها ومصدر الشئ ومصعده أشرف منه المبدأ واليه المنتهى واعترض بان هذا مبنى على عدم حشر الاجساد ودون ذلك خرط القتاد * الحادى عشر أليس أن الانبياء لا ينطقون الا عن الوحى أليس أن الملائكة يعينونهم فى المضايق ويهدونهم الى المصالح كما فى قصة لوط وكيوم بدر وحنين وكما فى قصة نوح فى نجر السفينة فمن أين لكم تفضيل الانبياء مع افتقارهم الى الملائكة فى كل الامور وأجيب بان أول الفكر آخر العمل ولا يلزم من كون الشئ واسطة أفضليته * الثانى عشر القسمة العقلية بان الاحياء اما خيرة محضة وهم الملائكة أو شريرة محضة وهم الشياطين أو خيرة من وجه شريرة من وجه آخر وهم البشر تحكم بافضلية الملك وكذا التقسيم بالناطق المائت وهو الانسان والناطق غير المائت وهو الملك والمائت غير الناطق وهى البهائم يرشد الى أن الانسان متوسط الرتبة بين الكمال والنقصان فالقول بانه أفضل قلب للقسمة العقلية ونزاع فى ترتيب الوجود وأجيب بما مر غير مرة من أن النزاع فى كثرة الثواب * حجة القائلين بفضل الانبياء على الملائكة الاول أن الله تعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم

وثبت أن آدم لم يكن كالقبلة وأمر الأشرف بنهاية التواضع للادون مستقبح والجواب أن القبح على غير ثابت * الثاني جعله خليفة له خلافة الولاية كما مر وخلق الدنيا متعة لبقائه والآخرة مملكة لجزائه ولعن ابليس لسبب التكبر عليه وجعل الملائكة حفظة أولاده ومنزلين لأرزاقهم ومستغفرين لزلاتهم ومع جميع هذه المناصب يقول ولدينا مزيد فاذن لانهاية لهذا الشرف والكمال * الثالث أنه كان أعلم لقوله أنبئهم بأسمائهم والأعلم أفضل * الرابع ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين والعالم كل ماسوى الله تعالى فيلزم اصطفاؤهم على الملائكة ولا يشكل هذا بقوله يابني اسرائيل الى قوله فضلتكم على العالمين لان تلك الآية دخلها التخصيص لما يعلم أنهم غير مفضلين على محمد صلى الله عليه وسلم وههنا لادليل فوجب اجراؤه على الظاهر من العموم * الخامس وما أرسلناك الا رحمة للعالمين والملائكة من العالمين والتقرير ظاهر * السادس عبادة البشر أشق لان الآدمي له شهوة تدعوه الى المعصية بخلاف الملائكة ولان الآدمي مأمور بالاستنباط والقياس فاعتبروا يا أولي الابصار ولا يخفى ما فيه من المشقة والملائكة لا يعلمون الا بالنص لا علم لنا الا ما علمتنا ولما يعرض للآدمي من الشبهات ككون الافلاك والانجم أسبابا للحوادث اليومية فيحتاجون الى دفعها والملائكة حيث انهم يشاهدون عالم الملكوت آمنون من ذلك ولان الشيطان مسلط على الآدمي دون الملك واذا كانت طاعتهم أشق فيكون ثوابهم أكثر * السابع خلق للملائكة عقولا بلا شهوة وللبهائم شهوة بلا عقل وجمع الامرين للآدمي ثم اذا غلب هواه عقله صار أدون من البهيمة أولئك كالأنعام بل هم أضل فاذا غلب عقله هواه وجب أن يصير أشرف من الملك اعتبارا لاحد الطرفين بالآخر * الثامن الملائكة حفظة بني آدم والمحفوظ أعز من الحافظ * التاسع روى أن جبريل عليه السلام أخذ بركاب محمد صلى الله عليه وسلم حتى أركبه على البراق ليلة المعراج ولما وصل محمد صلى الله عليه وسلم الى بعض المقامات تخلف عنه جبريل وقال لو دنوت أنملة لاحترقت * العاشر قوله صلى الله عليه وسلم ان لي وزيرين في السماء ووزيرين في الارض أما اللذان في السماء فجبريل وميكائيل وأما اللذان في الارض فأبو بكر وعمر فدل على أن محمدا صلى الله عليه وسلم كالملك وجبريل وميكائيل وزيران فهذا تمام الكلام في حجج الفريقين وعليك الاختيار بعقلك دون هواك ثم انه

مساكن بعد أن أخرجهم من مصر وانما ابتلاهم بالتيه بامتناعهم على موسى في حرب الجبابرة اذ قال لهم يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين قالوا ياموسى ان فيها قوما جبارين الى قوله انا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون فحرم الله جل وعز على قائلي ذلك فيما ذكر لنا دخولها حتى هلكوا في التيه وابتلاهم بالتيهان في الارض أربعين سنة ثم أهبط ذريتهم الشام فأسكنهم الارض المقدسة وجعل هلاك الجبابرة على أيديهم مع يوشع بن نون بعد وفاة موسى بن عمران فرأينا الله جل وعز قد أخبر عنهم أنه كتب لهم الارض المقدسة ولم يخبرنا عنهم أنه ردهم الى مصر بعد اخراجه اياهم منها فيجوز لنا أن نقرأ اهبطوا مصر ونتأوله انه ردهم اليها قالوا فان احتج محتج بقول الله جل ثناؤه فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك وأورثناها بني اسرائيل قيل لهم فان الله جل ثناؤه انما أورثهم ذلك فملكهم اياها ولم يردهم اليها وجعل مساكنهم الشأم وأما الذين قالوا ان الله انما عنى بقوله جل وعز اهبطوا مصرا مصر فان من حجتهم التي احتجوا بها الآية التي قال فيها فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك وأورثناها بني اسرائيل وقوله كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوما آخرين قالوا فأخبر الله جل ثناؤه أنه قد ورثهم ذلك وجعلها لهم فلم يكونوا يرثونها ثم لا ينتفعون بها قالوا ولا يكونون منتفعين بها الا بمصير بعضهم اليها والا فلا وجه للانتفاع بها ان لم يصيروا أو يصر بعضهم اليها قالوا وأخرى أنها في قراءة أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود اهبطوا مصر بغير ألف قالوا ففي ذلك الدلالة البينة أنها مصر بعينها * والذي نقول به في ذلك أنه لا دلالة في كتاب الله على الصواب من هذين التأويلين ولا خبر به عن الرسول صلى الله عليه وسلم يقطع مجيئه العذر وأهل التأويل متنازعون تأويله فأولى الاقوال في ذلك عندنا والصواب أن يقال ان موسى سأل ربه أن يعطي قومه ما سألوه من نبات الارض على ما بينه الله جل وعز في كتابه وهم في الارض تائهون فاستجاب الله لموسى دعاءه وأمره أن يهبط بمن معه من قومه قرارا من الارض التي تنبت لهم ما سأل لهم من ذلك اذ كان الذي سألوه لا تنبته الا القرى والامصار وانه قد أعطاهم ذلك اذ صاروا اليه وجائز أن يكون ذلك القرار مصر وجائز أن يكون الشأم فأما القراءة فانها بالالف والتنوين اهبطوا مصرا وهي القراءة التي لا يجوز عندي غيرها لاجتماع خطوط مصاحف المسلمين واتفاق قراءة القراء على ذلك ولم يقرأ بترك التنوين فيه واسقاط الألف منه الا من لا يجوز الاعتراض به على الحجة فيما جاءت به من القراءة مستفيضا بينها ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وضربت عليهم الذلة والمسكنة) قال أبو جعفر يعني بقوله وضربت أي فرضت ووضعت عليهم الذلة وألزموها من قول القائل ضرب الامام الجزية على أهل الذمة وضرب الرجل على عبده الخراج يعني بذلك وضعه فألزمه اياه ومن قولهم ضرب الأمير على الجيش البعث يراد به ألزمهموه وأما الذلة فهي الفعلة من قول القائل ذل فلان يذل ذلا وذلة كالصغرة من صغر الامر والقعدة من قعد والذلة

تعالى لما استثنى ابليس من الساجدين وكان من الجائز أن يظن أن به عذرا بين أنه غير ذي عذر بقوله أبى لان الاباء هو الامتناع مع الاختيار ولهذا افتقد العاطف نحو قولك أبشر بما يسرك عيني تختلج لا تقول فعيني لانها بيان ثم انه جاز أن لا يكون الاباء مع الكبر فعطف عليه واستكبر ليعرف أن الاباء منضم الى الاستكبار وكان من الجائز أن يظن أن كبره لم يوجب الكفر فأزيل الظن بقوله وكان من الكافرين وللعقلاء ههنا قولان أحدهما أن ابليس

حين اشتغاله بالعبادة كان منافقا كافرا أما عند من يمنع الاحباط

هي الصغار الذي أمر الله جل ثناؤه عباده المؤمنين أن لا يعطوهم أمانا على القرار على ما هم عليه من كفرهم به وبرسوله الا أن يبذلوا الجزية عليه لهم فقال جل وعز قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون كما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن وقتادة في قوله وضربت عليهم الذلة قال يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون وأما المسكنة فانها مصدر المسكين يقال ما فيهم أسكن من فلان وما كان مسكينا ولقد تمسكن مسكنة ومن العرب من يقول تمسكن تمسكنا والمسكنة في هذا الموضع مسكنة الفاقة والحاجة وهي خشوعها وذلها كما حدثني به المثنى بن ابراهيم قال ثنا آدم قال حدثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية في قوله والمسكنة قال الفاقة حدثني موسى قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدي قوله وضربت عليهم الذلة والمسكنة قال الفقر وحدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وضربت عليهم الذلة والمسكنة قال هؤلاء يهود بني اسرائيل قلت له هم قبط مصر قال وما القبط مصر وهذا لا والله ما هم هم ولكنهم اليهود يهود بني اسرائيل فأخبرهم الله جل ثناؤه أنه يبدلهم بالعز ذلا وبالنعمة بؤسا وبالرضا عنهم غضبا جزاء منه لهم على كفرهم بآياته وقتلهم أنبياءه ورسله اعتداء وظلما منهم بغير حق وعصيانهم له وخلافا عليه ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وباؤا بغضب من الله) قال أبو جعفر يعني بقوله وباؤا بغضب من الله انصرفوا ورجعوا ولا يقال باؤا الا موصولا اما بخير واما بشر يقال منه باء فلان بذنبه يبوء به بوأ وبواء ومنه قول الله عز وجل اني أريد أن تبوأ باثمي واثمك يعني تنصرف متحملهما وترجع بهما قد صارا عليك دوني فمعنى الكلام اذا ورجعوا منصرفين متحملين غضب الله قد صار عليهم من الله غضب ووجب عليهم منه سخط كما حدثت عن عمار ابن الحسن قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله وباؤا بغضب من الله فحدث عليهم غضب من الله حدثنا يحيى بن أبي طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك في قوله وباؤا بغضب من الله قال استحقوا الغضب من الله وقدمنا معنى غضب الله على عبده فيما مضى من كتابنا هذا فأغنى عن اعادته في هذا الموضع ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق) قال أبو جعفر يعني بقوله جل ثناؤه ذلك ضرب الذلة والمسكنة عليهم واحلاله غضبه بهم فدل بقوله ذلك وهو يعني به ما وصفنا على أن قول القائل ذلك يشمل المعاني الكثيرة اذا أشير به اليها ويعني بقوله بأنهم كانوا يكفرون من أجل أنهم كانوا يكفرون يقول فعلنا بهم من احلال الذل والمسكنة والسخط بهم من أجل أنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق كما قال أعشى بني ثعلبة

مليكية جاورت بالحجا ۞ ز قوما عداة وأرضا شطيرا

بما قد تربع روض القطا ۞ وروض التناضب حتى تصيرا

فلان ختمه لما كان على الكفر علم أنه ما كان مؤمنا قط وأما عند غيرهم فلما حكاه الشهرستاني في أول الملل والنحل عن شارح الاناجيل الاربعة على شبه مناظرة بين ابليس والملائكة بعد الأمر بالسجود قال ابليس لعنه الله اني سلمت أن الباري تعالى الهي واله الخلق عالم قادر حكيم الا أن لي على مساق حكمه أسئلة الاول انه قد علم قبل خلقي أي شيء يصدر عني فلم خلقني وما الحكمة في خلقه اياي الثاني اذ خلقني على مقتضى ارادته ومشيئته فلم كلفني بمعرفته وطاعته وما الحكمة في التكليف مع انه لا ينتفع بطاعة ولا يتضرر بمعصية وكل ما يعود الى المكلفين فهو قادر على تحصيله لهم من غير واسطة التكليف الثالث اذ خلقني وكلفني فالتزمت تكليفه بالمعرفة والطاعة فأطعت وعرفت فلم كلفني بطاعة آدم والسجود له وما الحكمة في هذا التكليف على الخصوص بعد أن لا يزيد ذلك في معرفتي وطاعتي والرابع اذ خلقني وكلفني بهذا التكليف على الخصوص فاذلم أسجد فلم لعنني وأخرجني من الجنة وأوجب عقابي مع أنه لا فائدة له في ذلك ولي فيه أعظم الضرر والخامس ثم لما فعل ذلك فلم مكنني من الدخول الى الجنة ومن وسوسة آدم بعد أن لو منعني من دخول الجنة استراح مني آدم وبقي خالدا في الجنة والسادس اذ خلقني وكلفني عموما وخصوصا ولعنني ثم طرقني الى الجنة وكانت الخصومة بيني وبين آدم فلم سلطني على أولاده يعني حتى أراهم من حيث لا يرونني ويؤثر فيهم وسوستي ولا يؤثر في حولهم وقوتهم وما الحكمة في ذلك بعد أن لو خلقهم على الفطرة وأبقاهم على ذلك فعيشوا طاهرين سامعين مطيعين كان أحرى بالحكمة والسابع سلمت هذا كله فلم اذا استمهلته أمهلني وما الحكمة في ذلك بعد أن لو أهلكني في الحال استراح الخلق مني وما بقي شر في العالم أليس بقاء العالم على نظام الخير خيرا من امتزاجه بالشر فقال شارح الانجيل

يعني بذلك جاورت بهذا المكان هذه المرأة قوما عداة وأرضا بعيدة من أهله بمكان قربها كان منه ومن قومه وبدلا من تربعها روض القطا وروض التناضب فكذلك قوله وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله يقول كان ذلك منا بكفرهم بآياتنا وجزاء لهم بقتلهم أنبياءنا وقد بينا فيما مضى من كتابنا أن معنى الكفر تغطية الشئ وستره وأن آيات الله حججه وأعلامه وأدلته على توحيده وصدق رسله فمعنى الكلام اذا فعلنا بهم ذلك من أجل أنهم كانوا يجحدون حجج الله على توحيده وتصديق رسله ويدفعون حقيتها ويكذبون بها ويعني بقوله ويقتلون النبيين بغير الحق ويقتلون رسل الله الذين ابتعثهم لانباء ما أرسلهم به عنه لمن أرسلوا اليه وهم جماع واحدهم نبي غير مهموز وأصله الهمز لانه من أنبأ عن الله فهو ينبئ عنه انباء وانما الاسم منه منبئ ولكنه صرف وهو مفعل الى فعيل كما صرف سميع الى فعيل من مفعل وبصير من مبصر وأشباه ذلك وأبدل مكان الهمزة من النبيء الياء فقيل نبي هذا ويجمع النبي أيضا على أنبياء وانما جمعوه كذلك لالحاقهم النبيء بابدال الهمزة منه ياء بالنعوت التي تأتي على تقدير فعيل من ذوات الياء والواو وذلك أنهم اذا جمعوا ما كان من النعوت على تقدير فعيل من ذوات الياء والواو جمعوه على أفعلاء كقولهم ولي وأولياء ووصي وأوصياء ودعي وأدعياء ولو جمعوه على أصله الذي هو أصله وعلى أن الواحد نبيء مهموز لجمعوه على فعلاء فقيل لهم النبآء على مثال النبعاء لان ذلك جمع ما كان على فعيل من غير ذوات الياء والواو من النعوت كجمعهم الشريك شركاء والعليم علماء والحكيم حكماء وما أشبه ذلك وقد حكي سماعا من العرب في جمع النبي النبآء وذلك من لغة الذين يهمزون النبيء ثم يجمعونه على النبآء على ما قد بينت ومن ذلك قول عباس ابن مرداس في مدح النبي صلى الله عليه وسلم

يا خاتم النبآء انك مرسل * بالخير كل هدى السبيل هداكا

فقال يا خاتم النبآء على أن واحدهم نبيء مهموز وقد قال بعضهم النبي والنبوة غير مهموز لانهما مأخوذان من النبوة وهي مثل النجوة وهو المكان المرتفع وكان يقول ان أصل النبي الطريق ويستشهد على ذلك ببيت القطامي

لما وردن نبيا واستتب بها * مسحنفر كخطوط السيح منسحل

يقول انما سمي الطريق نبيا لانه ظاهر مستبين من النبوة ويقول لم أسمع أحدا يهمز النبي قال وقد ذكرنا ما في ذلك وبينا ما فيه الكفاية ان شاء الله ويعني بقوله ويقتلون النبيين بغير الحق أنهم كانوا يقتلون رسل الله بغير اذن الله لهم بقتلهم منكرين رسالتهم جاحدين نبوتهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ذكره (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) وقوله ذلك رد على ذلك الاولى ومعنى الكلام وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله من أجل كفرهم بآيات الله وقتلهم النبيين بغير الحق من أجل عصيانهم ربهم واعتدائهم حدوده فقال جل ثناؤه ذلك بما عصوا والمعنى ذلك بعصيانهم وكفرهم معتدين والاعتداء تجاوز الحد الذي حده الله لعباده الى غيره وكل

فأوحى الله تعالى الى الملائكة قولوا له أما تسليمك الاول أني الهك واله الخلق فغير صادق ولا مخلص اذ لو صدقت أني اله العالمين ما احتكمت على بلم وأنا الله الذي لا اله الا أنا لا أسئل عما أفعل والخلق مسؤلون هذا مذكور في التوراة ومسطور في الانجيل وهذه الشبهات بالنسبة الى أنواع الضلالات كالبذور وليس يعدوها عقائد فرق الزيغ والكفر وان اختلفت العبارات وتباينت الطرق ويرجع جملتها الى انكار الامر بعد الاعتراف بالخلق والى الجنوح الى الهوى في مقابلة النص ولا جواب

عنها بالتحقيق الا الذي ذكره الله تعالى فاللعين لما أن حكم العقل على من لا يحتكم عليه العقل لزمه أن يجري حكم الخالق في الخلق أو حكم الخلق في الخالق فالاول غلو كالحلولية وكالغلاة من الشيعة والثاني تقصير كالمشبهة وصفوا الخالق بصفات الاجسام وكالخوارج نفوا تحكيم الرجال وقالوا لا حكم الا لله كقوله أأسجد لبشر خلقته من صلصال لا أسجد الا لك فالشبهات كلها ناشئة من اللعين وتلك في الاول مصدرها وهذه في الاخير مظهرها ولهذا قال تعالى ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين وشبه النبي صلى الله عليه وسلم كل فرقة ضالة من هذه الامة بأمة ضالة من الامم السالفة فقال القدرية مجوس هذه الامة والمشبهة يهود هذه الامة والرافضة يعني الغلاة نصاراها وقال صلى الله عليه وسلم لتسلكن سبيل الامم قبلكم حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه * القول الثاني أن ابليس كان مؤمنا ثم كفر بعد ذلك ثم اختلفوا فمن قائل معناه وكان من الكافرين في علم الله أي كان الله عالما في الازل بانه سيكفر فصيغة كان متعلقة بالعلم لا بالمعلوم ومن قائل ان كان بمعنى صار وقيل لما كفر في وقت معين بعد أن كان مؤمنا فبعد لحظة يصدق عليه أنه كان من الكافرين وانما حكم بكفره على هذا القول الثاني لاستكباره واعتقاده كونه محقا في ذلك التمرد بدليل قوله أنا خير منه والا فمجرد المعصية لا يوجب الكفر عندنا وان كانت كبيرة وكذا عند المعتزلة لانه وان خرج عن الايمان لم يدخل في الكفر نعم عند الخوارج الكبيرة موجبة للكفر على الاطلاق ثم ان قوله من الكافرين هل يدل على وجود جمع من الكفرة قبله حتى يكون هو واحدا منهم قال قوم انه يدل على ذلك لان كلمة من للتبعيض وانما يذكر البعض الموجود بالاضافة الى كل موجود لا الى كل من سيوجد ومما يؤكد ذلك ماروي عن أبي هريرة أنه

قال انه تعالى خلق خلقا من الملائكة ثم قال لهم انى خالق بشرا من طين قالوا لا نفعل ذلك فبعث الله نارا فاحرقتهم وكان ابليس من أولئك وقال آخرون معنى الآية انه صار من الذين وافقوه فى الكفر بعد ذلك لان الكفر كان ظاهرا عند نزول الآية أولا لأن الافراد الذهنية تكفى فى صحة الجمع فان الحيوان المخلوق أولا يصح ان يقال انه فرد من أفراد هذا الحيوان أى من أفراد هذه الماهية وعلى هذا يكون ابليس أول من سن الكفر وهو قول الأكثرين واعلم أن الملائكة المأمورين بالسجود هم كل الملائكة عند أكثر الأئمة لان الجمع المعرف للعموم ويؤكده قوله فسجد الملائكة كلهم أجمعون وأيضا استثناء الشخص الواحد يدل على أن ما عداه داخل فى ذلك الحكم ومن الناس من أنكر ذلك وقال هم ملائكة الارض استعظموا أن يكون أكابر الملائكة مأمورين بذلك وأما الحكماء فانهم يحملون الملائكة على الجواهر الروحانية واستحالوا انقياد الارواح السماوية للنفوس الناطقة وقالوا المأمورون بالسجود القوى الجسمانية البشرية المطيعة للنفس الناطقة (قوله تعالى وقلنا يا آدم اسكن الآية) الاصح أن هذا الأمر يشتمل على ما هو اباحة لانه كان مأذونا فى الانتفاع بجميع الجنة وعلى ما هو تكليف وتعبد فان المنهى عنه كان حاضرا روى عن قتادة أنه قال ان الله ابتلى آدم باسكان الجنة كما ابتلى الملائكة بالسجود وذلك لانه كلفه أن يكون فى الجنة يأكل منها حيث يشاء ونهاه عن شجرة واحدة أن يأكل منها فما زال به البلاء حتى وقع فيما نهى عنه فاسكانه موضعا يحصل فيه ما يكون مشتهى له مع منعه عن تناوله من أشد التكاليف واء لم يقل وهبت منك الجنة لانه خلق لخلافة الارض وكان اسكان الجنة كالتقدمة لذلك فلو قال رجل لغيره أسكنتك دارى لا تصير الدار ملكا له وأجمعوا على أن المراد بالزوجة حواء وان لم يتقدم ذكرها فى هذه السورة ففى سائر القرآن ما يدل على الى ذلك وانها مخلوقة منه خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وقال صلى الله عليه وسلم ان المرأة خلقت من ضلع لن تستقيم لك على طريقة فان استمتعت بها استمتعت وبها عوج وان ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها وذكر السدى عن ابن عباس وابن مسعود وناس من الصحابة ان الله تعالى لما أخرج ابليس من الجنة وأسكن آدم الجنة حل فيها وحده وما كان معه من يستأنس به فألقى الله تعالى عليه النوم ثم أخذ

متجاوز حده شئ الى غيره فقد تعداه الى ما جاوز اليه ومعنى الكلام فعلت بهم ما فعلت من ذلك بما عصوا أمرى وتجاوزوا حدى الى ما نهيتهم عنه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ان الذين آمنوا والذين هادوا) قال أبو جعفر أما الذين آمنوا فهم المصدقون رسول الله فيما أتاهم به من الحق من عند الله وايمانهم بذلك تصديقهم به على ما قد بيناه فيما مضى من كتابنا هذا وأما الذين هادوا فهم اليهود ومعنى هادوا تابوا يقال منه هاد القوم يهودون هودا وهادة وقيل انما سميت اليهود يهود من أجل قولهم انا هدنا اليك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثنى حجاج عن ابن جريج قال انما سميت اليهود من أجل أنهم قالوا انا هدنا اليك ۞ القول فى تأويل قوله عز وجل (والنصارى) قال أبو جعفر والنصارى جمع واحدهم نصران كما واحد السكارى سكران وواحد النشاوى نشوان وكذلك جمع كل نعت كان واحده على فعلان فان جمعه على فعالى الا أن المستفيض من كلام العرب فى واحد النصارى نصرانى وقد حكى عنهم سماعا نصران بطرح الياء ومنه قول الشاعر

تراه اذا زار العشى محنفا * ويضحى لديه وهو نصران شامس

وسمع منهم فى الانثى نصرانة قال الشاعر

فكلتاهما خرت وأسجد رأسها * كما سجدت نصرانة لم تحنف

يقال أسجد اذا مال وقد سمع فى جمعهم أنصار بمعنى النصارى قال الشاعر

لما رأيت نبطا أنصارا * شمرت عن ركبتى الازارا * كنت لهم من النصارى جارا

وهذه الأبيات التى ذكرتها تدل على أنهم سموا نصارى لنصرة بعضهم بعضا وتناصرهم بينهم وقد قيل انهم سموا نصارى من أجل أنهم نزلوا أرضا يقال لها ناصرة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثنى حجاج عن ابن جريج النصارى انما سموا نصارى من أجل أنهم نزلوا أرضا يقال لها ناصرة ويقول آخرون لقوله من أنصارى الى الله وقد ذكر عن ابن عباس من طريق غير مرتضى أنه كان يقول انما سميت النصارى نصارى لان قرية عيسى بن مريم كانت تسمى ناصرة وكان أصحابه يسمون الناصريين وكان يقال لعيسى الناصرى حدثت بذلك عن هشام بن محمد عن أبيه عن أبى صالح عن ابن عباس حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال انما سموا نصارى لانهم كانوا بقرية يقال لها ناصرة ينزلها عيسى بن مريم فهو اسم تسموا به ولم يؤمروا به حدثنا الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله الذين قالوا انا نصارى قال تسموا بقرية يقال لها ناصرة كان عيسى بن مريم ينزلها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ذكره (والصابئين) قال أبو جعفر والصابئون جمع صابئ وهو المستحدث سوى دينه دينا كالمرتد من أهل الاسلام عن دينه وكل خارج من دين كان عليه الى آخر غيره تسميه العرب صابئا يقال منه صبأ فلان يصبأ صبأ ويقال صبأت النجوم اذا طلعت وصبأ علينا فلان موضع كذا وكذا يعنى به طلع واختلف أهل التأويل فيمن يلزمه هذا الاسم من أهل الملل فقال بعضهم يلزم ذلك كل من خرج من دين

ضلعامن أضلاعه من شقه الأيسر ووضع مكانه لحماوخلق حواء منه فلما استيقظ وجد عند رأسه امرأة قاعدة فسألها من أنت قالت امرأة قال ولم خلقت قالت لتسكن الىّ فقالت له الملائكة امتحانا لعلمه ما اسمها فقال حواء قالوا ولم قال لانها خلقت من شيء حي قيل فلما أراد آدم مد يده اليها قالت الملائكة وقالوا أمهرها قال فاصدا قها قالوا أن تصلى على محمد وآله قال ومن محمد قالوا من أولادك خاتم النبيين ولولاه لما خلقت وعن ابن عباس قال بعث الله جندا من الملائكة فحملوا آدم وحواء عليهما السلام على (٢٥٣) سرير من ذهب كما يحمل الملوك ولباسهما النور على كل واحد منهما اكليل من ذهب مكلل بالياقوت واللؤلؤ وعلى آدم منطقة مكللة بالدرّ والياقوت حتى أدخل الجنة فهذا الخبر يدل على أن حواء خلقت قبل ادخاله الجنة والخبر الاول دل على أنها خلقت فى الجنة والله أعلم بحقيقة الحال ثم هذه الجنة كانت فى الارض أوفى السماء وعلى تقدير كونها فى السماء هى دار الثواب أم جنة أخرى فقال أبو القاسم البلخى وأبو مسلم الأصفهانى هى فى الارض وحملا الهبوط على الانتقال من بقعة الى بقعة كما فى قوله تعالى اهبطوا مصرا قالا لأن دار الثواب للخلد ولو كان فى جنة الخلد لما لحقه الغرور من ابليس بقوله هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ولأن من دخل هذه الجنة لا يخرج منها لقوله تعالى وماهم منها بمخرجين ولان ابليس بعد أن غضب الله عليه كيف يقدر أن يصل الى جنة الخلد ولأن دار الجزاء يدخل المكلف فيها بعد العمل ولا عمل لآدم وقتئذ ولأنه تعالى خلقه فى الأرض ولم يذكر نقله الى السماء ولو كان قد نقله لكان ذكره أولى لأن ذلك النقل من أعظم النعم وقال الجبائى هى فى السماء السابعة أهبط منها الى السماء الدنيا ثم منها الى الارض وقال الجمهور هى دار الثواب والدليل عليه أن اللام فى الجنة ليست للعموم لان السكنى فى جميع الجنان محال فهى للعهد ولا معهود بين المسلمين الا دار الثواب فوجب صرف اللفظ اليها واسكن أمر من السكنى والسكنى من السكون لانها نوع من اللبث والاستقرار وأنت تأكيد للمستكن فى اسكن ليصح العطف عليه ورغدا وصف للمصدر أى أكلا رغدا واسعا رافها وحيث للمكان المبهم أى أىّ مكان من الجنة شئتما أو أىّ زمان شئتماه فان حيث قد يعبر به عن زمان مجهول وانما قيل ههنا وكلا بالواو وفى الأعراف فكلا لان كل فعل

الى غير دين وقال الذين عنى الله بهذا الاسم قوم لادين لهم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن بن مهدى و حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق جميعا عن سفيان عن ليث عن مجاهد قال الصابئون ليسوا بيهود ولا نصارى ولا دين لهم حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الحجاج بن أرطاة عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن الحجاج عن مجاهد قال الصابئون بين المجوس واليهود لا تؤكل ذبائحهم ولا تنكح نساؤهم حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن حجاج عن قتادة عن الحسن مثل ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح الصابئين بين اليهود والمجوس لا دين لهم حدثنى المثنى قال حدثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثنى حجاج قال قال ابن جريج قال مجاهد الصابئين بين المجوس واليهود لا دين لهم قال ابن جريج قلت لعطاء الصابئين زعموا أنها قبيلة من نحو السواد ليسوا بمجوس ولا يهود ولا نصارى قال قد سمعنا ذلك وقد قال المشركون للنبى صلى الله عليه وسلم قد صبأ و حدثنى يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله الصابئون قال الصابئون دين من الأديان كانوا بجزيرة الموصل يقولون لا اله الا الله وليس لهم عمل ولا كتاب ولا نبى إلا قول لا اله الا الله قال ولم يؤمنوا برسول الله فمن أجل ذلك كان المشركون يقولون للنبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه هؤلاء الصابئون يشبهونهم بهم * وقال آخرون هم قوم يعبدون الملائكة ويصلون الى القبلة ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه عن الحسن قال حدثنى زياد أن الصابئين يصلون الى القبلة ويصلون الخمس قال فأراد أن يضع عنهم الجزية قال فخبر بعد أنهم يعبدون الملائكة و حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله والصابئين قال الصابئون قوم يعبدون الملائكة ويصلون الى القبلة ويقرؤن الزبور حدثنى المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبى العالية قال الصابئون فرقة من أهل الكتاب يقرؤن الزبور * قال أبو جعفر الرازى وبلغنى أيضا أن الصابئين قوم يعبدون الملائكة ويقرؤن الزبور ويصلون الى القبلة * وقال آخرون بل هم طائفة من أهل الكتاب ذكر من قال ذلك حدثنا سفيان بن وكيع قال حدثنا أبى عن سفيان قال سئل السدى عن الصابئين فقال هم طائفة من أهل الكتاب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ذكره (من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم) قال أبو جعفر يعنى بقوله من آمن بالله واليوم الآخر من صدق وأقر بالبعث بعد الممات يوم القيامة وعمل صالحا فأطاع الله فلهم أجرهم عند ربهم يعنى بقوله فلهم أجرهم عند ربهم فلهم ثواب عملهم الصالح عند ربهم فان قال لنا قائل فأين تمام قوله ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين قيل تمامه جملة قوله من آمن بالله واليوم الآخر لأن معناه من آمن منهم بالله واليوم

عطف عليه شيء وكان بينهما رابطة السببية يعطف الثاني على الاول بالفاء والا فبالواو كقوله تعالى في البقرة واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا
بالفاء لان الدخول سبب الوصول الى الاكل وكأنه قال وان دخلتموها أكلتم وفي الاعراف واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا بالواو لان
السكنى وهي طول اللبث لا يختص وجوده بوجود الأكل لان المجتاز قد يأكل أيضا فلهذا لم يعطف ههنا بالفاء اذ المراد اسكن من السكنى
وأما في الاعراف فالمراد اسكن بمعنى الدخول ثم السكون فصح العطف بالفاء والنهي في لا تقربا للتنزيه

الآخر فترك ذكر منهم لدلالة الكلام عليه استغناء بما ذكر عما ترك ذكره فان قال وما معنى هذا الكلام قيل ان معناه ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من يؤمن بالله واليوم الآخر فلهم أجرهم عند ربهم فان قال وكيف يؤمن المؤمن قيل ليس المعنى في المؤمن المعنى الذي ظننته من انتقال من دين الى دين كانتقال اليهودي والنصراني الى الايمان وان كان قد قيل ان الذين عنوا بذلك من كان من أهل الكتاب على ايمانه بعيسى وبما جاء به حتى أدرك محمدا صلى الله عليه وسلم فآمن به وصدقه فقيل لأولئك الذين كانوا مؤمنين بعيسى وبما جاء به اذ أدركوا محمدا صلى الله عليه وسلم آمنوا بمحمد وبما جاء به ولكن معنى ايمان المؤمن في هذا الموضع ثباته على ايمانه وتركه تبديله وأما ايمان اليهود والنصارى والصابئين فالتصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به فمن يؤمن منهم بمحمد وبما جاء به واليوم الآخر ويعمل صالحا فلم يبدل ولم يغير حتى توفي على ذلك فله ثواب عمله وأجره عند ربه كما وصف جل ثناؤه * فان قال قائل وكيف قال فلهم أجرهم عند ربهم وانما لفظ من لفظ واحد والفعل معه موحد قيل من وان كان الذي يليه من الفعل موحدا فان له معنى الواحد والاثنين والجمع والتذكير والتأنيث لانه في كل هذه الاحوال على هيئة واحدة وصورة واحدة لا يتغير فالعرب توحد معه الفعل وان كان في معنى جمع للفظه وتجمع أخرى معه الفعل لمعناه كما قال جل ثناؤه ومنهم من يستمعون اليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ومنهم من ينظر اليك أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون فجمع مرة مع من الفعل لمعناه ووحد أخرى معه الفعل لانه في لفظ الواحد كما قال الشاعر

ألما بسلمى عنكما ان عرضتما * وقولا لها عوجي على من تخلفوا

فقال تخلفوا وجعل من بمنزلة الذين وقال الفرزدق

تعال فان عاهدتني لا تخونني * نكن مثل من يا ذئب يصطحبان

فثنى يصطحبان لمعنى من فكذلك قوله من آمن بالله واليوم الآخر فلهم أجرهم عند ربهم وحد آمن وعمل صالحا للفظ من وجمع ذكرهم في قوله فلهم أجرهم لمعناه لأنه في معنى جمع وأما قوله ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون فانه يعني به جل ذكره ولا خوف عليهم فيما قدموا عليه من أهوال القيامة ولا هم يحزنون على ما خلفوا وراءهم من الدنيا وعيشها عند معاينتهم ما أعد الله لهم من الثواب والنعيم المقيم عنده ذكر من قال عنى بقوله من آمن بالله مؤمنو أهل الكتاب الذين أدركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط بن نصر عن السدي ان الذين آمنوا والذين هادوا الآية قال نزلت هذه الآية في أصحاب سلمان الفارسي وكان سلمان من جندسابور وكان من أشرافهم وكان ابن الملك صديقا له مؤاخيا لا يقضي واحد منهما أمرا دون صاحبه وكانا يركبان الى الصيد جميعا فبينما هما في الصيد اذ رفع لهما بيت من خباء فأتياه فاذا هما فيه برجل بين يديه مصحف يقرأ فيه وهو يبكي فسألاه ما هذا فقال الذي يريد أن يعلم هذا لا يقف موقفكما فان كنتما تريدان أن تعلما ما فيه فانزلا

أو التحريم الاصح الاول لان الصيغة وردت في كليهما والاصل عدم الاشتراك فيجعل حقيقة في القدر المشترك بينهما وهو ترجيح لجانب الترك على الفعل من غير دلالة على المنع من الفعل أو الجواز لكن الجواز ثابت بحكم الاصل فان الاصل في الاشياء الاباحة فاذا ضممنا هذا الاصل الى مدلول اللفظ صار المجموع دليلا على التنزيه وهذا أولى ليرجع حاصل معصيته الى ترك الاولى فيكون أقرب الى عصمة الانبياء وقيل نهي تحريم قياسا على قوله ولا تقربوهن حتى يطهرن وقوله ولا تقربوا مال اليتيم ولقوله فتكونا من الظالمين ولانه استحق الاخراج من الجنة والرجوع الى التوبة والجواب أن التحريم في ولا تقربوهن بدليل منفصل والظلم قد يراد به ترك الاولى والاخراج لم يكن بهذا السبب بل لما سيأتي ان شاء الله تعالى ثم النهي عن القرب يفيد النهي عن الأكل بطريق الكناية فان القرب اليها من أسباب الأكل منها ومما يدل على النهي عن الأكل صريحا قوله فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وروي عن ابن عباس أن الشجرة هي البر والسنبلة وفي رواية عنه وعن ابن مسعود أنها الكرم وعن مجاهد وقتادة أنها التين وعن الربيع بن أنس كانت شجرة من أكل منها أحدث ولا ينبغي أن يكون في الجنة حدث قال
المبرد وأحسب أن كل ما له أغصان وعيدان فالعرب تسميه شجرا أو قد لا يختص بما له ساق قال تعالى وأنبتنا عليه شجرة من يقطين حتى وأصل هذا أنه اسم لكل ما شجر أي أخذ يمنة ويسرة والتشاجر الاختلاف واعلم أنه ليس في الظاهر ما يدل على التعيين ولا حاجة أيضا الى بيانه فليس المقصود تعريف الشجرة وما لم يكن مقصودا فذكره لا يجب على الحكيم بل يكون عبثا كما لو أراد أحدنا أن يقيم عذره في التخلف فقال اشتغلت بضرب غلماني لاساءتهم الادب كان هذا القدر أحسن من أن يذكر عين الغلام واسمه وصفاته فلا يظنن أحد أن ههنا

تقصيرا في البيان فتكونا جزم عطفا على تقربا أو نصب جوابا للنهي من الظالمين من الذين ظلموا أنفسهم بمعصية الله قوله فأزلهما الشيطان الآية تحقيقه فأصدر الشيطان زلتهما عنها ولفظة عن في هذه الآية كهي في قوله وما فعلته عن أمري فالضمير للشجرة وقيل أذهبهما وأبعدهما كما تقول زل عن مرتبته وزلت قدمه فالضمير للجنة ومن قرأ أزالهما فهو من الزوال عن المكارم مما كانا فيه أي من النعيم والكرامة أو من المكان الذي هو الجنة ان كان الضمير في عنها للشجرة واعلم أن الناس اختلفوا في عصمة الانبياء عليهم السلام والنزاع اما في باب الاعتقاد أو في باب التبليغ أو في باب الاحكام والفتيا أو في أفعالهم وسيرتهم أما اعتقادهم الكفر والضلال فغير جائز عند أكثر الائمة وقالت الفضيلية انه قد وقع منهم ذنوب والذنب عندهم كفر وشرك فلا جرم قالوا بوقوع الكفر منهم وأجازت الامامية عليهم اظهار الكفر على سبيل التقية وأما ما يتعلق بالتبليغ فاجتمعت الامة على عصمتهم عن الكذب والتحريف في ذلك لا عمدا ولا سهوا والا ارتفع الوثوق ومنهم من جوز ذلك سهوا لان الاحتراز غير ممكن وأما المتعلق بالفتيا فأجمعوا على أنه لا يجوز الخطأ فيه عمدا وأما السهو فجوزه بعضهم وأباه آخرون وأما المتعلق بأفعالهم فالحشوية جوزوا الكبائر عنهم عمدا وأكثر المعتزلة جوزوا الصغائر عنهم عمدا الا ما ينفر كالكذب والتطفيف والجبائي لا يجوز صغيرة ولا كبيرة على جهة العمد بل على التأويل وقيل لا يقع منهم الذنب الا على جهة السهو والخطا ولكنهم يؤاخذون به وان كان ذلك موضوعا عن أمتهم لان معرفتهم أقوى وهم على التحفظ أقدر والشيعة لم يجوزوا صغيرة ولا كبيرة منهم لا عمدا ولا سهوا ولا على سبيل التأويل والخطا وفي وقت عصمتهم ثلاثة أقوال فذهب الشيعة أنهم معصومون من وقت مولدهم والمعتزلة من وقت بلوغهم ولم يجوزوا الكفر والكبيرة منهم قبل النبوة وبعضهم وأكثر أصحابنا على تجويز ذلك قبل النبوة والمختار أنهم لم يصدر عنهم الذنب حال النبوة لا الكبيرة ولا الصغيرة لوجوه الاول لو صدر الذنب عنهم لكانوا أقل درجة من عصاة الأمة مصداقه قوله عز من قائل يانساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين شعر

* وصغائر الرجل الكبير كبائر *

ولا يجوز أن يكون النبي أقل حالا من الامة بالاجماع والثاني وبتقدير اقدامه على الفسق لا يكون مقبول

حتى أعلمكما فنزلا اليه فقال لهما هذا كتاب جاء من عند الله أمر فيه بطاعته ونهى عن معصيته فيه أن لا تزني ولا تسرق ولا تأخذ أموال الناس بالباطل فقص عليهما ما فيه وهو الانجيل الذي أنزله الله على عيسى فوقع في قلوبهما وتابعاه فأسلما وقال لهما ان ذبيحة قومكما عليكما حرام فلم يزالا معه كذلك يتعلمان منه حتى كان عيد للملك فجعل طعاما ثم جمع الناس والأشراف وأرسل الى ابن الملك فدعاه الى صنيعه ليأكل مع الناس فأبى الفتى وقال اني عنك مشغول فكل أنت وأصحابك فلما أكثر عليه من الرسل أخبرهم أنه لا يأكل من طعامهم فبعث الملك الى ابنه فدعاه وقال ما أمرك هذا قال انا لا نأكل من ذبائحكم انكم كفار ليس تحل ذبائحكم فقال له الملك من أمرك بهذا فأخبره أن الراهب أمره بذلك فدعا الراهب فقال ماذا يقول ابني قال صدق ابنك قال له لولا أن الدم فينا عظيم لقتلتك ولكن اخرج من أرضنا فأجله أجلا فقال سلمان فقمنا نبكي عليه فقال لهما ان كنتما صادقين فانا في بيعة بالموصل مع ستين رجلا نعبد الله فيها فأتونا فيها فخرج الراهب وبقي سلمان وابن الملك فجعل يقول لابن الملك انطلق بنا وابن الملك يقول نعم وجعل ابن الملك يبيع متاعه يريد الجهاز فلما أبطأ على سلمان خرج سلمان حتى أتاهم فنزل على صاحبه وهو رب البيعة وكان أهل تلك البيعة من أفضل الرهبان فكان سلمان معهم يجتهد في العبادة ويتعب نفسه فقال له الشيخ انك غلام حدث تتكلف من العبادة ما لا تطيق وأنا خائف أن تفتر وتعجز فارفق بنفسك وخفف عليها فقال له سلمان أرأيت الذي تأمرني به أهو أفضل أو الذي أصنع قال بل الذي تصنع قال فخل عني ثم ان صاحب البيعة دعاه فقال أتعلم أن هذه البيعة لي وأنا أحق الناس بها ولو شئت أن أخرج هؤلاء منها لفعلت ولكني رجل أضعف عن عبادة هؤلاء وأنا أريد أن أتحول من هذه البيعة الى بيعة أخرى هم أهون عبادة من هؤلاء فان شئت أن تقيم ههنا فأقم وان شئت أن تنطلق معي فانطلق قال له سلمان أي البيعتين أفضل أهلا قال هذه قال سلمان فأنا أكون في هذه فأقام سلمان بها وأوصى صاحب البيعة عالم البيعة بسلمان فكان سلمان يتعبد معهم ثم ان الشيخ العالم أراد أن يأتي بيت المقدس فقال لسلمان ان أردت أن تنطلق معي فانطلق وان شئت أن تقيم فأقم فقال له سلمان أيهما أفضل أنطلق معك أم أقيم قال لا بل تنطلق معي فانطلق معه فمروا بمقعد على ظهر الطريق ملقى فلما رآهما نادى ياسيد الرهبان ارحمني يرحمك الله فلم يكلمه ولم ينظر اليه وانطلقا حتى أتيا بيت المقدس فقال الشيخ لسلمان اخرج فاطلب العلم فانه يحضر هذا المسجد علماء أهل الارض فخرج سلمان يسمع منهم فرجع يوما حزينا فقال له الشيخ مالك يا سلمان قال أرى الخير كله قد ذهب به من كان قبلنا من الانبياء وأتباعهم فقال له الشيخ يا سلمان لا تحزن فانه قد بقي نبي ليس من نبي بأفضل تبعا منه وهذا زمانه الذي يخرج فيه ولا أراني أدركه وأما أنت فشاب لعلك أن تدركه وهو يخرج في أرض العرب فان أدركته فآمن به واتبعه فقال له سلمان فأخبرني عن علامته بشيء قال نعم هو مختوم في ظهره بخاتم النبوة وهو يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة ثم رجعا حتى بلغا مكان المقعد

الشهادة لقوله ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا لكنه شاهد عدل من الله بانه شرع الدين وكذا يوم القيامة ويكون الرسول عليكم شهيدا الثالث وبتقدير اقدامه على الكبيرة يجب زجره وايذاؤه لكنه محرم ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة الرابع أنه صلى الله عليه وسلم لو أتى بمعصية لوجب علينا الاقتداء به لقوله فاتبعوه والجمع بين الوجوب والحرمة محال الخامس نعلم بالبديهة انه قبيح لا شئ أقبح من نبى رفع الله درجته وجعله خليفة فى عباده وبلاده ثم انه يقدم على ما نهاه عنه ترجيحا لهواه حتى يستحق اللعن والعذاب السادس أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم يكون حينئذ منزلا فى شأنه وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه السابع انهم كانوا يسارعون فى الخيرات واللفظ للعموم فيشمل فعل ما ينبغى وترك ما لا ينبغى الثامن وانهم عندنا لمن المصطفين الأخيار الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس والوصف بالاصطفاء ينافى الذنب التاسع انه تعالى حكى عن ابليس لأغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين والأنبياء من المخلصين لقوله تعالى فى حق يوسف انه من عبادنا المخلصين وفى حق موسى انه كان مخلصا فكذا غيرهما العاشر ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين ولا يخفى وجوب كون الانبياء منهم والا كان غير النبى أفضل من النبى الحادى عشر الخلق قسمان حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون وحزب الشيطان ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون والعصاة حزب الشيطان فلا يجوز أن يكون النبى عاصيا الثانى عشر النبى صلى الله عليه وسلم أفضل من الملك كما مر والملائكة لا يعصون الله ما أمرهم فالنبى أولى الثالث عشر انى جاعلك للناس اماما والامام من يؤتم به والمذنب لا يجوز الاقتداء به فى ذنبه الرابع عشر لا ينال عهدى الظالمين فان كان عهد النبوة ثبت المطلوب وان كان عهد الامامة فالنبى أولى به روى أن خزيمة بن ثابت شهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم على وفق دعواه صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم كيف شهدت لى فقال يا رسول الله انى أصدقك على الوحى النازل عليك من فوق سبع سموات أفلا أصدقك فى هذا القدر فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وسماه بذى الشهادتين ولو كانت المعصية جائزة على الأنبياء لما جازت تلك الشهادة * المخالف تمسك فى باب الاعتقاد بقوله هو الذى خلقكم من نفس واحدة الى قوله جعلا له شركاء وهذا يقتضى صدور الشرك عنهما والجواب

فناداهما فقال يا سيد الرهبان ارحمنى يرحمك الله فعطف اليه حماره فأخذ بيده فرفعه فضرب به الارض ودعا له وقال قم باذن الله فقام صحيحا يشتد فجعل سلمان يتعجب وهو ينظر اليه يشتد وسار الراهب فتغيب عن سلمان ولا يعلم سلمان ثم ان سلمان فزع فطلب الراهب فلقيه رجلان من العرب من كلب فسألهما هل رأيتما الراهب فأناخ أحدهما راحلته قال نعم راعى الصرمة هذا فحمله فانطلق به الى المدينة قال سلمان فأصابنى من الحزن شئ لم يصبنى مثله قط فاشترته امرأة من جهينة فكان يرعى عليها هو وغلام لها يتراوحان الغنم هذا يوما وهذا يوما فكان سلمان يجمع الدراهم ينتظر خروج محمد صلى الله عليه وسلم فبيناهو يوما يرعى اذ أتاه صاحبه الذى يعقبه فقال أشعرت أنه قد قدم اليوم المدينة رجل يزعم أنه نبى فقال له سلمان أقم فى الغنم حتى آتيك فهبط سلمان الى المدينة فنظر الى النبى صلى الله عليه وسلم ودار حوله فلما رآه النبى صلى الله عليه وسلم عرف ما يريد فأرسل ثوبه حتى خرج خاتمه فلما رآه أتاه وكلمه ثم انطلق فاشترى بدينار ببعضه شاة وببعضه خبزا ثم أتاه به فقال ما هذا قال سلمان هذه صدقة قال لا حاجة لى بها فأخرجها فليأكلها المسلمون ثم انطلق فاشترى بدينار آخر خبزا ولحما فأتى به النبى صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا قال هذه هدية قال فاقعد فقعد فأكلا جميعا منها فبيناهو يحدثه اذ ذكر أصحابه فأخبره خبرهم فقال كانوا يصومون ويصلون ويؤمنون بك ويشهدون أنك ستبعث نبيا فلما فرغ سلمان من ثنائه عليهم قال له نبى الله صلى الله عليه وسلم يا سلمان هم من أهل النار فاشتد ذلك على سلمان وقد كان قال له سلمان لو أدركوك صدقوك واتبعوك فأنزل الله هذه الآية ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر فكان ايمان اليهود أنه من تمسك بالتوراة وسنة موسى حتى جاء عيسى فلما جاء عيسى كان من تمسك بالتوراة وأخذ بسنة موسى فلم يدعها ولم يتبع عيسى كان هالكا وايمان النصارى انه من تمسك بالانجيل منهم وشرائع عيسى كان مؤمنا مقبولا منه حتى جاء محمد صلى الله عليه وسلم فمن لم يتبع محمدا صلى الله عليه وسلم منهم ويدع ما كان عليه من سنة عيسى والانجيل كان هالكا حدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ان الذين آمنوا والذين هادوا الآية قال سلمان الفارسى للنبى صلى الله عليه وسلم عن أولئك النصارى وما رأى من أعمالهم قال لم يموتوا على الاسلام قال سلمان فأظلمت علىّ الارض وذكر اجتهادهم فنزلت هذه الآية فدعا سلمان فقال نزلت هذه الآية فى أصحابك ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم من مات على دين عيسى ومات على الاسلام قبل أن يسمع بى فهو على خير ومن سمع بى اليوم ولم يؤمن بى فقد هلك وقال ابن عباس بما حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال حدثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين الى قوله ولا هم يحزنون فأنزل الله تعالى بعد هذا ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين وهذا الخبر يدل على أن ابن عباس كان يرى أن الله جل ثناؤه كان قد وعد من عمل صالحا من اليهود والنصارى والصابئين على عمله

عمله فى الآخرة الجنة ثم نسخ ذلك بقوله ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه فتأويل الآية اذا على ماذكرنا عن مجاهد والسدى ان الذين آمنوا من هذه الامة والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن من اليهود والنصارى والصابئين بالله واليوم الآخر فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون والذى قلنا من التأويل الاول أشبه بظاهر التنزيل لان الله جل ثناؤه لم يخصص بالأجر على العمل الصالح مع الايمان بعض خلقه دون بعض منهم والخبر بقوله من آمن بالله واليوم الآخر عن جميع ماذكر فى أول الآية ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ذكره (واذ أخذنا ميثاقكم) قال أبو جعفر الميثاق المفعال من الوثيقة اما بيمين واما بعهد أو غير ذلك من الوثائق ويعنى بقوله واذ أخذنا ميثاقكم الميثاق الذى أخبر جل ثناؤه أنه أخذ منهم فى قوله واذ أخذنا ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا الآيات التى ذكر معها وكان سبب أخذ الميثاق عليهم فيما ذكره ابن زيد ما حدثنى به يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد لما رجع موسى من عند ربه بالالواح قال لقومه بنى اسرائيل ان هذه الالواح فيها كتاب الله وأمره الذى أمركم به ونهيه الذى نهاكم عنه فقالوا ومن يأخذه بقولك أنت لا والله حتى نرى الله جهرة حتى يطلع الله علينا فيقول هذا كتابى فخذوه فماله لا يكلمنا كما كلمك أنت ياموسى فيقول هذا كتابى فخذوه قال فجاءت غضبة من الله فجاءتهم صاعقة فصعقتهم فماتوا أجمعون قال ثم أحياهم الله بعد موتهم فقال لهم موسى خذوا كتاب الله فقالوا لا قال أى شئ أصابكم قالوا متنا ثم حيينا قال خذوا كتاب الله قالوا لا فبعث ملائكته فنتقت الجبل فوقهم فقيل لهم أتعرفون هذا قالوا نعم هذا الطور قال خذوا الكتاب والا طرحناه عليكم قال فأخذوه بالميثاق وقرأ قول الله واذ أخذنا ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا حتى بلغ وما الله بغافل عما تعملون قال ولو كانوا أخذوه أول مرة لأخذوه بغير ميثاق ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ورفعنا فوقكم الطور) قال أبو جعفر وأما الطور فانه الجبل فى كلام العرب ومنه قول العجاج

دانى جناحيه من الطور فمر * تقضى البازى اذا البازى كسر

وقيل انه اسم جبل بعينه وذكر أنه الجبل الذى ناجى الله عليه موسى وقيل انه من الجبال ما أنبت دون مالم ينبت ذكر من قال هو الجبل كائنا ما كان حدثنى محمد بن عمرو قال حدثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال أمر موسى قومه أن يدخلوا الباب سجدا ويقولوا حطة وطوطئ لهم الباب ليسجدوا فلم يسجدوا ودخلوا على أدبارهم وقالوا حنطة فنتق فوقهم الجبل يقول أخرج أصل الجبل من الارض فرفعه فوقهم كالظلة والطور بالسريانية الجبل تخويفا أو خوفا شك أبو عاصم فدخلوا سجدا على خوف وأعينهم الى الجبل وهو الجبل الذى تجلى له ربه وحدثنى المثنى قال حدثنا أبو حذيفة قال حدثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال رفع الجبل فوقهم كالسحابة فقيل لهم لتؤمنن أو ليقعن عليكم فآمنوا والجبل بالسريانية الطور حدثنا بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد بن زريع قال حدثنا سعيد عن قتادة قوله واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم

ماسيجىء فى الاعراف ان شاء الله تعالى من أن الخطاب لقريش والمعنى خلقكم من نفس قصى وجعل من جنسها زوجة عربية ليسكن اليها فلما آتاهما ما طلبا من الولد الصالح سميا أولادهما الاربعة بعبد مناف وعبد العزى وعبد الدار وعبد قصى * قالوا ان ابراهيم لم يكن عالما بالله ولا باليوم الآخر لقوله هذا ربى ولكن ليطمئن قلبى والجواب هذا ربى استفهام منه بطريق الانكار وقوله ليطمئن قلبى أراد به أن يؤكد علم اليقين بعين اليقين فليس الخبر كالمعاينة * قالوا فان كنت فى شك فلا تكونن من الممترين يدل على انه كان شاكا فى الوحى قلنا الخطاب له والمراد الامة مثل ياأيها النبى اذا طلقتم النساء * قالوا فى باب التبليغ سنقرئك فلا تنسى الا ماشاء الله هذا الاستثناء يدل على النسيان والجواب عنه أن هذا النسيان نوع من النسخ كما يجىء فى تفسير قوله تعالى ماننسخ من آية أو ننسها * قالوا وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته والجواب سوف يجىء فى سورة الحج ان شاء الله تعالى * قالوا عالم الغيب فلا يظهر الى قوله ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم ولولا الخوف من وقوع التخبيط فى الوحى لم يستظهر بالرصد قلنا هذا عليكم لا لكم لدلالته على كونهم محفوظين عن التخبط * قالوا فى باب الفتيا وداود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث ما كان لنبى أن يكون له أسرى عفا الله عنك لم أذنت لهم قلنا الجميع محمول على ترك الاولى وسوف يجىء قصة كل فى موضعها على انا نقول شعرا

ياسائلى عن رسول الله كيف سها * والسهو من كل قلب غافل لاهى
قد غاب عن كل شئ سره فسها * عما سوى الله فالتعظيم لله

فشغل الأدنى عن الارفع هو المذموم وأما الشغل بالارفع عن الادنى فمحمود قالوا فى الافعال وعصى آدم ربه فغوى والعصيان يوجب الوعيد ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم والغى ضد الرشد قد تبين الرشد من الغى ثم انه تاب والتوبة دليل الذنب وانه ظالم لقوله فتكونا من الظالمين والظالم ملعون ألا لعنة الله على الظالمين وانه أخرج من الجنة وكل هذه دليل ارتكاب الكبيرة والجواب المنع من ان هذه الامور كانت بعد النبوة ثم لنفرض انه صدر ذلك الفعل عن آدم بعد النبوة واقدامه عليه اما أن يكون فى حال كونه ناسيا أو فى حال كونه ذاكرا الذاهبون الى الاول وهم طائفة من المتكلمين احتجوا بقوله فنسى ولم نجد له عزما ومثلوه بالصائم يغفل عن صومه فيأكل فى أثناء ذلك السهو عن قصد قيل عليه ان قوله مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين وقوله وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين يدل على أنه ما نسى وروى عن ابن

عباس انهما لما أكلا منها وبدت لهما سوآتهما خرج آدم فتعلقت به شجرة من شجر الجنة فحبسته فناداه الله تعالى أفرارا مني فقال بل حياء منك فقال له أما كان فيما منحتك من الجنة مندوحة عما حرمت عليك قال بلى يارب ولكن وعزتك ما كنت أرى أحدا يحلف بك كاذبا فقال وعزتي لأهبطنك منها ثم لا تنال العيش الا نكدا * وأيضا لو كان ناسيا لما عوتب عليه لانه غير قادر على تركه ولا يكلف الله نفسا الا وسعها رفع القلم عن ثلاث وأجيب بالمنع من ان قدامه على ذلك (٢٥٨) الفعل انما وقع عقيب قول ابليس لانه كان عالما بتمرد ابليس عن سجوده وكونه عدوا له ولزوجه ولانهما لو صدقاه لكانت المعصية في تصديقه أعظم من أكل الشجرة لانه ألقى اليهما سوء الظن بالله وانه ناصح والرب غاش وما روى عن ابن عباس فهو من باب الآحاد ولا يلزم من رفع النسيان عن هذه الامة رفعه عن غيرهم بل لا يلزم من رفعه عن الأمة رفعه عن النبي صلى الله عليه وسلم أشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل اني أوعك كما يوعك الرجلان منكم وقيل ان حواء سقته الخمر فسكر ثم أقدم على ذلك الفعل وهذا انما يصح اذا حملت الشجرة على غير الكرمة حتى يكون مأذونا في تناول غيرها الا أنه يرد عليه ان خمر الجنة لا تسكر لا فيها غول * الذاهبون الى أنه فعله عامدا أربع فرق منهم من قال النهي نهي تنزيه لا تحريم وقد سبق ومنهم من قال كان عمدا من آدم وكان كبيرة مع أن آدم في ذلك الوقت كان نبيا وقد عرفت فساده ومنهم من قال فعله عمدا لكن كان معه من أعمال القلب من الاخلاص والوجل والاشفاق ما صيره صغيرة وزيف بان المقدم على ترك الواجب أو فعل المنهي عمدا لا يعذر بدعوى الخوف فلا يصح وصف الانبياء بذلك ومنهم وهو اختيار أكثر المعتزلة من قال انه أقدم على الاكل بسبب اجتهاد أخطأ فيه وذلك لا يقتضي كون الذنب كبيرة بيان الاجتهاد أنه لما قيل له ولا تقربا هذه الشجرة فلفظ هذه قد يشار بها الى الشخص وقد يشار الى النوع كما روى ما

أنه صلى الله عليه وسلم أخذ حريرا وذهبا بيده وقال هذان حرامان على ذكور أمتي وتوضأ ثم قال هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة الا به وأراد نوع الحرير والذهب ونوع الوضوء فمراد الله تعالى من كلمة هذه ذلك النوع لا الشخص وكان آدم ظن أن النهي قد ورد على الشجرة المعينة فتركها وتناول من شجرة أخرى من ذلك النوع واعترض بان هذا في أصل اللغة للاشارة الشخصية واذا حمل آدم اللفظ على موضوعه

الطور قال الطور الجبل كانوا بأصله فرفع عليهم فوق رؤسهم فقال لتأخذن أمري أو لأرمينكم به حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة ورفعنا فوقكم الطور قال الطور الجبل اقتلعه الله فرفعه فوقهم فقال خذوا ما آتيناكم بقوة فأقروا بذلك وحدثني المثنى قال حدثنا آدم قال حدثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية ورفعنا فوقكم الطور قال رفع فوقهم الجبل يخوفهم به حدثنا ابن وكيع قال حدثنا أبي عن النضر عن عكرمة قال الطور الجبل وحدثنا موسى قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدي لما قال الله لهم ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة فأبوا أن يسجدوا أمر الله الجبل أن يقع عليهم فنظروا اليه وقد غشيهم فسقطوا سجدا على شق ونظروا بالشق الآخر فرحمهم الله فكشفه عنهم فذلك قوله واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وقوله ورفعنا فوقكم الطور وحدثني يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد الجبل بالسريانية الطور وقال آخرون الطور اسم للجبل الذي ناجى الله موسى عليه ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس الطور الجبل الذي أنزلت عليه التوراة يعني على موسى وكانت بنو اسرائيل أسفل منه قال ابن جريج وقال لي عطاء رفع الجبل على بني اسرائيل فقال لتؤمنن به أو ليقعن عليكم فذلك قوله كأنه ظلة وقال آخرون الطور من الجبال ما أنبت خاصة ذكر من قال ذلك حدثت عن المنجاب قال حدثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس في قوله الطور قال الطور من الجبال ما أنبت وما لم ينبت فليس بطور ۞ القول في تأويل قوله تعالى ذكره (خذوا ما آتيناكم بقوة) قال أبو جعفر اختلف أهل العربية في تأويل ذلك فقال بعض نحويي أهل البصرة هو مما استغنى بدلالة الظاهر المذكور عما ترك ذكره وذلك أن معنى الكلام ورفعنا فوقكم الطور وقلنا لكم خذوا ما آتيناكم بقوة والا قذفناه عليكم وقال بعض نحويي أهل الكوفة أخذ الميثاق قول فلا حاجة بالكلام الى اضمار قول فيه فيكون من كلامين غير أنه ينبغي لكل ما خالف القول من الكلام الذي هو بمعنى القول أن يكون معه أن كما قال الله جل ثناؤه انا أرسلنا نوحا الى قومه أن أنذر قومك قال ويجوز أن تحذف أن والصواب في ذلك عندنا أن كل كلام نطق به مفهوم به معنى ما أريد ففيه الكفاية من غيره ويعني بقوله خذوا ما آتيناكم ما أمرناكم به في التوراة وأصل الايتاء الاعطاء ويعني بقوله بقوة بجد في تأدية ما أمركم فيه وافترض عليكم كما حدثت عن ابراهيم بن بشار قال حدثنا ابن عيينة قال حدثنا أبو عاصم قال حدثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد خذوا ما آتيناكم بقوة قال تعملوا بما فيه وحدثني المثنى قال حدثنا أبو حذيفة قال حدثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله وحدثني المثنى قال حدثنا آدم قال حدثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية خذوا ما آتيناكم بقوة قال بطاعة وحدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة خذوا ما آتيناكم بقوة قال القوة الجد والا قذفته عليكم قال فأقروا بذلك أنهم يأخذون

ماأوتوابقوة وحدثني موسى بن هرون قال حدثنا عمرو قال حدثنا أسباط عن السدى بقوة يعني بجد واجتهاد وحدثني يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد وسألته عن قول الله خذواما آتيناكم بقوة قال خذوا الكتاب الذى جاء به موسى بصدق وبحق فتأويل الآية اذا خذواما افترضناه عليكم فى كتابنا من الفرائض فاقبلوه واعملوا باجتهاد منكم فى أدائه من غير تقصير ولا توان وذلك هو معنى أخذهم اياه بقوة بجد ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ذكره (واذكروا مافيه لعلكم تتقون) قال أبو جعفر يعنى واذكروا مافيما آتيناكم من كتابنا من وعد ووعيد شديد وترغيب وترهيب فاتلوه واعتبروا به وتدبروه اذا فعلتم ذلك كى تتقوا وتخافوا عقابى باصراركم على ضلالكم فتنتهوا الى طاعتى وتنزعوا عما أنتم عليه من معصيتى كما حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة قال حدثنى ابن اسحق عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس لعلكم تتقون قال تنزعون عما أنتم عليه والذى آتاهم الله هو التوراة كما حدثني المثنى قال حدثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبى العالية واذكروا مافيه يقول اذكروا مافى التوراة كما حدثت عن عمار بن الحسن قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فى قوله اذكروا مافيه يقول أمروا بما فى التوراة وحدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سألت ابن زيد عن قول الله واذكروا مافيه قال اعملوا بما فيه بطاعة الله وصدق قال وقال اذكروا مافيه لا تنسوه ولا تغفلوه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ثم توليتم من بعد ذلك) قال أبو جعفر يعنى بقوله جل ثناؤه ثم توليتم ثم أعرضتم وانما هو تفعلتم من قولهم ولانى فلان دبره اذا استدبر عنه وخلفه خلف ظهره ثم يستعمل ذلك فى كل تارك طاعة أمر بها عز وجل ومعرض بوجهه يقال قد تولى فلان عن طاعة فلان وتولى عن مواصلته ومنه قول الله جل ثناؤه فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون يعنى بذلك خالفوا ما كانوا وعدوا الله من قولهم لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين ونبذوا ذلك وراء ظهورهم ومن شأن العرب استعارة الكلمة ووضعها مكان نظيرها كما قال أبو ذؤيب الهذلى

فليس لعهد الدار يا أم مالك ۞ ولكن أحاطت بالرقاب السلاسل

وعاد الفتى كالكهل ليس بقائل ۞ سوى الحق شيأ واستراح العواذل

يعنى بقوله أحاطت بالرقاب السلاسل أن الاسلام صار فى منعه ايانا ما كنا نأتيه فى الجاهلية مما حرمه الله علينا فى الاسلام بمنزلة السلاسل المحيطة برقابنا التى تحول بين من كانت فى رقبته مع الغل الذى فى يده وبين ما حاول أن يتناوله ونظائر ذلك فى كلام العرب أكثر من أن تحصى فكذلك قوله ثم توليتم من بعد ذلك يعنى بذلك أنكم تركتم العمل بما أخذنا ميثاقكم وعهودكم على العمل به بجد واجتهاد بعد اعطائكم ربكم المواثيق على العمل به والقيام بما أمركم به فى كتابكم فنبذتموه وراء ظهوركم وكنى بقوله جل ذكره ذلك عن جميع ما قبله فى الآية المتقدمة أعنى قوله واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ذكره (فلولا فضل الله عليكم ورحمته) قال أبو

فكيف يعد مخطئا وأيضا هب أن لفظ هذا متردد بين الشخص والنوع فان كان مع قرينة الاشارة النوعية وقد قصر فى معرفتها فيكون مذنبا وان عرفها ومع ذلك أقدم على التناول فكذلك وان لم يكن فيه قرينة فلا يعد مخطئا وأيضا الانبياء لا يجوز لهم الاجتهاد لانهم قادرون على تحصيل اليقين بالوحى فالاقدام على الاجتهاد عين المعصية وأيضا هذه المسئلة ان كانت قطعية فالخطأ فيها كبيرة وان كانت من الظنيات فان قلنا كل مجتهد مصيب فلا خطأ وان قلنا المصيب واحد فالمخطئ فيها معذور بالاتفاق وأجيب بان لفظ هذا يستعمل فى الاشارة النوعية أيضا كما مر وبان آدم لعله قصر فى معرفة القرينة أو عرفها ثم نسى لطول المدة فلهذا عوتب وبان المسئلة القطعية لما نسيها صار النسيان عذرا حتى لا يصير الذنب كبيرا وقد تكون ظنية وترتب التشديدات على الخطا فيها لان النبى صلى الله عليه وسلم قد يؤاخذ بما لا يؤاخذ به الامة قيل وقد يحمل الخطأ فى الاجتهاد من جهة أن آدم ظن أن المنهى فى قوله لا تقربا تناولهما معا فيجوز لكل واحد على الانفراد أكله فان قيل كيف تمكن ابليس من وسوسة آدم مع أن ابليس كان خارج الجنة وآدم فيها قلت اما لانه دخل فم الحية خافيا عن الخزنة ولهذا اسقطت قوائم الحية عقوبة لها على ما يروى وان كان بعيدا عن أبى هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال ما سالمناهم منذ حاربناهم ومن ترك منهم شيأ خيفة فليس منا يعنى الحيات واما لانه دخل الجنة فى صورة دابة واما لانهما كانا يخرجان الى باب الجنة وابليس كان يقرب من الباب ويوسوس واما لانه كان يدنو من السماء فيكلمهما وقيل وسوس لهما على لسان بعض أتباعه لانهما كانا يعرفان ما عنده من الحسد والبغضاء فيستحيل أن يقبلا قوله عادة واسناد الاذلال والاخراج الى الشيطان لانه حصل بسبب منه وعن بعض العرفاء ان زلة آدم هب أنها كانت بوسوسة ابليس فعصية ابليس بوسوسة من ولا بد من الانتهاء الى الذى لا يسئل عما يفعل فان قيل كيف كانت الوسوسة قلنا هى التى حكاها الله تعالى ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين فلما لم يفد عدل الى اليمين وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين ولكم من شياطين الانس تراهم يوسوسون الملك على هذا الترتيب أعاذنا الله منهم ثم بعد ذلك يحتمل أنهما لم يصدقاه فعدل الى شغلهما باللذات المباحة حتى استغرقا فيها ونسيا النهى فوقعا فيما وقعا والله أعلم بحقائق الامور (اهبطوا)

خطاب لآدم وحواء وابليس اما فى وقت واحد بناء على أن ابليس قد عاد الى الجنة لاجل الوسوسة واما لآدم وحواء فى وقت وله فى آخر قبل ذلك وقيل خطاب لهما وللحية وقيل الصحيح أن الخطاب لهما وذريتهما مرادة أيضا لانهما لما كانا أصل الانس جعلا كأنهما الناس كلهم والدليل عليه ما جاء فى طه اهبطا منها وقوله فاما يأتينكم وما هو الا حكم يعم الناس كلهم واهبطوا أمر أو اباحة والاشبه الاول لان مفارقة ما كانا فيه من النعيم الى دار الهوان أشق التكاليف

وانما قيل انه تكليف لاعقوبة لما ترتب عليه من الثواب العظيم ويمكن أن يقال نفس الاهباط عقوبة ولاثواب عليه وانما الثواب على حسب العمل بعد ذلك ومعنى بعضكم لبعض عدو ما عليه الناس من التعادى والتباغى وتضليل بعضهم لبعض وليست هذه هى العداوة المأمور بها فى قوله ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فلا يدخل تحت الامر بل المراد اهبطوا وسيكون حالكم كذا لان عالم التضاد والتنافى ليس كعالم الانوار الذى لاتعاند فيه ولاتمانع (مستقر) استقرار أو موضع استقرار حالتى الحياة والموت (ومتاع) تمتع بالعيش (الى حين) هو يوم القيامة أو حين انقضاء آجالكم والحين المدة طويلة أو قصيرة ولهذا لو قال أنت طالق الى حين فمضت لحظة طلقت وفى قصة آدم وما جرى عليه بسبب الزلة معتبر بحسب وموعظة بليغة بينة كافية فى اجتناب الخطايا واتقاء المآثم ولله در القائل

يا ناظرا يرنو بعينى راقد * ومشاهدا للامر غير مشاهد
تصل الذنوب الى الذنوب وترتجى * درك الجنان ودرك فوز العابد
أنسيت أن الله أخرج آدما * منها الى الدنيا بذنب واحد

وعن فتح الموصلى كنا قوما من أهل الجنة فساقنا ابليس الى الدنيا فليس لنا الا الهم والحزن حتى نرد الى الدار التى أخرجنا منها

تطلب الراحة فى دار العنا * خاب من يطلب شيأ لايكون

قوله (فتلقى) الآية أصل التلقى التعرض للقاء ثم يوضع موضع الاستقبال للشئ الجائى ثم يوضع موضع القبول والاخذ وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم أى تلقنه ثم بعض الافعال قد يشترك فاعله ومفعوله فى صلاحية وصف كل منهما بالفعل فيتعاوضان عمله فيهما تقول بلغنى ذلك وبلغته واصابنى خير أونالنى وأصبته أونلته وتلقى آدم من ربه كلمات أى أخذها ووعاها واستقبلها بالقبول وتلقى آدم كلمات أى جاءته واتصلت به ولا يجوز أن يكون معنى التلقى من الرب أن الله تعالى عرفه حقيقة التوبة لان المكلف لابد أن يعرف ماهية التوبة ويتمكن بعقله

جعفر يعنى بقوله جل ذكره فلولا فضل الله عليكم فلولا أن الله تفضل عليكم بالتوبة بعد نكثكم الميثاق الذى واثقتموه اذ رفع فوقكم الطور بانكم تجتهدون فى طاعته وأداء فرائضه والقيام بما أمركم به والانتهاء عما نهاكم عنه فى الكتاب الذى آتاكم فأنعم عليكم بالاسلام ورحمته التى رحمكم بها وتجاوز عنكم خطيئتكم التى ركبتموها بمراجعتكم طاعة ربكم لكنتم من الخاسرين وهذا وان كان خطابا لمن كان بين ظهرانى مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم فانما هو خبر عن أسلافهم فأخرج الخبر مخرج المخبر عنهم على نحو ما قد بينا فيما مضى من أن القبيلة من العرب تخاطب القبيلة عند الفخار أو غيره بما مضى من فعل أسلاف المخاطب بأسلاف المخاطب فتضيف فعل أسلاف المخاطب الى نفسها فتقول فعلنا بكم وفعلنا بكم وقد ذكرنا بعض الشواهد فى ذلك من شعرهم فيما مضى وقد زعم بعضهم أن الخطاب فى هذه الآيات انما أخرج باضافة الفعل الى المخاطبين به والفعل لغيرهم لأن المخاطبين بذلك كانوا يتولون من كان فعل ذلك من أوائل بنى اسرائيل فصيرهم الله منهم من أجل ولايتهم لهم وقال بعضهم انما قيل ذلك كذلك لان سامعيه كانوا عالمين وان كان الخطاب خرج خطابا للاحياء من بنى اسرائيل وأهل الكتاب اذ المعنى فى ذلك انما هو خبر عما قص الله من أنباء أسلافهم فاستغنى بعلم السامعين بذلك عن ذكر أسلافهم بأعيانهم ومثل ذلك بقول الشاعر

اذا ما انتسبنا لم تلدنى لئيمة * ولم تجدى من أن تقرى به بدا

فقال اذا انتسبنا واذا تقتضى من الفعل مستقبلا ثم قال لم تلدنى لئيمة فأخبر عن ماض من الفعل وذلك أن الولادة قد مضت وتقدمت وانما فعل ذلك عند المحتج به لان السامع قد فهم معناه فجعل ما ذكرنا من خطاب الله أهل الكتاب الذين كانوا بين ظهرانى مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم باضافة أفعال أسلافهم اليهم نظير ذلك والاول الذى قلناه هو المستفيض من كلام العرب وخطابها وكان أبو العالية يقول فى قوله فلولا فضل الله عليكم ورحمته فيما ذكر لنا نحو القول الذى قلناه **حدثنى** المثنى بن ابراهيم قال ثنا آدم قال ثنا أبو النضر عن الربيع عن أبى العالية فلولا فضل الله عليكم ورحمته قال فضل الله الاسلام ورحمته القرآن **وحدثت** عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن الربيع بمثله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (لكنتم من الخاسرين) قال أبو جعفر فلولا فضل الله عليكم ورحمته اياكم بانقاذه اياكم بالتوبة عليكم من خطيئتكم وجرمكم لكنتم الباخسين أنفسكم حظوظها دائما الهالكين بما اجترمتم من نقض ميثاقكم وخلافكم أمره وطاعته وقد تقدم بياننا قبل بالشواهد عن معنى الخسار بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت) يعنى بقوله ولقد علمتم ولقد عرفتم كقولك قد علمت أخاك ولم أكن أعلمه يعنى عرفته ولم أكن أعرفه كما قال جل ثناؤه وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم يعنى لا تعرفونهم الله يعرفهم وقوله الذين اعتدوا منكم فى السبت أى الذين تجاوزوا حدى وركبوا ما نهيتهم عنه فى يوم السبت وعصوا أمرى وقد دلت

فيما

من تدارك الذنوب فضلا عن الأنبياء فاذن المراد انه نبهه على المعصية على وجه آل أمره الى التوبة أوعرفه وجوب التوبة وكونها مقبولة أوذكره نعمه العظيمة عليه حتى صار من الدواعي القريبة الى التوبة أوعلمه كلمات لوحصلت التوبة معهن كل حالها من قوله تعالى ربنا ظلمنا أنفسنا الآية وفي رواية ابن عباس ان آدم قال يارب ألم تخلقني بيدك قال بلى قال يارب ألم تنفخ فيّ من روحك قال بلى قال يارب ألم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال ألم تسكني جنتك قال بلى قال يارب ان تبت وأصلحت أراجعي (٢٦١) أنت الى الجنة قال نعم وقال النخعي أتيت ابن عباس فقلت ما الكلمات التي تلقى آدم من ربه قال علم الله آدم وحواء أمر الحج فحجا فهي الكلمات التي تقال في الحج فلما فرغا من الحج أوحى الله تعالى اليهما اني قبلت توبتكما وعن ابن مسعود ان أحب الكلام الى الله ما قاله أبونا حين اقترف الخطيئة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا أنت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا أنت وقالت عائشة لما أراد الله تعالى أن يتوب على آدم عليه السلام طاف بالبيت سبعا والبيت يومئذ ربوة حمراء فلما صلى الركعتين استقبل البيت وقال اللهم انك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي فأعطني سؤلي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي اللهم اني أسألك ايمانا يباشر قلبي ويقينا صادقا حتى أعلم أنه لن يصيبني الا ما كتبت لي وأرضني بما قسمت لي فأوحى الله تعالى الى آدم يا آدم قد غفرت لك ذنبك ولن يأتيني أحد من ذريتك فيدعوني بمثل الذي دعوتني به الا غفرت ذنبه وكشفت همومه وغمومه ونزعت الفقر من عينيه وجاءته الدنيا وهو لا يريدها وفي كلام الغزالي أن التوبة تتحقق من ثلاثة أمور مترتبة أولها علم وثانيها حال وثالثها عمل فالعلم هو معرفة ما في الذنب من الضرر وكونه حجابا بين العبد ورحمة الرب فاذا استحكمت هذه المعرفة تألم القلب بسبب فوات محبوبه وتأسف على الفعل الذي كان سببا لذلك الفوات ويسمى ذلك التأسف ندما وهذه الحالة لها تعلق بالماضي وهو تلافي ما فات بالجبر والقضاء ان كان قابلا للجبر وتعلق بالحال وهو ترك الذنب الذي كان ملابساله وتعلق بالمستقبل وهو العزم على أن لا يعود اليه أبدا وكثيرا ما يطلق اسم التوبة على معنى الندم وحده ويجعل العلم السابق كالمقدمة والترك اللاحق كالثمرة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم

فيما مضى على أن الاعتداء أصله تجاوز الحد في كل شيء بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع قال وهذه الآية وآيات بعدها تتلوها مما عدد جل ثناؤه فيها على بني اسرائيل الذين كانوا بين خلال دور الانصار زمان النبي صلى الله عليه وسلم الذين ابتدأ بذكرهم في أول هذه السورة من نكث أسلافهم عهد الله وميثاقه ما كانوا يبرمون من العقود وحذر المخاطبين بها أن يحل بهم باصرارهم على كفرهم ومقامهم على جحود نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وتركهم اتباعه والتصديق بما جاءهم به من عند ربه مثل الذي حل بأوائلهم من المسخ والرجف والصعق وما لا قبل لهم به من غضب الله وسخطه كالذي حدثنا أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد قال ثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت يقول ولقد عرفتم وهذا تحذير لهم من المعصية يقول احذروا أن يصيبكم ما أصاب أصحاب السبت اذ عصوني اعتدوا يقول اجترؤا في السبت قال لم يبعث الله نبيا الا أمره بالجمعة وأخبره بفضلها وعظمها في السموات وعند الملائكة وأن الساعة تقوم فيها فمن اتبع الانبياء فيما مضى كما اتبعت أمة محمد صلى الله عليه وسلم محمدا قبل الجمعة وسمع وأطاع وعرف فضلها وثبت عليها بما أمره الله تعالى به ونبيه صلى الله عليه وسلم ومن لم يفعل ذلك كان بمنزلة الذين ذكر الله في كتابه فقال ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين وذلك أن اليهود قالت لموسى حين أمرهم بالجمعة وأخبرهم بفضلها يا موسى كيف تأمرنا بالجمعة وتفضلها على الايام كلها والسبت أفضل الايام كلها لان الله خلق السموات والارض والاقوات في ستة أيام وسبت له كل شيء مطيعا يوم السبت وكان آخر الستة قال وكذلك قالت النصارى لعيسى بن مريم حين أمرهم بالجمعة قالوا له كيف تأمرنا بالجمعة وأول الايام أفضلها وسيدها والاول أفضل والله واحد والواحد الاول أفضل فأوحى الله الى عيسى أن دعهم والاحد ولكن ليفعلوا فيه كذا وكذا مما أمرهم به فلم يفعلوا فقص الله تعالى قصصهم في الكتاب بمعصيتهم قال وكذلك قال الله لموسى حين قالت له اليهود ما قالوا في أمر السبت أن دعهم والسبت فلا يصيدوا فيه سمكا ولا غيره ولا يعملون شيأ كما قالوا قال فكان اذا كان السبت ظهرت الحيتان على الماء فهو قوله اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا يقول ظاهرة على الماء ذلك لمعصيتهم موسى واذا كان غير يوم السبت صارت صيدا كسائر الأيام فهو قوله ويوم لا يسبتون لا تأتيهم ففعلت الحيتان ذلك ما شاء الله فلما رأوها كذلك طمعوا في أخذها وخافوا العقوبة فتناول بعضهم منها فلم تمتنع عليه وحذر العقوبة التي حذرهم موسى من الله تعالى فلما رأوا أن العقوبة لا تحل بهم عادوا وأخبر بعضهم بعضا بأنهم قد أخذوا السمك ولم يصبهم شيء فكثروا في ذلك وظنوا أن ما قال لهم موسى كان باطلا وهو قول الله جل ثناؤه ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين يقول لهؤلاء الذين صادوا السمك فمسخهم الله قردة بمعصيتهم يقول اذا لم يحيوا في الأرض الا ثلاثة أيام ولم تأكل ولم تشرب ولم تنسل وقد خلق الله القردة والخنازير وسائر الخلق في الستة الايام التي ذكر الله في كتابه فمسخ هؤلاء القوم في صورة القردة وكذلك يفعل بمن شاء كما يشاء ويحوله كما

الندم توبة وجميع هذه الامور بتوفيق الله ولطفه انه هو التواب الرحيم والتوبة لغة الرجوع فتشترك فيه الرب والعبد فاذا وصف بها العبد فالمعنى راجع الى ربه لان العاصى هارب عن ربه وقد يفارق الرجل خدمة سيده فيقطع السيد معروفه عنه فاذا عاد الى السيد عاد السيد عليه باحسانه ومعروفه وهذا معنى قبول التوبة من الله وغفران ذنوب العباد التائب من الذنب كمن لا ذنب له ومعنى المبالغة فى التواب أن واحدا من ملوك الدنيا اذا عصاه انسان ثم تاب قبل توبته ثم اذا عاد الى المعصية والى الاعتذار فربما لم يقبل عذره لان طبعه يمنعه من قبول العذر والله تعالى بخلاف ذلك لانه انما يقبل التوبة لا لأمر يرجع الى رقة طبع أو جلب نفع أو دفع ضر بل لمحض الاحسان واللطف والرحمة والجود فان فيضه لا ينقطع ولا تقصير الا من القابل فكلما ارتفع المانع من قبل القابل وصل الفيض اليه لا محالة وأيضا يستحق المبالغة من جهة أخرى وهى كثرة عدد المذنبين المستلزمة لكثرة التائبين المستتبعة لكثرة قبول التوبة ووصفه بالرحمة روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لو جمع بكاء أهل الدنيا الى بكاء داود لكان بكاء داود أكثر ولو جمع بكاء أهل الدنيا وبكاء داود الى بكاء نوح لكان بكاء نوح أكثر ولو جمع بكاء أهل الدنيا وبكاء داود وبكاء نوح الى بكاء آدم على خطيئته لكان بكاء آدم أكثر واذا آل حال ابينا الى هذا من خطيئة واحدة فمن أحاطت به خطاياه أحق بالبكاء ولذا قال نبينا صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبى وانى لاستغفر الله فى اليوم سبعين مرة فنحن أحق بالاستغفار فان الغين يكاد يكون بالنسبة الى الرين وذلك أن الغين شئ يغين أى يغشى القلب ويغطيه بعض التغطية كالغيم الرقيق لا يحجب الشمس ولكن يمنع كمال ضوئها والرين ما استحكم من ذلك حتى صار القلب ممتنعا بالكلية عن قبول الحق وذلك صفة الكفار كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون * قيل فى تأويل الحديث ان الله تعالى أطلع نبيه على ما سيكون فى أمته من الخلاف والشقاق وكان اذا ذكر ذلك وجد غينا فى قلبه فاستغفر لامته وقيل كان ينتقل من حالة الى حالة أرفع من الاولى فيستغفر مما كان وقيل الغين عبارة عن السكر الذى كان يلحقه فى طريق المحبة حتى يصير فانيا عن نفسه بالكلية فاذا عاد الى الصحو استغفر من ذلك الصحو وهذا تأويل أرباب الحقيقة وقال أهل الظاهر ان القلب لا ينفك عن الخطرات والشهوات وأنواع الارادات فكان

يشاء حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة بن الفضل قال ثنا محمد بن اسحق عن داود بن الحصين عن عكرمة مولى ابن عباس قال قال ابن عباس ان الله انما افترض على بنى اسرائيل اليوم الذى افترض عليكم فى عيدكم يوم الجمعة فخالفوا الى السبت فعظموه وتركوا ما أمروا به فلما أبوا الا لزوم السبت ابتلاهم الله فيه فحرم عليهم ما أحل لهم فى غيره وكانوا فى قرية بين أيلة والطور يقال لها مدين فحرم الله عليهم فى السبت الحيتان صيدها وأكلها وكانوا اذا كان يوم السبت أقبلت اليهم شرعا الى ساحل بحرهم حتى اذا ذهب السبت ذهبن فلم يروا حوتا صغيرا ولا كبيرا حتى اذا كان يوم السبت أتين اليهم شرعا حتى اذا ذهب السبت ذهبن فكانوا كذلك حتى اذا طال عليهم الامد وقرموا الى الحيتان عمد رجل منهم فاخذ حوتا سرا يوم السبت فخزمه بخيط ثم أرسله فى الماء وأوتد له وتدا فى الساحل فاوثقه ثم تركه حتى اذا كان الغد جاء فأخذه أى انى لم آخذه فى يوم السبت ثم انطلق به فأكله حتى اذا كان يوم السبت الآخر عاد لمثل ذلك ووجد الناس ريح الحيتان فقال أهل القرية والله لقد وجدنا ريح الحيتان ثم عثروا على ما صنع ذلك الرجل قال ففعلوا كما فعل وأكلوا سرا زمانا طويلا لم يعجل الله عليهم بعقوبة حتى صادوها علانية وباعوها بالاسواق وقالت طائفة منهم من أهل التقية ويحكم اتقوا الله ونهوهم عما كانوا يصنعون وقالت طائفة أخرى لم تأكل الحيتان ولم تنه القوم عما صنعوا لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم لسخطنا أعمالهم ولعلهم يتقون قال ابن عباس فبينما هم على ذلك أصبحت تلك البقية فى أنديتهم ومساجدهم وفقدوا الناس فلا يرونهم فقال بعضهم لبعض ان للناس لشأنا فانظروا ما هو فذهبوا ينظرون فى دورهم فوجدوها مغلقة عليهم قد دخلوا ليلا فغلقوها على أنفسهم كما تغلق الناس على أنفسهم فأصبحوا فيها قردة انهم ليعرفون الرجل بعينه وانه لقرد والمرأة بعينها وانها لقردة والصبى بعينه وانه لقرد قال يقول ابن عباس فلولا ما ذكر الله أنه أنجى الذين نهوا عن السوء لقلنا أهلك الجميع منهم قالوا وهى القرية التى قال الله لمحمد صلى الله عليه وسلم واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر الآية حدثنا بشر قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين أحلت لهم الحيتان وحرمت عليهم يوم السبت بلاء من الله ليعلم من يطيعه ممن يعصيه فصار القوم ثلاثة أصناف فاما صنف فأمسك ونهى عن المعصية وأما صنف فامسك عن حرمة الله وأما صنف فانتهك حرمة الله ومرد على المعصية فلما أبوا الا الاعتداء الى ما نهوا عنه قال الله لهم كونوا قردة خاسئين فصاروا قردة لها أذناب تعاوى بعد ما كانوا رجالا ونساء حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أنا معمر عن قتادة فى قوله ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت قال نهوا عن صيد الحيتان يوم السبت فكانت تشرع اليهم يوم السبت وبلوا بذلك فاعتدوا فاصطادوها فجعلهم الله قردة خاسئين حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين قال فهم أهل أيلة وهى القرية التى كانت حاضرة البحر فكانت الحيتان اذا

يستعين بالرب تعالى في دفع تلك الخواطر وعن ثابت البناني بلغنا أن ابليس قال يارب انك خلقت آدم وجعلت بيني وبينه عداوة فسلطني عليه فقال سبحانه جعلت صدورهم مساكن لك فقال رب زدني فقال لا يولد ولد لآدم الا ولد لك عشرة قال رب زدني قال تجري منه مجرى الدم قال رب زدني قال أجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد قال فشكا آدم الى ربه فقال يارب انك خلقت ابليس وجعلت بيني وبينه عداوة وبغضاء وسلطته علي وأنا لا أطيقه الا بك فقال الله تعالى لا يولد لك ولد الا وكلت به ملكين يحفظانه من قرناء السوء قال رب زدني قال الحسنة بعشر أمثالها قال رب زدني قال لا أحجب عن أحد من ولدك التوبة ما لم يغرغر والغرغرة تردد الروح في الحلق وسئل ذو النون عن التوبة فقال انها اسم جامع لمعان ستة أولها الندم على ما مضى وثانيها العزم على ترك الذنوب في المستقبل وثالثها أداء كل فريضة ضيعتها فيما بينك وبين الله والرابع أداء المظالم الى المخلوقين في أموالهم وأعراضهم والخامس اذابة كل لحم ودم نبت من الحرام والسادس اذاقة البدن مرارة الطاعات كما ذاق حلاوة المعاصي وكان أحمد ابن الحرث يقول ياصاحب الذنوب ألم يان لك أن تتوب ياصاحب الذنوب ان الذنب في الديوان مكتوب ياصاحب الذنوب أنت بها في القبر مكروب ياصاحب الذنوب أنت غدا بالذنوب مطلوب وانما اكتفى بذكر توبة آدم دون توبة حواء لانها كانت تبعا له كما طوى ذكر النساء في أكثر القرآن والسنة لذلك على أنها قد ذكرت في موضع آخر قالا ربنا ظلمنا أنفسنا الآية (قوله) قلنا اهبطوا الآية قيل فائدة تكرير الامر بالهبوط أنهما هبوطان الاول من الجنة الى السماء الدنيا والثاني من السماء الدنيا الى الارض وضعف بانه لو كان كذلك لكان ذكر قوله ولكم في الارض مستقر عقيب الهبوط الثاني أولى وأيضا قوله منها يدل على أن الهبوط الثاني أيضا من الجنة والاوجه أن آدم وحواء لما أتيا بالزلة وتابا بعد الامر بالهبوط وقع في قلبهما ان الامر بالهبوط يرتفع بزوال الزلة فاعيد الامر مرة ثانية ليعلما أن حكمه باق تحقيقا للوعد المتقدم في قوله تعالى اني جاعل في الارض خليفة ووجه ثالث وهو أن يكون التكرير للتأكيد ولما نيط به من زيادة قوله فاما يأتينكم روى في الاخبار أن آدم هبط بجزيرة سرنديب من الهند وحواء بجدة من أرض الحجاز وابليس بالايلة من نواحي البصرة والحية

كان يوم السبت وقد حرم الله على اليهود أن يعملوا في السبت شيأ لم يبق في البحر حوت الا خرج حتى يخرجن خراطيمهن من الماء فاذا كان يوم الأحد لزمن سفل البحر فلم ير منهن شئ حتى يكون يوم السبت فذلك قوله واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر اذ يعدون في السبت اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم فاشتهى بعضهم السمك فجعل الرجل يحفر الحفيرة ويجعل لها نهرا الى البحر فاذا كان يوم السبت فتح النهر فاقبل الموج بالحيتان يضربها حتى يلقيها في الحفيرة ويريد الحوت أن يخرج فلا يطيق من أجل قلة ماء النهر فيمكث فاذا كان يوم الأحد جاء فأخذه فجعل الرجل يشوي السمك فيجد جاره ريحه فيسأله فيخبره فيصنع مثل ما صنع جاره حتى اذا فشا فيهم أكل السمك قال لهم علماؤهم ويحكم انما تصطادون السمك يوم السبت وهو لا يحل لكم فقالوا انما صدناه يوم الاحد حين أخذناه فقال الفقهاء لا ولكنكم صدتموه يوم فتحتم له الماء فدخل فقالوا لا وعتوا أن ينتهوا فقال بعض الذين نهوهم لبعض لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا يقول لم تعظونهم وقد وعظتموهم فلم يطيعوكم فقال بعضهم معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون فلما أبوا قال المسلمون والله لا نساكنكم في قرية واحدة فقسموا القرية بجدار ففتح المسلمون بابا والمعتدون في السبت بابا ولعنهم داود فجعل المسلمون يخرجون من بابهم والكفار من بابهم فخرج المسلمون ذات يوم ولم يفتح الكفار بابهم فلما أبطؤا عليهم تسور المسلمون عليهم الحائط فاذا هم قردة يثب بعضهم على بعض ففتحوا عنهم فذهبوا في الارض فذلك قول الله عز وجل فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين فذلك حين يقول لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم فهم القردة حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين قال لم يمسخوا انما هو مثل ضربه الله لهم مثل ما ضرب مثل الحمار يحمل أسفارا حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين قال مسخت قلوبهم ولم يمسخوا قردة وانما هو مثل ضربه الله لهم كمثل الحمار يحمل أسفارا وهذا القول الذي قاله مجاهد قول لظاهر ما دل عليه كتاب الله مخالف وذلك أن الله أخبر في كتابه انه جعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت كما أخبر عنهم أنهم قالوا لنبيهم أرنا الله جهرة وان الله تعالى ذكره أصعقهم عند مسألتهم ذلك ربهم وأنهم عبدوا العجل فجعل توبتهم قتل أنفسهم وانهم أمروا بدخول الارض المقدسة فقالوا لنبيهم اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون فابتلاهم بالتيه فسواء قال قائل هم لم يمسخهم قردة وقد أخبر جل ذكره انه جعل منهم قردة وخنازير وآخر قال لم يكن شئ مما أخبر الله عن بني اسرائيل انه كان منهم من الخلاف على أنبيائهم والعقوبات والانكال التي أحلها الله بهم ومن أنكر شيأ من ذلك وأقر بآخر منه سئل البرهان على قوله وعورض فيما أنكر

من ذلك بما أقربه ثم يسأل الفرق من خبر مستفيض أو أثر صحيح هذا مع خلاف قول مجاهد
قول جميع الحجة التى لا يجوز عليها الخطأ والكذب فيما نقلته مجمعة عليه وكفى دليلا على فساد قول
اجماعها على تخطئته * القول فى تأويل قوله تعالى (فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين) يعنى بقوله فقلنا
لهم أى فقلنا للذين اعتدوا فى السبت يعنى فى يوم السبت وأصل السبت الهدو والسكون فى راحة
ودعة ولذلك قيل للنائم مسبوت لهدوه وسكون جسده واستراحته كما قال جل ثناؤه وجعلنا نومكم
سباتا أى راحة لأجسادكم وهو مصدر من قول القائل سبت فلان يسبت سبتا وقد قيل انه سمى سبتا
لان الله جل ثناؤه فرغ يوم الجمعة وهو اليوم الذى قبله من خلق جميع خلقه وقوله كونوا قردة
خاسئين أى صيروا كذلك والخاسئ المبعد المطرود كما يخسأ الكلب يقال منه خسأته أخسؤه خسأ
وخسوءا وهو يخسأ خسوءا قال ويقال خسأته فخسأ وانخسأ ومنه قول الراجز * كالكلب ان قلت
له اخسأ انخسأ * يعنى ان طردته انطرد ذليلا صاغرا فكذلك معنى قوله كونوا قردة خاسئين أى
مبعدين من الخير أذلاء صغراء كما حدثنا بشار قال حدثنا أبو أحمد الزبيرى قال حدثنا سفيان عن
ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله كونوا قردة خاسئين قال صاغرين حدثنا أحمد بن اسحق قال حدثنا
أبو أحمد قال حدثنا سفيان عن رجل عن مجاهد مثله حدثنى المثنى قال حدثنا أبو حذيفة قال
حدثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال
أخبرنا معمر عن قتادة خاسئين قال صاغرين حدثنى المثنى قال حدثنا اسحق قال حدثنا ابن أبى
جعفر عن أبيه عن الربيع فى قوله كونوا قردة خاسئين أى أذلة صاغرين وحدثت عن المنجاب قال
حدثنا بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس خاسئا يعنى ذليلا * القول فى تأويل
قوله تعالى (فجعلناها) اختلف أهل التأويل فى تأويل الهاء والالف فى قوله فجعلناها وعلام هى
عائدة فروى عن ابن عباس فيها قولان أحدهما ما حدثنا به أبو كريب قال حدثنا عثمان بن سعيد
قال حدثنا بشر بن عمارة قال حدثنا أبو روق عن الضحاك عن ابن عباس فجعلناها فجعلنا تلك
العقوبة وهى المسخة نكالا فالهاء والالف من قوله فجعلناها على قول ابن عباس هذا كناية عن
المسخة وهى فعلة من مسخهم الله مسخة فمعنى الكلام على هذا التأويل فقلنا لهم كونوا قردة
خاسئين فصاروا قردة ممسوخين فجعلناها فجعلنا عقوبتنا ومسخنا اياهم نكالا لما بين يديها وما خلفها
وموعظة للمتقين والقول الآخر من قولى ابن عباس ما حدثنى به محمد بن سعد قال حدثنى أبى قال
حدثنى عمى قال حدثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فجعلناها يعنى الحيتان والهاء والالف على هذا
القول من ذكر الحيتان ولم يجر لها ذكر ولكن لما كان فى الخبر دلالة كنى عن ذكرها والدلالة على
ذلك قوله ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت وقال آخرون فجعلنا القرية التى اعتدى أهلها
فى السبت فالهاء والالف فى قول هؤلاء كناية عن قرية القوم الذين مسخوا وقال آخرون معنى
ذلك فجعلنا القردة الذين مسخوا نكالا لما بين يديها وما خلفها فجعلوا الهاء والالف كناية عن

القردة

باصفهان فلم يتلاقيا مائة سنة ثم ازدلفا أى تقاربا بالمزدلفة واجتمعا بجمع وتعارفا بعرفات يوم عرفة وتمنيا على الله تعالى المغفرة والتوبة بمنى
فحصلت أسماء هذه المواضع من هذه المعانى وما فى اما مزيدة لتأكيد الشرط ويؤيده لحوق النون المؤكدة والشرط الثانى وجزاؤه مجموعين
جواب الشرط الاول * تبع واتبع بمعنى وانما جاء فى طه فمن اتبع موافقة لقوله فيها يتبعون الداعى وفى الهدى وجهان أحدهما
المراد منه كل دلالة وبيان فيدخل فيه دليل العقل وكل كلام ينزل على نبى وفيه تنبيه على نعمة أخرى عظيمة فكأنه قال واذ قد
أهبطتكم من الجنة الى الارض فقد
أنعمت عليكم بما يؤديكم مرة أخرى
الى الجنة مع الدوام الذى لا ينقطع
عن الحسن لما أهبط آدم الى
الارض أوحى الله تعالى اليه
يا آدم أربع خصال فيها كل الامر
لك ولولدك واحدة لى وواحدة لولدك
وواحدة بينى وبينك وواحدة
بينك وبين الناس أما التى لى
فتعبدنى لا تشرك بى شيأ وأما التى
لك فاذا عملت آجرتك وأما التى بينى
وبينك فعليك الدعاء وعلى الاجابة
وأما التى بينك وبين الناس فان
تصحبهم بما تحب أن يصحبوك به
وقيل هو رسول وكتاب بدليل والذين
كفروا وكذبوا بآياتنا فى مقابلة فمن
تبع هداى فى الاقدام على ما يلزم
والاحجام عما يحرم فانه سيصير الى
حالة لا خوف فيها ولا حزن وهذه الجملة
مع اختصارها تجمع شيأ كثيرا من
المعانى لان قوله فاما يأتينكم منى هدى
دخل فيه الانعام بجميع الادلة
العقلية والشرعية وزيادة البيان
وجميع ما لا يتم ذلك الا به من العقل
ووجوه التمكين وجمع قوله فمن
تبع هداى تأمل الادلة بحقها والنظر
فيها واستنتاج المعارف منها والعمل
بها وجمع قوله فلا خوف عليهم ولا هم
يحزنون جميع ما أعد الله تعالى
لاوليائه لان الخوف ألم يحصل للنفس
من توقع مكروه أو انتظار محذور
وزواله يتضمن السلامة من جميع الآفات والحزن ألم يعرض للنفس لفقد محبوب أو فوات
مطلوب ونفيه يقتضى الوصول الى كل اللذات والمرادات وانما قدم عدم الخوف على عدم الحزن لان زوال ما لا ينبغى مقدم على حصول
ما ينبغى وهذا يدل على أن المكلف الذى أطاع الله تعالى لا يلحقه خوف عند الموت ولا فى القبر ولا عند البعث ولا عند حضور الموقف ولا عند
تطاير الكتب ولا عند نصب الميزان ولا عند الصراط ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا

بالجنة التي كنتم توعدون وقال قوم من المتكلمين ان أهوال يوم القيامة تعم الكفار والفساق والمؤمنين بدليل قوله تعالى يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم فلنسألن الذين أرسل اليهم ولنسألن المرسلين وفي الحديث تدنو الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق فمنهم من يكون الى كعبه ومنهم من يكون الى ركبتيه ومنهم من يكون

القردة وقال آخرون فجعلناها يعني به فجعلنا الامة التي اعتدت في السبت نكالا ۞ القول في تأويل قوله (نكالا) والنكال مصدر من قول القائل نكل فلان بفلان تنكيلا ونكالا وأصل النكال العقوبة كما قال عدي بن زيد العبادي * لا يسخط الضليل (٧) ما يسع العبد ولا في نكاله تنكير وبمثل الذي قلنا في ذلك روي الخبر عن ابن عباس حدثنا أبو كريب قال حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثنا بشر بن عمارة قال حدثنا أبو روق عن الضحاك عن ابن عباس نكالا يقول عقوبة حدثني المثنى قال حدثني اسحق قال حدثني ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله فجعلناها نكالا أي عقوبة ۞ القول في تأويل قوله تعالى (لما بين يديها وما خلفها) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم بما حدثنا به أبو كريب قال حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس لما بين يديها يقول ليحذر من بعدهم عقوبتي وما خلفها يقول الذين كانوا بقوا معهم حدثني المثنى قال حدثنا اسحق قال حدثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع لما بين يديها وما خلفها لما خلا لهم من الذنوب وما خلفها أي عبرة لمن بقي من الناس وقال آخرون بما حدثني ابن حميد قال حدثنا سلمة قال حدثني ابن اسحق عن داود بن الحصين عن عكرمة مولى ابن عباس قال قال ابن عباس فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها أي من القرى وقال آخرون بما حدثنا به بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد قال حدثنا سعيد عن قتادة قال الله فجعلناها نكالا لما بين يديها من ذنوب القوم وما خلفها أي للحيتان التي أصابوا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله لما بين يديها من ذنوبها وما خلفها من الحيتان حدثني محمد بن عمرو قال حدثنا أبو عاصم قال حدثني عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله تعالى لما بين يديها ما مضى من خطاياهم الى أن هلكوا به حدثني المثنى قال حدثنا أبو حذيفة قال حدثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد نكالا لما بين يديها وما خلفها يقول بين يديها ما مضى من خطاياهم وما خلفها خطاياهم التي هلكوا بها حدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله الا أنه قال وما خلفها خطيئتهم التي هلكوا بها وقال آخرون بما حدثني به موسى بن هرون قال حدثنا عمرو قال حدثنا أسباط عن السدي فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها قال أما ما بين يديها فما سلف من عملهم وما خلفها فمن كان بعدهم من الامم أن يعصوا فيصنع الله بهم مثل ذلك وقال آخرون بما حدثني به ابن سعد قال حدثني أبي قال حدثني عمي قال حدثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها يعني الحيتان جعلها نكالا لما بين يديها وما خلفها من الذنوب التي عملوا قبل الحيتان وما عملوا بعد الحيتان فذلك قوله ما بين يديها وما خلفها وأولى هذه التأويلات بتأويل الآية ما

(٧) هكذا البيت بالاصول ولعله محرف عن لا يحط الضليل ما صنع العبد الخ وليحرر اه مصححه

الى حقويه ومنهم من يلجمه العرق الجاما وأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده الى فيه وحديث الشفاعة وقول كل نبي نفسي نفسي الا نبينا صلى الله عليه وسلم فانه يقول أمتي أمتي مشهور قلت لا ريب أن وعد الله حق فمن وعده الامن يكون آمنا لا محالة الا أن الانسان خلق ضعيفا لا يستيقن الأمن الكلي ما لم يصل الى الجنة لانه لا يطمئن قلبه ما لم ينضم له الى علم اليقين عين اليقين وأيضا ان جلال الله وعظمته يدهش الانسان برا كان أو فاجرا وأيضا ظاهر العمل الصالح لا يفيد اليقين بالجنة فلا عمل الا بالاخلاص ولا حكم بالاخلاص الا لله تعالى لانه من عمل القلب وقلب المؤمن بين اصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء ولهذا جاء والمخلصون على خطر عظيم وكان دأب الصديقين أن يخلطوا الطمع بالخوف والرغبة بالرهبة يدعون ربهم خوفا وطمعا ويدعوننا رغبا ورهبا وقيل لا خوف عليهم أمامهم فليس شئ أعظم في صدر الذي يموت مما بعد الموت فآمنهم الله تعالى ثم سلاهم فقال لهم ولا هم يحزنون على ما خلفوه بعد وفاتهم في الدنيا ثم ان الأئمة خصصوا نفي الخوف والحزن بالآخرة لان مجاري الامور في الدنيا لا تخلو من مواجب الخوف والحزن وقال صلى الله عليه وسلم خص البلاء بالانبياء ثم بالاولياء ثم الأمثل فالأمثل قلنا المؤمن الراضي بقضاء الله وقدره لا يرى شيأ من المكاره مكروها وانما مراده مراد حبيبه فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما فبترك الارادة يصح نسبة العبودية وبالرضوان يحصل مفاتيح الجنان وتنكشف الهموم والاحزان ويتساوى الفقر والوجدان وتثبت حقيقة الايمان والذين كفروا بجحدهم مولاهم وكذبوا بآياتنا لاثباتهم حكما لهم بحسب مشتهاهم وهواهم أولئك أصحاب النار ملازموها دائما سرمدا سواء كانوا من الانس

أومن الجن أعاذنا الله منها بعميم فضله وجسيم طوله (التأويل) انكم تسجدون لله بالطبيعة الملكية الروحانية اسجدوا لآدم بخلاف الطبيعة
تعبدا ورقا وانقيادا للامر وامتثالا للحكم اسجدوا له تعظيما لشأن خلافته وتكريما لفضيلته المخصوصة به فمن سجد له فقد سجد لله تعالى كما
قال ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله اسجدوا لآدم لا لاجل آدم فان عبادتكم وطاعتكم لا توجب ثوابا لكم ولا تزيد فى درجاتكم ولكن
فائدتها تعود الى الانسان لقوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الارض ولان الانسان يقتدى بهم فى الطاعة ويتأدب
بآدابهم فى امتثال الاوامر والانزجار
عن الاباء والاستكبار كيلا يلحقه
من اللعن والبعد ما لحق ابليس
فسجدوا الا ابليس لانهم خلقوا
من نور والنور من شأنه الانقياد
والافاضة وانه خلق من نار والنار
من شأنها الاستعلاء طبعا وكان
من الكافرين لانه ستر الحق على
آدم كما سمى ابليس لانه أبلس الحق
ولا تقربا هذه الشجرة أى أبحت
لك نعيم الجنة بما فيها وما كان لك
فيها حق لانك ما عملت بعد عملا
تستحق به الجنة فأعطى هذه الشجرة
الواحدة منها وهى كلها لى وأنا
خلقتها فان طمعت فيها أيضا فاعلم
أن الانسان له همة عالية وحرص
شديد لا يزال تقول جهنم حرصه
هل من مزيد ولا تمتلئ حتى يضع
الجبار فيها قدمه أى سابقة رحمته
وعنايته سبقت رحمتى غضبى ثم انه
أبيح له ولزوجه مشتهيات النفس
كلها فيها ما تشتهى الانفس وتلذ
الاعين وقيل لهما اقتنعا بها ولا
توقدا نار الفتنة على أنفسكما ولا
تصبا من قربة المحبة ماء المحنة على
رأسكما ولا تقربا شجرة المحبة
وقد غرست لاجله فى الحقيقة يحبهم
ويحبونه ولكن سبب النهى هو
الدلال الذى يقتضيه غاية الجمال
وأيضا لو لم ينه عنها فلعله ما فرغ لها
لكثرة أنواع المرادات النفسانية
وكانت المحبة غذاء روحانيا فذكرها كان كالتحريض عليها فان الانسان حريص على ما منع وأيضا انه تعالى
وسع أسباب الانبساط أولا ثم ضيق عليه الامر آخرا شعر
وأدنيتنى حتى اذا ما فتنتنى * بقول يحل العصم سهل الاباطح
تجافيت عنى حين لا لى حيلة * وغادرت ما غادرت بين الجوانح
خلقه بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وأسكنه الجنة فى جواره
وزوجه حواء حتى شاهد جمال الحق فى مرآة وجهه وأنبت شجرة المحبة بين يديه ثم منعه عنها وكان فى ذلك المنع تذكير وتحريض أيضا كما مر ثم

رواه الضحاك عن ابن عباس وذلك لما وصفنا من أن الهاء والالف فى قوله فجعلناها نكالا بان
تكون من ذكر العقوبة والمسخة التى مسخها القوم أولى منها بان تكون من ذكر غيرها من
أجل أن الله جل ثناؤه انما يحذر خلقه بأسه وسطوته وبذلك يخوفهم وفى ابانته عز
ذكره بقوله نكالا أنه عنى به العقوبة التى أحلها بالقوم ما يعلم أنه عنى بقوله فجعلناها نكالا
لما بين يديها وما خلفها فجعلنا عقوبتنا التى أحللناها بهم عقوبة لما بين يديها وما خلفها
دون غيره من المعانى واذا كانت الهاء والالف بان تكون من ذكر المسخة والعقوبة أولى
منها بان تكون من ذكر غيرها فكذلك العائد فى قوله لما بين يديها وما خلفها من الهاء والالف
أن يكون من ذكر الهاء والالف اللتين فى قوله فجعلناها أولى من أن يكون من غيره فتأويل
الكلام اذا كان الامر على ما وصفنا فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين فجعلنا عقوبتنا لهم عقوبة لما بين
يديها من ذنوبهم السالفة منهم مسخنا اياهم وعقوبتنا لهم ولما خلف عقوبتنا لهم من
أمثال ذنوبهم أن يعمل بها عامل فيمسخوا مثل ما مسخوا وأن يحل بهم مثل الذى حل بهم تحذيرا من
الله تعالى ذكره عباده أن يأتوا من معاصيه مثل الذى أتى الممسوخون فيعاقبوا عقوبتهم وأما الذى
قال فى تأويل ذلك فجعلناها يعنى الحيتان عقوبة لما بين يدى الحيتان من ذنوب القوم وما بعدها
من ذنوبهم فانه أبعد فى الانتزاع وذلك أن الحيتان لم يجر لها ذكر فيقال فجعلناها فان ظن ظان
أن ذلك جائز وان لم يكن جرى للحيتان ذكر لان العرب قد تكنى عن الاسم ولم يجر له ذكر فان ذلك وان
كان كذلك فغير جائز أن يترك المفهوم من ظاهر الكتاب والمعقول به ظاهر فى الخطاب والتنزيل
الى باطن لا دلالة عليه من ظاهر التنزيل ولا خبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم منقول ولا فيه من
الحجة اجماع مستفيض وأما تأويل من تأول ذلك لما بين يديها من القرى وما خلفها فينظر الى
تأويل من تأول ذلك بما بين يدى الحيتان وما خلفها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وموعظة)
والموعظة مصدر من قول القائل وعظت الرجل أعظه وعظا وموعظة اذا ذكرته فتأويل الآية
فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وتذكرة للمتقين ليتعظوا بها ويعتبروا ويتذكروا بها كما
حدثنا أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد قال ثنا بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن
ابن عباس وموعظة يقول وتذكرة وعبرة للمتقين ۞ القول فى تأويل قوله (للمتقين) وأما المتقون فهم
الذين اتقوا بأداء فرائضه واجتناب معاصيه كما حدثنا أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد
قال ثنا بشر بن عمارة قال ثنا أبو روق عن الضحاك عن ابن عباس وموعظة للمتقين يقول
للمؤمنين الذين يتقون الشرك ويعملون بطاعتى فجعل تعالى ذكره ما أحل بالذين اعتدوا فى
السبت من عقوبته موعظة للمتقين خاصة وعبرة للمؤمنين دون الكافرين به الى يوم القيامة كالذى
حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال حدثنى ابن اسحق عن داود بن الحصين عن عكرمة مولى ابن عباس
عن عبد الله بن عباس فى قوله وموعظة للمتقين الى يوم القيامة حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد
قال ثنا سعيد عن قتادة وموعظة للمتقين أى بعدهم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد
الرزاق

عاتبه بقوله فتكونا من الظالمين وهذا كما أسكر موسى باقداح الكلام وأذاقه لذة شراب السماع وقربه نجيا حتى اشتاق الى جماله وطمع في وصاله وقال رب أرني عاتبه بسطوة لن تراني وذلك أن البلاء والولاء توأمان والمحبة والمحنة رضيعا لبان والمطلوب كلما كان أرفع كان أعز وأمنع والجمال لابد له من الدلال وبه يتميز العاشق الصادق من المدعي المختال فلماذا قاشجرة الغرام خرجا من دار السلام فما لأهل الغرام ودار السلام وأين الفارغ السالي من المحب الغالي فبتنا على رغم الحسود وبيننا * حديث كطيب المسك شيب به الخمر
فلما أضاء الصبح فرق بيننا * وأي نعيم لا يكدره الدهر

وبالجملة فلما جاء القضاء ضاق الفضاء فلم يمس بعد أن كان مسجود الملك مرفوع السماك الى السماك مشمول الرعاية موفور العناية حتى نزع عنه لباس الامن والفراغ وبدل باستئناسه الاستيحاش تدفعه الملائكة بعنف أن اخرج من غير مكث ولا بحث فأزلهما بالتقدير بحسن التدبير وكان الشيطان المسكين كذئب يوسف لطخ خرطومه بدم نصح فلما وقعا من القربة في الغربة ومن الالفة في الكلفة لماذا قامن شجرة المحبة الموروثة للمحنة استوحشا من كل شيء واتخذا عدوا بعضكم لبعض عدو وهكذا شرط المحبة عداوة ما سوى المحبوب فكما أن ذاته لا تقبل الشركة في التعبد كذلك لا تقبل الشركة في المحبة فلما استقرت حبة المحبة في أرض قلب آدم جعل الارض مستقر شخصه ليتمتع بتربية بذر المحبة بماء الطاعة والتكليف الى حين ادراك ثمرة المعرفة وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقال صلى الله عليه وسلم ان داود قال يارب لم خلقت الخلق فقال كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لاعرف ثم انه بعدما ابتلى بالهبوط بشره بان وحيه لا ينقطع وهدايته لا ترتفع وان من ربى بذر المحبة بماء الطاعة والطباعة فلا خوف عليهم في المستقبل ولا هم يحزنون على ما مضى من الهبوط الى الارض لانهم يرجعون بجذبات العناية والهداية الى ذرى حظائر القدس وبالله التوفيق (يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم واياي فارهبون وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا واياي فاتقون ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب

الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي أما موعظة للمتقين فهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع وموعظة للمتقين قال فكانت موعظة للمتقين خاصة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج في قوله وموعظة للمتقين أي لمن بعدهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا) وهذه الآية مما وبخ الله بها المخاطبين من بني اسرائيل في نقض أوائلهم الميثاق الذي أخذه الله عليهم بالطاعة لانبيائه فقال لهم واذكروا أيضا من نكثكم ميثاقي اذ قال موسى لقومه وقومه بنو اسرائيل اذ ادارؤا في القتيل الذي قتل فيهم اليه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا والهزو اللعب والسخرية كما قال الراجز

قد هزئت مني أم طيسله * قالت أراه معدما لا شيء له

يعني بقوله قد هزئت قد سخرت ولعبت ولا ينبغي أن يكون من أنبياء الله فيما أخبرت عن الله من أمر أو نهي هزؤ أو لعب فظنوا موسى أنه في أمره اياهم عن أمر الله تعالى ذكره بذبح البقرة عند تدارئهم في القتيل اليه انه هازئ لاعب ولم يكن لهم أن يظنوا ذلك بنبي الله وهو يخبرهم أن الله هو الذي أمرهم بذبح البقرة وحذفت الفاء من قوله أتتخذنا هزوا وهو جواب لاستغناء ما قبله من الكلام عنه وحسن السكوت على قوله ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة فجاز لذلك اسقاط الفاء من قوله أتتخذنا هزوا كما جاز وحسن اسقاطها من قوله تعالى قال فما خطبكم أيها المرسلون قالوا انا أرسلنا ولم يقل فقالوا انا أرسلنا ولو قيل فقالوا كان حسنا أيضا جائزا ولو كان ذلك على كلمة واحدة لم تسقط منه الفاء وذلك انك اذا قلت قمت وفعلت كذا وكذا ولم تقل قمت فعلت كذا وكذا لانها عطف لا استفهام يوقف عليه فأخبرهم موسى اذ قالوا له ما قالوا ان المخبر عن الله جل ثناؤه بالهزء والسخرية من الجاهلين وبرأ نفسه مما ظنوا به من ذلك فقال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين يعني من السفهاء الذين يروون عن الله الكذب والباطل وكان سبب قيل موسى لهم ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ما حدثنا به محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت أيوب عن محمد بن سيرين عن عبيدة قال كان في بني اسرائيل رجل عقيم أو عاقر قال فقتله وليه ثم احتمله فألقاه في سبط غير سبطه قال فوقع بينهم فيه الشر حتى أخذوا السلاح قال فقال أولو النهى أتقتتلون وفيكم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأتوا نبي الله فقال اذبحوا بقرة فقالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال انه يقول انها بقرة الى قوله فذبحوها وما كادوا يفعلون قال فضرب فأخبرهم بقاتله قال ولم تؤخذ البقرة الا بوزنها ذهبا قال ولو أنهم أخذوا أدنى بقرة لأجزأت عنهم فلم يورث قاتل بعد ذلك وحدثني المثنى قال ثنا آدم قال حدثني أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية في قول الله ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قال كان رجل من بني اسرائيل وكان غنيا ولم يكن له ولد وكان له قريب وكان وارثه فقتله ليرثه ثم

أفلا تعقلون واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم اليه راجعون﴾ القرآت اسرائيل بغير همزة حيث كان يزيد وحمزة فى الوقف نعمتى وكذلك ما بعدها ساكنة الياء أبو زيد عن المفضل فارهبونى فاتقونى بالياء فى الحالين يعقوب وكذلك كل ياء محذوفة فى الخط عند رأس الآية وروى مسبح بن حاتم وابن دريد عن سهل وعباس بالياء فى الوصل أول كافر به بمماله قتيبة وأحمد ابن فرج * الوقوف فارهبون ○ ربع الجزء كافر به ص لاتفاق الجملتين وعلى قليلا أجوز لاختلاف النظم بتقديم المفعول فاتقون ○ تعلمون ○ الراكعين ○ الكتاب ط تعقلون ○ الصلاة ط خاشعين لا لان الذين صفتهم راجعون * التفسير انه تعالى لما أقام دلائل التوحيد والنبوة والمعاد ثم ذكر الانعامات العامة للبشر ومن جملتها خلق آدم الى تمام قصته أردفها الانعامات الخاصة على أسلاف اليهود الانه لشكيمتهم واستمالة لقلوبهم وتنبيها على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من حيث كونه اخبارا بالغيب مدرجا فى مطاوى ذلك ما يرشدهم الى أصول الاديان ومكارم الاخلاق واسرائيل هو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم غير منصرف للعلمية والعجمية المعتبرة لقبله ومعناه صفوة الله وقيل عبد الله لان اسر بالعبرية هو العبد وإيل الله وقوله يابنى اسرائيل خطاب مع جماعة اليهود الذين كانوا بالمدينة من ولد يعقوب فى أيام محمد صلى الله عليه وسلم وحد النعمة وما يتعلق بها قد سبق فى تفسير الفاتحة والعائد من الصلة محذوف أى أنعمت بها عليكم قال بعض العارفين عبيد النعم كثيرة وعبيد المنعم قليلون فان الله تعالى ذكر بنى اسرائيل نعمه عليهم ولما آل الأمر الى أمة محمد صلى الله عليه وسلم ذكرهم المنعم فقال اذكرونى أذكركم عن ابن عباس أنه قال من نعمه تعالى على بنى اسرائيل أن نجاهم من آل فرعون وظلل عليهم فى التيه الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى وأعطاهم الحجر الذى كان يسقيهم ماشاؤا وأعطاهم عمودا من النور أضاء لهم بالليل وكانت رؤسهم لا تتشعث وثيابهم لا تبلى وفى تذكير هذه النعم فوائد منها أن فيها ما يشهد بصدق محمد صلى الله عليه وسلم وهو التوراة والانجيل والزبور ومنها ان كثرة النعم توجب عظم المعصية فذكرهم اياها ليحذروا المخالفة مادعوا اليه من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن ومنها أن تذكر النعم الكثيرة يوجب الحياء من اظهار المخالفة ومنها أن كثرة النعم تفيد أن المنعم خصهم بها من بين سائر الناس ومن خص

ألقاه على مجمع الطريق وأتى موسى فقال له ان قريبى قتل وأتى الى أمر عظيم وانى لا أجد أحدا يبين لى من قتله غيرك يانبى الله قال فنادى موسى فى الناس أنشد الله من كان عنده من هذا علم الا بينه لنا فلم يكن عندهم علمه فاقبل القاتل على موسى فقال أنت نبى الله فاسأل لنا ربك أن يبين لنا فسأل ربه فاوحى الله اليه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة فعجبوا وقالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهى قال انه يقول انها بقرة لا فارض يعنى لا هرمة ولا بكر يعنى ولا صغيرة عوان بين ذلك أى نصف بين البكر والهرمة قالوا ادع لنا ربك يبين لنا مالونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها أى صاف لونها تسر الناظرين أى تعجب الناظرين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهى ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون قال انه يقول انها بقرة لا ذلول أى لم يذللها العمل تثير الارض يعنى ليست بذلول فتثير الارض ولا تسقى الحرث يقول ولا تعمل فى الحرث مسلمة يعنى مسلمة من العيوب لاشية فيها يقول لا بياض فيها قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون قال ولو أن القوم حين أمروا أن يذبحوا بقرة استعرضوا بقرة من البقر فذبحوها لكانت اياها ولكنهم شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم ولولا أن القوم استثنوا فقالوا وانا ان شاء الله لمهتدون لما هدوا اليها أبدا فبلغنا أنهم لم يجدوا البقرة التى نعتت لهم الا عند عجوز عندها يتامى وهى القيمة عليهم فلما علمت انهم لا يزكو لهم غيرها أضعفت عليهم الثمن فأتوا موسى فاخبروه انهم لم يجدوا هذا النعت الا عند فلانة وانها سألتهم أضعاف عنها فقال لهم موسى ان الله قد كان خفف عليكم فشددتم على أنفسكم فأعطوها رضاها وحكمها ففعلوا واشتروها فذبحوها فأمرهم موسى أن يأخذوا عظما منها فيضربوا به القتيل ففعلوا فرجع اليه روحه فسمى لهم قاتله ثم عاد ميتا كما كان فاخذوا قاتله وهو الذى كان أتى موسى فشكى اليه فقتله الله على أسوء عمله حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم أن تذبحوا بقرة قال كان رجل من بنى اسرائيل مكثرا من المال وكانت له ابنة وكان له ابن أخ محتاج فخطب اليه ابن أخيه ابنته فابى أن يزوجه اياها فغضب الفتى وقال والله لأقتلن عمى ولآخذن ماله ولأنكحن ابنته ولآكلن ديته فأتاه الفتى وقد قدم تجار فى بعض أسباط بنى اسرائيل فقال ياعم انطلق معى فخذلى من تجارة هؤلاء القوم لعلى أصيب فيها فانهم اذا رأوك معى أعطونى فخرج العم مع الفتى ليلا فلما بلغ الشيخ ذلك السبط قتله الفتى ثم رجع الى أهله فلما أصبح جاء كأنه يطلب عمه كأنه لا يدرى أين هو فلم يجده فانطلق نحوه فاذا هو بذلك السبط مجتمعين عليه فاخذهم وقال قتلتم عمى فأدوا الى ديته وجعل يبكى ويحثو التراب على رأسه وينادى واعماه فرفعهم الى موسى فقضى عليهم بالدية فقالوا له يارسول الله ادع لنا حتى يتبين له من صاحبه فيؤخذ صاحب الجريمة فوالله ان ديته علينا لهينة ولكنا نستحى أن نعير به فذلك حين يقول الله جل ثناؤه واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون فقال لهم موسى ان الله يامركم أن تذبحوا بقرة قالوا نسألك عن القتيل وعمن قتله وتقول اذبحوا بقرة أتهزأ بنا قال موسى أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين قال قال ابن عباس فلو اعترضوا بقرة فذبحوها لاجزأت عنهم

ولكنهم

أحدا بنعم كثيرة فالظاهر أنه لا يزيلها عنهم كما قيل اتمام المعروف خير من ابتدائه فتذكير النعم السالفة مطمع في النعم الآتية وذلك الطمع
يمنع من اظهار المخالفة والمخاصمة والنعمة على الآباء نعمة على الابناء اذ لولاها لم يبق نسلهم ولان الانتساب الى آباء خصهم الله تعالى بنعم الدين
والدنيا نعمة عظيمة في حق الاولاد ولانهم اذا علموا أن آباءهم انما خصوا بهذه النعم لمكان طاعتهم والاعراض عن الكفر والجحود رغبوا في هذه
الطريقة لان الابن مجبول على اتباع الاب ومن أشبه أباه فما ظلم والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد جميعا يقال أوفيت بعهدي
أي بما عاهدت عليه وأوفيت بعهدك
أي بما عاهدتك عليه والمعنى أوفوا
بما عاهدتموني عليه من الايمان بي
والطاعة لي أوف بعهدكم أي أرض
عنكم وأدخلكم الجنة حكاه الضحاك
عن ابن عباس وتحقيقه في قوله
تعالى ان الله اشترى من المؤمنين
أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة
يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون
وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل
والقرآن ومن أوفى بعهده من الله
وقيل المراد من هذا العهد ما أثبته في
الكتب المتقدمة من صفة محمد صلى
الله عليه وسلم وانه سيبعثه واليه
الاشارة في قوله ولقد أخذ الله ميثاق
بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر
نقيبا الى قوله ولأدخلنكم جنات
تجري من تحتها الانهار وفي الاعراف
فسأكتبها للذين يتقون الآية وفي
آل عمران واذ أخذ الله ميثاق
النبيين لما آتيتكم وفي الصف واذ
قال عيسى بن مريم وعن ابن عباس
ان الله كان عهد الى بني اسرائيل
في التوراة اني باعث من بني اسمعيل
نبيا أميا فمن تبعه وصدق بالتوراة
الذي يأتي به أي بالقرآن غفرت له
ذنبه وأدخلته الجنة وجعلت له
أجرين أجرا باتباع ما جاء به موسى
وجاءت به سائر أنبياء بني اسرائيل
وأجرا باتباع ما جاء به محمد صلى الله
عليه وسلم النبي الأمي الذي من
ولد اسمعيل وتصديق هذا في
القرآن يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته وعن أبي موسى الاشعري مرفوعا ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين
رجل من أهل الكتاب آمن بعيسى ثم آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم فله أجران ورجل أدب أمته فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم
أعتقها وتزوجها فله أجران ورجل أطاع الله وأطاع سيده فله أجران فان قيل لو كان الامر كما قلتم فكيف يجوز من جماعتهم جحده صلى الله
عليه وسلم قلنا اما لان هذا العلم به صلى الله عليه وسلم كان حاصلا عند العلماء بكتبهم ولم يكن لهم عدد كثير فجاز منهم كتمانه صلى الله عليه وسلم واما لان

ولكنهم شددوا وتعنتوا موسى فشدد الله عليهم فقالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال انه يقول انها
بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك والفارض الهرمة التي لا تلد والبكر التي لم تلد الا ولدا واحدا
والعوان النصف التي بين ذلك التي قد ولدت وولد ولدها فافعلوا ما تؤمرون قالوا ادع لنا ربك يبين
لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين قال تعجب الناظرين قالوا ادع لنا
ربك يبين لنا ما هي ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير
الارض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها من بياض ولا سواد ولا حمرة قالوا الآن جئت بالحق
فطلبوها فلم يقدروا عليها وكان رجل من بني اسرائيل من أبر الناس بأبيه وان رجلا مر به معه لؤلؤ
يبيعه فكان أبوه نائما تحت رأسه المفتاح فقال له الرجل تشتري مني هذا اللؤلؤ بسبعين ألفا فقال له
الفتى كما أنت حتى يستيقظ أبي فآخذه بثمانين ألفا فقال له الآخر أيقظ أباك وهو لك بستين ألفا
فجعل التاجر يحط له حتى بلغ ثلاثين ألفا وزاد الآخر على أن ينتظر حتى يستيقظ أبوه حتى بلغ مائة
ألف فلما أكثر عليه قال لا والله لا أشتريه منك بشيء أبدا وأبى أن يوقظ أباه فعوضه الله من ذلك اللؤلؤ
أن جعل له تلك البقرة فمرت به بنو اسرائيل يطلبون البقرة فأبصروا البقرة عنده فسألوه أن يبيعهم
اياها بقرة ببقرة فأبى فأعطوه ثنتين فأبى فزادوه حتى بلغوا عشرا فأبى فقالوا والله لا نتركك حتى
نأخذها منك فانطلقوا به الى موسى فقالوا يا نبي الله انا وجدنا البقرة عند هذا فأبى أن يعطيناها وقد
أعطيناه ثمنا فقال له موسى أعطهم بقرتك فقال يا رسول الله أنا أحق بمالي فقال صدقت وقال للقوم
أرضوا صاحبكم فأعطوه وزنها ذهبا فأبى فأضعفوا له مثل ما أعطوه وزنها حتى أعطوه وزنها عشر
مرات فباعهم اياها وأخذ ثمنها فقال اذبحوها فذبحوها فقال اضربوه ببعضها فضربوه بالبضعة التي
بين الكتفين فعاش فسألوه من قتلك فقال لهم ابن أخي قال أقتله وآخذ ماله وأنكح ابنته فأخذوا
الغلام فقتلوه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وحدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب
عن ابن زيد عن مجاهد وحدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل قال حدثني خالد بن يزيد عن
مجاهد وحدثني المثنى قال حدثنا اسحق قال ثنا اسمعيل عن عبد الكريم قال حدثني عبد الصمد
ابن معقل انه سمع وهبا يذكر وحدثني القاسم قال ثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج
عن مجاهد وحجاج عن أبي معشر عن محمد بن كعب القرظي ومحمد بن قيس وحدثني محمد بن سعد
قال حدثني أبي قال حدثني عمي قال أخبرني أبي عن أبيه عن ابن عباس فذكر جميعهم أن السبب
الذي من أجله قال لهم موسى ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة نحو السبب الذي ذكره عبيدة
وأبو العالية والسدي غير أن بعضهم ذكر أن الذي قتل القتيل الذي اختصم في أمره الى موسى
كان أخا المقتول وذكر بعضهم انه كان ابن أخيه وقال بعضهم بل كانوا جماعة ورثة استبطؤا
حياته الا أنهم جميعا مجمعون على أن موسى انما أمرهم بذبح البقرة من أجل القتيل اذا احتكموا
اليه عن أمر الله اياهم بذلك فقالوا له وما ذبح البقرة يبين لنا خصومتنا التي اختصمنا فيها اليك في
قتل من قتل فادعى على بعضنا انه القاتل أتهزأ بنا كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال

قال ابن زيد قتل قتيل من بني اسرائيل فطرح في سبط من الاسباط فأتى أهل ذلك القتيل الى ذلك السبط فقالوا أنتم والله قتلتم صاحبنا قالوا لا والله فأتوا موسى فقالوا هذا قتيلنا بين أظهرهم وهم والله قتلوه فقالوا لا والله يا نبي الله طرح علينا فقال لهم موسى ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة فقالوا أتستهزئ بنا وقرأ قول الله جل ثناؤه أتتخذنا هزوا قالوا نأتيك فنذكر قتيلنا والذي نحن فيه فتستهزئ بنا فقال موسى أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وحجاج عن أبي معشر عن محمد بن كعب القرظي ومحمد بن قيس لما أتى أولياء القتيل والذين ادعوا عليهم قتل صاحبهم موسى وقصوا قصتهم عليه أوحى الله اليه أن يذبحوا بقرة فقال لهم موسى ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين قالوا وما البقرة والقتيل قال أقول لكم ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة وتقولون أتتخذنا هزوا (قال أبو جعفر) فقال الذين قيل لهم ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة بعد أن علموا واستقر عندهم أن الذي أمرهم به موسى عليه السلام من ذلك عن أمر الله من ذبح بقرة جد وحق ادع لنا ربك يبين لنا ماهي فسألوا موسى أن يسأل ربه لهم ما كان الله قد كفاهم بقوله لهم اذبحوا بقرة لانه جل ثناؤه انما أمرهم بذبح بقرة من البقر أي بقرة شاؤا ذبحها من غير أن يحصر لهم ذلك على نوع منها دون نوع أو صنف دون صنف فقالوا بجفاء أخلاقهم وغلظ طبائعهم وسوء أفهامهم وتكلف ماقد وضع الله عنهم مؤنته تعنتا منهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما حدثني محمد بن سعد قال حدثني أبي قال حدثني عمي قال حدثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قال لما قال لهم موسى أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين قالوا له يتعنتونه ادع لنا ربك يبين لنا ماهي فلما تكلفوا جهلا منهم ما تكلفوا من البحث عما كانوا قد كفوه من صفة البقرة التي أمروا بذبحها تعنتا منهم بنبيهم موسى صلوات الله عليه بعد الذي كانوا أظهروا له من سوء الظن به فيما أخبرهم عن الله جل ثناؤه بقولهم أتتخذنا هزوا عاقبهم عز وجل بان خص بذبح ما كان أمرهم بذبحه من البقر على نوع منها دون نوع فقال لهم جل ثناؤه اذ سألوه فقالوا ماهي ما صفتها وما حليتها حلها لنا لنعرفها قال انها بقرة لا فارض ولا بكر يعني بقوله جل ثناؤه لا فارض لا مسنة هرمة يقال منه فرضت البقرة تفرض فروضا يعني بذلك أسنت ومن ذلك قول الشاعر

يارب ذي ضغن علي فارض * له قروء كقروء الحائض

يعني بقوله فارض قديم يصف ضغنا قديما ومنه قول الآخر

له زجاج ولهاة فارض * هدلاء كالوطب نحاه الماخض

وبمثل الذي قلنا في تأويل فارض قال المتأولون ذكر من قال ذلك حدثني علي بن سعيد الكندي قال ثنا عبد السلام بن حرب عن خصيف عن مجاهد لا فارض قال لا كبيرة حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عطية قال ثنا شريك عن خصيف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أو عن عكرمة شك شريك لا فارض قال الكبيرة حدثني محمد بن سعد قال أخبرني أبي قال حدثني عمي قال

حدثني

ذلك النص كان نصا خفيا لعدم تعيين الزمان والمكان بحيث يعرفه كل أحد فجاز وقوع الشكوك والشبهات فيه جاء في الفصل التاسع من السفر الاول من التوراة ان هاجر لما غضبت عليها سارة تراءى لها ملك الله تعالى فقال لها يا هاجر أين تريدين قالت أهرب من سيدتي سارة فقال ارجعي الى سيدتك واخفضي لها فان الله سيكثر زرعك وذريتك وستحبلين وتلدين ابنا تسميه اسمعيل من أجل أن الله سمع خشوعك وهو يكون عينا بين الناس وتكون يده فوق الجميع ويد الجميع مبسوطة اليه بالخضوع فقيل هذا الكلام خرج مخرج البشارة لانهم كانوا قبل الاسلام محصورين في البادية لا يتجاسرون على الدخول في أوائل العراق وأوائل الشام الا على أتم خوف فلما جاء الاسلام استولوا على الخافقين بالاسلام ومازجوا الامم ووطؤا بلادهم ومازجتهم الأمم وحجوا بيتهم ودخلوا باديتهم بسبب مجاورة الكعبة (واياي فارهبون) فلا تنقضوا عهدي وهو من قولك زيدا رهبته أي زيدا رهبت رهبته بتقديم المفعول للاختصاص فتقديره واياي ارهبوا فارهبون وهو أوكد في افادة الاختصاص من اياك نعبد لمكان الفاء المؤذنة بتلازم ماقبلها وما بعدها أي ان كنتم راهبين شيأ فارهبون ومن قبل التكرير ولاجل الاضمار والتفسير والرهبة هي الخوف والخوف اما من العقاب وهو نصيب أهل الظاهر واما من الجلال وهو وظيفة أرباب القلوب والاول يزول والثاني لا يزول ومن كان خوفه في الدنيا أشد كان أمنه يوم القيامة أكثر وبالعكس يروى أنه ينادي مناد يوم القيامة وعزتي وجلالي اني لا أجمع على عبدي خوفين ولا أمنين من أمنني في الدنيا خوفته يوم القيامة ومن خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة قوله وآمنوا معطوف على اذكروا والمراد بما أنزلت القرآن ومصدقا حال مؤكدة من الراجع المحذوف وفيه تفسيران أحدهما ان في القرآن ان موسى وعيسى حق والتوراة والانجيل حق والتوراة أنزل على موسى والانجيل على عيسى فكان الايمان بالقرآن مؤكدا للايمان بالتوراة والانجيل والثاني انه حصلت البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن في التوراة والانجيل فكان الايمان بمحمد والقرآن تصديقا للتوراة والانجيل والتكذيب بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن تكذيبا لهما وفي هذا التفسير دلالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من جهة أن شهادة كتب الانبياء لا تكون الا حقا ومن جهة أنه صلى الله عليه وسلم أخبر عن كتبهم

ولم يكن له صلى الله عليه وسلم معرفة بذلك الامر قبل الوحي ولا تكونوا أول كافر به صلى الله عليه وسلم أي أول من كفر به صلى الله عليه وسلم أو
أول فريق أو فوج كافر به صلى الله عليه وسلم أو ولا يكن كل واحد منكم أول كافر به كقوله كسانا حلة أي كل واحد منا (وههنا سؤالان) الاول
كيف جعلوا أول من كفر به صلى الله عليه وسلم وقد سبقهم الى الكفر به صلى الله عليه وسلم مشركو العرب وفي الجواب وجوه * الاول انه تعريض
وانه كان يجب أن يكونوا أول من يؤمن به صلى الله عليه وسلم لمعرفتهم به صلى الله عليه وسلم وبصفته ولانهم كانوا المبشرين بزمان
محمد صلى الله عليه وسلم والمستفتحين
به على الذين كفروا وكانوا يعدون
أتباعه أولى الناس كلهم فلما بعث
كان أمرهم على العكس فلما جاءهم
ما عرفوا كفروا به * الثاني ولا
تكونوا مثل أول كافر به يعني من
أشرك من أهل مكة أي
ولا تكونوا وأنتم تعرفونه صلى
الله عليه وسلم موصوفا في التوراة
مثل من لم يعرفه صلى الله عليه وسلم
لانه لا كتاب له * الثالث ولا تكونوا
أول كافر به من أهل الكتاب لان
هؤلاء كانوا أول من كفر به وبالقرآن
من بني اسرائيل * الرابع ولا
تكونوا أول كافر به يعني بكتابكم
يقول ذلك لعلمائهم لان تكذيبكم
بمحمد صلى الله عليه وسلم يوجب
تكذيبكم بكتابكم * الخامس المراد
بيان تغليظ كفرهم وذلك أن
السابق الى الكفر كفره غليظ من
سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من
عمل بها والكافر عن دليل ومعرفة
بما يوجب الايمان كفره أغلظ ممن
كفر ولا دليل له على الايمان فاشتركا
من هذا الوجه فصح اطلاق أحدهما
على الآخر * السادس ولا تكونوا أول
من جحد مع المعرفة * السابع أول
فريق كفر من اليهود لان النبي
صلى الله عليه وسلم قدم المدينة
وبها قريظة والنضير فكفروا ثم
تتابعت سائر اليهود على ذلك
الكفر * الثامن ولا تكونوا أول الكافرين به صلى الله عليه وسلم عند سماعكم بذكره صلى الله عليه وسلم بل تثبتوا وراجعوا عقولكم فيه صلى
الله عليه وسلم * السؤال الثاني كأنه يجوز لهم الكفر اذا لم يكونوا أول الجواب ليس في ذكر الشئ دلالة على أن ما عداه بخلافه وأيضا في قوله وآمنوا
دلالة على أن كفرهم أولا وآخرا محظور وأيضا قوله ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا لا يدل على اباحة ذلك بالثمن الكثير وقوله رفع السموات بغير عمد
ترونها لا يدل على وجود عمد لا نراها فكذلك ههنا قال المبرد هذا الكلام خطاب لقوم خوطبوا به قبل غيرهم فقيل لهم لا تكفروا بمحمد صلى

حدثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله لا فارض الفارض الهرمة حدثت عن المنجاب قال ثنا
بشر عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس لا فارض يقول ليست بكبيرة هرمة حدثنا القاسم
قال ثنا الحسين قال حدثني حجاج قال قال ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس لا فارض
الهرمة حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد الفارض
الكبيرة حدثنا أحمد بن اسحق الاهوازي قال ثنا أبو أحمد الزبيري قال ثنا شريك عن
خصيف عن مجاهد قوله لا فارض قال الكبيرة حدثنا المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر
عن الربيع عن أبي العالية لا فارض يعني لا هرمة حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه
عن الربيع مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة الفارض الهرمة حدثنا
الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال قال معمر قال قتادة الفارض الهرمة يقول ليست
بالهرمة ولا البكر عوان بين ذلك حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا
أسباط عن السدي الفارض الهرمة التي لا تلد وحدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن
زيد الفارض الكبيرة ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ولا بكر) والبكر من اناث البهائم وبني آدم
ما لم يفتحله الفحل وهي مكسورة الباء لم يسمع منه فعل ولا يفعل وأما البكر بفتح الباء فهو الفتى من
الابل وانما عني جل ثناؤه بقوله ولا بكر ولا صغيرة لم تلد كما حدثني علي بن سعيد الكندي قال
ثنا عبد السلام بن حرب عن خصيف عن مجاهد ولا بكر صغيرة حدثني المثنى قال ثنا أبو
حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد البكر الصغيرة حدثنا أبو كريب قال
ثنا الحسن بن عطية قال ثنا شريك عن خصيف عن سعيد عن ابن عباس أو عكرمة شك ولا
بكر قال الصغيرة حدثنا القاسم قال ثنا الحسن قال حدثني حجاج قال قال ابن جريج
عن عطاء الخراساني عن ابن عباس ولا بكر الصغيرة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال
حدثني أبو سفيان عن معمر عن قتادة ولا بكر ولا صغيرة حدثت عن المنجاب قال ثنا بشر
عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس ولا بكر ولا صغيرة ضعيفة حدثني المثنى قال ثنا آدم
قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية ولا بكر يعني ولا صغيرة حدثت عن عمار قال
ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع مثله وحدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال
ثنا أسباط عن السدي في البكر لم تلد الا ولدا واحدا ۞ القول في تأويل قوله تعالى (عوان)
قال أبو جعفر العوان النصف التي قد ولدت بطنا بعد بطن وليست بنعت للبكر يقال منه قد
عونت اذا صارت كذلك وانما معنى الكلام انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر بل عوان بين ذلك
ولا يجوز أن يكون عوان الا مستدأ لان قوله بين ذلك كناية عن الفارض والبكر فلا يجوز أن يكون
مقدما عليهما ومنه قول الاخطل

وما بمكة من شمط محفلة * وما بيثرب من عون وأبكار

الله عليه وسلم فانه سيكون بعدكم كفار فلا تكونوا أنتم أول الكفار فانه يكون عليكم وزر من كفر الى يوم القيامة والاشتراء استعارة للاستبدال كما
قلنا في اشتروا الضلالة بالهدى أى لا تستبدلوا بآياتى ثمنا قليلا والا فالثمن هو المشترى به والثمن القليل هو الرياسة التى كانت لهم في قومهم خافوا
عليها الفوات لو تبعوا دين الاسلام وقيل الثمن هو الرشا التى يأخذها علماؤهم على تحريف الكلم عن مواضعه وتسهيلهم لهم ما صعب عليهم
من الشرائع وإياى فاتقون مثل وإياى فارهبون (٢٧٢) وقيل الاتقاء انما يكون عند الجزم بحصول ما يتقى عنه فكأنه أمرهم بالرهبة
على أن جواز العقاب قائم ثم أمرهم بالتقوى على أن يقين العقاب قائم قوله (ولا تلبسوا) أمر بترك الاغواء والاضلال كما أن قوله وآمنوا أمر بترك الكفر والضلال ولاضلال الغير طريقان لانه ان سمع الدلائل فاضلاله بتشويشها عليه وان لم يسمعها فاضلاله بكتمانها ومنعه من الوصول اليها فقوله ولا تلبسوا اشارة الى القسم الاول وقوله وتكتموا المجزوم بلا المقدرة للنهى عطفا على المنهى قبله اشارة الى القسم الثانى والباء التى في بالباطل اما للوصل كما في قولك لبست الشئ بالشئ خلطته به فكان المعنى ولا تكتبوا في التوراة ما ليس منها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذى كتبتم حتى لا يميز بينهما واما للاستعانة كما في كتبت بالقلم فالمعنى ولا تجعلوا الحق ملتبسا بباطلكم وهو الشبهات التى توردونها على السامعين وذلك أن النصوص الواردة في التوراة والانجيل في أمر محمد صلى الله عليه وسلم كانت نصوصا خفية يحتاج في معرفتها الى الاستدلال ثم انهم كانوا يجادلون فيها ويشوشون وجه الدلالة على المتأملين كقوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق قيل ويجوز أن يكون وتكتموا منصوبا باضمار أن والواو بمعنى
الجمع أى لا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمان الحق نحو لا تأكل السمك وتشرب اللبن قلت
هذا التقدير يوهم أن يكون المحظور هو الجمع بين الامرين كالجمع بين أكل السمك وشرب اللبن حتى لو أتى بكل منهما منفردا عن الآخر جاز
اللهم الا أن يحال ذلك على القرينة كما في قوله ولا تطع منهم آثما أو كفورا اذ لا يجوز أن يريد أطع أحدهما القرينة الاثم والكفر (وأنتم
تعلمون) ما في اضلال الخلق من الضرر العظيم العائد عليكم يوم القيامة من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها والنهى عن اللبس

وجمعها عون يقال امرأة عوان من نسوة عون ومنه قول تميم بن مقبل

ومأتم كالدمى حور مدامعها * لم تيأس العيش أبكارا ولا عونا

وبقرة عوان وبقر عون قال وربما قالت العرب بقر عون مثل رسل يطلبون بذلك الفرق بين جمع عوان من البقر وجمع عانة من الحمر ويقال هذه حرب عوان اذا كانت حربا قد قوتل فيها مرة بعد مرة يمثل ذلك بالمرأة التى ولدت بطنا بعد بطن وكذلك يقال حاجة عوان اذا كانت قد قضيت مرة بعد مرة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب أن ابن زيد أنشده

قعود لدى الابواب طلاب حاجة * عوان من الحاجات أو حاجة بكرا

قال أبو جعفر والبيت للفرزدق وبنحو الذى قلنا في ذلك تأوله أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا على بن سعد الكندى ثنا عبد السلام بن حرب عن خصيف عن مجاهد عوان بين ذلك وسط قد ولدت بطنا أو بطنين حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد عوان قال العوان العانس النصف حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد العوان النصف حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عطية قال ثنا شريك عن خصيف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أو عكرمة شك شريك عوان قال بين ذلك حدثت عن المنجاب قال ثنا بشر عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس عوان قال بين الصغيرة والكبيرة وهى أقوى ما تكون من البقر والدواب وأحسن ما تكون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثنى حجاج قال قال ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس عوان قال النصف حدثنى المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبى العالية عوان نصف وحدثت عن عمار عن ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع مثله حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة العوان نصف بين ذلك حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد الزبيرى قال ثنا شريك عن خصيف عن مجاهد عوان التى تنتج شيأ بشرط أن تكون التى قد نتجت بكرة أو بكرتين حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى العوان النصف التى بين ذلك التى قد ولدت وولد ولدها حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد العوان بين ذلك ليست ببكر ولا كبيرة ۞ القول في تأويل قوله تعالى (بين ذلك) يعنى بقوله بين ذلك بين البكر والهرمة كما حدثنى المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبى العالية بين ذلك أى بين البكر والهرمة فان قال قائل قد علمت أن بين لا تصلح الا أن تكون مع شيئين فصاعدا فكيف قيل بين ذلك وذلك واحد في اللفظ قيل انما صلحت مع كونها واحدة لان ذلك بمعنى اثنين والعرب تجمع في ذلك وذاك شيئين ومعنيين من الافعال كما يقول القائل أظن أخاك قائما وكان عمرو أباك ثم يقول قد كان ذاك وأظن ذلك فيجمع بذلك وذاك الاسم والخبر الذى كان لا بد للظن وكان منهما فمعنى الكلام قال انه يقول انها بقرة لا مسنة هرمة ولا صغيرة لم تلد ولكنها بقرة

نصف

نصف قد ولدت بطنا بعد بطن بين الهرم والشباب فجمع ذلك معنى الهرم والشباب لما وصفنا ولو كان
مكان الفارض والبكر اسما شخصين لم يجمع مع بين ذلك وذلك أن ذلك لا يؤدى عن اسم شخصين
وغير جائز لمن قال كنت بين زيد وعمرو أن يقول كنت بين ذلك وانما يكون ذلك مع أسماء
الافعال دون أسماء الاشخاص ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فافعلوا ما تؤمرون﴾ يقول الله
لهم جل ثناؤه افعلوا ما آمركم به تدركوا حاجاتكم وطلباتكم عندى واذبحوا البقرة التى أمرتكم
بذبحها تصلوا بانتهائكم الى طاعتى بذبحها الى العلم بقاتل قتيلكم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى
﴿قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء﴾ ومعنى ذلك قال قوم موسى
لموسى ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها أى لون البقرة التى أمرتنا بذبحها وهذا أيضا تعنت آخر منهم
بعد الاول وتكلف طلب ما قد كانوا كفوه فى المرة الثانية والمسئلة الآخرة وذلك أنهم لم يكونوا
حصروا فى المرة الثانية اذ قيل لهم بعد مسئلتهم عن حلية البقرة التى كانوا أمروا بذبحها فأبوا
الا تكلف ما قد كفوه من المسئلة عن صفتها فحصروا على نوع دون سائر الانواع عقوبة من الله
لهم على مسألتهم التى سألوها نبيهم صلى الله عليه وسلم تعنتا منهم له ثم لم يحصرهم على لون منها دون
لون فأبوا الا تكلف ما كانوا عن تكلفه أغنياء فقالوا تعنتا منهم لنبيهم صلى الله عليه وسلم كما ذكر
ابن عباس ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها فقيل لهم عقوبة لهم انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر
الناظرين فحصروا على لون منها دون لون ومعنى ذلك أن البقرة التى أمرتكم بذبحها صفراء فاقع
لونها قال ومعنى قوله يبين لنا ما لونها أى شىء لونها فلذلك كان اللون مرفوعا لانه مرافع ما وانما لم
ينصب ما بقوله يبين لنا لان أصل أى وما جمع متفرق الاستفهام كقول القائل بين لنا أسوداء هذه
البقرة أم صفراء (٧) فلما لم يكن كقوله بين لنا ارتفع على الاستفهام منصرفا لم يكن له ارتفع على
أى لانه جمع ذلك المتفرق وكذلك كل ما كان من نظائره فالعمل فيه واحد فى ما وأى واختلف أهل
التأويل فى معنى قوله صفراء فقال بعضهم معنى ذلك سوداء شديدة السواد ذكر من قال ذلك منهم
حدثنى أبو مسعود اسمعيل بن مسعود الجحدرى قال ثنا نوح بن قيس عن محمد بن سيف عن
الحسن صفراء فاقع لونها قال سوداء شديدة السواد حدثنى أبو زائدة زكريا بن يحيى بن أبى
زائدة والمثنى بن ابراهيم قالا ثنا مسلم بن ابراهيم قال ثنا نوح بن قيس عن محمد بن سيف عن أبى رجاء
عن الحسن مثله وقال آخرون معنى ذلك صفراء القرن والظلف ذكر من قال ذلك حدثنى
هشام بن يونس النهشلى قال ثنا حفص بن غياث عن أشعث عن الحسن فى قوله صفراء فاقع لونها
قال صفراء القرن والظلف حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال حدثنى هشيم قال أخبرنا جويبر
عن كثير بن زياد عن الحسن فى قوله صفراء فاقع لونها قال كانت وحشية حدثنى يعقوب
قال ثنا مروان بن معاوية عن ابراهيم عن أبى حفص عن مغراء أو عن رجل عن سعيد بن جبير

(٧) قوله فلما لم يكن كقوله بين لنا الى قوله المتفرق هكذا بالاصل وحرره كتبه مصححه

والكتمان وان قيد بالعلم لم يدل على جوازهما حال عدم العلم لان السبب فى ذكره أن الاقدام على الفعل الضار مع العلم بكونه ضارا أفحش من
الاقدام عليه عند الجهل بكونه ضارا والنهى وان كان خاصا لكنه عام فكل عالم بالحق يجب عليه اظهاره ويحرم عليه كتمانه ثم لما أمرهم
بذكر نعمته وبالايمان برسوله وكتابه ونهاهم عن اللبس والكتمان بين لهم ما لزمهم من أصول الشرائع فقال وأقيموا الصلاة أى التى
عرفتموها بوصف النبى بناء على أنه لا يجوز تأخير بيان المجمل عن وقت الخطاب وأما القائلون بجواز التأخير فقد
جوزوا ورود الامر بالصلاة وان لم
يعرف حقيقتها ويكون المقصود أن
يوطن السامع نفسه على الامتثال
وان كان لا يعلم أن المأمور به ما هو
كما لو قال السيد لعبده انى آمرك
غدا بشىء فلا بد أن تفعله ويكون
الغرض أن يعزم العبد فى الحال
على أدائه فى الوقت الثانى ومعنى
الصلاة لغة وشرعا قد تقدم فى أول
البقرة وأما الزكاة فهى فى اللغة
الزيادة والنماء وفى الشرع القدر
المخرج من النصاب لانها تزيد فى
بركة المخرج عنه ويمكن أن يقال
مأخوذة من التطهير من زكى نفسه
تزكية اذا مدحها وطهرها من
العيوب قال تعالى خذ من أموالهم
صدقة تطهرهم وتزكيهم
بها فان المخرج يطهر ما بقى من المال
قال صلى الله عليه وسلم عليك
بالصدقة فان فيها ست خصال
ثلاث فى الدنيا وثلاث فى الآخرة
فاما التى فى الدنيا فتزيد فى الرزق
وتكثر المال وتعمر الدار وأما
التى فى الآخرة فتستر العورة وتصير
ظلا فوق الرأس وتكون سترا من
النار وفى هذا الخطاب مع اليهود
دلالة على أن الكفار مخاطبون
بفروع الشرائع وفى قوله واركعوا
مع الراكعين وجوه أحدها
أن اليهود لا ركوع فى صلاتهم
فخص الركوع بالذكر تحريضا لهم
على الاتيان بصلاة المسلمين وثانيها

صلوا مع المصلين فلا تكرار لان الاول أمر باقامتها والثانى أمر بالجماعة وثالثها الركوع والخضوع
لغة سواء فيكون نهيا عن الاستكبار المذموم وأمرا بالتذلل للمؤمنين ثم انه سبحانه لما أمرهم بالايمان والشرائع بناء على ما خصهم به من النعم
رغبهم فى ذلك بناء على مأخذ آخر وهو أن التغافل عن أعمال البر مع حث الناس عليها مستقبح فى العقول والهمزة فى أتأمرون للتقرير مع
التقريع والتعجيب من حالهم والبر اسم جامع لاعمال الخير ومنه بر الوالدين وهو طاعتهما وعمل مبرور مرضى واختلف فى البر ههنا قال

بقرة صفراء فاقع لونها قال صفراء القرن والظلف حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال
قال ابن زيد هي صفراء حدثني محمد بن عمرو قال ثنا الضحاك بن مخلد عن عيسى عن
ابن أبي نجيح عن مجاهد انها بقرة صفراء فاقع لونها قال لو أخذوا بقرة صفراء لأجزأت عنهم
قال أبو جعفر وأحسب أن الذي قال في قوله صفراء يعني به سوداء ذهب الى قوله في نعت الابل
السود هذه ابل صفر وهذه ناقة صفراء يعني بها سوداء وانما قيل ذلك في الابل لان سوادها يضرب
الى الصفرة ومنه قول الشاعر

تلك خيلي منها وتلك ركابي * هن صفر أولادها كالزبيب

يعني بقوله هن صفر هن سود وذلك ان وصفت الابل به فليس مما توصف به البقر مع أن العرب لا تصف
السواد بالفقوع وانما تصف السواد اذا وصفته بالشدة بالحلوكة ونحوها فتقول هو أسود حالك
وحانك وحلكوك وأسود غربيب ودجوجي ولا تقول هو أسود فاقع وانما تقول هو أصفر فاقع
فوصفه اياه بالفقوع من الدليل البين على خلاف التأويل الذي تأول قوله انها بقرة صفراء فاقع
المتأول بأن معناه سوداء شديدة السواد ۞ القول في تأويل قوله تعالى (فاقع لونها) يعني خالص
لونها والفقوع في الصفرة نظير النصوع في البياض وهو شدته وصفاؤه كما حدثنا الحسن بن يحيى
قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال قال قتادة فاقع لونها هي الصافي لونها حدثني المثنى
قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية فاقع لونها أي صاف لونها حدثت عن
عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع مثله حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط
عن السدي فاقع قال نقي لونها حدثني محمد بن سعد قال حدثني أبي قال حدثني عمي قال حدثني
أبي عن أبيه عن ابن عباس فاقع لونها شديدة الصفرة تكاد من صفرتها تبيض قال أبو جعفر أراه
أبيض حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فاقع لونها قال شديدة
صفرتها يقال منه فقع لونه يفقع و يفقع فقعا وفقوعا فهو فاقع كما قال الشاعر

حملت عليه الورد حتى تركته * ذليلا يسف الترب واللون فاقع

۞ القول في تأويل قوله تعالى (تسر الناظرين) يعني بقوله تسر الناظرين تعجب هذه البقرة
في حسن خلقها ومنظرها وهيئتها الناظر اليها كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد
عن قتادة تسر الناظرين أي تعجب الناظرين حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا اسمعيل
ابن عبد الكريم قال حدثني عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهبا تسر الناظرين اذا نظرت اليها يخيل
اليك أن شعاع الشمس يخرج من جلدها حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن
السدي تسر الناظرين قال تعجب الناظرين ۞ القول في تأويل قوله تعالى (قالوا ادع لنا ربك
يبين لنا ما هي ان البقر تشابه علينا وإنا ان شاء الله لمهتدون) قال أبو جعفر يعني بقوله قالوا قال
قوم موسى الذين أمروا بذبح البقرة لموسى فترك ذكر موسى وذكر عائد ذكره اكتفاء بما دل عليه

السدي انهم كانوا يأمرون الناس بطاعة الله ثم يتركونها و ينهونهم عن معصية الله ويرتكبونها وقال ابن جريج تأمرون الناس بالصلاة
والزكاة وتتركونهما أبو مسلم كانوا قبل مبعث النبي يخبرون مشركي العرب أن رسولا سيظهر منكم ويدعوا الى الحق و يرغبونهم في اتباعه
فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حسدوه وأعرضوا عن دينه الزجاج يأمرون الناس بالصدقة ويشحون بها وقيل يأمرون من نصحوه في
السر من أقاربهم وغيرهم باتباع محمد صلى الله عليه وسلم ولا يتبعونه وقيل يأمرون غيرهم باتباع التوراة وهم يخالفونها لانهم
وجدوا فيها ما يدل على صدق محمد
صلى الله عليه وسلم ثم ما آمنوا به
وقيل لعل المنافقين من اليهود كانوا
يأمرون باتباعه في الظاهر و ينكرونه
صلى الله عليه وسلم في الباطن فوبخهم
الله على ذلك والنسيان هو السهو
الحادث بعد حصول العلم والناسي
غير مكلف فكيف يتوجه الذم على
ما صدر عنه فاذن المراد وتغفلون عن
حق أنفسكم وتعدلون عما لها فيه
من النفع وأنتم تتلون الكتاب أي
التوراة وتدرسونها وتعلمون ما فيها
من أعمال البر ومن نعت محمد صلى
الله عليه وسلم ومن الوعيد على ترك
البر ومخالفة القول العمل أفلا
تعقلون وهو تعجيب للعقلاء من
أفعالهم وكثيرا ما يحذف الفعل
بعد همزة الاستفهام للعلم به
والتقدير أفعلتم ذلك فلا تعقلون
وقس على هذا نظائره في القرآن
فانها كثيرة وللتعجب وجوه منها
أن المقصود من الأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر ارشاد الغير الى
المصالح وتحذيره عن المفاسد وارشاد
النفس اليها وتحذيرها منها أهم
بشواهد العقل والنقل فمن وعظ ولم
يتعظ فكأنه أتى بما لا يقبله العقل
الصحيح ومنها أن مثل هذا الوعظ
يصير سببا للمعصية لان الناس
يقولون لولا أن هذا الواعظ مطلع
على انه لا أصل لهذه التخويفات
لما أقدم على المناهي فيكون داعيا لهم الى التهاون بالدين والجرأة
على المعاصي وهذا مناف للغرض من الوعظ فلا يليق بالعقلاء ومنها أن غرض الواعظ ترويج كلامه وتنفيذ مرامه فلو خالف الى ما نهى
عنه صار كلامه بمعزل عن القبول وهذا خلاف المعقول قال بعضهم ليس للعاصي أن يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر استدلالا بهذه الآية
و بقوله تعالى لم تقولون ما لا تفعلون و بأن الزاني بامرأة يقبح منه أن ينكر عليها وأجيب بان المكلف مأمور بشيئين ترك المعصية ومنع الغير

عنها والاخلال بأحد التكليفين لا يقتضى الاخلال بالآخر والذم فى الآية مترتب على الشق الثانى وهو نسيان النفس لا على مجموع الامرين
قالوا وحديث القبح ممنوع قلت والحق أنه مكابرة فعن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال مررت ليلة أسرى بى على قوم تقرض شفاههم
بمقاريض من النار فقلت يا أخى يا جبريل من هؤلاء فقال هؤلاء خطباء من أهل الدنيا كانوا يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وقال
صلى الله عليه وسلم ان فى النار رجلا يتأذى أهل النار بريحه فقيل من هو يا رسول الله قال عالم لا ينتفع بعلمه وقال صلى الله عليه
وسلم مثل الذى يعلم الناس
الخير ولا يعمل به كالسراج يضىء
للناس ويحرق نفسه وعن الشعبى
يطلع قوم من أهل الجنة على قوم من
أهل النار فيقولون لم دخلتم النار فانا
دخلنا الجنة بفضل تعليمكم فقالوا انا
كنا نأمر بالخير ولا نفعله وقيل من
وعظ بقوله ضاع كلامه ومن
وعظ بفعله نفذت سهامه وقيل
عمل رجل فى ألف رجل أبلغ من
قول ألف رجل فى رجل روى أن
يزيد بن هرون مات وكان واعظا
زاهدا فرؤى فى المنام فقيل ما فعل
الله بك فقال غفر لى وأول
ما سألنى منكر ونكير فقالا من
ربك فقلت أما تستحيان من شيخ
دعا الناس الى الله كذا وكذا سنة
فتقولان له من ربك وقيل للشبلى
عند النزع قل لا اله الا الله فقال شعر

ان بيتا أنت ساكنه *
غير محتاج الى السرج

ولما أمرهم الله تعالى بالايمان
وترك الاضلال وبالتزام الشرائع
وموافقة القول للفعل وكان ذلك
شاقا عليهم لما فيه من ترك الرياسات
والاعراض عن المال والجاه عالج
الله تعالى هذا المرض بقوله
واستعينوا بالصبر والصلاة فكأنه
قيل واستعينوا على ترك ما تحبون
من الدنيا والدخول فيما تستثقله
طباعكم من قبول دين محمد صلى الله
عليه وسلم بالصبر أى حبس النفس عن اللذات فانكم اذا كلفتم أنفسكم ذلك مرنت عليه وخف عليها ثم اذا ضممتم الصلاة الى ذلك كمل الامر
لان المشتغل بالصلاة مشتغل بذكر لطفه وقهره فاذا تذكر لطفه مال الى الطاعة واذا تذكر قهره انتهى عن المعصية وقيل الصبر الصوم لانه
حبس النفس عن المفطرات ومنه يقال شهر الصبر لشهر رمضان ومن حبس نفسه عن قضاء شهوتى البطن والفرج زالت عنه كدورات حب
الدنيا فاذا انضاف اليه الصلاة استنار القلب بانوار معرفة الله وانما قدم الصوم على الصلاة لان تأثير الصوم فى ازالة ما لا ينبغى وتأثير الصلاة فى

ظاهر الكلام وذلك أن معنى الكلام قالوا له ادع ربك فلم يذكر له لما وصفنا وقوله يبين لنا ما هى
خبر من الله عن القوم بجهلة منهم ثالثة وذلك أنهم لو كانوا اذ أمروا بذبح البقرة ذبحوا أيتها
تيسرت مما يقع عليه اسم بقرة كانت عنهم مجزئة ولم يكن عليهم غيرها لأنهم لم يكونوا كلفوها
بصفة دون صفة فلما سألوا بيانها بأى صفة هى فبين لهم أنها بسن من الاسنان دون سن سائر
الاسنان فقيل لهم هى عوان بين الفارض والبكر الضرع فكانوا اذ بينت لهم سنها لو ذبحوا أدنى
بقرة بالسن التى بينت لهم كانت عنهم مجزئة لانهم لم يكونوا كلفوها بغير السن التى حدت لهم
ولا كانوا حصروا على لون منها دون لون فلما أبوا الا أن تكون معرفة لهم بنعوتها مبينة بحدودها
التى تفرق بينها وبين سائر بهائم الارض فشددوا على أنفسهم شدد الله عليهم بكثرة سؤالهم نبيهم
واختلافهم عليه ولذلك قال نبينا صلى الله عليه وسلم لأمته ذرونى ما تركتكم فانما أهلك من كان
قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فاذا أمرتكم بشئ فأتوه واذا نهيتكم عن شئ
فانتهوا عنه ما استطعتم * قال أبو جعفر ولكن القوم لما زادوا نبيهم موسى صلى الله عليه وسلم
أذى وتعنتا زادهم الله عقوبة وتشديدا كما حدثنا أبو كريب قال ثنا عثام بن على عن
الاعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لو أخذوا أدنى بقرة اكتفوا بها
لكنهم شددوا فشدد الله عليهم حدثنا عمر بن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر قال سمعت أيوب عن
محمد بن سيرين عن عبيدة قال لو أنهم أخذوا أدنى بقرة لاجزأت عنهم حدثنا الحسن بن يحيى
قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أيوب وحدثنى المثنى قال ثنا آدم قال ثنا
أبو جعفر عن هشام بن حسان جميعا عن ابن سيرين عن عبيدة السلمانى قال سألوا وشددوا فشدد
عليهم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عمرو بن
دينار عن عكرمة قال لو أخذ بنو اسرائيل بقرة لأجزأت عنهم ولولا قولهم وانا ان شاء الله
لمهتدون لما وجدوها حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح
عن مجاهد فى قول الله واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة لو أخذوا بقرة ما
كانت لأجزأت عنهم قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر قال
لو أخذوا بقرة من هذا الوصف لأجزأت عنهم قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول
انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين قال لو أخذوا بقرة صفراء لأجزأت عنهم قالوا ادع لنا
ربك يبين لنا ما هى قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقى الحرث الآية حدثنى
المثنى بن ابراهيم قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بنحوه وزاد فيه
ولكنهم شددوا فشدد عليهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثنى حجاج قال قال
ابن جريج قال مجاهد لو أخذوا بقرة ما كانت أجزأت عنهم قال ابن جريج قال لى عطاء لو أخذوا
أدنى بقرة كفتهم قال ابن جريج قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما أمروا بأدنى بقرة ولكنهم
لما شددوا على أنفسهم شدد الله عليهم وايم الله لو أنهم لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الأبد حدثنى

حصول ماينبغي والنفي مقدم على الاثبات ويجوز أن يراد بالصلاة الدعاء أي استعينوا على البلاء بالصبر والالتجاء الى الدعاء والابتهال في دفعه
الى فاطر الارض والسماء وهذا الخطاب وان كان خاصا ببني اسرائيل والا لزم تفكك النظم لكن المعنى على العموم فعلى كل مكلف أن يستعين
على حوائجه الى الله بالصلاة والصبر على تكاليفهما رعيا في ذلك ما يجب من الاخلاص وحسن الادب واستحضار العلم بانها انتصاب بين يدي
الجبار العالم بالطويات والاسرار ومنه قوله (٢٧٦) وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ومن خواص الصلاة اندفاع البلايا وانكشاف
الغموم والرزايا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة وانها أي الصلاة أو الاستعانة أو جميع المأمورات والمنهيات في هذه الآيات لكبيرة لشاقة ثقيلة كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الا على الخاشعين الذين يظنون يعلمون أنهم ملاقو جزاء ربهم وأنهم الى حكمه راجعون فتصدر عنهم الأعمال مع طيب نفس وانشراح صدر وهذا بخلاف حال المنافقين الذين اذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا فالملحد اذا لم يعتقد في فعلها منفعة لا تواتيه طبعه في الاشتغال بها وان كان زمانا يسيرا فثقل عليه والموحد حيث اعتقد في فعلها أعظم المنافع وهو الفوز بالنعيم المقيم والخلاص من العذاب الاليم يهون عليه تزجية الأوقات بوظائف العبادات وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي حتى تورمت قدماه ومع ذلك يقول يا بلال روحنا وجعلت قرة عيني في الصلاة والخشوع والخضوع أخوان وهما التطامن والتواضع ومنه الخشعة للاكمة المتواضعة وفي الحديث كانت الارض خشعة على الماء ثم دحيت وللظن ههنا تفسيران أحدهما انه بمعنى العلم تجوزا لأن الظن هو الاعتقاد الذي يقارنه تجويز النقيض وتجويز
نقيض لقاء الرب أي البعث والنشور كفر فكيف يمدح به وسبب هذا التجوز أنهما
يشتركان في رجحان الاعتقاد وان افترقا بتجويز النقيض وعدمه فصح اطلاق أحدهما على الآخر ولا سيما اذا كان الظن عن أمارة قوية
تقربه من العلم وثانيهما أن الظن بمعناه الحقيقي والمراد بملاقاة الرب اما لقاء ثوابه وذلك مظنون لا معلوم واما الموت الذي هو سبب اللقاء
ووقته غير معلوم الا أنه متوقع كل لحظة وقوعا راجحا عند المؤمن لانه قطع أمله أولانه يحب لقاء ربه ان زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس

المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية قال لو أن القوم حين أمروا
أن يذبحوا بقرة استعرضوا بقرة من البقر فذبحوها لكانت اياها ولكنهم شددوا على أنفسهم
فشدد الله عليهم ولولا أن القوم استثنوا فقالوا وانا ان شاء الله لمهتدون لما هدوا اليها أبدا حدثنا
بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان
يقول انما أمر القوم بأدنى بقرة ولكنهم لما شددوا على أنفسهم شدد عليهم والذي نفس محمد بيده
لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الأبد حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن
السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس قال لو اعترضوا بقرة فذبحوها
لأجزأت عنهم ولكنهم شددوا وتعنتوا موسى فشدد الله عليهم حدثنا أبو كريب قال قال
أبو بكر بن عياش قال ابن عباس لو أن القوم نظروا أدنى بقرة يعني بني اسرائيل لاجزأت عنهم
ولكن شددوا فشدد عليهم فاشتروها بملء جلدها دنانير حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب
قال قال ابن زيد لو أخذوا بقرة كما أمرهم الله كفاهم ذلك ولكن البلاء في هذه المسائل فقالوا ادع
لنا ربك يبين لنا ماهي فشدد عليهم فقال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك
فقالوا ادع لنا ربك يبين لنا مالونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين قال
وشدد عليهم أشد من الاول فقرأ حتى بلغ مسلمة لاشية فيها فأبوا أيضا فقالوا ادع لنا ربك يبين لنا
ماهي ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون فشدد عليهم فقال انه يقول انها بقرة لا ذلول
تثير الارض ولا تسقي الحرث مسلمة لاشية فيها قال فاضطروا الى بقرة لا يعلم على صفتها غيرها وهي
صفراء ليس فيها سواد ولا بياض * قال أبو جعفر وهذه الاقوال التي ذكرناها عمن ذكرناها عنه
من الصحابة والتابعين والخالفين بعدهم من قولهم ان بني اسرائيل لو كانوا أخذوا أدنى بقرة
فذبحوها أجزأت عنهم ولكنهم شددوا فشدد الله عليهم من أوضح الدلالة على أن القوم كانوا يرون
أن حكم الله فيما أمر ونهى في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم على العموم الظاهر دون
الخصوص الباطن الا أن يخص بعض ما عمه ظاهر التنزيل كتاب من الله أو رسول الله وأن
التنزيل أو الرسول ان خص بعض ما عمه ظاهر التنزيل بحكم خلاف ما دل عليه الظاهر
فالمخصوص من ذلك خارج من حكم الآية التي عمت ذلك الجنس خاصة وسائر حكم الآية على العموم
على نحو ما قد بيناه في كتابنا كتاب الرسالة من لطيف القول في البيان عن أصول الاحكام في قولنا
في العموم والخصوص وموافقة قولهم في ذلك قولنا ومذهبهم مذهبنا وتخطئتهم قول القائلين
بالخصوص في الاحكام وشهادتهم على فساد قول من قال حكم الآية الجائية مجيء العموم على العموم
مالم يختص منها بعض ما عمته الآية فان خص منها بعض فحكم الآية حينئذ على الخصوص فيما
خص منها وسائر ذلك على العموم وذلك ان جميع من ذكرنا قوله آنفا ممن عاب على بني اسرائيل
مسألتهم نبيهم صلى الله عليه وسلم عن صفة البقرة التي أمروا بذبحها وسنها وحليتها رأوا انهم كانوا
في مسألتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم موسى ذلك مخطئين وانهم لو كانوا استعرضوا أدنى
بقرة

فتمنوا الموت ويحتمل أن يقال معناه على هذا التفسير الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم بذنوبهم فان الانسان الخاشع قد يسيء ظنه بنفسه وبأعماله فيغلب على ظنه أنه يلقى الله بذنوبه فعند ذلك يتسارع الى التوبة وذلك من صفات المدح وبقي ههنا بحثان الاول استدل أهل السنة بالآية على جواز رؤية الله تعالى وأنكرها المعتزلة قالوا اللقاء لا يفيد الرؤية لقوله تعالى فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم الى يوم يلقونه والمنافق لا يرى ربه ولقوله واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه ويشمل الكافر

والمؤمن وقال صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين ليقتطع بها مال امرئ مسلم لقى الله وهو عليه غضبان وأجيب بان اللقاء فى اللغة وصول أحد الجسمين الى الآخر اتصال التماس وهذا اللقاء سبب الادراك فحيث يمتنع حمله على أصله وجب حمله على الادراك لان اطلاق لفظ السبب على المسبب من أقوى وجوه المجاز فان منع من ذلك أيضا مانع أضمر بحسب ذلك فان الاضمار خلاف الاصل لا يصار اليه الا لمانع ففى قوله الى يوم يلقونه دعت الضرورة الى اضمار الجزاء ونحوه وفى الآية لا ضرورة فحمله على الادراك أولى البحث الثانى المراد من الرجوع الى الله الرجوع الى حكمه حيث لا مالك لهم سواه لمن الملك اليوم لله الواحد القهار كما كانوا كذلك فى أول الخلق بخلاف أيام حياتهم فى الدنيا فانه قد ملك الحكم عليهم ظاهرا غير الله تعالى قال المجسمة الرجوع الى غير الجسم محال فدل ذلك على كونه تعالى جسما وقال أهل التناسخ الرجوع الى الشئ مسبوق بالكون عنده فدلت الآية على كون الارواح قديمة ولا يخفى جوابهما والله أعلم (يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأنى فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيأ ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون) ۞ القراآت ولا تقبل بالتاء الفوقانية ابن كثير وأبو عمرو وسهل ويعقوب ۞ الوقوف العالمين ٥ ينصرون ٥ ۞ التفسير انما أعاد سبحانه هذا الكلام مرة أخرى توكيد الحجة وتحذيرا من ترك اتباع محمد صلى الله عليه وسلم كأنه قال ان لم تطيعونى لاجل سوالف نعمتى عليكم فأطيعونى للخوف من عقابى فى المستقبل والمراد بالعالمين ههنا الجم الغفير من الناس كقوله باركنا فيها للعالمين ويقال رأيت عالما من الناس يراد الكثرة بقرينة العلم بانه لم ير كل الناس ويمكن أن يكون المراد فضلتكم على عالمى زمانكم لأن

بقرة من البقر اذ أمروا بذبحها بقوله ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة فذبحوها كانوا الواجب عليهم من أمر الله فى ذلك مؤدين وللحق مطيعين اذ لم يكن القوم حصروا على نوع من البقر دون نوع وسن دون سن ورأوا مع ذلك أنهم اذا سألوا موسى عن سنها فأخبرهم عنها وحصرهم منها على سن دون سن ونوع دون نوع وخص من جميع أنواع البقر نوعا منها كانوا فى مسألتهم اياه فى المسئلة الثانية بعد الذى خص لهم من أنواع البقر من الخطا على مثل الذى كانوا عليه من الخطا فى مسئلتهم اياه المسئلة الاولى وكذلك رأوا أنهم فى المسئلة الثالثة على مثل الذى كانوا عليه من ذلك فى الاولى والثانية وأن اللازم كان لهم فى الحالة الاولى استعمال ظاهر الامر وذبح أى بهيمة شاؤا مما وقع عليها اسم بقرة وكذلك رأوا أن اللازم كان لهم فى الحال الثانية استعمال ظاهر الامر وذبح أى بهيمة شاؤا مما وقع عليها اسم بقرة عوان لا فارض ولا بكر ولم يروا أن حكمهم اذ خص لهم بعض البقر دون البعض فى الحالة الثانية انتقل عن اللازم الذى كان لهم فى الحالة الاولى من استعمال ظاهر الامر الى الخصوص ففى اجماع جميعهم على ما روينا عنهم من ذلك مع الرواية التى رويناها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالموافقة لقولهم دليل واضح على صحة قولنا فى العموم والخصوص وأن أحكام الله جل ثناؤه فى آى كتابه فيما أمر ونهى على العموم ما لم يخص ذلك ما يجب التسليم له وأنه اذا خص منه شئ فالمخصوص منه خارج حكمه من حكم الآية العامة الظاهر وسائر حكم الآية على ظاهرها العام ويؤيد حقيقة ما قلنا فى ذلك وشاهد عدل على فساد قول من خالف قولنا فيه وقد زعم بعض من عظمت جهالته واشتدت حيرته أن القوم انما سألوا موسى ما سألوا بعد أمر الله اياهم بذبح بقرة من البقر لأنهم ظنوا أنهم أمروا بذبح بقرة بعينها خصت بذلك كما خصت عصا موسى فى معناها فسألوه أن يحليها لهم ليعرفوها ولو كان الجاهل تدبر قوله هذا لسهل عليه ما استصعب من القول وذلك أنه استعظم من القوم مسئلتهم نبيهم ما سألوه تشددا منهم فى دينهم ثم أضاف اليهم من الامر ما هو أعظم مما استنكره أن يكون كان منهم فزعم أنهم كانوا يرون أنه جائز أن يفرض الله عليهم فرضا ويتعبدهم بعبادة ثم لا يبين لهم ما يفرض عليهم ويتعبدهم به حتى يسألوا بيان ذلك لهم فأضاف الى الله تعالى ذكره ما لا يجوز اضافته اليه ونسب القوم من الجهل الى ما لا ينسب المجانين اليه فزعم أنهم كانوا يسألون ربهم أن يفرض عليهم الفرائض فنعوذ بالله من الحيرة ونسأله التوفيق والهداية وأما قوله ان البقر تشابه علينا فان البقر جماع بقرة وقد قرأ بعضهم ان الباقر وذلك وان كان فى الكلام جائزا لمجيئه فى كلام العرب وأشعارها كما قال ميمون بن قيس

وما ذنبه ان عافت الماء باقر ✽ وما ان يعاف الماء الا ليضربا

وكما قال أمية

ويسوقون باقر الطود للسهـ ✽ ـل مهازيل خشية أن تبورا

فغير جائزة القراءة به لمخالفته القراءة الجائية مجيء الحجة بنقل من لا يجوز عليه فيما نقلوه مجمعين عليه الخطأ والسهو والكذب وأما تأويل تشابه علينا فانه يعنى به التبس علينا والقراء مختلفة

الشخص الذي سيوجد بعد ذلك لا يكون من جملة العالمين ويحتمل أن يكون لفظ العالمين عاما للموجودين ولمن سيوجد لكنه مطلق في الفضل والمطلق يكفي في صدقه صورة واحدة فالآية تدل على أنهم فضلوا على كل العالمين في أمر ما وهذا لا يقتضي أن يكونوا أفضل من كل العالمين في كل الامور فلعل غيرهم يكون أفضل منهم في أكثرها وقيل الخطاب لمؤمني بني اسرائيل لان عصاتهم مسخوا قردة وخنازير وفي جميع ما يخاطب الله تعالى بني اسرائيل تنبيه للعرب لان الفضيلة بالنبي قد لحقتهم وجميع أقاصيص الانبياء تنبيه وارشاد

لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الالباب روى عن قتادة قال ذكر لنا ان عمر بن الخطاب كان يقول قد مضى والله بنو اسرائيل وما يعني بما تسمعون غيركم واتقاء اليوم هو اتقاء ما يحصل في ذلك اليوم من الشدائد والاهوال لأن نفس اليوم لا يتقى وقوله لا تجزي الى آخر الآية الجمل منصوبات المحل صفات متعاقبة لليوم والراجع منها الى الموصوف محذوف تقديره لا تجزي فيه ومنهم من يقول اتسع فيه فأجرى مجرى المفعول به فحذف الجار وهو في فبقي لا تجزيه ثم حذف الضمير كما حذف في قوله أم مال أصابوا قال شعر

فما أدري أغيرهم تناء * وطول العهد أم مال أصابوا

أي أصابوه ولا يخفى أن هذا التكلف لا يتمشى في سائر الجمل بل يتعين تقدير الجار والمجرور العائد ومعنى لا تجزي لا تقضي عنها شيأ من الحقوق ومنه الحديث في الجذعة التي ضحاها ابن نيار قبل الوقت تجزي عنك ولا تجزي عن أحد بعدك وشيأ مفعول به ويجوز أن يكون في موضع مصدر أي قليلا من الجزاء مثل ولا تظلمون شيأ ومعنى تنكير النفس أن نفسا من الانفس لا تجزي عن نفس منها شيأ من الاشياء وهو الاقناط الكلي القاطع للمطامع وكذلك قوله ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل أي فدية لانها معادلة للفدى وفي الحديث لا يقبل منه صرف ولا عدل أي توبة لانها تصرف من الحال الذميمة الى الحال الحميدة ولا فداء والضمير في ولا يقبل منها يرجع الى النفس الثانية العاصية غير المجزي عنها وهي التي لا يؤخذ منها عدل ومعنى لا تقبل منها شفاعة أنها ان جاءت بشفاعة شفيع لم يقبل منها ويجوز أن يرجع الى النفس الاولى على أنها لو شفعت لها لم تقبل شفاعتها كما لا تجزي عنها شيأ ولو أعطت عدلا منها لم يؤخذ منها ولاهم ينصرون الضمير

في تلاوته فبعضهم كانوا يتلونه تشابه علينا بتخفيف الشين ونصب الهاء على مثال تفاعل ويذكر الفعل وان كان البقر جماعا لان من شأن العرب تذكير كل فعل جمع كانت وحدانه بالهاء وجمعه بطرح الهاء وتأنيثه كما قال الله تعالى في نظيره في التذكير كأنهم أعجاز نخل منقعر فذكر المنقعر وهو من صفة النخل لتذكير لفظ النخل وقال في موضع آخر كأنهم أعجاز نخل خاوية فأنث الخاوية وهي من صفة النخل بمعنى النخل لأنها وان كانت في لفظ الواحد المذكر على ما وصفنا قبل فهي جماع نخلة وكان بعضهم يتلوه ان البقر تشابه علينا بتشديد الشين وضم الهاء فيؤنث الفعل بمعنى تأنيث البقر كما قال أعجاز نخل خاوية ويدخل في أول تشابه تاء تدل على تأنيثها ثم تدغم التاء الثانية في شين تشابه لتقارب مخرجها ومخرج الشين فتصير شينا مشددة وترفع الهاء بالاستقبال والسلامة من الجوازم والنواصب وكان بعضهم يتلوه ان البقر يشابه علينا فيخرج يشابه مخرج الخبر عن الذكر لما ذكرنا من العلة في قراءة من قرأ ذلك تشابه بالتخفيف ونصب الهاء غير أنه كان يرفعه بالياء التي يحدثها في أول تشابه التي تأتي بمعنى الاستقبال وتدغم التاء في الشين كما فعله القارئ في تشابه بالتاء والتشديد والصواب في ذلك من القراءة عندنا ان البقر تشابه علينا بتخفيف شين تشابه ونصب هائه بمعنى تفاعل لاجماع الحجة من القراء على تصويب ذلك ورفعهم ما سواه من القراآت ولا يعترض على الحجة بقول من يجوز عليه فيما نقل السهو والغفلة والخطأ وأما قوله وانا ان شاء الله لمهتدون فانهم عنوا وانا ان شاء الله لمبين لنا ما التبس علينا وتشابه من أمر البقرة التي أمرنا بذبحها ومعنى اهتدائهم في هذا الموضع معنى تبينهم أي ذلك الذي لزمهم ذبحه مما سواه من أجناس البقر ۞ القول في تأويل قوله تعالى (قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث) وتأويل ذلك قال موسى ان الله يقول ان البقرة التي أمرتكم بذبحها بقرة لا ذلول ويعني بقوله لا ذلول أي لم يذللها العمل فمعنى الآية انها بقرة لم تذللها اثارة الارض بأظلافها ولا سني عليها الماء فيسقى عليها الزرع كما يقال للدابة التي قد ذللها الركوب أو العمل دابة ذلول بينة الذل بكسر الذال ويقال في مثله من بني آدم رجل ذليل بين الذل والذلة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انها بقرة لا ذلول يقول صعبة لم يذللها عمل تثير الارض ولا تسقي الحرث حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي انها بقرة لا ذلول تثير الارض يقول بقرة ليست بذلول يزرع عليها وليست تسقي الحرث حدثني المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية انها بقرة لا ذلول أي لم يذللها العمل تثير الارض يعني ليست بذلول فتثير الارض ولا تسقي الحرث يقول ولا تعمل في الحرث حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع انها بقرة لا ذلول يقول لم يذللها العمل تثير الارض يقول تبين الارض بأظلافها ولا تسقي الحرث يقول لا تعمل في الحرث حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثني حجاج قال قال ابن جريج قال الاعرج قال مجاهد قوله لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث يقول ليست بذلول فتفعل ذلك حدثنا

القاسم

عائد الى مادلت عليه النفس المنكرة من النفوس الكثيرة والتذكير بمعنى العباد أو الأناسي مثل ثلاثة أنفس وفي وصف اليوم بهذه الصفات تهويل عظيم وتنبيه على أن الخطب شديد لانه اذا وقع أحد في كريهة وحاولت أعزته دفاع ذلك عنه بدأت بما في نفوسها الأبية من مقتضى الحمية فتحمل عنه ما يلزمه وتذب عنه كما يذب الوالد عن ولده بغاية قوته ونهاية بطشه فان رأى من لا طاقة له بممانعته عاد بوجوه الضراعة وصنوف الشفاعة وبذل المال والمنال فحاول بالملاينة ما قصر عنه (٢٧٩) بالمخاشنة فان لم تغن هذه الامور تعلل بما أمكنه من نصر الاخوان ومدد الأخدان فأخبر الله تعالى أن شيأ من هذه لا يدفع يومئذ عن عذابه وفي هذا تحذير من المعاصي وترغيب في تلافي ما فات بالتوبة لانه اذا تصور أنه ليس بعد الموت استدراك ولا شفاعة ولا نصرة ولا فدية علم أنه لا ينفعه الا الطاعة وتلافي البوادر فالآية وان كانت في بني اسرائيل الا أنها تعم كل من يحضر ذلك اليوم فان قيل قدم في هذه الآية قبول الشفاعة على أخذ الفدية وفي موضع آخر من هذه السورة عكست القضية فما الحكمة في ذلك قلنا من الناس من ميله الى حب المال أشد من ميله الى علو النفس فيتمسك أولا بالشفيع ثم يستروح الى بذل المال ومنهم من على العكس فيقدم الفدية على الشفاعة فتغير الترتيب اشارة الى الصنفين والله أعلم * واعلم أن الشفاعة هي أن يستوهب أحد لأحد شيأ ويطلب له حاجة من الشفع ضد الوتر كأن صاحب الحاجة كان فردا فصار بالشفيع شفعا * ثم ان الأمة أجمعت على أن لمحمد صلى الله عليه وسلم رتبة الشفاعة في الآخرة وعليه يحمل قوله تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ولسوف يعطيك ربك فترضى وأجمعوا على أنه لا شفاعة للكفار بقي الخلاف فيمن عداهم فأهل السنة أثبتوا الشفاعة لغير الكفار والمعتزلة على أن صاحب الكبيرة اذا لم يتب بقي خالدا في النار ولا شفاعة له وسائر الناس لهم الشفاعة قالوا ان هذه الآية تدل على نفي الشفاعة مطلقا والآيات والاحاديث الدالة على وجود الشفاعة كثيرة فعرفنا أن الآية ليست على عمومها لكن الآيات الواردة في وعيد صاحب الكبيرة كثيرة كقوله تعالى ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدا فيها فخرج غير صاحب الكبيرة وبقيت الآية حجة في الكفار وفي صاحب الكبيرة وزعم أهل السنة أن اليهود كانوا يدعون أن آباءهم الانبياء يشفعون لهم فأويسوا

القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة ليست بذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث ويعني بقوله تثير الأرض تقلب الأرض للحرث يقال منه أثرت الأرض أثيرها اثارة اذا قلبتها للزرع وانما وصفها جل ثناؤه بهذه الصفة لانها كانت فيما قيل وحشية حدثني يعقوب ابن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا جويبر عن كثير بن زياد عن الحسن قال كانت وحشية

❁ القول في تأويل قوله تعالى (مسلمة) ومعنى مسلمة مفعلة من السلامة يقال منه سلمت تسلم فهي مسلمة ثم اختلف أهل التأويل في المعنى الذي سلمت منه فوصفها الله بالسلامة منه فقال مجاهد بما حدثنا به محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مسلمة يقول مسلمة من الشية ولا شية فيها لا بياض فيها ولا سواد حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد لا شية فيها قال مسلمة من الشية لا شية فيها لا بياض فيها ولا سواد * وقال آخرون مسلمة من العيوب ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة مسلمة لا شية فيها أي مسلمة من العيوب حدثنا الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مسلمة يقول لا عيب فيها حدثني المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية مسلمة يعني مسلمة من العيوب حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بمثله حدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثني حجاج قال قال ابن جريج قال ابن عباس قوله مسلمة لا عوار فيها والذي قاله ابن عباس وأبو العالية ومن قال بمثل قولهما في تأويل ذلك أولى بتأويل الآية مما قاله مجاهد لأن سلامتها لو كانت من سائر أنواع الألوان سوى لون جلدها لكان في قوله مسلمة مكتفى عن قوله لا شية فيها وفي قوله لا شية فيها ما يوضح عن أن معنى قوله مسلمة غير معنى قوله لا شية فيها واذ كان ذلك كذلك فمعنى الكلام انه يقول انها بقرة لم تذللها اثارة الارض وقلبها للحراثة ولا السنو عليها للمزارع وهي مع ذلك صحيحة مسلمة من العيوب

❁ القول في تأويل قوله تعالى (لا شية فيها) يعني بقوله لا شية فيها لا لون فيها يخالف لون جلدها وأصله من وشي الثوب وهو تحسين عيوبه التي تكون فيه بضروب مختلفة من ألوان سداه ولحمته يقال منه وشيت الثوب فأنا أشيه شية ووشيا ومنه قيل للساعي بالرجل الى السلطان أو غيره واش لكذبه عليه عنده وتحسينه كذبه بالأباطيل يقال منه وشيت به الى السلطان وشاية ومنه قول كعب بن زهير

تسعى الوشاة جنابيها وقولهم * انك يا ابن أبي سلمى لمقتول

والوشاة جمع واش يعني انهم يتقولون بالاباطيل ويخبرونه أنه ان لحق بالنبي صلى الله عليه وسلم قتله وقد زعم بعض أهل العربية أن الوشي العلامة وذلك لا معنى له الا أن يكون أراد بذلك تحسين الثوب بالأعلام لانه معلوم أن القائل وشيت بفلان الى فلان غير جائز أن يتوهم عليه انه أراد جعلت له عنده علامة وانما قيل لا شية فيها وهي من وشيت لان الواو لما أسقطت من أولها

من ذلك وأجيب بأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وسوف يجيء سائر حجج الفريقين في الآيات المناسبة إن شاء الله تعالى وقالت الفلاسفة في تحقيق الشفاعة إن واجب الوجود عام الفيض والنقصان من القابل وجائز أن لا يكون الشيء مستعد القبول الفيض من واجب الوجود إلا أن يكون مستعد القبول ذلك الفيض من شيء قبله عن واجب الوجود فيكون ذلك الشيء متوسطا بين الواجب وذلك الشيء مثاله في المحسوس الشمس فإنه لا تضيء

إلا القابل المقابل والسقف لما لم يكن مقابلا لم يكن مستعد القبول النـور منها لكنه لو وضع طست مملوء من الماء الصافي انعكس منه الضوء إلى السقف فأرواح الأنبياء كالوسائط بين واجب الوجود وبين أرواح عوام الخلق كالماء بين الشمس وبين السقف وهذا يدل على أنه لا واسطة بين الله تعالى وبين عباده أشرف من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حيث إنه لا شفاعة إلا له (وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون) ۞ القراآت سوء العـذاب وسوء الحساب بغير همز حيث وقعتا مفتوحتين الأصبهاني عن ورش وعدنا حيث كان أبو عمرو وسهل ويعقوب ويزيد موسى بالإمالة المفرطة كل القرآن حمزة وعلي وخلف وعن أبي عمرو وجهان إن جعلته فعلى فبالإمالة بين الفتح والكسر وإن جعلته على مفعل فبالفتح لا غير ثم اتخذتم وبابه بالإظهار ابن كثير وحفص والمفضل والأعشى والبرجمي والفرقان لعلكم مدغما عباس وكذلك يدغم إذا كان قبل النون حرف من حروف المد واللين وهي الواو المضموم ما قبلها مثل منهم وتكون لكما الكبرياء والياء المكسور ما قبلها مثل ميثاق النبيين لما والألف المفتوح ما قبلها مثل وما كان لمؤمن وما أشبه ذلك ۞ الوقوف نساءكم ط عظيم ٥ تنظرون ٥ ظالمون ٥ تشكرون ٥ تهتدون ٥ ۞ التفسير إنه سبحانه لما قدم ذكر النعمة على بني إسرائيل إجمالا أخذ في تفصيلها واحدة فواحدة ليكون أبلغ في التذكير وأعظم في الحجة كأنه قال اذكروا نعمتي واذكروا إذ نجيناكم وإذ فرقنا وإذ

أبدلت مكانها الهاء في آخرها كما قيل وزنته زنة ووسيته سية ووعدته عدة ووديته دية وبمثل الذي قلنا في معنى قوله لا شية فيها قال أهل التأويل حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لا شية فيها أي لا بياض فيها حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثني المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية لا شية فيها يقول لا بياض فيها حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد لا شية فيها أي لا بياض فيها ولا سواد حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن إدريس عن أبيه عن عطية لا شية فيها قال لونها واحد ليس فيها لون سوى لونها حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي لا شية فيها من بياض ولا سواد ولا حمرة حدثني يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد لا شية فيها هي صفراء ليس فيها بياض ولا سواد حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع لا شية فيها يقول لا بياض فيها ۞ القول في تأويل قوله تعالى (قالوا الآن جئت بالحق) اختلف أهل التأويل في تأويل قوله قالوا الآن جئت بالحق فقال بعضهم معنى ذلك الآن بينت لنا الحق فتبيناه وعرفناه أنه بقرة عينت وممن قال ذلك قتادة حدثنا بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قالوا الآن جئت بالحق أي الآن بينت لنا وقال بعضهم ذلك خبر من الله جل ثناؤه عن القوم أنهم نسبوا نبي الله موسى صلوات الله عليه إلى أنه لم يكن يأتيهم بالحق في أمر البقرة قبل ذلك وممن روي عنه معنى هذا القول عبد الرحمن بن زيد حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد اضطروا إلى بقرة لا يعلمون على صفتها غيرها وهي صفراء ليس فيها سواد ولا بياض فقالوا هذه بقرة فلان الآن جئت بالحق وقبل ذلك والله قد جاءهم بالحق وأولى التأويلين عندنا بقوله قالوا الآن جئت بالحق قول قتادة وهو أن تأويله الآن بينت لنا الحق في أمر البقرة فعرفنا أنها الواجب علينا ذبحها منها لأن الله جل ثناؤه قد أخبر عنهم أنهم قد أطاعوه فذبحوها بعد قيلهم هذا مع غلظ مؤنة ذبحها عليهم وثقل أمرها فقال فذبحوها وما كادوا يفعلون وإن كانوا قد قالوا بقولهم الآن بينت لنا الحق هراء من القول وأتوا خطأ وجهلا من الأمر وذلك أن نبي الله موسى صلى الله عليه وسلم كان مبينا لهم في كل مسئلة سألوها إياه ورد رادوه في أمر البقرة الحق وإنما يقال الآن بينت لنا الحق لمن لم يكن مبينا قبل ذلك فأما من كان كل قيله فيما أبان عن الله تعالى ذكره حقا وبيانا فغير جائز أن يقال له في بعض ما أبان عن الله في أمره ونهيه وأدى عنه إلى عباده من فرائضه التي أوجبها عليهم الآن جئت بالحق كأنه لم يكن جاءهم بالحق قبل ذلك وقد كان بعض من سلف يزعم أن القوم ارتدوا عن دينهم وكفروا بقولهم لموسى الآن جئت بالحق ويزعم أنهم نفوا أن يكون موسى أتاهم بالحق في أمر البقرة قبل ذلك وأن ذلك من فعلهم وقيلهم كفر وليس الذي قال من ذلك عندنا كما قال لأنهم أذعنوا بالطاعة بذبحها وإن كان قيلهم الذي قالوه لموسى جهلة

كان كذا وكذا وإذ في جميع هذه القصص بمعنى مجرد الوقت مفعول به لاذكروا وأصل الانجاء والتنجية التخليص ومنه النجوة للمكان العالي لان من صار اليه نجا أي تخلص من أن يعلوه سيل أولان الموضع تخلص مما انحط عنه وأصل آل أهل بدليل أهيل وأهال في تحقيره وتكسيره على الأعرف فأبدلت الى أءل على خلاف القياس ثم الى آل وجوبا فالالف فيه بدل عن همزة بدل عن هاء ولا يستعمل الآل الا فيمن له خطر يقال آل النبي وآل الملك ولا يقال آل الحائك وانما يقال أهله وهكذا لا يقال آل البلد وآل العلم وانما يقال أهلهما وعند

منهم وهفوة من هفواتهم ﴿ القول في تأويل قوله تعالى (فذبحوها وما كادوا يفعلون) يعني بقوله فذبحوها فذبح قوم موسى البقرة التي وصفها الله لهم وأمرهم بذبحها ويعني بقوله وما كادوا يفعلون أي قاربوا أن يدعوا ذبحها ويتركوا فرض الله عليهم في ذلك ثم اختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله كادوا أن يضيعوا فرض الله عليهم في ذبح ما أمرهم بذبحه من ذلك فقال بعضهم ذلك السبب كان غلاء ثمن البقرة التي أمروا بذبحها وبينت لهم صفتها ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا أبو معشر المدني عن محمد بن كعب القرظي في قوله فذبحوها وما كادوا يفعلون قال لغلاء ثمنها حدثنا محمد بن عبد الله بن عبيد الهلالي قال ثنا عبد العزيز بن الخطاب قال ثنا أبو معشر عن محمد بن كعب القرظي فذبحوها وما كادوا يفعلون قال من كثرة قيمتها حدثنا القاسم قال أخبرنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وحجاج عن أبي معشر عن محمد بن كعب القرظي ومحمد ابن قيس في حديث فيه طول ذكر أن حديث بعضهم دخل في حديث بعض قوله فذبحوها وما كادوا يفعلون لكثرة الثمن أخذوها بملء مسكها ذهبا من مال المقتول فكان سواء لم يكن فيه فضل فذبحوها حدثت عن المنجاب قال ثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس فذبحوها وما كادوا يفعلون يقول كادوا لا يفعلون ولم يكن الذي أرادوا لأنهم أرادوا أن لا يذبحوها وكل شيء في القرآن كاد أو كادوا أو لو فانه لا يكون وهو مثل قوله أكاد أخفيها * وقال آخرون لم يكادوا أن يفعلوا ذلك خوف الفضيحة ان أطلع الله على قاتل القتيل الذي اختصموا فيه الى موسى والصواب من التأويل عندنا أن القوم لم يكادوا يفعلون ما أمرهم الله به من ذبح البقرة للخلتين كلتيهما احداهما غلاء ثمنها مع ما ذكرنا من صغر خطرها وقلة قيمتها والأخرى خوف عظيم الفضيحة على أنفسهم باظهار الله نبيه موسى صلوات الله عليه وأتباعه على قاتله فأما غلاء ثمنها فانه قد روي لنا فيه ضروب من الروايات فحدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدي قال اشتروها بوزنها عشر مرات ذهبا فباعهم صاحبها اياها وأخذ ثمنها حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت أيوب عن محمد ابن سيرين عن عبيدة قال اشتروها بملء جلدها دنانير حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال كانت البقرة لرجل يبر أمه فرزقه الله أن جعل تلك البقرة له فباعها بملء جلدها ذهبا حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل قال حدثني خالد بن يزيد عن مجاهد قال أعطوا صاحبها ملء مسكها ذهبا فباعها منهم حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا اسمعيل عن عبد الكريم قال حدثني عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهبا يقول اشتروها منه على أن يملؤا له جلدها دنانير ثم ذبحوها فعمدوا الى جلد البقرة فملؤه دنانير ثم دفعوها اليه حدثني محمد بن سعيد قال حدثني أبي قال حدثني يحيى قال حدثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قال وجدوها عند رجل يزعم أنه ليس بائعها بمال أبدا فلم يزالوا به حتى جعلوا له

الكسائي أصله أول بدليل تصغيره على أويل كأنهم يؤلون الى أصل قلبت الواو ألفا على القياس وفرعون علم لمن ملك العمالقة أولاد عمليق ابن لاوذ بن أرم بن سام بن نوح كقيصر لملك الروم وكسرى لملك الفرس وخاقان للترك وتبع لليمن واختلف في اسمه فابن جريج أن اسمه مصعب بن ريان وابن اسحق انه الوليد بن مصعب ولم يكن من الفراعنة أغلظ وأقسى قلبا منه وعن وهب بن منبه ان أهل الكتابين قالوا ان اسمه قابوس وكان من القبط وقيل ان فرعون يوسف هو فرعون موسى وضعف اذ كان بين دخول يوسف مصر وبين دخول موسى أكثر من أربعمائة سنة وقال محمد بن اسحق هو غير فرعون يوسف وان اسم فرعون يوسف الريان بن الوليد والمراد بآل فرعون أتباعه وأعوانه الذين عزموا على اهلاك بني اسرائيل بأمره ولعتو الفراعنة اشتقوا تفرعن فلان اذا عتا وتجبر ويسومونكم من سامه خسفا اذا أولاه ظلما قال عمرو بن كلثوم

اذا ما الملك سام الناس خسفا * أبينا ان نقر الخسف فينا

وأصله من سام السلعة اذا طلبها كأنه بمعنى يبغونكم سوء العذاب ويريدونكم عليه والسوء مصدر السيء يقال أعوذ بالله من سوء الخلق وسوء الفعل يراد قبحهما ومعنى سوء العذاب والعذاب كله سيء أشده وأفظعه كأنه قبحه بالاضافة الى سائره أو المراد عذاب من غير استحقاق لان العذاب بالاستحقاق حسن واختلف في سوء العذاب فابن اسحق انه جعلهم خدما وخولا وصنفهم في أعماله فمن بان وحارث وزارع ومن لم يكن ذا عمل وضع عليه جزية يؤديها السدي كان يجعلهم في الاعمال القذرة ككنس الكنيف ونحوه ولا ريب أن كون الانسان تحت تصرف الغير كيف شاء لاسيما اذا استعمله في الاعمال الشاقة القذرة من غير أن يأخذه بهم رأفة واشفاق من أشد

العذاب حتى ان من هذه حاله ربما يتمنى الموت سئل حكيم أى شئ أصعب من الموت فقال ما يتمنى فيه الموت فبين تعالى عظيم نعمته عليهم بأن نجاهم من ذلك ثم أتبع ذلك نعمة أخرى فقال يذبحون أبناءكم ومعناه هم يقتلون الذكور من أولادكم دون الاناث والذى دعاهم الى ذلك أمور منها أن ذبح الأبناء يقتضى افناء الرجال وانقطاع النسل بالآخرة ومنها ان هلاك الرجال يقتضى فساد معيشة النساء حتى يتمنين الموت من النكد والضر ومنها ان قتل الولد عقيب الحمل والكد والرجاء القوى فى الانتفاع بالمولود من أعظم العذاب ومنها أن الأبناء أحب وأرغب من البنات ولهذا قيل

سروران ما لهما ثالث * حياة البنين وموت البنات

لقول النبى صلى الله عليه وسلم دفن البنات من المكرمات ومنها ان بقاء النسوان بدون الذكران يوجب صيرورتهن مستفرشات للاعداء وذلك نهاية الذل والهوان قال بعضهم المراد بالأبناء الرجال ليطابق النساء اذ النساء اسم للبالغات وهو جمع المرأة من غير لفظها قالوا وانما كان يأمر بقتل الرجال الذين يخاف منهم الخروج عليه والتجمع لافساد أمره والأكثرون على أن المراد بالأبناء الأطفال لظاهر اللفظ ولانه كان يتعذر قتل جميع الرجال على كثرتهم ولانهم كانوا محتاجين اليهم فى الاعمال الشاقة ولانه لو كان كذلك لم يكن لالقاء موسى فى اليم معنى وانما لم يقل البنات فى مقابلة الابناء لانهن لما لم يقتلن كن بصدد أن يبلغن فحسن اطلاق اسم النساء عليهن مثل انى أرانى أعصر خمرا عن ابن عباس أنه وقع الى فرعون وطبقته ما كان الله وعد ابراهيم أن يجعل فى ذريته أنبياء وملوكا فخافوا ذلك واتفقت كلمتهم على اعداد رجال معهم الشفار يطوفون فى بنى اسرائيل فلا يجدون مولودا ذكرا الا ذبحوه فلما رأوا أن كبارهم يموتون والصغار يذبحون خافوا افناءهم وأن لا يجدوا من يباشر الاعمال تولى الشاقة فصاروا يقتلون عاما دون عام وعن السدى أن فرعون رأى نارا أقبلت من بيت المقدس حتى استولت على بيوت مصر وأحرقت القبط وتركت بنى اسرائيل فدعا فرعون الكهنة وسألهم عن ذلك فقالوا يخرج من بيت المقدس من يكون هلاك القبط على يده وقيل ان المنجمين أخبروا فرعون بذلك وعينوا له السنة فلهذا كان يقتل أبناءهم من تلك السنة قيل والاقرب هو الاول لان المستفاد من علم النجوم

أن يسلخوا له مسكها فيملؤوه له دنانير فرضى به فأعطاهم اياها حدثنى المثنى قال ثنا آدم قال حدثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبى العالية قال لم يجدوها الا عند عجوز وانها سألتهم أضعاف ثمنها فقال لهم موسى أعطوها رضاها وحكمها ففعلوا واشتروها فذبحوها حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال قال أيوب عن ابن سيرين عن عبيدة قال لم يجدوا هذه البقرة الا عند رجل واحد فباعها بوزنها ذهبا أو ملء مسكها ذهبا فذبحوها حدثنى المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن عبيدة السلمانى قال وجدوا البقرة عند رجل فقال انى لا أبيعها الا بملء جلدها ذهبا فاشتروها بملء جلدها ذهبا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد جعلوا يزيدون صاحبها حتى ملؤوا له مسكها وهو جلدها ذهبا وأما صغر خطرها وقلة قيمتها فان الحسن بن يحيى حدثنا قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة قال حدثنى محمد بن سوقة عن عكرمة قال ما كان ثمنها الا ثلاثة دنانير وأما ما قلنا من خوفهم الفضيحة على أنفسهم فان وهب بن منبه كان يقول ان القوم اذ أمروا بذبح البقرة انما قالوا لموسى أتتخذنا هزوا لعلمهم بانهم سيفتضحون اذا ذبحت فحادوا عن ذبحها حدثت بذلك عن اسمعيل بن عبد الكريم عن عبد الصمد بن معقل عن وهب بن منبه وكان ابن عباس يقول ان القوم بعد أن أحيا الله الميت فأخبرهم بقاتله أنكرت قتلته قتله فقالوا والله ما قتلناه بعد أن رأوا الآية والحق حدثنى بذلك محمد بن سعد قال حدثنى أبى قال حدثنى عمى قال حدثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس * القول فى تأويل قوله تعالى (واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها) يعنى بقوله جل ثناؤه واذ قتلتم نفسا واذكروا يا بنى اسرائيل اذ قتلتم نفسا والنفس التى قتلوها هى النفس التى ذكرنا قصتها فى تأويل قوله واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة وقوله فادارأتم فيها يعنى فاختلفتم وتنازعتم وانما هو فتدارأتم فيها على مثال تفاعلتم من الدرء والدرء العوج ومنه قول أبى النجم العجلى

(١) خشية طغام اذا هم جسر * يأكل ذا الدرء ويقصى من حقر

يعنى ذا العوج والعسر ومنه قول رؤبة بن العجاج

أدركتها قدام كل مدره * بالدفع عنى درء كل عنجه

ومنه الخبر الذى حدثنا به أبو كريب قال ثنا مصعب بن المقدام عن اسرائيل عن ابراهيم بن المهاجر عن مجاهد عن السائب قال جاءنى عثمان وزهير ابنا أمية فاستأذنا لى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أعلم به منكما ألم تكن شريكى فى الجاهلية قلت نعم بأبى أنت وأمى فنعم الشريك كنت لا تمارى ولا تدارى يعنى بقوله لا تدارى لا تخالف رفيقك وشريكك ولا تنازعه ولا تشاره وانما أصل فادارأتم فتدارأتم ولكن التاء قريبة من مخرج الدال وذلك أن مخرج التاء من طرف اللسان وأصول الشفتين ومخرج الدال من طرف اللسان وأطراف الثنيتين فأدغمت التاء فى الدال فجعلت دالا مشددة كما قال الشاعر

(١) قوله خشية طغام الخ كذا فى النسخ ولم نعثر عليه بعد البحث فليحرر كتبه مصححه

والتعبير لا يكون أمرا مفصلا والاقدح ذلك في كون الاخبار عن الغيب معجزا بل يكون أمرا مجملا والظاهر من حال العاقل أن لا يقدم على هذا الامر العظيم بسببه (قلت) كون فرعون عاقلا ممنوع فان من شك في أجلى البديهيات وهو أنه ممكن الوجود فعده من العقلاء لا يكون من العقل ثم قال ذلك القائل لعل فرعون كان عارفا بالله وبصدق الانبياء الا أنه كان كافرا كفر الجحود والعناد أو يقال انه كان شاكا متحيرا في دينه وكان يجوز صدق ابراهيم عليه السلام وأقدم على ذلك الفعل احتياطا (٢٨٣) (قلت) اذا أخبر الله تعالى عنه بأنه قال أنا ربكم الاعلى وما علمت لكم من إله غيري فلا ضرورة بنا الى تجويز كونه عارفا بالله وبصدق الانبياء وجعل كفره كفر جحود ومن أصدق من الله قيلا ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور فان قلت لم ذكر يذبحون ههنا بلا واو وفي سورة ابراهيم بواو فالوجه فيه أنه اذا جعل يسومونكم سوء العذاب مفسرا بقوله يذبحون فلا حاجة الى الواو واذا جعل يسومونكم مفسرا بسائر التكاليف الشاقة سوى الذبح وجعل الذبح شيأ آخر احتيج الى الواو وانما جاء ههنا يذبحون وفي الاعراف يقتلون بغير واو لانهما من كلام الله فلم يرد عداد المحن عليهم والذي في ابراهيم من كلام موسى فعدد المحن عليهم وكان مأمورا بذلك في قوله وذكرهم بأيام الله وقال بعضهم ان معنى يستحيون يفتشون حياء المرأة أي فرجها هل بها حمل أم لا وفيه تعسف والبلاء المحنة ان أشير بذلك الى صنيع فرعون والنعمة ان أشير به الى الانجاء والحمل على النعمة أولى لانها هي التي يحسن اضافتها الى الرب تعالى ولان موضع الحجة على اليهود انعام الله تعالى على أسلافهم حيث عاينوا اهلاك من حاول اهلاكهم واذلال من بالغ في اذلالهم وههنا نكتة وهي أنهم كانوا في نهاية الذل وخصمهم في غاية الاستيلاء والغلبة الا أنهم كانوا محقين وخصومهم مبطلين فانقلب المحق غالبا والمبطل مغلوبا فكأنه قيل لا تغتروا بفقر محمد صلى الله عليه وسلم وقلة أنصاره في الحال فانه سينقلب العز الى جانبه صلى الله عليه وسلم والذل الى جانب أعدائه وفيه تنبيه على أن الملك بيد الله يؤتيه من يشاء فليس للانسان أن يغتر بعز الدنيا وينسى أمر الآخرة قال أهل الاشارة النفس الامارة وصفاتها الذميمة وأخلاقها الرديئة تسوم الروح الشريف ذبح أبناء الصفات الروحانية الحميدة واستحياء بعض الصفات القلبية لاستخدامهن في الاعمال القذرة الحيوانية ولا ينجيه من ذلك الا الله تعالى (قوله واذ فرقنا)

تولي الضجيع اذا ما استافها خصرا * عذب المذاق اذا ما اتابع القبل

يريد اذا ما تتابع القبل فادغم احدى التاءين في الاخرى فلما أدغمت التاء في الدال جعلت دالا مثلها سكنت فجلبوا ألفا ليصلوا الى الكلام بها وذلك اذا كان قبله شيء لان الادغام لا يكون الا وقبله شيء ومنه قول الله جل ثناؤه حتى اذا اداركوا فيها جميعا انما هو تداركوا ولكن التاء منها أدغمت في الدال فصارت دالا مشددة وجعلت فيها ألف اذا وصلت بكلام قبلها ليسلم الادغام واذا لم يكن قبل ذلك ما يواصله وابتدئ به قيل تداركوا وتثاقلوا فأظهروا الادغام وقد قيل يقال اداركوا واداراوا وقد قيل ان معنى قوله فادارأتم فيها فتدافعتم فيها من قول القائل درأت هذا الامر عني ومن قول الله ويدرأ عنها العذاب بمعنى يدفع عنها العذاب وهذا قول قريب المعنى من القول الاول لان القوم انما تدافعوا قتل قتيل فانتفى كل فريق منهم أن يكون قاتله كما قد بينا قبل فيما مضى من كتابنا هذا وبنحو الذي قلنا في معنى قوله فادارأتم فيها قال أهل التأويل حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال حدثني عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله فادارأتم فيها قال اختلفتم فيها حدثنا المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها قال بعضهم أنتم قتلتموه وقال الآخرون أنتم قتلتموه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فادارأتم فيها قال اختلفتم وهو التنازع تنازعوا فيه قال قال هؤلاء أنتم قتلتموه وقال هؤلاء لا وكان تدارؤهم في النفس التي قتلوها كما حدثني محمد بن عمرو قال حدثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال صاحب البقرة رجل من بني اسرائيل قتله رجل فألقاه على باب ناس آخرين فجاء أولياء المقتول فادعوا دمه عندهم فانتفوا أو انتفلوا منه شك أبو عاصم حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بمثله سواء الا أنه قال فادعوا دمه عندهم فانتفوا ولم يشك فيه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال قتيل كان في بني اسرائيل فقذف كل سبط منهم حتى تفاقم بينهم الشر حتى ترافعوا في ذلك الى نبي الله صلى الله عليه وسلم فأوحى الله الى موسى أن اذبح بقرة فاضربه ببعضها فذكر لنا أن وليه الذي كان يطلب بدمه هو الذي قتله من أجل ميراث كان بينهم حدثني ابن سعد قال حدثني عمي قال حدثني أبي عن أبيه عن ابن عباس في شأن البقرة وذلك أن شيخا من بني اسرائيل على عهد موسى كان مكثرا من المال وكان بنو أخيه فقراء لا مال لهم وكان الشيخ لا ولد له وكان بنو أخيه ورثته فقالوا ليت عمنا قد مات فورثنا ماله وأنه لما تطاول عليهم أن لا يموت عمهم أتاهم الشيطان فقال هل لكم الى أن تقتلوا عمكم فترثوا ماله وتغرموا أهل المدينة التي لستم بها ديته وذلك أنهما كانتا مدينتين كانوا في احداهما فكان القتيل اذا قتل وطرح بين المدينتين قيس ما بين القتيل وبين المدينتين فأيهما كانت أقرب اليه غرمت الدية وأنهم لما سول لهم الشيطان ذلك وتطاول عليهم أن لا يموت عمهم عمدوا اليه فقتلوه ثم عمدوا فطرحوه على باب المدينة

التى ليسوافيها فلما أصبح أهل المدينة جاء بنو أخى الشيخ فقالوا عمنا قتل على باب مدينتكم فوالله لتغرمن لنادية عمنا قال أهل المدينة نقسم بالله ماقتلنا ولا علمنا قاتلا ولا فتحنا باب مدينتنا منذ أغلق حتى أصبحنا وانهم عمدوا الى موسى فلما أتوا قال بنو أخى الشيخ عمنا وجدناه مقتولا على باب مدينتهم وقال أهل المدينة نقسم بالله ماقتلناه ولا فتحنا باب المدينة من حين أغلقناه حتى أصبحنا وان جبريل جاء بامر ربنا السميع العليم الى موسى فقال قل لهم ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة فتضربوه ببعضها حدثنا القاسم قال ثنا حسين قال حدثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وحجاج عن أبى معشر عن محمد بن كعب القرظى ومحمد بن قيس دخل حديث بعضهم فى حديث بعض قالوا ان سبطا من بنى اسرائيل لما رأوا كثرة شرور الناس بنوا مدينة فاعتزلوا شرور الناس فكانوا اذا أمسوا لم يتركوا أحدا منهم خارجا الا أدخلوه واذا أصبحوا قام رئيسهم فنظر وتشرف فاذا لم ير شيأ فتح المدينة فكانوا مع الناس حتى يمسوا وكان رجل من بنى اسرائيل له مال كثير ولم يكن له وارث غير ابن أخيه فطال عليه حياته فقتله ليرثه ثم حمله فوضعه على باب المدينة ثم كمن فى مكان هو واصحابه قال فتشرف رئيس المدينة على باب المدينة فنظر فلم ير شيأ ففتح الباب فلما رأى القتيل رد الباب فناداه ابن أخى المقتول وأصحابه هيهات قتلتموه ثم تردون الباب وكان موسى لما رأى القتل كثيرا فى أصحابه بنى اسرائيل كان اذا رأى القتيل بين ظهرى القوم آخذهم فكاد يكون بين أخى المقتول وبين أهل المدينة قتال حتى لبس الفريقان السلاح ثم كف بعضهم عن بعض فاتوا موسى فذكروا له شأنهم فقالوا يارسول الله ان هؤلاء قتلوا قتيلا ثم ردوا الباب وقال أهل المدينة يارسول الله قد عرفت اعتزالنا الشرور وبنينا مدينة كما رأيت نعتزل شرور الناس ماقتلنا ولا علمنا قاتلا فاوحى الله تعالى ذكره اليه أن يذبحوا بقرة فقال لهم موسى ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة حدثنى المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن عبيدة قال كان فى بنى اسرائيل رجل عقيم وله مال كثير فقتله ابن أخ له فجره فألقاه على باب ناس آخرين ثم أصبحوا فادعاه عليهم حتى تسلح هؤلاء وهؤلاء فارادوا أن يقتتلوا فقال ذوو النهى منهم أتقتتلون وفيكم نبى الله فامسكوا حتى أتوا موسى فقصوا عليه القصة فامرهم أن يذبحوا بقرة فيضربوه ببعضها فقالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قتيل من بنى اسرائيل طرح فى سبط من الاسباط فاتى أهل ذلك السبط الى ذلك السبط فقالوا أنتم والله قتلتم صاحبنا فقالوا لا والله فأتوا الى موسى فقالوا هذا قتيلنا بين أظهرهم وهم والله قتلوه فقالوا لا والله يانبى الله طرح علينا فقال لهم موسى صلى الله عليه وسلم ان الله يامركم أن تذبحوا بقرة (قال أبو جعفر) فكان اختلافهم وتنازعهم وخصامهم بينهم فى أمر القتيل الذى ذكرنا أمره على مارويناعن علمائنا من أهل التأويل هو الدرء الذى قال الله جل ثناؤه لذريتهم وبقايا أولادهم فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون ۞ القول فى تاويل قوله (والله مخرج ما كنتم تكتمون) ويعنى بقوله والله مخرج ما كنتم تكتمون والله معلن ما كنتم تسرونه من قتل القتيل

نعمة أخرى فى نعمة أى فصلنا بين بعضه وبعض حتى صارت فيه مسالك لكم على عدد الاسباط وكانوا اثنى عشر ومعنى بكم أنهم كانوا يسلكونه ويتفرق الماء كما يفرق بين الشيئين عما يوسط بينهما أو براد فرقناه بسبب انجائكم أو يكون حالا أى ملتبسا بكم روى أنه تعالى لما أراد غرق فرعون والقبط وبلغ بهم الحال فى معلوم الله تعالى أنه لا يؤمن أحد منهم أمر موسى بنى اسرائيل أن يستعيروا حلى القبط إما ليخرجوا خلفهم لاجل المال واما لتبقى أموالهم فى أيديهم ثم نزل جبريل وقال اخرج ليلا كما قال تعالى وأوحينا الى موسى أن أسر بعبادى وكانوا ستمائة ألف وكل سبط خمسون ألفا فلما خرجوا وبلغ الخبر فرعون قال لاتتبعوهم حتى يصيح الديك قال الراوى فوالله ماصاح الليلة ديك فلما أصبحوا دعا فرعون بشاة فذبحت ثم قال لا أفرغ من تناول كبد هذه الشاة حتى يجتمع الى ستمائة ألف من القبط قال قتادة فاجتمع اليه ألف ألف ومائتا ألف كل واحد منهم على فرس حصان فتبعوهم نهارا وهو قوله فاتبعوهم مشرقين أى بعد طلوع الشمس فلما سار بهم موسى الى البحر قال له يوشع أين أمرك ربك فقال له موسى الى أمامك وأشار الى البحر فأقحم يوشع فرسه فى البحر وكان يمشى فى الماء حتى بلغ الغمر فسبح الفرس وهو عليه ثم رجع وقال له ياموسى أين أمرك ربك فقال البحر فقال والله ما كذبت وما كذب ففعل ذلك ثلاث مرات فأوحى الله تعالى اليه أن اضرب بعصاك البحر فانشق البحر اثنى عشر طريقا فقال له ادخل وكان فيه وحل فهب الصبا نحو البحر حتى صار طريقا يبسا فاتخذ كل سبط منهم طريقا ودخلوا فيه فقالوا لنبيهم أين أصحابنا لا نراهم فقال موسى سيروا فانهم على طريق مثل طريقكم قالوا لا نرضى حتى نراهم فقال اللهم أعنى على أخلاقهم السيئة فأوحى اليه أن قل بعصاك هكذا فقال بها على حيطان الماء فصارت فيها كوى فتراءوا وتسامعوا كلامهم ثم اتبعهم فرعون فلما بلغ شاطئ البحر رأى ابليس واقفا فنهاه عن الدخول فهم بأن لا يدخل البحر فجاء جبريل على مهرة فتقدم وهو كان على فحل فتبعه فرس فرعون ودخل البحر فصاح ميكائيل بهم ألحقوا آخركم باولكم فلما دخلوا البحر بالكلية أمر الله تعالى الماء حتى نزل عليهم فذلك قوله تعالى وأغرقنا آل فرعون قيل ذلك اليوم كان يوم عاشوراء فصام موسى عليه السلام ذلك اليوم شكرا لله تعالى ومعنى

الذى قتلتم ثم اداراتم فيه ومعنى الاخراج فى هذا الموضع الاظهار والاعلان لمن خفى ذلك عنه واطلاعهم عليه كما قال الله تعالى ذكره ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السموات والارض يعنى بذلك يظهره ويطلعه من مخبئه بعد خفائه والذى كانوا يكتمونه فاخرجه هو قتل القاتل القتيل كما كتم ذلك القاتل ومن علمه ممن شايعه على ذلك حتى أظهره الله وأخرجه فأعلن أمره لمن لا يعلم أمره وعنى جل ذكره بقوله تكتمون تسرون وتغيبون كما حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله والله مخرج ما كنتم تكتمون قال تغيبون حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ما كنتم تكتمون ما كنتم تغيبون

﴿القول فى تاويل قوله تعالى (فقلنا اضربوه ببعضها)﴾ يعنى جل ذكره بقوله فقلنا لقوم موسى الذين ادارؤا فى القتيل الذى قد تقدم وصفنا أمره اضربوا القتيل والهاء التى فى قوله اضربوه من ذكر القتيل ببعضها أى ببعض البقرة التى أمرهم الله بذبحها فذبحوها ثم اختلف العلماء فى البعض الذى ضرب به القتيل من البقرة وأى عضو كان ذلك منها فقال بعضهم ضرب بفخذ البقرة القتيل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال ضرب بفخذ البقرة فقام حيا فقال قتلنى فلان ثم عاد فى ميتته حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال ضرب بفخذ البقرة ثم ذكر مثله حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح عن النضر بن عربى عن عكرمة فقلنا اضربوه ببعضها قال بفخذها فلما ضرب بها عاش وقال قتلنى فلان ثم عاد الى حاله حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن خالد بن يزيد عن مجاهد قال ضرب بفخذها الرجل فقام حيا فقال قتلنى فلان ثم عاد فى ميتته حدثنا الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال قال أيوب عن ابن سيرين عن عبيدة ضربوا المقتول ببعض لحمها وقال معمر عن قتادة ضربوه بلحم الفخذ فعاش فقال قتلنى فلان حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا أنهم ضربوه بفخذها فاحياه الله فانبأ بقاتله الذى قتله وتكلم ثم مات * وقال آخرون الذى ضرب به منها هو البضعة التى بين الكتفين ذكر من قال ذلك حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فقلنا اضربوه ببعضها فضربوه بالبضعة التى بين الكتفين فعاش فسألوه من قتلك فقال لهم ابن أخى وقال آخرون الذى أمروا أن يضربوه به منها عظم من عظامها ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبى العالية قال أمرهم موسى أن يأخذوا عظما منها فيضربوا به القتيل ففعلوا فرجع اليه روحه فسمى لهم قاتله ثم عاد ميتا كما كان فاخذ قاتله وهو الذى أتى موسى فشكا اليه فقتله الله على أسوإ عمله وقال آخرون بما حدثنى به يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ضربوا الميت ببعض آرابها فاذا هو قاعد قالوا من قتلك قال ابن أخى قال وكان قتله وطرحه على ذلك السبط أراد أن يأخذ ديته والصواب من القول فى تاويل قوله عندنا فقلنا اضربوه ببعضها أن يقال أمرهم

قوله وأنتم تنظرون أنكم ترون التطام أمواج البحر بفرعون وقومه وقيل ان قوم موسى سألوا ان يريهم الله تعالى حالهم فسأل موسى ربه فلفظهم البحر ألف ألف ومائة ألف نفس فنظروا اليهم طافين وقيل المراد وأنتم بالقرب منهم قال الفراء وهو مثل قولك لقد ضربت وأهلك ينظرون اليك فما أغاثوك تقول ذلك اذا قرب أهله منه وان كانوا لا يرونه ومعناه راجع الى العلم قال أهل الاشارة البحر هو الدنيا وماؤه شهواتها ولذاتها وموسى القلب وقومه صفات القلب وفرعون النفس الامارة وقومه صفات النفس والعصا عصا الذكر فينفلق بحر الدنيا بتفليق لا اله الا الله وينشبك ماء شهواته يمينا وشمالا ويرسل الله تعالى ريح العناية وشمس الهداية على قعر بحر الدنيا فيصير يابسا من ماء الشهوات فيخوض موسى القلب وصفاته فيعبرونه وتنجيهم عناية الله الى ساحل وان الى ربك المنتهى ويغرق فرعون النفس وقومه والله تعالى أعلم ولما دخل بنو اسرائيل مصر بعد هلاك فرعون ولم يكن لهم كتاب ينتهون اليه وعد الله موسى «ونسبه موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليه السلام» أن ينزل عليه التوراة وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذى الحجة وانما قيل أربعين ليلة لان الشهور غررها بالليالى وقال أهل التحقيق لان الليلة وقت العبادة والخلوة فخصت بالذكر لشرفها وللعدد الاربعين خاصية لن ينكرها أهل الذوق ولهذا جاء فى الحديث من أخلص لله أربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه والجنين يتقلب فى الاطوار فى الاربعينات قال أبو العالية وبلغنا أنه لم يحدث حدثا فى الاربعين ليلة حتى هبط من الطور ولا بد من تقدير مضاف أى انقضاء أربعين كقولك اليوم أربعون يوما منذ خرج فلان أى تمام الاربعين ومن قرأ واعدنا من المواعدة فمعناه أن الله تعالى وعده الوحى ووعد هو المجىء للميقات الى الطور وذكر الاربعين ههنا مجمل وتفصيله فى الاعراف كقوله ثلاثة أيام فى الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة فصل أولا ثم أجمل ومعنى ثم فى قوله ثم اتخذتم استبعاد مضمون ما بعدها عن مضمون ما قبلها وعدم مناسبته له لانه تعالى لما وعد موسى حضور الميقات لانزال التوراة عليه بحضرة السبعين تنبيها للحاضرين وتعريفا للغائبين واظهار الدرجة موسى وسائر بنى اسرائيل وأتوا عقيب ذلك باشنع أنواع الجهل والكفر كان ذلك فى

الله جل ثناؤه أن يضربوا القتيل ببعض البقرة ليحيا المضروب ولا دلالة في الآية ولا خبر تقوم به حجة
على أي أبعاضها التي أمر القوم أن يضربوا القتيل به وجائز أن يكون الذي أمروا أن يضربوه به هو
الفخذ وجائز أن يكون ذلك الذنب وغضروف الكتف وغير ذلك من أبعاضها ولا يضر الجهل بأي ذلك
ضربوا القتيل ولا ينفع العلم به مع الإقرار بأن القوم قد ضربوا القتيل ببعض البقرة بعد ذبحها فأحياه
الله * فإن قال قائل وما كان معنى الأمر بضرب القتيل ببعضها قيل ليحيا فينبئ نبي الله موسى صلى
الله عليه وسلم والذين ادارءوا فيه من قاتله فإن قال وأين الخبر عن أن الله جل ثناؤه أمرهم بذلك لذلك
قيل ترك ذلك اكتفاء بدلالة ما ذكر من الكلام الدال عليه نحو الذي ذكرنا من نظائر ذلك فيما مضى
ومعنى الكلام فقلنا اضربوه ببعضها ليحيا فضربوه فحيي كما قال جل ثناؤه أن اضرب بعصاك البحر
فانفلق والمعنى فضرب فانفلق يدل على ذلك قوله كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون
القول في تأويل قوله تعالى (كذلك يحيي الله الموتى) وقوله كذلك يحيي الله الموتى مخاطبة من
الله عباده المؤمنين واحتجاج منه على المشركين المكذبين بالبعث وأمرهم بالاعتبار بما كان منه جل
ثناؤه من إحياء قتيل بني إسرائيل بعد مماته في الدنيا فقال لهم تعالى ذكره أيها المكذبون بالبعث
بعد الممات اعتبروا بإحيائي هذا القتيل بعد مماته فإني كما أحييته في الدنيا فكذلك أحيي الموتى بعد
مماتهم فأبعثهم يوم البعث فإنما احتج جل ذكره بذلك على مشركي العرب وهم قوم أميون لا كتاب لهم
لأن الذين كانوا يعلمون علم ذلك من بني إسرائيل كانوا بين أظهرهم وفيهم نزلت هذه الآيات فأخبرهم
جل ذكره بذلك ليتعرفوا علم من قبلهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ويريكم آياته لعلكم
تعقلون) يعني جل ذكره ويريكم الله أيها الكافرون المكذبون بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به
من عند الله من آياته وآياته أعلامه وحججه الدالة على نبوته لتعقلوا وتفهموا أنه محق صادق فتؤمنوا
به وتتبعوه ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك) يعني بذلك كفار بني
إسرائيل وهم فيما ذكر بنو أخي المقتول فقال لهم ثم قست قلوبكم أي جفت وغلظت وعست كما قال
الراجز * وقد قسوت وقسا لدني * يقال قسا وعسا وعتا بمعنى واحد وذلك إذا جفا وغلظ
وصلب يقال منه قسا قلبه يقسو قسوا وقسوة وقساوة وقساء ويعني بقوله من بعد ذلك من بعد أن
أحيا المقتول لهم الذي ادارءوا في قتله فأخبرهم بقاتله وما السبب الذي من أجله قتله كما قد وصفنا
قبل على ما جاءت الآثار والأخبار وفصل الله تعالى ذكره بخبره بين المحق منهم والمبطل وكانت
قساوة قلوبهم التي وصفهم الله بها أنهم فيما بلغنا أنكروا أن يكونوا هم قتلوا القتيل الذي أحياه الله
فأخبر بني إسرائيل بأنهم كانوا قتلته بعد إخباره إياهم بذلك وبعد ميتته الثانية كما حدثني محمد بن
سعد قال حدثني أبي قال حدثني عمي قال حدثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قال لما ضرب المقتول
ببعضها يعني ببعض البقرة جلس حيا فقيل له من قتلك فقال بنو أخي قتلوني ثم قبض فقال بنو
أخيه حين قبض والله ما قتلناه فكذبوا بالحق بعد إذ رأوه فقال الله ثم قست قلوبكم من بعد ذلك
يعني بني أخي الشيخ فهي كالحجارة أو أشد قسوة حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد عن سعيد عن
قتادة

محل التعبد والتعجب كما تقول إني أحسنت إليك وفعلت كذا وكذا ثم إنك تقصدني بالسوء والإيذاء والاتخاذ افتعال من الأخذ إلا أنه أدغم
بعد تليين الهمزة وإبدال التاء ثم لما كثر استعماله على لفظ الافتعال توهموا أن التاء أصلية فبنوا منه فعل يفعل وقالوا تخذ يتخذ وقد أجري
اتخذ مجرى الأفعال القلبية في الدخول على المبتدإ والخبر نحو جعل وصير والتقدير اتخذتم العجل إلها إلا أنه حذف الثاني للعلم به ولذكره في
مواضع أخر منها في طه فقالوا هذا إلهكم (٢٨٦) وإله موسى وقوله من بعده من بعد مضيه إلى الطور قال أهل السير لما ذهب موسى إلى
الطور وكان قد بقي مع بني إسرائيل
الثياب والحلي التي استعاروها من
القبط قال لهم هرون إن هذه
الثياب والحلي لا تحل لكم فأحرقوها
فجمعوا نارا وأحرقوها وكان
السامري في مسيره مع موسى عليه
السلام في البحر نظر إلى حافر دابة
جبريل حين تقدم في البحر فقبض
قبضة من تراب حافر تلك الدابة ثم
إن السامري أخذ ما كان معه من
الذهب وصور منه عجلا وألقى فيه
ذلك التراب فخرج منه صوت كأنه
الخوار فقال هذا إلهكم وإله موسى
فاتخذه القوم إلها لأنفسهم ولهذا
وصفهم الله تعالى بالظلم في قوله وأنتم
ظالمون كما قال إن الشرك لظلم عظيم
وذلك أن الظلم وضع الشيء في غير
موضعه والمشرك وضع أخس الأشياء
مكان أشرف الموجودات والواو في
وأنتم إما للحال وإما للاعتراض أي
وأنتم قوم من عادتكم الظلم وقال
أهل التحقيق إن لكل قوم عجلا
يعبدونه قال صلى الله عليه وسلم
تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار
تعس عبد الخميصة وقال ما عبد
إله أبغض إلى الله من الهوى وفيه
تقريع لليهود الذين جادلوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم وعادوه كأنه
قال هؤلاء إنما يفتخرون بأسلافهم
ثم إن أسلافهم كانوا في البلادة
والجهالة والعناد إلى هذا الحد
فكيف بهؤلاء الأخلاف وتسلية
للنبي صلى الله عليه وسلم مما كان يشاهد من مشركي العرب واليهود والنصارى من الخلاف والمشاقة فاصبر كما صبر أولو العزم من
الرسل وتحذير للعقلاء من الجهل والتقليد إلى هذه الغاية ما أفظع شأن الجهلة المقلدة رضوا بأن يكون العجل إلها وما رضوا بأن يكون البشر
نبيا وقد تمحل بعضهم لتصحيح واقعة عبدة العجل حيث استبعد وقوعها منهم مع أنهم شاهدوا تلك المعجزات الباهرة التي تكاد تكون قريبة
من حد الإلجاء في الدلالة على الصانع وصدق النبي صلى الله عليه وسلم أن السامري ألقى إلى القوم أن موسى صلى الله عليه وسلم إنما قدر على

قتادة ثم قست قلوبكم من بعد ذلك يقول من بعد ما أراهم الله من احياء الموتى و بعد ما أراهم من أمر القتيل ما أراهم فهي كالحجارة أو أشد قسوة ۞ القول في تاويل قوله تعالى (فهي كالحجارة أو أشد قسوة) يعني بقوله فهي قلوبكم يقول ثم صلبت قلوبكم بعد اذ رأيتم الحق فتبينتموه وعرفتموه عن الخضوع له والاذعان لواجب حق الله عليكم فقلوبكم كالحجارة صلابة و يبسا وغلظا وشدة أو أشد صلابة يعني قلوبكم عن الاذعان لواجب حق الله عليهم والاقرار له باللازم من حقوقه لهم من الحجارة فان سال سائل فقال وما وجه قوله فهي كالحجارة أو أشد قسوة وأو عند أهل العربية انما تأتي في الكلام لمعنى الشك والله تعالى جل ذكره غير جائز في خبره الشك قيل ان ذلك على غير الوجه الذي توهمته من أنه شك من الله جل ذكره فيما أخبر عنه ولكنه خبر منه عن قلوبهم القاسية أنها عند عباده الذين هم أصحابها الذين كذبوا بالحق بعد ما رأوا العظيم من آيات الله كالحجارة قسوة أو أشد من الحجارة عندهم وعند من عرف شأنهم وقد قال في ذلك جماعة من أهل العربية أقوالا فقال بعضهم (١) انما أراد الله جل ثناؤه بقوله فهي كالحجارة أو أشد قسوة وما أشبه ذلك من الاخبار التي تاتي بأو كقوله وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون وكقول الله جل ذكره وانا أو اياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين فهو عالم أي ذلك كان قالوا ونظير ذلك قول القائل أكلت بسرة أو رطبة وهو عالم أي ذلك أكل ولكنه أبهم على المخاطب كما قال أبو الاسود الديلي

أحب محمدا حبا شديدا ۞ وعباسا وحمزة والوصيا

فان يك حبهم رشدا أصبه ۞ ولست بمخطئ ان كان غيا

قالوا ولا شك أن أبا الاسود لم يكن شاكا في أن حب من سمى رشد ولكنه أبهم على من خاطبه به وقد ذكر عن أبي الاسود أنه لما قال هذه الابيات قيل له شككت فقال كلا والله ثم انتزع بقول الله عز و جل وانا أو اياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين فقال أو كان شاكا من أخبر بهذا في الهادي من الضلال وقال بعضهم ذلك كقول القائل ما أطعمتك الا حلوا أو حامضا وقد أطعمه النوعين جميعا فقالوا فقائل ذلك لم يكن شاكا أنه قد أطعم صاحبه الحلو والحامض كليهما ولكنه أراد الخبر عما أطعمه اياه أنه لم يخرج عن هذين النوعين قالوا فكذلك قوله فهي كالحجارة أو أشد قسوة انما معناه فقلوبهم لا تخرج من أحد هذين المثلين اما أن تكون مثلا للحجارة في القسوة واما أن تكون أشد منها قسوة ومعنى ذلك على هذا التأويل فبعضها كالحجارة قسوة و بعضها أشد قسوة من الحجارة وقال بعضهم أو في قوله أو أشد قسوة بمعنى وأشد قسوة كما قال تبارك وتعالى ولا تطع منهم آثما أو كفورا بمعنى وكفورا وكما قال جرير بن عطية

نال الخلافة أو كانت له قدرا ۞ كما أتى ربه موسى على قدر

يعني نال الخلافة وكانت له قدرا وكما قال النابغة

---

(١) قوله انما أراد الله أي الابهام بقرينة ما سيأتي له ولعل الناسخ أسقط لفظة الابهام كتبه مصححه

ما أتى به لانه كان يتخذ طلسمات على قوى فلكية فقال للقوم أنا أتخذ لكم طلسما مثل طلسمه وروّج عليهم ذلك بان جعله بحيث خرج منه صوت عجيب وأطمعهم في صيرورتهم مثل موسى في اتيان الخوارق أو لعل القوم كانوا مجسمة وحلولية فجوزوا حلول الاله في الاجسام فوقعوا في تلك الشبهة الركيكة وههنا يظهر التفاوت بين أمة موسى وأمة محمد صلى الله عليه وسلم فانهم بعد مشاهدة الآيات العظام القريبة من الافهام عبدوا الاصنام بل الانعام وأمة محمد صلى الله عليه وسلم مع ان معجزتهم القرآن الذي لا يعرف اعجازه الا بالنظر الدقيق والبحث العميق لم يخالفوا نبيهم طرفة عين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله لا يزيغون عن سواء السبيل ولا يميلون الى معتقدات أهل الاباطيل مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل (قوله ثم عفونا عنكم) أي حين تبتم بان قتلتم أنفسكم (من بعد ذلك) الامر العظيم الذي ارتكبتموه من اتخاذ العجل (لعلكم تشكرون) نعمة العفو ومعنى الترجي في كلام الله تعالى قد مر في قوله لعلكم تتقون الكتاب والفرقان يعني الجامع بين كونه كتابا منزلا وفرقانا يفرق بين الحق والباطل يعني التوراة نحو رأيت الغيث والليث يريد الرجل الجامع بين الجود والجراءة أو التوراة والبرهان الفارق بين الكفر والايمان من العصا واليد وغيرهما من الآيات أو الشرع الفارق بين الحلال والحرام وقيل الفرقان انفراق البحر ولا يلزم التكرار لانه لم يبين هنالك أن ذلك لاجل موسى وفي هذه الآية بين ذلك التخصيص على سبيل التنصيص وقيل النصر الذي فرق بينه وبين عدوه كقوله تعالى يوم الفرقان يعني يوم بدر وقيل آتينا موسى التوراة ومحمدا الفرقان لكي تهتدوا به يا أهل الكتاب وفيه تعسف (واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) القراآت بارئكم بالامالة قتيبة ونصير وأبو عمرو من طريق أبي الزعراء وعبد الرحمن بن عبدوس وقرأ أبو عمرو بالاختلاس انه هو مدغما أبو عمرو وغير عباس وكذلك كل ما كان

بينهما ياء أو واو ملفوظة مثل ومن دونه هـو وانه هو وأشباه ذلك حتى حيث كان بالامالة نصير والعجلى نرى الله مكسورة الراء روى ابن زومى عن عباس وأبو شعيب عن اليزيدى وكذلك كل راء بعدها ياء استقبلها ألف ولام مثل ولو يرى الذين والنصارى المسيح جهرة مفتوحة الهاء قتيبة السلوى بالامالة الشديدة حمزة وعلى وخلف وقرأ أبو عمرو بالامالة اللطيفة وكذلك كل كلمة على مثال فعلى * الوقوف فاقتلوا أنفسكم ط عند بارئكم ط لان التقدير

ففعلتم فتاب عليكم ط الرحيم ○ تنظرون ○ تشكرون ○ السلوى ط مارزقناكم ط يظلمون ○ * التفسير انه سبحانه نبههم على عظم ذنبهم ثم على ما به يتخلصون منه وذلك من أعظم النعم فى الدين وأيضا لما أمرهم بالقتل ورفع ذلك الامر عنهم قبل فنائهم بالكلية كان ذلك نعمة فى حق أولئك الباقين وفى أعقابهم الى زمن محمد صلى الله عليه وسلم وأيضا لما بين أن توبة أولئك ماتمت الا بالقتل ظهر أن بعثة محمد صلى الله عليه وسلم لهم نعمة ورحمة لانه لا يامرهم بشئ من ذلك متى رجعوا عن كفرهم وفيه ترغيب لامة محمد صلى الله عليه وسلم فى التوبة فان أمة موسى لما رغبوا فى تلك التوبة مع نهاية مشقتها على النفس فلأن يرغب أحدنا فى مجرد الندم كان أولى هذا وقدمر أن الظلم وضع الشئ فى غير موضعه الا أنه لابد فيه من تعدى ضرر فبين ههنا أن الضرر انما يعود على أنفسهم فبذلك استحقوا العذاب الابدى والفرق بين الفاآت الثلاثة فى الآية أن الاولى للتسبيب لاغير لان الظلم سبب التوبة والثانية للتعقيب امالان المعنى فاعزموا على التوبة فاقتلوا أنفسكم على أن التوبة مفسرة بقتل النفس فى شرعهم لابالندم واما لان القتل تمام توبة المرتد فى شرعهم والمعنى فتوبوا فاتبعوا التوبة القتل تتمة لتوبتكم كما أن القاتل عمدا لا تتم توبته فى شرعنا الا بتسليم النفس حتى يرضى أولياء المقتول أو يقتلونه ومعنى الى بارئكم النهى عن الرياء فى التوبة كأنه قيل لو أظهرتم التوبة لاعن القلب فانتم ما تبتم الى الله وانما تبتم الى الناس وقوله ذلكم أى القتل خير لكم عند بارئكم جملة معترضة تفيد التنبيه على أن ضرر الدنيا أهون من عذاب الآخرة اذلا نسبة للمتناهى الى غير المتناهى والموت لابدواقع فليس فى تحمل القتل الا التقديم والتأخير والثالثة هى الفاء الفصيحة أى المفصحة عن محذوف تقديره فامتثلتم فتاب عليكم وعلى هذا يكون الكلام خطابا من الله تعالى لهم على

قالت ألا ليتما هذا الحمام لنا * الى حمامتنا أونصفه فقد

يريدونصفه وقال آخرون أو فى هذا الموضع بمعنى بل فكان تاويله عندهم فهى كالحجارة بل أشد قسوة كما قال جل ثناؤه وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون بمعنى بل يزيدون وقال آخرون معنى ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة عندكم (قال أبو جعفر) ولكل مما قيل من هذه الاقوال التى حكيناوجه ومخرج فى كلام العرب غير أن أعجب الاقوال الىّ فى ذلك ماقلناه أولا ثم القول الذى ذكرناه عمن وجه ذلك الى انه بمعنى (١) فهى أوجه فى القسوة من ان تكون كالحجارة أو اشد على تأويل أن منها كالحجارة ومنها أشد قسوة لان أو وان استعملت فى أماكن من أماكن الواو حتى يلتبس معناها ومعنى الواو لتقارب معنييهما فى بعض تلك الاماكن فان أصلها أن تأتى بمعنى أحد الاثنين فتوجيهها الى أصلها من وجد الى ذلك سبيلا أعجب الىّ من اخراجها عن أصلها ومعناها المعروف لها (قال) وأما الرفع فى قوله أو أشد قسوة فمن وجهين أحدهما أن يكون عطفا على معنى الكاف التى فى قوله كالحجارة لان معناها الرفع وذلك أن معناها معنى مثل فهى مثل الحجارة أو أشد قسوة من الحجارة والوجه الآخر ان يكون مرفوعا على معنى تكرير هى عليه فيكون تأويل ذلك فهى كالحجارة أو هى أشد قسوة من الحجارة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار) يعنى بقوله جل ذكره وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان من الحجارة حجارة يتفجر منها الماء الذى تكون منه الانهار فاستغنى بذكر الماء عن ذكر الانهار وانما ذكر فقيل منه للفظ ما والتفجر التفعل من فجر الماء وذلك اذا تنزل خارجا من منبعه وكل سائل شخص خارجا من موضعه ومكانه فقد انفجر ماء كان ذلك أودما أو صديدا أو غير ذلك ومنه قول عمر بن لجأ

ولما أن قربت الى جرير * أبى ذو بطنه الا انفجارا

يعنى الاخرو جاوسيلانا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء) يعنى بقوله جل ثناؤه وان من الحجارة لحجارة تشقق وتشققها تصدعها وانما هى لما يتشقق ولكن التاء أدغمت فى الشين فصارت شينا مشددة وقوله فيخرج منه الماء فيكون عينا نابعة وأنهارا جارية ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وان منها لما يهبط من خشية الله) قال أبو جعفر يعنى بذلك جل ثناؤه وان من الحجارة لما يهبط أى يتردى من رأس الجبل الى الارض والسفح من خوف الله وخشيته وقد دللنا على معنى الهبوط فيما مضى بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وأدخلت هذه اللامات اللواتى فى ما توكيد اللخبر وانما وصف الله تعالى ذكره الحجارة بما وصفها به من أن منها المتفجر منه الانهار وأن منها المتشقق بالماء وأن منها الهابط من خشية الله بعد الذى جعل منها لقلوب الذين أخبر عن قسوة قلوبهم من بنى اسرائيل مثلا معذرة منه جل ثناؤه لها دون الذين أخبر عن قسوة قلوبهم من بنى اسرائيل اذ كانوا بالصفة التى وصفهم الله بها من التكذيب لرسله والجحود لآياته بعد الذى أراهم من الآيات والعبر وعاينوا من عجائب الادلة والحجج مع ما أعطاهم تعالى ذكره من صحة العقول ومن به عليهم من سلامة النفوس التى لم يعطها الحجر والمدر ثم هو مع

---

(١) قوله فهى أوجه الخ كذا فى الاصل ولعل فيه تحريفا وسقطا والاصل فهى لاتخرج فى القسوة من أن تكون الخ فحرر كتبه مصححه

ذلك

ذلك منه ما يتفجر بالانهار ومنه ما يشقق بالماء ومنه ما يهبط من خشية الله فأخبر تعالى ذكره أن من الحجارة ما هو ألين من قلوبهم لما يدعون اليه من الحق كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق و بنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد ابن عمرو قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله جل ثناؤه ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله قال كل حجر يتفجر منه الماء أو يتشقق عن ماء أو يتردى من رأس جبل فهو من خشية الله عز وجل نزل بذلك القرآن حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بمثله حدثني بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فهي كالحجارة أو أشد قسوة ثم عذر الحجارة ولم يعذر شقي ابن آدم فقال وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثني محمد بن سعد قال حدثني أبي قال حدثني عمي قال حدثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قال ثم عذر الله الحجارة فقال وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج انه قال فيها كل حجر انفجر منه ماء أو تشقق عن ماء أو تردى من جبل فمن خشية الله نزل به القرآن ثم اختلف أهل النحو في معنى هبوط ما هبط من الحجارة من خشية الله فقال بعضهم ان هبوط ما هبط منها من خشية الله تفيؤ ظلاله وقال آخرون ذلك الجبل الذي صار دكا اذ تجلى له ربه وقال بعضهم ذلك كان منه ويكون بان الله جل ذكره أعطى بعض الحجارة المعرفة والفهم فعقل طاعة الله فأطاعه كالذي روي عن الجذع الذي كان يستند اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خطب فلما تحول عنه حن وكالذي روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان حجرا كان يسلم علي في الجاهلية اني لأعرفه الآن وقال آخرون بل قوله يهبط من خشية الله كقوله جدارا يريد أن ينقض ولا ارادة له قالوا وانما أريد بذلك أنه من عظم أمر الله يرى كأنه هابط خاشع من ذل خشية الله كما قال زيد الخيل

بجمع تضل البلق في حجراته * ترى الأكم فيها سجدا للحوافر

وكما قال سويد بن أبي كاهل يصف عدوا له يريد أنه ذليل

ساجد المنخر لا يرفعه * خاشع الطرف أصم المستمع

وكما قال جرير بن عطية (١) لما أتى خبر الرسول تضعضعت * سور المدينة والجبال الخشع

وقال آخرون معنى قوله يهبط من خشية الله أي يوجب الخشية لغيره بدلالته على صانعه كما قيل ناقة تاجرة اذا كانت من نجابتها وفراهتها تدعو الناس الى الرغبة فيها كما قال جرير بن عطية

وأعور من نبهان أما نهاره * فأعمى وأما ليله فبصير

(١) تقدم البيت قريبا لما أتى خبر الزبير تواضعت وكذلك في اللسان ولعل فيه روايتين كتبه مصححه

طريقة الالتفات ويمكن أن يقال المحذوف شرط منتظم في جملة قول موسى كأنه قال فان فعلتم فقد تاب عليكم وانما اختص هذا الموضع بذكر البارئ لان معناه كما مر في الاسماء الذي خلق الخلق على الوجوه الموافقة للمصالح والاغراض ففيه تقريع لما كان منهم من ترك عبادة العليم الحكيم الذي برأهم بلطف حكمته على الاشكال المختلفة برآء من التنافر مناسبة للحكم والمقاصد الى عبادة العجل الذي هو مثل في البلادة والغباوة فلا جرم كان جزاؤهم تفكيك ما ركب من خلقهم وتبديل ما نظم من أشكالهم حين لم يشكروا النعمة في ذلك وغمطوها باتخاذ من لا يقدر على شيء منها والمراد بقتل الانفس اما ما يقتضيه ظاهر اللفظ وهو أن يقتل كل واحد نفسه والقتل اسم للفعل المؤدي الى زهوق الروح في الحال أو في المآل واما قتل بعضهم بعضا وعليه المفسرون لقوله تعالى ولا تقتلوا أنفسكم ولا تلمزوا أنفسكم فسلموا على أنفسكم وذلك أن المؤمنين كنفس واحدة ثم اختلفوا فقيل انه أمر من لم يعبد العجل من السبعين المختارين لحضور الميقات أن يقتل من عبد العجل منهم وقيل لما أمرهم موسى عليه السلام بالقتل أجابوا فأخذ عليهم المواثيق ليصبرن على القتل فأصبحوا مجتمعين كل قبيلة على حدة وأتاهم هرون بالاثني عشر ألفا الذين ما عبدوا العجل وبأيديهم السيوف فقال ان هؤلاء اخوانكم قد أتوكم شاهرين للسيوف فاجلسوا بأفنية بيوتكم واتقوا الله واصبروا فلعن الله رجلا قام من مجلسه أو مد طرفه اليهم أو اتقاهم بيد أو رجل ويقولون آمين روي أن الرجل كان يبصر ولده ووالده وجاره وقريبه فلم يمكنه المضي لامر الله فأرسل الله ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون تحتها فجعلوا يقتلونهم الى المساء وقام موسى وهرون يدعوان الله ويقولان هلكت بنو اسرائيل البقية البقية يا الهنا فكشفت الضبابة والسحابة

وأوحى الله تعالى اليه قد غفرت لمن قتل وتبت على من لم يقتل قالوا وكانت القتلى سبعين ألفا وقيل كانوا قسمين منهم من عبد العجل ومنهم من لم يعبد ولكن لم ينكر على من عبده فأمر من لم يشتغل بالانكار بقتل من اشتغل بالعبادة والقائلون بان العجل عجل الهوى قالوا معنى قتل الانفس هو قمع الهوى لان الهوى حياة النفس (قوله واذ قلتم يا موسى) ذهب بعض المفسرين الى أن هذه الواقعة كانت قبل أن كلف الله عبدة العجل بالقتل قال محمد بن اسحق لما رجع موسى عليه السلام من الطور الى قومه فرأى ما هم عليه

لجعل الصفة لليل والنهار وهو يريد بذلك صاحبه النبهاني الذي يهجوه من أجل أنه فيهما كان ما وصفه به وهذه الاقوال وان كانت غير بعيدات المعنى مما تحتمله الآية من التأويل فان تأويل أهل التأويل من علماء سلف الامة بخلافها فلذلك لم نستجز صرف تأويل الآية الى معنى منها وقد دللنا فيما مضى على معنى الخشية وأنها الرهبة والمخافة فكرهنا اعادة ذلك في هذا الموضع ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وما الله بغافل عما تعملون) يعني بقوله وما الله بغافل عما تعملون وما الله بغافل يا معشر المكذبين بآياته والجاحدين نبوة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم والمتقولين عليه الاباطيل من بني اسرائيل وأحبار اليهود عما تعملون من أعمالكم الخبيثة وأفعالكم الرديئة ولكنه يحصيها عليكم فيجازيكم بها في الآخرة أو يعاقبكم بها في الدنيا وأصل الغفلة عن الشئ تركه على وجه السهو عنه والنسيان له فأخبرهم تعالى ذكره أنه غير غافل عن أفعالهم الخبيثة ولا ساه عنها بل هو لها محص ولها حافظ ۞ القول في تأويل قوله تعالى (أفتطمعون أن يؤمنوا لكم) يعني بقوله جل ثناؤه أفتطمعون يا أصحاب محمد أي أفترجون يا معشر المؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم والمصدقين ما جاءكم به من عند الله أن يؤمن لكم يهود بني اسرائيل ويعني بقوله أن يؤمنوا لكم أن يصدقوكم بما جاءكم به نبيكم صلى الله عليه وسلم محمد من عند ربكم كما حدثت عن عمار بن الحسن عن ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله أفتطمعون أن يؤمنوا لكم يعني أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ان يؤمنوا لكم يقول أفتطمعون أن يؤمن لكم اليهود حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أفتطمعون أن يؤمنوا لكم الآية قال هم اليهود ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وقد كان فريق منهم) قال أبو جعفر أما الفريق فجمع كالطائفة لا واحد له من لفظه وهو فعيل من التفرق سمي به الجماع كما سميت الجماعة بالحزب من التحزب وما أشبه ذلك ومنه قول أعشى بني ثعلبة

(١) أخذوا فلما خفت أن يتفرقوا * فريقين منهم مصعد ومصوب

يعني بقوله منهم من بني اسرائيل وانما جعل الله الذين كانوا على عهد موسى ومن بعدهم من بني اسرائيل من اليهود الذين قال الله لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أفتطمعون أن يؤمنوا لكم لانهم كانوا آباءهم وأسلافهم فجعلهم منهم اذ كانوا عشائرهم وفرطهم وأسلافهم كما يذكر الرجل اليوم الرجل وقد مضى على منهاج الذاكر وطريقته وكان من قومه وعشيرته فيقول كان منا فلان يعني انه كان من أهل طريقته ومذهبه أو من قومه وعشيرته فكذلك قوله وقد كان فريق منهم * القول في تأويل قوله تعالى (يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون) اختلف أهل التأويل في الذين عنى الله بقوله وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون فقال بعضهم بما حدثني به محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون فالذين يحرفونه والذين يكتمونه هم العلماء منهم

حدثني

من عبادة العجل وقال لاخيه والسامري ما قال وأحرق العجل ونسفه في اليم اختار سبعين رجلا من خيارهم فلما خرجوا الى الطور قالوا لموسى سل ربك حتى نسمع كلامه فسأل موسى ذلك فأجابه الله اليه فلما دنا من الجبل وقع عليه عمود من الغمام وتغشى الجبل كله ودنا موسى عليه السلام من ذلك الغمام حتى دخل فيه فقال للقوم ادخلوا وعوا وكان موسى متى كلمه ربه وقع على جبهته نور ساطع لا يستطيع أحد من بني اسرائيل النظر اليه وسمع القوم كلام الله مع موسى يقول له

افعل ولا تفعل ومن جملة الكلام اني أنا الله لا اله الا أنا ذو بكة أخرجتكم من أرض مصر فاعبدوني ولا تعبدوا غيري فلما تم الكلام انكشف عن موسى الغمام الذي دخل فيه فقال القوم بعد ذلك لن نؤمن لك أي لن نصدقك ولن نقر بنبوتك حتى نرى الله جهرة عيانا وهي مصدر قولك جهر بالقراءة والدعاء كأن الذي يرى بالعين يجاهر بالرؤية والذي يرى بالقلب يخافت بها وانتصابها على نحو انتصاب قعد القرفصاء لان هذه نوع من الرؤية كما أن تلك نوع من القعود ويحتمل أن يكون نصبها على الحال بمعنى ذوي جهرة ومن قرأ جهرة بفتح الهاء فاما لانه مصدر كالغلبة واما لانه جمع جاهر وانما أكدوا بهذا لئلا يتوهم أن المراد بالرؤية العلم أو التخيل على ما يراه النائم فأخذتكم الصاعقة وهي ما صعقهم أي أماتهم فقيل نار وقعت من السماء فأحرقتهم وقيل صيحة جاءت من السماء وقيل أرسل الله جنودا سمعوا بحسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وصعقة موسى في قوله وخر موسى صعقا لم تكن موتا ولكن غشية بدليل فلما أفاق والظاهر أنه أصابهم ما ينظرون اليه لقوله وأنتم تنظرون فرفع موسى يديه الى السماء يدعو ويقول الهي اخترت من بني اسرائيل سبعين رجلا ليكونوا شهودي بقبول توبتهم فأرجع اليهم وليس معي أحد فما الذي يقولون في فلم يزل يدعو حتى رد الله اليهم أرواحهم وذلك قوله ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون نعمة البعث بعد الموت أو نعمة الله بعدما كفرتموها فطلب توبة بني اسرائيل من عبادة العجل فقال لا الا ان يقتلوا أنفسهم وقيل ان هذه الواقعة كانت بعد القتل قال السدي لما تاب بنو اسرائيل من عبادة العجل بأن قتلوا أنفسهم أمر الله أن يأتيه موسى في ناس من بني اسرائيل يعتذرون اليه من عبادتهم العجل فاختار موسى سبعين رجلا

(١) أخذوا هكذا في الاصل ولم نقف على البيت في غير هذا الموضع ولعل أخذوا محرف عن أجدوا بتشديد الدال أو نحوه ليستقيم الوزن كتبه مصححه

فلما أتوا الطور قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة وماتوا فقام موسى يبكي و يقول يارب ماذا أقول لبني اسرائيل فاني أمرتهم بالقتل ثم اخترت من بينهم هؤلاء فاذا رجعت اليهم ولا يكون معي أحد منهم فماذا أقول لهم فأوحى الله الى موسى ان هؤلاء السبعين ممن اتخذوا العجل الها فقال موسى ان هي الا فتنتك فأحياهم الله تعالى فقاموا ونظر كل واحد الى الآخر كيف يحييه الله تعالى فقالوا ياموسى انك لاتسأل الله شيأ الا أعطاك فادعه يجعلنا أنبياء فدعا بذلك فأجاب الله دعوته هذا (٢٩١) ماقاله المفسرون وليس في الآية مايدل على ترجيح أحد القولين على الآخر ولا على أن الذين سألوا الرؤية عبدة العجل أم لا والصحيح أن موسى لم يكن من جملة الصعقين في هذه الواقعة لانه خطاب مشافهة ولانه لو تناوله لوجب تخصيصه بقوله في حق موسى فلما أفاق مع أن لفظة الافاقة لا تستعمل في الموت ثم في الآية فوائد منها التحذير لمن كان في زمان نبينا صلى الله عليه وسلم عن فعل ما يستحق بسببه أن يفعل به مافعل بأولئك ومنها التشبيه بجحودهم معجزات النبي صلى الله عليه وسلم بجحود أسلافهم نبوة موسى عليه السلام مع مشاهدتهم لعظم تلك الآيات لينتبهوا أنه انما لا يظهر على النبي صلى الله عليه وسلم مثلها لعلمه بأنه لو أظهرها لجحدوها ولو جحدوها لاستحقوا العقاب كما استحقه أسلافهم ومنها التسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتثبيت فؤاده كي يصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ومنها ازالة شبهة من يقول ان نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لو صحت لكان أولى الناس بالايمان به أهل الكتاب حيث انهم عرفوا خبره وذلك أنه تعالى بين أن أسلافهم بعد مشاهدة تلك الآيات كانوا يرتدون كل وقت و يتحكمون عليه فكيف يتعجب من مخالفتهم محمدا صلى الله عليه وسلم وان وجدوا في كتبهم أخبار نبوته صلى الله عليه وسلم ومنها لما

حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بنحوه حدثني موسى قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدي أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ماعقلوه قال هي التوراة حرفوها حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله يسمعون كلام الله ثم يحرفونه قال التوراة التي أنزلها عليهم يحرفونها يجعلون الحلال فيها حراما والحرام فيها حلالا والحق فيها باطلا والباطل فيها حقا اذا جاءهم المحق برشوة أخرجوا له كتاب الله واذا جاءهم المبطل برشوة أخرجوا له ذلك الكتاب فهو فيه محق وان جاء أحد يسألهم شيأ ليس فيه حق ولا رشوة ولا شئ أمروه بالحق فقال لهم أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون وقال آخرون في ذلك بما حدثت عن عمار بن الحسن قال أخبرنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ماعقلوه وهم يعلمون فكانوا يسمعون من ذلك كما يسمع أهل النبوة ثم يحرفونه من بعد ماعقلوه وهم يعلمون حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق في قوله وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله الآية قال ليس قوله يسمعون كلام الله يسمعون التوراة كلهم قد سمعها ولكنهم الذين سألوا موسى رؤية ربهم فأخذتهم الصاعقة فيها حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق قال بلغني عن بعض أهل العلم أنهم قالوا لموسى ياموسى قد حيل بيننا و بين رؤية الله عزوجل فأسمعنا كلامه حين يكلمك فطلب ذلك موسى الى ربه فقال نعم فمرهم فليتطهروا وليطهروا ثيابهم و يصوموا ففعلوا ثم خرج بهم حتى أتى الطور فلما غشيهم الغمام أمرهم موسى عليه السلام فوقعوا سجودا وكلمه ربه فسمعوا كلامه يأمرهم و ينهاهم حتى عقلوا ماسمعوا ثم انصرف بهم الى بني اسرائيل فلما جاؤهم حرف فريق منهم ما أمرهم به وقالوا حين قال موسى لبني اسرائيل ان الله قد أمركم بكذا وكذا قال ذلك الفريق الذين ذكرهم الله انما قال كذا وكذا خلافا لما قال الله عز وجل لهم فهم الذين عنى الله لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم وأولى التأويلين اللذين ذكرت بالآية وأشبههما بما دل عليه ظاهر التلاوة ماقاله الربيع بن أنس والذي حكاه ابن اسحق عن بعض أهل العلم من أن الله تعالى ذكره انما عنى بذلك من سمع كلامه من بني اسرائيل سماع موسى اياه منه ثم حرف ذلك وبدل من بعد سماعه وعلمه به وفهمه اياه وذلك أن الله جل ثناؤه انما أخبر أن التحريف كان من فريق منهم كانوا يسمعون كلام الله عزوجل استعظاما من الله لما كانوا يأتون من البهتان بعد توكيد الحجة عليهم والبرهان وايذانا منه تعالى ذكره عباده المؤمنين وقطع اطماعهم من ايمان بقايا نسلهم بما أتاهم به محمد من الحق والنور والهدى فقال لهم كيف تطمعون في تصديق هؤلاء اليهود اياكم وانما تخبرونهم بالذي تخبرونهم من الانباء عن الله عزوجل عن غيب لم يشاهدوه ولم يعاينوه وقد كان بعضهم يسمع من الله كلامه وأمره ونهيه ثم يبدله ويحرفه و يجحده فهؤلاء الذين بين أظهركم من بقايا نسلهم أحرى أن يجحدوا ما أتيتموهم به من الحق وهم لا يسمعونه من الله وانما يسمعونه منكم

أخبر محمد صلى الله عليه وسلم عن هذه القصة مع كونه أميا تبين أن ذلك من الوحي بقي ههنا بحث وهو أن المعتزلة استدلوا بالآية على امتناع رؤية الله تعالى لانها لو كانت أمرا جائز الوقوع لم تنزل بهم العقوبة كما لم تنزل بهم حين التمسوا النقل من قوت الى قوت في قولهم لن نصبر على طعام واحد وأجيب بأن امتناع رؤيته في الدنيا لا يستلزم امتناع رؤيته في الآخرة الذي هو محل النزاع فلعل رؤيته تقتضي زوال التكليف عن العبد والدنيا مقام التكليف وأيضا اقتراح دليل زائد على صدق المدعي بعد ثبوته تعنت وأيضا لايمتنع أن الله تعالى علم أن فيه

مفسدة كما علم فى انزال الكتاب من السماء يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا
الله جهرة فلهذا اجاز الاستنكار لان مطالبة الرؤية جهرة مطالعة الذات غفلة وفيه من سوء الادب وترك الحرمة مالا يستحسنه قضية العزة
والحشمة (قوله تعالى وظللنا) أى جعلنا الغمام يظلكم وذلك فى التيه كما سيجىء فى المائدة سخر الله لهم السحاب فسير بسيرهم يظلهم من
الشمس والظل ضوءنان وينزل بالليل عمود من نار يسيرون فى ضوئه وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى واذا ولد لهم مولود كان عليه
ثوب كالظفر يطول بطوله كما كان
لآدم قبل الزلة وينزل عليهم المن
وهو الترنجبين مثل الثلج من طلوع
الفجر الى طلوع الشمس لكل
انسان صاع لأزيد ويبعث الله
الجنوب فتحشر عليهم السلوى وهى
السمانى فيذبح الرجل منها ما يكفيه
لأزيد مجاهد المن صمغ حلو وهب
هو الخبز السميذ الزجاج هو مامن
الله تعالى به عليهم وهذا كما روى
مرفوعا الكمأة من المن وفيها شفاء
للعين وقيل السلوى العسل وقيل
طائر أحمر (كلوا) على ارادة القول أى
وقلنا لهم كلوا (من طيبات) من
حلالات (ما رزقناكم) وهذا للاباحة
(وما ظلمونا) يعنى فظلموا بان كفروا
هذه النعم فجعلوا موضع الشكر كفرا
وما ظلمونا فاختصر الكلام بحذفه
لدلالة وما ظلمونا عليه (ولكن كانوا
أنفسهم يظلمون) لان وبال الظلم عائد
عليهم لا الى غيرهم ولا الى الله تعالى
وانما قال ههنا وفى الاعراف والتوبة
والروم بزيادة لفظة كانوا لانها
اخبار عن قوم ماتوا وانقرضوا
بخلاف قوله فى آل عمران ولكن
أنفسهم يظلمون لانه مثل والله أعلم
(واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا
منها حيث شئتم رغدا وادخلوا
الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم
خطاياكم وسنزيد المحسنين فبدل
الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم
فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من
السماء بما كانوا يفسقون) القراآت يغفر لكم بضم الياء التحتانية وفتح الفاء أبو جعفر ونافع وجبلة
تغفر لكم بضم التاء الفوقانية وفتح الفاء ابن عامر وأبو زيد عن المفضل الباقون نغفر بالنون وكسر الفاء يغفر لكم مدغما كل القرآن أبو عمرو
خطاياكم وبابه بالامالة على قول غير بالاخفاء يزيد وابو نشيط عن قالون وكذلك يخفيان النون والتنوين عند الخاء والغين سواء وسط
الكلمة أو ولها * الوقوف خطاياكم ط المحسنين ٥ يفسقون ٥ * التفسير القرية مجتمع الناس من قرأت الماء فى الحوض أى جمعت

قول

وأقرب الى أن يحرفوا ما فى كتبهم من صفة نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم ونعته ويبدلوه وهم به عالمون فيجحدوه ويكذبوا من أوائلهم الذين باشروا كلام الله من الله جل ثناؤه ثم حرفوه من بعد ما عقلوه وعلموه متعمدين التحريف ولو كان تأويل الآية على ما قاله الذين زعموا أنه عنى بقوله يسمعون كلام الله يسمعون التوراة لم يكن لذكر قوله يسمعون كلام الله معنى مفهوم لان ذلك قد سمعه المحرف منهم وغير المحرف فخصوص المحرف منهم بانه كان يسمع كلام الله ان كان التأويل على ما قاله الذين ذكرنا قولهم دون غيرهم ممن كان يسمع ذلك سماعهم لا معنى له فان ظن ظان انما صلح أن يقال ذلك لقوله يحرفونه فقد أغفل وجه الصواب فى ذلك وذلك أن ذلك لو كان كذلك لقيل أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يحرفون كلام الله من بعد ما عقلوه وهم يعلمون ولكنه جل ثناؤه أخبر عن خاص من اليهود كانوا أعطوا من مباشرتهم سماع كلام الله مالم يعطه أحد غير الانبياء والرسل ثم بدلوا وحرفوا ما سمعوا من ذلك فلذلك وصفهم بما وصفهم به للخصوص الذى كان خص به هؤلاء الفريق الذى ذكرهم فى كتابه تعالى ذكره ويعنى بقوله ثم يحرفونه ثم يبدلون معناه وتأويله ويغيرونه وأصله من انحراف الشئ عن جهته وهو ميله عنها الى غيرها فكذلك قوله يحرفونه أى يميلونه عن وجهه ومعناه الذى هو معناه الى غيره فأخبر الله جل ثناؤه أنهم فعلوا ما فعلوا من ذلك على علم منهم بتأويل ما حرفوا وأنه بخلاف ما حرفوه اليه فقال يحرفونه من بعد ما عقلوه يعنى من بعد ما عقلوا تأويله وهم يعلمون أى يعلمون أنهم فى تحريفهم ما حرفوا من ذلك مبطلون كاذبون وذلك اخبار من الله جل ثناؤه عن اقدامهم على البهت ومناصبتهم العداوة له ولرسوله موسى صلى الله عليه وسلم وأن بقاياهم من مناصبتهم العداوة لله ولرسوله محمد صلى الله عليه وسلم بغيا وحسدا على مثل الذى كان عليه أوائلهم من ذلك فى عصر موسى عليه الصلاة والسلام * القول فى تأويل قوله تعالى (واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا) أما قوله واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا فانه خبر من الله جل ذكره عن الذين أيأس أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم من ايمانهم من يهود بنى اسرائيل الذين كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون وهم الذين اذا لقوا الذين آمنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم قالوا آمنا يعنى بذلك أنهم اذا لقوا الذين صدقوا بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به من عند الله قالوا آمنا أى صدقنا بمحمد وبما صدقتم به وأقررنا بذلك أخبر الله عز وجل عنهم أنهم تخلقوا بأخلاق المنافقين وسلكوا منهاجهم كما حدثنى محمد بن سعد قال حدثنى أبى قال حدثنى عمى قال حدثنى أبى عن أبيه عن جده عن ابن عباس قوله واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم وذلك أن نفرا من اليهود كانوا اذا لقوا محمدا صلى الله عليه وسلم قالوا آمنا واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم حدثنا أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد عن بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا يعنى المنافقين من اليهود كانوا اذا لقوا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قالوا آمنا وقد روى عن ابن عباس فى تأويل ذلك

قول آخر وهو ما حدثنا به ابن حميد قال ثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن اسحق عن محمد بن أبى محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا أى بصاحبكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه اليكم خاصة حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا الآية قال هؤلاء ناس من اليهود آمنوا ثم نافقوا

القول فى تأويل قوله تعالى (واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم) يعنى بقوله واذا خلا بعضهم الى بعض أى اذا خلا بعض هؤلاء اليهود الذين وصف الله صفتهم الى بعض منهم فصاروا فى خلاء من الناس غيرهم وذلك هو الموضع الذى ليس فيه غيرهم قالوا يعنى قال بعضهم لبعض أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ثم اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله بما فتح الله عليكم فقال بعضهم بما حدثنا أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد عن بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم يعنى بما أمركم الله به فيقول الآخرون انما نستهزئ بهم ونضحك وقال آخرون بما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن أبى محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا أى بصاحبكم رسول الله ولكنه اليكم خاصة واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا لا تحدثوا العرب بهذا فانكم قد كنتم تستفتحون به عليهم فكان منهم فأنزل الله واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أى تقرون بأنه نبى وقد علمتم أنه قد أخذ له الميثاق عليكم باتباعه وهو يخبرهم أنه النبى صلى الله عليه وسلم الذى كنا ننتظر ونجده فى كتابنا اجحدوه ولا تقروا لهم به يقول الله أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون حدثنى المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبى العالية فى قوله أتحدثونهم بما فتح الله عليكم أى بما أنزل الله عليكم فى كتابكم من نعت محمد صلى الله عليه وسلم حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم أى بما منّ الله عليكم فى كتابكم من نعت محمد صلى الله عليه وسلم فانكم اذا فعلتم ذلك احتجوا به عليكم أفلا تعقلون حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحتجوا به عليكم حدثنى المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر قال قال قتادة أتحدثونهم بما فتح الله عليكم يعنى بما أنزل الله عليكم من أمر محمد صلى الله عليه وسلم ونعته وقال آخرون فى ذلك بما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم قال قول يهود من قريظة حين سبهم النبى صلى الله عليه وسلم بأنهم اخوة القردة والخنازير قالوا من حدثك هذا حين أرسل اليهم عليا فآذوا محمدا فقال يا اخوة القردة والخنازير حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله الا أنه قال هذا حين أرسل اليهم على بن أبى طالب رضى الله عنه وآذوا النبى صلى الله عليه

وبهذا الاعتبار كثيرا ما تطلق القرية على البلدة والجمع القرى على غير قياس وانما قياسه من المعتل اللام فعال نحو ركوة وركاء وظبية وظباء والنسبة اليها قروى وهو على القياس عند يونس حيث قال ظبوى فى النسبة الى ظبية وعلى خلاف القياس عند الخليل وسيبويه حيث يقولان ظبيى على مثال الصحيح والقرية بيت المقدس وقيل اريحاء من قرى الشام أمروا بدخولها بعد التيه والباب باب القرية وقيل باب القبة التى كانوا يصلون اليها وهم لم يدخلوا بيت المقدس فى حياة موسى أمروا بالسجود عند الانتهاء الى الباب تواضعا وشكرا لله تعالى وقيل السجود أن ينحنوا ويتطامنوا داخلين ليكون دخولهم باخبات وخشوع وقيل طوطئ لهم الباب ليخفضوا رؤسهم فلم يخفضوا ودخلوا متزحفين على أوراكهم من الزحف وهو المشى على الاوراك وحطة فعلة من الحط كالجلسة خبر مبتدا محذوف أى مسئلتنا حطة أو أمرك وأصله النصب معناه اللهم حط عنا ذنوبنا حطة فرفعت لافادة الثبوت كقوله شكا الى جملى طول السرى

يا جملى ليس الى المشتكى
صبر جميل فكلانا مبتلى

الاصل صبرا أى اصبر صبرا كان القوم أمروا أن يدخلوا الباب على وجه الخضوع وأن يذكروا بلسانهم التماس حط الذنوب حتى يكونوا جامعين بين ندم القلب وخضوع الجوارح والاستغفار باللسان وذلك أن التوبة صفة القلب فلا يطلع الغير عليها فاذا اشتهر واحد بالذنب ثم تاب بعده لزمه أن يحكى توبته لمن شاهد منه الذنب لا لأن التوبة لا تتم الا به اذ الاخرس تصح توبته وان لم يوجد منه الكلام بل لاجل تعريف الغير عدوله عن الذنب الى التوبة ولازالة التهمة عن نفسه وكذا من عرف بمذهب خطأ ثم تبين له الحق فانه يلزمه أن يعرّف اخوانه الذين عرفوه بالخطا عدوله عنه لتزول التهمة عنه فى الثبات على الباطل وليعودوا الى موالاته بعد معاداته ويحسنوا الظن به وعن أبى مسلم الاصفهانى أن معناه أمرنا حطة أى أن نحط فى هذه القرية ونستقر فيها وأصل الغفر الستر والتغطية ومعنى القراآت فى نغفر لكم واحد لان الخطيئة اذا غفرها الله تعالى فقد غفرت واذا غفرت فانما تغفرها الله والفعل اذا تقدم الاسم المؤنث وحال بينه وبين الفاعل حائل جاز التذكير والتأنيث والخطء الذنب قال تعالى ان قتلهم كان خطأ كبيرا تقول منه خطئ يخطأ خطأ

وسلم فقال اخسؤا يا اخوة القردة والخنازير حدثنا القاسم قال حدثني الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني القاسم بن أبي بزة عن مجاهد في قوله أتحدثونهم بما فتح الله عليكم قال قام النبي صلى الله عليه وسلم يوم قريظة تحت حصونهم فقال يا اخوان القردة ويا اخوان الخنازير ويا عبدة الطاغوت فقالوا من أخبر هذا محمدا ما خرج هذا الا منكم أتحدثونهم بما فتح الله عليكم بما حكم الله للفتح ليكون لهم حجة عليكم قال ابن جريج عن مجاهد هذا حين أرسل اليهم عليا فآذوا محمدا صلى الله عليه وسلم وقال آخرون بما حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم من العذاب ليحاجوكم به عند ربكم هؤلاء ناس من اليهود آمنوا ثم نافقوا فكانوا يحدثون المؤمنين من العرب بما عذبوا به فقال بعضهم لبعض أتحدثونهم بما فتح الله عليكم من العذاب ليقولوا نحن أحب الى الله منكم وأكرم على الله منكم وقال آخرون بما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم قال كانوا اذا سئلوا عن الشئ قالوا أما تعلمون في التوراة كذا وكذا قالوا بلى قال وهم يهود فيقول لهم رؤساؤهم الذين يرجعون اليهم ما لكم تخبرونهم بالذي أنزل الله عليكم فيحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخلن علينا قصبة المدينة الا مؤمن فقال رؤساؤهم من أهل الكفر والنفاق اذهبوا فقولوا آمنا واكفروا اذا رجعتم قال فكانوا يأتون المدينة بالبكر ويرجعون اليهم بعد العصر وقرأ قول الله وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون وكانوا يقولون اذا دخلوا المدينة نحن مسلمون ليعلموا خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره واذا رجعوا رجعوا الى الكفر فلما أخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بهم قطع ذلك عنهم فلم يكونوا يدخلون وكان المؤمنون الذين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يظنون أنهم مؤمنون فيقولون لهم أليس قد قال الله لكم كذا وكذا فيقولون بلى فاذا رجعوا الى قومهم قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم الآية وأصل الفتح في كلام العرب النصر والقضاء والحكم يقال منه اللهم افتح بيني وبين فلان أى احكم بيني وبينه ومنه قول الشاعر

(١) ألا أبلغ بني عصم رسولا * باني عن فتاحتكم غني

قال و يقال للقاضي الفتاح ومنه قول الله عز وجل ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين أى احكم بيننا وبينهم فاذا كان معنى الفتح ما وصفنا تبين أن معنى قوله قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم انما هو أتحدثونهم بما حكم الله به عليكم وقضاه فيكم ومن حكمه جل ثناؤه عليهم ما أخذ به ميثاقهم من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به

(١) قوله ألا أبلغ بني عصم الخ كذا في الاصل والذي في لسان العرب وشرح القاموس ألا من مبلغ عمرا رسولا فاني الخ ولعلهما روايتان فحرر كتبه مصححه

وخطأة على فعلة والاسم الخطيئة على فعيلة وجمعها خطايا وأصله خطايئ بياء ثم همزة أبدلت الهمزة ألفا فانفتحت الياء لاجلها (وسنزيد المحسنين) المفعول الثاني محذوف للعلم به ولمكان الفاصلة اى سنزيدهم احسانا أو ثوابا أو سعة وذلك أن المراد من المحسنين اما من هو محسن بالطاعة في هذا التكليف واما من هو محسن بطاعات أخرى في سائر التكاليف وعلى الاول فالزيادة الموجودة اما منفعة دنيوية فالمعنى أن المحسن بهذه الطاعة نزيده سعة في الدنيا ونفتح عليه قرى غير هذه (٢٩٤) القرية واما منفعة دينية أى المحسن بهذا نزيده على غفران الذنوب ثوابا جزيلا وعلى الثاني فالمعنى انا نجعل دخولكم الباب سجدا وقولكم حطة مؤثرا في غفران الذنوب ثم ان أتيتم بعد ذلك بطاعات أخرى زدناكم ثوابا ويحتمل أن يكون المراد أنهم صنفان فمن مخطئ تصير الكلمة سببا لغفرانه ومن محسن تصير سببا لزيادة ثوابه (قوله تعالى فبدل الذين ظلموا) قال أبو البقاء التقدير فبدل الظالمون بالذي قيل لهم قولا غير الذي قيل لهم فبدل يتعدى الى مفعولين واحد بنفسه والآخر بالباء والذي مع الباء يكون هو المتروك والذي بغير باء هو الموجود ويجوز أن يكون بدل بمعنى قال لان تبديل القول يكون بقول والمعنى أنهم أمروا بقول معناه التوبة والاستغفار فخالفوه الى قول ليس معناه معنى ما أمروا به ولم يمتثلوا أمر الله وليس الغرض أنهم أمروا بلفظ معين وهو لفظ حطة فجاؤا بلفظ آخر لانهم لو جاؤا بلفظ آخر مستقل بمعنى ما أمروا به لم يؤاخذوا به كما لو قالوا مكان حطة نستغفرك ونتوب اليك أو اللهم اعف عنا ونحو ذلك وقيل قالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية والنبط قوم ينزلون بالبطائح بين العراقين حطا سمقاثا أى حنطة حمراء استهزاء منهم بما قيل لهم وعدولا عن طلب ما عند الله الى طلب ما يشتهون وفي الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قيل لبني اسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر في لكم خطاياكم فبدلوا فدخلوا الباب يزحفون على أستاههم وقالوا حبة في شعرة وفي تكرير الذين ظلموا ووضع المظهر موضع المضمر زيادة في تقبيح أمرهم وايذان بان انزال الرجز عليهم لظلمهم وهو أن وضعوا غير ما أمروا به مكان ما أمروا به والرجز العذاب عن ابن عباس مات بالصعقة منهم أربعة وعشرون ألفا في ساعة واحدة وقال ابن زيد بعث الله عليهم الطاعون حتى مات من الغداة الى العشي عشرون ألفا

وقيل سبعون ألفا ومعنى من السماء يحتمل أن يكون شيأ نازلا من جهة العلو كريح ونحوه ويحتمل أن يراد من قبل الأمر النازل من عند الله
تفظيع الشأن العذاب والفسق هو الخروج عن طاعة الله الى معصيته بارتكاب الكبيرة فالمراد بما كانوا يفسقون إما الظلم المذكور
وفائدة التكرار التأكيد واما أن يراد أنهم استحقوا اسم الظلم بسبب ذلك التبديل ونزول الرجز عليهم من السماء بالفسق الذي كانوا يفعلون
قبل ذلك التبديل مستمرا الى أوان هذا الظلم وهذا أظهر لزوال التكرير ولان لفظة كانوا تنبئ عن خصلة مستمرة والخصلة
الواحدة المعينة لا يتصور فيها
الاستمرار فلو كان المراد ذلك لقيل
بما فسقوا وربما احتج أصحاب
الشافعي بقوله تعالى فبدل الذين
ظلموا أنه لا يجوز تحريم الصلاة
بلفظ التحميد والتعظيم والتسبيح
ولا تجوز القراءة بالفارسية وكذا
لا يجوز تبديل ما ورد به التوقيف
من الأذكار بغيرها وأجيب
بأنهم انما استحقوا الذم لتبديلهم
القول الى قول آخر يضاد معناه
معنى الاول فلا جرم استوجبوا الذم
فاما من غير اللفظ مع بقاء المعنى فليس
كذلك ورد بأن ظاهر الآية يتناول
كل من بدل قولا بقول آخر سواء
اتفق القولان في المعنى أم لم يتفقا
(أسئلة) لم قال في البقرة واذ قلنا
وفي الاعراف واذ قيل لانه
صرح بالقائل في أول القرآن ازالة
للابهام ولان الكلام مرتب على
قوله اذكروا نعمتي وفي الاعراف
لم يبق الابهام ولم قال ههنا ادخلوا
وهنالك اسكنوا لان الدخول
مقدم على السكون والبقرة مقدمة
في الذكر على الاعراف ولم قال
في البقرة فكلوا وفي الاعراف
وكلوا بالواو لما بينا في قوله وكلا
منها رغدا ولم قال في البقرة
خطاياكم وفي الاعراف
خطيئاتكم لان الخطايا جمع
الكثرة والخطيئات جمع السلامة للقلة وقد أضاف القول ههنا الى نفسه فكان اللائق بكرمه غفران الذنوب الكثيرة وهنالك لم يذكر
الفاعل فلم يكن ذكر اللفظ الدال على الكثرة واجبا ولمثل هذا الجواب ذكر ههنا رغدا ليدل على الانعام الاتم ولم يذكر في الاعراف ولم قال
ههنا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة وفي الاعراف بالعكس لان الواو للجمع المطلق ولان المخاطبين صنفان محسن ومذنب واللائق بالمحسن
تقديم العبادة والخضوع ثم ذكر التوبة على سبيل هضم النفس وازالة العجب واللائق بالمسيء عكس ذلك ولانه ذكر في هذه السورة

في التوراة ومن قضائه فيهم أن جعل منهم القردة والخنازير وغير ذلك من أحكامه وقضائه فيهم
وكل ذلك كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين به حجة على المكذبين به من اليهود المقرين
بحكم التوراة وغير ذلك فان كان كذلك فالذي هو أولى عندي بتأويل الآية قول من قال معنى ذلك
أتحدثونهم بما فتح الله عليكم من بعث محمد صلى الله عليه وسلم الى خلقه لان الله جل ثناؤه انما قص
في أول هذه الآية الخبر عن قولهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأصحابه آمنا بما جاء به محمد صلى
الله عليه وسلم فالذي هو أولى بآخرها أن يكون نظير الخبر عما ابتدئ به أولها واذا كان ذلك
كذلك فالواجب أن يكون تلاومهم كان فيما بينهم فيما كانوا أظهروه لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ولأصحابه من قولهم لهم آمنا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به وكان قيلهم ذلك من أجل
أنهم يجدون ذلك في كتبهم وكانوا يخبرون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فكان
تلاومهم فيما بينهم اذا خلوا على ما كانوا يخبرونهم بما هو حجة للمسلمين عليهم عند ربهم وذلك أنهم
كانوا يخبرونهم عن وجود نعت محمد صلى الله عليه وسلم في كتبهم ويكفرون به وكان فتح الله الذي
فتحه للمسلمين على اليهود وحكمه عليهم لهم في كتابهم أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم اذا بعث فلما
بعث كفروا به مع علمهم بنبوته وقوله أفلا تعقلون خبر من الله تعالى ذكره عن اليهود اللائمين
اخوانهم على ما أخبروا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بما فتح الله لهم عليهم أنهم قالوا لهم
أفلا تفقهون أيها القوم وتعقلون أن اخباركم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بما في كتبكم أنه
نبي مبعوث حجة لهم عليكم عند ربكم يحتجون بها عليكم أي فلا تفعلوا ذلك ولا تقولوا لهم مثل
ما قلتم ولا تخبروهم بمثل ما أخبرتموهم به من ذلك فقال جل ثناؤه أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون
وما يعلنون ۞ القول في تأويل قوله تعالى (أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون) يعني
بقوله جل ثناؤه أولا يعلم هؤلاء اللائمون من اليهود اخوانهم من أهل ملتهم على كونهم اذا لقوا
الذين آمنوا قالوا آمنا وعلى اخبارهم المؤمنين بما في كتبهم من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومبعثه القائلون لهم أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أن الله عالم بما يسرون
فيخفونه عن المؤمنين في خلائهم من كفرهم وتلاومهم بينهم على اظهارهم ما أظهروا لرسول الله
وللمؤمنين به من الاقرار بمحمد صلى الله عليه وسلم وعلى قيلهم لهم آمنا ونهي بعضهم بعضا أن يخبروا
المؤمنين بما فتح الله للمؤمنين عليهم وقضى لهم عليهم في كتبهم من حقيقة نبوة محمد صلى الله عليه
وسلم ونعته ومبعثه وما يعلنون فيظهرونه لمحمد صلى الله عليه وسلم ولأصحابه المؤمنين به اذا لقوهم
من قيلهم لهم آمنا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به نفاقا وخداعا لله ولرسوله وللمؤمنين كما حدثنا
بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون من كفرهم وتكذيبهم
محمدا صلى الله عليه وسلم اذا خلا بعضهم الى بعض وما يعلنون اذا لقوا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
قالوا آمنا ليرضوهم بذلك حدثني المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي
العالية أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون يعني ما أسروا من كفرهم بمحمد صلى الله عليه

ادخلوا هذه القرية فقدم كيفية الدخول ولم قال في البقرة وسنزيد وفي الاعراف سنزيد لانه في الاعراف ذكر أمرين قول الحطة وهو اشارة
الى التوبة ودخول الباب وهو اشارة الى العبادة ثم ذكر جزاءين أحدهما الغفران والآخر الزيادة فترك الواو ليفيد توزيع الجزاء من على
الشرطين وفي البقرة وقع مجموع المغفرة والزيادة جزاء لمجموع الفعلين أعني دخول الباب وقول الحطة فاحتيج الى الواو وأيضا الاتصال اللفظي
حاصل في هذه السورة بين قوله واذ قلنا وبين قوله وسنزيد بخلاف الاعراف لان اللائق به في الظاهر سيزاد فحذف الواو ليكون
استئنافا للكلام وما الفائدة في زيادة
كلمة منهم في الاعراف لان أول
القصة مبني على التخصيص ومن
قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه
يعدلون فذكر أن منهم من يفعل
ذلك ثم عدد صنوف انعامه وأوامره
عليهم فلما انتهت القصة قال
فبدل الذين ظلموا منهم فهنالك
ذكر أمة عادلة وأمة جائرة فصار
آخر الكلام مطابقا لأوله وأما
في البقرة فلم يذكر في أول الآيات
تمييزا وتخصيصا حتى يلزم في آخر
القصة مثل ذلك لم قال في البقرة
فأنزلنا وفي الاعراف فأرسلنا لان
الانزال يفيد حدوثه في أول الامر
والارسال يفيد تسلطه عليهم
واستئصالهم بالكلية وذلك انما
يحدث بالآخرة وقيل لان لفظ
الارسال في الاعراف أكثر فروعي
التناسب لم قال في البقرة بما كانوا
يفسقون وفي الاعراف يظلمون
لانه لما بين في البقرة كون الظلم
فسقا اكتفى بذلك البيان في
الاعراف وأيضا انهم ظلموا أنفسهم
وخرجوا عن طاعة الله تعالى فوصفهم
بالامرين في موضعين والله أعلم
(واذ استسقى موسى لقومه فقلنا
اضرب بعصاك الحجر فانفجرت
منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل
أناس مشربهم كلوا واشربوا
من رزق الله ولا تعثوا في الارض
مفسدين واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من
بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة
والمسكنة وباؤا بغضب من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) القراآت عامة القراء
اثنتا عشرة بسكون الشين للتخفيف عليهم الذلة بضم الهاء والميم حمزة وعلي وخلف وسهل ويعقوب وكذلك كل ما كان قبل الهاء ياء ساكنة

وسلم وتكذيبهم به وهم يجدونه مكتوبا عندهم وما يعلنون يعني ما أعلنوا حين قالوا للمؤمنين آمنا
* القول في تأويل قوله تعالى (ومنهم أميون) يعني بقوله جل ثناؤه ومنهم أميون ومن هؤلاء اليهود
الذين قص الله قصصهم في هذه الآيات وأيأس أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من ايمانهم فقال
لهم أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه
وهم اذا لقوكم قالوا آمنا كما حدثنا المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية
ومنهم أميون يعني من اليهود وحدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع مثله
حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ومنهم أميون قال
أناس من يهود (قال أبو جعفر) يعني بالاميين الذين لا يكتبون ولا يقرؤن ومنه قول النبي صلى الله
عليه وسلم انا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب يقال منه رجل أمي أي بين الامية كما حدثني المثنى
قال حدثني سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن سفيان عن منصور عن ابراهيم ومنهم أميون
لا يعلمون الكتاب قال منهم من لا يحسن أن يكتب حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال
ابن زيد في قوله ومنهم أميون قال أميون لا يقرؤن الكتاب من اليهود وروي عن ابن عباس قول
خلاف هذا القول وهو ما حدثنا أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد عن بشر بن عمارة عن أبي
روق عن الضحاك عن ابن عباس ومنهم أميون قال الاميون قوم لم يصدقوا رسولا أرسله الله ولا كتابا
أنزله الله فكتبوا كتابا بأيديهم ثم قالوا لقوم سفلة جهال هذا من عند الله وقال قد أخبر أنهم يكتبون
بأيديهم ثم سماهم أميين لجحودهم كتب الله ورسله وهذا التأويل تأويل على خلاف ما يعرف من
كلام العرب المستفيض بينهم وذلك أن الامي عند العرب هو الذي لا يكتب (قال أبو جعفر) وأرى
أنه قيل للامي أمي نسبة له بأنه لا يكتب الى أمه لان الكتاب كان في الرجال دون النساء فنسب من
لا يكتب ولا يخط من الرجال الى أمه في جهله بالكتابة دون أبيه كما ذكرنا عن النبي صلى الله عليه
وسلم من قوله انا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب وكما قال هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم فاذا
كان معنى الامي في كلام العرب ما وصفنا فالذي هو أولى بتأويل الآية ما قاله النخعي من ان معنى
قوله ومنهم أميون ومنهم من لا يحسن أن يكتب * القول في تأويل قوله تعالى (لا يعلمون الكتاب
الا أماني) يعني بقوله لا يعلمون الكتاب لا يعلمون ما في الكتاب الذي أنزله الله ولا يدرون ما أودعه
الله من حدوده وأحكامه وفرائضه كهيئة البهائم كالذي حدثني الحسن بن يحيى قال أخبرنا
عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أماني انما هم
أمثال البهائم لا يعلمون شيأ حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله
لا يعلمون الكتاب يقول لا يعلمون الكتاب ولا يدرون ما فيه حدثني المثنى قال ثنا آدم
قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية لا يعلمون الكتاب لا يدرون ما فيه حدثنا ابن
حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير
عن ابن عباس لا يعلمون الكتاب قال لا يدرون ما فيه حدثنا بشر قال أخبرنا ابن وهب

قال

قال قال ابن زيد لا يعلمون الكتاب لا يعلمون شيأ لا يقرؤن التوراة ليست تستظهر انما تقرأ هكذا فاذا لم يكتب أحدهم لم يستطع أن يقرأ حدثنا أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد عن بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس فى قوله لا يعلمون الكتاب قال لا يعرفون الكتاب الذى أنزله الله (قال أبو جعفر) وانما عنى بالكتاب التوراة ولذلك أدخلت فيه الالف واللام لانه قصد به كتاب معروف بعينه ومعناه ومنهم فريق لا يكتبون ولا يدرون ما فى الكتاب الذى عرفتموه الذى هو عندهم وهم ينتحلونه ويدعون الاقرار به من أحكام الله وفرائضه وما فيه من حدوده التى بينها فيه (1) الأمانى فقال بعضهم بما حدثنا به أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد عن بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس الأمانى يقول الا قولا يقولونه بأفواههم كذبا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد لا يعلمون الكتاب الا أمانى الا كذبا حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله وقال آخرون بما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة الأمانى يقول يتمنون على الله ما ليس لهم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة الأمانى يقول يتمنون على الله الباطل وما ليس لهم حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح عن على بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله لا يعلمون الكتاب الا أمانى يقول الا أحاديث حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أمانى قال أناس من يهود لم يكونوا يعلمون من الكتاب شيأ وكانوا يتكلمون بالظن بغير ما فى كتاب الله ويقولون هو من الكتاب أمانى يتمنونها حدثنا المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية الأمانى يتمنون على الله ما ليس لهم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله الا أمانى قال تمنوا فقالوا نحن من أهل الكتاب وليسوا منهم وأولى ما روينا فى تأويل قوله الا أمانى بالحق وأشبهه بالصواب الذى قاله ابن عباس الذى رواه عنه الضحاك وقول مجاهد ان الاميين الذين وصفهم الله بما وصفهم به فى هذه الآية وانهم لا يفقهون من الكتاب الذى أنزله الله على موسى شيأ ولكنهم يتخرصون الكذب ويتقوّلون الاباطيل كذبا وزورا والتمنى فى هذا الموضع هو تخلق الكذب وتخرصه وافتعاله يقال منه تمنيت كذا اذا افتعلته وتخرصته ومنه الخبر الذى روى عن عثمان بن عفان رضى الله عنه ما تغنيت ولا تمنيت يعنى بقوله ما تمنيت ما تخرّصت الباطل ولا اختلقت الكذب والافك والذى يدل على صحة ما قلنا فى ذلك وأنه أولى بتأويل قوله الا أمانى من غيره من الاقوال قول الله جل ثناؤه وان هم الا يظنون فاخبر عنهم جل ثناؤه أنهم يتمنون ما يتمنون من

---

(1) لعل هنا سقطا من الناسخ ووجه الكلام واختلف فى تأويل قوله الا أمانى الخ فحرر كتبه مصححه

وافق سهل اذا كانت قبل الياء فتحة فقط وقرأ أبو عمرو بكسر الهاء والميم الباقون بكسر الهاء وضم الميم النبيين وبابه بالهمزة نافع الا فى موضعين فى الاحزاب ان وهبت نفسها للنبى وبيوت النبى الا فروى اسمعيل وقالون عنه بغير همزة * الوقوف الحجر ط لحق المحذوف أى فضرب فانفجرت عينا ط مشربهم ط مفسدين ٥ وبصلها ط هو خير ط سألتم ط لان قوله وضربت ابتداء اخبار عما يؤل اليه حالهم من الله ط بغير الحق ط يعتدون ٥ التفسير جمهور المفسرين (٢٩٧) سوى أبى مسلم على أن هذا الاستسقاء كان فى التيه عطشوا فدعا لهم موسى بالسقيا فقيل له اضرب بعصاك الحجر أما العصا فقال الحسن كانت عصا أخذها من بعض الاشجار وقيل كانت من الجنة طولها عشرة أذرع على طول موسى ولها شعبتان تتقدان فى الظلمة وأما الحجر فاللام اما للعهد والاشارة الى حجر معلوم فقد روى أنه حجر طورى حمله معه وكان حجرا مربعا له أربعة أوجه كانت تنبع من كل وجه ثلاثة أعين لكل سبط عين تسيل فى جدول الى السبط الذى أمر أن يسقيهم وكانوا ستمائة ألف وسعة المعسكر اثنا عشر ميلا وقيل أهبطه آدم من الجنة فتوارثوه حتى وقع الى شعيب فدفعه اليه مع العصا وقيل هو الحجر الذى وضع عليه ثوبه حين اغتسل ورماه بنو اسرائيل بالادرة ففرّ به فقال له جبريل يقول الله تعالى ارفع هذا الحجر فان لى فيه قدرة ولك فيه معجزة فحمله فى مخلاته واما للجنس أى اضرب الشئ الذى يقال له الحجر وعن الحسن لم يأمره أن يضرب حجرا بعينه قال وهذا أظهر فى الحجة وأبين فى القدرة ثم انهم قالوا كيف بنا لو أفضينا الى أرض ليست فيها حجارة فحمل حجرا فى مخلاته فحيثما نزلوا ألقاه وأما الصنف والشكل فقيل كان من رخام وكان ذراعا فى ذراع وقيل مثل رأس الانسان وقيل له أربعة أوجه كما مر وهذا اذا لم يعتبر الفوقانى ومقابله وأما الضرب فقيل كان يضربه بعصاه فينفجر ويضربه بها فييبس فقالوا

ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فأوحى الله تعالى اليه لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون والفاء فى قوله فانفجرت فاء فصيحة كما سبق فى فتاب عليكم وفى هذا الحذف دلالة على أن موسى لم يتوقف عن اتباع الامر وأنه من انتفاء الشك عنه بحيث لا حاجة الى الافصاح به والانفجار والانبجاس واحد ومعناه خروج الماء بسعة وكثرة وأصل الفجر الشق ومنه الفاجر لانه يشق عصا المسلمين بمخالفتهم وقيل الانبجاس خروج الماء قليلا ووجه أن الفجر فى الاصل هو الشق والبجس الشق الضيق فلا يتناقضان كما لا يتناقض

المطلق والمقيد والعام والخاص أولعله انبجس أولا ثم انفجر ثانيا وكذا العيون تظهر الماء قليلا ثم يكثر لدوام خروجه أولعل حاجتهم تشتد تارة فينفجر وتضعف أخرى فينبجس (قد علم كل أناس) أي كل سبط (مشربهم) كأنه أمر كل سبط أن لا يشرب الا من جدول معين حسما لمادة التشاجر فان العادة في الرهط الواحد أن لا يقع بينهم من التنازع مثل ما يقع بين المختلفين وهذا أيضا من تمام النعمة عليهم وانما فقد العاطف لان قوله قد علم بيان وتفصيل لما (٣٩٨) أجمل في قوله اثنتا عشرة كأنه قيل هذا المجموع مشاع بينهم أو مقسوم فقيل قد علم (كلوا) على ارادة القول أي وقلنا أي قال لهم موسى كلوا من المن والسلوى الذي رزقنا كم بلا تعب ولا نصب واشربوا من هذا الماء وقيل ان الاغذية لا تنبت الا بالماء فلما أعطاهم الماء فكأنما أعطاهم المأكول والمشروب والعثو أشد الفساد ومفسدين قيل نصب على الحال المؤكدة وهو ضعيف فان من شرطها أن تكون مقررة لمضمون جملة اسمية وقيل حال منتقلة ومعناه النهي عن التمادي في حالة الافساد اما مطلقا أو مقيدا بأنه ان وقع التنازع بسبب ذلك الماء فلا تبالغوا في التنازع ورد على هذا القول أن الافساد منهي عنه مطلقا وهذا التفسير يقتضي أن يكون المنهي عنه هو التمادي في الافساد لا نفس الافساد والصحيح أن يقال ان المنصوبات في نحو قوله عزمن قائل ولا تعثوا في الارض مفسدين ثم وليتم مدبرين وفي نحو قولهم تعال جائيا وقم قائما من الصفات القائمة مقام المصدر نحو أقاعدا وقد سار الركب بقي في الآية بحث وهو أنه كيف يعقل خروج المياه الكثيرة من الحجر الصغير والجواب أما على القول بالفاعل المختار فظاهر فان له أن يحدث أي فعل خارق شاء من غير أن يطلب له سبب وواسطة وأما عند طالب الاسباب والوسائط فان العناصر الاربعة لها هيولى مشتركة عندهم وجوز انقلاب صور بعضها الى بعض فجاز استمداد الماء

الا كاذيب ظنا منهم لا يقينا ولو كان معنى ذلك انهم يتلونه لم يكونوا ظانين وكذلك لو كان معناه يشتهونه لان الذي يتلوه اذا تدبره علمه ولا يستحق الذي يتلو كتابا قرأه وان لم يتدبره بتركه التدبر أن يقال هو ظان لما يتلوا الا أن يكون شاكا في نفس ما يتلوه لا يدري أحق هو أم باطل ولم يكن القوم الذين كانوا يتلون التوراة على عصر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من اليهود فيما بلغنا شاكين في التوراة أنها من عند الله وكذلك المتمني الذي هو في معنى المتشهي غير جائز أن يقال هو ظان في تمنيه لان التمني من المتمني اذا تمنى ما فقد وجد عينه فغير جائز أن يقال هو شاك فيما هو به عالم لان العلم والشك معنيان ينفي كل واحد منهما صاحبه لا يجوز اجتماعهما في حيز واحد والمتمني في حال تمنيه موجود تمنيه غير جائز أن يقال هو يظن تمنيه وانما قيل لا يعلمون الكتاب الا أماني والاماني من غير نوع الكتاب كما قال ربنا جل ثناؤه ومالهم به من علم الا اتباع الظن والظن من العلم بمعزل وكما قال وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى وكما قال الشاعر

ليس بيني وبين قيس عتاب * غير طعن الكلى وضرب الرقاب

وكما قال نابغة بني ذبيان

حلفت يمينا غير ذي مثنوية * ولا علم الا حسن ظن بغائب

في نظائر لما ذكرنا يطول باحصائها الكتاب ويخرج بالا ما بعدها من معنى ما قبلها ومن صفته وان كان كل واحد منهما من غير شكل الآخر ومن غير نوعه ويسمى ذلك بعض أهل العربية استثناء منقطعا لانقطاع الكلام الذي يأتي بعد الا عن معنى ما قبلها وانما يكون ذلك كذلك في كل موضع حسن أن يوضع فيه مكان الا لكن فيعلم حينئذ انقطاع معنى الثاني عن معنى الاول ألا ترى أنك اذا قلت ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أماني ثم أردت وضع لكن مكان الا وحذف الا وجدت الكلام صحيحا معناه صحته وفيه الا وذلك اذا قلت ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب لكن أماني يعني لكنهم يتمنون وكذلك قوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن لكن اتباع الظن بمعنى لكنهم يتبعون الظن وكذلك جميع هذا النوع من الكلام على ما وصفنا وقد ذكر عن بعض القراء أنه قرأ الا أماني مخففة ومن خفف ذلك وجهه الى نحو جمعهم المفتاح مفاتح والقرقور قراقر وان ياء الجمع لما حذفت خففت الياء الاصلية أعني من الاماني كما جمعوا الاثفية أثافي مخففة كما قال زهير بن أبي سلمى

أثافي سفعا في معرس مرجل * ونؤيا كجذم الحوض لم يتثلم

وأما من ثقل أماني فشدد ياءها فانه وجه ذلك الى نحو جمعهم المفتاح مفاتيح والقرقور قراقير والزنبور زنابير فاجتمعت ياء فعاليل ولامها وهما جميعا ياآن فأدغمت احداهما في الأخرى فصارتا ياء واحدة مشددة فأما القراءة التي لا يجوز غيرها عندي لقارئ في ذلك فتشديد ياء الاماني لاجماع القراء على أنها القراءة التي مضى على القراءة بها السلف مستفيض ذلك بينهم غير مدفوعة صحته وشذوذ القارئ بتخفيفها عما عليه الحجة مجمعة في ذلك وكفى خطأ على قارئ ذلك بتخفيفها اجماعها

على

الكامن في الحجر من الهواء المجاور له ومثل هذا ما رواه أنس أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم باناء وهو بالزوراء فوضع يده في الاناء فجعل الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ القوم قال قتادة قلت لانس كم كنتم قال ثلثمائة أو زهاء ثلثمائة بل معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم أقوى لان نبوع الماء من الحجر معهود في الجملة أما نبوعه من بين الاصابع فغير معتاد قال أهل الاشارة الروح الانساني وصفاته في عالم القالب بمثابة موسى وقومه

وانه يستسقى ربه لا رواتها من ماء الحكمة والمعرفة فيضرب بعصا لا اله الا الله ولها شعبتان من النفي والاثبات تتقدان نورا عند استيلاء ظلمات النفس على حجر القلب فيتفجر اثنتاعشرة عينا من ماء الحكمة بعدد حروف لا اله الا الله قد علم كل سبط من أسباط الانسان وهي خمس حواس ظاهرة وخمس باطنة مع القلب والنفس مشربهم فيستوي في حظه بحسب مشربه قوله سبحانه واذ قلتم ياموسى الآية زعم بعض المفسرين أن هذا السؤال منهم كان معصية فان اللائق بحال المكلف الصبر على

ما ساقه الله تعالى اليه خصوصا اذا كان نعمة وعفوا وصفوا ولاسيما اذا كان المسؤل أدون وأحقر ولهذا أنكره موسى عليه السلام قال أتستبدلون وقال الآخرون انه غير معصية لان قوله كلوا واشربوا عند انزال المن والسلوى وانفجار الماء أمر اباحة لا ايجاب ثم انهم كانوا أهل فلاحة فرغبوا الى مألوفهم ورغبة الانسان فيما اعتاده في أصل التربية وان كان خسيسا فوق رغبته فيما لا يعتاد وان كان شريفا ولعلهم سئموا من التيه فسألوا هذه الاطعمة التي لا توجد الا في البلاد وغرضهم البلاد وأيضا المواظبة على الطعام الواحد تميت الشهوة وتضعف الهضم فيصح أن يكون التبديل مطلوبا بالعقلاء ولهذا أجابهم الله تعالى الى ما سألوا ولو كان معصية لم يجبهم الى ذلك اللهم الا أن يكون من قبيل ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب وانما صح اطلاق الطعام الواحد على المن والسلوى لانهم أرادوا بالوحدة نفي التبدل والاختلاف ولو كان على مائدة الرجل ألوان عدة يداوم عليها ويأكلها كل يوم لا يبدلها قيل لا يأكل فلان الا طعاما واحدا ويجوز أن يريدوا أنهما ضرب واحد لانهما معا من طعام أهل التلذذ والترفه ونحن أهل زراعة ما نريد الا ما ألفناه ومعنى يخرج لنا يوجد ويظهر والبقل ما أنبتته الأرض من الخضر كالنعناع والكرفس والكراث وغير ذلك من أطايب البقول التي يأكلها الناس عادة والقثاء الخيار والفوم الثوم ويدل عليه قراءة عبد الله وثومها وهو بالعدس والبصل أوفق وقال بعضهم الفوم الحمص لغة شامية ويقال هو الحنطة ومنه قولهم فوموا لنا أي اختبزوا وقال الفراء هي لغة قديمة (الذي هو أدنى) أي أقرب منزلة وأدون مقدارا كقولهم في ضده هو بعيد المحل وبعيد الهمة يعنون الرفعة والعلو (اهبطوا مصرا) أي انحدروا اليه من التيه يقال هبط

على تخطئته ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وان هم الا يظنون) يعني بقوله جل ثناؤه وان هم الا يظنون وما هم كما قال جل ثناؤه قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم يعني بذلك ما نحن الا بشر مثلكم ومعنى قوله الا يظنون الا يشكون ولا يعلمون حقيقته وصحته والظن في هذا الموضع الشك فمعنى الآية ومنهم من لا يكتب ولا يخط ولا يعلم كتاب الله ولا يدري ما فيه الا تخرصا وتقولا على الله الباطل ظنا منه أنه محق في تخرصه وتقوله الباطل وانما وصفهم الله تعالى ذكره بأنهم في تخرصهم على ظن أنهم محقون وهم مبطلون لانهم كانوا قد سمعوا من رؤسائهم وأحبارهم أمورا حسبوها من كتاب الله ولم تكن من كتاب الله فوصفهم جل ثناؤه بانهم يتركون التصديق بالذي يوقنون به أنه من عند الله مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ويتبعون ما هم فيه شاكون وفي حقيقته مرتابون مما أخبرهم به كبراؤهم ورؤساؤهم وأحبارهم عنادا منهم لله ولرسوله ومخالفة منهم لامر الله واغترارا منهم بامهال الله اياهم وبنحو ما قلنا في تأويل قوله وان هم الا يظنون قال فيه المتأولون من السلف حدثني محمد بن عمرو قال حدثنا أبو عاصم قال حدثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وان هم الا يظنون الا يكذبون حدثني المثنى قال حدثنا أبو حذيفة قال حدثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال حدثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن اسحق قال حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس لا يعلمون الكتاب الا أماني وان هم الا يظنون أي لا يعلمون ولا يدرون ما فيه وهم يجحدون نبوتك بالظن حدثنا بشر قال حدثنا يزيد قال حدثنا سعيد عن قتادة وان هم الا يظنون قال يظنون الظنون بغير الحق حدثني المثنى قال حدثنا آدم قال حدثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية قال يظنون الظنون بغير الحق حدثت عن عمارة قال حدثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع مثله ۞ القول في تأويل قوله تعالى (فويل) اختلف أهل التأويل في تأويل قوله فويل فقال بعضهم بما حدثنا أبو كريب قال حدثنا عثمان بن سعيد عن بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس فويل لهم يقول فالعذاب عليهم وقال آخرون بما حدثنا به ابن بشار قال حدثنا ابن مهدي قال حدثنا سفيان عن زياد بن فياض قال سمعت أبا عياض يقول الويل ما يسيل من صديد في أصل جهنم حدثنا بشر بن أبان الحطاب قال حدثنا وكيع عن سفيان عن زياد بن فياض عن أبي عياض في قوله فويل قال صهريج في أصل جهنم يسيل فيه صديدهم حدثنا علي بن سهل الرملي قال حدثنا زيد بن أبي الزرقاء قال حدثنا سفيان عن زياد بن فياض عن أبي عياض قال الويل واد من صديد في جهنم حدثنا ابن حميد قال حدثنا مهران عن شقيق قال ويل ما يسيل من صديد في أصل جهنم وقال آخرون بما حدثنا به المثنى قال حدثنا ابراهيم بن عبد السلام بن صالح التستري قال حدثنا علي بن جرير عن حماد بن سلمة عن عبد الحميد بن جعفر عن كنانة العدوي عن عثمان بن عفان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الويل جبل في النار

الوادى اذا نزل به وهبط منه اذا خرج وبلاد التيه ما بين بيت المقدس الى قنسرين اثنا عشر فرسخا فى ثمانية ومصر إما مصر فرعون والتنوين فيه فى القراآت المعتبرة مع أن فيه العلمية والتأنيث لسكون وسطه كما فى نوح ولوط وفيهما العلمية والعجمية واما مصر من الامصار كأنه قيل لهم ادخلوا بلدا أى بلد كان تجدوا فيه هذه الاشياء ولما ذكر الله سبحانه صنوف نعمه على بنى اسرائيل اجمالا ثم تفصيلا أراد أن يبين ما آل حالهم ليكون عبرة للنظار وتبصرة لاولى الابصار وتحذيرا (٣٠٠) للانسان عن الجحود والكفران المستتبعين للخزى والهوان فقال وضربت عليهم الذلة والمسكنة أى جعلت محيطة بهم مشتملة عليهم كالقبة المضروبة على الشخص أو ألصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازب كما يضرب الطين على الحائط فيلصق به فاليهود صاغرون أذلاء أهل مسكنة ومدقعة إما على الحقيقة واما لتصاغرهم وتفاقرهم خيفة أن تضاعف عليهم الجزية وهذا من جملة الاخبار عن الغيب الدال على كون القرآن وحيا نازلا من السماء على محمد صلى الله عليه وسلم هذا حالهم فى الدنيا وأما حالهم فى العقبى فذلك قوله و باؤا بغضب من الله من قولك باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به لمساواته له ومكافاته أى صاروا أحقاء بغضبه وهو ارادة انتقامه (ذلك) الذى ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والخلاقة بالغضب بسبب كفرهم بآيات الله أى القرآن بل و بالتوراة لان الكفر به مستلزم للكفر بها وقتلهم الانبياء وقد قتلت اليهود لعنوا شعيبا و زكريا و يحيى وغيرهم بغير الحق أى من غير ما شبهة عندهم توجب استحقاق القتل فان الآتى بالباطل قد يكون اعتقده حقا لشبهة عنت له وقد يأتى به مع علمه بكونه باطلا ولا شك أن الثانى أقبح وأدخل فى القبحة أو كرر للتأكيد نحو ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به ومحال أن يكون لمدعى الاله الثانى برهان والنبىء بالهمزة فعيل بمعنى فاعل ما من نبأ أى أخبر لأنه نبأ عن الله تعالى قال سيبويه ليس أحد من العرب الا و يقول تنبأ مسيلمة بالهمز غير أنهم تركوا الهمز فى النبى كما تركوه فى الذرية والبرية والخابية الا أهل مكة فانهم يهمزون هذه الاحرف ولا يهمزون غيرها و يخالفون العرب فى ذلك وقيل اصله من نبأت من أرض الى أرض أى خرجت منها الى أخرى وهذا المعنى أراد الاعرابى بقوله يا نبىء الله أى يا من خرج من مكة الى

حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال حدثنى عمرو بن الحرث عن دراج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم قال و يل واد فى جهنم يهوى فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ الى قعره (قال أبو جعفر) فمعنى الآية على ما روى عمن ذكرت قوله فى تأويل و يل فالعذاب الذى هو شرب صديد أهل جهنم فى أسفل الجحيم لليهود الذين يكتبون الباطل بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله

﴿ القول فى تأويل قوله تعالى (فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا) يعنى بذلك الذين حرفوا كتاب الله من يهود بنى اسرائيل وكتبوا كتابا على ما تأولوه من تأويلاتهم مخالفا لما أنزل الله على نبيه موسى صلى الله عليه وسلم ثم باعوه من قوم لا علم لهم بها ولا بما فى التوراة جهال بما فى كتب الله لطلب عرض من الدنيا خسيس فقال الله لهم فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون كما حدثنى موسى قال حدثنا عمرو قال حدثنا أسباط عن السدى فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا قال كان ناس من اليهود كتبوا كتابا من عندهم يبيعونه من العرب ويحدثونهم أنه من عند الله ليأخذوا به ثمنا قليلا حدثنا أبو كريب قال حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثنا بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس قال الاميون قوم لم يصدقوا رسولا أرسله الله ولا كتابا أنزله الله فكتبوا كتابا بأيديهم ثم قالوا لقوم سفلة جهال هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا قال عرضا من عرض الدنيا حدثنى محمد بن عمرو قال حدثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله الذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله قال هؤلاء الذين عرفوا أنه من عند الله يحرفونه حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله الا أنه قال ثم يحرفونه حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد عن قتادة فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم الآية وهم اليهود حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله قال كان ناس من بنى اسرائيل كتبوا كتابا بأيديهم ليتأكلوا الناس فقالوا هذا من عند الله وما هو من عند الله حدثنى المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبى العالية قوله فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا قال عمدوا الى ما أنزل الله فى كتابهم من نعت محمد صلى الله عليه وسلم فحرفوه عن مواضعه يبتغون بذلك عرضا من عرض الدنيا فقال فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون حدثنى المثنى بن ابراهيم قال ثنا ابراهيم بن عبد السلام قال ثنا على ابن جرير عن حماد بن سلمة عن عبد الحميد بن جعفر عن كنانة العدوى عن عثمان بن عفان رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون الويل جبل فى النار وهو الذى أنزل فى اليهود لانهم حرفوا التوراة وزادوا فيها ما يحبون ومحوا منها

مايكرهون ومحوا اسم محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة فلذلك غضب الله عليهم فرفع بعض التوراة فقال فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني سعيد بن أبي أيوب عن محمد بن عجلان عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار قال ويل واد في جهنم لو سيرت فيه الجبال لانماعت من شدة حره (قال أبو جعفر) ان قال لنا قائل وما وجه فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم وهل تكون الكتابة بغير اليد حتى احتاج المخاطبون بهذه المخاطبة الى أن يخبروا عن هؤلاء القوم الذين قص الله قصتهم انهم كانوا يكتبون الكتاب بأيديهم قيل له ان الكتاب من بني آدم وان كان منهم باليد فانه قد يضاف الكتاب الى غير كاتبه وغير المتولى رسم خطه فيقال كتب فلان الى فلان بكذا وان كان المتولى كتابته بيده غير المضاف اليه الكتاب اذا كان الكاتب كتبه بأمر المضاف اليه الكتاب فأعلم ربنا بقوله فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم عباده المؤمنين أن أحبار اليهود تلي كتابة الكذب والفرية على الله بأيديهم على علم منهم وعمد للكذب على الله ثم تنحله الى أنه من عند الله وفي كتاب الله تكذبا على الله وافتراء عليه فنفى جل ثناؤه بقوله يكتبون الكتاب بأيديهم أن يكون ولي كتابة ذلك بعض جهالهم بأمر علمائهم وأحبارهم وذلك نظير قول القائل باعني فلان عينه كذا وكذا فاشترى فلان نفسه كذا يراد بادخال النفس والعين في ذلك نفي اللبس عن سامعه أن يكون المتولي بيع ذلك وشراءه غير الموصوف به بأمره ويوجب حقيقة الفعل للمخبر عنه فكذلك قوله فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم

❁ القول في تأويل قوله تعالى (فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون) يعني جل ثناؤه بقوله فويل لهم مما كتبت أيديهم أي فالعذاب في الوادي السائل من صديد أهل النار في أسفل جهنم لهم يعني للذين يكتبون الكتاب الذي وصفنا أمره من يهود بني اسرائيل محرفا ثم قالوا هذا من عند الله ابتغاء عرض من الدنيا به قليل ممن يبتاعه منهم وقوله مما كتبت أيديهم يقول من الذي كتبت أيديهم من ذلك وويل لهم أيضا مما يكسبون يعني مما يعملون من الخطايا ويجترحون من الآثام ويكسبون من الحرام بكتابهم الذي يكتبونه بأيديهم بخلاف ما أنزل الله ثم يأكلون ثمنه وقد باعوه ممن باعوه منهم على أنه من كتاب الله كما حدثني المثنى قال ثنا آدم قال حدثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية وويل لهم مما يكسبون يعني من الخطيئة حدثنا أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد عن بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس فويل لهم يقول فالعذاب عليهم قال يقول من الذي كتبوا بأيديهم من ذلك الكذب وويل لهم مما يكسبون يقول مما يأكلون به من السفلة وغيرهم (قال أبو جعفر) وأصل الكسب العمل فكل عامل عملا بمباشرة منه لما عمل ومعاناة باحتراف فهو كاسب لما عمل كما قال لبيد بن ربيعة

لمعفر قهد تنازع شلوه * غبس كواسب لا يمن طعامها

❁ القول في تأويل قوله (وقالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودة) يعني بقوله وقالوا اليهود يقول وقالت

المدينة فأنكر عليه صلى الله عليه وسلم الهمزة وقيل النبي بالادغام من النبوة وهي ما ارتفع من الارض أي انه صلى الله عليه وسلم شرف على سائر الخلق فعيل بمعنى مفعول والجمع أنبياء وعلى الاول انما جمع على أنبياء لان الهمز لما أبدل وألزم الابدال جمع جمع ما أصل لامه حرف العلة (ذلك بما عصوا) تأكيد بتكرير الشيء بغير اللفظ الاول كقول السيد لعبده وقد احتمل منه ذنوبا سلفت منه فعاقبه عند آخرها هذا بما عصيتني وخالفت أمري هذا بما تجرأت على واغتررت بحلمي ويجوز أن يشار بذلك الى الكفر والقتل على معنى انهم مكوا في العصيان والاعتداء حتى قست قلوبهم فجسروا على جحود الآيات وقتل الانبياء أو تكون الباء بمعنى مع أي ذلك الكفر والقتل مع ما عصوا سائر أنواع المعاصي واعتدوا حدود الله في كل شيء وقيل هو اعتداؤهم في السبت واعلم أنه سبحانه لما ذكر انزال العقوبة بهم بين سبب ذلك أولا بما فعلوه في حق الله وهو جهلهم به وجحدهم لنعمه ثم ثناه بما يتلوه في العظم وهو قتل الانبياء ثم ثلثه بما يكون منهم من المعاصي المتعدية الى الغير مثل الاعتداء والظلم وذلك في نهاية الترتيب وقيل الأول اشارة الى متقدميهم والثاني اشارة الى من كان في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فكأنه تعالى بين سبب ما نزل بالفريقين من البلاء والمحنة ليظهر للخلائق أن ذلك على قانون العدالة وقضية الحكمة فان قيل لم قيل ههنا ويقتلون النبيين بغير الحق وفي آل عمران ويقتلون النبيين بغير حق منكرا قلت الحق المعلوم فيما بين المسلمين الذي يوجب القتل ما في قوله صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل نفس بغير حق فالحق المعرف اشارة الى هذا وأما الحق المنكر فالمراد به تأكيد العموم أي لم يكن هناك حق لا هذا الذي يعرفه المسلمون ولا غيره البتة (ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين) القراآت النصارى بالامالة أبو عمرو وحمزة وعلي وخلف وورش من طريق النجاري

والحراز عن هبيرة وكذلك كل راء بعدها ياء وروى قتيبة بكسر الصاد والراء وكذلك قوله سكارى وأسارى ويوارى وأوارى كلها بامالة ما قبل الالف والصابئين بغير همزة أبو جعفر ونافع وحمزة في الوقف وان شاء لين الهمزة * الوقوف عند ربهم ز لنوع عدول عن اثبات الى نفي مع اتفاق الجملتين ويحزنون ه الطور ط لان التقدير قلنا لكم خذوا تتقون ه من بعد ذلك ج لان لولا للابتداء وقد دخل الفاء فيه الخاسرين ه خاسئين ه ج للآية والعطف بالفاء المتقين ه (٣٠٢) * التفسير قد انجر الكلام في الآي المتقدمة الى وعيد أهل الكتاب ومن يقفوا آثارهم

فقرن به ما يتضمن الوعد جريا على عادته سبحانه من ذكر الترغيب مع الترهيب فقال ان الذين آمنوا واختلف المفسرون ههنا لان قوله في آخر الآية من آمن يدل على أن المراد من قوله آمنوا شيء آخر كقوله يا أيها الذين آمنوا آمنوا فعن ابن عباس المراد ان الذين آمنوا قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم بعيسى عليه السلام مع البراءة من أباطيل اليهود والنصارى كقس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وسلمان الفارسي وأبي ذر الغفاري كأنه قيل ان الذين آمنوا قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم والذين كانوا على الدين الباطل لليهود والذين كانوا على الدين الباطل للنصارى كل من آمن بعد مبعث محمد صلى الله عليه وسلم بالله واليوم الآخر وبمحمد صلى الله عليه وسلم فلهم أجرهم وعن سفيان الثوري ان الذين آمنوا باللسان دون القلب وهم المنافقون والذين تهودوا يقال هاد يهود وتهود اذا دخل في اليهودية والنصارى والصابئين كل من أتى منهم بالايمان الحقيقي فلهم كذا وقيل الذين آمنوا هم المؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم في الحقيقة وهو عائد الى الماضي وكأنه قيل ان الذين آمنوا في الماضي واليهود والنصارى والصابئين كل من آمن منهم وثبت على ذلك في المستقبل واستمر واشتقاق اليهود قيل من قولهم انا هدنا اليك أي تبنا ورجعنا عن ابن عباس وقيل نسبوا الى يهودا أكبر ولد يعقوب وقيل انهم يتهودون أي يتحركون عند قراءة التوراة واشتقاق النصارى قيل من ناصرة قرية كان ينزلها عيسى صلى الله عليه وسلم قاله ابن عباس وقتادة وابن جريج وقيل لتناصرهم فيما بينهم أي لنصرة بعضهم بعضا وقيل لان عيسى صلى الله عليه وسلم قال للحواريين من أنصاري الى الله وواحد النصارى نصران ومؤنثه نصرانة والياء في نصراني

لا

اليهود لن تمسنا النار يعني لن تلاقي أجسامنا النار ولن ندخلها الا أياما معدودة وانما قيل معدودة وان لم يكن مبينا عددها في التنزيل لان الله جل ثناؤه أخبر عنهم بذلك وهم عارفون عدد الايام التي يوقتونها لمكثهم في النار فلذلك ترك ذكر تسمية عدد تلك الايام وسماها معدودة لما وصفنا ثم اختلف أهل التأويل في مبلغ الايام المعدودة التي عينها اليهود القائلون ما أخبر الله عنهم من ذلك فقال بعضهم بما حدثنا به أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد عن بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس وقالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودة قال ذلك أعداء الله اليهود قالوا لن يدخلنا الله النار الا تحلة القسم الايام التي أصبنا فيها العجل أربعين يوما فاذا انقضت عنا تلك الايام انقطع عنا العذاب والقسم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله لن تمسنا النار الا أياما معدودة قالوا أياما معدودة بما أصبنا في العجل حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي وقالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودة قال قالت اليهود ان الله يدخلنا النار فنمكث فيها أربعين ليلة حتى اذا أكلت النار خطايانا واستنقتنا نادى مناد أخرجوا كل مختون من ولد بني اسرائيل فلذلك أمرنا أن نختتن قالوا فلا يدعون منا في النار أحدا الا أخرجوه حدثني المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية قال قالت اليهود ان ربنا عتب علينا في أمرنا فأقسم ليعذبنا أربعين ليلة ثم يخرجنا فأكذبهم الله حدثني المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن قتادة قال قالت اليهود لن ندخل النار الا تحلة القسم عدد الايام التي عبدنا فيها العجل حدثني محمد بن سعد قال حدثني أبي قال حدثني عمي قال حدثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله لن تمسنا النار الا أياما معدودة الآية قال ابن عباس ذكر أن اليهود وجدوا في التوراة مكتوبا ان ما بين طرفي جهنم مسيرة أربعين سنة الى أن ينتهوا الى شجرة الزقوم نابتة في أصل الجحيم وكان ابن عباس يقول ان الجحيم سقر وفيها شجرة الزقوم فزعم أعداء الله أنه اذا خلا العدد الذي وجدوا في كتابهم أياما معدودة وانما يعني بذلك المسير الذي ينتهي الى أصل الجحيم فقالوا اذا خلا العدد انتهى الاجل فلا عذاب وتذهب جهنم وتهلك فذلك قوله لن تمسنا النار الا أياما معدودة يعنون بذلك الاجل فقال ابن عباس لما اقتحموا من باب جهنم ساروا في العذاب حتى انتهوا الى شجرة الزقوم آخر يوم من الايام المعدودة قال لهم خزان سقر زعمتم أنكم لن تمسكم النار الا أياما معدودة فقد خلا العدد وأنتم في الابد فأخذ بهم في الصعود في جهنم يرهقون حدثني محمد بن سعد قال حدثني أبي قال حدثني عمي قال حدثني أبي عن أبيه عن ابن عباس وقالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودة الا أربعين ليلة حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا حفص بن عمر عن الحكم بن أبان عن عكرمة قال خاصمت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لن ندخل النار الا أربعين ليلة وسيخلفنا فيها قوم آخرون يعنون محمدا وأصحابه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده على رؤسهم بل أنتم فيها خالدون

للمبالغة كالتي في أجرى والصابئين بالهمزة اشتقاقه من صبأ الرجل يصبأ صبوأ اذا خرج من دينه الى دين آخر وكانت العرب يسمون النبي صلى الله عليه وسلم صابئا لانه صلى الله عليه وسلم أظهر دينا على خلاف أديانهم عن مجاهد والحسن هم طائفة من اليهود والمجوس لا تؤكل ذبائحهم ولا تنكح نساؤهم وعن قتادة قوم يعبدون الملائكة ويصلون للشمس كل يوم خمس مرات وقيل وهو الاقرب أنهم قوم يعبدون الكواكب ثم فيهم قولان الاول ان خالق العالم هو الله سبحانه الا أنه أمر بتعظيم هذه الاجرام واتخاذها قبلة للصلاة والدعاء والثاني أنه سبحانه خلق الافلاك والكواكب وفوض التدبير اليها فيجب على البشر تعظيمها لانها هي الآلهة المدبرة لهذا العالم ثم انها تعبد الله سبحانه و ينسب هذا المذهب الى الكلدانيين الذين جاءهم ابراهيم عليه السلام فبين الله تعالى أن هذه الفرق الاربع اذا آمنوا بالله ويدخل فيه الايمان بكل ما أوجبه كالايمان برسله وآمنوا باليوم الآخر وبما وعد فيه فان أجرهم متيقن جار مجرى الحاصل عند الله تعالى ومحل من آمن رفع على أنه مبتدأ خبره فلهم أجرهم والجملة خبر ان أو نصب على أنه بدل من اسم ان والمعطوفات عليه وخبر ان فلهم أجرهم والفاء لتضمن من أو الذين معنى الشرط قال أهل البرهان قدم النصارى على الصابئين لانهم أهل كتاب وعكس الترتيب في الحج لان الصابئين مقدمة على النصارى بالزمان وراعى في المائدة المعنيين فقدمهم في اللفظ وأخرهم في التقدير لان تقديره والصابئون كذلك وقوله سبحانه واذ أخذنا ميثاقكم مخاطبة فيها معاتبة لاشتمالها على تذكير النعم وتقرير المنعم وللمفسرين في هذا الميثاق أقوال أحدها أنه ما أودع الله العقول من الدلائل الدالة على وجود الصانع وقدرته وحكمته وعلى صدق أنبيائه ورسله وهو أقوى المواثيق والعهود لانه لا يحتمل الخلف والكذب والتبدل بوجه من الوجوه وهو قول الاصم وثانيها ما روى عن عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم أن موسى عليه السلام لما رجع من عند ربه بالالواح قرأ ما فيها من الاخبار والتكاليف الشاقة فكبرت عليهم وأبوا قبولها فأمر جبرائيل بقلع الطور من أصله ورفعه فظلله فوقهم وقال لهم موسى ان قبلتم والا ألقى عليكم حينئذ قبلوا وأعطوا الميثاق وعن ابن عباس ان لله ميثاقين الاول حين أخرجهم من صلب آدم وأشهدهم على أنفسهم والثاني أنه تعالى ألزم الناس متابعة الانبياء والمراد ههنا هو

لا يخلفكم فيها أحد فأنزل الله جل ثناؤه وقالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال حدثنا حجاج عن ابن جريج قال أخبرني الحكم بن أبان عن عكرمة قال اجتمعت يهود يوما تخاصم النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودة وسموا أربعين يوما ثم يخلفنا أو يلحقنا فيها أناس فأشاروا الى النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبتم بل أنتم فيها خالدون مخلدون لا نلحقكم ولا نخلفكم فيها ان شاء الله أبدا **حدثني** يونس ابن عبد الاعلى قال أخبرنا علي بن معبد عن أبي معاوية عن جويبر عن الضحاك في قوله لن تمسنا النار الا أياما معدودة قال قالت اليهود لا نعذب في النار يوم القيامة الا أربعين يوما مقدار ما عبدنا العجل **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد حدثني أبي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم أنشدكم بالله وبالتوراة التي أنزلها الله على موسى يوم طور سيناء من أهل النار الذين أنزلهم الله في التوراة قالوا ان ربهم غضب عليهم غضبة فنمكث في النار أربعين ليلة ثم نخرج فتخلفونا فيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبتم والله لا نخلفكم فيها أبدا فنزل القرآن تصديقا لقول النبي صلى الله عليه وسلم وتكذيبا لهم وقالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودة قل أتخذتم عند الله عهدا الى قوله هم فيها خالدون وقال آخرون في ذلك بما **حدثنا** أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير قال ثنا ابن اسحق قال حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال حدثني سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال كانت يهود يقولون انما مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وانما يعذب الله الناس يوم القيامة بكل ألف سنة من أيام الدنيا يوما واحدا من أيام الآخرة وانها سبعة أيام فأنزل الله في ذلك من قولهم وقالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودة الآية **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق قال حدثني محمد بن أبي محمد عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ويهود تقول انما مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وانما يعذب الناس في النار بكل ألف سنة من أيام الدنيا يوما واحدا في النار من أيام الآخرة فانما هي سبعة أيام ثم ينقطع العذاب فأنزل الله عز وجل في ذلك من قولهم لن تمسنا النار الآية **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله وقالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودة قال كانت تقول انما الدنيا سبعة آلاف سنة وانما نعذب مكان كل ألف سنة يوما **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله الا أنه قال كانت اليهود تقول انما الدنيا وسائر الحديث مثله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال حدثني حجاج قال قال ابن جريج قال مجاهد وقالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودة من الدهر وسموا عدة سبعة آلاف سنة من كل ألف سنة يوما يهود تقوله ۞ القول في تأويل قوله تعالى (قل أتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون) قال أبو جعفر لما قالت اليهود ما قالت من قولها لن تمسنا النار الا أياما معدودة على ما قد بينا من تأويل ذلك قال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم

هذا العهد وانما قال ميثاقكم ولم يقل مواثيقكم للعلم بذلك كقوله يخرجكم طفلا أى كل واحد منكم أولان الميثاق بشئ واحد أخذ من كل واحد منهم ولوقال مواثيقكم لاشبه أن يكون لكل منهم ميثاق آخر والواو فى ورفعنا اماواو عطف ان جعل الميثاق مقدما على رفع الجبل كما فى قول الاصم وابن عباس واماواو الحال ان جعل مقارنا للرفع كأنه قال واذ أخذنا ميثاقكم عند رفعنا الطور فوقكم والطور قيل الجبل مطلقا وعن ابن عباس أنه جبل من جبال (٣٠٤) فلسطين وقيل جبل معهود والاقرب أنه الجبل الذى وقعت المناجاة عليه وقد يجوز أن ينقله الله تعالى الى حيث هم فيجعله فوقهم وان كان بعيدا منهم فان القادر على أن يسكن الجبل فى الهواء قادر على أن ينقله اليهم من المكان البعيد (خذوا) على ارادة القول أى وقلنا خذوا (ما آتيناكم) من الكتاب (بقوة) بجد وعزيمة غير متكاسلين ولا متثاقلين وقيل بقوة ربانية (واذكروا ما فيه) احفظوا ما فى الكتاب وادرسوه ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه وانما يحمل على نفس الذكر لان الذكر الذى هو ضد النسيان من فعل الله فكيف يجوز الامر به (لعلكم تتقون) رجاء منكم أن تكونوا متقين أو قلنا خذوا ارادة أن تتقوا (ثم توليتم) معطوف على محذوف أى فقبلتم والتزمتم ثم أعرضتم عن الميثاق والوفاء به ويمكن أن يقال أخذ الميثاق عبارة عن قبولهم فلا حاجة الى تقدير (من بعد ذلك) أى من بعد القبول والالتزام قال القفال قد يعلم فى الجملة أنهم بعد قبول التوراة ورفع الطور تولوا عن التوراة بأمور كثيرة فحرفوا التوراة وتركوا العمل به وقتلوا الانبياء وكفروا بهم وعصوا أمرهم ولعل فيها ما اختص به بعضهم دون بعض ومنها ما عمله أوائلهم ومنها ما فعله متأخروهم ولم يزالوا فى التيه مع مشاهدتهم الاعاجيب ليلا ونهارا يخالفون موسى و يعترضون عليه و يلقونه بكل أذى و يجاهرون بالمعاصى فى عسكره حتى لقد خسف ببعضهم ودل وأحرقت النار بعضهم وعوقبوا بالطاعون وكل هذا مذكور فى تراجم التوراة التى يقرؤنها ثم فعل متأخروهم ما لا خفاء به حتى عوقبوا بتخريب بيت المقدس وكفروا بالمسيح وهموا بقتله فغير عجيب انكارهم ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب وجحودهم لحقه صلى الله عليه وسلم وحالهم فى كتابهم ونبيهم ما ذكر (فلولا فضل الله عليكم ورحمته) بامهالكم وتأخير العذاب عنكم (لكنتم من الخاسرين) أى من

قل يا محمد لمعشر اليهود أتخذتم عند الله عهدا أخذتم بما تقولون من ذلك من الله ميثاقا فالله لا ينقض ميثاقه ولا يبدل وعده وعقده أم تقولون على الله الباطل جهلا وجراءة عليه كما حدثنا محمد بن عمرو قال حدثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قل أتخذتم عند الله عهدا أى موثقا من الله بذلك أنه كما تقولون حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن قتادة قال قالت اليهود لن ندخل النار الا تحلة القسم عدة الايام التى عبدنا فيها العجل فقال الله أتخذتم عند الله عهدا بهذا الذى تقولونه ألكم بهذا حجة وبرهان فلن يخلف الله عهده فهاتوا حجتكم وبرهانكم أم تقولون على الله ما لا تعلمون حدثنا أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد عن بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس قال لما قالت اليهود ما قالت قال الله جل ثناؤه لمحمد قل أتخذتم عند الله عهدا يقول أدخرتم عند الله عهدا يقول أقلتم لا اله الا الله لم تشركوا ولم تكفروا به فان كنتم قلتموها فارجوا بها وان كنتم لم تقولوها فلم تقولون على الله ما لا تعلمون يقول لو كنتم قلتم لا اله الا الله ولم تشركوا به شيأ ثم متم على ذلك لكان لكم ذخرا عندى ولم أخلف وعدى لكم أنى أجازيكم بها حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال لما قالت اليهود ما قالت قال الله عز وجل قل أتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده وقال فى مكان آخر وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون ثم أخبر الخبر فقال بلى من كسب سيئة وهذه الاقوال التى رويناها عن ابن عباس ومجاهد وقتادة بنحو ما قلنا فى تأويل قوله قل أتخذتم عند الله عهدا لان مما أعطاه الله عباده من ميثاقه أن من آمن به وأطاع أمره نجاه من ناره يوم القيامة ومن الايمان به الاقرار بأن لا اله الا الله وكذلك من ميثاقه الذى واثقهم به أن من أتى الله يوم القيامة بحجة تكون له نجاة من النار فينجيه منها وكل ذلك وان اختلفت ألفاظ قائليه فمتفق المعانى على ما قلنا فيه والله تعالى أعلم القول فى تأويل قوله تعالى (بلى من كسب سيئة) وقوله بلى من كسب سيئة تكذيب من الله القائلين من اليهود لن تمسنا النار الا أياما معدودة واخبار منه لهم أنه يعذب من أشرك وكفر به وبرسله وأحاطت به ذنوبه فمخلد فى النار فان الجنة لا يسكنها الا أهل الايمان به وبرسوله وأهل الطاعة له والقائمون بحدوده كما حدثنا محمد بن حميد قال ثنا سلمة قال حدثنى محمد بن اسحق قال حدثنى محمد بن أبى محمد عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته أى من عمل مثل أعمالكم وكفر بمثل ما كفرتم به حتى يحيط كفره بما له من حسنة فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون (قال) وأما بلى فانها اقرار فى كل كلام فى أوله جحد كما نعم اقرار فى الاستفهام الذى لا جحد فيه وأصلها بل التى هى رجوع عن الجحد المحض فى قولك ما قام عمرو بل زيد فزيدت فيها الياء ليصلح عليها الوقوف اذ كانت بل لا يصلح عليها الوقوف اذ كانت عطفا ورجوعا عن الجحد ولتكون أعنى بلى رجوعا عن الجحد فقط واقرارا بالفعل الذى بعد الجحد فدلت الياء منها على معنى الاقرار والانعام (١)

(١) قوله والانعام أى الزيادة والمبالغة يقال فعل كذا وأنعم أى زاد وبالغ فليعلم كتبه مصححه

الهالكين الذين باعوا أنفسهم بنار جهنم ولكنكم خرجتم من هذا الخسران لان الله تعالى تفضل عليكم بالامهال حتى تبتم فان كلمة لولا تدل
على امتناع الثانى لوجود الاول فامتنع الخسران لوجود فضل الله ويحتمل أن يكون الخبر قد انتهى عند قوله ثم توليتم من بعد ذلك ويكون
قوله فلولا فضل الله رجوعا بالكلام الى أوله أى لولا لطف الله بكم برفع الجبل فوقكم لدمتم على ردكم الكتاب ولكنه تفضل عليكم ورحمكم
ولطف بكم بذلك حتى تبتم (قوله عز من قائل ولقد علمتم) اللام للابتداء ولا تكاد تدخل الماضى (٣٠٥) بدون قد لانها لتأكيد مضمون
الجملة الاسمية نحو لزيد قائم أو
لتأكيد المضارع نحو ليضرب زيد
لكن قد تقرب الماضى من الحال
فيصير الماضى كالمضارع مع تناسب
معنى قد ومعنى اللام فى التحقيق
وعند الكوفيين يقدر القسم قبله
عن ابن عباس ان هؤلاء القوم كانوا
فى زمن داود عليه السلام بأيلة على
ساحل البحر بين المدينة والشأم
وهو مكان من البحر يجتمع اليه
الحيتان من كل اوب فى شهر من
السنة حتى لا يرى الماء لكثرتها
وفى غير ذلك الشهر فى كل سبت
خاصة فحفروا حياضا عند البحر
وشرعوا اليها الجداول وكانت
الحيتان تدخلها فيصطادونها يوم
الاحد فذلك الحبس فى الحياض هو
اعتداؤهم ثم انهم أخذوا السمك
واستغنوا بذلك وهم خائفون من
العقوبة فلما طال العهد استنت
الابناء سنة الآباء واتخذوا الاموال
فمشى اليهم طوائف من أهل المدينة
الذين كرهوا الصيد فى السبت
فنهوهم فلم ينتهوا وقالوا نحن فى
هذا العمل منذ زمان فما زادنا الله به
الا خيرا فقيل لهم لا تغتروا بذلك
فربما ينزل بكم العذاب والهلاك
فأصبح القوم وهم قردة خاسئون
فمكثوا ثلاثة أيام ثم ماتوا قال بعضهم
وفى الكلام حذف أى ولقد
علمتم اعتداء الذين اعتدوا ليكون
المذكور من العقوبة جزاء لذلك

ودل لفظ بل على الرجوع عن الجحد (قال) وأما السيئة التى ذكر الله فى هذا المكان فانها
الشرك بالله كما حدثنا محمد بن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد عن سفيان قال حدثنى عاصم عن أبى
وائل بلى من كسب سيئة قال الشرك بالله حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن
ابن أبى نجيح عن مجاهد بلى من كسب سيئة شركا حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل
عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة
قوله بلى من كسب سيئة قال أما السيئة فالشرك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق
قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى بلى من
كسب سيئة أما السيئة فهى الذنوب التى وعد عليها النار حدثنا القاسم قال ثنا
الحسين قال حدثنى حجاج عن ابن جريج قال قلت لعطاء بلى من كسب سيئة قال الشرك قال
ابن جريج قال قال مجاهد سيئة شركا حدثت عن عمار بن الحسن قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه
عن الربيع قوله بلى من كسب سيئة يعنى الشرك وانما قلنا ان السيئة التى ذكر الله جل ثناؤه
أن من كسبها وأحاطت به خطيئته فهو من أهل النار المخلدين فيها فى هذا الموضع انما عنى الله بها
بعض السيئات دون بعض وان كان ظاهرها فى التلاوة عاما لان الله قضى على أهلها بالخلود فى النار
والخلود فى النار لاهل الكفر بالله دون أهل الايمان به لتظاهر الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم بأن أهل الايمان لا يخلدون فيها وان الخلود فى النار لاهل الكفر بالله دون أهل الايمان به فان
الله جل ثناؤه قد قرن بقوله بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها
خالدون قوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون فكان معلوما بذلك
أن الذين لهم الخلود فى النار من أهل السيئات غير الذين لهم الخلود فى الجنة من أهل الايمان فان ظن
ظان أن الذين لهم الخلود فى الجنة من الذين آمنوا هم الذين عملوا الصالحات دون الذين عملوا السيئات
فان فى اخبار الله أنه مكفر باجتنابنا كبائر ما ننهى عنه سيئاتنا ومدخلنا المدخل الكريم ما ينبئ عن
صحة ما قلنا فى تأويل قوله بلى من كسب سيئة بأن ذلك على خاص من السيئات دون عامها * فان
قال لنا قائل فان الله جل ثناؤه انما ضمن لنا تكفير سيئاتنا باجتنابنا كبائر ما ننهى عنه فما الدلالة
على أن الكبائر غير داخلة فى قوله بلى من كسب سيئة قيل لما صح من أن الصغائر غير داخلة فيه
وان المعنى بالآية خاص دون عام ثبت وصح أن القضاء والحكم بها غير جائز لاحد على أحد الا على
من وقفه الله عليه بدلالة من خبر قاطع عذر من بلغه وقد ثبت وصح أن الله تعالى ذكره قد عنى بذلك
أهل الشرك والكفر به بشهادة جميع الامة فوجب بذلك القضاء على ان أهل الشرك والكفر ممن
عناه الله بالآية فأما أهل الكبائر فان الاخبار القاطعة عذر من بلغته قد تظاهرت عندنا بانهم غير
معنيين بها فمن أنكر ذلك ممن دافع حجة الاخبار المستفيضة والانباء المتظاهرة فاللازم له ترك قطع

 والسبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت والاعتداء فيه اما نفس الاصطياد لانهم أمروا فيه
بالتجرد للعبادة فتجاوزوا ما حد لهم واشتغلوا بالصيد وإما الاصطياد مع استحلاله وقوله كونوا المراد منه سرعة الايجاد واظهار القدرة وان لم
يكن هناك قول انما أمرنا الشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون وقردة خاسئين خبران أى كونوا جامعين بين القردة والخسوء وهو الصغار
والطرد عن مجاهد أنه مسخ قلوبهم بمعنى الطبع والختم لا أنه مسخ صورهم وهو مثل قوله كمثل الحمار يحمل أسفارا ونظيره أن يقول

الاستاذ للمتعلم البليد الذي لا ينجع فيه تعليمه كن حمارا واحتج بأن الانسان هو هذا الهيكل المحسوس فاذا أبطله وخلق مكانه تركيب القرد رجع حاصل المسخ الى اعدام الاعراض التي باعتبارها كان ذلك الجسم انسانا وايجاد أعراض أخر باعتبارها صار قردا وأيضا لو جوزنا ذلك لم نأمن في كل ما نراه قردا وكلبا أنه كان انسانا عاقلا وذلك شك في المشاهدات وأجيب بأن الانسان ليس هذا الهيكل لتبدله بالسمن والهزال فهو أمر وراء ذلك إما جسماني سار في جميع البدن أو جزء في جانب من البدن كقلب أو دماغ أو مجرد كما يقوله الفلاسفة وعلى التقادير فلا امتناع في بقاء ذلك الشيء مع تطرق التغير الى هذا الهيكل وهذا هو المسخ وبهذا التأويل يجوز في الملك الذي تكون جثته في غاية العظم أن يدخل حجرة الرسول صلى الله عليه وسلم ولانه لم يتغير منهم الا الخلقة والصورة والعقل والفهم باق فانهم يعرفون ما نالهم بشؤم المعصية من تغير الخلقة وتشوه الصورة وعدم القدرة على النطق وسائر الخواص الانسانية فيتألمون بذلك ويتعذبون ثم أولئك القرود بقوا أو أفناهم الله وان بقوا فهذه القرود التي في زماننا من نسلهم أم لا الكل جائز عقلا الا أن الرواية عن ابن عباس أنهم ما مكثوا الا ثلاثة أيام ثم هلكوا (فجعلناها) أي المسخة أو القردة أو قرية أصحاب السبت أو هذه الامة (نكالا) عقوبة شديدة رادعة عن الاقدام على المعصية والنكول عن اليمين الامتناع عنها ولم يقصد بذلك ما يقصده الناس من التشفي واطفاء نائرة الغيظ وانما جعلناها عبرة لما قبلها ومعها وبعدها من الامم والقرون لان مسختهم ذكرت في كتب الاولين فاعتبروا بها وسيبلغ خبرها الى الآخرين فيعتبرون أو أراد بما بين يديها ما بحضرتها من القرى والامم أو جعلناها عقوبة لجميع ما ارتكبوه قبل هذا الفعل وبعده هكذا قال بعضهم والاولى عندي أن يقال جعلناها عقوبة لاجل ذنوب تقدمت المسخة ولاجل ذنوب تأخرت عنها لانهم ان لم يكونوا ممسوخين لم ينتهوا عنها فهم في حكم المرتكبين لها ولا يلزم من ذلك تجويز العقاب على الذنب المفروض الموهوم لانه أمر اعتباري والعقوبة في نفسها واحدة ثابتة على حالها لم تزدد لاجل الذنب المتأخر شيأ فليس الامر فيه كمن ضرب عبده لاجل الاباق المتقدم مائة جلدة ولاجل الاباق المتأخر المترقب مائة أخرى ولكنه كمن قيد عبده أو حبسه لاجل الاباق المتقدم

الشهادة على أهل الكبائر بالخلود في النار بهذه الآية ونظائرها التي جاءت بعمومهم في الوعيد اذ كان تأويل القرآن غير مدرك الا ببيان من جعل الله اليه بيان القرآن وكانت الآية يأتي عاما في صنف ظاهرها وهي خاص في ذلك الصنف باطنها ويسئل مدافعو الخبر بأن أهل الكبائر من أهل الاستثناء سؤالنا منكر رجم الزاني المحصن وزوال فرض الصلاة عن الحائض في حال الحيض فان السؤال عليهم نظير السؤال على هؤلاء سواء ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وأحاطت به خطيئته) يعني بقوله جل ثناؤه وأحاطت به خطيئته اجتمعت عليه فمات عليها قبل الانابة والتوبة منها وأصل الاحاطة بالشيء الاحداق به بمنزلة الحائط الذي تحاط به الدار فتحدق به ومنه قول الله جل ثناؤه نارا أحاط بهم سرادقها فتأويل الآية اذا من أشرك بالله واقترف ذنوبا جمة فمات عليها قبل الانابة والتوبة فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون أبدا وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال المتأولون ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن الاعمش عن أبي رزين عن الضحاك وأحاطت به خطيئته قال مات بذنبه حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح قال ثنا الاعمش عن أبي رزين عن الربيع بن خيثم وأحاطت به خطيئته قال مات عليها حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال أخبرني ابن اسحق قال حدثني محمد بن أبي محمد عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس وأحاطت به خطيئته قال يحيط كفره بما له من حسنة حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال حدثني عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وأحاطت به خطيئته قال ما أوجب الله فيه النار حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأحاطت به خطيئته قال أما الخطيئة فالكبيرة الموجبة حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن قتادة وأحاطت به خطيئته قال الخطيئة الكبائر حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا وكيع ويحيى بن آدم عن سلام بن مسكين قال سأل رجل الحسن عن قوله وأحاطت به خطيئته فقال ما ندري ما الخطيئة يا بني اتل القرآن فكل آية وعد الله عليها النار فهي الخطيئة حدثنا أحمد بن اسحق الاهوازي قال ثنا أبو أحمد الزبيري قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد في قوله بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته قال كل ذنب محيط فهو ما وعد الله عليه النار حدثنا أحمد ابن اسحق قال ثنا أبو أحمد الزبيري قال ثنا سفيان عن الاعمش عن أبي رزين وأحاطت به خطيئته قال مات بخطيئته حدثني المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا الاعمش قال ثنا مسعود أبو رزين عن الربيع بن خيثم في قوله وأحاطت به خطيئته قال هو الذي يموت على خطيئته قبل أن يتوب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال قال وكيع سمعت الاعمش يقول في قوله وأحاطت به خطيئته مات بذنوبه حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع وأحاطت به خطيئته الكبيرة الموجبة حدثني موسى قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدي أحاطت به خطيئته فمات ولم يتب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج

قال

والاباق المترقب والله أعلم (وموعظة للمتقين) لان منفعة الاتعاظ تعود اليهم لا الى غيرهم مثل هدى للمتقين أو ليعظ المتقون بعضهم بعضا وقيل للمتقين الذين نهوهم عن الاعتداء من صالحي قومهم (واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهي قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين (٣٠٧) قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهي ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث مسلمة لاشية فيها قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون) القراآت يأمركم بالاختلاس أبو عمرو وكذلك كل فعل مستقبل مهموز من ذوات الراء هزؤا ساكنة الزاء مهموزة حمزة وخلف وعباس والمفضل واسمعيل وقرأ حمزة مبدلة الواو من الهمزة في الوقف لمكان الخط وقرأ حفص غير الخراز مثقلا غير مهموز الباقون مثقلا مهموزا جئت وبابه بغير همز أبو عمرو ويزيد والاعشى وحمزة في الوقف فادارأتم بغير همزة أبو عمرو ويزيد والاعشى والاصفهاني عن ورش وحمزة في الوقف عما يعملون بالياء التحتانية ابن كثير * الوقوف بقرة ط هزوا ط الجاهلين ه نصف الجزء ماهي ط ولا بكر ط لان التقدير هي عوان بين ذلك ط على تقدير قد تبين لكم فافعلوا ما تؤمرون ه ما لونها ط صفراء (لا) الى آخر الآية لان الجملة صفة بعد صفة الناظرين ه ماهي (لا) لان التقدير فان البقر أو لان البقر ايلاء لعذر تكرار السؤال علينا ط لمهتدون ه الحرث ج لان قوله مسلمة صفة بقرة أو خبر محذوف أي هي مسلمة لاشية فيها ط جئت بالحق ط لان التقدير فطلبوها فوجدوها فذبحوها ط يفعلون ه فادارأتم فيها ط يكتمون ه ج للآية والفاء بعدها ببعضها ط لان التقدير فضربوه فحيي فقيل لهم كذلك يحيى الله الموتى تعقلون ه قسوة ط الانهار ط الماء ط خشية

قال قلت لعطاء وأحاطت به خطيئته قال الشرك ثم تلا ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار

❁ القول في تأويل قوله تعالى (فاولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) يعني بقوله جل ثناؤه فاولئك الذين كسبوا السيئات وأحاطت بهم خطيئاتهم أصحاب النار هم فيها خالدون ويعني بقوله جل ثناؤه أصحاب النار أهل النار وانما جعلهم لها أصحابا لايثارهم في حياتهم الدنيا ما يوردهموها ويوردهم سعيرها على الاعمال التي توردهم الجنة فجعلهم جل ذكره بايثارهم أسبابها على أسباب الجنة لها أصحابا كصاحب الرجل الذي يصاحبه مؤثرا صحبته على صحبة غيره حتى يعرف به هم فيها يعني هم في النار خالدون ويعني بقوله خالدون مقيمون كما حدثني محمد بن حميد قال ثنا سلمة قال حدثني محمد بن أبي محمد عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس هم فيها خالدون أي خالدون أبدا حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي هم فيها خالدون لا يخرجون منها أبدا

❁ القول في تأويل قوله تعالى (والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) ويعني بقوله والذين آمنوا أي صدقوا بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ويعني بقوله وعملوا الصالحات أطاعوا الله فاقاموا حدوده وأدوا فرائضه واجتنبوا محارمه ويعني بقوله فاولئك فالذين هم كذلك أصحاب الجنة هم فيها خالدون يعني أهلها الذين هم أهلها هم فيها خالدون مقيمون أبدا وانما هذه الآية والتي قبلها اخبار من الله عباده عن بقاء النار وبقاء أهلها فيها (١) ودوام ما أعد في كل واحدة منهما لاهلها تكذيبا من الله جل ثناؤه القائلين من يهود بني اسرائيل ان النار لن تمسهم الا أياما معدودة وانهم صائرون بعد ذلك الى الجنة فاخبرهم بخلود كفارهم في النار وخلود مؤمنيهم في الجنة كما حدثني ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا ابن اسحق قال حدثني محمد بن أبي محمد عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون أي من آمن بما كفرتم به وعمل بما تركتم من دينه فلهم الجنة خالدين فيها يخبرهم أن الثواب بالخير والشر مقيم على أهله أبدا لا انقطاع له أبدا حدثني يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد والذين آمنوا وعملوا الصالحات محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون

❁ القول في تأويل قوله تعالى (واذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله) قد دللنا فيما مضى من كتابنا هذا على أن الميثاق مفعال من التوثق باليمين ونحوها من الامور التي تؤكد القول فمعنى الكلام اذا واذكروا أيضا يا معشر بني اسرائيل اذ أخذنا ميثاقكم لا تعبدون الا الله كما حدثني به ابن حميد قال ثنا سلمة قال حدثني ابن اسحق قال حدثني محمد بن أبي محمد عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس واذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل أي ميثاقكم لا تعبدون الا الله

---

(١) لعل هنا سقطا والاصل وبقاء الجنة وبقاء أهلها فيها بدليل ما بعده فارجع الى النسخ السليمة فان النسخ التي بيدنا سقيمة كتبه مصححه

الله ط لتفصيل دلائل القدرة تعملون ٥ * التفسير عن ابن عباس أن رجلا من بني اسرائيل قتل قريبا له لكي يرثه ثم رماه في مجمع الطريق ثم شكا ذلك الى موسى عليه السلام فاجتهد موسى في تعرف القاتل فلما لم يظهر قالوا له سل لنا ربك حتى يبينه فسأله فأوحى الله اليه ان الله يأمرهم أن يذبحوا بقرة فعجبوا من ذلك فشددوا على أنفسهم بالاستفهام حالا بعد حال واستقصوا في طلب الوصف فلما تعين لم يجدوها بذلك النعت الا عند يتيم وذلك أنه كان في بني (٣٠٨) اسرائيل شيخ صالح له عجلة فأتى بها الغيضة وقال اللهم اني أستودعكها لابني حتى يكبر وكان برا بوالديه فشبت وكانت من أحسن البقر وأسمنه فساوموها اليتيم وأمه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك بثلاثة دنانير وكانوا طلبوا البقرة الموصوفة أربعين سنة فذبحوها وأمر موسى عليه السلام أن يأخذوا عضوا منها فيضربوا به القتيل فصار المقتول حيا وسمى لهم قاتله وهو الذي ابتدأ بالشكاية فقتلوه قودا * واعلم أن تأخير البيان عن وقت الحاجة ممتنع بالاتفاق الا عند مجوز تكليف ما لا يطاق وأما تأخيره الى وقت الحاجة فمختلف فيه فالمجوزون استدلوا بالآية قالوا أمروا بذبح بقرة معينة بدليل تعينها بسؤالهم آخرا وبدليل أنه لم يؤمر بمتجدد بل المأمور به في الثانية هو المأمور به في الاولى بالاتفاق وبدليل المطابقة لما ذبح والمانعون قالوا معناه اذبحوا أية بقرة شئتم بدليل تنكير بقرة وهو ظاهر في أن المراد بقرة غير معينة وبدليل أن ابن عباس قال لو ذبحوا بقرة ما لأجزأهم ولكنهم شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم وبدليل التعنيف في قوله وما كادوا يفعلون ولو كانت معينة لما استحقوا التعنيف على السؤال وأجيب بأن ترك الظاهر يجوز لموجب راجح وما نقل عن ابن عباس خبر الواحد والتعنيف يجوز أن يكون لتفريطهم في الامتثال لو بعد حصول البيان التام ويتفرع على قول المانعين أن التكليف يكون متغايرا فكلفوا في الاول أي بقرة كانت وثانيا أن تكون لا فارضا ولا بكرا بل عوانا فلما لم يفعلوا ذلك كلفوا أن تكون صفراء فلما لم يفعلوا كلفوا أن تكون لا ذلولا تثير الارض ولا تسقي الحرث ثم اختلف القائلون بهذا المذهب منهم من قال في التكليف الواقع أخيرا يجب أن يكون مستوفيا كل صفة تقدمت حتى تكون البقرة مع الصفة

(قال أبو جعفر) والقراء مختلفة في قراءة قوله لا تعبدون فبعضهم يقرؤها بالتاء وبعضهم يقرؤها بالياء والمعنى في ذلك واحد وانما جازت القراءة بالياء والتاء وأن يقال لا تعبدون ولا يعبدون وهم غيب لان أخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف فكما تقول استحلفت أخاك ليقومن فتخبر عنه خبرك عن الغائب لغيبته عنك وتقول استحلفته لتقومن فتخبر عنه خبرك عن المخاطب لانك قد كنت خاطبته بذلك فيكون ذلك صحيحا جائزا فكذلك قوله واذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله ولا يعبدون من قرأ ذلك بالتاء فمعنى الخطاب اذ كان الخطاب قد كان بذلك ومن قرأ بالياء فلانهم ما كانوا المخاطبين بذلك في وقت الخبر عنهم وأما رفع لا تعبدون فبالتاء التي في تعبدون ولا ينصب بأن التي كانت تصلح أن تدخل مع لا تعبدون الا الله لانها اذا صلح دخولها على فعل فحذفت ولم تدخل كان وجه الكلام فيه الرفع كما قال جل ثناؤه قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون فرفع أعبد اذ لم تدخل فيها أن بالالف الدالة على معنى الاستقبال وكما قال الشاعر

ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى * وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي

فرفع أحضر وان كان يصلح دخول أن فيها اذ حذفت بالالف التي تأتي بمعنى الاستقبال وانما صلح حذف أن من قوله واذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون لدلالة ما ظهر من الكلام عليها فاكتفي بدلالة الظاهر عليها منها وقد كان بعض نحويي البصرة يقول معنى قوله واذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله حكاية كأنك قلت استحلفناهم لا تعبدون أي قلنا لهم والله لا تعبدون وقالوا والله لا يعبدون والذي قال من ذلك قريب معناه من معنى القول الذي قلنا في ذلك وبنحو الذي قلنا في قوله واذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله تأوله أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية أخذ مواثيقهم أن يخلصوا له وأن لا يعبدوا غيره حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال أخبرنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله واذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله قال أخذنا ميثاقهم أن يخلصوا لله ولا يعبدوا غيره حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج واذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله قال الميثاق الذي أخذ عليهم في المائدة ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وبالوالدين احسانا) وقوله جل ثناؤه وبالوالدين احسانا عطف على موضع أن المحذوفة في لا تعبدون الا الله فكان معنى الكلام واذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل بأن لا تعبدوا الا الله وبالوالدين احسانا فرفع لا تعبدون لما حذف أن ثم عطف بالوالدين على موضعها كما قال الشاعر

معاوي إننا بشر فأسجح * فلسنا بالجبال ولا الحديدا

فنصب الحديد على العطف به على موضع الجبال لانها لو لم تكن فيها باء خافضة كانت نصبا فعطف بالحديد على معنى الجبال لا على لفظها فكذلك ما وصفت من قوله وبالوالدين احسانا وأما الاحسان فمنصوب بفعل مضمر يؤدي معناه قوله وبالوالدين اذ كان مفهوما معناه فكان معنى الكلام

الاخيرة لا فارضا ولا بكرا وصفراء فاقعا لونها ومنهم من يقول انما يجب كونها بالصفة الاخيرة فقط وهذا أشبه بظاهر الكلام اذا كان تكليفا
بعد تكليف وان كان الاول أشبه بالروايات وبطريقة التشديد عليهم عند ترك الامتثال واذا ثبت أن البيان لا يتأخر وانه تكليف بعد تكليف
دل على أن الاسهل قد ينسخ بالاشق فان المربي لولده قد يأمره بالسهل اختبارا فاذا امتنع الولد منه فقد يرى المصلحة في ان يأمره بالصعب
ويدل أيضا على جواز النسخ قبل الفعل وان لم يجز قبل وقت الفعل وامكانه لادائه (٣٠٩) الى البداء ويدل على وقوع النسخ في شرع موسى عليه

لو أظهر المحذوف واذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل بان لا تعبدوا الا الله وبان تحسنوا الى الوالدين احسانا فاكتفى بقوله وبالوالدين من أن يقال وبان تحسنوا الى الوالدين احسانا اذ كان مفهوما أن ذلك معناه بما ظهر من الكلام وقد زعم بعض أهل العربية في ذلك أن معناه وبالوالدين فأحسنوا احسانا فجعل الباء التي في الوالدين من صلة الاحسان مقدمة عليه وقال آخرون بل معنى ذلك أن لا تعبدوا الا الله وأحسنوا بالوالدين احسانا فزعموا أن الباء التي في الوالدين من صلة المحذوف أعني أحسنوا فجعلوا ذلك من كلامين وانما يصرف الكلام الى ما ادعوا من ذلك اذا لم يوجد لاتساق الكلام على كلام واحد وجه فأما وللكلام وجه مفهوم على اتساقه على كلام واحد فلا وجه لصرفه الى كلامين وأخرى أن القول في ذلك لو كان على ما قالوا لقيل والى الوالدين احسانا لانه انما يقال أحسن فلان الى والديه ولا يقال أحسن بوالديه الا على استكراه للكلام ولكن القول فيه ما قلنا وهو واذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل بكذا وبالوالدين احسانا على ما بينا قبل فيكون الاحسان حينئذ مصدرا من الكلام لا من لفظه كما بينا فيما مضى من نظائره فان قال قائل وما ذلك الاحسان الذي أخذ عليهم بالوالدين الميثاق قيل نظير ما فرض الله على أمتنا لهما من فعل المعروف لهما والقول الجميل وخفض جناح الذل رحمة بهما والتحنن عليهما والرأفة بهما والدعاء بالخير لهما وما أشبه ذلك من الافعال التي ندب الله عباده أن يفعلوا بهما ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وذي القربى واليتامى والمساكين) يعني بقوله وذي القربى وبذي القربى أن يصلوا قرابته منهم ورحمه والقربى مصدر على تقدير فعلى من قولك قربت مني رحم فلان قرابة وقربى وقربا بمعنى واحد وأما اليتامى فهم جمع يتيم مثل أسير وأسارى ويدخل في اليتامى الذكور منهم والاناث ومعنى ذلك واذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وحده دون من سواه من الانداد وبالوالدين احسانا وبذي القربى أن تصلوا رحمه وتعرفوا حقه وباليتامى أن تتعطفوا عليهم بالرحمة والرأفة وبالمساكين أن تؤتوهم حقوقهم التي ألزمها الله أموالكم والمسكين هو المتخشع المتذلل من الفاقة والحاجة وهو مفعيل من المسكنة والمسكنة هي ذل الحاجة والفاقة ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وقولوا للناس حسنا) ان قال قائل كيف قيل وقولوا للناس حسنا فأخرج الكلام أمرا ولما يتقدمه أمر بل الكلام جار من أول الآية مجرى الخبر قيل ان الكلام وان كان قد جرى في أول الآية مجرى الخبر فانه مما يحسن في موضعه الخطاب بالامر والنهي فلو كان مكان لا تعبدون الا الله لا تعبدوا الا الله على وجه النهي من الله لهم عن عبادة غيره كان حسنا صوابا وقد ذكر أن ذلك كذلك في قراءة أبي بن كعب وانما حسن ذلك وجاز لو كان مقروأ به لان أخذ الميثاق قول فكان معنى الكلام لو كان مقروأ كذلك واذ قلنا لبني اسرائيل لا تعبدوا الا الله كما قال جل ثناؤه في موضع آخر واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة فلما كان حسنا وضع الامر والنهي في موضع لا تعبدون الا الله عطف بقوله وقولوا للناس حسنا على موضع لا تعبدون وان كان مخالفا كل واحد منهما معناه معنى ما فيه لما وصفنا

السلام ويدل أيضا على أن الزيادة في الخطاب نسخ له (أتتخذنا هزوا) استفهام بطريق الانكار معناه لا تجعلنا مكان هزء أو أهل هزء أو مهزوأ بنا أو الهزء نفسه لفرط الاستهزاء كان القوم ظنوا أنه يداعبهم لانه من المحتمل أن موسى عليه السلام أمرهم بذبح البقرة وما أعلمهم أنهم اذا ذبحوا البقرة وضربوا القتيل ببعضها صار حيا فلاجرم وقع هذا القول منهم موقع الهزء ويحتمل انه وان كان قد تبين لهم كيفية الحال الا أنهم تعجبوا من أن القتيل كيف يحيا بان يضرب ببعض أجزاء البقرة واختلف العلماء ههنا فعن بعضهم تكفيرهم بهذا القول لانهم ان شكوا في قدرة الله تعالى على احياء الموتى فقد كفروا وان شكوا في أن الذي أمرهم به موسى عليه السلام هل هو بامر الله فقد جوزوا الخيانة على موسى عليه السلام في الوحي وذلك أيضا كفر وعن آخرين أنه لا يوجب الكفر لان المداعبة على الانبياء جائزة فلعلهم ظنوا أنه يداعبهم مداعبة حقة أو المراد ما أعجب هذا الجواب كأنك تستهزئ بنا الا انهم حققوا على موسى الاستهزاء (من الجاهلين) اطلاقا لاسم السبب على المسبب فان الاشتغال بالاستهزاء لا يكون الا بسبب الجهل ومنصب النبوة
يجل عن ذلك كما يقول الرجل عند مثل ذلك أعوذ بالله من عدم العقل وغلبة الهوى أو أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين لما في الاستهزاء
من نقصان الدين والعقاب الشديد وقيل نفس الهزء قد يسمى جهلا فان الجهل ضد الحلم كما أنه ضد العلم ثم ان قيل ان المأمور بذبحه بقرة
معينة في نفسها غير مبينة التعيين حسن موقع سؤالهم لان المأمور به لما كان مجملا حسن الاستفسار والاستعلام أما على قول القائل انها
للعموم فلا بد من بيان أنه ما الذي حملهم على هذا الاستفسار فذكروا وجوها أحدها أنه لما أخبرهم بأن البقرة تعجبوا وظنوا أن البقرة

التي لها مثل هذه الخاصية لا تكون الا بقرة معينة فلا جرم استقصوا في السؤال عن وصفها كعصا موسى المخصوصة من بين سائر العصي بتلك الخواص الا أن القوم كانوا مخطئين في ذلك لان هذه الآية العجيبة لا تكون خاصية البقرة بل كانت معجزة يظهرها الله على يد موسى أو لعل القوم أرادوا قتل أي بقرة كانت الا أن القاتل خاف من الفضيحة فالقى شبهة في البين وقال المأمور به بقرة معينة لا مطلق البقرة فلما وقعت المنازعة رجعوا الى موسى أو الخطاب وان أفاد العموم الا أن القوم أرادوا الاحتياط فسألوا مزيد البيان وازالة الاحتمال الا أن المصلحة تغيرت واقتضت الامر بذبح البقرة المعينة فان قيل السؤال عما هو لطلب الحقيقة والحقيقة لا تعلم الا باجزائها ومقوماتها لا بصفاتها الخارجة فالجواب بالاوصاف الخارجة لا يكون مطابقا للسؤال قلنا من البين أن مقصودهم من قولهم ما البقرة ليس طلب ماهيتها النوعية فان ذلك كالمفروغ منه عندهم وانما وقع السؤال عن المشخصات فالظاهر يقتضي أن يقال أي بقرة هي فان مطلب أي السؤال عن الصفات الذاتية والخواص فسبب العدول اما اقامة الحقيقة الشخصية مقام الحقيقة النوعية فان الشخص من حيث هو شخص حقيقة أيضا قد يطلب تصورها واما لانهم تصوروا أن البقرة التي لها هذه الخاصية العجيبة حقيقتها مغايرة لحقيقة سائر البقرات وان كانت صورتها موافقة لصورتها واما لان السؤال عن الجزئيات كزيد وعمرو انما يكون عن اذا كان طلبا للعوارض وههنا الجزئي غير ذي عقل فناسب أن يقام ما مقام من * الفارض المسنة وقد فرضت فروضا فهي فارض كطالق كأنها فرضت سنها أي قطعتها وبلغت آخرها والبكر الفتية وكان الاظهر أنها التي لم تلد كما في الانسان والعوان النصف قال * نواعم بين أبكار وعون * وقد عونت وقال

* فان أتوك وقالوا انها نصف * فان أطيب نصفيها الذي ذهبا وقد يستدل من هذا على جواز الاجتهاد ابن

واستعمال غلبة الظن في الاحكام اذ لا يعلم أنها ابن الفارض والبكر الا بطريق الاجتهاد وانما جاز دخول بين على لفظة ذلك مع أنه لا يدخل الا على متعدد لانه في معنى شيئين حيث وقع مشارا به الى ما ذكر من الفارض والبكر وانما أشير بذلك الى مؤنثين وهو للاشارة الى واحد مذكر على تأويل ما ذكر وما تقدم للاختصار في الكلام (ما تؤمرون) مثل * أمرتك الخير فافعل ما أمرت به * بمعني ما تؤمرون به أو أمركم بمعنى مأموركم

من جواز وضع الخطاب بالامر والنهي موضع لا تعبدون فكأنه قيل واذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدوا الا الله وقولوا للناس حسنا وهو نظير ما قدمنا البيان عنه من ان العرب تبتدئ الكلام أحيانا على وجه الخبر عن الغائب في موضع الحكايات كما أخبرت عنه ثم تعود الى الخبر على وجه الخطاب وتبتدئ أحيانا على وجه الخطاب ثم تعود الى الاخبار على وجه الخبر عن الغائب لما في الحكاية من المعنيين كما قال الشاعر

أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة * لدينا ولا مقلية ان تقلت

يعني تقليت وأما الحسن فان القراء اختلفت في قراءته فقرأته عامة قراء الكوفة غير عاصم وقولوا للناس حسنا بفتح الحاء والسين وقرأته عامة قراء المدينة حسنا بضم الحاء وتسكين السين وقد روى عن بعض القراء أنه كان يقرأ وقولوا للناس حسنى على مثال فعلى واختلف أهل العربية في فرق ما بين معنى قوله حسنا وحسنا فقال بعض البصريين هو على أحد وجهين اما أن يكون يراد بالحسن الحسن وكلاهما لغة كما يقال البخل والبخل واما أن يكون جعل الحسن هو الحسن في التشبيه وذلك أن الحسن مصدر والحسن هو الشئ الحسن ويكون ذلك حينئذ كقولك انما أنت أكل وشرب وكما قال الشاعر

وخيل قد دلفت لها بخيل * تحية بينهم ضرب وجيع

فجعل التحية ضربا وقال آخر بل الحسن هو الاسم العام الجامع جميع معاني الحسن والحسن هو البعض من معاني الحسن قال ولذلك قال جل ثناؤه اذ أوصى بالوالدين ووصينا الانسان بوالديه حسنا يعني بذلك أنه وصاه فيهما بجميع معاني الحسن وأمر في سائر الناس ببعض الذي أمره به في والديه فقال وقولوا للناس حسنا يعني بذلك بعض معاني الحسن والذي قاله هذا القائل في معنى الحسن بضم الحاء وسكون السين غير بعيد من الصواب وانه اسم لنوعه الذي سمي به وأما الحسن فانه صفة وقعت لما وصف به وذلك يقع بخاص واذا كان الامر كذلك فالصواب من القراءة في قوله وقولوا للناس حسنا لان القوم انما أمروا في هذا العهد الذي قيل لهم وقولوا للناس باستعمال الحسن من القول دون سائر معاني الحسن الذي يكون بغير القول وذلك نعت خاص من معاني الحسن وهو القول فلذلك اخترت قراءته بفتح الحاء والسين على قراءته بضم الحاء وسكون السين وأما الذي قرأ ذلك وقولوا للناس حسنى فانه خالف بقراءته اياه كذلك قراءة أهل الاسلام وكفى شاهدا على خطأ القراءة بها كذلك خروجها من قراءة أهل الاسلام لو لم يكن على خطئها شاهد غيره فكيف وهي مع ذلك خارجة من المعروف من كلام العرب وذلك أن العرب لا تكاد أن تتكلم بفعلى وأفعل الا بالالف واللام أو بالاضافة لا يقال جاءني أحسن حتى يقولوا الاحسن ولا يقال أجل حتى يقولوا الاجل وذلك أن الافعل والفعلى لا يكادان يوجدان صفة الا معهودا معروف كما تقول بل أخوك الاحسن وبل أختك الحسنى وغير جائز أن يقال امرأة حسنى ورجل أحسن وأما تأويل القول الحسن الذي أمر الله به الذين وصف أمرهم من بني اسرائيل في هذه الآية لان يقولوه للناس فهو ما حدثنا به أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد عن بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن

ابن عباس في قوله وقولوا للناس حسنا أمرهم أيضا بعد هذا الخلق أن يقولوا للناس حسنا أن يأمروا
بلا اله الا الله من لم يقلها ورغب عنها حتى يقولوها كما قالوها فان ذلك قربة من الله جل ثناؤه وقال
الحسن أيضا لين القول من الادب الحسن الجميل والخلق الكريم وهو مما ارتضاه الله وأحبه
حدثني المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية وقولوا للناس حسنا قال
قولوا للناس معروفا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج وقولوا للناس حسنا
قال صدقا في شأن محمد صلى الله عليه وسلم وحدثت عن يزيد بن هرون قال سمعت سفيان
الثوري يقول في قوله وقولوا للناس حسنا قال مروهم بالمعروف وانهوهم عن المنكر
حدثني هرون بن ادريس الاصم قال ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي قال ثنا عبد الملك بن
أبي سليمان قال سألت عطاء بن أبي رباح عن قول الله جل ثناؤه وقولوا للناس حسنا قال من
لقيت من الناس فقل له حسنا من القول قال وسألت أبا جعفر فقال مثل ذلك حدثنا أبو كريب
قال ثنا القاسم قال أخبرنا عبد الملك عن أبي جعفر وعطاء بن أبي رباح في قوله وقولوا
للناس حسنا قال للناس كلهم حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا عبد الملك عن
عطاء مثله ۞ القول في تأويل قوله (وأقيموا الصلاة) يعني بقوله وأقيموا الصلاة أدوها
بحقوقها الواجبة عليكم فيها كما حدثنا أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد عن بشر بن عمارة
عن أبي روق عن الضحاك عن ابن مسعود قال وأقيموا الصلاة هذه واقامة الصلاة تمام الركوع
والسجود والتلاوة والخشوع والاقبال عليها فيها ۞ القول في تأويل قوله (وآتوا الزكاة) قد
بينا فيما مضى قبل معنى الزكاة وما أصلها وأما الزكاة التي كان الله أمر بها بني اسرائيل الذين
ذكر أمرهم في هذه الآية فهي ما حدثنا به أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد عن بشر بن عمارة
عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس وآتوا الزكاة قال ايتاء الزكاة ما كان الله فرض عليهم في
أموالهم من الزكاة وهي سنة كانت لهم غير سنة محمد صلى الله عليه وسلم كانت زكاة أموالهم قربانا
تهبط اليه نار فتحملها فكان ذلك تقبله ومن لم تفعل النار به ذلك كان غير متقبل وكان الذي قرب
من مكسب لا يحل من ظلم أو غشم أو أخذ بغير ما أمر الله به وبينه له حدثني المثنى قال ثنا
عبد الله بن صالح قال حدثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وآتوا الزكاة يعني
بالزكاة طاعة الله والاخلاص ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ثم توليتم الا قليلا منكم وأنتم
معرضون) وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن يهود بني اسرائيل أنهم نكثوا عهده ونقضوا ميثاقه
بعدما أخذ الله ميثاقهم على الوفاء له بأن لا يعبدوا غيره وأن يحسنوا الى الآباء والامهات ويصلوا
الارحام ويتعطفوا على الايتام ويؤدوا حقوق أهل المسكنة اليهم ويأمروا عباد الله بما أمرهم
الله به ويحثوهم على طاعته ويقيموا الصلاة بحدودها وفرائضها ويؤتوا زكاة أموالهم فخالفوا أمره
في ذلك كله وتولوا عنه معرضين الا من عصمه الله منهم فوفى لله بعهده وميثاقه كما حدثنا أبو

تسمية للمفعول بالمصدر كضرب الامير ولما بين لهم كمال حالها في السن شرعوا في تعرف حال اللون والفقوع أشد ما يكون من الصفرة يقال في
التوكيد أصفر فاقع مثل أسود حالك وأحمر قانئ وارتفع اللون على أنه فاعل سببي لفاقع والفرق بين قولك صفراء فاقعة وصفراء فاقع لونها أن في
الثاني تأكيد اللبس في الاول لان اللون اسم للهيئة وهي الصفرة فكأنه قيل شديد الصفرة صفرتها مثل جد جده وجنونه مجنون وعن وهب
اذا نظرت اليها خيل اليك أن شعاع الشمس يخرج من جلدها والسرور حالة (٣١١) نفسانية تعرض عند اعتقاد أو علم أو ظن بحصول
شيء لذيذ أو نافع وعن علي عليه السلام
من لبس نعلا صفراء قل همه لقوله
تسر الناظرين وعن الحسن البصري
صفراء فاقع لونها سوداء شديدة
السواد ولعله مستعار من صفة الابل
لان سوادها يعلوه صفرة وبه فسر
قوله تعالى جمالات صفر (ان البقر
تشابه علينا) لان البقر الموصوف
بالتعوين والصفرة كثير (وانا ان
شاء الله لمهتدون) عن النبي صلى الله
عليه وسلم أنه قال والذي نفس محمد
بيده لو لم يقولوا ان شاء الله
لحيل بينهم وبينها أبدا وفيه دليل
على أن الاستثناء مندوب في كل عمل
صالح يراد تحصيله ففيه استعانة بالله
وتفويض للامر اليه والاعتراف
بقدرته ونفاذ مشيئته الازلية وارادته
السرمدية ما شاء الله كان ومالم يشأ
لم يكن والمعنى انا بمشيئة الله نهتدي
للبقرة المأمور بذبحها عند تحصيلنا
أوصافها التي بها تمتاز عما عداها
أو انا ان شاء الله على هدى في استقصاء
السؤال أي نرجو أنا لسنا على ضلالة
فيما نفعله من هذا البحث أو انا ان
شاء الله تعريفنا اياها بالزيادة لنا في
البيان نهتدي لها أو انا ان شاء الله
نهتدي للقاتل (لا ذلول) صفة لبقرة
مثل لا فارض أي بقرة غير ذلول لم
تذلل للكراب واثارة الارض ولا
هي من النواضح التي يسنى عليها
لسقي الحرث لا الاولى للنفي والثانية
مزيدة للتوكيد لان المعنى لا ذلول تثير وتسقي على ان الفعلين صفتان لذلول كأنه قيل لا ذلول مثيرة وساقية والذل بالكسر اللين ضد
الصعوبة ودابة ذلول بينة الذل فعول بمعنى فاعل ولهذا استوى فيه المذكر والمؤنث تقول رجل صبور وامرأة صبور (مسلمة) سلمها الله تعالى
من العيوب مطلقا أو معفاة من العمل وحشية مرسلة عن الحبس أو مخلصة اللون لم يشب صفرتها شيء من الالوان وعلى هذا يكون لاشية
فيها كالبيان والشية كل لون يخالف معظم لون الفرس وغيره أي لا لون فيها يخالف سائر لونها فهي صفراء كلها حتى قرنها وظلفها وهي في

الاصل مصدر وشاه اذا خلط بلونه لونا آخر أصلها وشية حذف فاؤها كما فى عدة وزنة (الآن) اسم للوقت الذى أنت فيه وهو ظرف غير متمكن وقع معرفة وليس الالف واللام فيه للتعريف لانه ليس له ما يشركه وهو بانى (جئت بالحق) أى بحقيقة وصف البقرة أو ما بقى اشكال فى أمرها فحصلوا البقرة الجامعة لهذه الاوصاف (فذبحوها) والذبح هو قطع أعلى العنق وهو المستحب فى الغنم والبقر والنحر هو قطع اللبة أسفل العنق وهو المستحب فى الابل والمرعى فى الحالتين

قطع الحلقوم والمرىء لكن عنق الابل طويل فاذا قطع أعلاه تباطأ الزهوق ولا يكره

كريب قال ثنا عثمان بن سعيد عن بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس قال لما فرض الله جل وعز عليهم يعنى على هؤلاء الذين وصف الله أمرهم فى كتابه من بنى اسرائيل هذا الذى ذكر أنه أخذ ميثاقهم به أعرضوا عنه استثقالا له وكراهية وطلبوا ما خف عليهم الا قليلا منهم وهم الذين استثنى الله فقال ثم توليتم يقول أعرضتم عن طاعتى الا قليلا منكم قال القليل الذين اخترتهم لطاعتى وسيحل عقابى بمن تولى وأعرض عنها يقول تركها استخفافا بها حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا ابن اسحق قال حدثنى محمد بن أبى محمد عن سعيد بن جبير أو عن عكرمة عن ابن عباس ثم توليتم الا قليلا منكم وأنتم معرضون أى تركتم ذلك كله وقال بعضهم عنى الله جل ثناؤه بقوله وأنتم معرضون اليهود الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنى بسائر الآية أسلافهم كأنه ذهب الى أن معنى الكلام ثم توليتم الا قليلا منكم ثم تولى سلفكم الا قليلا منهم ولكنه جعل خطابا بالبقايا نسلهم على ما ذكرناه فيما مضى قبل ثم قال وأنتم يا معشر بقاياهم معرضون أيضا عن الميثاق الذى أخذ عليكم بذلك وتاركوه ترك أوائلكم وقال آخرون بل قوله ثم توليتم الا قليلا منكم وأنتم معرضون خطاب لمن كان بين ظهرانى مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم من يهود بنى اسرائيل وذم لهم بنقضهم الميثاق الذى أخذ عليهم فى التوراة وتبديلهم أمر الله وركوبهم معاصيه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (واذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم) قال أبو جعفر قوله واذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم فى المعنى والاعراب نظير قوله واذ أخذنا ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون الا الله وأما سفك الدم فانه صبه واراقته فان قال قائل وما معنى قوله لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم وقال أو كان القوم يقتلون أنفسهم ويخرجونها من ديارها فنهوا عن ذلك قيل ليس الامر فى ذلك على ما ظننت ولكنهم نهوا عن أن يقتل بعضهم بعضا فكان فى قتل الرجل منهم الرجل قتل نفسه اذ كانت ملتهما بمنزلة رجل واحد كما قال عليه السلام انما المؤمنون فى تراحمهم وتعاطفهم بينهم بمنزلة الجسد الواحد اذا اشتكى بعضه تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر وقد يجوز أن يكون معنى قوله لا تسفكون دماءكم أى لا يقتل الرجل منكم الرجل منكم فيقاد به قصاصا فيكون بذلك قاتلا نفسه لانه كان الذى سبب لنفسه ما استحقت به القتل فأضيف بذلك اليه قتل ولى المقتول اياه قصاصا بوليه كما يقال للرجل يركب فعلا من الافعال يستحق به العقوبة فيعاقب العقوبة أنت جنيت هذا على نفسك وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم أى لا يقتل بعضكم بعضا ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ونفسك يا ابن آدم أهل ملتك حدثنى المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبى العالية فى قوله واذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم يقول لا يقتل بعضكم بعضا ولا تخرجون أنفسكم من دياركم يقول لا يخرج بعضكم بعضا من الديار حدثنى المثنى قال ثنا

آدم

الذبح فى الابل والنحر فى البقر والغنم وان كان خلاف المستحب (وما كادوا يفعلون) استبطاء لهم وأنهم لكثرة استكشافهم ما كاد ينقطع خيط اسهابهم وقيل وما كادوا يذبحونها لغلاء ثمنها وقيل لخوف الفضيحة فى ظهور القاتل وقد يستدل بهذا على أن الامر للوجوب بل للفور والا لما ترتب هذا الذم على تثاقلهم (واذ قتلتم نفسا) خوطبت الجماعة لوجود القتل فيهم (فادارأتم فيها) فاختلفتم واختصمتم فى شأنها لان المتخاصمين يدرأ بعضهم بعضا أى يدفعه ويزحمه أو ينفى كل واحد منكم القتل عن نفسه ويضيفه الى غيره أو يدفع بعضكم بعضا عن البراءة ويتهمه وأصله تدارأتم أدغمت التاء فى الدال فاحتيج الى همزة الوصل ويحتمل أن يرجع الضمير فى فيها الى القتلة المعلومة من قتلتم (والله مخرج) مظهر لا محالة ما كتمتم من أمر القتيل وقد حكى ما كان مستقبلا فى وقت التدارؤ كما حكى الحاضر فى قوله وكلبهم باسط ذراعيه فلهذا صح عمل اسم الفاعل وهذه الجملة معترضة وفيها دليل على جواز عموم النص الوارد على السبب الخاص لان هذا يتناول كل المكتومات وفيها دليل على أن الله لا يحب الفساد وانه سيجعل الى زواله سبيلا وأن ما يسره العبد من خير أو شر ودام ذلك منه فالله سيظهره ويعضده قوله صلى الله عليه وسلم ان عبدا لو أطاع الله من وراء سبعين حجابا لاظهر الله ذلك على ألسنة الناس وكذلك المعصية والضمير فى اضربوه عائد الى النفس والتذكير على تأويل الشخص أو الانسان ويحتمل أن يعود الى القتيل بدلالة قتلتم أو ما كنتم تكتمون واختلف فى البعض من البقرة فقيل لسانها وقيل فخذها اليمنى وقيل عجبها وقيل العظم الذى يلى الغضروف وهو أصل الاذن وقيل الاذن وقيل البضعة من بين الكتفين والظاهر أنهم كانوا مخيرين بين أى بعض أرادوا وههنا محذوف بدلالة الفاء الفصيحة والمعنى فضربوه فحيى

... كذلك يحيي الله الموتى روي أنهم لما ضربوه قام باذن الله وأوداجه تشخب دما وقال قتلني فلان وفلان وهما ابنا عمه ثم سقط ميتا
فأخذا وقتلا ولم يورث قاتل بعد ذلك ويؤيده قول نبينا صلى الله عليه وسلم ليس للقاتل من الميراث شيء والسر فيه أنه استعجل الميراث فناسب أن
يعارض بنقيض مقصوده وهو قول الشافعي ولم يفرق بين أن يكون القتل مستحقا كالعادل اذا قتل الباغي أو غير مستحق عمدا كان أو خطأ
وعند أبي حنيفة لا يرث في العمد والخطا الا أن العادل اذا قتل الباغي فانه يرثه وقال مالك لا يرثه من ديته ويرثه من سائر أمواله
ومحل كذلك نصب على المصدر أي
يحيي الله الموتى مثل ذلك الاحياء
وهذا الكلام اما مع الذين حضروا
حياة القتيل لأنهم وان كانوا مؤمنين
بذلك الا أنهم لم يؤمنوا بذلك من
طريق العيان والمشاهدة وشتان
بين عين اليقين وعلم اليقين واما أن
يكون مع منكري البعث في زمن
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى
هذا لا يحتاج الى تقدير فقلنا بعد
تقدير فضربوه فحيي ويريكم آياته
دلائله على أنه قادر على كل شيء فدلالة
هذه القصة على وجود الصانع
القادر على كل المقدورات العالم
بكل المعلومات المختار في الايجاد
والاعدام آية ودلالتها على صدق
موسى عليه السلام آية ودلالتها على
براءة ساحة من سوى القاتل آية
ودلالتها على حشر الأموات آية
فهي وان كانت واحدة الا أنها في
الحقيقة آيات عدة ويمكن أن يراد
بالآيات غير هذه أي مثل هذه
الاراءة يريكم سائر الاراآت كما أن
مثل هذا الاحياء يحيي سائر الأموات
وفي قوله كذلك دون أن يقال كهذا
تعظيم للمشار اليه بتبعيده كما قلنا في
ذلك الكتاب (لعلكم تعقلون) تعملون
على قضية عقولكم فان من قدر على
احياء نفس واحدة قدر على احياء
الأنفس كلها اذ لا أثر للمخصصات في
ذلك فان قيل ما الفائدة في ضرب
المقتول ببعض البقرة مع أنه قادر على
 احيائه ابتداء قلنا الفائدة فيه كون الحجة آكد وعن الحيلة أبعد فقد كان يجوز للملحد أن يتوهم أن موسى عليه
السلام انما أحياه بضرب من السحر وليعلم بما أمر من مس الميت بالميت وحصول الحياة عقيبه أن المؤثر هو المسبب لا الاسباب ولما في ذبح
البقرة من القربان وأداء التكاليف واكتساب الثواب والاشعار بتحسين تقديم القربة على طلب الحوائج وما في التشديد عليهم لأجل تشديدهم
من اللطف لهم وللآخرين في ترك التشدد والمسارعة الى امتثال أوامر الله على الفور ونفع اليتيم بالتجارة الرابحة والدلالة على بركة البر بالابوين

آدم قال ثنا أبو جعفر عن قتادة في قوله لا تسفكون دماءكم يقول لا يقتل بعضكم بعضا بغير
حق ولا تخرجون أنفسكم من دياركم فتسفك يا ابن آدم دماء أهل ملتك ودعوتك ۞ القول في
تأويل قوله تعالى (ثم أقررتم) يعني بقوله ثم أقررتم بالميثاق الذي أخذنا عليكم لا تسفكون
دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم كما حدثنا المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر
عن الربيع عن أبي العالية ثم أقررتم يقول أقررتم بهذا الميثاق وحدثت عن عمار قال ثنا
ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع مثله ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وأنتم تشهدون)
اختلف أهل التأويل فيمن خوطب بقوله وأنتم تشهدون فقال بعضهم ذلك خطاب من الله تعالى
ذكره لليهود الذين كانوا بين ظهراني مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام هجرته اليه مؤنبا
لهم على تضييع أحكام ما في أيديهم من التوراة التي كانوا يقرون بحكمها فقال الله تعالى لهم ثم
أقررتم يعني بذلك اقرار أوائلكم وسلفكم وأنتم تشهدون على اقرارهم بأخذ الميثاق عليهم بأن
لا يسفكوا دماءهم ولا يخرجوا أنفسهم من ديارهم ويصدقون بأن ذلك حق من ميثاقي عليهم
وممن حكي معنى هذا القول عنه ابن عباس حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال حدثني ابن اسحق
قال حدثني محمد بن أبي محمد عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال واذ أخذنا ميثاقكم
لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون أن هذا حق من
ميثاقي عليكم وقال آخرون بل ذلك خبر من الله جل ثناؤه عن أوائلهم ولكنه تعالى ذكره أخرج
الخبر بذلك عنهم مخرج المخاطبة على النحو الذي وصفنا في سائر الآيات التي هي نظائرها التي قد بينا
تأويلها فيما مضى وتأولوا قوله وأنتم تشهدون على معنى وأنتم شهود ذكر من قال ذلك حدثني
المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية قوله وأنتم تشهدون يقول وأنتم
شهود (قال أبو جعفر) وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب عندي أن يكون قوله وأنتم تشهدون
خبرا عن أسلافهم وداخلا فيه المخاطبون منهم الذين أدركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما
كان قوله واذ أخذنا ميثاقكم خبرا عن أسلافهم بأن كان خطابا للذين أدركوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم لأن الله تعالى أخذ ميثاق الذين كانوا على عهد رسول الله موسى صلى الله عليه وسلم من بني
اسرائيل على سبيل ما قد بينه لنا في كتابه فألزم جميع من بعدهم من ذريتهم من حكم التوراة مثل
الذي ألزم منه من كان على عهد موسى منهم ثم أنب الذين خاطبهم بهذه الآيات على نقضهم ونقض
سلفهم ذلك الميثاق وتكذيبهم ما وكدوا على أنفسهم له بالوفاء من العهود بقوله ثم أقررتم وأنتم
تشهدون فان كان خارجا على وجه الخطاب للذين كانوا على عهد نبينا صلى الله عليه وسلم منهم
فانه معني به كل من واثق بالميثاق منهم على عهد موسى ومن بعده وكل من شهد منهم بتصديق ما في
التوراة لأن الله جل ثناؤه لم يخصص بقوله ثم أقررتم وأنتم تشهدون وما أشبه ذلك من الآي بعضهم
دون بعض والآية محتملة أن يكون أريد بها جميعهم فان كان ذلك كذلك فليس لأحد أن يدعي أنه
أريد بها بعض منهم دون بعض وكذلك حكم الآية التي بعدها أعني قوله ثم أنتم هؤلاء تقتلون

والاشفاق على الاولاد وتجهيل المستهزئ بما لا يعلم تأويله من كلام الحكيم وبيان أن من حق المتقرب به الى الرب أن يكون من أحسن ما يتقرب به فتى السن حسن اللون بريئا من العيوب ثمينا نفيسا أسمنوا ضحاياكم فانها على الصراط مطاياكم فان قيل هلا قدم ذكر القتيل على الامر بذبح البقرة كما هو حق القصة قلنا لانها كانت تكون حينئذ قصة واحدة ويذهب الغرض فى تثنية التقريع بالاستهزاء وترك المبادرة بالامتثال أولا وبقتل النفس المحرمة وما تبعه من الآية ثانيا على أنها دلت على اتحاد القصتين برجوع الضمير فى بعضها الى البقرة وهى

أنفسكم الآية لانه قد ذكرنا أن أوائلهم قد كانوا يفعلون من ذلك ما كان يفعله أواخرهم الذين أدركوا عصر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان) قال أبو جعفر ويتجه فى قوله ثم أنتم هؤلاء وجهان أحدهما أن يكون أريد به ثم أنتم يا هؤلاء فترك يا استغناء بدلالة الكلام عليه كما قال يوسف أعرض عن هذا وتأويله يا يوسف أعرض عن هذا فيكون معنى الكلام حينئذ ثم أنتم يا معشر يهود بنى اسرائيل بعد اقراركم بالميثاق الذى أخذته عليكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وبعد شهادتكم على أنفسكم بان ذلك حق لى عليكم لازم لكم الوفاء لى به تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم متعاونين عليه فى أخراجكم اياهم بالاثم والعدوان والتعاون هو التظاهر وانما قيل التعاون التظاهر لتقوية بعضهم ظهر بعض فهو تفاعل من الظهر وهو مساندة بعضهم ظهره الى ظهر بعض والوجه الآخر أن يكون معناه ثم أنتم قوم تقتلون أنفسكم فيرجع الى الخبر عن أنتم وقد اعترض بينهم وبين الخبر عنهم بهؤلاء كما تقول العرب أنا ذا أقوم وأنا هذا أجلس ولو قيل أنا هذا أجلس كان صحيحا جائزا كذلك أنت ذاك تقوم وقد زعم بعض البصريين أن قوله هؤلاء فى قوله ثم أنتم هؤلاء تنبيه وتوكيد لأنتم وزعم أن أنتم وان كانت كناية أسماء جماع المخاطبين فانما جاز أن يؤكدوا بهؤلاء وأولى لانها كناية عن المخاطبين كما قال خفاف بن ندبة

أقول له والرمح يأطر متنه * تبين خفافا اننى أنا ذا لكا

يريد أنا هذا وكما قال جل ثناؤه حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم ثم اختلف أهل التأويل فيمن عنى بهذه الآية نحو اختلافهم فيمن عنى بقوله وأنتم تشهدون ذكر اختلاف المختلفين فى ذلك حدثنا محمد بن حميد قال ثنا سلمة قال حدثنى محمد بن اسحق قال حدثنى محمد بن أبى محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان الى أهل الشرك حتى تسفكوا دماءهم معهم وتخرجوهم من ديارهم معهم فقال أنبهم الله من فعلهم وقد حرم عليهم فى التوراة سفك دمائهم وافترض عليهم فيها فداء أسراهم فكانوا فريقين طائفة منهم من بنى قينقاع حلفاء الخزرج والنضير وقريظة حلفاء الاوس فكانوا اذا كانت بين الاوس والخزرج حرب خرجت بنو قينقاع مع الخزرج وخرجت النضير وقريظة مع الاوس يظاهر كل من الفريقين حلفاءه على اخوانه حتى يتسافكوا دماءهم بينهم وبأيديهم التوراة يعرفون منها ما عليهم وما لهم والاوس والخزرج أهل الشرك يعبدون الاوثان لا يعرفون جنة ولا نارا ولا بعثا ولا قيامة ولا كتابا ولا حراما ولا حلالا فاذا وضعت الحرب أوزارها افتدوا أسراهم تصديقا لما فى التوراة وأخذا به بعضهم من بعض يفتدى بنو قينقاع ما كان من أسراهم فى أيدى الاوس وتفتدى النضير وقريظة ما كان فى أيدى الخزرج منهم ويطلون ما أصابوا من الدماء وقتلوا من قتلوا منهم فيما بينهم مظاهرة لاهل الشرك عليهم يقول الله تعالى ذكره حين أنبأهم

مذكورة فى الاولى (قوله ثم قست قلوبكم الآية) خطاب لاولئك اليهود الذين كانوا فى زمن موسى أو للذين هم فى زمن محمد صلى الله عليه وسلم من بعد ذلك الاحياء أو من بعد ذلك الذى عددنا من جميع الآيات الباهرات والمعجزات الظاهرات ومعنى ثم استبعاد القسوة من بعد ما يوجب اللين والرقة وصفة القلوب بالقسوة والغلظ مثل لنبوها عن الاعتبار والاتعاظ فهى كالحجارة مثلها فى القسوة أو هى أشد قسوة من الحجارة فمن عرفها شبهها بالحجارة أو قال هى أقسى من الحجارة ويجوز أن يقدر مضاف أى هى كالحجارة أو مثل أشد قسوة فمن عرفها شبهها بالحجارة أو بجوهر أقسى من الحجارة كالحديد مثلا وانما قيل أشد قسوة مع امكان بناء أفعل التفضيل من فعل القسوة لكونه أدل على فرط القسوة أو لانه لم يقصد معنى الاقسى ولكن قصد وصف القسوة بالشدة كأنه قيل اشتدت قسوة الحجارة وقلوبهم أشد قسوة منها وحذف هذا الراجع لعدم الالتباس نحو زيد كريم وعمرو أكرم وكلمة أو ههنا ليست للشك فعلام الغيوب لا يشك فى شئ وانما هى للتخيير بأيهما شئت شبهت فكنت صدوقا ولو جمعت بينهما جاز ثم أخذ فى بيان فضل قلوبهم على الحجارة فى شدة القسوة فقال وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار أى ان منها للذى فيه خروق واسعة يتدفق منها الماء الغزير وان منها للذى ينشق بذلك انشقاقا طولا أو عرضا فينبع منه الماء وذلك بحسب كثرة المادة وقلتها فان الابخرة تجتمع فى باطن الارض ثم ان كان ظاهر الارض رخوا انفشت وانفصلت وان كان صلبا حجريا اجتمعت وصارت مياها ولا تزال يتواتر مددها الى أن تنشق الارض من مزاحمتها وتسيل أنهارا أو عيونا وأما قلوب هؤلاء فلا تنشرح للحق ولا تتأثر من الوعظ والنصيحة بعد مشاهدة الآيات ومعاينة الدلائل ويشقق أصله يتشقق فأدغم التاء فى الشين

كقولهم يذكر في يتذكر (لما يهبط) للذي يتردى من أعلى الجبل وذلك من خشية الله إما لانه تعالى خلق فيه الحياة والعقل والادراك كما روى
من تسبيح الحصى في كف النبي صلى الله عليه وسلم وإما لان الخشية مجاز عن انقيادها لامر الله وأنها لا تمتنع عما يريد بها من الاهباط والانفصال
عن كلها وقلوب هؤلاء لا تنقاد ولا تأثر وقيل أي يتزلزل من أجل أن تحصل خشية الله في قلوب عباده فيفزعون اليه بالتضرع والدعاء (وما الله
بغافل عما تعملون) وعيد والمعنى أنه بالمرصاد لهؤلاء القاسية قلوبهم وحافظ لاعمالهم (٣١٥) فيجازيهم في الدنيا والآخرة فلا تعجل عليهم

إنما نعد لهم عدا ووصفه تعالى بانه ليس بغافل لا يوهم جواز الغفلة عليه لان نفي الصفة عن الشئ لا يستلزم ثبوت صحتها مثل لا تأخذه سنة ولا نوم * التأويل ذبح البقرة اشارة الى ذبح النفس البهيمية فان في ذبحها حياة القلب الروحاني وهو الجهاد الاكبر موتوا قبل أن تموتوا اقتلوني يا ثقاتي * ان في قتلي حياتي وحياتي في مماتي * ومماتي في حياتي مت بالارادة تحي بالطبيعة وقال بعضهم مت بالطبيعة تحي بالحقيقة ما هي انها بقرة نفس تصلح للذبح بسيف الصدق لا فارض في سن الشيخوخة فيعجز عن وظائف سلوك الطريق لضعف القوى البدنية كما قيل الصوفي بعد الاربعين بارد ولا بكر في سن شرخ الشباب تستهويه سكره عوان بين ذلك لقوله حتى اذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة بقرة صفراء اشارة الى صفرة وجوه أصحاب الرياضات فاقع لونها يريد أنها صفرة زين لا صفرة شين فانها سيما الصالحين لا ذلول تثير الارض لا تحتمل ذلة الطمع ولا تثير بآلة الحرص أرض الدنيا لطلب زخارفها ومشتهياتها ولا تسقي حرث الدنيا بماء وجهه عند الخلق وبماء وجاهته عند الخالق فيذهب ماؤه عند الحق وعند الخلق مسلمة من آفات صفاتها ليس فيها علامة طلب غير الله وما كادوا يفعلون بمقتضى الطبيعة لولا فضل الله وحسن توفيقه

واذ قتلتم نفسا يعني القلب فادارأتم فاختلفتم أنه كان من الشيطان أم من الدنيا أو من النفس الامارة فقلنا اضربوه ببعضها ضرب
لسان بقرة النفس المذبوحة بسكين الصدق على قتيل القلب بمداومة الذكر يحيى باذن الله تعالى وقال ان النفس لامارة بالسوء وان من الحجارة
لما يتفجر منه الانهار مراتب القلوب في القسوة مختلفة فالتي يتفجر منها الانهار قلوب يظهر عليها الغليان أنوار الروح بترك اللذات والشهوات
بعض الاشياء المشبهة بخرق العادات كما يكون لبعض الرهابين والهنود والتي تشقق فيخرج منها الماء هي التي يظهر عليها في بعض الاوقات عند

بذلك أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض أي تفادونه بحكم التوراة وتقتلونه وفي حكم
التوراة أن لا يقتل ولا يخرج من داره ولا يظاهر عليه من يشرك بالله ويعبد الاوثان من دونه ابتغاء
عرض من عرض الدنيا ففي ذلك من فعلهم مع الاوس والخزرج فيما بلغني نزلت هذه القصة
وحدثني موسى بن هرون قال حدثني عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدي واذ أخذنا ميثاقكم
لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون قال ان الله أخذ
على بني اسرائيل في التوراة أن لا يقتل بعضهم بعضا وأيما عبد أو أمة وجدتموه من بني اسرائيل
فاشتروه بما قام ثمنه فأعتقوه فكانت قريظة حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج فكانوا يقتتلون
في حرب سمير فتقاتل بنو قريظة مع حلفائها النضير وحلفاءها وكانت النضير تقاتل قريظة
وحلفاءها فيغلبونهم فيخربون بيوتهم ويخرجونهم منها فاذا أسر الرجل من الفريقين كلاهما
جمعوا له حتى يفدوه فتعيرهم العرب بذلك ويقولون كيف تقاتلونهم وتفدونهم قالوا انا أمرنا أن
نفديهم وحرم علينا قتالهم قالوا فلم تقاتلونهم قالوا انا نستحيي أن تستذل حلفاؤنا فذلك حين
عيرهم جل وعز فقال ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون
عليهم بالاثم والعدوان حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد كانت قريظة
والنضير أخوين وكانوا بهذه المثابة وكان الكتاب بأيديهم وكانت الاوس والخزرج أخوين
فافترقا وافترقت قريظة والنضير فكانت النضير مع الخزرج وكانت قريظة مع الاوس فاقتتلوا وكان
بعضهم يقتل بعضا فقال الله جل ثناؤه ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم
من ديارهم الآية وقال آخرون بما حدثني به المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن
الربيع عن أبي العالية قال كان في بني اسرائيل اذا استضعفوا قوما أخرجوهم من ديارهم وقد
أخذ عليهم الميثاق أن لا يسفكوا دماءهم ولا يخرجوا أنفسهم من ديارهم وأما العدوان فهو
الفعلان من التعدي يقال منه عدا فلان في كذا عدوا وعدوانا واعتدى يعتدي اعتداء
وذلك اذا جاوز حده ظلما وبغيا وقد اختلف القراء في قراءة تظاهرون فقرأها بعضهم تظاهرون
على مثال تفاعلون بحذف التاء الزائدة وهي التاء الآخرة وقرأها آخرون تظاهرون فشدد
بتأويل تتظاهرون غير أنهم أدغموا التاء الثانية في الظاء لتقارب مخرجيهما فصيروهما ظاء
مشددة وهاتان القراءتان وان اختلفت ألفاظهما فانهما متفقتا المعنى فسواء بأي ذلك قرأ
القارئ لانهما جميعا لغتان معروفتان وقراءتان مستفيضتان في أمصار الاسلام بمعنى واحد ليس
في أحداهما معنى تستحق به اختيارها على الاخرى الا أن يختار مختار تظاهرون المشددة طلبا
منه تتمة الكلمة ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وان يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم
اخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض) يعني بقوله جل ثناؤه وان يأتوكم أسارى
تفادوهم اليهود يوبخهم بذلك ويعرفهم به قبيح أفعالهم التي كانوا يفعلونها فقال لهم ثم أنتم بعد

اقراركم بالميثاق الذى أخذته عليكم أن لاتسفكوا دماءكم ولاتخرجوا أنفسكم من دياركم تقتلون أنفسكم يعنى به يقتل بعضكم بعضا وأنتم مع قتلكم من تقتلون منكم اذا وجدتم الاسير منكم فى أيدى غيركم من أعدائكم تفدوهم ويخرج بعضكم بعضا من دياره وقتلكم اياهم واخراجكموهم من ديارهم حرام عليكم وتركهم أسرى فى أيدى عدوكم فكيف تستجيزون قتلهم ولاتستجيزون ترك فدائهم من عدوهم أم كيف لاتستجيزون ترك فدائهم وتستجيزون قتلهم وهم جميعا فى اللازم لكم من الحكم فيهم سواء لان الذى حرمت عليكم من قتلهم واخراجهم من دورهم نظير الذى حرمت عليكم من تركهم أسرى فى أيدى عدوهم أفتؤمنون ببعض الكتاب الذى فرضت عليكم فيه فرائضى وبينت لكم فيه حدودى وأخذت عليكم بالعمل بما فيه ميثاقى فتصدقون به فتفادون أسراكم من أيدى عدوكم وتكفرون ببعضه فتجحدونه فتقتلون من حرمت عليكم قتله من أهل دينكم ومن قومكم وتخرجونهم من ديارهم وقد علمتم أن الكفر منكم ببعضه نقض منكم عهدى وميثاقى كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان وان يأتوكم أسارى تفدوهم وهو محرم عليكم اخراجهم (١) أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فادين والله ان فداءهم لايمان وان اخراجهم لكفر فكانوا يخرجونهم من ديارهم واذا رأوهم أسارى فى أيدى عدوهم افتكوهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال حدثنى ابن اسحق قال حدثنى محمد بن أبى محمد عن سعيد بن جبير أو عن عكرمة عن ابن عباس وان يأتوكم أسارى تفدوهم قد علمتم أن ذلكم عليكم فى دينكم وهو محرم عليكم فى كتابكم اخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض أتفادونهم مؤمنين بذلك وتخرجونهم كفرا بذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وان يأتوكم أسارى تفدوهم يقول ان وجدته فى يد غيرك فديته وأنت تقتله بيدك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر قال قال أبو جعفر كان قتادة يقول فى قوله أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فكان اخراجهم كفرا وفداؤهم ايمانا حدثنا المثنى قال حدثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبى العالية فى قوله ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم الآية قال كان فى بنى اسرائيل اذا استضعفوا قوما أخرجوهم من ديارهم وقد أخذ عليهم الميثاق أن لايسفكوا دماءهم ولايخرجوا أنفسهم من ديارهم وأخذ عليهم الميثاق ان أسر بعضهم أن يفادوهم فاخرجوهم من ديارهم ثم فادوهم فآمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض آمنوا بالفداء ففدوا وكفروا بالاخراج من الديار فاخرجوا حدثنى المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر قال ثنا الربيع بن أنس قال أخبرنى أبو العالية أن عبد الله بن سلام مر على رأس الجالوت بالكوفة وهو يفادى من النساء من لم يقع عليه العرب

---

(١) قوله أفتؤمنون ببعض الكتاب الخ كذا فى الاصل ولعل وجه الكلام أفتؤمنون ببعض الكتاب فادين وتكفرون ببعض مخرجين والله ان فداءهم الخ تحرر كتبه مصححه

انخراق الحجب البشرية من أنوار الروح فيريه بعض الآيات والمعانى المعقولة كما يكون لبعض الحكماء والتى تهبط من خشية الله ما يكون لبعض أهل الأديان والملل من قبول عكس أنوار الروح من وراء الحجب فيقع فيها الخوف والخشية وهذه المراتب مشتركة بين المسلمين وغيرهم والفرق أنها فى المسلمين مؤيدة بنور الايمان فيزيدوا فى قربهم وقبولهم ودرجاتهم ولغيرهم ليست مؤيدة بالايمان فيزيدوا فى غرورهم وعجبهم وبعدهم واستدراجهم والمسلمون مخصوصون بكرامات وفراسات تظهر لهم من تجلى أنوار الحق ورؤية برهانه فاراءة الآيات للخواص سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم ويريكم آياته لعلكم تعقلون لكن اراءة البرهان لأخص الخواص كما فى حق يوسف لولا أن رأى برهان ربه سئل الحسن بن منصور عن البرهان فقال واردات ترد على القلوب فتعجز النفوس عن تكذيبها والله أعلم (أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أمانى وان هم الا يظنون فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون وقالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودة قل أتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فاولئك أصحاب النار هم فيها خالدون والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) * القراآت الأمانى حيث كان خفيفا يزيد الا قوله تلك أمانيهم وليس بامانيكم ولا أمانى وغرتكم الامانى فان أربعتهن بالاسكان عنده بايديهم بضم الهاء يعقوب وكذلك كل هاء كناية قبلها ياء ساكنة خطيئاته بالجمع أبو جعفر ونافع * الوقوف يعلمون ○ آمنا ج والوصل أجوز لبيان حالتيهما المتناقضتين وهو المقصود عند ربكم ط أفلا تعقلون ○ يعلنون ○ يظنون ج قليلا ط يكسبون ○ معدودة ط ما لا تعلمون ○ النار ج لان الجملة مبتدأ وخبر بعد خبر خالدون ○ الجنة ج خالدون ○ * التفسير لما ذكر الله سبحانه وتعالى قبائح أسلاف اليهود وسوء ولا

مغاملتهم مع نبيهم أردفها قبائح اخلافهم المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكأنه قيل اذا كان هذا أفعالهم فيما بينهم فكيف تطمعون
أيها النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون فى أن يؤمنوا أى يحدثوا الايمان لأجل دعوتكم ويستجيبوا لكم كقوله فآمن له لوط وقد كان فريق
منهم طائفة من أسلافهم يسمعون كلام الله وهو ما يتلونه من التوراة ثم يحرفونه كما حرفوا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وآية الرجم وقيل هم
قوم من الذين حضروا الميقات سمعوا كلام الله حين كلم موسى بالطور وما أمر به ونهى عنه ثم قالوا سمعنا الله يقول فى آخره
ان استطعتم أن تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا فلا بأس من بعد ما عقلوه فهموه وضبطوه بعقولهم من غير ما شبهة وهم يعلمون أنهم مفترون كذابون والمعنى ان كفر هؤلاء وحرفوا فلهم سابقة فى ذلك كما تقول للرجل كيف تطمع أن يفلح فلان وأستاذه فلان يأخذ عنه لا عن غيره فهؤلاء المقلدة لا يقبلون الا قول معلمهم وأحبارهم الذين تعمدوا التحريف عنادا أو لضرب من الاغراض الدنيوية (واذا لقوا) أى اليهود قال منافقوهم آمنا بأنكم على الحق ونشهد أن صاحبكم صادق ونجده بنعته وصفته فى كتابنا (واذا خلا بعضهم) الذين لم ينافقوا (الى بعض) الذين نافقوا (قالوا) عاتبين عليهم (أتحدثونهم بما فتح الله عليكم) بما بين لكم فى التوراة من نعته وصفته مأخوذ من قولهم قد فتح على فلان فى علم كذا أى رزق ذلك وسهل له طلبه أو قال المنافقون لغيرهم يرونهم التصلب فى دينهم أتحدثونهم انكارا عليهم أن يفتحوا عليهم شيأ فى كتابهم فينافقون المؤمنين وينافقون اليهود (ليحاجوكم به عند ربكم) ليحتجوا عليكم بما أنزل ربكم فى كتابه جعلوا محاجتهم به وقولهم هو فى كتابكم هكذا محاجة عند الله ألا تراك تقول هو فى كتاب الله كذا وهو عند الله كذا بمعنى واحد وعن الحسن
ليحاجوكم فى ربكم لأن المحاجة فيما ألزم تعالى من اتباع الرسل محاجة فيه أى دينه وقال الاصم يحاجوكم يوم القيامة عند المساءلة فيكون زيادة
فى توبيخكم فكان القوم يعتقدون أن ذلك مما يزيد فى فضيحتهم فى الآخرة وقيل ليحاجوكم به على وجه الديانة والنصيحة لان من يذكر الحجة على
هذا الوجه قد يقول لصاحبه أزحت علتك عند الله وأقمت عليك الحجة بينى وبين ربى فان قبلت أحسنت الى نفسك وان جحدت كنت الخاسر
الخائب وقيل لتصيروا محجوجين بتلك الدلائل فى حكم الله كما يقال فلان عندى عالم أى فى اعتقادى وحكمى وهذا عند الشافعى كذا وعند أبى

ولا يفادى من وقع عليه العرب فقال له عبد الله بن سلام أما انه مكتوب عندك فى كتابك أن فادوهن كلهن حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثنى حجاج عن ابن جريج أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض قال كفرهم القتل والاخراج وايمانهم الفداء قال ابن جريج يقول اذا كانوا عندكم تقتلونهم وتخرجونهم من ديارهم وأما اذا أسروا تفدوهم وبلغنى أن عمر بن الخطاب قال فى قصة بنى اسرائيل ان بنى اسرائيل قد مضوا وانكم أنتم تعنون بهذا الحديث واختلف القراء فى قراءة قوله وان يأتوكم أسارى تفدوهم فقرأه بعضهم أسرى تفدوهم وبعضهم أسارى تفادوهم وبعضهم أسارى تفدوهم وبعضهم أسرى تفادوهم قال أبو جعفر فمن قرأ ذلك وان يأتوكم أسرى فانه أراد جمع الاسير اذ كان على فعيل على مثال جمع أسماء ذوى العاهات التى يأتى واحدها على تقدير فعيل اذ كان الاسر شبيه المعنى فى الاذى والمكروه الداخل على الاسير ببعض معانى العاهات وألحق جمع المسلحق به بجمع ما وصفنا فقيل أسير وأسرى كما قيل مريض ومرضى وكسير وكسرى وجريح وجرحى وقال أبو جعفر وأما الذين قرؤا ذلك أسارى فانهم أخرجوه على مخرج جمع فعلان اذ كان جمع فعلان الذى له فعلى قد يشارك جمع فعيل كما قالوا اسكارى وسكرى وكسالى وكسلى فشبهوا أسيرا وجمعوه مرة أسارى وأخرى أسرى بذلك وكان بعضهم يزعم أن معنى الاسرى مخالف معنى الاسارى ويزعم أن معنى الاسرى استئسار القوم بغير أسر من المستأسر لهم وان معنى الاسارى معنى مصير القوم المأسورين فى أيدى الآسرين باسرهم وأخذهم قهرا وغلبة (قال أبو جعفر) وذلك ما لا وجه له يفهم فى لغة أحد من العرب ولكن ذلك على ما وصفت من جمع الاسير مرة على فعلى لما بينت من العلة ومرة على فعالى لما ذكرت من تشبيههم جمعه بجمع سكران وكسلان وما أشبه ذلك وأولى بالصواب فى ذلك قراءة من قرأ وان يأتوكم أسرى لان فعالى فى جمع فعيل غير مستفيض فى كلام العرب فاذا كان ذلك غير مستفيض فى كلامهم وكان مستفيضا فاشيا فيهم جمع ما كان من الصفات التى بمعنى الآلام والزمانة واحده على تقدير فعيل على فعلى كالذى وصفنا قبل وكان أحد ذلك الاسير كان الواجب أن يلحق بنظائره وأشكاله فيجمع جمعها دون غيرها ممن خالفها وأما من قرأ تفادوهم فانه أراد أنكم تفدونهم من أسرهم ويفدى منكم الذين أسروهم ففادوكم بهم أسراكم منهم وأما من قرأ ذلك تفدوهم فانه أراد أنكم يا معشر اليهود ان أتاكم الذين أخرجتموهم منكم من ديارهم أسرى فديتموهم فاستنقذتموهم وهذه القراءة أعجب الى من الاولى أعنى أسرى تفدوهم لان الذى على اليهود فى دينهم فداء أسراهم بكل حال فدى الآسرون أسراهم منهم أم لم يفدوهم وأما قوله وهو محرم عليكم اخراجهم فان فى قوله وهو وجهين من التأويل أحدهما أن يكون كناية عن الاخراج الذى تقدم ذكره كأنه قال وتخرجون فريقا منكم من ديارهم واخراجهم محرم عليكم ثم كرر الاخراج الذى بعد وهو محرم عليكم تكريرا على هو لما حال بين الاخراج وهو كلام والتأويل الثانى أن يكون عمادا لما كانت الواو التى مع هو تقتضى اسما يليها دون الفعل فلما قدم الفعل قبل الاسم الذى تقتضيه الواو أن يليها

حنيفة كذا (أفلا تعقلون) ان ذلك لا يليق بما أنتم عليه فانكم اذا حدثتموهم بالذي يحاجونكم به رجع وباله عليكم (أولا يعلمون أن الله يعلم) جميع (ما يسرون وما يعلنون) ومن ذلك اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان خوفهم الله تعالى بذلك لانهم كانوا يعرفون ان الله يعلم السر والعلانية (ومنهم أميون) لا يحسنون الكتب فيطالعوا التوراة ويتحققوا ما فيها كانه منسوب الى الام وهو أصل الشئ فالامى على أصل فطرته لم يكتسب علما وكتابة (لا يعلمون الكتاب) التوراة (الا أماني) (٣١٨) واحدها أمنية على أفعولة من منى اذا قدر تقول منه تمنيت الشئ ومنيته غيري تمنية لان المتمني يقدر في نفسه ويحوز ما يتمناه وأماني اليهود هي أن الله يعفو عنهم ويرحمهم ولا يؤاخذهم بخطاياهم وان آباءهم الانبياء يشفعون لهم وما عنهم الاحبار من أن النار لا تمسهم الا أياما معدودة وقيل الاماني الاكاذيب المختلقة التي سمعوها من علمائهم فقبلوها على التقليد يقال أهذا شئ رويته أم تمنيته أم اختلقته وذلك أن المختلق يقدر أن كلمة كذا بعد كذا وفي الصحاح أنه مقلوب المين وهو الكذب وقيل الا ما يقرؤن من قولهم تمنيت الكتاب قرأته قال الشاعر رثى عثمان

تمنى كتاب الله أول ليلة
وآخرها لاقى حمام المقادر

والقارئ مقدر الكلمات كالمختلق وعلى هذا يكون الاستثناء متصلا كانه قيل لا يعلمون الكتاب الا بقدر ما يتلى عليهم فيسمعونه وبقدر ما يذكر لهم فيقبلونه ثم انهم لا يتمكنون من التدبر والتأمل وعلى الاول يكون استثناء منقطعا ومن قرأ أماني بالتخفيف حذف المد كما يقال مفاتح (وان هم الا يظنون) كالمحقق لما تقدمه من قوله لا يعلمون الكتاب الا أماني ذكر الفرقة الضالة المضلة المحرفة ثم الفرقة المنافقين منهم ثم الفرقة المجادلة لاهل النفاق ثم العوام المقلدة ونبه على أنهم في الضلال سواء لان للعالم أن يعمل بعلمه وعلى العامي أن لا يرضى بالتقليد والظن ان كان متمكنا من العلم ولا سيما في أصول الدين (الويل) كلمة يقولها كل مكروب وعن ابن عباس انه العذاب الاليم وعن الثوري صديد أهل الجحيم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره وقال عطاء بن يسار الويل واد في جهنم لو أرسلت فيه الجبال لماعت من حره ولا شبهة في دلالتها على نهاية الوعيد والتهديد (يكتبون الكتاب) المحرف (بأيديهم) تأكيد كما تقول للمنكر هذا ما كتبته بيمينك حكى عنهم أمرين كتبة الكتاب

أوليت هو لانه اسم كما تقول أتيتك وهو قائم أبوك بمعنى وأبوك قائم اذ كانت الواو تقتضي اسما فعمدت بهو اذ سبق الفعل الاسم ليصلح الكلام كما قال الشاعر

فأبلغ أبا يحيى اذا ما لقيته * على العيس في آباطها عرق يبس
بان السلامي الذي بضرية * أمير الحمى قد باع حقي بني عبس
بثوب ودينار وشاة ودرهم * فهل هو مرفوع بما ههنا رأس

فأوليت هل لطلبها الاسم العماد ۞ القول في تأويل قوله تعالى (فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحياة الدنيا) يعني بقوله جل ثناؤه فما جزاء من يفعل ذلك منكم فليس لمن قتل منكم قتيلا فكفر بقتله اياه بنقض عهد الله الذي حكم به عليه في التوراة وأخرج منكم فريقا من ديارهم مظاهرا عليهم أعداءهم من أهل الشرك ظلما وعدوانا وخلافا لما أمره الله به في كتابه الذي أنزله الى موسى جزاء يعني بالجزاء الثواب وهو العوض مما فعل من ذلك والاجر عليه الا خزي في الحياة الدنيا والخزي الذل والصغار يقال منه خزي الرجل يخزى خزيا في الحياة الدنيا يعني في عاجل الدنيا قبل الآخرة ثم اختلف في الخزي الذي أخزاهم الله بما سلف من معصيتهم اياه فقال بعضهم ذلك هو حكم الله الذي أنزله الى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم من أخذ القاتل بمن قتل والقود به قصاصا والانتقام للمظلوم من الظالم وقال آخرون بل ذلك هو أخذ الجزية منهم ما أقاموا على دينهم ذلة لهم وصغارا وقال آخرون بل ذلك الخزي الذي جوزوا به في الدنيا اخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم النضير من ديارهم لاول الحشر وقتل مقاتلة قريظة وسبي ذراريهم فكان ذلك خزيا في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب) يعني بقوله ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب ويوم تقوم الساعة يرد من يفعل ذلك منكم بعد الخزي الذي يحل به في الدنيا جزاء على معصية الله الى أشد العذاب الذي أعد الله لاعدائه وقد قال بعضهم معنى ذلك ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب من عذاب الدنيا ولا معنى لقول قائل ذلك بان الله جل ثناؤه انما أخبر أنهم يردون الى أشد معاني العذاب ولذلك أدخل فيه الالف واللام لانه عني به جنس العذاب كله دون نوع منه ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وما الله بغافل عما تعملون) اختلف القراء في قراءة ذلك فقرأه بعضهم وما الله بغافل عما يعملون بالياء على وجه الاخبار عنهم فكأنهم نحوا بقراءتهم معنى فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب وما الله بغافل عما يعملون يعني عما يعمله الذين أخبر الله عنهم أنه ليس لهم جزاء على فعلهم الا الخزي في الحياة الدنيا ومرجعهم في الآخرة الى أشد العذاب وقرأه آخرون وما الله بغافل عما تعملون بالتاء على وجه المخاطبة قال فكأنهم نحوا بقراءتهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض وما الله بغافل يا معشر اليهود عما تعملون أنتم وأعجب القراءتين الي قراءة من قرأ بالياء اتباعا لقوله فما جزاء من يفعل ذلك منكم ولقوله ويوم القيامة يردون لان قوله وما الله بغافل عما يعملون الى ذلك أقرب منه الى قوله أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون

ببعض

واسناده الى الله فالوعيد مرتب على كل منهما وعلى مجموعهما الا أنه على الثانى أبلغ ولهذا جىء بثم وقوله ليشتروا به ثمنا قليلا تنبيه على شقاوتهم فانهم استبدلوا النفع الحقير العاجل الزائل بالاجر العظيم الآجل الدائم (فويل لهم مما كتبت أيديهم) أى مما أسلفت من كتبها ما لم يكن يحل لهم (وويل لهم مما يكسبون) بذلك بعد من الرشا على التحريف وفى اعادة الويل فى الكسب دليل على أن الوعيد كما يلحقهم بسبب الكتبة واسنادها الى الله فكذلك يلحقهم بسبب أخذ المال عليه ليعلم ان أخذ المال على الباطل (٣١٩) محرم وان كان بالتراضى (وقالوا لن تمسنا النار) نوع آخر من قبائح أفعالهم وهو جزمهم بان الله تعالى لا يعذبهم الا أياما معدودة قليلة وهذا الجزم مما لا سبيل اليه بالعقل البتة ولا دليل له سمعيا فلا يجزم به عاقل والايام المعدودة قالوا أربعون يوما هى أيام عبادة العجل وعن مجاهد قالوا امدة الدنيا سبعة آلاف سنة وانما نعذب مكان كل ألف سنة يوما لان يوما عند الله ألف سنة وأيام معدودة ومعدودات كلاهما فصيح مثل الايام مضت ومضين والعهد ههنا يجرى مجرى الوعد والخبر لان خبره سبحانه كالعهود المؤكدة منا بالقسم والنذر وأتخذتم استفهام بطريق الانكار وانه يدل على عدم الدليل السمعى فلن يخلف الله عهده لتنزهه سبحانه عن كل نقيصة وخلاف الخبر أنقص النقائص فان قيل هب ان الخلف فى الوعد لؤم ونقيصة لكنه فى الوعيد كرم ولطف قلنا الخلف من حيث هو كذب قبيح لا يجوزه كامل ولعل للكرم طريقا آخر سوى هذا فتأمل وأم اما معادلة بمعنى أى الامرين كائن على سبيل التقدير لان العلم واقع بكون أحدهما وهذا من الكامل المنصف نحو وانا أو اياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين ويجوز أن تكون منقطعة بمعنى بل أتقولون كانه أعرض عن الاستفهام الاول واستأنف سؤالا ثانيا فالاستفهام الاول لتقرير النفى والاستفهام الثانى لتقرير الاثبات وفى الآية تنبيه على أن القول بغير دليل باطل وان كل ما جاز وجوده وعدمه عقلا لم يجز المصير الى الاثبات أو الى النفى الا بدليل سمعى ولا حجة لمنكرى القياس وخبر الواحد فيه لانه لما دل الدليل على وجوب العمل عند حصول الظن المستند الى القياس أو الى خبر الواحد كان وجوب العمل معلوما فكان القول به قولا بالمعلوم (بلى) اثبات لما بعد حرف النفى وهو قوله لن تمسنا النار أى بلى تمسكم أبدا بدليل قوله تعالى هم فيها خالدون عن ابن عباس وجد أهل الكتاب ما بين طرفى جهنم

ببعض فاتباعه الاقرب اليه أولى من الحاقه بما لا بعد منه والوجه الآخر غير بعيد من الصواب وتأويل قوله وما الله بساه عن أعمالهم الخبيثة بل هو محص لها وحافظها عليهم حتى يجازيهم بها فى الآخرة ويخزيهم فى الدنيا فيذلهم ويفضحهم

❁ القول فى تأويل قوله تعالى (أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون) يعنى بقوله جل ثناؤه أولئك الذين أخبر عنهم أنهم يؤمنون ببعض الكتاب فيفادون أسراهم من اليهود ويكفرون ببعض فيقتلون من حرم الله عليهم قتله من أهل ملتهم ويخرجون من داره من حرم الله عليهم اخراجه من داره نقضا لعهد الله وميثاقه فى التوراة اليهم فاخبر جل ثناؤه أن هؤلاء الذين اشتروا رياسة الحياة الدنيا على الضعفاء وأهل الجهل والغباء من أهل ملتهم وابتاعوا المآكل الخسيسة الرديئة فيها بالايمان الذى كان يكون لهم به فى الآخرة لو كانوا أتوا به مكان الكفر الخلود فى الجنان وانما وصفهم الله جل ثناؤه بانهم اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة لانهم رضوا بالدنيا بكفرهم بالله فيها عوضا من نعيم الآخرة الذى أعده الله للمؤمنين فجعل حظوظهم من نعيم الآخرة بكفرهم بالله ثمنا لما ابتاعوه به من خسيس الدنيا كما حدثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة استحبوا قليل الدنيا على كثير الآخرة (قال أبو جعفر) ثم أخبر الله جل ثناؤه أنهم اذ باعوا حظوظهم من نعيم الآخرة بتركهم طاعته وايثارهم الكفر به والخسيس من الدنيا عليه لا حظ لهم فى نعيم الآخرة وان الذى لهم فى الآخرة العذاب غير مخفف عنهم فيها العذاب لان الذى يخفف عنه فيها من العذاب هو الذى له حظ فى نعيمها ولا حظ لهؤلاء لاشترائهم الذى كان فى الدنيا ودنياهم بآخرتهم وأما قوله ولا هم ينصرون فانه أخبر عنهم انه لا ينصرهم فى الآخرة أحد فيدفع عنهم بنصرته عذاب الله لا بقوته ولا بشفاعته ولا غيرهما

❁ القول فى تأويل قوله تعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل) يعنى بقوله جل ثناؤه آتينا موسى الكتاب أنزلناه اليه وقد بينا أن معنى الايتاء الاعطاء فيما مضى قبل والكتاب الذى آتاه الله موسى عليه السلام هو التوراة وأما قوله وقفينا فانه يعنى وأردفنا وأتبعنا بعضهم خلف بعض كما يقفو الرجل الرجل اذا سار فى أثره من ورائه وأصله من القفا يقال منه قفوت فلانا اذا صرت خلف قفاه كما يقال دبرته اذا صرت فى دبره ويعنى بقوله من بعده من بعد موسى ويعنى بالرسل الانبياء وهم جمع رسول يقال هو رسول وهم رسل كما يقال هو صبور وهم قوم صبر وهو رجل شكور وهم قوم شكر وانما يعنى جل ثناؤه بقوله وقفينا من بعده بالرسل أى أتبعنا بعضهم بعضا على منهاج واحد وشريعة واحدة لان كل من بعثه الله نبيا بعد موسى صلى الله عليه وسلم الى زمان عيسى بن مريم فانما بعثه يأمر بنى اسرائيل باقامة التوراة والعمل بما فيها والدعاء الى ما فيها فلذلك قيل وقفينا من بعده بالرسل يعنى على منهاجه وشريعته والعمل بما كان يعمل به

❁ القول فى تأويل قوله تعالى (وآتينا عيسى بن مريم البينات) يعنى بقوله وآتينا عيسى بن مريم

مسيرة أربعين فقالوا لن نعذب فى النار الا ما وجدنا فى التوراة واذا كان يوم القيامة أقحموا فى النار فساروا فى العذاب حتى انتهوا الى سقر وفيها شجرة الزقوم الى آخر يوم من الايام المعدودة قال لهم خزنة أهل النار يا أعداء الله زعمتم أنكم لن تعذبوا فى النار الا أياما معدودة فقد انقضى العدد وبقى الابد قلت وفى مثل حالهم ضلال الفلاسفة القائلين بان الارواح وان صارت مكدرة بقبائح أفعال الأشباح الا أنها بعد المفارقة ورجوع العناصر الى أصلها تصير الى (٣٢٠) حظائر القدس ولا يزاحمها شئ من قبائح الاعمال الا أياما معدودة بقدر فطام الارواح عن لبان التمتعات الحيوانية ثم تتخلص من العذاب وترجع الى حسن المآب ومنهم من زعم أن استيفاء اللذات الحسية يقلل التعلقات الدنيوية ويسهل عروج الروح الى عالمه العلوى وكل هذا خيال فاسد ومتاع كاسد وانه قول من لم يجرب ولم يجد من نفسه أنها كيف تتدنس وتتكدر بالاخلاق الذميمة البهيمية والسبعيه وكيف تتصفى وتتطهر بالاخلاق الحميدة الروحانية الملكيه فغمر بصدإ مرآة القلب بحيث لا يبقى فيه شئ من الصفاء الفطرى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون فلا يجلوها الامرور الدهور وكرور الاعصار وقد ينضم الكفر الى تلك الاخلاق فيبقى خالدا مخلدا فى النار فى ويل طويل وزفير وعويل نعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيآت أعمالنا والسيئة أصلها سيوئة من ساءه يسوءه سوأ ومساءة فقلبت الواو ياء وأدغمت وهى من الصفات الغالبة وقوله سيئة يتناول جميع المعاصى صغرت أو كبرت فضم اليها شرط آخر وهو كون السيئة محيطة به ليختص بالكبيرة ولفظ الاحاطة حقيقة فى المجسمات احاطة السور بالبلد والظرف بالمظروف فنقل الى الخطيئة وهى عرض لمعنيين من جهة أن المحيط يستر المحاط به والكبيرة تستر الطاعات ومن جهة أن الكبيرة تحبط الطاعات وتستولى عليها احاطة العدو بالانسان بحيث لا يتمكن الانسان من الخلاص عنهم والآية وان وردت فى اليهود فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وعليها تمسك المعتزلة فى اثبات الوعيد لاصحاب الكبائر اذا ماتوا قبل التوبة وفسر غيرهم الخطيئة المحيطة بالكفر فبه تتحقق الاحاطة التامة واعلم ان فى المسئلة خلافا لأهل القبلة منهم من قطع بوعيدهم اما مؤبدا وهو قول جمهور المعتزلة والخوارج واما منقطعا وهو قول بشر المريسى والخالدى ومنهم من قطع بانه

وعلى

البينات أعطينا عيسى بن مريم ويعنى بالبينات التى آتاه الله اياها ما أظهر على يديه من الحجج والدلالة على نبوته من احياء الموتى وابراء الاكمه ونحو ذلك من الآيات التى أبانت منزلته من الله ودلت على صدقه وصحة نبوته كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال حدثنى محمد بن اسحق قال ثنا محمد بن أبى محمد عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس وآتينا عيسى بن مريم البينات أى الآيات التى وضع على يديه من احياء الموتى وخلقه من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طائرا باذن الله وابراء الاسقام والخبر بكثير من الغيوب مما يدخرون فى بيوتهم وما رد عليهم من التوراة مع الانجيل الذى أحدث الله اليه ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (وأيدناه بروح القدس) أما معنى قوله وأيدناه فانه قويناه فأعناه كما حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك وأيدناه يقول نصرناه يقال منه أيدك الله أى قواك وهو رجل ذو أيد وذو آد يراد ذو قوة ومنه قول العجاج * من أن تبدلت بآدى آدا * يعنى بشبابى قوة المشيب ومنه قول الآخر

ان القداح اذا اجتمعن فرامها * بالكسر ذو جلد و بطش أيد

يعنى بالأيد القوى ثم اختلف فى تأويل قوله روح القدس فقال بعضهم روح القدس الذى أخبر الله تعالى ذكره أنه أيد عيسى به هو جبريل عليه السلام ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله وأيدناه بروح القدس قال هو جبريل حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدى قوله وأيدناه بروح القدس قال هو جبريل عليه السلام حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك فى قوله وأيدناه بروح القدس قال روح القدس جبريل حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع وأيدناه بروح القدس قال أيد عيسى بجبريل وهو روح القدس وقال ابن حميد حدثنا سلمة عن اسحق قال حدثنى عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى الحسين المكى عن شهر بن حوشب الاشعرى أن نفرا من اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أخبرنا عن الروح قال أنشدكم بالله وبايامه عند بنى اسرائيل هل تعلمون أنه جبريل وهو يأتينى قالوا نعم وقال آخرون الروح الذى أيد الله به عيسى هو الانجيل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وأيدناه بروح القدس قال أيد الله عيسى بالانجيل روحا كما جعل القرآن روحا كلاهما روح الله كما قال الله وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا وقال آخرون هو الاسم الذى كان عيسى يحيى به الموتى ذكر من قال ذلك حدثت عن المنجاب قال ثنا بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس وأيدناه بروح القدس قال هو الاسم الذى كان يحيى عيسى به الموتى وأولى التأويلات فى ذلك بالصواب قول من قال الروح فى هذا الموضع جبريل لان الله جل ثناؤه أخبر أنه أيد عيسى به كما أخبر فى قوله اذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتى عليك

وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس فى المهد وكهلا واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل فلو كان الروح الذى أيده الله به هو الانجيل لكان قوله اذ أيدتك بروح القدس واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل تكرير قول لا معنى له وذلك أنه على تأويل قول من قال معنى اذ أيدتك بروح القدس انما هو اذ أيدتك بالانجيل واذ علمتك الانجيل وهو لا يكون به مؤيدا الا وهو معلمه فذلك تكرير كلام واحد من غير زيادة معنى فى أحدهما على الآخر وذلك خلف من الكلام والله تعالى ذكره يتعالى عن أن يخاطب عباده بما لا يفيدهم به فائدة واذا كان ذلك كذلك فبين فساد قول من زعم أن الروح فى هذا الموضع الانجيل وان كان جميع كتب الله التى أوحاها الى رسله روحا منه لانها تحيا بها القلوب الميتة وتنتعش بها النفوس المولية وتهتدى بها الاحلام الضالة وانما سمى الله تعالى جبريل روحا وأضافه الى القدس لانه كان بتكوين الله له روحا من عنده من غير ولادة والد ولده فسماه بذلك روحا وأضافه الى القدس والقدس هو الطهر كما سمى عيسى بن مريم روحا لله من أجل تكوينه له روحا من عنده من غير ولادة والد ولده وقد بينا فيما مضى من كتابنا هذا أن معنى التقديس التطهير والقدس الطهر من ذلك وقد اختلف أهل التأويل فى معناه فى هذا الموضع نحو اختلافهم فى الموضع الذى ذكرناه حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال القدس البركة حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه قال القدس هو الرب تعالى ذكره حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد وأيدناه بروح القدس قال الله القدس وأيد عيسى بروحه قال نعت الله القدس وقرأ قول الله جل ثناؤه هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس قال القدس والقدّوس واحد حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى عمرو بن الحرث عن سعيد بن أبى هلال بن أسامة عن عطاء بن يسار (١) قال قال كعب الله القدس ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى (أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون) يعنى جل ثناؤه بقوله أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم اليهود من بنى اسرائيل حدثنى بذلك محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال حدثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال أبو جعفر يقول الله جل ثناؤه لهم يا معشر يهود بنى اسرائيل لقد آتينا موسى التوراة وتابعنا من بعده بالرسل اليكم وآتينا عيسى بن مريم البينات والحجج اذ بعثناه اليكم وقويناه بروح القدس وأنتم كلما جاءكم رسول من رسلى بغير الذى تهواه نفوسكم استكبرتم عليهم تجبرا وبغيا استكبار امامكم ابليس فكذبتم بعضا منهم وقتلتم بعضا فهذا فعلكم أبدا برسلى وقوله أفكلما وان كان خرج مخرج التقرير فى الخطاب فهو بمعنى الخبر ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى (وقالوا قلوبنا غلف)

---

(١) قوله قال قال كعب الخ كذا فى نسخة وفى أخرى قال قال نعت الله القدس فانظر هل هو من قول كعب أولا وحرر الرواية كتبه مصححه

وعيد لهم وينسب الى مقاتل بن سليمان المفسر والذى عليه أكثر الصحابة والتابعين وأهل السنة والامامية القطع بأنه سبحانه يعفو عن بعض العصاة فانه اذا عذب أحدهم فلا يعذبه أبدا لكنا نتوقف فى حق البعض المعفو عنه والبعض المعذب على التعيين أما المعتزلة فاستدلوا بعمومات وردت فى وعيد الفساق كقوله ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وقوله وان الفجار لفى جحيم وقوله ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا ومن الحديث من شرب الخمر فى الدنيا ولم يتب منها لم يشربها فى الآخرة ومن قتل نفسا معاهدا لم يرح رائحة الجنة الذى يشرب فى آنية الذهب والفضة انما يجرجر فى بطنه نار جهنم وعن أبى سعيد الخدرى قال صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لا يبغضنا أهل البيت رجل الا دخل النار واذا استحقوا النار ببغضهم فلأن يستحقوا النار بقتلهم أولى وأجيب بالمنع من أن هذه الصيغ للعموم بدليل صحة ادخال الكل والبعض عليها نحو كل من دخل دارى فله كذا أو بعض من دخل ولا يلزم منه تكرير ولا تناقض ولان الاكثر قد يطلق عليه لفظ الكل ولاحتمال المخصصات القاطعون بنفى العقاب عن أهل الكبائر احتجوا بنحو قوله تعالى ان الخزى اليوم والسوء على الكافرين يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم لا يصلاها الا الاشقى الذى كذب وتولى وبالعمومات الواردة فى الوعد مثل والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك الآية حكم بالفلاح على كل من آمن وعورض بعمومات الوعيد أما أصحابنا الذين قطعوا بالعفو فى حق البعض والتوقف فى البعض فقد تمسكوا بنحو قوله عز من قائل ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وبأن عمومات الوعد والوعيد لما تعارضتا فلابد من الترجيح لجانب الوعد بصرف التأويل اليه لان العفو عن الوعيد مستحسن فى العرف واهمال الوعد بالضد وأيضا القرآن مملوء من قوله عفوا غفورا رحيما كريما وكذا الاخبار فى هذا المعنى تكاد تبلغ حد التواتر وأيضا ان صاحب الكبيرة أتى بما هو أفضل الخيرات وهو الايمان ولم يأت بما هو أقبح القبائح وهو الكفر ولا يهدمه ما سوى الكفر من المعاصى ولهذا قال يحيى ابن معاذ الرازى الهى اذا كان توحيد ساعة يهدم كفر خمسين سنة فتوحيد خمسين سنة كيف لا يهدم معصية ساعة الهى لما كان الكفر

لا ينفع معه شيء من الطاعات كان مقتضى العدل أن الايمان لا يضر معه شيء من المعاصي واذا دلت الآيات على الوعد والوعيد فلا بد من التوفيق بينهما فاما أن يصل العبد الى دار الثواب ثم الى دار العقاب وهو باطل بالاجماع أو يصل اليه العقاب ثم ينقل الى دار الثواب و يبقى هنالك أبد الآباد وهو المطلوب واعلم أن مذهب الاصحاب الى الادب أقرب من حيث انهم يصفونه بصفات الجمال كالعفو والمغفرة و بصفات الجلال كالقهر والانتقام ولكن لا يوجبون

عليه ثوابا ولا عقابا لانه يفعل ما يشاء و يحكم ما يريد ومن حيث انهم لا يعنون البعض المستحق للثواب ولا البعض المستحق للعقاب من المسلمين لان فعله مبرأ عن التعلل بلواحق الغايات وسوابق البواعث ومذهب المعتزلة الى الاحتياط أقرب فان من خوفك حتى تبلغ الامن خير ممن أمنك حتى تبلغ الخوف (واذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله و بالوالدين احسانا وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم الا قليلا منكم وأنتم معرضون واذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان وان يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم اخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحياة الدنيا و يوم القيامة يردون الى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون) * القراآت لا يعبدون بالياء الغيبة ابن كثير وحمزة وعلي والمفضل القربى بالامالة المفرطة حمزة وعلي وخلف وقرأ أبو عمرو بالامالة اللطيفة وكذلك كل كلمة على وزن فعلى حسنا وصفا يعقوب وحمزة وعلي وخلف والمفضل تظاهرون خفيفا عاصم وحمزة وعلي وخلف وحذف احدى التاءين للتخفيف الباقون بالتشديد ووجهه ادغام التاء في الظاء أسارى بالامالة تفدوهم أبو عمرو وخلف أسارى مفخما تفدوهم ابن كثير وابن عامر أسرى بالامالة تفدوهم حمزة أسارى بالامالة تفادوهم علي والنجاري عن ورش والخراز عن هبيرة والباقون أسارى مفخما تفادوهم تردون بتاء الخطاب أبو زيد عن المفضل يعملون بياء الغيبة ابن كثير ونافع وخلف ويعقوب وأبو بكر وحماد بناء لآخر الكلام على أوله الباقون بالتاء تغليبا للمخاطبين

اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأه بعضهم وقالوا قلوبنا غلف مخففة اللام ساكنة وهي قراءة عامة الامصار في جميع الاقطار وقرأه بعضهم وقالوا قلوبنا غلف مثقلة اللام مضمومة فاما الذين قرؤها بسكون اللام وتخفيفها فانهم تأولوها أنهم قالوا قلوبنا في أكنة وأغطية وغلف والغلف على قراءة هؤلاء جمع أغلف وهو الذي في غلاف وغطاء كما يقال للرجل الذي لم يختتن أغلف والمرأة غلفاء وكما يقال للسيف اذا كان في غلافه سيف أغلف وقوس غلفاء وجمعها غلف وكذلك جمع ما كان من النعوت ذكره على أفعل وأنثاه على فعلاء يجمع على فعل مضمومة الاول ساكنة الثاني مثل أحمر وحمر وأصفر وصفر فيكون ذلك جماعا للتأنيث والتذكير ولا يجوز تثقيل عين فعل منه الا في ضرورة شعر كما قال طرفة بن العبد

أيها الفتيان في مجلسنا * جردوا منها ورادا وشقر

يريد شقرا الا أن الشعر اضطره الى تحريك ثانيه فحركه ومنه الخبر الذي حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير بن سلمان قال ثنا عمرو بن قيس الملائي عن عمرو بن مرة الجملي عن أبي البختري عن حذيفة قال القلوب أربعة ثم ذكرها فقال فيما ذكر وقلب أغلف معصوب عليه فذلك قلب الكافر ذكر من قال ذلك يعني انها في أغطية حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال حدثني ابن اسحق قال حدثني محمد بن أبي محمد عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس وقالوا قلوبنا غلف أي في أكنة حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنا معاوية بن صالح عن أبي طلحة عن ابن عباس قوله قلوبنا غلف أي في غطاء حدثني محمد بن سعد قال حدثني أبي قال حدثني عمي قال حدثني أبي عن أبيه عن ابن عباس وقالوا قلوبنا غلف فهي القلوب المطبوع عليها حدثني عباس بن محمد قال ثنا حجاج قال قال ابن جريج أخبرني عبد الله بن كثير عن مجاهد قوله وقالوا قلوبنا غلف عليها غشاوة حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل قال أخبرني عبد الله بن كثير عن مجاهد وقالوا قلوبنا غلف عليها غشاوة حدثنا أحمد بن اسحق الاهوازي قال ثنا أبو أحمد الزبيري قال ثنا شريك عن الاعمش قوله قلوبنا غلف قال هي في غلف حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة وقالوا قلوبنا غلف أي لا تفقه حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة وقالوا قلوبنا غلف قال هو كقوله قلوبنا في أكنة حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله قلوبنا غلف قال عليها طابع قال هو كقوله قلوبنا في أكنة حدثني المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية قلوبنا غلف أي لا تفقه حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي وقالوا قلوبنا غلف قال يقولون عليها غلاف وهو الغطاء حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله قلوبنا غلف قال يقول قلبي في غلاف فلا يخلص اليه مما تقول وقرأ

وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا اليه (قال أبو جعفر) وأما الذين قرؤها غلف بتحريك اللام وضمها فانهم تأولوها أنهم قالوا قلوبنا غلف للعلم بمعنى أنها أوعية (قال) والغلف على تأويل هؤلاء جمع غلاف كما يجمع الكتاب كتب والحجاب حجب والشهاب شهب فمعنى الكلام على تأويل قراءة من قرأ غلف بتحريك اللام وضمها وقالت اليهود قلوبنا غلف للعلم وأوعية له ولغيره ذكر من قال ذلك حدثنى عبيد بن أسباط بن محمد قال ثنا أبى عن فضيل بن مرزوق عن عطية وقالوا قلوبنا غلف قال أوعية للذكر حدثنى محمد بن عمارة الأسدى قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا فضيل عن عطية فى قوله قلوبنا غلف قال أوعية للعلم حدثنا أحمد بن اسحق الاهوازى قال ثنا أبو أحمد قال ثنا فضيل عن عطية مثله حدثت عن المنجاب قال ثنا بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس فى قوله وقالوا قلوبنا غلف قال مملوأة علما لا تحتاج الى محمد صلى الله عليه وسلم ولا غيره والقراءة التى لا يجوز غيرها فى قوله قلوبنا غلف هى قراءة من قرأ غلف بتسكين اللام بمعنى انها فى أغشية وأغطية لاجتماع الحجة من القراء وأهل التأويل على صحتها وشذوذ من شذ عنهم بما خالفه من قراءة ذلك بضم اللام وقد دللنا على أن ما جاءت به الحجة متفقة عليه حجة على من بلغه وما جاء به المنفرد فغير جائز الاعتراض به على ما جاءت به الجماعة التى تقوم بها الحجة نقلا وقولا وعملا فى غير هذا الموضع فاغنى ذلك عن اعادته فى هذا المكان ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (بل لعنهم الله بكفرهم) يعنى جل ثناؤه بقوله بل لعنهم الله بل أقصاهم الله وأبعدهم وطردهم وأخزاهم وأهلكهم بكفرهم وجحودهم آيات الله وبيناته وما ابتعث به رسله وتكذيبهم أنبياءه فاخبر تعالى ذكره أنه أبعدهم منه ومن رحمته بما كانوا يفعلون من ذلك وأصل اللعن الطرد والابعاد والاقصاء يقال لعن الله فلانا يلعنه لعنا وهو ملعون ثم يصرف مفعول فيقال هو لعين ومنه قول الشماخ بن ضرار

ذعرت به القطا ونفيت عنه * مكان الذئب كالرجل اللعين

(قال أبو جعفر) فى قول الله تعالى ذكره بل لعنهم الله بكفرهم تكذيب منه للقائلين من اليهود قلوبنا غلف لان قوله بل دلالة على جحده جل ذكره وانكاره ما ادعوا من ذلك اذ كانت بل لا تدخل فى الكلام الا نقضا لمجحود فاذا كان ذلك كذلك فبين أن معنى الآية وقالت اليهود قلوبنا فى أكنة مما تدعونا اليه يا محمد فقال الله تعالى ذكره ما ذلك كما زعموا ولكن الله أقصى اليهود وأبعدهم من رحمته وطردهم عنها وأخزاهم بجحودهم له ولرسله فقليلا ما يؤمنون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (فقليلا ما يؤمنون) اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله فقليلا ما يؤمنون فقال بعضهم معناه فقليل منهم من يؤمن أى لا يؤمن منهم الا قليل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد ابن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون فلعمرى لمن رجع من أهل الشرك أكثر ممن رجع من أهل الكتاب انما آمن من أهل الكتاب رهط يسير حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فقليلا ما يؤمنون قال لا يؤمن

على الغيب * الوقوف الزكاة ط لان ثم لترتيب الاخبار أى مع ذلك توليتم ومعرضون وتشهدون ٥ من ديارهم ز لان تظاهرون يشبه استئنافا وكونه حالا أوجه والعدوان ط اخراجهم ط ببعض ج لابتداء الاستفهام أو النفى مع فاء التعقيب الدنيا ط لعطف الجملتين المختلفتين العذاب ط يعملون ٥ بالآخرة ز لان الفعل مستأنف وفيه فاء التعقيب للجزاء ينصرون ٥ * التفسير انه سبحانه كلفهم باشياء الاول قوله لا تعبدون الا الله من قرأ بياء الغيبة فلانهم غيب ومن قرأ بتاء الخطاب فلحكاية ما خوطبوا به وفى اعرابه أقوال أحدها أنه اخبار فى معنى النهى كقولك تذهب الى فلان تريد الامر وهو أبلغ من صريح الامر والنهى كانه سورع الى الامتثال فهو يخبر عنه ويؤيد هذا القول عطف وقولوا وأقيموا عليه وثانيها التقدير أن لا تعبدوا فلما حذفت أن رفعت كقوله * ألا أيهذا الزاجرى أحضر الوغى (١) ويحتمل أن تكون أن مفسرة وأن تكون مع الفعل بدلا من الميثاق كانه قيل أخذنا ميثاق بنى اسرائيل توحيدهم وثالثها هو جواب قوله أخذنا ميثاق بنى اسرائيل اجراء له مجرى القسم كانه قيل واذ أقسمنا عليهم لا تعبدون وهذا التكليف بالحقيقة يتضمن جميع ما لا بد منه فى الدين لان الامر بعبادته والنهى عن عبادة غيره مسبوق بالعلم بذاته سبحانه وبجميع ما يجب له ويستحيل عليه ومسبوق أيضا بالعلم بكيفية تلك العبادة التى لا سبيل الى معرفتها الا بالوحى والرسالة * التكليف الثانى قوله وبالوالدين احسانا معناه يحسنون بالوالدين احسانا ليناسب لا يعبدون أو أحسنوا ليناسب وقولوا ويمكن أن يقدر وصيناهم عطفا على أخذنا وهذا أنسب لمكان الباء ولا بد من تقدير القول اما قبل لا تعبدوا واما قبل أحسنوا واما قبل قولوا وانما جعل الاحسان الى الوالدين تاليا لعبادة الله لوجوه منها أنهما سبب وجود الولد كما أنهما سبب التربية وغير الوالدين قد يكون سبب التربية فقط فلا انعام بعد انعام الله تعالى أعظم من انعام الوالدين ومنها أن انعامهما يشبه انعام الله تعالى من حيث انهما لا يطلبان بذلك ثناء ولا ثوابا انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ومنها أنه تعالى لا يمل من انعامه على العبد وان أتى باعظم الجرائم فكذا الوالدان لا يقطعان عنه مواد كرمهما وان كان غير بار بهما ومنها أن الوالد المشفق يتصرف فى مال ولده بالاسترباح والغبطة والله سبحانه يأخذ الحبة فيربيها مثل جبل أحد ومنها أن المناسبة والميل والمحبة بين الوالد وولده ذاتية

---

(١) قوله ويحتمل الخ عبارة الكشاف بعد شطر البيت المذكور ويدل عليه قراءة عبد الله أن لا تعبدوا ويحتمل أن لا تعبدوا أن تكون أن فيه مفسرة الى آخر العبارة وبها يتبين ما هنا كتبه مصححه

حتى عمت جميع الحيوان كما أن المناسبة بين الواجب والممكن ذاتية لا عرضية وههنا أسرار فليتأمل ومنها أنه لا كمال يمكن للولد الا ويطلبه الوالد لاجله ويريده عليه كما أن الله تعالى لا خير يمكن للعبد الا وهو يريده عليه ولهذا أرسل الرسل وأنزل الكتب ونصب الادلة وأزاح العلة ومن غاية شفقة الوالدين أنهما لا يحسدان ولدهما اذا كان خيرا منهما بل يتمنيان ذلك بخلاف غيرهما فانه لا يرضى أن يكون غيره خيرا منه وتعظيم الوالدين أمر معتبر فى جميع الشرائع ومركوز فى كل العقول وقد ورد أطع الوالدين وان كانا كافرين وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه نهى حنظلة بن أبى عامر الراهب عن قتل أبيه وكان مشركا ولهذا أطلق الاحسان اليهما فى الآية اطلاقا وقد تلطف ابراهيم عليه السلام فى دعوة أبيه من الكفر الى الايمان فى قوله يا أبت يا أبت والاحسان اليهما أن يحبهما من صميم القلب ويراعى دقائق الادب والخدمة والشفقة ويبذل وسعه فى رضاهما قولا وفعلا ولا يمنع اعز أوقاته وكرائم أمواله عنهما ويجتهد فى تنفيذ وصاياهما ويذكرهما فى صالح دعائه كما أرشد الله تعالى الى جميع ما ذكرنا فى قوله فلا تقل لهما أف الى آخر الآية * التكليف الثالث الاحسان الى ذوى القرابة ويعبر عنه بصلة الرحم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحم شجنة من الرحمن قال الله من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته والشجنة الاشتباك أى الرحم مشتقة من الرحمن يعنى أنها قرابة من الله مشتبكة كاشتباك العروق والسبب العقلى فى تاكيد رعاية هذا الحق أن القرابة مظنة الاتحاد والالفة والرعاية والنصرة ولهذا صار كالتابع لحق الوالدين لان الانسان انما يتصل به أقرباؤه بواسطة اتصالهم بالوالدين قال الشافعى لو أوصى لاقارب زيد دخل فيه الوارث وغير الوارث والمحرم وغير المحرم والمسلم والكافر والذكر والانثى والغنى والفقير والاجداد والاحفاد لا الابوان والولد على الاظهر لان الوالد والولد لا يعرفان فى العرف بالقريب وههنا دقيقة وهى أن العرب يحفظون الاجداد العالية ليرتفع نسبهم ونحن لو ترقينا الى الجد العالى وحسبنا أولاده كثروا فلهذا قال الشافعى نرتقى الى أقرب جد ينسب هو اليه ويعرف به وذكروا فى مثاله أنه لو أوصى لاقارب الشافعى فانا نصرفه الى أولاد شافع فانه منسوب اليه ولا يدخل فيها أولاد على والعباس وان كان شافع وعلى والعباس كلهم أولاد السائب بن عبيد والشافعى هو محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب

منهم الا قليل وقال آخرون بل معنى ذلك فلا يؤمنون الا بقليل مما فى أيديهم ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة فقليلا ما يؤمنون قال لا يؤمن منهم الا قليل قال معمر وقال غيره لا يؤمنون الا بقليل مما فى أيديهم وأولى التأويلات فى قوله فقليلا ما يؤمنون بالصواب ما نحن متقنوه ان شاء الله وهو أن الله جل ثناؤه أخبر أنه لعن الذين وصف صفتهم فى هذه الآية ثم أخبر عنهم أنهم قليلو الايمان بما أنزل الله الى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولذلك نصب قوله فقليلا لانه نعت المصدر المتروك ذكره ومعناه بل لعنهم الله بكفرهم فايمانا قليلا ما يؤمنون فقد تبين اذا بينا فساد القول الذى روى عن قتادة فى ذلك لان معنى ذلك لو كان على ما روى من أنه يعنى به فلا يؤمن منهم الا قليل أو فقليل منهم من يؤمن لكان القليل مرفوعا لا منصوبا لأنه اذا كان ذلك تأويله كان القليل حينئذ مرافعا ما (١) وان نصب القليل وما فى معنى من أو الذى بقيت ما لا مرافع لها وذلك غير جائز فى لغة أحد من العرب فأما أهل العربية فانهم اختلفوا فى معنى ما التى فى قوله فقليلا ما يؤمنون فقال بعضهم هى زائدة لا معنى لها وانما تأويل الكلام فقليلا يؤمنون كما قال جل ذكره فبما رحمة من الله لنت لهم وما أشبه ذلك فزعم ان ما فى ذلك زائدة وان معنى الكلام فبرحمة من الله لنت لهم وأنشد فى ذلك محتجا لقوله ذلك ببيت مهلهل

لو بأبانين جاء يخطبها * خضب ما أنف خاطب بدم

وزعم أنه يعنى خضب أنف خاطب بدم وأن ما زائدة وأنكر آخرون ما قاله قائل هذا القول فى ما فى الآية وفى البيت الذى أنشده وقالوا انما ذلك من المتكلم على ابتداء الكلام بالخبر عن عموم جميع الاشياء اذ كانت ما كلمة تجمع كل الاشياء ثم تخص وتعم ما عمته بما تذكره بعدها وهذا القول عندنا أولى بالصواب لان زيادة ما لا تفيد من الكلام معنى فى الكلام غير جائز اضافته الى الله جل ثناؤه ولعل قائلا أن يقول هل كان للذين أخبر الله عنهم أنهم قليلا ما يؤمنون من الايمان قليل أو كثير فيقال فيهم فقليلا ما يؤمنون قيل ان معنى الايمان هو التصديق وقد كانت اليهود التى أخبر الله عنها هذا الخبر تصدق بوحدانية الله وبالبعث والثواب والعقاب وتكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ونبوته وكل ذلك كان فرضا عليهم الايمان به لانه فى كتبهم ومما جاءهم به موسى فصدقوا ببعض وذلك هو القليل من ايمانهم وكذبوا ببعض فذلك هو الكثير الذى أخبر الله عنهم أنهم يكفرون به وقد قال بعضهم انهم كانوا غير مؤمنين بشئ وانما قيل فقليلا ما يؤمنون وهم بالجميع كافرون كما تقول العرب قلما رأيت مثل هذا قط وقد روى عنها سماعا منها مررت ببلاد قلما تنبت الا الكراث والبصل يعنى ما تنبت غير الكراث والبصل وما أشبه ذلك من الكلام الذى ينطق به بوصف الشئ بالقلة والمعنى فيه نفى جميعه

القول فى تأويل قوله تعالى (ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم) يعنى جل

ثناؤه

---

(١) كثيرا ما يعبر المؤلف بالمرافعة فى اعراب المبتدا والخبر على مذهب الكوفيين من أن كلا منهما رافع للآخر فليعلم كتبه مصححه

ابن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف قال المحققون هذا فى زمان الشافعى وأما فى زماننا فلا نصرفه الا الى أولاد الشافعى ولا نرتقى الى بنى شافع لانه أقرب من يعرف به أقاربه فى زماننا ولا يدخل الاقارب من الام فى وصية العرب لان قرابة الام لا تعدها العرب قرابة ولا تفتخر بها أما لو أوصى لذى رحم زيد فيدخل فيه قرابة الام فى وصية العرب والعجم لان لفظ الرحم لا يختص بطرف الاب بحال وذهبت طائفة الى أن الاقوى على ما أجاب به العراقيون ومال اليه أبو حنيفة هو أن أقارب الام تدخل فى الوصية سواء كانت فى وصية العرب أو وصية العجم وتوجيه الفارق ممنوع لقوله صلى الله عليه وسلم سعد خالى فليرنى امرؤ خاله والاحسان الى الاقارب قريب من الاحسان الى الوالدين وذلك بأن يجتهد فى رضاهم بما تيسر له عرفا وشرعا وينفق عليهم بالمعروف ان كانوا معسرين وهو موسر * التكليف الرابع الاحسان الى اليتامى واليتيم من الاطفال الذى مات أبوه الى أن يبلغ الحلم فيجب على وليه حفظ ماله واستنماؤه قدر النفقة والزكاة ومؤن الملك عما أمكنه والقيام بمصالحه مع رعاية دقائق الغبطة وقضاء حقوق النصيحة قال ابن عباس برفق بهم ويدنيهم ويمسح رأسهم واليتم فى غير الانسان من قبل أمه واليتيم من الدر ما لا أخت له وانما يجمع يتيم على يتامى لان اليتم لما كان من صفات الابتلاء حمل على الوجع والحبط فكما قالوا فى وجع وحبط لمنتفخ البطن وجاعى وحباطى قيل فى يتيم يتامى وفى الكشاف انه أجرى يتيم مجرى الاسماء نحو صاحب وفارس فقيل يتائم ثم يتامى على القلب وكذا فى اليتيمة * التكليف الخامس الاحسان الى المساكين واحدها مسكين أخذ من السكون كأن الفقر سكنه أو لانه الدائم السكون الى الناس لانه لا شئ له كالمسكير الدائم السكر وهو أسوأ حالا من الفقير عند أكثر أهل

ثناؤه بقوله ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم ولما جاء اليهود من بنى اسرائيل الذين وصف جل ثناؤه صفتهم كتاب من عند الله يعنى بالكتاب القرآن الذى أنزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم مصدق لما معهم يعنى مصدق للذى معهم من الكتب التى أنزلها الله من قبل القرآن كما **حدثنا** بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد قال حدثنا سعيد عن قتادة ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وهو القرآن الذى أنزل على محمد مصدق لما معهم من التوراة والانجيل **حدثت** عن عمار بن الحسن قال حدثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فى قوله ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وهو القرآن الذى أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم مصدق لما معهم من التوراة والانجيل ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به) يعنى بقوله جل ثناؤه وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا أى وكان هؤلاء اليهود الذين لما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم من الكتب التى أنزلها الله قبل الفرقان كفروا به يستفتحون بمحمد صلى الله عليه وسلم ومعنى الاستفتاح الاستنصار يستنصرون الله به على مشركى العرب من قبل مبعثه أى من قبل ان يبعث كما **حدثنى** ابن حميد قال حدثنا سلمة قال حدثنى ابن اسحق عن عاصم بن عمر بن قتادة الانصارى عن أشياخ منهم قالوا فينا والله وفيهم يعنى فى الانصار وفى اليهود الذين كانوا جيرانهم نزلت هذه القصة يعنى ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا قالوا كنا قد علوناهم دهرا فى الجاهلية ونحن أهل الشرك وهم أهل الكتاب فكانوا يقولون ان نبيا الآن مبعثه قد أظل زمانه يقتلكم قتل عاد وارم فلما بعث الله تعالى ذكره رسوله من قريش واتبعناه كفروا به يقول الله فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به **حدثنا** ابن حميد قال حدثنا سلمة قال حدثنى ابن اسحق قال حدثنى محمد بن أبى محمد مولى آل زيد بن ثابت عن سعيد بن جبير أو عكرمة مولى ابن عباس عن ابن عباس أن يهود كانوا يستفتحون على الاوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه فلما بعثه الله من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معرور أخو بنى سلمة يا معشر يهود اتقوا الله وأسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد صلى الله عليه وسلم ونحن أهل شرك وتخبروننا أنه مبعوث وتصفونه لنا بصفته فقال سلام بن مشكم أخو بنى النضير ما جاءنا بشئ نعرفه وما هو بالذى كنا نذكر لكم فأنزل الله جل ثناؤه فى ذلك من قولهم ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين **حدثنا** أبو كريب قال حدثنا يونس بن بكير قال حدثنا ابن اسحق قال حدثنى محمد بن أبى محمد مولى آل زيد بن ثابت قال حدثنى سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس مثله **حدثنى** محمد بن سعد قال حدثنى أبى قال حدثنى عمى قال حدثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا يقول يستنصرون بخروج

اللغة وهو قول أبى حنيفة ومالك واحتجوا عليه بقوله تعالى أو مسكينا ذا متربة وعند الشافعى وأحمد الامر بالعكس قالوا اشتقاق الفقير من فقار الظهر كأن فقاره انكسرت لشدة حاجته والمسكين قد علك ما يتعلل به كما فى قوله تعالى أما السفينة فكانت لمساكين وظهر أثر الخلاف فيما لو أوصى للفقراء دون المساكين أو بالعكس والاحسان الى ذوى القربى واليتامى والمساكين ينبغى أن يكون مغاير اللزكاة لان العطف يقتضى التغاير * التكليف السادس وقولوا للناس حسنا بالوصف أى قولا حسنا وحسنا على المصدر أى قولا ذا حسن أو قولا هو

الحسن في نفسه لافراط حسنه أو ليحسن قولكم حسنا والظاهر أن المخاطبين بذلك هم الذين أخذ ميثاقهم لاتحاد القصة قيل انه مخصوص اما بتخصيص الناس أي قولوا للمؤمنين حسنا بدليل آية القتال أشداء على الكفار رحماء بينهم واما بتخصيص القول أي قولوا للناس حسنا في الدعاء الى الله والامر بالمعروف وقال أهل الحقيقة انه على العموم وذلك ان كلام الناس مع الناس في الامور الدينية ان كان بالدعوة الى الايمان وجب أن يكون بالرفق واللين كما قال لموسى فقولا له قولا لينا وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وان كان بالدعوة الى الطاعة كالفساق فحسن القول أيضا معتبر ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ادفع بالتي هي أحسن وأما في الامور الدنيوية فمن المعلوم أنه اذا أمكن التوصل الى الغرض باللطيف من القول لم يعدل الى غيره وما دخل الرفق في شئ الا زانه وما دخل الخرق في شئ الا شانه فثبت أن جميع آداب الدين والدنيا داخل تحت هذا القول وعن الباقر قولوا للناس ما تحبون أن يقال لكم * التكليف السابع والثامن قوله وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وقد تقدم تفسيرهما ولا شك في وجوب هذه التكاليف عليهم بدليل أخذ الميثاق ولان ظاهر الامر للوجوب ولترتب الذم عليه بتوليهم وهذه التكاليف أيضا واجبة في شرعنا وعن ابن عباس أن الزكاة نسخت كل حق وضعف بان اغاثة المضطر واجبة وان لم تجب علينا الزكاة * واعلم أن التكاليف اما بدني أو مالي وكل منهما اما عام أو خاص فالبدني العام هو العبادة المطلقة وهي أن يكون بكل الجوارح والقوى منقادا مطيعا مؤتمرا لأمر الله تعالى بحيث لا يرى لنفسه شيأ من التصرف والاختيار كالعبد الماثل بين يدي مولاه واليه الاشارة بقوله تعالى لا تعبدون الا الله والبدني الخاص هو الصلاة وأشار اليه بقوله وأقيموا الصلاة فللصلاة أوقات مخصوصة وأركان وشروط معدودة والمالي الخاص هو الزكاة لتخصصها بالاصناف الزكوية وبالنصاب وبالحول وغير ذلك والمالي العام لكونه منوطا بالقدرة والامكان سببه اما نسب أولا والنسب اما سابق أو مقارن أو لاحق فالسابق الوالدان والمقارن الاقارب واللاحق اليتامى لانهم أولاد وذلك اذا كان الولي جدا أو بمنزلة الاولاد وذلك اذا كان الولي غيره وغير النسب اما الاحتياج وهو الفقر وهو المساكين أو الاشتراك في النوع ولا يمكن الا بالقول

محمد صلى الله عليه وسلم على مشركي العرب يعني بذلك أهل الكتاب فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم ورأوه من غيرهم كفروا به وحسدوه حدثنا محمد بن عمرو قال حدثنا أبو عاصم قال حدثني عيسى عن ابن أبي نجيح عن علي الازدي في قول الله وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا قال اليهود كانوا يقولون اللهم ابعث لنا هذا النبي يحكم بيننا وبين الناس يستفتحون يستنصرون به على الناس حدثني المثنى قال حدثنا أبو حذيفة قال حدثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن علي الازدي وهو البارقي في قول الله جل ثناؤه وكانوا من قبل يستفتحون فذكر مثله حدثنا بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد قال حدثنا سعيد عن قتادة قوله وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا كانت اليهود تستفتح بمحمد صلى الله عليه وسلم على كفار العرب من قبل وقالوا اللهم ابعث هذا النبي الذي نجده في التوراة يعذبهم ويقتلهم فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فرأوا أنه بعث من غيرهم كفروا به حسدا للعرب وهم يعلمون أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به حدثني المثنى قال حدثنا آدم قال حدثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية قال كانت اليهود تستنصر بمحمد صلى الله عليه وسلم على مشركي العرب يقولون اللهم ابعث هذا النبي الذي نجده مكتوبا عندنا حتى يعذب المشركين ويقتلهم فلما بعث الله محمدا ورأوا أنه من غيرهم كفروا به حسدا للعرب وهم يعلمون أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الله فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين حدثني موسى قال حدثنا عمرو قال حدثنا أسباط عن السدي ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به قال كانت العرب تمر باليهود فيؤذونهم وكانوا يجدون محمدا صلى الله عليه وسلم في التوراة ويسألون الله أن يبعثه فيقاتلوا معه العرب فلما جاءهم محمد كفروا به حين لم يكن من بني اسرائيل حدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج قال قلت لعطاء قوله وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا قال كانوا يستفتحون على كفار العرب بخروج النبي صلى الله عليه وسلم ويرجون أن يكون منهم فلما خرج ورأوه ليس منهم كفروا وقد عرفوا أنه الحق وأنه النبي قال فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين (١) قال حدثنا ابن جريج وقال مجاهد يستفتحون بمحمد صلى الله عليه وسلم تقول انه يخرج فلما جاءهم ما عرفوا وكان من غيرهم كفروا به حدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثني حجاج قال قال ابن جريج وقال ابن عباس كانوا يستفتحون على كفار العرب حدثني المثنى قال حدثنا الحماني قال حدثنا شريك عن أبي الجحاف عن مسلم البطين عن سعيد ابن جبير قوله فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به قال هم اليهود عرفوا محمدا أنه نبي وكفروا به

(١) قوله قال حدثنا ابن جريج الخ هكذا بالاصل ويظهر أن في سند الحديث ومتنه سقطا فحرر كتبه مصححه

حدثت

حدثت عن المنجاب قال حدثنا بشر عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس في قوله وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا قال كانوا يستظهرون يقولون نحن نعين محمدا عليهم وليسوا كذلك يكذبون حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سألت ابن زيد عن قول الله عز وجل وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به قال كانت يهود يستفتحون على كفار العرب يقولون أما والله لو قد جاء النبي الذي بشر به موسى وعيسى أحمد لكان لنا عليكم وكانوا يظنون أنه منهم والعرب حولهم وكانوا يستفتحون عليهم به ويستنصرون به فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وحسدوه وقرأ قول الله جل ثناؤه كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق قال قد تبين لهم أنه رسول فمن هنالك نفع الله الاوس والخزرج بما كانوا يسمعون منهم أن نبيا خارج فان قال لنا قائل فأين جواب قوله ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم قيل قد اختلف أهل العربية في جوابه فقال بعضهم هو مما ترك جوابه استغناء بمعرفة المخاطبين به بمعناه وبما قد ذكر من أمثاله في سائر القرآن وقد تفعل العرب ذلك اذا طال الكلام فتأتي باشياء لها أجوبة فتحذف أجوبتها لاستغناء سامعيها بمعرفتهم بمعناها عن ذكر الاجوبة كما قال جل ثناؤه ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الارض أو كلم به الموتى بل لله الامر جميعا فترك جوابه والمعنى ولو أن قرآنا سوى هذا القرآن سيرت به الجبال لسيرت بهذا القرآن استغناء بعلم السامعين بمعناه قالوا فكذلك قوله ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وقال آخرون جواب قوله ولما جاءهم كتاب من عند الله في الفاء التي في قوله فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وجواب الجزاءين في كفروا به كقولك لما قمت فلما جئتنا أحسنت بمعنى لما جئتنا اذ قمت أحسنت ۞ القول في تاويل قوله (فلعنة الله على الكافرين) قد دللنا فيما مضى على معنى اللعنة وعلى معنى الكفر بما فيه الكفاية فمعنى الآية فخزي الله وابعاده على الجاحدين ما قد عرفوا من الحق عليهم لله ولانبيائه المنكرين لما قد ثبت عندهم صحته من نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ففي اخبار الله عز وجل عن اليهود بما أخبر الله عنهم بقوله فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به البيان الواضح أنهم تعمدوا الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم بعد قيام الحجة بنبوته عليهم وقطع الله عذرهم بانه رسوله اليهم ۞ القول في تاويل قوله تعالى (بئس ما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا) ومعنى قوله جل ثناؤه بئس ما اشتروا به أنفسهم ساء ما اشتروا به أنفسهم وأصل بئس بئس من البؤس سكنت همزتها ثم نقلت حركتها الى الباء كما قيل في ظللت ظلت وكما قيل للكبد كبد فنقلت حركة الباء الى الكاف لما سكنت الباء وقد يحتمل أن تكون بئس وان كان أصلها بئس من لغة الذين ينقلون حركة العين من فعل الى الفاء اذا كانت عين الفعل أحد حروف الحلق الستة كما قالوا من لعب لعب ومن سئم سئم وذلك فيما يقال لغة فاشية في تميم ثم جعلت دالة على الذم والتوبيخ ووصلت بما واختلف أهل العربية في معنى ما التي مع بئسما فقال بعض نحويي البصرة هي وحدها اسم وأن يكفروا تفسير له نحو نعم رجلا زيد وأن ينزل الله بدل من أنزل الله وقال بعض نحويي الكوفة معنى

الحسن وما ينخرط في سلكه من مكارم الاخلاق الفعلية انكم لن تسعوا الناس باموالكم ولكن سعوهم باخلاقكم فالقول الحسن يشمل الاصناف المتقدمة أيضا بهذا الاعتبار وحسن هذا الترتيب مما الامر يدل عليه وقد كرر أكثر هذه المعاني في سورة النساء بضرب من التأكيد فأكد العبادة بقوله ولا تشركوا به شيأ وأكد الاحسان الى ذي القربى وما يتلوه بتكرير الجار وهو الباء وبضم أصناف أخر وهم الجار وغيره اليهم فكأنه كالتفصيل لقوله وقولوا للناس حسنا (قوله تعالى ثم توليتم) قيل (٣٢٧) الخطاب لمتقدمي بني اسرائيل على طريقة الالتفات ووجهه أن أول الكلام معهم فكذا آخره الا الدليل يوجب الانصراف عن هذا الظاهر وقيل انه خطاب لمن كان في عصر النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود كأنه تعالى بين أن تلك المواثيق كما لزمهم التمسك بها فكذلك هي لازمة لكم لانكم تعلمون ما في التوراة من نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته فيلزمكم من الحجة مثل الذي لزمهم وأنتم مع ذلك قد توليتم الا قليلا منكم وهم الذين امنوا وانتم معرضون الواو للاعتراض أي وأنتم قوم من عادتكم الاعراض أعرضتم بعد ظهور المعجزات كاعراض أسلافكم وقيل ثم توليتم للمتقدمين وأنتم معرضون للمتأخرين وأما قوله تعالى واذ أخذنا ميثاقكم فقيل خطاب لعلماء اليهود في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وقيل المراد أخذنا ميثاق آبائكم وقيل خطاب للاسلاف وتقريع للاخلاف وفي قوله لا تسفكون دماءكم اشكال وهو أن الانسان ملجأ الى أن لا يقتل نفسه فأي فائدة في النهي والجواب أن هذا الالجاء قد يتغير كما ثبت من أهل الهند أنهم يقدرون في قتل النفس التخلص من عالم الفساد واللحوق بعالم النور وكم كثير ممن يصعب عليه الزمان أو المراد لا يفعل ذلك بعضكم ببعض جعل غير الرجل نفسه اذا اتصل به أصلا أو دينا أو أنه اذا قتل غيره فكأنما قتل نفسه لانه يقتص منه أو لا تتعرضوا للمقاتلة من يغلبكم فتكونوا قد قتلتم أنفسكم ولا تخرجون أنفسكم لا تفعلوا ما تستحقون بسببه أن تخرجوا من دياركم والمراد اخراج بعضهم بعضا من ديارهم لان ذلك مما تعظم فيه الفتنة حتى يقرب من الهلاك واعراب لا تسفكون ولا تخرجون على قياس ما تقرر في لا تعبدون (ثم أقررتم وأنتم تشهدون) أي ثم أقررتم بالميثاق واعترفتم على أنفسكم بلزومه وأنتم تشهدون عليها كقولك فلان مقر على نفسه بكذا شاهد عليها أو اعترفتم بقبوله وشهد بعضكم على بعض

بذلك لانه كان شائعا فيما بينهم مشهورا وأنتم تشهدون اليوم يامعشر اليهود على اقرار أسلافكم بهذا الميثاق (ثم أنتم) معنى ثم الاستبعاد لما أسند اليهم من القتل والاجلاء والعدوان بعد أخذ الميثاق منهم واقرارهم وشهادتهم وأنتم مبتدأ وهؤلاء خبره أى أنتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون يعنى انكم قوم آخرون غير أولئك المقرين تنزيلا لتغير الصفة منزلة تغير الذات كما تقول خرجت بغير الوجه الذى دخلت به وتقتلون بيان لانتم هؤلاء وقيل هؤلاء موصول بمعنى الذين (٣٢٨) وهذا عند الكوفيين فانهم يجوزون كون جميع أسماء الاشارة بمعنى الموصول والتظاهر التعاون ولما كان الاخراج من الديار وقتل البعض بعضا مما تعظم به الفتنة واحتيج فيه الى اقتدار وغلبة بين تعالى أنهم فعلوه على وجه الاستعانة بمن يظاهرهم على الظلم والعدوان وفيه دليل على أن الظلم كما هو محرم فكذا اعانة الظالم على ظلمه محرمة ولا يشكل هذا بتمكين الله تعالى الظالم من الظلم فانه كما مكنه فقد زجره عنه ونهاه بخلاف معين الظالم فانه يدعوه الى الظلم ويحسنه فى عينه مع أنه تعالى لا يسئل عما يفعل أسرى جمع أسير كجرحى فى جريح وأسارى جمع أسرى كسكرى وسكارى وقيل أسارى من الجموع التى ترك مفردها كانه جمع اسران كعجالى وعجلان وقوله تفادوهم جمهور المفسرين على أنه وصف لهم بما هو طاعة وهو التخليص من الاسر ببذل مال أوغيره ليعودوا الى كفرهم و(هو) ضمير الشان واخراجهم مبتدأ ومحرم خبره والجملة خبر الضمير ويجوز أن يكون هو مبتدأ مبهما ومحرم خبره واخراجهم تفسيره (أفتؤمنون ببعض الكتاب) أى بالفداء (وتكفرون ببعض) أى بالقتال والاجلاء وذلك أن قريظة كانوا حلفاء الاوس والنضير كانوا حلفاء الخزرج فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه واذا غلبوا خربوا ديارهم وأخرجوهم واذا أسر رجل من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه فعيرتهم العرب فقالت كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فيقولون أمرنا أن نفديهم وحرم علينا قتالهم ولكننا نستحيي أن يذل حلفاؤنا فذمهم الله تعالى على المناقضة اذ أتوا ببعض الواجب وتركوا البعض ولعلهم صرحوا باعتقاد عدم وجوبه فلهذا سماه كفرا وقد تكون المناقضة أدخل فى الذم وفى ذلك تنبيه على انهم فى تصديقهم بنبوة موسى مع التكذيب بمحمد صلى الله عليه وسلم والحجة فى أمرهما على سواء يجرون مجرى طريقة السلف منهم فى الايمان

ذلك بئس الشئ اشتروا به أنفسهم أن يكفروا فما اسم بئس وأن يكفروا الاسم الثانى (١) وزعم أن أن ينزل الله من فضله ان شئت جعلت أن فى موضع رفع وان شئت فى موضع خفض أما الرفع فبئس الشئ هذا أن يفعلوه وأما الخفض فبئس الشئ اشتروا به أنفسهم ان يكفروا بما أنزل الله بغيا (قال) وقوله لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم كمثل ذلك والعرب تجعل ما وحدها فى هذا الباب بمنزلة الاسم التام كقوله فنعما هى وبئسما أنت واستشهد لقوله ذلك برجز بعض الرجاز

لا تعجلا فى السير وادلواها * لبئسما بطء ولا نرعاها

قال أبو جعفر والعرب تقول لبئسما تزويج ولا مهر فيجعلون ما وحدها اسما بغير صلة وقائل هذه المقالة لا يجيز أن يكون الذى يلى بئس معرفة موقتة وخبره معرفة موقتة وقد زعم أن بئسما بمنزلة بئس الشئ اشتروا به أنفسهم فقد صارت ما بصلتها اسما موقتا لان اشتروا فعل ماض من صلة ما فى قول قائل هذه المقالة واذا وصلت بماض من الفعل كانت معرفة موقتة معلومة فيصير تاويل الكلام حينئذ بئس شراؤهم كفرهم وذلك عنده غير جائز فقد تبين فساد هذا القول وكان آخر منهم يزعم أن أن فى موضع خفض ان شئت ورفع ان شئت فاما الخفض فأن ترده على الهاء التى فى به على التكرير على كلامين كانك قلت اشتروا أنفسهم بالكفر وأما الرفع فأن يكون مكررا على موضع ما التى تلى بئس (قال) ولا يجوز أن يكون رفعا على قولك بئس الرجل عبد الله وقال بعضهم بئسما شئ واحد يعرف ما بعده كما حكى عن العرب بئسما تزويج ولا مهر فرفع تزويج بئسما كما يقال بئسما زيد وبئس ما عمرو فيكون بئسما رفعا بما عاد عليها من الهاء كانك قلت بئس شئ الشئ اشتروا به أنفسهم وتكون أن مترجمة عن بئسما وأولى هذه الاقوال بالصواب قول من جعل بئسما مرفوعا بالراجع من الهاء فى قوله اشتروا به كما رفعوا ذلك بعبد الله اذ قالوا بئسما عبد الله وجعل أن يكفروا مترجمة عن بئسما فيكون معنى الكلام حينئذ بئس الشئ باع اليهود به أنفسهم كفرهم بما أنزل الله بغيا وحسدا أن ينزل الله من فضله وتكون أن التى فى قوله أن ينزل الله فى موضع نصب لانه يعنى به أن يكفروا بما أنزل الله من أجل أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده (٢) وموضع أن جر وكان بعض أهل العربية من الكوفيين يزعم أن أن فى موضع خفض بنية الباء وانما اخترنا فيها النصب لتمام الخبر قبلها ولا خافض معها يخفضها والحرف الخافض لا يخفض مضمرا وأما قوله اشتروا به أنفسهم فانه يعنى به باعوا أنفسهم كما حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى بئسما اشتروا به أنفسهم يقول باعوا أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا حدثنا القاسم قال ثنا الحسن قال حدثنى حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد بئسما اشتروا به أنفسهم يهود شروا الحق بالباطل (٣) وكتمان ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم بان بينوه والعرب تقول شريته بمعنى بعته واشتروا فى هذا الموضع افتعلوا من شريت وكلام العرب فيما بلغنا أن يقولوا اشتريت بمعنى بعت

(١) قوله وزعم أن أن ينزل الخ هكذا فى الاصل ويظهر أن هنا تحريفا ووجه الكلام وزعم أن أن يكفروا ان شئت الخ فتأمل وحرر (٢) قوله وموضع أن جر هذا الاعراب مخالف لما قبله فلعل الواو بمعنى أو فتأمل (٣) قوله وكتمان الخ هكذا بالاصل وحرر الرواية كتبه مصححه

واشتريت

ببعض والكفر ببعض وكل في الميثاق سواء الخزي الذل والهوان خزي بالكسر يخزى خزيا أي ذل وهان وخزي أيضا يخزى خزاية أي استحيا فهو خزيان فاذا قيل أخزاه الله فالمراد أهانه أو أوقعه موقعا يستحيي منه وتنكير خزي يدل على فظاعة شأنه وأنه بلغ مبلغا لا يكتنه كنهه والاظهر أنه غير مختص ببعض الوجوه وقيل هو قتل بني قريظة وأسرهم واجلاء بني النضير وقيل الجزية وعلى هذين القولين يختص الخزي بمن في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم وبمن يخلفهم دون أسلافهم فان قيل عذاب منكري الصانع كالدهرية يجب

واشتريت بمعنى ابتعت وقيل انما سمي الشاري شاريا لانه باع نفسه ودنياه بآخرته ومن ذلك قول يزيد بن مفرغ الحميري

وشريت بردا ليتني ... من قبل برد كنت هامه

ومنه قول المسيب بن علس

يعطى بها ثمنا فيمنعها ... ويقول صاحبها ألا تشري

يعني به بعت بردا وربما استعمل اشتريت بمعنى بعت وشريت في معنى ابتعت والكلام المستفيض فيهم هو ما وصفت وأما معنى قوله بغيا فانه يعني به تعديا وحسدا كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال حدثنا سعيد عن قتادة بغيا قال أي حسدا وهم اليهود حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي بغيا قال بغوا على محمد صلى الله عليه وسلم وحسدوه وقالوا انما كانت الرسل من بني اسرائيل فما بال هذا من بني اسمعيل فحسدوه أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده حدثني المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية بغيا يعني حسدا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده وهم اليهود كفروا بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم حدثت عن عمار بن الحسن قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع مثله (قال أبو جعفر) فمعنى الآية بئس الشيء باعوا به أنفسهم الكفر بالذي أنزل الله في كتابه على موسى من نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والامر بتصديقه واتباعه من أجل أن أنزل الله من فضله وفضله حكمته وآياته ونبوته على من يشاء من عباده يعني به على محمد صلى الله عليه وسلم بغيا وحسدا لمحمد صلى الله عليه وسلم من أجل انه كان من ولد اسمعيل ولم يكن من بني اسرائيل فان قال قائل وكيف باعت اليهود أنفسها بالكفر فقيل بئس ما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله وهل يشترى بالكفر شيء قيل ان معنى الشراء والبيع عند العرب هو ازالة مالك ملكه الى غيره بعوض يعتاضه منه ثم تستعمل العرب ذلك في كل معتاض من عمله عوضا شرا أو خيرا فتقول نعم ما باع به فلان نفسه وبئس ما باع به فلان نفسه بمعنى نعم الكسب أكسبها وبئس الكسب أكسبها اذا أورثها بسعيه عليها خيرا أو شرا فكذلك معنى قوله جل ثناؤه بئسما اشتروا به أنفسهم لما أوبقوا أنفسهم بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فاهلكوها خاطبهم الله والعرب بالذي يعرفونه في كلامهم فقال بئسما اشتروا به أنفسهم يعني بذلك بئس ما أكسبوا أنفسهم بسعيهم وبئس العوض اعتاضوا من كفرهم بالله في تكذيبهم محمدا اذ كانوا قد رضوا عوضا من ثواب الله وما أعد لهم لو كانوا آمنوا بالله وما أنزل على أنبيائه بالنار وما أعد لهم بكفرهم بذلك وهذه الآية وما أخبر الله فيها عن حسد اليهود محمدا صلى الله عليه وسلم وقومه من العرب من أجل أن الله جعل النبوة والحكمة فيهم دون اليهود من بني اسرائيل حتى دعاهم ذلك الى الكفر به مع علمهم بصدقه وأنه لله نبي مبعوث ورسول مرسل نظيرة الآية الاخرى في سورة النساء وذلك قوله ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا أم لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون الناس نقيرا أم يحسدون

أن يكون أشد فكيف يقال في حق اليهود يردون الى أشد العذاب قلنا اما لان كفر العناد أغلظ واما لان المراد أشد من الخزي لا الاشد مطلقا وفي قوله وما الله بغافل وعيد شديد للعاصين وبشارة عظيمة للمطيعين لان القدرة الكاملة مع عدم الغفلة تدل على وصول الحقوق الى مستحقها لا محالة (أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة) استبدلوها بها (فلا يخفف عنهم العذاب) لا ينقطع ولا يفتر بل يدوم على حالة واحدة (ولا هم ينصرون) بدفع هذا العذاب عنهم وفيه تنبيه على أن الجمع بين تحصيل لذات الدنيا اذا كانت على وفق الهوى لا الشرع وبين لذات الآخرة ممتنع يستتبع وجود احداهما عدم الأخرى والله ولي التوفيق التأويل واذ أخذنا ميثاقكم في عهد ألست بربكم لا تسفكون دماءكم بامتثال أوامر الشيطان واتباع خطواته كما قيل الى حتفي مشى قدمي

أرى قدمي أراق دمي

ولا تخرجون أنفسكم من ديار عبوديتكم التي كنتم فيها في أصل الفطرة وتخرجون فريقا منكم من ديارهم لا تقتصرون على ضلالكم بل يعاون بعضكم بعضا على الاعراض عن حقوق الله والاقبال على حظوظ النفس وان يأتوكم أسارى تفادوهم فمن أسر في قيد الهوى فانقاذه بالدلالة على الهدى

 ومن أسر في قيد حب الدنيا فخلاصه في كثرة ذكر المولى ومن أسر في أيدي الشكوك والشبهات ففداؤه ارشاده الى اليقين بلوائح البراهين ولوامع البينات ومن أسر في حبس وجوده فنجاته فيما يحل عنه وثاق الكون ويوصله الى معبوده ومن أسر في قبضة الحق فليس لاسراهم فداء ولا لقتلاهم قود ولا لارهطهم خلاص ولا لقومهم مناص ولا منهم فرار ولا معهم قرار ولا اليهم بغيره سبيل ولا لديهم دليل أفتؤمنون ببعض الكتاب وهو ما سمعتم في أول الخطاب ألست بربكم فقلتم بلى وتكفرون ببعض وهو الذي

عاهدتم عليه الا تعبدوا غير الله من الشيطان والنفس والهوى الله حسبي (ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين (٣٣٠) بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباؤا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين) القراآت القدس بسكون الدال حيث كان ابن كثير بئسما وبابه بغير همز أبو عمرو ويزيد والاعشى وورش وحمزة في الوقف ينزل خفيفا ابن كثير وأبو عمرو وسهل ويعقوب * الوقوف القدس ط استكبرتم ج لتناهي الاستفهام مع تعقب فاء التعقيب بعده كذبتم ز لعطف المستقبل على الماضي مع تقديم المفعولين فيهما تقتلون ه غلف ط ز لان بل اعراض عن الاول وتحقيق للثاني يؤمنون ه لما معهم ط لان الواو للحال كفروا ج لان لما متضمنة للشرط وجوابها منتظر والوصل أجوز لان لما مكرر وجوابهما متحد وقوله وكانوا من قبل حال معترض كفروا به ج لان ما بعده مبتدأ لكن الفاء تقتضي تعجيل ذكر جوابهم الكافرين ه من عباده ج لطول الكلام مع فاء التعقيب على غضب ط مهين ه لما معهم ط مؤمنين ط * التفسير لما ذكر سبحانه في الآي المتقدمة صنيع اليهود في مخالفتهم أمره تعالى ومناقضة حالهم أكد ذلك في هذه الآي بذكر نعم أفاضها عليهم ثم انهم قابلوها بالكفران ونقض المقصود زيادة في تبكيتهم أما الكتاب فهو التوراة آتاه الله تعالى اياه جملة واحدة عن ابن عباس انها لما نزلت أمر الله موسى بحملها فلم يطق ذلك فبعث الله لكل آية منها ملكا فلم يطيقوا حملها فبعث الله لكل حرف منها ملكا فلم يطيقوا حملها فخففها الله على موسى عليه السلام فحملها * القفو والتقفية الاتباع وهو من القفا كالتذنيب من الذنب أي أتبعنا على أثره رسلا كثيرين وهم يوشع وأشمويل وشمعون وداود وسليمان وشعيا وأرميا وعزير وحزقيل والياس واليسع

الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما

* القول في تأويل قوله (أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده) قد ذكرنا تأويل ذلك وبينا معناه ولكنا نذكر الرواية بتصحيح ما قلنا فيه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال حدثني ابن اسحق عن عاصم بن عمر بن قتادة الانصاري عن أشياخ منهم قوله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده أي ان الله تعالى جعله في غيرهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال هم اليهود ولما بعث الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم فرأوا أنه بعث من غيرهم كفروا به حسدا للعرب وهم يعلمون أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة حدثني المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية مثله حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع مثله حدثني موسى قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدي قال قالوا انما كانت الرسل من بني اسرائيل فما بال هذا من بني اسمعيل حدثني محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن علي الازدي قال نزلت في اليهود

* القول في تأويل قوله تعالى (فباؤا بغضب على غضب) يعني بقوله فباؤا بغضب على غضب فرجعت اليهود من بني اسرائيل بعد الذي كانوا عليه من الاستنصار بمحمد صلى الله عليه وسلم والاستفتاح به وبعد الذي كانوا يخبرون به الناس من قبل مبعثه أنه نبي مبعوث مرتدين على أعقابهم حين بعثه الله نبيا مرسلا فباؤا بغضب من الله استحقوه منه بكفرهم بمحمد حين بعث وجحودهم نبوته وانكارهم اياه أن يكون هو الذي يجدون صفته في كتابهم عنادا منهم له وبغيا وحسدا له وللعرب على غضب سالف كان من الله عليهم قبل ذلك سابق غضبه الثاني لكفرهم الذي كان قبل ذلك بعيسى بن مريم أو لعبادتهم العجل أو لغير ذلك من ذنوب كانت لهم سلفت يستحقون بها الغضب من الله كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة بن الفضل قال حدثني ابن اسحق عن محمد بن أبي محمد فيما أروي عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس فباؤا بغضب على غضب فالغضب على الغضب غضبه عليهم فيما كانوا ضيعوا من التوراة وهي معهم وغضب بكفرهم بهذا النبي الذي أحدث الله اليهم حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد وعبد الرحمن قالا ثنا سفيان عن أبي بكير عن عكرمة فباؤا بغضب على غضب قال كفر بعيسى وكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم حدثنا أبو كريب قال ثنا يحيى بن يمان قال ثنا سفيان عن أبي بكير عن عكرمة فباؤا بغضب على غضب قال كفرهم بعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن أبي بكير عن عكرمة مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن الشعبي قال الناس يوم القيامة على أربعة منازل رجل كان مؤمنا بعيسى وآمن بمحمد صلى الله عليهما فله أجران ورجل كان كافرا بعيسى فآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم فله أجر ورجل كان كافرا بعيسى فكفر بمحمد فباء بغضب على غضب ورجل كان كافرا بعيسى من مشركي العرب فمات بكفره قبل

محمد

محمد صلى الله عليه وسلم فباءوا بغضب حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فباءوا بغضب على غضب غضب الله عليهم بكفرهم بالانجيل وبعيسى وغضب عليهم بكفرهم بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فباءوا بغضب اليهود بما كان من تبديلهم التوراة قبل خروج النبي صلى الله عليه وسلم على غضب بجحودهم النبي صلى الله عليه وسلم وكفرهم بما جاء به حدثنا المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية فباءوا بغضب على غضب يقول غضب الله عليهم بكفرهم بالانجيل وعيسى ثم غضب عليهم بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي فباءوا بغضب على غضب أما الغضب الاول فهو حين غضب الله عليهم في العجل وأما الغضب الثاني فغضب عليهم حين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج وعطاء وعبيد بن عمير قوله فباءوا بغضب على غضب قال غضب الله عليهم فيما كانوا فيه من قبل خروج النبي صلى الله عليه وسلم من تبديلهم وكفرهم ثم غضب عليهم في محمد صلى الله عليه وسلم اذ خرج فكفروا به (قال أبو جعفر) وقد بينا معنى الغضب من الله على من غضب عليه من خلقه واختلاف المختلفين في صفته فيما مضى من كتابنا هذا بما أغنى عن اعادته والله تعالى أعلم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وللكافرين عذاب مهين) يعني بقوله جل ثناؤه وللكافرين عذاب مهين وللجاحدين نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من الناس كلهم عذاب من الله اما في الآخرة واما في الدنيا والآخرة مهين هو المذل صاحبه المخزي الملبسه هوانا وذلة فان قال قائل وأي عذاب هو غير مهين صاحبه فيكون للكافرين المهين منه قيل ان المهين هو الذي قد بينا أنه المورث صاحبه ذلة وهوانا الذي يخلد فيه صاحبه لا ينتقل من هوانه الى عز وكرامة أبدا وهو الذي خص الله به أهل الكفر به وبرسله وأما الذي هو غير مهين صاحبه فهو ما كان تمحيصا لصاحبه وذلك هو كالسارق من أهل الاسلام يسرق ما يجب عليه به القطع فتقطع يده والزاني منهم يزني فيقام عليه الحد وما أشبه ذلك من العذاب والنكال الذي جعله الله كفارات للذنوب التي عذب بها أهلها وكأهل الكبائر من أهل الاسلام الذين يعذبون في الآخرة بمقادير أجرامهم التي ارتكبوها ليمحصوا من ذنوبهم ثم يدخلون الجنة فان كل ذلك وان كان عذابا فغير مهين من عذب به اذ كان تعذيب الله اياه به ليمحصه من آثامه ثم يورده معدن العز والكرامة ويخلده في نعيم الجنان ۞ القول في تأويل قوله تعالى (واذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا) يعني بقوله جل ثناؤه واذا قيل لهم واذا قيل لليهود من بني اسرائيل الذين كانوا بين ظهراني مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم آمنوا أي صدقوا بما أنزل الله يعني بما أنزل الله من القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم قالوا نؤمن أي نصدق بما أنزل علينا يعني بالتوراة التي أنزلها الله على موسى ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ويكفرون بما وراءه) يعني جل ثناؤه بقوله ويكفرون بما وراءه ويجحدون بما وراءه يعني بما وراء التوراة

ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم روى أن هؤلاء الرسل كانوا على شريعة واحدة الى أيام عيسى عليه السلام فانه جاء بشريعة مجددة ناسخة لأكثر شرع موسى وكان المقصود من بعثة هؤلاء تنفيذ الشريعة السالفة واحياء بعض ما اندرس منها ومن هنا قال صلى الله عليه وسلم علماء أمتي كأنبياء بني اسرائيل ان الله سيبعث لهذه الامة على رأس كل مائة من يجدد لها دينها فقيل عيسى بالسريانية أيشوع أي المبارك ومريم بمعنى الخادم وقيل مريم بالعبرية من النساء كالزير من الرجال وهو الذي يحب محادثة النساء ومجالستهن سمى بذلك لكثرة زيارته لهن وبه فسر قول رؤبة * قلت لزير لم تصله مريمه * ووزن مريم عند أهل الصرف مفعل لان فعيلا بفتح الفاء لم يثبت في الابنية كما ثبت نحو عثير للغبار وعليب اسم واد * البينات المعجزات الواضحات كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك أيدناه قويناه من الايد القوة وبروح القدس الروح المقدس كما يقال حاتم الجود ورجل صدق أي بجبريل سمى بذلك لانه سبب حياة الدين كما أن الروح سبب حياة البدن ولانه الغالب عليه الروحانية ولانه لم تضمه أصلاب الفحول ولا أرحام الامهات وقيل بالانجيل كما قال وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا لان العلم سبب حياة القلوب وقيل باسم الله الاعظم الذي كان يحيي الموتى بذكره عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقيل الروح الذي نفخ فيه والقدس والقدوس هو الله واضافة الروح اليه تشريف وتعظيم كما يقال بيت الله وناقة الله عن الربيع وكون الروح ههنا جبريل أظهر لان اختصاصه بعيسى أكثر لانه الذي بشر مريم بولادتها وقد تولد عليه السلام من نفخة جبريل في أمه وهو الذي رباه في جميع الاحوال وكان يسير معه حيث سار وكان معه حين صعد الى السماء (قوله تعالى أفكلما) وسطت الهمزة بين الفاء وما تعلقت به من قوله ولقد آتينا لافادة التوبيخ والتعجيب من شأنهم ويجوز أن تكون الفاء للعطف على مقدر معناه أأعرضتم فكلما (جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم) الباء للتعدية أو بمعنى مع وذلك انهم كانوا اذا أتاهم رسول بخلاف ما يهوون كذبوه وان تهيأ لهم قتله قتلوه ترفعا وترؤسا على عامتهم وأخذا أموالهم بغير حق يوهمون عوامهم أنهم على الحق والنبي صلى الله عليه وسلم على الباطل ويحتجون على ذلك بالتحريف وسوء التأويل ومنهم من كان يستكبر على الانبياء استكبار ابليس على آدم عليه السلام (ففريقا

(قال أبو جعفر) وتأويل وراءه فى هذا الموضع سوى كما يقال للرجل المتكلم بالحسن ماوراء هذا الكلام شئ يراد به ليس عند المتكلم به شئ سوى ذلك الكلام فكذلك معنى قوله ويكفرون بما وراءه أى بما سوى التوراة وبما بعده من كتب الله التى أنزلها الى رسله كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ويكفرون بما وراءه يقول بما بعده حدثنى المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبى العالية ويكفرون بما وراءه أى بما بعده يعنى بما بعد التوراة حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع ويكفرون بما وراءه يقول بما بعده ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وهو الحق مصدقا لما معهم) يعنى بقوله جل ثناؤه وهو الحق مصدقا أى ما وراء الكتاب الذى أنزل عليهم من الكتب التى أنزلها الله الى أنبيائه الحق وانما يعنى بذلك تعالى ذكره القرآن الذى أنزله الى محمد صلى الله عليه وسلم كما حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى واذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو القرآن يقول الله جل ثناؤه وهو الحق مصدقا لما معهم وانما قال جل ثناؤه مصدقا لما معهم لان كتب الله يصدق بعضها بعضا ففى الانجيل والقرآن من الامر باتباع محمد صلى الله عليه وسلم والايمان به وبما جاء به مثل الذى من ذلك فى توراة موسى عليه السلام فلذلك قال جل ثناؤه لليهود اذ أخبرهم عما وراء كتابهم الذى أنزله على موسى صلوات الله عليه من الكتب التى أنزلها الى أنبيائه انه الحق مصدقا للكتاب الذى معهم يعنى أنه له موافق فيما اليهود به مكذبون (قال) وذلك خبر من الله أنهم من التكذيب بالتوراة على مثل الذى هم عليه من التكذيب بالانجيل والفرقان عنادا لله وخلافا لامره وبغيا على رسله صلوات الله عليهم ۞ القول فى تأويل قوله (قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين) يعنى جل ذكره بقوله قل فلم تقتلون أنبياء الله قل يا محمد ليهود بنى اسرائيل الذين اذا قلت لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا لم تقتلون ان كنتم يا معشر اليهود مؤمنين بما أنزل الله عليكم أنبياءه وقد حرم الله فى الكتاب الذى أنزل عليكم قتلهم بل أمركم فيه باتباعهم وطاعتهم وتصديقهم وذلك من الله جل ثناؤه تكذيب لهم فى قولهم نؤمن بما أنزل علينا وتعيير لهم كما حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال قال الله تعالى ذكره وهو يعيرهم يعنى اليهود فلم تقتلون أنبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين فان قال قائل وكيف قيل لهم فلم تقتلون أنبياء الله من قبل فابتدأ الخبر على لفظ المستقبل ثم أخبر أنه قد مضى قيل ان أهل العربية مختلفون فى تأويل ذلك فقال بعض البصريين معنى ذلك فلم قتلتم أنبياء الله من قبل كما قال جل ثناؤه واتبعوا ما تتلو الشياطين أى ما تلت وكما قال الشاعر

ولقد أمر على اللئيم يسبنى * فمضيت عنه وقلت لا يعنينى

يريد بقوله ولقد أمر ولقد مررت واستدل على أن ذلك كذلك بقوله فمضيت عنه ولم يقل فأمضى

كذبتم) على التمام ومابقى منه غير مكذب (وفريقا تقتلون) أى ما تيسر لكم قتله بعد على التمام لانكم تحومون حول قتل محمد صلى الله عليه وسلم لولا أنى أعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة قال صلى الله عليه وسلم عند وفاته مازالت أكلة خيبر تعاودنى فهذا أوان قطعت أبهرى والعداد اهتياج وجع اللديغ بعد كل سنة والابهر عرق يخرج من القلب اذا انقطع مات صاحبه ويجوز أن يراد الحال الماضية لان الامر فظيع فأريد استحضاره فى النفوس (٣٣٢) وتصويره فى القلوب كقوله * فأضرب بها بلا دهش فخرت * وفائدة تقديم المفعول به على الفعلين بعد رعاية الفاصلة فى يقتلون بيان غاية عنادهم وفرط عتوهم حيث جعلوا الرسل فريقين أحدهما مخصص بالتكذيب والآخر بالقتل كأن وصف الرسالة عندهم هو الذى اقتضى عندهم أحد هذين حتى خص المنعوت به دون سائر الناس باحد الامرين وهذا نهاية الجهالة حيث استقبلوا أشرف الاصناف لاكرم الاوصاف بغاية الاستخفاف * غلف جمع أغلف وهو كل ما فى غلاف ومنه الاغلف الذى لم يختن أى قلوبنا مغشاة بأغطية فلا تتأثر من دعوتك لمكان الحائل بينهما وقيل غلف تخفيف غلف بضمتين جمع غلاف أى قلوبنا أوعية للعلم والحكمة فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره لاحاجة بنا الى شرعك بل لعنهم الله رد لقولهم وان تكون قلوبهم مخلوقة كذلك لانها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق ولكنهم لعنوا أى طردوا عن رحمة الله وأبعدوا عن الخيرات بسبب كفرهم الذى أحدثوه بعد نصب الادلة وازاحة العلة وفى هذا لطف للمكلفين أن لا يتسلقوا الى المعاصى بابلاء نحو هذا العذر وابداء مثل هذه الحجة ولكن يشمرون عن ساق الاجتهاد فكل ميسر لما خلق له فقليلا ما يؤمنون أى ايمانا قليلا يؤمنون وما مزيدة وهو ايمانهم ببعض الكتاب أو بقليل مما كلفوا به يؤمنون فانتصب بنزع الخافض وما صفة أى بشئ قليل من الاشياء المكلف بها ويجوز أن تكون القلة بمعنى العدم أى لا يؤمنون أصلا لا قليلا ولا كثيرا كما يقال قليلا ما تفعل عنه أى لا تفعل البتة وذلك أن الايمان بالله انما يعبأ به اذا كان مؤمنا بجميع ما أنزل الله فاذا فرق بين أوامره فهو عن الايمان بمعزل ولما جاءهم جوابه محذوف وهو نحو كذبوا به واستهانوا بمجيئه ويجوز أن يكون جوابه هو جواب لما الثانية المكررة للتأكيد لطول الكلام نحو قوله فلا تحسبنهم بمفازة بعد قوله لا تحسبن واتفقوا على أن المراد بالكتاب هو القرآن ووجه تصديقه لما معهم ليس هو الموافقة فى أصول

الشرائع لان جميع كتب الله كذلك بل المراد ما يختص بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم من العلامات والنعوت والصفات والتحقيق أن ذكر الكتاب ههنا كناية عن الرسول لان الرسول يلزمه الكتاب عرفا أو مجازا لان الكتاب مستلزم للرسول لا محالة يدل على ذلك قوله يستفتحون على الذين كفروا وذلك أن اليهود قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم ونزول القرآن كانوا يسألون به الفتح والنصرة على المشركين اذا قاتلوهم يقولون اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته وصفته في

التوراة وكانوا يقولون لاعدائهم من المشركين قد أظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم وقيل معنى يستفتحون يفتحون عليهم ويعرفونهم أن نبيا يبعث منهم قد قرب أوانه والسين للمبالغة أي يسألون أنفسهم الفتح عليهم كالسين في استعجب واستسخر أو يسأل بعضهم بعضا أن يفتح عليه فلما جاءهم ما عرفوا من الحق وهو نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ويجوز أن تكون ما بمعنى من نحو سبحان ما سخركن لنا أي فلما جاءهم النبي صلى الله عليه وسلم الذي كانوا يعرفونه كما يعرفون أبناءهم كفروا به إما لانهم كانوا يظنون أن المبعوث يكون من بني اسرائيل لكثرة مجيء الرسل منهم فيرغبون الناس في دينه ويدعونهم اليه فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم من العرب من ذرية اسمعيل عليه السلام عظم ذلك عليهم فاظهروا التكذيب بغيا وحسدا وعنادا ولددا واما لانهم ظنوا أنه صلى الله عليه وسلم مبعوث الى العرب خاصة واما لان اعترافهم بنبوته كان يوجب عليهم زوال رياساتهم ومكاسبهم فابوا وأصروا على الانكار فكفرهم اذا كفر عناد فلعنة الله وهي الابعاد عن الخيرات الحقيقية الباقية على الكافرين أي عليهم فوضع الظاهر موضع المضمر ليدل على أن اللعنة انما لحقتهم لكفرهم واللام للعهد أو للجنس ويدخلون فيه دخولا أوليا فان قيل أليس انه تعالى ذكر وقولوا للناس حسنا قلنا العام قد يخص وأيضا لعن من يستحق اللعن حسن وأيضا أولئك بالنسناس أشبه منهم بالناس أولئك كالانعام بل هم أضل بئس لانشاء الذم وفاعله قد يكون مظهرا نحو بئس الرجل زيد وقد يكون مضمرا يعود الى معهود ذهني فيفسر حينئذ بنكرة منصوبة وبعدهما المخصوص بالذم فما نكرة منصوبة مفسرة لفاعل بئس أي بئس شيأ اشتروا به أنفسهم والمخصوص بالذم أن يكفروا واختلف في اعراب المخصوص فقيل مبتدأ والجملة

عنه وزعم أن فعل ويفعل قد تشترك في معنى واحد واستشهد على ذلك بقول الشاعر

وانى لآتيكم بشكرى ما مضى * من الامر واستيجاب ما كان في غد

يعني بذلك ما يكون في غد وبقول الحطيئة

شهد الحطيئة يوم يلقى ربه * أن الوليد أحق بالعذر

يعني يشهد وكما قال الآخر

فما أضحى ولا أمسيت الا * أراني منكم في كوفان

فقال أضحى ثم قال ولا أمسيت وقال بعض نحويي الكوفيين انما قيل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل فخاطبهم بالمستقبل من الفعل ومعناه الماضي كما يعنف الرجل الرجل على ما سلف منه من فعل فيقول له ويحك لم تكذب ولم تبغض نفسك الى الناس كما قال الشاعر

اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة * ولم تجدي من أن تقرى به بدّا

فالجزاء للمستقبل والولادة كلها قد مضت وذلك أن المعنى معروف فجاز ذلك (قال) ومثله في الكلام اذا نظرت في سيرة عمر لم تجده يسيء المعنى لم تجده أساء فلما كان أمر عمر لا يشك في مضيه لم يقع في الوهم أنه مستقبل فلذلك صلحت من قبل مع قوله فلم تقتلون أنبياء الله من قبل (قال) وليس الذين خوطبوا بالقتل هم القتلة انما قتل الانبياء أسلافهم الذين مضوا فتولوهم على ذلك ورضوا فنسب القتل اليهم والصواب فيه من القول عندنا أن الله خاطب الذين أدركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من يهود بني اسرائيل بما خاطبهم في سورة البقرة وغيرها من سائر السور بما سلف من احسانه الى أسلافهم وبما سلف من كفران أسلافهم نعمه وارتكابهم معاصيه واجترائهم عليه وعلى أنبيائه وأضاف ذلك الى المخاطبين به نظير قول العرب بعضها لبعض فعلنا بكم يوم كذا كذا وكذا وفعلتم بنا يوم كذا كذا وكذا على نحو ما قد بيناه في غير موضع من كتابنا هذا يعنون بذلك أن أسلافنا فعلوا ذلك باسلافكم وأن أوائلنا فعلوا ذلك باوائلكم فكذلك ذلك في قوله فلم تقتلون أنبياء الله من قبل وان كان قد خرج على لفظ الخبر عن المخاطبين به خبرا من الله تعالى ذكره عن فعل السالفين منهم على نحو الذي بينا جاز أن يقال من قبل اذ كان معناه قل فلم يقتل أسلافكم أنبياء الله من قبل وكان معلوما بان قوله فلم تقتلون أنبياء الله من قبل انما هو خبر عن فعل سلفهم وتاويل قوله من قبل أي من قبل اليوم وأما قوله ان كنتم مؤمنين فانه يعني ان كنتم مؤمنين بما أنزل الله عليكم كما زعمتم وانما عنى بذلك اليهود الذين أدركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلافهم ان كانوا وكنتم كما تزعمون أيها اليهود مؤمنين وانما عيرهم جل ثناؤه بقتل أوائلهم أنبياءه عند قولهم حين قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا لانهم كانوا لاوائلهم الذين تولوا قتل أنبياء الله مع قيلهم نؤمن بما أنزل علينا متولين وبفعلهم راضين فقال لهم ان كنتم كما تزعمون مؤمنين بما أنزل عليكم فلم تتولون قتلة أنبياء الله أي وترضون أفعالهم

قبله خبره وقيل خبر مبتدأ محذوف أي هو أن يكفروا واشتروا بمعنى باعوا لان الكفر حاصل تعلق نفوسهم بابدانهم كما أن الثمن حاصل ملك المالك وقيل ان المكلف اذا كان يخاف على نفسه من عقاب الله تعالى فأتى باعمال يظن بها انها تخلصه من العقاب فكأنه قد اشترى نفسه بتلك الاعمال وهؤلاء اليهود لما اعتقدوا فيما أتوا به أنه يخلصهم من العقاب و يوصلهم الى الثواب فقد ظنوا أنهم قد اشتروا أنفسهم بها والمراد بما أنزل الله القرآن لانهم كانوا مؤمنين بغيره ثم بين الوجه الذي لاجله اختاروا هذا الكفر فقال بغيا أي

۞ القول في تأويل قوله تعالى (ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون) يعني جل ثناؤه بقوله ولقد جاءكم موسى بالبينات أي جاءكم بالبينات الدالة على صدقه وحقية نبوته كالعصا التي تحولت ثعبانا مبينا ويده التي أخرجها بيضاء للناظرين وفلق البحر ومصير أرضه له طريقا يبسا والجراد والقمل والضفادع وسائر الآيات التي بينت صدقه وحقية نبوته وانما سماها الله بينات لتبينها للناظرين اليها أنها معجزة لا يقدر على أن يأتي بها بشر الا بتسخير الله ذلك له وانما هي جمع بينة مثل طيبة وطيبات (قال أبو جعفر) ومعنى الكلام ولقد جاءكم يا معشر يهود بني اسرائيل موسى بالآيات البينات على أمره وصدقه وحقية نبوته وقوله ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون يقول جل ثناؤه لهم ثم اتخذتم العجل من بعد موسى الها فالهاء التي في قوله من بعده من ذكر موسى وانما قال من بعد موسى لانهم اتخذوا العجل من بعد أن فارقهم موسى ماضيا الى ربه لموعده على ما قد بينا فيما مضى من كتابنا هذا وقد يجوز أن تكون الهاء التي في بعده الى ذكر المجيء فيكون تأويل الكلام حينئذ ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعد مجيء البينات وأنتم ظالمون كما تقول جئتني فكرهته يعني كرهت مجيئك وأما قوله وأنتم ظالمون فانه يعني بذلك أنكم فعلتم ما فعلتم من عبادة العجل وليس ذلك لكم وعبدتم غير الذي كان ينبغي لكم أن تعبدوه لان العبادة لا تنبغي لغير الله وهذا توبيخ من الله لليهود وتعيير منه لهم واخبار منه لهم أنهم اذا كانوا فعلوا ما فعلوا من اتخاذ العجل الها وهو لا يملك لهم ضرا ولا نفعا بعد الذي علموا أن ربهم هو الرب الذي يفعل من الاعاجيب وبدائع الافعال ما أجراه على يدي موسى صلوات الله عليه من الامور التي لا يقدر عليها أحد من خلق الله ولم يقدر عليها فرعون وجنده مع بطشه وكثرة أتباعه وقرب عهدهم بما عاينوا من عجائب حكم الله فهم الى تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وجحود ما في كتبهم التي زعموا أنهم بها مؤمنون من صفته ونعته مع بعد ما بينهم وبين عهد موسى من المدة أسرع والى التكذيب بما جاءهم به موسى من ذلك أقرب ۞ القول في تأويل قوله تعالى (واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا) يعني بقوله جل ثناؤه واذ أخذنا ميثاقكم واذكروا اذ أخذنا عهودكم بأن خذوا ما آتيناكم من التوراة التي أنزلتها اليكم أن تعملوا بما فيها من أمري وتنتهوا عما نهيتكم فيها بجد منكم في ذلك ونشاط فأعطيتم على العمل بذلك ميثاقكم اذ رفعنا فوقكم الجبل وأما قوله واسمعوا فان معناه واسمعوا ما أمرتكم به وتقبلوه بالطاعة كقول الرجل للرجل يأمره بالامر سمعت وأطعت يعني بذلك سمعت قولك وأطعت أمرك كما قال الراجز

السمع والطاعة والتسليم * خير وأعفى لبني تميم

يعني بقوله السمع قبول ما يسمع والطاعة لما يؤمر فكذلك معنى قوله واسمعوا اقبلوا ما سمعتم واعملوا به (قال أبو جعفر) فمعنى الآية واذ أخذنا ميثاقكم أن خذوا ما آتيناكم بقوة واعملوا بما سمعتم وأطيعوا الله ورفعنا فوقكم الطور من أجل ذلك وأما قوله قالوا سمعنا فان الكلام خرج مخرج الخبر عن الغائب بعد أن كان الابتداء بالخطاب فان ذلك مما وصفنا من أن ابتداء الكلام اذا كان حكاية فالعرب

حسد او طلبا لما ليس لهم ولولا هذا البيان لجاز أن يكون الباعث لهم على ذلك الكفر هو الجهل لا البغي ولما كان الباعث على البغي قد يكون وجوها شتى بين أن الحامل لهم على البغي هو أن ينزل الله من فضله الذي هو الوحي على من يشاء وتقتضي حكمته ارساله وهذا هو اللائق بما حكينا من أنهم ظنوا أن هذا الفضل العظيم يحصل في قومهم فلما وجدوه في العرب حملهم ذلك على البغي والحسد وعلى هذا يكون الجار المحذوف هو لام الغرض أي لاجل أن ينزل و يحتمل أن يقال المحذوف على أي حسدوه على أن ينزل (فباؤا بغضب على غضب) لابد من اثبات سببي غضبين أحدهما تكذيبهم عيسى وما أنزل عليه والثاني تكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم وما أنزل عليه فصار ذلك سببا بعد سبب لسخط بعد سخط وهو قول الحسن والشعبي وعكرمة وأبي العالية وقتادة وقيل الاول لعبادتهم العجل والثاني لكتمانهم نعت محمد صلى الله عليه وسلم وجحدهم نبوته عن السدي وقيل ليس المراد اثبات الغضبين فقط بل المراد اثبات أنواع من الغضب مترادفة لاجل أمور متوالية صدرت عنهم كقولهم عزير ابن الله يد الله مغلولة ان الله فقير ونحن أغنياء عن عطاء وعبيد بن عمير وقيل المراد تأكيد الغضب وتكثيره لاجل أن هذا الكفر وان كان واحدا الا أنه عظيم وهو قول أبي مسلم ومعنى الغضب في حقه تعالى قد عرفت مرارا أنه عبارة تخاطب عن لازمه وهو ارادة الانتقام وأما زيادته وتكثيره فيصح فيه ذلك كصحته في العذاب فلا يكون غضبه على من كفر بخصال كثيرة كمن كفر بخصلة واحدة (وللكافرين عذاب مهين) من وضع الظاهر مقام المضمر أي ولهم عذاب وفائدته ماذكرنا في قوله فلعنة الله على الكافرين ووصف العذاب بالمهين والمهين هو المعذب لان الاهانة لما حصلت مع العذاب جاز أن يجعل ذلك من وصفه لانها بسبب منه ولا يلزم من اقتران العذاب بالاهانة

تكرار فقد يكون العذاب ولا اهانة كالولد يؤدب ولده (آمنوا بما أنزل الله) بكل ما أنزل الله من كتاب وقد يستدل به على عموم ما (قالوا نؤمن بما
أنزل علينا) أي بالتوراة وكتب سائر الانبياء الذين أتوا بتقرير شرع موسى عليه السلام (ويكفرون بما وراءه) أي قالوا ذلك والحال انهم
يكفرون بما وراء التوراة وهو الانجيل والقرآن (وهو الحق) الضمير يعود الى ما وراءه أو الى القرآن فقط ومصدقا حال مؤكدة لوجود شرطها
وهو كونها مقررة لمضمون جملة اسمية أو كون مضمونها لازما لمضمون الجملة الاسمية (٣٣٥) فان التصديق لازم حقية القرآن فصار كأنه
هو والعامل في مصدقا محذوف وهو يبدو أو يثبت على الاصح وأما الواو في وهو الحق فيجوز أن تكون معترضة فلا محل للجملة ويجوز أن تكون للحال وحينئذ اما أن يكون العامل فيها هو العامل في قوله ويكفرون على أن كلا منهما حال بحيالها واما أن يكون العامل فيها هو يكفرون على أنهما حالان متداخلتان وفي قوله وهو الحق مصدقا لما معهم دلالة على وجوب الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم لانه لما أثبت نبوته بالمعجزات ثم انه أخبر أن هذا القرآن منزل من عند الله وأنه صلى الله عليه وسلم أمر المكلفين بالايمان كان الايمان به واجبا لا محالة وعند هذا يظهر أن الايمان ببعض الانبياء وبعض الكتب مع الكفر ببعضهم وبعضها محال وأيضا أنه صلى الله عليه وسلم لم يتعلم علما ولم يقرأ ولم يخط ثم انه صلى الله عليه وسلم أتى بالقصص والاخبار مطابقة لما في التوراة فيعلم بالضرورة أنه صلى الله عليه وسلم استفادها من قبل الوحي وأيضا القرآن يدل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فلما أخبر الله تعالى عنه أنه مصدق التوراة وجب اشتمال التوراة على الاخبار عن نبوته فدعى الايمان بالتوراة يجب أن يؤمن
بمحمد صلى الله عليه وسلم والا كان كاذبا ثم انه تعالى بين من وجه آخر كذب دعواهم وهو أن التوراة لا تسوغ قتل الانبياء وانهم
سوغوا ذلك وفيه دليل على أن ايراد المناقضة على الخصم الالد جائز والكلام وان كان على وجه الخطاب الا أن المراد بذلك أسلافهم
بدليل من قبل وتقتلون حكاية حال ماضية وأصل لم لما بادخال لام التعليل في ما الاستفهامية حذفت الالف للتخفيف أي لاي غرض وباي
حجة كان أسلافكم يقتلون الانبياء وفي قوله ان كنتم مؤمنين تشكيك في ايمانهم وقدح في صحة دعواهم الايمان وجواب الشرط محذوف

تخاطب فيه ثم تعود فيه الى الخبر عن الغائب وتخبر عن الغائب ثم تخاطب كما بينا ذلك فيما مضى قبل فكذلك ذلك في هذه الآية لان قوله واذ أخذنا ميثاقكم بمعنى قلنا لكم فأجبتمونا وأما قوله قالوا سمعنا فانه خبر من الله عن اليهود الذين أخذ ميثاقهم أن يعملوا بما في التوراة وأن يطيعوا الله فيما يسمعون منها أنهم قالوا حين قيل لهم ذلك سمعنا قولك وعصينا أمرك ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم وأشربوا في قلوبهم حب العجل ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال ثنا معمر عن قتادة وأشربوا في قلوبهم العجل قال أشربوا حبه حتى خلص ذلك الى قلوبهم حدثني المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية وأشربوا في قلوبهم العجل قال أشربوا حب العجل بكفرهم حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع وأشربوا في قلوبهم العجل قال أشربوا حب العجل في قلوبهم وقال آخرون معنى ذلك أنهم سقوا الماء الذي ذرى فيه سحالة العجل ذكر من قال ذلك حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي لما رجع موسى الى قومه أخذ العجل الذي وجدهم عاكفين عليه فذبحه ثم حرقه بالمبرد ثم ذراه في اليم فلم يبق بحر يومئذ يجري الا وقع فيه شيء منه ثم قال لهم موسى اشربوا منه فشربوا فمن كان يحبه خرج على شاربه الذهب فذلك حين يقول الله عز وجل وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج قال لما سحل فألقي في اليم استقبلوا جرية الماء فشربوا حتى ملؤا بطونهم فاورث ذلك من فعله منهم جبنا (قال أبو جعفر) وأولى التأويلين اللذين ذكرت بقول الله جل ثناؤه وأشربوا في قلوبهم العجل تأويل من قال وأشربوا في قلوبهم حب العجل لان الماء لا يقال منه أشرب فلان في قلبه وانما يقال ذلك في حب الشيء فيقال منه أشرب قلب فلان حب كذا بمعنى سقي ذلك حتى غلب عليه وخالط قلبه كما قال زهير

فصحوت عنها بعد حب داخل * والحب يشربه فؤادك داء

قال ولكنه ترك ذكر الحب اكتفاء بفهم السامع لمعنى الكلام اذ كان معلوما أن العجل لا يشرب القلب وأن الذي يشرب القلب منه حبه كما قال جل ثناؤه واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها وكما قال الشاعر

ألا انني سقيت أسود حالكا * ألا بجلي من الشراب ألا بجل

يعني بذلك سم أسود فاكتفى بذكر أسود عن ذكر السم لمعرفة السامع معنى ما أراد بقوله سقيت أسود وروى * ألا انني سقيت أسود سالخا * وقد تقول العرب اذا سرك أن تنظر الى السخاء فانظر الى هرم أو الى حاتم فتجتزئ بذكر الاسم من ذكر فعله اذا كان معروفا بشجاعة أو سخاء أو ما أشبه ذلك من الصفات ومنه قول الشاعر

يقولون جاهد يا جميل بغزوة * وان جهادا طيئ وقتالها

يدل عليه ما تقدمه وفيه تنبيه على أن اليهود المعاصرين خرجوا بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم من الايمان بالتوراة كما أن أسلافهم خرجوا بقتل بعض الانبياء عن الايمان بها والله تعالى أعلم * التأويل هذا حال أكثر البطالين المتشبهين بالطالبين يصغون الى كلمات العلماء الراسخين فما استحلته نفوسهم قبلوه وما استغربته نبذوه وأنكروه فيكذبون فريقا منهم فرارا عن تحمل أعباء الطلب ويثيرون الفتنة على فريق بالحسد والانكار والفتنة أشد من القتل وقالوا قلوبنا (٣٣٦) غلف فيه اشارة الى ان الطالب اذا ابتلى فى اثناء الطلب بالرهقة أو الفترة لم يضره ذلك ما

﴿ القول فى تأويل قوله تعالى (قل بئسما يأمركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين) يعنى بذلك جل ثناؤه قل يا محمد ليهود بنى اسرائيل بئس الشئ يأمركم به ايمانكم ان كان يأمركم بقتل أنبياء الله ورسله والتكذيب بكتبه وجحود ما جاء من عنده ومعنى ايمانهم تصديقهم الذى زعموا أنهم به مصدقون من كتاب الله اذ قيل لهم آمنوا بما أنزل الله فقالوا نؤمن بما أنزل علينا وقوله ان كنتم مؤمنين أى ان كنتم مصدقين كما زعمتم بما أنزل الله عليكم وانما كذبهم الله بذلك لان التوراة تنهى عن ذلك كله وتأمر بخلافه فأخبرهم أن تصديقهم بالتوراة ان كان يأمرهم بذلك فبئس الامر تأمر به وانما ذلك نفى من الله تعالى ذكره عن التوراة أن تكون تأمر بشئ مما يكرهه الله من أفعالهم وأن يكون التصديق بها يدل على شئ من مخالفة أمر الله واعلام منه جل ثناؤه أن الذى يأمرهم بذلك أهواؤهم والذى يحملهم عليه البغى والعدوان ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى (قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين) قال أبو جعفر وهذه الآية مما احتج الله بها لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم على اليهود الذين كانوا بين ظهرانى مهاجره وفضح بها أحبارهم وعلماءهم وذلك أن الله جل ثناؤه أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يدعوهم الى قضية عادلة بينه وبينهم فيما كان بينه وبينهم من الخلاف كما أمره الله أن يدعو الفريق الآخر من النصارى اذ خالفوه فى عيسى صلوات الله عليه وجادلوا فيه الى فاصلة بينه وبينهم من المباهلة وقال لفريق اليهود ان كنتم محقين فتمنوا الموت فان ذلك غير ضاركم ان كنتم محقين فيما تدعون من الايمان وقرب المنزلة من الله بل ان أعطيتم أمنيتكم من الموت اذا تمنيتم فانما تصيرون الى الراحة من تعب الدنيا ونصبها وكدر عيشها والفوز بجوار الله فى جنانه ان كان الامر كما تزعمون من أن الدار الآخرة لكم خالصة دوننا وان لم تعطوها علم الناس أنكم المبطلون ونحن المحقون فى دعوانا وانكشف أمرنا وأمركم لهم فامتنعت اليهود من اجابة النبى صلى الله عليه وسلم الى ذلك لعلمها أنها ان تمنت الموت هلكت فذهبت دنياها وصارت الى خزى الابد فى آخرتها كما امتنع فريق النصارى الذين جادلوا النبى صلى الله عليه وسلم فى عيسى اذ دعوا الى المباهلة من المباهلة فبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا ولرأوا مقاعدهم من النار ولو خرج الذين يباهلون رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجعوا لا يجدون أهلا ولا مالا حدثنا بذلك أبو كريب قال حدثنا أبو زكريا بن عدى قال حدثنا عبيد الله بن عمرو عن عبد الكريم عن عكرمة عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا أبو كريب قال حدثنا عثام بن على عن الاعمش عن ابن عباس فى قوله فتمنوا الموت ان كنتم صادقين قال لو تمنوا الموت لشرق أحدهم بريقه حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن عبد الكريم الجزرى عن عكرمة فى قوله فتمنوا الموت ان كنتم صادقين قال قال ابن عباس لو تمنى اليهود الموت لماتوا حدثنى موسى قال أخبرنا عمرو قال حدثنا أسباط عن السدى عن ابن عباس مثله حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة قال حدثنى ابن اسحق قال حدثنى محمد بن أبى محمد «قال أبو جعفر فيما أروى» أنبأنا عن سعيد أو عكرمة عن ابن عباس

دام متمسكا بالارادة فيرجى رجوعه باذن الله وبمدد همة الاستاذ والشيخ فاما اذا زلت قدمه عن جادة الارادة وأظهر الانكار والاعتراض فلن يرجى فلاحه ولما جاءهم كتاب فيه اشارة الى ان أهل كل زمان يتمنون أن يدركوا أحدا من العلماء والاولياء المحظوظين بالعلوم الكسبية واللدنية ويتوسلون بهم الى الله تعالى عند رفع حوائجهم فى صالح دعائهم ويظهرون محبتهم عند الخلق فلما وجدوا واحدا منهم ما عرفوا قدره وحسدوه وأظهروا عداوته وما أنصفوه فباؤا بغضب من رد ولاية الاولياء على غضب من الله لاوليائه كما جاء فى الحديث من عادى لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة وانما انا أغضب لاوليائى كما يغضب الليث لجروه والله أعلم بالصواب (ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا وأشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يأمركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون) * القراآت ولقد جاءكم مدغمة الدال فى الجيم كل القرآن أبو عمرو وحمزة وعلى وخلف وهشام جاءكم وبابه بالامالة حمزة وخلف وابن ذكوان قلوبهم العجل بكسر الهاء والميم أبو عمرو وسهل ويعقوب وقرأ حمزة وعلى وخلف بضم الهاء والميم الباقون بكسر الهاء وضم الميم وكذلك كل ما لقى الميم حرف ساكن وقبل الهاء كسرة بما تعملون بتاء الخطاب يعقوب * الوقوف ظالمون ه الطور ط لتقدير القول واسمعوا ط

بكفرهم ط مؤمنين ٥ صادقين ٥ أيديهم ط بالظالمين ٥ على حياة ج على تقدير ومن الذين أشركوا قوم يود أحدهم ومن وقف على أشركوا فتقديره أحرص الناس على حياة وأحرص من الذين اشركوا ويود مستأنف للبيان وانما لم يدخل من في الناس وأدخل في الذين أشركوا لان اليهود من الناس وليسوا من المشركين كقولك الياقوت أفضل الحجارة وأفضل من الديباج سنة ط لان ما بعده يصلح مستأنفا وحالا أن يعمر ط يعملون ٥ ● التفسير السبب في تكرير قصة اتخاذ العجل ههنا (٣٣٧) القدح بوجه آخر في قولهم نؤمن بما أنزل

عباس قال لو تمنوه يوم قال لهم ذلك ما بقي على ظهر الارض يهودي الامات (قال أبو جعفر) فانكشف لمن كان مشكلا عليه أمر اليهود يومئذ كذبهم وبهتهم وبغيهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وظهرت حجة رسول الله وحجة أصحابه عليهم ولم تزل والحمد لله ظاهرة عليهم وعلى غيرهم من سائر أهل الملل وانما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم تمنوا الموت ان كنتم صادقين لانهم فيما ذكرنا قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى فقال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهم ان كنتم صادقين فيما تزعمون فتمنوا الموت فأبان الله كذبهم بامتناعهم من تمني ذلك وأفلج حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يدعو اليهود أن يتمنوا الموت وعلى أي وجه أمروا أن يتمنوه فقال بعضهم أمروا أن يتمنوه على وجه الدعاء على الفريق الكاذب منهما ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة قال حدثني ابن اسحق قال حدثني محمد بن أبي محمد عن سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين أي ادعوا بالموت على أي الفريقين أكذب وقال آخرون بما حدثني بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد بن زريع قال حدثنا سعيد عن قتادة قوله قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس وذلك أنهم قالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى وقالوا نحن أبناء الله وأحباؤه فقيل لهم فتمنوا الموت ان كنتم صادقين حدثني المثنى قال حدثنا آدم قال حدثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية قال قالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى وقالوا نحن أبناء الله وأحباؤه فقال الله قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين فلم يفعلوا حدثني المثنى قال حدثنا اسحق قال حدثني أبو جعفر عن الربيع قوله قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة الآية وذلك بأنهم قالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى وقالوا نحن أبناء الله وأحباؤه وأما تأويل قوله قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة فانه يقول قل يا محمد ان كان نعيم الدار الآخرة ولذاتها لكم يا معشر اليهود عند الله فاكتفى بذكر الدار من ذكر نعيمها لمعرفة المخاطبين بالآية معناها وقد بينا معنى الدار الآخرة فيما مضى بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وأما تأويل قوله خالصة فانه يعني به صافية كما يقال خالص لي فلان يعني صار لي وحدي وصفا لي يقال منه خلص لي هذا الشئ فهو يخلص خلوصا وخالصة والخالصة مصدر مثل العافية ويقال للرجل هذا خلصاني يعني خالصتي من دون أصحابي وقد روي عن ابن عباس أنه كان يتأول قوله خالصة خاصة وذلك تأويل قريب من معنى التأويل الذي قلناه في ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد قال ثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس قل ان كانت لكم الدار الآخرة قال قل يا محمد لهم يعني اليهود ان

علينا وبيان وصفهم بالعناد والتكذيب تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيتا له فان قوم موسى عليه السلام بعد ظهور المعجزات الواضحات على يده اتخذوا العجل الها ومع ذلك صبر وثبت على الدعاء الى ربه والتمسك بدينه وشرعه وكرر ذكر رفع الطور للتأكيد ولما نيط به من زيادة قولهم سمعنا وعصينا الدال على نهاية لجاجهم وذلك أنه قال لهم اسمعوا سماع تقبل وطاعة فقالوا سمعنا ولكن لا سماع طاعة وظاهر الآية يدل على أنهم قالوا هذا القول أعني سمعنا وعصينا وعليه الاكثرون وعن أبي مسلم أنه يجوز أن يكون المعنى سمعوه وتلقوه بالعصيان فعبر عن ذلك بالقول مثل قالتا أتينا طائعين (وأشربوا في قلوبهم العجل) أي تداخلهم حبه والحرص على عبادته كما يتداخل الثوب الصبغ وقوله تعالى في قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله انما يأكلون في بطونهم نارا وفي هذه الاستعارة لطيفة وهي أنه كما أن الشرب مادة لحياة ما تخرجه الارض فكذا تلك المحبة كانت مادة للقبائح الصادرة عنهم وفي قوله واشربوا دلالة على أن فاعلا غيرهم فعل ذلك بهم كالسامري وابليس وشياطين الجن والانس وذلك بسبب كفرهم واعتقادهم التشبيه على الله تعالى ولا ريب أن جميع

الاسباب تنتهي الى الله تعالى وقد عرفت التحقيق في أمثال ذلك مرارا (بئسما يأمركم) المخصوص بالذم محذوف أي بئس شيأ يأمركم به ايمانكم بالتوراة عبادة العجل فليس في التوراة عبادة العجاجيل واضافة الامر الى ايمانهم تهكم كما قال قوم شعيب أصلاتك تأمرك وكذلك اضافة الايمان اليهم واعلم أن الايمان عرض ولا يصح منه الامر والنهي لكن الداعي الى الفعل والسبب فيه قد يشبه بالآمر كقوله ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر (قل ان كانت لكم الدار الآخرة) الدار اسم كان وفي الخبر ثلاثة أوجه الاول

خالصة وعند ظرف لخالصة أو للاستقرار الذي في لكم ويجوز أن يكون عند حالا من الدار والعامل فيها كان أو الاستقرار وأما لكم فيكون على هذا متعلقا بكان لأنها تعمل في حروف الجر ويجوز أن يكون للتبيين فيكون موضعها بعد خالصة أي خالصة لكم فيتعلق بنفس خالصة ويجوز أن يكون صفة لخالصة قدمت عليها فيتعلق حينئذ بمحذوف الثاني أن يكون خبر كان لكم وعند الله ظرف وخالصة حال والعامل كان أو الاستقرار الثالث أن يكون عند الله هو الخبر وخالصة

حال والعامل فيها ما عند أو ما يتعلق به أو كان أو لكم وسوّغ أن يكون عند خبر كانت لكم إذ كان فيه تخصيص وتبيين نحو ولم يكن له كفوا أحد وقوله من دون الناس نصب بخالصة لأنك تقول خاص كذا من كذا والمراد بالدار الآخرة الجنة لأنها هي المطلوبة من الدار الآخرة دون النار والمراد بقوله عند الله الرتبة والمنزلة وحمله على عندية المكان ممكن ههنا إذ لعلهم كانوا مشبهة ومعنى خالصة لكم أي سالمة خاصة بكم لا حق لأحد فيها سواكم ودون ههنا يفيد التجاوز والتخطي في المكان كما تقول لمن وهبته منك ملكا هذا لك من دون الناس أي لا يتجاوز منك الى غيرك والناس للجنس وقيل للعهد وهم المسلمون والجنس أولى لقوله وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى ولأنه لم يوجد ههنا معهود فإن قلت من أين ثبت أنهم ادعوا ذلك قلنا لأنه لا يجوز أن يقال في معرض الاستدلال على الخصم إن كان كذا وكذا فافعل كذا إلا والأول مذهبه ليصح إلزامه بالثاني ولقوله تعالى وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى نحن أبناء الله وأحباؤه ولما اعتقدوا في أنفسهم أنهم هم المحقون لأن النسخ غير جائز عندهم ولزعمهم أن آباءهم الأنبياء يشفعون لهم ويوصلونهم الى ثواب الله فلهذه الأسباب عظموا شأن أنفسهم وكانوا يفتخرون على العرب وربما جعلوه كالحجة في أن النبي صلى الله عليه وسلم المنتظر المبشر به في التوراة منهم لا من العرب وكانوا يصرفون الناس بسبب هذه الشبهة عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم فبين الله تعالى فساد معتقدهم بالآية وبيان الملازمة أن متاع الدنيا قليل في جنب نعيم الآخرة وذلك القليل كان أيضا منغصا عليهم بعد ظهور محمد صلى الله عليه وسلم ومنازعته معهم بالجدال والقتال فالموت خير لهم لا محالة لأنه يوصل الى الخيرات الكثيرة الدائمة الصافية عن النغص ولا يفوت إلا القليل النكد

كانت لكم الدار الآخرة يعني الخير عند الله خالصة يقول خاصة لكم وأما قوله من دون الناس فان الذي يدل عليه ظاهر التنزيل أنهم قالوا لنا الدار الآخرة عند الله خالصة من دون جميع الناس ويبين أن ذلك كان قولهم من غير استثناء منهم من ذلك أحدا من بني آدم إخبار الله عنهم أنهم قالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى الا أنه روي عن ابن عباس قول غير ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد قال ثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس من دون الناس يقول من دون محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه الذين استهزأتم بهم وزعمتم أن الحق في أيديكم وأن الدار الآخرة لكم دونهم وأما قوله فتمنوا الموت فان تأويله تشهوه وأريدوه وقد روي عن ابن عباس أنه قال في تأويله فسلوا الموت ولا يعرف التمني بمعنى المسئلة في كلام العرب ولكن أحسب أن ابن عباس وجه معنى الأمنية إذ كانت محبة النفس وشهوتها الى معنى الرغبة والمسئلة إذ كانت المسئلة هي رغبة السائل الى الله فيما سأله حدثنا أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد قال ثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس فتمنوا الموت فسلوا الموت إن كنتم صادقين القول في تأويل قوله (ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين) وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن اليهود وكراهتهم الموت وامتناعهم عن الإجابة الى ما دعوا اليه من تمني الموت لعلمهم بأنهم إن فعلوا ذلك فالوعيد بهم نازل والموت بهم حال ولمعرفتهم بمحمد صلى الله عليه وسلم أنه رسول من الله اليهم مرسل وهم به مكذبون وأنه لم يخبرهم خبرا الا كان حقا كما أخبر فهم يحذرون أن يتمنوا الموت خوفا أن يحل بهم عقاب الله بما كسبت أيديهم من الذنوب كالذي حدثني محمد بن حميد قال ثنا سلمة قال حدثني محمد بن اسحق قال حدثني محمد بن أبي محمد فيما يروى أبو جعفر عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قل إن كانت لكم الدار الآخرة الآية أي ادعوا بالموت على أي الفريقين أكذب فأبوا ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم أي لعلمهم بما عندهم من العلم بك والكفر بذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد قال ثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس ولن يتمنوه أبدا يقول يا محمد ولن يتمنوه أبدا لأنهم يعلمون أنهم كاذبون ولو كانوا صادقين لتمنوه ورغبوا في التعجيل الى كرامتي فليس يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم حدثني القاسم قال ثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج قوله فتمنوا الموت إن كنتم صادقين وكانت اليهود أشد فرارا من الموت ولم يكونوا ليتمنوه أبدا وأما قوله بما قدمت أيديهم فانه يعني به بما أسلفته أيديهم وإنما ذلك مثل على نحو ما تتمثل به العرب في كلامها فتقول للرجل يؤخذ بجريرة جرها أو جناية جناها فيعاقب عليها نالك هذا بما جنت يداك وبما كسبت يداك وبما قدمت يداك فتضيف ذلك الى اليد ولعل الجناية التي جناها فاستحق عليها العقوبة كانت باللسان أو بالفرج أو بغير ذلك من أعضاء جسده سوى اليد (قال) وإنما قيل ذلك بإضافته الى اليد لأن عظم جنايات الناس بأيديهم

فخرى

والوسيلة وان كانت مكروهة نظرا الى ذاتها لكنه لا يتركها العاقل نظرا الى غايتها كالفصد ونحوه والنهي عن تمني الموت في قوله صلى الله عليه وسلم لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به وان كان ولا بد فليقل اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرا لي وأمتني ما كانت الوفاة خيرا لي محمول على من سببه عدم الصبر على الضر ونكد العيش كما قال قائل
ألا موت يباع فأشتريه * فهذا العيش ما لا خير فيه
ألا رحم المهيمن روح عبد * تصدق بالوفاة على أخيه
فان ذلك نوع من عدم الرضا بالقضاء ويدل على الجزع وضيق العطن وينافي قضية التوكل والتسليم أو على من سببه الجزم بالوصول الى نعيم الآخرة فان ذلك خارج عن قانون الادب ونوع من الاخبار بالغيب لا يليق الا ببعض أولياء الله روى أن عليا عليه السلام كان يطوف بين الصفين في غلالة وهي شعار يلبس تحت الثوب وتحت الدرع أيضا فقال له ابنه الحسن ما هذا بزي المحاربين فقال يا بني لا يبالي أبوك على الموت سقط أم عليه سقط الموت وعن حذيفة انه رضي الله عنه كان يتمنى الموت فلما احتضر قال رضي الله عنه حبيب جاء على فاقة لا يفلح من ندم يعني على التمني وقال عمار بصفين الآن ألاقي الأحبه محمدا وحزبه وكان كل واحد من العشرة المبشرة بالجنة يحب الموت ويحن اليه لجزمهم بلقاء الله ونيل ثوابه وذلك لمكان البشارة فأما أحدنا فلا يليق به تمني الموت الا على سبيل الرجاء وحسن الظن بالله أنا عند ظن عبدي بي وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقي على الارض يهودي وليس لهم أن يقلبوا هذا السؤال على محمد صلى الله عليه وسلم فيقولوا انك تدعي أن الدار الآخرة خالصة لك ولامتك دون من ينازعك في الامر فارض بأن نقتلك ونقتل أمتك فانا نراك وأمتك في الضر الشديد والبلاء العظيم وبعد الموت تتخلصون الى دار الكرامة والنعيم لانه صلى الله عليه وسلم بعث لتبليغ الشرائع وتنفيذ الاحكام ولا يتم المقصود الا بحياته وحياة أمته فله صلى الله عليه وسلم أن يقول لاجل هذا لا أرضى بالقتل مع أن المؤمن من هذه الامة قلما يخلو من النزاع والشوق الى لقاء ربه فالعبد المطيع يحب الرجوع الى سيده والعبد الآبق يكره العود الى مولاه ولهذا جاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وبذلوا أرواحهم دون الدين والذب عن الملة الحنيفية رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم

فجرى الكلام باستعمال اضافة الجنايات التي يجنيها الناس الى أيديهم حتى أضيف كل ما عوقب عليه الانسان مما جناه بسائر أعضاء جسده الى أنها عقوبة على ما جنته يده فلذلك قال جل ثناؤه للعرب ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم يعني به ولن يتمنى اليهود الموت بما قدموا أمامهم في حياتهم من كفرهم بالله في مخالفتهم أمره وطاعته في اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند الله وهم يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة ويعلمون أنه نبي مبعوث فأضاف جل ثناؤه ما انطوت عليه قلوبهم وأضمرته أنفسهم ونطقت به ألسنتهم من حسد محمد صلى الله عليه وسلم والبغي عليه وتكذيبه وجحود رسالته الى أيديهم وانه مما قدمته أيديهم لعلم العرب معنى ذلك في منطقها وكلامها اذ كان جل ثناؤه انما أنزل القرآن بلسانها وبلغتها وروى عن ابن عباس في ذلك ما حدثنا أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد قال ثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس بما قدمت أيديهم يقول بما أسلفت أيديهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج بما قدمت أيديهم قال انهم عرفوا أن محمدا صلى الله عليه وسلم نبي فكتموه وأما قوله والله عليم بالظالمين فانه يعني جل ثناؤه والله ذو علم بظلمة بني آدم يهودها ونصاراها وسائر أهل الملل غيرها وما يعملون وظلم اليهود كفرهم بالله في خلافهم أمره وطاعته في اتباع محمد صلى الله عليه وسلم بعد ان كانوا يستفتحون به وبمبعثه وجحودهم نبوته وهم عالمون انه نبي الله ورسوله اليهم وقد دللنا على معنى الظلم فيما مضى بما أغنى عن اعادته ۞ القول في تأويل قوله (ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة) يعني بقوله جل ثناؤه ولتجدنهم أحرص الناس على حياة اليهود يقول يا محمد لتجدن أشد الناس حرصا على الحياة في الدنيا وأشدهم كراهة للموت اليهود كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال حدثني محمد بن اسحق عن محمد بن أبي محمد فيما يروي أبو جعفر عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس ولتجدنهم أحرص الناس على حياة يعني اليهود حدثني المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر (١) عن أبي العالية ولتجدنهم أحرص الناس على حياة يعني اليهود حدثني المثنى قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع مثله حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله وانما كراهتهم الموت لعلمهم بما لهم في الآخرة من الخزي والهوان الطويل ۞ القول في تأويل قوله (ومن الذين أشركوا) يعني جل ثناؤه بقوله ومن الذين أشركوا وأحرص من الذين أشركوا على الحياة كما يقال هو أشجع الناس ومن عنترة بمعنى هو أشجع من الناس ومن عنترة فكذلك قوله ومن الذين أشركوا لان معنى الكلام ولتجدن يا محمد اليهود من بني اسرائيل أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا فلما أضيف أحرص الى الناس وفيه تأويل من أظهرت بعد حرف العطف ردا على التأويل الذي ذكرنا وانما وصف الله جل ثناؤه اليهود بأنهم أحرص الناس على الحياة لعلمهم بما قد أعد لهم في الآخرة على كفرهم مما لا يقر به أهل الشرك فهم للموت أكره من أهل الشرك الذين

---

(١) لعله سقط الربيع هنا من قلم الناسخ فانه شيخ أبي جعفر كما سبق ويأتي كتبه مصححه

من ينتظر عن عبادة بن الصامت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فقالت عائشة أو بعض أزواجه انا لنكره الموت قال ليس ذلك ولكن المؤمن اذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته فليس شيء أحب اليه مما أمامه فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه وان الكافر اذا حضره الموت بشر بعذاب الله وعقوبته فليس شيء أكره اليه مما أمامه فكره لقاء الله وكره الله لقاءه ثم انه تعالى بين انتفاء اللازم (٣٤٠) بقوله ولن يتمنوه أبدا وبرهن عليه بقوله بما قدمت أيديهم أي بما أسلفوا من

لا يؤمنون بالبعث لأنهم يؤمنون بالبعث ويعلمون ما لهم هنالك من العذاب وان المشركين لا يصدقون بالبعث ولا العقاب فاليهود أحرص منهم على الحياة وأكره للموت وقيل ان الذين أشركوا الذين أخبر الله تعالى ذكره أن اليهود أحرص منهم في هذه الآية على الحياة هم المجوس الذين لا يصدقون بالبعث ذكر من قال هم المجوس حدثني المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة يعني المجوس حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة قال المجوس حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ومن الذين أشركوا قال يهود أحرص من هؤلاء على الحياة ذكر من قال هم الذين ينكرون البعث حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا ابن اسحق قال حدثني محمد بن أبي محمد فيما يروي أبو جعفر عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا وذلك أن المشرك لا يرجو بعثا بعد الموت فهو يحب طول الحياة وأن اليهودي قد عرف ماله في الآخرة من الخزي بما ضيع مما عنده من العلم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (يود أحدهم لو يعمر ألف سنة) هذا خبر من الله جل ثناؤه بقوله عن الذين أشركوا الذين أخبر أن اليهود أحرص منهم على الحياة يقول جل ثناؤه يود أحد هؤلاء الذين أشركوا الاما ٣ بفناء دنياه وانقضاء أيام حياته أن يكون له بعد ذلك نشور أو محيا أو فرح أو سرور لو يعمر ألف سنة حتى جعل بعضهم تحية بعض عشرة آلاف عام حرصا منهم على الحياة كما حدثنا محمد بن علي بن الحسن بن شقيق قال سمعت أبي عليا أخبرنا أبو حمزة عن الاعمش عن مجاهد عن ابن عباس في قوله يود أحدهم لو يعمر ألف سنة قال هو قول الاعاجم سال زه نوروز مهرجان حر وحدثت عن نعيم النحوي عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير يود أحدهم لو يعمر ألف سنة قال هو قول أهل الشرك بعضهم لبعض اذا عطس زه هزار سال حدثنا ابراهيم بن سعيد ويعقوب بن ابراهيم قالا ثنا اسمعيل بن علية عن ابن أبي نجيح عن قتادة في قوله يود أحدهم لو يعمر ألف سنه قال حببت اليهم الخطيئة طول العمر حدثني يونس بن عبد الأعلى قال حدثني ابن معبد عن ابن علية عن ابن أبي نجيح في قوله يود أحدهم فذكر مثله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ولتجدنهم أحرص الناس على حياة حتى بلغ لو يعمر ألف سنة يهود أحرص من هؤلاء على الحياة وقد ود هؤلاء لو يعمر أحدهم ألف سنة وحدثت عن أبي معاوية عن الأعمش عن سعيد عن ابن عباس في قوله يود أحدهم لو يعمر ألف سنة قال هو قول أحدهم اذا عطس زه هزار سال يقول عشرة آلاف سنة ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر) يعني جل ثناؤه بقوله وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر وما التعمير وهو طول البقاء بمزحزحه من عذاب الله وقوله هو عماد لطلب ما الاسم أكثر من طلبها الفعل كما قال الشاعر

* فهل هو مرفوع بما ههنا رأس * وأن التي في أن يعمر رفع بمزحزحه أو هو الذي مع

٣ هنا بياض بالاصل

موجبات النار كالكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن وتحريف كتاب الله وسائر قبائح أفعالهم وذكر الأيدي مجاز لان أكثر الاعمال يتم بمباشرة اليد وقوله ولن يتمنوه أبدا من المعجزات لانه اخبار بالغيب وكان كما أخبر به كقوله ولن تفعلوا وذلك أن التمني ليس من أعمال القلب حتى لا يطلع عليه أحد وانما هو قول الانسان بلسانه تمنيت أو ليت لي كذا ومحال أن يقع التحدي بما في الضمائر والقلوب فلو أنهم تمنوا لنقل ذلك كما ينقل سائر الحوادث العظام ولكان ناقلوه من أهل الكتاب وغيرهم من أولي المطاعن أكثر من الذر وأيضا لو كان التمني بالقلوب وتمنوا لقالوا قد تمنينا الموت في قلوبنا ولم ينقل أنهم قالوا ذلك وأيضا لولا أنه تعالى أوحى اليه أنهم لم يتمنوا لم يكن في العقل رخصة الاقدام على مثل هذا الالزام لأنه في غاية السهولة واذا ثبت انتفاء اللازم ثبت انتفاء الملزوم بالضرورة وهو أن لا تكون الدار الآخرة لهم خالصة وأما أنها ليست لهم بالاشتراك أيضا فيستفاد من الآية التالية وفي قوله والله عليم بالظالمين اشارة أيضا الى ذلك لانه اذا كان محيطا بسرهم وعلانيتهم وقد قدموا من القبائح ما قدموا فيجازيهم بما يحقون له وفي وضع

ما تكرر

الظاهر وهو بالظالمين مقام المضمر وهو بهم اشارة أخرى الى سوء منقلبهم وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون واللام اما للعهد واما للجنس فيشملهم أولا وغيرهم من الظلمة ثانيا فان قيل ما الفائدة في قوله ههنا ولن يتمنوه وفي سورة الجمعة ولا يتمنونه قلنا لان الدعوى ههنا كون الدار الآخرة خالصة لهم وهنالك كونهم أولياء الله من دون الناس والاول مطلوب بالذات والثاني وسيلة اليه فناسب أن ينفي الاول بما هو أبلغ في افادة النفي وهو لن أولان الدعوى الثانية أخص فانه لا يلزم

ما تكرير عماد للفعل لاستقباح العرب النكرة قبل المعرفة وقد قال بعضهم ان هو الذي مع
ما كناية ذكر العمر كأنه قال يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما ذاك العمر بمزحزحه من العذاب
وجعل أن يعمر مترجما عن هو يريد ما هو بمزحزحه التعمير وقال بعضهم قوله وما هو بمزحزحه من
العذاب أن يعمر نظير قولك ما زيد بمزحزحه أن يعمر وأقرب هذه الاقوال عندنا الى الصواب ما قلنا
وهو أن يكون هو عمادا نظير قولك ما هو قائم عمرو وقد قال قوم من أهل التأويل ان أن التي في
قوله أن يعمر بمعنى وان عمر وذلك قول لمعاني كلام العرب المعروف مخالف ذكر من قال ذلك
حدثني المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية وما هو بمزحزحه
من العذاب أن يعمر يقول وان عمر حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر
عن أبيه عن الربيع مثله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد أن يعمر ولو
عمر وأما تأويل قوله بمزحزحه فانه بمبعده ومنحيه كما قال الحطيئة

وقالوا تزحزح ما بنا فضل حاجة * اليك وما منا لوهيك راقع

يعني بقوله تزحزح تباعد يقال منه زحزحه يزحزحه زحزحة وزحزاحا وهو عنك متزحزح أي
متباعد فتأويل الآية وما طول العمر بمبعده من عذاب الله ولا منحيه منه لانه لابد للعمر من الفناء
ومصيره الى الله كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال حدثني ابن اسحق قال حدثني محمد بن
أبي محمد فيما أرى عن سعيد بن جبير أو عن عكرمة عن ابن عباس وما هو بمزحزحه من العذاب أن
يعمر أي ما هو بمنحيه من العذاب حدثني المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن
الربيع عن أبي العالية وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر يقول وان عمر فما ذاك بمغيثه من
العذاب ولا منحيه حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن
الربيع مثله حدثني محمد بن سعد قال حدثني أبي قال حدثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن
ابن عباس يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب فهم الذين عادوا جبريل عليه
السلام حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو
بمزحزحه من العذاب أن يعمر ويهود أحرص على الحياة من هؤلاء وقد ود هؤلاء لو يعمر أحدهم
ألف سنة وليس ذلك بمزحزحه من العذاب لو عمر كما عمر ابليس لم ينفعه ذلك اذ كان كافرا ولم
يزحزحه ذلك عن العذاب ۞ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (والله بصير بما يعملون) يعني
جل ثناؤه بقوله والله بصير بما يعملون والله ذو ابصار بما يعملون لا يخفى عليه شيء من أعمالهم بل
هو بجميعها محيط ولها حافظ ذاكر حتى يذيقهم بها العقاب جزاءها وأصل بصير مبصر من
قول القائل أبصرت فأنا مبصر ولكن صرف الى فعيل كما صرف مسمع الى سميع وعذاب مؤلم الى
أليم ومبدع السموات الى بديع وما أشبه ذلك ۞ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (قل من
كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله) أجمع أهل العلم بالتأويل جميعا على أن هذه
الآية نزلت جوابا لليهود من بني اسرائيل اذ زعموا أن جبريل عدو لهم وأن ميكائيل ولي لهم ثم

ان يكون كل من له الدار الآخرة وليا بمعنى انه يلي النبي في الكمال والاكمال ونفي العام أبعد من نفي الخاص كما أن اثبات الخاص في قولك فلان
ابن فلان موجود أبعد من اثبات العام في قولك الانسان موجود فحيث كانت الدعوى الاولى أبعد احتيج الى أداة هي في باب النفي أبلغ ثم انه
سبحانه لما أخبر عنهم في الآية المتقدمة أنهم لا يتمنون الموت أخبر بعد ذلك أنهم في غاية الحرص على الحياة لان ههنا قسما ثالثا وهو أن لا يتمنى
الحياة ولا الموت فقال ولتجدنهم أحرص الناس مؤكدا باللام والنون والقسم المقدر وهو من وجد بمعنى علم

وقوله على حياة بالتنكير لانه أراد
نوعا من الحياة مخصوصا وهي الحياة
المتطاولة أو حياة وأي حياة وفي
جعلهم أحرص من الذين أشركوا
توبيخ عظيم لان المشركين لا يؤمنون
بمعاد وعاقبة وما يعرفون الا الحياة
الدنيا فهي جنتهم فلا يستبعد
حرصهم عليها فاذا ازداد عليهم في
الحرص من له كتاب وهو مقر بالجزاء
كان خليقا بالتوبيخ وسبب زيادة
حرصهم هو علمهم بأنهم صائرون الى
النار لامحالة والمشركون غافلون
عن ذلك وقيل أراد بالذين أشركوا
المجوس لانهم كانوا يقولون لملوكهم
عش ألف نيروز وألف مهرجان
وعن ابن عباس هو قول الاعاجم زي
هزار سال ويحسن أن يقال ومن
الذين أشركوا كلام مبتدأ أي
ومنهم ناس يود على حذف الموصوف
كقوله وما منا الا له مقام معلوم أي
وما منا ملك لقوة الدلالة عليه بذكر
ما اشتمل عليه قبله فكأنه مذكور
وعلى هذا يلزم توبيخ اليهود من جهة
أخرى وهي انضمامهم في زمرة
المشركين وكونهم بعضا منهم وذلك
كقولهم عزير ابن الله وقال أبو مسلم
في الآية تقديم وتأخير أي ولتجدنهم
طائفة من الذين أشركوا وأحرص
الناس على حياة ثم فسر بقوله يود
أحدهم أي كل واحد يغرنس لو
يعمر ولو في معنى التمني ولو يعمر

حكاية لودادتهم وكان يجوز لو أعمر على الحكاية الا أنه جرى على لفظ الغيبة لقوله يود أحدهم مثل حلف بالله ليفعلن وتخصيص الألف بالذكر
بناء على العرف ولانه أول عقد يستحيل وقوعه في أعمار بني آدم أو يندر والضمير في قوله وما هو يعود الى أحدهم وأن يعمر فاعل بمزحزحه
أي وما أحدهم بمن يزحزحه من العذاب تعميره ويجوز أن يكون الضمير لما دل عليه يعمر من مصدره وأن يعمر بدل منه كأنه قيل وما التعمير
بمزحزحه من العذاب أن يعمر ويجوز أن يكون هو مبهما وان يعمر موضحه والزحزحة المباعدة والتنحية والله بصير بما يعملون فيه تهديد

لاهل البغي والعناد وزجر للعصاة عن الفساد والبصر قد يراد به العلم يقال فلان بصير بهذا الامر أي عارف به وقد يراد به أنه على صفة لو وجدت المبصرات لابصرها وكلا الوصفين يصح عليه سبحانه مالم يثبت له جارحة فان قلنا ان من الاعمال مالا يصح أن يرى تعين حمل البصر فيه على العلم والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب (قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين ولقد

أنزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون) ۞ القراآت جبريل مفتوحة الجيم مكسورة الراء غير مهموز ابن كثير وقرأ حمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص و يحيى مفتوحة الراء والجيم مهموزة مشبعا وقرأ يحيى مختلسا الباقون مكسورة الراء والجيم غير مهموز ميكال أبو عمرو وسهل ويعقوب وحفص وقرأ أبو جعفر ونافع مختلسا مهموزا الباقون ميكائيل مهموزا مشبعا ۞ الوقوف للمؤمنين ه للكافرين ه بينات ج لان هذه الواو للابتداء أو الحال والحال أوجه لاتحاد القصة الفاسقون ه فريق منهم ط لان بل للاعراض عن الاول لا يؤمنون ه أوتوا الكتاب ط قد قيل يوقف لبيان ان كتاب الله مفعول نبذ لا بدل مما قبله لا يعلمون ه قد يجوز للآية والوصل للعطف على نبذ لاتمام سوء اختيارهم في النبذ والاتباع ۞ التفسير هذا نوع آخر من قبائح أفعال اليهود والسبب في نزوله أنه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة أتاه عبد الله بن صوريا من أحبار فدك فقال يا محمد كيف نومك فقد أخبرنا عن نوم النبي صلى الله عليه وسلم الذي يجيء في آخر الزمان فقال صلى الله عليه وسلم تنام عيناي ولا ينام قلبي قال صدقت يا محمد فأخبرنا عن الولد من الرجل يكون أو من المرأة فقال أما العظام والعصب والعروق فمن الرجل وأما اللحم والدم والظفر والشعر فمن المرأة فقال صدقت قال فما بال الولد يشبه أعمامه دون أخواله أو يشبه أخواله دون أعمامه فقال أيهما غلب ماؤه ماء صاحبه كان الشبه له قال صدقت قال أخبرنا أي الطعام حرم اسرائيل على نفسه وفي التوراة أن النبي الامي يخبر عنه فقال صلى الله عليه وسلم

اختلفوا في السبب الذي من أجله قالوا ذلك فقال بعضهم انما كان سبب قيلهم ذلك من أجل مناظرة جرت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمر نبوته ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس عن بكير عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن ابن عباس انه قال حضرت عصابة من اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا أبا القاسم حدثنا عن خلال نسألك عنهن لا يعلمهن الا نبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سلوا عما شئتم ولكن اجعلوا لي ذمة الله وما أخذ يعقوب على بنيه لئن أنا حدثتكم شيأ فعرفتموه لتتابعني على الاسلام فقالوا ذلك لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سلوني عما شئتم فقالوا أخبرنا عن أربع خلال نسألك عنهن أخبرنا أي الطعام حرم اسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة وأخبرنا كيف ماء المرأة وماء الرجل وكيف يكون الذكر منه والانثى وأخبرنا بهذا النبي الامي في النوم ومن وليه من الملائكة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم عهد الله لئن أنا أنبأتكم لتتابعني فأعطوه ماشاء من عهد وميثاق فقال نشدتكم بالذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن اسرائيل مرض مرضا شديدا فطال سقمه منه فنذر نذرا لئن عافاه الله من سقمه ليحرمن أحب الطعام والشراب اليه وكان أحب الطعام اليه لحم الابل «قال أبو جعفر فيما أرى» وأحب الشراب اليه ألبانها فقالوا اللهم نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشهد الله عليكم وأنشدكم بالله الذي لا اله الا هو الذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن ماء الرجل أبيض غليظ وأن ماء المرأة أصفر رقيق فأيهما علا كان له الولد والشبه باذن الله فاذا علا ماء الرجل ماء المرأة كان الولد ذكرا باذن الله واذا علا ماء المرأة ماء الرجل كان الولد أنثى باذن الله قالوا اللهم نعم قال اللهم اشهد قال وأنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن هذا النبي الامي تنام عيناه ولا ينام قلبه قالوا اللهم نعم قال اللهم اشهد قالوا أنت الآن تحدثنا من وليك من الملائكة فعندها نتابعك أو نفارقك قال فان وليي جبريل ولم يبعث الله نبيا قط الا وهو وليه قالوا فعندها نفارقك لو كان وليك سواه من الملائكة تابعناك وصدقناك قال فما يمنعكم أن تصدقوه قالوا انه عدونا فأنزل الله عز وجل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله الى قوله كأنهم لا يعلمون فعندها باؤا بغضب على غضب حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال حدثني محمد بن اسحق قال حدثني عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي الحسين يعني المكي عن شهر بن حوشب الأشعري أن نفرا من اليهود جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد أخبرنا عن أربع نسألك عنهن فان فعلت اتبعناك وصدقناك وآمنا بك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بذلك عهد الله وميثاقه لئن أنا أخبرتكم بذلك لتصدقني قالوا نعم قال فاسألوا عما بدا لكم فقالوا أخبرنا كيف يشبه الولد أمه وانما النطفة من الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدكم بالله وبأيامه عند بني اسرائيل هل تعلمون أن نطفة الرجل بيضاء غليظة ونطفة المرأة صفراء رقيقة فأيهما غلبت صاحبتها كان لها الشبه قالوا نعم قالوا فأخبرنا كيف نومك قال أنشدكم بالله

أنشدكم بالله الذى أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن اسرائيل مرض مرضا شديدا فطال سقمه فنذر لله نذرا ان عافاه الله من سقمه ليحرّمن أحب الطعام والشراب على نفسه وهو لحمان الابل وألبانها فقالوا اللهم نعم فقال له بقيت خصلة ان قلتها آمنت بك أى ملك يأتيك بما تقول عن الله قال جبريل قال ذاك عدوّنا ينزل بالقتال والشدة ورسولنا ميكائيل يأتى باليسر والرخاء فان كان هو الذى يأتيك آمنا بك فقال عمر ما مبدأ هذه العداوة فقال ابن صوريا ان الله أنزل على نبينا أن بيت المقدس يخرب فى زمان رجل يقال له بختنصر ووصفه لنا فطلبناه فلما وجدناه بعثنا لقتله رجالا فدفع عنه جبريل وقال ان سلطكم الله على قتله فهذا ليس هو ذاك وان لم يكن اياه فعلى أى حق تقتلونه ثم انه كبر وقوى وملك وغزانا وخرب بيت المقدس فلهذا نتخذه عدوّا وأما ميكائيل فانه عدو لجبريل فقال عمر فانى أشهد أن من كان عدوّا لجبريل فهو عدو لميكائيل وهما عدوان لمن عاداهما فأنكر ذلك على عمر فأنزل الله تعالى هاتين الآيتين وقيل كان لعمر أرض بالمدينة أعلاها وكان ممره على مدراس اليهود وكان يجلس اليهم ويسمع كلامهم فقالوا يا عمر قد أحببناك وإنا لنطمع فيك فقال والله لا أجيئكم لحبكم ولا أسألكم لأنى شاك فى دينى وانما أدخل عليكم لأزداد بصيرة فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم وأرى آثاره فى كتابكم ثم سألوه فقالوا من صاحب صاحبكم فقال عمر جبريل فقالوا ذاك عدوّنا يطلع محمدا على أسرارنا وهو صاحب كل خسف وعذاب وان ميكائيل يجىء بالخصب والسلام فقال لهم وما منزلتهما من الله قالوا أقرب منزلة جبريل وهو عن يمينه وميكائيل عن يساره وميكائيل عدوّ لجبريل فقال عمر إن كانا كما تقولون فما هما بعدوّين ولأنتم أكفر من الحمير ومن كان عدوا لأحدهما كان عدوّا للآخر ومن كان عدوا لهما كان عدوا لله ثم رجع عمر فوجد جبريل قد سبقه بالوحى فقال النبى صلى الله عليه وسلم لقد وافقك ربك يا عمر قال لقد رأيتنى فى دين الله بعد ذلك أصلب من الحجر وعن مقاتل زعمت اليهود أن جبريل عدونا أمر بان يجعل النبوة فينا فجعلها فى غيرنا والأقرب فى سبب عداوتهم اياه أنه كان ينزل بالقرآن على محمد صلى الله عليه وسلم كما يشعر بذلك قوله فانه نزله أى ان عاداه أحد فالسبب فى عداوته أنه نزل عليك القرآن مصدقا لكتابهم وموافقا له وهم كارهون للقرآن ولموافقته لكتابهم ولذلك كانوا يحرّفونه ويجحدون موافقته له كقولك ان عاداك فلان

بالله وبأيامه عند بنى اسرائيل هل تعلمون أن هذا النبى الامى تنام عيناه ولا ينام قلبه قالوا اللهم نعم قال اللهم اشهد قالوا أخبرنا أىّ الطعام حرم اسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قال هل تعلمون أنه كان أحب الطعام والشراب اليه ألبان الابل ولحومها وأنه اشتكى شكوى فعافاه الله منها فحرم أحب الطعام والشراب اليه شكرا لله فحرّم على نفسه لحوم الابل وألبانها قالوا اللهم نعم قالوا فأخبرنا عن الروح قال أنشدكم بالله وبأيامه عند بنى اسرائيل هل تعلمون أنه جبريل وهو الذى يأتينى قالوا نعم ولكنه لنا عدوّ وهو ملك انما يأتى بالشدة وسفك الدماء فلولا ذلك اتبعناك فأنزل الله فيهم قل من كان عدوّا لجبريل فانه نزله على قلبك الى قوله كأنهم لا يعلمون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثنى حجاج عن ابن جريج قال حدثنى القاسم بن أبى بزة أن يهود سألوا النبى صلى الله عليه وسلم من صاحبه الذى ينزل عليه بالوحى فقال جبريل قالوا فانه لنا عدوّ ولا يأتى الا بالحرب والشدة والقتال فنزل من كان عدوّا لجبريل الآية قال ابن جريج وقال مجاهد قالت يهود يا محمد ما ينزل جبريل الا بشدة وحرب وقالوا انه لنا عدوّ فنزل من كان عدوّا لجبريل الآية * وقال آخرون بل كان سبب قيلهم ذلك من أجل مناظرة جرت بين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وبينهم فى أمر النبى صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن المثنى قال ثنا ربعى بن علية عن داود بن أبى هند عن الشعبى قال نزل عمر الروحاء فرأى رجالا يبتدرون أحجارا يصلون اليها فقال ما هؤلاء قالوا يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى ههنا فكره ذلك وقال انما رسول الله صلى الله عليه وسلم أدركته الصلاة بواد فصلى ثم ارتحل فتركه ثم أنشأ يحدثهم فقال كنت أشهد اليهود يوم مدراسهم فأعجب من التوراة كيف تصدق الفرقان ومن الفرقان كيف يصدق التوراة فبينما أنا عندهم ذات يوم قالوا يا ابن الخطاب ما من أصحابك أحد أحب الينا منك قلت ولم ذلك قالوا انك تغشانا وتأتينا قال قلت انى آتيكم فأعجب من الفرقان كيف يصدق التوراة ومن التوراة كيف تصدق الفرقان قال ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا ابن الخطاب ذاك صاحبكم فالحق به قال فقلت لهم عند ذلك أنشدكم بالله الذى لا اله الا هو وما استرعاكم من حقه واستودعكم من كتابه أتعلمون أنه رسول الله قال فسكتوا قال فقال عالمهم وكبيرهم انه قد عظم عليكم فأجيبوه قالوا أنت عالمنا وسيدنا فأجبه أنت قال أما اذ أنشدتنا به فانا نعلم أنه رسول الله قال قلت ويحكم أى هلكتم قالوا انا لم نهلك قال قلت كيف ذاك وأنتم تعلمون أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لا تتبعونه ولا تصدقونه قالوا ان لنا عدوّا من الملائكة وسلما من الملائكة وانه قرن به عدوّنا من الملائكة قال قلت ومن عدوّكم ومن سلمكم قالوا عدوّنا جبريل وسلمنا ميكائيل قال قلت وفيم عاديتم جبريل وفيم سالمتم ميكائيل قالوا ان جبريل ملك الفظاظة والغلظة والاعسار والتشديد والعذاب ونحو هذا وان ميكائيل ملك الرأفة والرحمة والتخفيف ونحو هذا قال قلت وما منزلتهما من ربهما قالوا أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره قال قلت فوالله الذى لا اله الا هو انهما والذى بينهما العدوّ لمن عاداهما وسلم لمن

فقد آذيته وأساءت اليه أو ان عادى جبريل أحد من أهل الكتاب فلا وجه لمعاداته حيث نزل كتابا مصدقا للكتب بين يديه فلو أنصفوا لأحبوه
وشكروا له صنيعه فى النزول بما ينفعهم ويصحح المنزل عليهم ويمكن أن يتوجه الجزاء الى قوله باذن الله الى آخره أى ان عاداه أحد فلا وجه
لعداوته لأنه لم ينزل بالقرآن من تلقاء نفسه وباختياره وانما جاء به باذن الله وأمره الذى لا محيص عنه ولا سبيل الى مخالفته وجاء به مصدقا هاديا
مبشرا فهو من حيث إنه مأمور وجب أن يكون معذورا ومن حيث انه أتى بالهداية والبشارة يلزم أن يكون مشكورا فعداوة من
هذا سبيله عداوة الله ولو أنه تعالى
أمر ميكائيل بذلك لانقاد لامره أيضا
لا محالة ولتوجه الاشكال عليه فما
الوجه فى تخصيص جبريل بالعداوة
وجبريل ممتنع من الصرف للعلمية
والعجمة بشرطها وعن ابن عباس
وغيره أن معناه عبد الله والضمير فى
نزله للقرآن وان لم يجر له ذكر لانه
كالمعلوم مثل قوله تعالى ما ترك على
ظهرها من دابة وهذا النوع من
الاضمار فيه فخامة لشأن صاحبه
حيث جعله لفرط شهرته كأنه يدل
على نفسه وأكثر الأمة على أن
القرآن انما نزل على محمد لا على
قلبه لكن خص القلب بالذكر
لان السبب فى تمكنه صلى الله عليه
وسلم من الاداء ثباته فى قلبه فمعنى
على قلبك حفظه اياك وفهمكه وقيل
أى جعل قلبك متصفا بأخلاق
القرآن ومتأدبا بآدابه كما فى حديث
عائشة كان خلقه صلى الله عليه
وسلم القرآن وكان حق الكلام
أن يقال على قلبى الا أنه جاء على
حكاية كلام الله كما تكلم به كأنه
قيل قل ما تكلمت به من قولى من
كان عدوا لجبريل فانه نزله على
قلبك ومعنى مصدقا لما بين يديه
موافقا لما قبله من كتب الانبياء
فيما يرجع الى المبادى والغايات
دون الاوساط التى يتطرق اليها
الاختلاف بتبدل الازمان والاوقات
ومعنى قوله وهدى وبشرى أن
القرآن يشتمل على أمرين أحدهما بيان ما وقع التكليف به من أعمال القلوب وأفعال الجوارح فهو من
هذا الوجه هدى وثانيهما بيان أن الآتى بتلك الاعمال كيف يكون ثوابه فهو من هذا الوجه بشرى والاول مقدم على الثانى فى الوجود فقدم
فى الذكر أيضا ولا ريب أن البشرى تختص بالمؤمنين وأما الهدى فلأنهم هم المنتفعون به كما مر فى هدى للمتقين ولما بين فى الآية المتقدمة
ان من كان عدوا لجبريل لأجل أنه نزل القرآن على قلب محمد صلى الله عليه وسلم وجب أن يكون عدوا لله تعالى بين فى الآية التالية أن من

سالمهما ما ينبغى لجبريل أن يسالم عدو ميكائيل ولا لميكائيل أن يسالم عدو جبريل قال ثم قمت
فاتبعت النبى صلى الله عليه وسلم فلحقته وهو خارج من خرفة لبنى فلان فقال لى يا ابن الخطاب ألا
أقرئك آيات نزلن فقرأ على قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين
يديه حتى قرأ الآيات قال قلت بأبى وأمى يا رسول الله والذى بعثك بالحق لقد جئت وأنا أريد
أن أخبرك الخبر فأسمع اللطيف الخبير قد سبقنى اليك بالخبر حدثنى يعقوب قال ثنا
ابراهيم قال ثنا ابن علية عن داود عن الشعبى قال قال عمر كنت رجلا أغشى اليهود فى يوم
مدراسهم ثم ذكر نحو حديث ربعى حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا
سعيد عن قتادة قال ذكر لنا أن عمر بن الخطاب انطلق ذات يوم الى اليهود فلما أبصروه رحبوا به
فقال لهم عمر أما والله ما جئت لحبكم ولا للرغبة فيكم ولكن جئت لأسمع منكم فسألهم وسألوه
فقالوا من صاحب صاحبكم فقال لهم جبريل فقالوا ذاك عدونا من أهل السماء يطلع محمدا
على سرنا واذا جاء جاء بالحرب والسنة ولكن صاحب صاحبنا ميكائيل وكان اذا جاء جاء بالخصب
وبالسلم فقال لهم عمر أفتعرفون جبريل وتنكرون محمدا ففارقهم عمر عند ذلك وتوجه نحو
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحدثه حديثهم فوجده قد أنزل عليه هذه الآية قل من كان عدوا
لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله حدثنى المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن قتادة
قال بلغنا أن عمر بن الخطاب أقبل على اليهود يوما فذكر نحوه حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا
عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله من كان عدوا لجبريل قال قالت اليهود ان جبريل
هو عدونا لأنه ينزل بالشدة والحرب والسنة وان ميكائيل ينزل بالرخاء والعافية والخصب فجبريل
عدونا فقال الله جل ثناؤه من كان عدوا لجبريل حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن
حماد قال ثنا أسباط عن السدى قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا
لما بين يديه قال كان لعمر بن الخطاب أرض بأعلى المدينة فكان يأتيها وكان ممره على طريق
مدراس اليهود وكان كلما دخل عليهم سمع منهم وانه دخل عليهم ذات يوم فقالوا يا عمر ما فى أصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم أحد أحب الينا منك انهم يمرون بنا فيؤذوننا وتمر بنا فلا تؤذينا وانا لنطمع
فيك فقال لهم عمر أى يمين فيكم أعظم قالوا الرحمن الذى أنزل التوراة على موسى بطور سيناء
فقال لهم عمر فأنشدكم بالرحمن الذى أنزل التوراة على موسى بطور سيناء أتجدون محمدا صلى الله
عليه وسلم عندكم فأسكتوا فقال تكلموا ما شأنكم فوالله ما سألتكم وأنا شاك فى شئ من دينى فنظر
بعضهم الى بعض فقام رجل منهم فقال أخبروا الرجل لتخبرنه أو لأخبرنه قالوا نعم انا نجده مكتوبا
عندنا ولكن صاحبه من الملائكة الذى يأتيه بالوحى هو جبريل وجبريل عدونا وهو صاحب كل
عذاب أو قتال أو خسف ولو أنه كان وليه ميكائيل اذا لآمنا به فان ميكائيل صاحب كل رحمة
وكل غيث فقال لهم عمر فأنشدكم بالرحمن الذى أنزل التوراة على موسى بطور سيناء أين مكان
جبريل من الله قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره قال عمر فأشهدكم أن الذى هو عدو
للذى

كان عدوّا لله وللمخصوصين بكرامته فان الله يعاديهم و ينتقم منهم والعداوة بالحقيقة لا تصح الا فينا لان العدوّ للغير هو الذي يريد انزال
المضارّ به وهذا التصور يستحيل في حقه تعالى من العاقل المتفطن لا الغافل المتغابي فعنى قوله من كان عدوا لله أي لأولياء الله كقوله انما
جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ان الذين يؤذون الله ورسوله أو يراد بذلك كراهتهم القيام بطاعته و بعدهم عن التمسك بدينه لان
العدوّ لا يكاد يوافق عدوه و ينقاد لأمره قال أهل التحقيق عداوتهم لله وملائكته نتيجة عداوة الله لهم ونظره اليهم في الازل
بالقهر هؤلاء في النار ولا أبالي كما أن
محبة المؤمنين لله نتيجة محبة الله اياهم
يحبهم و يحبونه وذلك أن صفات
الله تعالى قديمة وصفات الخلق
محدثة والاولى علة للثانية وأفرد
الملكان بالذكر دلالة على فضلهما
كأنهما من جنس آخر فان التغاير
في الوصف قد ينزل منزلة التغاير في
الذات ولان الآية نزلت فيما يتعلق
بهما فحسن أن ينص على اسمهما
وتقديم جبريل في الذكر يدل
على أنه أفضل من ميكائيل وأيضا
ان جبريل ينزل بالوحي والعلم
وذلك سبب بقاء الارواح وميكائيل
ينزل بالخصب والرزق وهو سبب
بقاء الابدان والواو في جبريل
وميكائيل بمعنى أو لان عداوة أحد
هؤلاء توجب عداوة الله كما أن عداوة
كلهم توجب ذلك ويحتمل أن يكون
الواو على الاصل و يعرف ما ذكرنا
من القرينة وقوله للكافرين
من وضع الظاهر موضع المضمر دلالة
على أن عداوة هؤلاء كفر الآيات
البينات هي آيات القرآن ولا
يبعد أن تشمل سائر معجزاته وان
كان لفظ الانزال نابيا عنه بعض
النبوّ ومعنى كون الآية بينة أن
العلوم تنقسم الى ما يكون طريق
تحصيله والدليل الدال عليه أكثر
مقدمات فيكون الوصول اليه
أصعب والى ما يكون أقل مقدمات
فيكون الوصول اليه أقرب وهذا
هو الآية البينة والكفر بها اما
جحودها مع العلم بصحتها واما جحودها
مع الجهل وترك النظر فيها والاعراض عن دلائلها وليس في الظاهر تخصيص
فيدخل الكل فيه والفسق هو خروج الانسان عما حدّ له الى الفساد و يقرب منه الفجور لانه مأخوذ من فجور السدّ الذي يمنع الماء
من أن يصير الى الموضع الذي يفسد عن الحسن اذا استعمل الفسق في نوع من المعاصي وقع على أعظم ذلك النوع من كفر وغيره ولهذا
لا يوصف صاحب الصغيرة بالفسق وان تجاوز عن أمر الله تعالى لكن من فتح من النهر نقبا صغيرا لا يقال انه فجر النهر وفي قوله الا الفاسقون

للذي عن يمينه عدوّ للذي هو عن يساره والذي هو عدوّ للذي هو عن يساره عدوّ للذي هو عن يمينه
وأنه من كان عدوّهما فانه عدوّ لله ثم رجع عمر ليخبر النبي صلى الله عليه وسلم فوجد جبريل قد
سبقه بالوحي فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم فقرأه عليه فقال عمر والذي بعثك بالحق لقد جئتك
وما أريد الا أن أخبرك حدثني المثنى قال ثنا اسحق بن الحجاج الرازي قال ثنا عبد الرحمن
ابن مغراء قال ثنا زهير عن مجاهد عن الشعبي قال انطلق عمر الى يهود فقال اني أنشدكم بالذي
أنزل التوراة على موسى هل تجدون محمدا في كتابكم قالوا نعم قال فما يمنعكم أن تتبعوه قالوا ان الله
لم يبعث رسولا الا كان له كفل من الملائكة وان جبريل هو الذي يتكفل لمحمد وهو عدونا من
الملائكة وميكائيل سلمنا فلو كان هو الذي يأتيه اتبعناه قال فاني أنشدكم بالذي أنزل التوراة على
موسى ما منزلتهما من رب العالمين قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن جانبه الآخر فقال اني
أشهد ما يقولان الا باذن الله وما كان لميكائيل أن يعادي سلم جبريل وما كان جبريل ليسالم
عدوّ ميكائيل اذ مرّ نبي الله صلى الله عليه وسلم فقالوا هذا صاحبك يا ابن الخطاب فقام اليه فأتاه
وقد أنزل عليه من كان عدوّا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله الى قوله فان الله عدوّ للكافرين
حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين بن عبد الرحمن عن ابن أبي ليلى
في قوله من كان عدوّا لجبريل قال قالت اليهود للمسلمين لو أن ميكائيل كان الذي ينزل عليكم
لتبعناكم فانه ينزل بالرحمة والغيث وان جبريل ينزل بالعذاب والنقمة وهو لنا عدوّ قال فنزلت
هذه الآية من كان عدوّا لجبريل حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا عبد الملك عن
عطاء بنحو ذلك وأما تأويل الآية أعني قوله قل من كان عدوّا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله
فهو ان الله يقول لنبيه قل يا محمد لمعاشر اليهود من بني اسرائيل الذين زعموا أن جبريل لهم عدوّ
من أجل أنه صاحب سطوات وعذاب وعقوبات لا صاحب وحي وتنزيل ورحمة فأبوا اتباعك
وجحدوا نبوّتك وأنكروا ما جئتهم به من آياتي و بينات حكمي من أجل أن جبريل وليك وصاحب
وحيي اليك وزعموا أنه عدوّ لهم من يكن من الناس لجبريل عدوّا ومنكرا أن يكون صاحب
وحي الله الى أنبيائه وصاحب رحمته فاني له ولي وخليل ومقرّ بأنه صاحب وحي الى أنبيائه ورسله
وأنه هو الذي ينزل وحي الله على قلبي من عند ربي باذن ربي له بذلك يربط به على قلبي و يشدّ فؤادي
كما حدثنا أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد قال ثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن
الضحاك عن ابن عباس في قوله قل من كان عدوّا لجبريل قال وذلك أن اليهود قالت حين سألت
محمدا صلى الله عليه وسلم عن أشياء كثيرة فأخبرهم بها على ما هي عندهم الا جبريل فان جبريل
كان عند اليهود صاحب عذاب وسطوة ولم يكن عندهم صاحب وحي يعني تنزيل من الله على رسله
ولا صاحب رحمة فأخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما سألوه عنه أن جبريل صاحب
وحي الله وصاحب نقمته وصاحب رحمته فقالوا ليس بصاحب وحي ولا رحمة هو لنا عدوّ فأنزل الله
عز وجل اكذابا لهم قل يا محمد من كان عدوّا لجبريل فانه نزله على قلبك يقول فان جبريل

وجهان أحدهما ان كل كافر فاسق ولا ينعكس وكان ذكر الفاسق أولى ليأتى على الكافر وغيره الثانى أن المراد وما يكفر بها الا الكافر المتجاوز عن كل حد فى كفره وهذه الآيات لما كانت بينة لم يكفر بها الا الكافر الذى بلغ فى الكفر النهاية القصوى وهذا نوع آخر من فضائح اليهود عن ابن عباس أنهم كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه فلما بعث صلى الله عليه وسلم من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون (٣٤٦) فيه فقال لهم معاذ بن جبل يا معشر اليهود اتقوا الله وأسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد صلى الله عليه وسلم ونحن أهل الشرك وتخبرونا أنه مبعوث وتصفون لنا صفته فقال بعضهم ما جاءنا بشئ من البينات وما هو بالذى كنا نذكر لكم فنزلت واللام فى الفاسقون للجنس أو اشارة الى أهل الكتاب * أو كلما الواو للعطف على محذوف معناه أكفروا بالآيات البينات وكلما عاهدوا واليهود موسومون بالغدر ونقض العهود وكم أخذ الله الميثاق منهم ومن آبائهم فنقضوا وكم عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يفوا الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأن من يعتاد منه هذه الطريقة لا يصعب على النفس من مخالفته كصعوبة من لم تجر عادته بذلك والنبذ الرمى بالذمام ورفضه وانما قيل فريق منهم لان منهم من لم ينقض بل أكثرهم لا يؤمنون بالتوراة وليسوا من الدين فى شئ فلا يعدون نقض المواثيق ذنبا ولما جاءهم رسول أى كتاب لتلازمهما بدليل كتاب الله وهو القرآن نبذوه بعد ما لزمهم تلقيه بالقبول كأنهم لا يعلمون أنه كتاب الله يعنى أن علمهم بذلك رصين من قبل التوراة ولكن المكابرة هى براهم ونبذه وراء ظهورهم مثل لاعراضهم عنه وتركهم العمل به وقيل كتاب الله التوراة لانهم لكفرهم برسول الله كافرون بها وعن سفيان أدرجوه فى الديباج والحرير وحلوه بالذهب ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه اللهم ارزقنا العلم بكتابك والعمل به (واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله ويتعلمون

نزله يقول نزل القرآن بأمر الله يشدد به فؤادك ويربط به على قلبك يعنى بوحينا الذى نزل به جبريل عليك من عند الله وكذلك يفعل بالمرسلين والانبياء من قبلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله يقول أنزل الكتاب على قلبك باذن الله وحدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فانه نزله على قلبك يقول نزل الكتاب على قلبك جبريل * قال أبو جعفر وانما قال جل ثناؤه فانه نزله على قلبك وهو يعنى بذلك قلب محمد صلى الله عليه وسلم وقد أمر محمد افى أول الآية أن يخبر اليهود بذلك عن نفسه ولم يقل فانه نزله على قلبى ولو قيل على قلبى كان صوابا من القول لان من شأن العرب اذا أمرت رجلا أن يحكى ما قيل له عن نفسه أن تخرج فعل المأمور مرة مضافا الى كناية نفس المخبر عن نفسه اذ كان المخبر عن نفسه ومرة مضافا الى اسمه كهيئة كناية اسم المخاطب لانه به مخاطب فتقول فى نظير ذلك قل للقوم ان الخير عندى كثير فتخرج كناية اسم المخبر عن نفسه لانه المأمور أن يخبر بذلك عن نفسه وقل للقوم ان الخير عندك كثير فتخرج كناية اسمه كهيئة كناية اسم المخاطب لانه وان كان مأمورا بقيل ذلك فهو مخاطب مأمور بحكاية ما قيل له وكذلك لا تقل للقوم انى قائم ولا تقل لهم انك قائم والياء من انى اسم المأمور بقول ذلك على ما وصفنا ومن ذلك قول الله عز وجل قل للذين كفروا سيغلبون وتغلبون بالياء والتاء وأما جبريل فان للعرب فيه لغات فأما أهل الحجاز فانهم يقولون جبريل وميكال بغير همز بكسر الجيم والراء من جبريل وبالتخفيف وعلى القراءة بذلك عامة قراء أهل المدينة والبصرة وأما تميم وقيس وبعض نجد فيقولون جبرئيل وميكائيل على مثال جبرعيل وميكاعيل بفتح الجيم والراء وبهمز وزيادة ياء بعد الهمزة وعلى القراءة بذلك عامة قراء أهل الكوفة كما قال جرير ابن عطية

عبدوا الصليب وكذبوا بمحمد * وبجبرئيل وكذبوا ميكالا

وقد ذكر عن الحسن البصرى وعبد الله بن كثير أنهما كانا يقرآن جبريل بفتح الجيم وترك الهمز * قال أبو جعفر وهى قراءة غير جائزة القراءة بها لأن فعليل فى كلام العرب غير موجود وقد اختار ذلك بعضهم وزعم أنه اسم أعجمى كما يقال سمويل وأنشد فى ذلك

بحيث لو وزنت لخم بأجمعها * ما وازنت ريشة من ريش سمويلا

وأما بنو أسد فانها تقول جبرين بالنون وقد حكى عن بعض العرب أنها تزيد فى جبريل ألفا فتقول جبرائيل وميكائيل وقد حكى عن يحيى بن يعمر أنه كان يقرأ جبرئل بفتح الجيم والهمز وترك المد وتشديد اللام فأما جبر وميك فانهما الاسمان اللذان أحدهما بمعنى عبد والآخر بمعنى عبيد وأما ايل فهو الله تعالى ذكره كما حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح الحمانى عن الأعمش عن المنهال عن سعيد بن جبير قال قال ابن عباس جبريل وميكائيل كقولك عبد الله حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين بن واقد عن يزيد النحوى عن عكرمة عن ابن

عباس

ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق ولبئسما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون) ۞ القراآت ولكن خفيفا الشياطين بالرفع ابن عامر وحمزة وعلي وخلف وكذلك قوله ولكن الله قتلهم ولكن الله رمى * الملكين بكسر اللام ههنا وفي سورة الأعراف قتيبة على أن المنزل عليهما علم السحر كانا ملكين ببابل ۞ الوقوف على ملك سليمان ج لان الواو قد تصلح حالا لبيان نزاهة سليمان وردّ ما افتروا عليه السحر ط قيل على جعل ما نافية ولا يتضح لمناقضته ما في سياق الآية من اثبات السحر بل ما خبرية معطوفة على قوله السحر على أنها وان كانت نافية يحتمل كون الواو حالا على تقدير يعلمون الناس السحر غير منزل فلا يفصل وفي الآية عشر ما آحادها كافة في انما والاخيرة نكرة منصوبة في لبئسما والباقية خبرية ثم نافية ثم خبرية على التعاقب وماروت ط فلا تكفر ط وزوجه ط باذن الله ط ولا ينفعهم ط من خلاق ط يجوز الوقف لابتداء اللام أنفسهم ط يعلمون ه خير ط يعلمون ه ۞ التفسير من قبائح أفعالهم أنهم نبذوا كتاب الله وأقبلوا على السحر ودعوا الناس اليه وهذا شأن اليهود الذين كانوا في زمن محمد صلى الله عليه وسلم وقيل انهم الذين تقدموا من اليهود وقيل انهم الذين كانوا في زمن سليمان عليه السلام من السحرة لأن أكثر اليهود ينكرون نبوة سليمان ويعدونه من جملة ملوك الدنيا فالذين كانوا منهم في زمانه لا يمتنع أن يعتقدوا فيه أنه انما وجد ذلك الملك العظيم بسبب السحر والاولى أن يقال اللفظ يتناول الكل قال السدي لما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم عارضوه بالتوراة فخاصموه بها فاتفقت التوراة والقرآن فنبذوا التوراة وأخذوا بكتاب آصف وسحر هاروت وماروت ومعنى تتلو تقرأ وعلى ملك سليمان أي على عهده وفي زمانه وقيل تتلو عليه أي تكذب فالقوم لما ادعوا أن سليمان انما وجد تلك المملكة بسبب ذلك العلم كان ذلك الادعاء كالافتراء على ملك سليمان وأما الشياطين فالأكثرون على أنهم شياطين الجن وأنهم كانوا يسترقون السمع ثم يضمون الى ما سمعوا أكاذيب يلفقونها ويلقونها الى الكهنة وقد دونوها ويقرؤنها ويعلمونها الناس وفشا ذلك في زمان سليمان حتى قالوا ان الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما تم لسليمان ملكه الا بهذا العلم وقيل انهم شياطين الانس

عباس قال جبريل عبد الله وميكائيل عبيد الله وكل اسم ايل فهو الله حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن الأعمش عن اسمعيل بن رجاء عن عمير مولى ابن عباس أن اسرائيل وميكائيل وجبريل واسرافيل كقولك عبد الله حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن الأعمش عن المنهال ابن عمرو عن عبد الله بن الحرث قال ايل الله بالعبرانية حدثنا الحسين بن يزيد الطحان قال ثنا اسحق بن منصور قال ثنا قيس عن عاصم عن عكرمة قال جبريل اسمه عبد الله وميكائيل اسمه عبيد الله ايل الله حدثني الحسين بن عمرو بن محمد العنقزي قال ثنا أبو أحمد الزبيري قال ثنا سفيان عن محمد بن عمرو بن عطاء عن علي بن حسين قال اسم جبريل عبد الله واسم ميكائيل عبيد الله واسم اسرافيل عبد الرحمن وكل معبد بايل فهو عبد الله حدثنا المثنى قال ثنا قبيصة بن عقبة قال ثنا سفيان عن محمد المدني قال المثنى قال قبيصة أراه محمد ابن اسحق عن محمد بن عمرو بن عطاء عن علي بن حسين قال ما تعدون جبريل في أسمائكم قال جبريل عبد الله وميكائيل عبيد الله وكل اسم فيه ايل فهو معبد الله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن عمرو بن عطاء عن علي بن حسين قال قال لي هل تدري ما اسم جبريل من أسمائكم قال قلت لا قال عبد الله قال فهل تدري ما اسم ميكائيل من أسمائكم قال لا قال عبيد الله وقد سمي لي اسرائيل باسم نحو ذلك فنسيته الا أنه قد قال لي أرأيت كل اسم يرجع الى ايل فهو معبد به حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن خصيف عن عكرمة في قوله جبريل قال جبر عبد ايل الله وميكا قال عبد ايل الله * قال أبو جعفر فهذا تأويل من قرأ جبرئيل بالفتح والهمز والمد وهو ان شاء الله معنى من قرأ بالكسر وترك الهمز وأما تأويل من قرأ ذلك بالهمز وترك المد وتشديد اللام فانه قصد بقوله ذلك كذلك الى اضافة جبر وميكا الى اسم الله الذي يسمى به بلسان العرب دون السرياني والعبراني وذلك أن الال بلسان العرب الله كما قال لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة فقال جماعة من أهل العلم الال هو الله ومنه قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه لوفد بني حنيفة حين سألهم عما كان مسيلمة يقول فأخبروه فقال لهم ويحكم أين ذهب بكم والله ان هذا الكلام ما خرج من إل ولا برّ يعني من إل من الله وقد حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن سليمان التيمي عن أبي مجلز في قوله لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة قال قول جبريل وميكائيل واسرافيل كأنه يقول حين يضيف جبر وميكا واسرا الى ايل يقول عبد الله لا يرقبون في مؤمن إلا كأنه يقول لا يرقبون الله عز وجل ۞ القول في تأويل قوله تعالى (مصدقا لما بين يديه) يعني جل ثناؤه بقوله مصدقا لما بين يديه القرآن ونصب مصدقا على القطع من الهاء التي في قوله نزله على قلبك فمعنى الكلام فان جبريل نزل القرآن على قلبك يا محمد مصدقا لما بين يدي القرآن يعني بذلك مصدقا لما سلف من كتب الله أمامه ونزلت على رسله الذين كانوا قبل محمد صلى الله عليه وسلم وتصديقه اياها موافقة معانيه معانيها في الامر باتباع محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند الله وهي تصديقه كما

لما روي في الخبر ان سليمان كان قد دفن كثيرا من العلوم التي خصه الله تعالى بها تحت سرير ملكه حرصا على انه ان هلك الظاهر منها يبقى ذلك المدفون فلما مضت مدة على ذلك توصل قوم من المنافقين الى أن كتبوا في خلال ذلك أشياء من السحر تناسب تلك الاشياء من بعض الوجوه ثم من بعد موته واطلاع الناس على تلك الكتب أوهموا الناس أنه من عمل سليمان وانه ما وصل الى ما وصل الا بهذه الاشياء وزيفوا قول الاكثرين بان شياطين الجن لو قدروا على (٣٤٨) تغيير كتب الانبياء وشرائعهم بحيث يبقى ذلك التحريف مخفيا فيما بين الناس لارتفع الوثوق عن جميع الشرائع وهذا بخلاف ما يفعله الانسان فانه لا يكاد يخفى على بني نوعه واختلف في سبب اضافتهم السحر الى سليمان فقيل لير وج ذلك منهم وقيل لانهم ما كانوا مقرين بنبوته وقيل لانه لما خالط الجن وأظهر أسرارا عجيبة غلب على ظنونهم أنه استفاد ذلك من الجن وقوله وما كفر سليمان تنزيه له عما نسب القوم اليه من السحر المستلزم للكفر فان كونه نبيا ينافي كونه ساحرا كافرا ثم بين أن الذي برأه منه لاصق بغيره فقال ولكن الشياطين كفروا ثم ذكر ما به كفروا فقد كان من الجائز أن يتوهم أنهم كفروا الا بالسحر فقال يعلمون الناس السحر وما أنزل أي ويعلمونهم الذي أنزل على الملكين وهاروت وماروت عطف بيان للملكين علمان لهما ممتنعان من الصرف للعلمية والعجمة وليسا من الهرت والمرت وهو الكسر كما زعم بعضهم لانهما لو كانا منهما لانصرفا وقيل بدلان منهما ﴿﴾ ولنذكر ههنا حقيقة السحر وقصة هاروت وماروت أما السحر في اللغة عبارة عن كل ما لطف مأخذه وخفي سببه ومنه الساحر للعالم وسحره خدعه والسحر الرئة وفي الشرع مختص بكل أمر يخفى سببه ويتخيل من غير حقيقة ويجري مجرى التمويه والخداع

حدثنا أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد قال ثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس مصدقا لما بين يديه يقول لما قبله من الكتب التي أنزلها الله والآيات والرسل الذين بعثهم الله بالآيات نحو موسى ونوح وهود وشعيب وصالح وأشباههم من الرسل صلى الله عليهم حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة مصدقا لما بين يديه من التوراة والانجيل حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع مثله ﴿﴾ القول في تأويل قوله تعالى (وهدى وبشرى للمؤمنين) يعني بقوله جل ثناؤه وهدى ودليل وبرهان وانما سماه الله جل ثناؤه هدى لاهتداء المؤمن به واهتداؤه به اتخاذه اياه هاديا يتبعه وقائدا ينقاد لأمره ونهيه وحلاله وحرامه والهادي من كل شئ ما تقدم أمامه ومن ذلك قيل لاوائل الخيل هواديها وهو ما تقدم أمامها وكذلك قيل للعنق الهادي لتقدمها أمام سائر الجسد وأما البشرى فانها البشارة أخبر الله عباده المؤمنين جل ثناؤه أن القرآن لهم بشرى منه لانه أعلمهم بما أعد لهم من الكرامة عنده في جناته وما هم اليه صائرون في معادهم من ثوابه وذلك هو البشرى التي بشر الله بها المؤمنين في كتابه لان البشارة في كلام العرب هي اعلام الرجل بما لم يكن به عالما مما يسره من الخبر قبل أن يسمعه من غيره أو يعلمه من قبل غيره وقد روي في ذلك عن قتادة قول قريب المعنى مما قلناه حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله هدى وبشرى للمؤمنين لان المؤمن اذا سمع القرآن حفظه ووعاه وانتفع به واطمأن اليه وصدق بموعود الله الذي وعد فيه وكان على يقين من ذلك ﴿﴾ القول في تأويل قوله جل ذكره (من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين) وهذا خبر من الله جل ثناؤه من كان عدوا لله من عاداه وعادى جميع ملائكته ورسله واعلام منه أن من عادى جبريل فقد عاداه وعادى ميكائيل وعادى جميع ملائكته ورسله لان الذين سماهم الله في هذه الآية هم أولياء الله وأهل طاعته ومن عادى لله وليا فقد عادى الله وبارزه بالمحاربة ومن عادى الله فقد عادى جميع أهل طاعته وولايته لان العدو لله عدو لأوليائه والعدو لاولياء الله عدو له فكذلك قال لليهود الذين قالوا ان جبريل عدونا من الملائكة وميكائيل ولينا منهم من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين من أجل أن عدو جبريل عدو كل ولي لله فأخبرهم جل ثناؤه أن من كان عدوا لجبريل فهو لكل من ذكره من ملائكته ورسله وميكال عدو وكذلك عدو بعض رسل الله عدو لله ولكل ولي وقد حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبد الله يعني العتكي عن رجل من قريش قال سأل النبي صلى الله عليه وسلم اليهود فقال أسألكم بكتابكم الذي تقرؤن هل تجدون به قد بشر بي عيسى بن مريم أن يأتيكم رسول اسمه أحمد فقالوا اللهم وجدناك في كتابنا ولكنا كرهناك لانك تستحل الاموال وتهريق الدماء فأنزل الله من كان عدوا لله وملائكته الآية حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن حصين بن عبد الرحمن عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال ان يهوديا لقي عمر فقال له ان جبريل

ومتى أطلق ولم يقيد أفاد ذم فاعله قال تعالى سحروا أعين الناس يعني موّهوا عليهم حتى ظنوا أن حبالهم وعصيهم تسعى وقد يستعمل مقيدا فيما يمدح ويحمد وهو السحر الحلال قال صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا سمى صلى الله عليه وسلم بعض البيان سحرا لأن صاحبه يوضح الشئ المشكل ويكشف عن حقيقته بحسن بيانه ولطف عبارته ويقدر على تحسين القبيح وتقبيح الحسن يسخط تارة فيقول أسوأ ما يمكن ويرضى تارة فيقول أحسن ما يعلم ثم السحر على أقسام منها سحر الكلدانيين الذين كانوا في قديم الدهر وهو قوم

يعبدون الكواكب ويزعمون أنها هي المدبرة لهذا العالم ومنها تصدر الخيرات والشرور والسعادة والنحوسة ويستحدثون الخوارق بواسطة تمزيج القوى السماوية بالقوى الارضية وهم الذين بعث الله تعالى ابراهيم عليه السلام مبطلا لمقالتهم ورادا عليهم مذاهبهم ومنها سحر أصحاب الأوهام والنفوس القوية بدليل أن الجذع الذى يتمكن الانسان من المشى عليه لو كان موضوعا على الارض لا يمكنه المشى عليه لو كان كالجسر وما ذاك الا لأن تخيل السقوط متى قوى أوجبه وقد اجتمعت الاطباء على نهى المرعوف عن النظر الى الاشياء الحمر والمصروع عن النظر الى الاشياء القوية اللمعان أو الدوران وما ذاك الا لأن النفوس خلقت مطيعة للاوهام وحكى فى الشفاء عن أرسطو أن الدجاجة اذا تشبهت كثيرا بالديكة فى الصوت وفى الحراب مع الديكة نبت على ساقها مثل الشئ النابت على ساق الديك وهذا يدل على أن الاحوال الجسمانية تابعة للاحوال النفسانية واجتمعت الأمم على أن الدعاء مظنة الاجابة وأن الدعاء باللسان من غير طلب نفسانى قليل الاثر ويحكى أن بعض الملوك عرض له فالج فدخل عليه بعض الحذاق من الاطباء على حين غفلة منه وشافهه بالشتم والقدح فى العرض فاشتد غضب الملك وقفز من مرقده قفزة اضطرارية وزالت تلك العلة المزمنة والاصابة بالعين مما اتفق عليه العقلاء والتحقيق فيه أن النفس اذا كانت مستعلية على البدن شديدة الانجذاب الى عالم السموات كانت كأنها روح من الارواح السماوية وكانت قوية التأثير فى مواد هذا العالم أما اذا كانت ضعيفة شديدة التعلق بهذه اللذات البدنية فحينئذ لا يكون لها تصرف البتة الا فى هذا البدن فاذا أراد أن يتعدى تأثيرها الى بدن آخر اتخذ تمثال ذلك الغير ووضعه عند الحس فاشتغل الحس به وتبعه الخيال عليه وأقبلت النفس الناطقة بالكلية على ذلك فقويت التأثيرات النفسانية والتصرفات الروحانية ويعضده الانقطاع عن المألوفات والمشتهيات وتقليل الغذاء والاعتزال عن الناس ثم ان كانت النفس مناسبة لهذا الامر بحسب ماهيتها وخاصيتها عظم التأثير وأما الرقى فان كانت بألفاظ معلومة فالأمر فيها ظاهر لان الغرض منها أن حس البصر كما اشتغل بالأمور المناسبة للغرض فحس السمع أيضا يشتغل بها فان الحواس متى تطابقت متوجهة الى الغرض الواحد كان توجه النفس اليه أقوى وان كانت بألفاظ غير

جبريل الذى يذكره صاحبك هو عدونا فقال له عمر من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين قال فنزلت على لسان عمر وهذا الخبر يدل على أن الله أنزل هذه الآية توبيخا لليهود فى كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم واخبارا منه لهم أن من كان عدوا لمحمد فالله له عدو وأن عدو محمد من الناس كلهم لمن الكافرين بالله الجاحدين آياته فان قال قائل أوليس جبريل وميكائيل من الملائكة قيل بلى فان قال فما معنى تكرير ذكرهما بأسمائهما وقد مضى ذكرهما فى الآية فى جملة أسماء الملائكة قيل معنى افراد ذكرهما بأسمائهما أن اليهود لما قالت جبريل عدونا وميكائيل ولينا وزعمت أنها كفرت بمحمد صلى الله عليه وسلم من أجل أن جبريل صاحب محمد صلى الله عليه وسلم أعلمهم الله أن من كان لجبريل عدوا فان الله له عدو وانه من الكافرين فنص عليه باسمه وعلى ميكائيل باسمه لئلا يقول منهم قائل انما قال الله من كان عدوا لله وملائكته ورسله ولسنا لله ولا لملائكته ورسله أعداء لان الملائكة اسم عام محتمل خاصا وجبريل وميكائيل غير داخلين فيه وكذلك قوله ورسله فلست يا محمد داخلا فيهم فنص الله تعالى على أسماء من زعموا أنهم أعداؤه بأعيانهم ليقطع بذلك تلبيسهم على أهل الضعف منهم ويحسم تمويههم أمورهم على المنافقين وأما اظهار اسم الله فى قوله فان الله عدو للكافرين وتكريره فيه وقد ابتدأ أول الخبر بذكره فقال من كان عدوا لله وملائكته فلئلا يلتبس لو ظهر ذلك بكناية فقيل فانه عدو للكافرين على سامعه من المعنى بالهاء التى فى فانه أألله أم رسل الله جل ثناؤه أم جبريل أم ميكائيل اذ لو جاء ذلك بكناية على ما وصفت فانه يلتبس معنى ذلك على من لم يوقف على المعنى بذلك لاحتمال الكلام ما وصفت وقد كان بعض أهل العربية يوجه ذلك الى نحو قول الشاعر

ليت الغراب غداة ينعب دائبا * كان الغراب مقطع الأوداج

وأنه اظهار الاسم الذى حظه الكناية عنه والأمر فى ذلك بخلاف ما قال وذلك أن الغراب الثانى لو كان مكنى عنه لما التبس على أحد يعقل كلام العرب أنه كناية اسم الغراب الاول اذ كان لا شئ قبله يحتمل الكلام أن يوجه اليه غير كناية اسم الغراب الاول (١) وان قيل قوله فان الله عدو للكافرين اسما لو جاء اسم الله تعالى ذكره مكنيا عنه لم يعلم من المقصود اليه بكناية الاسم الا بتوقيف من حجة فلذلك اختلف أمراهما ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى (ولقد أنزلنا اليك آيات بينات) يعنى جل ثناؤه بقوله ولقد أنزلنا اليك آيات أى أنزلنا اليك يا محمد علامات واضحات دالات على نبوتك وتلك الآيات هى ما حواه كتاب الله الذى أنزله الى محمد صلى الله عليه وسلم من خفايا علوم اليهود ومكنون سرائر أخبارهم وأخبار أوائلهم من بنى اسرائيل والنبأ عما تضمنته كتبهم التى لم يكن يعلمها الا أحبارهم وعلماؤهم وما حرفه أوائلهم وأواخرهم وبدلوه من أحكامهم التى كانت

(١) قوله وان قيل قوله فان الله عدو الخ كذا فى الأصل ولعل فيه تحريفا من النساخ ووجه الكلام وان قيل فى قوله فان الله عدو للكافرين فانه وجاء اسم الله الخ تأمل كتبه مصححه

في التوراة فأطلع الله في كتابه الذي أنزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فكان في ذلك من أمره الآيات البينات لمن أنصف نفسه ولم يدعه الى اهلاكها الحسد والبغي اذ كان في فطرة كل ذي فطرة صحيحة تصديق من أتى بمثل الذي أتى به محمد صلى الله عليه وسلم من الآيات البينات التي وصفت من غير تعلم تعلمه من بشر ولا أخذ شئ منه عن آدمي وبنحو الذي قلنا في ذلك روي الخبر عن ابن عباس حدثنا أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد قال ثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس ولقد أنزلنا اليك آيات بينات يقول فأنت تتلوه عليهم وتخبرهم به غدوة وعشية وبين ذلك وأنت عندهم أمي لم تقرأ كتابا وأنت تخبرهم بما في أيديهم على وجهه يقول الله ففي ذلك لهم عبرة وبيان وعليهم حجة لو كانوا يعلمون حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا ابن اسحق قال حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة مولى ابن عباس وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال ابن صوريا القطيوني لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد ما جئتنا بشئ نعرفه وما أنزل الله عليك من آية بينة فنتبعك بها فأنزل الله عز وجل ولقد أنزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير قال ثنا محمد بن اسحق قال حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال حدثني سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال قال ابن صوريا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر مثله ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وما يكفر بها الا الفاسقون) يعني بقوله جل ثناؤه وما يكفر بها الا الفاسقون وما يجحد بها وقد دللنا فيما مضى من كتابنا هذا على أن معنى الكفر الجحود بما أغنى عن اعادته هاهنا وكذلك بينا معنى الفسق وأنه الخروج عن الشئ الى غيره فتأويل الآية ولقد أنزلنا اليك فيما أوحينا اليك من الكتاب علامات واضحات تبين لعلماء بني اسرائيل وأحبارهم الجاحدين نبوتك والمكذبين رسالتك أنك لي رسول اليهم ونبي مبعوث وما يجحد تلك الآيات الدالات على صدقك ونبوتك التي أنزلتها اليك في كتابي فيكذب بها منهم الا الخارج منهم من دينه التارك منهم فرائضي عليه في الكتاب الذي تدين بتصديقه فأما المتمسك منهم بدينه والمتبع منهم حكم كتابه فانه بالذي أنزلت اليك من آياتي مصدق وهم الذين كانوا آمنوا بالله وصدقوا رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم من يهود بني اسرائيل ۞ القول في تأويل قوله جل ذكره (أوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون) اختلف أهل العربية في حكم الواو التي في قوله أوكلما عاهدوا عهدا فقال بعض نحويي البصريين هي واو تجعل مع حروف الاستفهام وهي مثل الفاء في قوله أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم قال وهما زائدتان في هذا الوجه وهي مثل الفاء التي في قوله فالله لتصنعن كذا وكذا وكقولك للرجل أفلا تقوم وان شئت جعلت الفاء والواو هاهنا حرف عطف وقال بعض نحويي الكوفيين هي حرف عطف أدخل عليها حرف الاستفهام والصواب في ذلك عندي من القول أنها واو عطف أدخلت عليها ألف الاستفهام كأنه قال جل ثناؤه واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة

واسمعوا

معلومة حصلت للنفس هناك حالة شبيهة بالحيرة والدهشة ويحصل لها اذ ذاك انجذاب وانقطاع عن المحسوسات واقبال على ذلك الفعل فيقوى التأثير النفساني فيحصل الغرض وهكذا القول في الدخن قالوا فثبت أن هذا القدر من القوة النفسانية مستقل بالتأثير فان انضم اليه الاستعانة بالقسم الاول وهو تأثيرات الكواكب قوى الأثر جدا لاسيما ان حصل لهذه النفس مدد من النفوس المفارقة المشابهة لها أو من الانوار الفائضة من النفوس الفلكية ومنها سحر (٣٥٠) من يستعين بالارواح الارضية وهو المسمى بالعزائم وتسخير الجن ومنه التخييلات الآخذة بالعيون وتسمى الشعوذة وذلك أن أغلاط البصر كثيرة فان راكب السفينة اذا نظر الى الشط رأى السفينة واقفة والشط متحركا والقطرة النازلة ترى خطا مستقيما والعنبة ترى في الماء كالزجاجة ويرى العظيم من البعيد صغيرا وقد لا تقف القوة الباصرة على المحسوس وقوفا تاما اذا أدركت المحسوس في زمان صغير جدا فيختلط البعض بالبعض ولا يتميز فان الرحى اذا أخرجت من مركزها الى محيطها خطوطا كثيرة بألوان مختلفة ثم أديرت فان البصر يرى لونا واحدا كأنه مركب من كل تلك الالوان وأيضا النفس اذا كانت مشغولة بشئ فربما حضر عند الحس شئ آخر فلا يشعر الحس به البتة كما أن الانسان عند دخوله على السلطان قد يلقاه انسان ويتكلم معه فلا يعرفه ولا يفهم كلامه لما أن قلبه مشغول بشئ آخر وكذا الناظر في المرآة ربما قصد أن يرى سطح المرآة هل هو مستو أم لا فلا يرى شيأ مما في المرآة فالمشعوذ الحاذق يظهر عمل شئ يشغل أذهان الناظرين به ويأخذ عيونهم اليه حتى اذا استفرغهم الشغل بذلك الشئ والتحديق نحوه عمل شيأ آخر عملا بسرعة فيبقى ذلك العمل خفيا لتعاون الشيئين اشتغالهم بالاول وسرعة اتيانه بالثاني ومنها الأعمال العجيبة التي تظهر من الآلات المركبة على النسب الهندسية أو لضروب الخيلاء كفارسين يقتتلان فيقتل أحدهما الآخر ومنه الصور التي تصورها الروم والهند حتى لا يفرق الناظر بينها وبين الانسان وقد تصورونها ضاحكة أو باكية وقد يفرق بين ضحك السرور وضحك الخجل ومن هذا الباب تركيب صندوق الساعات وعلم جر الاثقال وهذا لا يعد من السحر عرفا لان لها أسبابا معلومة يقينية ومنها الاستعانة بخواص الادوية والأحجار ومنها تعليق القلب وهو أن يدعي

الساحر أنه قد عرف الاسم الاعظم وأن الجن ينقادون له في أكثر الامور فاذا اتفق أن كان السامع ضعيف القلب قليل التمييز اعتقد أنه حق وتعلق قلبه بذلك وحصل في قلبه نوع من الرعب وحينئذ تضعف القوى الحساسة فيتمكن الساحر من أن يفعل فيه ما شاء وان من جرب الامور وعرف أحوال الناس علم أن لتعليق القلب أثرا عظيما في تنفيذ الاعمال واخفاء الاسرار ومنها السعي بالنميمة والتضريب من وجوه خفية لطيفة وذلك شائع في الناس فهذه جملة الكلام في أقسام السحر وعند المسلمين كلها مستندة الى قدرة الله فانه لا يمتنع وقوع هذه الخوارق باجراء العادة عند سحر السحرة واتفقوا على ان العلم به ليس بقبيح ولا محظور لان العلم لذاته شريف والعموم قوله تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ولان الفرق بينه وبين المعجز ممكن به الا أن اجتنابه أقرب الى السلامة كتعلم الفلسفة التي لا يؤمن أن تجر الى الغواية * وأما أن الساحر هل يكفر أم لا فلا نزاع بين الامة في أن من اعتقد أن الكواكب هي المدبرة لهذا العالم وهي الخالقة لما فيه من الحوادث والخيرات والشرور فانه يكون كافرا على الاطلاق وهذا هو القسم الاول من السحر وأما النوع الثاني وهو أن يعتقد أنه قد يبلغ روح الانسان في التصفية والقوة الى حيث يقدر على ايجاد الاجسام واعدامها وتغيير البنية والشكل فالأظهر اجماع الامة أيضا على تكفيره وأما أن يعتقد الساحر أنه قد يبلغ في التصفية وقراءة الرقى وتدخين بعض الادوية الى حيث يخلق الله تعالى عقيب افعاله على سبيل العادة الأجسام والحياة والعقل وتغيير البنية والشكل فالمعتزلة اتفقوا على تكفير من جوز ذلك قالوا لأنه مع هذا الاعتقاد لا يمكنه أن يعرف صدق الانبياء والرسل وزيف بان الانسان لو ادعى النبوة وكان كاذبا في دعواه فانه لا يجوز من الله تعالى اظهار الخوارق على يده لئلا يحصل التلبيس أما اذا لم يدع النبوة فظهرت الخوارق على يده لم يفض ذلك الى التلبيس فان المحق يتميز عن المبطل بما ان المحق تحصل له هذه الاشياء مع ادعاء النبوة والمبطل لا تحصل له هذه الاشياء مع ادعاء النبوة وان حصلت لم يتم فصولة الباطل كنار العرفج وأما سائر أنواع السحر فلا شك أنها ليست بكفر وحكم من كفر بالسحر حكم المرتد واذا سحر انسانا فمات فان قال انى سحرته وسحرى يقتل غالبا وجب عليه القود وان قال سحرته وسحرى قد يقتل وقد لا يقتل فهو

واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا وكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم ثم أدخل ألف الاستفهام على وكلما فقال قالوا سمعنا وعصينا أوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم وقد بينا فيما مضى أنه غير جائز أن يكون في كتاب الله حرف لا معنى له فأغنى ذلك عن اعادة البيان على فساد قول من زعم أن الواو والفاء من قوله أوكلما وأفكلما زائدتان لا معنى لهما وأما العهد فانه الميثاق الذي أعطته بنو اسرائيل ربهم ليعملن بما في التوراة مرة بعد أخرى ثم نقض بعضهم ذلك مرة بعد أخرى فوبخهم جل ذكره بما كان منهم من ذلك وعير به أبناءهم اذ سلكوا منهاجهم في بعض ما كان جل ذكره أخذ عليهم بالايمان به من أمر محمد صلى الله عليه وسلم من العهد والميثاق فكفروا وجحدوا ما في التوراة من نعته وصفته فقال تعالى ذكره أوكلما عاهد اليهود من بني اسرائيل ربهم عهدا وأوثقوه ميثاقا نبذه فريق منهم فتركه ونقضه كما حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير قال ثنا ابن اسحق قال حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال حدثني سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال قال مالك بن الصيف حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر لهم ما أخذ عليهم من الميثاق وما عهد الله اليهم فيه والله ما عهد الينا في محمد صلى الله عليه وسلم وما أخذ له علينا ميثاقا فأنزل الله جل ثناؤه أوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا محمد بن اسحق قال حدثني محمد بن أبي محمد مولى آل زيد بن ثابت عن عكرمة مولى ابن عباس أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله * قال أبو جعفر وأما النبذ فان أصله في كلام العرب الطرح ولذلك قيل للملقوط المنبوذ لانه مطروح مرمي به ومنه سمي النبيذ نبيذا لأنه زبيب أو تمر يطرح في وعاء ثم يعالج بالماء وأصله مفعول صرف الى فعيل أعني أن النبيذ أصله منبوذ ثم صرف الى فعيل فقيل نبيذ كما قيل كف خضيب ولحية دهين يعني مخضوبة ومدهونة يقال منه نبذته أنبذه نبذا كما قال أبو الاسود الدؤلي

نظرت الى عنوانه فنبذته * كنبذك نعلا أخلقت من نعالكا

فعني قوله جل ذكره نبذه فريق منهم طرحه فريق منهم فتركه ورفضه ونقضه كما حدثنا بشر ابن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة نبذه فريق منهم يقول نقضه فريق منهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج قوله نبذه فريق منهم قال لم يكن في الارض عهد يعاهدون عليه الا نقضوه ويعاهدون اليوم وينقضون غدا قال وفي قراءة عبد الله نقضه فريق منهم والهاء التي في قوله نبذه من ذكر العهد فمعناه أوكلما عاهدوا عهدا نبذ ذلك العهد فريق منهم والفريق الجماعة لا واحد له من لفظه بمنزلة الجيش والرهط الذي لا واحد له من لفظه والهاء والميم اللتان في قوله فريق منهم من ذكر اليهود من بني اسرائيل وأما قوله بل أكثرهم لا يؤمنون فانه يعني جل ثناؤه بل أكثر هؤلاء الذين كلما عاهدوا الله عهدا وواثقوه موثقا نقضه فريق منهم لا يؤمنون ولذلك وجهان من التأويل أحدهما أن يكون الكلام دلالة على الزيادة والتكثير في عدد المكذبين الناقضين عهد الله على عدد الفريق فيكون الكلام

معلومة حصلت للنفس هناك حالة شبيهة بالحيرة والدهشة ويحصل لها اذ ذاك انجذاب وانقطاع عن المحسوسات واقبال على ذلك الفعل فيقوى التأثير النفساني فيحصل الغرض وهكذا القول في الدخن قالوا فثبت أن هذا القدر من القوة النفسانية مستقل بالتأثير فان انضم اليه الاستعانة بالقسم الاول وهو تأثيرات الكواكب كان قوى الأثر جدا لاسيما ان حصل لهذه النفس مدد من النفوس المفارقة المشابهة لها أو من الانوار الفائضة من النفوس الفلكية ومنها سحر (٣٥٠) من يستعين بالارواح الارضية وهو المسمى بالعزائم وتسخير الجن ومنه التخييلات الآخذة بالعيون وتسمى الشعوذة وذلك أن أغلاط البصر كثيرة فان راكب السفينة اذا نظر الى الشط رأى السفينة واقفة والشط متحركا والقطرة النازلة ترى خطا مستقيما والعنبة ترى في الماء كالاجاصة ويرى العظيم من البعيد صغيرا وقد لا تقف القوة الباصرة على المحسوس وقوفا تاما اذا أدركت المحسوس في زمان صغير جدا فيختلط البعض بالبعض ولا يتميز فان الرحى اذا أخرجت من مركزها الى محيطها خطوطا كثيرة بألوان مختلفة ثم أديرت فان البصر يرى لونا واحدا كأنه مركب من كل تلك الالوان وأيضا النفس اذا كانت مشغولة بشيء فربما حضر عند الحس شيء آخر فلا يشعر الحس به البتة كما أن الانسان عند دخوله على السلطان قد يلقاه انسان ويتكلم معه فلا يعرفه ولا يفهم كلامه لما أن قلبه مشغول بشيء آخر وكذا الناظر في المرآة ربما قصد أن يرى سطح المرآة هل هو مستو أم لا فلا يرى شيأ مما في المرآة فالمشعوذ الحاذق يظهر عمل شيء يشغل أذهان الناظرين به ويأخذ عيونهم اليه حتى اذا استقربهم الشغل بذلك الشيء والتحديق نحوه عمل شيأ آخر عملا بسرعة فيبقى ذلك العمل خفيا لتعاون الشيئين اشتغالهم بالاول وسرعة اتيانه بالثاني ومنها الأعمال العجيبة التي تظهر من الآلات المركبة على النسب الهندسة أو لضروب الخيلاء كفارسين يقتتلان فيقتل أحدهما الآخر ومنه الصور التي يصورها الروم والهند حتى لا يفرق الناظر بينها وبين الانسان وقد يصورونها ضاحكة أو باكية وقد يفرق بين ضحك السرور وضحك الخجل ومن هذا الباب تركيب صندوق الساعات وعلم جر الاثقال وهذا لا يعد من السحر عرفا لان لها أسبابا معلومة يقينية ومنها الاستعانة بخواص الادوية والاحجار ومنها تعليق القلب وهو أن يدعى

في التوراة فأطلع الله في كتابه الذي أنزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فكان في ذلك من أمره الآيات البينات لمن أنصف نفسه ولم يدعه الى اهلاكها الحسد والبغي اذ كان في فطرة كل ذي فطرة صحيحة تصديق من أتى بمثل الذي أتى به محمد صلى الله عليه وسلم من الآيات البينات التي وصفت من غير تعلم تعلمه من بشر ولا أخذ شيء منه عن آدمي وبنحو الذي قلنا في ذلك روى الخبر عن ابن عباس **حدثنا** أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد قال ثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس ولقد أنزلنا اليك آيات بينات يقول فأنت تتلوه عليهم وتخبرهم به غدوة وعشية وبين ذلك وأنت عندهم أمي لم تقرأ كتابا وأنت تخبرهم بما في أيديهم على وجهه يقول الله ففي ذلك لهم عبرة وبيان وعليهم حجة لو كانوا يعلمون **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا ابن اسحق قال حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة مولى ابن عباس وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال ابن صوريا القطيوني لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد ما جئتنا بشيء نعرفه وما أنزل الله عليك من آية بينة فنتبعك بها فأنزل الله عز وجل ولقد أنزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون **حدثنا** أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير قال ثنا محمد بن اسحق قال حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال حدثني سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال قال ابن صوريا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر مثله ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وما يكفر بها الا الفاسقون) يعني بقوله جل ثناؤه وما يكفر بها الا الفاسقون وما يجحد بها وقد دللنا فيما مضى من كتابنا هذا على أن معنى الكفر الجحود بما أغنى عن اعادته ههنا وكذلك بينا معنى الفسق وأنه الخروج عن الشيء الى غيره فتأويل الآية ولقد أنزلنا اليك فيما أوحينا اليك من الكتاب علامات واضحات تبين لعلماء بني اسرائيل وأحبارهم الجاحدين نبوتك والمكذبين برسالتك أنك لي رسول اليهم ونبي مبعوث وما يجحد تلك الآيات الدالات على صدقك ونبوتك التي أنزلتها اليك في كتابي فيكذب بها منهم الا الخارج منهم من دينه التارك منهم فرائضي عليه في الكتاب الذي تدين بتصديقه فأما المتمسك منهم بدينه والمتبع منهم حكم كتابه فانه بالذي أنزلت اليك من آياتي مصدق وهم الذين كانوا آمنوا بالله وصدقوا رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم من يهود بني اسرائيل ۞ القول في تأويل قوله جل ذكره (أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون) اختلف أهل العربية في حكم الواو التي في قوله أو كلما عاهدوا عهدا فقال بعض نحويي البصريين هي واو تجعل مع حروف الاستفهام وهي مثل الفاء في قوله أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم قال وهما زائدتان في هذا الوجه وهي مثل الفاء التي في قوله فالله لتصنعن كذا وكذا وكقولك للرجل أفلا تقوم وان شئت جعلت الفاء والواو ههنا حرف عطف وقال بعض نحويي الكوفيين هي حرف عطف أدخل عليها حرف الاستفهام والصواب في ذلك عندي من القول أنها واو عطف أدخلت عليها ألف الاستفهام كأنه قال جل ثناؤه واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا

الساحر أنه قد عرف الاسم الاعظم وأن الجن ينقادون له فى أكثر الامور فاذا اتفق أن كان السامع ضعيف القلب قليل التميز اعتقد أنه حق وتعلق قلبه بذلك وحصل فى قلبه نوع من الرعب وحينئذ تضعف القوى الحساسة فيتمكن الساحر من أن يفعل فيه ماشاء وان من جرب الامور وعرف أحوال الناس علم أن لتعليق القلب أثرا عظيما فى تنفيذ الاعمال واخفاء الاسرار ومنها السعى بالنميمة والتضريب من وجوه خفية لطيفة وذلك شائع فى الناس فهذه جملة الكلام فى أقسام السحر وعند المسلمين (١٥٣) كلها مستندة الى قدرة الله فانه لا يمتنع وقوع هذه الخوارق باجراء العادة عند سحر السحرة واتفقوا على ان العلم به ليس بقبيح ولا محظور لان العلم لذاته شريف ولعموم قوله تعالى قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ولان الفرق بينه وبين المعجز يمكن به الا أن اجتنابه أقرب الى السلامة كتعلم الفلسفة التى لا يؤمن أن تجر الى الغواية * وأما ان الساحر هل يكفر أم لا فلا نزاع بين الامة فى أن من اعتقد أن الكواكب هى المدبرة لهذا العالم وهى الخالقة لما فيه من الحوادث والخيرات والشرور فانه يكون كافرا على الاطلاق وهذا هو القسم الاول من السحر وأما النوع الثانى وهو أن يعتقد أنه قد يبلغ روح الانسان فى التصفية والقوة الى حيث يقدر على ايجاد الاجسام واعدامها وتغيير البنية والشكل فالأظهر اجماع الامة أيضا على تكفيره وأما أن يعتقد الساحر أنه قد يبلغ فى التصفية وقراءة الرقى وتدخين بعض الادوية الى حيث يخلق الله تعالى عقيب افعاله على سبيل العادة الأجسام والحياة والعقل وتغيير البنية والشكل فالمعتزلة اتفقوا على تكفير من جوز ذلك قالوا لأنه مع هذا الاعتقاد لا يمكنه أن يعرف صدق الانبياء والرسل وزيف بان الانسان لو ادعى النبوة وكان كاذبا فى دعواه فانه لا يجوز من الله تعالى اظهار الخوارق على يده لئلا يحصل التلبيس أما اذا لم يدع النبوة فظهرت الخوارق على يده لم يفض ذلك الى التلبيس فان المحق يتميز عن المبطل بما ان المحق تحصل له هذه الاشياء مع ادعاء النبوة والمبطل لا تحصل له هذه الاشياء مع ادعاء النبوة وان حصلت لم يتم فصول الباطل كالعرفج وأما سائر أنواع السحر فلا شك أنها ليست بكفر وحكم من كفر بالسحر حكم المرتد واذا سحر انسانا فمات فان قال انى سحرته وسحرى يقتل غالبا وجب القود وان قال سحرته وسحرى قد يقتل وقد لا يقتل فهو

واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا وكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم ثم أدخل ألف الاستفهام على وكلما فقال قالوا سمعنا وعصينا أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم وقد بينا فيما مضى أنه غير جائز أن يكون فى كتاب الله حرف لا معنى له فأغنى ذلك عن اعادة البيان على فساد قول من زعم أن الواو والفاء من قوله أو كلما وأفكلما زائدتان لا معنى لهما وأما العهد فانه الميثاق الذى أعطته بنو اسرائيل ربهم ليعملن بما فى التوراة مرة بعد أخرى ثم نقض بعضهم ذلك مرة بعد أخرى فوبخهم جل ذكره بما كان منهم من ذلك وعير به أبناءهم اذ سلكوا منهاجهم فى بعض ما كان جل ذكره أخذ عليهم بالايمان به من أمر محمد صلى الله عليه وسلم من العهد والميثاق فكفروا وجحدوا ما فى التوراة من نعته وصفته فقال تعالى ذكره أو كلما عاهد اليهود من بنى اسرائيل ربهم عهدا وأوثقوه ميثاقا نبذه فريق منهم فتركه ونقضه كما حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير قال ثنا ابن اسحق قال حدثنى محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت قال حدثنى سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال قال مالك بن الصيف حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر لهم ما أخذ عليهم من الميثاق وما عهد الله اليهم فيه والله ما عهد الينا فى محمد صلى الله عليه وسلم وما أخذ له علينا ميثاقا فأنزل الله جل ثناؤه أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا محمد بن اسحق قال حدثنى محمد بن أبى محمد مولى آل زيد بن ثابت عن عكرمة مولى ابن عباس أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله *قال أبو جعفر وأما النبذ فان أصله فى كلام العرب الطرح ولذلك قيل للقوط المنبوذ لانه مطروح مرمى به ومنه سمى النبيذ نبيذا لأنه زبيب أو تمر يطرح فى وعاء ثم يعالج بالماء وأصله مفعول صرف الى فعيل أعنى أن النبيذ أصله منبوذ ثم صرف الى فعيل فقيل نبيذ كما قيل كف خضيب ولحية دهين يعنى مخضوبة ومدهونة يقال منه نبذته أنبذه نبذا كما قال أبو الاسود الدبلى

نظرت الى عنوانه فنبذته * كنبذك نعلا أخلقت من نعالكا

فعنى قوله جل ذكره نبذه فريق منهم طرحه فريق منهم فتركه ورفضه ونقضه كما حدثنا بشر ابن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة نبذه فريق منهم يقول نقضه فريق منهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثنى حجاج عن ابن جريج قوله نبذه فريق منهم قال لم يكن فى الارض عهد يعاهدون عليه الا نقضوه ويعاهدون اليوم وينقضون غدا قال وفى قراءة عبد الله نقضه فريق منهم والهاء التى فى قوله نبذه من ذكر العهد فعناه أو كلما عاهدوا عهدا نبذ ذلك العهد فريق منهم والفريق الجماعة لا واحد له من لفظه بمنزلة الجيش والرهط الذى لا واحد له من لفظه والهاء والميم اللتان فى قوله فريق منهم من ذكر اليهود من بنى اسرائيل وأما قوله بل أكثرهم لا يؤمنون فانه يعنى جل ثناؤه بل أكثر هؤلاء الذين كلما عاهدوا الله عهدا وواثقوه موثقا نقضه فريق منهم لا يؤمنون ولذلك وجهان من التأويل أحدهما أن يكون الكلام دلالة على الزيادة والتكثير فى عدد المكذبين الناقضين عهد الله على عدد الفريق فيكون الكلام

شبه عمد وان قال سحرت غيره فوافق اسمه اسمه فخطأ وعن أبي حنيفة أنه قال يقتل الساحر اذا علم أنه ساحر ولا يستتاب ولا يقبل قوله اني
أترك السحر وأتوب منه فاذا أقر أنه ساحر فقد حل دمه وان شهد شاهدان على أنه ساحر أو وصفوه بصفة يعلم انه ساحر قتل ولا يستتاب
وان أقر باني كنت أسحر مرة وقد تركت ذلك منذ زمان قبل منه ولم يقتل وأما قصة هاروت وماروت فقد روي عن ابن عباس ان الملائكة
لما قالت أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فأجابهم الله بقوله اني أعلم ما لا تعلمون ثم وكل عليهم جمعا من

حينئذ معناه أو كلما عاهدت اليهود من بني اسرائيل ربها عهدا نقض فريق منهم ذلك العهد لا
ما ينقض ذلك فريق منهم ولكن الذي ينقض ذلك فيكفر بالله أكثرهم لا القليل منهم فهذا أحد
وجهيه والوجه الآخر أن يكون معناه أو كلما عاهدت اليهود ربها عهدا نبذ ذلك العهد فريق منهم
لا ما ينبذ ذلك العهد فريق منهم فينقضه على الايمان منهم بان ذلك غير جائز لهم ولكن أكثرهم
لا يصدقون بالله ورسله ولا وعده ووعيده وقد دللنا فيما مضى من كتابنا هذا على معنى الايمان
وأنه التصديق ۞ القول في تأويل قوله جل ذكره (ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما
معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون) يعني جل ثناؤه
بقوله ولما جاءهم أحبار اليهود وعلماءها من بني اسرائيل رسول يعني بالرسول محمدا صلى الله عليه
وسلم كما حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي في قوله ولما
جاءهم رسول قال لما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم وأما قوله مصدق لما معهم فانه يعني به أن
محمدا صلى الله عليه وسلم يصدق التوراة والتوراة تصدقه في أنه لله نبي مبعوث الى خلقه وأما
تأويل قوله ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم فانه للذي هو مع اليهود وهو التوراة
فأخبر الله جل ثناؤه أن اليهود لما جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الله بتصديق ما في
أيديهم من التوراة أن محمدا صلى الله عليه وسلم نبي الله نبذ فريق يعني بذلك أنهم جحدوه ورفضوه
بعد أن كانوا به مقرين حسدا منهم له وبغيا عليه وقوله من الذين أوتوا الكتاب وهم علماء اليهود
الذين أعطاهم الله العلم بالتوراة وما فيها ويعني بقوله كتاب الله التوراة وقوله نبذوه وراء ظهورهم
جعلوه وراء ظهورهم وهذا مثل يقال لكل رافض أمرا كان منه على بال قد جعل فلان هذا الامر
منه بظهر وجعله وراء ظهره يعني به أعرض عنه وصد وانصرف كما حدثني موسى قال ثنا
عمرو قال ثنا أسباط عن السدي ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من
الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم قال لما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم عارضوه بالتوراة
فخاصموه بها فاتفقت التوراة والقرآن فنبذوا التوراة وأخذوا بكتاب آصف وسحر هاروت وماروت
فذلك قول الله كأنهم لا يعلمون ومعنى قوله كأنهم لا يعلمون كأن هؤلاء الذين نبذوا كتاب الله
من علماء اليهود فنقضوا عهد الله بتركهم العمل بما واثقوا الله على أنفسهم العمل بما فيه لا يعلمون
ما في التوراة من الامر باتباع محمد صلى الله عليه وسلم وتصديقه وهذا من الله جل ثناؤه إخبار
عنهم أنهم جحدوا الحق على علم منهم به ومعرفة وأنهم عاندوا أمر الله فخالفوا على علم منهم بوجوبه
عليهم كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله نبذ فريق من
الذين أوتوا الكتاب يقول نقض فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم
لا يعلمون أي ان القوم كانوا يعلمون ولكنهم أفسدوا علمهم وجحدوا وكفروا وكتموا ۞ القول في
تأويل قوله تعالى (واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان) يعني بقوله واتبعوا ما تتلو
الشياطين الفريق من أحبار اليهود وعلمائها الذين وصفهم جل ثناؤه بانهم نبذوا كتابه الذي أنزله

الملائكة وهم الكرام الكاتبون
وكانوا يعرجون باعمالهم الخبيثة
فعجبت الملائكة منهم ومن تبقية
الله لهم مع ما ظهر منهم من القبائح
ثم أضافوا اليهما عمل السحر فازداد
تعجب الملائكة فأراد الله ان يبتلي
الملائكة فقال لهم اختاروا ملكين
من أعظم الملائكة علما وزهدا
وديانة لأنزلهم الى الارض فأختبرهم
فاختاروا هاروت وماروت وركب
فيهما شهوة الانس وأنزلهما
ونهاهما عن الشرك والقتل والزنا
والشرب فنزلا فأمر الله تعالى
الكوكب المسمى بالزهرة والملك
الموكل به فهبطا الى الارض فجعلت
الزهرة في صورة امرأة والملك في
صورة رجل ثم ان الزهرة اتخذت
منزلا وزينت نفسها ودعتهما اليها
ونصب الملك نفسه في منزلها في مثال
صنم فأقبلا عليها وطلبا الفاحشة
فأبت عليهما الا ان يشربا الخمر فقالا
لا نشرب الخمر ثم غلبت الشهوة
عليهما فشربا ثم دعواها الى ذلك
فقالت بقيت خصلة لست أمكنكما
من نفسي حتى تفعلاها قالا وما هي
قالت تسجدان لهذا الصنم فقالا
لا نشرك بالله شيأ ثم غلبت الشهوة
عليهما فقالا نفعل ثم نستغفر فسجدا
للصنم ثم دخل سائل عليهم فقالت
ان أظهر هذا السائل للناس ما رأى
منا فسد أمرنا فان أردتما الوصول
الى فاقتلا هذا الرجل فامتنعا منه
ثم اشتغلا بقتله فلما فرغا من القتل ارتفعت الزهرة وملكها الى موضعهما من السماء فعرفا حينئذ على
انه انما أصابهما بسبب تعييربني آدم وفي رواية أخرى أن الزهرة كانت فاجرة من أهل الارض وانهما واقعاها بعد ان شربا الخمر وقتلا النفس
وسجدا للصنم وعلماها الاسم الاعظم الذي كانا يعرجان به الى السماء فتكلمت المرأة بذلك الاسم فعرجت الى السماء فمسخها الله تعالى وصيرها
هذا الكوكب ثم ان الله تعالى خيرهما بين عذاب الآخرة آجلا وبين عذاب الدنيا عاجلا فاختارا عذاب الدنيا فجعلهما ببابل منكوسين

في بئر الى يوم القيامة وهما يعلمان الناس السحر ويدعوان اليه ولا يراهما أحد الا من ذهب الى ذلك الموضع ليعلم السحر خاصة وهذه القصة عند المحققين غير مقبولة فليس في كتاب الله ما يدل عليها ولان الدلائل الدالة على عصمة الملائكة تنافيها ولاستبعاد كونهما معلمين للسحر حال العذاب ولأن الفاجرة كيف يعقل أنها صعدت الى السماء وجعلها الله تعالى كوكبا مضيأ ولانه ذكر في القصة أن الله تعالى قال لهما لو ابتليتكما بما ابتليت به بني آدم لعصيتماني فقالا لو فعلت بنا يارب لما عصيناك (٣٥٣) وهذا منهم تكذيب لله وتجهيل فاذن السبب في انزالهما أن السحرة كثرت في ذلك الزمان واستنبطت أبوابا غريبة من السحر وكانوا يدعون النبوة فبعث الله هذين الملكين ليعلما الناس أبواب السحر حتى يتمكنوا من معارضة أولئك الكاذبين ولاشك أن هذا من أحسن الاغراض والمقاصد وأيضا تعريف حقيقة السحر ليميز بينه وبين المعجزة حسن وكذا السحر لايقاع الفرقة بين أعداء الله والالفة بين أوليائه ولعل للجن أنواعا من السحر لا يقدر البشر على معارضتها الا باعانة الملك وارشاده ويجوز أن يكون ذلك تشديدا في التكليف من حيث انه اذا علمه ما أمكنه أن يتوصل به الى اللذات العاجلة ثم منعه من استعماله كان ذلك في نهاية المشقة فيستوجب مزيد الثواب كما ابتلى قوم طالوت بالنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني ويقال هذه الواقعة كانت في زمان ادريس لأنهما اذا كانا ملكين نزلا بصورة البشر لهذا الغرض فلا بد من رسول في وقتهما ليكون ذلك معجزة له ولا يجوز كونهما رسولين لأن رسول الانس ثبت أنه لا يكون الا منهم * قوله تعالى وما يعلمان أي وما يعلم الملكان أحدا حتى ينهياه وينصحاه ويقولا له انما نحن فتنة ابتلاء واختبار من الله فلا تكفر بأن تتعلمه معتقدا له أنه حق أو متوصلا به الى شئ من المعاصي والأعراض العاجلة فيتعلمون الضمير لما دل عليه العموم في من

أحد أي فيتعلم الناس من الملكين ما يفرقون به بين المرء وزوجه اما لأنه اذا اعتقد أن السحر حق كفر فبانت منه امرأته واما لانه يفرق بينهما بالتمويه والاحتيال كالنفث في العقد ونحو ذلك مما يحدث الله عنده الفرك والنشوز ابتلاء منه لا أن السحر له أثر في نفسه بدليل قوله وماهم بضارين به من أحد الا باذن الله بارادته وقدرته لأنه ان شاء أحدث عند ذلك شيأ من أفعاله وان شاء لم يحدث وكان الذي يتعلمونه منهما لم يكن مقصورا على هذه الصورة ولكن سكون المرء وركونه الى زوجه لما كان أشد

على موسى وراء ظهورهم تجاهلا منهم وكفرا بما هم به عالمون كأنهم لا يعلمون فأخبر عنهم أنهم رفضوا كتابه الذي يعلمون أنه منزل من عنده على نبيه صلى الله عليه وسلم ونقضوا عهده الذي أخذه عليهم في العمل بما فيه وآثروا السحر الذي تلته الشياطين في ملك سليمان بن داود فاتبعوه وذلك هو الخسار والضلال المبين واختلف أهل التأويل في الذين عنوا بقوله واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان فقال بعضهم عنى الله بذلك اليهود الذين كانوا بين ظهراني مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم خاصموا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتوراة فوجدوا التوراة للقرآن موافقة تأمر من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وتصديقه بمثل الذي يأمر به القرآن فخاصموا بالكتب التي كان الناس اكتتبوها من الكهنة على عهد سليمان ذكر من قال ذلك حدثني موسى ابن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان على عهد سليمان قال كانت الشياطين تصعد الى السماء فتقعد منها مقاعد للسمع فيستمعون من كلام الملائكة فيما يكون في الارض من موت أو غيث أو أمر فيأتون الكهنة فيخبرونهم فتحدث الكهنة الناس فيجدونه كما قالوا حتى اذا أمنتهم الكهنة كذبوا لهم فأدخلوا فيه غيره فزادوا مع كل كلمة سبعين كلمة فاكتتب الناس ذلك الحديث في الكتب وفشا في بني اسرائيل أن الجن تعلم الغيب فبعث سليمان في الناس فجمع تلك الكتب فجعلها في صندوق ثم دفنها تحت كرسيه ولم يكن أحد من الشياطين يستطيع أن يدنو من الكرسي الا احترق وقال لا أسمع أحدا يذكر أن الشياطين تعلم الغيب الا ضربت عنقه فلما مات سليمان وذهبت العلماء الذين كانوا يعرفون أمر سليمان وخلف بعد ذلك خلف تمثل الشيطان في صورة انسان ثم أتى نفرا من بني اسرائيل فقال هل أدلكم على كنز لا تأكلونه أبدا قالوا نعم قال فاحفروا تحت الكرسي وذهب معهم فأراهم المكان فقام ناحية فقالوا له فادن قال لا ولكنني ههنا في أيديكم فان لم تجدوه فاقتلوني فحفروا فوجدوا تلك الكتب فلما أخرجوها قال الشيطان إن سليمان انما كان يضبط الانس والشياطين والطير بهذا السحر ثم طار فذهب وفشا في الناس أن سليمان كان ساحرا واتخذت بنو اسرائيل تلك الكتب فلما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم خاصموه بها فذلك حين يقول وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر حدثت عن عمار بن الحسن قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان قالوا ان اليهود سألوا محمدا صلى الله عليه وسلم زمانا عن أمور من التوراة لا يسألونه عن شئ من ذلك الا أنزل الله عليه ما سألوا عنه فيخصمهم فلما رأوا ذلك قالوا هذا أعلم بما أنزل الينا منا وانهم سألوه عن السحر وخاصموه به فأنزل الله جل وعز واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وإن الشياطين عمدوا الى كتاب فكتبوا فيه السحر والكهانة وما شاء الله من ذلك فدفنوه تحت مجلس سليمان وكان سليمان لا يعلم الغيب فلما فارق سليمان الدنيا استخرجوا ذلك السحر وخدعوا به الناس وقالوا هذا علم كان سليمان يكتمه ويحسد

خصت بالذكر ليدل بذلك على أن سائر الصور بتأثير السحر فيها أولى وقرأ الاعمش وماهم بضاري به من أحد فجعل الجار جزأ من المجرور وهو أحد وأضاف الى المجموع وفصل بينهما بالظرف ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم لانهم يستعملونه فى وجوه المفاسد ولقد علموا اعلم هؤلاء اليهود اللام فيه للابتداء وكذا فى لمن اشتراه استبدل ما تتلو الشياطين واختاره على كتاب الله ماله فى الآخرة من خلاق من نصيب كأنه قدر له هذا المقدار وقيل الخلاق الخلاص وقيل معنى (٣٥٤) الآية ان الملكين انما قصدا بتعليم السحر الاحتراز عنه ليصل بذلك الاحتراز الى منافع الآخرة فلما استعمل السحر للدنيا فكأنه اشترى بمنافع الآخرة منافع الدنيا ولبئسما شروا به أنفسهم أى باعوها والمخصوص محذوف وهو السحر أو منافع الدنيا وجواب لو محذوف يدل عليه ما قبله اى لو كانوا يعلمون لعلموا قبح ما شروا ويجوز أن يكون لو للتمني مجازا كما تقدم من الترجي فى لعلكم تتقون وحينئذ لا يحتاج الى الجواب بقي ههنا سؤال وهو أنه كيف أثبت لهم العلم أولا فى قوله ولقد علموا على سبيل التوكيد بالقسم اجمالا ثم نفاه عنهم فى قوله لو كانوا يعلمون فان لو لامتناع الثانى لامتناع الاول وكذا لو كان للتمنى فان التمنى استدعاء أمر هو كالممتنع والجواب أن الذين علموا غير الذين لم يعلموا فالذين علموا هم الذين علموا السحر ودعوا الناس الى تعلمه ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم والذين لا يعلمون هم الجهال الذين يرغبون فى تعلم السحر سلمنا أن القوم واحد ولكنهم علموا شيأ وجهلوا شيأ آخر علموا أنه لا خلاق لهم فى الآخرة وجهلوا مقدار ما فاتهم من منافع الآخرة وما حصل لهم من مضارها وعقوباتها سلمنا أن القوم واحد والمعلوم واحد ولكنهم نسبوا الى الجهل حيث لم يعملوا بعلمهم ولم ينتفعوا به كما قيل انهم صم بكم عمى حيث لم ينتفعوا بالحواس ولما أوعدهم بقوله ولقد علموا أتبع ذلك الوعد جامعا بين الترهيب والترغيب ليكون أدعى الى الطاعة وأنهى عن المعصية دون فقال ولو أنهم امنوا بعين ما نبذوه من كتاب الله وهو القرآن أو التوراة التى يصدقها القرآن أو كلاهما واتقوا فعل المنهيات وترك المأمورات أو اتقوا الله فتركوا ما هم عليه من نبذ كتاب الله واتباع كتب الشياطين لمثوبة من عند الله لشئ من ثوابه خير ولا بد من تقدير فعل يكون أن مع ما بعده فاعلا له أى لو ثبت أنهم آمنوا وجواب لو محذوف أيضا ويدل عليه هذه الجملة الاسمية المصدرة باللام أى لأثيبوا وانما ترك الفعلية

الناس عليه فأخبرهم النبى صلى الله عليه وسلم بهذا الحديث فرجعوا من عنده وقد حزنوا وأدحض الله حجتهم و حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان قال لما جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب الآية قال اتبعوا السحر وهم أهل الكتاب فقرأ حتى بلغ ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر * وقال آخرون بل عنى الله بذلك اليهود الذين كانوا على عهد سليمان ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثنى حجاج قال قال ابن جريج تلت الشياطين السحر على اليهود على ملك سليمان فاتبعته اليهود على ملكه يعنى اتبعوا السحر على ملك سليمان حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال حدثنى ابن اسحق قال عمدت الشياطين حين عرفت موت سليمان بن داود عليه السلام فكتبوا أصناف السحر من كان يحب أن يبلغ كذا وكذا فليفعل كذا وكذا حتى اذا صنعوا أصناف السحر جعلوه فى كتاب ثم ختموا عليه بخاتم على نقش خاتم سليمان وكتبوا فى عنوانه هذا ما كتب آصف بن برخيا الصديق للملك سليمان بن داود من ذخائر كنوز العلم ثم دفنوه تحت كرسيه فاستخرجته بعد ذلك بقايا بنى اسرائيل حين أحدثوا ما أحدثوا فلما عثروا عليه قالوا ما كان سليمان بن داود الا بهذا فأفشوا السحر فى الناس وتعلموه وعلموه فليس فى أحد أكثر منه فى يهود فلما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما نزل عليه من الله سليمان بن داود وعده فيمن عده من المرسلين قال من كان بالمدينة من يهود ألا تعجبون لمحمد صلى الله عليه وسلم يزعم أن سليمان بن داود كان نبيا والله ما كان الا ساحرا فأنزل الله فى ذلك من قولهم على محمد صلى الله عليه وسلم واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا قال كان حين ذهب ملك سليمان ارتد فئام من الجن والانس واتبعوا الشهوات فلما رجع الله الى سليمان ملكه قام الناس على الدين كما كانوا وان سليمان ظهر على كتبهم فدفنها تحت كرسيه وتوفى سليمان حدثان ذلك فظهرت الجن والانس على الكتب بعد وفاة سليمان وقالوا هذا كتاب من الله نزل على سليمان أخفاه منا فأخذوا به فجعلوه دينا فأنزل الله ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون واتبعوا ما تتلو الشياطين وهى المعازف واللعب وكل شئ يصد عن ذكر الله والصواب من القول فى تأويل قوله واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان أن ذلك توبيخ من الله لأحبار اليهود الذين أدركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فجحدوا نبوته وهم يعلمون أنه لله رسول مرسل وتأنيب منه لهم فى رفضهم تنزيله وهجرهم العمل به وهو فى أيديهم يعلمونه ويعرفون أنه كتاب الله واتباعهم واتباع أوائلهم وأسلافهم ما تلته الشياطين فى عهد سليمان وقد بينا وجه جواز اضافة أفعال أسلافهم اليهم فيما مضى فأغنى ذلك عن اعادته فى هذا الموضع وانما اخترنا هذا التأويل لأن المتبعة ما تلته الشياطين فى عهد سليمان وبعده الى أن بعث الله نبيه بالحق وأمر السحر لم يزل فى اليهود ولا دلالة فى الآية أن الله تعالى أراد بقوله واتبعوا بعضا منهم

الى هذه ليدل على ثبات المثوبة واستقرارها ويجوز أن يكون القسم مقدرا وقوله لمثوبة جوابه سادا مسدّ جواب الشرط مغنيا عنه ودخول اللام الموطئة في الشرط غير واجب في القسم المقدر وان كان هو الأكثر على أن دخول اللام الموطئة في لو مستثقل فيشبه أن يكون الاكثر بل الواجب ههنا عدم الدخول ويجوز أن يكون لو للتمني مجازا عن ارادة الله ايمانهم كأنه قيل وليتهم آمنوا ثم ابتدئ لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون أن ثواب الله خير مما هم فيه لآمنوا واتقوا وقد علموا لكنه جهلهم لترك العمل بالعلم ويجوز أن يكون لو بمعنى التمني

دون بعض اذ كان جائزا فصيحا في كلام العرب اضافة ما وصفنا من اتباع أسلاف المخبر عنهم بقوله واتبعوا ما تتلو الشياطين الى أخلافهم بعدهم ولم يكن بخصوص ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أثر منقول ولا حجة تدل عليه فكان الواجب من القول في ذلك أن يقال كل متبع ما تلته الشياطين على عهد سليمان من اليهود داخل في معنى الآية على النحو الذي قلنا ۞ القول في تأويل قوله تعالى ذكره (ما تتلو الشياطين) يعني جل ثناؤه بقوله ما تتلو الشياطين الذي تتلو فتأويل الكلام اذا واتبعوا الذي تتلو الشياطين واختلف في تأويل قوله تتلو فقال بعضهم يعني بقوله تتلو تحدّث وتروي وتتكلم به وتخبر نحو تلاوة الرجل للقرآن وهي قراءته ووجه قائلو هذا القول تأويلهم ذلك الى أن الشياطين هي التي علمت الناس السحر وروته لهم ذكر من قال ذلك حدثني المثنى بن ابراهيم قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن عمرو عن مجاهد في قول الله واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان قال كانت الشياطين تسمع الوحي فما سمعوا من كلمة زادوا فيها مائتين مثلها فأرسل سليمان الى ما كتبوا من ذلك فجمعه فلما توفي سليمان وجدته الشياطين فعلمته الناس وهو السحر حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان من الكهانة والسحر وذكر لنا والله أعلم أن الشياطين ابتدعت كتابا فيه سحر وأمر عظيم ثم أفشوه في الناس وعلموهم اياه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج قال قال عطاء قوله واتبعوا ما تتلو الشياطين قال نراه ما تحدّث حدثني سالم بن جنادة السوائي قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال انطلقت الشياطين في الأيام التي ابتلي فيها سليمان فكتبت فيها كتبا فيها سحر وكفر ثم دفنوها تحت كرسي سليمان ثم أخرجوها فقرؤها على الناس * وقال آخرون معنى قوله ما تتلو ما تتبعه وترويه وتعمل به ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن عمرو العبقري قال حدثني أبي عن أسباط عن السدي عن أبي مالك عن ابن عباس تتلو قال تتبع حدثني نصر بن عبد الرحمن الأودي قال ثنا يحيى بن ابراهيم عن سفيان الثوري عن منصور عن أبي رزين مثله * قال أبو جعفر والصواب من القول في ذلك أن يقال ان الله عز وجل أخبر عن الذين أخبر عنهم أنهم اتبعوا ما تتلو الشياطين على عهد سليمان باتباعهم ما تلته الشياطين ولقول القائل هو يتلو كذا في كلام العرب معنيان أحدهما الاتباع كما يقال تلوت فلانا اذا مشيت خلفه وتبعت أثره كما قال جل ثناؤه هنالك تتلو كل نفس ما أسلفت يعني بذلك تتبع والآخر القراءة والدراسة كما تقول فلان يتلو القرآن بمعنى أنه يقرؤه ويدرسه كما قال حسان بن ثابت

نبيّ يرى ما لا يرى الناس حوله * ويتلو كتاب الله في كل مشهد

ولم يخبرنا الله جل ثناؤه بأيّ معنى التلاوة كانت تلاوة الشياطين الذين تلوا ما تلوه من السحر على عهد سليمان بخبر يقطع العذر وقد يجوز أن تكون الشياطين تلت ذلك دراسة ورواية

كما تقرر والله تعالى أعلم * التأويل واتبعوا ما تتلو الشياطين النفوس على ملك سليمان الروح الذي هو خليفة الله في أرضه وما كفر سليمان الروح ولكن الشياطين النفس والهوى كفروا يعلمون الناس السحر من تخييلات الهواجس وتمويهات الوساوس وما أنزل على الملكين فتنة وخذلانا من العلوم الضارة غير النافعة كشبهات الفلاسفة والمبتدعة على ملكي الروح والقلب ببابل الجسد هاروت الروح وماروت القلب فانهما من العالم العلوي الروحاني أهبطا الى الارض العالم الجسماني بالخلافة لاقامة الحق وازهاق الباطل فافتتنا بزهرة الحياة الدنيا واتبعا خداعها فوقعا في شبكة الشهوة التي تركت فيها ابتلاء وامتحانا وشربا خمر الحرص والغفلة التي تخامر العقل وزنيا ببغيّ الدنيا الدنية وعبدا صنم الهوى فعذبا منكسين برؤسهما بالالتفات الى السفليات واعراضهما عن العلويات فحرما استماع خطاب الحق وكشف حقائق العلوم النافعة الموجبة للجمعية ومع هذا من خصوصية الملائكة الروحانية ما يعلمان أحدا من الصفات البهيمية والسبعية والشيطانية والقوى البشرية حتى يلهماها انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء القلب وزوجه بدنه (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم ما يودّ الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شئ قدير ألم تعلم أن الله له ملك السموات والارض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير أم تريدون أن تسئلوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل) ۞ القرا آت ما ننسخ بضم النون وكسر

السين ابن ذكوان ننسأها مهموزا ابن كثير وأبو عمرو غير أوقية وروى أوقية بغير همز الباقون ننسها من الانساء نات بخير بغير همز أبو عمرو غير ابراهيم بن حماد ويزيد والاعشى وورش وحمزة فى الوقف الباقون وابراهيم بن حماد بالهمز لأنه جواب الشرط ومن شرطه أن يهمز كل ما كان نسقا أى عطفا على المجزوم أو جوابا للمجزوم كل القرآن مثل قوله عز وجل ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم وقوله ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها وأشباه ذلك فقد ضل بالاظهار حجازى (٣٥٦) غير ورش وعاصم غير الأعشى وكذلك يظهرون الدال عند الذال والظاء حيث وقعتا مثل قوله تعالى فقد ظلم ولقد ذرأنا وأشباه ذلك ۞ الوقوف واسمعوا ط أليم ○ من ربكم ط من يشاء ط العظيم ○ أو مثلها ط قدير ○ والارض ط ولا نصير ○ ربع الجزء ومن قبل ط السبيل ○ ۞ التفسير لما شرح الله تعالى قبائح أفعال السلف من اليهود شرع فى قبائح أخلاق المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وجدهم واجتهادهم فى القدح فيه والطعن فى دينه واعلم أن الله تعالى خاطب المؤمنين فى ثمانية وثمانين موضعا من القرآن قال ابن عباس وكان يخاطب فى التوراة بيا أيها المساكين فكأنه سبحانه لما خاطبهم أولا بالمساكين أثبت لهم المسكنة آخرا حيث قال وضربت عليهم الذلة والمسكنة وهذا يدل على أنه تعالى لما خاطب هذه الامة بالايمان أولا فانه تعالى يعطيهم الامان من العذاب آخرا وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا ولاسيما فان المؤمن اسم من أسمائه العظام ففيه دليل على أنه تعالى يقربهم منه فى دار السلام وقيل آمنوا على الغيبة نظرا الى المظهر وهو الذين ولو قيل آمنتم نظرا الى النداء جاز من حيث العربية ثم انه لا يبعد فى الكلمتين المترادفتين أن يمنع الله من احداهما ويأذن فى الاخرى ومن هنا قال الشافعى لا تصح الصلاة بترجمة الفاتحة عربية كانت أو فارسية فلا يبعد أن يمنع الله من قول راعنا ويأذن فى قول انظرنا وان كانا مترادفين ولكن جمهور المفسرين على أنه تعالى انما منع من قول راعنا لاشتماله على مفسدة ثم ذكروا وجوها منها أن المسلمين كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ألقى عليهم شيأ من العلم راعنا يا رسول الله واليهود كانت لهم كلمة عبرانية يتسابون بها تشبه هذه الكلمة وهى راعينا ومعناها اسمع لا سمعت كما صرح بذلك فى سورة النساء ويقولون

وعملا فتكون كانت متبعته بالعمل ودارسته بالرواية فاتبعت اليهود منهاجها فى ذلك وعملت به وروته ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (على ملك سليمان) يعنى بقوله جل ثناؤه على ملك سليمان فى ملك سليمان وذلك أن العرب تضع فى موضع على وعلى فى موضع فى من ذلك قول الله جل ثناؤه ولأصلبنكم فى جذوع النخل يعنى به على جذوع النخل وكما قال فعلت كذا فى عهد كذا وعلى عهد كذا بمعنى واحد وبما قلنا من ذلك كان ابن جريج وابن اسحق يقولان فى تأويله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثنى حجاج قال قال ابن جريج على ملك سليمان يقول فى ملك سليمان حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال ابن اسحق فى قوله على ملك سليمان أى فى ملك سليمان ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر) ان قال لنا قائل وما هذا الكلام من قوله واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان ولا خبر معنا قبل عن أحد أنه أضاف الكفر الى سليمان بل انما ذكر اتباع من اتبع من اليهود ما تلته الشياطين فما وجه نفى الكفر عن سليمان بعقب الخبر عن اتباع من اتبعت الشياطين فى العمل بالسحر وروايته من اليهود قيل وجه ذلك ان الذين اضاف الله جل ثناؤه اليهم اتباع ما تلته الشياطين على عهد سليمان من السحر والكفر من اليهود نسبوا ما أضافه الله تعالى ذكره الى الشياطين من ذلك الى سليمان بن داود وزعموا أن ذلك كان من علمه وروايته وأنه انما كان يستعبد من يستعبد من الانس والجن والشياطين وسائر خلق الله بالسحر فحسنوا بذلك من ركوبهم ما حرم الله عليهم من السحر لأنفسهم عند من كان جاهلا بأمر الله ونهيه وعند من كان لا علم له بما أنزل الله فى ذلك من التوراة وتبرأ باضافة ذلك الى سليمان من سليمان وهو نبى الله صلى الله عليه وسلم منهم بشر وأنكروا أن يكون كان لله رسولا وقالوا بل كان ساحرا فبرأ الله سليمان بن داود من السحر والكفر عند من كان منهم ينسبه الى السحر والكفر لأسباب ادعوها عليه قد ذكرنا بعضها وسنذكر باقى ما حضرنا ذكره منها وأكذب الآخرين الذين كانوا يعملون بالسحر متزينين عند أهل الجهل فى عملهم ذلك بأن سليمان كان يعمله فنفى الله عن سليمان عليه السلام أن يكون كان ساحرا أو كافرا وأعلمهم أنهم انما اتبعوا فى عملهم بالسحر ما تلته الشياطين فى عهد سليمان دون ما كان سليمان يأمرهم من طاعة الله واتباع ما أمرهم به فى كتابه الذى أنزله على موسى صلوات الله عليه * ذكر الدلائل على صحة ما قلنا من الاخبار والآثار حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب القمى عن جعفر بن أبى المغيرة عن سعيد بن جبير قال كان سليمان يتتبع ما فى أيدى الشياطين من السحر فيأخذه فيدفنه تحت كرسيه فى بيت خزانته فلم تقدر الشياطين أن يصلوا اليه فدنت الى الانس فقالوا لهم أتريدون العلم الذى كان سليمان يسخر به الشياطين والرياح وغير ذلك قالوا نعم قالوا فانه فى بيت خزانته وتحت كرسيه فاستثارته الانس فاستخرجوه فعملوا به فقال أهل الحجاز كان سليمان يعمل بهذا وهذا سحر فأنزل الله جل ثناؤه على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم براءة سليمان فقال واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان الآية

سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا فان الجميع كأنها متقاربة فلما سمعوا المسلمين يقولون راعنا افترصوه وخاطبوا به الرسول وهم يعنون المسبة فنهي المؤمنون عنها وأمروا بلفظة أخرى وهي انظرنا روي أن سعد بن معاذ سمعها منهم فقال يا أعداء الله عليكم لعنة الله والذي نفسي بيده ان سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم لاضربن عنقه فقالوا أولستم تقولونها فنزلت ومنها قال قطرب هذه الكلمة وان كانت صحيحة المعنى الا أن أهل الحجاز كانوا يقولونها عند الهزء والسخرية (٣٥٧) فلا جرم نهى الله عنها وقيل ان اليهود كانوا يقولون راعينا أي أنت راعي غنمنا فنهاهم عنه وقيل ان هذه اللفظة لكونها من باب المفاعلة تدل على المساواة بين المتخاطبين كأنهم قالوا أرعنا سمعك لنرعيك أسماعنا فنهوا عنه لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا وقيل راعنا خطاب مع الاستعلاء أي راع كلامي ولا تغفل عنه ولا تشتغل بغيره وليس في انظرنا الا سؤال الانتظار وقيل انها تشبه اسم الفاعل من الرعونة والحمق فيحتمل أنهم أرادوا به المصدر كقولهم عائذا بك أي أعوذ عياذا فقولهم راعنا أي فعلت رعونة ويحتمل أنهم أرادوا وصرت راعنا أي ذا رعونة فلما كان هذه الوجوه الفاسدة نهى الله عنها وقيل المراد لا تقولوا قولا راعنا أي منسوبا الى الرعن كدارع ولابن ومنه قراءة الحسن راعنا بالتنوين وانظرنا من نظره اذا انتظره انظرونا نقتبس من نوركم أمرهم الله تعالى أن يسألوه صلى الله عليه وسلم الامهال لينقلوا عنه فلا يحتاجون الى الاستعادة كأنهم قالوا له توقف في كلامك وبيانك مقدار ما يصل الى أفهامنا وهذا القدر غير خارج عن قانون الأدب فقد يلتمسه المتعلم حرصا منه على أن لا يفوت منه شئ من الفوائد وان كان المعلم غير مهمل دقائق التفهيم والارشاد من التثبت والتأني والاعادة ان احتيج اليها ونحو ذلك وقيل انظرنا معناه انظر الينا مثل واختار موسى قومه أي من قومه والغرض أن المعلم اذا نظر الى المتعلم كانت افاضته عليه أظهر وأقوى وفي قراءة أبي أنظرنا من النظرة أي أمهلنا حتى نحفظه واسمعوا معناه أحسنوا استماع كلام نبيكم بآذان واعية وأذهان حاضرة حتى لا تحتاجوا الى الاستعادة وطلب المراعاة أو اسمعوا اسماع قبول وطاعة لا كاليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا أو اسمعوا ما أمرتم به ولا ترجعوا الى ما نهيتم عنه من قول راعنا وللكافرين ولليهود الذين تهاونوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وسبوه عذاب أليم (قوله ما يود الآية) من

الآية فأنزل الله براءة سليمان على لسان نبيه عليهما السلام حدثني أبو السائب السوائي قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان الذي أصاب سليمان بن داود في سبب أناس من أهل امرأة يقال لها جرادة وكانت من أكرم نسائه عليه قال فكان هوى سليمان أن يكون الحق لأهل الجرادة فيقضي لهم فعوقب حين لم يكن هواه فيهم واحدا (قال) وكان سليمان بن داود اذا أراد أن يدخل الخلاء أو يأتي شيأ من نسائه أعطى الجرادة خاتمه فلما أراد الله أن يبتلي سليمان بالذي ابتلاه به أعطى الجرادة ذات يوم خاتمه فجاء الشيطان في صورة سليمان فقال لها هاتي خاتمي فأخذه فلبسه فلما لبسه دانت له الشياطين والجن والانس قال فجاءها سليمان فقال هاتي خاتمي فقالت كذبت لست بسليمان قال فعرف سليمان أنه بلاء ابتلي به قال فانطلقت الشياطين فكتبت في تلك الأيام كتبا فيها سحر وكفر ثم دفنوها تحت كرسي سليمان ثم أخرجوها فقرؤها على الناس وقالوا انما كان سليمان يغلب الناس بهذه الكتب قال فبرئ الناس من سليمان وأكفروه حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فأنزل جل ثناؤه واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان يعني الذي كتب الشياطين من السحر والكفر وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا فأنزل الله جل وعز عذره حدثني محمد بن عبد الأعلى الصنعاني قال ثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت عمران ابن حدير عن أبي مجلز قال أخذ سليمان من كل دابة عهدا فاذا أصيب رجل فسئل بذلك العهد خلي عنه فرأى الناس السجع والسحر وقالوا هذا كان يعمل به سليمان فقال الله جل ثناؤه وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر حدثنا أبو حميد قال ثنا جرير عن حصين ابن عبد الرحمن عن عمران بن الحرث قال بينا نحن عند ابن عباس اذ جاءه رجل فقال له ابن عباس من أين جئت قال من العراق قال من أيه قال من الكوفة قال فما الخبر قال تركتهم يتحدثون أن عليا خارج اليهم ففزع فقال ما تقول لا أبا لك لو شعرنا ما أنكحنا نساءه ولا قسمنا ميراثه أما اني أحدثكم من ذلك انه كانت الشياطين يسترقون السمع من السماء (١) فيأتي أحدهم بكلمة حق قد سمعها فاذا حدث منه صدق كذب معها سبعين كذبة قال فيشرب بها قلوب الناس فأطلع الله عليها سليمان فدفنها تحت كرسيه فلما توفي سليمان بن داود قام شيطان بالطريق فقال الا أدلكم على كنزه الممنع الذي لا كنز مثله تحت الكرسي فأخرجوه فقالوا هذا سحر فتناسخها الأمم حتى بقاياهم ما يتحدث به أهل العراق فأنزل الله عذر سليمان واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا والله أعلم أن الشياطين ابتدعت كتابا فيه سحر وأمر عظيم ثم أفشوه في الناس وأعلموهم اياه فلما سمع بذلك سليمان نبي الله صلى الله عليه وسلم فتتبع تلك الكتب فأتى بها فدفنها تحت كرسيه كراهية أن يتعلمها الناس فلما قبض الله نبيه سليمان عمدت الشياطين فاستخرجوها من مكانها الذي كانت فيه فعلموها الناس فأخبروهم أن هذا علم كان يكتمه سليمان ويستأثر به فعذر

(١) قوله فيأتي أحدهم الخ عبارة الدر المنثور فاذا سمع أحدهم بكلمة حق كذب عليها ألف كذبة فأشربتها قلوب الناس الخ كتبه مصححه

الاولى للبيان لان الذين كفروا جنس تحته نوعان أهل الكتاب والمشركون كقوله لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين ولا مزيدة لتأكيد النفي وقرئ ولا المشركون والثانية مزيدة لاستغراق الخير فان ينزل في سياق النفي فمعنى ما يود أن ينزل يود أن لا ينزل والثالثة لابتداء الغاية والخير الوحي وكذلك الرحمة « أهم يقسمون رحمة ربك » والمعنى أنهم يرون أنفسهم أحق بأن يوحى اليهم فيحسدونكم وما يحبون أن ينزل عليكم شئ من الوحي ولا أثر لهذا الحسد (٣٥٨) فان الله يختص بالنبوة من يشاء ولا يكون الا ما يشاء وما يشاء الا ما تقتضيه الحكمة والله ذو الفضل العظيم الفضل والفضيلة خلاف النقص والنقيصة والافضال الاحسان وفيه اشعار بأن ايتاء النبوة من غاية الاحسان وانها رشحة من بحار كماله ان فضله كان عليك كبيرا (قوله عز من قائل ما ننسخ من آية) نوع ثان من تقريع مطاعن اليهود خذلهم الله في الاسلام روى أنهم قالوا ألا ترون الى محمد صلى الله عليه وسلم يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا فنزلت وفي الآية مسائل (الاولى) النسخ لغة هو الازالة يقال نسخت الشمس الظل أي أزالته والنقل أيضا وهو أن يغير الشئ في صفته وحاله مع بقائه في نفسه ومنه نسخت الكتاب والمناسخات في المواريث لانتقال التركة من قوم الى قوم فقيل مشترك بينهما وقيل حقيقة في الاول مجاز في الثاني وقيل بالعكس وفي الاصطلاح هو رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر فيخرج المباح بحكم الاصل اذا ورد الشرع بضده رافعا لاباحته فانه لا يسمى نسخا اذ ليس رفع حكم شرعي ويخرج أيضا الرفع بالنوم والغفلة لان ذلك الرفع ليس بمجرد الدليل الشرعي وهو رفع عن أمتي الخطأ والنسيان ونحوه بل يقتضيه العقل أيضا بخلاف الرفع بنحو دعي الصلاة أيام أقرائك فانه لا مجال للعقل فيه ويخرج الرفع بنحو صم الى آخر الشهر فان الى وان أوجبت مخالفة حكم ما بعدها لما قبلها الا أنها لا تسمى نسخا لانه ليس متأخرا وهو ويمكن أن يقال ان قيد متأخر انما ينبغي أن يذكر لان دليل النسخ لا يكون الا كذلك ونحو صم الى كذا وأمثاله من أنواع التخصيص متصلا كان أو منفصلا انما خرج بقيد الرفع لان رفع الحكم انما يكون بعد ارادة حصوله على المكلف والتخصيص ليس كذلك لان صورة التخصيص غير مرادة من اللفظ بل التخصيص مبين لمراد الشارع من العام ونعني بالحكم ههنا ما يحصل على المكلف بعد أن لم يكن فان

الله نبيه سليمان وبرأه من ذلك فقال جل ثناؤه وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال كتبت الشياطين كتبا فيها سحر وشرك ثم دفنت تلك الكتب تحت كرسي سليمان فلما مات سليمان استخرج الناس تلك الكتب فقالوا هذا علم كتمناه سليمان فقال الله جل وعز واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر حدثنا القاسم قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان قال كانت الشياطين تسمع الوحي من السماء فما سمعوا من كلمة زادوا فيها مثلها وان سليمان أخذ ما كتبوا من ذلك فدفنه تحت كرسيه فلما توفي وجدته الشياطين فعلمته الناس حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثني حجاج عن أبي بكر عن شهر بن حوشب قال لما سلب سليمان ملكه كانت الشياطين تكتب السحر في غيبة سليمان فكتبت من أراد أن يأتي كذا وكذا فليستقبل الشمس وليقل كذا وكذا ومن أراد أن يفعل كذا وكذا فليستدبر الشمس وليقل كذا وكذا فكتبته وجعلت عنوانه هذا ما كتب آصف بن برخيا للملك سليمان بن داود من ذخائر كنوز العلم ثم دفنته تحت كرسيه فلما مات سليمان قام ابليس خطيبا فقال يا أيها الناس ان سليمان لم يكن نبيا وانما كان ساحرا فالتمسوا سحره في متاعه وبيوته ثم دلهم على المكان الذي دفن فيه فقالوا والله لقد كان سليمان ساحرا هذا سحره بهذا تعبدنا وبهذا قهرنا فقال المؤمنون بل كان نبيا مؤمنا فلما بعث الله النبي محمدا صلى الله عليه وسلم جعل يذكر الانبياء حتى ذكر داود وسليمان فقالت اليهود انظروا الى محمد يخلط الحق بالباطل يذكر سليمان مع الانبياء وانما كان ساحرا يركب الريح فأنزل الله عذر سليمان واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان الآية حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال حدثني ابن اسحق وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني لما ذكر سليمان بن داود في المرسلين قال بعض أحبار اليهود ألا تعجبون من محمد يزعم أن ابن داود كان نبيا والله ما كان الا ساحرا فانزل الله في ذلك من قولهم وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا أي باتباعهم السحر وعملهم به وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت (قال أبو جعفر) فاذا كان الأمر في ذلك على ما وصفنا وتاويل قوله واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا ما ذكرنا فتبين أن في الكلام متروكا ترك ذكره اكتفاء بما ذكر منه وان معنى الكلام واتبعوا ما تتلو الشياطين من السحر على ملك سليمان فتضيفه الى سليمان وما كفر سليمان فيعمل بالسحر ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وقد كان قتادة يتأول قوله وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا على ما قلنا حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يقول ما كان عن مشورته ولا عن رضا منه ولكنه شئ افتعلته الشياطين دونه وقد دللنا فيما مضى على اختلاف المختلفين في معنى تتلو وتوجيه من وجه ذلك الى أن تتلو بمعنى تلت اذ كان الذي قبله خبرا ماضيا

وهو قوله واتبعوا وتوجيه الذين وجهوا ذلك إلى خلاف ذلك وبينا فيه وفي نظيره الصواب من القول فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع وأما معنى قوله ما تتلو فإنه يعني الذي تتلو وهو السحر حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن إسحق واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان أي السحر (قال أبو جعفر) ولعل قائلا أن يقول أو ما كان السحر إلا أيام سليمان قيل له بلى قد كان ذلك قبل ذلك وقد أخبر الله عن سحرة فرعون ما أخبر عنهم وقد كانوا قبل سليمان وأخبر عن قوم نوح أنهم قالوا لنوح إنه ساحر قال فكيف أخبر عن اليهود أنهم اتبعوا ما تلته الشياطين على عهد سليمان قيل لأنهم أضافوا ذلك إلى سليمان على ما قد قدمنا البيان عنه فأراد الله تعالى ذكره تبرئة سليمان مما نحلوه وأضافوا إليه مما كانوا وجدوه إما في خزائنه وإما تحت كرسيه على ما جاءت به الآثار التي قد ذكرناها من ذلك فحصر الخبر عما كانت اليهود اتبعته فيما تلته الشياطين أيام سليمان دون غيره لذلك السبب وإن كانت الشياطين قد كانت تالية للسحر والكفر قبل ذلك ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت) اختلف أهل العلم في تأويل ما التي في قوله وما أنزل على الملكين فقال بعضهم معناه الجحد وهي بمعنى لم ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال حدثني أبي قال حدثني عمي قال حدثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت فإنه يقول لم ينزل الله السحر حدثنا ابن حميد قال حدثني حكام عن أبي جعفر عن الربيع بن أنس وما أنزل على الملكين قال ما أنزل الله عليهما السحر فتأويل الآية على هذا المعنى الذي ذكرناه عن ابن عباس والربيع من توجيههما معنى قوله وما أنزل على الملكين إلى ولم ينزل على الملكين واتبعوا الذي تتلوا الشياطين على ملك سليمان من السحر وما كفر سليمان ولا أنزل الله السحر على الملكين ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت فيكون حينئذ قوله ببابل هاروت وماروت من المؤخر الذي معناه التقديم فإن قال لنا قائل وكيف وجه تقديم ذلك قيل وجه تقديمه أن يقال واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما أنزل على الملكين ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت فيكون معنيا بالملكين جبريل وميكائيل لأن سحرة اليهود فيما ذكرت كانت تزعم أن الله أنزل السحر على لسان جبريل وميكائيل إلى سليمان بن داود فأكذبها الله بذلك وأخبر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن جبريل وميكائيل لم ينزلا بسحر قط وبرأ سليمان مما نحلوه من السحر فأخبرهم أن السحر من عمل الشياطين وأنها تعلم الناس ببابل وأن الذين يعلمونهم ذلك رجلان اسم أحدهما هاروت واسم الآخر ماروت فيكون هاروت وماروت على هذا التأويل ترجمة على الناس وردا عليهم وقال آخرون بل تأويل ما التي في قوله وما أنزل على الملكين الذي ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال قال معمر قال قتادة والزهري عن عبد الله وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت كانا ملكين من الملائكة فأهبطا ليحكما بين الناس وذلك أن الملائكة سخروا من أحكام بني آدم قال

الوجوب المشروط بالعقل الذي هو مناط التكليف لم يكن حاصلا عند انتفاء العقل والموقوف على الحادث حادث وإذا كان المراد بالحكم هذا فلا يرد قول المعتزلة الحكم عندكم قديم فكيف يرتفع وذلك أنا نعنينا بالحكم تعلق الخطاب بعد ما لم يتعلق وهذا محدث يرتفع وأيضا ينقطع بأنه إذا ثبت تحريم شيء بعد وجوبه انتفى الوجوب الثابت أولا وهو المعنى بالرفع ويحسن أيضا أن يقال النسخ بيان انتهاء حكم شرعي بطريق شرعي متراخ فيخرج بقولنا شرعي بيان انتهاء حكم عقلي كالبراءة الأصلية وبطريق (٣٥٩) شرعي يخرج به بيان انتهاء الحكم الشرعي بطريق عقلي كانتساخ القيام عمن ينكسر رجله وقولنا متراخ ليخرج التخصيص بالغاية ومن هذا يعلم تعريف الناسخ والمنسوخ ومعنى بيان انتهاء الحكم أن الخطاب السابق له غاية في علم الله تعالى فإذا انتهى إلى تلك الغاية زال بذاته ثم ورد الخطاب اللاحق بيانا لذلك * المسئلة الثانية انعقد الإجماع من أكثر أرباب الشرائع ومن المسلمين خاصة على جواز النسخ عقلا وعلى الوقوع شرعا وخالف اليهود في الجواز وأبو مسلم الأصفهاني من المسلمين في الوقوع لا الجواز لنا القطع بالجواز ضرورة فإن له تعالى أن يفعل ما يشاء كما يشاء من غير النظر إلى حكمة ومصلحة وإن اعتبرت المصالح فالقطع أن المصلحة قد تختلف باختلاف الأوقات فهذا ما يدل على جواز النسخ وفي التوراة أنه أمر آدم بتزويج بناته من بنيه وقد حرم ذلك في شريعة من بعده باتفاق وهذا ما يدل على وقوعه وكيف لا وقد ثبت بالدلائل القاطعة والمعجزات الباهرة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وبصحة نبوته يلزم نسخ شرع من قبله ولم يكن لليهود والنصارى نص صريح يعلم منه أمد شرعهم على التعيين حتى يلزم أن يكون شرع نبينا انتهاء غاية لا نسخا حجة اليهود لو نسخت شريعة موسى لبطل قول موسى المتواتر هذه شريعة مؤبدة عليكم بها ما دامت السموات والأرض وأيضا إن كان نسخ الحكم الشرعي لحكمة ظهرت له تعالى لم تكن ظاهرة فهو البداء وإلا فعبث وكلاهما محال على الله تعالى إذ البداء عبارة عن الظهور بعد الخفاء والعبث فعل لا يستتبع غاية والجواب عن الأول المنع من أنه قول موسى عليه السلام ويؤكده أنه لو كان هذا القول صحيحا عندهم لقضت العادة بقوله لرسولنا صلى الله عليه وسلم ولحاجوه بذلك لكن اليهود لم يتمسكوا به في عهده فدل ذلك على أنه إفك افتراه المتأخر ونسبه

وعن الثاني بعد تسليم اعتبار المصالح أنها تختلف باختلاف الازمان والاحوال كمنفعة شرب دواء في حال وضرره في آخر بل الزمان الممتد من الازل الى الابد قد وزع أجزاؤه فيما لم يزل على الجزئيات الواقعة فيها الصادرة شيأ فشيأ بحسب وقت وقت لا لمصلحة تعود اليه تعالى بل لما هو أصلح بالنسبة الى المترمنات فالظهور والخفاء والسابق واللاحق والاعدام والايجاد كلها بالنسبة الينا وأما بالنسبة الى حضرة الواجب جل ذكره فقد جف القلم بما هو كائن الى يوم الدين (٣٦٠) والحاصل أن كل حكم فله غاية في علم الله تعالى ولكن قد يظن المكلف استمراره في الاستقبال من قرائن الاحوال فاذا ورد ما يبين أمده ونص له على زواله فذلك الوارد ناسخ والاول منسوخ والورود نسخ وكل هذه التجددات بالنسبة الى المكلف وأما بالاضافة اليه تعالى فكل من الحكمين موجود في وقته الذي قدر له فيه الظهور متقدما أحدهما ومتأخرا الآخر وليس هذا في الأحكام فقط وانما ذلك في كل حادث فمن تأمل نسخة الوجود ونسب الحوادث المتفاوتة بعضها الى بعض بالتقدم والتأخر والمعية وجد وجوداتها المترتبة أشبه شيء بكتاب يقرؤه القارئ سطرا بعد سطر وكلمة تلو كلمة اذا انقضى مجموع من ذلك تلاه مجموع آخر حسب ما رتبه الحكيم العليم بمبادئه ومقاطعه فالمنقضي في حكم المحو والتالي في حكم الاثبات والهيئة الاجتماعية بدون اعتبار التلاوة المستلزمة لانقضاء شيء وظهور ما يعقبه هي أم الكتاب وهذا سر قوله عز من قائل يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ولك أن تعبر عن المجموع الدفعي بالقضاء وعن ظهوره التدريجي بالقدر وفي هذا القدر كفاية للفطن المستبصر

* المسئلة الثالثة اتفقوا على وقوع النسخ في القرآن بوجوه أحدها هذه الاية أعني ما ننسخ من آية وأجاب أبو مسلم بأن المراد بالآيات المنسوخة الشرائع التي في الكتب القديمة من التوراة والانجيل كالسبت والصلاة الى المشرق والمغرب مما وضعه الله عنا وتعبدنا بغيره فان اليهود والنصارى كانوا يقولون لا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم فأبطل الله ذلك عليهم بهذه الآية وأيضا لعل المراد من النسخ نقله من اللوح المحفوظ وتحويله عنه الى سائر الكتب وأيضا ان ما ههنا يفيد الشرط والجزاء وكما أن قولك من جاءك فأكرمه لا يدل على حصول المجيء بل على أنه متى جاء وجب الاكرام فكذا هذه الآية لا تدل على حصول النسخ بل على أنه متى حصل النسخ وجب أن يأتي

فلما كمت اليهما امرأة فلما الهاتم ذهبا يصعدان فحيل بينهما وبين ذلك وخيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا قال معمر قال قتادة فكانا يعلمان الناس السحر فأخذ عليهما أن لا يعلما أحدا حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي أما قوله وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت فهذا سحر آخر خاصموه به أيضا يقول خاصموه بما أنزل على الملكين وان كلام الملائكة فيما بينهم اذا علمته الانس فصنع وعمل به كان سحرا حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت فالسحر سحران سحر تعلمه الشياطين وسحر يعلمه هاروت وماروت حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال حدثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت قال التفريق بين المرء وزوجه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين فقرأ حتى بلغ فلا تكفر قال الشياطين والملكان يعلمون الناس السحر (قال أبو جعفر) فمعنى الآية على تأويل هذا القول الذي ذكرناه عمن ذكرنا عنه واتبعت اليهود الذي تلت الشياطين في ملك سليمان والذي أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وهما ملكان من ملائكة الله سنذكر ما روي من الاخبار في شأنهما ان شاء الله تعالى وقالوا ان قال لنا قائل وهل يجوز أن ينزل الله السحر أم هل يجوز لملائكته أن تعلمه الناس قلنا له ان الله عز وجل قد أنزل الخير والشر كله وبين جميع ذلك لعباده فأوحاه الى رسله وأمرهم بتعليم خلقه وتعريفهم ما يحل لهم مما يحرم عليهم وذلك كالزنا والسرقة وسائر المعاصي التي عرفهموها ونهاهم عن ركوبها فالسحر أحد تلك المعاصي التي أخبرهم بها ونهاهم عن العمل بها (قالوا) ليس في العلم بالسحر اثم كما لا اثم في العلم بصنعة الخمر ونحت الأصنام والطنابير والملاعب وانما الاثم في عمله وتسويته (قالوا) وكذلك لا اثم في العلم بالسحر وانما الاثم في العمل به وأن يضر به من لا يحل ضره به (قالوا) فليس في انزال الله اياه على الملكين ولا في تعليم الملكين من علماه من الناس اثم اذا كان تعليمهما من علماه ذلك باذن الله لهما بتعليمه بعد أن يخبراه بانهما فتنة وينهياه عن السحر والعمل به والكفر وانما الاثم على من يتعلمه منهما ويعمل به اذ كان الله تعالى ذكره قد نهاه عن تعلمه والعمل به (قالوا) ولو كان الله أباح لبني آدم أن يتعلموا ذلك لم يكن من تعلمه حرجا كما لم يكونا حرجين لعلمهما به اذ كان علمهما بذلك عن تنزيل الله اليهما (وقال آخرون) معنى ما معنى الذي وهي عطف على ما الاولى غير أن الاولى في معنى السحر والآخرة في معنى التفريق بين المرء وزوجه فتأويل الآية على هذا القول واتبعوا السحر الذي تتلوا الشياطين في ملك سليمان والتفريق الذي بين المرء وزوجه الذي أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وهما يعلمان ما يفرقون

بما هو خير منه* وثانيها الاعتداد بالحول في قوله والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا الى الحول نسخ بأربعة أشهر وعشر في قوله والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا أجاب أبو مسلم بان الاعتداد بالحول ما زال بالكلية لانها لو كانت حاملا ومدة حملها حول كامل لكانت عدتها حولا كاملا واذا بقي هذا الحكم في بعض الصور كان ذلك تخصيصا لا نسخا ورد بأن عدة الحمل تنقضي بوضع الحمل سواء حصل وضع الحمل بسنة أو أقل أو (٣٦١) أكثر فجعل السنة مدة للعدة يكون زائلا بالكلية وثالثها اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة منسوخة بالاتفاق أجاب بانه زال لزوال سببه لان سبب التعبد بها أن يمتاز المنافقون عن المؤمنين ورد بانه يلزم منه أن من لم يتصدق كان منافقا وهو باطل لما روي أنه لم يتصدق غير علي عليه السلام وبدليل فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم ورابعها الامر بثبات الواحد للعشرة في قوله فان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ثم نسخ ذلك بقوله الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وخامسها تحويل القبلة قال أبو مسلم حكم تلك القبلة ما زال بالكلية لجواز التوجه اليها عند الاشكال أو مع العلم اذا كان هناك عذر ورد بأن بيت المقدس وسائر الجهات في ذلك سواء وسادسها واذا بدلنا آية مكان آية والتبديل يشتمل على رفع واثبات والمرفوع اما التلاوة واما الحكم وكيفما كان فهو رفع ونسخ فهذه الدلائل وأمثالها تدل على وقوع النسخ في الجملة حجة أبي مسلم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والجواب أن الضمير للمجموع وأيضا نسخه بالنسبة الى المكلف لا ينافي حقيته في نفسه وكونه قرآنا عربيا* (المسئلة

الرابعة) المنسوخ اما أن يكون هو الحكم فقط كالآيات المعدودة أو التلاوة فقط كما روي عن عمر أنه قال كنا نقرأ آية الرجم الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم وروي لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى اليهما ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب أو الحكم والتلاوة معا كما روي عن عائشة كان فيما أنزل عشر رضعات محرمات ثم نسخن بخمس فالعشر مرفوع التلاوة والحكم جميعا والخمس مرفوع التلاوة باقي الحكم

به بين المرء وزوجه وذلك قول الله جل ثناؤه وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا وكان يقول أما السحر فانما يعلمه الشياطين وأما الذي يعلم الملكان فالتفريق بين المرء وزوجه كما قال الله تعالى وقال آخرون جائز أن تكون ما بمعنى الذي وجائز أن تكون ما بمعنى لم ذكر من قال ذلك حدثني يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال حدثني الليث بن سعد عن يحيى بن سعيد عن القاسم ابن محمد وسأله رجل عن قول الله يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت فقال الرجل يعلمان الناس ما أنزل عليهما أم يعلمان الناس ما لم ينزل عليهما قال القاسم ما أبالي أيتهما كانت حدثني يونس بن عبد الاعلى قال ثنا بشر بن عياض عن بعض أصحابه أن القاسم بن محمد سئل عن قول الله تعالى ذكره وما أنزل على الملكين فقيل له أنزل أو لم ينزل فقال لا أبالي أي ذلك كان اني آمنت به والصواب من القول في ذلك عندي قول من وجه ما التي في قوله وما أنزل على الملكين الى معنى الذي دون معنى ما التي هي بمعنى الجحد وانما اخترت ذلك من أجل أن ما ان وجهت الى معنى الجحد فتنفي عن الملكين أن يكونا منزلا اليهما ولم يخل الاسمان اللذان بعدهما أعني هاروت وماروت من أن يكونا بدلا منهما وترجمة عنهما أو بدلا من الناس في قوله يعلمون الناس السحر وترجمة عنهما فان جعلا بدلا من الملكين وترجمة عنهما بطل معنى قوله وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه لانهما اذا لم يكونا عالمين بما يفرق به بين المرء وزوجه فما الذي يتعلم منهما ما يفرق بين المرء وزوجه وبعد فان ما التي في قوله وما أنزل على الملكين ان كانت في معنى الجحد عطفا على قوله وما كفر سليمان فان الله جل ثناؤه نفى بقوله وما كفر سليمان عن سليمان أن يكون السحر من عمله أو من علمه أو تعليمه فان كان الذي نفى عن الملكين من ذلك نظير الذي نفى عن سليمان منه وهاروت وماروت هما الملكان فمن المتعلم منه اذا ما يفرق به بين المرء وزوجه وعمن الخبر الذي أخبر عنه بقوله وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر ان خطأ هذا القول لواضح بين وان كان قوله هاروت وماروت ترجمة عن الناس الذين في قوله ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر فقد وجب أن تكون الشياطين هي التي تعلم هاروت وماروت السحر وتكون السحرة انما تعلمت السحر من هاروت وماروت عن تعليم الشياطين اياهما فان يكن ذلك كذلك فلن يخلو هاروت وماروت عند قائل هذه المقالة من أحد أمرين اما أن يكونا ملكين فان كانا عنده ملكين فقد أوجب لهما من الكفر بالله والمعصية له بنسبته اياهما الى أنهما يتعلمان من الشياطين السحر ويعلمانه الناس واصرارهما على ذلك ومقامهما عليه أعظم مما ذكر عنهما أنهما أتياه من المعصية التي استحقا عليها العقاب وفي خبر الله عز وجل عنهما أنهما لا يعلمان أحدا ما يتعلم منهما حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر ما يغني عن الاكثار في الدلالة على خطا هذا القول أو أن يكونا رجلين من بني آدم فان يكن ذلك كذلك فقد كان يجب أن يكون بهلاكهما ارتفع السحر والعلم به والعمل من بني آدم لانه اذا كان علم ذلك من قبلهما يؤخذ ومنهما يتعلم فالواجب أن يكون بهلاكهما وعدم وجودهما عدم السبيل الى الوصول الى المعنى الذي كان لا يوصل اليه الا بهما وفي

ويروى أن سورة الاحزاب كانت بمنزلة السبع الطوال أوأزيد ثم وقع النقصان ولنرجع الى تفسير الآية (ماننسخ) محمول على نسخ الحكم وازالته دون التلاوة أوننسها على نسخ الحكم والتلاوة جميعا وانساؤها أن يذهب بحفظها عن القلوب وذلك بان تخرج من جملة ما يتلى ويقرأ في الصلاة أويحتج به فاذا زال حكم التعبد به وطال العهد نسي وان ذكر فعلى طريق ما يذكر خبر الواحد فتصير بهذا الوجه منسية من الصدور أو يكون ذلك معجزة له صلى الله عليه وسلم كما (٣٦٢) يروى انهم كانوا يقرؤن السورة فيصبحون وقد نسوها قال عز من قائل سنقرئك فلا تنسى الا ماشاء الله وانساخ الآية الامر بنسخها وهو أن يامر جبريل بان يجعلها منسوخة بالاعلام بنسخها ونسؤها تاخيرها واذهابها لاالى بدل وقيل ماننسخ من آية أي نبدلها امابان نبدل حكمها فقط أوتلاوتها فقط أونبدلهما أو ننسها نتركها كما كانت ولا نبدلها لان النسيان قد يجيء بمعنى الترك وقيل ماننسخ من آية مانرفعها بعد انزالها أوننسأها بالهمزة نؤخر انزالها من اللوح المحفوظ أونؤخر نسخها فلا ننسخها في الحال فانا ننزل بدلها ما يقوم مقامها في المصلحة ولا يخفى أن قوله نأت بخير منها أومثلها لا ينطبق على هذين القولين كما ينبغي ومعنى الآية عند جمهور المفسرين آية القرآن وعند أبي مسلم التوراة والانجيل كما مر وقد عرفت أنه يمكن حملها على معنى أعم فكل مجموع من الوجود في كل زمان من الازمنه آية من صحيفة المخلوقات وكل فرد من ذلك المجموع كلمة من كلمات الله قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي ومعنى نأت بخير منها أومثلها ان حملنا الآية على ما يتضمن حكما على المكلف أن الثاني أخف أوأصلح بالنسبة الى وقته كما أن الاول كان أصلح بالاضافة الى وقته فالثاني خير بالنسبة الى وقته ومثل الاول بالنسبة الى وقته أو يراد أن العمل بالثاني أكثر ثوابا من العمل بالاول أو مساوله فكل منهما قد تقتضيه الحكمة دون ما هو أقل ثوابا وان حملنا الآية على غير ذلك فيتعين الاصلح قال أهل الاشارة أراد بالنسخ نقل السالك وترقيه من حال الى حال أعلى منه وان غصن استكمالهم أبدا ناضر ونجم وصالهم دائما زاهر فلا ينسخ من آثار عباداتهم شيء الا أبدل منها أشياء من أنوار العبودية ولا ينسخ شيء من أنوار العبودية الا أقيم مكانها اشياء من أقمار الربوبية وأيضا انهم يشاهدون بعض الوقائع الشريفة في الصور اللطيفة كسبتها المتخيلة بحسب صفاء الوقت وعلو المقام

وجود السحر في كل زمان ووقت أبين الدلالة على فساد هذا القول وقد يزعم قائل ذلك أنهما رجلان من بني آدم لم يعدما من الارض منذ خلقت ولا يعدمان بعد ما وجد السحر في الناس فيدعي ما لا يخفى بطوله فاذا فسدت هذه الوجوه التي دللنا على فسادها فبين أن معنى ما التي في قوله وما أنزل على الملكين بمعنى الذي وأن هاروت وماروت مترجم بهما عن الملكين ولذلك فتحت أواخر أسمائهما لانهما في موضع خفض على الرد على الملكين ولكنهما لما كانا لا يجران فتحت أواخر أسمائهما فان التبس على ذي غباء ما قلنا فقال وكيف يجوز لملائكة الله أن تعلم الناس التفريق بين المرء وزوجه أم كيف يجوز أن يضاف الى الله تبارك وتعالى انزال ذلك على الملائكة قيل له ان الله جل ثناؤه عرّف عباده جميع ما أمرهم به وجميع ما نهاهم عنه ثم أمرهم ونهاهم بعد العلم منهم بما يؤمرون به وينهون عنه ولو كان الامر على غير ذلك لما كان للامر والنهي معنى مفهوم فالسحر مما قد نهى عباده من بني آدم عنه فغير منكر أن يكون جل ثناؤه علمه الملكين اللذين سماهما في تنزيله وجعلهما فتنة لعباده من بني آدم كما أخبر عنهما انهما يقولان لمن يتعلم ذلك منهما انما نحن فتنة فلا تكفر ليختبر بهما عباده الذين نهاهم عن التفريق بين المرء وزوجه وعن السحر فيمحص المؤمن بتركه التعلم منهما ويخزي الكافر بتعلمه السحر والكفر منهما ويكون الملكان في تعليمهما من علماه ذلك لله مطيعين اذ كانا عن اذن الله لهما بتعليم ذلك من علماه يعلمان وقد عبد من دون الله جماعة من أولياء الله فلم يكن ذلك لهم ضائرا اذ لم يكن ذلك بامرهم اياهم به بل عبد بعضهم والمعبود عنه ناه فكذلك الملكان غير ضائرهما سحر من سحر ممن تعلم ذلك منهما بعد نهيهما اياه عنه وعظتهما له بقولهما انما نحن فتنة فلا تكفر اذ كانا قد أديا ما أمرا به بقيلهما ذلك كما حدثنا محمد بن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد عن عوف عن الحسن في قوله وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت الى قوله فلا تكفر أخذ عليهما ذلك * ذكر بعض الاخبار التي في بيان الملكين ومن قال ان هاروت وماروت هما الملكان اللذان ذكر الله جل ثناؤه في قوله ببابل حدثنا محمد بن بشار قال ثنا معاذ بن هشام قال حدثني أبي عن قتادة قال ثنا أبو شعبة العدوي في جنازة يونس بن جبير أبي غلاب عن ابن عباس قال ان الله أفرج السماء لملائكته ينظرون الى أعمال بني آدم فلما أبصروهم يعملون الخطايا قالوا يارب هؤلاء بنو آدم الذي خلقته بيدك وأسجدت له ملائكتك وعلمته أسماء كل شيء يعملون بالخطايا قال أما انكم لو كنتم مكانهم لعملتم مثل أعمالهم قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا قال فامروا أن يختاروا من يهبط الى الارض قال فاختاروا هاروت وماروت فأهبطا الى الارض وأحل لهما ما فيها من شيء غير أن لا يشركا بالله شيأ ولا يسرقا ولا يزنيا ولا يشربا الخمر ولا يقتلا النفس التي حرم الله الا بالحق قال فما استمرا حتى عرض لهما امرأة قد قسم لها نصف الحسن يقال لها بيذخت فلما أبصراها أرادا بها زنا فقالت لا الا أن تشركا بالله وتشربا الخمر وتقتلا النفس وتسجدا لهذا الصنم فقالا ما كنا لنشرك بالله شيأ فقال أحدهما للآخر ارجع اليها فقالت لا الا أن تشربا الخمر فشربا حتى ثملا ودخل عليهما سائل فقتلاه فلما وقعا فيما وقعا فيه من الشر أفرج الله السماء لملائكته فقالوا سبحانك كنت أعلم قال فاوحى الله الى سليمان

ابن

فلما ارتقوا الى المقام آخر لا يشاهدون ذلك بتلك المشاهدة فيظن السالك الغر أنه حجب عن ذلك المقام أو الحال فقيل ما ننسخ من آية من آيات المقامات أو ننسها بان نمحوها من ادراك الخيال نأت بخير من تلك المشاهدة أو مثلها ثم الأئمة استنبطوا من الآية مسائل الاولى زعم قوم أنه لا يجوز نسخ الحكم لا الى بدل لقوله نأت بخير منها أو مثلها والجمهور على خلافه لان الآية لا تدل الا على وجوب الاتيان بآية أخرى أما على وجوب الاتيان بحكم آخر فلا سلمنا لكنه مخصوص بنسخ تقديم الصدقة بين يدي النجوى (٣٦٣) و بنسخ وجوب الامساك بعد الفطر من غير بدل سلمنا عدم تخصيصه لكن لم لا يجوز أن يكون ذلك البدل عدم الحكم الذي رفع بالنسخ ويكون نسخه بغير بدل وجودي خيرا للمكلف لمصلحة علمت * الثانية زعم قوم أن النسخ لا يجوز بالأثقل لان الأثقل لا يكون خيرا منه ولا مثله ورد الجمهور عليهم بان المراد كثرة الثواب وذلك لا ينافي كونه أثقل «أجرك على قدر نصبك» وأيضا قد وقع كنسخ التخيير بين الصوم والفدية بالصوم حتما وصوم عاشوراء برمضان والحبس في البيوت للزاني بالحد وأما النسخ الى الاخف فكنسخ العدة من الحول الى أربعة أشهر وعشر وكنسخ صلاة الليل الى التخيير فيها وأما نسخ الشئ الى المثل فكالتحويل من بيت المقدس الى الكعبة * الثالثة عن الشافعي أن الكتاب لا ينسخ بالسنة المتواترة لقوله نأت بخير منها وذلك يدل على أن المأتي به من جنسه كما اذا قال الانسان ما آخذ منك من ثوب آتك بخير منه يفيد أنه يأتيه بثوب من جنسه خير منه وجنس القرآن قرآن وأيضا نأت يدل على أن الآتي هو الله لا الرسول وأيضا المأتي به خير والسنة لا تكون خيرا من القرآن وأيضا قوله ألم تعلم أن الله على كل شئ قدير دل على أن الآتي بذلك الخير هو القادر على جميع الخيرات وعلى تصريف المكلف تحت مشيئته وارادته لا دافع لما أراد ولا مانع لما شاء وذلك هو الله تعالى وأجيب بان قوله نأت بخير منها ليس فيه ان ذلك الخير يجب أن يكون ناسخا بل لا يمتنع أن يكون ذلك الخير شيأ مغايرا للناسخ يحصل بعد حصول النسخ وذلك أن الاتيان بذلك الخير مرتب على نسخ الآية الاولى فلو كان نسخ تلك الآية مرتبا على الاتيان بذلك الخير لزم الدور قلت ويمكن دفع الدور بان يقال المراد ما أردنا نسخها من آية نأت بخير منها حتى ننسخها ثم احتج الجمهور على وقوع نسخ الكتاب بالسنة بان آية الوصية للاقربين منسوخة بقوله ألا لا وصية لوارث وبان آية الجلد صارت منسوخة بخبر الرجم أجاب الشافعي بان كون

ابن داود أن يخيرهما بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا فكبلا من أكعبهما الى أعناقهما بمثل أعناق البخت وجعلا ببابل حدثني المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا حجاج عن علي بن زيد عن أبي عثمان النهدي عن ابن مسعود وابن عباس انهما قالا لما كثر بنو آدم وعصوا دعت الملائكة عليهم والارض والسماء والجبال ربنا ألا تهلكهم فأوحى الله الى الملائكة اني لو أنزلت الشهوة والشيطان من قلوبكم ونزلتم لفعلتم أيضا قال فحدثوا أنفسهم أن لو ابتلوا اعتصموا فأوحى الله اليهم أن اختاروا ملكين من أفضلكم فاختاروا هاروت وماروت فاهبطا الى الارض وأنزلت الزهرة اليهما في صورة امرأة من أهل فارس وكان أهل فارس يسمونها بيذخت قال فوقعا بالخطيئة وكانت الملائكة يستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا فلما وقعا بالخطيئة استغفروا لمن في الأرض ألا ان الله هو الغفور الرحيم فخيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا حدثني المثنى قال حدثني الحجاج قال ثنا حماد عن خالد الحذاء عن عمرو بن سعيد قال سمعت عليا يقول كانت الزهرة امرأة جميلة من أهل فارس وانها خاصمت الى الملكين هاروت وماروت فراوداها عن نفسها فأبت الا أن يعلماها الكلام الذي اذا تكلم به يعرج به الى السماء فعلماها فتكلمت فعرجت الى السماء فمسخت كوكبا حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى قالا ثنا مؤمل بن اسمعيل وحدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق جميعا عن الثوري عن محمد بن عقبة عن سالم عن ابن عمر عن كعب قال ذكرت الملائكة أعمال بني آدم وما يأتون من الذنوب فقيل لهم اختاروا منكم اثنين وقال الحسن بن يحيى في حديثه اختاروا ملكين فاختاروا هاروت وماروت فقيل لهما اني أرسل الى بني آدم رسلا وليس بيني وبينكم رسول انزلا لا تشركا بي شيأ ولا تزنيا ولا تشربا الخمر قال كعب فوالله ما أمسيا من يومهما الذي أهبطا فيه الى الارض حتى استكملا جميع ما نهيا عنه وقال الحسن بن يحيى في حديثه فما استكملا يومهما الذي أنزلا فيه حتى عملا ما حرم الله عليهما حدثني المثنى قال ثنا معلى بن أسد قال ثنا عبد العزيز بن المختار عن موسى بن عقبة قال حدثني سالم أنه سمع عبد الله يحدث عن كعب الاحبار أنه حدث أن الملائكة أنكروا أعمال بني آدم وما يأتون في الارض من المعاصي فقال الله لهم انكم لو كنتم مكانهم أتيتم ما يأتون من الذنوب فاختاروا منكم ملكين فاختاروا هاروت وماروت فقال الله لهما اني أرسل رسلي الى الناس وليس بيني وبينكما رسول انزلا الى الارض ولا تشركا بي شيأ ولا تزنيا فقال كعب والذي نفس كعب بيده ما استكملا يومهما الذي نزلا فيه حتى أتيا ما حرم الله عليهما حدثني موسى ابن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي انه كان من أمر هاروت وماروت أنهما طعنا على أهل الارض في أحكامهم فقيل لهما اني أعطيت ابن آدم عشرا من الشهوات فبها يعصونني قال هاروت وماروت ربنا لو أعطيتنا تلك الشهوات ثم نزلنا لحكمنا بالعدل فقال لهما انزلا فقد أعطيتكما تلك الشهوات العشر فاحكما بين الناس فنزلا ببابل دنباوند فكانا يحكمان حتى اذا أمسيا عرجا فاذا أصبحا هبطا فلم يزالا كذلك حتى أتتهما امرأة تخاصم زوجها فأعجبهما حسنها

الميراث حقا للوارث يمنع من صرفه الى الوصية فثبت ان آية الميراث مانعة من الوصية ولعل الرجم انما ثبت بقوله تعالى الشيخ والشيخة الخ (له ملك السموات والارض) فهو يدبر الامور ويجريها على حسب المصالح وهو أعلم بما يتعبد المكلفين به من ناسخ ومنسوخ والخطاب في ألم تعلم اما للنبي صلى الله عليه وسلم فتدخل الامة تبعا أولكل من له أهلية الخطاب ومعنى الاستفهام فيه التقرير والاثبات لظهور آثار قدرته و وضوح آيات ملكه وسلطانه وقيل اشارة الى ما شاهد ليلة المعجزات بعين اليقين ثم علمها حق اليقين فترقى من رؤية الآيات الى كشف

الصفات ومن كشف الصفات الى عيان الذات ثم نسخت عن الخيال وأثبتت في العيان والولي ضد العدو وكل من ولي أمر واحد فهو وليه فعيل بمعنى فاعل وكذا النصير والواو في ومالكم يحتمل أن تكون للاعتراض فلا محل للجملة ويحتمل أن تكون للعطف على له ملك السموات فيدخل تحت الاستفهام و يكون قوله من دون الله من وضع الظاهر موضع الضمير ولا يوقف على والارض (أم تريدون) قيل الخطاب للمسلمين لقوله ومن يتبدل الكفر بالايمان وهذا لا يصح الا في حق المؤمنين ولان أم للعطف ولا معطوف ظاهرا فالتقدير وقولوا انظرنا واسمعوا فهل تفعلون هذا كما أمرتم أم تريدون (أن تسألوا رسولكم) ولانه سأل قوم من المسلمين أن يجعل صلى الله عليه وسلم لهم ذات أنواط كما كان للمشركين ذات أنواط وهي شجرة كانوا يعبدونها و يعلقون عليها المأكول والمشروب كما سألوا موسى أن يجعل لهم الها كما لهم آلهة وهذا قول الاصم والجبائي وابي مسلم وقيل انه خطاب لأهل مكة وهو قول ابن عباس ومجاهد ان عبد الله بن أمية المخزومي أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط من قريش فقال يا محمد ما أومن بك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا أو تكون لك جنة من نخيل وعنب أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك بعد ذلك حتى مع تنزل علينا كتابا من الله الى عبد الله بن أمية ان محمدا رسول الله فاتبعوه فقال له بقية الرهط فان لم تستطع ذلك فأتنا بكتاب من عند الله جملة واحدة فيه الحلال والحرام والحدود والفرائض كما جاء موسى الى قومه بالالواح من عند الله كما سأله السبعون وعن مجاهد ان قريشا سألت محمدا صلى الله عليه وسلم ان يجعل الله لهم الصفا ذهبا فقال نعم هو لكم كالمائدة لبني اسرائيل فأبوا ورجعوا وقيل المراد اليهود لان هذه السورة

واسمها بالعربية الزهرة و بالنبطية بيذخت واسمها بالفارسية أناهيذ فقال أحدهما لصاحبه انها لتعجبني فقال الآخر قد أردت أن أذكر لك فاستحييت منك فقال الآخر هل لك أن أذكرها لنفسها قال نعم ولكن كيف لنا بعذاب الله قال الآخر انا نرجو رحمة الله فلما جاءت تخاصم زوجها ذكرا اليها نفسها فقالت لا حتى تقضيا لي على زوجي فقضيا لها على زوجها ثم واعدتهما خربة من الخرب يأتيانها فيها فأتياها لذلك فلما أراد الذي يواقعها قالت ما أنا بالذي أفعل حتى تخبراني بأي كلام تصعدان الى السماء و بأي كلام تنزلان منها فأخبراها فتكلمت فصعدت فأنساها الله ما تنزل به فبقيت مكانها وجعلها الله كوكبا فكان عبد الله بن عمر كلما رآها لعنها وقال هذه التي فتنت هاروت وماروت فلما كان الليل أرادا أن يصعدا فلم يستطيعا فعرفا الهلك فخيرا بين عذاب الدنيا والآخرة فاختارا عذاب الدنيا من عذاب الآخرة فعلقا ببابل فجعلا يكلمان الناس كلامهما وهو السحر حدثني المثنى بن ابراهيم قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قال لما وقع الناس من بعد آدم فيما وقعوا فيه من المعاصي والكفر بالله قالت الملائكة في السماء أي رب هذا العالم انما خلقتهم لعبادتك وطاعتك وقد ركبوا الكفر وقتل النفس الحرام وأكل المال الحرام والسرقة والزنا وشرب الخمر فجعلوا يدعون عليهم ولا يعذرونهم فقيل لهم انهم في غيب فلم يعذروهم فقيل لهم اختاروا منكم ملكين آمرهما بأمري وأنهاهما عن معصيتي فاختاروا هاروت وماروت فاهبطا الى الارض وجعل بهما شهوات بني آدم وأمرا أن يعبدا الله ولا يشركا به شيأ ونهيا عن قتل النفس الحرام وأكل المال الحرام والسرقة والزنا وشرب الخمر فلبثا على ذلك في الارض زمانا يحكمان بين الناس بالحق وذلك في زمان ادريس وفي ذلك الزمان امرأة حسنها في سائر الناس كحسن الزهرة في سائر الكواكب وانها أتت عليهما فخضعا لها بالقول وأراداها على نفسها وانها أبت الا أن يكونا على أمرها ودينها وأنهما سألاها عن دينها التي هي عليه فأخرجت لهما صنما وقالت هذا أعبد فقالا لا حاجة لنا في عبادة هذا فذهبا فصبرا ما شاء الله ثم أتياها فخضعا لها بالقول وأراداها على نفسها فقالت لا الا أن تكونا على ما أنا عليه فقالا لا حاجة لنا في عبادة هذا فلما رأت أنهما أبيا أن يعبدا الصنم قالت لهما اختارا احدى الخلال الثلاث اما أن تعبدا الصنم أو تقتلا النفس أو تشربا الخمر فقالا كل هذا لا ينبغي وأهون الثلاثة شرب الخمر فسقتهما الخمر حتى اذا أخذت الخمر فيهما وقعا بها فمر بهما انسان وهما في ذلك فخشيا أن يفشي عليهما فقتلاه فلما أن ذهب عنهما السكر عرفا ما وقعا فيه من الخطيئة وأرادا أن يصعدا الى السماء فلم يستطيعا فحيل بينهما وبين ذلك وكشف الغطاء بينهما وبين أهل السماء فنظرت الملائكة الى ما وقعا فيه من الذنب فعجبوا كل العجب وعلموا أن من كان في غيب فهو أقل خشية فجعلوا بعد ذلك يستغفرون لمن في الارض وانهما لما وقعا فيما وقعا فيه من الخطيئة قيل لهما اختارا عذاب الدنيا أو عذاب الآخرة فقالا أما عذاب الدنيا فانه ينقطع وأما عذاب الآخرة فلا انقطاع له فاختارا عذاب الدنيا فجعلا ببابل فهما يعذبان حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا فرج بن فضالة عن معاوية بن صالح عن نافع قال سافرت

من أول قوله يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى حكاية عنهم ومحاجة معهم ولان الآية مدنية ولانه جرى ذكر اليهود وما جرى ذكر غيرهم ولان المؤمن بالرسول لا يكاد يسأل ما يتبدل كفرا بايمان وليس فى ظاهر الآية أنهم أتوا بالسؤال فضلا عن كيفية السؤال بل المرجع فيه الى الروايات المذكورة وههنا بحث وهو أن السؤال الذى ذكروه ان كان طلبا للمعجزات فمن أين أنه كفر ومعلوم أن طلب الدليل على النبى لا يكون كفرا وان كان ذلك طلبا لوجه الحكمة التفصيلية فى نسخ الاحكام فهذا أيضا لا يكون كفرا ان الملائكة طلبوا الحكمة التفصيلية فى خلق البشر ولم يكن ذلك كفرا والتكفير اما لانهم طلبوا منه صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم إلها كمالهم آلهة واما لانهم طلبوا المعجزات على وجه التعنت واللجاج قلت والأصوب فى الآية أن يكون أم تريدون معطوفا على ألم تعلم على أنه خطاب لكل مكلف فيكون فى معنى الجمع ثم أم اما أن تكون متصلة على معنى أى الامرين كائن فان العلم واقع بكون أحدهما لانه اما أن لا يعلم نفوذ علمه وقدرته وان الكل تحت قدرته وقهره وتسخيره واما أن يعلم فيسأل وجه الحكمة فى النسخ وغيره على سبيل العناد وكلا الامرين يوجب التكفير أما الاول فظاهر وأما الثانى فلان المعترف بحكمته البالغة وعنايته الشاملة ورأفته الكاملة وقدرته الظاهرة من حقه أن يقتصر على علمه الاجمالى ولا يتخطى مقام الادب فى البحث والتفتيش عن تفاصيل حكمته التى لا تكاد تنحصر و يوهم أن السائل فى شك مما أمر به أو نهى عنه وعلى هذا لا يوقف على نصير واما منقطعة على أنه أضرب عن الاستفهام الاول واستأنف استفهاما ثانيا و يحتمل أن لا يكون قوله ومن يتبدل الكفر بالايمان حكما بتكفيرهم بسبب السؤال بل يكون تنبيها للمكلفين على أن السؤال عما لا يهمهم مما قد يجر الى الغواية لكثرة عروض الشكوك والشبهات حتى يقفوا على الاعتقاد الحق والتقليد الصرف فيما لا سبيل الى درك تفاصيله أو لا يهم معرفتها وسواء السبيل وسطه وهو الصراط المستقيم الذى مر تفسيره (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بأمره ان الله على كل شئ قدير وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله ان الله بما تعملون بصير وقالوا لن يدخل

مع ابن عمر فلما كان من آخر الليل قال يا نافع انظر طلعت الحمراء قال هامرتين أو ثلاثا ثم قلت قد طلعت قال لا مرحبا ولا أهلا قلت سبحان الله نجم مسخر سامع مطيع قال ما قلت لك الا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الملائكة قالت يا رب كيف صبرك على بنى آدم فى الخطايا والذنوب قال انى ابتليتهم وعافيتكم قالوا لو كنا مكانهم ما عصيناك قال فاختاروا ملكين منكم قال فلم يألوا أن يختاروا فاختاروا هاروت وماروت حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وأما شأن هاروت وماروت فان الملائكة عجبت من ظلم بنى آدم وقد جاءتهم الرسل والكتب والبينات فقال لهم ربهم اختاروا منكم ملكين أنزلهما يحكمان فى الارض بين بنى آدم فاختاروا هاروت وماروت فقال لهما حين أنزلهما عجبتما من بنى آدم ومن ظلمهم ومعصيتهم وانما تأتيهم الرسل والكتب من وراء وراء وأنتما ليس بينى و بينكما رسول فافعلا كذا وكذا ودعا كذا وكذا فأمرهما بأمر ونهاهما ثم نزلا على ذلك ليس أحد لله أطوع منهما فحكما فعدلا فكانا يحكمان النهار بين بنى آدم فاذا أمسيا عرجا وكانا مع الملائكة و ينزلان حين يصبحان فيحكمان فيعدلان حتى أنزلت عليهما الزهرة فى أحسن صورة امرأة تخاصم فقضيا عليها فلما قامت وجد كل واحد منهما ما فى نفسه فقال أحدهما لصاحبه وجدت مثل ما وجدت قال نعم فبعثا اليها ان ائتينا نقض لك فلما رجعت قالا لها وقضيا لها ائتينا فأتتهما فكشفا لها عن عورتهما وانما كانت شهوتهما فى أنفسهما ولم يكونا كبنى آدم فى شهوة النساء ولذتها فلما بلغا ذلك واستحلاه وافتتنا طارت الزهرة فرجعت حيث كانت فلما أمسيا عرجا فردا ولم يؤذن لهما ولم تحملهما أجنحتهما فاستغاثا برجل من بنى آدم فأتياه فقالا ادع لنا ربك فقال كيف يشفع أهل الارض لاهل السماء قالا سمعنا ربك يذكرك بخير فى السماء فوعدهما يوما وغدا يدعو لهما فدعا لهما فاستجيب له فخيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فنظر أحدهما لصاحبه فقالا نعلم (١) أن أنواع عذاب الله فى الآخرة كذا وكذا فى الخلد ومع الدنيا سبع مرات مثلها فامرا أن ينزلا ببابل فثم عذابهما و زعم انهما معلقان فى الحديد مطويان يصفقان بأجنحتهما (قال أبو جعفر) وحكى عن بعض القراء أنه كان يقرأ وما أنزل على الملكين يعنى به رجلين من بنى آدم وقد دللنا على خطأ القراءة بذلك من جهة الاستدلال فأما من جهة النقل فاجماع الحجة على خطأ القراءة بها من الصحابة والتابعين وقراء الامصار وكفى بذلك شاهدا على خطئها وأما قوله ببابل فانه اسم قرية أو موضع من مواضع الارض وقد اختلف أهل التأويل فيها فقال بعضهم انها بابل دنباوند حدثنى بذلك موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى وقال بعضهم بل ذلك بابل العراق ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثنى حجاج عن ابن أبى الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة فى قصة ذكرتها عن امرأة قدمت المدينة فذكرت أنها صارت فى العراق ببابل فأتت بها هاروت وماروت فتعلمت منهما السحر واختلف فى معنى السحر

(١) قوله أن أنواع عذاب الله الخ هكذا فى الاصل ولعل فى العبارة تحريفا ونقصا فحرر كتبه مصححه

الجنة الا من كان هودا أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) القرا آت قد سلفت * الوقوف كفارا ج لان حسدا مصدر محذوف أى يحسدون حسدا أو حال أو مفعول (٣٦٦) له وهو أوجه والوصل أجوز الحق ج لعطف الجملتين المختلفتين بأمره ط قدير ٥ الزكاة ط لان ما للشرط والشرط مصدر عند الله ط بصير ٥ أو نصارى ط أمانيهم ط صادقين ٥ عند ربه ص لعطف الجملتين المتفقتين يحزنون ٥ النصارى على شئ ص لا لعطف الجملتين المتفقتين على شئ ص لان الواو للحال الكتاب ط مثل قولهم ج لان فالله مبتدأ مع فاء التعقيب يختلفون ٥ * التفسير هذا نوع آخر من مكايد اليهود روى أن فنحاص بن عازوراء وزيد بن قيس ونفرا من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة أحد ألم تروا ما أصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا الى ديننا فهو خير لكم وأفضل ونحن أهدى منكم سبيلا فقال عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فانى قد عاهدت أن لا أكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ما عشت فقالت اليهود أما هذا فقد صبأ وقال حذيفة وأما أنا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد نبيا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين اخوانا ثم أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبراه فقال أصبتما خيرا وأفلحتما فنزلت وكفارا نصب على الحال أو مفعول ثان ليردون على انه بمعنى صيروا والحسد من أقبح الخصال الذميمة قال صلى الله عليه وسلم الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقال ان لنعم الله أعداء قيل وما أولئك قال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وقال ستة يدخلون النار قبل الحساب الامراء بالجور والعرب بالعصبية والدهاقين بالتكبر والتجار بالخيانة وأهل الرستاق بالجهالة والعلماء بالحسد وروى أن موسى لما ذهب الى ربه رأى فى ظل العرش رجلا يغتبط بمكانه فقال ان هذا الكريم على ربه فسأل ربه أن يخبره باسمه فلم يخبره باسمه وقال أحدثك من عمله ثلاثا كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله وكان لا يعق والديه ولا يمشى بالنميمة

فقال بعضهم هو خدع ومخاريق ومعان يفعلها الساحر حتى يخيل الى المسحور الشئ أنه بخلاف ما هو به نظير الذى يرى السراب من بعيد فيخيل اليه انه ماء ويرى الشئ من بعيد فيثبته بخلاف ما هو على حقيقته وكراكب السفينة السائرة سيرا حثيثا يخيل اليه أن ما عاين من الاشجار والجبال سائر معه قالوا فكذلك المسحور ذلك صفته يحسب بعد الذى وصل اليه من سحر الساحر أن الذى يراه أو يفعله بخلاف الذى هو به على حقيقته كالذى حدثنى أحمد بن الوليد وسفيان بن وكيع قالا ثنا يحيى بن سعيد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم لما سحر كان يخيل اليه أنه يفعل الشئ ولم يفعله حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم يهودى من يهود بنى زريق يقال له لبيد بن الاعصم حتى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخيل اليه أنه يفعل الشئ وما يفعله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى يونس عن ابن شهاب قال كان عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب يحدثان أن يهود بنى زريق عقدوا عقد سحر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوها (١) فى بئر حزم حتى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينكر بصره ودله الله على ما صنعوا فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بئر حزم التى فيها العقد فانتزعها فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سحرتنى يهود بنى زريق وأنكر قائلو هذه المقالة أن يكون الساحر يقدر بسحره على قلب شئ عن حقيقته واستسخار شئ من خلق الله الا نظير الذى يقدر عليه من ذلك سائر بنى آدم أو انشاء شئ من الاجسام سوى المخاريق والخدع المتخيلة لابصار الناظرين بخلاف حقائقها التى وصفنا وقالوا لو كان فى وسع السحرة انشاء الاجسام وقلب حقائق الاعيان عما هى به من الهيئات لم يكن بين الحق والباطل فصل ولجاز أن تكون جميع المحسوسات مما سحرته السحرة فقلبت أعيانها قالوا وفى وصف الله جل وعز سحرة فرعون بقوله فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى وفى خبر عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان اذ سحر يخيل اليه أنه يفعل الشئ ولا يفعله أوضح الدلالة على بطول دعوى المدعين أن الساحر ينشئ أعيان الاشياء بسحره ويستسخر ما يتعذر استسخاره على غيره من بنى آدم كالموات والجماد والحيوان وصحة ما قلنا وقال آخرون قد يقدر الساحر بسحره أن يحول الانسان حمارا وأن يسحر الانسان والحمار وينشئ أعيانا وأجساما واعتلوا فى ذلك بما حدثنا به الربيع بن سليمان قال ثنا ابن وهب قال أخبرنا ابن أبى الزناد قال حدثنى هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم أنها قالت قدمت على امرأة من أهل دومة الجندل جاءت تبتغى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موته حداثة ذلك تسأله عن شئ دخلت فيه من أمر السحر ولم تعمل به قالت عائشة لعروة يا ابن أختى فرأيتها تبكى حين لم تجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيشفيها كانت تبكى حتى انى لارحمها وتقول انى لاخاف أن أكون قد هلكت كان لى زوج فغاب عنى فدخلت على عجوز فشكوت ذلك اليها فقالت ان فعلت

(١) قوله فى بئر حزم هكذا بالاصل ولعله محرف عن بئر خم بخاء مضمومة وميم مشددة وهى بئر مشهورة بالجحفة والثابت فى الحديث أنها بئر ذروان فحرر كتبه مصححه

ويحكى أن عبدالله بن عون دخل على الفضل بن المهلب وكان يومئذ على واسط فقال انى أريد أن أعظك بشئ اياك والكبر فانه أول ذنب عصى الله به ابليس ثم قرأ فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر واياك والحرص فانه أخرج آدم من الجنة أمكنه الله من جنة عرضها السموات والارض فأكل منها فأخرجه الله ثم تلا اهبطا منها واياك والحسد فانه قتل ابن آدم أخاه حين حسده ثم قرأ واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق وقال ابن الزبير ما حسدت أحدا على شئ من أمر الدنيا لانه ان كان من أهل الجنة فكيف أحسده على الدنيا وهى حقيرة فى الجنة وان كان من أهل النار فكيف أحسده على أمر الدنيا وهو يصير الى النار واعلم أنه اذا أنعم الله على أخيك بنعمة فان أردت زوالها فهذا هو الحسد المحرم الذى ذم الله تعالى صاحبه فى هذه الآية وغيرها أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ان تمسسكم حسنة تسؤهم ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا وان اشتهيت لنفسك مثلها فهذا هو الغبطة والمنافسة المشتقة من النفاسة وليست بحرام لقوله تعالى وفى ذلك فليتنافس المتنافسون سابقوا الى مغفرة من ربكم وقال صلى الله عليه وسلم لا حسد الا فى اثنتين رجل آتاه الله مالا وأنفقه فى سبيل الله ورجل آتاه الله علما فهو يعمل به ويعلم الناس وهذا يدل على أن الحسد قد يطلق على المنافسة وقد تكون واجبة اذا كانت النعمة دينية واجبة كالايمان والصلاة والزكاة وقد تكون مندوبة فى نحو الانفاق فى سبيل الله وتشهى العلم والتعليم وقد تكون مباحة وللحسد مراتب أربع الاولى أن يحب زوال النعمة عنه وان لم تحصل له وهذه أخبث الثانية أن يحب زوالها عنه اليه كرغبته فى داره الحسنة أو امرأته أو ولايته فالمطلوب بالذات حصولها له فأما زوالها عن غيره فمطلوب بالعرض الثالثة أن لا يشتهى زوالها بل يشتهى لنفسه مثلها فان عجز عن مثلها أحب زوالها كيلا يظهر التفاوت بينهما الرابعة أن يشتهى لنفسه مثلها فان لم يحصل فلا يحب زوالها عنه وهذا الاخير هو المعفو عنه ان كان فى الدنيا والمندوب اليه ان كان فى الدين والثالثة منها مذموم وغير مذموم والثانية أخف والاولى أخبث قال تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض تمنيه لمثل ذلك غير مذموم وتمنيه لعين ذلك مذموم وأسباب الحسد سبعة أولها العداوة والبغضاء فان من آذاه انسان أبغضه قلبه وغضب عليه وتولد منه

ما آمرك به فأجعله يأتيك فلما كان الليل جاءتنى بكلبين أسودين فركبت أحدهما وركبت الآخر فلم يكن كشئ حتى وقفنا ببابل فاذا برجلين معلقين بأرجلهما فقالا ما جاء بك فقلت أتعلم السحر فقالا انما نحن فتنة فلا تكفرى وارجعى فأبيت وقلت لا فقالا اذهبى الى ذلك التنور فبولى فيه فذهبت ففزعت فلم أفعل فرجعت اليهما فقالا أفعلت قلت نعم فقالا فهل رأيت شيأ قلت لم أر شيأ فقالا لى لم تفعلى ارجعى الى بلادك ولا تكفرى فأبيت فقالا اذهبى الى ذلك التنور فبولى فيه فذهبت فاقشعررت وخفت ثم رجعت اليهما فقلت قد فعلت فقالا فما رأيت فقلت لم أر شيأ فقالا كذبت لم تفعلى ارجعى الى بلادك ولا تكفرى فانك على رأس أمرك فأبيت فقالا اذهبى الى ذلك التنور فبولى فيه فذهبت اليه فبلت فيه فرأيت فارسا متقنعا بحديد خرج منى حتى ذهب فى السماء وغاب عنى حتى ما أراه فجئتهما فقلت قد فعلت فقالا ما رأيت فقلت فارسا متقنعا خرج منى فذهب فى السماء حتى ما أراه فقالا صدقت ذلك ايمانك خرج منك اذهبى فقلت للمرأة والله ما أعلم شيأ وما قالا لى شيأ فقالت بلى لن تريدى شيأ الا كان خذى هذا القمح فابذرى فبذرت فقلت أطلعى فأطلعت وقلت أحقلى فأحقلت ثم قلت أفركى فأفركت ثم قلت أيبسى فأيبست ثم قلت أطحنى فاطحنت ثم قلت أخبزى فاخبزت فلما رأيت أنى لا أريد شيأ الا كان سقط فى يدى وندمت والله يا أم المؤمنين والله ما فعلت شيأ قط ولا أفعله أبدا قال أهل هذه المقالة بما وصفنا واعتلوا بما ذكرنا وقالوا لولا أن لساحر يقدر على فعل ما ادّعى أنه يقدر على فعله ما قدر أن يفرق بين المرء وزوجه قالوا وقد أخبر الله تعالى ذكره عنهم انهم يتعلمون من الملكين ما يفرقون به بين المرء وزوجه وذلك لو كان على غير الحقيقة وكان على وجه التخييل والحسبان لم يكن تفريقا على صحة وقد أخبر الله تعالى ذكره عنهم انهم يفرقون على صحة وقال آخرون بل السحر أخذ بالعين ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر) وتأويل ذلك وما يعلم الملكان أحدا من الناس الذى أنزل عليهما من التفريق بين المرء وزوجه حتى يقولا له انما نحن بلاء وفتنة لبنى آدم فلا تكفر بربك كما حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال اذا أتاهما يعنى هاروت وماروت انسان يريد السحر وعظاه وقالا له لا تكفر انما نحن فتنة فان أبى قالا له ائت هذا الرماد فبل عليه فاذا بال عليه خرج منه نور يسطع حتى يدخل السماء وذلك الايمان وقيل شئ أسود كهيئة الدخان حتى يدخل فى مسامعه وكل شئ منه فذلك غضب الله فاذا أخبرهما بذلك علماه السحر فذلك قول الله وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر الآية حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد عن سعيد عن قتادة والحسن حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر قال أخذ عليهما أن لا يعلما أحدا حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال قال قتادة كانا يعلمان الناس السحر فأخذ عليهما أن لا يعلما أحدا حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان

الحقد المقتضي للتشفي والانتقام فان عجز المبغض عن أن يتشفى منه بنفسه أحب أن يتشفى منه الزمان كما قال عز من قائل ان تمسسكم حسنة
تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وربما أفضى هذا الحسد الى التنازع والتقاتل وثانيها التعزز فان واحدا من أمثاله اذا نال منصبا عاليا
فترفع عليه وهو لا يمكنه تحمل ذلك أراد زوال ذلك المنصب عنه وليس من غرضه أن يتكبر بل غرضه أن يدفع كبره فانه قد رضي بمساواته وثالثها
أن يكون في طبعه أن يستخدم غيره فيريد زوال النعمة من ذلك الغير ليقدر على ذلك الغرض وقالوا لولا نزل هذا القرآن على
رجل من القريتين عظيم أهؤلاء
منّ الله عليهم من بيننا كالاستحقار
لهم والانفة منهم ورابعها التعجب
أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم
على رجل منكم وخامسها الخوف
من فوت المقاصد وذلك يتحقق
من المتزاحمين على مقصود واحد
كتحاسد الضرائر في التزاحم على
مقاصد الزوجية وتحاسد الاخوة في
التزاحم على نيل المنزلة عند الابوين
وتحاسد الوعاظ المتزاحمين على أهل
بلدة وسادسها حب الرياسة كمن
يريد أن يكون عديم النظير في فن
من الفنون فانه لو سمع بنظير له في
أقصى العالم ساءه ذلك وأحب موته
فان الكمال محبوب لذاته وضد
المحبوب مكروه ومن جملة أنواع
الكمال التفرد بالكمال لكن هذا
يمتنع حصوله الا لله تعالى ومن
طمع في المحال خاب وخسر وسابعها
شح النفس بالخير على عباد الله فانك
تجد من لا يشتغل برياسة ولا تكبر
ولا طلب مال اذا وصف عنده
حسن حال عبد من عباد الله شق
عليه ذلك واذا وصف اضطراب
أمور الناس وادبارهم فرح به فهو
أبدا يحب الادبار لغيره ويبخل بنعمة
الله على عباده كأنهم يأخذون ذلك
من ملكه وخزائنه وهذا ليس له
سبب ظاهر سوى خبث النفس كما
قيل البخيل من بخل بمال غيره
وقد يجتمع بعض هذه الاسباب فيعظم الحسد ويتقوى بحسبه وقلما يقع التحاسد الا في الامور الدنيوية لان ويعرض
الدنيا لا تفي بالمتزاحمين وأما الآخرة فلا ضيق فيها فلهذا لا يكون تحاسد بين أرباب الدين وأصحاب اليقين وانما يكونون بلقاء اخوانهم مستأنسين
وببقاء أقرانهم فرحين ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين وأما علاج الحسد فأمران العلم والعمل أما العلم ففيه مقام
اجمالي وهو أن يعلم أن الكل بقضاء الله وقدره وان ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن لا يرده كراهية كاره ولا يجره ارادة مريد وتفه

عن معمر قال قال غير قتادة أخذ عليهما أن لا يعلما أحدا حتى يتقدما اليه فيقولا انما نحن فتنة فلا تكفر حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد عن عوف عن الحسن قال أخذ عليهما أن يقولا ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج قال أخذ الميثاق عليهما أن لا يعلما أحدا حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر لا يجترئ على السحر الا كافر وأما الفتنة في هذا الموضع فان معناها الاختبار والابتلاء من ذلك قول الشاعر

وقد فتن الناس في دينهم * وخلى ابن عفان شرا طويلا

ومنه قوله فتنت الذهب في النار اذا امتحنتها لتعرف جودتها من رداءتها أفتنها فتنة وفتونا كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة انما نحن فتنة أي بلاء ۞ القول في تأويل قوله تعالى (فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه) قال أبو جعفر وقوله جل ثناؤه فيتعلمون منهما خبر مبتدأ عن المتعلمين من الملكين ما أنزل عليهما وليس بجواب لقوله وما يعلمان من أحد بل هو خبر مستأنف ولذلك رفع فقيل فيتعلمون فمعنى الكلام اذا وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة فيأبون قبول ذلك منهما فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وقد قيل ان قوله فيتعلمون خبر عن اليهود معطوف على قوله ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وجعلوا ذلك من المؤخر الذي معناه التقديم والذي قلنا أشبه بتأويل الآية لان الحاق ذلك بالذي يليه من الكلام ما كان للتأويل وجه صحيح أولى من الحاقه بما قد حيل بينه وبينه من معترض الكلام والهاء والميم والالف من قوله منهما من ذكر الملكين ومعنى ذلك فيتعلم الناس من الملكين الذي يفرقون به بين المرء وزوجه وما التي مع يفرقون بمعنى الذي وقيل معنى ذلك السحر الذي يفرقون به وقيل هو معنى غير السحر وقد ذكرنا اختلافهم في ذلك فيما مضى قبل وأما المرء فانه بمعنى رجل من أسماء بني آدم والانثى منه المرأة يوحد ويثنى ولا يجمع ثلاثيه على صورته يقال منه هذا امرؤ صالح وهذان امرآن صالحان ولا يقال هؤلاء امرؤ صدق ولكن يقال هؤلاء رجال صدق وقوم صدق وكذلك المرأة توحد وتثنى ولا تجمع على صورتها يقال هذه امرأة وهاتان امرأتان ولا يقال هؤلاء امرآت ولكن هؤلاء نسوة وأما الزوج فان أهل الحجاز يقولون لامرأة الرجل هي زوجه بمنزلة الزوج الذكر ومن ذلك قول الله تعالى ذكره أمسك عليك زوجك وتميم وكثير من قيس وأهل نجد يقولون هي زوجته كما قال الشاعر

وان الذي يسعى يحرش زوجتي * كماش الى أسد الشرى يستبيلها

فان قال قائل وكيف يفرق الساحر بين المرء وزوجه قيل قد دللنا فيما مضى على أن معنى السحر تخييل الشيء الى المرء بخلاف ما هو به في عينه وحقيقته بما فيه الكفاية لمن وفق لفهمه فان كان ذلك صحيحا بالذي استشهدنا عليه فتفريقه بين المرء وزوجه تخييله بسحره الى كل واحد منهما شخص الآخر على خلاف ما هو به في حقيقته من حسن وجمال حتى يقبحه عنده فينصرف بوجهه

ويعرض عنه حتى يحدث الزوج لامرأته فراقا فيكون الساحر مفرقا بينهما باحداثه السبب الذي كان منه فرقة ما بينهما وقد دللنا في غير موضع من كتابنا هذا على أن العرب تضيف الشيء الى مسببه من أجل تسببه وان لم يكن باشر فعل ما حدث عن السبب بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع فكذلك تفريق الساحر بسحره بين المرء وزوجه وبنحو الذي قلنا في ذلك قاله عدد من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وتفريقهما أن يؤخذ كل واحد منهما عن صاحبه ويبغض كل واحد منهما الى صاحبه وأما الذين أبوا أن يكون الملكان يعلمان الناس التفريق بين المرء وزوجه فانهم وجهوا تأويل قوله فيتعلمون منهما الى فيتعلمون مكان ما علماهم ما يفرقون به بين المرء وزوجه كقول القائل ليت لنا كذا من كذا أي مكان كذا كما قال الشاعر

جمعت من الخيرات وطبا وعلبة * وصرا لاخلاف المذممة البزل
ومن كل أخلاق الكرام نميمة * وسعيا على الجار المجاور بالمحل

يريد بقوله جمعت من الخيرات مكان خيرات الدنيا هذه الاخلاق الرديئة والافعال الدنيئة ومنه قول الآخر

صلدت صفاتك أن تلين حيودها * وورثت من سلف الكرام عقوقا

يعني ورثت مكان سلف الكرام عقوقا من والديك ﴿ القول في تأويل قوله عز وجل (وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله) يعني بقوله جل ثناؤه وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله وما المتعلمون من الملكين هاروت وماروت ما يفرقون به بين المرء وزوجه بضارين بالذي تعلموه منهما من المعنى الذي يفرقون به بين المرء وزوجه من أحد من الناس الا من قد قضى الله عليه أن ذلك يضره فأما من دفع الله عنه ضره وحفظه من مكروه السحر والنفث والرقى فان ذلك غير ضاره ولا نائله أذاه وللاذن في كلام العرب أوجه منها الامر على غير وجه الالزام وغير جائز أن يكون منه قوله وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله لأن الله جل ثناؤه قد حرم التفريق بين المرء وحليلته بغير سحر فكيف به على وجه السحر على لسان الامة ومنها التخلية بين المأذون له والمخلى بينه وبينه ومنها العلم بالشيء يقال منه قد أذنت بهذا الامر اذا علمت به آذن به أذنا ومنه قول الحطيئة

ألا ياهند ان جددت وصلا * والا فأذنيني بانصرام

يعني فأعلميني ومنه قوله جل ثناؤه فأذنوا بحرب من الله وهذا هو معنى الآية كأنه قال جل ثناؤه وما هم بضارين بالذي تعلموا من الملكين من أحد الا بعلم الله يعني بالذي سبق له في علم الله أنه يضره كما حدثني المثنى بن ابراهيم قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن سفيان في قوله وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله قال بقضاء الله ﴿ القول في تأويل قوله (ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم) يعني بذلك جل ثناؤه ويتعلمون أي الناس الذين يتعلمون من الملكين ما أنزل عليهما من المعنى الذي يفرقون به بين المرء وزوجه يتعلمون منهما السحر الذي يضرهم في دينهم ولا ينفعهم

وهو العلم بان الحسد قذى في عين الايمان حيث كره حكم الله وقسمته في عباده وغش للاخوان وعذاب أليم وحزن مقيم ومورث للوسواس ومكدر للحواس ولا ضرر على المحسود في دنياه لان النعمة لا تزول عنه بحسدك ولا في دينه بل ينتفع به لانه مظلوم من جهتك فيثيبه الله على ذلك وقد ينتفع في دنياه أيضا من جهة انك عدوه ولا تزال تزيد غمومك وأحزانك الى أن يفضي بك الى الدنف والتلف

اصبر على مضض الحسود * فان صبرك قاتله
النار تأكل نفسها * ان لم تجد ما تأكله

وقد يستدل بحسد الحاسد على كونه مخصوصا من الله تعالى بمزيد الفضائل

لا مات أعداؤك بل خلدوا
حتى يروا منك الذي يكمد
لا زلت محسودا على نعمة
فانما الكامل من يحسد

والحاسد مذموم بين الخلق ملعون عند الخالق مشكور عند ابليس وأصدقائه مدحور عند الخالق وأوليائه فهل هو الا كمن رمى حجرا الى عدو ليصيب به مقتله فلا يصيبه بل يرجع على حدقته اليمنى فيقلعها فيزداد غضبه فيعود ثانيا فيرميه أشد من الاول فيرجع على عينه الأخرى فيعميه فيزداد غيظه فيعود ثالثا فيرجع على رأسه فيشدخه وعدوه سالم في كل الاحوال وقد عاد عليه الوبال وأعداؤه حواليه يفرحون ويضحكون هذا في الدنيا ولعذاب الآخرة أشد وأبقى وأما العمل فهو أن يأتي بالافعال المضادة لمقتضيات الحسد فان بعثه الحسد على القدح فيه كاف لسانه المدح له وان حمله على التكبر عليه كاف نفسه التواضع له وان حمله على قطع أسباب الخير سعى في ايصال الخير اليه حتى يصير المحسود محبوبا محباله فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وذلك التكلف يصير بالآخرة طبعا والله الموفق واعلم ان النفرة القائمة بقلب الحاسد من المحسود أمر غير داخل في وسعه فكيف يعاقب عليه

وانما الداخل تحت التكليف رضاه بتلك النفرة ثم اظهار آثارها من القدح فيه والقصد الى ازالة النعمة عنه وجر أسباب المحنة اليه ثم ان اليهود كانوا يريدون رجوع المؤمنين عن الايمان من بعد ما تبين لهم أن الايمان صواب وحق فالقوا اليهم ضربين من الشبهة لعلمهم ان المحق لا يعدل عن الحق الا بالشبهة أحدهما ما يتصل بالدنيا وهو قولهم لهم قد علمتم ما نزل بكم من اخراجكم من دياركم وذهاب أموالكم واستمرار الخوف عليكم فاتركوا ايمانكم الذي ساقكم الى هذه الثاني في باب الدين بالقدح في المعجزات وتحريف التوراة

في معادهم فأما في العاجل في الدنيا فانهم قد كانوا يكسبون به ويصيبون به معاشا ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق) يعني بقوله جل ثناؤه ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق الفريق الذين لما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كانهم لا يعلمون واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان فقال جل ثناؤه لقد علم النابذون من يهود بني اسرائيل كتابي وراء ظهورهم تجاهلا منهم التاركون العمل بما فيه من اتباعك يا محمد واتباع ما جئت به بعد انزالي اليك كتابي مصدقا لما معهم وبعد ارسالك اليهم بالاقرار بما معهم وما في أيديهم المؤثرون عليه اتباع السحر الذي تلته الشياطين على عهد سليمان والذي أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت لمن اشترى السحر بكتابي الذي أنزلته على رسولي فآثره عليه ماله في الآخرة من خلاق كما حدثنا بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد بن زريع قال حدثنا سعيد عن قتادة ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق يقول قد علم ذلك أهل الكتاب في عهد الله اليهم أن الساحر لا خلاق له عند الله يوم القيامة حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق يعني اليهود يقول لقد علمت اليهود أن من تعلمه أو اختاره ماله في الآخرة من خلاق وحدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق لمن اشترى ما يفرق به بين المرء وزوجه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق قال قد علمت يهود أن في كتاب الله في التوراة أن من اشترى السحر وترك دين الله ماله في الآخرة من خلاق فالنار مثواه ومأواه وأما قوله لمن اشتراه فان من في موضع رفع وليس قوله ولقد علموا بعامل فيها لان قوله علموا بمعنى اليمين فلذلك كانت في موضع رفع لان الكلام بمعنى والله لمن اشترى السحر ماله في الآخرة من خلاق ولكون قوله قد علموا بمعنى اليمين حققت بلام اليمين فقيل لمن اشتراه كما يقال أقسم لمن قام خير من قعد وكما يقال قد علمت لعمرو خير من أبيك وأما من فهو حرف جزاء وانما قيل اشتراه ولم يقل يشتره لدخول لام القسم على من ومن شأن العرب اذا أحدثت على حرف الجزاء لام القسم أن لا ينطقوا في الفعل معه الا بفعل دون يفعل الا قليلا كراهية أن يحدثوا على الجزاء حادثا وهو مجزوم كما قال الله جل ثناؤه لئن أخرجوا لا يخرجون معهم وقد يجوز اظهار فعله بعده على يفعل مجزوما كما قال الشاعر

لئن تك قد ضاقت عليكم بيوتكم * ليعلم ربي أن بيتي واسع

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله ماله في الآخرة من خلاق فقال بعضهم الخلاق في هذا الموضع النصيب ذكر من قال ذلك حدثني المثنى بن ابراهيم قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ماله في الآخرة من خلاق يقول من نصيب حدثني موسى بن هرون قال

قوله من عند أنفسهم اما أن يتعلق بود أي تمنوا ذلك من قبل شهوتهم لا من قبل التدين والميل مع الحق لأنهم ودوا ذلك من بعد ما تبين لهم أنكم على الحق واما أن يتعلق بحسد أي منبعثا من أصل نفوسهم (فاعفوا واصفحوا) فاسلكوا معهم سبيل العفو والصفح بترك المقابلة والاعراض عن الجواب لان ذلك أقرب الى تسكين النائرة لا دائما بل (حتى يأتي الله بامره) عن الحسن انه المجازاة يوم القيامة وقيل قوة الاسلام وكثرة المسلمين والاكثرون على انه الامر بالقتال فعنده يتعين اما الاسلام واما قبول الجزية وتحمل الذل والصغار والآية منسوخة لان الآية التي علق بها غير معلومة شرعا فليس كقوله ثم أتموا الصيام الى الليل بل يحل محل قوله فاعفوا واصفحوا الى ان أنسخه عنكم عن الباقر عليه السلام انه لم يؤمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتال حتى نزل جبريل بقوله أذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وقلده سيفا فكان أول قتال قتال أصحاب عبد الله بن جحش ببطن نخل وبعده غزوة بدر فان قيل كيف يعفون ويصفحون والكفار حينئذ أصحاب قوة وشوكة والصفح لا يكون الا عن قدرة قلنا ان الرجل من المسلمين كان ينال الاذى فيقدر على بعض التشفي والاستعانة بسائر أصحابه فامروا أن لا يهيجوا قتالا وفتنة وأيضا القليل منهم كان يقاوم الكثير من المشركين ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وأيضا جعل الصابر الى القوة قويا ليظهره على الدين كله وقيل المراد بالعفو والصفح حسن الاستدعاء واستعمال ما يلزم فيهم من النصح والاشفاق وترك التشدد وعلى هذا لا تكون الآية منسوخة وكذا لو قيل المراد بامر الله قتل بني قريظة واجلاء بني النضير واذلالهم بضرب الجزية عليهم (ان الله على كل شيء قدير) فهو يقدر على الانتقام منهم (وأقيموا الصلاة) تنبيه على أنه كما يلزمهم لحظ حال غيرهم بالعفو والصفح كذلك يلزمهم لحظ أنفسهم باداء الواجبات من خير من حسنة صلوات أو صدقة فريضة أو تطوع فعمم بعد ما خص تنبيها على أن الثواب لا يختص بالواجبات بل بها وبغيرها من الطاعات ولا بد من اضمار أي تجدوا ثوابه لان وجدان عين تلك الاشياء غير مطلوب ان الله بما تعملون بصير لا يخفى عليه شيء من الاعمال وفيه ترغيب للمحسن وترهيب للمسيء (وقالوا لن يدخل الجنة) نوع آخر من تخليط أهل الكتاب اليهود والنصارى والضمير في وقالوا لهم والمعنى وقالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان

حدثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى ماله فى الآخرة من خلاق من نصيب حدثنى المثنى قال حدثنى اسحق قال ثنا وكيع قال سفيان سمعنا فى وماله فى الآخرة من خلاق أنه ماله فى الآخرة من نصيب وقال بعضهم الخلاق ههنا الحجة ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة وماله فى الآخرة من خلاق قال ليس له فى الآخرة حجة وقال آخرون الخلاق الدين ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال قال الحسن ماله فى الآخرة من خلاق قال ليس له دين وقال آخرون الخلاق ههنا القوام ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثنى حجاج قال قال ابن جريج قال ابن عباس ماله فى الآخرة من خلاق قال قوام وأولى هذه الاقوال بالصواب قول من قال معنى الخلاق فى هذا الموضع النصيب وذلك أن ذلك معناه فى كلام العرب ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم ليؤيدن الله هذا الدين باقوام لاخلاق لهم يعنى لانصيب لهم ولاحظ فى الاسلام والدين ومنه قول أمية بن أبى الصلت يدعون بالويل فيها لاخلاق لهم * الا سرابيل من قطر وأغلال يعنى بذلك لانصيب لهم ولاحظ الا السرابيل والاغلال فكذلك قوله ماله فى الآخرة من خلاق ماله فى الدار الآخرة حظ من الجنة من أجل انه لم يكن له ايمان ولادين ولاعمل صالح يجازى به فى الجنة ويثاب عليه فيكون له حظ ونصيب من الجنة وانما قال جل ثناؤه ماله فى الآخرة من خلاق فوصفه بأنه لا نصيب له فى الآخرة وهو يعنى به لا نصيب له من جزاء وثواب وجنة دون نصيبه من النار اذ كان قد دل ذمه جل ثناؤه أفعالهم التى نفى من أجلها أن يكون لهم فى الآخرة نصيب على مراده من الخير وانه انما يعنى بذلك أنه لا نصيب لهم فيها من الخيرات وأما من الشرور فان لهم فيها نصيبا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ولبئس ماشروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون) قال أبو جعفر رحمه الله قد دللنا فيما مضى قبل على أن معنى شروا باعوا فمعنى الكلام اذا ولبئس ماباع به نفسه من تعلم السحر لو كان يعلم سوء عاقبته كما حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى ولبئس ماشروا به أنفسهم يقول بئس ماباعوا به أنفسهم فان قال لنا قائل وكيف قال جل ثناؤه ولبئس ماشروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون وقد قال قبل ولقد علموا لمن اشتراه ماله فى الآخرة من خلاق فكيف يكونون عالمين بأن من تعلم السحر فلا خلاق لهم وهم يجهلون أنهم بئس ماشروا بالسحر أنفسهم قيل ان معنى ذلك على غير الوجه الذى توهمته من انهم موصوفون بالجهل بما هم موصوفون بالعلم به ولكن ذلك من المؤخر الذى معناه التقديم وانما معنى الكلام وماهم ضارون به من أحد الا باذن الله ويتعلمون مايضرهم ولا ينفعهم ولبئس ماشروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون ولقد علموا لمن اشتراه ماله فى الآخرة من خلاق فقوله لبئس ماشروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون ذم من الله تعالى ذكره فعل المتعلمين من الملكين التفريق بين المرء وزوجه وخبر منه جل ثناؤه عنهم انهم بئس ماشروا به أنفسهم برضاهم بالسحر عوضا عن دينهم الذى به نجاة أنفسهم من الهلكة جهلا منهم بسوء عاقبة فعلهم وخسارة صفقة بيعهم اذ كان قد يتعلم ذلك منهم من لا يعرف الله ولا يعرف

هودا وقالت النصارى لن يدخلها الامن كان نصارى فضم بين القولين ثقة بان السامع يرد الى كل فريق ماقاله لما علم من تكفير كل واحد منهما صاحبه ومثله وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا والهود جمع هائد كبازل وبزل وعائذ وعوذ والعائذ الحديثة النتاج من النوق والبازل الذى خرج نابه ووحد اسم كان حملا على لفظ من وجمع خبره حملا على المعنى ومثله فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم (تلك أمانيهم) على حذف المضاف أى أمثال تلك الامنية أمانيهم يريد أن أمانيهم جميعا فى البطلان مثل (٣٧١) هذه وهى قولهم لن يدخل الجنة أو أشير بتلك الى أن ودادتهم ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم أمنية وودادتهم أن يردوهم كفارا أمنية وقولهم لن يدخل الجنة أمنية أى تلك الامانى الباطلة أمانيهم وقوله قل هاتوا برهانكم متصل بقوله لن يدخل الجنة الامن كان هودا أو نصارى وتلك أمانيهم اعتراض على هذا وهات الشئ اسم فعل معناه أعط ويتصرف فيه بحسب المأمور هات هاتيا هاتوا هاتى هاتين وقيل الصحيح أنه ليس باسم فعل وانما الهاء فيه مبدلة من الهمزة وأصله آت من الايتاء برهانكم حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة ان كنتم صادقين فى دعواكم وفيه دليل واضح على أن المدعى نفيا أو اثباتا لابد له من برهان والافدعواه باطلة

من ادعى شيأ بلاشاهد
لابد أن تبطل دعواه

(بلى) اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة وقوله من أسلم الى آخره جملة شرطية مستأنفة ويجوز أن يكون من أسلم فاعلا لفعل محذوف أى بلى يدخلها من أسلم ويكون قوله فله أجره كلاما معطوفا على يدخلها من أسلم وفيه اشارة الى أن لهؤلاء الداخلين برهانا وهو استسلام النفس وانقيادها لطاعة الله مع الاحسان وفيه ترغيب لهم فى الاسلام وبيان لمفارقة حالهم حال من يدخل الجنة كانه قيل لهم أنتم على ماأنتم عليه لاتفوزون بالجنة بلى ان غيرتم طريقتكم وأسلمتم وجهكم لله وأحسنتم فلكم الجنة وانما خص الوجه بالذكر لانه أشرف الاعضاء من حيث انه معدن الحواس وينبوع الفكر والتخيل فاذا تواضع الاشرف كان غيره أولى ولان الوجه قد يكنى به عن النفس والذات كل شئ هالك الاوجهه الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ولان أعظم العبادات السجدة وهى انما تحصل بالوجه وهذا الاسلام أخص من الاسلام الذى ورد فى الحديث الاسلام أن تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله «صلى الله عليه وسلم» وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا لان هذا عبارة عن الاذعان الكامل بجميع القوى والجوارح فى كل الاحوال والاوقات وهو الاسلام

الذي أمر به ابراهيم عليه السلام اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ويؤكد ذلك قوله لله أي خالصا له لا يشوبه شرك فلا يكون عابدا مع الله
غيره ولا معلقا رجاءه بغيره وزاد التأكيد بقوله وهو محسن أي حال كونه محسنا في عمله ومعنى الاحسان هو الذي في الحديث الاحسان أن تعبد
الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ولا ريب أن العبادة على هذا الوجه لا تصدر الا عن صدق النية وصفاء الطوية فان مثول العبد بين يدي
مولاه يشغله عن الالتفات الى ماسواه فلا يقع (٣٧٢) قصده فيما هو فيه الا لوجه الله فلا يصدر عنه شئ من السيئات وأما الطاعات والمباحات
فتكون مقتضية لتزايد الحسنات و رفع الدرجات في الخبر من تطيب لله جاء يوم القيامة وريحه أطيب من ريح المسك ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيامة وريحه أنتن من الجيفة وذلك ان المتطيب ان كان قصده التنعم واستيفاء اللذات أو التودد الى النسوان كان التطيب معصية وان كان قصده اقامة السنة ودفع الروائح المؤذية عن عباد الله وتعظيم المسجد فهو عين الطاعة وكذا الكلام في المناكح والمطاعم والمشارب والضابط أن كل ما فعلته لداعي الحق فهو العمل الحق وكل ما عملته لغير الله فحلالها حساب وحرامها عذاب روى أن رجلا في بني اسرائيل مر بكثبان من رمل في مجاعة فقال في نفسه لو كان هذا الرمل طعاما لقسمته بين الناس فاوحى الله تعالى الى نبيه قل له ان الله قد صدقك وشكر حسن نيتك وأعطاك ثواب مالو كان طعاما فتصدقت به وليس النية أن يقول في نفسه أو بلسانه عند تدريسه أو تجارته نويت أن أدرس لله أو أتجر لله هيهات انها لحديث نفس أو لسان وماذاك الا كقول الفارغ نويت ان أعشق وأما النية فهي انبعاث النفس وميلها الى سلوك طريق الحق في كل فعل فاجتهد في تصيير ذلك ملكة لنفسك * وللناس فيما يعشقون مذاهب * فمنهم
من يعمل لباعث الخوف من النار فله ذلك ومنهم من يعمل لباعث الطمع في الجنة وهم أكثر أهل الجنة لقصور هممهم مصدر
عن طموح مافوقهما من الكمالات واللذات الحقيقيات أكثر أهل الجنة البله ومنهم من يعمل لله فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون
ولما جمع الله تعالى أهل الكتابين في الآية المتقدمة فصل بينهما وبين قول كل فريق في حق الآخر والظاهر حمل لفظي اليهود والنصارى على
العموم وان كان السبب خاصا لان هذا الاعتقاد كل واحد من كل من الطائفتين في حق الاخرى روى أن وفد نجران لما قدموا على رسول الله صلى

حلاله وحرامه وأمره ونهيه ثم عاد الى الفريق الذين أخبر الله عنهم أنهم نبذوا كتابه وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون واتبعوا ماتتلوا الشياطين على ملك سليمان وما أنزل على الملكين فاخبر عنهم أنهم قد علموا أن من اشترى السحر ماله في الآخرة من خلاق ووصفهم بأنهم يركبون معاصي الله على علم منهم بها ويكفرون بالله ورسله ويؤثرون اتباع الشياطين والعمل بما أحدثته من السحر على العمل بكتابه ووحيه وتنزيله عنادا منهم وبغيا على رسله وتعديا منهم لحدوده على معرفة منهم بما لمن فعل ذلك عند الله من العقاب والعذاب فذلك تأويل قوله وقد زعم بعض الزاعمين أن قوله ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق يعني به الشياطين وأن قوله لو كانوا يعلمون يعني به الناس وذلك قول لجميع أهل التأويل مخالف وذلك أنهم مجمعون على أن قوله ولقد علموا لمن اشتراه معني به اليهود دون الشياطين ثم هو مع ذلك خلاف مادل عليه التنزيل لان الآيات قبل قوله ولقد علموا لمن اشتراه وبعد قوله لو كانوا يعلمون جاءت من الله بذم اليهود وتوبيخهم على ضلالهم وذما لهم على نبذهم وحي الله وآيات كتابه وراء ظهورهم مع علمهم بخطا فعلهم فقوله ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق أحد تلك الاخبار عنهم وقال بعضهم ان الذين وصف الله جل ثناؤه بقوله ولبئس ماشروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون فنفى عنهم العلم هم الذين وصفهم الله بقوله ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق وانما نفى عنهم جل ثناؤه العلم بقوله لو كانوا يعلمون بعد وصفه اياهم بأنهم قد علموا بقوله ولقد علموا من أجل أنهم لم يعملوا بما علموا وانما العالم العامل بعلمه وأما اذا خالف عمله علمه فهو في معاني الجهال قال وقد يقال للفاعل الفعل بخلاف ماينبغي أن يفعل وان كان بفعله عالما لو علمت لأقصرت كما قال كعب بن زهير المزني وهو يصف ذئبا وغرابا تبعاه لينالا من طعامه وزاده

اذا حضراني قلت لو تعلمانه * ألم تعلما أني من الزاد مرمل

فأخبر أنه قال لهما لو تعلمانه فنفى عنهما العلم ثم استخبرهما فقال ألم تعلما قالوا فكذلك قوله ولقد علموا لمن اشتراه ولو كانوا يعلمون وهذا تأويل وان كان له مخرج ووجه فانه خلاف الظاهر المفهوم بنفس الخطاب أعني بقوله ولقد علموا وقوله لو كانوا يعلمون وانما هو استخراج وتأويل القرآن على المفهوم الظاهر الخطاب دون الخفي الباطن منه حتى تأتي دلالة من الوجه الذي يجب التسليم له بمعنى خلاف دليله الظاهر المتعارف في أهل اللسان الذين بلسانهم نزل القرآن أولى ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون) يعني جل ثناؤه بقوله ولو أنهم آمنوا واتقوا ولو أن الذين يتعلمون من الملكين ما يفرقون به بين المرء وزوجه آمنوا فصدقوا الله ورسوله وما جاءهم به من عند ربهم واتقوا ربهم فخافوه فخافوا عقابه فأطاعوه بأداء فرائضه وتجنبوا معاصيه لكان جزاء الله اياهم وثوابه لهم على ايمانهم به وتقواهم اياه خيرا لهم من السحر وما اكتسبوا به لو كانوا يعلمون أن ثواب الله اياهم على ذلك خير لهم من السحر ومما اكتسبوا به وانما نفى بقوله لو كانوا يعلمون العلم عنهم ان يكونوا عالمين بمبلغ ثواب الله وقدر جزائه على طاعته والمثوبة في كلام العرب

الله عليه وسلم أتاهم أحبار اليهود فتناظروا حتى ارتفعت أصواتهم فقالت اليهود ما أنتم على شئ من الدين وكفروا بعيسى والانجيل وقالت النصارى لهم نحوه وكفروا بموسى والتوراة ومعنى على شئ أى شئ يصح ويعتد به وفيه مبالغة عظيمة كقول العرب أقل من لاشئ عن ابن عباس والله صدقوا قلت وذلك أن الايمان بالله انما يعتد به اذا كان مؤمنا برسوله وبكل ما أنزله (وهم يتلون الكتاب) الواو للحال والكتاب للجنس أى قالوا ذلك وحالهم انهم من أهل العلم والتلاوة للكتب وحق من حمل التوراة والانجيل وغيرهما من كتب الله أن يؤمن بالباقى ولا يكفر به لان جميع الكتب السماوية متواردة فى تصديق بعضها بعضا (كذلك) الكاف للتشبيه وذلك اشارة الى المذكور أى قولا مثل الذى سمعت به (قال الذين لا يعلمون) و (مثل قولهم) مكرر للتأكيد واطول الكلام بالموصول والصلة والمراد بالذين لا يعلمون الجهلة الذين لا علم عندهم ولا كتاب كعبدة الاصنام القائلين ان المسلمين ليسوا على شئ وفيه توبيخ عظيم لهم حيث نظموا أنفسهم مع علمهم فى سلك من لا يعلم فقالوا قولا عن التشهى والعصبية مثلهم (فالله يحكم بينهم) أى بين اليهود والنصارى يوم القيامة عن الحسن يكذبهم جميعا ويدخلهم النار ويجوز أن يرجع الضمير الى الكافرين الذين يعلمون والذين لا يعلمون والى المسلمين ويحكم بين المحق والمبطل فيما اختلفوا فيه فينتصر من الظالم المكذب للمظلوم المكذب أو يريهم من يدخل الجنة عيانا ويدخل النار عيانا أعاذنا الله تعالى منها (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها الا خائفين لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما فى السموات والارض كل له قانتون بديع السموات والارض واذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية كذا قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يوقنون) القراآت قالوا اتخذ الله بلا واو العطف ابن عامر اتباعا المصاحف أهل الشام كن فيكون بالنصب كل القرآن ابن عامر الا قوله كن فيكون الحق فى آل عمران وكن فيكون قوله الحق فى الانعام ووافقه الكسائى فى النحل ويس * الوقوف خرابها ط للفصل بين الاستفهام والخبر

مصدر من قول القائل أثبتك اثابة وثوابا ومثوبة فاصل ذلك من ثاب اليك الشئ بمعنى رجع ثم يقال أثبته اليك أى رجعته اليك ورددته فكان معنى اثابة الرجل الرجل على الهدية وغيرها ارجاعه اليها منها بدلا ورده عليه منها عوضا ثم جعل كل معوض غيره من عمله أو هديته أو يدله سلفت منه اليه مثيبا له ومنه ثواب الله عز وجل عباده على أعمالهم بمعنى اعطائه اياهم العوض والجزاء عليه حتى يرجع اليهم بدل من عملهم الذى عملوا له وقد زعم بعض نحويى البصرة أن قوله ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير مما اكتفى بدلالة الكلام على معناه عن ذكر جوابه وأن معناه ولو أنهم آمنوا واتقوا لأثيبوا ولكنه استغنى بدلالة الخبر عن المثوبة عن قوله لأثيبوا وكان بعض نحويى أهل البصرة ينكر ذلك ويرى أن جواب قوله ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة وأن لو انما أجيبت بالمثوبة وان كانت أخبر عنها بالماضى من الفعل لتقارب معناها من معنى لئن فى انهما جزاآن فانهما جوابان للايمان فادخل جواب كل واحدة منهما على صاحبتها فأجيبت لو بجواب لئن ولئن بجواب لو لذلك وان اختلفت أجوبتهما فكانت لو من حكمها وحظها أن تجاب بالماضى من الفعل وكانت لئن من حكمها وحظها أن تجاب بالمستقبل من الفعل لما وصفنا من تقاربهما فكان يتأول معنى قوله ولو أنهم آمنوا واتقوا ولئن آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير وبما قلنا فى تأويل المثوبة قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله لمثوبة من عند الله يقول ثواب من عند الله حدثنى يونس قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله أما المثوبة فهو الثواب حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير يقول لثواب من عند الله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا) اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله لا تقولوا راعنا فقال بعضهم تأويله لا تقولوا خلافا * ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن ابن جريج عن عطاء فى قوله لا تقولوا راعنا قال لا تقولوا خلافا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد لا تقولوا راعنا لا تقولوا خلافا وحدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا أحمد بن اسحق الأهوازى قال ثنا أبو أحمد الزبيرى قال ثنا سفيان عن رجل عن مجاهد مثله حدثنى المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن مجاهد مثله وقال آخرون تأويله أرعنا سمعك أى اسمع منا ونسمع منك ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال حدثنى ابن اسحق عن محمد بن أبى محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قوله راعنا أى أرعنا سمعك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله جل وعز يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا لا تقولوا اسمع منا ونسمع منك وحدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى

خائفين ط لان مابعده اخبار وعيد مبتدأ منتظر عظيم ٥ وجه الله ط عليم ٥ ولدا (لا) تعجيلا للتنزيه سبحانه ط والارض ط لان مابعده مبتدأ قانتون ٥ والارض ط لان اذا أجيبت بالفاء وكانت للشرط فيكون ٥ آية ط قلوبهم ط لان قد لتوكيد الاستئناف يوقنون ٥ * التفسير عن ابن عباس أن ملك النصارى غزا بيت المقدس فخربه وألقى فيه الجيف وحاصر أهله وقتلهم وسبى الذرية وأحرق التوراة ولم يزل خرابا حتى بناه أهل الاسلام فى زمان عمر فنزلت الآية فيهم وعن الحسن وقتادة والسدى نزلت فى بختنصر حيث خرب بيت المقدس وأعانه على ذلك بعض النصارى وردبان بختنصر كان قبل مولد المسيح بزمان وقيل نزلت فى مشركى العرب الذين منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعاء الى الله بمكة وألجؤه الى الهجرة فصاروا مانعين له ولاصحابه أن يذكروا الله فى المسجد الحرام وقيل المراد منع المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدخل المسجد الحرام عام الحديبية ووجه اتصال الآية بما قبلها على القولين الاولين هو أن النصارى ادعوا أنهم من أهل الجنة فقط فبين أنهم أظلم منهم فكيف يدخلون الجنة وعلى الآخرين هو أنه جرى ذكر مشركى العرب فى قوله كذلك قال الذين لا يعلمون فعقب ذلك بسائر قبائحهم ومن استفهامية لتقرير النفى أى ليس أحد أظلم ممن منع وأن يذكر ثانى مفعوليه لانك تقول منعته كذا أو بدل من مساجد أو حذف حرف الجر مع ن والتقدير كراهة أن يذكر فيكون مفعولا له وهذا حكم عام لجنس مساجد الله وان مانعها من ذكر الله تعالى مفرط فى الظلم ولا بأس أن يجىء الحكم عاما وان كان السبب خاصا كما تقول لمن آذى صالحا واحدا من أظلم ممن آذى الصالحين ومثله ويل لكل همزة لمزة والمنزول فيه الاخنس بن شريق وينبغى أن يراد بمنع العموم أيضا الا الذين منعوا من أولئك النصارى أو المشركين بأعيانهم والسعى فى خراب المساجد بانقطاع الذكر أو بتخريب البنيان قيل ان اليهود قوله ومن أظلم الذى هو فى قوة ليس أحد أظلم ليس على عمومه لان الشرك أعظم من هذا الفعل «ان الشرك لظلم عظيم» وكذا الزنا وقتل النفس قلت أما استعمال لفظ الظلم فى هذا المعنى فهو فى غاية الحسن لان المسجد موضوع لذكر الله تعالى فيه فالمانع من ذلك واضع الشئ فى غير موضعه وأما أنه لا أظلم منه فلانه ان كان مشركا فقد جمع مع شركه هذه الخصلة الشنعاء فلا أظلم منه وان كان يدعى الاسلام ففعله مناقض لقوله لان من

قوله راعنا قال كان الرجل من المشركين يقول أرعنى سمعك ثم اختلف أهل التأويل فى السبب الذى من أجله نهى الله المؤمنين أن يقولوا راعنا فقال بعضهم هى كلمة كانت اليهود تقولها على وجه الاستهزاء والمسبة فنهى الله تعالى ذكره المؤمنين أن يقولوا ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا قول كانت تقوله اليهود استهزاء فزجر الله المؤمنين أن يقولوا كقولهم حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد الزبيرى عن فضيل بن مرزوق عن عطية لا تقولوا راعنا قال كان أناس من اليهود يقولون أرعنا سمعك حتى قالها أناس من المسلمين فكره الله لهم ما قالت اليهود فقال يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا كما قالت اليهود والنصارى حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا قال كانوا يقولون راعنا سمعك فكان اليهود يأتون فيقولون مثل ذلك مستهزئين فقال الله لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا وحدثت عن المنجاب قال ثنا بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس فى قوله لا تقولوا راعنا قال كانوا يقولون للنبى صلى الله عليه وسلم راعنا سمعك وانما راعنا كقولك عاطنا وحدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا قال راعنا القول الذى قاله القوم قالوا سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا فى الدين قال قال هذا الراعن والراعن الخطاء قال فقال للمؤمنين لا تقولوا خطاء كما قال القوم وقولوا انظرنا واسمعوا قال كانوا ينظرون الى النبى صلى الله عليه وسلم ويكلمونه ويسمع منهم ويسألونه ويجيبهم وقال آخرون بل هى كلمة كانت الانصار فى الجاهلية تقولها فنهاهم الله فى الاسلام أن يقولوها لنبيه صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال حدثنى هشيم قال أخبرنا عبد الرزاق عن عطاء فى قوله لا تقولوا راعنا قال كانت لغة فى الانصار فى الجاهلية فنزلت هذه الآية لا تقولوا راعنا ولكن قولوا انظرنا الى آخر الآية حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا هشيم عن عبد الملك عن عطاء قال لا تقولوا راعنا قال كانت لغة فى الانصار حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عبد الملك عن عطاء مثله وحدثنى المثنى قال ثنا اسحق عن ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع عن أبى العالية فى قوله لا تقولوا راعنا قال ان مشركى العرب كانوا اذا حدث بعضهم بعضا يقول أحدهم لصاحبه أرعنى سمعك فنهوا عن ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثنى حجاج قال قال ابن جريج راعنا قول الساخر فنهاهم أن يسخروا من قول محمد صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم بل كان ذلك كلام يهودى من اليهود بعينه يقال له رفاعة بن زيد كان يكلم النبى صلى الله عليه وسلم به على وجه السب له وكان المسلمون أخذوا ذلك عنه فنهى الله المؤمنين عن قيله للنبى صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا كان رجل من

اعتقد أن له معبودا عرف وجوب عبادته له عقلا أو شرعا والعبادة تستدعى متعبدا الامحالة فتخريب المتعبد ينبئ عن انكار العبادة وانكار العبادة يستلزم انكار المعبود فهذا الشخص لا يكون فى الحقيقة مسلما وانما هو منخرط فى سلك أهل النفاق والمنافق كافر أسوأ حالا من الكافر الاصلى بالاتفاق (أولئك) المانعون (ما كان لهم) أى ما ينبغى لهم (أن يدخلوها) فى حال من الاحوال (الاخائفين) على حال التهيب وارتعاد الفرائص من المؤمنين أن يبطشوا بهم

فضلا أن يستولوا عليها ويلوها ويمنعوا المؤمنين منها والمعنى ما كان الحق والواجب الا ذلك لولا ظلم الكفرة وعتوهم وقيل هذه بشارة للمؤمنين أنه سيظهرهم على المسجد الحرام وعلى سائر المساجد وأنه يذل المشركين لهم حتى لا يدخلوا المسجد الحرام الاخائفين من أن يعاقبوا أو يقتلوا ان لم يسلموا وقد أنجز الله هذا الوعد فمنعهم من دخول المسجد الحرام ونادى فيهم عام حج أبو بكر ألا لا يحجن بعد العام مشرك وأمر النبى صلى الله عليه وسلم باخراج اليهود من جزيرة العرب وصار بيت المقدس فى أيدى المسلمين وقيل يحرم عليهم دخول المسجد الا فى أمر يتضمن الخوف نحو أن يدخلوا للمحاكمة أو المخاصمة أو المحاجة وقيل اللفظ خبر ولكن معناه النهى عن تمكينهم من الدخول والتخلية بينهم وبينه كقوله وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله فمن هنا قال مالك لا يجوز للكافر دخول المساجد وخصص الشافعى المنع بالمسجد الحرام لجلالة قدره ومزيد شرفه وللتصريح بذلك فى قوله انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وجوز أبو حنيفة دخول المساجد كلها لما روى أنه صلى الله عليه وسلم قدم عليه وفد ثقيف فأنزلهم المسجد وأجيب بانه فى أول الاسلام ثم نسخ بالآية (خزى) ذل بمنعهم من المساجد أو بالجزية فى حق أهل الذمة وبالسبى والقتل فى حق أهل الحرب وفيه ردع لهم عن ثباتهم على الكفر وقيل الخزى فتح مدائنهم قسطنطينية وعمورية ورومية والعذاب العظيم يناسب الظلم العظيم ولنذكر هنا فوائد (الاولى) فى بيان فضل المساجد ومن ذلك اضافتها الى الله فى الآية وذلك دليل على شرفها وكذا فى قوله وأن المساجد لله بلام الاختصاص انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه وقال صلى الله عليه وسلم أحب البلاد الى الله مساجدها وأبغض

اليهود من قبيلة من اليهود يقال لهم بنو قينقاع كان يدعى رفاعة بن زيد بن السائب (قال أبو جعفر) هذا خطأ انما هو ابن التابوت ليس ابن السائب كان يأتى النبى صلى الله عليه وسلم فاذا لقيه فكلمه فقال أرعنى سمعك واسمع غير مسمع فكان المسلمون يحسبون أن الانبياء كانت تفخم بهذا فكان ناس منهم يقولون اسمع غير مسمع كقولك اسمع غير صاغر وهى التى فى النساء من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه و يقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بالسنتهم وطعنا فى الدين يقول انما يريد بقوله طعنا فى الدين ثم تقدم الى المؤمنين فقال لا تقولوا راعنا * والصواب من القول فى نهى الله جل ثناؤه المؤمنين أن يقولوا لنبيه راعنا أن يقال انها كلمة كرهها الله لهم أن يقولوها لنبيه صلى الله عليه وسلم نظير الذى ذكر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تقولوا للعنب الكرم ولكن قولوا الحبلة ولا تقولوا عبدى ولكن قولوا فتاى وما أشبه ذلك من الكلمتين اللتين تكونان مستعملتين بمعنى واحد فى كلام العرب فتأتى الكراهة أو النهى باستعمال احداهما واختيار الاخرى عليها فى المخاطبات فان قال لنا قائل فانا قد علمنا معنى نهى النبى صلى الله عليه وسلم فى العنب أن يقال له كرم وفى العبد أن يقال له عبد فما المعنى الذى فى قوله راعنا حينئذ الذى من أجله كان النهى من الله جل ثناؤه للمؤمنين عن أن يقولوه حتى أمرهم أن يؤثروا قوله انظرنا قيل الذى فيه من ذلك نظير الذى فى قول القائل الكرم للعنب والعبد للمملوك وذلك أن قول القائل عبدى لجميع عباد الله فكره النبى صلى الله عليه وسلم أن يضاف بعض عباد الله بمعنى العبودية الى غير الله وأمر أن يضاف ذلك الى غيره بغير المعنى الذى يضاف الى الله عز وجل فيقال فتاى وكذلك وجه نهيه فى العنب ان يقال كرم خوفا من توهم وصفه بالكرم وان كانت مسكنة فان العرب قد تسكن بعض الحركات اذا تتابعت على نوع واحد فكره أن يتصف بذلك العنب فكذلك نهى الله عز وجل المؤمنين أن يقولوا راعنا لما كان قول القائل راعنا محتملا أن يكون بمعنى احفظنا ونحفظك وارقبنا ونرقبك من قول العرب بعضهم لبعض رعاك الله بمعنى حفظك الله وكلاك ومحتملا أن يكون بمعنى أرعنا سمعك من قولهم أرعيت سمعى ارعاء أو راعيته سمعى رعاء أو مراعاة بمعنى فرغته لسماع كلامه كما قال الاعشى ميمون بن قيس

يرعى الى قول سادات الرجال اذا * أبدوا له الحزم أو ما شاءه ابتدعا

يعنى بقوله يرعى يصغى بسمعه اليه مفرغه لذلك وكان الله جل ثناؤه قد أمر المؤمنين بتوقير نبيه صلى الله عليه وسلم وتعظيمه حتى نهاهم جل ذكره فيما نهاهم عنه عن رفع أصواتهم فوق صوته وأن يجهروا له بالقول كجهر بعضهم لبعض وخوفهم على ذلك حبوط أعمالهم فتقدم اليهم بالزجر لهم عن أن يقولوا له من القول ما فيه جفاء وأمرهم أن يتخيروا لخطابه من الالفاظ أحسنها ومن المعانى أرقها فكان من ذلك قولهم راعنا لما فيه من احتمال معنى ارعنا نرعاك اذ كانت المفاعلة لا تكون الا من اثنين كما يقول القائل عاطنا وحادثنا وجالسنا بمعنى افعل بنا نفعل بك ومعنى أرعنا سمعك حتى نفهمك وتفهم عنا فنهى الله تعالى ذكره أصحاب محمد أن يقولوا ذلك كذلك وأن يفردوا مسئلته

البلاد الى الله أسواقها وليس ذلك الا لان المسجد يذكر الحبيب والسوق يشغل عنه وفي الآية نكتة وهي أن مخرب المساجد لما كان في نهاية الظلم والكفر يلزم أن يكون عامر المساجد في غاية العدل والايمان (الثانية) في فضل المشي الى المساجد عن أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال من تطهر في بيته ثم مشى الى بيت من بيوت الله ليقضي فيه فريضة من فرائض الله كانت خطواته احداها تحط خطيئة والاخرى ترفع درجة وقال صلى الله عليه وسلم لبني (٣٧٦) سلمة حين أرادوا أن ينتقلوا الى قرب المسجد دياركم تكتب آثاركم (الثالثة) في تزيين المساجد عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما أمرت بتشييد المساجد قال ابن عباس بزخرفتها كما زخرفت اليهود والنصارى التشييد رفع البناء وتطويله والزخرفة التزيين والتمويه وأمر عمر ببناء مسجد فقال أكن الناس من المطر واياك أن تحمر أو تصفر فتفتن الناس (الرابعة) في تحية المسجد عن أبي قتادة أنه صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس وتؤدى التحية بالفرض أو النفل نواها أولا وهذا مذهب الحسن البصري ومكحول والشافعي وأحمد واسحق وقيل يجلس ولا يصلي واليه ذهب ابن سيرين وعطاء بن أبي رباح والنخعي وقتادة ومالك والثوري وأصحاب الرأي (الخامسة) في الدعاء عند الدخول في المسجد والخروج منه روت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبيها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد صلى على محمد صلى الله عليه وسلم وقال رب اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك واذا خرج صلى على محمد وسلم وقال رب اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك (السادسة) في فضيلة القعود فيه لانتظار الصلاة عن أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه فتقول اللهم اغفر له وارحمه ما لم يحدث (السابعة) في كراهية البيع والشراء فيه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن تناشد الاشعار في المساجد وعن البيع والشراء فيها وأن يتحلق الناس يوم الجمعة قبل الصلاة يعني لمذاكرة العلم ونحوه بل يشتغل بالذكر والصلاة والانصات للخطبة ثم لا بأس بالاجتماع والتحلق بعد الصلاة وأما طلب الضالة في المسجد ورفع الصوت بغير الذكر فمكروه أيضا عن أبي هريرة أنه قال

بانتظارهم وامهالهم ليعقلوا عنه بتبجيل منهم له وتعظيم وأن لا يسألوه ما سألوه من ذلك على وجه الجفاء والتجهم منهم له ولا بالفظاظة والغلظة تشبها منهم باليهود في خطابهم نبي الله صلى الله عليه وسلم بقولهم له اسمع غير مسمع وراعنا يدل على صحة ما قلنا في ذلك قوله ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم فدل بذلك أن الذي عاتبهم عليه مما يسر اليهود والمشركين فاما التأويل الذي حكي عن مجاهد في قوله راعنا أنه بمعنى خلافا فمما لا يعقل في كلام العرب لان راعيت في كلام العرب انما هو على أحد وجهين أحدهما بمعنى فاعلت من الرعية وهي الرقبة والكلاءة والآخر بمعنى افراغ السمع بمعنى أرعيته سمعي وأما راعيت بمعنى خالفت فلا وجه له مفهوم في كلام العرب الا أن يكون قرأ ذلك بالتنوين ثم وجهه الى معنى الرعونة والجهل والخطا على النحو الذي قال في ذلك عبد الرحمن بن زيد فيكون لذلك وان كان مخالفا قراءة القراء معنى مفهوم حينئذ وأما القول الآخر الذي حكي عن عطية ومن حكى ذلك عنه أن قوله راعنا كانت كلمة لليهود بمعنى السب والسخرية فاستعملها المؤمنون أخذا منهم ذلك عنهم فان ذلك غير جائز في صفة المؤمنين أن يأخذوا من كلام أهل الشرك كلاما لا يعرفون معناه ثم يستعملونه بينهم وفي خطاب نبيهم صلى الله عليه وسلم ولكنه جائز أن يكون ذلك مما روي عن قتادة أنها كانت كلمة صحيحة مفهومة من كلام العرب وافقت كلمة من كلام اليهود بغير اللسان العربي هي عند اليهود سب وهي عند العرب أرعني سمعك وفرغه لتفهم عني فعلم الله جل ثناؤه معنى اليهود في قيلهم ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم وان معناها منهم خلاف معناها في كلام العرب فنهى الله عز وجل المؤمنين عن قيلها للنبي صلى الله عليه وسلم لئلا يجترئ من كان معناه في ذلك غير معنى المؤمنين فيه أن يخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم به وهذا تأويل لم يأت الخبر بأنه كذلك من الوجه الذي تقوم به الحجة واذ كان ذلك كذلك فالذي هو أولى بتأويل الآية ما وصفنا اذ كان ذلك هو الظاهر المفهوم بالآية دون غيره وقد حكي عن الحسن البصري أنه كان يقرؤه ولا تقولوا راعنا بالتنوين بمعنى لا تقولوا قولا راعنا من الرعونة وهي الحمق والجهل وهذه قراءة لقراءة المسلمين مخالفة فغير جائز لاحد القراءة بها لشذوذها وخروجها من قراءة المتقدمين والمتأخرين وخلافها ما جاءت به الحجة من المسلمين ومن نون راعنا نونه بقوله لا تقولوا لانه حينئذ عامل فيه ومن لم ينونه فانه ترك تنوينه لانه أمر محكي لان القوم كانهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم راعنا بمعنى مسئلته اما أن يرعيهم سمعه واما أن يرعاهم ويرقبهم على ما قد بينت فيما قد مضى فقيل لهم لا تقولوا في مسألتكم اياه راعنا فتكون الدلالة على معنى الامر في راعنا حينئذ سقوط الياء التي كانت تكون في يراعيه ويدل عليها أعني على الياء الساقطة كسرة العين من راعنا وقد ذكر أن قراءة ابن مسعود لا تقولوا راعونا بمعنى حكاية أمر صالحة لجماعة بمراعاتهم فان كان ذلك من قراءته صحيحا وجه أن يكون القوم كانهم نهوا عن استعمال ذلك بينهم في خطاب بعضهم بعضا كان خطابهم للنبي صلى الله عليه وسلم أو لغيره ولا نعلم ذلك صحيحا من الوجه الذي تصح منه الاخبار * القول في تأويل قوله تعالى (وقولوا انظرنا)

انظرنا) يعني بقوله جل ثناؤه وقولوا انظرنا وقولوا أيها المؤمنون لنبيكم صلى الله عليه وسلم انظرنا وارقبنا نفهم ونتبين ما تقول لنا وتعلمنا كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وقولوا انظرنا فهمنا بين لنا يا محمد حدثنا المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وقولوا انظرنا فهمنا بين لنا يا محمد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله يقال منه نظرت الرجل أنظره نظرة بمعنى انتظرته ورقبته ومنه قول الحطيئة

وقد نظرتكم أعشاء صادرة * للخمس طال بها حوزي وتنساسي

ومنه قول الله عز وجل يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم يعني به انتظرونا وقد قرئ أنظرنا بقطع الالف في الموضعين جميعا فمن قرأ ذلك كذلك أراد أخرنا كما قال الله جل ثناؤه قال رب فأنظرني الى يوم يبعثون أي أخرني ولا وجه لقراءة ذلك كذلك في هذا الموضع لان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انما أمروا بالدنو من رسول الله صلى الله عليه وسلم والاستماع منه والطاف الخطاب له وخفض الجناح لا بالتأخر عنه ولا بمسئلته تأخيرهم عنه فالصواب ان كان ذلك كذلك من القراءة قراءة من وصل الالف من قوله انظرنا ولم يقطعها بمعنى انتظرنا وقد قيل ان معنى أنظرنا بقطع الالف بمعنى أمهلنا حكي عن بعض العرب سماعا أنظرني أكلمك وذكر سامع ذلك من بعضهم أنه استثبته في معناه فأخبره أنه أراد أمهلني فان يكن ذلك صحيحا عنهم فانظرنا وأنظرنا بقطع الالف ووصلها متقاربا المعنى غير أن الامر وان كان كذلك فان القراءة التي لا أستجيز غيرها قراءة من قرأ وقولوا انظرنا بوصل الالف بمعنى انتظرنا لاجماع الحجة على تصويبها ورفضهم غيرها من القراآت

❁ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (واسمعوا وللكافرين عذاب أليم) يعني بقوله جل ثناؤه واسمعوا واسمعوا ما يقال لكم ويتلى عليكم من كتاب ربكم وعوه وافهموه كما حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي واسمعوا اسمعوا ما يقال لكم فمعنى الآية اذا يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا لنبيكم راعنا سمعك وفرغه لنا نفهمك وتفهم عنا ما نقول ولكن قولوا انتظرنا وترقبنا حتى نفهم عنك ما تعلمنا وتبينه لنا واسمعوا منه ما يقول لكم فعوه واحفظوه وافهموه ثم أخبرهم جل ثناؤه أن لمن جحد منهم ومن غيرهم آياته وخالف أمره ونهيه وكذب رسوله العذاب الموجع في الآخرة فقال وللكافرين بي وبرسولي عذاب أليم يعني بقوله الاليم الموجع وقد ذكرنا الدلالة على ذلك فيما مضى قبل وما فيه من الآثار

❁ القول في تأويل قوله تعالى (ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم) يعني بقوله ما يود ما يحب أي ليس يحب كثير من أهل الكتاب يقال منه ود فلان كذا يوده ودا وودا ومودة وأما المشركون فانهم في موضع خفض بالعطف على أهل الكتاب ومعنى الكلام ما يحب الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم وأما أن في قوله أن ينزل فنصب بقوله يود وقد دللنا على وجه دخول من في قوله من خير وما أشبه ذلك من الكلام الذي يكون في أوله جحد فيما مضى فأغنى ذلك عن اعادته في هذا الموضع فتأويل الكلام

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سمع رجلا ينشد ضالة في المسجد فليقل لا أداها الله اليك فان المساجد لم تبن لهذا وقد كره بعض السلف المسئلة في المسجد وكان بعضهم لا يرى أن يتصدق على السائل المتعرض في المسجد وقال معاذ بن جبل ان المساجد طهرت من خمس من أن تقام فيها الحدود أو يقبض فيها الخراج أو ينطق فيها بالاشعار أو ينشد فيها الضالة أو تتخذ سوقا ولم ير بعضهم بالقضاء في المسجد بأسا لان النبي صلى الله عليه وسلم لاعن بين العجلاني وامرأته في المسجد ولاعن عمر عند منبر النبي صلى الله عليه وسلم وقضى شريح والشعبي ويحيى ابن يعمر في المسجد وكان الحسن وزرارة بن أبي أوفى يقضيان في الرحبة خارجا من المسجد (الثامنة) النوم في المسجد عن عباد بن تميم عن عمه أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مستلقيا في المسجد واضعا احدى رجليه على الاخرى وفيه دليل على جواز الاتكاء والاضطجاع وأنواع الاستراحة في المسجد وجوازها في البيت الا الانبطاح فانه صلى الله عليه وسلم نهى عنه وقال انها ضجعة يبغضها الله (التاسعة) في كراهة البزاق في المسجد عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال البزاق في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها وعنه صلى الله عليه وسلم اذا قام أحدكم الى الصلاة فلا يبصق أمامه فانه يناجي الله مادام في مصلاه ولا عن يمينه فان عن يمينه ملكا ولكن ليبصق عن شماله أو تحت رجله فيدفنه (العاشرة) عن جابر أنه صلى الله عليه وسلم قال من أكل ثوما أو بصلا فليعتزل مسجدنا وعنه صلى الله عليه وسلم من أكل من هذه الشجرة المنتنة فلا يقربن مسجدنا فان الملائكة تتأذى مما يتأذى منه الانس (الحادية عشرة) في بناء المساجد في الدور عن عائشة قالت أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببناء المساجد في الدور وأن تنظف وتطيب وفيه دليل أن مجرد تسمية الموضع بالمسجد لا يخرجه عن ملكه مالم يسبله (قوله عز من قائل ولله المشرق والمغرب الآية) الاكثرون على أنها نزلت في أمر يختص بالصلاة ومنهم من زعم أنها نزلت في أمر لا يختص بالصلاة أما الفرقة الاولى فاختلفوا على وجوه أحدها أراد به تحويل المسلمين عن استقبال بيت المقدس الى الكعبة فقال ان المشرق والمغرب وجميع الاطراف مملوكة له سبحانه ومخلوقة له فأينما أمركم باستقباله فهو القبلة لان القبلة ليست قبلة لذاتها بل بجعل الله تعالى فكانت الآية مقدمة لما أراد من نسخ القبلة وثانيها عن ابن عباس لما حولت القبلة عن بيت المقدس أنكر اليهود ذلك فنزلت ردا عليهم وثالثها قول أبي مسلم ان كلا من اليهود والنصارى

ما يحب الكافرون من أهل الكتاب ولا المشركين من عبدة الاوثان أن ينزل عليكم من الخير الذى كان عند الله ينزله عليهم فتمنى المشركون وكفرة أهل الكتاب أن لا ينزل الله عليهم الفرقان وما أوحاه الى محمد صلى الله عليه وسلم من حكمه وآياته وانما أحبت اليهود وأتباعهم من المشركين ذلك حسدا وبغيا منهم على المؤمنين وفى هذه الآية دلالة بينة على أن الله تبارك وتعالى نهى المؤمنين عن الركون الى أعدائهم من أهل الكتاب والمشركين والاستماع من قولهم وقبول شئ مما يأتونهم به على وجه النصيحة لهم منهم باطلاعه جل ثناؤه اياهم على ما يستبطنه لهم أهل الكتاب والمشركون من الضغن والحسد وان أظهروا بألسنتهم خلاف ما هم مستبطنون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم) يعنى بقوله جل ثناؤه والله يختص برحمته من يشاء والله يختص من يشاء بنبوته ورسالته فيرسله الى من يشاء من خلقه فيتفضل بالايمان على من أحب فهداه له واختصاصه اياهم بها افرادهم بها دون غيرهم من خلقه وانما جعل الله رسالته الى من أرسل اليه من خلقه وهدايته من هدى من عباده رحمة منه له ليصيره بها الى رضاه ومحبته وفوزه بها بالجنة واستحقاقه بها ثناءه وكل ذلك رحمة من الله له وأما قوله والله ذو الفضل العظيم فانه خبر من الله جل ثناؤه عن أن كل خير ناله عباده فى دينهم ودنياهم فانه من عنده ابتداء وتفضلا منه عليهم من غير استحقاق منهم ذلك عليه وفى قوله والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم تعريض من الله تعالى ذكره بأهل الكتاب ان الذى آتى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به من الهداية تفضل منه وان نعمه لا تدرك بالامانى ولكنها مواهب منه يختص بها من يشاء من خلقه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ما ننسخ من آية) يعنى جل ثناؤه بقوله ما ننسخ من آية الى غيره فنبدله ونغيره وذلك أن يحول الحلال حراما والحرام حلالا والمباح محظورا والمحظور مباحا ولا يكون ذلك الا فى الامر والنهى والحظر والاطلاق والمنع والاباحة فأما الاخبار فلا يكون فيها ناسخ ولا منسوخ وأصل النسخ من نسخ الكتاب وهو نقله من نسخة الى أخرى غيرها فكذلك معنى نسخ الحكم الى غيره انما هو تحويله ونقل عبارته عنه الى غيره فاذا كان ذلك معنى نسخ الآية فسواء اذا نسخ حكمها فغير وبدل فرضها ونقل فرض العباد عن اللازم كان لهم بها أو رفع خطها فترك أو محى أثرها فعفى أو نسى اذ هى حينئذ فى كلتا حالتيها منسوخة والحكم الحادث المبدل به الحكم الاول والمنقول اليه فرض العباد هو الناسخ يقال منه نسخ الله آية كذا وكذا ينسخه نسخا والنسخة الاسم وبمثل الذى قلنا فى ذلك كان الحسن البصرى يقول حدثنا سوار بن عبد الله العنبرى قال ثنا خالد بن الحرث قال ثنا عوف عن الحسن أنه قال فى قوله ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها قال أقرئ قرآنا ثم نسيه فلم يكن شيأ ومن القرآن ما قد نسخ وأنتم تقرؤنه اختلف أهل التأويل فى قوله ما ننسخ فقال بعضهم بما حدثنى به موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدى ما ننسخ من آية أما نسخها فقبضها وقال آخرون بما حدثنى به المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال حدثنى معاوية ابن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله ما ننسخ من آية يقول ما نبدل من آية وقال آخرون بما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن أصحاب عبد الله

زعمت أن الجنة لهم وحدهم فرد الله عليهم وذلك أن اليهود انما استقبلوا بيت المقدس لاعتقادهم أنه تعالى صعد السماء من الصخرة والنصارى استقبلوا المشرق لان عيسى ولد هنالك «اذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا» فكل منهما وصف معبوده بالحلول فى الاماكن ومن كان هكذا فهو مخلوق لا خالق فكيف تخلص لهم الجنة وهم لا يفرقون بين المخلوق والخالق ورابعها قول قتادة وابن زيد ان الله تعالى نسخ بيت المقدس بالتخيير الى أي جهة شاؤا بهذه الآية وكان للمسلمين ذلك الا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يختار التوجه الى بيت المقدس ثم انه تعالى نسخ ذلك التخيير بتعيين الكعبة وخامسها أن الآية فى حق من يشاهد الكعبة فله الاستقبال من أي جهة شاء وسادسها روى عبد الله بن عامر بن ربيعة كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزاة فى ليلة سوداء مظلمة فلم نعرف القبلة فجعل كل رجل منا مسجده حجارة موضوعة بين يديه ثم صلينا فلما أصبحنا اذا نحن على غير القبلة فذكرنا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية عذر الناسى خطئنا وهذا الحديث يدل على أنهم حينئذ قد نقلوا الى الكعبة لان القتال فرض بعد الهجرة بعد نسخ القبلة وسابعها عن ابن عمر نزلت فى المسافر يصلى النوافل حيث توجهت به راحلته وكان صلى الله عليه وسلم اذا رجع من مكة صلى على راحلته تطوعا يومئ برأسه نحو المدينة فمعنى الآية أينما تولوا وجوهكم لنوافلكم فى أسفاركم فثم وجه الله أى فقد صادفتم رضاه ان الله واسع الفضل عليم بمصالحكم فمن ثم رخص لكم كيلا يلزم ترك النوافل والتخلف عن الرفقة فان النوافل غير محصورة بخلاف الفرائض فانها محصورة فتكليف النزول عن الراحلة لاستقبال القبلة لا يفضى فيها الى الحرج ولا يخفى أن الآية على الوجه الأول ناسخة وعلى الوجه الرابع منسوخة وعلى سائر الوجوه لا ناسخة ولا منسوخة وأما الفرقة الثانية فاختلفوا أيضا فقيل ابن الخطاب فى تولوا المانعين والساعين يريد أنهم أين هربوا فان سلطانى يلحقهم وتدبيرى يسبقهم وعلمى محيط بمكانهم عن قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان أخاكم النجاشى قد مات فصلوا عليه فقالوا نصلى على رجل ليس بمسلم فنزلت وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم الآية فقالوا انه كان لا يصلى الى القبلة فنزلت هذه الآية أى الجهات التى يصلى اليها أهل كل ملة لى فمن وجه وجهه نحو شئ منها يريد طاعتى

وجد ثوابي فكان في هذا عذر للنجاشي وأصحابه الذين ماتوا على استقبال المشرق كقوله وما كان الله ليضيع ايمانكم وعن الحسن ومجاهد والضحاك لما نزلت ادعوني أستجب لكم قالوا أين ندعوه فنزلت وعن علي بن عيسى أنه خطاب للمسلمين أي لا يمنعكم تخريب من خرب مساجد الله عن ذكره حيث كنتم من أرضه فلله بلاد المشرق والمغرب والجهات كلها ففي أي مكان فعلتم التولية التي أمرتم بها بدليل فول وجهك شطر المسجد الحرام فولوا وجوهكم شطره فثم الجهة المأمورة المرضية وهذا

كقوله صلى الله عليه وسلم جعلت لي الارض مسجدا وقيل نزلت في المجتهدين في الصلاة أو في غيرها وفيه أن المجتهد اذا رأى بشرائط الاجتهاد رأيا فهو مصيب ومعنى تولوا في جميع الوجوه تقبلوا بوجوهكم اليها ويقال ولى هاربا أي أدبر فالتولية من الاضداد ومن جعل الخطاب للمانعين احتمل أن يريد بالتولية الادبار وثم اشارة الى المكان خاصة وقد زعمت المجسمة من الآية أن الله تعالى وجها وأيضا سماه واسعا والسعة من نعوت الاجسام والجواب أن الآية عليه لا له فان الوجه لو حمل على مفهومه اللغوي لزم خلاف المعقول فانه ان كان محاذيا للشرقي استحال أن يكون حينئذ محاذيا للغربي فلابد من تأويل هو أن الاضافة للتشريف مثل بيت الله وناقة الله لانه خلقهما وأوجدهما فأي وجه من وجوه العالم وجهاته المضافة اليه بالخلق والتكوين نصبه وعينه فهو قبلة والمراد بالوجه القصد والنية مثل وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض أو المراد فثم مرضاة الله مثل انما نطعمكم لوجه الله فان المتقرب الى رضا أحد شيأ فشيأ كالمتوجه الى شخص ذاهبا اليه شيأ فشيأ وكيف يكون له وجه أو جهة أم كيف يكون جسما أو جسمانيا وانه خالق الامكنة والاحياز والجواهر والاعراض والخالق مقدم على المخلوق تقدما بالذات والعلية والشرف فالمراد بالسعة كمال الاستيلاء والقدرة والملك وكثرة العطاء والرحمة والانعام وانه تعالى قادر على الاطلاق في توفية ثواب من يقوم بالمأمورات على شرطها وتوفية عقاب من يتكاسل فيها عليم بمواقع نياتهم فيجازيهم على حسب أعمالهم (قوله وقالوا اتخذ الله ولدا) نوع آخر من قبائح أفعال اليهود والنصارى والمشركين جميعا فقد مر ذكرهم في قوله كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم وفي قوله ومن أظلم كما مر والضمير يصلح للعود اليهم فاليهود قالوا عزير ابن الله والنصارى قالوا المسيح ابن الله والمشركون من العرب قالوا

ابن مسعود أنهم قالوا ما ننسخ من آية نثبت خطها ونبدل حكمها وحدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ما ننسخ من آية نثبت خطها ونبدل حكمها حدثت به عن أصحاب ابن مسعود حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال حدثني بكر بن شوذب عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أصحاب ابن مسعود ما ننسخ من آية نثبت خطها ۞ القول في تأويل قوله (أو ننسها) اختلفت القراءة في قوله ذلك فقرأها قراء أهل المدينة والكوفة أو ننسها ولقراءة من قرأ ذلك وجهان من التأويل أحدهما أن يكون تأويله ما ننسخ يا محمد من آية فنغير حكمها أو ننسها وقد ذكر أنها في مصحف عبد الله ما ننسك من آية أو ننسخها نجئ بمثلها فذلك تأويل النسيان وبهذا التأويل قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها كان ينسخ الآية بالآية بعدها ويقرأ نبي الله صلى الله عليه وسلم الآية أو أكثر من ذلك ثم تنسى وترفع حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله ما ننسخ من آية أو ننسها قال كان الله تعالى ذكره ينسي نبيه صلى الله عليه وسلم ما شاء وينسخ ما شاء حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال كان عبيد بن عمير يقول ننسها نرفعها من عندكم حدثنا سوار بن عبد الله قال ثنا خالد بن الحرث قال ثنا عوف عن الحسن انه قال في قوله أو ننسها قال ان نبيكم صلى الله عليه وسلم أقرئ قرآنا ثم نسيه وكذلك كان سعد بن أبي وقاص يتأول الآية الا أنه كان يقرؤها أو تنسها بمعنى الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه عنى أو تنسها أنت يا محمد ذكر الاخبار بذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا يعلى ابن عطاء عن القاسم قال سمعت سعد بن أبي وقاص يقول ما ننسخ من آية أو تنسها قلت له فان سعيد بن المسيب يقرؤها أو ننسها قال فقال سعد ان القرآن لم ينزل على المسيب ولا على آل المسيب قال الله سنقرئك فلا تنسى واذكر ربك اذا نسيت حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا هشيم قال ثنا يعلى بن عطاء قال ثنا القاسم بن ربيعة بن قائف الثقفي قال سمعت ابن أبي وقاص يذكر نحوه حدثنا محمد بن المثنى وآدم العسقلاني قالا جميعا عن شعبة عن يعلى بن عطاء قال سمعت القاسم بن ربيعة الثقفي يقول قلت لسعد بن أبي وقاص اني سمعت ابن المسيب يقرأ ما ننسخ من آية أو ننسها فقال سعد ان الله لم ينزل القرآن على المسيب ولا على ابنه انما هي ما ننسخ من آية أو تنسها يا محمد ثم قرأ سنقرئك فلا تنسى واذكر ربك اذا نسيت حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله ما ننسخ من آية أو ننسها يقول ننسها نرفعها وكان الله تبارك وتعالى أنزل أمورا من القرآن ثم رفعها والوجه الآخر منهما أن يكون بمعنى الترك من قول الله جل ثناؤه نسوا الله فنسيهم يعني به تركوا الله فتركهم فيكون تأويل الآية حينئذ على هذا التأويل ما ننسخ من آية فنغير حكمها ونبدل فرضها نأت بخير من التي نسخناها أو

الملائكة بنات الله (سبحانه) تنزيه له عن ذلك وتبعيد (بل له ما في السموات والارض) ملكا وخلقا وابداعا وصنعا ومن جملتهم الملائكة وعزير
والمسيح والولد لا بد أن يكون من جنس الوالد ومن أين المناسبة بين واجب الوجود لذاته وممكن الوجود لذاته اللهم الا في مطلق الوجود وذلك
لا يقتضي شركة في الحقيقة الخاصة بكل منهما وقد يتخذ الولد للحاجة اليه في الكبر و رجاء الانتفاع بمعونته وذلك على الغني المطلق والقيوم
الحق محال (كل له قانتون) التنوين عوض عن محذوف أي كل ما في السموات والارض والقنوت في الاصل الدوام ثم الطاعة أو طول القيام
أو السكوت فالمعنى أن دوام الممكنات واستمرارها جميعا به ولاجله وقيل عن مجاهد وابن عباس مطيعون فسئل ما الكفار فأجاب
أنهم يطيعون يوم القيامة فسئل
هذا للمكلفين وقوله بل له ما في
السموات يعم المكلف وغيره فعدل
الى تفسير آخر قائلا المراد كونها
شاهدة على وجود الخالق بما فيها
من آثار القدرة وأمارات الحدوث
أو كون جميعها في ملكه وتحت قهره
لا يمتنع عن تصرفه فيها كيف يشاء
وعلى هذه الوجوه جمع السلامة
في قانتون للتغليب أو يراد كل من
الملائكة وعزير والمسيح عابدون
له مقرون بربوبيته منكرون لما
أضافوا اليهم من الولدية وعلى هذا
الوجه يجمع على الاصل يحكى أن
علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال
لبعض النصارى لولا تمرد عيسى عن
عبادة الله تعالى لصرت على دينه
فقال النصراني كيف يجوز أن
ينسب ذلك الى عيسى مع جده في
طاعة الله فقال علي ان كان عيسى
إلها فالاله كيف يعبد غيره وانما
العبد هو الذي يليق به العبادة
فانقطع النصراني وبهت (بديع) خبر
مبتدأ محذوف أي هو بديع
(السموات والارض) عم أولا لان
الملكية والاختصاص لا يستلزم
كون المالك موجدا للمملوك ثم خص
ثانيا فقال بديع بدع الشيء بالضم
فهو بديع وأبدعته اخترعته
لا على مثال وهذا من اضافة الصفة
المشبهة الى فاعلها أي بديع سمواته
وأرضه وقيل بمعنى المبدع كأليم بمعنى
مؤلم وضعف ثم انه تعالى بين كيفية ابداعه فقال (واذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) أصل التركيب من ق ض ى يدل على القطع مثل
قضى القاضي بهذا اذا فصل الدعوى وانقضى الشيء انقطع وقضى حاجته قطعها عن المحتاج وقضى الامر اذا أتمه وأحكمه لان اتمام العمل قطع
له وقضى دينه أداه لانه انقطع كل منهما عن صاحبه (١) وضاق الشيء لانه كأنه مقطوع الاطراف والامر الشأن والفعل ههنا ومعنى قضى أمرا

مثلها وعلى هذا التأويل تأول جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا
عبد الله بن صالح قال حدثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله أو ننسها يقول أو
نتركها لا نبدلها حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قوله أو ننسها نتركها
لا ننسخها حدثنا أبو كريب قال ثنا هشيم قال أخبرنا جويبر عن الضحاك في قوله ما ننسخ من
آية أو ننسها قال الناسخ والمنسوخ قال وكان عبد الرحمن بن زيد يقول في ذلك ما حدثني به يونس
ابن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ننسها نمحها وقرأ ذلك آخرون أو ننسأها
بفتح النون وهمزة بعد السين بمعنى نؤخرها من قولك نسأت هذا الامر أنسؤه نسأ ونساء اذا أخرته
وهو من قولهم بعته بنساء يعني بتأخير ومن ذلك قول طرفة بن العبد
لعمرك ان الموت ما أنسأ الفتى * لكالطول المرخى وثنياه باليد
يعني بقوله أنسأ أخر وممن قرأ ذلك جماعة من الصحابة والتابعين وقرأه جماعة من قراء الكوفيين
والبصريين وتأوله كذلك جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب ويعقوب
ابن ابراهيم قالا ثنا هشيم قال أخبرنا عبد الملك عن عطاء في قوله ما ننسخ من آية أو ننسأها قال
نؤخرها حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى قال سمعت ابن أبي نجيح يقول في قول
الله أو ننسأها قال نرجئها حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن
مجاهد أو ننسأها نرجئها ونؤخرها حدثنا أحمد بن اسحق الاهوازي قال ثنا أبو أحمد الزبيري قال
ثنا فضيل عن عطية أو ننسأها قال نؤخرها فلا ننسخها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثني
حجاج عن ابن جريج قال أخبرني عبد الله بن كثير عن عبيد الازدي عن عبيد بن عمير أو ننسأها
ارجاؤها وتأخيرها هكذا حدثنا القاسم عن عبد الله بن كثير عن عبيد الازدي وانما هو عن علي
الازدي حدثني أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم بن سلام قال حدثنا حجاج عن ابن جريج عن عبد الله
ابن كثير عن علي الازدي عن عبيد بن عمير أنه قرأها ننسأها فتأويل من قرأ ذلك كذلك ما نبدل
من آية أنزلناها اليك يا محمد فنبطل حكمها ونثبت خطها أو نؤخرها فنرجئها ونقرها فلا نغيرها
ولا نبطل حكمها نأت بخير منها أو مثلها وقد قرأ بعضهم ذلك ما ننسخ من آية أو تنسها وتأويل هذه
القراءة نظير تأويل قراءة من قرأ أو ننسها الا أن معنى أو تنسها أنت يا محمد وقد قرأ بعضهم ما ننسخ
من آية بضم النون وكسر السين بمعنى ما ننسخك يا محمد نحن من آية من أنسختك فانا أنسخك
وذلك خطأ من القراءة عندنا لخروجه عما جاءت به الحجة من القراءة بالنقل المستفيض وكذلك
قراءة من قرأ تنسها أو تنسها لشذوذها وخروجها عن القراءة التي جاءت بها الحجة من قراء الامة
وأولى القراآت في قوله أو ننسها بالصواب من قرأ أو ننسها بمعنى نتركها لان الله جل ثناؤه أخبر نبيه

(١) قوله وضاق الشيء الخ هكذا في الاصل وهي جملة مقتطعة من عبارة الفخر أفاد بها أن مقلوب الترتيب من تركيب قضى يدل على القطع
أيضا وهو القيض والضيق فارجع الى الفخر فان عبارته في هذا المعنى واسعة لتعلم ما هنا كتبه مصححه

أتمه أو حكم بأنه يفعله أو أحكمه قال وعليهما مسرودتان قضاهما * داود أو صنع السوابغ تبع ثم من قرأ فيكون بالرفع على تقدير فهو يكون فلا اشكال وأما من قرأ بالنصب على أنه جواب الامر فاورد عليه ان جواب الامر لا بد أن يخالف الامر فى الفعل أو فى الفاعل أو فيهما نحو اذهب تنتفع أو اذهب يذهب زيد أو اذهب ينفعك زيد فاما أن يتفق الفعلان والفاعلان نحو اذهب تذهب فغير جائز لان الشئ لا يكون شرطا لنفسه قلت لا استبعاد فى هذا لان الغرض الذى رتب على الامر قد يكون (٣٨١) شيأ مغايرا لفعل الامر وذلك أكثرى وقد لا يكون الغرض الا مجرد ذلك الفعل فيوقع ذلك الفعل فى جواب نفسه ليعلم أن الغرض منه ليس شيأ آخر مغايرا له فقول القائل اذهب تذهب أو فتذهب معناه اعلام أن الغرض من الامر هو نفس صدور الذهاب عنه لا شئ آخر كما أن المقصود فى الآية من الامر بالوجود هو نفس الوجود فاوقع كان التامة جوابا لمثلها لهذا الغرض على أنه يمكن أن يشبه الواقع بعد الامر بجواب الامر وان لم يكن جوابا له من حيث المعنى فان قلت ان قوله فيكون لما كان من تتمة المقول فالصواب أن يكون بناء الخطاب نحو اذهب فتذهب قلت هذا الحادث قد ذكر مرتين بلفظ الغيبة فى قوله أمرا وفى قوله له ومرة على سبيل الخطاب فغلب جانب الغيبة ويحتمل أن يكون من باب الالتفات تحقيرا لشأنه فى سهولة تكونه ولان أول الكلام مع المكلفين فروعى ذلك وههنا بحث آخر وهو أنه لا يجوز أن يتوقف ايجاد الله تعالى لشئ على صدور لفظة كن منه لوجوه الاول ان قوله كن اما أن يكون قديما أو محدثا لا جائز ان يكون قديما لان النون لكونه مسبوقا بالكاف يكون محدثا لا محالة والكاف لكونه متقدما على المحدث بزمان مقدر يكون محدثا أيضا ولان اذا للاستقبال فالقضاء محدث وقوله كن مرتب عليه بفاء التعقيب والمتأخر عن المحدث محدث ولان تكون المخلوق مرتب على قوله كن بالفاء والمتقدم على المحدث بزمان محصور محدث أيضا ولا جائز أن يكون كن محدثا والا احتاج الى مثله ويلزم اما الدور واما التسلسل واذا بطل القسمان بطل توقف الاشياء على كن (الثانى) اما أن يخاطب المخلوق بكن قبل دخوله فى الوجود وخطاب المعدوم سفه واما بعد دخوله فى الوجود ولا فائدة فيه (الثالث) المخلوق قد يكون جمادا وتكليف الجماد لا يليق بالحكمة (الرابع) اذا فرضنا القادر المريد منفكا عن قوله كن فان تمكن من الايجاد فلا حاجة الى كن وان لم يتمكن فلا يكون القادر قادرا على

صلى الله عليه وسلم أنه مهما بدل حكما أو غيره أو لم يبدله ولم يغيره فهو آتيه بخير منه أو بمثله فالذى هو أولى بالآية اذ كان ذلك معناها أن يكون اذ قدم الخبر عما هو صانع اذا هو غير وبدل حكم آية أن يعقب ذلك بالخبر عما هو صانع اذا هو لم يبدل ذلك ولم يغير فالخبر الذى يجب أن يكون عقيب قوله ما ننسخ من آية قوله أو نترك نسخها اذ كان ذلك المعروف الجارى فى كلام الناس مع أن ذلك اذا قرئ كذلك بالمعنى الذى وصفت فهو يشتمل على معنى الانساء الذى هو بمعنى الترك ومعنى النساء الذى هو بمعنى التأخير اذ كان كل متروك فمؤخر على حال ما هو متروك وقد أنكر قوم قراءة من قرأ أو تنسها اذا عنى به النسيان وقالوا غير جائز أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم نسى من القرآن شيأ مما لم ينسخ الا أن يكون نسى منه شيأ ثم ذكره قالوا وبعد فانه لو نسى منه شيأ لم يكن الذين قرؤه وحفظوه من أصحابه بجائز على جميعهم أن ينسوه (قالوا) وفى قول الله جل ثناؤه ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا اليك ما ينبئ عن أن الله تعالى ذكره لم ينس نبيه شيأ مما آتاه من العلم (قال أبو جعفر) وهذا قول يشهد على بطوله وفساده الاخبار المتظاهرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بنحو الذى قلنا حدثنا بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد بن زريع قال حدثنا سعيد عن قتادة قال حدثنا أنس بن مالك (١) ان أولئك السبعين من الانصار الذين قتلوا ببئر معونة قرأنا بهم وفيهم كتابا بلغوا عنا قومنا أنا لقينا ربنا فرضى عنا وأرضانا ثم ان ذلك رفع والذى ذكرنا عن أبى موسى الاشعرى انهم كانوا يقرؤن لو أن لابن آدم واديين من مال لابتغى لهما ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب ثم رفع وما أشبه ذلك من الاخبار التى يطول باحصائها الكتاب وغير مستحيل فى فطرة ذى عقل صحيح ولا بحجة خبر أن ينسى الله نبيه صلى الله عليه وسلم بعض ما قد كان أنزله اليه واذا كان ذلك غير مستحيل من أحد هذين الوجهين فغير جائز لقائل أن يقول ذلك غير جائز وأما قوله ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا اليك فانه جل ثناؤه لم يخبر أنه لا يذهب بشئ منه وانما أخبر أنه لو شاء لذهب بجميعه فلم يذهب به والحمد لله بل انما ذهب بما لا حاجة بهم اليه منه وذلك ان ما نسخ منه فلا حاجة بالعباد اليه وقد قال الله تعالى ذكره سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله فاخبر انه ينسى نبيه منه ما شاء فالذى ذهب منه الذى استثناه الله فاما نحن فانما اخترنا ما اخترنا من التأويل طلب اتساق الكلام على نظام فى المعنى لا انكار أن يكون الله تعالى ذكره قد كان آتى نبيه بعض ما نسخ من وحيه اليه وتنزيله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (نأت بخير منها أو مثلها) اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله نأت بخير منها أو مثلها فقال بعضهم بما حدثنى المثنى قال حدثنا عبد الله بن صالح قال حدثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس نأت بخير منها أو مثلها يقول خير لكم فى المنفعة وأرفق بكم وقال آخرون بما حدثنى به الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال

---

(١) قوله أن أولئك السبعين الخ عبارة الدر المنثور عن أنس قال أنزل الله فى الذين قتلوا ببئر معونة قرآنا قرأناه حتى نسخ بعد أن بلغوا الخ وبها يعلم ما هنا كتبه مصححه

الفعل الا عند تكلمه بكن فيلزم عجز القادر بالنظر الى ذاته أو يرجع الحاصل الى تسمية القدرة بكن ولا نزاع فى اللفظ (الخامس) أنا نعلم بالضرورة أنه لا تأثير لهذه الكلمة اذا تكلمنا بها وكذا اذا تكلم بها غيرنا (السادس) المؤثر اما مجموع الكاف والنون ولا وجود لهما مجموعين فعند مجيء الثاني ينقضي الاول واما أحدهما وهذا خلاف المفروض فثبت بهذه الوجوه ان حمل الآية على الظاهر غير جائز فلا بد من تأويل وأصحه أن يقال المراد أن ما قضاه من الامور وأراد (٣٨٢) كونه فانما يتكون ويدخل تحت الوجود من غير امتناع ولا توقف فشبه حال هذا المتكون بحال المأمور المطيع الذي يؤمر فيمتثل لا يتوقف ولا يمتنع ولا يأبى وفيه تأكيد لاستبعاد الولادة لان من كان بهذه الصفة من القدرة كانت حاله مباينة لاحوال الاجسام فى توالدها وقيل انه علامة وضعها الله تعالى للملائكة اذا سمعوها علموا أنه أحدث أمرا عن أبى الهذيل وقيل انه خاص بالموجودين الذين قال لهم كونوا قردة ومن يجرى مجراهم من الامم وقيل أمر للاحياء بالموت وللموتى بالحياة (وقال الذين لا يعلمون) يعنى الجهلة من المشركين وقيل من أهل الكتاب أيضا ونفى عنهم العلم لانهم لم يعملوا به فالآية الاولى فيها بيان قدحهم فى التوحيد وهذه الآية فيها بيان قدحهم فى النبوة ولولا حرف تحضيض أى هلا يكلمنا وتقرير الشبهة ان الحكيم اذا أراد تحصيل شئ اختار أقرب الطرق المؤدية الى المطلوب ثم انه تعالى كلم الملائكة وكلم موسى وأنت تقول يا محمد انه كلمك وأوحى الى عبده ما أوحى فلم لا يكلمنا مشافهة ولا ينص على نبوتك حتى يتأكد الاعتقاد وتزول الشبهة فان لم يفعل ذلك فلم لا تأتى بآية ومعجزة وهذا طعن منهم فى كون القرآن آية ومعجزة فاجابهم الله تعالى بقوله كذلك قال الذين من قبلهم من مكذبى الرسل (تشابهت قلوبهم) أى قلوب هؤلاء ومن قبلهم فى العمى كقوله أتواصوا به فكما أن قوم موسى كانوا أبدا فى التعنت واقتراح الاباطيل لن نصبر على طعام واحد أرنا الله جهرة اجعل لنا الها كما لهم آلهة فكذلك هؤلاء المشركون قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا ولولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا وكذلك المعاصرون من اليهود والنصارى يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء (قد بينا الآيات لقوم) يفقهون فـ(يوقنون) انها آيات فلو كان غرضهم طلب الحق لوقع الاكتفاء بها لكونها آيات ظاهرة هى القرآن العظيم الذي أخرس شقاشق الفصحاء عن آخرهم ومعجزات باهرة

أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله نأت بخير منها أو مثلها يقول آية فيها تخفيف فيها رحمة فيها أمر فيها نهى وقال آخرون نأت بخير من التى نسخناها أو بخير من التى تركناها فلم ننسخها ذكر من قال ذلك حدثنى موسى قال حدثنا عمرو قال حدثنا أسباط عن السدى نأت بخير منها يقول نأت بخير من التى نسخناها أو مثلها أو مثل التى تركناها فالهاء والالف اللتان فى قوله منها عائدتان على هذه المقالة على الآية فى قوله ما ننسخ من آية والهاء والالف اللتان فى قوله أو مثلها عائدتان على الهاء والالف اللتين فى قوله أو ننسها وقال آخرون بما حدثنى به المثنى قال حدثنا أبو حذيفة قال حدثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال كان عبيد بن عمير يقول ننسها نرفعها من عندكم نأت بمثلها أو خير منها حدثنى المثنى قال حدثنا اسحق قال حدثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع أو ننسها نرفعها نأت بخير منها أو بمثلها وحدثنى المثنى قال حدثنا اسحق قال حدثنا بكر بن شوذب عن ابن أبى نجيح عن مجاهد عن أصحاب ابن مسعود مثله والصواب من القول فى معنى ذلك عندنا ما نبدل من حكم آية فنغيره أو نترك تبديله فنقره بحاله نأت بخير منها لكم من حكم الآية التى نسخنا فغيرنا حكمها اما فى العاجل لخفته عليكم من أجل أنه وضع فرض كان عليكم فاسقط ثقله عنكم وذلك كالذى كان على المؤمنين من فرض قيام الليل ثم نسخ ذلك فوضع عنهم فكان ذلك خيرا لهم فى عاجلهم لسقوط عبء ذلك وثقل حمله عنهم واما فى الآجل لعظم ثوابه من أجل مشقة حمله وثقل عبئه على الابدان كالذى كان عليهم من صيام أيام معدودات فى السنة فنسخ وفرض عليهم مكانه صوم شهر كامل فى كل حول فكان فرض صوم شهر كامل كل سنة أثقل على الابدان من صيام أيام معدودات غير أن ذلك وان كان كذلك فالثواب عليه أجزل والاجر عليه أكثر لفضل مشقته على مكلفيه من صوم أيام معدودات فذلك وان كان على الابدان أشق فهو خير من الاول فى الآجل لفضل ثوابه وعظم أجره الذى لم يكن مثله لصوم الايام المعدودات فذلك معنى قوله نأت بخير منها لانه اما بخير منها فى العاجل لخفته على من كلفه أو فى الآجل لعظم ثوابه وكثرة أجره أو يكون مثلها فى المشقة على البدن واستواء الاجر والثواب عليه نظير نسخ الله تعالى ذكره فرض الصلاة شطر بيت المقدس الى فرضها شطر المسجد الحرام فالتوجه شطر بيت المقدس وان خالف التوجه شطر المسجد فكلفة التوجه شطر أيهما توجه شطره واحدة لان الذى على المتوجه شطر البيت المقدس من مؤنة توجهه شطره نظير الذى على بدنه من مؤنة توجهه شطر الكعبة سواء فذلك هو معنى المثل الذى قال جل ثناؤه أو مثلها وانما عنى جل ثناؤه بقوله ما ننسخ من آية أو ننسها ما ننسخ من حكم آية أو ننسه غير أن المخاطبين بالآية لما كان مفهوما عندهم معناها اكتفى بدلالة ذكر الآية من ذكر حكمها وذلك نظير سائر ما ذكرنا من نظائره فيما مضى من كتابنا هذا كقوله وأشربوا فى قلوبهم العجل بمعنى حب العجل ونحو ذلك فتأويل الآية اذا ما نغير من حكم آية فنبدله أو نتركه فلا نبدله نأت بخير لكم أيها المؤمنون حكما منها أو مثل حكمها فى الخفة والثقل والاجر والثواب فان قال قائل فانا قد علمنا أن العجل لا يشرب فى القلوب

كمجيء الشجرة وحنين الجذع وتسبيح الحصى واشباع الخلق الكثير من الطعام القليل وأيضا لو كان في معلوم الله تعالى انهم يؤمنون عند انزال ما اقترحوه لفعلها لكنه علم لجاجهم وعنادهم فلاجرم لم يفعل ذلك وأيضا لعل في تلك الآيات مفاسد لا يعلمها الاعلام الغيوب كافضائها الى حد الالجاء المخل بالتكليف وكايجابها استئصالهم بالكلية اذا استمروا على التكذيب وكخروجها عن القدر الصالح لالزام الحجة وأيضا كثرة الآيات وتعاقبها ينافي كونها خوارق العادة فلا تبقى آيات وكل

ما أدى وجوده الى عدمه ففرض وجوده محال

وأنه لا يلتبس على من سمع قوله وأشربوا في قلوبهم العجل أن معناه وأشربوا في قلوبهم حب العجل فالذي يدل على أن قوله ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها لذلك نظير قيل الذي دل على أن ذلك كذلك قوله نأت بخير منها أو مثلها وغير جائز أن يكون من القرآن شيء خير من شيء لأن جميعه كلام الله ولا يجوز في صفات الله تعالى ذكره أن يقال بعضها أفضل من بعض وبعضها خير من بعض ❁ القول في تأويل قوله تعالى (ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير) يعني جل ثناؤه بقوله ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير ألم تعلم يا محمد أني قادر على تعويضك مما نسخت من أحكامي وغيرته من فرائضي التي كنت افترضتها عليك ما أشاء مما هو خير لك ولعبادي المؤمنين معك وأنفع لك ولهم اما عاجلا في الدنيا واما آجلا في الآخرة أو بان أبدل لك ولهم مكانه مثله في النفع لهم عاجلا في الدنيا وآجلا في الآخرة وشبيهه في الخفة عليك وعليهم فاعلم يا محمد أني على ذلك وعلى كل شيء قدير ومعنى قوله قدير في هذا الموضع قوي يقال منه قد قدرت على كذا وكذا اذا قويت عليه أقدر عليه وأقدر عليه قدرة وقدرانا ومقدرة وبنو مرة من غطفان تقول قدرت عليه بكسر الدال فاما من التقدير من قول القائل قدرت الشيء فانه يقال منه قدرته أقدره قدرا وقدرا ❁ القول في تأويل قوله تعالى (ألم تعلم أن الله له ملك السموات والارض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) قال أبو جعفر ان قال لنا قائل أولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم أن الله على كل شيء قدير وأنه له ملك السموات والارض حتى قيل له ذلك قيل بلى فقد كان بعضهم يقول انما ذلك من الله جل ثناؤه خبر عن أن محمدا قد علم ذلك ولكنه قد أخرج الكلام مخرج التقرير كما تفعل مثله العرب في خطاب بعضها بعضا فيقول أحدهم لصاحبه ألم أكرمك ألم أتفضل عليك بمعنى اخباره أنه قد أكرمه وتفضل عليه يريد أليس قد أكرمتك أليس قد تفضلت عليك بمعنى قد علمت ذلك (قال) وهذا لا وجه له عندنا وذلك ان قوله جل ثناؤه ألم تعلم انما معناه أما علمت وهو حرف جحد أدخل عليه حرف استفهام وحروف الاستفهام انما تدخل في الكلام اما بمعنى الاستثبات واما بمعنى النفي فاما بمعنى الاثبات فذلك غير معروف في كلام العرب ولا سيما اذا دخلت على حروف الجحد ولكن ذلك عندي وان كان ظهر ظهور الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم فانما هو معني به أصحابه الذين قال الله جل ثناؤه لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا والذي يدل على ان ذلك كذلك قوله جل ثناؤه وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير فعاد بالخطاب في آخر الآية الى جميعهم وقد ابتدأ أولها بخطاب النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ألم تعلم أن الله له ملك السموات والارض لان المراد بذلك الذين وصفت أمرهم من أصحابه وذلك من كلام العرب مستفيض بينهم فصيح أن يخرج المتكلم كلامه على وجه الخطاب منه لبعض الناس وهو قاصد به غيره وعلى وجه الخطاب لواحد وهو يقصد به جماعة غيره أو جماعة والمخاطب به أحدهم وعلى وجه الخطاب للجماعة والمقصود به أحدهم من ذلك قول الله جل ثناؤه يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ثم قال واتبع ما يوحى اليك من ربك ان الله كان بما تعملون خبيرا فرجع الى خطاب الجماعة وقد ابتدأ الكلام بخطاب النبي صلى الله عليه وسلم ونظير ذلك قول الكميت بن زيد في

فثبت بهذه البيانات أن عدم اسعافهم بما اقترحوه لا يقدح في صحة النبوة والله أعلم ✽ (التأويل) مساجد الله التي يذكر فيها أساميها عند أهل النظر النفس والقلب والروح والسر والخفي وهو سر السر وذكر كل مسجد منها مناسب لذلك المسجد فذكر مسجد النفس الطاعات والعبادات ومنع الذكر فيه بترك الحسنات وملازمة السيئات وذكر مسجد القلب التوحيد والمعرفة ومنع الذكر فيه بالتمسك بالشبهات والتعلق بالشهوات كما أوحى الله الى داود عليه السلام يا داود حذر وأنذر أصحابك كل الشهوات فان القلوب المعلقة بالشهوات عقولها عني محجوبة وذكر مسجد الروح الشوق والمحبة ومنع الذكر فيه بالحظوظ والمسكنات وذكر مسجد السر المراقبة والشهود ومنع الذكر فيه بالركون الى الكرامات والقربات وذكر مسجد الخفي بذل الوجود وترك الموجود ومنع الذكر فيه بالالتفات الى المشاهدات والمكاشفات أولئك ما كان لهم أن يدخلوا هذه المشاهد بقدم السلوك الا بخطوات الخوف من سوء الحساب وألم العقاب لهم في الدنيا خزي من ذل الحجاب ولهم في الآخرة عذاب الحرمان من جوار

الله ولله المشرق والمغرب القلوب مشارق شموس المعارف ومغاربها ولله في مشرق كل قلب ومغربه شارق وطارق فطارق القلب من هواجس النفس يطرق بظلمات المنى عند غلبات الهوى وغروب نجم الهدى وشارق القلب من واردات الروح يشرق بانوار الفتوح عند غلبات الشوق وطلوع قمر الشهود فتكون القبلة واضحة والدلالات لائحة فاذا تجلت شمس صفات الجلال خفيت نجوم صفات الجمال واذا استولى سلطان الحقيقة على ممالك الخليقة طويت بايدي سطوات الجود سرادقات الوجود فما بقيت الارض ولا السماء ولا الظلمة

ولا الضياء اذليس عند الله صباح ولامساء وتلاشى العبدية فى كعبة العندية ونودوا بفناء الفناء من عالم البقاء رفعت القبلة ومابقى الا الله فاينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع يوسع قلب من يشاء من عباده ليسعه عليم بتوسيع القلب لسعته بلا كيف وحيف كما قال لا يسعنى أرضى ولا سمائى وانما يسعنى قلب عبدى المؤمن والله أعلم (انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسئل عن أصحاب الجحيم ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل ان هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا نصير الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به ومن يكفر به فاولئك هم الخاسرون يابنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأنى فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لاتجزى نفس عن نفس شيأ ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون) القرا آت ولا تسئل على النهى نافع و يعقوب الباقون بضم التاء و رفع اللام على الخبر * الوقوف ونذيرا (لا) للعطف أى نذيرا وغير مسؤل الا لمن قرأ ولا تسئل على النهى لاختلاف الجملتين الجحيم ه ملتهم ط الهدى ط من العلم (لا) لان نفى الولاية والنصرة يتعلق بشرط اتباع أهوائهم فكان فى الاطلاق خطر نصير ه تلاوته ط لان ما بعدها مبتدأ آخر مع خبره وعندى أن الاصوب عدم الوقف لتكون الجملة أعنى يتلونه حالا من مفعول آتينا أو من فاعله مقدرة وقوله أولئك يؤمنون به الجملة خبر الذين لان الاخبار عن أهل الكتاب مطلقا بانهم يتلونه حق تلاوته لا يصح اللهم الا أن يحمل الكتاب على القرآن كما يجىء يؤمنون به ط للابتداء بالشرط الخاسرون ه العالمين ه ينصرون ه * التفسير لما بين غاية اصرارهم على العناد وتصميمهم على الكفر بعد نزول ما يكفى فى باب الاقتداء والاهتداء من الآيات البينات أراد أن يسلى ويسرى عن رسوله لئلا يضيق صدره فقال انا أرسلناك يا محمد بالحق والصواب حسب ما تقتضيه الحكمة وهو أن لا يكون لك أن تجبرهم على الايمان بل لا يتجاوز حالك عن أن تكون بشيرا لمن اتبعك بكل خير ونذيرا لمن خالفك بكل سوء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فانك غير مسؤل عن أصحاب الجحيم وهو من أسماء النار وكل نار عظيمة فى مهواة فهى جحيم من قوله تعالى قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه فى الجحيم والجاحم المكان الشديد الحر وهذا كقوله فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب وأما قراءة النهى فيروى أنه قال ليت شعرى ما فعل

مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم

الى السراج المنير أحمد لا * يعدلنى رغبة ولا رهب

عنه الى غيره ولو رفع الناس الى العيون وارتقبوا *

وقيل أفرطت بل قصدت ولو * عنفنى القائلون أو ثلبوا

لج بتفضيلك اللسان ولو * أكثر فيك الضجاج واللجب

أنت المصفى المحض المهذب فى النسبة ان نص قومك النسب *

فاخرج كلامه على وجه الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم وهو قاصد بذلك أهل بيته فكنى عن وصفهم ومدحهم بذكر النبى صلى الله عليه وسلم وعن بنى أمية بالقائلين المعنفين لانه معلوم أنه لا أحد يوصف بتعنيف مادح النبى صلى الله عليه وسلم وتفضيله ولا باكثار الضجاج واللجب فى اطناب القيل بفضله وكما قال جميل بن معمر

ألا ان جيرانى العشية رائح * دعتهم دواع من هوى ومنادح

فقال ألا ان جيرانى العشية فابتدأ الخبر عن جماعة جيرانه ثم قال رائح لان قصده فى ابتدائه ما ابتدأ به من كلامه الخبر عن واحد منهم دون جماعتهم وكما قال جميل أيضا فى كلمته الاخرى

خليلى فيما عشتما هل رأيتما * قتيلا بكى من حب قاتله قبلى

وهو يريد قاتلته لانه انما يصف امرأة فكنى باسم الرجل عنها وهو يعنيها فكذلك قوله ألم تعلم أن الله على كل شئ قدير ألم تعلم أن الله له ملك السموات والارض وان كان ظاهر الكلام على وجه الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم فانه مقصود به قصد أصحابه وذلك بين بدلالة قوله وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل الآيات الثلاث بعدها على أن ذلك كذلك أما قوله له ملك السموات والارض ولم يقل ملك السموات فانه عنى بذلك ملك السلطان والمملكة دون الملك والعرب اذا أرادت الخبر عن المملكة التى هى مملكة سلطان قالت ملك الله الخلق ملكا واذا أرادت الخبر عن الملك قالت ملك فلان هذا الشئ فهو يملكه ملكا وملكة وملكا فتأويل الآية اذا ألم تعلم يا محمد أن لى ملك السموات والارض وسلطانهما دون غيرى أحكم فيهما وفيما فيهما ما أشاء وآمر فيهما وفيما فيهما بما أشاء وأنهى عما أشاء وأنسخ وأبدل وأغير من أحكامى التى أحكم بها فى عبادى ما أشاء اذا أشاء وأقر منها ما أشاء وهذا الخبر وان كان من الله عز وجل خطابا لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم على وجه الخبر عن عظمته فانه منه جل ثناؤه تكذيب لليهود الذين أنكروا نسخ أحكام التوراة وجحدوا نبوة عيسى وأنكروا محمدا صلى الله عليه وسلم لمجيئهما بما جاآ به من عند الله بتغيير ما غير الله من حكم التوراة فاخبرهم الله أن له ملك السموات والارض وسلطانهما فان الخلق أهل مملكته وطاعته عليهم السمع له والطاعة لامره ونهيه وان له أمرهم بما شاء ونهيهم عما شاء ونسخ ما شاء واقرار ما شاء وانساء ما شاء من أحكامه وأمره ونهيه ثم قال لنبيه صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين معه انقادوا لامرى وانتهوا الى طاعتى فيما أنسخ وفيما أترك فلا أنسخ من أحكامى وحدودى وفرائضى ولا يهولنكم خلاف مخالف لكم فى أمرى ونهيى وناسخى ومنسوخى فانه

لاقيم بأمركم سواى ولا ناصر لكم غيرى وأنا المنفرد بولايتكم والدفاع عنكم والمتوحد بنصرتكم بعزى وسلطانى وقوتى على من ناوأكم وحادكم ونصب حرب العداوة بينه وبينكم حتى أعلى حجتكم وأجعلها عليهم لكم والولى معناه فعيل من قول القائل وليت أمر فلان اذا صرت قيما به فانا أليه فهو وليه وقيمه ومن ذلك قيل فلان ولى عهد المسلمين يعنى به القائم بما عهد اليه من أمر المسلمين وأما النصير فانه فعيل من قولك نصرتك أنصرك فانا ناصرك ونصيرك وهو المؤيد والمقوى وأما معنى قوله من دون الله فانه سوى الله وبعد الله ومنه قول أمية بن أبى الصلت

يا نفس مالك دون الله من واق * وما على حدثان الدهر من باقى

يريد مالك سوى الله وبعد الله من يقيك المكاره فمعنى الكلام اذا وليس لكم أيها المؤمنون بعد الله من قيم بأمركم ولا نصير فيؤيدكم ويقويكم فيعينكم على أعدائكم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل) اختلف أهل التأويل فى السبب الذى من أجله أنزلت هذه الآية فقال بعضهم بما حدثنا به أبو كريب قال حدثنى يونس بن بكير وحدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة بن الفضل قال ثنا ابن اسحق قال حدثنى محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت قال حدثنى سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال رافع بن حريملة ووهب بن زيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ائتنا بكتاب تنزله علينا من السماء نقرؤه وفجر لنا أنهارا نتبعك ونصدقك فانزل الله فى ذلك من قولهم أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل الآية وقال آخرون بما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل وكان موسى يسئل فقيل له أرنا الله جهرة حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل أن يريهم الله جهرة فسألت العرب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم بالله فيروه جهرة وقال آخرون بما حدثنى به محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل أن يريهم الله جهرة فسألت قريش محمدا صلى الله عليه وسلم أن يجعل الله لهم الصفا ذهبا قال نعم وهو لكم كمائدة بنى اسرائيل ان كفرتم فابوا ورجعوا حدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال سألت قريش محمدا أن يجعل لهم الصفا ذهبا فقال نعم وهو لكم كالمائدة لبنى اسرائيل ان كفرتم فابوا ورجعوا فانزل الله أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل أن يريهم الله جهرة حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله وقال آخرون بما حدثنى به المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع عن أبى العالية قال قال رجل يا رسول الله لو كانت كفاراتنا كفارات بنى اسرائيل فقال النبى صلى الله عليه وسلم اللهم لا نبغيها ما أعطاكم الله خير مما أعطى بنى اسرائيل كانت بنو اسرائيل اذا فعل أحدهم الخطيئة

أو اى فنهى عن السؤال عن أحوال الكفرة والاهتمام بأعداء الله وفى هذه الرواية بعد لان سياق الكلام ينبو عن ذلك ولانه صلى الله عليه وسلم مع علمه الاجمالى بحال الكفار كيف يتمنى ذلك والاقرب أن معناه تعظيم ما وقع فيه الكفار من المحن كما اذا سألت عمن وقع فى بلية فقال لا تسأل عنه فكان المسؤل يحرج أن يجرى على لسانه ما هو فيه لفظاعته أو يرى أنك لا تقدر على استماع خبره لانه يورث الوحشة والضجر وقوله ولن ترضى فيه اقناط لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن اسلامهم وان القوم قد بلغوا من التصميم على ما هم فيه الى حد لا يقنعون بالكفاف ولا يرضون رأسا برأس بل يريدون منك عكس ما تطمع منهم زاعمين أن ملتهم التى حان نسخها هى الهدى قل ان هدى الله الذى هو الاسلام هو الهدى الحق ليس وراءه هدى لانه ناسخ للاديان كلها (ولئن اتبعت أهواءهم) مشتهياتهم وآراءهم الباطلة المنسوخة (بعد الذى جاءك من العلم) بأمر الديانة لوضوح البراهين وسطوع الدلائل (مالك من الله) من عقابه وسخطه (من ولى) معين يعصمك (ولا نصير) يذب عنك قال أهل البرهان انما يقل فى هذه الآية بعد ما جاءك من العلم كما قال فى آية القبلة لان العلم فى الآية الاولى علم كامل ليس وراءه علم وهو العلم بالله وبصفاته وان الهدى هدى الله فكان لفظ الذى أليق لانه فى التعريف أبلغ فان الذى يعرفه صلته ولا يتنكر قط ويلزمه الالف واللام بخلاف ما فانه نكرة ولا يدخله الالف واللام وخصت آية القبلة بما ومن التى لابتداء الغاية لان المراد هناك قليل من كثير العلم وهو العلم بالقبلة وليس الاول موقتا بوقت أعنى العلم بالله وبصفاته فلم يحتج الى زيادة من التوقيتية وقريب من معنى القبلة ما فى آل عمران من بعد ما جاءك من العلم فلهذا جاء بلفظ ما وزاد لفظة من وأما فى سورة الرعد فانه ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم لان العلم فيها هو الحكم العربى أى القرآن فكان بعضا من الاول وهو العلم بالله وبصفاته فجاء بلفظ ما ولم يزد لفظ من التوقيتية لانه غير موقت والله أعلم باسرار كلامه وفى الآية دليل على بطلان التقليد فيما الى تحقيقه سبيل حتى لا يكون اتباع الهوى وفيها أنه لا يجوز الوعيد الا بعد نصب الادلة على العلم بالمأمور به لقوله بعد ما جاءك من العلم فلأن لا يجوز التوعد الا بعد القدرة على المأمور به كان أولى فبطل القول بتكليف ما لا يطاق وفيها أن الذى علم الله منه انه لا يفعل الشئ يجوز منه أن يتوعده على فعله ونظيره قوله لئن أشركت ليحبطن عملك وانما يحسن هذا

الوعيد لاحتمال أن الصارف له عن ذلك الفعل هو هذا الوعيد أو هو أحد صوارفه ولان فيه زجرا شديدا للامة لانهم اذا علموا أن حال النبي صلى الله عليه وسلم لو فرض منه اتباع أهوائهم مع ما ورد في حقه ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر لم يبق لهم طمع في الخلاص لو وجد منهم ذلك (الذين آتيناهم الكتاب) قيل انهم المؤمنون الذين آتاهم القرآن لان الكتاب الذي يمدح على تلاوته هو القرآن والاصح أنه لما قدم ذكر المعاندين من أهل الكتاب راد أن يذكر مؤمنيهم ومعنى يتلونه حق تلاوته لا يحرفونه ولا يغيرون ما فيه من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يتبعون مقتضاه من غير تكاسل ومنع متمسكين بأحكامه من حلال وحرام وغيرهما أو يخضعون عند تلاوته ويخشعون أو يعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه أولئك يؤمنون بكتابهم دون من ليس على حالهم ممن لا يتلو الكتاب حق تلاوته كما يستحق أن يتلى (ومن يكفر به) من المحرفين أو من الواضعين من حقه (فأولئك هم الخاسرون) حيث لم ينتفعوا بما يحق ان ينتفع به و يغتنم وروده فرجعوا منه بخفي حنين وفازوا بكل حين (يابني اسرائيل) الآيتان رجوع الى أول القصة تذكير النعم بعد تعداد مواجب النقم ليتنبه منهم من وفق للتنبه والله المستعان (واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال اني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره الى عذاب النار وبئس المصير) القراآت ابراهام بالالف في البقرة والنساء الا فقد آتينا آل ابراهيم وفي الانعام ملة ابراهام وفي جميع براءة الا وقوم ابراهيم وفي ابراهيم واذ قال ابراهام وفي النحل ومريم والعنكبوت ولما جاءت رسلنا ابراهام خاصة وفي حم عسق وجميع المفصل الا قوله في المودة الا قول ابراهيم وفي الاعلى صحف ابراهيم هشام وابن ذكوان وروى ابن مجاهد في هذه السورة فقط (واعلم) أن ذكر ابراهيم في القرآن تسعة وستون موضعا منها ثلاثة وثلاثون ابراهام بالالف في قراءة ابن عامر عن ابن ذكوان وستة وثلاثون ابراهيم بالياء والعلة في ذلك اتباع مصحفهم فما كتب بالالف قرئ

وجدها مكتوبة على بابه وكفارتها فان كفرها كانت له خزيا في الدنيا وان لم يكفرها كانت له خزيا في الآخرة وقد أعطاكم الله خيرا مما أعطى بني اسرائيل قال ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما (قال) وقال الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة كفارات لما بينهن وقال من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشر أمثالها ولا يهلك على الله الا هالك فأنزل الله أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل واختلف أهل العربية في معنى أم التي في قوله أم تريدون فقال بعض البصريين هي بمعنى الاستفهام وتأويل الكلام أتريدون أن تسألوا رسولكم وقال آخرون منهم هي بمعنى استفهام مستقبل منقطع من الكلام كانك تميل بها الى أوله كقول العرب انها الابل يا قوم أم شاء ولقد كان كذا وكذا أم حدس نفسي (قال) وليس قوله أم تريدون على الشك ولكنه قاله ليقبح له صنيعهم واستشهد لقوله ذلك ببيت الاخطل

كذبتك عينك أم رأيت بواسط * غلس الظلام من الرباب خيالا

وقال بعض نحويي الكوفيين ان شئت جعلت قوله أم تريدون استفهاما على كلام قد سبقه كما قال جل ثناؤه الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه فجاءت أم وليس قبلها استفهام فكان ذلك عنده دليلا على انه استفهام مبتدأ على كلام سبقه وقال قائل هذه المقالة أم في المعنى تكون ردا على الاستفهام على جهتين احداهما أن تعرف معنى أي والاخرى أن يستفهم بها ويكون على جهة النسق والذي ينوى به الابتداء الا أنه ابتداء متصل بكلام فلو ابتدأت كلاما ليس قبله كلام ثم استفهمت لم يكن الا بالالف أو بهل قال وان شئت قلت في قوله أم تريدون قبله استفهام فرد عليه وهو في قوله ألم تعلم أن الله على كل شئ قدير والصواب من القول في ذلك عندي على ما جاءت به الآثار التي ذكرناها عن أهل التأويل أنه استفهام مبتدأ بمعنى أتريدون أيها القوم أن تسألوا رسولكم وانما جاز أن يستفهم القوم بأم وان كانت أم أحد شروطها أن تكون نسقا في الاستفهام لتقدم ما تقدمها من الكلام لانها تكون استفهاما مبتدأ اذا تقدمها سابق من الكلام ولم يسمع من العرب استفهام بها ولم يتقدمها كلام ونظيره قوله جل ثناؤه ألم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه وقد تكون أم بمعنى بل اذا سبقها استفهام لا يصلح فيه أي فيقولون هل لك قبلنا حق أم أنت رجل معروف بالظلم وقال الشاعر

فوالله ما أدري أسلمى تغولت * أم القوم أم كل الي حبيب

يعني بل كل الي حبيب وقد كان بعضهم يقول منكرا قول من زعم أن أم في قوله أم تريدون استفهام مستقبل منقطع من الكلام يميل بها الى أوله ان الاول خبر والثاني استفهام والاستفهام لا يكون في الخبر والخبر لا يكون في الاستفهام ولكن أدركه الشك بزعمه بعد مضي الخبر فاستفهم فاذا كان معنى أم ما وصفنا فتأويل الكلام أتريدون أيها القوم أن تسألوا رسولكم من الاشياء نظير ما سأل قوم موسى من قبلكم فتكفروا ان منعتموه في مسئلتكم ما لا يجوز في حكمة الله اعطاؤكموه أو أن تهلكوا ان كان مما يجوز في حكمته عطاؤكموه فأعطاكموه ثم كفرتم من بعد ذلك كما هلك من كان قبلكم

بالالف وما كتب بالياء قرئ بالياء والاختيار عند الائمة أن يقرأ ههنا بالالف لبيان المذهب والبواقي بالياء لانه أحسن في اللفظ وأشهر ويوافقه سائر الاسماء الاعجمية كاسرائيل واسرافيل واسمعيل عهدي مرسلة الياء حمزة وحفص واذ جعلنا وبابه مدغمة الذال في الجيم أبو عمرو وهشام بيتي بالفتح أبو جعفر ونافع وحفص وهشام واتخذوا بفتح الخاء نافع وابن عامر الباقون بالكسر فامتعه خفيفا ابن عامر الباقون بالتشديد * الوقوف فأتمهن ط اماما ط ذريتي ط الظالمين ٥ وأمنا ط لمن قرأ (٣٨٧) واتخذوا بالكسر لاعتراض الامر بين ماضيين مصلى ط كذلك ومن فتح الخاء نسق الافعال الثلاثة فلا وقف السجود ٥ واليوم الآخر ط عذاب النار ط لان نعم وبئس للمبالغة في المدح والذم فيبتدئ بهما تنبيها على المدح والذم المصير ٥ * التفسير انه تعالى لما استقصى في شرح نعمه على بني اسرائيل والمشركين ومقابلتهم النعمة بالكفران والعناد شرع في نوع آخر من البيان وهو ذكر قصة ابراهيم عليه السلام لان كلهم معترفون بفضله وانهم من أولاده ومن ساكني حرمه وخدام بيته وفي قصته أمور توجب الاعتراف بدين محمد صلى الله عليه وسلم والانقياد لشرعه منها أنه أمر ببعض التكاليف ثم وفى بها فنال منصب الاقتداء به فيعلم أن الخيرات كلها لا تحصل الا بترك التمرد والانقياد لحكم الله والتزام تكاليفه ومنها أنه طلب الامامة لذريته فقيل له لا ينال عهدي الظالمين فيعرف أن طالب الحق يجب أن يترك التعصب والمراء و وضع ما رفعه الله لينال رياسة الدارين ومنها أن القبلة لما حولت الى الكعبة شق ذلك على اليهود فأريد ازالة غيظهم بأن هذا البيت قبلة ابراهيم الذي اعترفوا بتعظيمه والاقتداء به ومنها أنه دعا بارسال نبي من ذريته وهو محمد صلى الله عليه وسلم كما يجيء فيجب على من يعترف بابراهيم أن يعترف بمحمد صلى الله عليه وسلم أما قوله واذ ابتلى العامل في اذ إما مضمر نحو واذكر ونحوه ويكون بمعنى الوقت فقط أو واذ ابتلى كان كيت وكيت وإما قال اني جاعلك للناس اماما وعلى هذين التقديرين تكون ظرفا لكان أو قال وموقع قال على الاولين استئناف كأنه قيل فماذا قال له ربه حين أتم الكلمات فأجيب قال اني جاعلك وعلى الثاني جملة معطوفة على ما قبلها من الآيات ولا يخفى أن الاستئناف أصوب لتناسب سياق الجملتين الآتيتين لورودهما أيضا على طريقة السؤال المقدر والجواب وليكون على منهاج واذ جعلنا واذ قال ابراهيم واذ يرفع والابتلاء

قبلكم من الامم التي سألت أنبياءها ما لم يكن لها مسئلتها اياهم فلما أعطيت كفرت فعوجلت بالعقوبات لكفرها بعد اعطاء الله اياها سؤلها ﴿ القول في تأويل قوله تعالى (ومن يتبدل الكفر بالايمان) يعني جل ثناؤه بقوله ومن يتبدل ومن يستبدل الكفر ويعني بالكفر الجحود بالله وبآياته بالايمان يعني بالتصديق بالله وبآياته والاقرار به وقد قيل عني بالكفر في هذا الموضع الشدة وبالايمان الرخاء ولا أعرف الشدة في معاني الكفر ولا الرخاء في معنى الايمان الا أن يكون قائل ذلك أراد بتأويله الكفر بمعنى الشدة في هذا الموضع وبتأويله الايمان في معنى الرخاء ما أعد الله للكفار في الآخرة من الشدائد وما أعد الله لاهل الايمان فيها من النعيم فيكون ذلك وجها وان كان بعيدا من المفهوم بظاهر الخطاب ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن أبي العالية ومن يتبدل الكفر بالايمان يقول يتبدل الشدة بالرخاء حدثنا القاسم قال ثنا الحسن قال حدثني حجاج عن ابن أبي جعفر عن الربيع عن أبي العالية بمثله وفي قوله ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل دليل واضح على ما قلنا من أن هذه الآيات من قوله يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا خطاب من الله جل ثناؤه المؤمنين به من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعتاب منه لهم على أمر سلف منهم مما سر به اليهود وكرهه رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم فكرهه الله لهم فعاتبهم على ذلك وأعلمهم أن اليهود أهل غش لهم وحسد وبغي وأنهم يتمنون لهم المكاره ويبغونهم الغوائل ونهاهم أن ينتصحوهم وأخبرهم أن من ارتد منهم عن دينه فاستبدل بايمانه كفرا فقد أخطأ قصد السبيل ﴿ القول في تأويل قوله تعالى (فقد ضل سواء السبيل) أما قوله فقد ضل فانه يعني به ذهب وحاد وأصل الضلال عن الشئ الذهاب عنه والحيد ثم يستعمل في الشئ الهالك والشئ الذي لا يؤبه له كقولهم للرجل الخامل الذي لا ذكر له ولا نباهة ضل بن ضل وقل بن قل كقول الاخطل في الشئ الهالك

كنت القذى في موج أكدر مزبد * قذف الأتي به فضل ضلالا

يعني هلك فذهب والذي عنى الله تعالى ذكره بقوله فقد ضل سواء السبيل فقد ذهب عن سواء السبيل وحاد عنه وأما تأويل قوله سواء السبيل فانه يعني بالسواء القصد والمنهج وأصل السواء الوسط ذكر عن عيسى بن عمر النحوي أنه قال مازلت أكتب حتى انقطع سوائي يعني وسطي وقال حسان بن ثابت

يا ويح أنصار النبي ونسله * بعد المغيب في سواء الملحد

يعني بالسواء الوسط والعرب تقول هو في سواء السبيل يعني في مستوى السبيل وسواء الارض مستواها عندهم وأما السبيل فانها الطريق المسبول صرف من مسبول الى سبيل فتأويل الكلام اذا ومن يستبدل بالايمان بالله وبرسوله الكفر فيرتد عن دينه فقد حاد عن منهج الطريق ووسطه الواضح المسبول وهذا القول ظاهره الخبر عن زوال المستبدل بالايمان الكفر عن الطريق والمعنى

الاختبار والامتحان عبر عن تكليفه اياه بالبلوى تشبيها لامره بأمر المخلوقين وبناء على العرف بيننا فان كثيرا ما نقد يأمر ليعرف ما يكون من المأمور حينئذ والا فكيف يجوز حقيقة الابتلاء عليه تعالى مع أنه عالم بجميع المعلومات التى لا نهاية لها على سبيل التفصيل من الازل الى الابد وقيل مجاز عن تمكينه العبد من اختيار أحد الامرين ما يريد الله وما يشتهيه هو كأنه يمتحنه ما يكون منه حتى يجازيه على حسب ذلك واعلم أن هشام بن الحكم ومن تابعه زعم أنه (٣٨٨) تعالى كان فى الازل عالما بحقائق الاشياء وماهياتها فقط وأما حدوث تلك الماهيات ودخولها فى الوجود فهو تعالى لا يعلمها الا عند وقوعها بدليل هذه الآية وأمثالها المذكور فيها الابتلاء وكلمة لعل والجواب عنها ما مر وقد يستدل أيضا على مذهبه بوجوه معقولة منها انه تعالى لو كان عالما بالاشياء قبل وقوعها لزم نفى القدرة عن الخالق لان ما علم الله وقوعه استحال أن لا يقع وما علم أنه لا يقع استحال أن يقع ولا قدرة على الواجب وعلى الممتنع بالاتفاق والجواب أن الوجوب بالغير وكذا الامتناع بالغير لا ينافيان قدرة القادر عليه وانما المنافى للقدرة عليه كونه واجبا لذاته أو ممتنعا لذاته ومنها أنه لو كان عالما بجميع الجزئيات لكان له علوم غير متناهية أو كان لعلمه تعلقات غير متناهية فيلزم حصول موجودات غير متناهية دفعة واحدة وذلك محال لان مجموع تلك الاشياء أزيد من ذلك المجموع بعينه عند نقصان عشرة منها فالناقص متناه وكذا الزائد ونوقض بمراتب الاعداد التى لا نهاية لها وأيضا المجموعية والزيادة والنقصان كلها من خواص المتناهى فاما الذى لا نهاية له ففرض هذه الاعراض فيه محال ومنها أن هذه المعلومات التى لا نهاية لها هل يعلم الله عددها مفصلة أو لا يعلم فان علم عددها فهى متناهية وان لم يعلم فهو المطلوب والجواب الاختيار أنه لا يعلم عددها ولا يلزم الجهل لان الجهل هو أن يكون لها عدد معين ثم ان الله لا يعلم عددها فاما اذا لم يكن لها عدد فى نفسها فلا جهل ومنها أن خصمهم كل معلوم فهو متميز فى الذهن عما عداه وكل متميز عما عداه فما خارج عنه وكل ما خرج عنه غيره فهو متناه وكل معلوم متناه فما هو غير متناه استحال ان يكون معلوما والجواب أنه ليس من شرط المعلوم تميزه من غيره عند العالم لان العلم بتميزه عن غيره موقوف على العلم بذلك الغير و يلزم منه أن لا يعلم الانسان شيأ الا اذا علم أمورا لا نهاية لها والحق أن نور الانوار لا يتناهى و وراء لا يتناهى ما لا يتناهى واحاطة غير المتناهى

به الخبر عنه أنه ترك دين الله الذى ارتضاه لعباده وجعله لهم طريقا يسلكونه الى رضاه وسبيلا يركبونها الى محبته والفوز بجناته فجعل جل ثناؤه الطريق الذى اذا ركب محجته السائر فيه ولزم وسطه المجتاز فيه نجا وبلغ حاجته وأدرك طلبته لدينه الذى دعا اليه عباده مثلا لادراكهم بلزومه واتباعه ادراكهم طلباتهم فى آخرتهم كالذى يدرك اللازم محجة السبيل بلزومه اياها طلبته من النجاة منها والوصول الى الموضع الذى أمه وقصده وجعل مثل الحائد عن دينه والحائد عن اتباع ما دعاه اليه من عبادته (١) فى حياته ما رجا أن يدركه بعمله فى آخرته و ينال به فى معاده وذهابه عما أمل من ثواب عمله وبعده به من ربه مثل الحائد عن منهج الطريق وقصد السبيل الذى لا يزداد وغولا فى الوجه الذى سلكه الا ازداد من موضع حاجته بعدا وعن المكان الذى أمه وأراده نأيا وهذه السبيل التى أخبر الله عنها أن من يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواءها هى الصراط المستقيم الذى أمرنا بمسئلته الهداية له بقوله اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا) قال أبو جعفر وقد صرح هذا القول من قول الله جل ثناؤه بان خطابه بجميع هذه الآيات من قوله يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وان صرف فى نفسه الكلام الى خطاب النبى صلى الله عليه وسلم انما هو خطاب منه للمؤمنين وأصحابه وعتاب منه لهم ونهى لهم عن انتصاح اليهود ونظرائهم من أهل الشرك وقبول آرائهم فى شئ من أمور دينهم ودليل على انهم كانوا استعملوا أو من استعمل منهم فى خطابه ومسئلته رسول الله صلى الله عليه وسلم الجفاء وما لم يكن له استعماله معه تأسيا باليهود فى ذلك أو ببعضهم قال لهم ربهم ناهيا لهم عن استعمال ذلك لا تقولوا لنبيكم صلى الله عليه وسلم كما تقول له اليهود راعنا تأسيا منكم بهم ولكن قولوا انظرنا واسمعوا فان أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم كفر بى وجحود لحقى الواجب لى عليكم فى تعظيمه وتوقيره ولمن كفر بى عذاب أليم فان اليهود والمشركين ما يودون أن ينزل عليكم من خير من ربكم ولكن كثيرا منهم ودوا أنهم يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم لكم ولنبيكم محمد صلى الله عليه وسلم من بعد ما تبين لهم الحق فى أمر محمد وأنه نبى اليهم والى خلق كافة وقد قيل ان الله جل ثناؤه عنى بقوله ود كثير من أهل الكتاب كعب بن الاشرف حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهرى فى قوله ود كثير من أهل الكتاب هو كعب بن الاشرف حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان العمرى عن معمر عن الزهرى وقتادة ود كثير من أهل الكتاب قال كعب بن الاشرف وقال بعضهم بما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال حدثنى ابن اسحق وحدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير قال ثنا محمد بن اسحق قال حدثنى محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت قال حدثنى سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال كان حيى بن اخطب وأبو ياسر بن أخطب من أشد يهود للعرب حسدا اذ

---

(١) قوله فى حياته ما رجا الخ هكذا فى الاصل ولعل لفظ حياته محرف عن حرمانه فارجع الى النسخ الصحيحة كتبه مصححه

بعيد المتناهى غير بعيد وقد يتعلق علمنا بكثير من الاشياء قبل حصولها فاذا كان علمنا مع تناهى قوتنا ونور بنا هكذا فما ظنك بالعليم الخبير الذى هو نور النور ومدبر الامور وكل عسير عليه يسير ابراهيم بالنصب ربه بالرفع هو المشهور وهذه الصورة مما يجب فيه تاخير الفاعل وازالته عن مركزه الاصلى فانه لو قدم الفاعل وقد اتصل به ضمير المفعول لزم الاضمار قبل الذكر لفظا وعن ابن عباس وأبى حنيفة رفع ابراهيم ونصب ربه فالمعنى أنه دعاه بكلمات من الدعاء فعل المختبر هل يجيب الله تعالى اليهن أم لا واختلف المفسرون فى أن ظاهر لفظ التنزيل هل يدل على تلك الكلمات أم لا فقال بعضهم اللفظ يدل عليها وهى الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده والدعاء بابتعاث محمد صلى الله عليه وسلم فكل هذه تكاليف شاقة أما الامامة فلان المراد بها النبوة وأعباؤها أكثر من أن تحصى ولهذا فان ثواب النبى أعظم من ثواب غيره وأما بناء البيت وتطهيره ورفع قواعده فمن وقف على ما روى فى كيفية بنائه عرف شدة البلوى فيه ثم انه يتضمن اقامة المناسك وقد امتحن الله الخليل بالشيطان فى الموقف كرمى الجمار وغيره وأما الاشتغال بالدعاء ببعث نبى آخر الزمان فيحتاج فيه الى الاخلاص وازالة الحسد عن القلب وذلك فى غاية الصعوبة واعترض على هذا القول بان المراد من الكلمات لو كانت هذه لناسب أن يذكر قوله فاتمهن بعد تعداد الجميع وأجيب بانه أخبر أنه ابتلاه بكلمات على الاجمال ثم أخبر أنه أتمهن ثم فصل تلك الامور وهذا ترتيب فى غاية الحسن اذ لو ذكر فاتمهن بعد هذا التفصيل لوقع ضائعا ولانقطع النظم والقائلون بان ظاهر الآية لا دلالة فيه على الكلمات زعم بعضهم أنها الكلمات التى تكلم بها ابراهيم مع قومه وقت تبليغ الرسالة وزعم بعضهم انها أوامر ونواه فعن ابن عباس هى عشر خصال كانت فريضة فى شرعه وهى عندنا سنة خمس فى الرأس المضمضة والاستنشاق وفرق الرأس وقص الشارب والسواك وخمس فى الجسد الختان وحلق العانة ونتف الابط وتقليم الاظفار والاستنجاء بالماء وقيل ابتلاه الله تعالى من شرائع الاسلام بثلاثين سهما عشرة فى براءة التائبون العابدون الآية وعشرة فى الاحزاب ان المسلمين والمسلمات وعشرة فى المؤمنين وسأل سائل الى قوله والذين هم على صلاتهم يحافظون وقيل هن مناسك الحج كالطواف والسعى والرمى والاحرام والوقوف بعرفة وقيل ابتلاه بسبعة أشياء بالكوكب والقمر والشمس والختان على الكبر والنار وذبح

خصهم الله برسوله صلى الله عليه وسلم وكانا جاهدين فى رد الناس عن الاسلام بما استطاعا فأنزل الله فيهما ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم الآية وليس لقول القائل عنى بقوله ود كثير من أهل الكتاب كعب بن الاشرف معنى مفهوم لان كعب بن الاشرف واحد وقد أخبر الله جل ثناؤه أن كثيرا منهم يودون لو يردون المؤمنين كفارا بعد ايمانهم والواحد لا يقال له كثير بمعنى الكثرة فى العدد الا أن يكون قائل ذلك أراد بوجه الكثرة التى وصف الله بها من وصفه بها فى هذه الآية الكثرة فى العز ورفعة المنزلة فى قومه وعشيرته كما يقال فلان فى الناس كثير يراد به كثرة المنزلة والقدر فان كان أراد ذلك فقد أخطأ لان الله جل ثناؤه قد وصفهم بصفة الجماعة فقال لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا فذلك دليل على أنه عنى الكثرة فى العدد أو يكون ظن أنه من الكلام الذى يخرج مخرج الخبر عن الجماعة والمقصود بالخبر عنه الواحد نظير ما قلنا آنفا فى بيت جميل فيكون ذلك أيضا خطأ وذلك ان الكلام اذا كان بذلك المعنى فلا بد من دلالة فيه تدل على أن ذلك معناه ولا دلالة تدل فى قوله ود كثير من أهل الكتاب أن المراد به واحد دون جماعة كثيرة فيجوز صرف تأويل الآية الى ذلك واحالة دليل ظاهره الى غير الغالب فى الاستعمال

﴿القول فى تأويل قوله تعالى (حسدا من عند أنفسهم)﴾ ويعنى بقوله جل ثناؤه حسدا من عند أنفسهم أن كثيرا من أهل الكتاب يودون للمؤمنين ما أخبر الله جل ثناؤه عنهم أنهم يودونه لهم من الردة عن ايمانهم الى الكفر حسدا منهم وبغيا عليهم والحسد اذا منصوب على غير النعت للكفار ولكن على وجه المصدر الذى يأتى خارجا من معنى الكلام الذى يخالف لفظه لفظ المصدر كقول القائل لغيره تمنيت لك ما تمنيت من السوء حسدا منى لك فيكون الحسد مصدرا من معنى قوله تمنيت من السوء لان فى قوله تمنيت لك ذلك معنى حسدتك على ذلك فعلى هذا نصب الحسد لان فى قوله ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا يعنى حسدكم أهل الكتاب على ما أعطاكم الله من التوفيق ووهب لكم من الرشاد لدينه والايمان برسوله وخصكم به من أن جعل رسوله اليكم رجلا منكم رؤفا بكم رحيما ولم يجعله منهم فتكونوا لهم تبعا فكان قوله حسدا مصدرا من ذلك المعنى وأما قوله من عند أنفسهم فانه يعنى بذلك من قبل أنفسهم كما يقول القائل لى عندك كذا وكذا بمعنى لى قبلك وكما حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر قوله من عند أنفسهم وانما أخبر الله جل ثناؤه عنهم المؤمنين أنهم ودوا ذلك للمؤمنين من عند أنفسهم اعلاما منه لهم بانهم لم يؤمروا بذلك فى كتابهم وأنهم يأتون ما يأتون من ذلك على علم منهم بنهى الله اياهم عنه

﴿القول فى تأويل قوله تعالى (من بعد ما تبين لهم الحق)﴾ يعنى جل ثناؤه بقوله من بعد ما تبين لهم الحق أى من بعد ما تبين لهؤلاء الكثير من أهل الكتاب الذين يودون أنهم يردونكم كفارا من بعد ايمانكم الحق فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند ربه والملة التى دعا اليها فأضاء لهم أن ذلك الحق الذى لا يمترون فيه كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال حدثنا سعيد عن قتادة من بعد ما تبين لهم الحق من بعد ما تبين لهم أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم والاسلام دين

الله حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع عن أبى العالية من بعد ما تبين لهم الحق يقول تبين لهم أن محمدا رسول الله يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع مثله وزاد فيه فكفروا به حسدا وبغيا اذ كان من غيرهم حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى من بعد ما تبين لهم الحق قال الحق هو محمد صلى الله عليه وسلم فتبين لهم أنه هو الرسول حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد من بعد ما تبين لهم الحق قال قد تبين لهم أنه رسول الله (قال أبو جعفر) فدل بقوله ذلك ان كفر الذين قص قصتهم فى هذه الآية بالله وبرسوله عناد وعلى علم منهم ومعرفة بانهم على الله مفترون كما حدثنا أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد قال ثنا بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس من بعد ما تبين لهم الحق يقول الله تعالى ذكره من بعد ما أضاء لهم الحق لم يجهلوا منه شيأ ولكن الحسد حملهم على الجحد فعيرهم الله ولامهم ووبخهم أشد الملامة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بامره) يعنى جل ثناؤه بقوله فاعفوا فتجاوزوا عما كان منهم من اساءة وخطأ فى رأى أشاروا به عليكم فى دينكم ارادة صدكم عنه ومحاولة ارتدادكم بعد ايمانكم وعما سلف منهم من قيلهم لنبيكم صلى الله عليه وسلم اسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا فى الدين واصفحوا عما كان منهم من جهل فى ذلك حتى يأتى الله بامره فيحدث لكم من أمره فيكم ما يشاء ويقضى فيهم ما يريد فقضى فيهم تعالى ذكره وأتى بامره فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين به قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون فنسخ الله جل ثناؤه العفو عنهم والصفح بفرض قتالهم على المؤمنين حتى تصير كلمتهم وكلمة المؤمنين واحدة أو يؤدوا الجزية عن يد صغارا كما حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال حدثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بامره ان الله على كل شئ قدير ونسخ ذلك قوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بامره فأتى الله بامره فقال قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر حتى بلغ وهم صاغرون أى صغارا ونقمة لهم فنسخت هذه الآية ما كان قبلها فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بامره حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فى قوله فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بامره قال اعفوا عن أهل الكتاب حتى يحدث الله أمرا فأحدث الله بعد فقال قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الى وهم صاغرون حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أنا معمر عن قتادة فى قوله فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بامره قال نسختها اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بامره قال هذا

الولد والهجرة فوفى بالكل وابراهيم الذى وفى وقيل ماذكر فى قوله اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين وقيل المناظرات التى جرت بينه وبين أبيه ونمرود وقومه والصلاة والزكاة والصوم وقسم الغنائم والضيافة والصبر عليها وجملة القول أن الابتلاء يتناول الزام كل ما فى فعله كلفة واللفظ يتناول مجموع هذه الاشياء وكلا منها الا أن الكلام فى الرواية ثم قيل ان هذه الابتلاء كان قبل النبوة لانه تعالى نبه على أن قيامه بهن كالسبب لان جعله اماما وقيل انه بعد النبوة لانه لم يعلم كونه مكلفا بتلك التكاليف الا من الوحى والحق أن هذا

يختلف باختلاف تفسير التكاليف فمنها مايعلم بالضرورة كونها قبل النبوة كحديث الكوكب والشمس والقمر ومنها ماثبت أنه كان بعد النبوة كذبح الولد والهجرة والنار وكذا الختان فانه روى أنه ختن نفسه وكان سنه مائة وعشرين ومنها ماهو بصدد الاحتمال فقد يمكن أن يكون الى معرفته سبيل سوى الوحى كمنام أو الهام والضمير فى أتمهن على القراءة المشهورة لابراهيم عليه السلام بمعنى فقام بهن حق القيام وأداهن أحسن التأدية من غير تفريط وتوان وفى الاخرى لله تعالى أى فاعطاه ماطلبه ولم ينقص منه شيأ ويعضده ماروى عن مقاتل أنه فسر الكلمات بما سأل ابراهيم ربه فى قوله رب اجعل هذا بلدا آمنا واجعلنا مسلمين لك وابعث فيهم رسولا ربنا تقبل منا والامام اسم لمن يؤتم به فعال بمعنى مفعول كالازار لما يؤتزر به أى يأتمون بك فى دينهم والاكثرون على أن الامام ههنا النبى لانه جعله اماما لكل الناس فلو لم يكن مستقلا بشرع كان تابعا لرسول ويبطل العموم ولان اطلاق الامام يدل على أنه امام فى كل شئ والذى يكون كذلك لابد أن يكون نبيا ولان الله تعالى سماه بهذا الاسم فى معرض الامتنان فينبغى أن يحمل على أجل مراتب

الامامة كقوله وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا الاعلى من هو دونه ممن يستحق الاقتداء به فى الدين كالخليفة والقاضى والفقيه منسوخ
وامام الصلاة ولقد أنجز الله تعالى هذا الوعد فعظمه فى عيون أهل الاديان كلها وقد اقتدى به من بعده من الانبياء فى أصول ملله ثم أوحينا
اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وكفى به فضلا أن جميع أمة محمد صلى الله عليه وسلم يقولون فى صلاتهم اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت
على ابراهيم وآل ابراهيم ثم القائلون بان الامام لا يصير اماما الا بالنص تمسكوا بهذه الآية وأمثالها من نحو انى جاعل فى الارض خليفة ياداود

منسوخ نسخه قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الى قوله وهم صاغرون ۞ القول فى تاويل قوله (ان الله على كل شئ قدير) قال أبو جعفر قد دللنا فيما مضى على معنى القدير وانه القوى فمعنى الآية ههنا ان الله على كل ما يشاء بالذين وصفت لكم أمرهم من أهل الكتاب وغيرهم قدير ان شاء الانتقام منهم بعنادهم ربهم وان شاء هداهم لما هدا كم الله له من الايمان لا يتعذر عليه شئ أراده ولا يتعذر عليه أمر شاء قضاءه لان له الخلق والامر ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله) قال أبو جعفر قد دللنا فيما مضى على معنى اقامة الصلاة وأنها أداؤها بحدودها وفروضها وعلى تأويل الصلاة وما أصلها وعلى معنى ايتاء الزكاة وأنه اعطاؤها بطيب نفس على ما فرضت و وجبت وعلى معنى الزكاة واختلاف المختلفين فيها والشواهد الدالة على صحة القول الذى اخترنا فى ذلك بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وأما قوله وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله فانه يعنى جل ثناؤه بذلك ومهما تعملوا من عمل صالح فى أيام حياتكم فتقدموه قبل وفاتكم ذخرا لانفسكم فى معادكم تجدوا ثوابه عند ربكم يوم القيامة فيجازيكم به والخير هو العمل الذى يرضاه الله وانما قال تجدوه والمعنى تجدوا ثوابه كما حدثت عن عمار بن الحسن قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قوله تجدوه يعنى تجدوا ثوابه عند الله قال أبو جعفر لاستغناء سامعى ذلك بدليل ظاهر على معنى المراد منه كما قال عمرو بن لجا

وسبحت المدينة لا تلمها * رأت قمرا بسوقهم نهارا

وانما أراد وسبح أهل المدينة وانما أمرهم جل ثناؤه فى هذا الموضع بما أمرهم به من اقام الصلاة وايتاء الزكاة وتقديم الخيرات لانفسهم ليطهر وابذلك من الخطا الذى سلف منهم فى استنصاحهم اليهود وركون من كان ركن منهم اليهم وجفاء من كان جفا منهم فى خطابه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله راعنا اذ كانت اقامة الصلوات كفارة للذنوب وايتاء الزكاة تطهيرا للنفوس والابدان من أدناس الآثام وفى تقديم الخيرات ادراك الفوز برضوان الله ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (ان الله بما تعملون بصير) وهذا خبر من الله جل ثناؤه للذين خاطبهم بهذه الآيات من المؤمنين أنهم مهما فعلوا من خير وشر سرا وعلانية فهو به بصير لا يخفى عليه منه شئ فيجزيهم بالاحسان جزاءه وبالاساءة مثلها وهذا الكلام وان كان خرج مخرج الخبر فان فيه وعدا ووعيدا وأمرا وزجرا وذلك أنه أعلم القوم أنه بصير بجميع أعمالهم ليجدوا فى طاعته اذ كان ذلك مذخورا لهم عنده حتى يثيبهم عليه كما قال وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله وليحذروا معصيته اذ كان مطلعا على راكبها بعد تقدمه اليه فيها بالوعيد عليها وما أوعد عليه ربنا جل ثناؤه فمنهى عنه وما وعد عليه فمأمور به وأما قوله بصير فانه مبصر صرف الى بصير كما صرف مبدع الى بديع ومؤلم الى أليم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى جل ذكره (وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو

اناجعلناك خليفة ومنع بان الامام يراد به ههنا النبى سلمنا أن المراد به مطلق الامام لكن الآية تدل على أن النص طريق الامامة وذلك لا نزاع فيه انما النزاع فى أنه لا طريق للامامة سوى النص ولا دلالة فى الآية على ذلك وفى الآية دليل على أنه صلى الله عليه وسلم كان معصوما عن جميع الذنوب لانه لو صدرت عنه معصية لوجب علينا الاقتداء به وذلك يؤدى الى كون الفعل الواحد ممنوعا منه مندوبا اليه وذلك محال والذرية نسل الثقلين من ذرأ الله الخلق ذرأ خلقهم الا أن العرب تركت همزها كما فى البرية ويحتمل أن يكون منسوبا الى الذر صغار النمل والضم من تغيير النسب كالدهرى فى النسبة الى دهر (ومن ذريتى) عطف على الكاف كأنه قال وجاعل بعض ذريتى كما يقال سأكرمك فتقول وزيدا ولا يخفى أن من التبعيضية تدل على أنه طلب الامامة لبعض ذريته لعلمه بان كلهم قد لا يليق بذلك لان ناسا غير محصورين لا يخلو من ظالم فيهم غالبا ولعلمه بان بعضهم يليق بها كاسمعيل واسحق وقد حقق الله تعالى أمله فجعل فى أولاده وأحفاده كاسمعيل واسحق ويعقوب ويوسف وموسى وهرون وداود وسليمان وأيوب ويونس وزكريا ويحيى وعيسى والياس ثم محمد صلى الله عليه وسلم أفضلهم وأشرفهم ولانه لم يطلب الامامة الا للبعض فكان يكفى فى الجواب نعم الا أنه لم يكن حينئذ نصا فى أن ذلك البعض من المؤمنين أم من الظالمين ولو قال ينال عهدى المؤمنين كان غاية ذلك خروج الظالمين بالمفهوم لا بالنص فلمكان التنصيص على اخراج الظالم قال لا ينال عهدى الظالمين والمراد بالعهد هو الامامة المطلوبة سميت عهدا لاشتمالها على كل عهد عهد به الله تعالى الى بنى آدم اذ لا رياسة أعظم من ذلك كقوله ولقد عهدنا الى آدم من قبل واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم واذا خرج الظالم تعين الصالح للامامة بطريق برهانى وذلك ان دعاءه مستجاب البتة فكل نبى مجاب ولانه لو لم يكن الصالح اماما لم يكن لاخراج الظالم وتخصيصه بالذكر معنى ويحتمل أن يقال انه أراد الامامة لاولاده المؤمنين لا محالة لعلمه بان الكفرة والظلمة لا تصلح لذلك فأجيب بما أجيب اسعافا لطلبته بأبلغ معنى وأتمه كما اذا قيل لمن أشرف أوص لابنك بشئ فيقول لا يرث منى أجنبى أى كل ما يبقى منى فهو لابنى فكيف أوصى له بشئ ولا يرد أن يونس نال عهده مع أنه ظالم «سبحانك انى كنت من الظالمين» لان الظلم فيه محمول على ترك الاولى كما فى حق آدم ربنا ظلمنا أنفسنا

لا على الكفر والفسق وقد يستدل الامامية على ابطال غير امامة على كرم الله وجهه قالوا انهم كانوا مشركين قبل الاسلام بالاتفاق وكل مشرك ظالم ان الشرك لظلم عظيم وكل ظالم فانه لا ينال عهد الامامة قالوا الا يقال انهم كانوا ظالمين حال كفرهم فبعد زوال الكفر لا يبقى هذا الاسم لانا نقول الظالم من ثبت له الظلم وهذا المعنى صادق عليه دائما ولهذا يسمى النائم مؤمنا لانه ثبت له الايمان وان لم يكن التصديق حاصلا حال النوم وأيضا المتكلم والماشي حقيقة (٦٩٢) في مفهومهما مع أن أجزاء التكلم والمشي لا توجد دفعة فدل هذا على أن حصول المشتق منه ليس شرطا لكون الاسم المشتق حقيقة وعورض بانه لو حلف لا يسلم على كافر فسلم على انسان مؤمن في الحال الا أنه كان كافرا قبل بسنين متطاولة فانه لا يحنث وبان التائب عن المعصية لا يسمى عاصيا فكذا التائب عن الكفر وان قيل لعل هذا المانع شرعي هو تعظيم الصحابة أو لمانع عرفي فهذا القدر يكفينا على أنا بينا أن المراد من الامامة في الآية النبوة فمن كفر بالله طرفة عين فانه لا يصلح للنبوة وكذا الفاسق حال الفسق لا يجوز عقد الامامة له باتفاق الجمهور من الفقهاء والمتكلمين فان كل عاص ظالم والعبرة بالعدالة الظاهرة فنحن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر خلافا للشيعة فانهم يقولون بوجوب العصمة ظاهرا وباطنا ومما يدل على بطلان امامة الفاسق أن العهد في كتاب الله تعالى قد يستعمل بمعنى الامر ألم أعهد اليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان أي ألم آمركم لكن المراد في الآية لا يمكن أن يكون ذلك فان أوامره تعالى لازمة للظالمين كالمطيعين فثبت أن المراد كونهم غير مؤتمنين على أوامر الله وغير مقتدى بهم فيها قال صلى الله عليه وسلم لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق فالفاسق لا ينبغي أن يكون حاكما ولا تنفذ أحكامه اذا ولي الحكم ولا تقبل شهادته ولا خبره اذا أخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا فتياه اذا أفتى ولا يقدم للصلاة وان كان بحيث لو اقتدى به لم تفسد صلاته قال أبو بكر الرازي ومن الناس من يظن أن مذهب أبي حنيفة انه يجوز كون الفاسق اماما وخليفة ولا يجوز كون الفاسق قاضيا وهذا خطأ عظيم نعم انه قال القاضي اذا كان عدلا في نفسه وتولى القضاء من امام جائر فان أحكامه نافذة والصلاة خلفه جائزة لان الذي ولاه بمنزلة سائر أعوانه وليس من شرط أعوان القاضي أن يكونوا عدولا ألا ترى أن أهل بلد وهذا

نصارى تلك أمانيهم) يعني جل ثناؤه بقوله وقالوا وقالت اليهود والنصارى لن يدخل الجنة فان قال قائل وكيف جمع اليهود والنصارى في هذا الخبر مع اختلاف مقالة الفريقين واليهود تدفع النصارى عن أن يكون لها في ثواب الله نصيب والنصارى تدفع اليهود عن مثل ذلك قيل ان معنى ذلك بخلاف الذي ذهبت اليه وانما عني به وقالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا النصارى ولكن معنى الكلام لما كان مفهوما عند المخاطبين به معناه جمع الفريقان في الخبر عنهما فقيل قالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى الآية أي قالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان يهوديا وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصرانيا وأما قوله من كان هودا فان في الهود قولين أحدهما أن يكون جمع هائد كما جاء عوط جمع عائط وعوذ جمع عائذ وحول جمع حائل فيكون جمعا للمذكر والمؤنث بلفظ واحد والهائد التائب الراجع الى الحق والآخر أن يكون مصدرا عن الجميع كما يقال رجل صوم وقوم صوم ورجل فطر وقوم فطر ونسوة فطر وقد قيل ان قوله الا من كان هودا انما هو قوله الا من كان يهودا ولكنه حذف الياء الزائدة ورجع الى الفعل من اليهودية وقيل انه في قراءة أبي الا من كان يهوديا أو نصرانيا وقد بينا فيما مضى معنى النصارى ولم سميت بذلك وجمعت كذلك بما أغنى عن اعادته وأما قوله تلك أمانيهم فانه خبر من الله تعالى ذكره عن قول الذين قالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى أنه أماني منهم يتمنونها على الله بغير حق ولا حجة ولا برهان ولا يقين علم بصحة ما يدعون ولكن بادعاء الاباطيل وأماني النفوس الكاذبة كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد ابن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة تلك أمانيهم أماني يتمنونها على الله كاذبة حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع تلك أمانيهم قال أماني تمنوا على الله بغير الحق ۞ القول في تأويل قوله تعالى (قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين) وهذا أمر من الله جل ثناؤه لنبيه صلى الله عليه وسلم بدعاء الذين قالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى الى أمر عدل بين جميع الفرق مسلمها ويهودها ونصاراها وهو اقامة الحجة على دعواهم التي ادعوا من أن الجنة لا يدخلها الا من كان هودا أو نصارى يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا محمد قل للزاعمين أن الجنة لا يدخلها الا من كان هودا أو نصارى دون غيرهم من سائر البشر هاتوا برهانكم على ما تزعمون من ذلك فنسلم لكم دعواكم ان كنتم في دعواكم من أن الجنة لا يدخلها الا من كان هودا أو نصارى محقين والبرهان هو البيان والحجة والبينة كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة هاتوا برهانكم هاتوا بينتكم حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي هاتوا برهانكم هاتوا حجتكم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قل هاتوا برهانكم قال حجتكم حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قل هاتوا برهانكم أي حجتكم

لاسلطان عليهم لو اجتمعوا على الرضا بتولية رجل عدل منهم القضاء حتى يكونوا أعوانا له على من امتنع من قبول أحكامه كان قضاؤه نافذا وان لم يكن له ولاية من جهة امام ولا سلطان قال وكيف يجوز أن يدعى ذلك على أبي حنيفة وقد أكرهه ابن هبيرة في أيام بني أمية على قضائه وضربه فامتنع من ذلك فحبس فلج ابن هبيرة وجعل يضربه كل يوم أسواطا فلما خيف عليه قال له الفقهاء اقبل له شيأ من عمله أي شئ كان حتى يزول عنك الضرب فتولى له عد أحمال التبن التي تدخل عليه فخلاه ثم دعاه المنصور الى (٣٩٣) مثل ذلك حتى عد له اللبن الذي كان يضرب لسور المدينة وذلك أنه كان يقول في المنصور وأشياعه لو أرادوا بناء مسجد وأرادوني على عد آجره لما فعلت وقصته في أمر زيد بن علي مشهورة وحمله المال اليه وفتياه الناس سرا في وجوب نصرته والقتال معه وكذلك أمره مع محمد وابراهيم ابني عبد الله بن الحسن وفي الآية انذار بليغ وتخويف شديد عن وخامة عاقبة الظلم وقبح موقعه فانه يحط أولا عن رتبة النبوة «لا ينال عهدي الظالمين» وثانيا عن درجة الولاية «ألا لعنة الله على الظالمين» وثالثا عن مرتبة السلطنة بيت الظالم خراب ولو بعد حين ورابعا عن نظر الخلائق جبلت القلوب على حب من أحسن اليها وبغض من أساء اليها وخامسا عن حظ نفسه وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ولله در القائل

لا تظلمن اذا ما كنت مقتدرا
فالظلم آخره يأتيك بالندم
نامت عيونك والمظلوم منتبه
يدعو عليك وعين الله لم تنم

ولآخر

مرتع ظلم الورى وخيم
ياصاحب اللب والحجاره
لا تظلم الناس واخش نارا
وقودها الناس والحجاره

غيره

أيحسب الظالم في ظلمه
أهمله القادر أم أمهلا
ما أهملوا بل لهم موعد
لن يجدوا من دونه موئلا

غيره أتلعب بالدعاء وتزدريه * وما يدريك ما صنع الدعاء سهام الليل لا تخطئ ولكن * لها أمد وللأمد انقضاء واعلم أن عهد الله الذي أخذ على عباده هو بالحقيقة عهد العبودية وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون والعهد الذي التزمه لعباده هو عهد الربوبية ربكم ورب آبائكم الاولين ثم انه تعالى لايزال يلاحظك بنظر الربوبية فيربيك ويربيك وبعد نعمة الوجود يعطيك نعم الصحة والمكنة والعافية والسلامة والايمان والامان والاخوان والاخدان وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وانك لا تنفك عن

وهذا الكلام وان كان ظاهره ظاهر دعاء القائلين لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى الى احضار حجة على دعواهم ما ادعوا من ذلك فانه بمعنى تكذيب من الله لهم في دعواهم وقيلهم لانهم لم يكونوا قادرين على احضار برهان على دعواهم تلك أبدا وقد أبان قوله بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن على أن الذي ذكرنا من الكلام بمعنى التكذيب لليهود والنصارى في دعواهم ماذكر الله عنهم وأما تأويل قوله قل هاتوا برهانكم فانه أحضروا وأتوا به ۞ القول في تأويل قوله تعالى (بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن) يعني بقوله جل ثناؤه بلى من أسلم أنه ليس كما قال الزاعمون لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى ولكن من أسلم وجهه لله وهو محسن فهو الذي يدخلها وينعم فيها كما حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال أخبرهم أن من يدخل الجنة هو من أسلم وجهه لله الآية وقد بينا معنى بلى فيما مضى قبل وأما قوله من أسلم وجهه لله فانه يعني باسلام الوجه التذلل لطاعته والاذعان لامره وأصل الاسلام الاستسلام لانه من استسلمت لامره وهو الخضوع لأمره وانما سمي المسلم مسلما بخضوع جوارحه لطاعة ربه كما حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بلى من أسلم وجهه لله يقول أخلص لله وكما قال زيد بن عمرو بن نفيل

وأسلمت وجهي لمن أسلمت * له المزن تحمل عذبا زلالا

يعني بذلك استسلمت لطاعة من استسلم لطاعته المزن وانقادت له وخص الله جل ثناؤه بالخبر عمن أخبر عنه بقوله بلى من أسلم وجهه لله باسلام وجهه له دون سائر جوارحه لان أكرم أعضاء ابن آدم وجوارحه وجهه وهو أعظمها عليه حرمة وحقا فاذا خضع لشئ وجهه الذي هو أكرم أجزاء جسده عليه فغيره من أجزاء جسده أحرى أن يكون أخضع له ولذلك تذكر العرب في منطقها الخبر عن الشئ فتضيفه الى وجهه وهي تعني بذلك نفس الشئ وعينه كقول الاعشى

وأول الحكم على وجهه * ليس قضائي بالهوى الجائر

يعني بقوله على وجهه على ماهو به من صحته وصوابه وكما قال ذو الرمة

فطاوعت همي وانجلى وجه بازل * من الامر لم يترك خلاجا بزولها

يريد وانجلى البازل من الامر فتبين وما أشبه ذلك اذ كان حسن كل شئ وقبحه في وجهه وكان في وصفها من الشئ وجهه بما تصفه به ابانة عن عين الشئ ونفسه فكذلك معنى قوله جل ثناؤه بلى من أسلم وجهه لله انما يعني بلى من أسلم لله بدنه فخضع له بالطاعة جسده وهو محسن في اسلامه له جسده فله أجره عند ربه فاكتفى بذكر الوجه من ذكر جسده لدلالة الكلام على المعنى الذي أريد به بذكر الوجه وأما قوله وهو محسن فانه يعني به في حال احسانه وتأويل الكلام بلى من أخلص طاعته لله وعبادته له محسنا في فعله ذلك ۞ القول في تأويل قوله (فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) يعني بقوله جل ثناؤه فله أجره عند ربه فللمسلم وجهه لله محسنا

تقصير ونسيان وجهل وعدوان وايذاء لملائكة الله وعبيده وارضاء لحزب الشيطان وجنوده فيا أيها المغرور ماهذا التقصير فان الله المصير وما للظالمين من نصير (قوله واذ جعلنا البيت) تقرير تكليف آخر والبيت اسم غالب للكعبة كالنجم للثريا وهذا من الاسماء التي كانت في الاصل للجنس ثم كثر استعماله في واحد من ذلك الجنس لخصلة مختصة به من بين سائر الافراد حتى صار علما له ولا بد أن يكون وقت استعماله لذلك الواحد قبل العلمية مع لام العهد ليفيد الاختصاص به ويسمى بالعلم الاتفاقي وانما لزمت اللام في مثله لانه لم يصر علما الا مع اللام فصارت كبعض حروفه الا أنه تعالى لم يرد بالبيت نفس الكعبة فقط بل جميع الحرم لان حكم الامن يشمل الكل وصح هذا الاطلاق لان الحرمة نشأت بسبب الكعبة نفسها ومثله قوله تعالى هديا بالغ الكعبة والمراد الحرم كله لانه لا يذبح في الكعبة ولا في المسجد الحرام وقوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا والمراد والله أعلم منعهم من الحج وحضور مواضع النسك ويحتمل أن يكون المراد جعلنا البيت سبب الامن وعلى هذا يكون البيت نفس الكعبة وعلى الاول يكون معنى أمنا موضع أمن كقوله حرما آمنا والمثابة المباءة والمرجع قيل ان مثابا ومثابة لغتان مثل مقام ومقامة وقيل التاء للمبالغة كعلامة عن الحسن أي يثوبون اليه في كل عام وعن ابن عباس ومجاهد لا ينصرف عنه أحد الا وهو يتمنى العود اليه وذلك لدعاء ابراهيم عليه السلام واجعل أفئدة من الناس تهوي اليهم وقيل مثابة أي يحجون فيثابون عليه وكون البيت مثابة انما يكون بجعل الله تعالى بناء على أن فعل العبد مخلوق لله أو بان الله تعالى ألقى تعظيمه في القلوب ليصير ذلك داعيا لهم الى العود اليه مرة بعد أخرى وذلك لمنافع دينية ودنيوية قال صلى الله عليه وسلم من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه وقال العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة ثم ان قطان الخافقين يجتمعون هناك للتجارات وضروب المكاسب فيعظم فيه النفع لمن أراد ولا شك أن قوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا خبر فتارة تتركه على ظاهره وتقول انه خبر بان يكون حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء لا أن يكون اخبارا عن عدم وقوع القتل فيه أصلا فان الموجود بخلافه فقد يقع فيه القتل الحرام وكذا المباح قال تعالى ولا تقاتلوهم عند المسجد

جزاؤه وثوابه على اسلامه وطاعته ربه عند الله في معاده ويعني بقوله ولا خوف عليهم على المسلمين وجوههم لله وهم محسنون المخلصين له الدين في الآخرة من عقابه وعذاب جحيمه وما قدموا عليه من أعمالهم ويعني بقوله ولا هم يحزنون ولا هم يحزنون على ما خلفوا وراءهم في الدنيا ولا أن يمنعوا ما قدموا عليه من نعيم ما أعد الله لاهل طاعته وانما قال جل ثناؤه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقد قال قبل فله أجره عند ربه لان من التي في قوله بلى من أسلم وجهه لله في لفظ واحد ومعنى جميع فالتوحيد في قوله فله أجره للفظ والجمع في قوله ولا خوف عليهم للمعنى ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب) قال أبو جعفر ذكر ان هذه الآية نزلت في قوم من أهل الكتابين تنازعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم لبعض ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة وحدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير قالا جميعا ثنا محمد بن اسحق قال حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال حدثني سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال لما قدم أهل نجران من النصارى على رسول الله صلى الله عليه وسلم أتتهم أحبار يهود فتنازعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رافع بن حريملة ما أنتم على شيء وكفر بعيسى بن مريم وبالانجيل فقال رجل من أهل نجران من النصارى ما أنتم على شيء وجحد نبوة موسى وكفر بالتوراة فأنزل الله عز وجل في ذلك من قولهما وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء الى قوله فيما كانوا فيه يختلفون حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء قال هؤلاء أهل الكتاب الذين كانوا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأما تأويل الآية فانه قالت اليهود ليست النصارى في دينها على صواب وقالت النصارى ليست اليهود في دينها على صواب وانما أخبر الله عنهم بقيلهم ذلك للمؤمنين اعلاما منه لهم بتضييع كل فريق منهم حكم الكتاب الذي يظهر الاقرار بصحته وأنه من عند الله وجحودهم مع ذلك ما أنزل الله فيه من فروضه لان الانجيل الذي تدين بصحته وحقيته النصارى يحقق ما في التوراة من نبوة موسى عليه السلام وما فرض الله على بني اسرائيل فيها من الفرائض وان التوراة التي تدين بصحتها وحقيتها اليهود تحقق نبوة عيسى عليه السلام وما جاء به من عند الله من الاحكام والفرائض ثم قال كل فريق منهم للفريق الآخر ما أخبر الله عنهم في قوله وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء مع تلاوة كل واحد من الفريقين كتابه الذي يشهد على كذبه في قيله ذلك فأخبر جل ثناؤه أن كل فريق منهم قال ما قال من ذلك على علم منهم أنهم فيما قالوه مبطلون وأتوا ما أتوا من كفرهم بما كفروا به على معرفة منهم بأنهم فيه ملحدون فان قال لنا قائل أو كانت اليهود والنصارى بعد أن بعث الله رسوله على شيء فيكون الفريق القائل منهم ذلك للفريق الآخر مبطلا في قيله ما قال من ذلك قيل قد روينا الخبر الذي ذكرناه عن ابن عباس قبل من أن

انكار

الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم وتارة تصرفه عن ظاهره وتقول انه أمر بان يجعلوا ذلك الموضع آمنا من الغارة والقتل قال صلى الله عليه وسلم ان الله حرم مكة وانها لم تحل لاحد قبلي وانما أحلت لي ساعة من نهار وقد عادت حرمتها كما كانت فذهب الشافعي الى أن المعنى أنها لم تحل لاحد أن ينصب الحرب عليها وان ذلك أحل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فامامن دخل البيت من الذين وجبت عليهم الحدود فقال الشافعي ان الامام يأمر بالضيق عليه بما يؤدي الى خروجه واذا خرج أقيم عليه الحد في الحل فان لم يخرج جاز قتله فيه وكذلك من قاتل في الحرم جاز قتاله فيه وعند أبي حنيفة لا يستوفى قصاص النفس في الحرم الا أن ينشئ القتل فيه ولكن يضيق الامر عليه ولا يكلم ولا يطعم ولا يعامل حتى يخرج فيقتل وسلم أن يستوفى منه قصاص الطرف وعند أحمد لا يستوفى من الملتجئ واحد من القصاصين ولو التجأ الى المسجد الحرام قال الامام أو مسجد آخر يخرج منه و يقتل لانه تأخير يسير وفيه صيانة المسجد وحفظ حرمته وقيل تبسط الانطاع و يقتل في المسجد تعجيلا لتوفية الحق واتخذوا بفتح الخاء معطوف على جعلنا أي اتخذ الناس من مكان ابراهيم الذي وسم به لاهتمامه به واسكان ذريته عنده قبلة يصلون اليها وعلى هذا المراد بالمصلى القبلة وأما من قرأ بالكسر على الامر فعلى ارادة القول أي وقلنا اتخذوا منه موضع صلاة تصلون فيه استحبابا لا وجوبا وفي مقام ابراهيم أقوال فعن الحسن وقتادة والربيع بن أنس أنه لما جاء ابراهيم من الشام الى مكة قالت له امرأة اسمعيل انزل حتى تغسل رأسك فلم ينزل لان سارة شرطت عليه أن لا ينزل غيرة على هاجر فجاءته بحجر فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق رأسه ثم حولته الى شقه الايسر حتى غسلت الشق الآخر فبقي أثر قدميه عليه وعن ابن عباس أن ابراهيم عليه السلام كان يبني البيت واسمعيل يناوله الحجارة فلما ارتفع البنيان وضعف ابراهيم عن رفع الحجارة قام على حجر فغاصت فيه قدماه وقيل انه الحجر الذي قام عليه ابراهيم عند الاذان بالحج قال القفال و يحتمل أن يكون ابراهيم عليه السلام قام على هذا الحجر في هذه الامور كلها وعن مجاهد مقام ابراهيم الحرم كله فعلى هذا اراد بالمصلى المدعى من الصلاة بمعنى الدعاء وعن عطاء مقام ابراهيم عرفة ومزدلفة والجمار لانه قام في هذه المواضع ودعا بها والقول بان مقام ابراهيم الحجر الذي فيه أثر قدميه اولى لان هذا الاسم في العرب مختص بذلك الموضع يعرفه

انكار كل فريق منهم انما كان انكارا لنبوة النبي صلى الله عليه وسلم الذي ينتحل التصديق به وبما جاء به الفريق الآخر لا دفعا منهم أن يكون الفريق الآخر في الحال التي بعث الله فيها نبينا صلى الله عليه وسلم على شئ من دينه بسبب جحوده نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وكيف يجوز أن يكون معنى ذلك انكار كل فريق منهم أن يكون الفريق الآخر على شئ بعد بعثة نبينا صلى الله عليه وسلم وكلا الفريقين كان جاحدا نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في الحال التي أنزل الله فيها هذه الآية ولكن معنى ذلك وقالت اليهود ليست النصارى على شئ من دينها منذ دانت دينها وقالت النصارى ليست اليهود على شئ منذ دانت دينها وذلك هو معنى الخبر الذي رويناه عن ابن عباس آنفا فكذب الله الفريقين في قيلهما ما قالا كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وقالت اليهود ليست النصارى على شئ قال بلى قد كانت أوائل النصارى على شئ ولكنهم ابتدعوا وتفرقوا وقالت النصارى ليست اليهود على شئ ولكن القوم ابتدعوا وتفرقوا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ قال قال مجاهد قد كانت أوائل اليهود والنصارى على شئ وأما قوله وهم يتلون الكتاب فانه يعني به كتاب الله التوراة والانجيل وهما شاهدان على فريقي اليهود والنصارى بالكفر وخلافهم أمر الله الذي أمرهم به فيه كما حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير وحدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة بن الفضل قالا جميعا ثنا ابن اسحق قال حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال حدثني سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس في قوله وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم أي كل يتلو في كتابه تصديق ما كفر به أي يكفر اليهود بعيسى وعندهم التوراة فيها ما أخذ الله عليهم من الميثاق على لسان موسى بالتصديق بعيسى عليه السلام وفي الانجيل مما جاء به عيسى تصديق موسى وما جاء به من التوراة من عند الله وكل يكفر بما في يد صاحبه ۞ القول في تأويل قوله تعالى (كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم) اختلف أهل التأويل في الذين عنى الله بقوله كذلك قال الذين لا يعلمون فقال بعضهم بما حدثني به المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قال الذين لا يعلمون مثل قولهم قال وقالت النصارى مثل قول اليهود قبلهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال الذين لا يعلمون مثل قولهم قال قالت النصارى مثل قول اليهود قبلهم وقال آخرون بما حدثنا به القاسم قال ثنا الحسين قال حدثني حجاج قال قال ابن جريج قلت لعطاء من هؤلاء الذين لا يعلمون قال أمم كانت قبل اليهود والنصارى وقبل التوراة والانجيل وقال بعضهم عنى بذلك مشركي العرب لانهم لم يكونوا أهل كتاب فنسبوا الى الجهل ونفي عنهم من أجل ذلك العلم ذكر من قال ذلك حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فهم العرب قالوا ليس محمد صلى الله عليه وسلم على شئ والصواب من

المكي وغيره ولان الحجر صار تحت قدمه في رطوبة الطين حتى غاصت فيه رجله وذلك من أظهر الدلائل على صنع الله تعالى واعجاز ابراهيم وكان أشد اختصاصا به فاطلاق مقام ابراهيم عليه أولى ولما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أخذ بيد عمر فقال هذا مقام ابراهيم فقال عمر أفلا نتخذه مصلى فقال لم أومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وعن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استلم الحجر ورمل ثلاثة أشواط ومشى أربعا حتى اذا فرغ (٣٩٦) عمد الى مقام ابراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى ومن

القول في ذلك عندنا أن يقال ان الله أخبر تبارك وتعالى عن قوم وصفهم بالجهل ونفى عنهم العلم بما كانت اليهود والنصارى به عالمين أنهم قالوا بجهلهم نظير ما قال اليهود والنصارى بعضها لبعض مما أخبر الله عنهم انهم قالوه في قوله وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ وجائز أن يكونوا هم المشركين من العرب وجائز أن يكونوا أمة كانت قبل اليهود والنصارى ولا أمة أولى ان يقال هي التي عنيت بذلك من أخرى اذ لم يكن في الآية دلالة على أي من أي ولا خبر بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبتت حجته من جهة نقل الواحد العدل ولا من جهة النقل المستفيض وانما قصد الله جل ثناؤه بقوله كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم اعلام المؤمنين أن اليهود والنصارى قد أتوا من قيل الباطل وافتراء الكذب على الله وجحود نبوة الانبياء والرسل وهم أهل كتاب يعلمون أنهم فيما يقولون مبطلون وبجحودهم ما يجحدون من ملتهم خارجون وعلى الله مفترون مثل الذي قاله أهل الجهل بالله وكتبه ورسله الذين لم يبعث الله لهم رسولا ولا أوحى اليهم كتابا وهذه الآية تنبئ عن أن من أتى شيأ من معاصي الله على علم منه بنهي الله عنها فمصيبته في دينه أعظم من مصيبة من أتى ذلك جاهلا به لان الله تعالى ذكره عظم توبيخ اليهود والنصارى بما وبخهم به في قيلهم ما أخبر عنهم بقوله وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ من أجل أنهم أهل كتاب قالوا ما قالوا من ذلك على علم منهم أنهم مبطلون ۞ القول في تأويل قوله تعالى (فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) يعني بذلك جل ثناؤه فالله يقضي فيفصل بين هؤلاء المختلفين القائل بعضهم لبعض لستم على شئ من دينكم يوم قيام الخلق لربهم من قبورهم فيتبين المحق منهم من المبطل باثابته المحق ما وعد أهل طاعته على أعماله الصالحة ومجازاته المبطل منهم بما أوعد أهل الكفر به على كفرهم به فيما كانوا فيه يختلفون من أديانهم ومللهم في دار الدنيا وأما القيامة فهي مصدر من قول القائل قمت قياما وقيامة كما يقال عدت فلانا عيادة وصنت هذا الامر صيانة وانما عني بالقيامة قيام الخلق من قبورهم لربهم فمعنى يوم القيامة يوم قيام الخلائق من قبورهم لمحشرهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها) قد دللنا فيما مضى قبل على أن تأويل الظلم وضع الشئ في غير موضعه وتأويل قوله ومن أظلم وأي امرئ أشد تعديا وجراءة على الله وخلافا لامره من امرئ منع مساجد الله أن يعبد الله فيها والمساجد جمع مسجد وهو كل موضع عبد الله فيه وقد بينا معنى السجود فيما مضى فمعنى المسجد الموضع الذي يسجد لله فيه كما يقال للموضع الذي يجلس فيه المجلس وللموضع الذي ينزل فيه منزل ثم يجمع منازل ومجالس نظير مسجد ومساجد وقد حكي سماعا من بعض العرب مساجد في واحد المساجد وذلك كالخطأ من قائله وأما قوله أن يذكر فيها اسمه فان فيه وجهين من التأويل أحدهما أن يكون معناه ومن أظلم ممن منع مساجد الله من أن يذكر فيها اسمه فتكون أن حينئذ نصبا من قول بعض أهل العربية بفقد الخافض وتعلق الفعل بها والوجه الآخر أن يكون معناه ومن أظلم ممن منع أن

هذه تجر يديه على نحور أيت منك أسدا ووهب الله لي منك ولبا مشفقا ففيه بيان المتخذ والمرئي والموهوب وتمييزه في ذلك المعنى عن غيره ولا ريب أن للصلاة به فضلا على غيره من حيث التيمن والتبرك بموطئ قدم ابراهيم عليه السلام وركعتا الطواف خلف المقام ثم في الحجر ثم في المسجد أي مسجد كان حيث شاء متى شاء ليلا أو نهارا سنة عند الشافعي في أصح قوليه بعد الفراغ من الطواف لقوله صلى الله عليه وسلم للاعرابي حين قال هل علي غيرها قال لا الا أن تطوع وفي قوله الآخر فرض لظاهر قوله واتخذوا والامر للوجوب والرواية عن أبي حنيفة أيضا مختلفة (وعهدنا) المراد بالعهد هنا الامر أي ألزمناهما ذلك وأمرناهما أمرا ووثقنا عليهما فيه أن طهرا ان كانت ان مخففة فالتقدير بان طهرا وان كانت مفسرة فمعناه أي طهرا والمراد التطهير من كل أمر لا يليق بالبيت أما من الانجاس والاقذار فلان موضع البيت وحواليه مصلى وأما من الشرك ومظانه فلانه مقام العبادة والاخلاص وكل هذا اما أن لا تكون موجودة هنالك أصلا والمراد أقراه على طهارته مثل ولهم فيها أزواج مطهرة فمعلوم أنهن لم يطهرن بل خلقن طاهرات واما أن تكون موجودة فامر بازالتها وقيل عرفا الناس أن بيتي طهر لهم متى حجوه

للطائفين الى آخره العطف يقتضي مغايرة فالطائف من يقصد البيت حاجا ومعتمرا فيطوف به والعاكف من يقيم هنالك ويجاور أو يعتكف والركع السجود جمعا راكع وساجد أي من يصلي هنالك وعن عطاء اذا كان طائفا فهو من الطائفين واذا كان جالسا فهو من العاكفين واذا كان مصليا فهو من الركع السجود ويجوز أن يريد بالعاكفين الواقفين يعني القائمين كما قال للطائفين والقائمين والركع السجود والمعنى للطائفين والمصلين لان القيام والركوع والسجود هيآت للمصلي ولعل الوجه الاول أولى ليكون الركع يذكر

يذ كراسم الله فى مساجده فتكون أن حينئذ فى موضع نصب تكريرا على موضع المساجد و ردا عليه وأما قوله وسعى فى خرابها فان معناه ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وممن سعى فى خراب مساجد الله فسعى اذا عطف على منع فان قال قائل ومن الذى عنى بقوله ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها وأى المساجد هى قيل ان أهل التأويل فى ذلك مختلفون فقال بعضهم الذين منعوا مساجد الله أن يذكر فيها اسمه هم النصارى والمسجد بيت المقدس ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال حدثنى أبى قال حدثنى عمى قال حدثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه انهم النصارى حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها النصارى كانوا يطرحون فى بيت المقدس الاذى و يمنعون الناس أن يصلوا فيه حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله وقال آخرون هو بختنصر وجنده ومن أعانهم من النصارى والمسجد مسجد بيت المقدس ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة قوله ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه الآية أولئك أعداء الله النصارى حملهم بغض اليهود على أن أعانوا بختنصر البابلى المجوسى على تخريب بيت المقدس حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها قال هو بختنصر وأصحابه خرب بيت المقدس وأعانه على ذلك النصارى حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها قال الروم كانوا ظاهروا بختنصر على خراب بيت المقدس حتى خربه وأمر به أن تطرح فيه الجيف وانما أعانه الروم على خرابه من أجل أن بنى اسرائيل قتلوا يحيى بن زكريا وقال آخرون بل عنى الله عز وجل بهذه الآية مشركى قريش اذ منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام ذكر من قال ذلك حدثنى يونس ابن عبد الاعلى قال حدثنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها قال هؤلاء المشركون حين حالوا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية وبين أن يدخل مكة حتى نحر هديه بذى طوى وهادنهم وقال لهم ما كان أحد يرد عن هذا البيت وقد كان الرجل يلقى قاتل أبيه أو أخيه فيه فما يصده وقالوا لا يدخل علينا من قتل آباءنا يوم بدر وفينا باق وفى قوله وسعى فى خرابها قالوا اذا قطعوا من يعمرها بذكره ويأتيها للحج والعمرة وأولى التأويلات التى ذكرتها بتأويل الآية قول من قال عنى الله عز وجل بقوله ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه النصارى وذلك أنهم هم الذين سعوا فى خراب بيت المقدس وأعانوا بختنصر على ذلك ومنعوا مؤمنى بنى اسرائيل من الصلاة فيه بعد منصرف بختنصر عنهم

السجود كلاهما فقط بمعنى المصلين ولهذا لم يفصل بينهما بالواو ثم اذا فسرنا الطائفين بالغرباء دلت الآية على أن الطواف للغرباء أفضل من الصلاة لانه تعالى مدحهم بذلك وقد روى عن ابن عباس ومجاهد وعطاء أن الطواف لأهل الامصار أفضل والصلاة لاهل مكة أفضل وفى اطلاق الآية دليل على جواز الصلاة فى البيت فرضا كانت أو نفلا خلافا لاحمد ومالك فى الفريضة قالا قول وجهك شطر المسجد الحرام ومن كان داخل المسجد لم يكن متوجها الى المسجد بل الى جزء من أجزائه وأجيب بأن التوجه (٣٩٧) الى جزئه كاف لان المتوجه الواحد لا يكون الا كذلك وان كان خارج المسجد وبأن الفرق بين الفرض والنفل لاغ (قوله تعالى واذ قال ابراهيم) قيل فى الآية تقديم وتأخير لان قوله رب اجعل هذا بلدا آمنا لا يمكن الا بعد دخول البلد فى الوجود فقوله واذ يرفع وان كان متأخرا فى التلاوة فهو متقدم من حيث المعنى قلت فى ترتيب القصة فوائد منها أنه أجمل القصة فى قوله واذ ابتلى الى فأتمهن ثم فسر وفى التفسير قدم الأهم فالاهم ولا ريب أن ذكر جعل ابراهيم اماما أولى بالتقديم لعموم نفعه للخلائق ولتقدمه فى الوجود أيضا ثم ذكر جعل البيت مثابة للناس وأمنا لانه المقصود من عمارة البيت ثم حكاية عمارة البيت وقد حصل فى ضمن رعاية الاهم فوائد أخر منها أنه كما كان مبنى القصة على الاجمال والتفسير وقع كل من أجزائها أيضا كذلك فقوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا مجمل ثم فسر ذلك بان جعله ذا أمن كان بسبب دعاء ابراهيم وذكر البيت أولا وقع مجملا ثم فسر بأنه كيف بنى ومنها أنه وقع ختم الكلام بادعية ابراهيم عليه السلام ووقع ختم الادعية بذكر خاتم النبيين وهذا ترتيب لا يتصور أحسن منه ولعل ما فاتنا من أسرار هذا الترتيب أكثر مما أحصينا (هذا بلدا آمنا) ذا أمن مثل عيشة راضية أو آمنا من فيه كقولك ليل نائم وانما قيل ههنا بلدا آمنا على التنكير وفى سورة ابراهيم هذا البلد آمنا اما لان هذا الدعاء صدر منه قبل جعل المكان بلدا فكأنه قال واجعل هذا الوادى بلدا آمنا وذلك الدعاء صدر وقد جعل بلدا فكأنه قال اجعل هذا المكان الذى صيرته بلدا بلدا ذا أمن واما لان الدعوتين واحدة والمراد اجعل هذا البلد بلدا آمنا فيفيد مبالغة زائدة كقولك هذا اليوم يوم حار معناه اجعله من البلدان الكاملة من الامن بخلاف قوله اجعل هذا البلد آمنا ففيه طلب الامن نفسه فسأل الامن من القحط لانه أسكن أهله بواد غير ذى ضرع ولا زرع وقيل من الخسف والمسخ

المكي وغيره ولان الحجر صار تحت قدميه في رطوبة الطين حتى غاصت فيه رجله وذلك من أظهر الدلائل على صنع الله تعالى واعجاز ابراهيم وكان أشد اختصاصا به فاطلاق مقام ابراهيم عليه أولى ولما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أخذ بيد عمر فقال هذا مقام ابراهيم فقال عمر أفلا نتخذه مصلى فقال لم أومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وعن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استلم الحجر ورمل ثلاثة أشواط ومشى أربعة حتى اذا فرغ عمد الى مقام ابراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى ومن

هذه تجريدية على نحور أيت منك أسدا ووهب الله لي منك ولدا مشتقا ففيه بيان المتخذ والمرئي والموهوب وتمييزه في ذلك المعنى عن غيره ولا ريب أن للصلاة به فضلا على غيره من حيث التيمن والتبرك بموطئ قدم ابراهيم عليه السلام وركعتا الطواف خلف المقام ثم في الحجر ثم في المسجد أي مسجد كان حيث شاء متى شاء ليلا أو نهارا سنة عند الشافعي في أصح قوليه بعد الفراغ من الطواف لقوله صلى الله عليه وسلم للاعرابي حين قال هل علي غيرها قال لا الا أن تطوع وفي قوله الآخر فرض لظاهر قوله واتخذوا والامر للوجوب والرواية عن أبي حنيفة أيضا مختلفة (وعهدنا) المراد بالعهد هنا الامر أي ألزمناهما ذلك وأمرناهما أمرا ووثقنا عليهما فيه أن طهرا ان كانت ن مخففة فالتقدير بان طهرا وان كانت مفسرة فمعناه أي طهرا والمراد التطهير من كل أمر لا يليق بالبيت أما من الانجاس والاقذار فلأن موضع البيت وحواليه مصلى وأما من الشرك ومظانه فلأنه مقام العبادة والاخلاص وكل هذا اما أن لا تكون موجودة هنالك أصلا والمراد أقراه على طهارته مثل ولهم فيها أزواج مطهرة فمعلوم أنهن لم يطهرن بل خلقن طاهرات واما أن تكون موجودة فامر بازالتها وقيل عرفا الناس أن بيتي طهر لهم متى يحجوه

للطائفين الى آخره العطف يقتضي مغايرة فالطائف من يقصد البيت حاجا ومعتمرا فيطوف به والعاكف من يقيم يذكر هنالك ويجاور أو يعتكف والركع السجود جمعا راكع وساجد أي من يصلي هنالك وعن عطاء اذا كان طائفا فهو من الطائفين واذا كان جالسا فهو من العاكفين واذا كان مصليا فهو من الركع السجود ويجوز أن يريد بالعاكفين الواقفين يعني القائمين كما قال للطائفين والقائمين والركع السجود والمعنى للطائفين والمصلين لان القيام والركوع والسجود هيئات للمصلي ولعل الوجه الاول أولى ليكون الركع

القول في ذلك عندنا أن يقال ان الله أخبر تبارك وتعالى عن قوم وصفهم بالجهل ونفى عنهم العلم بما كانت اليهود والنصارى به عالمين أنهم قالوا بجهلهم نظير ما قال اليهود والنصارى بعضها لبعض مما أخبر الله عنهم انهم قالوه في قوله وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ وجائز أن يكونوا هم المشركين من العرب وجائز أن يكونوا أمة كانت قبل اليهود والنصارى ولا أمة أولى ان يقال هي التي عنيت بذلك من أخرى اذ لم يكن في الآية دلالة على أي من أي ولا خبر بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبتت حجته من جهة نقل الواحد العدل ولا من جهة النقل المستفيض وانما قصد الله جل ثناؤه بقوله كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم اعلام المؤمنين أن اليهود والنصارى قد أتوا من قيل الباطل وافتراء الكذب على الله وجحود نبوة الانبياء والرسل وهم أهل كتاب يعلمون أنهم فيما يقولون مبطلون وبجحودهم ما يجحدون من ملتهم خارجون وعلى الله مفترون مثل الذي قاله أهل الجهل بالله وكتبه ورسله الذين لم يبعث الله لهم رسولا ولا أوحى اليهم كتابا وهذه الآية تنبئ عن أن من أتى شيأ من معاصي الله على علم منه بنهي الله عنها فمصيبته في دينه أعظم من مصيبة من أتى ذلك جاهلا به لان الله تعالى ذكره عظم توبيخ اليهود والنصارى بما وبخهم به في قيلهم ما أخبر عنهم بقوله وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ من أجل أنهم أهل كتاب قالوا ما قالوا من ذلك على علم منهم أنهم مبطلون ۞ القول في تأويل قوله تعالى (فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) يعني بذلك جل ثناؤه فالله يقضي فيفصل بين هؤلاء المختلفين القائل بعضهم لبعض لستم على شئ من دينكم يوم قيام الخلق لربهم من قبورهم فيتبين المحق منهم من المبطل باثابته المحق ما وعد أهل طاعته على أعماله الصالحة ومجازاته المبطل منهم بما أوعد أهل الكفر به على كفرهم به فيما كانوا فيه يختلفون من أديانهم ومللهم في دار الدنيا وأما القيامة فهي مصدر من قول القائل قمت قياما وقيامة كما يقال عدت فلانا عيادة وصنت هذا الامر صيانة وانما عني بالقيامة قيام الخلق من قبورهم لربهم فمعنى يوم القيامة يوم قيام الخلائق من قبورهم لمحشرهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها) قد دللنا فيما مضى قبل على أن تأويل الظلم وضع الشئ في غير موضعه وتأويل قوله ومن أظلم وأي امرئ أشد تعديا وجراءة على الله وخلافا لامره من امرئ منع مساجد الله أن يعبد الله فيها والمساجد جمع مسجد وهو كل موضع عبد الله فيه وقد بينا معنى السجود فيما مضى فمعنى المسجد الموضع الذي يسجد لله فيه كما يقال للموضع الذي يجلس فيه المجلس وللموضع الذي ينزل فيه منزل ثم يجمع منازل ومجالس نظير مسجد ومساجد وقد حكي سماعا من بعض العرب مساجد في واحد المساجد وذلك كالخطأ من قائله وأما قوله أن يذكر فيها اسمه فان فيه وجهين من التأويل أحدهما ان يكون معناه ومن أظلم ممن منع مساجد الله من أن يذكر فيها اسمه فتكون أن حينئذ نصبا من قول بعض أهل العربية بفقد الخافض وتعلق الفعل بها والوجه الآخر أن يكون معناه ومن أظلم ممن منع أن

السجود كلاهما للقرب يعني المصلين ولهذا لم يفصل بينهما بالواو ثم اذا فسرنا الطائفين بالغرباء دلت الآية على أن الطواف للغرباء أفضل من الصلاة لانه تعالى مدحهم بذلك وقد روى عن ابن عباس ومجاهد وعطاء أن الطواف لأهل الامصار أفضل والصلاة لاهل مكة أفضل وفى اطلاق الآية دليل على جواز الصلاة فى البيت فرضا كانت أو نفلا خلافا لاحمد ومالك فى الفريضة قالا قوله وجهك شطر المسجد الحرام ومن كان داخل المسجد لم يكن متوجها الى المسجد بل الى جزء من أجزائه وأجيب بأن التوجه الى جزئه كاف لان المتوجه الواحد

يذكر اسم الله فى مساجده فتكون أن حينئذ فى موضع نصب تكريرا على موضع المساجد وردا عليه وأما قوله وسعى فى خرابها فان معناه ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وممن سعى فى خراب مساجد الله فسعى اذا عطف على منع فان قال قائل ومن الذى عنى بقوله ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها وأى المساجد هى قيل ان أهل التأويل فى ذلك مختلفون فقال بعضهم الذين منعوا مساجد الله أن يذكر فيها اسمه هم النصارى والمسجد بيت المقدس ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال حدثنى أبى قال حدثنى عمى قال حدثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه انهم النصارى حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها النصارى كانوا يطرحون فى بيت المقدس الاذى ويمنعون الناس أن يصلوا فيه حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله وقال آخرون هو بختنصر وجنده ومن أعانهم من النصارى والمسجد مسجد بيت المقدس ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة قوله ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه الآية أولئك أعداء الله النصارى حملهم بغض اليهود على أن أعانوا بختنصر البابلى المجوسى على تخريب بيت المقدس حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها قال هو بختنصر وأصحابه خرب بيت المقدس وأعانه على ذلك النصارى حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها قال الروم كانوا ظاهروا بختنصر على خراب بيت المقدس حتى خربه وأمر به أن تطرح فيه الجيف وانما أعانه الروم على خرابه من أجل أن بنى اسرائيل قتلوا يحيى بن زكريا وقال آخرون بل عنى الله عز وجل بهذه الآية مشركى قريش اذ منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام ذكر من قال ذلك حدثنى يونس ابن عبد الاعلى قال حدثنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها قال هؤلاء المشركون حين حالوا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية وبين أن يدخل مكة حتى نحر هديه بذى طوى وهادنهم وقال لهم ما كان أحد يرد عن هذا البيت وقد كان الرجل يلقى قاتل أبيه أو أخيه فيه فما يصده وقالوا لا يدخل علينا من قتل آباءنا يوم بدر وفينا باق وفى قوله وسعى فى خرابها قالوا اذا قطعوا من يعمرها بذكره ويأتيها للحج والعمرة وأولى التأويلات التى ذكرتها بتأويل الآية قول من قال عنى الله عز وجل بقوله ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه النصارى وذلك أنهم هم الذين سعوا فى خراب بيت المقدس وأعانوا بختنصر على ذلك ومنعوا مؤمنى بنى اسرائيل من الصلاة فيه بعد منصرف بختنصر عنهم

لا يكون الا كذلك وان كان خارج المسجد وبأن الفرق بين الفرض والنفل لاغ (قوله تعالى واذ قال ابراهيم) قيل فى الآية تقديم وتأخير لان قوله رب اجعل هذا بلدا آمنا لا يمكن الا بعد دخول البلد فى الوجود فقوله واذ يرفع وان كان متأخرا فى التلاوة فهو متقدم من حيث المعنى قلت فى ترتيب القصة فوائد منها أنه أجمل القصة فى قوله واذ ابتلى الى فأتمهن ثم فسر وفى التفسير قدم الأهم فالاهم ولا ريب أن ذكر جعل ابراهيم اماما أولى بالتقديم لعموم نفعه للخلائق ولتقدمه فى الوجود أيضا ثم ذكر جعل البيت مثابة للناس وأمنا لانه المقصود من عمارة البيت ثم حكاية عمارة البيت وقد حصل فى ضمن رعاية الاهم فوائد أخر منها أنه كما كان مبنى القصة على الاجمال والتفسير وقع كل من أجزائها أيضا كذلك فقوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا مجمل ثم فسر ذلك بان جعله ذا أمن كان بسبب دعاء ابراهيم وذكر البيت أولا وقع مجملا ثم فسر بأنه كيف بنى ومنها أنه وقع ختم الكلام بادعية ابراهيم عليه السلام ووقع ختم الادعية بذكر خاتم النبيين وهذا ترتيب لا يتصور أحسن منه ولعل ما فاتنا من أسرار هذا الترتيب أكثر مما أحصينا (هذا بلدا آمنا) ذا أمن مثل عيشة راضية أو آمنا من فيه كقولك ليل نائم وانما قيل ههنا بلدا آمنا على التنكير وفى سورة ابراهيم هذا البلد آمنا اما لان هذا الدعاء صدر منه قبل جعل المكان بلدا فكأنه قال واجعل هذا الوادى بلدا آمنا وذلك الدعاء صدر وقد جعل بلدا فكأنه قال اجعل هذا المكان الذى صيرته بلدا بلدا ذا أمن واما لان الدعوتين واحدة والمراد اجعل هذا البلد بلدا آمنا فيفيد مبالغة زائدة كقولك هذا اليوم يوم حار معناه اجعله من البلدان الكاملة من الامن بخلاف قوله اجعل هذا البلد آمنا ففيه طلب الأمن نفسه قيل سأل الامن من القحط لانه أسكن أهله بواد غير ذى ضرع ولا زرع وقيل من الخسف والمسخ

الى بلاده والدليل على صحة ما قلنا فى ذلك قيام الحجة بان لا قول فى معنى هذه الآية الا أحد الأقوال الثلاثة التى ذكرناها وأن لا مسجد عنى الله عز وجل بقوله وسعى فى خرابها الا أحد المسجدين اما مسجد بيت المقدس واما المسجد الحرام واذ كان ذلك كذلك وكان معلوما أن مشركى قريش لم يسعوا قط فى تخريب المسجد الحرام وان كانوا قد منعوا فى بعض الاوقات رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من الصلاة فيه صح وثبت أن الذين وصفهم الله عز وجل بالسعى فى خراب مساجده غير الذين وصفهم الله بعمارتها اذ كان مشركو قريش بنوا المسجد الحرام فى الجاهلية وبعمارته كان افتخارهم وان كان بعض أفعالهم فيه كان منهم على غير الوجه الذى يرضاه الله منهم وأخرى أن الآية التى قبل قوله ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه مضت بالخبر عن اليهود والنصارى وذم أفعالهم والتى بعدها نبهت بذم النصارى والخبر عن افترائهم على ربهم ولم يجر لقريش ولا لمشركى العرب ذكر ولا للمسجد الحرام قبلها فيوجه الخبر بقول الله عز وجل ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه اليهم والى المسجد الحرام واذ كان ذلك كذلك فالذى هو أولى بالآية أن يوجه تأويلها اليه هو ما كان نظير قصة الآية قبلها والآية بعدها اذ كان خبرها لخبرهما نظيرا وشكلا الا أن تقوم حجة يجب التسليم لها بخلاف ذلك وان اتفقت قصصها فاشتبهت فان ظن ظان أن ما قلنا فى ذلك ليس كذلك اذ كان المسلمون لم يلزمهم قط فرض الصلاة فى المسجد المقدس فمنعوا من الصلاة فيه (١) فيلجؤن توجيه قوله ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه الى أنه معنى به مسجد بيت المقدس فقد أخطأ فيما ظن من ذلك وذلك أن الله جل ذكره انما ذكر ظلم من منع من كان فرضه الصلاة فى بيت المقدس من مؤمنى بنى اسرائيل واياهم قصد بالخبر عنهم بالظلم والسعى فى خراب المسجد وان كان قد دل بعموم قوله ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه ان كل مانع مصليا فى مسجد الله فرضا كانت صلاته فيه أو تطوعا وكل ساع فى اخرابه فهو من المعتدين الظالمين ﴿ القول فى تأويل قوله جل ذكره (أولئك ما كان لهم أن يدخلوها الا خائفين) وهذا خبر من الله عز وجل عمن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه انه قد حرم عليهم دخول المساجد التى سعوا فى تخريبها ومنعوا عباد الله المؤمنين من ذكر الله عز وجل فيها ما داموا على مناصبة الحرب الا على خوف ووجل من العقوبة على دخولهموها كالذى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ما كان لهم أن يدخلوها الا خائفين وهم اليوم كذلك لا يوجد نصرانى فى بيت المقدس الا نهك ضربا وأبلغ اليه فى العقوبة حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال الله عز وجل ما كان لهم أن يدخلوها الا خائفين وهم النصارى فلا يدخلون المسجد الا مسارقة ان قدر عليهم عوقبوا حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى أولئك ما كان لهم أن يدخلوها الا خائفين فليس فى الارض رومى يدخلها اليوم الا وهو خائف أن تضرب عنقه أو قد أخيف بأداء الجزية فهو يؤديها حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أولئك ما كان لهم أن

(١) قوله فيلجؤن كذا فى الاصل ولعل الكلمة محرفة عن فيكون فتأمل كتبه مصححه

وقيل من القتل كيلا يكون سؤال الرزق بعده تكرارا وأجيب بأن التوسعة فى الرزق مغايرة لطلب ازالة القحط ثم انه تعالى استجاب دعاءه فجعله آمنا من الآفات فلم يصل اليه جبار الا قصمه الله كما فعل بأصحاب الفيل قيل أليس أن الحجاج حارب ابن الزبير وخرب الكعبة وقصد أهلها بكل سوء وأجيب بأن مقصوده لم يكن تخريب الكعبة نفسها وانما كان غرضه شيأ آخر (من الثمرات) من للابتداء لا للتبعيض بدليل قوله يجبى اليه ثمرات كل شئ وانما سأل ابراهيم عليه السلام الامن وان يجبى اليه الثمرات وان كان يتعلق بالدنيا لان البلد اذا كان آمنا اخصب تفرغ أهله لطاعة الله تعالى ويكون سببا لاجتماع الناس واتيانهم اليه من كل أوب زائرين وعاكفين وطلب الدنيا لاجل الدين من سنن الصالحين «نعم المال الصالح للرجل الصالح» واختلف فى أن مكة هل كانت آمنة محرمة قبل دعوة ابراهيم وصار ذلك مؤكدا بدعائه فقيل نعم لما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض ولقوله عند بيتك المحرم وقيل انما صارت حرما آمنا بدعوته وقبلها كانت كسائر البلاد بدليل قوله انى حرمت المدينة كما حرم ابراهيم مكة وقيل بالجمع بينهما وذلك أنه كان ممنوعا قبله بمنع الله تعالى من الاصطلام وبما أوقع فى النفوس من التعظيم ثم صار آمنا على ألسنة الرسل ومن آمن منهم بدل من أهله يعنى وارزق المؤمنين من أهله خاصة كانه قاس الرزق على الامامة حيث ميز هنالك بين المؤمن والكافر فقيل لا ينال عهدى الظالمين فعرف الفرق بينهما فقيل ومن كفر عطفا على من آمن كما مر فى ومن ذريتى أو هو مبتدا مضمن معنى الشرط جوابه فأمتعه وذلك أن الاستخلاف استرعاء يختص بمن ينصح للمرعى فيؤدى عن الله أمره ونهيه ولا يأخذه فى الدين لومة لائم ولا سطوة جبار وظالم وأبعد الناس عن النصيحة الظالم ولهذا قيل من استرعى الذئب فقد ظلم واما الرزق فلا يقبح ايصاله الى المؤمن والكافر والصالح والفاجر لعموم الرحمة ولانه قد يكون استدراجا للمرزوق والزاما للحجة على أنه متاع قليل وأمد يسير فيما بين الازل والابد وقليلا أى امتاعا أو تمتيعا قليلا أو زمانا قليلا فنعمة المؤمنين فى العاجل موصولة بنعيمهم فى الآجل ونعمة الكافرين مقطوعة عنهم بعد الموت والزائل لا يجدى بطائل «أفرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون» ومعنى الاضطرار أن يفعل به ما يلجئه الى النار كقوله يوم يدعون الى نار جهنم دعا وسيق الذين كفروا

الى جهنم أوان يصير الفاعل بالتخويف والتهديد الى أن يفعل ذلك الفعل اختيارا كالاضطرار الى أكل الميتة مثلا (وبئس المصير) ذلك الذي اضطر اليه أو ذلك الاضطرار فحذف المخصوص للعلم به والمصير اما مصدر بمعنى الصيرورة يقال صرت الى فلان مصيرا واما موضع وكلاهما شاذ والقياس مصار مثل معاش وكلاهما مستعمل والله أعلم (واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك

وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم

يدخلوها الا خائفين قال نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان قال فجعل المشركون يقولون اللهم انا منعنا ان ننزل وانما قيل أولئك ما كان لهم أن يدخلوها الا خائفين فاخرج على وجه الخبر عن الجميع وهو خبر عمن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه لان من في معنى الجميع وان كان لفظه واحدا ﴿ القول في تأويل قوله تعالى (لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم) أما قوله عز وجل لهم فانه يعني الذين أخبر عنهم انهم منعوا مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وأما قوله لهم في الدنيا خزي فانه يعني بالخزي العار والشر والذلة اما القتل والسباء واما الذلة والصغار باداء الجزية كما حدثنا الحسن قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة لهم في الدنيا خزي قال يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي قوله لهم في الدنيا خزي أما خزيهم في الدنيا فانهم اذا قام المهدي وفتحت القسطنطينية قتلهم فذلك الخزي وأما العذاب العظيم فانه عذاب جهنم الذي لا يخفف عن أهله ولا يقضى عليهم فيها فيموتوا وتأويل الآية لهم في الدنيا الذلة والهوان والقتل والسبي على منعهم مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعيهم في خرابها ولهم على معصيتهم وكفرهم بربهم وسعيهم في الارض فسادا عذاب جهنم وهو العذاب العظيم ﴿ القول في تأويل قوله تعالى (ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله) يعني جل ثناؤه بقوله ولله المشرق والمغرب لله ملكهما وتدبيرهما كما يقال لفلان هذه الدار يعني بها أنها له ملكا فذلك قوله ولله المشرق والمغرب يعني انهما له ملكا وخلقا والمشرق هو موضع شروق الشمس وهو موضع طلوعها كما يقال لموضع طلوعها منه مطلع بكسر اللام وكما بينا في معنى المساجد آنفا فان قال قائل أو ما كان لله الا مشرق واحد ومغرب واحد حتى قيل ولله المشرق والمغرب قيل ان معنى ذلك غير الذي ذهبت اليه وانما معنى ذلك ولله المشرق الذي تشرق منه الشمس كل يوم والمغرب الذي تغرب فيه كل يوم فتأويله اذا كان ذلك معناه ولله ما بين قطري المشرق وما بين قطري المغرب اذ كان شروق الشمس كل يوم من موضع منه لا تعود لشروقها منه الى الحول الذي بعده وكذلك غروبها كل يوم فان قال أو ليس وان كان تأويل ذلك ما ذكرت فلله كل ما دونه الخلق خلقه قيل بلى فان قال فكيف خص المشارق والمغارب بالخبر عنها أنها له في هذا الموضع دون سائر الاشياء غيرها قيل قد اختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله خص الله ذكر ذلك بما خصه به في هذا الموضع ونحن مبينو الذي هو أولى بتأويل الآية بعد ذكرنا أقوالهم في ذلك فقال بعضهم خص الله جل ثناؤه ذلك بالخبر من أجل ان اليهود كانت توجه في صلاتها وجوهها قبل بيت المقدس وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك مدة ثم حولوا الى الكعبة فاستنكرت اليهود ذلك من فعل النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها فقال الله تبارك وتعالى لهم المشارق والمغارب كلها لي أصرف وجوه عبادي كيف أشاء منها فحيثما تولوا فثم وجه الله ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال حدثني معاوية بن صالح عن علي عن ابن عباس قال كان أول ما نسخ من القرآن القبلة وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق الها واحدا ونحن له مسلمون تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون) القرا آت أرنا وبابه ساكنة الراء ابن كثير وويس قياسا على كسرة فخذ اذ تسكن فيقال فخذ وقرأ أبو عمرو بالاختلاس طلبا للخفة وحذرا من الاجحاف ويعلمهم بالاختلاس عباس وكذلك كل فعل مستقبل مجموع حيث وقع وروى ابن رومي عن ابن عباس يكلمنا وتعدنا وكل كلمة تضمنت جمعين من الاسماء بالاختلاس مثل في أعينكم وأسلحتكم وأمتعتكم وأوصى من الايصاء أبو جعفر ونافع وابن عامر الباقون وصى بالتشديد

شهداء اذ عاصم وحمزة وعلي وخلف وابن عامر الباقون شهداء يذ وكذلك ما أشبهه في كل القرآن * الوقوف واسمعيل ط لاضمار القول أي يقولان ومحله نصب على الحال منا ط للابتداء بان ولجواز الوصل وجه لطيف على تقدير فانك أو لانك العليم ه مسلمة لك ص لعطف المتفقين علينا ط وقد ذكر الرحيم ه ويزكيهم ط الحكيم ه نفسه ط للفصل بين الاستفهام والاخبار في الدنيا ج لعطف الجملتين المختلفتين الصالحين ه أسلم ط لان قوله قال عامل اذ والا وجب أن يقال فقال والا انقطع النظم العالمين ه ويعقوب ط لارادة القول على الاصح ومن

وصل جعل الوصية في معنى القول مسلمون ط لان آم بمعنى همزة الاستفهام للانكار الموت (لا) لان اذ بدل من اذ الاولى واذ الاولى ظرف شهدا واذ الثانية ظرف حضر ومن قطعها عن الاول فوقف على الموت وجعل قالوا عاملا ولم يقف على بعدى فله وجه لا يتضح لان الانكار متوجه على قولهم ان يعقوب أوصى بنيه باليهودية لا على ان يعقوب قدمات من بعدى ط واحدا ج لعطف الجملتين المختلفتين والوصل أجوز على جعل الواو حالا مسلمون ه قد خلت ج لان (٤٠٠) ما بعدها تصلح صفة للامة وتصلح استئنافا وهو واضح لعطف ولكم ما كسبتم عليها ولكم ما كسبتم ج لعطف الجملتين المختلفتين يعملون ه * التفسير عن وهب بن منبه قال ان آدم صلى الله عليه وسلم لما أهبط الى الارض استوحش منها لما رأى من سعتها ولانه لم ير فيها أحدا غيره فقال يارب أما الارضك عامر يسبحك فيها ويقدس لك غيرى فقال الله انى سأجعل فيها من ذريتك من يسبح بحمدى ويقدس لى وسأجعل فيها بيوتا ترفع لذكرى وسأبوئك منها بيتا أختاره لنفسي وأخصه بكرامتي وأوثره على بيوت الارض كلها باسمى وأسميه بيتى أعظمه بعظمتى وأحوطه بحرمتى وأضعه في البقعة التى اخترت لنفسى فانى اخترت مكانه يوم خلقت السموات والارض أجعل ذلك البيت لك ولمن بعدك حرما وأمنا أحرم بحرمته ما فوقه وما تحته وما حوله فمن حرمه بحرمتى فقد عظم حرمتى ومن أحله فقد أباح حرمتى ومن أمن أهله استوجب بذلك أمانى ومن أخافهم فقد جفانى ومن عظم شأنه فقد عظم فى عينى ومن تهاون به فقد صغر فى عينى سكانها جيرانى وعمارها وفدى وزوارها أضيافى أجعله أول بيت وضع للناس وأعمره باهل السماء والارض يأتونه أفواجا شعثا غبرا على كل ضامر يأتين من كل فج عميق يعجون بالتكبير عجيجا ويضجون بالتلبية ضجيجا فمن اعتمره لا يريد غيرى فقد زارنى وصافنى ووفد على ونزل بى فحق على أن ألحقه بكرامتى وحق على الكريم أن يكرم وفده وأضيافه وزواره ويذكر وأن يسعف كل واحد منهم بحاجته تعمره يا آدم ما كنت حيا ثم يعمره من بعدك الامم فى القرون والانبياء من ولدك أمة بعد أمة وقرنا بعد قرن ونبيا بعد نبى حتى ينتهى بعد ذلك الى نبى من ولدك يقال له محمد وهو خاتم النبيين فاجعله من عماره وسكانه وحماته وولاته يكون أمينى عليه مادام حيا فاذا انقلب الى وجدنى وقد ذخرت له من أجره ما يتمكن به من القربة الى والوسيلة عندى وأجعل اسم ذلك البيت وشرفه وذكره ومجده

لما هاجر الى المدينة وكان أكثر أهلها اليهود أمره الله عز وجل أن يستقبل بيت المقدس ففرحت اليهود فاستقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعة عشر شهرا فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب قبلة ابراهيم عليه السلام فكان يدعو وينظر الى السماء فانزل الله تبارك وتعالى قد نرى تقلب وجهك فى السماء الى قوله فولوا وجوهكم شطره فارتاب من ذلك اليهود وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها فانزل الله عز وجل قل لله المشرق والمغرب وقال أينما تولوا فثم وجه الله حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى نحوه وقال آخرون بل أنزل الله هذه الآية قبل أن يفرض على نبيه صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين به التوجه شطر المسجد الحرام وانما أنزلها عليه معلما نبيه عليه الصلاة والسلام بذلك وأصحابه أن لهم التوجه بوجوههم للصلاة حيث شاؤا من نواحى المشرق والمغرب لانهم لا يوجهون وجوههم وجها من ذلك وناحية الا كان جل ثناؤه فى ذلك الوجه وتلك الناحية لان له المشارق والمغارب وانه لا يخلو منه مكان كما قال جل وعز ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا قالوا ثم نسخ ذلك بالفرض الذى فرض عليهم فى التوجه شطر المسجد الحرام ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله جل وعز ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله ثم نسخ ذلك بعد ذلك فقال الله ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام حدثت عن الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله فأينما تولوا فثم وجه الله قال هى القبلة ثم نسختها القبلة الى المسجد الحرام حدثنى المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا همام قال ثنا يحيى قال سمعت قتادة فى قول الله فأينما تولوا فثم وجه الله قال كانوا يصلون نحو بيت المقدس ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قبل الهجرة وبعد ما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه بعد ذلك نحو الكعبة البيت الحرام فنسخها الله فى آية أخرى فلنولينك قبلة ترضاها الى وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره قال فنسخت هذه الآية ما كان قبلها من أمر القبلة حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سمعته يعنى زيدا يقول قال عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم فأينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء قوم يهود يستقبلون بيتا من بيوت الله لو أنا استقبلناه فاستقبله النبى صلى الله عليه وسلم ستة عشر شهرا فبلغه أن يهود تقول والله ما درى محمد وأصحابه أين قبلتهم حتى هديناهم فكره ذلك النبى صلى الله عليه وسلم ورفع وجهه الى السماء فقال الله عز وجل قد نرى تقلب وجهك فى السماء الآية وقال آخرون نزلت هذه الآية على النبى صلى الله عليه وسلم اذنا من الله عز وجل له أن يصلى التطوع حيث توجه وجهه من شرق أو غرب فى مسيره فى سفره وفى حال المسايفة وفى شدة الخوف والتقاء الزحوف فى الفرائض وأعلمه أنه حيث وجه وجهه فهو هنالك بقوله ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال ثنا عبد الملك عن سعيد بن جبير عن ابن عمر أنه كان يصلى حيث توجهت به راحلته

ويذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك ويتأول هذه الآية أينما تولوا فثم وجه الله حدثني أبو السائب قال ثنا ابن فضيل عن عبد الملك بن أبي سليمان عن سعيد بن جبير عن ابن عمر أنه قال انما نزلت هذه الآية أينما تولوا فثم وجه الله أن تصلي حيثما توجهت بك راحلتك في السفر تطوعا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رجع من مكة يصلي على راحلته تطوعا يومئ برأسه نحو المدينة وقال آخرون بل نزلت هذه الآية في قوم عميت عليهم القبلة فلم يعرفوا شطرها فصلوا على انحاء مختلفة فقال الله عز وجل لهم لي المشارق والمغارب فأين وليتم وجوهكم فهنالك وجهي وهو قبلتكم معلمهم بذلك أن صلاتهم ماضية ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا أبو الربيع السمان عن عاصم بن عبيد الله عن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة سوداء مظلمة فنزلنا منزلا فجعل الرجل يأخذ الاحجار فيعمل مسجدا يصلي فيه فلما أصبحنا اذا نحن قد صلينا على غير القبلة فقلنا يا رسول الله لقد صلينا ليلتنا هذه لغير القبلة فأنزل الله عز وجل ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم حدثني المثنى قال حدثني الحجاج قال ثنا حماد قال قلت للنخعي اني كنت استيقظت أو قال (١) أيقظت شك الطبري فكان في السماء سحاب فصليت لغير القبلة قال مضت صلاتك يقول الله عز وجل فأينما تولوا فثم وجه الله حدثنا سفيان بن وكيع قال ثنا أبي عن أشعث السمان عن عاصم بن عبيد الله عن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة مظلمة في سفر فلم ندر أين القبلة فصلينا فصلى كل واحد منا على حياله ثم أصبحنا فذكرنا للنبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل فأينما تولوا فثم وجه الله * وقال آخرون بل نزلت هذه الآية في سبب النجاشي لأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تنازعوا في أمره من أجل أنه مات قبل أن يصلي الى القبلة فقال الله عز وجل المشارق والمغارب كلها لي فمن وجه وجهه نحو شيء منها يريد به ويبتغي به طاعتي وجدني هنالك يعني بذلك أن النجاشي وان لم يكن صلى الى القبلة فانه قد كان يوجه الى بعض وجوه المشارق والمغارب وجهه يبتغي بذلك رضا الله عز وجل في صلاته ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا هشام بن معاذ قال حدثني أبي عن قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان أخا لكم النجاشي قد مات فصلوا عليه قالوا نصلي على رجل ليس بمسلم قال فنزلت وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم خاشعين لله قال قتادة فقالوا انه كان لا يصلي الى القبلة فأنزل الله عز وجل ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله (قال أبو جعفر) والصواب من القول في ذلك أن الله تعالى ذكره انما خص الخبر عن المشرق والمغرب في هذه الآية بأنهما له ملكا وان كان لا شيء الا وهو له ملك اعلاما منه عباده المؤمنين أن له ملكهما وملك ما بينهما من الخلق وان على جميعهم اذ كان له ملكهم طاعته فيما أمرهم ونهاهم وفيما فرض عليهم من الفرائض والتوجه نحو الوجه الذي وجهوا اليه اذ كان من حكم المماليك طاعة مالكهم فأخرج الخبر عن المشرق والمغرب والمراد به من بينهما من الخلق على النحو الذي قد بينت من الاكتفاء بالخبر عن سبب الشيء من ذكره والخبر عنه كما قيل وأشربوا في قلوبهم العجل وما أشبه ذلك ومعنى الآية اذا ولله ملك الخلق الذي بين المشرق والمغرب يتعبدهم بما شاء ويحكم فيهم ما يريد عليهم طاعته فولوا وجوهكم أيها المؤمنون نحو وجهي فانكم أينما تولوا وجوهكم فهنالك وجهي فأما القول في هذه الآية ناسخة أم منسوخة أم لا هي ناسخة ولا منسوخة فالصواب فيه من القول أن يقال انها جاءت مجيء العموم والمراد الخاص

وسناه ومكرمته لنبي من ولدك يكون قبل هذا النبي صلى الله عليه وسلم وهو أبوه يقال له ابراهيم أرفع به قواعده وأقضي على يديه عمارته وأعلمه مشاعره ومناسكه وأجعله أمة واحدة قانتا قائما بأمري داعيا الى سبيلي أجتبيه وأهديه الى صراط مستقيم أبتليه فيصبر وأعافيه فيشكر وآمره فيفعل وينذر لي فيفي أستجيب دعاءه في ولده وذريته من بعده وأشفعه فيهم وأجعلهم أهل ذلك البيت وحماته وسقاته وخدمه وخزانه وحجابه حتى يبدلوا ويغيروا وأجعل ابراهيم امام ذلك البيت وأهل تلك الشريعة يأتم به من حضر تلك المواطن من جميع الخلق الجن والانس وروى ان الله تعالى أنزل البيت ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرد شرقي وغربي وقال لآدم أهبطت لك بيتا يطاف به كما يطاف حول عرشي فتوجه اليه آدم من أرض الهند ماشيا وتلقته الملائكة فقالوا بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام وحج آدم أربعين حجة من أرض الهند الى مكة على رجليه فكان على ذلك الى أن رفعه الله أيام الطوفان الى السماء الرابعة فهو البيت المعمور ثم ان الله تعالى أمر ابراهيم ببنائه وعرفه جبرائيل مكانه وعن علي عليه السلام البيت المعمور بيت في السماء يقال له الضراح وهو بحيال الكعبة من فوقها حرمته في السماء كحرمة البيت في الارض يصلي فيه كل يوم سبعون ألفا من

(١) قوله أيقظت كذا في الاصل ولعله محرف عن أوقظت أي أيقظني غيري وحرر كتبه مصححه

وذلك أن قوله فأينما تولوا فثم وجه الله محتمل أينما تولوا في حال سيركم في أسفاركم في صلاتكم التطوع وفي حال مسايفتكم عدوكم في تطوعكم ومكتوبتكم فثم وجه الله كما قال ابن عمر والنخعي ومن قال ذلك ممن ذكرنا عنه آنفا ومحتمل فأينما تولوا من أرض الله فتكونوا بها فثم قبلة الله التي توجهون وجوهكم اليها لأن الكعبة ممكن لكم التوجه اليها منها كما قال أبو كريب قال ثنا وكيع عن أبي سنان عن الضحاك والنضر بن عربي عن مجاهد في قول الله عز وجل فأينما تولوا فثم وجه الله قال قبلة الله فأينما كنت من شرق أو غرب فاستقبلها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج قال أخبرني ابراهيم عن ابن أبي بكر عن مجاهد قال حيثما كنتم فلكم قبلة تستقبلونها قال الكعبة ومحتمل فأينما تولوا وجوهكم في دعائكم فهنالك وجهي أستجيب لكم دعاءكم كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثني حجاج قال قال ابن جريج قال مجاهد لما نزلت ادعوني أستجب لكم قالوا الى أين فنزلت فأينما تولوا فثم وجه الله فاذ كان قوله عز وجل فأينما تولوا فثم وجه الله محتملا ما ذكرنا من الاوجه لم يكن لاحد أن يزعم أنها ناسخة أو منسوخة الا بحجة يجب التسليم لها لان الناسخ لا يكون الا بمنسوخ ولم تقم حجة يجب التسليم لها بأن قوله فأينما تولوا فثم وجه الله معني به فأينما توجهوا وجوهكم في صلاتكم فثم قبلتكم ولا أنها نزلت بعد صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه نحو بيت المقدس أمرا من الله عز وجل لهم بها أن يتوجهوا نحو الكعبة فيجوز أن يقال هي ناسخة الصلاة نحو بيت المقدس اذ كان من أهل العلم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأئمة التابعين من ينكر أن تكون نزلت في ذلك المعنى ولا خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت بأنها نزلت فيه وكان الاختلاف في أمرها موجودا على ما وصفت ولا هي اذ لم تكن ناسخة لما وصفنا قامت حجتها بأنها منسوخة اذ كانت محتملة ما وصفنا بأن تكون جاءت بعموم ومعناها في حال دون حال ان كان عني بها التوجه في الصلاة وفي كل حال ان كان عني بها الدعاء وغير ذلك من المعاني التي ذكرنا وقد دللنا في كتابنا كتاب البيان عن أصول الاحكام على أن لا ناسخ من آي القرآن وأخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ما نفى حكما ثابتا وألزم العباد فرضه غير محتمل لظاهره وباطنه غير ذلك فأما اذا ما احتمل غير ذلك من أن يكون بمعنى الاستثناء أو الخصوص والعموم أو المجمل أو المفسر فمن الناسخ والمنسوخ بمعزل بما أغنى عن تكريره في هذا الموضع ولا منسوخ الا المنفي الذي قد كان ثبت حكمه وفرضه ولم يصح واحد من هذين المعنيين لقوله فأينما تولوا فثم وجه الله بحجة يجب التسليم لها فيقال فيه هو ناسخ أو منسوخ وأما قوله فأينما فان معناه حيثما وأما قوله تولوا فان الذي هو أولى بتأويله أن يكون تولون نحوه واليه كما يقول القائل (١) وليت وجهي وليته اليه بمعنى قابلته وواجهته وانما قلنا ذلك أولى بتأويل الآية لاجماع الحجة على أن ذلك تأويله وشذوذ من تأوله بمعنى تولون عنه فتستدبرونه فالذي تتوجهون اليه وجه الله بمعنى قبلة الله وأما قوله فثم فانه بمعنى هنالك واختلف في تأويل قوله فثم فقال بعضهم تأويل ذلك فثم قبلة الله يعني بذلك وجهه الذي وجههم اليه ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن النضر بن عربي عن مجاهد فثم وجه الله قال قبلة الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني ابراهيم عن مجاهد قال حيثما كنتم فلكم قبلة تستقبلونها وقال آخرون معنى قول الله عز وجل فثم وجه الله فثم الله تبارك وتعالى وقال آخرون معنى قوله فثم وجه الله فثم تدركون بالتوجه اليه رضا الله الذي له الوجه الكريم وقال آخرون عني بالوجه ذا الوجه وقال قائلو هذه

الملائكة لا يعودون فيه أبدا وعن عبد الله بن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة طمس الله نورهما ولولا ذلك لاضاءا ما بين المشرق والمغرب وما مسهما ذو عاهة ولا سقيم الا شفي وعن ابن عباس انه كان أشد بياضا من الثلج حتى سودته خطايا أهل الشرك وأما قصة اسمعيل عليه السلام وأمه فعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يكذب ابراهيم عليه السلام قط الا ثلاث كذبات ثنتين في ذات الله قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وواحدة في شأن سارة فانه قدم أرض جبار ومعه سارة وكانت أحسن الناس فقال لها ان هذا الجبار ان يعلم أنك امرأتي يغلبني عليك فان سألك فأخبريه أنك أختي فانك أختي في الاسلام فاني لا أعلم في الارض مسلما غيري وغيرك فلما دخل أرضه رآها بعض أهل الجبار فأتاه فقال لقد قدم أرضك امرأة لا ينبغي لها أن تكون الا لك فأرسل اليها فأتي بها وقام ابراهيم الى الصلاة فلما دخلت عليه لم يتمالك أن بسط يده اليها فقبضت يده قبضة شديدة فقال لها ادعي الله أن يطلق يدي ولا أضرك ففعلت فعاد فقبضت يده أشد من القبضة الاولى فقال لها مثل ذلك فعاد فقبضت يده أشد من القبضتين الاولتين فقال ادعي الله أن يطلق يدي ولا أضرك ففعلت فأطلقت يده ودعا الذي جاء بها فقال له انك

(١) قوله وليت وجهي كذا في الاصل ولعل هنا سقطا والاصل وليت الشيء وجهي الخ. فحرر كتبه مصححه

المقالة وجه الله صفة له فان قال قائل وماهذه الآية من التى قبلها قيل هى لها مواصلة وانما معنى ذلك ومن أظلم من النصارى الذين منعوا عباد الله مساجده أن يذكر فيها اسمه وسعوا فى خرابها ولله المشرق والمغرب فأينما توجهوا وجوهكم فاذكروه فان وجهه هنالك يسعكم فضله وأرضه وبلاده ويعلم ماتعملون ولا يمنعكم تخريب من خرب مسجد بيت المقدس ومنعهم من منعوا من ذكر الله فيه أن تذكروا الله حيث كنتم من أرض الله تبتغون به وجهه ﴿ القول فى تأويل قوله (ان الله واسع عليم) يعنى جل ثناؤه بقوله واسع يسع خلقه كلهم بالكفاية والافضال والجود والتدبير وأما قوله عليم فانه يعنى انه عليم بافعالهم لا يغيب عنه منها شئ ولا يعزب عن علمه بل هو بجميعها عليم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى (وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له مافى السموات والارض) يعنى بقوله جل ثناؤه وقالوا اتخذ الله ولدا الذين منعوا مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وقالوا معطوف على قوله وسعى فى خرابها وتأويل الآية ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها وقالوا اتخذ الله ولدا وهم النصارى الذين زعموا أن عيسى ابن الله فقال الله جل ثناؤه مكذبا قيلهم ماقالوا من ذلك (١) ومنفيا مانحلوه وأضافوا اليه بكذبهم وفريتهم سبحانه يعنى بها تنزيها وتبريئا من أن يكون له ولد وعلوا وارتفاعا عن ذلك وقد دللنا فيما مضى على معنى قول القائل سبحان الله بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع ثم أخبر جل ثناؤه أن له مافى السموات والارض ملكا وخلقا ومعنى ذلك وكيف يكون المسيح لله ولدا وهو لا يخلو إما أن يكون فى بعض هذه الاماكن اما فى السموات واما فى الارض ولله ملك مافيهما ولو كان المسيح ابنا كما زعمتم لم يكن كسائر مافى السموات والارض من خلقه وعبيده فى ظهور آيات الصنعة فيه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى (كل له قانتون) اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك مطيعون ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله كل له قانتون مطيعون حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله عز وجل كل له قانتون قال مطيعون قال طاعة الكافر فى سجود ظله حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله الا أنه زاد بسجود ظله وهو كاره حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى كل له قانتون يقول كل له مطيعون يوم القيامة حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال حدثنى يحيى بن سعيد عمن ذكره عن عكرمة كل له قانتون قال الطاعة حدثت عن المنجاب بن الحرث قال ثنا بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس قانتون مطيعون وقال آخرون معنى ذلك كل له مقرون بالعبودية ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين بن واقد عن يزيد النحوى عن عكرمة كل له قانتون كل مقر له بالعبودية وقال آخرون بما حدثنى به المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قوله كل له قانتون قال كل له قائم يوم القيامة وللقنوت فى كلام العرب معان أحدها الطاعة والآخر القيام والثالث الكف عن الكلام والامساك عنه وأولى معانى القنوت فى قوله كل له قانتون الطاعة والاقرار لله عز وجل بالعبودية بشهادة أجسامهم بما فيها من آثار الصنعة والدلالة على وحدانية الله عز وجل وان الله تعالى ذكره بارئها وخالقها وذلك ان الله جل ثناؤه أكذب الذين زعموا أن لله ولدا بقوله بل له مافى السموات والارض ملكا وخلقا ثم أخبر عن جميع مافى السموات والارض أنها مقرة بدلالتها على ربها وخالقها وان الله تعالى بارئها وصانعها وان جحد ذلك بعضهم فألسنتهم مذعنة له بالطاعة

انما جئتنى بشيطان ولم تأتنى بانسان فأخرجها من أرضى وأعطها هاجر قال فأقبلت تمشى فلما رآها ابراهيم انصرف فقال مهيم فقالت خيرا كف الله يد الفاجر وأخدم خادما قال أبو هريرة فتلك أمكم يا بنى ماء السماء قلت وذلك أنها ملكتها سارة ابراهيم فولدت له اسمعيل أبا العرب وأما تتمة القصة بعد ان غارت سارة على هاجر حيث لم يكن لسارة من ابراهيم ولد فانها ولدت اسحق بعد ولادة هاجر اسمعيل بأربع عشرة سنة فقد روى سعيد بن جبير عن ابن عباس أول ما اتخذت النساء المنطق من قبل أم اسمعيل اتخذت منطقا لتعفى أثرها على سارة ثم جاء بها ابراهيم وبابنها اسمعيل وهى ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم فى أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء فوضعهما هنالك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفى ابراهيم منطلقا فتبعته أم اسمعيل فقالت يا ابراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس فيه أنيس ولا شئ فقالت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت اليها فقالت له آلله أمرك بهذا قال نعم قالت اذن لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق ابراهيم صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات فرفع يديه فقال رب انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع حتى بلغ يشكرون وجعلت أم اسمعيل ترضع اسمعيل

(١) قوله ومنفيا كذا فى الاصل ولعل الكلمة محرفة حرر كتبه مصححه

بشهادتها له بآثار الصنعة التى فيها بذلك وان المسيح أحدهم فانى يكون لله ولدا وهذه صفته وقد زعم بعض من قصرت معرفته عن توجيه الكلام وجهته أن قوله كل له قانتون خاصة لاهل الطاعة وليست بعامة وغير جائز ادعاء خصوص فى آية عام ظاهرها الا بحجة يجب التسليم لها لما قد بينا فى كتابنا كتاب البيان عن أصول الاحكام وهذا خبر من الله جل وعز عن أن المسيح الذى زعمت النصارى انه ابن الله مكذبهم هو والسموات والارض وما فيها اما باللسان واما بالدلالة وذلك أن الله جل ثناؤه أخبر عن جميعهم بطاعتهم اياه واقرارهم له بالعبودية عقيب قوله وقالوا اتخذ الله ولدا فدل ذلك على صحة ما قلنا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (بديع السموات والارض) يعنى جل ثناؤه بقوله بديع السموات والارض مبدعها وانما هو مفعل صرف الى فعيل كما صرف المؤلم الى أليم والمسمع الى سميع ومعنى المبدع المنشئ والمحدث ما لم يسبقه الى انشاء مثله واحداثه أحد ولذلك سمى المبتدع فى الدين مبتدعا لاحداثه فيه ما لم يسبقه اليه غيره وكذلك كل محدث فعلا أو قولا لم يتقدمه فيه متقدم فان العرب تسميه مبتدعا ومن ذلك قول الاعشى بن ثعلبة فى مدح هوذة بن على الحنفى

يرعى الى قول سادات الرجال اذا * أبدوا له الحزم أو ما شاءه ابتدعا

أى يحدث ما شاء ومنه قول رؤبة بن العجاج

فأيها الغاشى القذاف الاتيعا * ان كنت لله التقى الأطوعا * فليس وجه الحق أن تبدعا

يعنى أن تحدث فى الدين ما لم يكن فيه فمعنى الكلام سبحان الله أنى يكون له ولد وهو مالك ما فى السموات والارض تشهد له جميعا بدلالتها عليه بالوحدانية وتقر له بالطاعة وهو بارئها وخالقها وموجدها من غير أصل ولا مثال احتذاها عليه وهذا اعلام من الله جل ثناؤه عباده ان مما يشهد له بذلك المسيح الذى أضافوا الى الله جل ثناؤه بنوته واخبار منه لهم أن الذى ابتدع السموات والارض من غير أصل وعلى غير مثال هو الذى ابتدع المسيح من غير والد بقدرته وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع بديع السموات والارض يقول ابتدع خلقها ولم يشركه فى خلقها أحد حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى بديع السموات والارض يقول ابتدعها فخلقها ولم يخلق مثلها شيأ فتتمثل به ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (واذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) يعنى جل ثناؤه بقوله واذا قضى أمرا واذا أحكم أمرا وحتمه وأصل كل قضاء الاحكام والفراغ منه ومن ذلك قيل للحاكم بين الناس القاضى بينهم لفصله القضاء بين الخصوم وقطعه الحكم بينهم وفراغه ومنه قيل للميت قد قضى يراد به قد فرغ من الدنيا وفصل منها ومنه قيل ما ينقضى عجبى من فلان يراد ما ينقطع ومنه قيل تقضى النهار اذا انصرم ومنه قول الله عز وجل وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه أى فصل الحكم فيه بين عباده بأمره اياهم بذلك وكذلك قوله وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب أى أعلمناهم بذلك وأخبرناهم به ففرغنا اليهم منه ومنه قول أبى ذؤيب

وعليهما مسرودتان قضاهما * داود أو صنع السوابغ تبع

ويروى * وتعاورا مسرودتين قضاهما * ويعنى بقوله قضاهما أحكمهما ومنه قول الآخر فى مدح عمر بن الخطاب رضى الله عنه

قضيت أمورا ثم غادرت بعدها * بوائق فى أكمامها لم تفتق

ويروى بوائج وأما قوله فانما يقول له كن فيكون فانه يعنى بذلك واذا أحكم أمرا حتمه فانما

وتشرب من ذلك الماء حتى اذا انفد ما فى السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى فانطلقت كراهية أن تنظر اليه فوجدت الصفا أقرب جبل فى الارض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادى تنظر هل ترى أحدا فلم تر أحدا فهبطت من الصفا حتى اذا بلغت الوادى رفعت طرف درعها ثم سعت سعى الانسان المجهود حتى جاوزت الوادى ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحدا فلم تر أحدا ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم فلذلك سعى الناس بينهما فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت صه تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت صوتا أيضا فقالت قد أسمعت ان كان عندك غواث فاذا هى بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه أو قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الماء فى سقائها وهو يفور بعد أن تغرف قال ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم يرحم الله أم اسمعيل لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عينا معينا قال فشربت وأرضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافى الضيعة فان ههنا بيت الله يبنيه هذا الغلام وأبوه وان الله لا يضيع أهله وكان البيت مرتفعا من الارض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وعن شماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم مقبلين من طريق كداء فنزلوا

يقول لذلك الامر كن فيكون ذلك الامر على ما أمره الله أن يكون واراده فان قال لنا قائل وما
معنى قوله واذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون وفى أى حال يقول للامر الذى يقضيه كن أفى
حال عدمه وتلك حال لا يجوز أمره اذ كان محالا أن يأمر الا المأمور فاذا لم يكن المأمور استحال
الامر كما محال الامر من غير آمر فكذلك محال الامر من آمر الا لمأمور أم يقول له ذلك فى حال
وجوده وتلك حال لا يجوز أمره فيها بالحدوث لانه حادث موجود ولا يقال للموجود كن موجودا
الا بغير معنى الامر بحدوث عينه قيل قد تنازع المتأولون فى معنى ذلك ونحن مخبرون بما قالوا فيه
والعلل التى اعتل بها كل فريق منهم لقوله فى ذلك قال بعضهم ذلك خبر من الله جل ثناؤه عن أمره
المحتوم على وجه القضاء لمن قضى عليه قضاء من خلقه الموجودين انه اذا أمره بامر نفذ فيه قضاؤه
ومضى فيه أمره نظير أمره من أمر من بنى اسرائيل بان يكونوا قردة خاسئين وهم موجودون فى
حال أمره اياهم بذلك وحتم قضائه عليهم بما قضى فيهم وكالذى خسف به وبداره الارض وما أشبه
ذلك من أمره وقضائه فيمن كان موجودا من خلقه فى حال أمره المحتوم عليه فوجه قائلو هذا القول
قوله واذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون الى الخصوص دون العموم وقال آخرون بل الآية
عام ظاهرها فليس لاحد أن يحيلها الى باطن بغير حجة يجب التسليم لها وقال ان الله عالم بكل ما هو
كائن قبل كونه فلما كان ذلك كذلك كانت الاشياء التى لم تكن وهى كائنة لعلمه بها قبل كونها
نظائر التى هى موجودة فجاز أن يقول لها كونى ويأمرها بالخروج من حال العدم الى حال الوجود
لتصور جميعها له ولعلمه بها فى حال العدم وقال آخرون بل الآية وان كان ظاهرها ظاهر
عموم فتأويلها الخصوص لان الامر غير جائز الا لمأمور على ما وصفت قبل قالوا واذا كان ذلك
كذلك فالآية تأويلها واذا قضى أمرا من احياء ميت أو اماتة حى ونحو ذلك فانما يقول لحى كن
ميتا أو لميت كن حيا وما أشبه ذلك من الامر وقال آخرون بل ذلك من الله عز وجل خبر عن
جميع ما ينشئه ويكونه أنه اذا قضاه وخلقه وأنشأه كان ووجد ولا قول هنالك عند قائلى هذه
المقالة الا وجود المخلوق وحدوث المقضى وقالوا انما قول الله عز وجل واذا قضى أمرا فانما يقول
له كن فيكون نظير قول القائل قال فلان برأسه وقال بيده اذا حرك رأسه أو أومأ بيده ولم يقل
شيأ وكما قال أبو النجم

وقالت الانساع للبطن الحق * قدما فآضت كالفنيق المحنق

ولا قول هنالك وانما عنى أن الظهر قد لحق بالبطن وكما قال عمرو بن حممة الدوسى

فاصبحت مثل النسر طارت فراخه * اذا رام تطيارا يقال له قع

ولا قول هنالك وانما معناه اذا رام طيرانا وقع وكما قال الآخر

امتلأ الحوض وقال قطنى * سيلا رويدا قد ملأت بطنى (١)

وأولى الاقوال بالصواب فى قوله واذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون أن يقال هو عام فى كل
ما قضاه الله وبرأه لان ظاهر ذلك ظاهر عموم وغير جائزة احالة الظاهر الى الباطن من التأويل بغير
برهان لما قد بينا فى كتابنا كتاب البيان عن أصول الاحكام واذ كان ذلك كذلك فامر الله جل وعز
لشئ اذا أراد تكوينه موجودا بقوله كن فى حال ارادته اياه مكونا لا يتقدم وجوده الذى أراد ايجاده
وتكوينه ارادته اياه ولا أمره بالكون والوجود ولا يتأخر عنه فغير جائز أن يكون الشئ مأمورا
بالوجود مرادا كذلك الا وهو موجود ولا أن يكون موجودا الا وهو مأمور بالوجود مراد كذلك

(١) المعروف فى الموجود فى الصحاح وكتب النحو مهلا بدل سيلا ولعلهما روايتان كتبه مصححه

فى أسفل مكة فرأوا طائرا عائفا
فقالوا ان هذا الطائر ليدور على ماء
لعهدنا بهذا الوادى وما فيه ماء
فارسلوا جريا أو جريين فاذا هم
بالماء فرجعوا وأخبروهم
فاقبلوا وأم اسمعيل عند الماء فقالوا
أتأذنين لنا أن ننزل عندك قالت
نعم ولكن لا حق لكم فى الماء قالوا
نعم قال ابن عباس قال النبى صلى
الله عليه وسلم (٢) فألفى ذلك أم اسمعيل
وهى تحب الانس فنزلوا وأرسلوا الى
أهاليهم فنزلوا معهم حتى اذا كان
بها أهل أبيات منهم وشب الغلام
وتعلم العربية منهم وأنفسهم
وأعجبهم حين شب الغلام فلما أدرك
الغلام زوجوه امرأة منهم وماتت
أم اسمعيل فجاء ابراهيم بعد ما تزوج
اسمعيل يطالع تركته فلم يجد
اسمعيل فسأل امرأته عنه فقالت
خرج يبتغى لنا ثم سألها عن عيشهم
وهيئتهم فقالت نحن بشر نحن فى
ضيق وشدة وشكت قال فاذا جاء
زوجك فاقرئى عليه السلام وقولى
له يغير عتبة بابه فلما جاء اسمعيل كأنه
آنس شيأ فقال هل جاءكم من أحد
قالت نعم جاءنا شيخ كذا وكذا فسألنى
عنك فاخبرته فسألنى كيف عيشنا
فاخبرته أنا فى جهد وشدة قال فهل
أوصاك بشئ قالت نعم أمرنى أن
أقرأ عليك السلام ويقول غير
عتبة بابك قال ذاك أبى وقد أمرنى
أن أفارقك الحقى بأهلك فطلقها
وتزوج منهم أخرى فلبث عنهم
ابراهيم ما شاء الله أن يلبث ثم أتاهم
بعد ذلك فلم يجده فدخل على امرأته

(٢) قوله فألفى ذلك الخ كذا فى الاصل ولعل ألفى محرف عن آلف من الألفة حرر لفظ الحديث كتبه مصححه

ونظيرقوله واذاقضى أمرافانما يقول له كن فيكون قوله ومن آياته أن تقوم السماء والارض بامره ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا أنتم تخرجون بان خروج القوم من قبورهم لا يتقدم دعاء الله ولا يتأخر عنه ويسئل من زعم أن قوله واذاقضى أمرا فانما يقول له كن فيكون خاص فى التأويل اعتلالا بان أمر غير الموجود غير جائز عن دعوة أهل القبور قبل خروجهم من قبورهم أم بعده أم هى فى خاص من الخلق فلن يقول فى ذلك قولا الا ألزم فى الآخر مثله ويسئل الذين زعموا أن معنى قوله جل ثناؤه فانما يقول له كن فيكون نظير قول القائل قال فلان برأسه أو بيده اذا حركه وأومأ ونظير قول الشاعر

تقول اذا درأت لها وضينى * أهذا دينه أبدا ودينى

وما أشبه ذلك فانهم لاصواب اللغة أصابوا ولا كتاب الله وما دلت على صحته الادلة اتبعوا فيقال لقائلى ذلك ان الله تعالى ذكره أخبر عن نفسه انه اذا قضى أمرا قال له كن أفتنكرون أن يكون قائلا ذلك فان أنكروه كذبوا بالقرآن وخرجوا من الملة وان قالوا بل نقربه ولكنا نزعم أن ذلك نظير قول القائل قال الحائط فمال ولا قول هنالك وانما ذلك خبر عن ميل الحائط قيل لهم أفتجيزون للمخبر عن الحائط بالميل أن يقول انما قول الحائط اذا أراد أن يميل أن يقول هكذا فيميل فان أجازوا ذلك خرجوا من معروف كلام العرب وخالفوا منطقها وما يعرف فى لسانها وان قالوا ذلك غير جائز قيل لهم ان الله تعالى ذكره أخبرهم عن نفسه ان قوله للشئ اذا أراده أن يقول له كن فيكون فاعلم عباده قوله الذى يكون به الشئ ووصفه ووكده وذلك عندكم غير جائز فى العبارة عما لا كلام له ولا بيان فى مثل قول القائل قال الحائط فمال فكيف لم يعلموا بذلك فرق ما بين معنى قول الله واذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون وقول القائل قال الحائط فمال وللبيان عن فساد هذه المقالة موضع غير هذا نأتى فيه على القول عافيه الكفاية ان شاء الله واذا كان الامر فى قوله جل ثناؤه واذاقضى أمرا فانما يقول له كن فيكون هو ما وصفنا من أن حال أمره الشئ بالوجود حال وجود المأمور بالوجود فتبين بذلك أن الذى هو أولى بقوله فيكون (١) على العطف على قوله يقول لان القول والكون حالهما واحد وهو نظير قول القائل تاب فلان فاهتدى واهتدى فلان فتاب لانه لا يكون تائبا الا وهو مهتد ولا مهتديا الا وهو تائب فكذلك لا يكون أن يكون الله آمرا شيأ بالوجود الا وهو موجود ولا موجودا الا وهو آمره بالوجود ولذلك استجاز من استجاز نصب فيكون من قرأ انما قولنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون بالمعنى الذى وصفنا على معنى أن نقول فيكون وأما رفع من رفع ذلك فانه رأى ان الخبر قد تم عند قوله اذا أردناه أن نقول له كن اذ كان معلوما أن الله اذا حتم قضاءه على شئ كان المحتوم عليه موجودا ثم ابتدأ بقوله فيكون كما قال جل ثناؤه لنبين لكم ونقر فى الارحام ما نشاء وكما قال ابن أحمر

يعالج عاقرا أعيت عليه * ليلقحها فينتجها حوارا

يريد فاذا هو ينتجها حوارا فمعنى الآية اذا وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه أن يكون له ولد بل هو مالك السموات والارض وما فيهما كل ذلك مقر له بالعبودية بدلالته على وحدانيته وأنى يكون له ولد وهو الذى ابتدع السموات والارض من غير أصل كالذى ابتدع المسيح من غير والد بقدرته وسلطانه الذى لا يتعذر عليه به شئ أراده بل انما يقول له اذا قضاه فأراد تكوينه كن فيكون موجودا كما أراده وشاءه فكذلك كان ابتداعه المسيح وانشاؤه اذا أراد خلقه من غير والد ﴿القول فى تأويل قوله (وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية)﴾ اختلف أهل التأويل فيمن عنى الله بقوله وقال الذين

لا يعلمون

فسأل عنه قالت خرج يبتغى لنا قال كيف أنتم وسألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بخير وسعة وأثنت على الله عز وجل قال فاذا جاء زوجك فاقرئى عليه السلام وقولى له يثبت عتبة بابه فلما جاء اسمعيل قال هل أتاكم من أحد قالت نعم أتانا شيخ حسن الهيئة وأثنت عليه فسألنى عنك فاخبرته فسألنى كيف عيشنا فاخبرته أنا بخير قال فاوصاك بشئ قالت نعم يقرأ عليك السلام ويأمرك أن تثبت عتبة بابك قال ذاك أبى وأنت العتبة أمرنى أن أمسكك ثم لبث عنهم ما شاء الله ثم جاء بعد ذلك واسمعيل يبرى نبلا له تحت دوحة قريبا من زمزم فلما رآه قام اليه وصنعا ما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد ثم قال يا اسمعيل ان الله أمرنى بامر قال فاصنع ما أمرك ربك قال وتعيننى قال وأعينك قال فان الله أمرنى ان أبنى بيتا ههنا وأشار الى أكمة مرتفعة على ما حولها فعند ذلك رفع القواعد من البيت فجعل اسمعيل يأتى بالحجارة وابراهيم يبنى حتى اذا ارتفع البناء جاء ابراهيم بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه وهو يبنى واسمعيل يناوله الحجارة وهما يقولان ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم وعن على كرم الله وجهه انه مر عليه الدهر بعد بناء ابراهيم فانهدم فبنته العمالقة ومر عليه الدهر فانهدم فبناه قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ شاب فلما أرادوا أن يرفعوا الحجر

(١) قوله على العطف أى الرفع على العطف كما هو ظاهر أو لفظة على مزيدة من الناسخ كتبه مصححه

لا يعلمون لولا يكلمنا الله فقال بعضهم عنى بذلك النصارى ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله جل وعز وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية قال النصارى تقوله حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله وزاد فيه وقال الذين لا يعلمون النصارى وقال آخرون بل عنى الله بذلك اليهود الذين كانوا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير وحدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة بن الفضل قالا جميعا ثنا محمد بن اسحق قال حدثني محمد بن أبي محمد قال حدثني سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال قال رافع ابن حريملة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت رسولا من عند الله كما تقول فقل لله عز وجل فليكلمنا حتى نسمع كلامه فأنزل الله عز وجل في ذلك من قوله وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية الآية كلها وقال آخرون بل عنى بذلك مشركي العرب ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية وهم كفار العرب حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله قال هم كفار العرب حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أما الذين لا يعلمون فهم العرب وأولى هذه الاقوال بالصحة والصواب قول القائل ان الله تعالى عنى بقوله وقال الذين لا يعلمون النصارى دون غيرهم لان ذلك في سياق خبر الله عنهم وعن افترائهم عليه وادعائهم له ولدا فقال جل ثناؤه مخبرا عنهم فيما أخبر عنهم من ضلالتهم أنهم مع افترائهم على الله الكذب بقولهم اتخذ الله ولدا تمنوا على الله الاباطيل فقالوا جهلا منهم بالله وبمنزلتهم عنده وهم بالله مشركون لولا يكلمنا الله كما يكلم رسله وأنبياءه أو تأتينا آية كما أتتهم ولا ينبغي لله أن يكلم الا أولياءه ولا يؤتي آية معجزة على دعوى مدع الا لمن كان محقا في دعواه وداعيا الى الله وتوحيده فأما من كان كاذبا في دعواه وداعيا الى الفرية عليه وادعاء البنين والبنات له فغير جائز أن يكلمه الله جل ثناؤه أو يؤتيه آية معجزة تكون مؤيدة كذبه وفريته عليه (١) وقال الزاعم أن الله عنى بقوله وقال الذين لا يعلمون العرب فانه قائل قولا لا خبر بصحته ولا برهان على حقيقته في ظاهر الكتاب والقول اذا صار الى ذلك كان واضحا خطؤه لانه ادعى ما لا برهان على صحته وادعاء مثل ذلك لن يتعذر على أحد وأما معنى قوله لولا يكلمنا الله فانه بمعنى هلا يكلمنا الله كما قال الاشهب بن رميلة

تعدون عقر النيب أفضل مجدكم * بني ضوطرى لولا الكمي المقنعا

بمعنى فهلا تعدون الكمي المقنع كما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله لولا يكلمنا الله قال فهلا يكلمنا الله (قال أبو جعفر) فأما الآية فقد ثبت فيما قبل معنى الآية أنها العلامة وانما أخبر الله عنهم أنهم قالوا هلا تأتينا آية على ما نريده ونسأل كما أتت الانبياء والرسل فقال عز وجل كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم ❁ القول في تأويل قوله تعالى (كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم) اختلف أهل التأويل فيمن عنى الله بقوله كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم فقال بعضهم في ذلك بما حدثني به محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم هم اليهود حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال الذين من قبلهم اليهود وقال آخرون هم اليهود والنصارى لان الذين لا يعلمون هم (٢) اليهود ذكر من قال ذلك

الاسود اختصموا فيه فقالوا نحكم بيننا أول رجل يخرج من هذه السكة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من خرج عليهم فقضى بينهم أن يجعلوا الحجر في مرط ثم يرفعه جميع القبائل فرفعوه فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه * واعلم أن للبيت أربعة أركان ركنان يمانيان وركنان شاميان وكان لاصقا بالارض وله بابان شرقي وغربي فذكر أن السيل هدمه قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشر سنين فاعادت قريش عمارته على الهيئة التي هي عليها اليوم ولم يجدوا من النذور والهدايا والاموال الطيبة ما يفي بالنفقة فتركوا من جانب الحجر بعض البيت وخلفوا الركنين الشاميين عن قواعد ابراهيم صلى الله عليه وسلم وضيقوا عرض الجدار من الاسود الى الشامي الذي يليه فبقي من الاساس شبه الدكان مرتفعا وهو الذي يسمى الشاذروان وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال لعائشة لولا حدثان قومك بالشرك لهدمت البيت ولبنيته على قواعد ابراهيم فألصقته بالارض وجعلت لها بابين شرقيا وغربيا ثم ان ابن الزبير هدمه أيام ولايته وبناه على قواعد ابراهيم ثم لما استولى عليه الحجاج هدمه وأعاده على الصورة التي هو عليها اليوم وهي بناء قريش ولنعد الى المقصود فنقول يرفع حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس والاصل لما فوقه وهي صفة غالبة

---

(١) قوله وقال الزاعم لعل في الكلام تحريفا والاصل وأما الزاعم فحرر

(٢) قوله اليهود كذا في الاصل ولعل الكلمة محرفة عن العرب كتبه مصححه

حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة قال الذين من قبلهم يعني اليهود والنصارى وغيرهم حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال قالوا يعني العرب كما قالت اليهود والنصارى من قبلهم حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم يعني اليهود والنصارى (قال أبو جعفر) قد دللنا على أن الذين عنى الله تعالى ذكره بقوله وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله هم النصارى والذين قالت مثل قولهم هم اليهود وسألت موسى صلى الله عليه وسلم أن يريهم ربهم جهرة وأن يسمعهم كلام ربهم كما قد بينا فيما مضى من كتابنا هذا وسألوا من الآيات ما ليس لهم مسئلته تحكما منهم على ربهم وكذلك تمنت النصارى على ربها تحكما منها عليه أن يسمعهم كلامه ويريهم ما أرادوا من الآيات فاخبر الله جل ثناؤه عنهم أنهم قالوا من القول في ذلك مثل الذي قالته اليهود وتمنت على ربها مثل أمانيها وان قولهم الذي قالوه من ذلك انما يشابه قول اليهود من أجل تشابه قلوبهم في الضلالة والكفر بالله فهم وان اختلفت مذاهبهم في كذبهم على الله وافترائهم عليه فقلوبهم متشابهة في الكفر بربهم والفرية عليه وتحكمهم على أنبياء الله ورسله عليهم السلام وبنحو ما قلنا في ذلك قال مجاهد حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد تشابهت قلوبهم قلوب النصارى واليهود وقال غيرهم معنى ذلك تشابهت قلوب كفار العرب واليهود والنصارى وغيرهم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة تشابهت قلوبهم يعني العرب واليهود والنصارى وغيرهم حدثني المثنى ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع تشابهت قلوبهم يعني العرب واليهود والنصارى وغيرهم وغير جائز في قوله تشابهت التثقيل لان التاء التي في أولها زائدة أدخلت في قوله تفاعل وان ثقلت صارت تاءين ولا يجوز ادخال تاءين زائدتين علامة لمعنى واحد وانما يجوز ذلك في الاستقبال لاختلاف معنى دخولهما لان احداهما تدخل علما للاستقبال والاخرى منهما التي في تفاعل ثم تدغم احداهما في الاخرى فتثقل فيقال تشابه بعد اليوم قلوبنا فمعنى الآية وقالت النصارى الجهال بالله وبعظمته هلا يكلمنا الله ربنا كما كلم أنبياءه ورسله أو تجيئنا علامة من الله نعرف بها صدق ما نحن عليه على ما نسأل ونريد قال الله جل ثناؤه فكما قال هؤلاء الجهال من النصارى وتمنوا على ربهم قال من قبلهم من اليهود فسألوا ربهم ان يريهم الله نفسه جهرة ويؤتيهم آية واحتكموا عليه وعلى رسله وتمنوا الاماني فاشتبهت قلوب اليهود والنصارى في تمردهم على الله وقلة معرفتهم بعظمته وجرأتهم على أنبيائه ورسله كما اشتبهت أقوالهم التي قالوها ﴿ القول في تأويل قوله تعالى (قد بينا الآيات لقوم يوقنون) يعني جل ثناؤه بقوله قد بينا الآيات لقوم يوقنون قد بينا العلامات التي من أجلها غضب الله على اليهود وجعل منهم القردة والخنازير وأعد لهم العذاب المهين في معادهم والتي من أجلها أخزى الله النصارى في الدنيا وأعد لهم الخزي والعذاب الاليم في الآخرة والتي من أجلها جعل سكان الجنان الذين أسلموا وجوههم لله وهم محسنون في هذه السورة وغيرها فاعلموا الاسباب التي من أجلها استحق كل فريق منهم من الله ما فعل به من ذلك وخص الله بذلك القوم الذين يوقنون لانهم أهل التثبت في الامور والطالبون معرفة حقائق الاشياء على يقين وصحة فاخبر الله جل ثناؤه أنه بين لمن كانت هذه الصفة صفته ما بين من ذلك ليزول شكه ويعلم حقيقة الامر اذ كان ذلك خبرا من الله جل ثناؤه وخبر الله الخبر الذي لا يعذر سامعه بالشك فيه وقد يحتمل غيره من الاخبار ما يحتمل من الاسباب العارضة فيه من السهو والغلط والكذب وذلك منفي عن خبر الله

معناها الثابتة ورفع الاساس البناء عليها لانها اذا بني عليها نقلت من هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع ويجوز أن يكون المراد بها سافات البناء لان كل ساف قاعدة للذي يبنى عليه ويوضع فوقه فيرتفع كل منها بسبب وضع الآخر عليه ورفع القواعد صريح فيما ذهب اليه الاكثرون من أن القواعد كانت موجودة وان ابراهيم عمرها ورفعها كما مر في الاحاديث وانما لم يقل قواعد البيت ليكون الكلام مبنيا على تبيين بعد ابهام ففيه تفخيم لشأن المبين ثم ان الله تعالى حكى عنهما ثلاثة أنواع من الدعاء في تلك الحالة الاول قولهما تقبل منا وقبول الله عمل العبد عبارة عن كون العمل بحيث يرضاه الله تعالى أو يثيب عليه والاول ألذ عند العارفين من الثاني شبه الفعل من العبد بالهدية واثابة الله تعالى عليه ورضاه به بالقبول وقيل ان بين القبول والتقبل فرقا فالتقبل عبارة عن تكلف القبول وذلك حيث يكون العمل ناقصا لا يستحق أن يقبل فاختير تقبل هضما وتواضعا واستقصارا وقد يستدل بهذا على أن الفعل المقرون بالاخلاص لا يجب ترتب الثواب عليه والالم يكن في طلبه فائدة ويحتمل أن يقال الطلب متوجه الى جعله من جملة الافعال المقرونة بالاخلاص فكنى بطلب القبول عن ذلك ويؤكده قولهما انك أنت السميع يعني سماع اجابة العليم بنياتنا النوع الثاني ربنا

عزوجل ﴿القول فى تأويل قوله تعالى (انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا) ومعنى قوله جل ثناؤه انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا انا أرسلناك يا محمد بالاسلام الذى لا أقبل من أحد غيره من الاديان وهو الحق مبشرا من اتبعك فأطاعك وقبل منك ما دعوته اليه من الحق بالنصر فى الدنيا والظفر بالثواب فى الآخرة والنعيم المقيم فيها ومنذرا من عصاك فخالفك ورد عليك ما دعوته اليه من الحق بالخزى فى الدنيا والذل فيها والعذاب المهين فى الآخرة ﴿القول فى تأويل قوله تعالى (ولا تسئل عن أصحاب الجحيم) قال أبو جعفر قرأت عامة القراء ولا تسئل عن أصحاب الجحيم بضم التاء من تسئل ورفع اللام منها على الخبر بمعنى يا محمد انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا فبلغت ما أرسلت به وانما عليك البلاغ والانذار ولست مسؤلا عمن كفر بما أتيته به من الحق وكان من أهل الجحيم وقرأ ذلك بعض أهل المدينة ولا تسأل جزما بمعنى النهى مفتوح التاء من تسأل وجزم اللام منها ومعنى ذلك على قراءة هؤلاء انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا لتبلغ ما أرسلت به لا لتسأل عن أصحاب الجحيم فلا تسأل عن حالهم وتأول الذين قرؤا هذه القراءة ما حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليت شعرى ما فعل أبواى فنزلت ولا تسأل عن أصحاب الجحيم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب القرظى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليت شعرى ما فعل أبواى ليت شعرى ما فعل أبواى ليت شعرى ما فعل أبواى ثلاثا فنزلت انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسأل عن أصحاب الجحيم فما ذكرهما حتى توفاه الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى داود عن أبى عاصم ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم ليت شعرى أين أبواى فنزلت انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسأل عن أصحاب الجحيم والصواب عندى من القراءة فى ذلك قراءة من قرأ بالرفع على الخبر لان الله جل ثناؤه قص قصص أقوام من اليهود والنصارى وذكر ضلالتهم وكفرهم بالله وجراءتهم على أنبيائه ثم قال لنبيه صلى الله عليه وسلم انا أرسلناك يا محمد بشيرا من آمن بك واتبعك ممن قصصت عليك أنباءه ومن لم أقصص عليك أنباءه ونذيرا من كفر بك وخالفك فبلغ رسالتى فليس عليك من أعمال من كفر بك بعد ابلاغك اياه رسالتى تبعة ولا أنت مسؤل عما فعل بعد ذلك ولم يجر لمسئلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه عن أصحاب الجحيم ذكر فيكون لقوله ولا تسأل عن أصحاب الجحيم وجه يوجه اليه وانما الكلام موجه معناه الى ما دل عليه ظاهره المفهوم حتى تأتى دلالة بينة تقوم بها الحجة على ان المراد به غير ما دل عليه ظاهره فيكون حينئذ مسلما للحجة الثابتة بذلك ولا خبر تقوم به الحجة على أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن أن يسأل فى هذه الآية عن أصحاب الجحيم ولا دلالة تدل على ان ذلك كذلك فى ظاهر التنزيل والواجب أن يكون تأويل ذلك الخبر على ما مضى ذكره قبل هذه الآية وعمن ذكر بعدها من اليهود والنصارى وغيرهم من أهل الكفر دون النهى عن المسئلة عنهم فان ظن ظان ان الخبر الذى روى عن محمد بن كعب صحيح فان فى استحالة الشك من الرسول عليه السلام فى أن أهل الشرك من أهل الجحيم وأن أبويه كانا منهم ما يدفع صحة ما قاله محمد بن كعب ان كان الخبر عنه صحيحا مع أن فى ابتداء الخبر بعد قوله انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا بالواو (١) بقول فلا تسئل عن أصحاب الجحيم وتركه وصل ذلك بأوله بالفاء وان يكون انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسئل عن أصحاب الجحيم أوضح الدلائل على أن الخبر بقوله ولا تسئل أولى من النهى والرفع به أولى من

(١) قوله بقول فلا تسئل الخ لعل فى العبارة تحريفا من الناسخ والاصل بقول ولا تسئل وقوله بعد ولا تسئل لعل صوابه فلا تسأل فتأمل كتبه مصححه

واجعلنا مسلمين لك فان أريد بالاسلام الدين والاعتقاد توجه الطلب الى الثبات والدوام أى ثبتنا على ذلك والا كان تحصيلا للحاصل بالنسبة اليهما وقتئذ وان أريد الاستسلام والخضوع والاذعان الكلى والرضا بكل ما قدر وأمر فتوجه الطلب الى هذه الامور أنفسها غير مفيد لانها أمور خارجة عن الضبط لا تتيسر الا بمجرد تيسير الله وتوفيقه بخلاف أصل الاسلام الذى وقع به التكليف فانه مضبوط وقد يظن أن للعبد اختيارا فيه وان كان اختياره على تقدير ثبوته ينتهى الى مسبب الاسباب وقوله واجعلنا إما معطوف على تقبل وقوله انك أنت السميع العليم ربنا اعتراض للتأكيد واما معطوف على محذوف أى ربنا افعل هذا واجعلنا ومن ذريتنا من للتبعيض كما فى قوله ومن ذريتى والامة الجماعة من الناس وقيل أراد أمة محمد صلى الله عليه وسلم (مسلمة) يحتمل ههنا أصل الاسلام والزيادة عليه أيضا وقيل أسلم مطلقا يفيد الايمان والاعتقاد ومعدى باللام معناه الاستسلام والانقياد الكلى طلب الاسلام لهم بعد ما طلب لهم الامامة اظهار الشفقة فالشفيق بسوء الظن مولع ويحتمل أن يكون هذا الدعاء بيانا لما أجمل هنالك فيكونان واحدا وتخصيص الذرية بالدعاء من بين الخلائق لانهم أحق بالنصيحة وأقوم «قوا أنفسكم وأهليكم نارا» ولانهم أئمة

الجزم وقد ذكر أنها في قراءة أبي وما تسئل وفي قراءة ابن مسعود ولن تسئل وكلتاهاتين القراءتين تشهد بالرفع والخبر فيه دون النهي وقد كان بعض نحويي البصرة يوجه قوله ولا تسئل عن أصحاب الجحيم الى الحال كأنه كان يرى أن معناه انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا غير مسؤل عن أصحاب الجحيم وذلك اذا ضم التاء وقرأه على معنى الخبر وكان يجيز على ذلك قراءته ولا تسئل بفتح التاء وضم اللام على وجه الخبر بمعنى انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا غير سائل عن أصحاب الجحيم وقد بينا الصواب عندنا في ذلك وهذان القولان اللذان ذكرتهما عن البصري في ذلك يرفعهما ما روى عن ابن مسعود وأبي من القراءة لان ادخالهما ما أدخلا من ذلك من ما ولن يدل على انقطاع الكلام عن أوله وابتداء قوله ولا تسئل واذا كان ابتداء لم يكن حالا وأما أصحاب الجحيم فالجحيم هي النار بعينها اذا شبت وقودها ومنه قول أمية بن أبي الصلت

(١) اذا شبت جهنم ثم دارت ＊ وأعرض عن قوابسها الجحيم

القول في تأويل قوله تعالى (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل ان هدى الله هو الهدى) يعني بقوله جل ثناؤه ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم وليست اليهود يا محمد ولا النصارى براضية عنك أبدا فدع طلب ما يرضيهم ويوافقهم وأقبل على طلب رضا الله في دعائهم الى ما بعثك الله به من الحق فان الذي تدعوهم اليه من ذلك لهو السبيل الى الاجتماع فيه معك على الالفة والدين القيم ولا سبيل لك الى ارضائهم باتباع ملتهم لان اليهودية ضد النصرانية والنصرانية ضد اليهودية ولا تجتمع النصرانية واليهودية في شخص واحد في حال واحدة واليهود والنصارى لا تجتمع على الرضا بك الا أن تكون يهوديا نصرانيا وذلك مما لا يكون منك أبدا لانك شخص واحد ولن يجتمع فيك دينان متضادان في حال واحدة واذا لم يكن الى اجتماعهما فيك في وقت واحد سبيل لم يكن لك الى ارضاء الفريقين سبيل واذا لم يكن لك الى ذلك سبيل فالزم هدى الله الذي لجمع الخلق الى الالفة عليه سبيل وأما الملة فانها الدين وجمعها الملل ثم قال جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء النصارى واليهود الذين قالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى ان هدى الله هو الهدى يعني ان بيان الله هو البيان المقنع والقضاء الفاصل بيننا فهلموا الى كتاب الله وبيانه الذي بين فيه لعباده ما اختلفوا فيه وهو التوراة التي تقرون جميعا بانها من عند الله يتضح لكم فيها المحق منا من المبطل وأينا أهل الجنة وأينا أهل النار وأينا على الصواب وأينا على الخطا وانما أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يدعوهم الى هدى الله وبيانه لان فيه تكذيب اليهود والنصارى فيما قالوا من أن الجنة لن يدخلها الا من كان هودا أو نصارى وبيان أمر محمد صلى الله عليه وسلم وأن المكذب به من أهل النار دون المصدق به

＊القول في تأويل قوله (ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير) يعني جل ثناؤه بقوله ولئن اتبعت يا محمد هوى هؤلاء اليهود والنصارى فيما يرضيهم عنك من تهود وتنصر فصرت من ذلك الى ارضائهم ووافقت فيه محبتهم من بعد الذي جاءك من العلم بضلالتهم وكفرهم بربهم ومن بعد الذي اقتصصت عليك من نبئهم في هذه السورة مالك من الله من ولي يعني بذلك ليس لك يا محمد من ولي يلي أمرك وقيم يقوم به ولا نصير ينصرك من الله فيدفع عنك ما ينزل بك من عقوبته ويمنعك من ذلك ان أحل بك ذلك ربك وقد بينا معنى الولي والنصير فيما مضى قبل وقد قيل ان الله تعالى ذكره أنزل هذه الآية على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم لان اليهود والنصارى دعته الى أديانها وقال كل حزب منهم ان الهدى هو ما نحن عليه دون ما عليه غيرنا من سائر الملل فوعظه الله أن يفعل ذلك وعلمه الحجة الفاصلة بينهم فيما ادعى كل فريق منهم القول

في

بصلاحهم يصلح غيرهم وفي سدادهم يكون سداد من وراءهم ولقد استجاب الله دعاءه فلم يزل في ذريتهما من يعبد الله وحده لا يشرك به شيأ ولم يزل الرسل من ذرية ابراهيم وقد كان في الجاهلية زيد بن عمرو ابن نفيل وقس بن ساعدة ويقال عبد المطلب بن هاشم جد رسول الله صلى الله عليه وسلم على دين الحق قائلين بالابتداء والاعادة والثواب والعقاب يوحدون الله ولا يأكلون الميتة ولا يعبدون الاوثان (وأرنا) ان كان منقولا عن رؤية العلم فمعناه علمنا أن شرائع حجنا كيف هي اذ أمرتنا ببناء البيت لنحجه وندعو الناس الى حجه وان كان منقولا عن رؤية البصر وهو الاظهر ولذلك لم يتجاوز مفعولين ظاهرا فالمعنى بصرنا متعبداتنا في الحج قال الحسن ان جبريل أرى ابراهيم المناسك كلها حتى بلغ عرفات فقال يا ابراهيم أعرفت ما أريتك من المناسك قال نعم فسميت عرفات فلما كان يوم النحر أراد أن يزور البيت عرض له ابليس فسد عليه الطريق فأمره جبريل أن يرميه بسبع حصيات ففعل فذهب الشيطان ثم عرض له في اليوم الثاني والثالث والرابع وكل ذلك بأمره جبريل برمي الحصيات وقيل المراد العلم والرؤية معا لان الحج لا يتم الا بامور بعضها يعلم ولا يرى وبعضها لا يتم الغرض منه الا بالرؤية فوجب حمل اللفظ على الامرين جميعا وليس ببعيد فان اللفظ المشترك يصح اطلاقه

(١) لم نجد هذا البيت في غير هذا الموضع بعد البحث ولا نجزم بصحة جميع كلماته كتبه مصححه

في تأويل قوله تعالى (الذين آتيناهم الكتاب) اختلف أهل التأويل في الذين عناهم الله جل ثناؤه بقوله الذين آتيناهم الكتاب فقال بعضهم هم المؤمنون برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما جاء به من أصحابه ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة قوله الذين آتيناهم الكتاب هؤلاء أصحاب نبي الله صلى الله عليه وسلم آمنوا بكتاب الله وصدقوا به وقال آخرون بل عني الله بذلك علماء بني اسرائيل الذين آمنوا بالله وصدقوا رسله فأقروا بحكم التوراة فعملوا بما أمر الله فيها من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم والايمان به والتصديق بما جاء به من عند الله ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون قال من كفر بالنبي صلى الله عليه وسلم من يهود فأولئك هم الخاسرون وهذا القول أولى بالصواب من القول الذي قاله قتادة لأن الآيات قبلها مضت باخبار أهل الكتابين وتبديل من بدل منهم كتاب الله وتأولهم اياه على غير تأويله وادعائهم على الله الأباطيل ولم يجر لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في الآية التي قبلها ذكر فيكون قوله الذين آتيناهم الكتاب موجها الى الخبر عنهم ولا لهم بعدها ذكر في الآية التي تتلوها فيكون موجها ذلك الى أنه خبر مبتدأ عن قصص أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد انقضاء قصص غيرهم ولا جاء بأن ذلك خبر عنهم أثر يجب التسليم له فاذا كان ذلك كذلك فالذي هو أولى بمعنى الآية أن يكون موجها الى أنه خبر عمن قص الله جل ثناؤه في الآية قبلها والآية بعدها وهم أهل الكتابين التوراة والانجيل واذا كان ذلك كذلك فتأويل الآية الذين آتيناهم الكتاب الذي قد عرفته يا محمد وهو التوراة فقرؤه واتبعوا ما فيه فصدقوك وآمنوا بك وبما جئت به من عندي أولئك يتلونه حق تلاوته وانما أدخلت الالف واللام في الكتاب لانه معرفة وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه عرفوا أي الكتب عني به ﷺ القول في تأويل قوله تعالى (يتلونه حق تلاوته) اختلف أهل التأويل في تأويل قوله عز وجل يتلونه حق تلاوته فقال بعضهم معنى ذلك يتبعونه حق اتباعه ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن المثنى قال حدثني ابن أبي عدي وعبد الأعلى وحدثنا عمرو بن علي قال ثنا ابن أبي عدي جميعا عن داود عن عكرمة عن ابن عباس يتلونه حق تلاوته يتبعونه حق اتباعه حدثني المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن عكرمة بمثله وحدثنا عمرو بن علي قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا داود بن أبي هند عن عكرمة بمثله حدثني الحسن بن عمرو العبقري قال حدثني أبي عن أسباط عن السدي عن أبي مالك عن ابن عباس في قول الله عز وجل يتلونه حق تلاوته قال يحلون حلاله ويحرمون حرامه ولا يحرفونه حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال قال أبو مالك ان ابن عباس قال في يتلونه حق تلاوته فذكر مثله الا أنه قال ولا يحرفونه عن مواضعه حدثنا عمرو بن علي قال ثنا المؤمل قال ثنا سفيان قال ثنا يزيد عن مرة عن عبد الله في قول الله عز وجل يتلونه حق تلاوته قال يتبعونه حق اتباعه حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع عن أبي العالية قال قال عبد الله ابن مسعود والذي نفسي بيده ان حق تلاوته أن يحل حلاله ويحرم حرامه ويقرأه كما أنزله الله ولا يحرف الكلم عن مواضعه ولا يتأول منه شيأ على غير تأويله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة ومنصور بن المعتمر عن ابن مسعود في قوله يتلونه حق تلاوته أن يحل حلاله ويحرم حرامه ولا يحرفه عن مواضعه حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا الزبيري قال ثنا عباد بن العوام عمن ذكره عن عكرمة عن ابن عباس يتلونه حق تلاوته يتبعونه حق اتباعه حدثنا

على معنييه معا وكذلك مدلولا الحقيقة والمجاز يمتنع ارادتهما معا من لفظ واحد كالعقد والوطء من النكاح غاية ما في الباب أن يكون هذا الاطلاق مجازا ومن الناس من يحمل المناسك على المذابح فقد يسمى الذبح للتقرب نسكا والذبيحة نسيكة وليس لهذا التخصيص وجه فان الذبح انما يسمى نسكا لدخوله تحت أصل معنى النسك وهو التعبد فحمل المناسك على جميع أعمال الحج أولى قال صلى الله عليه وسلم خذوا عني مناسككم لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بل لا يبعد أن يحمل على جميع ما شرعه الله لابراهيم أي علمنا كيف نعبدك ومتى وأين نعبدك وبماذا نتقرب اليك حتى نخدمك بذلك خدمة العبد لمولاه (وتب علينا) التوبة منهما محمولة على ما عسى أن يكون فرط منهما من الصغائر عند من يجوزها على الانبياء وعلى ترك الاولى ونحو ذلك عند غيرهم ويمكن أن تكون التوبة منهما تصويرا لانفسهما بصورة النادم العازم على التحرز تشددا في الانصراف عما لا يليق بهما قال صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس توبوا الى الله فاني أتوب في اليوم مائة مرة وأيضا لعلهما استتابا للذرية لعلمهما بان فيهم ظالمين لقوله تعالى لا ينال عهدي الظالمين وذلك لغاية شفقتهما عليهم وباقي مباحث التوبة قد مر في قصة آدم فلنتذكر النوع الثالث ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وفيه أمران الاول أن يبعث في تلك

أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا عباد بن العوام عن الحجاج عن عطاء بمثله حدثني محمد بن
بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن منصور عن أبي رزين في قوله يتلونه حق تلاوته قال
يتبعونه حق اتباعه حدثنا عمرو بن علي قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان وحدثني المثنى قال حدثني
أبو نعيم قال ثنا سفيان وحدثني نصر بن عبد الرحمن الازدي قال ثنا يحيى بن ابراهيم عن سفيان
قالوا جميعا عن منصور عن أبي رزين مثله حدثنا أبو حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن مجاهد يتلونه
حق تلاوته قال عملا به حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا عبد الملك عن قيس بن سعد يتلونه
حق تلاوته قال يتبعونه حق اتباعه ألم تر الى قوله والقمر اذا تلاها يعني الشمس اذا تبعها القمر
حدثني المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء
وقيس بن سعد عن مجاهد في قوله يتلونه حق تلاوته قال يعملون به حق عمله حدثني المثنى قال ثنا
عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن عبد الملك عن قيس بن سعد عن مجاهد قال يتبعونه حق اتباعه
حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني
المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يتلونه حق تلاوته يعملون به
حق عمله حدثنا عمرو بن علي قال ثنا مؤمل بن اسمعيل قال ثنا حماد بن زيد عن أيوب
عن مجاهد في قوله يتلونه حق تلاوته قال يتبعونه حق اتباعه حدثني عمرو قال ثنا أبو قتيبة
قال ثنا الحسن بن أبي جعفر عن أبي أيوب عن أبي الخليل عن مجاهد يتلونه حق تلاوته قال
يتبعونه حق اتباعه حدثنا عمرو قال ثنا يحيى القطان عن عبد الملك عن عطاء قوله يتلونه حق
تلاوته قال يتبعونه حق اتباعه يعملون به حق عمله حدثنا سفيان بن وكيع قال حدثني أبي عن
المبارك عن الحسن يتلونه حق تلاوته قال يعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه ويكلون ما أشكل
عليهم الى عالمه حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة يتلونه حق
تلاوته قال أحلوا حلاله وحرموا حرامه وعملوا بما فيه ذكر لنا أن ابن مسعود كان يقول ان حق
تلاوته أن يحل حلاله ويحرم حرامه وأن يقرأه كما أنزله الله عز وجل ولا يحرفه عن مواضعه حدثنا
عمرو قال ثنا أبو داود قال ثنا الحكم بن عطية سمعت قتادة يقول يتلونه حق تلاوته قال يتبعونه
حق اتباعه قال اتباعه يحلون حلاله ويحرمون حرامه ويقرؤنه كما أنزل حدثنا المثنى قال ثنا
عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن داود عن عكرمة في قوله يتلونه حق تلاوته قال يتبعونه حق
اتباعه أما سمعت قول الله عز وجل والقمر اذا تلاها قال اذا تبعها وقال آخرون يتلونه حق تلاوته
يقرؤنه حق قراءته والصواب من القول في تأويل ذلك أنه بمعنى يتبعونه حق اتباعه من قول القائل
ما زلت أتلو أثره اذا اتبع أثره لاجماع الحجة من أهل التأويل على أن ذلك تأويله واذا كان ذلك
تأويله فمعنى الكلام الذين آتيناهم الكتاب يا محمد من أهل التوراة الذين آمنوا بك وبما جئتهم به من
الحق من عندي يتبعون كتابي الذي أنزلته على رسولي موسى صلوات الله عليه فيؤمنون به ويقرون
بما فيه من نعتك وصفتك وأنك رسولي فرض عليهم طاعتي في الايمان بك والتصديق بما جئتهم به
من عندي ويعملون بما أحللت لهم ويجتنبون ما حرمت عليهم فيه ولا يحرفونه عن مواضعه ولا
يبدلونه ولا يغيرونه كما أنزلته عليهم بتأويل ولا غيره أما قوله حق تلاوته فمبالغة في صفة اتباعهم
الكتاب ولزومهم العمل به كما يقال ان فلانا العالم حق عالم وكما يقال ان فلانا الفاضل كل فاضل وقد
اختلف أهل العربية في اضافة حق الى المعرفة فقال بعض نحويي الكوفة غير جائزة اضافته الى
معرفة لانه بمعنى أي وبمعنى قولك أفضل رجل فلان وأفعل لا يضاف الى واحد معرفة لانه مبعض

الامة رسولا ليبين لهم الشرع القويم
وينهج الصراط المستقيم والثاني
أن يكون ذلك الرسول منهم لا من
غيرهم لان الرسول والمرسل اليهم
اذا كانوا جميعا من ذريته كان رتبته
أجل ولانه اذا كان منهم عرفوا
مولده ومنشأه فيقرب الامر عليهم
في معرفة صدقه وأمانته ولانه اذا
كان منهم كان أحرص عليهم وأشفق
من أجنبي لو أرسل اليهم وأما الرسول
فهو محمد صلى الله عليه وسلم باجماع
المفسرين وهو حجة ولقوله تعالى
في موضع آخر لقد من الله على
المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من
أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم
ويعلمهم الكتاب والحكمة وان
كانوا من قبل لفي ضلال مبين ولقوله
صلى الله عليه وسلم انا دعوة ابراهيم
وبشرى عيسى ورؤيا أمي أما الدعوة
فهذه وأما البشارة فقوله تعالى في
سورة الصف ومبشرا برسول يأتي
من بعدي اسمه أحمد وأما الرؤيا فانها
رأت آمنة وهي حامل أنه خرج منها
نور أضاء ما بين الخافقين وههنا نكتة
وهي أن الخليل لما دعا للحبيب بقوله
ربنا وابعث فيهم رسولا فلا جرم
قضى الله تعالى حق الحبيب للخليل
بان أجرى ذكره على ألسنة أمته
الى يوم القيامة يقولون في صلاتهم
اللهم صل على محمد وعلى آل محمد
كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم
ولهذا الذكر مناسبات أخر منها أن
الخليل دعا لنفسه بقوله واجعل لي
لسان صدق في الآخرين أي أبق
لي ثناء حسنا في أمة محمد صلى الله

ولا

ولا يكون الواحد المبعض معرفة فأحالوا أن يقال مررت بالرجل حق الرجل ومررت بالرجل جدّ
الرجل كما أحالوا مررت بالرجل أيّ الرجل وأجازوا ذلك في كل الرجل وغير الرجل ونفس الرجل
وقالوا انما أجزنا ذلك لان هذه الحروف كانت في الاصل توكيدا فلما صرن مدوحا تركن مدوحا على
أصولهن في المعرفة وزعموا أن قوله يتلونه حق تلاوته انما جازت اضافته الى التلاوة وهي مضافة الى
معرفة لان العرب تعتدّ بالهاء اذا عادت الى نكرة بالنكرة فيقولون مررت برجل واحد أمه ونسيج
وحده وسيد قومه قالوا فكذلك قوله حق تلاوته انما جازت اضافة حق الى التلاوة وهي مضافة الى
الهاء لاعتداد العرب بالهاء التي في نظائرها في عداد النكرات قالوا ولو كان ذلك حق التلاوة لوجب
أن يكون جائزا مررت بالرجل حق الرجل فعلى هذا القول تأويل الكلام الذين آتيناهم الكتاب
يتلونه حق تلاوة وقال بعض نحويي البصرة جائزة اضافة حق الى النكرات مع النكرات ومع
المعارف الى المعارف وانما ذلك نظير قول القائل مررت بالرجل غلام الرجل وبرجل غلام رجل
(١) فتأويل الآية على قول هؤلاء الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته وأولى ذلك بالصواب عندنا
القول الاول لان معنى قوله حق تلاوته أيّ تلاوة بمعنى مدح التلاوة التي تلوها وتفضيلها وأيّ غير
جائزة اضافتها الى واحد معرفة عند جميعهم وكذلك حق غير جائزة اضافتها الى واحد معرفة وانما
أضيف في حق تلاوته الى ما فيه الهاء لما وصفت من العلة التي تقدم بيانها ۞ القول في تأويل قوله
تعالى (أولئك يؤمنون به) قال أبو جعفر يعني جل ثناؤه بقوله أولئك هؤلاء الذين أخبر عنهم انهم
يتلون ما آتاهم من الكتاب حق تلاوته وأما قوله يؤمنون به فانه يعني يصدقون به والهاء التي في
قوله به عائدة على الهاء التي في تلاوته وهما جميعا من ذكر الكتاب الذي قال الله الذين آتيناهم
الكتاب فاخبر الله جل ثناؤه ان المؤمن بالتوراة هو المتبع ما فيها من حلالها وحرامها والعامل
بما فيها من فرائض الله التي فرضها فيها على أهلها وان أهلها الذين هم أهلها من كان ذلك صفته
دون من كان محرفا لها مبدلا تأويلها مغيرا سننها تاركا ما فرض الله فيها عليه وانما وصف جل
ثناؤه من وصف بما وصف به من متبعي التوراة وأثنى عليهم بما أثنى به عليهم لان في اتباعها اتباع
محمد نبي الله صلى الله عليه وسلم وتصديقه لان التوراة تأمر أهلها بذلك وتخبرهم عن الله تعالى
ذكره بنبوته وفرض طاعته على جميع خلق الله من بني آدم وان في التكذيب بمحمد التكذيب
لها فاخبر جل ثناؤه أن متبعي التوراة هم المؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم وهم العاملون بما فيها
كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أولئك يؤمنون به قال من آمن
برسول الله صلى الله عليه وسلم من بني اسرائيل وبالتوراة وان الكافر بمحمد صلى الله عليه وسلم
هو الكافر بها الخاسر كما قال جل ثناؤه ومن يكفر به فاولئك هم الخاسرون ۞ القول في تأويل قوله
تعالى (ومن يكفر به فاولئك هم الخاسرون) يعني جل ثناؤه بقوله ومن يكفر به ومن يكفر
بالكتاب الذي أخبر أنه يتلوه من آتاه من المؤمنين حق تلاوته ويعني بقوله جل ثناؤه يكفر بجحد
ما فيه من فرائض الله ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم وتصديقه ويبدله فيحرف تأويله أولئك هم الذين
خسروا علمهم وعملهم فبخسوا أنفسهم حظوظها من رحمة الله واستبدلوا بها سخط الله وغضبه وقال
ابن زيد في قوله بما حدثني به يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ومن يكفر به فاولئك هم
الخاسرون قال من كفر بالنبي صلى الله عليه وسلم من يهود فاولئك هم الخاسرون ۞ القول في تأويل
قوله تعالى (يابني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين) وهذه الآية

(١) قوله فتأويل الآية الخ هكذا في الاصل وفي العبارة ما يحتاج الى تأمل كتبه مصححه

عليه وسلم فأجابه الله تعالى وقرن
ذكره بذكر حبيبه ومنها أن
ابراهيم أبو الملة «ملة أبيكم ابراهيم»
ومحمد صلى الله عليه وسلم أبو الرحمة
بالمؤمنين رؤف رحيم النبي أولى
بالمؤمنين من أنفسهم انما أنا لكم
مثل الوالد لولده يعني في الرأفة
والرحمة فلما ثبت لكل منهما الابوة
قرن بين ذكرهما في التحية ومنها
أن ابراهيم منادي الشريعة وأذن
في الناس بالحج ومحمد منادي الدين
سمعنا مناديا ينادي للايمان ومنها
أنه كان أول الانبياء بعد الطوفان
ومحمد خاتم النبيين ورسول آخر
الزمان ومنها أن الخليل تبرأ عن سائر
الاديان اني بريء مما تشركون
والحبيب تنزه عن جميع الاكوان
مازاغ البصر وما طغى ثم ان ابراهيم
صلى الله عليه وسلم ذكر لذلك الرسول
صفات أولاها يتلو عليهم آياتك فهو
الفرقان المتلو عليهم أو جميع ما بلغه
من دلائل التوحيد وغيره «أوتيت
القرآن ومثله معه» وثانيتها ويعلمهم
الكتاب أي معانيه وحقائقه وذلك
أن التلاوة وان كانت مطلوبة لبقاء
لفظها على ألسنة أهل التواتر فيبقى
مصونا من التحريف ولان لفظه
ونظمه معجز وفي تلاوته نوع عبادة
ولاسيما في الصلوات الا أن الحكمة
العظمى والمقصود الاسنى تعليم ما فيه
من الدلائل والاحكام وثالثتها قوله
والحكمة أي ويعلمهم الحكمة قيل
هي الاصابة في القول والعمل جميعا
فلا يسمى حكيما الا وقد اجتمع فيه
الامران فيضع كل شئ موضعه

عظة من الله تعالى ذكره لليهود الذين كانوا بين ظهراني مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وتذكير
منه لهم ما سلف من أياديه اليهم في صنعه بأوائلهم استعطافا منه لهم على دينه وتصديق رسوله محمد
صلى الله عليه وسلم فقال يا بني اسرائيل اذكروا أيادي لديكم وصنائعي عندكم واستنقاذي اياكم من
أيدي عدوكم فرعون وقومه وانزالي عليكم المن والسلوى في تيهكم وتمكيني لكم في البلاد بعد أن كنتم
مذللين مقهورين واختصاصي الرسل منكم وتفضيلي اياكم على عالم من كنتم بين ظهرانيه أيام أنتم في
طاعتي باتباع رسولي اليكم وتصديقه وتصديق ما جاءكم به من عندي ودعوا التمادي في الضلال والغي
وقد ذكرنا فيما مضى النعم التي أنعم الله بها على بني اسرائيل والمعاني التي ذكرهم جل ثناؤه من آلائه
عندهم والعالم الذي فضلوا عليه فيما مضى قبل بالروايات والشواهد فكرهنا تطويل الكتاب
باعادته اذ كان المعنى في ذلك في هذا الموضع وهنالك واحدا ۞ القول في تأويل قوله (واتقوا
يوما لا تجزي نفس عن نفس شيأ ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون) وهذه الآية
ترهيب من الله جل ثناؤه للذين سلفت عظته اياهم بما وعظهم به في الآية قبلها يقول الله لهم واتقوا
يا معشر بني اسرائيل المبدلين كتابي وتنزيلي المحرفين تأويله عن وجهه المكذبين برسولي محمد صلى الله
عليه وسلم عذاب يوم لا تقضي فيه نفس عن نفس شيأ ولا تغني عنها غناء أن تهلكوا على ما أنتم عليه
من كفركم بي وتكذيبكم رسولي فتموتوا عليه فانه يوم لا يقبل من نفس فيما لزمها فدية ولا يشفع فيما
وجب عليها من حق لها شافع ولا هم ينصرهم ناصر من الله اذا انتقم منها بمعصيتها اياه وقد مضى
البيان عن كل معاني هذه الآية في نظيرتها قبل فأغنى ذلك عن اعادته في هذا الموضع ۞ القول في
تأويل قوله تعالى (واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات) يعني جل ثناؤه بقوله واذ ابتلى واذ اختبر يقال
منه ابتليت فلانا أبتليه ابتلاء ومنه قول الله عز وجل وابتلوا اليتامى يعني به اختبروهم وكان اختبار
الله تعالى ذكره ابراهيم اختبارا بفرائض فرضها عليه وأمر أمره به وذلك هو الكلمات التي
أوحاهن اليه وكلفه العمل بهن امتحانا منه له واختبارا ثم اختلف أهل التأويل في صفة الكلمات
التي ابتلى الله بها ابراهيم نبيه وخليله صلوات الله عليه فقال بعضهم هي شرائع الاسلام وهي
ثلاثون سهما ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن عكرمة
عن ابن عباس في قوله واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات قال قال ابن عباس لم يبتل أحد بهذا الدين
فأقامه الا ابراهيم ابتلاه الله بكلمات فأتمهن قال فكتب الله له البراءة فقال وابراهيم الذي وفى قال
عشر منها في الاحزاب وعشر منها في براءة وعشر منها في المؤمنين وسأل سائل وقال ان هذا الاسلام
ثلاثون سهما حدثنا اسحق بن شاهين قال ثنا خالد الطحان عن داود عن عكرمة عن ابن عباس قال
ما ابتلى أحد بهذا الدين فقام به كله غير ابراهيم ابتلي بالاسلام فأتمه فكتب الله له البراءة فقال وابراهيم
الذي وفى فذكر عشرا في براءة فقال التائبون العابدون الحامدون الى آخر الآيات وعشرا في
الاحزاب ان المسلمين والمسلمات وعشرا في سورة المؤمنين الى قوله والذين هم على صلواتهم يحافظون
وعشرا في سأل سائل والذين هم على صلاتهم يحافظون حدثنا عبيد الله بن أحمد بن شبويه
قال ثنا علي بن الحسن قال ثنا خارجة بن مصعب عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس
قال الاسلام ثلاثون سهما وما ابتلي بهذا الدين أحد فأقامه الا ابراهيم قال الله وابراهيم الذي
وفى فكتب الله له براءة من النار وقال آخرون هي خصال عشر من سنن الاسلام ذكر من قال ذلك
حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن
عباس واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات قال ابتلاه الله بالطهارة خمس في الرأس وخمس في الجسد في

الرأس

ولهذا عبر عنها بعض الحكماء بأنها
التشبه بالاله بقدر الطاقة البشرية
ويناسبه قوله صلى الله عليه وسلم
تخلقوا بأخلاق الله وعن ابن وهب
قلت لمالك ما الحكمة قال معرفة
الدين والفقه فيه والاتباع له وعن
قتادة واليه ذهب الشافعي هي
سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
لانه ذكر تلاوة الكتاب ثم تعليمه
ثم عطف عليه الحكمة فيكون شيأ
خارجا عنهما وليس ذلك الا سنة
الرسول فان الدلائل العقلية الدالة
على التوحيد والنبوة وما يتلوهما
مستقلة بالفهم فحمل اللفظ على
ما لا يستفاد الا من الشرع أولى
وقيل هي الفصل بين الحق والباطل
من الحكم وقيل المراد بالكتاب الآيات
المحكمات وبالحكمة المتشابهات
وقيل هي ما في أحكام الكتاب من
الحكم والمصالح ودرايتها ويزكيهم
لان الارشاد يتم بأمرين التحلية
والتخلية فكما يجب على المعلم
التنبيه على نعوت الكمال ليحظى
المتعلم بها يجب عليه التحذير عن
النقصان ليتحرز عنها وذلك بنحو
ما يفعله النبي صلى الله عليه وسلم
سوى التلاوة وتعليم الكتاب
والحكمة من الوعد والايعاد والوعظ
والتذكير والتشبث بأمور الدنيا
لتتقوى بها دواعيهم الى الايمان
والعمل الصالح ولذلك مدح بأنه
على خلق عظيم وانه أوتي مكارم
الاخلاق وقيل يزكيهم يطهرهم
عن الشرك وسائر الارجاس كقوله
ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم

الرأس قص الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الرأس وفى الجسد تقليم الاظفار وحلق العانة والختان ونتف الابط وغسل أثر الغائط والبول بالماء حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق عن معمر عن الحكم بن أبان عن القاسم بن أبى بزة عن ابن عباس بمثله ولم يذكر أثر البول حدثنا محمد بن بشار قال ثنا سلمان قال ثنا أبو هلال قال ثنا قتادة فى قوله واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات قال ابتلاه بالختان وحلق العانة وغسل القبل والدبر والسواك وقص الشارب وتقليم الاظافر ونتف الابط قال أبو هلال ونسيت خصلة حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن مطر عن أبى الخلد قال ابتلى ابراهيم بعشرة أشياء هن فى الانسان سنة الاستنشاق وقص الشارب والسواك ونتف الابط وقلم الاظفار وغسل البراجم والختان وحلق العانة وغسل الدبر والفرج وقال بعضهم بل الكلمات التى ابتلى بهن عشر خلال بعضهن فى تطهير الجسد وبعضهن فى مناسك الحج ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا محمد بن حرب قال ثنا ابن لهيعة عن ابن هبيرة عن حنش عن ابن عباس فى قوله واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال ستة فى الانسان وأربعة فى المشاعر فالتى فى الانسان حلق العانة والختان ونتف الابط وتقليم الاظفار وقص الشارب والغسل يوم الجمعة وأربعة فى المشاعر الطواف والسعى بين الصفا والمروة ورمى الجمار والافاضة وقال آخرون بل ذلك انى جاعلك للناس اماما فى مناسك الحج ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت اسمعيل بن أبى خالد عن أبى صالح فى قوله واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن فمنهن انى جاعلك للناس اماما وآيات النسك حدثنا أبو السائب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت اسمعيل بن أبى خالد عن أبى صالح مولى أم هانئ فى قوله واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات قال منهن انى جاعلك للناس اماما ومنهن آيات النسك واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال الله لابراهيم انى مبتليك بأمر فما هو قال تجعلنى للناس اماما قال نعم قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين قال تجعل البيت مثابة للناس قال نعم وأمنا قال نعم وتجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك قال نعم وترينا مناسكنا وتتوب علينا قال نعم قال وتجعل هذا البلد آمنا قال نعم قال وترزق أهله من الثمرات من آمن منهم قال نعم حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح أخبره به عن عكرمة فعرضته على مجاهد فلم ينكره حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه قال ابن جريج فاجتمع على هذا القول مجاهد وعكرمة جميعا حدثنا سفيان قال حدثنى أبى عن سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال ابتلى بالآيات التى بعدها انى جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فى قوله واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن فالكلمات انى جاعلك للناس اماما وقوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس وقوله واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وقوله وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل الآية وقوله واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت الآية قال فذلك كلمة من الكلمات التى ابتلى بهن ابراهيم حدثنى محمد ابن سعيد قال حدثنى أبى قال حدثنى عمى قال حدثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله واذ ابتلى

الخبائث وقيل يشهد لهم بأنهم عدول يوم القيامة ويكون الرسول عليكم شهيدا وعن ابن عباس التزكية هى الطاعة لله والاخلاص (انك أنت العزيز) القادر الذى لا يغلب (الحكيم) العالم الذى لا يفعل الا على وفق المصالح واذا كان كذلك صح منه اجابة الدعاء وبعثة الرسل وانزال الكتب (ومن يرغب) الاستفهام فيه لتقرير النفى أى لا يرغب أحد يقال رغب عن الامر اذا كرهه ورغب فيه اذا أراده ومحل من سفه الرفع على البدل من الضمير فى يرغب وذلك أنه غير موجب مثل هل جاءك أحد الا زيد وسفه اما متعد ومعنى سفه نفسه امتهنها واستخفها فاصل السفه الخفة وفى الحديث الكبر أن تسفه الحق وتغمص الناس لانه اذا رغب عما لا يرغب عنه عاقل قط فقد بالغ فى اذالة نفسه وتعجيزها حيث خالف بها كل نفس عاقلة وعن الحسن الا من جهل نفسه فلم يفكر فيها فيستدل بما يجده فيها من آثار الصنع على وحدانية الله تعالى وحكمته ويرتقى الى صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وعن أبى عبيدة أهلك نفسه وأوبقها وقيل أضل نفسه واما لازم فمعناه سفه فى نفسه فحذف الجار نحو زيد ظنى مقيم أى فى ظنى وقيل نصب على التمييز نحو غبن رأيه وألم رأسه وهذا عند الكوفيين فان التمييز عندهم يجوز أن يكون معرفة وفيه توبيخ لليهود والنصارى ومشركى العرب وتعجيب من حالهم فان

ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن فنهن انى جاعلك للناس اماما ومنهن واذ يرفع ابراهيم القواعد من
من البيت ومنهن الآيات فى شأن النسك والمقام الذى جعل لابراهيم والرزق الذى رزق ساكنو
البيت ومحمد صلى الله عليه وسلم فى ذريتهما عليهما السلام وقال آخرون بل ذلك مناسك الحج خاصة
ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا سلم بن قتيبة قال ثنا عمرو بن نبهان عن قتادة عن ابن
عباس فى قوله واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات قال مناسك الحج حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن
زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان ابن عباس يقول فى قوله واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات قال
المناسك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال قال ابن
عباس ابتلاه بالمناسك حدثت عن عمار بن الحسن قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه قال بلغنا عن
ابن عباس أنه قال ان الكلمات التى ابتلى بها ابراهيم المناسك حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو
أحمد الزبيرى قال ثنا شريك عن أبى اسحق عن التميمى عن ابن عباس قوله واذ ابتلى ابراهيم ربه
بكلمات قال مناسك الحج حدثنى المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا شريك عن أبى اسحق عن
التميمى عن ابن عباس فى قوله واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات قال منهن مناسك الحج وقال آخرون هى
أمور منهن الختان ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا سلم بن قتيبة عن يونس
ابن أبى اسحق عن الشعبى واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات قال منهن الختان حدثنا ابن حميد قال ثنا
يحيى بن واضح قال ثنا يونس بن أبى اسحق قال سمعت الشعبى يقول فذكر مثله حدثنا أحمد بن
اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا يونس بن أبى اسحق قال سمعت الشعبى وسأله أبو اسحق عن قول الله
واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات قال منهن الختان يا أبا اسحق وقال آخرون بل ذلك الخلال الست
الكوكب والقمر والشمس والنار والهجرة والختان التى ابتلى بهن فصبر عليهن ذكر من قال ذلك
حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن أبى رجاء قال قلت للحسن واذ ابتلى ابراهيم ربه
بكلمات فأتمهن قال ابتلاه بالكوكب فرضى عنه وابتلاه بالقمر فرضى عنه وابتلاه بالشمس فرضى
عنه وابتلاه بالنار فرضى عنه وابتلاه بالهجرة وابتلاه بالختان حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا
يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان الحسن يقول اى والله ابتلاه بأمر فصبر عليه ابتلاه
بالكوكب والشمس والقمر فأحسن فى ذلك وعرف أن ربه دائم لا يزول فوجه وجهه للذى
فطر السموات والارض حنيفا وما كان من المشركين ثم ابتلاه بالهجرة فخرج من بلاده وقومه
حتى لحق بالشام مهاجرا الى الله ثم ابتلاه بالنار قبل الهجرة فصبر على ذلك فابتلاه الله بذبح ابنه
وبالختان فصبر على ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عمن
سمع الحسن يقول فى قوله واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات قال ابتلاه الله بذبح ولده وبالنار وبالكوكب
والشمس والقمر حدثنا ابن بشار قال ثنا سلم بن قتيبة قال ثنا أبو هلال عن الحسن واذ
ابتلى ابراهيم ربه بكلمات قال ابتلاه بالكوكب وبالشمس والقمر فوجده صابرا وقال آخرون
بما حدثنا به موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدى الكلمات
التى ابتلى بهن ابراهيم ربه ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن
ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم ربنا وابعث فيهم رسولا
منهم * والصواب من القول فى ذلك عندنا أن يقال ان الله عز وجل أخبر عباده أنه اختبر ابراهيم
خليله بكلمات أوحاهن اليه وأمره أن يعمل بهن وأتمهن كما أخبر الله جل ثناؤه عنه أنه فعل
وجائز أن تكون تلك الكلمات جميع ما ذكره من ذكرنا قوله فى تأويل الكلمات وجائز أن تكون

أعظم مفاخرهم وفضائلهم الانتماء
الى ابراهيم ثم انهم لا يؤمنون
بالرسول الذى هو دعوته ومطلوبه
بالتضرع والاخلاص فان قيل
ملة ابراهيم عين ملة محمد فى الاصول
والفروع أو هما متحدتان فى الاصول
كالتوحيد والنبوة وأصول
مكارم الاخلاق ولكنهما مختلفتان
فى فروع الاعمال ولا سبيل الى الاول
والا لم يكن شرع محمد صلى الله عليه
وسلم ناسخا لسائر الشرائع ولا الى
الثانى لانه يلزم أن يكون محمد أيضا
راغبا عن ملة ابراهيم ولان
الاعتراف بالاصول لا يقتضى
الاعتراف بنبوة محمد صلى الله عليه
وسلم قلنا المختار اتحاد الملتين فى
الاصول فقط لكن نبوة محمد صلى
الله عليه وسلم من جملة الاصول التى
مهدها ابراهيم عليه السلام والمراد
بملة ابراهيم فى الآية أصولها التى
لا تختلف بمر الاعصار وكر الدهور
فلا يلزم أن يكون محمد صلى الله
عليه وسلم راغبا عنها لانه أمر باتباعها
ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة
ابراهيم حنيفا روى أن عبد الله
ابن سلام دعا ابنى أخيه سلمة ومهاجرا
الى الاسلام فقال لهما قد علمتما
أن الله قال فى التوراة انى باعث
من ولد اسمعيل نبيا اسمه أحمد فمن
آمن به فقد اهتدى ورشد ومن لم
يؤمن به فهو ملعون فأسلم سلمة وأبى
مهاجر أن يسلم فنزلت ثم انه تعالى
لما سفه من رغب عن ملة ابراهيم بين
السبب فى ذلك فقال ولقد اصطفيناه
فى الدنيا أى اخترناه للرسالة من

بعضه

بعضه لأن ابراهيم صلوات الله عليه قد كان امتحن فيما بلغنا بكل ذلك فعمل به وقام فيه بطاعة الله وأمره الواجب عليه فيه واذ كان ذلك كذلك فغير جائز لاحد أن يقول عنى الله بالكلمات التى ابتلى بهن ابراهيم شيأ من ذلك بعينه دون شئ ولا عنى به كل ذلك الا بحجة يجب التسليم لها من خبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم أو اجماع من الحجة ولم يصح فى شئ من ذلك خبر عن الرسول بنقل الواحد ولا بنقل الجماعة التى يجب التسليم لما نقلته غير أنه روى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى نظير معنى ذلك خبران لو ثبتا أو أحدهما كان القول به فى تأويل ذلك هو الصواب أحدهما ما حدثنا به أبو كريب قال ثنا راشد بن سعد قال حدثنى ربان بن فائد عن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول ألا أخبركم لم سمى الله ابراهيم خليله الذى وفى لانه كان يقول كلما أصبح وكلما أمسى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون حتى يختم الآية والآخر منهما ما حدثنا به أبو كريب قال ثنا الحسن بن عطية قال ثنا اسرائيل عن جعفر ابن الزبير عن القاسم عن أبى امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وابراهيم الذى وفى قال أتدرون ما وفى قالوا الله ورسوله أعلم قال وفى عمل يومه أربع ركعات فى النهار فلو كان خبر سهل ابن معاذ عن أبيه صحيحا سنده كان بينا أن الكلمات التى ابتلى بهن ابراهيم فقام بهن هو قوله كلما أصبح وأمسى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد فى السموات والارض وعشيا وحين تظهرون أو كان خبر أبى امامة عدولا نقلته كان معلوما أن الكلمات التى أوحين الى ابراهيم فابتلى بالعمل بهن أن يصلى كل يوم أربع ركعات غير أنهما خبران فى أسانيدهما نظر والصواب من القول فى معنى الكلمات التى أخبر الله أنه ابتلى بهن ابراهيم ما بينا آنفا ولو قال قائل فى ذلك ان الذى قاله مجاهد وأبو صالح والربيع بن أنس أولى بالصواب من القول الذى قاله غيرهم كان مذهبا لان قوله انى جاعلك للناس اماما وقوله وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل أن طهرا بيتى للطائفين وسائر الآيات التى هى نظير ذلك كالبيان عن الكلمات التى ذكر الله أنه ابتلى بهن ابراهيم

* القول فى تأويل قوله تعالى (فأتمهن) يعنى جل ثناؤه بقوله فأتمهن فأتم ابراهيم الكلمات واتمامه إياهن اكماله إياهن بالقيام لله بما أوجب عليه فيهن وهو الوفاء الذى قال الله جل ثناؤه وابراهيم الذى وفى يعنى وفى بما عهد اليه بالكلمات فأمره به من فرائضه ومحنه فيها كما حدثنى محمد بن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن عكرمة عن ابن عباس فأتمهن أى فأداهن حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة فأتمهن أى عمل بهن فأتمهن حدثت عن عمار قال حدثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فأتمهن أى عمل بهن فأتمهن ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (قال انى جاعلك للناس اماما) يعنى جل ثناؤه بقوله انى جاعلك للناس اماما فقال الله يا ابراهيم انى مصيرك للناس اماما يؤتم به ويقتدى به كما حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع انى جاعلك للناس اماما ليؤتم به ويقتدى به يقال منه أممت القوم فأنا أؤمهم أما وامامة اذا كنت امامهم وانما أراد جل ثناؤه بقوله لابراهيم انى جاعلك للناس اماما انى مصيرك تؤم من بعدك من أهل الايمان بى وبرسلى فتقدمهم أنت ويتبعون هديك ويستنون بسنتك التى تعمل بها بامرى اياك ووحيى اليك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (قال ومن ذريتى) يعنى جل ثناؤه بذلك قال ابراهيم لما رفع الله منزلته وكرمه فاعلمه ما هو صانع به من تصييره اماما فى الخيرات لمن فى عصره ولمن جاء بعده من ذريته وسائر الناس غيرهم يهتدى بهديه ويقتدى بافعاله وأخلاقه يارب ومن ذريتى فاجعل أئمة يقتدى بهم كالذى

دون الخليقة وعرفناه الملة الجامعة للتوحيد والعدل والامامة الباقية الى قيام الساعة حتى نال منزلة الخلة وانه فى الآخرة لمن الصالحين فيلزمه ما يلزمهم من الكرامة وحسن الثواب فليتحقق كل ذى لب أن الراغب عن سيرة من هو فائز بسعادة الدارين لارأى له والله الموفق ثم بين سبب الاصطفاء فاعمل اصطفينا فى اذ قال أى اخترناه فى ذلك الوقت ويجوز أن ينتصب باضمار اذكر استشهادا على ما ذكر من حاله كانه قيل له اذكر الوقت لتعلم أنه المصطفى الصالح الذى لا يرغب عن ملة مثله واذ قال له ربه من باب الالتفات ولولا ذلك لكان حقه أن يقال اذ قلنا له والاكثرون على أنه تعالى قال له ذلك قبل النبوة وقبل البلوغ وذلك عند استدلاله بالكوكب والقمر والشمس واطلاعه على أمارة الحدوث فيها فلما عرف ربه قال له أسلم فانه لا يجوز أن يقول له قبل أن عرف ربه ويحتمل أن يكون ذلك قبل الاستدلال ولا يكون المراد منه نفس القول بل دلالة الدليل عليه كقولهم نطق الحال قال تعالى أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون فجعل دلالة البرهان كلاما ويحتمل أن يكون هذا بعد النبوة والمراد استقامته على الاسلام وثباته عليه كقوله فاستقم كما أمرت أو المقصود الانقياد لاوامر الله تعالى والمسارعة الى تلقيها بالقبول وترك الاعتراض بالقلب واللسان وقيل

جعلتني اماما يؤتم بي و يقتدى بي مسئلة من ابراهيم ربه سأله اياها كما حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قال قال ابراهيم ومن ذريتي يقول فاجعل من ذريتي من يؤتم به و يقتدى به وقد زعم بعض الناس أن قول ابراهيم ومن ذريتي مسئلة منه ربه لعقبه ان يكونوا على عهده ودينه كما قال واجنبني و بني أن نعبد الاصنام فاخبر الله جل ثناؤه أن في عقبه الظالم المخالف له في دينه بقوله لا ينال عهدي الظالمين والظاهر من التنزيل يدل على غير الذي قاله صاحب هذه المقالة لان قول ابراهيم صلوات الله عليه ومن ذريتي في اثر قول الله جل ثناؤه اني جاعلك للناس إماما فمعلوم أن الذي سأله ابراهيم لذريته لو كان غير الذي أخبر ربه أنه أعطاه اياه لكان مبينا ولكن المسئلة لما كانت مما جرى ذكره اكتفى بالذكر الذي قد مضى من تكريره واعادته فقال ومن ذريتي بمعنى ومن ذريتي فاجعل مثل الذي جعلتني به من الامامة للناس ۞ القول في تاويل قوله تعالى (قال لا ينال عهدي الظالمين) هذا خبر من الله جل ثناؤه عن أن الظالم لا يكون اماما يقتدى به أهل الخير وهو من الله جل ثناؤه جواب لما توهم في مسئلته اياه أن يجعل من ذريته أئمة مثله فاخبر أنه فاعل ذلك الا من كان من أهل الظلم منهم فانه غير مصيره كذلك ولا جاعله في محل أوليائه عنده بالتكرمة بالامامة لان الامامة انما هي لاوليائه وأهل طاعته دون أعدائه والكافرين به واختلف أهل التأويل في العهد الذي حرم الله جل ثناؤه الظالمين أن ينالوه فقال بعضهم ذلك العهد هو النبوة ذكر من قال ذلك حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال لا ينال عهدي الظالمين يقول عهدي نبوتي فمعنى قائل هذا القول في تاويل الآية لا ينال النبوة أهل الظلم والشرك وقال آخرون معنى العهد عهد الامامة فتأويل الآية على قولهم لا أجعل من كان من ذريتك باسرهم ظالما اماما لعبادي يقتدى به ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال لا ينال عهدي الظالمين قال لا يكون امام ظالما حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال الله لا ينال عهدي الظالمين قال لا يكون امام ظالما حدثنا المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن عكرمة بمثله حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد في قوله قال لا ينال عهدي الظالمين قال لا يكون امام ظالم يقتدى به حدثنا أحمد بن اسحق الاهوازي قال ثنا أبو أحمد الزبيري قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد مثله حدثنا مسروق بن أبان الحطاب قال ثنا وكيع عن سفيان عن خصيف عن مجاهد في قوله لا ينال عهدي الظالمين قال لا أجعل اماما ظالما يقتدى به حدثنا محمد بن عبيد المحاربي قال ثنا مسلم بن خالد الزنجي عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله لا ينال عهدي الظالمين قال لا أجعل اماما ظالما يقتدى به حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد لا ينال عهدي الظالمين قال لا يكون اماما ظالم قال ابن جريج وأما عطاء فانه قال اني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي فأبى أن يجعل من ذريته ظالما اماما قلت لعطاء ما عهده قال أمره وقال آخرون معنى ذلك انه لا عهد عليك لظالم أن تطيعه في ظلمه ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن سعد قال حدثني أبي قال حدثني عمي قال حدثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله لا ينال عهدي الظالمين يعني لا عهد لظالم عليك في ظلمه أن تطيعه فيه حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن عبد الله عن اسرائيل عن مسلم الاعور عن مجاهد عن ابن عباس قال لا ينال عهدي الظالمين قال ليس للظالمين عهد وان عاهدته فانقضه حدثني القاسم قال ثنا الحسين

قال

الايمان صفة القلب والاسلام صفة الجوارح وان ابراهيم عليه السلام كان عارفا بالله تعالى بقلبه فكلفه الله تعالى بعد ذلك بعمل الجوارح وفي تخصيص لفظ الرب بهذا الموضع بل باكثر قصص ابراهيم اشارة الى أن طريق عرفانه النظر في المربوبات فلا جرم وصل الى الرب وطريق عرفان محمد صلى الله عليه وسلم عكس ذلك الترتيب فلا جرم بدأ من الله فاعلم أنه لا اله الا الله والاول طريق حسن سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق لكن الطريق الثاني أحسن أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد ومن هنا يعرف أكملية محمد صلى الله عليه وسلم

واني وان كنت الاخير زمانه
لآت بما لم تستطعه الاوائل

فالف ابراهيم دلالة على استقامة سيرته وميم محمد دليل على أنه مكمل الاوضاع وبه ابتدأ الامر من حيث انتهى فتمت دائرة النبوة وحصلت الخاتمة وكما أن ألف ابراهيم دليل على وجود الاستقامة ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فالف ابليس دليل عدم الاستقامة الا ابليس أبى واستكبر والوجود خير والعدم شر فحصل من خاء الخير مع لام الابتلاء واذابتلى ابراهيم ربه تركيب الخلة واتخذ الله ابراهيم خليلا ومن شين الشر مع دال الدوام على الكفر وكان من الكافرين اسم الشدة وللكافرين عذاب شديد ثم ان الخلة ماخوذة من التخلل بين الشيئين

قال حدثنى حجاج عن سفيان عن هرون بن عنترة عن أبيه عن ابن عباس قال ليس لظالم عهد وقال آخرون معنى العهد فى هذا الموضع الأمان فتأويل الكلام على معنى قولهم قال الله لا ينال أمانى أعدائى وأهل الظلم لعبادى أى لا أؤمنهم من عذابى فى الآخرة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قال لا ينال عهدى الظالمين ذلكم عند الله يوم القيامة لا ينال عهده ظالم فأما فى الدنيا فقد نالوا عهد الله فوارثوا به المسلمين وعادوهم وناكحوهم به فلما كان يوم القيامة قصر الله عهده وكرامته على أوليائه حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله لا ينال عهدى الظالمين قال لا ينال عهد الله فى الآخرة الظالمون فأما فى الدنيا فقد ناله الظالم وأكل به وعاش حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن عن اسرائيل عن منصور عن ابراهيم قال لا ينال عهدى الظالمين قال لا ينال عهد الله فى الآخرة الظالمون فأما فى الدنيا فقد ناله الظالم فأمن به وأكل وأبصر وعاش وقال آخرون بل العهد الذى ذكره الله فى هذا الموضع دين الله ذكر من قال ذلك حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قال قال الله لابراهيم لا ينال عهدى الظالمين فقال فعهد الله الذى عهد الى عباده دينه يقول لا ينال دينه الظالمين ألا ترى أنه قال وباركنا عليه وعلى اسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين يقول ليس كل ذريتك يا ابراهيم على الحق حدثنى يحيى بن جعفر قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك فى قوله لا ينال عهدى الظالمين قال لا ينال عهدى عدوّ لى يعصينى ولا أنحلها الا وليالى يطيعنى وهذا الكلام وان كان ظاهره ظاهر خبر عن أنه لا ينال من ولد ابراهيم صلوات الله عليه عهد الله الذى هو النبوة والامامة لأهل الخير بمعنى الاقتداء به فى الدنيا والعهد الذى بالوفاء به ينجو فى الآخرة من وفى لله به فى الدنيا من كان منهم ظالما متعديا جائرا عن قصد سبيل الحق فهو اعلام من الله تعالى ذكره لابراهيم ان من ولده من يشرك به ويجور عن قصد السبيل ويظلم نفسه وعباده كالذى حدثنى اسحق بن ابراهيم بن حبيب بن الشهيد قال ثنا عتاب بن بشر عن خصيف عن مجاهد فى قوله لا ينال عهدى الظالمين قال انه سيكون فى ذريتك ظالمون وأما نصب الظالمين فلأن العهد هو الذى لا ينال الظالمين وذكر أنه فى قراءة ابن مسعود لا ينال عهدى الظالمون بمعنى ان الظالمين هم الذين لا ينالون عهد الله وانما جاز الرفع فى الظالمين والنصب وكذلك فى العهد لان كل ما نال المرء فقد ناله المرء كما يقال نالنى خير فلان ونلت خيره فيوجه الفعل مرة الى الخبر ومرة الى نفسه وقد بينا معنى الظلم فيما مضى فكرهنا اعادته ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (واذ جعلنا البيت مثابة للناس) أما قوله واذ جعلنا البيت مثابة فانه عطف باذ على قوله واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات وقوله واذ ابتلى ابراهيم معطوف على قوله يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى واذكروا اذ ابتلى ابراهيم ربه واذ جعلنا البيت مثابة والبيت الذى جعله الله مثابة للناس هو البيت الحرام وأما المثابة فان أهل العربية مختلفون فى معناها والسبب الذى من أجله أنثت فقال بعض نحويى البصرة ألحقت الهاء فى المثابة لما كثر من يثوب اليه كما يقال سيارة لمن يكثر ذلك ونسابة وقال بعض نحويى الكوفة بل المثاب والمثابة بمعنى واحد نظيره المقام والمقامة والمقام ذكر على قوله لانه يريد به الموضع الذى يقام فيه وأنثت المقامة لانه أريد بها البقعة وأنكر هؤلاء أن تكون المثابة كالسيارة والنسابة وقالوا انما أدخلت الهاء فى السيارة والنسابة تشبيها لها بالداعية والمثابة مفعلة من ثاب القوم الى الموضع اذا رجعوا اليه فهم يثوبون اليه مثابا ومثابة وثوابا فمعنى قوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس واذ جعلنا البيت مرجعا للناس ومعاذا يأتونه كل عام ويرجعون اليه فلا

ومنه الخلال فلا جرم كان ابراهيم عليه السلام واسطة فى الطريقة «أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا» والمحبة ماخوذة من الحبة وهو خالص كل شئ وداخله ومنه حبة القلب فلا جرم كان محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وحبيب رب العالمين وزبدة الكائنات وغاية الحركات لولاك لما خلقت الافلاك أول الفكر آخر العمل أول ما خلق الله تعالى نورى أنا أول من ينشق عنه قبر آدم ومن دونه تحت لوائى أنا سيد المرسلين ولا فخر محمد صلى الله عليه وسلم أبو الحقيقة وان كان ابراهيم عليه السلام أبا الطريقة والحقيقة لكونها مقصودة بالذات أقوى من الطريقة لاجرم وقع الصلاة على ابراهيم فى الصلاة تبعا للصلاة على محمد اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وان الصلاة لا تصح بدون الصلاة على محمد بخلاف الصلاة على غيره ولنعد الى ما كنا فيه ووصى التوصية من جملة الامور المستحسنة التى حكاها الله تعالى عن ابراهيم أوصيته بكذا ووصيته بمعنى وأصله من وصيت الشئ بكذا بالتخفيف اذا وصلته اليه وأرض واصية متصلة النبات فالموصى يصل القربة الحاصلة له بعد الموت الى القربات الحاصلة له فى الحياة ويحمد الموصى على هذا الوصل بسبب الوصية والضمير فى بها قيل يعود الى الكلمة أو الجملة وهى أسلمت لرب العالمين ونحوه رجوع الضمير فى قوله وجعلها كلمة باقية الى قوله اننى

يقضون منه وطرا ومن المثاب قول ورقة بن نوفل في صفة الحرم

مثاب لافناء القبائل كلها * تخب اليه اليعملات الصلائح (١)

ومنه قيل ثاب اليه عقله اذا رجع اليه بعد عزوبه عنه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله واذ جعلنا البيت مثابة للناس قال لا يقضون منه وطرا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد واذ جعلنا البيت مثابة للناس قال يثوبون اليه لا يقضون منه وطرا حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي واذ جعلنا البيت مثابة للناس قال أما المثابة فهو الذي يثوبون اليه كل سنة لا يدعه الانسان اذا أتاه مرة أن يعود اليه حدثني محمد ابن سعد قال حدثني أبي قال حدثني عمي قال حدثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس قال لا يقضون منه وطرا يأتونه ثم يرجعون الى أهليهم ثم يعودون اليه وحدثني عبد الكريم بن أبي عمير قال حدثني الوليد بن مسلم قال قال أبو عمرو وحدثني عبدة بن أبي لبابة في قوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس قال لا ينصرف عنه منصرف وهو يرى أنه قد قضى منه وطرا حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا عبد الملك عن عطاء في قوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس قال يثوبون اليه من كل مكان ولا يقضون منه وطرا حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عبد الملك عن عطاء مثله حدثني محمد بن عمار الاسدي قال ثنا سهل بن عامر قال ثنا مالك بن مغول عن عطية في قوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس قال لا يقضون منه وطرا حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي الهذيل قال سمعت سعيد بن جبير يقول واذ جعلنا البيت مثابة للناس قال يحجون ويثوبون حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن أبي الهذيل عن سعيد بن جبير في قوله مثابة للناس قال يحجون ثم يحجون ولا يقضون منه وطرا حدثني المثنى قال ثنا ابن بكير قال ثنا مسعر عن غالب عن سعيد بن جبير مثابة للناس قال يثوبون اليه حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا قال مجمعا حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال حدثني معاوية ابن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس مثابة للناس قال يثوبون اليه حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع مثابة للناس قال يثوبون اليه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس قال يثوبون اليه من البلدان كلها ويأتونه ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وأمنا) والأمن مصدر من قول القائل أمن يأمن أمنا وانما سماه الله أمنا لانه كان في الجاهلية معاذا لمن استعاذ به وكان الرجل منهم لو لقي به قاتل أبيه أو أخيه لم يهجه ولم يعرض له حتى يخرج منه وكان كما قال الله جل ثناؤه أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم حدثني يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وأمنا قال من أم اليه فهو آمن كان الرجل يلقى قاتل أبيه أو أخيه

(١) قوله الصلائح هكذا في الاصل بالصاد ولا معنى له ولعله محرف عن الطلائح بالطاء أي المهازيل والذي في اللسان في مادة ثوب وذمل تخب اليه اليعملات الذوامل كتبه مصححه

براء مما تعبدون الا الذي فطرني وقيل الاولى أن يرجع الى الملة لانها مذكورة صريحا في قوله ومن يرغب عن ملة ابراهيم ولان الوصية بالملة جامعة لجميع أسباب الفلاح بخلاف الوصية بالشهادة وحدها اللهم الا أن يحمل الاسلام على الانقياد الكلي وفي الآية دقائق مرعية في قبول الدين منها أنه لم يقل وأمر بها لان الوصية عند أمارات الموت وعند ذلك يكون الاهتمام بالامور أشد ومنها أنه خص نبيه بذلك في آخر عمره مع أنه كان يدعو كل الناس الى الدين فدل على أنه لا شئ عنده أهم من ذلك ومنها التعميم لجميع الابناء وانه لم يقيد الوصية بزمان أو مكان ولم يخلطها بشئ آخر ثم ان اهتم أن يموتوا غير مسلمين وكل هذه دلائل شدة الاهتمام بالامور وهو المشهود له بالفضل وحسن السيرة فيجب قبول قوله لكل عاقل وكذلك وصى بها يعقوب بنيه وقرئ يعقوب بالنصب فعناه وصى بها ابراهيم بنيه ونافلته يعقوب قائلا لكل منهما يا بني أصله يا بنون فأضيف الى ياء المتكلم فسقطت النون وصار الواو ياء لاجل النصب فأدغم الياء في الياء ان الله اصطفى لكم الدين استخلصه واختاره لكم بأن أقام عليه الدلائل الواضحة ودعاكم اليه ومنعكم من غيره ووفقكم للاخذ به فلا تموتن فلا يكن موتكم الا على حال كونكم ثابتين على الاسلام نحو لا تصل الا وأنت خاشع لا ينهاه عن نفس الصلاة ولكن عن ترك

فلا يعرض له حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى أما أمنا فمن دخله كان آمنا
حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله
وأمنا قال تحريمه لا يخاف فيه من دخله حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن
الربيع قوله وأمنا يقول أمنا من العدو أن يحمل فيه السلاح وقد كان في الجاهلية يتخطف الناس
من حولهم وهم آمنون لا يسبون حدثت عن المنجاب قال أخبرنا بشر عن أبي روق عن الضحاك
عن ابن عباس في قوله وأمنا قال أمنا للناس حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثني حجاج
عن ابن جريج عن مجاهد في قوله وأمنا قال تحريمه لا يخاف فيه من دخله ۞ القول في تأويل قوله
تعالى (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأه بعضهم واتخذوا من
مقام ابراهيم مصلى بكسر الخاء على وجه الامر باتخاذه مصلى وهي قراءة عامة المصرين الكوفة
والبصرة وقراءة عامة قراء أهل مكة وبعض قراء أهل المدينة وذهب اليه الذين قرؤه كذلك من
الخبر الذي حدثنا أبو كريب ويعقوب بن ابراهيم قالا حدثنا هشيم قال أخبرنا حميد عن أنس
ابن مالك قال قال عمر بن الخطاب قلت يا رسول الله لو اتخذت المقام مصلى فأنزل الله واتخذوا من
مقام ابراهيم مصلى حدثنا محمد بن بشار قال ثنا ابن أبي عدي وحدثني يعقوب قال ثنا ابن
علية جميعا عن حميد عن أنس عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله حدثنا عمرو بن علي قال
ثنا يزيد بن زريع قال ثنا حميد عن أنس قال قال عمر بن الخطاب قلت يا رسول الله فذكر مثله
قالوا فانما أنزل الله تعالى ذكره هذه الآية أمرا منه نبيه صلى الله عليه وسلم باتخاذ مقام ابراهيم
مصلى فغير جائز قراءتها وهي أمر على وجه الخبر وقد زعم بعض نحويي البصرة أن قوله
واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى معطوف على قوله يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي واتخذوا من
مقام ابراهيم مصلى فكان الامر بهذه الآية وباتخاذ المصلى من مقام ابراهيم على قول هذا القائل
لليهود من بني اسرائيل الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حدثنا الربيع
ابن أنس بما حدثت عن عمار بن الحسن قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه قال من الكلمات التي
ابتلى بهن ابراهيم قوله واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى فأمرهم أن يتخذوا من مقام ابراهيم مصلى
فهم يصلون خلف المقام فتأويل قائل هذا القول واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال اني جاعلك
للناس اماما وقال اتخذوا من مقام ابراهيم مصلى والخبر الذي ذكرناه عن عمر بن الخطاب عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل يدل على خلاف الذي قاله هؤلاء وانه أمر من الله تعالى ذكره بذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به وجميع الخلق المكلفين وقرأه بعض قراء أهل المدينة
والشام واتخذوا بفتح الخاء على وجه الخبر ثم اختلف في الذي عطف عليه بقوله واتخذوا اذا قرئ
كذلك على وجه الخبر فقال بعض نحويي البصرة تأويله اذ قرئ كذلك (١) واذ جعلنا البيت مثابة
للناس وأمنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وقال بعض نحويي الكوفة بل ذلك معطوف على قوله
جعلنا فكان معنى الكلام على قوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس واتخذوه مصلى والصواب من
القول والقراءة في ذلك عندنا واتخذوا بكسر الخاء على تأويل الامر باتخاذ مقام ابراهيم مصلى
للخبر الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ذكرناه آنفا وان عمرو بن علي حدثنا قال
ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا جعفر بن محمد قال حدثني أبي عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قرأ واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى ثم اختلف أهل التأويل في تأويل قوله
واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وفي مقام ابراهيم فقال بعضهم مقام ابراهيم هو الحج كله ذكر

الخشوع في صلاته والنكتة فيه
اظهار أن الصلاة التي لا خشوع فيها
كلا صلاة ومثله قوله صلى الله عليه
وسلم لا صلاة لجار المسجد الا في
المسجد فانه في قوة قوله لجار المسجد
لا تصل الا في المسجد فكان موتهم
لا على حال الاسلام موتا لا خير فيه
لانه ليس بموت السعداء ومن حق
هذا الموت أن لا يحل فيهم (أم كنتم
شهداء) يحتمل أن تكون أم منقطعة
ومعنى الهمزة فيها الانكار لمجرد
الحضور عند وفاته والخطاب للمؤمنين
أي ما كنتم حاضرين حين احتضر
يعقوب وانما حصل لكم العلم به
من طريق الوحي أو لاهل الكتاب
المعاصرين كأنه قيل لهم كيف
تزعمون أن ما أنتم عليه دين الرسل
ولم تشهدوا وصايا الانبياء ولو شهدتم
ذلك وسمعتم قولهم لبنيهم لظهر
لكم حرصهم على ملة الاسلام والدين
الحنيفي فرغبتم في دين محمد صلى الله
عليه وسلم ويحتمل كون أم متصلة
على أن يقدر قبلها محذوف معناه
أتدعون على الانبياء اليهودية أم
كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت
فقيل أي ان أوائلكم من بني اسرائيل
كانوا مشاهدين له اذ أراد بنيه على
التوحيد ودين الاسلام فمالكم
تدعون على الانبياء ما هم منه براء
وفيه نظر لان أم المعادلة لأحد الامرين
كائن فيها فقط فان كان الحضور
ثابتا لم تكن الدعوى ثابتة لكنها ثابتة
ولهذا توجه الانكار عليها فالوجه
أن يقال المراد أن الحضور غير ثابت
لتطاول الزمان فاذن دعواهم يهودية

(١) قوله واذ جعلنا الى آخر العبارة هكذا هي في الاصل ولعل فيها تحريفا ونقصا فحرر كتبه مصححه

من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن جريج عن عطاء عن
ابن عباس فى قوله مقام ابراهيم قال الحج كله مقام ابراهيم حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا
سفيان بن عيينة عن ابن أبى نجيح عن مجاهد واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى قال الحج كله حدثنا
أبو كريب قال ثنا وكيع عن سفيان عن ابن جريج عن عطاء قال الحج كله مقام ابراهيم وقال
آخرون مقام ابراهيم عرفة والمزدلفة والجمار ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال
ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن عطاء بن أبى رباح واتخذوا من مقام ابراهيم
مصلى قال لانى قد جعلته اماما فمقامه عرفة والمزدلفة والجمار حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا
عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله واتخذوا من مقام ابراهيم
مصلى قال مقامه جمع وعرفة ومنى لا أعلمه الا وقد ذكر مكة حدثنا عمرو بن على قال ثنا أبو
عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن عطاء عن ابن عباس فى قوله واتخذوا من مقام ابراهيم
مصلى قال مقامه عرفة حدثنا عمرو بن على قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا داود عن الشعبى
قال نزلت عليه وهو واقف بعرفة مقام ابراهيم اليوم أكملت لكم دينكم الآية حدثنا عمرو قال
ثنا بشر بن المفضل قال ثنا داود عن الشعبى مثله وقال آخرون مقام ابراهيم الحرم ذكر من
قال ذلك حدثت عن حماد بن زيد عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله واتخذوا من مقام ابراهيم
مصلى قال الحرم كله مقام ابراهيم وقال آخرون مقام ابراهيم الحجر الذى قام عليه ابراهيم حين
ارتفع بناؤه وضعف عن رفع الحجارة ذكر من قال ذلك حدثنا سنان القزاز قال ثنا عبيد الله بن
عبد المجيد الحنفى قال ثنا ابراهيم بن نافع قال سمعت كثير بن كثير يحدث عن سعيد بن جبير عن ابن
عباس قال جعل ابراهيم يبنيه واسمعيل يناوله الحجارة ويقولان ربنا تقبل منا انك أنت السميع
العليم فلما ارتفع البنيان وضعف الشيخ عن رفع الحجارة قام على حجر فهو مقام ابراهيم وقال آخرون
بل مقام ابراهيم هو مقامه الذى هو فى المسجد الحرام ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا
يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى انما أمروا أن يصلوا عنده
ولم يؤمروا بمسحه ولقد تكلفت هذه الامة شيأ مما تكلفته الامم قبلها ولقد ذكر لنا بعض من رأى
أثر عقبه وأصابعه فيها فمازالت هذه الامة يمسحونه حتى اخلولق وانمحى حدثت عن عمار قال ثنا
ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى فهم يصلون خلف المقام
حدثنى يونس قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وهو
الصلاة عند مقامه فى الحج والمقام هو الحجر الذى كانت زوجة اسمعيل وضعته تحت قدم ابراهيم حين
غسلت رأسه فوضع ابراهيم رجله عليه وهو راكب فغسلت شقه ثم رفعته من تحته وقد غابت
رجله فى الحجر فوضعته تحت الشق الآخر فغسلته فغابت رجله أيضا فيه فجعلها الله من شعائره
فقال واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وأولى هذه الاقوال بالصواب عندنا ما قاله القائلون ان
مقام ابراهيم هو المقام المعروف بهذا الاسم الذى هو فى المسجد الحرام لما روينا آنفا عن عمر بن
الخطاب ولما حدثنا يوسف بن سليمان قال ثنا حاتم بن اسمعيل قال ثنا جعفر بن محمد عن أبيه
عن جابر قال استلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الركن فرمل ثلاثا ومشى أربعا ثم تقدم الى مقام
ابراهيم فقرأ واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى فجعل المقام بينه وبين البيت فصلى ركعتين فهذان
الخبران ينبئان ان الله تعالى ذكره انما عنى بمقام ابراهيم الذى أمرنا الله باتخاذه مصلى هو الذى وصفنا
ولو لم يكن على صحة ما اخترنا فى تأويل ذلك خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لكان الواجب فيه

الانبياء دعوى بلا دليل فلا تسمع منهم
على أنه تعالى نص على بطلانها
بقوله اذ قال لبنيه الى آخره ويتجه على
هذا التقدير أن تكون أم منقطعة
كانه استفهم أولا على سبيل الانكار
أى لم تدعون ثم استأنف استفهاما
ثانيا لتقرير النفى أى ما كنتم
شهداء أو لتقرير الاثبات على أن
أوائلهم قد شهدوا فيكون مؤكدا
لذلك الانكار (ما تعبدون) أى شئ
تعبدون وما عام لاولى العلم وغيرهم
ومن مختص بأولى العلم ولهذا قال
العلماء من لما يعقل ومن خصص
ما بغير أولى العقل قال المراد السؤال
عن صفة المعبود كما تقول ما زيد تريد
أفقيه أم طبيب روى أن يعقوب
عليه السلام لما دخل مصر رأى
أهلها يعبدون الاوثان والنيران
فخاف على بنيه بعد وفاته فقال لهم
هذا القول تحريضا لهم على التمسك
بعبادة الله لا أنهم كانوا يعبدون غير
الله لان مبادرتهم الى الاعتراف
بالتوحيد تنافى ذلك ولان المشهور
من أمر الاسباط أنهم كانوا قوما
صالحين وابراهيم واسمعيل واسحق
عطف بيان لآبائك وقدم اسمعيل
لانه أسن وجعل اسمعيل وهو عمه
من جملة آبائه لان العم أب والخالة
أم لانخراطهما فى سلك واحد هو
الاخوة قال صلى الله عليه وسلم عم
الرجل صنو أبيه أى لا تفاوت بينهما
كما لا تفاوت بين صنوى النخلة وأيضا
أطلق اسم الاب على ابراهيم وهو جده
فعن الشافعى أنه مجاز ولهذا قال
الاخوة والاخوات للاب والام

من

من القول ما قلنا وذلك أن الكلام محمول معناه على ظاهره المعروف دون باطنه المجهول حتى يأتي ما يدل على خلاف ذلك مما يجب التسليم له ولا شك أن المعروف في الناس بمقام ابراهيم هو المصلى الذي قال الله تعالى ذكره واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى فان أهل التأويل مختلفون في معناه فقال بعضهم هو المدعى ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى قال مصلى ابراهيم مدعى وقال آخرون معنى ذلك اتخذوا مصلى تصلون عنده ذكر من قال ذلك حدثني بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قال أمروا أن يصلوا عنده حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدي قال هو الصلاة عنده فكأن الذين قالوا تأويل المصلى ههنا المدعى وجهوا المصلى الى أنه مفعل من قول القائل صليت بمعنى دعوت وقائلو هذه المقالة هم الذين قالوا ان مقام ابراهيم هو الحج كله فكان معناه في تأويل هذه الآية واتخذوا عرفة والمزدلفة والمشعر والجمار وسائر أماكن الحج التي كان ابراهيم يقوم بها مداعي تدعوني عندها وتأتمون بابراهيم خليلي عليه السلام فيها فاني قد جعلته لمن بعده من أوليائي وأهل طاعتي اماما يقتدون به وبآثاره فاقتدوا به وأما تأويل القائلين القول الآخر فانه اتخذوا أيها الناس من مقام ابراهيم مصلى تصلون عنده عبادة منكم وتكرمة مني لابراهيم وهذا القول هو أولى بالصواب لما ذكرنا من الخبر عن عمر بن الخطاب وجابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ﷺ القول في تأويل قوله تعالى (وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل أن طهرا بيتي) يعني تعالى ذكره بقوله وعهدنا وأمرنا كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج قال قلت لعطاء ما عهده قال أمره حدثني يونس قال أخبرني ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وعهدنا الى ابراهيم قال أمرناه فعنى الآية وأمرنا ابراهيم واسمعيل بتطهير بيتي للطائفين والتطهير الذي أمرهما الله به في البيت هو تطهيره من الاصنام وعبادة الاوثان فيه ومن الشرك بالله فان قال قائل وما معنى قوله وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل أن طهرا بيتي للطائفين وهل كان أيام ابراهيم قبل بنائه البيت بيت يطهر من الشرك وعبادة الاوثان في الحرم فيجوز أن يكونا أمرا بتطهيره قيل لذلك وجهان من التأويل قد كان لكل واحد من الوجهين جماعة من أهل التأويل أحدهما أن يكون معناه وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل أن ابنيا بيتي مطهرا من الشرك والريب كما قال تعالى ذكره أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فكذلك قوله وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل أن طهرا بيتي أي ابنيا بيتي على طهر من الشرك بي والريب كما حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدي وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل أن طهرا بيتي يقول ابنيا بيتي فهذا أحد وجهيه والوجه الآخر منهما أن يكونا أمرا بأن يطهرا مكان البيت قبل بنيانه والبيت بعد بنيانه مما كان أهل الشرك بالله يجعلونه فيه على عهد نوح ومن قبله من الاوثان ليكون ذلك سنة لمن بعدهما اذ كان الله تعالى ذكره قد جعل ابراهيم اماما يقتدى به من بعده كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أن طهرا قال من الاصنام التي يعبدون التي كان المشركون يعظمونها حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد الزبيري قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن عطاء عن عبيد بن عمير أن طهرا بيتي للطائفين قال من الأوثان والريب حدثني المثنى قال ثنا أبو نعيم قال حدثنا سفيان عن ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير مثله حدثني أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا

لا يسقطون بالجد واليه ذهب مالك وأبو يوسف ومحمد وهو قول عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وزيد وقال أبو حنيفة انه حقيقة وانهم يسقطون بالجد وهو قول أبي بكر وابن عباس وعائشة والحسن وطاوس وعطاء ثم التعليمية قالوا لا طريق لنا الى معرفة الله تعالى الا بتعليم الرسول والامام لانهم لم يقولوا نعبد الاله الذي دل العقل عليه بل قالوا نعبد الاله الذي أنت تعبده وآباؤك يعبدونه فدل على أن طريق المعرفة هو التعليم وأجيب بمنع دلالة الآية على ذلك بل لعل المعرفة حصلت لهم بالاستدلال الا أنهم اختصروا الكلام فتركوا شرح صفات الله وبيان ذلك وأيضا انه أقرب الى سكون نفس يعقوب فكأنهم قالوا لسنا نجري الا على مثل طريقتك من اليقين بالله والاخلاص له في عبادته وأيضا لعل مرادهم نعبد الاله الذي دل عليه وجودك ووجود آبائك كقوله اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم (الها واحدا) بدل من اله آبائك مثل بالناصية ناصية كاذبة أو نصب على الاختصاص والمدح (ونحن له مسلمون) مذعنون أو مخلصون التوحيد ومحله النصب حالا من فاعل نعبد أو من مفعوله لرجوع الضمير في له اليه ويجوز أن يكون جملة معطوفة على نعبد أو جملة معترضة مؤكدة (تلك) اشارة الى الامة المذكورة التي هي ابراهيم ويعقوب وبنوهما الموحدون خلت مضت وانقرضت والغرض أنه لم يبق منهم أثر سوى ما عملوا ولهذا

سفيان عن ليث عن مجاهد قال من الشرك حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا أبو اسرائيل عن أبي حصين عن مجاهد طهرا بيتي للطائفين قال من الاوثان حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله طهرا بيتي للطائفين قال من الشرك وعبادة الاوثان حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة بمثله وزاد فيه وقول الزور ﴿القول في تأويل قوله تعالى (للطائفين)﴾ اختلف أهل التأويل في معنى الطائفين في هذا الموضع فقال بعضهم هم الغرباء الذين يأتون البيت الحرام من غربة ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو بكر بن عياش قال ثنا أبو حصين عن سعيد بن جبير في قوله للطائفين قال من أتاه من غربة وقال آخرون بل الطائفون هم الذين يطوفون به غرباء كانوا أو من أهله ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن العلاء قال ثنا وكيع عن أبي بكر الهذلي عن عطاء للطائفين قال اذا كان طائفا بالبيت فهو من الطائفين وأولى التأويلين بالآية ما قاله عطاء لان الطائف هو الذي يطوف بالشئ دون غيره والطارئ من غربة لا يستحق اسم طائف بالبيت ان لم يطف به ﴿القول في تأويل قوله تعالى (والعاكفين)﴾ يعني تعالى ذكره بقوله والعاكفين والمقيمين به والعاكف على الشئ هو المقيم عليه كما قال نابغة بني ذبيان

عكوفا لدى أبياتهم يثمدونهم * رمى الله في تلك الأكف الكوانع

وانما قيل للمعتكف معتكف من أجل مقامه في الموضع الذي حبس فيه نفسه لله تعالى ثم اختلف أهل التأويل فيمن عنى الله بقوله والعاكفين فقال بعضهم عني به الجالس في البيت الحرام بغير طواف ولا صلاة ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن أبي بكر الهذلي عن عطاء قال اذا كان طائفا بالبيت فهو من الطائفين واذا كان جالسا فهو من العاكفين وقال بعضهم العاكفون هم المعتكفون المجاورون ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد الزبيري قال ثنا شريك عن جابر عن مجاهد وعكرمة طهرا بيتي للطائفين والعاكفين قال المجاورون وقال بعضهم العاكفون هم أهل البلد الحرام ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو بكر ابن عياش قال ثنا أبو حصين عن سعيد بن جبير في قوله والعاكفين قال أهل البلد حدثنا بشر ابن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة والعاكفين قال العاكفون أهله وقال آخرون العاكفون هم المصلون ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس في قوله طهرا بيتي للطائفين والعاكفين قال العاكفون المصلون وأولى هذه التأويلات بالصواب ما قاله عطاء وهو أن العاكف في هذا الموضع المقيم في البيت مجاورا فيه بغير طواف ولا صلاة لان صفة العكوف ما وصفنا من الاقامة بالمكان والمقيم بالمكان قد يكون مقيما به وهو جالس ومصل وطائف وقائم وعلى غير ذلك من الاحوال فلما كان تعالى ذكره قد ذكر في قوله أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود المصلين والطائفين علم بذلك أن الحال التي عنى الله تعالى ذكره من العاكف غير حال المصلي والطائف وان التي عنى من أحواله هو العكوف بالبيت على سبيل الجوار فيه وان لم يكن مصليا فيه ولا راكعا ولا ساجدا ﴿القول في تأويل قوله (والركع السجود)﴾ يعني تعالى ذكره بقوله والركع جماعة القوم الراكعين فيه له واحدهم راكع وكذلك السجود هم جماعة القوم الساجدين فيه له واحدهم ساجد كما يقال رجل قاعد ورجال قعود ورجل جالس ورجال جلوس فكذلك رجل ساجد ورجال سجود وقيل بل عنى بالركع السجود المصلين ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال

حدثنا

قيل لها ما كسبت أي ثوابه يريد اني اقتصصت عليكم أخبارهم وما كانوا عليه من الدعوة الى الاسلام فليس لكم نفع في سيرتهم دون أن تفعلوا ما فعلوه فان أنتم فعلتم ذلك فزتم كما فازوا وان أبيتم خسرتم أنتم دونهم ولا تسئلون عما كانوا يعملون لا تؤاخذون بسيآتهم كما لا ينفعكم حسناتهم وفيه تكذيب لليهود حيث قالوا انهم يعذبون أياما معدودة لكفر آبائهم باتخاذ العجل وفي الآية وعيد شديد للابناء اذا لم يعملوا بعمل الآباء قال صلى الله عليه وسلم يا صفية عمة محمد يا فاطمة بنت محمد ائتوني يوم القيامة بأعمالكم لا بأنسابكم فاني لا أغني عنكم من الله شيأ من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه ثم الآية تدل على أن للعبد كسبا ولكن الائمة اختلفوا في تفسيره فالاشعري على أنه لا تأثير لقدرة العبد في مقدور أصلا لانه لو كان موجدا لافعاله لكان عالما بتفاصيل فعله وليس كذلك ولما وقع الا ما أراده العبد وليس كذلك بل المقدور والقدرة كلاهما واقع بقدرة الله تعالى لكن الشئ الذي حصل بخلق الله وهو متعلق القدرة الحادثة هو الكسب واعترض عليه بان مقدور العبد اذا كان واقعا بخلق الله تعالى فاذا خلقه فيه استحال من العبد أن لا يتصف حينئذ به واذا لم يخلقه فيه استحال أن يتصف به فأي معنى لكون العبد قادرا عليه وأيضا الذي هو مكتسب العبد اما أن يكون واقعا بقدرة الله فلا أثر للعبد فلا يكون

حدثنا وكيع عن أبي بكر الهذلي عن عطاء والركع السجود قال اذا كان يصلي فهو من الركع السجود حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والركع السجود أهل الصلاة وقد بينا فيما مضى بيان معنى الركوع والسجود فاغنى ذلك عن اعادته ههنا ﴿ القول في تاويل قوله تعالى (واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا) يعني تعالى ذكره بقوله واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا واذكروا اذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد بلدا آمنا يعني بقوله آمنا آمنا من الجبارة وغيرهم أن يسلطوا عليه ومن عقوبة الله أن تناله كما تنال سائر البلدان من خسف وانتقال وغرق وغير ذلك من سخط الله ومثلاته التي تصيب سائر البلاد غيره كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا أن الحرم حرم بحياله الى العرش وذكر لنا أن البيت هبط مع آدم حين هبط قال الله له أهبط معك بيتي يطاف حوله كما يطاف حول عرشي فطاف حوله آدم ومن كان بعده من المؤمنين حتى اذا كان زمان الطوفان حين أغرق الله قوم نوح رفعه وطهره ولم تصبه عقوبة أهل الارض فتتبع منه ابراهيم أثرا فبناه على أساس قديم كان قبله فان قال لنا قائل أوما كان الحرم آمنا الا بعد أن سأل ابراهيم ربه له الامان قيل له لقد اختلف في ذلك فقال بعضهم لم يزل الحرم آمنا من عقوبة الله وعقوبة جبابرة خلقه منذ خلقت السموات والارض واعتلوا في ذلك بما حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس ابن بكير عن محمد بن اسحق قال حدثني سعيد بن أبي سعيد المقبري قال سمعت أبا شريح الخزاعي يقول لما افتتحت مكة قتلت خزاعة رجلا من هذيل فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا فقال يا أيها الناس ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهي حرام بحرمة الله الى يوم القيامة لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما أو يعضد بها شجرا ألا وانها لا تحل لاحد بعدي ولم تحل لي الا هذه الساعة غضبا على أهلها ألا فهي قد رجعت على حالها بالامس ألا ليبلغ الشاهد الغائب فمن قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل بها فقولوا ان الله قد أحلها لرسوله ولم يحللها لك حدثنا أبو كريب قال ثنا عبد الرحيم بن سليمان وحدثنا ابن حميد وابن وكيع قالا ثنا جرير جميعا عن يزيد بن أبي زياد عن مجاهد عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمكة حين افتتحها هذه حرم حرمها الله يوم خلق السموات والارض وخلق الشمس والقمر ووضع هذين الاخشبين لم تحل لاحد قبلي ولا تحل لاحد بعدي أحلت لي ساعة من نهار (قالوا) فمكة منذ خلقت حرم آمن من عقوبة الله وعقوبة الجبابرة (قالوا) وقد أخبرت عن صحة ما قلنا من ذلك الرواية الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم التي ذكرناها (قالوا) ولم يسأل ابراهيم ربه أن يؤمنه من عقوبته وعقوبة الجبابرة ولكنه سأله أن يؤمن أهله من الجدوب والقحوط وأن يرزق ساكنه من الثمرات كما أخبر ربه عنه أنه سأله بقوله واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر (قالوا) وانما سأل ربه ذلك لانه أسكن فيه ذريته وهو غير ذي زرع ولا ضرع فاستعاذ ربه من أن يهلكهم بها جوعا وعطشا فسأله أن يؤمنهم مما حذر عليهم منه (قالوا) وكيف يجوز أن يكون ابراهيم سأل ربه تحريم الحرم وأن يؤمنه من عقوبته وعقوبة جبابرة خلقه وهو القائل حين حله ونزله باهله وولده ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم قالوا فلو كان ابراهيم هو الذي حرم الحرم أو سأل ربه تحريمه لما قال عند بيتك المحرم عند نزوله به ولكنه حرم قبله وحرم بعده وقال آخرون كان الحرم حلالا قبل دعوة ابراهيم كسائر البلاد غيره وانما صار حراما بتحريم ابراهيم اياه كما كانت مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم حلالا قبل تحريم رسول الله صلى الله عليه وسلم اياها قالوا والدليل على

مكتسباله وان وقع بالقدرتين معا فلا تكون قدرة الله تعالى مستقلة والمفروض بالخلاف فبقي أن يكون بقدرة العبد وعن القاضي أن ذات الفعل واقعة بقدرة الله تعالى ثم يحصل لذلك الفعل صفة طاعة أو صفة معصية فهذه الصفة تقع بقدرة العبد وضعف بان المحرم من الجلوس في الدار المغصوبة ليس الاشغل تلك الاحياز فهذا الشغل ان حصل بفعل الله تعالى فعين المنهي عنه قد خلقه الله فيه وهذا تكليف ما لا يطاق وان حصل بقدرة العبد فهو المطلوب وزعم الاستاذ أبو اسحق الاسفرايني أن ذات الفعل تقع بالقدرتين وزيف بان قدرة الله مستقلة بالتأثير ومنهم من زعم أن القدرة الحادثة مع الداعي توجب الفعل فالله تعالى هو الخالق للكل

ماقلنامن ذلك ماحدثنابه ابن بشار قال ثنا عبدالرحمن بن مهدى قال ثناسفيان عن أبى الزبير
عن جابر بن عبدالله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابراهيم حرم بيت الله وأمنه وانى
حرمت المدينة مابين لابتيها لايصاد صيدها ولا تقطع عضاهها حدثنا أبو كريب وأبو السائب
قالا ثنا عبدالرحيم الرازى سمعت أشعث عن نافع عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان ابراهيم كان عبدالله وخليله وانى عبدالله ورسوله وان ابراهيم حرم مكة وانى حرمت
المدينة مابين لابتيها عضاهها وصيدها ولا يحمل فيها سلاح لقتال ولا يقطع منها شجر الالعلف بعير
حدثنا أبو كريب قال ثنا قتيبة بن سعيد قال ثنا بكر بن مضر عن ابن الهاد عن أبى بكر بن
محمد عن عبدالله بن عمرو بن عثمان عن رافع بن خديج قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
ابراهيم حرم مكة وانى أحرم المدينة مابين لابتيها وما أشبه ذلك من الاخبار التى يطول باستيعابها
الكتاب (قالوا) وقد أخبر الله تعالى ذكره فى كتابه ان ابراهيم قال رب اجعل هذا بلدا آمنا ولم يخبر عنه
أنه سأل أن يجعله آمنا من بعض الاشياء دون بعض فليس لاحد أن يدعى ان الذى سأله من ذلك
الامان له من بعض الاشياء دون بعض الا بحجة يجب التسليم لها قالوا وأما خبر أبى شريح وابن
عباس فخبران لاتثبت بهما حجة لما فى أسانيدهما من الاسباب التى لايجب التسليم فيهما من أجلها
والصواب من القول فى ذلك عندنا أن الله تعالى ذكره جعل مكة حرما حين خلقها وأنشأها كما أخبر
النبى صلى الله عليه وسلم انه حرمها يوم خلق السموات والارض بغير تحريم منه لها على لسان أحد
من أنبيائه ورسله ولكن بمنعه من أرادها بسوء وبدفعه عنها من الآفات والعقوبات وعن ساكنيها
ما أحل بغيرها وغير ساكنيها من النقمات فلم يزل ذلك أمرها حتى بوأها الله ابراهيم خليله
وأسكن بها أهله هاجر وولده اسمعيل فسأل حينئذ ابراهيم ربه ايجاد فرض تحريمها على عباده
على لسانه ليكون ذلك سنة لمن بعده من خلقه يستنون به فيها اذ كان تعالى ذكره قد اتخذه خليلا
وأخبره أنه جاعله للناس اماما يقتدى به فاجابه ربه الى ماسأله وألزم عباده حينئذ فرض تحريمه
على لسانه فصارت مكة بعد أن كانت ممنوعة بمنع الله اياها بغير ايجاب الله فرض الامتناع منها على
عباده ومحرمة بدفع الله عنها بغير تحريمه اياها على لسان أحد من رسله فرض تحريمها على خلقه
على لسان خليله ابراهيم عليه السلام وواجب على عباده الامتناع من استحلالها واستحلال صيدها
وعضاهها بايجابه الامتناع من ذلك ببلاغ ابراهيم رسالة الله اليه بذلك اليهم فلذلك أضيف تحريمها
الى ابراهيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله حرم مكة لان فرض تحريمها الذى ألزم الله عباده
على وجه العبادة له به دون التحريم الذى لم يزل متعبدا لها به على وجه الكلاء والحفظ لها قبل ذلك
كان عن مسئلة ابراهيم ربه ايجاب فرض ذلك على لسانه لزم العباد فرضه دون غيره فقد تبين اذا بما
قلنا صحة معنى الخبرين أعنى خبر أبى شريح وابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله
حرم مكة يوم خلق الشمس والقمر وخبر جابر وأبى هريرة ورافع بن خديج وغيرهم أن النبى صلى الله
عليه وسلم قال اللهم ان ابراهيم حرم مكة وأن ليس أحدهما دافعا صحة معنى الآخر كما ظنه بعض
الجهال وغير جائز فى أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون بعضها دافعا بعضا اذا ثبت صحتها
وقد جاء الخبران اللذان رويا فى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مجيئا ظاهرا مستفيضا يقطع
عذر من بلغه وقول ابراهيم عليه السلام ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك
المحرم فانه ان يكن قال قبل ايجاب الله فرض تحريمه على لسانه على خلقه فانما عنى بذلك تحريم
الله اياه الذى حرمه بحياطته اياه وكلائه من غير تحريمه اياه على خلقه على وجه التعبد لهم بذلك
وان يكن قال ذلك بعد تحريم الله اياه على لسانه على خلقه على وجه التعبد فلا مسئلة لاحد علينا فى

بمعنى أنه سبحانه هو الذى وضع
الاسباب المؤدية الى دخول هذه
الافعال فى الوجود والعبد هو
المكتسب بمعنى أن المؤثر فى
وقوع فعله هو القدرة والداعية
القائمتان به والى هذا ذهب
امام الحرمين وهو مناسب لقول
الفلاسفة وزعم جمهور المعتزلة أن
القدرة مع الداعى لاتوجب الفعل
بل العبد قادر على الفعل والترك
متمكن منهما ان شاء فعل وان شاء
ترك وهذا هو الفعل والكسب
فهذا تقرير المذاهب وقول الاشعرى
أقرب الى الادب وقول امام الحرمين
أقرب الى التحقيق لان نسبة الاثر الى
المؤثر القريب لاتنافى كون ذلك
المؤثر منسوبا الى أثر آخر بعيد
ثم الى أبعد الى أن ينتهى الى مسبب
الاسباب وفاعل الكل ومبدأ

ذلك

ذلك ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر) وهذه مسئلة من ابراهيم ربه أن يرزق مؤمنى أهل مكة من الثمرات دون كافريهم وخص بمسئلة ذلك للؤمنين دون الكافرين لما أعلمه الله عند مسئلته اياه أن يجعل من ذريته أئمة يقتدى بهم أن منهم الكافر الذى لا ينال عهده والظالم الذى لا يدرك ولايته فلما أن علم أن من ذريته الظالم والكافر خص بمسئلته ربه أن يرزق من الثمرات من سكان مكة المؤمن منهم دون الكافر وقال الله له انى قد أجبت دعاءك وسأرزق مع مؤمنى أهل هذا البلد كافرهم فامتعه به قليلا وأما من من قوله من آمن منهم بالله واليوم الآخر فانه نصب على الترجمة والبيان عن الاهل كما قال تعالى يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه بمعنى يسئلونك عن قتال فى الشهر الحرام وكما قال تعالى ذكره ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا بمعنى ولله حج البيت على من استطاع اليه سبيلا وانما سأل ابراهيم ربه ما سأل من ذلك لانه حل بواد غير ذى زرع ولا ماء ولا أهل فسأل أن يرزق أهله ثمرا وأن يجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم فذكر أن ابراهيم لما سأل ذلك ربه نقل الله الطائف من فلسطين حدثنى المثنى قال ثنا اسحق بن الحجاج قال ثنا هشام قال قرأت على محمد بن مسلم أن ابراهيم لما دعا للحرم وارزق أهله من الثمرات نقل الله الطائف من فلسطين ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (قال ومن كفر فأمتعه قليلا) اختلف أهل التأويل فى قائل هذا القول وفى وجه قراءته فقال بعضهم قائل هذا القول ربنا تعالى ذكره وتأويله على قولهم قال ومن كفر فأمتعه قليلا برزقى من الثمرات فى الدنيا الى أن يأتيه أجله وقرأ قائل هذه المقالة ذلك فأمتعه قليلا بتشديد التاء ورفع العين ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قال حدثنى أبو العالية عن أبى بن كعب فى قوله ومن كفر فامتعه قليلا ثم أضطره الى عذاب النار قال هو قول الرب تعالى ذكره حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال ابن اسحق لما قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر وعدل الدعوة عمن أبى الله أن يجعل له الولاية انقطاعا الى الله ومحبة وفراقا لمن خالف أمره وان كانوا من ذريته حين عرف أنه كان منهم ظالم لا ينال عهده بخبره عن ذلك حين أخبره فقال الله ومن كفر فانى أرزق البر والفاجر فامتعه قليلا وقال آخرون بل قال ذلك ابراهيم خليل الرحمن على وجه المسئلة منه ربه أن يرزق الكافر أيضا من الثمرات بالبلد الحرام مثل الذى يرزق به المؤمن ويمتعه بذلك قليلا ثم اضطره الى عذاب النار بتخفيف التاء وجزم العين وفتح الراء من اضطره وفصل ثم اضطره بغير قطع ألفها على وجه الدعاء من ابراهيم ربه لهم والمسئلة ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قال قال أبو العالية كان ابن عباس يقول ذلك قول ابراهيم يسأل ربه أن من كفر فأمتعه قليلا حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال حدثنا ابن أبى جعفر عن ليث عن مجاهد ومن كفر فأمتعه قليلا يقول ومن كفر فارزقه أيضا ثم اضطره الى عذاب النار والصواب من القراءة فى ذلك عندنا والتأويل ما قاله أبى بن كعب وقراءته لقيام الحجة بالنقل المستفيض دراية بتصويب ذلك وشذوذ ما خالفه من القراءة وغير جائز الاعتراض عمن كان جائزا عليه فى نقله الخطأ والسهو على من كان ذلك غير جائز عليه فى نقله واذ كان ذلك كذلك فتأويل الآية قال الله يا ابراهيم قد أجبت دعوتك ورزقت مومنى أهل هذا البلد من الثمرات وكفارهم متاعا لهم الى بلوغ آجالهم ثم أضطر كفارهم بعد ذلك الى النار وأما قوله فامتعه قليلا يعنى فاجعل ما أرزقه من ذلك فى حياته متاعا يتمتع به الى وقت مماته وانما قلنا ان

المبادى واليك الاختيار بعقلك دون هواك ✱ التأويل من قوله واذ ابتلى البلاء للولاء كاللهب للذهب فأصدقهم ولاء أشدهم بلاء واذا ابتلى الخليل بكلمات هى أحكام النبوة الخصال العشر فى جسده ولوازم الرسالة الصبر عند صدمات المكروهات وفقدان المألوفات وموجبات الخلة التبرى عما سوى الخليل انى برىء مما تشركون وعداوة غير الخليل فانهم عدو لى الا رب العالمين ورفع الوسائط حيث قال له جبريل فى الهواء هل لك من حاجة فقال أما اليك فلا والتسليم أسلمت لرب العالمين والرضا بما أمر به عند ذبح الولد فلما أسلما وتله للجبين بخلاف ما قال نوح ان ابنى من أهلى فلا جرم زيد له فى الاصطفاء وشرف بكرامة الامامة والاقتداء به

ذلك كذلك لان الله تعالى ذكره انما قال ذلك لابراهيم جوابا لمسئلته ما سأل من رزقه الثمرات لمؤمني
أهل مكة فكان معلوما بذلك أن الجواب انما هو فيما سأله ابراهيم لا في غيره وبالذي قلنا في ذلك
قال مجاهد وقد ذكرنا الرواية بذلك عنه وقال بعضهم تأويله فأمتعه بالبقاء في الدنيا وقال غيره
فأمتعه قليلا في كفره ما أقام بمكة حتى أبعث محمدا صلى الله عليه وسلم فيقتله ان أقام على كفره
أو يجليه عنها وذلك وان كان وجها يحتمله الكلام فان دليل ظاهر الكلام على خلافه لما وصفنا
﴿ القول في تأويل قوله تعالى (ثم أضطره الى عذاب النار) يعني تعالى ذكره بقوله ثم أضطره
الى عذاب النار ثم أدفعه الى عذاب النار وأسوقه اليها كما قال تعالى ذكره يوم يدعون الى نار جهنم
دعا ومعنى الاضطرار الاكراه يقال اضطررت فلانا الى هذا الامر اذا ألجأته اليه وحملته عليه فذلك
معنى قوله ثم أضطره الى عذاب النار أدفعه اليها وأسوقه سحبا وجرا على وجهه ﴿ القول في تأويل
قوله تعالى (وبئس المصير) قد دللنا على أن بئس أصله بئس من البؤس سكن ثانيه ونقلت حركة ثانيه
الى أوله كما قيل للكبد كبد وما أشبه ذلك ومعنى الكلام وساء المصير عذاب النار بعد الذي كانوا فيه
من متاع الدنيا الذي متعتهم فيها وأما المصير فانه مفعل من قول القائل صرت مصيرا صالحا وهو
الموضع الذي يصير اليه الكافر بالله من عذاب النار ﴿ القول في تأويل قوله تعالى (واذ يرفع ابراهيم
القواعد من البيت واسمعيل) يعني تعالى ذكره بقوله واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واذكروا
اذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت والقواعد جمع قاعدة يقال للواحدة من قواعد البيت قاعدة
وللواحدة من قواعد النساء وعجائزهن قاعد فتلغى هاء التأنيث لانها فاعل من قول القائل قعدت
عن الحيض ولا حظ فيه للذكورة كما يقال امرأة طاهر وطامث لانه لا حظ في ذلك للذكور ولو عني
به القعود الذي هو خلاف القيام لقيل قاعدة ولم يجز حينئذ اسقاط هاء التأنيث وقواعد البيت اساسه
ثم اختلف أهل التأويل في القواعد التي رفعها ابراهيم واسمعيل من البيت أهما أحدثا ذلك أم هي
قواعد كانت له قبلهما فقال قوم هي قواعد بيت كان بناه آدم أبو البشر بامر الله اياه بذلك ثم درس
مكانه وتعفى أثره بعده حتى بوأه الله ابراهيم عليه السلام فبناه ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن
ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن جريج عن عطاء قال قال آدم يارب اني لا أسمع
أصوات الملائكة قال بخطيئتك ولكن اهبط الى الارض وابن لي بيتا ثم احفف به كما رأيت
الملائكة تحف ببيتي الذي في السماء فيزعم الناس أنه بناه من خمسة أجبل من حراء وطور زيتا
وطور سينا وجبل لبنان والجودي وكان ربضه من حراء فكان هذا بناء آدم حتى بناه ابراهيم بعد
حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أيوب عن سعيد بن جبير
عن ابن عباس واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت قال القواعد التي كانت قواعد البيت قبل
ذلك وقال آخرون بل هي قواعد بيت كان الله أهبطه لآدم من السماء الى الارض يطوف به كما
كان يطوف بعرشه في السماء ثم رفعه الى السماء أيام الطوفان فرفع ابراهيم قواعد ذلك البيت
ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن بشار قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا أيوب عن أبي قلابة عن عبد الله
ابن عمرو قال لما أهبط الله آدم من الجنة قال اني مهبط معك أو منزل معك بيتا يطاف حوله كما يطاف
حول عرشي ويصلى عنده كما يصلى عند عرشي فلما كان زمن الطوفان رفع فكانت الانبياء يحجونه
ولا يعلمون مكانه حتى بوأه الله ابراهيم وأعلمه مكانه فبناه من خمسة أجبل من حراء وثبير ولبنان وجبل
الطور وجبل الخمر حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا اسمعيل بن علية قال ثنا أيوب عن أبي قلابة
قال لما أهبط آدم ثم ذكر نحوه حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا هشام بن

واذ جعلنا البيت بيت القلب كما جاء ان
الله تعالى أوحى الى داود فرغ لي بيتا
أسكن فيه فقال وكيف يارب فقال
فرغ لي قلبك أي جعلنا القلب
الانساني مثابة للناس ترجعون
اليه باطلابي وزواري كما ترجعون
الى الكعبة في الصورة ومأمنا للسالك
من تصرفات الشيطان ومكايده
حين بلغ منزل القلب لأن القلب
خزانة الحق محروسة من دخول
الشيطان وانما جولان لص
الشيطان في ميادين الصدور كقوله
يوسوس في صدور الناس واتخذوا
عند الوصول الى كعبة القلب من
مقام ابراهيم وهو الخلة قبلة توجهكم
ليكون قصدكم الي لا الى غيري كما قال
ابراهيم اني ذاهب الى ربي سيهدين
وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل في
الميثاق أن طهرا القلب من أدناس

حسان عن سوار عن عطاء بن أبي رباح قال لما أهبط الله آدم من الجنة كان رجلاه في الارض ورأسه في السماء يسمع كلام أهل السماء ودعاءهم يأنس اليهم فهابته الملائكة حتى شكت الى الله في دعائها وفي صلاتها فخفضه الى الارض فلما فقد ما كان يسمع منهم استوحش حتى شكا ذلك الى الله في دعائه وفي صلاته فوجه الى مكة فكان موضع قدمه قرية وخطوه مفازة حتى انتهى الى مكة وأنزل الله ياقوتة من ياقوت الجنة فكانت على موضع البيت الآن فلم يزل يطوف به حتى أنزل الله الطوفان فرفعت تلك الياقوتة حتى بعث الله ابراهيم فبناه فذلك قول الله واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت حدثنا الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال وضع الله البيت مع آدم حين أهبط الله آدم الى الارض وكان مهبطه بارض الهند وكان رأسه في السماء ورجلاه في الارض فكانت الملائكة تهابه فنقص الى ستين ذراعا فحزن آدم اذ فقد أصوات الملائكة وتسبيحهم فشكا ذلك الى الله تعالى فقال الله يا آدم اني قد أهبطت اليك بيتا تطوف به كما يطاف حول عرشي وتصلي عنده كما يصلى عند عرشي فانطلق اليه آدم فخرج ومدله في خطوه فكان بين كل خطوتين مفازة فلم تزل تلك المفاوز بعد ذلك فأتى آدم البيت وطاف به ومن بعده من الانبياء حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أبان ان البيت أهبط ياقوتة واحدة أو درة واحدة حتى اذا أغرق الله قوم نوح رفعه وبقي أساسه فبوأه الله لابراهيم فبناه بعد ذلك وقال آخرون بل كان موضع البيت ربوة حمراء كهيئة القبة وذلك أن الله لما أراد خلق الارض علا الماء زبدة حمراء أو بيضاء وذلك في موضع البيت الحرام ثم دحا الارض من تحتها فلم يزل ذلك كذلك حتى بوأه الله ابراهيم فبناه على أساسه وقالوا أساسه على أركان أربعة في الارض السابعة ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال جرير بن حازم حدثني حميد بن قيس عن مجاهد قال كان موضع البيت على الماء قبل أن يخلق الله السموات والارض مثل الزبدة البيضاء ومن تحته دحيت الارض حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن جريج قال قال عطاء وعمرو بن دينار بعث الله رياحا فصفقت الماء فأبرزت في موضع البيت عن حشفة كأنها القبة فهذا البيت منها فلذلك هي أم القرى قال ابن جريج قال عطاء ثم وتدها بالجبال كي لا تكفأ بميد فكان أول جبل أبو قبيس حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب القمي عن حفص بن حميد عن عكرمة عن ابن عباس قال (١) وضع البيت على أركان الماء على أربعة أركان قبل أن تخلق الدنيا بألفي عام ثم دحيت الارض من تحت البيت حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن هرون بن عنترة عن عطاء بن أبي رباح قال وجدوا بمكة حجرا مكتوبا عليه اني أنا الله ذو بكة بنيته يوم صنعت الشمس والقمر وحففته بسبعة أملاك حفا حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال حدثني عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد وغيره من أهل العلم أن الله لما بوأ ابراهيم مكان البيت خرج اليه من الشام وخرج معه باسمعيل وأمه هاجر واسمعيل طفل صغير يرضع وحملوا فيما حدثني على البراق ومعه جبريل يدله على موضع البيت ومعالم الحرم فخرج وخرج معه جبريل فقال كان لا يمر بقرية الا قال أبهذه أمرت يا جبريل فيقول جبريل امضه حتى قدم به مكة وهي اذ ذاك عضاه سلم وسمر بها أناس يقال لهم العماليق خارج مكة وما حولها والبيت يومئذ ربوة حمراء مدرة فقال ابراهيم لجبريل أههنا أمرت أن أضعهما قال نعم فعمد بهما الى موضع الحجر فأنزلهما فيه وأمر هاجر أم اسمعيل أن تتخذ فيه عريشا فقال رب اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم الى قوله لعلهم يشكرون قال ابن حميد قال سلمة قال ابن اسحق ويزعمون والله أعلم أن ملكا من الملائكة أتى هاجر أم اسمعيل حين أنزلهما ابراهيم مكة قبل أن يرفع

تعلقات الكونين وأوضار ملاحظة الاغيار للطائفين وهي واردات الاحوال والعاكفين وهي الملكات والمقامات والركع السجود وهي صفات القلب المطهرة من الارادة والصدق والاخلاص والتواضع والخوف والرجاء والتسليم والرضا والتوكل وجملة هذه الصفات العبودية واذ قال ابراهيم الآية لما أهبط آدم الروح الى الارض الجسد وفقد ما كان يجد من روائح ألطاف الحق في جنة حظيرة القدس استوحش فانزل الله تعالى ياقوتة القلب من جنة حظيرة القدس له بابان شرقي الى حظيرة رب العالمين تطلع منها شوارق الالطاف وباب غربي الى عالم الجسد وفيه قناديل العقل وأنزل حجر الذرة المخاطبة بخطاب ألست بربكم منور راينور ر

(١) قوله وضع البيت على أركان الماء الخ هكذا في الاصل وعبارة الدر المنثور كان البيت على أربعة أركان في الماء الخ كتبه مصححه

ابراهيم واسمعيل القواعد من البيت فأشار لهما الى البيت وهو ربوة حمراء مدرة فقال لهما هذا أول
بيت وضع فى الارض وهو بيت الله العتيق واعلمى أن ابراهيم واسمعيل هما رفعانه فالله أعلم حدثنى
الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا هشام بن حسان قال أخبرنى حميد عن مجاهد
قال خلق الله موضع هذا البيت قبل أن يخلق شيأ من الارض بالفى سنة وأركانه فى الارض السابعة
حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة قال أخبرنى بشر بن عاصم عن ابن
المسيب قال حدثنا كعب أن البيت كان غثاءة على الماء قبل أن يخلق الله الارض بأربعين سنة ومنه
دحيت الارض قال وحدثنا عن على بن أبى طالب أن ابراهيم أقبل من أرمينية معه السكينة (١)
تدله على تبوئ البيت كما تبوأ العنكبوت بيتها قال فرفعت عن أحجار تطيقه أولا تطيقه ثلاثون رجلا
قال قلت يا أبا محمد فان الله يقول واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت قال كان ذلك بعد * والصواب
من القول فى ذلك عندنا أن يقال ان الله تعالى ذكره أخبر عن ابراهيم خليله أنه وابنه اسمعيل رفعا
القواعد من البيت الحرام وجائز أن يكون ذلك قواعد بيت كان أهبطه مع آدم فجعله مكان البيت
الحرام الذى بمكة وجائز أن يكون ذلك كان القبة التى ذكرها عطاء مما أنشأه الله من زبد الماء
وجائز أن يكون كان ياقوتة أودرة أهبطا من السماء وجائز أن يكون كان آدم بناه ثم انهدم حتى
رفع قواعده ابراهيم واسمعيل ولا علم عندنا بأى ذلك كان من أى لان حقيقة ذلك لا تدرك الا بخبر
عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وسلم بالنقل المستفيض ولا خبر بذلك تقوم به الحجة فيجب التسليم
لها ولا هو اذ لم يكن به خبر على ما وصفنا مما يدل عليه بالاستدلال والمقاييس فيمثل بغيره و يستنبط
علمه من جهة الاجتهاد فلا قول فى ذلك هو أولى بالصواب مما قلنا والله تعالى أعلم ﴿ القول فى تأويل
قوله تعالى (ربنا تقبل منا) يعنى تعالى ذكره بذلك واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل
يقولان ربنا تقبل منا وذكر أن ذلك كذلك فى قراءة ابن مسعود وهو قول جماعة من أهل التأويل
ذكر من قال ذلك حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال يبنيان
وهما يدعوان الكلمات التى ابتلى بها ابراهيم ربه قال ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم ربنا
واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ربنا وابعث فيهم رسولا منهم حدثنا القاسم قال
ثنا الحسين قال حدثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى ابن كثير قال ثنا سعيد بن جبير عن ابن
عباس واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل قال هما يرفعان القواعد من البيت ويقولان
ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم قال واسمعيل يحمل الحجارة على رقبته والشيخ يبنى فتأويل
الآية على هذا القول واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل قائلين ربنا تقبل منا وقال
آخرون بل قائل ذلك كان اسمعيل فتأويل الآية على هذا القول واذ يرفع ابراهيم القواعد من
البيت واذ يقول اسمعيل ربنا تقبل منا فيصير حينئذ اسمعيل مرفوعا بالجملة التى بعده ويقول حينئذ
خبر له دون ابراهيم ثم اختلف أهل التأويل فى الذى رفع القواعد بعد اجماعهم على أن ابراهيم
كان ممن رفعها فقال بعضهم رفعها ابراهيم واسمعيل جميعا ذكر من قال ذلك حدثنى موسى بن
هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدى وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل أن
طهرا بيتى للطائفين قال فانطلق ابراهيم حتى أتى مكة فقام هو واسمعيل وأخذا المعاول لا يدريان

جواب بلى قد ألقم كتاب العهد يوم
الميثاق وهو يمين الله فى أرضه فلما
كان طوفان آفات الصفات البشرية
من الطفولية الى البلوغ وفار تنور
الشهوات رفع بيت معمور القلب
الى السماء الرابعة يعنى حجب
أستار خواص العناصر الاربع
وخبئ حجر الذرة فى أبى قبيس
صفات النفس فلما أمر ابراهيم
الروح بعد البلوغ ببناء بيت القلب
وعمارته من خمس أجبل أركان
الاسلام وقد اهتدى الى موضع بيت
القلب بدلالة بيت السكينة هو
الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين
فجعل اسمعيل النفس المطمئنة
يجىء بأحجار أعمال الشريعة من
جبال أركان الاسلام و يناولها
ابراهيم الروح وهو يبنى الى أن بلغ
موضع الحجر فنودى من أبى قبيس

(١) قوله تدله على تبوئ البيت الخ عبارة الدر المنثور تدله على موضع البيت كما تبنى العنكبوت
بيتها فحفر من تحت السكينة فأبدى عن قواعد البيت ما يحرك القاعدة منها دون ثلاثين رجلا قال
قلت يا أبا محمد الى آخر ما هنا فتأمل كتبه مصححه

أين البيت فبعث الله ريحا يقال لها ريح الخجوج لها جناحان ورأس فى صورة حية فكنست لهما ماحول الكعبة وعن أساس البيت الاول واتبعاها بالمعاول يحفران حتى وضعا الاساس فذلك حين يقول واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت فلما بنيا القواعد فبلغا مكان الركن قال ابراهيم لاسمعيل يابنى اطلب لى حجرا حسنا أضعه ههنا قال ياأبت انى كسلان تعب قال على بذلك فانطلق فطلب له حجرا فجاءه بحجر فلم يرضه فقال ائتنى بحجر أحسن من هذا فانطلق يطلب له حجرا وجاءه جبريل بالحجر الاسود من الهند وكان أبيض ياقوتة بيضاء مثل الثغامة وكان آدم هبط به من الجنة فاسود من خطايا الناس فجاءه اسمعيل بحجر فوجده عند الركن فقال ياأبت من جاءك بهذا فقال من هو أنشط منك فبنياه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن عمرو بن عبد الله بن عتبة عن عبيد بن عمير الليثى قال بلغنى أن ابراهيم واسمعيل هما رفعا قواعد البيت ٭ وقال آخرون بل رفع قواعد البيت ابراهيم وكان اسمعيل يناوله الحجارة ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن ثابت الرازى قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أيوب وكثير بن كثير بن المطلب بن أبى وداعة يزيد أحدهما على الآخر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال جاء ابراهيم واسمعيل يبرى نبلا قريبا من زمزم فلما رآه قام اليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد ثم قال يااسمعيل ان الله أمرنى بأمر قال فاصنع ما أمرك ربك قال وتعيننى قال وأعينك قال فان الله أمرنى أن أبنى ههنا بيتا وأشار الى الكعبة والكعبة مرتفعة على ماحولها قال فعند ذلك رفعا القواعد من البيت قال فجعل اسمعيل يأتى بالحجارة وابراهيم يبنى حتى اذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه وهو يبنى واسمعيل يناوله الحجارة وهما يقولان ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم حتى دور حول البيت حدثنا ابن بشار القزاز قال ثنا عبيد الله بن عبد المجيد أبو على الحنفى قال ثنا ابراهيم بن نافع قال سمعت كثير بن كثير يحدث عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال جاء يعنى ابراهيم فوجد اسمعيل يصلح نبلا من وراء زمزم قال ابراهيم يااسمعيل ان الله ربك قد أمرنى أن أبنى له بيتا فقال له اسمعيل فأطع ربك فيما أمرك فقال له ابراهيم قد أمرك أن تعيننى عليه قال اذا أفعل قال فقام معه فجعل ابراهيم يبنيه واسمعيل يناوله الحجارة ويقولان ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم فلما ارتفع البنيان وضعف الشيخ عن رفع الحجارة قام على حجر فهو مقام ابراهيم فجعل يناوله ويقولان ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم ٭ وقال آخرون بل الذى رفع قواعد البيت ابراهيم وحده واسمعيل يومئذ طفل صغير ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بشار ومحمد بن المثنى قالا ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن أبى اسحق عن حارثة بن مصرف عن على قال لما أمر ابراهيم ببناء البيت خرج معه اسمعيل وهاجر قال فلما قدم مكة رأى على رأسه فى موضع البيت مثل الغمامة فيه مثل الرأس فكلمه فقال ياابراهيم ابن على ظلى أو على قدرى ولا تزد ولا تنقص فلما بنى وخلف اسمعيل وهاجر فقالت هاجر ياابراهيم الى من تكلنا قال الى الله قالت انطلق فانه لا يضيعنا قال فعطش اسمعيل عطشا شديدا قال فصعدت هاجر الصفا فنظرت فلم ترشيأ ثم أتت المروة فنظرت فلم ترشيأ ثم رجعت الى الصفا فنظرت فلم ترشيأ حتى فعلت ذلك سبع مرات فقالت يااسمعيل مت حيث لا أراك فأتته وهو يفحص برجله من العطش فناداها جبريل فقال لها من أنت فقالت أنا هاجر أم ولد ابراهيم قال الى من وكلكما قالت وكلنا الى الله قال وكلكما الى كاف قال ففحص الارض باصبعه فنبعت زمزم فجعلت تحبس الماء فقال دعيه فانها رواء حدثنا عباد قال ثنا أبو الاحوص عن سماك عن خالد بن عرعرة أن رجلا قام الى على فقال ألا تخبرنى عن البيت أهو أول بيت وضع فى الارض فقال

الهوى ان لك عندى وديعة فخذها فخلص حجر الذرة من أستار صفات النفس والهوى فوضعه مكانه وكان أبيض فلما مسته حيض اللذات الدنيوية ومشركو الشهوات النفسانية فى جاهلية الطفولية اسود فلما فرغا من رفع قواعد بيت القلب سألا ربهما الاستسلام لاحكامه الظاهرة الشرعية والباطنة التى جف القلم بها فى الازل وكذا الذريتهما المتولدات من الصفات الروحانية والنفسانية وأن يبعث فيهم رسولا منهم لا من الخارج فمن لم يكن له فى القلب رسول وارد من الحق وهو السر لم يسمع كلام الرسول الخارجى ثم ان ابراهيم الروح يوصى لمتولداته من القلب وصفاته والسر وصفاته والنفس وصفاتها والقوى البشرية والحواس الخمس والاعضاء

لا ولكن هو أول بيت وضع فى البركة مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا وان شئت أنبأتك كيف بنى
ان الله أوحى الى ابراهيم أن ابن لى بيتا فى الارض قال فضاق ابراهيم بذلك ذرعا فارسل الله السكينة
وهى ريح خجوج ولها رأسان فاتبع أحدهما صاحبه حتى انتهت الى مكة فتطوت على موضع
البيت كتطوى الحجفة وأمر ابراهيم أن يبنى حيث تستقر السكينة فبنى ابراهيم وبقى حجر
فذهب الغلام يبغى شيأ فقال ابراهيم لا ابغنى حجرا كما آمرك قال فانطلق الغلام يلتمس له
حجرا فأتاه فوجده قد ركب الحجر الاسود فى مكانه فقال يا أبت من أتاك بهذا الحجر قال أتانى به من لم
يتكل على بنائك جاءبه جبريل من السماء فأتماه حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال
ثنا شعبة عن سماك قال سمعت خالد بن عرعرة يحدث عن على بنحوه حدثنا المثنى قال ثنا أبو
داود قال ثنا شعبة وحماد بن سلمة وأبو الاحوص كلهم عن سماك عن خالد بن عرعرة عن على بنحوه
فمن قال رفع القواعد ابراهيم واسمعيل أو قال رفعها ابراهيم وكان اسمعيل يناوله الحجارة فالصواب فى
قوله أن يكون المضمر من القول لابراهيم واسمعيل ويكون الكلام حينئذ واذ يرفع ابراهيم
القواعد من البيت واسمعيل يقولان ربنا تقبل منا وقد كان يحتمل على هذا التأويل أن يكون
المضمر من القول لاسمعيل خاصة دون ابراهيم ولابراهيم خاصة دون اسمعيل لولا ما عليه عامة أهل
التأويل من أن المضمر من القول لابراهيم واسمعيل جميعا وأما على التأويل الذى روى عن على
أن ابراهيم هو الذى رفع القواعد دون اسمعيل فلا يجوز أن يكون المضمر من القول عند ذلك الا
لاسمعيل خاصة والصواب من القول عندنا فى ذلك أن المضمر من القول لابراهيم واسمعيل وأن
قواعد البيت رفعها ابراهيم واسمعيل جميعا وذلك أن ابراهيم واسمعيل ان كانا هما بنياها ورفعاها
فهو ما قلنا وان كان ابراهيم تفرد ببنائها وكان اسمعيل يناوله فهما أيضا رفعاها لان رفعها كان بهما
من أحدهما البناء ومن الآخر نقل الحجارة اليها ومعونة وضع الاحجار مواضعها ولا تمتنع العرب من
نسبة البناء الى من كان بسببه البناء ومعونته وانما قلنا ما قلنا من ذلك لاجماع جميع أهل التأويل
على أن اسمعيل معنىّ بالخبر الذى أخبر الله عنه وعن أبيه أنهما كانا يقولانه وذلك قولهما ربنا
تقبل منا انك أنت السميع العليم فمعلوم أن اسمعيل لم يكن ليقول ذلك الا وهو اما رجل كامل واما
غلام قد فهم مواضع الضر من النفع ولزمته فرائض الله وأحكامه واذا كان فى حال بناء أبيه ما أمره
الله ببنائه ورفعه قواعد بيت الله كذلك فمعلوم أنه لم يكن تاركا معونة أبيه اما على البناء واما على نقل
الحجارة وأى ذلك كان منه فقد دخل فى معنى من رفع قواعد البيت وثبت أن القول المضمر خبر عنه
وعن والده ابراهيم عليهما السلام فتأويل الكلام واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل
يقولان ربنا تقبل منا عملنا وطاعتنا اياك وعبادتنا لك فى انتهائنا الى أمرك الذى أمرتنا به فى
بناء بيتك الذى أمرتنا ببنائه انك أنت السميع العليم وفى اخبار الله تعالى ذكره أنهما رفعا القواعد
من البيت وهما يقولان ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم دليل واضح على أن بناءهما ذلك
لم يكن مسكنا يسكنانه ولا منزلا ينزلانه بل هو دليل على أنهما بنياه ورفعا قواعده لكل من أراد أن
يعبد الله تقربا منهما الى الله بذلك ولذلك قالا ربنا تقبل منا ولو كانا بنياه مسكنا لانفسهما لم يكن
لقولهما تقبل منا وجه مفهوم لانه كانا يكونان لو كان الامر كذلك سائلين أن يتقبل منهما ما لا قربة
فيه اليه وليس موضعهما مسئلة الله قبول ما لا قربة اليه فيه ۞ القول فى تأويل قوله (انك أنت
السميع العليم) وتأويل قوله انك أنت السميع العليم انك أنت السميع دعاءنا ومسئلتنا اياك قبول
ما سألناك قبوله منا من طاعتك فى بناء بيتك الذى أمرتنا ببنائه العليم بما فى ضمائر نفوسنا من
الاذعان لك فى الطاعة والمصير الى ما فيه لك الرضا والمحبة وما نبدى ونخفى من أعمالنا كما حدثنى

والجوارح كلها ملته وفى الآيات
اشارة الى أنه تعالى اذا تجلى لروح
عبد مخلص متضرع اليه محب له
ظهرت آثار أنوار تجليه على قلبه
وسره ونفسه وقواه وحواسه
وجميع أعضائه ويخضعون له
بكليتهم فيعبدون إلها أحدا
لا متفرقا من الهوى والدنيا
والآخرة والله ولى التوفيق (وقالوا
كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل
بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من
المشركين قولوا آمنا بالله وما
أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم
واسمعيل واسحق ويعقوب
والاسباط وما أوتى موسى وعيسى
وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق
بين أحد منهم ونحن له مسلمون
فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد
اهتدوا وان تولوا فانما هم فى شقاق

القاسم قال ثنا الحسين قال حدثني حجاج قال قال ابن جريج أخبرني أبو كثير قال ثنا سعيد بن جبير عن ابن عباس تقبل منا انك أنت السميع العليم يقول تقبل منا انك سميع الدعاء ﴿ القول في تأويل قوله (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) وهذا أيضا خبر من الله تعالى ذكره عن ابراهيم واسمعيل أنهما كانا يرفعان القواعد من البيت وهما يقولان ربنا واجعلنا مسلمين لك يعنيان بذلك واجعلنا مستسلمين لأمرك خاضعين لطاعتك لا نشرك معك في الطاعة أحدا سواك ولا في العبادة غيرك وقد دللنا فيما مضى على أن معنى الاسلام الخضوع لله بالطاعة وأما قوله ومن ذريتنا أمة مسلمة لك فانهما خصا بذلك بعض الذرية لان الله تعالى ذكره قد كان أعلم ابراهيم خليله صلى الله عليه وسلم قبل مسئلته هذه أن من ذريته من لا ينال عهده لظلمه وفجوره فخصا بالدعوة بعض ذريتهما وقد قيل انهما عنيا بذلك العرب ذكر من قال ذلك حدثنا موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدي ومن ذريتنا أمة مسلمة لك يعنيان العرب وهذا قول يدل ظاهر الكتاب على خلافه لان ظاهره يدل على أنهما دعوا الله أن يجعل من ذريتهما أهل طاعته وولايته والمستجيبين لامره وقد كان في ولد ابراهيم العرب وغير العرب والمستجيب لامر الله والخاضع له بالطاعة من الفريقين فلا وجه لقول من قال عنى ابراهيم بدعائه ذلك فريقا من ولده بأعيانهم دون غيرهم الا التحكم الذي لا يعجز عنه أحد وأما الامة في هذا الموضع فانه يعني بها الجماعة من الناس من قول الله ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق ﴿ القول في تأويل قوله تعالى (وأرنا مناسكنا) اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأه بعضهم وأرنا مناسكنا بمعنى رؤية العين أي أظهرها لأعيننا حتى نراها وذلك قراءة عامة أهل الحجاز والكوفة وكان بعض من يوجه تأويل ذلك الى هذا التأويل يسكن الراء من أرنا غير أنه يشمها كسرة واختلف قائل هذه المقالة وقراء هذه القراءة في تأويل قوله مناسكنا فقال بعضهم هي مناسك الحج ومعالمه ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأرنا مناسكنا فأراهما الله مناسكهما الطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة والافاضة من عرفات والافاضة من جمع ورمي الجمار حتى أكمل الله الدين أو دينه حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله وأرنا مناسكنا قال أرنا نسكنا وحجنا حدثنا موسى قال حدثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال لما فرغ ابراهيم واسمعيل من بنيان البيت أمره الله أن ينادي فقال وأذن في الناس بالحج فنادى بين أخشبي مكة يا أيها الناس ان الله يأمركم أن تحجوا بيته قال فوقرت في قلب كل مؤمن فأجابه كل من سمعه من جبل أو شجر أو دابة لبيك لبيك فأجابوه بالتلبية لبيك اللهم لبيك وأتاه من أتاه فأمره الله أن يخرج الى عرفات ونعتها فخرج فلما بلغ الشجرة عند العقبة استقبله الشيطان فرماه بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة فطار فوقع على الجمرة الثانية أيضا فصده فرماه وكبر فطار فوقع على الجمرة الثالثة فرماه وكبر فلما رأى أنه لا يطيقه ولم يدر ابراهيم أين يذهب انطلق حتى أتى ذا المجاز فلما نظر اليه فلم يعرفه جاز فلذلك سمي ذا المجاز ثم انطلق حتى وقع بعرفات فلما نظر اليها عرف النعت قال قد عرفت فسميت عرفات فوقف ابراهيم بعرفات حتى اذا أمسى ازدلف الى جمع فسميت المزدلفة فوقف بجمع ثم أقبل حتى أتى الشيطان حيث لقيه أول مرة فرماه بسبع حصيات سبع مرات ثم أقام بمنى حتى فرغ من الحج وأمره وذلك قوله وأرنا مناسكنا وقال آخرون ممن قرأ هذه القراءة المناسك المذابح فكان تأويل هذه الآية على قول من قال ذلك وأرنا كيف ننسك لك يا ربنا نسائكنا فنذبحها لك ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا

فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون قل أتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون أم تقولون ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا أو نصارى قل أأنتم أعلم أم الله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون ﴾

القراآت أم تقولون بتاء الخطاب ابن عامر وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير أبي بكر والحماد والمفضل الباقون بياء الغيبة * الوقوف تهتدوا ط المشركين ٥ من ربهم ج لطول الكلام والاستئناف

عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن جريج عن عطاء وأرنا مناسكنا قال ذبحنا حدثنا الحسن ابن يحيى قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن ابن جريج عن عطاء قال مذابحنا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا المثنى قال حدثنا أبو حذيفة قال حدثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثنى حجاج عن ابن جريج قال قال عطاء سمعت عبيد بن عمير يقول وأرنا مناسكنا قال أرنا مذابحنا وقال آخرون وأرنا مناسكنا بتسكين الراء وزعموا أن معنى ذلك وعلمنا ودلنا عليها لا أن معناه أرناها بالابصار و زعموا أن ذلك نظير قول حطائط بن يعفر أخى الاسود بن يعفر

أرينى جوادا مات هزلا لأننى * أرى ما ترين أو بخيلا مخلدا

يعنى بقوله أرينى دلينى عليه وعرفينى مكانه ولم يعن به رؤية العين وهذه قراءة رويت عن بعض المتقدمين ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثنى حجاج عن ابن جريج قال قال عطاء أرنا مناسكنا أخرجها لنا علمناها حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن جريج قال قال ابن المسيب قال على بن أبى طالب لما فرغ ابراهيم من بناء البيت قال فعلت أى رب فأرنا مناسكنا أبرزها لنا علمناها فبعث الله جبريل فحج به والقول واحد فمن كسر الراء جعل علامة الجزم سقوط الياء التى فى قول القائل أرينه أرنه وأقر الراء مكسورة كما كانت قبل الجزم ومن سكن الراء من أرنا توهم أن اعراب الحرف فى الراء فسكنها فى الجزم كما فعلوا ذلك فى لم يكن ولم يك وسواء كان ذلك من رؤية العين أو من رؤية القلب ولا معنى لفرق من فرق بين رؤية العين فى ذلك و رؤية القلب وأما المناسك فانها جمع منسك وهو الموضع الذى ينسك لله فيه ويتقرب اليه فيه بما يرضيه من عمل صالح اما بذبح ذبيحة له واما بصلاة أو طواف أو سعى وغير ذلك من الاعمال الصالحة ولذلك قيل لمشاعر الحج مناسكه لانها أمارات وعلامات يعتادها الناس و يترددون اليها وأصل المنسك فى كلام العرب الموضع المعتاد الذى يعتاده الرجل و يألفه يقال لفلان منسك وذلك اذا كان له موضع يعتاده لخير أو شر ولذلك سميت المناسك مناسك لانها تعتاد و يتردد اليها بالحج والعمرة و بالاعمال التى يتقرب بها الى الله وقد قيل ان معنى النسك عبادة الله وأن الناسك انما سمى ناسكا بعبادة ربه فتأول قائلو هذه المقالة قوله وأرنا مناسكنا وعلمنا عبادتك كيف نعبدك وأين نعبدك وما يرضيك عنا فنفعله وهذا القول وان كان مذهبا يحتمله الكلام فان الغالب على معنى المناسك ما وصفنا قبل من أنها مناسك الحج التى ذكرنا معناها وخرج هذا الكلام من قول ابراهيم واسمعيل على وجه المسئلة منهما ربهما لانفسهما وانما ذلك منهما مسئلة ربهما لانفسهما وذريتهما المسلمين فلما ضما ذريتهما المسلمين الى أنفسهما صارا كالمخبرين عن أنفسهم بذلك وانما قلنا ان ذلك كذلك لتقدم الدعاء منهما للمسلمين من ذريتهما قبل فى أول الآية وتأخره بعد فى الآية الاخرى فاما الذى فى أول الآية فقولهما ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ثم جمعا أنفسهما والامة المسلمة من ذريتهما فى مسئلتهما ربهما أن يريهم مناسكهم فقالا وأرنا مناسكنا وأما التى فى الآية التى بعدها ربنا وابعث فيهم رسولا منهم فجعلا المسئلة لذريتهما خاصة وقد ذكر أنها فى قراءة ابن مسعود وأرهم مناسكهم يعنى بذلك وأر ذريتنا المسلمة مناسكهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وتب علينا انك أنت التواب الرحيم) أما

والاصح أنه حال أى آمنا غير مفرقين منهم ج لاحتمال الابتداء والحال أوجه مسلمون ٥ اهتدوا ج لابتداء شرط آخر مع العطف شقاق ج للابتداء بسين الوعيد مع دخول الفاء فسيكفيكهم الله ج لاحتمال الواو الابتداء والحال العليم ط لان الجملة الناصبة لقوله صبغة الله محذوفة يدل عليها قوله آمنا بالله وقوله فان آمنوا شرط معترض صبغة الله ج لابتداء الاستفهام مع أن الواو للحال صبغة ج على جعل الواو للابتداء أو للحال أو للعطف على آمنا عابدون ٥ وربكم ج لان الواو يصلح أن يكون عطفا على الحال الاولى ويصلح أن يكون مستأنفا أعمالكم ج مخلصون ط لمن قرأ أم يقولون بياء الغيبة ومن

التوبة فأصلها الأوبة من مكروه الى محبوب فتوبة العبد الى ربه أوبته مما يكرهه الله منه بالندم
عليه والاقلاع عنه والعزم على ترك العود فيه وتوبة الرب على عبده عوده عليه بالعفو له عن جرمه
والصفح له عن عقوبة ذنبه مغفرة له منه وتفضلا عليه فان قال لنا قائل وهل كان لهما ذنوب
فاحتاجا الى مسئلة ربهما التوبة قيل انه ليس أحد من خلق الله الا وله من العمل فيما بينه وبين
ربه ما يجب عليه الانابة منه والتوبة فجائز أن يكون ما كان من قبلهما ما قالا من ذلك وانما
خصابه الحال التى كانا عليها من رفع قواعد البيت لان ذلك كان أحرى الاماكن أن يستجيب
الله فيها دعاءهما وليجعلا ما فعلا من ذلك سنة يقتدى بها بعدهما وتتخذ الناس تلك البقعة بعدهما
موضع تنصل من الذنوب الى الله وجائز أن يكونا عنيا بقولهما وتب علينا وتب على الظلمة من أولادنا
وذريتنا الذين أعلمتنا أمرهم من ظلمهم وشركهم حتى ينيبوا الى طاعتك فيكون ظاهر الكلام
على الدعاء لانفسهما والمعنى به ذريتهما كما يقال أكرمنى فلان فى ولدى وأهلى وبرنى فلان اذا بر
ولده وأما قوله انك أنت التواب الرحيم فانه يعنى به انك أنت العائد على عبادك بالفضل والمتفضل
عليهم بالعفو والغفران الرحيم بهم المستنقذ من تشاء منهم برحمتك من هلكته المنجى من تريد
نجاته منهم برأفتك من سخطك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم
يتلو عليهم آياتك) وهذه دعوة ابراهيم واسمعيل لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم خاصة وهى
الدعوة التى كان نبينا صلى الله عليه وسلم يقول أنا دعوة أبى ابراهيم وبشرى عيسى حدثنا
بذلك ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان الكلاعى أن
نفرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله أخبرنا عن نفسك قال نعم أنا دعوة
أبى ابراهيم وبشرى عيسى صلى الله عليهم وسلم حدثنى عمران بن بكار الكلاعى قال ثنا أبو
اليمان قال ثنا أبو كريب عن أبى مريم عن سعيد بن سويد عن العرباض بن سارية السلمى
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انى عند الله فى أم الكتاب خاتم النبيين وان
آدم لمنجدل فى طينته وسوف أنبئكم بتأويل ذلك أنا دعوة أبى ابراهيم وبشارة عيسى قومه ورؤيا
أمى حدثنى يونس بن عبد الاعلى قال ثنا ابن وهب قال أخبرنى معاوية وحدثنى عبيد بن
آدم بن أبى اياس العسقلانى قال حدثنى أبى قال ثنا الليث بن سعد عن معاوية بن صالح قالا جميعا
عن سعيد بن سويد عن عبد الله بن هلال السلمى عن عرباض بن سارية السلمى عن النبى صلى الله عليه
وسلم بنحوه حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنا معاوية عن سعيد بن سويد عن عبد
الاعلى بن هلال السلمى عن عرباض بن سارية انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
فذكر نحوه وبالذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ
قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم ففعل الله
ذلك فبعث فيهم رسولا من أنفسهم يعرفون وجهه ونسبه يخرجهم من الظلمات الى النور ويهديهم
الى صراط العزيز الحميد حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى ربنا وابعث
فيهم رسولا منهم هو محمد صلى الله عليه وسلم حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن
الربيع ربنا وابعث فيهم رسولا منهم هو محمد صلى الله عليه وسلم فقيل له قد استجيب ذلك وهو فى آخر
الزمان ويعنى تعالى ذكره بقوله يتلو عليهم آياتك يقرأ عليهم كتابك الذى توحيه اليه ۞ القول
فى تأويل قوله تعالى (ويعلمهم الكتاب والحكمة) ويعنى بالكتاب القرآن وقد بينت فيما مضى
لم سمى القرآن كتابا وما تأويله وهو قول جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس

قرأ بالتاء لم يقف لكون أم معادلة
للهمزة فى أتحاجوننا أو نصارى
ط أم الله ط من الله ط تعملون
٥ قد خلت ج ما كسبتم ج يعملون
* التفسير انه تعالى لما بين بالدلائل
المتقدمة صحة دين الاسلام ذكر
أنواعا من شبه الطاعنين منها أن
اليهود قالوا كونوا هودا تهتدوا
والنصارى قالوا كذلك لما علم
من التعادى بين الفريقين كما بين
كل منهما وبين المسلمين وقد مر
مثل هذا فى قوله تعالى وقالوا لن يدخل
الجنة الا من كان هودا أو نصارى
فأجابهم الله بقوله قل بل ملة ابراهيم
أى نكون أهل ملته مثل واسئل
القرية أى أهلها أو بل نتبع ملة
ابراهيم وقرئ بالرفع أى ملتنا أو
أمرنا ملته أو نحن أهل ملته وحنيفا
حال من المضاف اليه كقولك رأيت

قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ويعلمهم الكتاب القرآن ثم اختلف أهل التأويل في معنى الحكمة التي ذكرها الله في هذا الموضع فقال بعضهم هي السنة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والحكمة أي السنة . وقال بعضهم الحكمة هي المعرفة بالدين والفقه فيه ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قلت لمالك ما الحكمة قال المعرفة بالدين والفقه في الدين والاتباع له حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله والحكمة قال الحكمة الدين الذي لا يعرفونه الا به صلى الله عليه وسلم يعلمهم اياها قال والحكمة العقل في الدين وقرأ ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وقال لعيسى ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل قال وقرأ ابن زيد واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها قال لم ينتفع بالآيات حيث لم تكن معها حكمة قال والحكمة شيء يجعله الله في القلب ينور له به والصواب من القول عندنا في الحكمة أنها العلم باحكام الله التي لا يدرك علمها الا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم والمعرفة بها وما دل عليه ذلك من نظائره وهو عندي مأخوذ من الحكم الذي بمعنى الفصل بين الحق والباطل بمنزلة الجلسة والقعدة من الجلوس والقعود يقال منه ان فلانا لحكيم بين الحكمة يعني به انه لبين الاصابة في القول والفعل واذ كان ذلك كذلك فتأويل الآية ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم كتابك الذي تنزله عليهم وفصل قضائك وأحكامك التي تعلمه اياها ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ويزكيهم) قد دللنا فيما مضى قبل على أن معنى التزكية التطهير وان معنى الزكاة النماء والزيادة فمعنى قوله ويزكيهم في هذا الموضع ويطهرهم من الشرك بالله وعبادة الاوثان وينميهم ويكثرهم بطاعة الله كما حدثني المثنى بن ابراهيم قال ثنا عبد الله بن صالح قال حدثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يتلو عليهم آياتك ويزكيهم قال يعني بالزكاة طاعة الله والاخلاص حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج قال قال ابن جريج قوله ويزكيهم قال يطهرهم من الشرك ويخلصهم منه ۞ القول في تأويل قوله تعالى (انك أنت العزيز الحكيم) يعني تعالى ذكره بذلك انك يارب أنت العزيز القوي الذي لا يعجزه شيء أراده فافعل بنا وبذريتنا ما سألناه وطلبناه منك والحكيم الذي لا يدخل تدبيره خلل ولا زلل فأعطنا ما ينفعنا وينفع ذريتنا ولا ينقصك ولا ينقص خزائنك ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ومن يرغب عن ملة ابراهيم) يعني تعالى ذكره بقوله ومن يرغب عن ملة ابراهيم وأي الناس يزهد في ملة ابراهيم ويتركها رغبة عنها الى غيرها وانما عنى الله بذلك اليهود والنصارى لاختيارهم ما اختاروا من اليهودية والنصرانية على الاسلام لان ملة ابراهيم هي الحنيفية المسلمة كما قال تعالى ذكره ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما فقال تعالى ذكره لهم ومن يزهد عن ملة ابراهيم الحنيفية المسلمة الا من سفه نفسه كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه رغب عن ملته اليهود والنصارى واتخذوا اليهودية والنصرانية بدعة ليست من الله وتركوا ملة ابراهيم يعني الاسلام حنيفا كذلك بعث الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بملة ابراهيم حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه قال رغبت اليهود والنصارى عن ملة ابراهيم وابتدعوا اليهودية والنصرانية وليست من الله وتركوا ملة ابراهيم الاسلام ۞ القول في تأويل قوله تعالى (الا من سفه نفسه) يعني تعالى ذكره بقوله الا من سفه نفسه الا من سفهت نفسه وقد بينا فيما مضى أن معنى السفه الجهل فمعنى الكلام وما يرغب عن ملة ابراهيم الحنيفية الا سفيه جاهل بموضع حظ نفسه

وجه هذا قائمة وذلك أن المضاف اليه متضمن للحرف فيقتضي متعلقا هو الفعل أو شبهه وحينئذ يشتمل على فاعل ومفعول فالحال عن المضاف اليه ترجع في التحقيق الى الحال عن أحدهما وعند الكوفيين نصب على القطع أراد ملة ابراهيم الحنيف فلما سقطت الالف واللام لم تتبع النكرة المعرفة فانقطع منها فانتصب والحنيف المائل عن كل دين باطل الى الدين الحق وتحنف اذا مال وحاصل الجواب أن المعول في الدين ان كان النظر والاستدلال فقد قدمنا الدلائل وان كان التقليد فالمتفق أولى من المختلف وقد اتفق الكل على صحة دين ابراهيم فاتباعه أولى وهذا جواب الزامي ثم لما كان من المحتمل أن يزعم اليهود والنصارى أنهم على دين ابراهيم أزيحت علتهم

فيما ينفعها ويضرها فى معادها كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله الا من سفه نفسه قال الا من أخطأ حظه وانما نصب النفس على معنى المفسر وذلك أن السفه فى الاصل للنفس فلما نقل الى من نصبت النفس بمعنى التفسير كما يقال هو أوسعكم دارا فتدخل الدار فى الكلام على أن السعة فيها لا فى الرجل فكذلك النفس أدخلت لان السفه للنفس لا لمن ولذلك لم يجز أن يقال سفه أخوك وانما جاز أن يفسر بالنفس وهى مضافة الى معرفة لانها فى تأويل نكرة وقال بعض نحويى البصرة ان قوله سفه نفسه جرت مجرى سفه اذا كان الفعل غير متعد وانما عداه الى نفسه (٣) ورأيه وأشباه ذلك مما هو فى المعنى نحو سفه اذا هو لم يتعد فأما غبن وخسر فقد يتعدى الى غيره يقال غبن خمسين وخسر خمسين ۞ القول فى تأويل قوله (ولقد اصطفيناه فى الدنيا) يعنى تعالى ذكره بقوله ولقد اصطفيناه فى الدنيا ولقد اصطفينا ابراهيم والهاء التى فى قوله اصطفيناه من ذكر ابراهيم والاصطفاء الافتعال من الصفوة وكذلك اصطفينا افتعلنا منه صيرت تاؤها طاء لقرب مخرجها من مخرج الصاد ويعنى بقوله اصطفيناه اخترناه واجتبيناه للخلة ونصيره فى الدنيا لمن بعده اماما وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن أن من خالف ابراهيم فيما سن لمن بعده فهو لله مخالف واعلام منه خلقه أن من خالف ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فهو لابراهيم مخالف وذلك أن الله تعالى ذكره أخبر أنه اصطفاه لخلته وجعله للناس اماما وأخبر أن دينه كان الحنيفية المسلمة ففى ذلك أوضح البيان من الله تعالى ذكره عن أن من خالفه فهو لله عدو لمخالفته الامام الذى نصبه الله لعباده ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وانه فى الآخرة لمن الصالحين) يعنى تعالى ذكره بقوله وانه فى الآخرة لمن الصالحين وان ابراهيم فى الدار الآخرة لمن الصالحين والصالح من بنى آدم هو المؤدى حقوق الله عليه فاخبر تعالى ذكره عن ابراهيم خليله انه فى الدنيا له صفى وفى الآخرة ولى وانه وارد موارد أوليائه الموفين بعهده ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين) يعنى تعالى ذكره بقوله اذ قال له ربه أسلم اذ قال له ربه أخلص لى العبادة واخضع لى بالطاعة وقد دللنا فيما مضى على معنى الاسلام فى كلام العرب فاغنى عن اعادته وأما معنى قوله قال أسلمت لرب العالمين فانه يعنى تعالى ذكره قال ابراهيم مجيبا لربه خضعت بالطاعة وأخلصت العبادة لمالك جميع الخلائق ومدبرها دون غيره فان قال قائل قد علمت أن اذ وقت فما الذى وقت به وما الذى صلته قيل هو صلة لقوله ولقد اصطفيناه فى الدنيا وتأويل الكلام ولقد اصطفيناه فى الدنيا حين قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين وانما معنى الكلام ولقد اصطفيناه فى الدنيا حين قلنا له أسلم قال أسلمت لرب العالمين فاظهر اسم الله فى قوله اذ قال له ربه أسلم على وجه الخبر عن غائب وقد جرى ذكره قبل على وجه الخبر عن نفسه كما قال خفاف بن ندبة

أقول له والرمح يأطر متنه ✽ تأمل خفافا اننى أنا ذالكا

فان قال لنا قائل وهل دعا الله ابراهيم الى الاسلام قيل له نعم قد دعاه اليه فان قال وفى أى حال دعاه اليه قيل حين قال يا قوم انى برىء مما تشركون انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين وذلك هو الوقت الذى قال له ربه أسلم من بعد ما امتحنه بالكواكب والقمر والشمس ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب) يعنى تعالى

---

(٣) عبارة اللسان وقولهم سفه نفسه وغبن رأيه وبطر عيشه وألم بطنه ووفق أمره ورشد أمره كان الاصل سفهت نفس زيد ورشد أمره فلما حول الفعل الى الرجل انتصب ما بعده بوقوع الفعل عليه لانه فى معنى سفه نفسه بالتشديد هذا قول البصريين والكسائى انتهت كتبه مصححه

بقوله وما كان من المشركين لكون النصارى قائلين بالتثليث واليهود بالتشبيه وأيضا قالوا عزير ابن الله والمسيح ابن الله فليسوا من ملة ابراهيم التى هى محض التوحيد وخالص الاسلام فى شىء قولوا خطاب للمؤمنين ويجوز أن يكون للكافرين أى قولوا لتكونوا على الحق والا فانتم على الباطل وكذلك قوله بل ملة ابراهيم يجوز أن يكون أمرا لهم أى اتبعوا ملة ابراهيم أو كونوا أهل ملته وهذا جواب آخر برهانى وذلك أن طريق معرفة نبوة الانبياء ظهور المعجز على أيديهم ولما ظهر المعجز على يد محمد صلى الله عليه وسلم وجب الاعتراف بنبوته والايمان به وبما أنزل عليه كما اعترفوا بنبوة ابراهيم وموسى وعيسى فان تخصيص البعض بالقبول

ذكره بقوله ووصى بها ووصى بهذه الكلمة أعنى بالكلمة قوله أسلمت لرب العالمين وهى الاسلام
الذى أمر به نبيه صلى الله عليه وسلم وهو اخلاص العبادة والتوحيد لله وخضوع القلب والجوارح له
ويعنى بقوله ووصى بها ابراهيم بنيه عهد اليهم بذلك وأمرهم به وأما قوله ويعقوب فانه يعنى ووصى
بذلك أيضا يعقوب بنيه كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة
قوله ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يقول ووصى بها يعقوب بنيه بعد ابراهيم حدثنى محمد
ابن سعد قال حدثنى أبى قال حدثنى عمى قال حدثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ووصى بها ابراهيم
بنيه وصاهم بالاسلام ووصى يعقوب بمثل ذلك وقال بعضهم قوله ووصى بها ابراهيم بنيه
خبر منقض وقوله ويعقوب خبر مبتدأ فانه قال ووصى بها ابراهيم بنيه بأن يقولوا أسلمنا لرب العالمين
ووصى يعقوب بنيه أن يابنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون ولا معنى لقول من
قال ذلك لان الذى أوصى به يعقوب بنيه نظير الذى أوصى به ابراهيم بنيه من الحث على طاعة
الله والخضوع له والاسلام فان قال قائل فان كان الامر على ما وصفت من أن معناه ووصى بها
ابراهيم بنيه ويعقوب أن يابنى فما بال أن محذوفة من الكلام قيل لان الوصية قول فحملت على
معناها وذلك أن ذلك لو جاء بلفظ القول لم تحسن معه أن وانما كان يقال وقال ابراهيم لبنيه ويعقوب
يابنى فلما كانت الوصية قولا حملت على معناها دون لفظها فحذفت أن التى تحسن معها كما قال تعالى
ذكره يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين وكما قال الشاعر

انى سأبدى لك فيما أبدى * لى شجنان شجن بنجد * وشجن لى ببلاد السند

فحذفت أن اذ كان الابداء باللسان فى المعنى قولا فحمله على معناه دون لفظه وقد قال بعض أهل
العربية انما حذفت أن من قوله ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب اكتفاء بالنداء يعنى بالنداء قوله
يابنى وزعم أن علته فى ذلك أن من شأن العرب الاكتفاء بالادوات عن أن كقولهم ناديت هل قمت
وناديت أين زيد قال وربما أدخلوها مع الادوات فقالوا ناديت أن هل قمت وقد قرأ جماعة من
القراء وأوصى بها ابراهيم بمعنى عهد وأما من قرأ ووصى مشددة فانه يعنى بذلك انه عهد اليهم
عهدا بعد عهد وأوصى وصية بعد وصية ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (يابنى ان الله اصطفى لكم
الدين) يعنى تعالى ذكره بقوله ان الله اصطفى لكم الدين ان الله اختار لكم هذا الدين الذى عهد اليكم
فيه واجتباه لكم وانما أدخل الالف واللام فى الدين لان الذين خوطبوا من ولدهما وبنيهما بذلك
كانوا قد عرفوه بوصيتهما اياهم به وعهدهما اليهم فيه ثم قالا لهم بعد أن عرفاهموه ان الله اصطفى لكم
هذا الدين الذى قد عهد اليكم فيه فاتقوا الله أن تموتوا الا وأنتم عليه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى
(فلا تموتن الا وأنتم مسلمون) ان قال لنا قائل أو الى بنى آدم الموت والحياة فينهى أحدهم أن يموت
الا على حالة دون حالة قيل له ان معنى ذلك على غير الوجه الذى ظننت وانما معناه فلا تموتن الا وأنتم
مسلمون أى فلا تفارقوا هذا الدين وهو الاسلام أيام حياتكم وذلك أن أحدا لا يدرى متى تأتيه
منيته فلذلك قالا لهم فلا تموتن الا وأنتم مسلمون لانكم لا تدرون متى تأتيكم مناياكم من ليل أو نهار
فلا تفارقوا الاسلام فتأتيكم مناياكم وأنتم على غير الدين الذى اصطفاه لكم ربكم فتموتوا وربكم
ساخط عليكم فتهلكوا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت)
يعنى تعالى ذكره بقوله أم كنتم شهداء أكنتم ولكنه استفهم بأم اذ كان استفهاما مستأنفا على
كلام قد سبقه كما قيل الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه وكذلك تفعل
العرب فى كل استفهام ابتدأته بعد كلام قد سبقه تستفهم فيه بأم والشهداء جمع شهيد كما

الشركاء

وتخصيص البعض بالرد يوجب
المناقضة فى الدليل وعن الحسن أن
قوله قل بل ملة ابراهيم خطاب للنبى
وقوله قولوا خطاب لأمته والظاهر
العموم وانما قدم الايمان بالله لان
معرفة النبى والكتاب متوقفة على
معرفته وفيه ابطال ما ذهب اليه
التعليمية والمقلدة من أن طريق
معرفة الله الكتاب والسنة قال
الخليل الاسباط فى بنى اسرائيل
كالقبيلة فى العرب وقيل السبط
الحافد وكان الحسن والحسين سبطى
النبى صلى الله عليه وسلم فهم حفدة
يعقوب ذرارى أبنائه الاثنى عشر
عدد بعض الانبياء لتقدمهم وشرفهم
ثم عمم لتعذر التفصيل * لا نفرق بين
أحد منهم لا نؤمن ببعض ونكفر
ببعض كأهل الكتاب ومعنى الايمان
بجميعهم أن كلا منهم حق فى زمانه

الشركاء جمع شريك والخصماء جمع خصيم وتاويل الكلام أكنتم يامعشر اليهود والنصارى
المكذبين بمحمد صلى الله عليه وسلم الجاحدين نبوته حضور يعقوب وشهوده اذ حضره الموت أى
انكم لم تحضروا ذلك فلا تدعوا على أنبيائى ورسلى الاباطيل وتنحلوهم اليهودية والنصرانية فانى
ابتعثت خليلى ابراهيم وولده اسحق واسمعيل وذريتهم بالحنيفية المسلمة وبذلك وصوا بنيهم وبه
عهدوا الى أولادهم من بعدهم فلو حضرتموهم فسمعتم منهم علمتم أنهم على غير ما تنحلوهم من
الاديان والملل من بعدهم وهذه آيات نزلت تكذيبا من الله تعالى لليهود والنصارى فى دعواهم فى
ابراهيم وولده يعقوب أنهم كانوا على ملتهم فقال لهم فى هذه الآية أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب
الموت فتعلموا ما قال لولده وقال له ولده ثم أعلمهم ما قال لهم وما قالوا له وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال
أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن
الربيع قوله أم كنتم شهداء يعنى أهل الكتاب ﴿القول فى تأويل قوله تعالى (اذ قال لبنيه ما تعبدون
من بعدى قالوا نعبد إلهك وإله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق إلها واحدا ونحن له مسلمون) يعنى
تعالى ذكره بقوله اذ قال لبنيه اذ قال يعقوب لبنيه واذ هذه مكررة ابدالا من اذ الاولى بمعنى أم كنتم
شهداء يعقوب اذ قال يعقوب لبنيه حين حضور موته ويعنى بقوله ما تعبدون من بعدى أى شئ
تعبدون من بعدى أى من بعد وفاتى قالوا نعبد إلهك يعنى به قال بنوه له نعبد معبودك الذى تعبده
ومعبود آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق إلها واحدا أى نخلص له العبادة ونوحد له الربوبية فلا
نشرك به شيأ ولا نتخذ دونه ربا ويعنى بقوله ونحن له مسلمون ونحن له خاضعون بالعبودية والطاعة
ويحتمل قوله ونحن له مسلمون أن تكون بمعنى الحال كانهم قالوا نعبد إلهك مسلمين له بطاعتنا وعبادتنا
اياه ويحتمل أن يكون خبرا مستأنفا فيكون بمعنى نعبد إلهك بعدك ونحن له الآن وفى كل حال
مسلمون وأحسن هذين الوجهين فى تأويل ذلك أن يكون بمعنى الحال وأن يكون بمعنى نعبد إلهك
وإله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق مسلمين لعبادته وقيل انما قدم ذكر اسمعيل على اسحق
لان اسمعيل كان أسن من اسحق ذكر من قال ذلك حدثنى يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا
ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله قالوا نعبد إلهك وإله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق قال يقال
بدأ باسمعيل لانه أكبر وقرأ بعض المتقدمين وإله أبيك ابراهيم ظنا منه أن اسمعيل اذ كان عما
ليعقوب فلا يجوز أن يكون فيمن ترجم به عن الآباء وداخلا فى عدادهم وذلك من قارئه كذلك قلة
علم منه بمجارى كلام العرب والعرب لا تمتنع من أن تجعل الاعمام بمعنى الآباء والاخوال بمعنى
الامهات فلذلك دخل اسمعيل فيمن ترجم به عن الآباء وابراهيم واسمعيل واسحق ترجمة عن الآباء
فى موضع جر ولكنهم نصبوا بأنهم لا يجرون والصواب من القراءة عندنا فى ذلك وإله آبائك لاجماع
القراء على تصويب ذلك وشذوذ من خالفه من القراء ممن قرأ خلاف ذلك ونصب قوله إلها على الحال
من قوله إلهك ﴿القول فى تأويل قوله تعالى (تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا
تسئلون عما كانوا يعملون) يعنى تعالى ذكره بقوله تلك أمة قد خلت ابراهيم واسمعيل واسحق
ويعقوب وولدهم يقول لليهود والنصارى يا معشر اليهود والنصارى دعوا ذكر ابراهيم واسمعيل
واسحق ويعقوب والمسلمين من أولادهم بغير ما هم أهله ولا تنحلوهم كفر اليهودية والنصرانية
فتضيفونها اليهم فانهم أمة ويعنى بالامة فى هذا الموضع الجماعة والقرن من الناس قد خلت مضت
لسبيلها وانما قيل للذى قد مات فذهب قد خلا لتخليه من الدنيا وانفراده عما كان من الانس بأهله
وقرنائه فى دنياه وأصله من قولهم خلا الرجل اذا صار بالمكان الذى لا أنيس له فيه وانفرد من

أولا نقول انهم متفرقون فى أصول
الديانة شرع لكم من الدين
ما وصى به نوحا وأحد فى معنى
الجماعة ولذلك صح دخول بين عليه
ونحن له مسلمون اذعانا واخلاصا
فلا جرم لا نخص بالقبول بعض
عبيده المؤيدين بالمعجزات خلاف
من كان اسلامه تقليدا أو هوى ولما
بين الطريق الواضح فى الدين وهو أن
يعترف الانسان بنبوة كل من قامت
الدلالة على نبوته من غير مناقضة
رغبهم فى مثل هذا الايمان وههنا
سؤال وهو أن دين الاسلام وهو الحق
واحد فما معنى المثل فى قوله بمثل
ما آمنتم به والجواب أن قوله فان
آمنوا بكلمة الشك دليل على أن
الامر مبنى على الفرض
والتقدير أى فان حصلوا دينا آخر
مثل دينكم ومساويا له فى الصحة

الناس فاستعمل ذلك في الذي يموت على ذلك الوجه ثم قال تعالى ذكره لليهود والنصارى ان لمن
نحلتموه بضلالكم وكفركم الذي أنتم عليه من أنبيائي ورسلي ما كسبت والهاء والالف في قوله
لها عائدة ان شئت على تلك وان شئت على الامة ويعني بقوله لها ما كسبت أي ما عملت من خير ولكم
يا معشر اليهود والنصارى مثل ذلك ما عملتم ولا تؤاخذون أنتم أيها الناحلوهم ما نحلتموهم من الملل
فتسئلوا عما كان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب وولدهم يعملون فيكسبون من خير وشر لان
لكل نفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت فدعوا انتحالهم وانتحال مللهم فان الدعاوى غير مغنيتكم
عند الله وانما يغني عنكم عنده ما سلف لكم من صالح أعمالكم ان كنتم عملتموها وقدمتموها ۞
القول في تأويل قوله تعالى (وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا) يعني تعالى ذكره بقوله
وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا وقالت اليهود لمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه من المؤمنين
كونوا هودا تهتدوا وقالت النصارى لهم كونوا نصارى تهتدوا تعني بقولها تهتدوا أي تصيبوا
طريق الحق كما حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير وحدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة جميعا عن ابن
اسحق قال حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال حدثني سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن
عباس قال قال عبد الله بن صوريا الاعور لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما الهدى الا ما نحن عليه
فاتبعنا يا محمد تهتد وقالت النصارى مثل ذلك فأنزل الله عز وجل فيهم وقالوا كونوا هودا أو نصارى
تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين احتج الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم أبلغ
حجة وأوجزها وأكملها وعلمها محمدا نبيه صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد قل للقائلين لك من اليهود
والنصارى ولاصحابك كونوا هودا أو نصارى تهتدوا بل تعالوا نتبع ملة ابراهيم التي تجمع جميعنا
على الشهادة لها بأنها دين الله الذي ارتضاه واجتباه وأمر به فان دينه كان الحنيفية المسلمة وندع سائر
الملل التي نختلف فيها فينكرها بعضنا ويقر بها بعضنا فان ذلك على اختلافه لا سبيل لنا على الاجتماع
عليه كما لنا السبيل الى الاجتماع على ملة ابراهيم وفي نصب قوله بل ملة ابراهيم أوجه ثلاثة أحدها
أن يوجه معنى قوله وقالوا كونوا هودا أو نصارى الى معنى وقالوا اتبعوا اليهودية والنصرانية لانهم
اذ قالوا كونوا هودا أو نصارى الى اليهودية والنصرانية دعوهم ثم يعطف على ذلك المعنى بالملة فيكون
معنى الكلام حينئذ قل يا محمد لا نتبع اليهودية والنصرانية ولا نتخذها ملة بل نتبع ملة ابراهيم
حنيفا ثم يحذف نتبع الثانية ويعطف بالملة على اعراب اليهودية والنصرانية والآخر أن يكون نصبه
بفعل مضمر بمعنى نتبع والثالث أن يكون أريد بل نكون أصحاب ملة ابراهيم أو أهل ملة ابراهيم
ثم حذف الاهل والاصحاب وأقيمت الملة مقامهم اذ كانت مؤدية عن معنى الكلام كما قال الشاعر

حسبت بغام راحلتي عناقا * وما هي ويب غيرك بالعناق

يعني صوت عناق فتكون الملة حينئذ منصوبة عطفا في الاعراب على اليهود والنصارى وقد يجوز
أن يكون منصوبا على وجه الاغراء باتباع ملة ابراهيم وقرأ بعض القراء ذلك رفعا فتأويله على
قراءة من قرأ رفعا بل الهدى ملة ابراهيم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (بل ملة ابراهيم حنيفا وما
كان من المشركين) والملة الدين وأما الحنيف فانه المستقيم من كل شئ وقد قيل ان الرجل الذي
تقبل احدى قدميه على الاخرى انما قيل له أحنف نظرا له الى السلامة كما قيل للمهلكة من البلاد
المفازة بمعنى الفوز بالنجاة منها والسلامة وكما قيل للديغ السليم تفاؤلا له بالسلامة من الهلاك وما
أشبه ذلك فمعنى الكلام اذا قل يا محمد بل نتبع ملة ابراهيم مستقيما فيكون الحنيف حينئذ حالا من
ابراهيم وأما أهل التأويل فانهم اختلفوا في تأويل ذلك فقال بعضهم الحنيف الحاج وقيل انما سمي

والسداد فقد اهتدوا لكن لا دين
صحيحا سوى هذا الاسلام لامته عن
التناقض بخلاف غيره فلا اهتداء
الا بهذا ونظيره قولك للرجل الذي
تشير عليه هذا هو الرأي الصواب
فان كان عندك رأي أصوب منه
فاعمل به وقد علمت أن لا أصوب من
رأيك ولكنك تريد تبكيت صاحبك
وتوقيفه على أن ما رأيت لا رأي
وراءه وقيل الباء للاستعانة لا
للالصاق والتمثيل بين التصديقين أي
فان دخلوا في الايمان بشهادة مثل
شهادتكم وقيل المثل صلة ويؤيده
قراءة ابن عباس وابن مسعود فان
آمنوا بما آمنتم به وقيل معناه انكم
آمنتم بالفرقان من غير تصحيف
وتحريف فان آمنوا هم بمثل ذلك في
التوراة فقد اهتدوا لانهم يتوسلون

دين ابراهيم الأسلام الحنيفية لانه أول امام لزم العباد الذين كانوا فى عصره والذين جاؤا بعده الى يوم القيامــة اتباعه فى مناسك الحج والائتمام به فيه قالوا فكل من حج البيت فنسك مناسك ابراهيم على ملته فهو حنيف مسلم على دين ابراهيم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ثنا القاسم بن الفضل عن كثير أبى سهل قال سألت الحسن عن الحنيفية قال حج البيت حدثنى محمد بن عبادة الاسدى قال ثنا عبد الله بن موسى قال أخبرنا فضيل عن عطية فى قوله حنيفا قال الحنيف الحاج حدثنى الحسين بن على الصدائى قال ثنا أبى عن الفضيل عن عطية مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام بن سالم عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد قال الحنيف الحاج حدثنى الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن التيمى عن كثير ابن زياد قال سألت الحسن عن الحنيفية قال هو حج هــذا البيت قال ابن التيمى وأخبرنى جويبر عن الضحاك بن مزاحم مثله حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن مهدى قال ثنا سفيان عن السدّى عن مجاهد حنفاء قال حجاجا حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال حدثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله حنيفا قال حاجا حدثت عن وكيع عن فضيل بن غزوان عن عبد الله ابن القاسم قال كان الناس من مضر يحجون البيت فى الجاهلية يسمون حنفاء فأنزل الله تعالى ذكره حنفاء لله غير مشركين به وقال آخرون الحنيف المتبع كما وصفنا قبل من قول الذين قالوا ان معناه الاستقامة ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد حنفاء قال متبعين وقال آخرون انما سمى دين ابراهيم الحنيفية لانه أول امام سن للعباد الختان فاتبعه من بعده عليه قالوا فكل من اختتن على سبيل اختتان ابراهيم فهو على ما كان عليه ابراهيم من الاسلام فهو حنيف على ملة ابراهيم وقال آخرون بل ملة ابراهيم حنيفا بل ملة ابراهيم مخلصا فالحنيف على قولهم المخلص دينه لله وحده ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى واتبع ملة ابراهيم حنيفا يقول مخلصا وقال آخرون بل الحنيفية الاســلام فكل من ائتم بابراهيــم فى ملته فاستقام عليها فهو حنيف قال أبو جعــفر الحنيف عندى هو الاســتقامة عــلى دين ابراهيم واتباعه على ملته وذلك أن الحنيفية لو كانت حج البيت لوجب أن يكون الذين كانوا يحجونه فى الجاهلية من أهل الشرك كانوا حنفاء وقد نفى الله أن يكون ذلك تحنفا بقوله ولـكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين فكذلك القول فى الختان لان الحنيفية لو كانت هى الختان لوجب أن يكون اليهود حنفاء وقد أخرجهم الله من ذلك بقوله ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولـكن كان حنيفا مسلما فقد صح اذا أن الحنيفية ليست الختان وحده ولا حج البيت وحــده ولـكنه هو ما وصفنا من الاستقامة على ملة ابراهيــم واتباعه عليها والائتمام به فيها فان قال قائل أو ما كان من كان من قبل ابراهيم صلى الله عليه وسلم من الانبياء وأتباعهم مستقيمين على ما أمروا به من طاعة الله استقامة ابراهيم وأتباعه قيل بلى فان قال فكيف أضيف الحنيفية الى ابراهيم وأتباعه على ملته خاصة دون سائر الانبياء قبله وأتباعهم قيل ان كل من كان قبل ابراهيم من الانبياء كان حنيفا متبعا طاعة الله ولـكن الله تعالى ذكره لم يجعل أحدا منهم اماما لمن بعده من عباده الى قيام الساعة كالذى فعل من ذلك بابراهيم فجعله اماما فيما بينه من مناسك الحج والختان وغير ذلك من شرائع الاسلام تعبدا به أبدا الى قيام الساعة وجعل ما سن من ذلك علما مميزا بين مؤمنى عباده وكفارهم والمطيع منهم له والعاصى فسمى الحنيف من الناس حنيفا باتباعه ملته واستقامته على هديه ومنهاجه وسمى الضال عن ملته بسائر أسماء الملل فقيل يهودى ونصرانى

به الى معرفة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وفى الآية دليل على أن الهداية كانت موجودة قبل هذا الاهتداء وهى الدلائل التى نصبها الله تعالى وكشف عن وجــوهها والاهتداء قبولها والعمل بها ليفوزوا بالسعادة العظمى وان تولوا عما قيــل لهم ولم ينصفوا فما هم الا فى شقاق خلاف وعداوة وهو مأخوذ من الشق كانه صار فى شق غير شق صاحبه أو من الشق لانه فارق الجماعة وشق عصاهم أو من المشقة لان كل واحد منهما يحرص على ما يشق على صاحبه ويؤذيه وفى وصف القوم بذلك دليل على معاداتهم الرسول واضمارهم له كل ســوء وتربصــهم به الايقاع فى المحن فلا جرم آمنه الله تعالى والمؤمنــين من كيدهم وقال فسيكفيكهم الله وناهيك به من كاف كافل ومعــنى السـين أن ذلك كائن لا محالة وان تأخر الى حــين وذلك أن فيها معنى التوكيد لوقوعها فى مقابلة لن قال سيبويه

ومجوسى وغير ذلك من صنوف الملل وأما قوله وما كان من المشركين يقول انه لم يكن ممن يدين بعبادة
الاوثان والاصنام ولا كان من اليهود ولا من النصارى بل كان حنيفا مسلما ﴿ القول فى تأويل قوله
تعالى (قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما
أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) يعنى
تعالى ذكره بذلك قولوا أيها المؤمنون لهؤلاء اليهود والنصارى الذين قالوا لكم كونوا هودا أو نصارى
تهتدوا آمنا أى صدقنا بالله وقد دللنا فيما مضى أن معنى الايمان التصديق بما أغنى عن اعادته وما
أنزل الينا يقول أيضا صدقنا بالكتاب الذى أنزل الله الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فأضاف الخطاب
بالتنزيل اليهم اذ كانوا متبعيه ومأمورين منهيين به فكان وان كان تنزيلا الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم بمعنى التنزيل اليهم للذى لهم فيه من المعانى التى وصفت ويعنى بقوله وما أنزل الى ابراهيم
صدقنا أيضا وآمنا بما أنزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وهم الانبياء من ولد
يعقوب وقوله وما أوتى موسى وعيسى يعنى وآمنا أيضا بالتوراة التى آتاها الله موسى وبالانجيل الذى
آتاه الله عيسى والكتب التى آتى النبيين كلهم وأقررنا وصدقنا أن ذلك كله حق وهدى ونور من
عند الله وأن جميع من ذكر الله من أنبيائه كانوا على حق وهدى يصدق بعضهم بعضا على منهاج
واحد فى الدعاء الى توحيد الله والعمل بطاعته لا نفرق بين أحد منهم يقول لا نؤمن ببعض الانبياء
ونكفر ببعض ونتبرأ من بعض ونتولى بعضا كما تبرأت اليهود من عيسى ومحمد عليهما السلام
وأقرت بغيرهما من الانبياء وكما تبرأت النصارى من محمد صلى الله عليه وسلم وأقرت بغيره من
الانبياء بل نشهد لجميعهم أنهم كانوا رسل الله وأنبياءه بعثوا بالحق والهدى وأما قوله ونحن له
مسلمون فانه يعنى تعالى ذكره ونحن له خاضعون بالطاعة مذعنون له بالعبودية فذكر أن نبى الله
صلى الله عليه وسلم قال ذلك لليهود فكفروا بعيسى وبمن يؤمن به كما حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس
ابن بكير قال ثنا محمد بن اسحق قال حدثنى محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت قال حدثنى سعيد بن
جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من يهود فيهم أبو ياسر بن
أخطب ورافع بن أبى رافع وعازر وخالد وزيد وازار بن أبى ازار وأشيع (١) فسألوه عمن يؤمن به من
الرسل فقال أومن بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما
أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون فلما ذكر
عيسى جحدوا نبوته وقالوا لا نؤمن بعيسى ولا نؤمن بمن آمن به فأنزل الله فيهم قل يا أهل الكتاب هل
تنقمون منا الا أن آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون حدثنا ابن حميد قال
ثنا سلمة قال ثنا محمد بن اسحق قال حدثنى محمد بن أبى محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن
عباس قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه الا أنه قال ونافع بن أبى نافع مكان رافع بن
أبى رافع وقال قتادة أنزلت هذه الآية أمرا من الله تعالى ذكره للمؤمنين بتصديق رسله كلهم حدثنا
بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم
الى قوله ونحن له مسلمون أمر الله المؤمنين أن يؤمنوا ويصدقوا بأنبيائه ورسله كلهم ولا يفرقوا بين
أحد منهم وأما الاسباط الذين ذكرهم فهم اثنا عشر رجلا من ولد يعقوب بن اسحق بن ابراهيم ولد
كل رجل منهم أمة من الناس فسموا أسباطا كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد
عن قتادة قال الاسباط يوسف واخوته بنو يعقوب ولد اثنى عشر رجلا فولد كل رجل منهم أمة من
الناس فسموا أسباطا حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى أما الاسباط فهم بنو

لن أفعل نبى سأفعل ولقد أنجز وعده
عما قريب بقتل قريظة وسبيهم
واجلاء بنى النضير وضرب الجزية
عليهم وهذا اخبار بالغيب وكم من
مثله فى القرآن وكل ذلك مما يتأكد
به اعجاز التنزيل العزيز وحصوله
بطريق الوحى الصراح وهو السميع
العليم وعد لرسول الله صلى الله
عليه وسلم أى يسمع دعاءك ويعلم
نيتك فى اعلاء كلمة الحق واعلانها
فهو يستجيب لك لا محالة ووعيد
لاعدائه أى هو منهم بمرأى
ومسمع يعلم ما يسرون من
الحسد والحقد والغل فيكافئهم على
ذلك (صبغة الله) مصدر مؤكد
منتصب عن قوله آمنا بالله مثل
وعد الله قاله سيبويه وقيل بدل من
ملة ابراهيم أو نصب على الاغراء أى
عليكم صبغة الله وفيهما
فك لنظم الكلام واخراج له عن
الالتئام والصبغة فعلة من صبغ
كالحالة التى يقع عليها الصبغ

(١) قوله وأشيع كذا بالأصل هنا والذى ذكره فى سورة المائدة واسع وحرر كتبه مصححه

يعقوب يوسف وبنيامين وروبيل ويهوذا وشمعون ولاوى ودان وقهاث (٣) حدثنى المثنى قال ثنا
اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قال الاسباط يوسف واخوته بنو يعقوب اثناعشر
رجلا فولد لكل رجل منهم أمة من الناس فسموا الاسباط حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال
حدثنى محمد بن اسحق قال نكح يعقوب بن اسحق وهو اسرائيل ابنة خاله ليا ابنة ليان بن توبيل بن
الياس فولدت له روبيل بن يعقوب وكان أكبر ولده وشمعون بن يعقوب ولاوى بن يعقوب ويهوذا
ابن يعقوب وريالون بن يعقوب ويشجر بن يعقوب ودينة بنت يعقوب ثم توفيت ليا بنت ليان فخلف
يعقوب على أختها راحيل بنت ليان بن توبيل بن الياس فولدت له يوسف بن يعقوب وبنيامين وهو
بالعربية أسد وولد له من سريتين له اسم احداهما زلفة واسم الاخرى بلهية أربعة نفر دان بن
يعقوب ونفثالى بن يعقوب وجاد بن يعقوب واشرب بن يعقوب فكان بنو يعقوب اثنى عشر رجلا
نشر الله منهم اثنى عشر سبطا لا يحصى عددهم ولا يعلم أنسابهم الا الله يقول الله تعالى وقطعناهم
اثنتى عشرة أسباطا أمما ۞ القول فى تأويل قوله جل ذكره (فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد
اهتدوا) يعنى تعالى ذكره بقوله فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فان صدق اليهود والنصارى بالله وما أنزل
اليكم وما أنزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى
النبيون من ربهم وأقروا بذلك مثل ما صدقتم أنتم به أيها المؤمنون وأقررتم فقد وفقوا ورشدوا
ولزموا طريق الحق واهتدوا وهم حينئذ منكم وأنتم منهم بدخولهم فى ملتكم باقرارهم بذلك
فدل تعالى ذكره بهذه الآية على انه لم يقبل من أحد عملا الا بالايمان بهذه المعانى التى عدها قبلها
كما حدثنا المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنا معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله
فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا ونحو هذا قال أخبر الله سبحانه أن الايمان هو العروة الوثقى
وانه لا يقبل عملا الا به ولا تحرم الجنة الا على من تركه وقد روى عن ابن عباس فى ذلك قراءة جاءت
مصاحف المسلمين بخلافها وأجمعت قراء القرآن على تركها وذلك ما حدثنا به محمد بن المثنى قال
ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى حمزة قال قال ابن عباس لا تقولوا فان آمنوا بمثل ما آمنتم
به فقد اهتدوا فانه ليس لله مثل ولكن قولوا فان آمنوا بالذى آمنتم به فقد اهتدوا أو قال فان آمنوا
بما آمنتم به فكان ابن عباس فى هذه الرواية ان كانت صحيحة عنه يوجه تأويل قراءة من قرأ
فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فان آمنوا بمثل الله وبمثل ما أنزل على ابراهيم واسمعيل وذلك اذا اصرف
الى هذا الوجه شرك لا شك بالله العظيم لانه لا مثل لله تعالى ذكره فنؤمن أو نكفر به ولكن تأويل
ذلك على غير المعنى الذى وجه اليه تأويله وانما معناه ما وصفنا وهو فان صدقوا مثل تصديقكم بما
صدقتم به من جميع ما عددنا عليكم من كتب الله وأنبيائه فقد اهتدوا فالتشبيه انما وقع بين
التصديقين والاقرارين اللذين هما ايمان هؤلاء وايمان هؤلاء كقول القائل مر عمرو بأخيك مثل
ما مررت به يعنى بذلك مر عمرو بأخيك مثل مرورى به والتمثيل انما دخل تمثيلا بين المرورين لا بين
عمرو وبين المتكلم فكذلك قوله فان آمنوا بمثل ما آمنتم به انما وقع التمثيل بين الايمانين لا بين المؤمن
به ۞ القول فى تأويل قوله (وان تولوا فانما هم فى شقاق) يعنى تعالى ذكره بقوله وان تولوا
وان تولى هؤلاء الذين قالوا لمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه كونوا هودا أو نصارى فأعرضوا
فلم يؤمنوا بمثل ايمانكم أيها المؤمنون بالله وبما جاءت به الانبياء وابتعثت به الرسل وفرقوا

(٣) المعدود هنا ثمانية وسيأتى تفصيل الاثنى عشر فى الرواية الآتية وبالجملة ففى أسمائهم اختلاف كتبه مصححه

كالجلسة والمعنى تطهير الله لان
الايمان يطهر النفس وأصله
أن النصارى كانوا يغمسون
أولادهم فى ماء أصفر يسمونه
بالمعمودية ويقولون هو تطهير لهم
وبه يصير الواحد منهم نصرانيا
حقا فأمر المسلمون أن يقولوا لهم
آمنا وصبغنا الله بالايمان صبغة
لا مثل صبغتكم وذلك على طريق
المشاكلة كما تقول لمن يغرس
الاشجار اغرس كما يغرس فلان
تريد رجلا يصطنع الكرام ونظيره
قوله انما نحن مستهزؤن الله يستهزئ
بهم وقيل اللفظة من قولهم فلان
يصبغ فلانا فى الشر أى يدخله
فيه ويلزمه اياه كما يجعل الصبغ لازما
للثوب وقيل سمى الدين صبغة لظهور
هيئته عند صاحبه سيماهم فى
وجوههم من أثر السجود من كثرت
صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار
وقيل وصف هذا الايمان منهم
بانه صبغة الله ليبين أن المباينة

بين رسل الله وبين الله ورسله فصدقوا ببعض وكفروا ببعض فاعلموا أيها المؤمنون أنهم إنما
هم في عصيان وفراق وحرب لله ولرسوله ولكم كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد عن
قتادة وإنما هم في شقاق أي في فراق حدثني المثنى قال ثنا إسحق قال ثنا ابن
أبي جعفر عن أبيه عن الربيع فإنما هم في شقاق يعني فراق حدثني يونس قال أخبرنا ابن
وهب قال قال ابن زيد وإن تولوا فإنما هم في شقاق قال الشقاق الفراق والمحاربة إذا شاق فقد حارب
وإذا حارب فقد شاق وهما واحد في كلام العرب وقرأ ومن يشاقق الرسول وأصل الشقاق عندنا والله
أعلم مأخوذ من قول القائل شق عليه هذا الأمر إذا كربه وآذاه ثم قيل شاق فلان فلانا بمعنى نال كل
واحد منهما من صاحبه ما كربه وآذاه وأثقلته مساءته ومنه قول الله تعالى ذكره وإن خفتم شقاق
بينهما بمعنى فراق بينهما ۞ القول في تأويل قوله تعالى (فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم)
يعني تعالى ذكره بقوله فسيكفيكهم الله فسيكفيك الله يا محمد هؤلاء الذين قالوا لك ولأصحابك
كونوا هودا أو نصارى تهتدوا من اليهود والنصارى إن هم تولوا عن أن يؤمنوا بمثل إيمان أصحابك
بالله وبما أنزل إليك وما أنزل إلى إبراهيم وإسمعيل وإسحق وسائر الأنبياء غيرهم وفرقوا بين الله
ورسله إما بقتل السيف وإما بجلاء عن جوارك وغير ذلك من العقوبات فإن الله هو السميع لما
يقولون لك بألسنتهم ويبدون لك بأفواههم من الجهل والدعاء إلى الكفر والملل الضالة العليم بما
يبطنون لك ولأصحابك المؤمنين في أنفسهم من الحسد والبغضاء ففعل الله بهم ذلك عاجلا وأنجز
وعده فكفى نبيه صلى الله عليه وسلم بتسليطه إياه عليهم حتى قتل بعضهم وأجلى بعضا وأذل بعضا
وأخزاه بالجزية والصغار ۞ القول في تأويل قوله تعالى (صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة
ونحن له عابدون) يعني تعالى ذكره بالصبغة صبغة الإسلام وذلك أن النصارى إذا أرادت أن تنصر
أطفالهم جعلتهم في ماء لهم تزعم أن ذلك لها تقديس بمنزلة غسل الجنابة لأهل الإسلام وأنه صبغة
لهم في النصرانية فقال الله تعالى ذكره إذ قالوا لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه المؤمنين به
كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل لهم يا محمد أيها اليهود والنصارى بل اتبعوا ملة إبراهيم صبغة
الله التي هي أحسن الصبغ فإنها هي الحنيفية المسلمة ودعوا الشرك بالله والضلال عن محجة
هداه ونصب الصبغة من قرأها نصبا على الرد على الملة وكذلك رفع الصبغة من رفع الملة على ردها
عليها وقد يجوز رفعها على غير هذا الوجه وذلك على الابتداء بمعنى هي صبغة الله وقد يجوز نصبها
على غير وجه الرد على الملة ولكن على قوله قولوا آمنا بالله إلى قوله ونحن له مسلمون صبغة الله
بمعنى آمنا هذا الإيمان فيكون الإيمان حينئذ هو صبغة الله وبمثل الذي قلنا في تأويل الصبغة
قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد
عن قتادة قوله صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة إن اليهود تصبغ أبناءها يهود والنصارى
تصبغ أبناءها نصارى وإن صبغة الله الإسلام فلا صبغة أحسن من الإسلام ولا أطهر وهو دين
الله الذي بعث به نوحا والأنبياء بعده حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن
جريج قال عطاء صبغة الله صبغت اليهود أبناءهم خالفوا الفطرة واختلف أهل التأويل في
تأويل قوله صبغة الله فقال بعضهم دين الله ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا
عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة صبغة الله قال دين الله حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع
عن أبي جعفر عن الربيع عن أبي العالية في قوله صبغة الله قال دين الله ومن أحسن من الله
صبغة ومن أحسن من الله دينا حدثني المثنى قال ثنا إسحق قال ثنا ابن أبي جعفر

بينه وبين غيره ظاهرة جلية
يدركها كل ذي حس سليم كما يدرك
الألوان وقيل صبغة الله فطرته
أقول وذلك أن آثار النقص الإمكاني
لازمة للإنسان لزوم الصبغ
للثوب فيمكنه أن يتدرج منها إلى
وجود الصانع والإيمان به وقيل
صبغة الله الختان وقيل حجة الله
وقيل سنة الله * ومن أحسن من الله
صبغة معنى الاستفهام الإنكار
وصبغة تمييز أي لا صبغة أحسن
من الإيمان بالله والدين الذي
شرع لكم ليطهركم به من أوضار
الكفر وأوزار الشرك * ونحن له
عابدون عبارة عن كمال الإيمان
كما تقدم مرارا * قل أتحاجوننا أما
المحاجة فهي أما قولهم نحن
أحق بأن تكون النبوة فينا لأنا
أهل الكتاب والعرب عبدة
أوثان وأما قولهم نحن أبناء الله
وأحباؤه وقولهم كونوا هودا أو
نصارى تهتدوا وأما الخطاب فأما

عن أبيه عن الربيع مثله حدثنا أحمد بن اسحق الاهوازى قال ثنا أبو أحمد الزبيرى قال ثنا سفيان عن رجل عن مجاهد مثله حدثنى المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن مجاهد مثله حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا فضيل بن مرزوق عن عطية قوله صبغة الله قال دين الله حدثنا موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدى صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة يقول دين الله ومن أحسن من الله دينا حدثنى محمد بن سعد قال حدثنى أبى قال حدثنى عمى قال حدثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس صبغة الله قال دين الله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله صبغة الله قال دين الله حدثنى ابن البرقى قال ثنا عمرو بن أبى سلمة قال سألت ابن زيد عن قول الله صبغة الله فذكر مثله وقال آخرون صبغة الله فطرة الله ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله صبغة الله قال فطرة الله التى فطر الناس عليها حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا محمد بن حرب قال ثنا ابن لهيعة عن جعفر بن ربيعة عن مجاهد ومن أحسن من الله صبغة قال الصبغة الفطرة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال صبغة الله الاسلام فطرة الله التى فطر الناس عليها قال ابن جريج قال لى عبد الله بن كثير صبغة الله قال دين الله ومن أحسن من الله دينا قال هى فطرة الله ومن قال هذا القول فوجه الصبغة الى الفطرة فمعناه بل نتبع فطرة الله وملته التى خلق عليها خلقه وذلك الدين القيم من قول الله تعالى ذكره فاطر السموات والارض بمعنى خالق السموات والارض

﴿ القول فى تأويل قوله (ونحن له عابدون) وقوله تعالى ذكره ونحن له عابدون أمر من الله تعالى ذكره نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقوله لليهود والنصارى الذين قالوا له ولمن تبعه من أصحابه كونوا هودا أو نصارى فقال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل بل نتبع ملة ابراهيم حنيفا صبغة الله ونحن له عابدون يعنى ملة الخاضعين لله المستكينين له فى اتباعنا ملة ابراهيم ودينونتناله بذلك غير مستكبرين فى اتباع أمره والاقرار برسالته رسله كما استكبرت اليهود والنصارى فكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم استكبارا وبغيا وحسدا

﴿ القول فى تأويل قوله تعالى (قل أتحاجوننا فى الله وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون) يعنى تعالى ذكره بقوله قل أتحاجوننا فى الله قل يا محمد لمعاشر اليهود والنصارى الذين قالوا لك ولاصحابك كونوا هودا أو نصارى تهتدوا وزعموا أن دينهم خير من دينكم وكتابهم خير من كتابكم لانه كان قبل كتابكم وزعموا أنهم من أجل ذلك أولى بالله منكم أتحاجوننا فى الله وهو ربنا وربكم بيده الخيرات واليه الثواب والعقاب والجزاء على الاعمال الحسنات منها والسيئات فتزعمون أنكم بالله أولى منا من أجل أن نبيكم قبل نبينا وكتابكم قبل كتابنا وربكم وربنا واحد وأن لكل فريق منا ما عمل واكتسب من صالح الاعمال وسيئها ويجازى فيثاب أو يعاقب لا على الانساب وقدم الدين والكتاب ويعنى بقوله قل أتحاجوننا قل أتخاصموننا وتجادلوننا كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قل أتحاجوننا فى الله قل أتخاصموننا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قل أتحاجوننا أتخاصموننا حدثنى محمد بن سعد قال حدثنى أبى قال حدثنى عمى قال حدثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس أتحاجوننا أتجادلوننا فاما قوله ونحن له مخلصون فانه يعنى ونحن لله مخلصو العبادة

لاهل الكتاب واما لمشركى العرب حيث قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم واما للكل والمعنى أتجادلون فى شأن الله أو فى دينه وهو ربنا وربكم والرب أن يفعل بمربوبه ما يعلم فيه مصلحته ويعرفه أهلا له عبيده كلهم فوضى فى ذلك لا يختص به عجمى دون عربى ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم فكما أن لكم أعمالا ترجون نيل الكرامة بها فنحن كذلك فالعمل هو الاساس وبه الاعتبار ولكن نحن له مخلصون موحدون لا نقصد بالعباد أحدا سواه فلا يبعد أن يؤهل أهل الاخلاص لمزيد الكرامة من عنده أم تقولون من قرأ بتاء الخطاب احتمل أن تكون أم منقطعة بمعنى استئناف استفهام آخر أى بل أتقولون والهمزة للانكار كما فى أتحاجوننا واحتمل أن تكون متصلة بمعنى أى الامرين تأتون المحاجة فى حكمة الله أم ادعاء اليهودية والنصرانية

والطاعة لانشرك به شيأ ولا نعبد غيره أحدا كما عبد أهل الاوثان معه الاوثان وأصحاب العجل
معه العجل وهذا من الله تعالى ذكره توبيخ لليهود واحتجاج لاهل الايمان بقوله تعالى ذكره
للمؤمنين من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قولوا أيها المؤمنون لليهود والنصارى الذين قالوا لكم
كونوا هودا أو نصارى تهتدوا أتحاجوننا في الله يعني بقوله في الله في دين الله الذي أمرنا أن
ندينه به ورب بنا وربكم واحد عدل لا يجور وانما يجازى العباد على ما اكتسبوا وتزعمون أنكم
أولى بالله منا لقدم دينكم وكتابكم ونبيكم ونحن مخلصون له العبادة لم نشرك به شيأ وقد أشركتم
في عبادتكم اياه فعبد بعضكم العجل وبعضكم المسيح وأنى تكونوا خيرا منا وأولى بالله منا

﴿ القول في تأويل قوله تعالى (أم تقولون ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط
كانوا هودا أو نصارى قل ءأنتم أعلم أم الله) قال أبو جعفر في قراءة ذلك وجهان أحدهما أم
تقولون بالتاء فمن قرأ كذلك فتأويله قل يا محمد للقائلين لك من اليهود والنصارى كونوا هودا
أو نصارى تهتدوا أتجادلوننا في الله أم تقولون ان ابراهيم فيكون ذلك معطوفا على قوله
أتحاجوننا في الله والوجه الآخر منهما أم يقولون بالياء ومن قرأ ذلك كذلك
وجه قوله أم يقولون الى أنه استفهام مستأنف كقوله أم يقولون افتراه وكما يقال انها لابل أم شاء
وانما جعله استفهاما مستأنفا لمجيء خبر مستأنف كما يقال أتقوم أم يقوم أخوك فيصير قوله أم
يقوم أخوك خبرا مستأنفا لجملة ليست من الاول واستفهاما مبتدأ ولو كان نسقا على الاستفهام
الاول لكان خبرا عن الاول فقيل أتقوم أم تقعد وقد زعم بعض أهل العربية أن ذلك اذا قرئ
كذلك بالياء فان كان الذي بعد أم جملة تامة فهو عطف على الاستفهام الاول لان معنى الكلام
قيل أي هذين الامرين كائن هذا أم هذا والصواب من القراءة عندنا في ذلك أم تقولون بالتاء دون
الياء عطفا على قوله قل أتحاجوننا بمعنى أي هذين الامرين تفعلون أتجادلوننا في دين الله فتزعمون
أنكم أولى منا وأهدى منا سبيلا وأمرنا وأمركم ما وصفنا على ما قد بيناه أيضا أم تزعمون أن ابراهيم
واسمعيل واسحق ويعقوب ومن سمى الله كانوا هودا أو نصارى على ملتكم فيصح للناس بهتكم
وكذبكم لان اليهودية والنصرانية حدثت بعد هؤلاء الذين سماهم الله من أنبيائه وغير جائزة
قراءة ذلك بالياء لشذوذها عن قراءة القراء وهذه الآية أيضا احتجاج من الله تعالى ذكره لنبيه صلى
الله عليه وسلم على اليهود والنصارى الذين ذكر الله قصصهم يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم
قل يا محمد لهؤلاء اليهود والنصارى أتحاجوننا في الله وتزعمون أن دينكم أفضل من ديننا وأنكم
على هدى ونحن على ضلالة ببرهان من الله تعالى ذكره فتدعوننا الى دينكم فهاتوا برهانكم على
ذلك فنتبعكم عليه أم تقولون ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا أو نصارى
على دينكم فهاتوا على دعواكم ما ادعيتم من ذلك برهانا فنصدقكم فان الله قد جعلهم أئمة يقتدى
بهم ثم قال تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم قل لهم يا محمد ان ادعوا أن ابراهيم واسمعيل واسحق
ويعقوب والاسباط كانوا هودا أو نصارى أأنتم أعلم بهم وبما كانوا عليه من الاديان أم الله

﴿ القول في تأويل قوله تعالى (ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله) يعني فان زعمت يا محمد اليهود
والنصارى الذين قالوا لك ولاصحابك كونوا هودا أو نصارى أن ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب
والاسباط كانوا هودا أو نصارى فمن أظلم منهم يقول وأي امرئ أظلم منهم وقد كتموا شهادة عندهم
من الله بأن ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا مسلمين فكتموا ذلك ونحلوهم
اليهودية والنصرانية واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فحدثني محمد بن عمرو قال ثنا

على الانبياء انكارا عليهم واستجهالا
لهم عما كان منهم وعن الزجاج
بأي الحسنيين تتعلقون في أمرنا
أبالتوحيد فنحن موحدون أم باتباع
دين الانبياء فنحن متبعون ومن
قرأ بياء الغيبة فلا تكون الا
منقطعة لانقطاع الاستفهام الاول
بسبب الالتفات * قل أأنتم أعلم أم
الله بل الله أعلم وخبره أصدق وقد
أخبر في التوراة والانجيل والقرآن
بأن ابراهيم ما كان يهوديا ولا
نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما
وكيف لا وما أنزلت التوراة والانجيل
الا من بعده ولانهم مقرون بأن الله
أعلم وقد أخبر بنقيض ما ادعوه فان
قالوا ذلك عن ظن فقد بان لهم
خطؤه وان قالوا ذلك عن جحود وعناد
فما أجهلهم وأشقاهم فاذن فائدة
الكلام اما التنبيه واما التجهيل
(ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من
الله) قوله من الله اما أن يتعلق بأظلم
والمعنى لو كان ابراهيم وبنوه

أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله قال في قول يهود لابراهيم واسمعيل ومن ذكر معهما انهم كانوا يهودا أو نصارى فيقول الله لا تكتموا مني شهادة ان كانت عندكم فيهم وقد علم أنهم كاذبون حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله في قول اليهود لابراهيم واسمعيل ومن ذكر معهما انهم كانوا يهودا أو نصارى فقال الله لهم لا تكتموا مني الشهادة فيهم ان كانت عندكم فيهم وقد علم الله أنهم كانوا كاذبين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثني اسحق عن أبي الاشهب عن الحسن انه تلا هذه الآية أم تقولون ان ابراهيم واسمعيل الى قوله قل أأنتم أعلم أم الله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله قال الحسن والله لقد كان عند القوم من الله شهادة أن أنبياءه برآء من اليهودية والنصرانية كما أن عند القوم من الله شهادة أن أموالكم ودماءكم بينكم حرام فبم استحلوها حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله أهل الكتاب كتموا الاسلام وهم يعلمون أنه دين الله وهم يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل أنهم لم يكونوا يهودا ولا نصارى وكانت اليهودية والنصرانية بعد هؤلاء بزمان وأنه عنى تعالى ذكره بذلك أن اليهود والنصارى ان ادعوا أن ابراهيم ومن سمى معه في هذه الآية كانوا هودا أو نصارى تبين لاهل الشرك الذين هم نصراؤهم كذبهم وادعاءهم على أنبياء الله الباطل لان اليهودية والنصرانية حدثت بعدهم وان هم نفوا عنهم اليهودية والنصرانية قيل لهم فهلموا الى ما كانوا عليه من الدين فانا وأنتم مقرون جميعا بأنهم كانوا على حق ونحن مختلفون فيما خالف الدين الذي كانوا عليه وقال آخرون بل عنى تعالى ذكره بقوله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله اليهود في كتمانهم أمر محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته وهم يعلمون ذلك ويجدونه في كتبهم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أم تقولون ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا أو نصارى أولئك أهل الكتاب كتموا الاسلام وهم يعلمون أنه دين الله واتخذوا اليهودية والنصرانية وكتموا محمدا صلى الله عليه وسلم وهم يعلمون أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل حدثنا الحسن بن يحيى قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قوله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله قال الشهادة النبي صلى الله عليه وسلم مكتوب عندهم وهو الذي كتموا حدثني المثنى قال ثنى ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع نحو حديث بشر بن معاذ عن يزيد حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله قال هم يهود يسألون عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن صفته في كتاب الله عندهم فيكتمون الصفة وانما اخترنا القول الذي قلناه في تأويل ذلك لان قوله تعالى ذكره ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله في اثر قصة من سمى الله من أنبيائه وأمام قصته لهم فأولى بالذي هو بين ذلك أن يكون من قصصهم دون غيره فان قال قائل وأية شهادة عند اليهود والنصارى من الله في أمر ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط قيل الشهادة التي عندهم من الله في أمرهم ما أنزل الله اليهم في التوراة والانجيل وأمرهم فيهما بالاستنان بسنتهم واتباع ملتهم وانهم كانوا حنفاء مسلمين وهي الشهادة التي عندهم من الله التي كتموها حين دعاهم نبي الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فقالوا له لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى وقالوا له ولاصحابه كونوا هودا أو نصارى تهتدوا فأنزل الله فيهم هذه الآيات في تكذيبهم وكتمانهم الحق وافترائهم على أنبياء الله الباطل والزور ﴿ القول

هودا أو نصارى ثم ان الله كتم هذه الشهادة لم يكن أحد ممن يكتم شهادة أظلم منه لان الظلم من الاعدل أشنع واما أن يتعلق بكتم أي لا أحد أظلم ممن عنده شهادة ثم انه لم يقمها عند الله وكتمها وأخفاها منه واما أن يتعلق بشهادة كقولك عندي شهادة من فلان ومثله براءة من الله ورسوله والمعنى ليس أحد أظلم ممن كتم شهادة عنده جاءته من الله وفيه اشارة الى أن المؤمنين لم يكتموا ما عندهم من الحق وشهدوا لابراهيم بالحنفية وتعريض بأن أهل الكتاب قد كتموا شهادات الله فانكروا نبوة محمد وحنيفية ابراهيم وغير ذلك من تحريفاتهم وما الله بغافل عما تعملون كلام جامع لكل وعيد لهم ولاضرابهم ولو أن أحدا كان عليه رقيب من قبل ملك مجازى لكان دائم الحذر

فى تأويل قوله تعالى (وما الله بغافل عما تعملون) يعنى تعالى ذكره بذلك وقل لهؤلاء اليهود والنصارى الذين يحاجونك يا محمد وما الله بغافل عما تعملون من كتمانكم الحق فيما ألزمكم فى كتابه بيانه للناس من أمر ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط فى أمر الاسلام وأنهم كانوا مسلمين وأن الحنيفية المسلمة دين الله الذى على جميع الخلق الدينونة به دون اليهودية والنصرانية وغيرهما من الملل ولا هو ساه عن عقابكم على فعلكم ذلك بل هو محص عليكم حتى يجازيكم به من الجزاء ما أنتم له أهل فى عاجل الدنيا وآجل الآخرة فجازاهم عاجلا فى الدنيا بقتل بعضهم واجلائه عن وطنه وداره وهو مجازيهم فى الآخرة العذاب المهين ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى (تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون) يعنى تعالى ذكره بقوله تلك أمة ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد عن سعيد عن قتادة قوله تعالى تلك أمة قد خلت لها يعنى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع بمثله وقد بينا فيما مضى أن الامة الجماعة فمعنى الآية اذا قل يا محمد لهؤلاء الذين يجادلونك فى الله من اليهود والنصارى ان كتموا ما عندهم من الشهادة فى أمر ابراهيم ومن سمينا معه وأنهم كانوا مسلمين وزعموا أنهم كانوا هودا أو نصارى فكذبوا ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط أمة قد خلت أى مضت لسبيلها فصارت الى ربها وخلت بأعمالها وآمالها لها عند الله ما كسبت من خير فى أيام حياتها وعليها ما اكتسبت من شر لا ينفعها غير صالح أعمالها ولا يضرها الا سيئها فاعلموا أيها اليهود والنصارى ذلك فانكم ان كان هؤلاء هم الذين بهم تفتخرون وتزعمون أن بهم ترجون النجاة من عذاب ربكم مع سيآتكم وعظيم خطيئاتكم لا ينفعهم عند الله غير ما قدموا من صالح الاعمال ولا يضرهم غير سيئها فانتم كذلك أحرى أن لا ينفعكم عند الله غير ما قدمتم من صالح الاعمال ولا يضركم غير سيئها فاحذروا على أنفسكم وبادروا خروجها بالتوبة والانابة الى الله عما أنتم عليه من الكفر والضلالة والفرية على الله وعلى أنبيائه ورسله ودعوا الاتكال على فضائل الآباء والاجداد فانما لكم ما كسبتم وعليكم ما اكتسبتم ولا تسئلون عما كان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والأسباط يعملون من الاعمال لان كل نفس قدمت على الله يوم القيامة فانما تسئل عما كسبت وأسلفت دون ما أسلف غيرها

والوجل فكيف بالرقيب القريب الذى يعلم أسراره ويعد عليه أنفاسه وأفكاره ثم هو يقدر على أن يدخله جنته أو ناره (تلك أمة) اشارة الى ابراهيم وبنيه كما مر وانما أعيدت الآية ههنا لغرض آخر وهو زجرهم عن الاشتغال بوصف ما عليه الامم السالفة من الدين فان أديانهم لا تنفع الا اياهم لاندراس آثارها وانطماس أنوارها وأما الآن فالدين هو الاسلام الثابت بالدليل القاطع والبرهان البين فيجب اتباع المعلوم واقتفاؤه والقاء المظنون والغاؤه ولا يسئل المتأخر عن المتقدم ولا المحسن عن المسىء وكل بعمله مجزى

(تم الجزء الاول من تفسير القرآن الجليل للامام محمد بن جرير الطبرى وبهامشه الجزء الاول)
(من تفسير النيسابورى ويليه الجزء الثانى أوله ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى سيقول السفهاء)